النصف الاول من تأويلات

ابي منصور الماتريدي

٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله احتمل ان يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته
ليحمدوه فان قيل كيف يجوز ان يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود قيل له لوجهين احدهما انه
استحق الحمد بذاته لا باحد فيكون في ذلك تعريف الخلق لما يلزمهم لربه بما اثنى على نفسه ليثنوا
عليه وغيره انما يكون ذلك له بما جل وعز بفعله توجيه الحمد اليه لا الى نفسه اذ نفسه
لا يتوجه بها بل بالله تعالى والثاني ان الله تعالى حقيق لذلك اذ لا عيب بمنه ولا انه عمل
به فيدخل نقصانا في ذلك ولا هو خاص بشيء والعبيد لا يخلو عن عيوب بمنه وآفات تحل به
ويمدح بالاستمداد ويذم بتركه وفي ذلك تمكن النقصان وحق لمثله الفزع الى الله والتضرع اليه
ليتغمده برحمته ويتجاوز عن صنيعه وعلى ذلك معنى التكبير يحمده ربنا ولا يحمد غيره اذ ليس
للعبد معنى يستقيم بكبره اذ هو جميعا الا من طريق المحبة والخلق وما ادرك احد منهم من فضيلة
او رفعة فبالله ادركه لا بنفسه بفعله فتنزيه الرب والفزع اليه بالشكر لا بالتكبر على امثاله
والله عن هذا الوصف متعال وتحتمل ان يكون قوله الحمد لله على اضمار الامر اي قولوا الحمد لله
لان الحمد يضاف الى الله فلا يجوز ان يكون له علينا فامر بالحمد لذلك ثم يخرج ذلك على وجهين
احدهما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحمد لله اي الشكر لله بما صنع الى خلقه
فيخرج تاويل الآية على هذا الترتيب على الامر بتوجيه الشكر اليه وذلك يتضمن الامر ايضا
بكل الكل من الطاعة على ما روي عن النبي عليه السلام انه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له
اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا فصير انواع
الطاعات شكرا له فمن اطاع الله تعالى فقد شكر له فيخرج تاويل الآية على هذا والوجه
الثاني انه يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه والتنزيه عما
لا يليق به من توجيه الشكر اليه وقطع الشركة عنه في الانعام والافضال على عباده
وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة
بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي
فيحمل الحمد هذا الحرف وضرب منه ثناء لوجهين احدهما انه نسب الربوبية اليه في جميع
العالم وقطعها عن غيره والثاني انه سمى ذلك صلاة والصلاة اسم للثناء والدعاء
وذلك خلاف الذم ونقيضه وفي الوصف بالبراءة من الذم مدح وثناء بغاية المدح
والثناء ولذلك يفرق القول بين الحمد والشكر اذا امرنا بالشكر للناس بما جاء عن رسول
الله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله صيره بمعنى المجازاة والحمد بمعنى الوصف
بما هو اهله فلم يستحق الحمد الا الله وبالله التوفيق **وقوله** رب العالمين روي عن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال سيد العالمين والعالم كل من دب على وجه الارض وقد
يتوجه الرب الى الربوبية لا الى السود اذ يستقيم القول رب كل شيء من بني آدم وغيره
نحو رب السموات والارضين ورب العرش ونحوه وغير مستقيم القول سيد السموات
ونحوه وقد يتوجه اسم الرب الى المالك اذ كل من ينسب اليه الملك يسمى انه مالكه ولا
يسمى انه سيده الا في بني آدم خاصة واسم الرب يجمع ذلك كله لذلك كان التوجيه الى

المالك اقرب وان احتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه اذ هو في الحقيقة سيده
من ذكر ورب بغيره والله الموفق ثم اختلف اهل التفسير في العالمين فمنهم من رد الى كل
ذي روح دب على وجه الارض ومنهم من رد الى كل ذي روح في الارض وغيرها ومنهم من
قال لله كذا كذا عالما لم ندر ان قيل عندنا ما اجمع اهل الكلام ان العالمين اسم لجميع الانام
والخلق جميعا دون اهل التفسير يرجع الى مثل الاخبار ذكروا اسماء الاعلام واهل
الكلام ما يجمع ذلك وغيرهم من اهل الرأي يسمونه التجميع وكذلك الخلق يسمون ذلك
بالعالمين والخلائق يتوجه الى جمع الجمع من غير ان يكون في التحقيق تفاوت وقد يتوجه
الى عالم كل زمان وكذا الخلق كل زمان على حكم تجدد العالم وبالله التوفيق وفي ذلك ان الله
ادعى لنفسه العالمين كلهم من تقدم وتاخر ومن كان ويكون لم يقدر احد ان ينطق بالتكذيب
في شيء من ذلك لنفسه دل ذلك على ان لا رب غيره ولا خالق لشيء من ذلك سواه اذ لا يجوز
ان يكون حكيما او العابث يبدع ولا يدعيه ولا يفصل ما كان منه مما كان لغيره وبنفسه تم
ذلك لا بغيره وعلى ذلك معنى قوله تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولهذا
مما في اتساق التدبير واجتماع التضاد وتعلق حوائج بعض ببعض وقيام منافع بعض
ببعض على تباعد بعض من بعض وتضادها دليل واضح على ان مدبر ذلك كله واحد وانه لا يجوز
كون مثل ذلك عن غير مدبر عليم والله المستعان **وقوله** الرحمن الرحيم اسمان ماخوذان
من الرحمة لكنه روي فيهما قيل احدهما ارق من الآخر وكان الذي روي عنه هذا اراد
به لطيفان احدهما الطف من الآخر دليل ذلك وجهان احدهما يجيء الا ترى ذلك اللطيف
في اسماء الله تعالى مع ما نطق به الكتاب ولم يذكر في شيء من ذلك رقيق ومعنى اللطيف
في استخراج الامور الخفية وظهورها له كقوله انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في
صخرة الى قوله لطيف خبير وبالله التوفيق والثاني ان اللطيف حرف يدل على البر والعطف
والرقة على رقة الشيء التي هي نقيض الغلظ والكثافة كما يقال فلان رقيق القلب واذا
قيل فلان لطيف فانما يراد به بار عاطف فلذلك يجوز لطيف ولا يجوز رقيق وكذلك
فسر من فسر الرحمن العاطف على خلقه بالرزق وذهب بعضهم وهو الاول الى اللطافة
وذلك يوئيد فانما هو من اللطف وقوله احدهما ارق من الآخر بمعنى اللطف يحتمل
وجهين احدهما التحقيق بان اللطف باحد الحرفين اخص والبق واوفر واكمل لذلك
رحمته بالمؤمنين انه يقال رحيم بالمؤمنين على تخصيصهم بالهداية لدينه ولذا ذكر
امته وان اشتركهم في الرزق فيما يراهم غير هو الا ترى انه لا يقال رحمن بالمؤمنين
وجائز القول رحيم بهم وكذلك لا يقال رحيم بالكافر مطلقا وبالله التوفيق ووجه
آخر ان احدهما الطف من الآخر كانه وصف الغاية في اللطف حتى يبعد درجة ادراك
ما في كل واحد منهما من اللطف او يوصف بتطلع الغاية عما يتضمنه كل حرف وبالله
التوفيق ووجه آخر ان احدهما شرفي هذا ان اسم الرحمن هو المخصوص به الله لا يسمى
به غيره والرحيم يجوز تسمية غيره به فلذلك يوصف ان الرحمن اسم ذاتي والرحيم
فعلي وان احتمل ان يكونا مشتقين من الرحمة ودليل ذلك انكار العرب الرحمن ولا احد
منهم انكر الرحيم حيث قالوا لا ندري ما الرحمن انسجد لما تامرنا وذلك قوله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن اياما تدعوا يدل على انه ذاتي لا فعلي واذا كان الفعل صفة الذات

اذ محال صفته بغيره. فلا موجب ذلك الحاجة الى غيره ليحدث له الثناء والمدح وفي ذلك
خلق الخلق لنفع الاستنفاع وهو عن ذلك متعال بل بنفسه مستحق لكل مدح وحمد ولا قوة الا
بالله وروي في خبر القسمة ان العبد اذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي
عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وذكر انه قال في الاول بالتمجيد وفي
الثاني بالثناء وذلك واحد لان معنى الثناء الوصف بالمجد والكرم والجود والتمجيد
هو الوصف بذلك وبالله التوفيق ثم اجمع ان قوله مالك يوم الدين انه يوم الحساب
والجزاء على ذلك القول انا لمدينون وقوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق وهو الجزاء
ومن ذلك قول الناس كما تدين تدان وجائز ان يكون مالك يوم الدين على جعل ذلك اليوم
لما فيه ان اليوم اذ فيه تظهر حقيقته وعظم مرتبته وجليل موقعه عند ربه وفي الاية
دلالة وصف الرب بملك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم القيامة ثبت ان
الله يجمع ما يستحق الوصف به فيستحقه بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا نحن هو خالق لم يزل
ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وسميع لم يزل وان كان ما عليه وقع ذلك لم يكن وكذلك
نقول هو رب كل شيء واله كل شيء في الازل وان كانت الاشياء حادثة كما قال مالك
يوم الدين اليوم وان كان اليوم بعد غير حادث وبالله التوفيق وقوله اياك نعبد
فهو والله اعلم على اضمار الامر اي قل كذا ثم لم يحتمل له ان يستثني في القول به بل الزمه
القول بالقول فيه ثم هو يتوجه وجهين احدهما لحال القول به في الخبر عن حاله
فيجب ان لا يستثني في التوحيد وان من يستثني فيه عن شك فيستثني والله تعالى وصف
المومنين بقوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وكذا سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال ايمان لا شك فيه والثاني عن
احوال التي تردد في ذلك لكنه اذا كان ذلك في اعتقاد المذهب لم يجز الشك فيه
اذ المذاهب لا تعتقد لاوقات انما تعتقد للابد لذلك لم يجز الشك فيه في الابد
وبالله التوفيق ثم قوله اياك نعبد يتوجه وجهين احدهما الى التوحيد وكذا روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كل عبادة في القرآن فهو توحيد والوجه الاخر
ان يكون في كل طاعة ان نعبد الله بها واصلها يرجع الى واحد لما على العبد ان يوحد الله
في كل عبادة لا يشرك فيها احدا بل يخلصها فيكون موحدا لله بالعبادة والدين حنيفا وفي
ذلك قطع الطمع والخوف والحوائج كلها عن الخلق وتوجيه ذلك الى الله تعالى بقوله
انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وعلى ذلك المومن لا يطمع في الحقيقة باحد
غير الله ولا يرفع اليه الحوائج ولا يخاف الا من الوجه الذي يخشى ان الله جعله سببا لوصول
بلاء من بلاياه اليه في بدنه فعلى ذلك مخافته او يرجو ان يكون الله تعالى جعل سبب
ما دفعه اليه في بدنه فبذلك يرجو فيطمع فيكون ذلك من الصافين فيكون في ذلك
التعوذ من جميع انواع الذنوب والاستهداء الى كل انواع البر ثم التسمية هي آية من
القرآن وليست من فاتحة القرآن دليل جعلها اية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لابي بن كعب لاعلمنك اية لم تنزل على احد قبلي الا على سليمان بن داود فاخرج
احدى قدميه ثم قال له باي آية تفتتح القرآن قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال
هي هي ففي هذا اثبات انها من القرآن وانها لو كانت من السورة لكان تعلمه نفيا وباية آية

لاية

لاية واحدة ولو كانت منها ايضا لكان لا يجعلها مفتاح القرآن بل يجعلها من السورة
ثم الظاهر ان لم يتكلف تفسيرها على حد ابتداء السورة ثبت انها ليست منها وكذلك
ترك الامة الجهر بها في العلم بانه لا يجوز ان يكون رسول الله عليه السلام يجهر بها ثم
يخفى ذلك على من معه وان يكونوا اعقلوا ثم يضيعون سنته بلا نفع يحصل لهم حتى توارثت
الامة تركها فيما يحتمل ان يكون الجهر سنته ثم يخفى فيكون في فعل التابعين دليل واجمع انها
ليست من السور ودليل آخر على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله الى قوله مالك
يوم الدين فقال هذا لي وهي ثلاث ايات وقال في قوله اهدنا الى اخرها هذا
لعبدي ثلاث انها ثلاث ايات لتستوي القسمة ثم قال في قوله اياك نعبد واياك
نستعين هذا بيني وبين عبدي نصفين فثبت انها اية واحدة فصارت بغير التسمية
سبعا وذلك قول الجميع انها سبع ايات مع ما لم يذكر في خبر القسمة فثبت انها دونها
سبع ايات وقد روي عن انس بن مالك انه قال صليت خلف رسول الله وخلف ابي بكر
وعمر وعثمان فلم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروي ذلك عن علي وعبد
الله بن عمر وجماعة وهو الامر المعروف في الامة مع ما جاء في قصة سحرة العقد كانت
احدى عشرة وقرئ عليها المعوذتين دون التسمية وكذا غيرها من السور مع ما انه
جعلت مفتاحا كانت كالتعوذ والله الموفق والاصل عندنا ان المعنى الذي تضمنه
فاتحة القرآن فرض على جميع البشر اذ فيه الحمد لله والوصف له بالمجد والتوحيد له
والاستعانة به وطلب الهداية وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر اذ فيه معرفة
الصانع على ما هو معروف والحمد له على ما يستحقه اذ هو المبتدئ بنعمه على جميع خلقه
واليه يفتقر كل عبد وحاجة كل يحتاج فصارت لنفسها فجعلت الخصال التي بينا فريضة
على عباد الله ثم ليست هي في حق الصلاة فريضة وذلك نحو التسبيحات بما فيها من
تنزيه الله والتكبيرات بما فيه من تعظيمه فريضة لنفسها اذ ليس لاحد ان لا يتركه وبه
ولا يعتقده من غير ان يوجب ذلك فرضيتها في حق الصلاة وفي حق كل مجعولة هي فيه لا من طريق
وضع الفرضية من غير طريق النهي ذكرت ثم ليست هي بفريضة في حق القراءة في الصلاة
لوجوه احدها ان فرضية القراءة عرفنا بقوله فاقرؤوا ما تيسر من القرآن وفيها الدلالة
من وجهين احدهما انه قد يكون غيرها ايسر والثاني ان فرضية القراءة في هذه الاية
من حيث الامتنان بالتخفيف علينا في التيسير ولو لم يكن فريضة لم يكن علينا في التخفيف منة
اذا بالترك ثم لا خبر في فاتحة القرآن والاية التي بها عرفنا الفرضية فما تخيرنا عرفنا
من الاية ثبتت انها رجعت الى غيرها وبالله التوفيق والثاني ان في الله اجر عن الله انه
جعل لها اي خلق الثناء وهو ما ذكر في خبر القسمة فصارت تتزايد بذلك الحق ثم يخلق
لها حق القراءة بل الحق لها حق الدعاء والثناء ولنفي ذلك من فرايض الصلاة وبالله التوفيق
والثالث ما روي عن عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم احيى ليلة بقوله ان تعذبهم
فانهم عبادك الاية فيه كانت تقوم وبه كان يركع وبه يسجد وبه يقعد كتبت
ان لا قراءة في حق القراءة معها ايضا الخبر الذي فيه ان ارجع فصل فانك لم تصل انه قال
له وقت التعليم اقرا ما تيسر معك فثبت ان المروي من ذلك وايضا ما روي عن رسول الله صلى

لعله [illegible]
[illegible]

الله عليه وسلم انه قال لا صلاة الا بفاتحة الكتاب ثم روي عنه بيان محلها ان كل صلاة لم
يقرا فيه بفاتحة الكتاب فهي خداج فنقصان غير تمام فالفاسد لا يوصف بالنقصان وانما
الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان وبالله التوفيق ثم خص فاتحة القرآن بالتامين عما يحكي
بالذي ذكره خبرا للتسمية وغير الفاتحة وان كان فيه الدعاء فانه لم يخص بهذا الاسوة لكن
لم يجهر به فالتسهيل فيه ما ذكرنا في التسمية مع ما كان من اخلص بمعنى الدعا منها ثم السنة
في جميع الدعوات المخافتة والاصل ان كل ذكر يشترك فيه الامام والقوم فسنته المخافتة
الا لحاجة الاعلام وهذا الذي قوله ولا الضالين فيزول لمعناه وسبيل مثله المخافتة مع ما جا
به مرفوعا وموقوفا وخبرا لم يحتمل السبق كما كان يسمعهم في صلاة النهار احيانا ويحتمل
الاعلام انه كان يقرا به وبالله التوفيق ثم جمعت هذه خصالا من الخير ثم كل خصلة
منها تجمع جميع خصال الخير منها ان في الحرف الاول من قوله الحمد لله رب العالمين شكرا
لجميع النعم وتوجيها لها الى الله لا شريك له ومدحا له بالعلي ما يحتمل المدح وهو ما ذكرنا
من عموم نعمه والاية جميع بريته ثم فيه الاقرار بوحدانيته في الشكر البرية كلها وتحقيق
الربوبية له علينا بقوله رب العالمين وكل واحد منها يجمع خصال خير الدارين ويوجب لقائل
به عن صدق القلب وذلك الدارين ثم الوصف لله عز وجل بالاسمين يتعالى عن ان يكون
لاحد معنا هما حقيقة او يجوز ان يكون فيه لاستحقاق نحو الله والرحمن ثم الوصف له بالرحمة
التي هي نجاة كل ناج وسعادة كل سعيد وبقا يتقي لها لكن كلها مع ما من رحمته خلق الرحمة
التي بها تعاطف بينهم وتراحمهم ثم الايمان بالقيامة بقوله تعالى مالك يوم الدين مع الوصف
له بالمجد وحسن الثنا عليه ثم التوحيد وما يلزم العباد من اخلاص العبادة له والصدق
بها مع جعل كل رغبة وشرف منا لاجبه عز وجل ثم رفع جميع الحوائج اليه والاستعانة
به على قضائها والطف بها على طمانينة القلب وسكونه ان لا يخيبه عند معونته ولا يزيغ
عند عصمته ثم الاستهدا الى ما يرضيه والعصمة عما يغويه في حادث الوقت مع العلم
بانه لا ضلال لاحد مع هدايته في التحقيق ولو جا الخوف من الله لا من غيره وعلى ذلك جميع
معاملات العباد ومكاسبهم على الرجا من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا به يتصل الى
مقصوده ويظفر بمراده ولا قوة الا بالله **قوله** واياك نستعين فذلك طلب المعونة
من الله على قضا جميع حوائجه دينا ودنيا ويحتمل ان يكون هو على اثر الفزع الى الله بقوله
اياك نعبد على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر البين في الخلق
من طلب التوفيق والمعونة من الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار والله
الموفق ثم لا يصح هذا القول على قول المعتزلة لان تلك المعونة في ادا ما كلف قد اعطي اذ
هو على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شي مما به ادا كل مكلف عند الله وطلب ما اعطى
كتمان النعمة وكتمان النعمة كفران فيصير كان الله امر ان يكفر نعمه ويكتمها ويطلبها منه
تعنتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعطه التمام اذا او
ليس عنده فهو هاذي به في الوجه مع ما كان الذي يطلب اشا ان يكون الله ان لا يعطيه
مع التكليف فيبطل قولهم اذ لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي او لبيق
له ان لا يعطي مكافاته قال اللهم لا تجز ومن هذا علمه برجيه فالاستسلام اولى به وهذا امر منا
كان لا به عن الله احد بالمعونة الا ويطمئن قلبه انه لا يبدل عند المعونة ولا يزيغ عند

العصمة وليس مثله يملك لله عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال في خبر القسمة الله يقول هذا بيني وبين عبدي نصفين وذلك يحتمل
ان يكون كل حرف من ذلك بما فيها جميعا والفزع الى الله بالعبادة والاستعانة ورفع الحاجة
اليه وانها رضاه جل وعلا عند ينتظم ذلك الثنا عليه وطلب لحاجة اليه ويحتمل ان يكون
الحرف الاول لله بما فيه عبادته وتوحيده والثاني للعبد بما فيه طلب معونته وقضا حاجته
ويؤيد ذلك بقية السورة انه اخرج على الدعا فقال الله عز وجل هذا لعبدي ولعبدي
ما سال **وقوله** اهدنا قال ابن عباس رشدنا والارشاد والهداية واحد قيل
الهداية في حق التوفيق اقرب الى فهم الخلق من الارشاد بما هي اعم في تعارفهم ثم القول
بالهداية يخرج على وجوه ثلاثة احدها البيان ومعلوم ان البيان قد تقدم من الله لا احد
يريد به ذلك لمضي ما به البيان من كتاب وسنة والى هذا ذهب المعتزلة وفي الثاني
التوفيق له والعصمة عن زيغه وذلك معنى قولهم اللهم اهدنا فيمن هديت **وقوله**
اهدنا الصراط صراط الذين وصفهم الى اخر السورة ولو كان على البيان على ما قالت
المعتزلة فهو والمغضوب عليهم في ذلك سواء ثبت انه عام ما قلنا دون ما ذهبوا اليه
والثالث ان يكون على طلب خلق الهداية لنا اذ نسب اليه من جهة الفعل وكل ما يفعله خلق
كانه قال اخلق لنا هداية وهو الاهتدا منا وبالله التوفيق ثم ناويل طلب الهداية
ممن قد هداه الله يتوجه وجهين احدهما طلب الثبات على ما هداه الله وعلى هذا معنى
زيادات الايمان انما بمعنى الثبات عليه وذلك كوجلي يتطران الى شي فيرفع احدهما
بصره عنه جاز القول بان زياد ينظر الاخر ووجه اخر على ان في كل حال يخاف على المر
ضد الذي يهدي فيه مكانه انما يكون له حكم الاهتدا اذ في كل وقت ايمان منه دفع به
ضده وعلى ذلك قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله الاية ونحو ذلك من الايات وقد
يحتمل ايضا معنى الزيادة هذا النوع وبالله التوفيق واما الصراط فهو الطريق والسبيل
في جميع التاويل وهو قوله وان هذا صراطي الاية وقوله قل هذه سبيلي ثم اختلفوا في
ماهيته فقال بعضهم هو القرآن وقال بعضهم هو الايمان وايهما كان فهو القائم الذي
لا عوج له والقيم الذي لا اختلاف فيه من لزمه وصل الى ما ذكر وبالله التوفيق **وقوله**
المستقيم قيل هو القائم بمعنى الثابت بالبراهين والادلة لا يزيله شي ولا ينقض حجة كيد
الكايدين ولا حيل المريبين وقيل المستقيم الذي يستقيم بمن تمسك به حتى ينجيه ويدخله الجنة
وقيل المستقيم بمعنى يستقام به كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به يدل عليه ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية فالمستقيم هو المتبع له وبالله التوفيق ثم ذكر من ذكر
المنعم عليهم والله على كل مومن نعم بالهداية وما ذكر دليل على ان الصراط هو الدين لانه انعم
به على جميع المومنين لكن تاويل من يرد الى الخصوص يتوجه وجهين احدهما انه انعم عليهم
بمعرفة الكتب والبراهين فيكون على التاويل الثاني من القرآن والادلة والثاني ان يكون
لهم خصوص في الدين قدموا على جميع المومنين كقول داود وسليمان الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المومنين وعلى هذا الوجه يكون اهتدا ووجه اخر وهو الخصوص الذي
خصوا به كثيرا من المومنين من بين غيرهم لكن الثنا يدل على صرف الارادة الى جملة المومنين
اذا انصرف الى غير المغضوب عليهم ولا الضالين **وقوله** انعمت عليهم على قول المعتزلة

ليس لله على احد من المومنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين اذ لا نعمة من الله على
احد الا الاصل في الدين والبيان للسبيل المرضي وتلك قد كانت على جميع الكفرة فيبطل على
قولهم التبا والله الموفق ثم اختلف في المغضوب عليهم ولا الضالين منهم من قال هو واحد
او كل ضال فقد استحق الغضب عليه وكل مغضوب عليه استحق الوصف بالضلال ومنهم من قال
المغضوب عليهم هم اليهود وانما خصوا بعد ابما كان منهم من فضل تمرد وعتو لم يكن ذلك
من النصارى بحزائكا وهم بجيلي وقصدهم قتله مما لم يكن ذلك من النصارى ثم قولهم في
الله يد الله مغلولة الاية وقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية وقوله
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود وكفرهم برسول الله بعد استفتاحهم وشدة
تعنتهم وظهور النفاق فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم وان كانوا شركا غيرهم في اسم
الضلال وبالله التوفيق وفي هذا وجه آخر انه يحمل الذنوب على وجهين منها ما يوجب
الغضب وهو الكفر ومنها ما يوجب اسم الضلال وهو ما دونه كقوله موسى فعلتها اذا
وانا ... في الهداية لا اصلها من نعمة والتعوذ به من كل ضلال ومن جميع ما يوجب مقته
وغضبه وبالله النجاة والخلاص مع ما في خبر القسمة وعد جليل من رب العالمين في
اجابة العبد ما يدفع اليه من الحوائج اذ قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين ثم
صير اخر السورة لعبده وليس في متلوها سوى اظهار الفقر ودفع الحاجة وطلب المعونة
والاستهداء الى ما ذكر مع التعوذ عما ذكر وليس ذلك مما يوصف به الخلق اخبر انه ثبت
ان له في ذلك اجابة دعته فيما امره به ووعد ذلك وهو لا يخلف وعده فاني يحتمل
ذلك بعد امره العبد بالذي تضمنه اول السورة تمام بر العبد مع توحيده وحجابه
والله بكرمه وجوده لا ينجز له ما وعد لا يكون هذا البتة وقد قال ادعوني استجب
لكم وغير ذلك مما فيه الانجاز وانه لا يخلف الميعاد ثم قد جعل بما جاء من الحديث في
تلاوة ان قدمه في التورية والانجيل وعده له بتلو القرآن وجعله شفاء من انواع الادواء
للدين والنفس والدنيا وجعله معاذا من كل ضلال وملجا الى كل نعمة وبالله نستعين مع
ما اوضح في الاسماء التي لقب بها فاتحة القرآن عظيم شرفه وجليل قدره وهو ان تسمى
فاتحة القرآن بما به يفتتح القرآن وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
يفتتح القراءة به وسمي فاتحة الكتاب بما به يفتتح كتابة المصاحف والقرآن وسمي ام
القرآن لما لا تجزي غيره في القراءة وقيل الام بمعنى الاصل وهو انه لا يحتمل شي مما فيه النسخ ولا
الرفع فصار اصلا وسمي المثاني لما يثنى في الركعات ولا قوة الا بالله وفي قوله اهدنا
الى اخره وجهان سوى ما ذكرنا اذ قوله اهدنا الصراط المستقيم دعا كاف عما تضمن الى
اخر السورة اذ ليس فيها غير تفسير هذه الجملة الحمد مما تذكير نعم الله على الذين يتلون دينه
في قلوبهم والتوفيق لهم بذلك وافضاله عليهم بما لبس لهم عليه والثاني تعوذ وهو عن كل
زيغ ومقت وضلال وذنب واتجاه هوا انه مذكر بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم قيل فيه وجوه روي عن ابن عباس قال قوله الم انا الله اعلم وقيل انه قسم

اقسم

اقسم بها وقيل ان هذه الحروف المعجمة مفتاح السور وقيل ان كل حرف من هذه الحروف
كناية اسم من اسماء الله الالف الله واللام لطيف والميم ملكه وقيل ان اللام الاول والميم
مجده وقيل ان الالف هو الله واللام جبريل والميم محمد وقيل انها من التشبيب ليفصل بين
الكلام المنظوم والمنثور من نحو الشعر ونحوه وقيل انه تفسير هذه الحروف المقطعة
ما الحق ذكرها بها في اثرها نحو قوله الم ذلك الكتاب ذلك الكتاب هو تفسير الم والم
الله لا اله الا هو والمص كتاب انزل اليك والر تلك ايات والمر تلك ايات كل ملحق بها
هو تفسيرها وقيل ان فيها بيان غاية ملك هذه الامة من حيث الجمل لكنهم عدوا بعضها
وتركوا بعضها وقيل انه من المتشابه الذي لم يطلع الله خلقه على ذلك ولله ان يمتحن
عباده بما شاء من المحن وقيل انهم كانوا لا يستمعون لهذا القرآن كقوله لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه وكقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فانزل الله عز وجل
هذه الحروف المعجمة ليستمعوا اليها فيلزمهم الحجة والاصل في الحروف المقطعة ان تكون
على القسم بها في ما ذكرنا واريد بالعدد الذي ذكر كلية الحروف بما كان من شان العرب
القسم بالذي جل قدره وعظم خطره وهي مما بها قوام الدين وبها يتصل الى المنافع اجمع
مع ما دلت على نعمتين عظيمتين النطق والسمع وبها تجري كل انواع الحكمة فاقسم
بها على معنى اضمار ربها على ما اجل قدرها في اعين الخلق فيقسم بها والله ذلك ولا قوة
الا بالله ويحتمل ان يكون بمعنى الرمز والتضمين في كل حرف منها امرا جليلا يعظم خطره على
ما عند الناس في امر حساب الجمل ثم يخرج في الرمز بها عن اسماء الله وصفاته ونعمه على خلقه
او على بيان منتهى هذه الامة او عدد ايامها وملوكها والبقاع التي ينتهي امرها وذلك
هو في نهاية الايجاز بل بالاكتفاء بالرمز عن الكلام وبما هو بمعنى من الاشارة في الاكتفاء
بها عن البسط ولا قوة الا بالله ليعلم الخلائق قدرة الله وان له ان يمتحن ما شاء بما شاء
في ما عليه امر الخلائق من لطيف الاشياء التي كادت تدق العقول واسباب الادراك تقصر
عنها وكنههما التي يدركها كل احد وبين الامرين فيلي ذلك امر تركيب الكلام ولا قوة الا
بالله ويجوز ان يكون بمعنى اسماء السور ولله تسميتها بما شاء كما سمى كتبه وعلى ذلك منتهى
اسماء الاجناس خمسة احرف وكذلك امر السور دليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها اليها
كانه سمي فيها ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون في التشبيب في ما ذكرنا للتفصيل بين المنظوم
من الكلام والمنثور في المتعارف ان المنظوم في اوائله التشبيب فيخرج عن المعهود بذلك
الكلام فيلح ذلك امر الكلام المنزل الايدي انه خرج على ما عليه فنون الكلام في اوائله الاية
على وجه يتطلع له المثال من كلامهم بمثله امر التشبيب ولا قوة الا بالله وجائز ان يكون الله
انزلها على ما اراد ليمتحن عباده بالوقف فيها وتسليم المراد في حقيقة معناه والذي لم يزل
ذلك ويعرف انه من المتشابه وفيها ما يتعلق المعجزة ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون اذ
علم الله من تعنت قومه واعراضهم عنه وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه انزل على وجه
يبعثهم على التامل في ذلك بما جا بالعجب الذي لم يكونوا يرجون ذلك امام اعتدهم فانه
كاحد هو اولئك الشبيل الغير اذ خرج على المعهود عندهم فضلا عليهم ما يضطرهم الى العلم بالنزول
من عند من يملك تدبير الاشياء ولذلك اعترضوا لهذه الاحرف بالتامل فيها من بين الجميع ولا قوة
الا بالله وقيل انه دعا خلقه الى ذلك والله اعلم بما اراد قوله ذلك الكتاب اي هذا

الكتاب اشارة الى ما عنده وهذا شايع في اللغة جائز بمعنى هذا او قيل ذلك بمعنى ذلك اشارة
الى ما في ايدي التوراة والزبور وقوله لا ريب فيه قيل فيه وجوها لكن الحاصل يرجع الى
وجهين اي لا ترتابوا فيه انه من عند الله وقيل لا ريب فيه انه منزل في ايدي الانبيا والكتاب
وقوله هدى قيل فيه بوجهين هدى اي بيانا ومنهاجا فلو كان المراد هدى انما المتقي وغيره
التي سواء والثاني هدى اي رشدا وحجة ودليلا ثم اختلفوا في الدليل فقال ابن الراوندي
الدليل انما يكون دليلا بالاستدلال لانه جعل المستدل مشتق من الاستدلال كالضرب من الضارب
وغيره وقال غيرهو لا الدليل بنفسه دليل وان لم يستدل به لانه حجة والحجة حجة وان لم
يحتج بها عبرات الدليل يكون دليلا بالاستدلال ومن لم يستدل به فلا يكون له دليلا وان كان
بنفسه دليلا بل يكون عليه عمى وحيرة كقوله واذا ما انزلت سورة ثم قال فاما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجسا وقوله للمتقين قيل فيه بوجهين يؤمنون بالله غيبا ولم
يطلبوا منه ما طلب الامم السالفة من انبيائهم كقول بني اسرائيل لموسى لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة والثاني يؤمنون بغيب القرآن ولا بخبر هو القرآن من الوعد والوعيد
والامر والنهي والبعث والجنة والنار والايمان انما يكون بالغيب لانه تصديق والتصديق
والتكذيب انما يكونان عن الخبر والخبر انما يكون عن غيب لا عن مشاهدة والاية تنقض قول
من يقول بان جميع الطاعات ايمان لانه اثبت لهم اسم الايمان دون اقامة الصلاة والزكاة
بقوله الذين يؤمنون بالغيب وقوله ويقيمون الصلاة يحتمل وجهين يحتمل الصلاة
المعروفة يقيمونها باتمام ركوعها وسجودها والخشوع والخضوع له فيها واخلاص القلب
في النية على ما جاء في الخبر انظر من تناجي وقوله ومما رزقناهم ينفقون من الاموال
يحتمل فرضا ونفلا ويحتمل ومما رزقناهم من القوى في الانفس وسلامة الجوارح ينفقون
يعينون والله اعلم وقوله والذين يؤمنون بما انزل اليك يحتمل وجهين اي بما انزل
اليك من القرآن ويحتمل ما انزل اليك من الاحكام والشرايع التي ليس ذكرها في القرآن وقوله
وما انزل من قبلك يحتمل وجهين ايضا يعني الكتب التي انزلت على سائر الانبياء ويحتمل الشرايع
والاحكام سوى الكتب والله اعلم وقوله وبالاخرة هم يوقنون يعني يؤمنون والايقان
بالشيء هو العلم به والايمان هو التصديق لكنه اذا ايقن امن به وصدق به لعلمه به لان طايفة
من الكفار كانوا على ظن من البعث كقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فاخبر عز وجل
عن حال هؤلاء انهم في يقين ليتبرأوا على الظن والشك كاولئك وقوله اولئك على هدى اي
من ربهم قيل في صواب ورشد من ربهم وقيل الهدى على بيان من ربهم لكن البيان للمؤمن
احق به من الكافر لانه يبين للكافر جميع ما يحتاج اليه اما من حجة العقل واما من جهة
السمع فيظهر بهذا ان الاول اقرب الى الاحتمال من الثاني وقوله واولئك هم المفلحون
قيل فيه بوجوه قيل الباقون في نعيم الله والخير وقيل الظافرون بحاجتهم يقال افلح اي ظفر
بحاجته وقيل المفلحون هم السعداء يقال افلح اي سعد وقيل المفلحون الناجون يقال افلح
اي نجا وكله يرجع الى واحد من زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وكله واحد من زحزح
عن النار فقد فاز ومن ادخل الجنة فقد فاز فكذلك الاول وقوله ان الذين كفروا سواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا اراد الله اعلم في قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون
فاخبر عز وجل رسوله بذلك فكان كما قال وفيه اية النبوة ويحتمل ايضا انهم لا يؤمنون

ماذا امنوا في كفرهم كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ماداموا كافرين
ظالمين وقوله ختم الله على قلوبهم روي عن الحسن ان للكافر حدا اذا بلغ ذلك الحد
وعلم الله منه انه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين
احدهما ان مذهبهم ان الكافر اذا مكلف وان كان قلبه مطبوعا عليه والثاني ان الله عز
وجل عالم بكل من يؤمن في آخر عمره وبكل من لا يؤمن ابدا بلغ ذلك الحد او لم يبلغ والمعتزلة
يقولون ان قوله ختم وطبع يجعل علامة في قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسائل ولكن
عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه والثاني خلق الختم والطبع على قلبه اذا فعل فعل الكفر
لان فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا فخلق ذلك الختم عليه ومثله كقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة اي خلق الاكنة ونحوه من الايات والاصل في ذلك انه عز على قلوبهم لما تركوا التامل
والتفكر في قلوبهم فلم ينالوا ولم يسمعوا لما لم ينتفعوا بقول الحق والعدل خلق الثقل
عليه وخلق على ابصارهم الغطاء لما لم ينظروا في انفسهم ولا في خلق الله ليعرفوا ذلك
وفنائها وتغير الاحوال ليعلموا ان الذي خلق هذا دائم لا يزول ابدا وقوله ومن
الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين قالوا ذلك بالسنتهم قولا
واظهروا خلاف ما في قلوبهم فاخبر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا بمؤمنين
اي مصدقين بقلوبهم وكذلك قوله من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وكذلك
قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية هذه الايات كلها تنقض على الكرامية
لانهم يقولون الايمان قول باللسان دون التصديق فاخبر الله عز وجل عن جملة المنافقين
انهم ليسوا بمؤمنين لما لم يأتوا بالتصديق وهذا ابطال على ان المراد تصديق بالقلب والكرامية
يقولون بل هم مؤمنون وقوله يخادعون الله لا يقصد احد قصد مخادعة الله لكنهم كانوا
يقصدون مخادعة المؤمنين واولياء الله فاضاف الله تعالى ذلك الى نفسه لعظم قدرهم
وارتفاع منزلتهم عند الله ومثله كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا يحتاج ان ينصر ولكن
كانه قال ان تنصروا اولياء الله ينصركم ومثله كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والله
لا يبايع ولكن اضاف ذلك الى نفسه لعظم قدر نبيه وعلو منزلته عند الله فكذلك الاول
اضاف مخادعتهم اولياءه الى نفسه لعلو منزلتهم عند الله وقدرهم لديه والمخادعة هو
فعل التشبيه لخداع هؤلاء والخداع المؤمنين كذلك منهم ذكرنا عليه والله اعلم وقوله
وما يخدعون الا انفسهم اي حاصل خداعهم ووباله يرجع اليهم والثاني انهم يظهرون لهم
الموافقة ليأمنوا منهم خوف ذلك بذلك الخداع في الدنيا وما يشعرون اي ما يشعرون
ان حاصل الخداع يرجع اليهم في الاخرة والثاني ما يشعرون ان الله يظهر ويطلع نبيه ما اضمروا
هو في قلوبهم والله اعلم وقوله في قلوبهم مرض يقال شك ونفاق سمى عز وجل المنافقين
مرضى لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون الخلاف
لهم بالقلب فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الموت والحياة اذ المريض
يخوف مرة على الموت ويرجو الاقبال منه ثانيا فهو مضطرب بين ذلك فكذلك هم لما كانوا
مضطربين في دينهم سماهم مرضى واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول
على ما اضمروا بالقلب فسماهم موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم ولم يكتسبوا الحياة الدائمة وسمى
المؤمنين احياء لما انتفعوا بحياتهم واكتسبوا الحياة الدائمة لموافقتهم باللسان والقلب جميعا

لدين الله عز وجل والله اعلم وقوله فزادهم الله مرضا اختلف في تاويله قالت المعتزلة
هو التخلية بينهم وبين ما اختاروا واما عندنا فهو على خلق افعال زيادة الكفر والنفاق
في قلوبهم لما زادوا واحدثوا في كل وقت من اظهار الموافقة للمؤمنين بالقول واضمار الخلاف
لهم بالقلب خلق الله عز وجل تلك الزيادة من المرض في قلوبهم باختيارهم وقد ذكرنا الوجه
في ذلك فيما تقدم في قوله اهدنا وقوله ولهم عذاب اليم لان عذاب الدنيا قد يكون ولا
الم فيه فاخبر الله تعالى ان عذاب الآخرة عذاب شديد عظيم ليس كعذاب الدنيا وقوله
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض بالمخادعة للمؤمنين واظهار الموافقة لهم بالقول واضمار
الخلاف لهم بالقلب والاستهزاء بهم عند الخلوة والقول فيهم بما لا يليق وعبادة غير الله وذلك
فساد اكبر من هذا وقوله انما نحن مصلحون باظهار الموافقة بالقول الا انهم هم المفسدون
اخبر تعالى انهم هم المفسدون لما اضمروا من الخلاف لهم والمخادعة والاستهزاء بهم
وقوله ولكن لا يشعرون اي لا يشعرون ان حاصل ذلك يرجع اليهم والثاني لا يشعرون انهم
ما كانوا يعملون افساد فان كان هذا فهو ينقض قول من يقول بان الحجة لا تلزم الا بالمعرفة
وهو قول الناشي لانه عز وجل اخبر بفساد صنيعهم وان لم يشعروا به وهو كقوله ايضا
ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر بحبط الاعمال وان كانوا لا يعلمون وقوله واذا
قيل لهم امنوا كما امن الناس يحتمل الآية ان تكون في المنافقين ويحتمل في اهل الكتاب فان
كانت في المنافقين فكان قوله امنوا يا اهل النفاق في السر والعلانية كما امن اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم في السر والعلانية جميعا وهو كقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد
اهتدوا وان كان في اهل الكتاب ففيه الامر بالايمان الذي هو ايمان وهو التصديق لان الايمان
عندنا هو التصديق بالقلب ودليله قول جميع اهل التاويل واهل الادب انهم فسروا امنوا
صدقوا في جميع القرآن وقوله انؤمن كما امن السفهاء السفه هو ضد الحكمة وهو العمل
بالجهل على العلم انه مبطل والجهل هو ضد العلم والسفه هو الشتم يقول الرجل لآخر
يا سفيه وقوله الا انهم هم السفهاء يقول بعض المتكلمين ان هذا شتم من الله لهم
جوابا عن المؤمنين ويستجيزون ذلك في الجواب وان لم يجز في الابتداء كالمكر والكيد
والاستهزاء والخداع ونحوه فعلى ذلك هذا واما عندنا فهو غير جايز لان من شتم احدا
يذم بفعله وهو عمل السفهاء فاخبر عز وجل انهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم ان دينهم الذي
يدينون به باطل وان الدين الذي يدين به المؤمنون حق وقوله ولكن لا يعلمون
قيل فيه بوجهين احدهما لا يعلمون انهم هم السفهاء والثاني لا يعلمون ما يحل بهم من
العذاب في العلانية ويضمرون لهم الخلاف في السر لذلك والله اعلم وقوله واذا
لقوا الذين امنوا يعني اصحاب محمد قالوا امنا اظهروا لهم الموافقة في العلانية ويضمرون
لهم الخلاف في السر واذا خلوا الى شياطينهم قيل فيه باوجه قيل ان شياطينهم يعني
الكهنة سموا بذلك لبعدهم عن الحق يقال شطن اي بعد وقيل ان كل عات ومتمرد يسمى
شيطانا لعتوه وتمرده كقوله شياطين الانس والجن سموا بذلك لعتوهم وتمردهم واخرين
قولهم ان الشياطين اصحابهم من الجن وقيل سموا شياطين لانه كان مع كل كاهن شيطان
يعمل بامره فسموا باسمائهم وذلك جايز في اللغة جايز والله اعلم وقوله انا معكم قيل
فيه وجهان اي معكم في النصر والمعونة والثاني انا معكم اي على دينكم لا على دين اولئك

والله اعلم وقوله انما نحن مستهزؤن باظهار الموافقة لهم في العلانية واظهار
الخلاف لهم في السر وقوله الله يستهزئ بهم قيل فيه بوجوه قيل اي يجزيهم جزاء الاستهزاء
وكذلك قوله يخادعون الله وهو خادعهم اي يجزيهم جزاء المخادعة وكذلك قوله ومكروا
ومكر الله اي يجزيهم جزاء المكر يحمل على الجزاء لما لا يجوز اضافة المكر والخداع والاستهزاء
مبتدا الى الله وان كان لا يجوز من الخلق ان يستهزئ بعضهم بعضا كالتكبر يجوز لله ولا يجوز
للخلق لان الخلق اشكال بعضهم لبعض وامثال والله جل وعز لا شكل له ولا مثل وكذلك
الاستهزاء يجوز له ولا يجوز لغيره لان الاستهزاء هو الاستخفاف فلا يجوز ان يستخف بمن هو
مثله في الخلقة وما خلق فيه من الاحداث والغير والله تعالى يتعالى عن ذلك والاول
اقرب والله اعلم او اضاف استهزاء المؤمنين بهم الى نفسه كما ذكرنا في المخادعة ثم اختلف
في كيفية الاستهزاء فقال الكلبي هو ان يفتح لهم باب من الجنة فيدنوا منه ثم يغلق
دونهم فان ثبت والا فهو كما قال وقيل انه يدفع لاهل الجنة نور يمشون به فيقصد اولئك
المضي معهم بذلك النور ثم يطفئ ذلك النور فيتحيرون ولا هو قولهم انظرونا نقتبس
من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل انه يعطيهم في الدنيا ما ينتفعون به من
انواع النعم لما هم عليه من اظهار الموافقة في العلانية ويحرمهم ذلك في الآخرة
لما اضمروا الخلاف لهم في السر وقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون الآية في قوم علم الله
انهم لا يؤمنون كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون نزلت هذه في المنافقين
والاولى في الكفرة وهي تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان الله لا يقدر ان يستنقذهم
في حال الاختيار وانما يقدر الاستنقاذ منهم في حال الاضطرار فاخبر عز وجل انه يستنقذهم
على فعل الطغيان وقوله ويمدهم اي يخلق فعل الطغيان فيهم ويحتمل ان يخذلهم ويتركهم
لما اختاروا من الطغيان الى اخر عمرهم ويحتمل انه لم يمدهم ولم يوفقهم في هذا اضافة
المد الى الله واضافة المد الى الطغيان لا يضاف اليه الا المدح والمدح يكون بالاوجه الثلاث
التي نبينها في هذا انه اذا كان هو الذي يمدهم في الطغيان قدر على ضده من فعل الايمان
فدل ان الله خالق فعل العباد اذ من قولهم ان القدرة الثابتة التي اذا قدر على شيء قدر على
ضده والعمه الحيرة في اللغة وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي
اختاروا الضلالة على الهدى لما دعوا اليه وهو الهدى من غير ان كان عندهم الهدى فتركوه بالضلالة
وهو كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات من غير ان كانوا فيه فكذلك
الاول تركوا الهدى بالضلالة ابتداء وقيل الضلالة الهلاك اي اختاروا ما به يهلكون على
ما به نجاتهم وان كانوا لا يقصدون الى اختيار الهلاك بما به النجاة كقوله فما اصبرهم على النار
لا يقدر احد ان يصبر على النار ولكن فما اصبرهم على عمل يستوجبون به النار وكذلك
قوله بئسما اشتروا به انفسهم اي بئسما اختاروا ما به هلاك انفسهم على ما به نجاة انفسهم
وفي هذه الآية دلالة جواز البيع لانهم كانوا لا يتلفظون باسم البيع ولكن كانوا يتركون
الهدى بالضلالة وكل من ترك شيئا لاخذ شيء له بدل باخذه منه فهو بيع وان لم يتكلموا بكلام
البيع وكذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الآية وهو على بذل الاموال
والانفس له بالموعود الذي وعد لهم وهو الجنة وقوله فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا
بتجارتهم لان التجارة لا تربح ولكن بالتجارة يربح وقد يسمى الشيء باسم سببه وهو كقوله

وجعل النهار مبصراً فالنهار لا يبصر ولكن بالنهار يبصر وذلك شايع في اللغة جايز
تسمية الشيء باسم سببه شرعي قوله فما ربحت تجارتهم في الربح دون نفي الاصل في الظاهر
غير ان النفي على وجهين نفي شيء يوجب اثبات ضده وهي نفي الصفة كقولك فلان عالم نفيت
الجهل عنه وفلان جاهل نفيت العلم عنه ونفي شيء لا يوجب اثبات ضده وهي نفي الاعراض
لانك اذا نفيت لونا لم يوجب ضد ذلك اللون وقوله فما ربحت تجارتهم فهو نفي الاصل كانه
قال بل خسرت تجارتهم فهو اوجب اثبات ضده دليله قوله بيسما اشتروا به انفسهم وبيسما
كانوا يعملون وقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اختلف فيه قيل انها نزلت في المنافقين
لانها على اثر ذلك المنافقين وهو قوله واذا لقوا الذين امنوا الاية وقيل انها نزلت في
اليهود لانه سبق ذكر اليهود وهو قوله آنذرتهم ام لم تنذرهم الاية ويحتمل نزولها في الفريقين
جميعا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان هذا مثل المكثور فلا يحتمل ما قال
لانه مثل ضربه الله والامثال انما تضرب لتفهم وتقرب الى الفهم ما تعذر فلو حمل على
ما قال لم يفهم مراده وما قرب الى الفهم شيئا الا ان يريد من المكثور انا لم نعلم فيمن نزل
فهو محتمل والله اعلم وقوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية يحتمل
ان تكون الاضافة الى من ذكر من المنافقين بقوله ومن الناس من يقول امنا الاية وقوله
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا الاية وذلك يخرج على وجوه احدها انهم قصدوا واتخذوا
المخادعة باولياء الله والاستهزاء بهم فنفضحهم الله بذلك في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا
بما هتك سترهم واطلع على ذلك اولياءه فعادت اليهم المخادعة وعوقبوا بما اطلع على
ضميرهم وبما ارادوا به ذلك الامن فاعقبهم الله خوفا دايما كما وصفهم الله يحسبون الناس
الاية وقال يحسبون كل صيحة عليهم وقال ورايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت وقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك الاية
وقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة الاية اراد ان يكونوا طلبوا بالخفها بالموافقة في
الدين الشرف فيهم والعز وكذلك عند الكفرة بما اظهروا انهم يخادعون ذلك المومنين
ويستهزءون بهم فيعلموا انهم كذلك يظهرون للمومنين كالمخدعهم فطردوا من بينهم فقال
الله ما هم منكم ولا منهم وقال مذبذبين بين ذلك لا الى هولا الاية فزال عنهم ما التمسوا
من الشرف والعز وابدل لهم بهما الهوان والذل فمثلهم في ذلك مثل مستوقد نار
ليستضي بضوءها وينتفع بحرها فاذهب الله بضوءه حتى ذهب ما كان يامل من الاستضاءة
بها والانتفاع واعقبه الله خوف الاحتراق لعدم نورها وذهب عنه ما طلب بذلك من شرف
الوفود في الايام الشايعة وما يصطنع بها من الاغذية بذهاب البصر فيكون ذلك معنى قوله
وهو خادعهم والله يستهزئ بهم اذ عوقبوا بالخوف عما قصدوا به الامن والذل بما طلبوا
به العز وكذلك مستوقد النار اذا ذهب نوره والله اعلم وعلى ذلك قوله اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا الضلالة لما وجعوا الى ثبات فيهم بالهدى الذي
قد اظهروه عند المومنين فيكون تحقيقا استهزاء الله بهم ومخادعته اياهم فعل اولياءه
بهم بما اخبروا من سرايرهم وبما حطوا اقدارهم وذلوا في اعينهم فاضيف ذلك الى الله
اذ به فعلوا كما اضيفت مخادعتهم المومنين اليه اذ عن دينه خادعوهم والله اعلم وعلى
هذا التاويل امكن ان يخرج قول من زعم ان الاية نزلت في الكافرين الذين كانوا يعرفون

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجدوا نعته في التورية والانجيل انه يا مرهم بالمعروف
الاية وقوله محمد رسول الله الى اخر السورة وقال عز وجل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
وقوله وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كانوا كمستوقد
النار اي طالب الوقود ليستضي به فلما ظفر به اذهب الله نوره فقد معرفتهم بمنفعة
نور النار فلم ينتفع به فكذلك لما كفروا اعندنا بعث رسول الله حسدا من انفسهم وبغيا
اذ كان من غيرهم او خشية منهم على ملكهم وما كلهم فقد العلم منهم فبطل المنفعة به ولا
قوة الا بالله واما في الاخرة انهم قصدوا بسهاوعة المومنين وموالاتهم في الظاهر ومشاركتهم
اياهم في المنافع نحو المغانم والتوارث والتناكح وخالفوهم في الباطن فكذلك الله اشركهم
في المنافع الحاصلة الظاهرة في الدنيا وخالفهم بمنافع دينه لما البالطن الغايب وهي الاخرة
اذ اهل النار وكة مع المومنين في الدنيا ومر لها عنها في الاخرة فكان وهو الموافقة في
الظاهر مع المخالفة في الباطن وكذلك مستوقد النار الظلمة من تنبيه الرغبة في ضوءها
بالاستيقاد وقد اذهب الله بضوءه بصره فذهب عنه منفعته عند ظنه انه يصل اليها
كالمنافقين في الاخرة اذ ظنوا في الدنيا انهم شركاؤهم في الاخرة لو كانت ولذلك قالوا
انظرونا نقتبس من نوركم وقوله الم نكن معكم الاية بذلك وجه الاستهزاء بهم والمخادعة
انه اشركهم في احكام الدنيا وخالفهم في احكام الاخرة وذلك اشتراء الضلالة بالهدى
في معنى اختيارهم ما فيه الهلاك على ما فيه نجاتهم وعلى ذلك يخرج تاويل من صرف الى
اهل الكتاب لانهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ امنوا بكتبهم وقد كان فيها نعته فلما
وصلوا الى منافع الايمان بالنبعث اليهم وشاهدوا اكفروا به فعوقبوا بحرمان منافع كتبهم
وايمانهم عند معاينة الجزاء كما وقعوا ايمانهم به عند المشاهدة والله اعلم وروي عن
ابن عباس رضي الله عنه انه صرف تاويل هذه الاية والتي يتلوها من قوله او كصيب
من السماء الى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وذلك والله اعلم انهم قوم لا يعرفون
الله حق المعرفة فيعبدونه بحق الربوبية له بقلوبهم ولا يومنون بالاخرة ليكون عملهم للثواب
ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها فاذا دارا في دين الاسلام
الغنايم والسلوة ودار تجارتهم مربحة فاطمانوا لها واجتهدوا والتي فيها واذا اصابتهم
الشدة والبلايا ودارت تجارتهم محسورة نفروا الى غير ذلك الذين مثلهم مثل المستوقد
نارا انه يجتهد في الابقاء دما دام يطمع في نور النار ومنافع حرها لمصالح الاطعمة فاذا
ذهب نوره بقي الغيض لنار بما يخشى من الاحتراق بالدنو منها وعما يذهب من منافع حيته
ان لم يكن مستوقدا كالمنافق حيثما استقبله المكروه في الاسلام تمنى ان لم يكن اسلم قط وذلك
قوله وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب وقوله لو كان لنا من الامر
شي ما قتلنا ههنا وقولهم قد اخذنا امرنا من قبل وقوله انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا وكذلك البرق الذي يضي يمشي المرء في ضوءه وكذلك المنافق اذا راى خيرا في
الاسلام مشى اليه واذا اظلم عليه قام متحيرا حزينا ان لا يكون اخذ السلوك والله
الموفق وقال ابو بكر الاصم مثل من يظهر الايمان فيما يتزين به في الناس مثل مستوقد
النار فيما يستضي حول النار بنورها ثم يذهب الله نوره في الاخرة كما اذهب هو في الدنيا
وكذلك اذهب الله نور المستوقد فيذهب به التزين بالنور حول النار قال وقيل ان العز

كما قيل اذهب الله نوره اي الذي كان يظهره فبقي المنافق في ظلمات الاخرة والمستوقد
في ظلمات العمى والليل ثم قال الدعاء الى الاسلام كالصيب وما فيه من الجهاد كظلمة
الليل وما فيه من الغنيمة كالبرق وجعل اصابعهم في الاذان من سماع ما في الاسلام من
الشدايد نحو جعل ذلك من الصواعق وكاد البرق يخطف ابصارهم اي ما في الاسلام من
الغنيمة يدعوهم اليه واذا اظلم عليهم بالشدايد قاموا وصدوا عن رسول الله ولو شاء الله
لذهب بما ذكر اي اسماعهم وابصارهم وروي عن الضحاك عن ابن عباس ان ضوء البرق والنار
لفي الدنيا يدايمين فتشبه به ايمان المنافق انه عن سريع يزول وقال القتبي كان المنافق في ظلمة
الكفر فاهتدي بما اعطي من النور كمستوقد النار يبصرون في ظلمة الليل وكذلك السالك
في ظلمة الليل مثلا اذهب نوره او سكن لمعان البرق رجع الى ما فيه من الظلمة والاصل في
هذا الباب ان الله تعالى خلق هذه الدار لاجل محنة اهلها وجعل لهم دارا اخرى بهم فيها
بما لولاهي لكان يكون خلق هذه الدار بما فيها عبثا اذ يكون خلق الخلق للفناء بلا عواقب
لهم وذلك عبث في المعقول لان كل سارع فيما لا عاقبة له عابث وحيما لا يريد معني يكون
في العقل هازل ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فاذا كان
كذلك صارت هذه الدار دليل الاخرى فعلى ذلك ضرب للاخرى مثلا بالمعروف من
هذه اذ هذه عرفت تلك ولهذا اخلق الله الممتحنين بحيث يالمون ويتلذذون ليعرفوا
قدر الالام التي بها اوعدوا واللذات التي فيها رغبوا فعلى ذلك ضرب الله مثل من عمي
عن الاخرة وصم عن سماع ما يرغب فيها او عمي عن امر الله ونهيه او الحق بالاعمى والاصم
والميت ونحو ذلك لذهاب منافع البصر والسمع والحياة اذ هي مخلوقة ليعرف بها
ما غاب عنها بالتامل والتدبر فاذا اغفل عن ذلك سمي بالذي ذكرنا وبينا انه لولا الاخرة
ودار الجزاء لم يكن لخلق شيء من ذلك حكمة نعقلها نحن فعلى ذلك ضرب لذهاب نور القلب
الذي به يبصر العواقب وينتفع بها بذهاب نور البصر وزوال منافع الدنيا مما يتصل
بنوره وكذلك امر السمع وغيره فكان على ذلك امكن اخراج المثلين جميعا على الكفرة
والمنافقين اما المنافق فاذا ذهب نور حقيقته عنه وهو نور البصر لم ينتفع بنور النور
على قيام النار بنورها لكل ذي بصر وكذلك ساير منافع النار مثله اذا ذهب عنه نور
بصر القلب وحياته لم ينتفع بنور الاخرة وحرا انجا وكذلك الذي ذهب عنه ضوء البرق
يبقى متحيرا اذ به يبصر الطريق كمن يذهب عنه بصر القلب اذ به يبصر عواقب الاشياء
بل الذي قصد قصد السلوك بالبرق او الاستضاءة بنور النار واذا ذهب كان اعظم حسرة
واشد خوفا من النار ومن شدة المطر وخبث الطريق من الذي لم يعرف في الابتداء نفع النار
او البرق ويكره المطر على شدته ورغبته فيه والنار بما ذهب منه وكذلك المنافق في
الاخرة ان لم يكن منه ما اظهر اذ به يرد الى درك الاسفل ولا قوة الا بالله وكذلك
الكافر لم ينتفع بما اعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر ولا يسمع بما انعم عليه من السمع
عواقب السمع اذ حق ذلك ان يؤدي ذلك ما ادركه الى العقل ليعتبر به انه لم يخلق شيء
من ذلك بالاستحقاق ولا يحتمل بعقله الاحاطة بكنه ما فيه من الحكمة فيعلم عظيم نعمة الله
وخروج مثله عن العبث فيقوم باداء شكره وبذلك يصير به الى الجزاء والعواقب
ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل صم بكم عمي فهم لا يرجعون يحتمل وجهين احدهما صم لانهم

على اذانهم وعلى سمعهم وعلى قلوبهم فلا ينتفعون ولا يبصرون ولا يعقلون ويحتمل انهم
صم بكم عمي لما لم ينتفعوا باسماعهم وابصارهم وقلوبهم ثم اختلف في جواز اضافة لفظ
الاستهزاء الى الله فاجازه قوم وان كان ذلك قبيحا من الخلق لما قبح منهم بما لا احد يستهزئ
باحد اما لجهله او لعيب في الخلقة او لزيادة في الخلق الا والمستهزئ نحو هذه قد تحمل
ذلك لولا انعام الله عليه الذي به اغفل عنه او لعناية في الخلق باشتغاله بما ذكر
مما لعل الاغفال من هذا اوحش واقبح من حال المستهزئ به ولذلك قال عز وجل
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم الاية وذلك نحو التكبر انه قبيح من الخلق
بما لهم اشكال في الحدث واثار الصنعة واحتمال كل منهم بما احتمل غيره وجاز اضافته
الى الله لتعاليه عن الاشباه والاشكال واحاطة احتمال ما احتمل غيره وبه يقول
حسين النجار واتي قوم ذلك الا على اثر احوال يتعرف منهم السامع الى معنى الاستهزاء نحو
ان يذكر على اثر فعل له جزاء فيفهم منه جزاء الاستهزاء او كذكر التسمية في اعمالهم والمكر
ونحو ذلك ثم يخرج فيما نحن فيه على وجهين احدهما ما بينا والثاني ما ينسب اليه فعل المامور به
نحو قول المومنين للمنافقين في الاخرة ارجعوا وراءكم وقول اهل الجنة ودعاءهم اهل النار
بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبي وقول الملائكة فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
ونحو ذلك ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلاثة احدها ظلمات كفرهم مثل سواد
الظهر والايمان اولا والثاني المتشابه في القران وهو الذي تعلق به كثير من المشركين
حتى نزل قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية والثالث ما في الاسلام من الشدايد
والافزاع من الجهاد والحدود ونحو ذلك وامكن صرف الاول والاخر الى المنافقين
والكافرين والمنافق وصرف تاويل المتشابه الى الكافر على انا بينا ان لكل من ذلك حظا
وقيل اخر الاية وهو قوله والله محيط بالكافرين على ان المثل لهم الا ان المنافقين شركهم
في الكفر والله الموفق وجايز ان يكون المثل المضروب بالاية اهل التقوى الذين شهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا قبل بعثه صنفين صنف ينتحل الكتاب الذي
هو عندهم مما جاءت به الرسل لكن اكثرهم قد غيروا اما في كتبهم من دين الله واحكامه حتى
عطلوا ذلك واتبعوا غير الذي جاءت به الرسل من الدين والاحكام بين ذلك قوله
ولا تكونوا كالذين تفرقوا الاية وقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم وقوله ان الذين فارقوا
دينهم الاية ومنهم من ابتدع الكتاب ونسب اليهم كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم
بالكتاب الحية تبين ما ظهر من التفرق فيهم ومن القول في انبيائهم وفي الله سبحانه ومعلوم
ان دين الرسل واحد غير مختلف وبما كان من الفترة اندرست الكتب وذهبت الرسوم فصاروا
في ظلمة الضلالة وحيرة الزيغ وتاهوا في سبيل الشيطان وانقطع من بين اظهرهم
الايمة الذين يوثق بهم في الدين بما ليس لاحد برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الانبياء
والاعتصام بكتبهم اذ كلهم مدعي ذلك وقد ظهر فيهم القول المختلف والمتناقض الذي
لا يحتمله الحكمة ولا يصير عليه العقل وصنف لا ينتحل الكتاب ولا يؤمن بنبي بل يعبد
الاوثان والنيران والاحجار وما يعبدون مما لا يملك الضر ولا النفع ليس لهم شرع
بل هم حيارى لا يعرفون معبودا ولا يبصرون طريقا وليس فيهم من اذا فزعوا اليه ولهم
على الحجة ولا اعلمهم على الحق بل هم في الضلالة تايهون وفي الظلمات متحيرون فاخرج

١٧

المؤمنين حينا ما حل بهم من الحيرة والشبه الى من يشفيهم من داء الضلالة بنور الهدى
ومن ظلمة الاختلاف بضياء الائتلاف ويخرجهم من سبل الشيطان الى سبيل الله وبدلهم
على معرفة المعبود الحق لهلا يتحيرون وابى ودب اربابا فبعث اليهم عند شدة حاجتهم رسولا
واكرمهم بما انزل من الايات التي تعلمهم انه انعم به عليهم ليستنقذهم من الضلالة
ان هم اطاعوه وشكروا نعمة الله فكانوا كقوم تلوا بظلمات الليل والسحاب فتحيروا
فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين حاجاتهم وتعذر عليهم الوجه في وضع اقدامهم فتاهوا
فدعتهم الحاجة الى الاستضاءة ليبلغوا حوائجهم ويامنوا العطب في وضع الاقدام
وكقوم بلوا بشدة الجوع والعطش لضيق الزمان وجدبه فاستغاثوا بمن يملك كشف
ذلك عنهم فاغاثهم بالمطر ثم منهم من عرف نعمة من انعم عليهم بالوقود واغاثهم بالمطر
فتلقوا نعمه بالشكر فنجوا بذلك مما خشوا من الهلاك ووصلوا الى حوائجهم بالنار والمطر
وذلك مثل من اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وعرف نعمة الله فشكره ومنهم من تلقى نور النار
بالكفران والجهل بالمنعم به عليه ونسي ما كان عليه وهو قوله واذا مس الانسان الضر
الايات فيما ذكرنا بينت وقوله واذا امسكوا الضر في البحر الاية فاذهب الله نوره فلم ينتفع
بنور النار ولا وصل الى حاجته التي بها يقضي وذلك مثل الذين كفروا بمحمد صلى الله
عليه وسلم انهم لم ينتفعوا به ولا قضوا حاجتهم بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة كمثل من قد
النار اذا ذهب بصره وكذلك قوم بلوا بالسلوك في الطريق عند شدة الظلمة ولم
يتلقوا النعمة بالشكر من الوجه الذي جعل لهم لوضع اقدامهم بنور البرق فاذهب نوره
وسكن لمعان البرق فعاد العيان له هلاكا والمطر الذي رحمة عليه بلاء فمثله من كابر
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرض عن الاستماع اليه ولا قوة الا بالله وقوله يا ايها
الناس اعبدوا ربكم فالخطاب يا ايها الناس يحتمل الخصوص والعموم وقوله اعبدوا
وحدوا ربكم جعل العبادة عبارة عن التوحيد لان العبادة التي هي لله لا يخلصون ولا تخلص
له الا بالتوحيد وقيل اعبدوا اي اجعلوا عباداتكم لله لا تعبدوا غيره في كلام العرب وقيل
يرجع الى الكفرة وقيل اعبدوا اي اطيعوا له والعبادة جعل العبد كليته لله قولا
وعملا وعقدا كذلك التوحيد والاسلام والطاعة يرجع الى الايمان لانه يجوز ان
يطاع غير الله ولا يجوز ان يعبد غير الله لان كل من عمل بامر اخر فقد اطاعه كقوله واطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولا كل من عمل بامر اخر فهو عابد له وبالله نستعين ثم بين الذي
امر بالتوحيد اياه والعبادة له خالصا فقال الذي خلقكم والذين من قبلكم فكيف تعبدون
دون الذي خلقكم وبالله التوفيق وقوله لعلكم تتقون يحتمل وجهين يحتمل تتقون المعاصي
والمناهي والمحارم التي حرم الله عليكم فاذا كان هذا هو المراد فذلك راجع الى
المؤمنين ويحتمل قوله تتقون الشرك وعبادة غير الله فذلك راجع الى الكفرة قال
الشيخ الاحسن في الامر بالتقوى والتوحيد ان يحمل عاما وفي الخبر عن التقوى خاصا
لعلكم اي كي تتقون وقوله الذي جعل لكم الارض فراشا بين النعماء الذي امر بالتوحيد
له وتوجيه العبادة اليه واخلاص النية اليه فقال الذي فرش لكم الارض فتنتفعوا بها
وتقضوا حوائجكم فيها من انواع المنافع من المنام عليها واتخاذ المستقر والمسكن فيها
والسماء بناء اي رفع السماء بناء والسماء كل ما علاك وارتفع كما يقال لسقف البيت

١٨

سماء لارتفاعه وسمي السماء بناء وان كان لا يشبه بناء الخلق حتى يعلم ان البناء ليس اسم
ما بني الناس خاصة ثم بين بقوله وانزل من السماء ماء اي وحدوا العبادة الى الذي ينزل
لكم من السماء ماء عند حوائجكم ولا تعبدوا من تعلمون انه لم يخلقكم ولا انزل لكم من السماء
ماء ولا اخرج لكم من ذلك الماء ثمرات تكون رزقا لكم بل هو الله الواحد الذي لا شريك
له ولا انه يخلقكم ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقا تاكلونه وماء
عذبا تشربونه وفي الاية دلالة ان المقصود في خلق السماء والارض وانزال الماء
منها واخراج هذه الثمرات وانواع المنافع بنو ادم وهم الممتحنون بما به دلالة قوله
جعل لكم الارض فراشا والسماء وما ذكر من المخرج والمنزل منها وما ذكر في اية اخرى
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وسخر لكم الليل والنهار وسخر
لكم الفلك مما يكثر ذلك من الايات اضاف ذلك كله الينا ثم جعل عز وجل بلطفه منافع
السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما من المسافة حتى لا تخرج الارض شيئا الا بما
ينزل من السماء من الماء ليعلم ان منشئ السماء هو منشئ الارض لانه لو كان منشئ هذا غير
منشئ الاخر لكان لا معنى لاتصال منافع هذا بمنافع الاخر على بعد ما بينهما ولو لم يكن
كون الاختلاف من احدهما للاخر فاذا كان كذلك دل ان منشئهما واحد لا شريك له ولا ند
ثم عن قوم ان الاشياء كلها حل لنا طلق غير محظور علينا حتى يجي ما حظر فاستدلوا
بظاهر هذه الاية بقوله رزقا لكم وبقوله كلوا مما في الارض حلالا طيبا وقال اخرون
لا يدل ذلك على الاباحة وذلك ان الاشياء لم تص لنا من كل الوجوه فهو على الحظر حتى
تجي الاباحة ولان الاشياء لا تحل الا باسباب تتقدم فظهر الحظر قبل وجود الاسباب
فهو على ذلك حتى يجي ما تحل ويبيح او انها لم تخلق هذه الاشياء لنا محنة امتحانا بها اذ
فتنة نفتتن بها كقوله انما اموالكم واولادكم فتنة فتنتنا بها وكقوله ولنبلونكم بشيء
من الخوف الاية ولان في العقل ما يدفع حل الاشياء كلها على الاباحة لما في ذلك فساد الخلق
وتفانيهم بتقتل كل منهم ملكا على حدة بسبب يكتسب به الهلاك بحملهم على التفاني والفساد
وبالله نستعين وقوله فلا تجعلوا لله اندادا اي اعدالا واشكالا في العبادة والند
والاحد ند الشيء هو عدله وشكله ومثله وقوله وانتم تعلمون ان لا ند ولا عدل
ولا شكل لله اذ اكثر من انشاء هذه الاشياء ولم تروا ذلك ممن تعبدونه شبها والثاني
وانتم تعلمون لما انشا لكم من الاشياء لو تدبرتم وتفكرتم وتاملتم علمتم انه لا ند له ولا شكل
له كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا من
القران انه مختلق مفترى وانه ليس منه كقولهم ان هذا الا اختلاق وقولهم ما هذا
الا افك مفترى وما هذا الا سحر وقوله فاتوا بسورة من مثله اي ائتوا انتم بمثل
ما اتى هو اذ انتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان ليس هو اولى بذلك منكم
امين في الاختلاق وقوله وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم الذين
تعبدون من دون الله حتى تعينكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين في مقالتكم انه مختلق
مفترى وقيل ادعوا شهداءكم يعني شعراءكم وخطباءكم ليعينوكم على اتيان مثله وقيل
وقيل ادعوا شهداءكم من التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على الرسل
السالفة انه مختلق مفترى وقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا يحتمل وجوها يحتمل انهم

اقروا على انفسهم بذلك بالعجز عن اتيان مثله من غير تكلف ولا اشتغال كان منهم لما دفع عنه
وجل عن اطماعهم اتيان مثله نظرا لاجتهاد واكل جهدهم وتكلفوا اكل طاقتهم على اطفاء النور
ليخرج قولهم على التصديق بانه مختلق مفترى ويظهر كذب الرسول صلى الله عليه وسلم انه
كلام رب العالمين فدل اقرارهم بالعجز عن اتيان مثله وترك اشتغالهم به ان كان انه كلام رب
العالمين منزل على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوله فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة الوقود بالنصب هو الحطب وبالرفع هو النار اخبر جل وعز ان حطبها
الناس كلما احترقوا اعيدوا واذيبت لو اكتوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
والحجارة فيه وجهان قيل هي الكبريت وقيل الحجارة بعينها لصلابتها وشدتها اشد احراقا
واكثر احماء وقوله اعدت للكافرين في الاية دلالة انها لم تعد لغير الكافرين وهي تنقض
على المعتزلة قولهم حيث لم يخلدوا صاحب كبيرة في النار ولم يطلقوا له اسم الكفر وفي
زعمهم انها اعدت للكافرين ايضا وان كان تعذيب المؤمن بمعاص يرتكبها واوزار احتملها
وقد احتملها لها هذا وذلك ان الله يعذب من يشاء بما شاء وليس الى الخلق الحكم في ذلك
لقوله ولا يشرك في حكمه احدا فان قالوا ان الفساق المشركين في الجنة والجنة لم تعد لهم
وانما اعدت للمؤمنين شرطا دخول غيرهم فيها وتخليدهم وكذلك النار وان كانت
معدة للكافرين جاز لغير الكافرين التعذيب والتخليد فيها كقوله فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم الاية شرط الكفر بعد الايمان ثم من لنا مع الكفر والذي
كفر بعد الايمان سواء في التخليد فكذلك مرتكب الكبيرة والكافر سواء في التخليد فيقال
لهم ان كل كافر قد تنبه خلقته على وحدانيته فاذا ترك النظر في نفسه واختار الاعتبار و
فصار كافرا بعد الايمان لانه لم يكن مؤمنا ثم كفر واما قولهم في الاطفال فانهم انما
اخلدوا الجنة جزاء لمؤمنين وتبعهم ولله ان يعطي لمن شاء بلا عمل ولا صنع كان منه
فضلا وكرامة وذلك في العقل جائز اعطاء الثواب بلا عمل على الافضال والاكرام فاما
التعذيب فانه غير جائز في العقل بلا ذنب يرتكبه والله اعلم وقوله وبشر الذين امنوا
وعملوا الصالحات الاية تنقض قول من جعل جميع الطاعات ايمانا لما اثبت لهم اسم
الايمان دون الاعمال الصالحات عنوان البشارة لهم وذهاب الخوف عنهم انما اثبت
بالاعمال الصالحات ويحتمل الاعمال الصالحات عمل القلب وهو ان ياتي بايمان خالص
لله لا كايمان المنافق بالقول دون القلب وقوله ان لهم جنات تجري من تحتها
الانهار يعني بساتين وقوله من تحتها الانهار قيل فيه بوجوه قيل ان البساتين هي
اسم الارض والبقعة خاصة ولكن ما يجمع من الاشجار وما ينبت فيها من الوان الزهر
المثمرة فعند ذلك يسمى بستانا وقوله تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها
واغراسها الانهار وقيل من تحتها مما يقع البصر عليها وذلك انزه عند الناس واجلى
وانبل وقيل ايضا من تحتها اي من تحت ما علا منها لا تحت الارض مما يكون في الدنيا
في بعض المواضع يكون الماء تحت الارض ودليله ما روي ان كل تحت كل شعرة جنابة اي
تحت ما علا لا تحت الجلد فكذلك الاول من تحت ما علا من القصور والغرف والله اعلم
وقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قيل فيه بوجوه
رزقنا من قبل في الدنيا وقيل رزقنا من قبل اي هذا الذي وعدنا في الدنيا انه في الجنة

هذا وقيل رزقنا من قبل في الجنة قبل هذا وقوله واتوا به متشابها قيل فيه وجوها قيل متشابها
في المنظر مختلفا في الطعم وقيل متشابها في الطعم مختلفا في المرأى والالوان لان من الفواكه ما
يستلذ به للنظر اليها دون التناول منها وقيل متشابها في الحسن والبهاء وقوله لهم فيها ازواج
مطهرة قيل فيه بوجوه مطهرة من سوء الخلق والدناءة ليس كنساء الدنيا لا يسلمن عن ذلك
وقيل مطهرة من الامراض والاسقام وانواع ما يبتلى به في الدنيا من الدرن والوسخ والحيض
وقيل مطهرة لصفاء جوهرها كما قيل يرى مخ ساقها من كذا وكذا وقيل مطهرة مختارة مهذبة
وقوله وهم فيها خالدون اي مقيمون ابدا في الاية رد على الجهمية قولهم لانهم يقولون بفناء
الجنة وفنا ما فيها يذهبون الى ان الله تعالى هو الاول والاخر والباقي ولو كانت الجنة باقية
غير فانية لكان في ذلك تشبيها لكن ذلك وهم عندنا لان الله تعالى هو الاول بذاته والاخر
بذاته والباقي بذاته والجنة وما فيها باقية بغيرها ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان في العالم
والسميع والبصير تشبيه ولكان في الخلق ايضا في حال البقاء تشبيه فاذا لم يكن فيما ذكرنا
تشبيه لم يكن فيما تقدم تشبيه وايضا فان الله تعالى جعل الجنة دار مطهرة من المعايب
كلها لما سماها دار قدس ودار سلام ولو كان اخرها للفناء كان فيها اعظم المعايب اذ المرء
لا يهنا بعيش اذا نغص عليه بزواله فلو كان اخره للزوال كان نعمة منغصة على اهلها فلما
نزه عن العيوب كلها وهذا اعظم العيوب لذلك كان التخليد لاهلها اولى بها وقوله
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها كان هذا والله اعلم يخرج جوابا على اثر
قول قاله الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره بعض اهل التاويل فقالوا اما يستحيي
ربك ان يذكر البعوض والذباب ونحوهما مما يستصغر في نفسه وملوك الارض لا يذكرون ذلك
ويستحيون فقال عز وجل جوابا لقولهم ان الله لا يستحيي الاية لان ملوك الارض انما ينظرون
الى هذه الاشياء بالاستحقار لها والاستذلال فيستحيون ذكرها على الاستنكاف والانفة
والله عز وجل لا يستحيي عن ذلك لان الاعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته
في خلق الصغير من الجثة والجسم اكبر من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير
صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب ما يحتاج اليه من الفم والانف والرجل واليد والمدخل
والمخرج لما قدروا ولعلهم يقدرون ذلك في العظام من الاجسام والكبار منها فاولئك لم
ينظروا الى ما فيه من الاعجوبة واللطافة ولكن نظروا الى الحقارة والخساسة انفا منهم
واستنكافا ثم اختلف اهل الكلام في اضافة الحياء الى الله فقال قوم يجوز ذلك بما روي في
الخبر ان الله يستحيي ان يعذب من شاب في الاسلام لانه يجوز كالتكبر والاستهزاء والمخادعة
وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقال اخرون لا يجوز اضافته الى الله تعالى لان تحته الاستنكاف
والانفة وذلك عن الله تعالى منفي ولكن الحياء هو الرضاء ههنا والحياء الترك اي لا يترك
ولا يدع وقوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اي علموا ان ضرب المثل بما ذكر من
صغار الاجسام والجثة حق لما نظروا الى ما فيها من الاعجوبة والحكمة واللطافة واما
الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا لم ينظروا الى ما فيها من الاعجوبة والحكمة
ولكن نظروا الى الخساسة والحقارة وقوله يضل به كثيرا الاية تنقض على المعتزلة قولهم لانه
جواب لقولهم ماذا اراد الله مثلا فقال اراد ان يضل بهذا المثل كثيرا واراد ان يهدي به
كثيرا اضل به من علم منه انه يختار الضلالة ويهدي به من علم انه يختار الهدى اراد من كل ما علم

انه يختار ويؤثر والله أعلم وهم يقولون اذا اراد ان يهدي به الكل ولكنهم لم يهتدوا وان الثاني
يضل به كثيرا اي خلق فعل الضلال لمن الضال وخلق فعل الاهتداء من المهتدي وقد ذكرنا فيما تقدم
وقوله وما يضل به الا الفاسقين اي ما يضل عند المثل الا الفاسق الذي لم ينظر الى ما فيها من الاعجوبة
واللطافة في الدلالة وقوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه عهد الله يكون على وجهين
عهد خلقه لما يشهد خلقه كل احد على وحدانية الرب كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وكقوله اولم
يتفكروا في انفسهم الاية انه ان نظر في نفسه وتامل عرف ان له صانعا وانه واحد لا شريك
له وعهد رسالة على السنة الانبياء والرسل كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم
الزكاة وآمنتم برسلي الاية وكقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية فنقضوا
العهدين جميعا عهد الخلقة وعهد الرسالة وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يحتمل وجهين يقطعون الايمان ببعض الرسل وقد امروا بالوصل كقوله نؤمن ببعض ونكفر
ببعض وقيل يقطعون ما امر الله به ان يوصل من صلة الارحام وقوله ويفسدون في
الارض قيل فيه بوجهين يفسدون بما يامرون في الارض بالفساد كقوله يامرون بالمنكر وينهون عن
المعروف وقيل يفسدون اي [illegible] بانفسهم في الارض بالفساد كقوله ويسعون في الارض
فسادا وقوله اولئك هم الخاسرون يحتمل ايضا وجهين خسروا المنافع منهم وذهب
من الملك والاماني في الدنيا وروي عن الحسن انه قال في قوله هم الخاسرون اي قد غبنوا
انفسهم باختيارهم الكفر بين اطباق النار وذلك هو الخسران المبين وقوله كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم يحتمل وجوها كيف من اي جهة تكفرون الحجة ان تعبدوا من
دون الله من الاصنام وغيرها انه حق ولم يظهر لكم منها الانشاء بعد الموت ولا الاماتة بعد
الاحياء وقيل كيف تكفرون بالبعث بعد الموت وكنتم امواتا نطفا فاحياكم وانتم لا تنكرون
الانشاء الاول فكيف تنكرون البعث والاحياء بعد الموت وقيل وكيف تنكرون بالاحياء والبعث
بعد الموت وفي العقل ان خلق الخلق للافناء والاماتة من غير قصد العاقبة عبث ولعب
لان كل باني بنى للنقض فهو عابث وكذلك كل ساع فيما لا عاقبة فهو عابث الا انه فكيف يجعلون
فعله جل وعز اذ لم يجعل الخلق دارا للجزاء والعقاب كان في خلقهم اياهم عابثا خارجا
من الحكمة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ثم اليه ترجعون اي تعلمون انكم
ترجعون اليه وكذلك المصير والمآب والثاني ترجعون الى ما اعد لكم من العذاب احتج عليهم
بما اجرتم انه انشاهم بعد الموتة ان يبعثهم بعد الموتة الاخرى ثم اليه ترجعون كانه يقول
ثم اعلموا انكم اليه ترجعون وقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قيل انه صلة قوله كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا اي كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض ما يدلكم على وحدانيته لانه
ليس شيء من الارض الا وفيه دلالة وحدانيته ويحتمل كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض فيما
من غير ان كان وجب لكم عليه حق من ذلك لتشكروا له عليها فكيف وجهتم الشكر فيها الى غيره
ويحتمل خلق لكم ما في الارض محنة يمتحنكم بها في الدنيا كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ثم تجزون
في دار اخرى فكيف انكرتم البعث وفي حكمة خلق الخلق في الدنيا للفناء والاحياء للآخرة حكمة
وفي انكارها ذهاب الحكمة وقوله ثم استوى الى السماء قيل فيه وجوها قيل استوى الى دخان
كقوله استوى الى السماء وهي دخان وقيل استوى تم كقوله بلغ اشده واستوى تم وقيل
استوى اي استولى والاصل عندنا في قوله ثم استوى الى السماء واستوى على العرش وغيرها

من الآيات من قوله وجاء ربك الاية وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الاية من الآيات
التي ظنت المشبهة ان فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الوصف به على التشابه
في الحقيقة انما يحتمل وجوها احدها ان نصدق بالذي جاء به التنزيل على ما جاء ولم نعلم انه
لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه غيره لانك بالجملة نعتقد ان الله ليس كمثله شيء وانه لا يجوز ان
يكون له مثل في شيء اذ لا يوجد حدثه فيه او قدمه وذلك الذي من الوجه الذي اشتبه الله وذلك
مدفوع بالعقل والسمع جميعا مع ما لم يجز ان يتبدل الصانع عند الوصف بالفعل كبيره وانه
حي قدير سميع بصير مما عليه امر الخلق لما يتصير به كل احد الخلائق واذا ابطل هذا ابطل التشابه
والتشبيه ولزم امر السمع والتنزيل على ما اراد الله وبالله التوفيق والثاني ان يحكى فيه معاني
يخرج الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواقع الافهام في تلك المواضع على تمام الباب
وذلك نحو قوله وجاء ربك والملك اي بالملك وذلك كقوله اذهب انت وربك اي بربك فقاتلا
اذ معلوم انه تعالى لم يرد به ذلك منهم من ذلك وكذلك معلوم ان الملائكة يأتون فكان ذلك يدل
عليه قوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذلك هل ينظرون الا ان يأتيهم الله المرة
ومما يوضح انه لم يكن احد اعتقد او تصور في وهمه انتظار الاتيان الرب وتجنبه ولا كان
يتوهم له وهم منتظر وكان بنزول الملائكة كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى الاية وقوله ما تنزل
الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين فيما ذكرنا عظيم امرهم وجليل شأنهم ومثله في قوله
الرحمن على العرش استوى مع ما له وجهان احدهما ان يكون معنى العرش الملك والاستواء التام
الذي لا يوصف بنقصان في ملك او الاستيلاء وان لا سلطان لغيره ولا تدبير لاحد فيه والثاني
انه يكون العرش على الخلق وارتفعه وكذلك تقدير الاوهام يكون موصوفا بالعلو والتعالي
عن الامكنة وانه على ما كان قبل كون الامكنة وهو فوق كل شيء اي بالغلبة والقدرة والجلال
عن الامكنة ولا قوة الا بالله واصله ما ذكرنا ان لا نعتقد بفعله بفعل الخلق ولا وصفه بوصف
الخلق لانه اخبر انه ليس كمثله شيء وقوله فسواهن سبع سماوات مرة قال فسواهن ومرة قال
خلق سبع سماوات ومرة قال فقضاهن سبع سماوات ومرة قال بديع السماوات وكله يرجع
الى واحد قال الشيخ رحمه الله عنه القول فيما يتوجه اليه مما مضى من قصة آدم عليه السلام
من سورة البقرة والكشف عما قال فيها اهل التفسير من غير شهادة لاحد منا لاصابة جميع ما فيه
من الحكمة او القطع على تحقيق شيء وجهوا اليه بالاحاطة ولكن الغالب مما يحتمله تدبير البشر
ويبلغه مبلغ علمنا مما يجوز ان يوصف به اهل المحنة وان كان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه وحشة
اولى بهاؤهم [illegible] الله من الطاعة له بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الى قوله لا يسبقونه بالقول الاية وقوله يخافون ربهم
من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وما جاءت
به الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصف طاعتهم لله وهو اطبتهم في العبادة وما لا يذكر
عن احد من الرسل وصف ذلك بالمعصية بل اتخاذ كل يذكر عن بعض السلف مما لا لزم في مخالفته
في ورع الدين فضلا من اد بسط اللسان في ملائكة الله وانبياء المعونة والعصمة قال
الله تعالى لملائكته اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية
وعمر قوم ان هذا اذ له منهم لم يكن ينبغي لهم ان يقابلوا قوله اني جاعل في الارض خليفة بهذا المقال
يخرج مخرج الاستعتاب بقولهم اتجعل ونحن نفعل كذا كالمنكرين لفعله وان ذلك بقوله

عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون انه لولا كان في ذلك طرف من الجهل يحذر عن مثله قايله لم يتبع قولهم
هذا او يعلوم عند هم ان يكون هو يعلم ما لا تعلمون وايد ذلك بما امتحنهم من الانباء عن اسماء الاشيا
متر ونا بقوله ان كنتم صادقين ولولا انه سبق منهم ما استحقوا عليه التوبيخ لم يكن لذلك الشرط
بهذا القول بانبوني من اسماء هولاء فايدة مع ما يوضع موضع التوبيخ والتهدد ومنهم من قال
ان قوله اتجعل فيها من يفسد فيها قول ابليس هو الذي تعرض لهذا القول وان كان الكلام مذكورا بايام
الجماعة لانه جاير خطاب الواحد في ارادة الجماعة وذكر الجماعة على ارادة الواحد وان كان خطاب
الله تعالى لجملة ملايكته حيث قال واذ قال ربك للملايكة الاية وقوله انبيوني بكذا وهو يعلم انهم
لا يعلمون ذلك ولا يحتمل ان يامرهم بذلك وهو لا يعلمون ولو تكلفوا الاخبار للحقهم الكذب
في ذلك ثبت ان ذلك في التوبيخ والتهدد لما فرط منهم وبكشف عن ذلك ايضا عندنا عترافهم
بان لا علم لنا الا ما علمتنا الاية الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الاية ولو لم يكن منهم
ما استحقوا به التاديب والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم يكن لذلك كثير معنى اذ لا يخفى على
الله عز وجل تقبل ما ذكر من الكفرة الاشقيا فضلا عن الكرام البررة ولكن قد يعاتب الاخيار
عند الهفوة والزلة بما يحل من خوف التنبيه والتوبيخ نحو قوله اتقوا النار التي اعدت
للكافرين وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية والملايكة
ومن يقل منهم اني اله من دونه واشباه ذلك احكام العصيان عند المحنة ودليل المحنة
ما فيها من الفعل بالامر والخوف المذكور وما مدحوا بعبادتهم لله تعالى وما اوعدوا لو ادعوا
الالوهية ولما لم يحتمل ان يحمد واعلى العبادة والطاعة فيما كانت فعلهم في الجبر والقسر
ولا ينتظر المحنة فيما لا يمكن المعصية ولا يحتملها البنية اذ الطاعة هي في اتقا المعصية
وقال ايضا لا يعصون الله ولا يقال بمثله لمن لا يحتمل فعل المعصية ثبت ان المعاصي منهم
ممكنة ولذلك خطر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم والممتحن يخوف منه الزلة والهفو
بل المعصية وكل بلا الا ان يعصمه الله تعالى ويحفظه وذلك من الله افضال واحسان لا يستحق
قبله ولا يلزمه احد من خلقه مجازا لا ابتلا به مع ما في ذلة اشالهم من ترك الرجا بالخلق
وقطع الاياس والحث على الفزاع الى الله بالعصمة والمعونة اذ لم يتم لطاعته احد وان
جل قدره عند ما وكل الى نفسه بما يعلم الله انه يختار في شي الخلاف لا انه يفزع اليه ويتضرع
ومعنى ذلك معنى زلات الرسل وان عظم قدر ان ذلك لنبي منهم بالزلة يعلم الله عصمهم عنها ولكن قوله
اتجعل فيها من يفسد فيها يخرج على وجهين احدهما على السوال بعد ان اعلمهم الله انهم سيعملون
فيها لو اكتفى بفعلوه ذلك وقد خلقتهم ورزقتهم واكرمتهم بانواع النعم ونحن اذا خلقتنا
نسبحك بذلك ونقدس لك اذ كيف يحتمل عنو لهم عصيانا مع عظم نعمتك عليهم ونحن معتقد
الملايكة بان حبنا المعقول ذلك فقال عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون انه امتحنهم مع ما ركب
فيهم الشهوات التي تغلبها في انفسهم تعتريهم انواع الغفلة ويصعب عليهم التيقظ لكثرة
الاعداء لهم وعلة الشهوات فلما عظمت المحنة عليهم يكون منهم ذلك وهذا الوجه يخرج على
سوال الحكمة في خلق من يعصيه فاخبر انه يعلم ما لا يعلمون او يعد لك بيان الاوليا والاعدا
وبيان ان الله لا يخلق من يخلق لحاجة له او لمنفعة له اذ لو كان كذلك لم يكن ليخلق من حالته
من الفعل الذي امر به وانما خلق الخلق بعضهم لبعض عبرا وعظة فيكون في عقوبة العصاة
ووعيدهم مزجرة لغيرهم وموعظة ولغير ذلك من الوجوه والوجه الاخر ان يكون المعنى من

قوله اتجعل فيها على التعجب اي انت تفعل ذلك اذ لم يعلموا انك تخلق من يعصيك من ورد لا ذلك
في خلق من يطيعك فمع جل ثناوك من ان يكون فعلك لاحد هذين وذلك كقوله الي تلويهم من
امر اربابا ام يخافون ان يحيف الله عليهم الاية على الحجاب وذلك لا على الاستفهام مع ما يحتمل ان الالف
زايدة كقوله ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
بمعنى انكم وتريد وذلك يرجع الى الاول وقال ومعنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون ان الله قد
كان اخبرهم عن الذين يفسدون ولم يكن اعلمهم ما فيهم من الرسل والاخيار فهو يعلم ما لا يعلمون
من الاخيار فيهم ولذلك ذكرهم عند سوال الانباء بما اعلمهم من عظيم امتنانه في آدم لو جعله
بمعنى نبي الى الملايكة بما علمهم الاسما ولم يكن يبلغ توهمهم ان في البشر من يحتاج الخلق قوله من
النور الذي هو سبب رفع الاستتار عن الاشياء وجلوا الاشتباه ثم يحتاجون في اقتباس العلم الى
من هو جوهره التراب والما الذي هو اصل الستر والظلمة فاراهم الله بذلك ليعلموا ان لعبي طريق
المعرفة والعلم بالاشياء الخلقة ولكن لطف الله وامتنانه ولا قوة الا بالله وقال قوم كان
منهم من يستحق العتاب من ظهور الخطر بالقلوب لا من ظهور الزلة التي هي العصيان ولكنهم يعاتبون
في امثال ذلك وان لم تبلغ بهم المعصية لعلو شانهم ولعظم قدرهم كما قد عاتب الله نبيه صلى الله
عليه وسلم في اشيا وان لم يكن ذلك منه معصية وكقوله عفا الله عنك الاية وقوله ولا تجادل
عن الذين يختانون انفسهم وقوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية ولم يكن اثم في ذلك
وقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية من غير ان كان منه عصيان فمثل ذلك امر الملايكة
ثم تكلموا في معنى ذلك فمنهم من يقول ظنوا انهم اكرم الخلق على الله وانه لا يفضل احدا عليهم
ومنهم من يقول ظنوا انهم اعلم من جميع من يخلق من جوهر النار او التراب من حيث ذكرت من جوهرهم
او لعظيم عبادتهم لله وعلمهم بان في الجن والانس عصاة فلهذا امتحنهم بالعلم ثم بالسجود
لاظهار علو البشر وشرفه وعظم ما اكرم به العلم ومنهم من قال انه قولهم ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك وقوله ونحن نسبح بحمدك قيل بامرك وقيل بمعرفتك وقيل بالثنا عليك اذ كانوا احالوا
ذلك الى انفسهم دون ان يذكروا عظيم منة الله عليهم بذلك واختصاصه اياهم بالتوفيق
له اذ كيف ذكروا من ذنوب البشر شرها فنفسهم دون ان حمدوا الله بما وفقوا له او يدعوا
للبشر بالعصمة والمغفرة مما ابتلوا ولو ذلك والله اعلم من شغلهم من تعبد الى استغفار
من في الارض ونصر او ليا الله ولا قوة الا بالله ومن الناس من زعم في ذلك ان ابليس لما امتنع
لو فضل آدم عليهم وامروا بالطاعة له ما يصنعون فاظهر عز وجل انه علم ما كتم ابليس من
العصيان واظهروا هم من الطاعة وهذا شي لا يعلم حقيقته لان المعاتبة كانت في جملة
الملايكة والمخاطبة بالانبا وما الخوف وامر بالسجود كان في غيره ولم يحتمل ان يكونوا يواخذون
بنوع ابليس عليه اللعنة ولكنه يحتمل وجوه العتاب الاخبار بما لم يبلغوا العصيان والله
الموفق وقوله انبيوني باسما هولا ظاهره امر ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بينا
وذلك في القران كثير وان كان في الحقيقة امر فيه دلالة جواز الامر فيما لا يعلمه المامور اذا
كان بحيث يحتمل العلم به الى ذي العلوم سبيله اذا طلب واستوجب رتبة التفكر والبحث
ويحتمل ان يكونوا ابتهوا حتى لا يسبق اليهم عند اعلام آدم ان ذلك من حيث بدر كونه لو تكلفوا اذ
ان ادل بيوم ابتهم اية معجبة تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لآدم في
افادة ذلك العلم له كما قال عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى ذكره او لاحا له وكان عصاه

يعلم ما اراد بما في يده من اية نبوته وقوله اني جاعل في الارض خليفة قال ابو بكر يشبه

ان يكون خلفا للملائكة في الارض او من تقدمه من الجان وذلك يبعد لانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد

فيها ولم يكن آدم بالذي كان يفسد في الارض ويسفك الدماء بل كان يسبح بحمده ويقدس له ويحتمل

يحتمل ان يريد آدم وولده الى يوم القيامة ان يجعل بعضهم خلفاء لبعض كقوله ويجعلكم خلفاء

الارض او يجعلهم خلفاء من ذكروا والاصح الذي قالوا جائز ان يكونوا على وجه الارض اذ هي مخلوقة

لهم مرادا ومعادا اذ هم جبلوا اشكالها وعلاوها ان يكونوا خلفاء في اجراء احكام الله تعالى ودينه

كقوله لداود عليه السلام انا جعلناك خليفة في الارض فجعله كذلك ليحكم بين اهلها بحكم الله

ولا يتبع الهوى وبذلك امر بنوا آدم **قوله** وعلم آدم الاسماء كلها يحتمل ان يكون علمه

العلم ويحتمل ان يكون علمه بارسال ملك من غير الذين امتحنوا به وفي ذلك تثبيت احد وجهين

اما ان يكون العلم بالاشياء حقيقة ضرورة يقع عند النظر في الاسباب التي هي ادلة ووقوعه

عند التامل فيها نحو وقوع الدرك بالبصر عند النظر وفتح العين واما ان كان الله تعالى خلق

فعل التفكر الذي يعلم الامر فيما يضاف فيه الى الله تعالى انه علم وكذا قوله علمه البيان وكذا قوله

وما علمناه الشعر ولا يحتمل هذه الاسباب لما كانت له كلها ولم يكن يعلم حقيقة ليؤديه وكذلك

قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا والله الموفق **قوله** ان كنتم صادقين في المعاني التي

ذكروا او ان كنتم من خليقتكم موصوفين بالصدق او على تحذير القول بلا علم فكانه قال

واصدقوا واحذروا القول بالجهل وفي ذلك انهم لم يتكلفوا بالقول في شيء لم يعلمهم الله قال

ابو بكر عبد الرحمن ابن كيسان هذا يبطل قول المنجمة والقافة بدعواهم علم الغيب بلا تعليم

ادعوه من الله تعالى وفي قصة آدم صلى الله عليه وسلم دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

اذا اخبر محمد صلى الله عليه وسلم بما علم بما في غير القرآن من الكتب لتصح وبه من غير ان عرف

بالاختلاف اليهم او معرفة الالسن التي بها ذكرت في كتبهم ذكرها على ما لم يدع احد له العلم بها

التكبر عليه ليعلم انه بالله علم ذلك وفيها دلالة فضل آدم عليه السلام ابي البشر اذ احوج ملائكته

اليه لا اقتباس اصل الاشياء وهو العلم الذي كل خير له كالتابع لعدم صلح وينفع ولا قوة الا بالله

وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين احدهما تعليمهم العلم الذي هو احق شيء يحتمل الخير وتذليلهم المؤ

ربما من يقر تكليف وهم قد امروا به معا قدمنا يخرج مخرج التهدد في القول من قوله انبئوني

وذلك فيما لا محنة فاسد مع ما سبق من دليل المحنة والثاني فيما امرهم بالسجود لآدم حتى

صيّر من ابى كافرا ابليسا وفي ذلك ايضا دليل فضل آدم صلى الله عليه وسلم اذ جعل موضع عبادة

جبار خلق الله لله والله الموفق وفي ذلك ان السجود ليس بنفسه عبادة اذ قد يجوز السجود

لاحد من الخلق كما امر به لآدم كقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يجز الامر بالعبادة لآدم

والله انما المعبود لو جاز لاحد ذلك لكان غير الله الهة ودليل ذلك تسمية العرب كل شيء يعبد دونه

الها ولا قوة الا بالله ثم ان السجود يحتمل الخضوع كما قال الله تعالى يسجد له من في السموات والارض

وقوله والنجم والشجر يسجدان فان كان المراد منه الخضوع له والتعظيم فذلك يحتمل وجهين

احدهما ان الله تعالى لما فضله عليهم بما اطلعه على علوم خفيت بها امرهم بالخضوع والتعظيم

وذلك الحق على كل محتاج الى آخر بما به رجاء النجاة او درك العلوم والكرامة ان يعظمه ويجله

ويخضع له والثاني انه امتحنهم بوجه يظهر قدر الطاعة لان الخضوع لمن يعلوا امره ويجل قدره

امر سهل عليه طبع الخلق فاذا كان في تقدير المامور بالخضوع انه دونه في الرتبة او شكله

اولم يكن بينهم كثير تفاوت اشتدت المحنة في مثله بالطاعة له والخضوع فامتحنهم الله

به حتى ظهر الخاضع لله والمستسلم لحقه والمتكبر في نفسه وهو ابليس في ذلك الغالب

من اتباع الانبياء والذين يابون ذلك ان الذي عليهم في الاباء عظمهم في انفسهم والمنهم انهم

احق بان يكونوا متبوعين والله اعلم والوجه الثاني ان يكون المراد من ذكر السجود له يخرج

على وجهين احدهما ان يجعل تحية الامر الملائكة تحية آدم به وهو ابتداء ما اكرم به اصل

الانس واليه مرجع المومنين في الجنة ان يأتيهم الملائكة بالتحيات والتحف وان اختلف انفس

التحيات وفي ذلك دليل بين ان السجود ليس بعبادة بنفسه اذ قد يومر به للبشر ولا يجوز الامر

بعبادة غير الله فيكون السجود لغيره من حيث الفعل والعبادة به لله كغيره من المعروف يصنع الى

الخلق ومثله امر سجود يعقوب واولاده ليوسف عليه السلام والله اعلم والثاني بان يكون

السجود له بمعنى التوجه اليه وهو في الحقيقة لله نحو السجود الى الكعبة لله تعالى تعظيما للكعبة

وتخصيصا من بين البقاع كذلك امر السجود لآدم تعظيما له وتبجيلا من بين سائر البشر كلاما بينا

ثم قد ثبت نسخ السجود للخلق بما روي عن النبي عليه السلام انه قال لو كان يحل لاحد ان يسجد لاحد

لامرت المراة ان تسجد لزوجها ولما جعل السجود في العبادة عبادة للسجود له واعترافا بعرف

الاشرار بعبادة عظمائهم ومن يعبدونه من دون الله فصيرة ذلك المعنى هو الثابت في

القلوب وذلك مما لا يحل لاحد دون الله فنهي لذلك وان لم يكن بنفسه عبادة للسجود له في

الحقيقة كما نهي عن اشياء مما يتصل بها من الوحشة وان لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا له كذلك

الامر بالاول كما نهي عن سب من يعبد من دون الله خوفا لسب الله ويومر بامور ليثبت بنفسها القربة

ليتوصل بها الى القربة كالسعي الى الحج والعمرة ونحو ذلك وفيه ان السنة تنسخ الكتاب

لان السجود لآدم في الكتاب ومثله السجود ليوسف ثم نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن ذلك فحرم فدل ان السنة تنسخ الكتاب وقول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك

انت العليم الحكيم فيشبه ان يكون السابق الى ذهنهم معنى او خطر ببالهم ما كان بالله حاجة الى ان يتعلق

حكمته اما بما لم يبلغهم العلم بها او يخطر ببالهم ان الله تعالى كيف يامرهم وهو يعلم انهم لا يعلمون

بها او خطر ببالهم من غير تحقيق وذلك في ما ينهى به الاخبار كقوله وما ارسلنا من قبلك

من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية او كما يخلو به المتحن من الخواطر التي يبلغ المحنة بصبر

المجاهدة بما في دفعها وان لم يكن لهم بما يخطر ببالهم صنع فقيل لو اشتغلك فزهوا عما خطر

ببالهم وسبق الى ذهنهم ووصفوا انه عليم لا يخفى عليه شيء حكيم لا يخطر في شيء ولا يخرج فعله عن

الحكمة وبالله العصمة وفي الاية منع التكلم في شيء الا بعد العلم به والفزع به الى الله عن

التكلف به الا بعلم وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله وبه امر نبيه عليه السلام

فقال ولا تقف ما ليس لك به علم الاية وسئل ابو حنيفة رحمة الله عن الاطفال ما يدرك منهم

فقال فعل الملائكة اذ سئلوا عما لم يعلموا فوضوا ذلك الى الله تعالى ومعنى الاطفال

لو كان احدهما محمود وسواهما صاحب ذلك ابو يحكم الله بينهم بما يشاء ولا يعذبهم بلا ذنب لا حجة

لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاوصاف الدموم هو

المبرأ ان يرجا الانعام الى الله تعالى لا يجعل للعبد فيه فعلا ولا انه يبرأ من ذلك ويقال ذلك

المروي حيث قال صنفان من امتي لا ينالهم شفاعتي القدرية والمرجية والقدرية هي التي

لم تر لله في فعل الخلق تدبيرا ولا له عليه قدرة التقدير والمرجية هي التي لم تر للعبد فيما يكتب

اي من الطاعة والمعصية فعلا البتة فابطلت الشفاعة لهما وجعلت للمذهب الاوسط بينهما
وهو الذي يحقق للعبد فعلا ولله تقديرا وهو ان العبد يحرك بخيره وشره من الله خلقه وذلك على
المستقيم ما عليه طريق العدل والحق انه بين التفريط والتقصير وكذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الامور اوسطها وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية ولا قوة الا
بالله قال ابن جريج قال سجود الملايكة لادم ايماء ولم يكن كل وضع الوجه بالارض لاحد وعن ابن
قال كان سجود الملايكة سجود تحية ولم يكن سجود عبادة وعن قتادة قال كانت الطاعة لله والسجدة
لادم اكراما له بذلك والله اعلم ثم اختلف في ابليس قال بعضهم كان هو من الملايكة وقال
اخرون لم يكن من الملايكة وهو قول الحسن والاصم ذهبوا ذلك الى وجوه احدها ما ذكر عز وجل
عن طاعة الملايكة له بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقال لا يسبقونه بالقول الاية وقال
وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الاية وصف عز وجل طاعتهم له وايتمارهم
اياه فلو كان اللعين الرجيم منهم لاطاعه كما اطاعوه له والثاني قوله خلقتني من نار وخلقته من
طين والملايكة انما خلقوا من النور والثالث قوله تعالى كان من الجن ولم يقل من الملايكة فدلت
هذه الايات انه لم يكن من الملايكة ثم قال في قوله فسجدوا الا ابليس انه قد يجوز الاستثناء من
غير نوع المستثنى منه نحو ما يقال دخل اهل الكوفة هذه الدار الا رجلا من اهل المدينة وذلك
جايز في اللغة وليستدل بالاستثناء ان الامر كان عليهم جميعا في الاصل وكان الامر بالسجود له
والملايكة جميعا كقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس وان كان هناك امر للناس بالافاضة
لكن الاول والله اعلم وذهب من قال انه من الملايكة انه لما لم يذكر في قصة من القصص مع
كثرة التكرار لها في القران وغيره من الكتب السالفة انه ليس منهم وليس فيما ذكر من الايات
ما يدل انه لم يكن منهم لان قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لو لم يتوهم منهم
العصيان والخلاف لله تعالى لم يكن للمدح بالطاعة والخضوع له معنى الا ترى الى قوله ومن
يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية مع ما ذكرنا انهم يمتحنون بانواع المحن وكل
ممتحن في شيء يجوز كون المعصية منه والخلاف له فيه واما قوله وكان من الجن يحتمل اي صار من
الجن وقيل الجن اراد به الملايكة سموا جنا لاستتارهم على الابصار كقوله واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم واما قوله خلق الملايكة من النور وابليس من النار فهو واحد لانه اخبر عز وجل
انه خلقه من مارج من نار وقيل المارج هو لهبها مع ما ليس في القران ولا في الخبر انهم انما خلقوا من
النور ولم يخلقوا من غيره ثم اختلف في ابليس انه بم كفر بالله قيل انه كفر لما لم ير الامر بالسجود من
فوقه لمن هو دونه حكمة وقيل كفر لما ابى ان الله تعالى وضع الامر في غير موضع الامر
وراه جورا فكفر به وقيل كفر لما ابى الايتمار بالسجود واستكبر فكفر وقيل كفر لما اضمر
اضلال الخلق وقيل ابى الطاعة فيما امر به فاستكبر على ادم لما راى لنفسه فضلا عليه
بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله وكان من الكافرين اي صار كقوله انه كان فاحشة
وكقوله وكان من الغاوين اي صار وقيل كان في علم الله تعالى انه سيكفر وقوله وقلنا
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة قد ذكرنا فيما تقدم ان الجنة هي اسم البقعة التي حفت
بالاشجار والفردوس وانواع النبات دليله قوله وكلا منها رغدا حيث شيتما ولا تقربا هذه
الشجرة وكذلك ايضا ظاهر معروف عند الناس ان لا يسمى كل بقعة من الارض بستانا ولا
جنة حتى يجتمع فيها ما ذكرنا ثم لا يدري ما تلك الجنة التي امر ادم وحوا بالكون والمقام فيها

امر اي وعد المتقون او جنة من جنات الدنيا اذ ليس في الاية بيان ذلك وفي الاية دلالة
ان الشرط في الذكر قد يضمر ويكون شرطا بما ذكر لانه قال لا تجوع فيها ولا تعرى ثم قد جاع وعري
حين عصى لذلك او ترك المعصية كان شرطا فيه ثم حين الامر من الله تعالى لادم وزوجته
بالسكنى في الجنة والمقام فيها وامرهما بالتناول من جميع ما فيها الا الشجرة نهاهما عن التناول منها
وامرا بالاجتناب عنها بقوله ولا تقربا هذه الشجرة وفي سورة المسبح ان يوم يشير او ينهى
عن شيء وقوله رغدا اي سعة يقال ارغد فلان اذا وسع عيشه وكثر ماله وقوله ولا
تقربا هذه الشجرة اي لا تاكلا وقيل قوله وكلا منها ولا تقربا بالقربان ما يوصل الى التناول والله
لا باي تسمية الشيء باسم سببه ثم اختلف في تلك الشجرة فقال هي شجرة العنب ولذلك جعل
للشيطان فيها حظا لما عصيا بهما فيها وقيل انها كانت شجرة الحنطة ولذلك جعل غذا ادم وحوا
وغذا اولادهما منها الى يوم القيمة ليباشروا اجزاء العصيان والخلاف له وقيل انها شجرة العلم
لما علما من ظهور عورتهما ولم يكونا يعلمان قبل ذلك وهو قوله بدت لهما سواتهما والله اعلم والقول
في ماهيتها لا يجوز الا من طريق الوحي ولا وحي في تلاوتها ولا يجوز القطع على شيء من ذلك ثم احتمل
معنى النهي عن التناول منها وجوها احدها ايثارا لغيره عليه وقد يكون هذا ان ينهى الرجل عن
التناول عن شيء ايثارا الاخر عليه ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لما يكون فيه لما يخاف الضرر
به لا على جهة الايثار ولكن اشفاقا عليه ورحمة ويحتمل ابغاضا عن التناول من الشيء على جهة
الحرمة فاذا كان ممكنا هذه المحتملا حمل ادم وحوا في التناول منها لما اشتبه عليهما وجه
معنى النهي بانه نهي حرمة او نهي ايثار غيره عليهما او نهي رافة لانهما لو كانا يعلمان ان ذلك النهي نهي
حرمة لكانا لا ياتيان ولا يقربان والله التوفيق ثم في الاية دلالة على ان الحال التي
تكون فيه الانسان في سعة ورغد يشتد على الشيطان اللعين لانه انما تعرض لادم وحوا
بالوسوسة التي وسوس اليهما بما كسبت ايديهما بقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم
الاية ترد على بعض المتقشفة قولهم بتحريم الطيبات والزينة وقوله فتكونا من الظالمين
اي ضارين لان كل ظالم ضار وتفسير الى انه ان جمعا وقوله فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما
ودعا لهما الى سبب الزلة والاخراج منها الا ان تولى اخراجهما وازلهما وقد ذكرنا ان الاشيا
قد ذكرنا باسم اسبابهم لها او الاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع
تسمية الشي باسم سببه ثم تكلموا فيما اصاب ادم من الشجرة وفيما بينهما وفي حرمة النهي عنها
فقال قوم اكل منها وهو ناس لعهد الله نسيان ترك الذكر وابي ذلك قوم واحتج الحسن بان
نسيانه نسيان تضييع واتباع الهوى لا نسيان الذكر باوجه احدها ما جرى في حكم الله من
العفو عن النسيان الذي هو ترك الذكر وان لا يلحق صاحبه اسم العصيان وقد عوقب هو به ونسب
الى العصيان بقوله وعصى ادم ربه فغوى مع ما تقدم القول فيه ان يكونا من الظالمين والثاني
ان عدوه قد ذكره لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية وقوله
وقاسمهما وقوله فدلاهما بغرور ولو كان نسيانا ذكر لم يكونا ليغترا بالقسم ولا عزا عن ذلك
ولا وصفا بان اغتر لهما الشيطان ونحو ذلك فثبت انه كان نسيان تضييع وذلك كقوله
وكذلك اليوم تنسى وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وغير ذلك مما ذكر فيه
النسيان ومعناه التضييع سمي به لما كان كل منهم متروك وترك الامر تضييع او نهاية
به وتغفل عما يحل حيه من نقمة الله فنسي به كما وصف ذنب المؤمن كله بجهالة الجهلة بما عمل به

لا لجمله بحقيقة بفعل او تسمية به من حيث لا يبعد بذلك عصيان الرب او طاعة الشيطان
والى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان لا حقيقته ومن يقول بانه كان النسيان فهو مخرج
النسيان على وجوه احدها انه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه من التراوح اشتغل قلبه بوجوه
الدفاع له والفكر في الاسباب التي بها نجاته وتخلصه من مكابدة حتى انساه ذلك عن ذكر
العهد والسبب الذي يرفع الاشياء عن الاوهام في الشاهد كثرة الاشتغال وانما كان النسيان
عذرا في الامور وسببا للعفو لانه لا يخرج الاجتناب من الحكمة وذلك معلوم في الشاهد ان من
اقبل على امر واخذ في تحفظه وتذكره سهل عليه ذلك واذا احب ذلك مع الاشتغال بغيره من
الامور صعب عليه بل الغالب في مثله الخفاء وجايز معاتبة آدم مع ذلك وتسميته عصيانا
بادخه احدها انه لم يكن امتحن بانواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك وانما امتحن بالامتناع
عن شجرة واحدة بالاشارة اليها فجايز ان لا يعذر في مثله وكذلك النسيان فيما تقدم وبان التعهد
انما يعذر في النوع الذي يبتلى به ويكثر به النوازل الا ترى انه يعذر بالسلام في الصلاة وترك
التسمية في الذبيحة ونحو ذلك ولا يعذر في الاكل في الصلاة وفي الجماع في الحج ونحو ذلك فمثله
الامر الذي نحن فيه والثاني انه جايز اخذ الاخيار ومعاتبة الرسول بالامر الخفيف اليسير
الذي لا يواخذ بمثل ذلك غيره لكثرة نعم الله عليهم وعظيم منته عندهم كما اوعدوا التضاعف
في العذاب على ما كان من غيره وعلى ما ذكر في امر يونس صلى الله عليه وسلم من العتوبه بما لعل ذلك
من عظيم حسنات غيره اذ فارق قومه مما عاين من المناكير فيهم وفعل مثله من احد ما يوصف
به غيره وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه وسلم فيما خطر بباله تقريب اجلة الكفرة اشفاقا
عليهم وحرصا على اسلامهم ومن يتبعهم على ذلك مما لعل من دونه لا يبدل شيء من خيراته بالذي
عوتب به وبالله التوفيق والثالث انه لما عوتب بالذي يجوز ابتدا المحنة به وليتله خلقه حيث
قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة لكنه بكرمه وبالذي عود خلقه من تقديم احسانه
وانعامه في الابتدا على الشدايد والشرور وان كان له التقديم بالثاني في ذلك في جملة قوله
وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وبالله
التوفيق وعلى ما قد ذكر من مبالغة غيره والزجر عن المعاصي وتعظيم خطره في القلوب اذ جوزي
ابو البشر واول الرسل منهم على ما فضله بما امتحن به الملائكة بالتعلم منه والسجود بذلك القدر
من الزلة ليعلم الخلق انه ليس في امره هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر من
عقوبته والفزع اليه بالعصمة عما يوجب مقته وان لا يكلهم الى انفسهم اذ علموا ابتلاء من الذي
ذكرت محله في قلوبهم بذلك القدر من الزلة ولا قوة الا بالله والثاني بان يكون حفظ النهي عنه
لكنه خطر بباله النهي عن وجه لا يلحقه فيه وصف العصيان او نسي قوله فتكونا من الظالمين وقد
ذكرنا النهي في وقت الفعل ولكن نسي الوصف بالفعل من الظلم والنهي لعله سبق الى وهمه غير
جهة التحريم اذ يكون النهي على اوجه احدها بحرمة والثاني بنهي لما فيه من اللذة وعليه في اكله
ضرر وهذا امر معروف في الشاهد بما عليه الطباع بين قوم عن اشيا محللة من خوف ما يؤدي
ويضر فيحتمل ان يسبق الى وهمه ذلك لما وعد له في ذلك من عظم النفع تحمل ما خوف به ليصل الى
ما وعد من هذا سبق وجه النهي الى ما وجه من حيث الضرر والمشقة ونسي قوله فتكونا من
الظالمين او ذكرا وعرفا ان الظلم قد يقع على الضرر والمشقة ونسي قوله فتكونا من الظالمين
كقوله كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ولم ينقص منه والنقصان في النفس ضرر و

وعلى ذلك فسر عامة اهل التفسير الظلم في القرآن انه الضرر واسم الضرر باخذ ضرب
الثاني وحرف الماثور وان كانت حقيقته وضع الشيء غير موضعه ولا قوة الا بالله ويحتمل
النهي ان يخرج مخرج المنع فيكون غيره سوا الذي نهي عنه او يخص ذلك لظهره لا على التحريم لكن
الامر بالمعروف فيما يمنع الرجل ولده عن التناول مما ينبذه هو غيره لا على التحريم واذا احتمل
ذا اشعر بين له عظيم ما في ذلك من البركة من غير ان عاين عدوه ليعلم ان ذلك منعه وجائز
ان سبق اليه ان ذلك اشارة ملك والمعارف النفس على ما يكون لكثير من الاخبار الا انه كان
ومن عداوة فدعته نفسه الى الاكل فيكون كالناسي والجاهل بحقيقة وجه النهي وان كان تقدم
اكله ولا قوة الا بالله والاصل في هذا ان فعله صلى الله عليه وسلم ان كان في نسيان العهد
او في الذكر له فان الذي اصابه عقوبته وان كان بالذي يكون به المحنة فلولا ان الله اث
بنا فيه على ما فعله لم يكن ليغير عليه نعمة بعذاب انعم عليه وقد قال انه لا يغير نعمة التي
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وما لا يحتمل العقوبة بالتغير لم يكن ليفعل بعد وعده ذلك
مع ما قد اعترفا بالظلم اذ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا الاية وقد قال تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وقد كان قال لهما فتكونا من الظالمين فكان فيما يؤتى به وجهان احدهما ان
ذلك لم يزل عنهما اسم الايمان ولا دعا اليه تعمد لفعلهما ذلك ثبت انه لا يكاد ذنب
يزيل اسم الايمان وان الذنوب لا يحقق فيه الكذب فيما اعتقد الا لا يعصي الله في شيء ولين
ذلك نقض واهل الخوارج والمعتزلة وبيان ان قوله ومن يعص الله ورسوله يدخله نار الخ ليس
على كل عصيان ولا الوعيد بالظلم المطلق يوجب كل الخلود كل عصيان وعوابه بما يلزم به
تعظيم هذه الحروف على ما يليق به ومن يزيد بها الجمع في كل الانام خارج على المعروف من الكلام
الله في اهل الماثور والثاني انه قد عوتب بوجه لا يجب جزء منها بما يسميه المعتزلة كبيرة يزيل
يزيل به اسم الايمان من نحو شرب قطرة من الخمر او قذف محصنة او اخذ عشرة دراهم من
مال آخر وكذلك فعل اولاد يعقوب فلم يخرج احد على دعوى خروج من ذكرت من دين الله
لزم بطلان قولهم مع ما كان من قولهم ان الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب عليها ولا الكبيرة
العفو عنها وقد كان عذب صلى الله عليه وسلم بانواع العذاب لما لم يكن سوى ما اخبر فعلهما
في دوس الخلايق فكان عظيما عما اختلف في الوجه الذي يبتلى منهم من يقول لما كان من صلبه
من الكفرة وهو ليبتلوا باهل الجنة وقيل رحمة للخلق ليتلافا فيتواد ولا يزيل الولاية بكل ذنب
وقيل بليا لتنبيه الخلق بهما انه لا احد يقوم بتعاهد نفسه عما يدفعه الا باليه اذا وكل نفسه
اليه فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر الى انفسهم في شيء من الخير والفزع اليه بالعصمة
عن كل شيء فليحق المحنة اذ هي تردد صاحبها بين اللذات والالام وبين احوال مختلفة لا يحتمل اذ يصير
بحيث يامن الزلل وانما ذلك بحفظ الله ومنته لا بتدبير احد وجهده وان كان الله تعالى وفق
على قدر الجهد ويعصم على قدر الرغبة اليه والاعتصام به ولا قوة الا بالله وليس بنا حاجة
الى ذكر حكمة الزلة اذ كانت نفسه مجبولة في حبه باعثة الى مثله لولا نعمة الرب كما قال يوسف
صلى الله عليه وسلم وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال ولا تكسب كل نفس
الا عليها ثم اختلف في ماهية الشجرة قيل بانه شجرة العنب وجعل للشيطان فيها نصيبا بما ثلثه
ابو البشر واتهم وقيل حنطة فيها جعل غداء ولده ليبدل بالراحة الكد وبالنعمة البوس وقيل
شجرة العلم اذ بدت لهما سوآتهما فعلما بذلك ما لم يسبق لهما في ذلك فنزعا الى ما يستران به من

من الورق والاصل ان هذا النوع ما يعلم بالخبر من عند عالم الغيب وليس بنا الى تعرف
حقيقته حاجة وانما علينا معرفة قدر المعصية فنعتصم بالله عنها والطاعة فنرغب فيها
ونابقة العصمة والاصل فيه ان الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء واذا اجمع منهما
بزيل البلوى ويكشف الغطاء فجعل اللذيذ الذي لا اذى فيه والمؤلم الذي لا نفع فيه جزاء
والتردد منهما محنة ولا قوة الا بالله وقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي تصيرا مستهم
وكذلك القول في ابليس وكان من الكافرين اي صار منهم ويحتمل ممن يكفرون كذلك
اذ في علم الله انهم يصيرون ممن في علم الله كذلك مع جواز القول بلا تحقيق امر كقوله تبارك
الله احسن الخالقين لا ان ثم خالق غيره ثم اختلف في الوجه الذي اوصل ابليس اليه الوسوسة
فقال الحسن كان ادم صلى الله عليه وسلم في السماء وابليس في الارض ولكنه اوصل اليه بالسبب
الذي جعل الله كذلك وقال قوم كان خاطبه في باب الجنة وقيل كان تصور بغير صورة كان عليه
فزعموا ان هذا بعد ذلك ولا وجه الاية فانه غره ولو عرفه لما اغتر به فيتبدا ان حذره الله عنه
والله اعلم كيف كان ذلك وعلى ذلك اختلف في الوجه الذي يوسوس في بني آدم منهم من يقول
يجري بين الجلد واللحم كما يجري الدم فيصل الى وجه بصره فيقلبه فيقذف فيه ومنهم من يقول
هو كيف جبلت له قوة اتصال الخطر بباله والقذف في قلبه من الوجه الذي جعل له ذلك
لا يعلمه البشر ومنهم من يقول ان النفس كالشعاع لها في الجسد واثر في جميع الافاق لولا الجسد
الذي يحبسه لكان له الانتشار على ما يظهر في حال النوم عند سكون حسه ومن ذلك سلطان
فكرة الرجل من في اقصى بقاع الارض حتى يصير له كالمعاين ففي ذلك كمون قدحه وقذفه ونحن نقول
وبالله التوفيق انا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك لكن الله تعالى جعل للخلق اعلاما وكذلك للباطل
ولكل معنى يدعو الى الباطل يحجب عن الحق فهو عمل الشيطان يجب التعوذ منه والفزع اليه وان لم
يعلم حقيقة كيفية ذلك قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال
الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الحسن في قوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقد علم آدم ان الملائكة افضل
وقد علم ان لا خلود ويكون معه وقد اخبر انه يموت وقد علم انه لا يكون ملكا وقد خلق من طين
والملائكة من نور ولكن يكون على فضل الملائكة وقاسمهما حلف لهما في وسوسته انه يقول
ذلك عن نصيحة فنهاهما في الاكل لحبه القبول منه ما ذكر اذ لو كان عن قبول كان ذلك اعظم من
الاكل ولكن اكلا على الشهوة واتباع الهوى ولو صدقاه في ذلك لكفرا اذ كان هذا اعظم من
الاكل ولم يقل لهما ذلك فيهما لاجل ذلك شيء وذلك كما يقول الرجل لاخر في شيء يقبل عليه او يقطع
لو فعلت لا فعل بك ذلك فيقدم عليه انه يقدم لشهوته لا على التصديق له في ذلك وكذا امن
يذكر احدا مثل امراة يحبها وابادها اياه فيانيها بشهوة لا يقصد به لاخر لمثله امراه فيما
وسوس اليه الشيطان وهذا الذي يذكر الحسن يوجب ان يكون آدم كان يعلم ان ذلك كان من
الشيطان عدوه وذلك الاقدام اقدام على الزما ذكر على ما يصف انه كان يعلم امر فظيع يوجب
مثله على العلم بانه انه لا ينال به خيرا ولا يصل بذلك الى فضل بل اتبع الشيطان بما هو ما يشتهي
وهذا لو كان شهده كان فظيعا لا يدعيه في ابي البشر ومن قد فضله الله بالذي سبق ذكره بل لو
قيل انه لم يكن علم انه من عدوه او الهام في ما يكون للاجتهاد او كان اسمع عن غير الصورة التي
اراها من قبل كان اقرب واحق ويلطف به من ان يذكر الذي ذكر ومتى يكون الاقدام لحبه بحيث

ولا طمع في ذلك بل لا ينكر ان يكون له ولكن على ما بينا وليس من ذلك الوجه الوحشة في الذين
ثم قد ذكر ملكين والكلام في الفضل وغير الفضل على قوله لا معنى له لان يجعل قبلهم جزاء
مثله جزاء لا يرتفع درجته ولا يعلو قدره ثم يجعل الفضل لهم بالخلقة فكيف كان يطمع في ذلك
ولم يكن من خلقهم ولهذا انكر ان يكون منهم عصيان اذ خلقوا من نور ومن لا يعصي بالخلقة
فانه لا يحمد ولو كان يجب الحمد به لوجب في كل موات وكل حيوان لا يعصي بالخلقة وذلك بعيد وجائز
ان يكون آدم طمع ان يكونا ملكين بان يجعل على ما عليه صفتهم من العصمة او الاكتفاء بذكر الله
وطاعته عن جميع الشهوات والله قادر على ان يجعل البشر على ذلك وذلك على ما يوجد فيهم
من معصوم ومخذول ليعلم ان الخلقة لا توجب شيئا مما ذكر ولا قوة الا بالله ثم الاصل ان معرفة
البشر وما عنه خلق كل شيء انما هو سمعي ليس هو حسي ولا في الجوهر دليل الفناء والبقاء اذ يميت
من شاء ويبقي من شاء فيقول الحسن انه علم ذلك ثبت نبيا ان الخبر عن الله ينتهي اليه انه كان يلحقه
في ذلك الوقت وكذلك امر الملائكة وحال الاعداء ومحنة الذكر وظهور العصمة يعرف
بالمحنة والمشاهدة بعضها ولا قوة الا بالله ثم ذكر الحسن في خلال ذلك ان ادم صلى الله عليه
وسلم قد علم ان الملائكة لا يموتون لا ادري ما هذا اهو عقد اعتقده او جرى على لسانه لان
مثله لا ينال الا بالسمع لا يرتاب في ذلك انه جاء من الله ولا قوة الا بالله وقوله فازلهما الشيطان
عنها اي دعاهما وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها لا ان تولى هو اخراجهما وان لا لهما
وقد ذكرنا ان قد يسمى الاشياء باسماء اسبابها والاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف
في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه والله اعلم وقوله مما كانا فيه من الخصب والسعة
والنعم التي اعطاهما الله فيها واباح لهما التناول منها ثم اختلف في وسوسة الشيطان لادم
وحواء عليهما السلام فيم كان ومن اين كان والذي كان قيل انه كان في السماء فوسوس اليهما
من ابواب الجنة حتى ذكر امنية لها واماسيلها في نعم الله فيتبعاه فيه فاخذ ذلك عليه وقيل
انه كان في الدنيا فوسوس لهما من بعد والله اعلم ثم اختلف في الشيطان له سلطان على القلوب
او يوسوس في صدور ومنهم من يقول فتلك بعضهم له سلطان على القلب على ما جاء انه يجري في الانسان
بين الجلد واللحم مجرى الدم وقيل انه لا سلطان له على القلوب ولكنه يقذف فيهم من البعد
ويدعوهم الى الشر بما يبدي في الانسان من الاحوال من حال الخير والشر وكان تلك الاحوال
ظاهرة من اثر الخير والشر فاذا راى ذلك منه ذلك يوسوس ويدعوه الى الشر ويدل على ذلك
قوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اخبر انه لا سلطان له علينا سوى الدعاء
لنا ودعوا للاشقياء والله اعلم ثم قيل فيمن عصى ربه النبي قد اطاع الشيطان قيل بلى فان قيل
فاذا اطاع ان لا كفر قيل لانه ليس يقصد بقصد طاعة الشيطان وانما يكفر بقصد طاعة الشيطان
وان كان في عصيان الرب طاعته وكذلك روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه سئل عن ذلك
فاجاب بمثل هذا الجواب والاصل ان الفعل الذي يلي له ليس هو لنفسه فعل الطاعة للشيطان
ليصير به مطيعا انما يحصله طاعة القصد بان يجعله طاعة له وقد ذلك وان سر هو به
وفرح كما نشر ونزول التردد منهما واللذة وان كان ذلك يفعل من لا يجوز وصفه من فعل
ذلك بطاعة الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله وقلنا اهبطوا منها جميعا قيل الهبوط هو النزول
في موضع كقوله اهبطوا مصرا اي انزلوا اليه ويحتمل الهبوط منها هو النزول من المكان المرتفع
الى المنحدر والدون من المكان وقوله بعضكم لبعض عدو قيل يعني ابليس والاولاد وآدم

وأولاده بعضهم لبعض عدو والعداوة فيما بيننا وبينهم ظاهرة وقيل بيننا وبين الحية
التي حملت ابليس حتى وسوس لهما من ذا بينها العداوة الا [illegible] الا بالسع او لبس في الكلاب وذلك
عيانا العداوة بيننا وبين الحيات عداوة طبع والعداوة التي بيننا وبين ابليس عداوة
اختيار والمراد الطبع ينفر عن كل مؤذ ومضر والله التوفيق وقوله ولكم في الارض
مستقر يعني توطنون فيها كقوله وجعل لكم الارض قرارا وقوله ومتاع الى حين اي متاعكم الى
انقضاء آجالكم ويحتمل متاعكم لانقضاء الدنيا وانقطاع مهاد وقوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات اي اخذ وقيل من ربه كلمات فتاب عليه قيل فيه وجوها فتاب عليه اي
وفقه للتوبة وهداه اليها فتاب كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا
وقيل خلق فعل التوبة منه فتاب كما قلنا في قوله هداه اي خلق فعل الاهتداء منه فاهتدى
وقيل تاب عليه اي تجاوز وقيل ان التوبة هي الرجوع رجع آدم عن عصيانه ورجع هو الى
الغفران والتجاوز وبعضه قريب من بعض وفي الآية انه انما تاب عليه لكلمات تلقاها من
ربه والآية تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب صغيرة فهي مغفورة له لا يحتاج
الى الدعاء ولا الى التوبة فآدم صلى الله عليه وسلم دعا بكلمات تلقاها منه فتاب عليه
ولو كان مغفورا له ما ارتكب لكان الدعاء فضلا وتكلفا وبالله التوفيق والكلمات هي ما ذكر
في سورة اخرى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الآية وقوله انه هو التواب
الرحيم اي قابل التوبة وقيل اي موفق التوبة وهادي لها كقوله غافر الذنب وقابل التوب
وقد ذكرنا في قوله فتاب عليه ما احتمل فيه الرحيم بالمؤمنين ورحيم بالتائبين وقوله قلنا
اهبطوا منها جميعا ذكر هبوطهم جميعا فاذا اهبطوا فرادى لم يخرجا من الامر بل كانوا في الامر
فدل ان الجمع في الامر والذكر لا يصير الجمع في الفعل شرطا وقوله فاما يأتينكم مني هدى اي
ليأتينكم وهذا جائز في اللغة وقوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي من تبع
هداي ودام عليه حتى مات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة اذا مات
عليه وهذه الآية والتي تليها وهو قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون تنقض على الجهمية لانهم يقولون بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما فلو كانت
الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها خوف وحزن لان من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها
يحزن عليه وينغصه ذلك ولهذا وصف الدنيا بالخوف والحزن لما يزول نعيمها ولا تبقى فاخبر عز
وجل ان لا خوف عليهم فيها خوف الفتنة ولا حزن اي يحزن فوات النعمة ولا هم يحزنون دل
انها باقية وان نعيمها دائمة لا تزول وكذلك اخبر عز وجل ان الكفار في النار خالدون وان عذابها
اليم شديد فلو كان لهم رجاء النجاة منها لخف ذلك العذاب عليهم وهان لان من عوقب في الدنيا
بعقوبة وله رجاء النجاة منها هان ذلك عليه وخف وبالله التوفيق وقوله يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل قوله اذكروا نعمتي التي خصصت لكم دون
غيركم من نحو ما جعل منكم الانبياء والملوك كقوله وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين ويحتمل اذكروا نعمتي في النجاة من فرعون حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم ويستحيي
نساءكم لقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم الآية ويحتمل اذكروا نعمتي من نحو ما اعطاهم
عز وجل المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك من النعم ما لم يؤت احدا من العالمين خصوا
بذلك من دون غيرهم وقيل نعمته محمد صلى الله عليه وسلم بعث وقت اختلافهم في الدين وتفرقهم

فيما كان عليه من مضى من النبيين ليدلهم على الحق من ذلك ويؤلف بينهم بالبينات كما اخرجهم
الاختلاف الى من يقوم بذلك من وجه يعلم صدقه في ذلك فبعث رسول الله نعمة منه عليهم
او نعطا عنه [illegible] ولا قوة الا بالله ويحتمل اذكروا نعمتي اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا توجهوها
الى غيري فان كان هذا المراد فهم وغيرهم فيه سواء اذ كل منعم عليه ان يوجه شكر نعمه الى ربه
وكان الامر بذكر النعمة والله اعلم امرا بالعرفان انها في القلب انها منه لا الذكر باللسان اذ لا
سبيل الى ذكر كل ما انعم عليه سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكر واحدة منها طول عمره وقوله
تعالى اوفوا بعهدي قد ذكرنا فيما تقدم ان عهد الله على وجهين عهد خلقة لما جعل
في خلقة كل احد دلائل تدل على معرفته وتوحيده وانه لم يخلقه للعبث ولا يتركه سدى وعهد
رسالة على السن الرسل كقوله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي
الآية وكقوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وميثاق الذين اوتوا الكتاب وقوله
تعالى اوف بعهدكم الذي وعدتكم وهو الجنة كقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات
الآية وقيل اوفوا بعهدي اي ادوا ما فرضت عليكم من الفرائض ووجهوا الى شكر نعمتي ولا
تشكروا غيري ويكون اوفوا بعهدي الذي اخذ على النبيين بقوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس فيكون عهده
تبليغ ما بين في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والاقرار به والنصر له اذا بعث محمد صلى
الله عليه وسلم و [illegible] واياي فارهبون اي اخشوا سلطاني وقدرتي وقيل اخشوا عذابي
ونقمتي وقيل اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت نبي صلى الله عليه وسلم وقوله وآمنوا بما
انزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن مصدقا لما معكم اي موافقا لما معكم من الكتب
من التوراة والانجيل وغيرها وهم قد عرفوا موافقته كتبهم اذ لم يتكلفوا جمع هذا الى
كتبهم ومقابلة بعضه ببعض او يحتمل قوله مصدقا اي موافقا لما معكم من الكتب وليس كما
قالت صنف من الكفرة وهم الصابئون ان الانجيل نزل بالرخص والتوراة نزلت
بالشدائد فقالوا انا اثنين لما لم يروا نزول الكتب بعضها على الرخص وبعضها على الشدائد
من واحد حكيم فقال عز وجل مصدقا اي موافقا للكتب وانها انزلت من واحد لا شريك
له وان كان فيه شدائد ورخص اذ لله ان ينهى هذا عن شيء ويأمر آخر وينهى في وقت
ويأمر به في وقت وليس فيه خروج عن الحكمة انما الخروج عن الحكمة ان يأمر احدا وينهاه
في وقت واحد وفي حال واحدة وفي شيء واحد ثم في الآية دلالة ان المنسوخ موافق
للناسخ غير مخالف له لان من الاحكام والشرائع ما كانت في كتبهم ثم نسخت لنا فلو كان فيها
خلاف لظهر القول منهم انه مخالف وانه غير موافق وكذلك في القرآن ناسخ ومنسوخ فلم يكن
بعضه مخالفا لبعضه كقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله ولا
تكونوا اول كافر به قيل فيه بوجهين قيل فيه لا تكونوا اول قدوة يقتدى بكم في الكفر وقيل
اي لا تكونوا اول كافر فيما آمنتم به لانهم كانوا آمنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به
وقيل هم اول من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ظهر بين اظهرهم فلو كفروا ابتكروا
اول من يكفر به فيلحقهم ما يلحق من سن الكفر لقومه مع ما يكونون هم عليهم الحجة لغيرهم اذ كانوا
اعرف به وابصر بما معه من الادلة والبراهين فيقتدي بهم من لم يشهده ولم يكونوا عليهم
لو كفروا اثما على اول من كفر ولا قوة الا بالله مع ما يلحقهم نبيه وصف التعنت والتمرد والله

الموفق وقوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قال الحسن الآيات في جميع القرآن هي الدين كقوله
اشتروا الضلالة بالهدى وأما عندنا فهي الحجج وقد ذكرنا أن الشرا قد يقع من أخبار وبنو ذا
يلفظ بلفظ الشرى وقوله وإياي فاتقون أي اتقوا عذابي ونقمتي ويحتمل سلطاني وقدرتي وقد
ذكرناه وقوله ولا تلبسوا يحتمل وجوها يحتمل لا تشتروا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا أي
لا تلبسوا هو اللبس الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا أي لا تخلطوا ويحتمل لا تلبسوا أي لا تشبهوا الحق
بالباطل ويحتمل لا تلبسوا أي لا تكتموا ويحتمل لا تلبسوا أي لا تمحوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ولا تثبتوا
غيره وكله يرجع إلى واحد وقوله الحق يحتمل وجوها يحتمل محمدا صلى الله عليه وسلم ويحتمل الحق القرآن
ويحتمل الحق الإيمان والباطل هو الظلم والكفر والله أعلم وقوله وأنتم تعلمون لما ذكر هو
ونعته في كتابهم أنه حق أن كان محمدا صلى الله عليه وسلم أو القرآن أو الإيمان لكن تعاندون وتكابرون
وقوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يحتمل وجوها يحتمل الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
أمرا بقبول الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة والدعوة إليهما كقوله فإن تابوا وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ليس هو إخبار عن إقامة فعلهما ولكن القبول لهما والإيمان
بهما والله أعلم ويحتمل أن يكونوا أمروا بإقامة الصلاة والزكاة أمرا يكونهم على ما يكون صلاتهم
صلاة وزكاتهم زكاة في الحقيقة لأن الآية نزلت في بني إسرائيل وهم كانوا أهل كتاب وكانوا
يصلون ويتصدقون ولكن صلاتهم وزكاتهم لم تقبل لما لم يأتوا بما أمروا أن يأتوا
بالإيمان فكون صلاتهم تلك صلاة في الحقيقة ويحتمل الأمر بإقامة الصلاة والزكاة أمرا بإقامتها
بأسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس والإخلاص والنية له وذلك راجع إلى المؤمنين
ويحتمل الأمر بالصلاة والزكاة أمر الجميع فيهما وهو الخضوع والطاعة له والثناء عليه
وذلك على العبد أي المؤمنين كل أحد أن يخضع لربه ويطيعه ولا يعصيه وكذلك الزكاة على
كل أحد أن يزكي نفسه عن جميع المفاسد والآفات ويحفظها ويصونها عن جميع ما يتوقف به وذلك
لازم على كل واحد وبالله التوفيق وقوله جل وعز واركعوا مع الراكعين قيل فيه بوجوه قيل
إن اليهود كانوا يصلون ولا يركعون فأمروا أن يصلوا لله ويركعوا فيها على ما يفعله المسلمون
وقيل إنهم كانوا يصلون وحدانا فأمروا بالصلاة مع النبي عليه السلام وأصحابه
بالجماعة وفيه أمر بحضور الجماعة وقيل اركعوا مع الراكعين أي كونوا مع المصلين يعني المسلمين
ولا تخالفوهم في الدين والمذهب وقوله عز وجل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
قيل فيه بوجوه قيل أتأمرون الناس يعني الأتباع والسفلة باتباعكم وتعظيمكم لعلمكم وتلاوتكم
الكتاب وتنسون أنفسكم ولا تأمرونها باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لفضله والنبوة
ولفضل منزلته عند الله وأنتم تتلون الكتاب أي تجدونه في كتابكم أنه كذلك أفلا تعقلون أنه
لا ينبغي وقيل أتأمرون الناس يعني الفقراء والضعفة بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولا تأمرون الأغنياء وأهل المروءة بالإيمان به لما تخافون فوت المأكلة والبر والانتفاع
منهم ويحتمل هذا الخطاب لهم ولجميع المسلمين أن لا يأمروا أحدا بمعروف إلا ويأمر نفسه
مثله بل الواجب أن يبدأ بنفسه ثم بغيره فذلك أنفع وأسرع إلى القبول أفلا تعقلون
أن ذلك في العقل لازم أن يجعل أول السعي في إصلاح نفسه ثم الأمر لغيره والله أعلم
وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة يحتمل وجوها يحتمل استعينوا بالصبر في ترك
الرياسة والمأكلة في الدنيا لأن الخطاب كان للرؤساء منهم بقوله أتأمرون الناس بالبر

وتنسون إلى قوله وأنتم تتلون الكتاب والله أعلم ويحتمل أن اصبروا على ترك الرياسة
لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد والخضوع له لما يبقى لكم من الثواب في الآخرة لمن آمن به
والطاعة وترك الرياسة له ويحتمل اصبروا على المكاره وترك الشهوات بأن الجنة لا تدرك
إلا بذلك لما جاء حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ويحتمل أن استعينوا بالصوم والصلاة
على أدائها لكن هذا يرجع إلى المؤمنين والآية نزلت في رؤساء بني إسرائيل دليله قوله وهم يتلون
الكتاب وإنما يصلح هذا التأويل في قوله يا أيها الذين آمنوا استعينوا الآية وقوله جل وعز
وإنها لكبيرة يخرج والله أعلم على ما ذكرنا من ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا إنها لكبيرة عليهم
إلا على الخاشعين فإنها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم ويحتمل أن ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم
والانقياد له والخضوع لثقيل إلا على الخاشعين فإنه لا يثقل عليهم ذلك ولا يكبر ويحتمل أن
يقال إن الصبر على الطاعة وأداء هذه الفرائض لكبيرة على المنافقين إلا على المؤمنين خاصة
فإنه لا يثقل ذلك عليهم وقيل إن تحويل القبلة إلى الكعبة لثقيل على اليهود والله أعلم وقوله
جل وعلا إلا على الخاشعين قيل فيه بوجوه قيل الخاشع هو الخائف بالقلب وقيل الخاشع المتواضع وقيل
الخاشع ههنا المؤمن وقال الحسن الخشوع هو الخوف اللازم بالقلب وقوله جل وعز الذين
يظنون أنهم ملاقوا ربهم يعني يعلمون ويستيقنون أنهم ملاقوا جزاء حسناتهم وسيئاتهم وأنهم إليه
راجعون أي يصيرون يوم البعث وراجعون إليه قال صاحب المنطق الظن هو الوقف بين أحد
طرفي اليقين والشك هو الوقوف على أحد طرفي الظن والتهمة بين هذين وقوله يا بني
إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل أنعمت عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك أن الناس كانوا على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي واختلاف من الأديان والمذاهب
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم يحققهم ويدعوهم إلى دين الله ويؤلف بينهم ويخرجهم من الحيرة
والتيه وذلك من أعظم نعمة أنعمها عليه وبالله التوفيق وذلك أيضا يحتمل فيما تقدم من
الآيات وقوله يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي الآية وقوله
وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة ورسوله كقوله
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله وأخذتم على ذلكم إصري أي
عهدي وعلى ذلك قوله ولا تكونوا أول كافر به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تلبسوا
الحق بالباطل يعني محمدا وكذلك قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين
تخرج هذه الآيات كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أيضا قوله نعمتي التي أنعمت عليكم
الوجوه التي ذكرنا أحدها أن جعل منكم الأنبياء والملوك كقوله وإذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا كما قيل إن كل نبي من لدن يعقوب إلى زمن عيسى
كان من بني إسرائيل ويحتمل ما آتاهم عز وجل من أنواع النعم ما لم يؤت أحدا من العالمين
كقوله وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين من المن والسلوى وتظليل الغمام وامتداد
اللباس مع القامة والطول كما قيل إن ثيابهم كانت تزداد وتمتد عليهم على قدر ما يزداد
قامتهم وكانت لا تبلى عليهم ولا تتسخ وذلك مما لم يؤت أحدا سواهم ويحتمل أيضا قوله
نعمتي أي النجاة من فرعون وآله كقوله وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية وقوله وأني
فضلتكم على العالمين قيل فضلوا على جميع من على وجه الأرض على الدواب بالجوهر وعلى
الجن بالرسل وعلى البشر بالإيمان ويحتمل تفضيلهم على العالمين وجوها أيضا ما ذكرنا من

تثبيت الانبياء منهم والنجاة من ايدي العدو واهلاك العدو وهو يرونه وفرق البحر بهم والنجاة
منه واهلاك العدو فيه وذلك من اعظم النعمة ان ترى عدوك في الهلاك وانت بمعزل منه
آمن وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الى قوله فضلتكم على العالمين يحتمل
فضل اوائلهم وفي الاية وجهان في المعتزلة احدهما قوله اذكروا نعمتي عليكم وعندهم ان جميع ما فعل
مما عليه ان يفعل ولو فعل غيره لكان يكون به كاتما فاذا كان تركه بفعله كاتما فعله حق عليه ولا امر
يكون بفعل ما لا يجوز له الترك منعما على احد فثبت انه كان شيء منه معنى زايدا خصهم به وان
لنبي التخصيص محاباة كان عمتا المعتزلة ولا ترك الانعام بخل كما قالوا والثاني قوله فضلتكم على
العالمين فلو لم يكن منه اليهم فضل معنى لم يكن لهم تفضيل على غيرهم فثبت انه كان فيهم ذلك
ومن قول المعتزلة ان النبي لا يبدا بخصال حد الا باستحقاق بفعله ومن ذلك هو فضلوا انفسهم
على العالمين لاسو فكيف يمن عليهم بذلك ولا قوة الا بالله مع ما لا يخلوا تفضيله اياهم على
غيرهم من ان يكون لهم التفضيل في الدين او لا فان لم يكن فليقض ذلك بتفضيل فان كان ثبت ان
للنبي من الحق عليه التسوية بين الجميع في اسباب الدين وقوله جل وعز واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا الاية والله اعلم كانها موخرة في المعنى وان كانت في الذكر متقدمة لانه قال
واني فضلتكم على العالمين ثم ذكر الافضال والمن فقال واذ نجيناكم من ال فرعون الاية
وقوله واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وقوله واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون ذكرهم
عز وجل عظيم نعمه ومننه عليهم ليشكروا وله ليعرفوا انعامه وانه متفضل منهم ثم حذرهم جل
وعز فقال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية ليكونوا في حذر لئلا يصيبهم ما اصاب
الامم السالفة من الهلاك وانواع العذاب بعد الامن والتوسع عليهم كقوله فلولا اذ جاءهم
باسنا الى قوله فلما نسوا ما ذكروا به الاية ثم في الاية دليل لقول ابي حنيفة واصحابه ان
الولد يصير مشتوما بقذف والده وما شتم والديه لما عيرهم جل وعز بصنيع ابائهم بقوله ثم اتخذتم
العجل من بعده وهولاء لم يتخذوا العجل وانما اتخذ ذلك اباؤهم وكذلك ذكر عز وجل صنعه
ومنته عليهم من النجاة من الغرق واخراجهم من ايدي العدو وفرق البحر بهم واهلاك
العدو وانما كان ذلك لابائهم دونهم لكن ذكرهم جل وعز عظيم منته مكان ابائهم ليشكروا
له على ذلك وكذلك عيرهم بصنع ابائهم من اتخاذه العجل والجهاد والظلم ليكونوا على حذر من
ذلك والله اعلم وفي قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم انهم كان العامة عليهم
باتباعهم الرسول موسى عليه السلام ولما عمهم لهم اتبعوا اشد الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم
واطيعوا له ولا تتركوا اتباعه وقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا قيل اي لا يؤدي
نفس عن نفس شيئا كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية وقوله ولا يقبل منها
شفاعة قيل فيه بوجهين قيل لا يكون لهم شفعاء يشفعون كقولهم فما لنا من شافعين وكقوله ما
لهم من ولي ولا شفيع وقيل لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اي لا يؤذن لهم بالشفاعة كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله ولا يؤخذ منها عدل
والعدل هو الفداء اما من المال واما من النفس وذلك ايضا يحتمل وجهين يحتمل ان
لا يكون لهم الفداء على ما ذكرنا في الشفيع ويحتمل انه لو كان لا يقبل منهم كقوله ان الذين كفروا
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم تشبه
الوجوه التي يتخلص المرء في الدنيا اذا اصابته نكبة بلاء اما بفداء يفدي عنه مالا او نفسا

واما بشفعاء يشفعون له واما بانصار ينصرونه فيتخلص من ذلك فنقطع عز وجل عنهم جميع
وجوه التخلص في الاخرة والاية نزلت والله اعلم في اليهود والنصارى وهم كانوا يؤمنون
بالبعث والجنة والنار كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقوله لن تمسنا
النار الا اياما معدودة ولذلك ذكرهم العذاب والتشفع وما ذكر واما من لم يؤمن بالاخرة
فلا معنى لذكر ذلك وقوله واذ نجيناكم من ال فرعون قيل ال الرجل شيعته ولذلك قيل ال
رسول الله من اتبعه وقيل كل مؤمن تقي من اله وعلى ذلك الامر بالصلاة عليه وعلى جميع من امن
به وقوله يسومونكم سوء العذاب قيل فيه بوجهين قيل يقصدونكم اشد العذاب وذلك
يرجع الى الاستعباد والاستخدام بانفسهم وقيل يسومونكم يذيقونكم اشد العذاب وذلك
يرجع الى ما فسر هو من تذبيح الابناء وتقتيلهم كقوله يذبحون ابناءكم اي يقتلون ابناءكم و
ويستحيون نساءكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل فيستحيون من الحياء اي يستحيوا قبل النساء لما لا عمل لهن
ويحتمل من الاحياء اي تركوهن احياء فلم يقتلوهن وقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء
ممدود من النعمة كانه قال فيما نجيناكم من فرعون وال نعمة عظيمة وقيل البلا مقصود من الابتلا
والامتحان كانه قال في استعباده اياكم واستخدامه امتحان عظيم وقوله واذ فرقنا بكم
البحر قيل فرقنا اي جعلنا لكم البحر فرقا اي طرقا تمرون فيه وقيل فرقنا اي جاوزنا بكم البحر وقوله
جل وعز واذ واعدنا موسى اربعين ليلة كان الوعد لهم والله اعلم وعدان احدهما من الله جل
وعز بمصير موسى اليهم مع التورية كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا ووعدا اخر كان
من موسى بانصرافه اليهم بالتورية على راس اربعين ليلة كقوله فاخلفتم موعدي وقوله ثم
اتخذتم العجل من بعده يحتمله وجهين يحتمل اي عبدتموه فنسبوا ذلك باتخاذهم الها التعبير
واللائمة بعبادة العجل لا باتخاذه نفسه ويحتمل اتخذتم العجل الها فاستوجبوا ذلك باتخاذهم
الها كقوله واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى
وهذا كانه اقرب وقيل اتخذتم اي صنعتم والله اعلم وقوله وانتم ظالمون قيل في الظلم
بوجوه قيل ان كل فعل يستوجب به الفاعل عقوبة فهو ظلم وقيل ان كل عمل لم يؤذن له فهو ظلم
وههنا حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم فيه نسبهم الى الظلم لانهم ظلموا انفسهم وقيل ان الظلم هو
وضع الشيء في غير موضعه فسموا بذلك لانهم وضعوا الالوهية في غير موضعها وهذا كانه والله
اعلم اقرب وقوله عز وجل ثم عفونا عنكم من بعد ذلك الاية تنقض على المعتزلة قولهم لانهم زعموا
ان الله اذا علم من احد انه يومن به في اخر عمره وان طال او يكون من نسله من هو يؤمن الى اجل الا
لم يكن له ان يميته ولا له ان يقطع نسله فاذا كان على الله ان يبقيهم ولا يقطع نسلهم لم يكن
للامتنان عليهم ولا للافضال وطلب الشكر منهم معنى اذ فعل جل وعز ما عليه ان يفعل وكل من فعل
ما عليه ان يفعل لم يكن فعله فعل امتنان ولا فعل افضال لانه عز وجل من عليهم بالعفو عنهم حيث
لم يفنهم [illegible] وتركهم حتى تناسلوا او توالدوا ثم وجه الافضال والامتنان في هولاء وان كان
ذلك العفو الا بابائهم لانه لو اهلك اباءهم وقطع نسلهم وانقرضوا او تناسلوا لم يتولدوا فالمنة
عليهم حصلت لذلك طلبهم بالشكر والله اعلم فاذا كان هذا ما وصفنا دل ان ليس على الله ان
يفعل الاصلح لهم في الدين وبالله التوفيق وقوله لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا وكذلك قوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لكي يوحدون وذلك يحتمل وجهين يحتمل ان يشهد خلقه
كل احد على وحدانيته وكذلك يشكر لخلقه كل احد له ويحتمل عبادة الاختيار بوحدانيته

والشكر له بما انعم وافضل عليه وذلك يرجع الى من يعبد ويوحد ويحتمل ان ظلمهم لما امرهم بالعبادة
والشكر له من احتمالهم الامر بذلك وقوله واذ اتينا موسى الكتاب يعني التورية والكتاب اسم
كل مكتوب وقوله والفرقان قيل سميت فرقانا لما فرق وبين فيها الحلال والحرام وكل كتاب
فرق فيه بين الحلال والحرام فهو فرقان وقيل سمي فرقانا لما فرق فيه بين الحق والباطل وسماه واحد
وقيل سميت التورية فرقانا لما فيها المخرج من الشبهات وقيل الاية في الاضمار كانه قال واذ اتينا
موسى الكتاب يعني التورية ومحمدا الفرقان كقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وقوله
لعلكم تهتدون فالكلام فيه كالكلام في قوله لعلكم تشكرون وقد ذكرنا فيه ما امكن والله اعلم
وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل وقيل ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل وقيل ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها وقوله عز وجل فتوبوا الى باريكم قيل
ارجعوا عن عبادة العجل الى عبادة ربكم وقيل ارجعوا من اتخاذ العجل الها الى اتخاذ خالقكم الها
وقوله جل وعز فاقتلوا انفسكم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله لولا اجماع اهل التاويل
والتفسير على صرف ما امر الله جل وعز اياهم بقتل انفسهم على حقيقته والا لم يكن يصرف الامر
بقتل انفسهم على حقيقة القتل وذلك لان الامر بالقتل كان بعد التورية ورجوعهم الى عبادة الله
والطاعة له والخضوع ودليله قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن
لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ظهر بهذا انهم تابوا قبل ان يومروا بالقتل وقد
شرع في السنة لو سأل قتال الكفرة حتى يسلموا فلا يجوز ذلك اذا اسلموا انحصل الارسال
للقتل خاصة لا للدين والله اعلم ولان القتل هو عقوبة الكفر لا عقوبة الاسلام وخاصة
قتل استيصال على ما روي في الخبر قتل سبعون الفا في يوم واحد وذلك استيصال
واهلاك ولم يهلك الله قوما الا في حال الكفر والعناد والاسلام سبب نجاة القتل
واسقاطه لان امر بقتل الكفرة اذا اسلموا سقط القتل عنه وذلك وكذلك اذا اسلم وتاب ومات
عليه لم يعاقب في الاخرة لكفره في الدنيا فعلى ذلك يجب ان لا يعاقب هو الا في الدنيا بالقتل بعد
التوبة والرجوع الى عبادة الله وطاعته ويصرف الامر بالقتل الى اجهاد انفسهم بالعبادة لله
والطاعة له واحتمال الشدايد والمشقة لتفريطهم في عصيان ربهم باتخاذهم العجل الها
وعبادتهم اياه دون الله وهكذا جاز في الناس يقال فلان يقتل نفسه في كذا لا يعنون حقيقة
القتل ولكن اجهاده نفسه في ذلك واتعابه اياها واحتمال الشدايد والمشقة فيه فعلى ذلك
يصرف الامر بقتل انفسهم الى ما ذكر بالمعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم لو صرف ذلك الى حقيقة
القتل احتمل وجهان احدهما ان يجعل ذلك ابتدا محنة من الله تعالى لهم بالقتل لا عقوبة لما سبق من
العصيان ولله ان يمتحنهم ابتداء بقتل انفسهم كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاية
في تاويل كثير من اهل التاويل في ذلك اذ له ان يميتهم بجميع انواع الاماتة فعلى ذلك له ان
يامر بقتل انفسهم وفيه اماتة مع ما فيه الاستسلام لعظيم ما دعوا اليه من بذل النفس لله تعالى في
مثله جعل وفي ابراهيم الامر بالذبح وبذل ولده النفس لم يكن في ذلك العذاب وفي توبة
لا حقيقة القتل والله اعلم والثاني يجوز ذلك لانه عقوبة الدنيا وعقوبات الدنيا وثوابها
محنة فجاز الامتحان بعد التوبة والرجوع الى طاعة الله لانها دار محنة واما عقوبات الاخرة
وثوابها ليستا بمحنة لانها ليست بدار امتحان لذلك جاز التعذيب في الدنيا بعد التوبة ولم
يجز في الاخرة اذا مات على التوبة والله اعلم ثم قيل في قوله اقتلوا انفسكم بوجوه قيل

امروا ببذل الانفس للقتل والتسليم له قصاصا واكان قد قتلوا انفسهم ويجوز ان يكون الامر
بقتل انفسهم امر بمجاهدة الاعداء وان كان فيها تلفهم على ما قال ان الله اشترى من المومنين انفسهم
الاية مذكور ذلك في التورية وكذا قوله لا تسفكون دماءكم نهي عن القتل الذي فيه قتل انفسهم
وقد قيل في قوله لا تقتلوا انفسكم بمعنى اي لا تقتلوا من يقتلونكم فكانما قد قتلتم انفسكم وعلى هذا
التاويل خرج ابو بكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم والله الموفق وقيل امر بعضا بقتل
بعض كقوله فسلموا على انفسكم تحية اي ليسلم بعضهم على بعض وقيل امر كل من عبد العجل بقتل نفسه والله
اعلم وقوله ذلكم خير لكم قيل ان التوبة خير لكم عند خالقكم وقيل [illegible] وقيل قتلكم انفسكم خير لكم
من لزوم عبادة العجل ويحتمل عبادة الرب عز وجل خير لكم من عبادة العجل والله اعلم وقوله
فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقد ذكرنا المعنى في ذلك فيما تقدم وفي بذل انفسهم للقتل
والصبر عليه وكف ايديهم عن الدفع والممارسة فيه وجهان احدهما انه كانوا طبعوا على اخلاق
البهايم والدواب وذلك ان موسى صلى الله عليه وسلم استنقذهم من خدمة فرعون وآله ونجاهم
من الشدايد التي كانت عليهم ولحوق [illegible] واراهم من الايات العجيبة من اية العصا واليد
البيضاء وفرق البحر واهلاك العدو فيه وتفجير الانهار من حجر واحد وغير ذلك من الايات ما يكثر
ذكرها اذ لو كانت واحدة منها لكفتهم ودلتهم على صدقه ونبوته ثم مع ما اراهم من الايات
اذا امرهم [illegible] السامري الى عبادة العجل واتخاذه الها كقوله هذا الهكم واله موسى فنسي
فاجابوه الى ذلك واطاعوه وكان هارون صلوات الله عليهم يقول يا قوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري فلم يجيبوه ولا صدقوه ولا اكترثوا اليه مع ما كان هارون
من احب الناس اليهم فلولا انهم كانوا مطبوعين على اخلاق البهايم والدواب والا لما تركوا اجابته
ولا عبدوا العجل مع ما راوا من الايات التي ذكرنا فاذا كان الى هذا يرجع اخلاقهم لم يبالوا
ببذل انفسهم للقتل والله اعلم ونحو ذلك قوله قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وعلى
ذلك جعلت ايات موسى كلها حسية لا عقلية اذ عقولهم كادت تنقص عن فهم المحسوس ودركه
فضلا عن المستدل عليه والله اعلم والثاني يحتمل ان ارادوا ثواب صبرهم على القتل في الاخرة
وجزيل جزائهم وكرمهم بما عرفهم ان ذلك عليهم وخف كما روي ان امراة فرعون لما علم فرعون
لعنه الله بعبادتها ربها وطاعتها له امر ان تعاقب باشد العقوبات فعملها تضحكت في تلك
الحال لما اريت مقامها في الجنة وكرم ما بها فهان ذلك وسهل فعلى ذلك يحتمل بذل هولاء
انفسهم للقتل والصبر عليه لذلك والله اعلم وقوله واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى
الله جهرة قال بعضهم قال الذين اختارهم موسى سبعين رجلا لن نصدقك بالرسالة والتورية
حتى نرى الله جهرة يخبرنا انه انزلها عليك ويحتمل لن نومن لك انه اله ولا نعبده حتى نراه جهرة
عيانا فاحتج بعض من ينفي الروية في الاخرة بهذه الاية حيث اخذتهم الصاعقة لما سالوا الروية
قالوا فلو كان يجوز ان يرى لكان لا ياخذهم الصاعقة ولا استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة
واما عندنا فانه لا ينفي الاية وقيل نفي الروية بل فيها اثباتها وذلك ان موسى عليه السلام لم
ينههم عن ذلك ولا قال لهم لا تسالوا هذا وكذلك سال هو روية الرب فلم ينهه عنها
بل قال ان استقر مكانه فسوف تراني وذا حرف الوعد لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لانه كفر ومحال
ترك النهي عنه وكذلك ما روي في الاخبار من سوال الروية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قالوا انرى ربنا فابات عنه النهي عن ذلك ولا الرد عليهم فلو كان لا يكون لنهوا عن ذلك

وسمعوا واما انما اخذهم لا الصاعقة ببنو المراودة لانهم لم يسالوا سؤال استنبها د وانما
سالوا سؤال تعنت وقيل التعنت فيما جا من الايات من وجه الكفاية لمن ينصف لذلك اخذتهم
الصاعقة والله اعلم او ان يقال وقيل التعنت اخذتهم الصاعقة تبيولهم لن نؤمن لك لانهم قولهم
حتى نرى الله جهرة وسنذكر هذه المسئلة في موضعها ان شا الله تعالى وقوله الصاعقة قيل الصاعقة
كل عذاب فيه هلاك لكن الهلاك على ضربين هلاك الابدان والانفس وهلاك العقل والذهن
كقوله وخر موسى صعقا قيل مغشيا وفيه هلاك الذهن والعقل وكذلك قوله فصعق من في السموات
ومن في الارض اي غشي والله اعلم وقيل الصعقة صياح شديد وقوله وانتم تنظرون قيل فيه
بوجهين قيل تعلمون ان الصاعقة تداخذ تهم وانما هلكتهم ببولهم الذين قالوا لن نكونوا انتم على حذر من
ذلك القول وقيل وانتم تنظرون الخطاب لاولئك الذين اخذتهم الصاعقة اي تنظرون اليها
الصاعقة وقت اخذها لكم اي لم تاخذكم مجاة ولا بغتة ولكن عيانا جهارا والله اعلم وقوله
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون تذكرهم عز وجل عظيم منته عليهم وجزيل عطاياه لهم ببعثهم
بعد الموت وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى من السما لهم وذلك مما خصوا به
دون غيرهم ثم ما كان لنا من الموعود في الجنة فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة من نحو البعث
بعد الموت ومن الظل الممدود والطير المشوي والثياب التي كانت لا تبلى عليهم ولا تتوسخ
فذلك كله مما وعد لنا في الجنة وكان لهم في الدنيا معاينة فما يقول مما كان لهم هذا لم يحتسبوا
الى ما وعدوا لا نثبتوا على ما عهدوا وذلك لقلة عقولهم وغلظ افهامهم وقسوتهم على اخلاق البهايم
والدواب والله اعلم وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يحتمل وجهين يحتمل ما لم يحل لهم الفضل
على حاجتهم فاباح لهم القدر الذي لهم اليه حاجة وسماه طيبات ويحتمل انه سماه طيبات لما لا
يشوبه داء يؤذيهم ولا اذى يضرهم ليس كطعام الدنيا مما لا ينفك عن ذلك والله اعلم وقد
قيل الطيب هو المباح الذي يستطيبه الطبع ويتلذذ به النفس وقوله وما ظلمونا هذه
الاية وقد ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم وقد يحتمل وجها اخر وهو النقصان كلتا الجنتين اتت اكلها
ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص منه وحاصله ما ذكرنا ان الظلم وضع الشي غير موضعه وكل
ما ذكرنا يرجع الى واحد وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اختلف في تلك القرية قيل
انها بيت المقدس كقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم امروا بالدخول فيها والمقام
هنالك لسعة عيشهم فيها ورغد ما هو الموصوف بالسعة والخصب وقيل ان تلك القرية التي
امروا بالدخول والمقام هنالك هي قرية على الشط فيها والخروج منها عيونا للبلد
الى معرفة تلك القرية حاجة وانما الحاجة الى تعرف الخلاف الذي كان منهم وما يستحقون بتركه
الطاعة له والايتمار والله اعلم وقوله وكلوا منها حيث شئتم رغدا اي رغد وقد ذكرنا فيما
تقدم انه سعة العيش وكثرة المال وقوله وادخلوا الباب سجدا يحتمل المراد من الباب
حقيقة الباب وهو باب القرية التي امروا بالدخول فيها ويحتمل المراد من الباب القرية
نفسها لا حقيقة الباب كقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ذكر القرية ولم يذكر الباب
وذلك في اللغة سائغ جائز يقال فلان دخل في باب كذا لا يعنون حقيقة الباب ولكن كونه
في امر هو فيه وقوله سجدا يحتمل المراد منه السجود حقيقة السجود فيخرج على وجوه يخرج على
التحية لذلك المكان ويحتمل على الشكر له لما اهلك اعداهم الذين كانوا فيها كقوله ادخلوها
قوما جبارين ويحتمل حقيقة السجود لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل امروا ان يدخلوا الباب سجدا فدخلوا متزحفين فما اصابهم انما
اصاب بخلافهم امر الله ويحتمل الكناية عن الصلاة اذ العرب قد تسمي السجود صلاة كانهم امروا
بالصلاة فيها ويحتمل الامر بالسجود لا حقيقة السجود والصلاة ولكن امروا بالخضوع له والطاعة
والشكر على ما اداه فيه اي انقذهم واذل من حضه التيه والتصرف فيها في كل حال والله
اعلم وقوله وقولوا حطة قيل بوجهين قيل الحطة هو قول لا اله الا الله سميت حطة لانها
تحط كل خطيئة كانت من الشرك ونحوه لكانهم امروا بالايمان والاسلام وقيل قولوا حطة اي
اطلبوا المغفرة والتجاوز عما ارتكبوا من الاثم والخطايا والندامة على ما كان منهم فكانهم
امروا ان ياتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك
والله اعلم وذلك يحتمل الشرك والكباير وما وقعا ذكر عز وجل مرة خطايا ومرة خطيئات
ومرة قال ادخلوا ومرة قال اسكنوا ومرة قال فارزلنا ومرة قال فارسلنا والقصة
واحدة حتى يعلم ان ليس في اختلاف الالفاظ والالسن تغيير المعنى والمراد وان الاحكام
والشرايع التي وضعت لم توضع للاسامي والالفاظ ولكن للمعاني المدرجة والمودعة فيها
والله اعلم وقوله وسنزيد المحسنين يحتمل المراد من المحسنين المسلم الذي كان اسلم قبل
ذلك ويحتمل الذي اسلم بعد قوله قولوا حطة وكان كافرا الى ذلك الوقت والزيادة تحتمل
التوفيق بالاحسان من بعد كقوله فاما من اعطى واتقى الاية ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا الاية وقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم قوله فبدل يحتمل احداث قول غير الذي لم يكن والخلاف لما امرهم به عز وجل ويحتمل تشويههم
على غير الذي قيل لهم ولم يبين ما ذلك القول الذي بدلوا وليس لنا الى معرفة ذلك القول
حاجة انما الحاجة الى معرفة ما يلزمهم بالتبديل وترك العمل بامره واظهار الخلاف له فقد تولى
الله بيان ذلك بفضله وبالله التوفيق وقوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما قيل الرجز
هو العذاب المنزل من السما على ايدي الملائكة لان من العذاب ما ينزل على ايدي الملائكة
كعذاب قوم لوط وغيره وعذاب ينزل من السما لا على ايدي احد نحو الصاعقة والصيحة ونحوها
وقوله بما كانوا يفسقون مرة ذكر يفسقون ومرة ذكر يظلمون وهو واحد في هذه الايات التي
ذكرناها والانبا التي وصفناه دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واثبات نبوته وذلك ان
اهل الكتاب كانوا عرفوا هذه الانبا بكتبهم وكان صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهدهم كما في
كتابهم ولم يكن ظهر منه اختلاف اليهم ولا درس كتابهم فدل انه بالله عرف وكان فيها تسكين قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبصر عليه لظهور الخلاف له من قومه وترك طاعتهم اياه وان
ذلك ليس باول خلاف كان له من قومه ولا اول تكذيب بل كان من الامم السالفة لانبيايهم وذلك
فصبروا عليه فاصبر انت كما صبروا هم كقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل
لهم الاية وقوله واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر قد ذكرنا فيما تقدم
ان الله عز وجل اتى الله قد اراهم من عصاه ايات عجيبة من نحو الثعبان الذي كان يلقف
ما يافكون كقوله فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون وقوله فاذا هي ثعبان مبين ومن ضربه
الحجر فاذا هي انفلق كقوله فانفلق فكان كل فرق كذا ومن ضربه الحجر فاذا انفجار العيون
منه وغير ذلك من الايات مما يكثر ذكرها عز وجل من ايات لرسالته وايات نبوته وفيما
اري منها من عجايب اياته دلالة حدث العالم وابداعه لا من شي لانه عز وجل قد اخرج بلطفه

من حجر بعضه في نقبه مما يحمل من مكان الى مكان من الماء ما يكفي لخلق لا يحصى عددهم الا الله ويفجر
منه انهارا لكل فريق نهر على حده ثم لا يحتمل كون ذلك الماء يكفيهم فيه لصغره وخفته ولا كان
يتبين ذلك من اسفله فاذا كان هذا كما ذكرنا ظهر ان الله عز وجل كان ينشئ ذلك الماء فيه ويحدث
من لا شيء لان ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من اصله فاذا كان قادرا على هذا القادر ربما انشاء
العالم من لا شيء سبق ولا اصل تقدم وكذلك ما اراهم عز وجل من العصا الثعبان والحية لم
يكونا من جوهرهما ولا من اصلهما ولا تولدها منها بل انشأ ذلك وابدع بلطفه والله الموفق و
قوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قيل كانوا اثني عشر سبطا فتفرد اثني عشر نقيبا وهو
بنو يعقوب فجعل لكل سبط نهرا على حده فانتشر كل فريق الى ابيهم الذي كانوا منه ولم ينضموا
الى اعمامهم وبني اعمامهم نقيبه دلالة ان المواريث لا تصرف الى غير الاباء الا بعد انقطاع اهل
الاتصال بالاباء وفيه دلالة ان القوم في الصحاري والبراري ينزلون مجموعين غير متفرقين
ولا متباعدين بعضهم من بعض بحيث يكون بعضهم عونا لبعض وظهيرا الا انهم نزلوا جميعا في موضع
واحد مجموعين مع كثرتهم واذ جعلهم غير متفرقين ولا متباعدين وان كان ذلك انفع لهم
واهون عليهم من جهة الرعي والرعي وسعة المنازل وفي الاول ستر العيب الذي وصفنا
والله اعلم وقوله قد علم كل اناس مشربهم اي موردهم وفيه دلالة قطع التنازع ورفع الاختلاف
من بينهم لما بين لكل فريق منهم موردا على حده ولو كان مشتركا لخيف وقوع التنازع والاختلاف
بينهم وفي وقوع ذلك بينهم قطع الانساب والارحام وبالله التوفيق وقوله كلوا يعني المن
والسلوى وقوله واشربوا من الماء الذي اخرج لهم من الحجر وكلا من رزق الله الذي ساقه
اليهم من غير تكلف ولا مشقة وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل لا تسعوا في الارض
بالفساد ويحتمل لا تعثوا اي لا تعبدوا الاوثان العثو هو الفساد نفسه كانه قال لا تفسدوا
في الارض فتكونوا مفسدين وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قيل فيه بوجوه
قيل اول ما انزل انزل المن فعند ذلك قالوا لن نصبر على طعام واحد ثم انزل السلوى وقيل
كانوا يتخذون من المن القرص فياكلون مع السلوى فهو طعام واحد فقالوا لن نصبر عليه
ويحتمل ان يكون لعلهم في اليوم مرة فطلبوا الاطعمة المختلفة والله اعلم وقوله فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال يبين لنا معنى
اضافة خصوصية الاشياء الى الله عز وجل يخرج مخرج التعظيم لهذه الاشياء واضافة كلية
الاشياء الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب واجلاله نحو ما قال رب كل شيء وخالق كل شيء
ورب السموات والارض وخالق السموات والارض ونحو هذا الكلام وصف تعظيم الرب
واجلاله وقد اختلف في الفوم قيل الفوم هو الثوم وكذلك روي في قراءة عبد الله انه قرأ
وثومها وقيل الفوم هو البر وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قيل ادنى
بوجوه قيل ادنى في القيمة وقيل ادنى في الخطر والرغبة وقيل ادنى في المنافع وقيل ادنى لما
لا يصل هذا اليهم الا بالمؤنة والمشقة وذلك لهم بلا مؤنة ولا مشقة فهو خير وكل يرجع الى
واحد والله اعلم ويحتمل ادنى اي ادون واقل ولا شك انما طلبوا وسألوا دون الذي كان لهم
ويحتمل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قد اعطوا ولو كان ذلك اصلح لهم في الدين
لم يكن موسى يلومهم عليه ثبت انه لم يكن لو اعطوا ذلك ثبت ان الله تعالى قد يجوز له في الحكمة
منع ما كان غيره اصلح لهم في الدين ولا قوة الا بالله وقيل اهبطوا مصرا قيل المصر المعروف

وقيل مصرا من الامصار لان ما طلبوا لا يوجد الا في الامصار وبالله التوفيق وقوله
فان لكم ما سألتم من الاطعمة المختلفة ان كان المراد منه الامصار وان كان الاطعمة المختلفة
فهو كما قال وقوله وضربت عليهم الذلة قيل فيه بوجوه قيل الذلة ذلة احياد المؤنة
والشدائد لما سألوا من الاطعمة المختلفة وقيل الذلة ذلة الجزية والصغار بعضها بعد
بعض وقيل ذلة الكتب والعلامات الاول كان بانهم من غير كتب ولا مؤنة والمسكنة قيل زي الفقر
والحاجة وقيل نقطع رجاءهم من الاخرة لما عصوا ربهم وقوله وباءوا بغضب من الله قيل فيه
بوجوه قيل باءوا رجعوا وقيل استوجبوا وقيل اقروا وكله يرجع الى واحد وقوله ذلك بانهم
كانوا يكفرون بايات الله قد ذكرنا فيما تقدم ان الايات هي الحجج التي اعطي الرسل واجراها على
ايديهم وقال الحسن هي دين الله وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق يحتمل ان يكون هذا في
غيرهم لانه لم يكن بعد موسى نبي سوى هارون وهم لم يقتلوه الا ان يقال ان ذلك كان من
اولادهم بعد موسى وكان ذلك من غيرهم سوى هؤلاء واولادهم في ان قتل الانبياء في
بني اسرائيل كان ظاهرا حتى قيل قتل في يوم كذا كذا نبيا ولم يذكر قتل رسول من الرسل وذلك والله
اعلم لقوله انا لننصر رسلنا ولقوله انهم لهم المنصورون واخبر انه لم يزل هؤلاء منصورون
ومن كان الله ناصره فهو المنصور ابدا ولان الرسل هم الذين اوتوا الايات المعجزة وانما كانوا
يدعون الخلق الى دين الله بالايات التي كانت للرسل والحجج التي كانت معهم لذلك كان ما ذكر
والله اعلم قال قوم لم يقتل احد من الرسل وانما قتل الانبياء او رسل الرسل فان كان
مثل ذلك يخرج ما ذكرنا من الايات وان لم يكن فالنصر كان بالحجج والايات وكانت تلك بالكل
وفي ذلك دلالة ان كون الايات مع الانبياء وغير كونها فان لم يكن فلما لم يكن لهم ابتداء شرع
ولا نسخ بل في الدعاء الى ما سبق من الشرائع وكانت ايات الرسل او دلالات العصمة
مع ما كانت بهم حفظ الكتب السماوية بلا تبديل والله اعلم بالحق في ذلك ونعتصم بالله عن بسط
اللسان في ذلك التدبير دون شيء ظهر عن الرسل او القول بهم بشيء ان كانت اية لكل
لكن الله تعالى قد اتم حجته لكل في قدر الكفاية والتمام وقوله ان الذين امنوا والذين هادوا
والنصارى الاية قيل ان اليهود والنصارى وهؤلاء جائز ان يكونوا لهم تعلق بظاهر هذه
الاية لانهم كانوا يقولون انا امنا بالله وامنا باليوم الاخر فليس علينا خوف ولا حزن لكن الجواب
لهذا وجوه احدها انه ذكر المؤمنين بقوله ان الذين امنوا ايمانهم ما ذكر في اية اخرى وهو قوله
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين
احد من رسله وهم قد فرقوا بين الرسل فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض فهؤلاء الذين ذكرهم عز
وجل في هذه الاية هم الذين امنوا بجميع الرسل وامنوا بجميع الكتب فاذا كان هذا ايمانهم لم يكن
عليهم خوف ولا هم يحزنون والثاني ذكر الايمان بالله والايمان بالله هو الايمان بجميع الرسل وجميع
الكتب لكنهم لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه في الحقيقة او ان يقال ذكر عمل الصالحات والكفر يحبط
الكل فمن لم يعمل الصالحات لا يتعلق بتعلقهم هذا والله اعلم وقيل في ذلك التقديم والتاخير
كانه قال ان الذين هادوا والنصارى من امن منهم بالله واليوم الاخر والذين امنوا الاية
وللمعتزلة تعلق ايضا بظاهر قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصاحب الكبيرة عليه خوف
وحزن فلو كان مؤمنا لكان لا خوف عليه ولا حزن لانه اخبر ان المؤمن لا خوف عليه ولا حزن فدل
انه يخرج من ايمانه اذا ارتكب كبيرة فيقال لهم لم ينف عنهم الخوف والحزن في كل الوقت فيحتمل ان

يكون عليه خوف في وقت ولا يكون عليه خوف في وقت آخر لان لكل مؤمن خوف البعث ولو عنه حتى
الرسل بقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا لشدة فزعهم عن هول ذلك
اليوم فاذا دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب ذلك الحزن والفزع عنهم فصلي ذلك المؤمن
يكون له خوف في وقت ولا يكون عليه خوف في وقت آخر والله اعلم واختلف في الصابئين قيل
الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويقرؤن الزبور وقيل انهم قوم يعبدون الكواكب وقيل انهم
قوم بين المجوس والنصارى وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس وقيل هم قوم يذهبون مذهب
الزنادقة يقولون بالاثنين لا كتاب لهم فلا علم لنا بعد وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور قد ذكرنا فيما تقدم ان ميثاق الله وعهده في وجهين عهد خلقة وعهد فطرة وعهد
رسالة ونبوة وقوله واذ اخذنا ميثاقكم في التورية ان تعملوا بما فيها فنقضوا ذلك لما اتاهم
الحلال والاحكام والشرائع كرهوا فرفع الله الجبل فوقهم فقبلوا ذلك ويحتمل ما ذكرنا من عهد
خلقة وفطرة فنقضوا ذلك وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة قيل خذوا التورية بالجد والمواظبة
وقيل بقوة يعني بالطاعة له والخضوع ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الاية على تقدم القدرة
الفعل لانه امرهم عز وجل بالقبول له والاخذ والعمل بما فيها فلو لم يعطهم قوة الاخذ والقبول
له قبل الاخذ له والفعل لكان لا يأمرهم بذلك لانهم يقولون لا قوة لنا على ذلك فدل انه قد
اعطاهم قبل ذلك لكنه غلط عندنا لانه لو اعطاهم القوة قبل الفعل ووقت الامر به ثم يذهب
عنهم فكانما القوة وقت الفعل لكان الفعل بلا قوة اذ من قولهم ان القوة لا تبقى وقتين فدل انها
تحدث بحدوث الفعل لا تتقدم ولا تتاخر ولكن تكون معا ولانها سميت قدرة الفعل فلو
كانت تتقدم الفعل لم يكن لاضافة الفعل اليها معنى والله اعلم والاصل في ذلك ان الله تعالى
قال خذوا ما اتيناكم بقوة ومعلوم ان المراد من ذلك الاخذ بقوة الاخذ ثم فيه وجهان
احدهما ان للاخذ قوة غير التي للترك والثاني انه ذكر الاخذ بقوة فاذا لم تكن معه لم تكن بها
ان ترى ان الوقت اذا تباعد لم يحتمل بما تقدم من القوة اوقاتا فتبطل وقتا واحدا وقوله
واذكروا ما فيه قيل فيه وجوه قيل اذكروا واحفظوا ما فيه من امره ونهيه ولا تضيعوه
لعلكم تتقون المعاصي والمآثم ويحتمل اذكروا ما فيه من التوحيد والايمان لعلكم تتقون الشرك
والكفر ويحتمل اذكروا ما فيه من الاحكام والشرائع ويحتمل الثواب والعقاب والوعد
والوعيد وكله واحد وقوله ثم توليتم من بعد ذلك يعني من بعد القبول وان هذا على انهم
كانوا قبلوا ذلك مرة قيل ان نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم بها فلما اتاهم وراوا التشديد فيه
والمشقة ابوا قبولها وتركوا العمل بما فيها من الاحكام والشرائع فخوفوا برفع الجبل فقبلوا
ذلك والله اعلم وقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته يحتمل وجوها فضل الله الاسلام ورحمته
القرآن وقيل فضل الله عليكم محمد صلى الله عليه وسلم بعث اليكم رسولا ليجمعكم ويؤلف بينكم
ويدعوكم الى دين الله الحق بعد ما كنتم في فترة من الرسل وانقطاع من الدين والعلم ويحتمل
فضل الله عليكم لما انجاكم من العذاب ولم يرسل عليهم الجبل والامانة الذي اتم انتم وقيل
فضل الله عليكم لما اعطاهم الكرامة ووفقهم في قبولها والا كنتم من الخاسرين والخاسر
المغبون من نقص وقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فيه دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم قال ولقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم الذين اعتدوا منكم
في السبت ولا كان اعلم ما فعل بهم ثم علم ذلك فانما علم بالله عز وجل لانه لم يكن قراه كتابكم

ولا كان يختلف الى احد ممن يعرف ذلك فبالله عز وجل عرف ذلك وبه علم انه رسول
الله اليكم ويحتمل قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة اي علمتم
ما اصاب اوليك باعتدائهم يوم السبت بالاصطياد وكنتم تقولون نحن ابناء الله واحباؤه
يعني ابناء رسل الله واحباؤه فلو كان كما تقولون لم يكن ليجعلهم قردة وهي اقبح خلق الله
واوحشه اذ مثل ذلك لا يفعل بالاحباء والابناء او ان يحمل على التحذير لهولاء فيلا يكذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يعصوه في امره فيصيبكم ما اصاب اوليك بتكذيبهم موسى وعصيانهم
امره والله اعلم ثم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان والله اعلم لما قيل ان موسى صلى الله
عليه وسلم اراد ان يجعل يوما لله خالصا للطاعة له والعبادة فيه وهو يوم الجمعة فخالفوا
هذا امره وقالوا نجعل ذلك يوم السبت لانه لم يخلق فيه فحرم الاصطياد في ذلك اليوم
لذلك وحولوا قردة عقوبة لهم لما لم يقفوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا على ذلك
تاويل قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة وقيل اختلفوا فيه نعم في
الله ثم اختلف في قوله كونوا قردة قال قوم قوله كونوا قردة من الامل على ذهاب الانسانية
منهم وقيل حول جوهرهم الى جوهر القردة في انتهاء الانسانية بهم من الفهم والعقل
لانه قيل ان الذين كانوا ينهونهم عن الاصطياد في ذلك اليوم دخلوا عليهم فيقولون لهم الم
ننهكم عن ذلك ونزجركم فاومؤا اليهم برؤسهم بقيت على خدودهم فلو كان التحويل
على ذهاب جميع الارمسة منهم لكان لا يفهمون ذلك ولا يرموا على ما اصابهم لان لكل ذي جوهر
وارض بجوهره الذي خلقه الله فيرضاه ولان تحويلهم الى القردة عقوبة لتمردهم في التكذيب
وحزاؤهم في الله ليعلموا ذلك ويروا انفسهم اقبح خلق الله واوحشه وفيه نقض قول المعتزلة
لانهم يقولون ليس في خلق الله قبيح فلو لم يكن في خلق الله قبيحا لم يكن للتحويل صورهم من صورة
الانسان الى اقبح صورة معنى ليروا انفسهم عقوبة لهم بما عصوا امر الله ودخلوا في
نهيه وقوله فجعلناها نكالا قيل الهاء راجعة الى القرية التي كانوا فيها وقوله لما بين
يديها من اهل القرية وما خلفها ما حوليها وقيل اراد بالهاء القرية لما بين يديها من القرى وما
خلفها من القرى وقيل اراد بالهاء العقوبة والنكال لما بين يديها يعني لما مضى من الذنوب
وما خلفها يعني ما بقي والله اعلم وقوله خاسئين قيل الخاسي الصاغر وقيل الخاسي الذليل
وقيل البعيد وكله يرجع الى واحد والله اعلم وقوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قيل قتيل قتل في بني اسرائيل والقي على باب غيرهم فتنازعوا فيه واختلفوا
فامر الله نبيه موسى ان يذبحوا بقرة فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها
ذلك الميت فيحيى فيقول من قتلني قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
قال قوم منهم كفروا بهذا القول لانهم سموه هازئا ومن سمى رسولا من الرسل هازئا كفر الا
ترى انهم قالوا في الاخير الآن جئت بالحق دل ان ما قاله لهم اول مرة ليس بحق عندهم وليس
هذا ابين ولا يحتمل ما قالوا ولكن يحمل على المجازاة كانهم قالوا اتجازينا بهذا لما مضى منا
وسبق من العصيان بك والخلاف لك لما لم يعلموا انه من عند الله يامر بذلك وهذا اذا امثاله
على المجازاة جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر كله على المجازاة جائز وكقول
نوح لقومه انا نسخر منكم كما تسخرون على المجازاة كذلك الاول وانما الاستهزاء فيما بين الخلق
فهو جهل يسخر بعضهم ببعض لجهل باحوال انفسهم اذ كلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة والتركيب

الجوارح وتصوير الصورة تمثيلها الا ترى ان موسى اجاب لهم عن الهزو بالجهل فقال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين وذلك ان الهزؤ في الخلق بجهل فيهم وبالله التوفيق ثم استدل قوم بهذه الاية
على عموم الخطاب وقت ورود السمع لانه امر بذبح بقرة لم يبين لهم كيفيتها ولا ما بيتها وقت الخطاب
الا بعد البحث والسؤال عنها فثبت انه على العموم الا ترى ما روي في الخبر لو عمدوا الى ادنى
بقرة لاجزتهم لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا لا يصح لانه دعوى على الله تعالى
نحو في امره ونهيه وفي حكمه فذلك كفر لا يحتمله مسلم فضلا عن ان يقوله رسول من الرسل ثم قيل هذا
انه قال انه يقول كذا فلو كان الاول على غير ذلك لكان لا تزيد الا فيما عرف فشرط بما لم يكن
اراد وذلك معنى البدا بل معنى الرجوع عن الاول بما اراد والتغيير له بغيره ولا قوة الا
بالله ثم في الاية دليل خصوص الخطاب من وجهين احدهما احد كل اية خرجت في الظاهر على العموم
حق الخصوص والثاني جواز تاخير البيان عن وقت الامر به لما ذكرنا انها لو حملت على العموم
وهو مرادها ثم ظهر الخصوص بتزييد وحدوث في الاحكام والشرايع فذلك كان من جهل العواقب
والنهايات تعالى الله عن ذلك ومعنى سوالهم بدعا الرب لهم البيان بما اريد جل وذلك ايه توقع
عندهم ان لا كل بقرة تصلح للايات ولذلك لم يرد لهم موسى عن تغييرها اذ الله تعالى هو الذي
يعلم الايات والحرف الثاني من الاول الذي قلنا انه ان عرف المراد في الابتداء لما يوجبه وان
الامر بالذبح في الابتداء كان على ما آل امرها اليه وظهر لكنهم امروا بالسؤال عنها والبحث
عن احوالها ليصلوا الى المراد فيه لانه احدث لهم ذلك بالسؤال وعلى ذلك ما روي في الخبر
ان صلة الرحم تزيد في العمر اي لما علم من عبده انه يصل رحمه جعل مدة عمره اكثر مما لو علم
انه لا يصل لانه يجعل الاجل الى وقت فاذا وصل رحمه زاد على ذلك لا على ما يقوله المعتزلة
ان الله تعالى يجعل لكل احد اجلين فاذا وصل رحمه اماته في ابعد الاجلين واذا لم يصل جعل
اجله الاول فهذا امر من يجهل العواقب فاما من كان عالما بالعواقب فلا لانه بدو ورجوع
عما تقدم من الامر ثم من استدل بهذه الاية بقبول قول اولياء المقتول وهم لا وجه احدها
ما لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح منه ان فلانا قتلني في قطع حق الميراث والغرام الدية
والثاني ان ذلك كان اية عظيمة لهم لم يكن ذلك لغيرهم والثالث ان اوليا المقتول قد كانوا
قبل ان يجيء يدعون عليهم القتل فلو كان لهم حق القبول لم يحتج الى تلك الاية والرابع ان قبول
قول الميت احق من قبول قول الولي لان الولي ينتفع بقوله والميت لا ينتفع بقوله شيئا ثم
القتيل لا يقبل قوله في شريعتنا فكذلك الولي والله الموفق ثم وجه جعل البقرة اية دون
غيرها من البهائم وجهان احدهما ما روي ان رجلا كان بارا بابيه يحسن اليها مشفقا عليها
وكانت له بقرة على تلك الصفة والشية فاراد الله عز وجل ان يوصل اليه في الدنيا جزاء ما كان
منه بمكان والده والثاني انهم كانوا يعبدون البقر والعجاجيل وحبب ذلك اليهم كقوله
واشربوا في قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الله وطاعته فاراد الله ان يمتحنهم بذبح
ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة والانقلاع عما كان في قلوبهم من حب العبود والعجاجيل
والله اعلم وقوله لا فارض يقول ليست بكبيرة ولا بكر ولا شابة عوان بين ذلك بين الشابة
والكبيرة وقيل لا فارض لا كبيرة على ما ذكرنا ولا بكر اي ولا ما تلد عوان بين ذلك اي قد
ولدت بطنا او بطنين وقوله صفراء قيل الصفراء الذي تضرب الى السواد وذلك بعيد
وقيل الصفراء من الصفرة المعروف وقوله فاقع لونها قيل صاف تسر الناظرين تعجب الناظرين

وقيل فاقع لونها صفراء الظلف والقرن والله اعلم وقوله لا ذلول تثير الارض قيل لم
يذللها بالعمل اي لم يزرع عليها ولا سقي بها حتى عليها الحرث وقيل لا ذلول تثير الارض اي نفرة
وحشية صعبة تثير الارض ولكن اثارة الارض لم تذللها للعمل بها ويحتمل ما وقوله وما
كادوا يفعلون قيل فيه بوجه ما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا الظهور القاتل وقيل
وما كادوا يفعلون لغلا ثمنها والاول اقرب والله اعلم وقيل انهم استقصوا في صفة تلك
البقرة والسؤال عن احوالها والاستقصا في الشي ربما يكون للمدافعة والله الموفق وقوله
وانا ان شاء الله لمهتدون وقوم موسى مع غلظ افهامهم ودقة عقولهم اعرف بالله واجهل توحيدا
من المعتزلة لان هولا قالوا ان شاء الله لكانوا من المهتدين والمعتزلة يقولون قد شاء الله ان
يهتدوا وشاء واهم ان لا يهتدوا فغلبت مشيتهم على مشية الله على قولهم فنعوذ بالله من
السرف في القول والجهل في الدين وفي قوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وقيل لابي حنيفة
رحمه الله واصحابه انه من حلف لا ياكل لحم بقرة فاكل لحم ثور يحنث لان الله تعالى ذكر البقرة
ثم بين في اخره ما يدل انه اراد به الثور بقوله لا ذلول تثير الارض والثور هو الذي يثير
الارض ويسقي الحرث دون الانثى منها لذلك كان الجواب على ما ذكر الا ان يكونوا اهل كانوا يحرثون
بالانثى منها كما حرث اهل الزمان بالذكر فحينئذ لا يكون فيه دليل لما ذكرنا والله اعلم واذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون في الاية دليل مراد الخصوص وان خرجت في
الظاهر مخرج الخصوص العموم لانه قال عز وجل قتلتم وانما قتله واحد وقال والله مخرج
ما كنتم تكتمون وانما كان كتمه الذي قتله لذلك قلنا ان لا ينصرف مراد الاية الى العموم بلفظ
العموم ولا الى الخصوص بلفظ الخصوص الا بعد قيام الدليل والبرهان على ذلك والله الموفق
وقوله فقلنا اضربوه ببعضها قال بعضهم يعني بفخذها الايمن لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن
الله تعالى ولكن نقول ببعضها بعد دعا في الكتاب وقوله كذلك يحيي الله الموتى اي هكذا
يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون احياه بضرب بعض البقرة عليه وكذلك قوله والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك
النشور وكما احيا الارض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء لقادر على احياء الموتى وبعثهم على الوجه
الذي لا يعلمون ولا يتوهمونه والله اعلم ويحتمل احياء ذلك القتيل لهم لما لم يكونوا الحاقوا
على احياء الموتى فاراهم عز وجل ذلك ليحاقوا وليستشهدوا على ذلك ولا يضطروا به والله
اعلم ويريكم اياته يحتمل يريكم ايات وحدانيته ويحتمل يريكم ايات احياء الموتى وايات البعث
ويحتمل اياته فيما تحتاجون اليه كما اريتم نقدمكم عند حاجتهم ويحتمل يريكم اياته ايات نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم اذ هو مخبر عن الغيب واوضح ايات الرسالة الخبر عن الغيب وذكر القصة على
الوجه الذي يعلم ان لا اختراع لا يبلغ ذلك ليعلموا انه بالله علم اذ لم يذكر له خط كتاب ولا
اختلاف الى من عنده علم انه لو كان مصنوعا منهم يجري على مثل القول بالزيادة والنقصان
ولكن منعهم الله عن ذلك اذ علموا صدقه اشفاقا على انفسهم ان ينزل عليهم نقمة الله وقوله
لعلكم تعقلون لكي تعقلوا آيات وحدانيته وتعقلون انه قادر على احياء الموتى بعد الموت
وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ضرب الله لقلوبهم مثلا بالحجارة
وشبهها بها لشدتها وشدة صلابتها وانما اخذ قسوة من الحجارة وذلك ان الحجارة مع
صلابتها وشدتها تمايع فتنفذ اشيا بالفهم والعقل عنها وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع

كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقوله فلما تجلى
ربه للجبل الاية وقلب الكافر مع وجوه اسباب اللين وسعة هيبة القبول لا يخضع له ولا يلين
وكذلك اخبر الله عز وجل ان الجبال انها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله وتكون الجبال
كالعهن المنفوش وقلب الكافر لا يلين ابدا وان قيل ان الله عز وجل جعل من الجبال منافعا
للخلق مع صلابتها وشدتها حتى يتفجر منه الانهار والمياه وقلب الكافر مع احتمال ذلك وامكانه
لا منفعة منه لاحد وبالله التوفيق ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها بها
دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما وذلك والله اعلم ان الحديد تلينه
النار وكذلك الصفر حتى يضرب منها الاواني والحجر لا تلينه النار ولا شيء لذلك شبه قلب الكافر
بها وهذا والله اعلم في قوم علم الله انهم لا يومنون ابدا وقوله وما الله بغافل عما تعملون خرجت
على الوعيد ابلغ الوعيد والوعظ حيث ذكر هو علمه بما يعملون وقوله افتطمعون ان يومنوا
لكم قيل الاية وان خرجت على عموم الخطاب فالمراد منها الخصوص وهو رسول صلى الله عليه
وسلم والى هذا ايذهب اكثر اهل التفسير وقيل ان المراد منها بعموم الخطاب العموم وهو النبي
والنبي واصحابه وكانها خرجت على النهي عن طمع الايمان منهم كانه قال لا تطمعوا في ايمانهم كقوله
افانت تنقذ من في النار اي لا تنقذ وكقوله افانت تسمع الموتى اي لا تسمع الموتى وقوله
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه الاية لقائل ان يقول اي حجة فيما كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ما يجب ان يرفع الطمع عن ايمان هولاء فنقول والله اعلم
لوجهين احدهما انهم كانوا اصحاب تقليد كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
فاخبر عز وجل ان هولاء ان راوا الايات العجيبة فانهم لا يومنون ابدا لانهم اصحاب تقليد لا ينظرون
الى الحجج والايات والثاني انهم مع كثرة ما عاينوا من الايات وشاهدوا من العجايب في عهد
رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم لم يطمع في ايمانهم فكيف طمعتم انتم في ايمان هولاء وهم
ابناوهم والله الموفق ولهذا وجهان اخران احدهما كانه قال لا تطمع في ايمانهم لانهم في علم الله
على ما عليه من ذكر والثاني لان اوليك كانوا اجرا من هولاء وارغب في الحق منهم ثم لم يومنوا مع
سماع الحجج وتحب به الايمان فكيف تطمع في ايمان هولاء وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
انه من عند الله ويعلمون انه رسول الله وانه حق وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قد
ذكرنا فيما تقدم انها في المنافقين نزلت وقوله واذا خلا بعضهم الى بعض يحتمل وجهين يحتمل خلا
بعض المنافقين الى بعض قالوا اتحدثونهم وتكذبا ويحتمل خلا المنافقين الى اليهود وقوله
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم قيل فتح الله قضى الله وقيل فتح الله بين الله وقيل فتح الله قضى
الله وقيل من الله عليكم في التوراة وكله يرجع الى واحد وقوله ليحاجوكم به اي باعترافكم عند
هولاء ويحتمل على اضمار رسول الله عليه السلام كانه قال ليحاجوكم باقراركم عند رسول الله
ويحتمل على معنى ليحاجوكم به عند ربكم اي في ربكم اذ العرب تستعمل حروف الخفض بعضها في
موضع بعض ويحتمل عند ربكم اي يوم القيامة ويكون ليحاجوكم بما عند الله اي بالذي جاءكم
من عند الله لكن لقائل ان يقول ما معنى ذكر المحاجة عند ربكم والحاجة يومئذ لا تكون الا عند
ويكون ليحاجوكم بها عند الله اي بالذي جاءكم من عند الله قيل لان ذلك اشد الخصام واقبح
كما انا لما سبق منهم الاقرار بذلك لذلك نفوا عن ذلك لا غير كانوا ينهون اولئك عن الاقرار
بالايمان عند المومنين والظهار وما في التورية من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته

وقوله افلا تعقلون ان هذه حجة لهم عليكم حيث تقرون به وتظهرون نعته وصفته ثم
لا تتابعونه ويحتمل افلا تعقلون انه حق وقوله اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون قيل ما يسرون
في الخلوة من الكفر به والتكذيب له وما يعلنون لاصحابه من التصديق له والايمان به وقيل
ما يسرون من كتمان نعته وصفته وما يعلنون من اظهار نعته وصفته الذي في التورية ويحتمل
ما يسر هولاء لهولاء النهي عن اظهار ما في التوريه وما يعلن هولاء للمومنين من اظهار نعته وصفته
والله اعلم وقوله ومنهم اميون لا يعلمون يقول من اليهود من لا يقرا التورية ولا يعرفها
ان لا تحدثهم العلماء والرؤساء منهم والامي الذي لا يكتب ولا يقرا عن كتابة لكنه يقرا لا عن
كتابة كالنبي عليه السلام كان لا يكتب ولا يقرا عن كتابه كقوله ولا تخطه بيمينك وقيل الامي
الذي لا يقرا ولا يكتب لا عن كتابة ولا غير كتابه وقوله الا اماني قيل احاديث باطلة يحدث لهم
وهو قول ابن عباس وقيل الاماني يعني الاكاذيب وقال الكسائي الاماني الا بالتلاوة كقوله الا
اذا تمنى القى الشيطان في امنيته يعني في تلاوته وقوله وان هم الا يظنون يقول ما هم الا
يظنون في غير يقين والمسلم انهم لا يعلمون علم الكتاب انما عندهم اماني النفس اشتهوها كقوله
ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم قيل الويل الشدة
وقيل الويل واد في جهنم وقيل الويل هو قول كل مكروب وملهوف يقول ويل له وكذا وقوله
يكتبون الكتاب بايديهم يحتمل وجهين يحتمل يكتبون يمحون نعته وصفته عن التورية ويحتمل
يكتبون يحدثون كتابة على خلاف نعته وصفته ثم يقولون هذا من عند الله فيكون الكتابة في
هذا اثبات كقوله كتب في قلوبهم الايمان والمثبت هو ذلك المطلق يظن انه كذلك في الاصل
وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون ذكر لهم ثلاث ويلات ويلا باحداث كتابتهم نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومحوه وتغييره والثاني بقولهم هذا من عند الله والثالث وويل لهم مما يكسبون
من الماكلة والهدايا وقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اجمع اهل التفسير
والكلام في الايام المعدودة المذكورة في هذه الاية انها ايام عبادة العجل وذلك لا معنى
له لوجهين احدهما ان هولاء لم يعبدوا العجل وانما عبد اباوهم فلا معنى لصرف ذلك الى هولاء
والثاني لو صرف ذلك الى اباءهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم قد تابوا وعفوا عن
ذلك فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل بعد التوبة والرجوع الى عبادة الله كقوله الا الذين تابوا
فيقولون لهم ما قد سلف والله اعلم وصرف الايام المعدودة الى العمر الذي عصوا فيه لما لم يروا
التعذيب الاعلى قدر وقت العصيان والذنب او لما لم يكونوا يرون التخليد في النار ابدا ولما
هم عليه انفسهم كما اخبر الله عنهم بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكقولهم نحن
ابناء الله واحباؤه يقولون انا لا نعذب ابدا انما نعذب تعذيب الاب ابنه او الحبيب حبيبه
فيعذب في وقت قليل ثم يرضى ويدخل الجنة ولكن عقوبة الكفر ابدا والتخليد فيها لا لوقت
وكذلك ثواب الايمان للابد لا لوقت لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد لا لوقت فعلى
ذلك جزاؤه للابد لا لوقت واما من ارتكب ذنبا من المسلمين لشهوة تغلبه في وقت فيرتكبه
ثم يتركه فانما يعاقب ان عوقب على قدر ما ارتكب في وقت لانه لم يرتكبه للابد لذلك افترقا
والله اعلم وقوله قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده والعهد يحتمل عندكم
خبر عن الله تعالى بانكم لا تعذبون ابدا ولكن اياما معدودة فان كان ذلكم هذا فهو لا يخلف وعده

٥١

والثاني اتخذتم عند الله عهدا اي لكم اعمال صالحة عند الله فوعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده
اي ليس لكم واحد من هذين لا خبر عن الله بانه لا يعذبكم ولا اعمال صالحة وعدكم بها الجنة وقوله
ام تقولون على الله ما لا تعلمون هذا اكذاب من الله عز وجل اياهم من كذب القول كانه قال
بل تقولون على الله ما لا تعلمون الا ترى انه قال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته يقول
من كسب سيئة يعني شركا واحاطت به اي مات عليها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يموتون
فيها ولا يخرجون منها وقيل واحاطت به بقلبه وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية
قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل قد ذكرنا عهد الله وميثاقه انه
يكون على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد رسالة ونبوة وقوله لا تعبدون الا الله يحتمل وجهين
يحتمل لا تجعلون الالوهية الا لله ويحتمل نفس العبادة اي لا تعبدون غير الله من الاصنام
والاوثان وغيرها وقوله وبالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما ولطفا لهما وخفض
الجناح ولين القول لهما كقوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة الاية وكقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا وان قيل ان الامر بالاحسان فيما بين
الخلق يخرج مخرج الافضال والتبرع لا على الوجوب واللزوم غير ان الاحسان يجوز ان يكون
الفعل الحسن نفسه كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالاحسان
الى الله تعالى وفعل الحسن فرض واجب على كل احد والثاني ان الاحسان اليهم يجوز ان يكون من
حق الله عليهم وحق الله عليهم لازم وعلى ذلك صلة القرابة والمحارم والانفاق عليهم من حق الله
عليهم وهو لازم فهذا المتعلق على الشافعي قوله انه لا يوجب النفقة الا على الوالدين ولا يلزم في
الاباء والامهات في القرابة ولا يستوفيها الا المحتم بذلك انه اراد به غير الوالدين والله اعلم
وقوله واليتامى والمساكين يحتمل على النفل من الصدقة والفرض جميعا وقوله وقولوا
للناس حسنا يحتمل وجوها يحتمل لا تكتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته ولكن
اظهروها ويحتمل الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله ويحتمل المراد به الكل كل شيء وكل قول اي
لا تقولوا الا حسنا والله اعلم وقوله واقيموا الصلاة يحتمل الاقرار بها والقبول لها ويحتمل
اقامتها في مواقيتها بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها ويحتمل ان كونوا في حال تكون لكم الصلاة
والتزكية وقوله واتوا الزكاة يحتمل الوجوه التي ذكرناها في الصلاة وقوله ثم توليتم الا قليلا
منكم الاية ظاهرة وقوله واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا الميثاق والعهد في غير موضع وقوله
لا تسفكون دماءكم يحتمل وجهين اي لا تسفكون دماء غيركم فيسفك دماءكم فتصيرون كانكم سفكتم
دماءكم ويحتمل لا يسفك بعضكم دماء بعض كقوله فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض وذكر
نقض العهد في هؤلاء وان كان في اوائلهم لوجهين احدهما لما رضي هؤلاء بفعل اباءهم والثاني بقولهم
انا وجدنا اباءنا على امة الاية وقوله ولا تخرجون انفسكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ولا تخرج
بعضكم بعضا ويحتمل لا تخرجوا غيركم من ديارهم فيخرجوكم من دياركم على ما ذكرنا في قوله لا تسفكون
دماءكم والله اعلم وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون يحتمل ثم اقررتم بالعهد والميثاق
وانتم تشهدون انه في التوراة وقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم يحتمل الوجهين
الذين ذكرتهما في قوله لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وقوله تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
عليهم يعاون بعضكم بعضا بالاخراج وهو الظلم والعدوان وهو محرم عليكم اي وذلك الاخراج
محرم عليكم وقوله وان ياتوكم اسارى تفادوهم الاية وان كانت مؤخرة في الذكر فهي متقدمة

٥٢

كانه قال لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وان ياتوكم اسارى تفادوهم وقوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض امنوا بالمفاداة من الاسارى وكفروا بالاخراج وسفك الدماء
ويحتمل الايمان ببعض ما في التوراة وكفروا ببعضها وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته اذ
لم يكن على موافقة مرادهم ويحتمل ان فادوا الاسارى هم من غيرهم وسبوا واسروا بعضهم وقوله
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا قيل الخزي في الدنيا اجلاء بني النضير من ديارهم
واخراجهم الى الشام وقيل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وذلك بحرب وقع بينهم والله اعلم
ويحتمل قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ولكن لا يبالون في الدنيا بل
تردون الى اشد العذاب في الاخرة وان استوجبوا ذلك في الدنيا كقوله انما نؤخرهم ليوم الاية
وقوله وما الله بغافل عما تعملون وعيد قد ذكرنا ذلك فيما تقدم وقوله اولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالاخرة يحتمل انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وبعثه فلما بعث
على خلاف مرادهم كفروا به فذلك اشتراء الحياة الدنيا بالاخرة ويحتمل ابتغاء اختيار الضلال
على الهدى والحياة الدنيا على الاخرة من غير ان امنوا به والله اعلم وقوله ولقد اتينا موسى
الكتاب يعني التوراة وهو كما هو وقوله وقفينا من بعده بالرسل قيل وقفينا اردفنا بعض
من العقب تعقيبا يعني قيل اتبعنا رسولا على اثر رسول كقوله واتبعنا بعضهم بعضا واحدا على اثر
واحد وقوله واتينا عيسى ابن مريم البينات قيل البينات والحجج وقيل العجائب التي كانت تجري
على يديه من خلق الطين واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانباءهم بما ياكلون وما يدخرون
وقيل البينات الحرام والحلال ثم الرسل في انفسهم حفظا وحججا فلم يحتج الى كل قول يقولون بدليل
وبيان على صدقهم لانهم في انفسهم حجة واما سائر الرسل فلم يثبت الحجج في انفسهم فلا بد لكل قول يقولون ان
ياتوا بدليل يدل على صدقهم وبيان يظهر الحق من الباطل والصواب من الخطا والصدق من الكذب
وبالله التوفيق وقوله وايدناه قويناه بروح القدس اختلف فيه قيل روح القدس جبريل وفي
الاصل القدوس لكن طرحت الواو للتخفيف وتاييده هو ان عصمه على حفظه حتى لم يدنوا منه شيطان
فضلا ان يدنو التهمة والله اعلم وقيل ايدناه بروح القدس يعني بالروح روح الله وجه اضافة
روح عيسى الى الله عز وجل تعظيما له وتخصيصا وذلك ان كل خاص اضيف الى الله عز وجل
اضيف تعظيما له كذلك النبي وتفضيلا له كما قيل لموسى كليم الله ولعيسى روح الله ولابراهيم
خليل الله على التعظيم له والتفضيل واذا اضيف الجملة الى الله عز وجل فانما يضاف تعظيما له عز
وجل وتنزيها كقوله رب السموات والارض اضيف ذلك اليه تعظيما وتنزيها والله الموفق والاخطر
في ذلك ان خاصية الاشياء اذا اضيف ذلك اليه تعظيما لتلك الخاصية واذا اضيف جمل الاشياء
الى الله تعالى تخرج على تعظيم الرب والتبجيل له وقوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون في ظاهر هذه الاية انهم كذبوا فريقا من الرسل وقتلوا فريقا منهم
ويقول بعض الناس انهم قتلوا الانبياء ولم يقتلوا الرسل بقوله انا لننصر رسلنا ويقول انهم
قتلوا المنصور دون اخوانه بنصره ومن كان الله ناصره فلا يقتل ومنهم من يقول قتلوا الرسل
والانبياء جميعا يحتمل قوله انا لننصر رسلنا في رسول دون رسول ووقت دون وقت ومن نصره الله فهو
لم يقتل او كان ما ذكر من النصر لهم كان بالحجج والايات ثم في الاية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم ونبوته لانه اخبرهم بتكذيب بعض الرسل وقتل بعضهم فسكتوا عن ذلك فلولا انهم عرفوا
انه رسول عرف ذلك بالله والا لم يسكتوا عن ذلك وقوله وقالوا قلوبنا غلف يعني في اكنة عليها

انعطافا لانهم ما نقول ولا نفقه ما تحدث يدعون ذلك الخطاب عن انفسهم كراهية
لما سمعوا فانكرهم الله تعالى بقوله بل لعنهم الله اي طردهم الله بكفرهم وعتوهم وتعنتهم
في تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واعتنادهم وابائهم لان قلوبهم بمحل لا يفهمون على
ما تخاطبون في ما يزعمون ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها وقيل في قوله قلوبنا غلف يعني
اوعية فهم وعي ما يقال وتخاطب لكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث فلو كان حقا وصدقا
لفهمت ووعيت عليه يدعون ابطال ما يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك نحو
ما قالوا لشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وقوله فقليلا ما يؤمنون قيل فيه وجهين قيل فقليلا
اي فقليل ما يؤمنون من التورية لانهم غيروا نعته وصفته وحرفوه فلم يؤمنوا به وقيل
فقليلا اي فقليلا منهم يؤمنون بالرسل صلى الله عليهم وسلم وقوله ولما جاءهم كتاب من عند
الله مصدق لما معهم فلولا انهم عرفوا ان هذا الكتاب هو موافق لما معهم من الكتاب غير مخالف
له والا لاظهروا الخلاف له وعرفوا ذلك ولتكلفوا في اخفاء هذا النور ودفعه فدل سكوتهم
عن ذلك وتركهم اشتغالهم بذلك انهم عرفوا انه نعته لما معهم من التورية ففيه اية نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستفتحون
يستنصرون على الذين كفروا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انصرنا
بحق نبيك الذي تبعثه فلما لم يجئ على هواهم ومرادهم كفروا به فلعنة الله على الكافرين
وقوله بئسما اشتروا به انفسهم يقول اشتروا ما به هلاكهم بما به نجاتهم وذلك انهم
كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فكان ايمانهم به نجاتهم في الاخرة فكفروا به وذلك
هلاكهم وبالله التوفيق وقيل بئسما باعوا به انفسهم بعوض يسير من الدنيا بعذاب في الاخرة
الشديد وقوله بغيا قيل حسدا منهم وذلك انهم قد هووا ان يبعث محمد صلى الله عليه
وسلم من اولاد اسرائيل لانهم كانوا امنه فلما بعث من اولاد اسماعيل والعرب كانت من
امته كفروا به وكتموا نعته حسدا منهم ما انزل الله من فضله يعني النبوة والكتاب على محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بغيا اي ظلما ظلموا انفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وتكذيبهم اياه وقوله فباءوا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله بغضب على غضب يحتمل وجهين
قيل استوجبوا الغضب من الله بكفرهم بمحمد على اثر غضب بكفرهم بعيسى وبما جاء به وقيل
استحقوا اللعنة على اثر اللعنة بعصيان بعد عصيان وذنب على اثر الذنب والله اعلم و
واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من القران قالوا نؤمن بما انزل
علينا يعني التورية وهم لم يكونوا امنوا بالتورية لانهم لو كانوا امنوا بها لكان في الايمان بها
ايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه وايمان بجميع الانبياء والرسل وبجميع
ما انزل عليهم لان فيها الامر بالايمان بجميع الرسل وكتبهم لانه قال مصدقا لما معهم وموافقا له
فالايمان بواحد منها ايمان بجميع الكتب وبعضها موافق لبعض وقوله ويكفرون بما وراءه
قيل وراءه التورية كفروا بالانجيل والفرقان كانه قيل كفروا بالذي وراءه وهو الحق وهما
موافقان لما معهم غير مخالف له ويحتمل ويكفرون بما وراءه يعني وراء موسى بعيسى وبمحمد صلى
الله عليه وسلم كانه قال من وراءه صلى الله عليه وسلم وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين فان قالوا انا لم نقتل الانبياء ونحن مؤمنون قيل لهم انكم وان لم تتولوا القتل
فقد رضيتم بصنيع اوليك واتبعتم لهم مما قد هموا بقتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارا والكف

اي بعث اليهود قيل اخبر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم غاية سفههم وعتوهم ومكابرتهم
في تكذيبه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الايمان به وبما انزل عليه فقالوا
ائتنا بالايات والقربان كما كانت الانبياء من قبل يأتون بها قومهم فقال الله عز وجل قد كانت
الانبياء من قبل تجيء بما تسألون الى اباءكم من الايات والقربان فكانوا يقتلونهم فيقول الله عز
وجل لمحمد قل لهم لم تقتلونه يقول لم قتل اباؤكم انبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد
جاءوا بالايات والقربان ان كنتم صادقين بان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى
يأتينا بقربان تأكله النار وقد جاءوا به فلم قتلوهم فهو والله اعلم اشهر احد واحد المحاجة
من اوليكم وان علموا انما ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث واستر نقلة ونقد
نقلك ونقولوا وتحتم كما قلد توهم وان علمتم بما غابت بشواهد لا حجة لكم والله اعلم وقوله
ولقد جاءكم موسى بالبينات والبينات ما ذكرنا فيما تقدم من الايات المعجزة والحجج العجيبة
والبراهين الظاهرة في رسالته ونبوته وصدقه ما يدعوهم اليه مما يدل كله انه من عند الله
ثم مع ما جاءهم موسى بها عبدوا العجل واتخذوه الها وكفروا بالله يعزي نبيه صلى الله عليه
وسلم لئلا يظن انه اول مكذب من الرسل ولا اول من كفر به حتى لا يضيق صدره بما يقولون
ويستقبلونه بما يكره وبالله التوفيق كقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك
وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا هذا ايضا
فيما تقدم ما فيه مقنع ان شاء الله تعالى وقوله واسمعوا يحتمل وجهين يحتمل اسمعوا اي اجيبوا
ويحتمل اسمعوا اطيعوا لكن هذا فيما بين الخلق جائز السمع والطاعة واما اضافة الطاعة
الى الله عز وجل لا يجوز ان يقال اطاع الله واما السمع فانه يجوز لقوله سمع الله لمن حمده قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك لكن قوله وعصينا لم يكن في اثر قولهم سمعنا ولكن بعد ذلك
باوقات لانهم قيل لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد والاحكام رفع الله الجبل فوقهم
فقبلوا خوفا من ان يرسل عليهم الجبل وقالوا اطعنا فلما ازيل الجبل وعاد الى مكانه نقضوا
ذلك قالوا وعصينا وهو كقوله ثم توليتم من بعد ذلك فالتولي منهم كان بعد ذلك باوقات وقوله
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قيل اشربوا اي جعل في قلوبهم حب عبادة العجل بكفرهم بالله
عز وجل وقيل سقوا حب العجل وقيل ان موسى لما احرق العجل ونسفه في اليم جعلوا يشربون
منه لحبهم العجل وقيل لما احرق ونسف في اليم جعلوا يلحسون الماء حتى اصفرت وجوههم وقيل
انهم لما رأوا في التورية ما فيها من الشدائد قالوا عند ذلك عبادة العجل علينا اهون مما فيها
من الشرائع وكله يرجع الى واحد وذلك كله اتخاذ الحب وقوله قل بئسما يأمركم به ايمانكم قيل
قل يا محمد بئسما يأمركم ايمانكم بالعجل الكفر بالله عز وجل وقيل ان اليهود ادعوا انهم مؤمنون
بالتورية فقال قل بئسما يأمركم ايمانكم بالتورية اذ كفرتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد وجدتموه
فيها نعته وصفته وقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت وذلك ان اعداء الله تعالى كانوا يقولون ان الجنة لنا في الاخرة بقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وكقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وكقولهم نحن ابناء
الله واحباؤه فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة كما
تزعمون وانكم ابناء الله واحباؤه كما تقولون فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وذلك ان المرء لا يكره
الانتقال الى داره وراحته بل يتمنى ذلك وكذلك المرء لا يكره القدوم على ابيه والى حبيبه

ولا على حبيبه ولا يخاف نقمته ولا عذابه بل يجد عنده الكرامات والهدايا فان كان كما تقولون فتمنوا
الموت حتى تنجوا من غموم الدنيا ومن تحمل الشدائد فيها اذ كنتم صادقين في زعمكم بان الاخرة لكم وانكم
ابناء الله واحباؤه فان قيل انكم تقولون ان الاخرة للمؤمنين ثم لا احد منهم يتمنى الموت اذا قيل له
تمن الموت فما معنى الاحتجاج عليهم بذلك وذلك في المؤمنين كهو عليهم قيل لو جعل احد منهما ان
المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والمنزلة عند الله ما جعلوا هم لانفسهم فكان في تمنيهم
صدق ما ادعوا لانفسهم وفي الامتناع عن ذلك ظهور صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني
ما ذكرنا انفراد عما اضافوا ابناء الله واحباؤه وفي تمنيهم الموت وذهوده ممن فيفضوا الى الحبيب
والاب الذي ادعوه ولا احد يرغب ويفر عن حبيبه وابيه فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم في
دعاويهم وبالله نستعين فان سالونا عن قوله فتمنوا الموت انهم اذا تمنوا الموت كان انتقاصا عمرهم
بدون الاجل الذي جعل لهم وفي ذلك تقديم الاجال عن الوقت الذي كان اجلا قال تعالى لا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون قيل ان علم الله منهم في سابق علمه انهم لا يتمنون جعل اجلهم
ذلك ولو علم منهم انهم يتمنون الموت لكان يجعل اجلهم ذلك في الابتداء وكذلك هذا الجواب
لما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر انه كذلك يحتمل في الابتداء لان يجعل اجله الى وقت ثم اذا
وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل او ينقص ويتمنى الموت عن الاجل المجعول المضروب له وبالله التوفيق
وقوله ولن يتمنوه ابدا فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه اخبر انهم
لا يتمنونه ابدا فكان كما قال فدل انه من عند الله علمه ذلك وقوله بما قدمت
ايديهم من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحسد له وهو والله اعلم
قد عرفوا عن صنيعهم وما لهم من عند الله من العذاب والجزاء لكنهم قالوا ذلك على التعنت
والمكابرة والسفه لذلك لم يتمنوا والله اعلم وقوله والله عليم بالظالمين هو في الوعيد
كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم ويحتمل عليم بالظالمين بما يتمنعهم
الحج ويظهر كذبهم في الدنيا ولئلا يظن احد انه عن غفلة بما يعملون خلقهم بل على علم منه بما يعملون
خلقهم ليعلم انه لا ينفع له تخلقهم خلقهم وان ذلك لا يضره وقوله ولتجدنهم يعني اليهود احرص
الناس على حياة وعلى كراهية الموت فدل حرصهم في حياة الدنيا انهم كذبة فيما يزعمون
ويدعون وقوله ومن الذين اشركوا يعني المجوس اي هم احرص الناس على حياة الدنيا من المجوس
لان المجوس لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة وهم يؤمنون بها فهم مع ايمانهم بالبعث والتصديق بهم
بالقيامة احرص على حياة الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيامة وقيل انه
على الابتداء والايتاب يقول ومن الذين اشركوا يعني المجوس يود احدهم لو يعمر الف سنة لانهم
يقولون فيما بينهم الف سنة تاكل النيروز والمهرجان ويقولون بالفارسية هزار سال بزه
فاخبر الله تعالى ان طول العمر في الدنيا لا ينجيه من العذاب في الاخرة ولا يباعده عنه وهو قوله
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وهو كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وقوله والله بصير بما يعملون هو في الوعيد ايضا
وقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا وذلك ان اليهود قالوا
كان الذي ينزل على محمد بالوحي ميكائيل لتابعناه ونؤمن به لان ميكائيل هو الذي ينزل الغيث
والرحمة وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد فهو عدو لنا لذلك لا نتبعه وفي جهة
العداوة بينهم وبين جبريل وجه آخر وهو انهم قالوا ان جبريل ارسل بالوحي والرسالة في اولاد

اسرايل

اسرايل لكنه اتى بها الى اولاد اسمعيل عداوة لنا وبغضا له لذلك نصبوا العداوة بينه وبينهم
والله اعلم بذلك فاكذبهم الله تعالى بزعمهم فقال نزله على قلبك باذن الله لا كما يقول اليهود وما
ينزل من العذاب والشدائد انما ينزل بامره لا من تلقاء نفسه وذاته ثم كان اعتقادهم عداوة
جبريل لاعتقادهم عداوة الله عز وجل لكنهم لم يجترؤا على عداوة الله في التصريح فدل انهم على الكناية
عن عداوة الله تبارك وتعالى ويدل هذا في ان الروافض طعنوا في رسول الله حيث طعنوا في
قوله نزله على قلبك باذن الله يقول ابا طيبة ان القرآن لم ينزل في رسول الله عليه السلام
بالاحرف التي نقراها ولكنه الهام نزل على قلبه ثم هو يصوره ويرسمه بالحروف ويعبر به
بالعربية التي نقراها فلو كان في ما يقولون لزال موضع الاحتجاج عليهم بما اتى به معجزا لقولهم انما
يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اذ كان لهم ان يقولوا انزل
على لسان العجمي لكنه يعبر ذلك بلسانه وكذلك قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به مخافة التفلت
والذهاب به وكذلك قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه فدلت هذه الايات كلها
في بطلان قولهم وفساد مذهبهم وتعديهم عن دين الله المستقيم وقوله وهدى وبشرى للمؤمنين
هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين بالجنة وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
الاية يحتمل افتتاح العداوة به دونهم لا في التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن
الماب لديه كقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول معنى اضافته ذلك اليه على
التعظيم له والافضال لديه في جعل ذلك لله معنى والا فعلى وكذلك معنى افتتاح العداوة به على ما ذكرنا
والله اعلم وقوله ولقد انزلنا اليك ايات بينات فيها بين فيها من الحلال والحرام وما يؤتى
وما يتقى وما ينهى وما يؤمر ويحتمل الايات التي انزلها عليه لتبصر بها في المعاندين له والمكابرين والله
اعلم وقوله اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم يحتمل العهود التي اخذت
عليهم في التورية ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا به فنبذوا الايمان اذ اخذ عليهم
ان لا يكتموا نعته وصفته الذي في التورية لاحد فنبذوا ذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود
التي اخذت عليهم ثم في الاية دلالة جعل القرآن حجة لانه قال نبذه فريق منهم ولو كان في كتبهم
ما ادعوا من الحجة والاتباع لاتوا به معارضا لدفع ما احتج به عليهم ثبت انهم كانوا كذبة ولما
جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من الكتاب اي نعته الذي
كان في التورية موافق لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عادوه
بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية والقرآن واخذوا الكتاب
السحر الذي كتبته الشياطين ويحتمل ان محمدا لما جاءهم كان موافقا لما مضى من الرسل غير مخالف
لهم لان الرسل كلهم امنوا به وصدق بعضهم بعضا وقوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله يحتمل كتاب الله التورية في ما ذكرنا ويحتمل كتاب الله القرآن والله اعلم وقوله
كانهم لا يعلمون اي يعلمون ولكن تركوا العلم به والايمان بما معهم كانهم لا يعلمونه لما لم ينتفعوا
بعلمهم خرج فعلهم فعل من لا يعلم اخبر انهم نبذوا نبذ من لا يعلم لا انهم لم يعلموا ولكن نبذوه
عنادا وتعنتا والله اعلم وقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين قيل يتلوا اي كتبت الشياطين
من السحر وقيل يتلوا من التلاوة وقيل ما يتلو ما يروي الشياطين من السحر وهو قول ابن عباس
وهو يرجع الى واحد والاية في موضع الاحتجاج على اليهود لانهم ادعوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ عن سليمان صلى الله عليه فان كان كفرا فقد كفر سليمان فاخبر عز وجل نبيه صلى الله

عليه وسلم ان سليمان ما كفر ولكن الشياطين كفروا بما علموا الناس من السحر ويحتمل لكن اتباع
الشياطين كفروا باعتقادهم السحر وعملهم به فنسب ذلك الى الشياطين
بما بهم كفروا كما نسبت عبادة الاصنام الى الشياطين بما بهم عبدوا والله اعلم وروي عن ابن عباس
قال كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم وكان يكتب كل شيء بامر سليمان ويدفن تحت
كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا
الذي كان يعمل به سليمان فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه
حتى انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية وقال بعضهم ان الشياطين
ابتدعت كتابا من السحر والامر العظيم ثم افشته في الناس وعلمتهم اياه فلما سمع بذلك سليمان
تتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهية ان يتعلمها الناس فلما قبض نبي الله سليمان عليه السلام
عمدت الشياطين الى تلك الكتب فاستخرجوها من مكانها وعلموها الناس واخبروهم انه علم كان
سليمان يكتمه ويستأثر به دونهم فبرأ الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر الاية وقيل ايضا لما مات سليمان وقع
في الناس اضطراب واختلاف فقال الناس لو كان سليمان حيا لكان عنده من هذا فرج فظهرت
الشياطين لهم فقالوا انا نحن ندلكم على ما كان يعمل به سليمان فكتبوا كتبا فجعلوها في البيوت فاستخرجوا
الكتب التي كتبت لهم الشياطين من السحر والسجع فقالوا هذا ما كان يعمل به سليمان فانزل
الله عز وجل وما كفر سليمان الاية فلا ندري كيف كانت القصة غير ان اليهود تركت كتب الانبياء
والرسل واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم اليه من السحر والكفر وبالله التوفيق وفيه دلالة
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بما اخبرهم عن نعتهم على ما كان فدل انه كان عرف ذلك بالله عز وجل
وفي ذلك ان قد نسب الى سليمان ما برأه الله عنه من غير ان يبين ماهيته ذكره الله لوجهين دلالة
لرسوله وتكذيبا للذين نحلوه بما هو كفر وقوله على ملك سليمان اي في ملكه اذ كان ذلك في الوقت
هو وقت ظهوره ثم سخر الله لسليمان فامكن ذلك منهم القاء على السن المعاندين لسليمان في
الشيء وقوه عنه قبل الوفاة فكذبهم الله وبرأه عن ذلك وبين كيف كان بدؤه فاما بيانهما
للخلق فلا يتبعوا في الرواية كل من لقي اليهود اذ قد يكون من امثالهم اختراع الرواية والزام السامعين
الامور المعتادة من الرسل ورد ما لا يوافق ذلك من الرواية ولذلك ابطل اصحابنا خبر الخاص فيما يلي
به العامة وقوله وما انزل على الملكين قيل وما انزل على النبي والجحد منظوما على قوله وما
كفر سليمان وقيل وما انزل على الملكين والذي انزل على الملكين ببابل وقيل سميت بابل لما
تبلبلت به الالسن يعني اختلفت فلا يعلم ذلك الا بالسمع ثم اختلف في هاروت وماروت
فقال الحسن لم يكونا ملكين ولكنهما كانا رجلين فاسقين متمردين وذلك ان الله عز وجل وصف
الملائكة بالطاعة له والائتمار بامره بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وكقوله لا يسبقونه
بالقول الاية وكذلك يقول الحسن في ابليس انه لم يكن من الملائكة وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم
ثم عارض نفسه بقولهما فلا تكفر فقال ان المخبر عن مثله اذا عرف وقوع السامع به وما يترتب
مثله على العلم منه انه يفعل ولا يرتدع عن ذلك يقال ذلك له ترغيبا منه والله اعلم ومنهم من
يقول كانا ملكين لكنهما علما الاسم الاعظم فيتعلمان به الحوائج اي ان حل بهما ما حل وبهذا احتج
في تلعثم بقوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الاية ثم
اختلف فيه هذا على اوجه قال بعضهم لم يكن ذلك منهما سحر بل هو تفويق الفرقة يفرق عليه

وقال

وقال ما يلون ان ما انزل على الملكين انزل كلاما حسنا صوابا لكنه خلط بالذي تلتهم الشياطين
فصار سحرا وقال آخرون بلى كان هو شبه سحر يعلمان الناس ذلك لكنه لا ينهى عن تعليمه ولكن
يكفروا الذي تعلموا انما نهي عن الاعتقاد له فكان كالكفر الذي يعلم لا ينهى عن ذلك لانه ما لم يعلم لم
يعلم قبحه وفساده ولكن انما ينهى عن الاعتقاد له فكان كالكفر الذي في تعليمه والله اعلم ثم
يقول ان قولهما لا تكفر على الاخبار منهما وكلمة السحر جارية عليهما في اللسان من غير منع فيما فيه والله
اعلم وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله قيل الا بعلم الله وقضائه وقيل بخذلانه
وتخليته وقيل بمشيئة الله وارادته واما ظاهر الاذن فهو يخرج على الاباحة فالقتل به نفسه
وقيل انه لا يصل الى هاروت وماروت احد من بني آدم وانما يختلف بينهم شيطان في كل سنة
والله اعلم ثم ان السحر يكون على وجهين سحر يكفر به صاحبه فان كان ذلك منه بعد الاسلام يقتل به
صاحبه لانه ارتداد منه وسحر لا يكفر به صاحبه فلا يقتل به الا ان يسعى في الارض بالفساد
من قتل الناس واخذ الاموال فهو كقاطع الطريق حكمه حكمهم من القتل وما يليه من العقوبات واذا
تاب قبلت توبته الا ترى ان سحرة فرعون لما رأوا الآيات آمنوا بالله وتابوا توبة لا يطمع مثل
تلك التوبة من المسلم الذي نشأ في الاسلام حيث اوعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل
والصلب وانواع العذاب فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وذكر عن ابي حنيفة رحمه
الله في الساحرة انها لا تقتل مرة وذكر عنه مرة انها تقتل وقال في الساحر يقتل في الحالتين فاما
ما روي عنه بالقتل بعلا السحر فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر فهو كالساعي في الارض
بالفساد لا بعين السحر او كفر بسحره بعد الاسلام فيقتل كالمرتد عن الاسلام وما ذكر عنه انه
لا يقتل فهو اذا لم يكن سحره سحر كفر ولا سعي بالقتل في الارض لم يقتل به ثم قوله في الساعي في
الارض بالفساد انه اذا تاب قبل ان يقدر عليه سقط عنه القتل فكذا الساحر واما الذي
هو لاجل الكفر يلزم القتل قبل التوبة بعد القدرة عليه وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة
ايضا فيما قال انها لا تقتل لما كان سحرها سحر كفر والنساء لا يقتلن بالكفر وفيما قال
يقتلن فلانهن يقتلن بالسعي في الارض بالفساد كالرجل والله اعلم وقال بعض الناس
لا تقبل توبة الساحر وهو غلط والاحرى ان تقبل توبة الساحر اذ هو ابلغ في تمييز ما هو حجة مما
لا حجة وهذا امر الاصل ان المدعي للنبي على عهد الانبياء اذا استقبلهم بمثله الانبياء فهو احق
من يلزمهم الايمان به لعلمهم بالمؤمنة والعوام منهم لا يعرفون الا ظاهر ما يلزمهم من تصديق
الحجج والله اعلم وقوله ويتعلمون ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في آخرتهم وقوله ولقد
علموا يعني اليهود في التوراة لمن اشتراه يعني اختاره للسحر وقيل يتعلمون ما يضرهم في آخرتهم
ولا ينفعهم ان عملوه ولقد علموا لمن اشتراه يقول لقد علمت اليهود ان في التوراة انه لمن اختار
السحر وقوله في الآخرة من خلاق يقول نصيب في الثواب وقيل ما له في الآخرة من جاه
عند الله ووجه وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم اي بئس ما باعوا به انفسهم يعني اليهود
الذين يعلمون الفرقة والسحر وقيل ما شروا به يقول ما باعوا به انفسهم من السحر والكفر
يعني من لا يقبلوا التوراة او يعني انه لو كانوا يعلمون ما باعوا به انفسهم ولكنهم لا يعلمون
اي لو علموا انهم باعوا انفسهم من العذاب الاليم لعلموا انه بئس ما باعوا به ولو انهم
آمنوا بتوحيد الله واتقوا الشرك والسحر لمثوبة يقول لو كان ثوابهم عند الله خيرا من السحر
والكفر لو كانوا يعلمون ولكنهم لا يعلمون صم لا ينتفعون به وهو كقوله صم بكم عمي لا يبصرون ولا يتكلم

ولا عمي في الحقيقة ولكنهم صم من حيث لا ينتفعون به اذ الحاجة من العلم والبصر والسمع
الانتفاع به فاذا ذهبت المنافع بها كان كمن لا سمع معه ولا بصر له ولا سمع حيث لا ينتفع
ولا عمل به والله اعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا قيل كانت
الانصار في الجاهلية يقولون هذا لرسول الله عليه السلام فنهاهم الله تعالى ان يقولوها وقيل
كانت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا من الرعونة من قولك للرجل يا ارعن وللمراة يا رعناء
وكان الحسن يقراها راعنا بالتنوين وقال الكلبي كان في كلام اليهود راعنا سبا قبيحا
يسب بعضهم بعضا فاتوا نبي محمدا فيقولون راعنا ويضحكون فنهى المؤمنين عن ذلك لئلا [illegible] لهم
وقوله وقولوا انظرنا قيل فهمنا [illegible] بين لنا وقال مقاتل اي انتظرنا وقيل ان الامر بالانتظار
يقع موضع المنتفع في النظرة لوجهين بالصحبة مرة وبالخطاب ثانيا فقولهم انظرنا لما لا يبلغ
افهامنا القدر الذي يعني ما نحا طلبا به والثاني على قصور عقلهم عن ما يستحقه من الصحبة والاجلال
له صلى الله عليه وسلم فاما الامر براعنا فنهوا عنها لاني الظاهر بالمراعاة وذلك يخرج على الكبر عليه
وترك التواضع له والخضوع وقوله واسمعوا اي اجيبوا له وقيل اطيعوا له وقيل واسمعوا
اي اسمعوا او عوا وقوله ما يود اي ما يود وما يتمنى الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى
ولا المشركين ما يود هو ان ينزل عليكم من خير من ربكم يحتمل وجهين احدهما انهم كانوا يودون
ويحبون ان يبعث الرسول من اولاد اسرائيل وهم كانوا من نسله فلما بعث من اولاد اسمعيل على
خلاف ما احبوا وهووا لم يطب انفسهم بذلك بل كرهت وابت اشد الاباء والكراهية والثاني
لم يحبوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم التي كانت لهم في الرياسة بخروجه صلى الله عليه وسلم والله
اعلم وقوله من خير قيل الخير النبوة وقيل الخير الاسلام وقيل الخير الرسول ههنا والله اعلم
وقوله والله يختص برحمته من يشاء الاية تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان على الله
ان يعطي لكل الاصلح في الدين في كل وقت وكل زمان فلو كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولا
وجه والثاني قال والله ذو الفضل العظيم والمفضل عند الخلق هو الذي يعطي ويبذل
ما ليس عليه لا ما عليه لان من عليه شيء فاعطاه او قضى ما عليه من الدين لا يوصف بالافضال فدل
انه استوجب ذلك الاختصاص وذلك الفضل لما لم يكن عليه ذلك ولو كان عليه لكان يترك
ذو العدل لا ذو الفضل وبالله التوفيق وقوله ما ننسخ من اية او ننسها قال بعض اهل
الكلام ما ننسخ من اللوح المحفوظ او ننسها نذهب عنها في اللوح وقيل ما ننسخ من اية اي نرفع باية اخرى
او ننزلها في الاخرى وقيل ما ننسخ من اية نرفع حكمها والعمل بها او ننسها اي نترك قراءتها وتلاوتها
فيجوز رفع عينها ويجوز رفع حكمها واتباعها لا وجه احدها ظهور المنسوخ فيبطل قول من انكر
النسخ او جحد من انكر ذلك فانما انكر لجهل بالمنسوخ لان النسخ بيان الحكم الى وقت لا النقض على
البداء على ما قالت اليهود والثاني ان للتلاوة فيها فضل كما للعمل فيجوز دفع فضل العمل وبقاء
فضل التلاوة والثالث في حل الاول في حالة الاضطرار والثاني في وقت السعة كقوله حرمت
عليكم الميتة ثم يجوز ان يرفع عينها فينسى ذكرها كما روي عن عمر انه قال كنا نعدل سورة الاحزاب
بسورة البقرة حتى رفع منها ايات منها الشيخ والشيخة فارجموهما البتة واما قوله نات بخير
منها او مثلها فاختلف فيه قيل نات بخير منها اي اخف واهون على الابدان كقوله وعلى الذين
يطيقونه ان الامر بالصوم كان لوقت دون وقت اذ رجع الحكم عند الطاقة الى غيره وكذا
ما كان من الحكم في تحريم الاكل عند النوم والجماع وكذا تحريم الميتة لم يرد فيها الاباحة والحل

حزب

عند الضرورة لكن نعرفه بالحرمة وذلك اخف واهون والله اعلم وقيل نات بخير منها
في الثواب في العاقبة وقيل نات بخير منها في المنفعة او مثلها في المنفعة وقيل نات بخير منها
او مثلها لكم به الخير فيحق الاتباع والمثل في حق الامر ثبت ترك اصحاب المنكرين للنسخ في حق
الاعتبار بالمثل ويفعلونه بظهور الاخير وهو كالصلاة الى بيت المقدس كان لهم مثل ما لليهود
في حق الاعتبار ما كان ظهر لهذا لا خير في وقت ظهور الامر وابهم الخبر وظهر عنده لمن ابى ان
اتباعه لم يكن لاجل حق المتابعة بل لما كان عنده الحجة فاما من حمله خيرا على البدل فاستدل بما
الاخير رخصة واباحة والاباحة [illegible] وهما التخفيف ومن استدل على ان النسخ اجر ابو د
على ما هو الغلظ نعوض بقوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت فابدل بعقوبة اشد
من الاول وهو الرجم بقوله حدا على حدا [illegible] ويحتمل قوله نات بخير منها وجها اخر وهو انه
والايات هي الحجج فيكون معناه ما نرفع من حجة ننسيها عن الابصار الا نات بخير منها يعني اقوى
منها في الزام الحجة او مثلها ولا شك ان ما يعرض هو اقوى حالة الاعتراض في لزوم الحجة على
ما غابت عن الابصار فيكون قوله نات بخير منها في هذا التاويل اي نات بحجة هي اقوى واكثر
من الاولى او مثلها في القوة فان قيل ما الحكمة في النسخ وما وجهه قيل لحكمته يمتحن بها الخلق
والله ان يمتحن خلقه بما يشاء في اي وقت شاء يامر بامر في وقت ثم ينهى عن ذلك ويامر باخر
وليس في ذلك خروج عن الحكمة ولا كان ذلك منه لبداء ينشا له بل لم يزل عالما بما كان ويكون
حكيما يحكم بالحق والعدل فنعوذ بالله من الشرك في القول وقوله الم تعلم ان الله على كل
شيء قدير يحتمل ان يكون الخطاب له عليه السلام والمراد بالخطاب الذين سبق ذكرهم في قوله
ما يود الذين كفروا الاية انه قادر على انزال الخير على من يشاء واختصاص بعض على بعض
وتفضيل بعضهم على بعض ويحتمل ان يكون المراد في الخطاب له على حقيقة العلم لكن التذكير
والتنبيه اي تعلم انت ان الله على كل شيء قدير وهو كقوله فاعلم انه لا اله الا الله في حقيقة العلم
له ويحتمل على الاعلام والاخبار لقومه وقد ذكرنا ومعنى ذلك يخرج قوله الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض اي من كان يملك ملك السموات والارض يملك تخصيص بعض على بعض
وتفضيلهم فهذا يحكم فيها بما يشاء ويحدث من الامر ما اراد والله اعلم ويحتمل قوله على اثر نوازل
لم نذكرها وذلك في القران كثير وانما يقال هذا الحرف عند ضيق القلب تسكينا له ومعنى
تخصيص السموات والارض بالملك له لمنتهى علم الخلق فيها والا كان له ملك الدنيا والاخرة
وبالله التوفيق وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يدل هذا على انه خرج على
اثر نوازل وان لم نذكر وقوله ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل سؤال
تعنت لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقيل اهل مكة سالوا ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما سال قوم موسى موسى وقيل سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الصفا لهم
ذهبا ان كان ما يقوله حقا وقيل سؤالهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكان ذلك منهم
سؤال تعنت لا سؤال استرشاد واهتداء وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان قيل اختار
الكفر بالايمان وقيل من يختار شدة الاخرة على رخائها وسعتها وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه ومن يشتر الكفر بالايمان وذلك كله واحد وقوله فقد ضل سواء السبيل قيل عدل
عن الطريق وقيل عدل عن قصد الطريق وقيل اخطا قصد طريق الهدى وكله واحد
وقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا انهم كانوا يجهدون كل

٦١

جهدهم حتى يصيروا مرتدين ودّوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الإسلام إلى ما هم عليه
كفرًا كقوله ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وكقوله إن تطيعوا
فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وقوله يردوكم على أعقابكم الآية وذلك
والله أعلم لخوف فوت رياستهم التي كانت لهم وذهاب منافع الدنيا لهم من الأتباع والسفلة
فودّوا وأرادوا ردّهم إلى دينهم ثم احتج المعتزلة علينا بظاهر قوله حسدًا من عند أنفسهم
قالوا دلت الآية على أن الحسد ليس من عند الله بما نفاه عز وجل عنه وأضافه إلى أنفسهم بقوله
حسدًا من عند أنفسهم قيل صدقتم في زعمكم بأن الحسد ليس من عند الله وكذلك نقول ولا يجوز
إضافة الحسد إليه بحال ولكن نقول خلق فعل الحسد من الخلق وكذلك يقال في الأنجاس من
الأقذار والخبائث والعقارب ونحوها أنه لا يجوز أن تضاف إلى الله تعالى فيقال
يا خالق الأنجاس والخبائث وإن كان ذلك كله خلقه وهو خالق كل شيء فعلى ذلك نقول بخلق فعل
الحسد وفعل الكفر من العبد ولا يجوز أن يضاف إلى الله ثم يقولون في الطاعات والخيرات
كلها إنها من عند الله غير مخلوقة فليس كانت العلة في الذي لا يكون مخلوقًا أنه ليس هو من
عنده فيجب القول بخلقه ما هو من عنده ثم لم تقولوا به فبان أن ما يقولون خاصيته باطل
ليس بشيء ثم جهة الحسد ما ذكرنا أنهم حسدوا أن تكون الرسالة فيهم أو أن يكون من عنده سعة
كقوله لولا أنزل عليه كنز وكقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فلهذين
الوجهين يخرج حسدهم وقوله من عند أنفسهم أي من قبلها لا أن الله أمرهم وكذلك يضاف
إلى الله تعالى بأنه من عنده بما خلق ولكن بما أمر ولا يلزم نكيرها ألا ترى أن الأجسام كلها والجبال
والدنيا ليس كلهم مخلوقة وإن لم يجز نسبتها إلى الله بمعنى أنه من عنده كذلك ما ذكر من الحسد
على أنه معلوم أنهم لم يكونوا يدعون من دون الله خلقًا فذلك الوجه ينكر عليهم بل كانوا يدعون
الأمر في كل ما نسب إلى الله تعالى فعلى ذلك ورد العتاب والله أعلم وقوله من بعد
ما تبين لهم الحق أي بين لهم في التوراة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي وأن دينه الإسلام
كقوله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقوله فاعفوا واصفحوا احتملا النهي عن مكافأة ما يؤذونه
في الدنيا ثم لم ينسخ وقيل فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي الله في ذلك ثم جاء بقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله الآية وقيل حتى يأتي الله بأمره أي بعذابه والله أعلم وقوله وآتوا الزكاة
كرر الله عز وجل الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في القرآن بكرات أكثر ما كانت لا تخلو
سورة إلا وذكرهما فيها في غير موضع وذلك لعظم شأنهما وأمرهما وعلو منزلتهما عند الله
وفضل قدرهما وفي ذلك جعلهما شريعة في الرسل السالفة صلوات الله عليهم ألا ترى إلى
قول إبراهيم رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وقوله لموسى وهارون أن تبوءا لقومكما
بمصر بيوتًا إلى قوله وأقيموا الصلاة وقول عيسى وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا
وقوله وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وذلك والله أعلم أن الصلاة قربة
فيما بين العبد وبين ربه تجمع جميع أفعال الخير وفيها غاية منتهى الخضوع له والطاعة من
القيام بين يديه والمناجاة له والركوع له والسجود على الأرض وتعفيرًا لوجه حتى لو أن أحدًا
ممن خلص دينه لله لو أعطي ما في الدنيا أن يعفر وجهه في الأرض لأحد من الخلق ما فعل وبالله
التوفيق والزكاة فيما بين العبد وبين الخلق لتألف القلوب واجتماعها وفيها إظهار
الشفقة لهم والرحمة لذلك عظم الله شأنهما وشرف أمرهما وأعلى منزلتهما وعلى ذلك قرنهما

٦٢

بالإيمان في المواضع كلها وأثبت بين الخلق الأخوة بينهما بقوله فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة فإخوانكم في الدين ثم هما مكرمان بالعقل لأن الصلاة تجمع جميع أنواع خيرات الأفعال وفيها
غاية الخضوع له والخشوع على ما ذكرنا وذلك مما يوجبه العقل وإن لم يرد به السمع وكذلك الزكاة
فيها تزكية الأنفس وتطهيرها وذلك مما في العقل أحسن فإن قيل ما الحكمة في وجوبها قيل الجهاد
ما أنعم الله عليه من الأموال والصحة بها وما أعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الآفات
تخرج مخرج الأجر وأداء شكر ما أنعم عليهم عز وجل فإن قيل ما الحكمة في وجوبها فيما أعطي منها
من النفس والمال دون غيره قيل لأن الوجوب من جهة يخرج مخرج المعاوضة والمبادلة لا مخرج
أداء الشكر والله أعلم ثم الحكمة في إيجاب الصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات أن الله تعالى
أكرمهم بنعمه فيما فضلهم بالجوهر وسخر لهم جميع ما في الأرض وبسط عليهم النعم حتى صار كل منهم
لا يبغض غيره من غير أن يستحقه منهم شيئًا من ذلك لذمهم الشكر علينا ثم كانت الصلاة تجمع استعمال
جميع الجوارح فيما لله فيها القيام بما شكر الله مع ما فيها توقيف أحوال نفسه بالاختيار بما هي عليه
بالاضطرار والخلقة والقلب بالنية والخوف والرجاء وإحضار الذهن والعقل بالتعظيم
والتبجيل ليكون كل شيء منه في شكره لما له فيه من سبوغ النعمة والله أعلم وكذلك بالأموال فضلوا
في هذه الدنيا واستمتعوا بها في العيش فأمروا بالإخراج لله منها إذ سخرت هذه الأرض بما فيها
لجميع البشر إذ من ذلك فضلة من لم تملك العيش وأبى الاستمتاع بالتسخير لهذه الوجوه التي جعل
الله لهم في ذلك صلاح الدارين ولا قوة إلا بالله وقوله وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند
الله الآية تخرج على خلاف قول المعتزلة لأنهم يقولون إن من ارتكب كبيرة ثم أقام الصلاة وآتى
الزكاة وجاهد في سبيل الله وحج بيت الله الحرام وقدم خيرات كثيرة فإنه لا يجد ما قدم شيئًا
ولكن يجد ما قدم من شر وذلك ليس من فعل الكريم والجواد ولا كذلك وصف الله نفسه بل وصف
نفسه على خلاف ما وصفوا من قوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم
وهم يقولون لا يتقبل منهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز عن سيئاتهم فهذا ذلك سرف في القول
نعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله وبالله العصمة والتوفيق وقوله إن الله بما
تعملون بصير بما قدمتم من الخير والشر بلطفه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر ورغبة
منه لهم بالخيرات والله أعلم وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى يحتمل هذا وجهين
يحتمل أن قالوا ذلك حقيقًا لما أنهم أرادوا أن يروا الموافقة فيما بينهم ليرغبوا في دينهم ويبعدوا
عن دين الإسلام وإن كانوا في الباطن على الخلاف والعداوة ويحتمل أن يكون ذلك القول من كل
فريق في نفسه لا من كل الفريقين جميعًا على الموافقة دليله قوله وقالت اليهود ليست النصارى على
شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء الآية أن ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعًا
على الموافقة ولكن كان من كل في نفسه على غير موافقة منهم ولا مساعدة والله أعلم ثم في الآية
دليل لزوم الدليل على النافي لأنهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم لن يدخل الجنة فطولبوا بالبرهان
بقوله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين أنه لا يدخل فيها سواكم فإن قيل إنهم إذا نفوا دخول غيرهم
فيها ادعوا لأنفسهم الدخول فإنما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا النفي على ما نقول قيل لا يحتمل ذا
لأنهم لم يذكروا الدخول لأنفسهم نصًا إنما نفوا دخول غيرهم وهو كمن يقول لا يدخل هذه الدار إلا
فلان وفلان ليس فيه أن فلانًا وفلانًا يدخلان ولكن فيه نفي غيرهما أو يقول نفوا دخول غيرهم
تصريحًا وادعوا لأنفسهم الدخول مستدلًا وإنما يطلب الحجة على مصرح قولهم لا على مستدلهم إلا

ترى ان الجواب من الله عز وجل بالاكذاب والرد عليهم خرج على ما تمنوا دخول غيرهم فيه قوله بلى يدخل الجنة من اسلم وجهه لله وهو محسن الا ترى الى ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نكاح الا بشهود وليس فيه اثبات النكاح اذا كان شهود ولكن فيه نفي النكاح بغير شهود نصا الا ترى انه قال لا نكاح الا بشهود ولا يقال انه لو قلت اذا النكاح يجوز بالشهود ولكن يقال انه لم قلت انه لا يجوز بغير شهود فعلى ذلك قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ليس فيه اثبات الدخول لهم نصا وفيه نفي دخول غيرهم نصا والله اعلم وقوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قد قلنا انه خرج الجواب الرد عليهم والانكار لحكمهم في الاخرة فقال بل يدخلها من اسلم وجهه لله وهو محسن ثم اختلف في قوله اسلم وجهه قيل اخلص دينه لله وعمله وقيل اسلم نفسه لله وقد يجوز ان يذكر الوجه على ارادة الذات كقوله كل شيء هالك الا وجهه يعني الا هو وقيل اسلم اي وجه امره الى دينه فاخلص وبعضه قريب من بعض اسلم نفسه لله اي بالعبودة كقوله ورجلا سلما لرجل وذلك معنى الاسلام ان تخلص نفسك لله لا تجعل لاحد شركا من عبودة ولا عبادة وقوله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا مستقصيا فيما تقدم وقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فان قيل عابهم بهذا القول وقد امر نبيه في اية اخرى ان يقول لهم ذلك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية قيل انما امر نبيه ان يقول لهم انهم ليسوا على شيء اذا لم يقيموا التورية فاما اذا اقاموا التورية وفيها امر لهم بالاسلام واتباع محمد فهم على شيء ومعنى هذا الكلام والله اعلم ان قال لهم كيف قلتم ذلك وعندكم الكتاب ما يبين لكم ويميز الحق من الباطل ويدفع من بينكم الاختلاف لو تاملتم فيه وتدبرتم ويحتمل ان كل فريق منهم لما قال لهم لو اخر ذلك انهم ليسوا على شيء في نفس وعاديهم وقولهم في الله بما لا يليق وهم على شيء في تكذيب بعضهم بعضا بما قالوا فقيل لما قالت اليهود ليست النصارى على شيء من الدين فانك يا محمد اتبع ديننا فانهم ليسوا على شيء وكذلك قول الفريق الاخر لا ولكن ثم اختلف في الاسلام قيل الاسلام هو الخضوع وقيل الاسلام هو الاخلاص بالافعال وهو ان يسلم نفسه لله او يسلم دينه لا يشرك فيه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قيل لا يعلمون الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب وقيل الذين لا يعلمون هم الذين لا يقرؤون في تلاوة الكتاب ونفيهم مما فيه وهم جهال لهم نسوي عز وجل بينهم في القول من علم منهم ومن لم يعلم لان من علم منهم لم ينتفع بعلمه فكان كالذي لم يعلم شيئا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله صم بكم عمي انهم سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالايات والاسباب التي اعطاهم الله عز وجل والله اعلم وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بالعذاب لاختلافهم فيما بينهم وقولهم في الله بما لا يليق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ومن اظلم فيقول لا احد اظلم لنفسه ولا اوضع لها ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اختلف فيه قيل مساجد الله الارض كلها لان الارض كلها مساجد الله كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا منع اهل الكفر اهل الاسلام ان يذكروا فيها اسم الله وان يظهروا عبادته وقوله وسعى في خرابها هو كقوله ويبغون في الارض فسادا ويحتمل قوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي لا يدخلون البلدان والامصار الا بالخوف او بالعهد كقوله الا بحبل من الله وحبل من الناس وهو العهد ويحتمل قوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه ان يدخلوا

المساجد الا خائفين وجلين لما كانت هي بقاع اتخذت لعبادة الله وتسبت اليه تعظيما لها فدخلوا مخربين لها مانعين اهلها عن عبادة الله فيها وقيل مساجد الله مسجد الحرام وذلك انهم حالوا بينها وبين رسول محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فيها حجة وحجوا من عام ذلك ثم فتح الله عز وجل مكة لهم فصار لا يدخلها مشرك الا خائفا كقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل اراد مساجد الله بيت المقدس قيل ان النصارى استعانوا ابخت نصر وهو ثيلس المجوس حتى خربوا المساجد وقتلوا من فيها من اهل الاسلام ثم بني اهل الاسلام بعد ذلك بزمان مساجد فكان لا يدخل نصراني فيها الا خائفا مستخفيا والله اعلم وقوله لهم في الدنيا خزي قيل الخزي الجزية ويحتمل القتال ولهم في الاخرة عذاب عظيم وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قيل ان رهطا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرا وذلك قبل ان يصرف القبلة الى الكعبة فحضر وقت الصلاة فاشتبه عليهم فتحروا فمنهم من صلى الى المشرق ومنهم من صلى الى المغرب صلوا الى جهات مختلفة فلما تابت لهم ذلك قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوا عن ذلك فنزلت الاية فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا يرجع الى التحري في قوله لانه يتولى ان يصلي الى جهة القبلة بحوده والا فلا وليس في الاية ذكر جهة دون جهة بل فيها ذكر المشرق والمغرب وكذلك في الخبر ذكر المشرق والمغرب فخرج قوله على ظاهر الاية وهذا عندنا في الاشتباه والتحري واما عند العقد فهو قوله فولوا وجوهكم شطره وروي عن ابن عمر رضي الله عنه ان قوله ولله المشرق والمغرب الاية نزلت في النوافل في الاسفار ولكن عندنا هي ما ذكرنا في الكل والله اعلم وقوله فثم وجه الله اختلف فيه قيل ثم وجه الله يعني ثم ما قصدتم وجه الله وقيل ثم قبلة الله وقيل ثم وجه الله شرا الله على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه في ارادة الذات اي الذي هو منهم بغائب وقيل ثم رضا الله وقيل ثم ما ابتغيتم به وجه الله وقيل ثم وجه الرب وحكم الله اذا لم يجئ منكم التقصير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاكل ناسيا انما اطعمك الله وسقاك وقيل فيه ثم علمكم مما قصدتم بفعل الصلاة من وجه الله ورضاه اي اطعمتم به ثم التحري في القبلة ليس اصابة عينها ولكن اغلب الظن واكبر الراي لانه ليس لنا الا اصابة عينها سبيل اذ سبيل معرفتها الاجتهاد لا باليقين ولا حاجة ليس كالمياه والاثواب وغيرها من الاشياء لان هذه الاشياء في الاصل طاهرة والنجاسة عارضة فيظفر باعينها على ما هي في الاصل واما امر القبلة فانما بني على الاجتهاد والقصد دون اصابة عينها والله اعلم وقوله ان الله واسع عليم قيل الواسع الغني وقيل الواسع الجواد حيث جاد عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله وحيث وسع عليهم امر القبلة عليم بما قصدوا ونووا وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه فيه تنزيه نزه به نفسه عما قالوا فيه بما لا يليق وردا عليهم ومعناه والله اعلم ان اتخاذ الولد والتبني انما يكون لاحد وجوه ثلاثة يحوجه الى ذلك اما الشهوات تغلبه فيقضيها به واما الوحشة تاخذه فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من ينتصر به ويستغيث فاذا كان الله عز وجل يتعالى عن ان تمسه حاجة او تاخذه وحشة او يقهره عدو فلا يتخذ ولدا وقوله بل له ما في السموات والارض ردا على ما قالوا ابان من ملك السموات وما فيها وملك الارض وما فيها لا تمسه حاجة ولا يقهره عدو اذ كل ذلك ملك له يجري فيهم تقديره ويمضي عليهم امره وتدبيره وانما يرغب الى مثله اذا اعترضه شيء مما ذكرنا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فان عورض بالحكمة قيل ان الحكمة تقع في غير جوهره

من منع الخلة والولد لا يكون الا من جوهره وان هذا مذهب الحسين والثاني ان الخلة تقع و
لافعال تكتسب وتسبق منه فيعلوا منه ومن تقع من تبت فيستوجب بذلك الخلة بمعنى الجزاء
واما الولد فعاقبة لا يقع عن افعال تكتسب بل بدفعة به استحقاقه يكون من مولده وقد نفى عن نفسه
ما به يكون بقوله اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والثالث ما قاله الرونديي انه لا بد من ان
يدعي الى التسمي او الى التحقيق اذ في الخلة اذ في الخلة تحقيق ما به يبقى ثم لم يحتمل في هذا تحقيق
ما به يبقى والاسم لم يرد به الاذن وبالله التوفيق ويحتمل قوله بل له ما في السموات والارض
وجها آخر وهو ابطال ان ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه فانتم مع شدة حاجتكم
الى الاولاد لا تستحسنون ان تتخذوا عبيدكم واماءكم اولادا فكيف تستحسنون ذلك لله عز
وجل وتنسبون اليه مع غناه عنه وبالله التوفيق وقوله كل له قانتون قيل فيه بوجوه قيل
ان كل من في السموات والارض من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الذين قلتم انه اتخذهم
ولدا قانتون له مقرون له بالربوبية له والعبودية لانفسهم له وقيل قانتون مطيعون اي
كلهم مطيعون متواضعون وقيل القانت هو القائم لكن القائم في وجهين يكون القائم المنتصب
في الاقدام ويكون القائم بالامر والحفظ ثم لا يحتمل ان يراد بالقانت هاهنا المنتصب بالقدم
لرجع الى الطاعة له وحفظ ما عليه وهو كقوله وهو قائم على كل نفس بما كسبت من الحفظ والرزق
ويحتمل تنزيه الخلقة لان خلقة كل احد تنزهه وتبرئه عن جميع ما يقولون فيه او ان يقال كل له
قانتون في الجملة كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله بديع السموات والارض
ابتدعهما ولم يكونا شيئا والبديع والمبدع واحد وهو الذي لم يسبقه احد في انشاء مثله ولذلك
سمي صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه في مثل فعله احد ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا
اتخذ الله ولدا فيقول ان من قدر على خلق السموات والارض من غير شيء ولا سبب كيف لا يقدر
على خلق عيسى من تراب والثاني انه تعالى اخبر ان من له القدرة على خلق ما يصعب ويعظم في اعينكم
بالقليل الاحرف عنه كيف لا يقدر على خلق عيسى من تراب وقوله واذا قضى امرا قيل واذا حكم
حكما فانما يقول له كن فيكون وقيل واذا قضى امرا يعني مضى باهلاك قوم واستيصالهم فانما يقول
له كن فيكون ثم قوله كن فيكون ليس هو قول من الله ان كن بالكاف والنون ولكنه عبارة باوجز كلام
يؤدي المعنى التام المفهوم المراد في لغة العرب كلام اتحقق بحرفين يؤدي المعنى المفهوم اوجز من هذا
وما سوى هذا النوع من الصلات والادوات فلا فهم معنا ما والله اعلم ثم الاية ترد على من يقول
بان خلق الشيء هو ذلك الشيء نفسه لانه قال اذا قضى امرا وذكر امرا وذكر كن فيكون ولو كان التكوين
والمكون واحدا لم يحتج الى ذكر كن في موضع العبارة عن التكوين فيكون فالكن تكوينه يكون المكون
فهذا لانه غيره ثم لا يخلو التكوين اما ان لم يكن محدث او كان في الازل فان لم يكن محدث فاما ان
حدث بنفسه ولو جاز ذلك في شيء لجاز في كل شيء او باحداث آخر فيكون احداث باحداث الى ما لا نهاية
له وذلك فاسد فثبت ان الاحداث والتكوين ليس بحادث وان الله تعالى موصوف في الازل
انه محدث مكون ليكون كل شيء في الوقت الذي اراد كونه فيه وبالله التوفيق وقوله وقال الذين
لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية قيل فيه بوجوه قيل الذين لا يعلمون يعلمون في الحقيقة ولكن تمام
بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم وقيل لا يعلمون توحيد ربهم وهم مشركوا العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
هلا يكلمنا الله او تاتينا اية فيخبرنا بانك رسوله وقيل الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي لا يعلمون انهم
لم يبلغوا المبلغ الذي يتمنون تكليم الله اياهم وقيل لا يعلمون انه قد كلمهم واخبرهم بالوحي والانباء

ورسوله صلى الله عليه وسلم وايات على رسالته لكنهم تعنتوا في ذلك وقوله كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم قيل الذين من قبلهم سوالهم اي مثل ما قالوا لموسى مثل ما قال مشركوا العرب لمحمد صلى
الله عليه وسلم وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقيل اليهود سالوا مثل سوال
النصارى وقيل النصارى سالوا مثل سوال اليهود والله اعلم وقوله تشابهت قلوبهم
قيل تشابهت قلوبهم في المقالة يشبه بعضها بعضا في السوال لا تعنتا لو سوال تعنت لا سوال
مسترشد وقوله كذلك قال الذين من قبلهم يحتمل وجهين احدهما هذا القول والثاني انه في انهم سالوا
سوال التعنت والعتو لا سوال مسترشد لان الله تعالى قد اثبت ايات الارشاد لمن يبتغي الرشد
ولا قوة الا بالله وقوله قد بينا الايات لقوم يوقنون قيل بينا امر محمد صلى الله عليه وسلم بالايات
والحجج التي اتى بها انه رسول لمن امن به وصدقه وعلم بها منه وقوله انا ارسلناك بالحق
قيل انا ارسلناك يا محمد لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد وقيل بالحق بالقرآن وقيل بالحق بالحجج والايات
بشيرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا لمن عصاه وخالف امره بالنار وقيل بالحق الذي لله على الخلق والحق
الذي لبعضهم في بعض لتدعوهم اليه وتدلهم عليه وقوله ولا تسال عن اصحاب الجحيم وجايز
ان يكون بمعنى لا تسال فقد هدا عنهم ولم يذكر انه سيل عنهم فيكون ذلك اية له بما هو خبر عن علم
الغيب قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى هذه
الاية وفيها لغتان لا تسال بنصب اللام وبرفعها ذكرنا ويحتمل وجها آخر اي لا تشتغل باصحاب الجحيم
فان ذلك يشغلك ... وفيها لغة اخرى برفع اللام ولا تسال عن اصحاب الجحيم اي لا تسال
انت يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو كقوله ولا تسالون عما كانوا يعملون وكقوله عليه السلام
ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ونحوه وقوله ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اختلف في الملة قيل الملة السنة كقوله لنبوا اتبعوا في ملة رسول الله
وكقوله واتبع ملة ابراهيم حنيفا وقيل الملة الدين كقوله عليه السلام لا يتوارث اهل الملتين وقيل
الملة هاهنا القبلة وهو كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت
بتابع قبلتهم ايس عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم من اتباعهم اياك دينه وقبلته لانهم يخالفون
الدين والقبلة بهوى انفسهم لا بطلب الحق ولظهور ولزوم الحجة وذلك ان النصارى انما اختاروا
قبلتهم المشرق لان مكان الحبل الذي كان فيه عيسى في ناحية الشرق بقوله اذ انتبذت من اهلها
مكانا شرقيا واليهود اختاروا قبلتهم ناحية المغرب لان موسى صلى الله عليه وسلم كان بناحية الغرب
لما اعطي الرسالة وكلمه ربه كقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر واما اهل الاسلام
فانما اختاروا الكعبة قبلة بالامر لا باتباع الهوى وهو العقل يوجب ان تكون الكعبة قبلة اذ هي
متعبدا للخلق من ادم الى الدنيا فلما احتيج في الصلاة الى التوجه الى وجه كان احق ذلك الموضع الذي
جعل للخلق متعبدا احرى ثم قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اخبر عز
وجل رسوله انه ليس في وسعك ارضاهم لا لاختلافهم في الدعاوي في الملك فان قيل كيف نهى رسوله
عن اتباع ملتهم في غير ... انه لا يتبع قيل لان العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفعها بل المحنة انما تقع في
العصمة لو ... ان عصمته لما مضى لا توجب عصمته في الحادث والثاني انه احق من نهي
عن الاشياء من اكرم بالعصمة اذ هي زوال النهي يرتفع عنه جهة العصمة لانه يصير يرفع النهي مباحا
فلهذا اذ ان القول على نهيه اياه وهو وان كان في الاصل معصوما عنه وبالله التوفيق وفي ذلك
الامر والنهي اذ له فايدة العصمة لان العصمة هو ان يعتصم في الامر حتى يؤديه وفي النهي حتى يتقي

عنه وبالله التوفيق وقيل ان الخطاب لامته والنبي ان الله مائية العصمة **قوله** قل ان هدى الله هو
الهدى قيل ان دين الله الذي اختاره اهل الاسلام بالامر واتباع الايات والحجج هو الدين لا كما
اختاروا ولكنه بهوى انفسهم واستقبالا للايات والحجج بالرد والانكار والمعاندة ويحتمل ان
يكون الخطاب في قوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم والبيان اصحابه ومن
دخل في دينه وصدقه لا هو وذلك كثير في القرآن يخاطب هو والمراد غيره **وقوله**
ما لك من الله من ولي ولا نصير ظاهره من ولي يتولى الدفاع عنك ولا نصير يمنعك من العذاب
ويحتمل ينصرك فتغلب به سلطان الله فيما يريد تعذيبك **وقوله** الذين اتيناهم الكتاب
قيل الكتاب اراد به التوراة او الانجيل وقيل اراد به القرآن ومن حمله على التوراة والانجيل
قال فيه اضمار واذا كان هكذا فكانه قال الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون
به اي اذا تلوا حق التلاوة يجدونه يؤمنون به وقيل يتلونه حق تلاوته يعني يعملون به حق عمله
ولا يكتمون نعته صلى الله عليه وسلم ولا يحرفونه اولئك يؤمنون به وهم الذين اسلموا منهم
وقيل يتبعونه حق اتباعه وهو واحد ومن حمله على القرآن فالذين يتلونه حق تلاوته اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال
قيل الابتلاء الامتحان في الشاهد استفادة علم خفي عليه من الممتحن والمبتلى به ليقع عنه
علم ما كان ملتبسا عليه وفي الغائب لا يحتمل ذلك اذ الله عز وجل عالم في الازل بما كان وبما
يكون في اوقاته ابدا ثم يرجع الابتلاء منه الى وجوه احدها ان يخرج مخرج الامر بالنهي او
النهي عنه لكن الذي ذكر ليظهر بالامر والنهي سمي ابتلاء من الله والثاني ليوجد ما قد علم انه يوجد
موجودا ويكون ما قد علم انه سيكون كائنا وعلى هذا المخرج قوله حتى نعلم المجاهدين منكم حتى نعلمه
موجودا كما علم انه يوجد كما قال عالم الغيب والشهادة علم الغيب حتى انه موجد وعلم الشهادة
علم به موجودا حتى يوجد الذي علم انه يجاهد منهم مجاهدا ويصير منهم صابرا ثم اختلف في
الكلمات التي ابتلاه بها فمنهم من قال هي الكلمات التي ذكرت في سورة الانعام وهو قوله فلما
جن عليه الليل رأى كوكبا ورأى القمر بازغا ورأى الشمس بازغة في المحاجة التي اقامها في توحيد
قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقيل ابتلاه بعشر فعلهن خمسة في الرأس وخمسة
في الجسد لكن هذا الذي ذكر حكمه اذ يفعل هذا كل واحد ولكن الحكمة فيه هي ما قيل ان ابتلاه
بالنار حيث القي فيها فصبر حتى قال له جبرائيل الك حاجة قال اما اليك فلا وابتلاه باسكان ذريته
الوادي الذي لا ماء فيه ولا زرع ولا غرس وابتلاه بالهجرة من عندهم وتركهم هناك وهم صغار
ولا ماء معهم ولا زرع ولا غرس وابتلاه بالهجرة الى الشام وابتلاه بذبح ولده ابتلاه باشياء لم يبتل
احدا من الانبياء بمثله فصبر في ذلك فمثل هذا يكون وجه الحكمة وفيه لغة اخرى واذ ابتلى
ابراهيم بالرفع ربه بالنصب بمعنى سأله ومعناه والله اعلم انه سأل ربه بكلمات فاعطاهن وهو ما قيل
منها قوله رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب
الرحيم قال نعم واجعل هذا البلد آمنا قال نعم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم
بالله واليوم الآخر قال نعم مثل هذا انه دعا ربه هذا فاعطاهن اياه **وقوله** اني جاعلك
للناس اماما يحتمل جعله رسولا يقتدى به لان اهل الاديان مع اختلافهم يدينون به ويقرون
بنبوته ويحتمل اماما من الامامة والخلافة **وقوله** ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
فان قيل كيف كان جوابه لا ينال عهدي الظالمين جوابا لقوله ومن ذريتي وكانت الرسالة في ذريته

كقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه قيل يحتمل قوله ومن ذريتي احب ان يكون الرسالة
تدوم في ذريته ابدا حتى لا يكون بين الرسل فترات فاخبر ان في ذريته من هو ظالم فلا ينال الظالم
عهده ويحتمل ان يكون سؤاله جعل الرسالة في اولاد اسماعيل لان العرب من اولاد اسماعيل فاخبر
ان في اولاده ظالما فلا ينال الظالم عهده فلما ذكر انه لا ينال الرسالة والوحي وقال الحسن لا ينال الظالم في
الآخرة العهد ويحتمل ان يكون المراد من ذلك ومن ذريتي فاخبر ان فيهم من لا يصلح لذلك ويحتمل
ان يريد به الامامة لا النبوة وقد كانت هي في نسل كل الفرق والنبوة كانت فيهم ويحتمل ان يكون
قصد خصوصا من ذريته ممن علم الله ان فيهم من لا يصلح لذلك ولا يحتمل ان يريد به الامامة لا النبوة
وقد ذكرا وقال الاتقان قيل له انه من ذريتك لكن لا ينال من ذكرت ولهذا اخص بالدعاء من آمن
منهم دون من كفر **وقوله** واذ جعلنا البيت مثابة للناس قيل المثابة المجمع وقيل المثابة
المرجع يثوبون يرجعون وقيل يحجون وقوله مثابة للناس وانما هو فعل العباد وهم يأتون
ويثوبون اخبر انه جعل ذلك فيه دلالة خلق افعال العباد وشرفه به عز وجل شدة اشتياق
الناس اليه وتمنيهم الحضور بجامع احتمال الشدائد والمشقة وتحمل المؤن مع بعد المسافة والخطرات
تدل ان الله بلطفه وكرمه حبب ذلك الى قلوب الخلق وانه جعل من آيات الربوبية والوحدانية
وتدبيره سماوية لا من تدبير البشرية وفيه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ اخبر عما قد كان
ثبت انه اخبر عن الله عز وجل **وقوله** وامنا لمن دخله عن عذاب الآخرة وقيل امنا لكل محترم
آوى اليه من القتل وغيره كقوله ومن دخله كان امنا عن كل ما ارتكب وانما عليه ان ماله ان قتل
قتيلا ثم التجأ اليه فانه لا يقتل ما دام فيه لانه لا يقبل لكفرهم هناك فعلى ذلك القصاص لقوله
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة حرام
بتحريم الله اياها يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت
لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها وما روي عن ابن عمر رضي الله
عنه انه قال لو لقيت قاتل عمر في الحرم ما قتلته واذا قتل في الحرم يقتل به هناك والوجه
فيه ان اقامة مثله عليه لما ارتكبه في الحرم احق اذ هي كفارة ليزجر عما ارتكب واحق ما يقع فيه الزجر
بمثله ما هو فيه من المكان واذا قتل في غير الحرم ثم التجأ الى الحرم قال ابو حنيفة رحمه الله
لا يخرج من الحرم وقال ابو يوسف رحمه الله يحل ذلك للسلطان وذهب الى انه قال والحرم هو
من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل كما قال فان قاتلوكم فيه فاوجب الاخراج من حيث اخرجوا
كما اوجب القتل من حيث قتل فقيل لم يخرج من الحرم اذا لم يخرج منه كما لو قتل في الحرم اذا لم يقتل
فيه انه يقول بالاخراج للقتل فقصد ما لم يتبع فعله فيه كان كالعبد يخرج يلزم فيه ما يجب بالقتل
مثله في موضع الخطر وبعد فانه لو اخرج لم يأمن بالحرم بل زيد في عقوبته اذ الاخراج عقوبة
فقد زيد عليه مع ما لم يجز في الكفار الذين نهوا عن قتلهم اخراجهم للقتل كذلك القاتل وذهب
الآخر الى انه يخرج لاقامة الحد عند ابي حنيفة رحمه الله وان لم يرتكب فيه والاخراج المرتكب له
اقل في الحكم من اقامته عليه غير انه غلط لان اخراجه للقتل ارتفع من الحد لانه يصل الى قتله
ولما في القتل عقوبة واحدة وفي الاخراج عقوبتان ثم لم يلزمه العقوبة الواحدة وهي القتل
اذا لم يقتل فيه كان من ان لا يلزمه العقوبتان احق **وقوله** واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
اختلف في مقام ابراهيم منهم من جعل الحرم كله مقامه يصلي اليه لمقامه هناك باولاده ومنهم من
جعل المسجد مقامه لانه كان مكان عبادته فهو المصلى ومنهم من جعل ما طوي من مقامه وهو موضع

ذكر به ونزوله لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم مكة قام الى ركن اليماني
فقال عمر يا رسول الله الا نتخذ مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وعندنا القبلة البيت لقوله فولوا وجوهكم شطره . وقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياما للناس اي مقاما للقيام والعبادات وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل في الاسود
فيما بيه وقوله ان طهرا بيتي يحتمل التطهير لوجهين احدهما عن الاصنام والاوثان التي كانت
هنالك وعبادة غير الله والانجاس ويحتمل التطهير عن كل انواع الاقذار وعن كل انواع المكاره
في ما روي في جملة المساجد وقوله للطائفين قيل الطائف هو القادم ومنهم قانيا لدخوله
سطوانه وقيل لاستحباب الطواف لذلك قال اصحابنا رحمهم الله الطواف للقادم افضل من
الصلاة والصلاة لغيرهم افضل والعاكف المقيم والركع السجود منهما جميعا وقيل العاكفون المجاورون
وقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا قد ذكرنا الوجه في قوله امنا وقوله
وارزق اهله من الثمرات لما علم ان المكان ليس بمكان ثمر ولا عشب وعادة سال ربه ان
يرزق اهله عطفا على اهله وعلى كل من ينتاب اليه من الافاق ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه
احدها انه لما امر بتطهير البيت عن الاصنام والاوثان ظن انه لا يحل لغير اهل الايمان هنالك
مقاما فخص لهم بالدعاء وسؤال الرزق والثاني انه اذا ان يجعل ايه امنا من ايات الله لعز عنت
الكفار الى دين الله فيصيروا امة واحدة فكان كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن الاية ووجه آخر قيل لما كان قيل له لا ينال عهدي الظالمين فلعله خشي ان يخرج
ذلك مخرج المعونة لهم على ما فيه العصيان وفي ذلك ان الاياس يمنع الطعام من الكفرة ولا يصير
ذلك كالمعونة على ما هم عليه ويحتمل الدعاء لهم للكفرة القبح اذ ذلك من يعبد غير الله و
قوله ومن كفر فامتعه قليلا للنعم لان الدنيا دار محنة لا توجب النظر الى المستحق للنعم
من غير المستحق ولا الى الولي من العدو في الدنيا واما في الاخرة فهي دار جزاء ليست بدار محنة
فتوجب النظر الى المستحق للنعم من غير المستحق ومعنى قوله قليلا لان الدنيا كلها قليل ثم الاستمتاع
على وجهين امتحان بالشكر وامتحان بالشدايد وقد قرى فامتعه على معنى دعا ابراهيم ومن كفر
فامتعه بالحرمان فانه قيل لم كان تفاضل الامتحان تفاضل النعم وانما يعقل فضل الامتحان
بفضل العقل وقيل ان المؤمن هو المتفضل بالعقل كيف لا وقع فضل ما به يمتحن وهو النعم لان
العقل الذي به يدرك الحق واحد لا تفاضل فيه لاحد ثم العقل الذي به يمتحن واحد لهما متساويا
فيما به درك الحق الا ان احدهما يدركه فيتبعه والاخر يدركه فيعاند فهو من حيث معرفته
ذو عقل اعرض عنه فسمي معاندا والمن لا عقل له يسمى مجنونا وقوله ثم اضطره الى عذاب النار
ذكر الاضطرار وهو كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وهو السوق وكقوله ونسوق المجرمين
انهم يأبون اتيانها ويدعون لا يقدرون بانفسها طوعا واختيارا وقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا امر ابراهيم برفع البيت وبنائه فيفعلا ثم سالا ربهما ان يتقبل
منهما ففعلا فكذا الواجب على كل مامور بعبادة او قربة اذا فرغ منها واداها ان يتضرع الى
الله ويبتهل ليقبل منه وان لا يرد عليه ليضيع سعيه وقوله وبئس المصير اي بئس ما صار وا
اليه وقوله انك انت السميع العليم بما نوى واضمر واو وقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك
والاسلام قد ذكرنا فيما تقدم انه يتوجه الى وجوه احدها هو الخضوع له والتذلل والثاني هو
الاخلاص ثم اختلف اهل الكلام في الاسلام فقال بعضهم انه يتجدد في كل وقت لذلك سالوا

ذلك وهو كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله معناه امنوا بالله في حادث الوقت لان في
ذلك فعل الكفر في كل وقت بترك الكفر يتجدد له الايمان وفي ذلك يخرج تاويل الزيادة بقوله
ليزدادوا ايمانا يتجدد له ويزداد في حادث الوقت وقال اخرون كان سؤالهم الاسلام سؤال
الثبات عليه والدوام وقد ذكرنا ان العصمة لا ترفع خوف الزوال وعلى مثل هذا الدعا والسؤال على
قول المعتزلة يكون عبثا لانه لا يملك اعطاء ما سالوا عندهم بل هم الذين يملكون ذلك فيخرج السؤال
في هذا عندهم مخرج اللعب والعبث فنعوذ بالله من الشرك في القول والزيغ عن الهدى ثم الايمان
هو التصديق والتصديق بالقلب يتجدد في كل وقت فلا وقت يخلو القلب عنه في حال شغل او حال
حركة والله اعلم وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك يحتمل ان الامة المسلمة هي امة محمد صلى
الله عليه وسلم وذلك انه لم يكن من اولاد اسمعيل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم فسالا ان
يجعل من ذريتهما رسولا وامة مسلمة خالصة له وان الرسل كانوا من اولاد اسحاق ومن نسله والله
اعلم وقوله وارنا مناسكنا قيل في قوله وارنا مناسكنا بين لنا الارائة الى يوم القيمة يدل
عليه قراءة عبد الله وارهم مناسكهم وفي قراءة غيره في صفة التوبة الى نبيه والنسك
هو الذبيحة واعمال الحج سمي مناسكا ثم لا يحتمل ان يسالا ذلك من غير امر سبق منه عز وجل في ذلك
لانه ليس من الحكمة سؤال ايجاب فضل عبادة او قربة بغير امر فدل انه قد سبق منه في ذلك
امر لكنه لم يبين لهما فسالا تعليم ما بها وكيفيتها فعلمهما جبريل ذلك ففيه دلالة تاخير البيان
عن وقت قرع السمع الخطاب الا ترى انه امر بالنداء بالحج ولم يعلم والثاني ان آدم والملايكة
قد كانوا يحجون هذا البيت قبل ابراهيم فدل ان الامر به قد سبق والثالث قوله في فضل الحج ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ثم لا يحتمل لزوم الكعبة بالخروج قبل وجوب الحج لما لم يؤمر
احد بفعل ما له ايجاب الحقوق والفرائض لكنها اوجبت ذلك لما القهر عليه فدل ان الحج كان واجبا
قبل الخروج وقد تاخر الامكان فيتل البيان والله اعلم واحتج بقوله اقيموا الصلاة ان ظاهره
يوجب حضورا لازما به ما اداه السمع في تاخير ما بينه وكذلك الزكاة وكذا الحاصل قوله ولله على
الناس حج البيت واحتج ايضا بقول السايل وسؤاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوقات
الصلوات فصلاها في يومين وكان يمكنه تعليمه وقت السؤال لكنه اخر فدل ان البيان يجوز تاخيره
عن وقت قرع الخطاب السمع ثم في تاخير البيان محنة المخاطب به امر في تعلم العلم وطلب سوا وما
تضمن الخطاب والله اعلم وذكر في امر الحج عن كل نسك من المناسك معانيا لها لكنها ذكرت
لاحوال كانت في شان آدم وامر ابراهيم وامر محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان الحج قبلهم وقد ذكر
في امر الرمل انه كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ليبلي به قوتهم حتى قال عمر رضي
الله عنه على ما هذا كنيني ولكني احد ان ابه لكني اتبع رسول الله عليه السلام او كما قال رحمه الله
وقد ذكر ذلك في قصة ابراهيم انه رمل ولم يكن في وقته من كان العمل لاجل وكذلك غيره من الانبيا
صلى الله عليهم وسلم الا ان نقول جعل الله كذلك لعلمه بالحاجة اليه في وقت تدخل ذلك فيكون حفظ
ذلك على حق النسك وانه لم يكن المعنى معا بانه في كل وقت على ما قيل ان صلة الرحم تزيد في العمر
بمعنى جعل الله اجله ذلك بما علم انه يصل الرحم فيكون صرف العمر الى تلك المدة لذلك وكما يكتب
شقيا او سعيدا في الوقت الاول للوقت الذي فيه يكون كذا لكون كذلك والله الموفق ثم
الاصل ان الله جل ثناؤه جعل على عباده في كل الانواع التي يتقلب فيها النفس للمعاش والانواع
اللذات لتكون العبادة منهم في كل نوع مقابل ما يختار وماحيث ذلك شكرا لما مكن من مثله

لما يلذ ويبهج ويتعيش اذ كل لذة وكل ما يتعيش به فمنه حق الله تعالى حاجبا بلا منة ويسبب بيتسو حجا العبد
ملزمة في الحكمة التكليف اذ اذا تدي اليه تلك النعمة وفي ذلك تحد العقب من حال القيام الى حال
القعود والاضطجاع امر عام في البشر في انواع اللذات ممثلة يكون العبادة بذلك النوع عامة
بحق الصلوات وفي ذلك معنى الرق والعبودية لزم لا يفارق فمثله الاعتراف به والاعتقاد دائم
لا محالة لا يخلو منه وقت وفي ذلك ان اعطاء النفس شهواتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعم الاوقات
عموم التقلب من حال الى حال اذ لا يخلو عنها المرء وان كانت مختلفة فجعلت عبادات الصيام
في خاص الاوقات ثم لم يمتد ما بين الاوقات امتدادا متراخيا فلما ذلك جعل الصوم عن الطعام
لم يجعل كذلك الا كل في سنة مع ما قد يدخل الصيام في كثير من الامور ثم لما جبل في الاموال معاش
وما يلذ وذلكن منها قوت لا بد منه فما لا ارتفاق بمثله لا دوام لا يحتمل جعل القربة فيه سوى ان يجعل ذلك
لعينه قربة او فرض فيها المرء الامتناع به ومنها فضل فيه جعلت قرب التصدق لانه له نحو التلذذ
لا نحو ما لا بد وكذلك نوع تغلب الاحوال في النفس التي هي نحو العز ورفعة لم يجعل مثل ذلك فضل
قربة يؤدي فيها سوى ما به حياته وذلك يجعل حكم القوت عليه ولا بد به وكذلك امر الصيام
لم يجعل فيما لا بد من القوة ولكن فضل قوة في الاحتمال لكن الزكاة هي من حقوق ما يجوز ان يكون هي
لغير من عليه فمفروض عليها لبذل الى غيره وحقوق الافعال لا تحتمل اذ يصير السبب الذي له تجب
يكون لغير من يجب عليه فجعل فرض ذلك الفعل في نفسه وهي تجب للاحوال لوجهين احدهما ان فيها
حقوق تتابع في نحو النفقات فاخرت الى الحول تخفيفا او لما هي تجب فيما له حكم الفضل والفضل
ما ينفصل عن الحاجة والحاجات تتجدد في اوقات لانها تتابع لا يظهر في مثلها الفضل الا بمدة
بينه اكثرها حول ثم فرض الحج جملة في العمر مرة لانه في حق الاسفار البعيدة التي لا يختار مثلها للذات
الا في النوادر فلم يوجب مثله الا كما فاوجب في جميع العمر مرة وقد اوجب في الاموال
في كل سنة لان ارباب الاموال يتقلبون في البلاد النائية رغبة في فضول اللذات فلذلك
يجوز فرض مثل ذلك وعلى ذلك امر الجهاد على ان الجهاد كالذي لا بد من الاوقات اذ في ترك ذلك
خوف عليه الاعداء وفيها تلف الابدان والاولاد والاموال ففرض على قدر ما فرض من الاوقات
لما بينت من الثقل ثم كانت احوال اهل الثغر يكون على غير المعروف من احوال المقيمين في حق
الزيارة والرقاد وحق الانبساط والنشاط فعلى ذلك فرائض الامر من نحو الجهاد وفيه انواع
ما عدة في غيره من اللعب وكذلك امر الحج وعلى مثل هذا يخرج رمي الجمار والرمل والسعي ونحو
ذلك فجعل ذلك في حق الاستعباد سنة وان كان مثل ذلك عبثا في غير ذلك عبثا اذ تدبرنا
مخرج العبادات في ما عليه احوال العباد بانفسهم لولا العبادات والله اعلم ثم جعل ذلك
في امكنة متباعدة الاطراف اذ هو حق امر الاستعباد يجب في المعهود فجعل النسك بنفسه بالذي
هو منقطع الاستعباد ولا قوة الا بالله ووجه آخر من المعتبر ان العبادات جعلت انواعا منها
ما يبلغ القيام بحقها التمام فصاعدا لم يجز ان يجعل وقته ينتقض عن احتمال فعله ولا وقت من طريق
الاشارة اجتمع المختلف لاحوال فيه سقوطا عنا والعرض السنة ثم فعل الحج تدميمة وذلك
وسجاد ولم يجعل ذلك وقتا له وانما جعل العمر لا وقت بقدر اليه الا وجميع ما فيه مما يحتمله الفعل
الآخر وما تقدمه وما تاخره ثم في الاحوال لا يحتمل اضافتها الى الاعوام لان ما يضاف الى
عام فذلك لكل عام وليس ما يضاف الى العمر موجود نحو الاعوام فجعل ذلك وقته والله اعلم
ثم الزكاة هي تجب للاموال صولها لكسب عدد وفضل غني ولكن في ذلك يكتب لاحوال

الحياة ولما تختلف ثم لم يمتد امرها الى العمر على انها جعلت حقا للفقراء وفي ما ان يدخل الوقت له
العمر يصير لغيره ويجب به ما يجب في الاول فيبطل الزكاة ويبقى الفقراء بلا شيء اذ الله بفضله
قدر اقوات الخلق ثم فضل الخلق في الاملاك حتى كان بعضهم بحيث لا يملك شيئا وبعضهم يجاوز
ما ينال اضعاف عمره ثبت ان ذلك له بما يقتضي به كفاية الفقراء فلا بد ان يحصل له تلك مدة يتوسع
في ذلك الفريقان جميعا ثم كانت الاقوات التي هي مجعولة للخلق جميعا تتجدد في كل عام على ذلك
اذ جعلت اقوات الفقراء في اموال الاغنياء جعلت في كل عام في انه اذ جعلت اقوات الخلق في
بركات السماء والارض جعلها الله متجددة بتجدد الاعوام ولا قوة الا بالله والصلاة والصيام
عبادتان يلزم نوي الابدان فعلى ما تختلف قواهما اختلفا في الامر بهما والترك وفي انواع الرخص
لكن الصلاة ليس فيها مكابدة الشهوات ولا منافعة اللذات اذ لا سبيل الى مثلها متتابعا لما
يصير اللذة الها والشهوة وجعا فيبطل حق التتابع وقدر المفروض من الصلوات لا يشغل
عما يقوم بها النفس والصيام بضاد ذلك ويعرف في البذل فجعل عبادة الصلوات في كل يوم وعبادة
الصيام في اوقات متراخية اذ هي تضاد معنى المجعول له الاغذية من اقامة الابدان وفي
الصيام خوف فنائها لذلك استثنى بطول الاغذية في اوقات الصيام ولا قوة الا بالله وان شئت
قلت ان الله انعم على البشر بما هو لا غذاء وقوام وبما هو لذة وشهوة ثم انعم عليهم بما هو لهم به
رفعة وجاه عند الخلق وهي الاموال فالزمهم في كل نوع من هذه الانواع عبادات وعلى ذلك
وضع كل نوع منها فوت النعمة التي هي المعونة المختارة في الطبيعة والى ما يقدم تمكن فيه عوا
العقل ببذل ما يستطع منه ثم جعلت قوى النفس بشهواتها وبعض الاموال بانواع الكد والجهد
فعلى ذلك خفف حقوق الاموال فلم يجعل الا في الفضل الذي الاختيار لهن ان لا يبلغوا بالجهد ذلك
ففي ذلك جعلت الحقوق في ما يحتمل الوسع لهم من الترغيب مع البشر الذي اخبر الله انه يريد بهم
ذلك لا العسر والله اعلم وقوله وتب علينا انك انت التواب الرحيم دل سؤال التوبة ان
الانبياء قد يكون منهم الزلات والعثرات في غير قصد منهم ثم فيه الدليل على ان العبد قد ينال
عن زلة لم يتعمدها ولم يقصدها لانهم سالوا التوبة بجملة لما كان يسبق منهم شيء علموا به وعرفوه
لذكروه فدل سؤال التوبة بجملة على ان العبد مسؤول عن زلات لم يتعمدها وقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يحتمل وجوها يحتمل رسولا منهم من المسلمين لانه اخبر انه جعله لانبياء الذي يحتمل
رسولا منهم من جنسهم من البشر لان الذي اقرب الى المعرفة والصدق ممن كان من غير جنسهم كقوله ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الآية ويحتمل رسولا منهم ان من قومهم ومن جنسهم ولسانهم لا من غيرهم
ولا غير لسانهم والله اعلم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه وقوله يتلوا عليهم اياتك
قيل الآيات هي الحجج وقيل الآيات هي الدين ويحتمل دعوتهم الى توحيدك والله اعلم و
قوله ويعلمهم الكتاب يعني القرآن ما امرهم فيه ونهاهم عنه ونحو ذلك والحكمة قيل
الفقه يقول نعلمهم الكتاب وما فيه من الفقه وقيل الحكمة ما فيه من الاحكام من الحلال والحرام
وقيل الحكمة هي السنة ههنا وقيل الحكمة هي الاصابة وبعض هذا قريب من بعض وبالله التوفيق
وقال الحسن الحكمة هي القرآن اعاد القول به يعني تكرارا وقال ابن عباس الحكمة الفقه و
قوله ويزكيهم قال ابن عباس ياخذ زكاة اموالهم فذلك يزكيهم كقوله خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وقيل تزكيهم الى ما به زكاة انفسهم وقيل يزكيهم بعمل الصالحات قال لنا قايل ممن
ينتحل مذهب الاعتزال الى ان الله عز وجل اضاف التزكية والهداية الى رسوله ولم يكن منه حقيقة

فعل التزكية والهداية ولا خلق ذلك منه كيف لا تعلموا انما اضاف ذلك الى نفسه ان لم يكن فيه
منه خلق ذلك ولا حقيقة سوى الدعاء والبيان وفي ما لم يكن في اضافة ذلك الى رسوله سوى الدعاء
والبيان قيل كذلك في ما تعلموا انه اضاف ذلك الى رسوله بقوله ويزكيهم ويعلمهم وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وقوله ولكل قوم هاد غير انه جعل الى نفسه فضل هداية لم يجعل ذلك لرسوله
صلى الله عليه وسلم واثبت زيادة تزكية لم يثبت ذلك لرسوله كقوله انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وكقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله
يزكي من يشاء فدل اضافة تلك الزيادة الى نفسه على ان له فضل فعل ليس ذلك لرسوله وهو خلق فعل
الاهتداء وفعل التزكية وباسمه التوفيق والتعبد فان الرسول لا يحتمل ان يملك قدرة فعل احد تقدر
عليه لو اراده بما اقدرهم الله في الفعل حتى تقدر وتجاوز ان يكون له عليه قدرة وفي تحقيقها جواز
خلق ذلك له ومثله في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل فلا قوة الا بالله وقوله انك انت
العزيز اي لا يعجزه شيء والعزيز بذاته وكل شيء دونه عز بعزه ذليل وقيل العزيز المنيع وقيل
العزيز المنتقم من اعدائه والحكيم هو المصيب في فعله والحكيم في امره ونهيه والحكيم هو الذي
احكم كل شيء جعله دليلا على وحدانيته ثم ذكر بعض المفسرين علل المناسك فقال سميت العرفات
عرفات لما قيل له عرفت ومنى لما قيل له تمنه ورمي الجمار لما استقبل لابراهيم الشيطان ورمي
فهذه العلل لا يطمئن بها القلوب وتنفر منها الطباع الا ترى انه ذكر في قصة آدم قيل وكذلك
جملة من المعنى الذي ذكر في ابراهيم ثم قد ذكر في الخبر ان الملائكة قالت لآدم حججنا قبلك
بالفي عام فثبت انه قد فعلوا هذا كله ثم تمكن نصب الحكمة فيه من طريق العقل ومن ان الحج
قصد لزيارة ذلك المكان امر مختلف الافعال الواقع به الزيارة كالصلاة انما الخضوع بعينه
امر فيها باحضار الافعال المختلفة من حال الخضوع ثم المرتقد يخضع مرة بالقيام ومرة بالركوع
ومرة بالسجود امر باحضار مختلف الافعال التي فيها الوجوه عبادات الصلاة يخالف الحج افعالها
فعل المعاش امر باحضار حالة تذكرة الخضوع والوقوف لله مفرقا بين تلك الحالة وحالة المعاش
ولهذا انتهى في كل مكان ثم افعال الحج تظاهرها الى افعال المعاش وما اليه وقع القصد لا بعينها
غير انه به تكلف المعاش ولهذا انا لا نعبدني في كل مكان وقوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ثم
اختلف في الملة قيل الملة الدين وقيل الملة السنة وقيل الاسلام وكله واحد وقد ذكرنا هذا فيما
تقدم وقوله الا من سفه نفسه بما يعلم من عمل السفه ويحتمل الا من سفه نفسه اي بنفسه
فكان انتصابه انتزاع حرف الخافض وقيل جهل نفسه فيضعها في غير موضعها ولقد اصطفيناه
في الدنيا بالنبوة والرسالة والعصمة ويحتمل ما جاء من في الدنيا ثناء حسن لم ينقص من اجره
في الاخرة وانه في الاخرة لمن الصالحين في المنزلة والثواب ويحتمل لمن الصالحين من المرسلين
ويحتمل ان يكون بشره في الدنيا انه كان من الصالحين في الاخرة فيكون في ذلك وعد له بصلاح
الخاتمة كما وعد محمدا مغفرة ما تقدم من الذنب وما تاخر وفي ذلك ايضا وعد بصلاح الخاتمة
والله اعلم فاخبر بما كان بشره ويجوز ثناء عليهم في الاخرة على ما كانوا عليه وقوله اذ قال
له ربه اسلم قال اسلمت قيل اخلص ويحتمل امر بابتداء الاسلام على ما ذكرنا ان يجدد في كل
وقت يمضي ثم يحتمل ان يكون وحيا اوحي اليه او فعل فعلا اشتغل به فكان وحيا من الله ان
يسلم نفسه لله ويحتمل ان يكون اسلام القلب بقيام الخلقة بالاسلام فاذا كان في هذا فهو على
الاسلام دون توحيد ويحتمل اسلام خلقه كقوله الست بربكم قالوا بلى بالخلقة وفي ذلك

يخرج قوله لابراهيم واذن في الناس بالحج دعاهم فاجابوه في اصلاب الآباء ما اجابت الخلقة وقت
كونهم وقيل يحتمل امر بابتداء الاسلام كقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخره ثم قال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا يكون جواب قوله اسلم والله اعلم وقوله
ووصى بها بنيه بالملة والملة تحتمل ما ذكرنا ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان
الله اصطفى لكم الدين وهو الاسلام والدليل قول اولئك الكفرة ان ابراهيم كان في دينهم لان اليهود
زعمت انه كان دينهم يهوديا وقالت النصارى بل كان على النصرانية وفي ذلك قالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا [illegible] كل واحد من الفريقين انه كان في دينهم اكذبهم الله عز وجل
في قولهم ورد عليهم في ذلك فقال قل يا محمد ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما فبين ذلك قوله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون اخبر عز وجل ان دينه كان
دين الاسلام وهو الذي اصطفاه له لا الدين الذي اختاروا من اليهودية والنصرانية وقوله
ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى اي ليس له وقوله ام كنتم شهداء يقول ما كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت اي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت قيل ويحتمل ان اليهود قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله
تعالى ام كنتم شهداء اي كنتم شهداء وصية يعقوب بنيه اذ لم تشهدوا وصيته فكيف تقولون ذلك
ثم اخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك
الاية ونحن له مسلمون يعني مخلصين بالتوحيد بجميع الكتب والرسل ليس كاليهود والنصارى
يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ثم يدعون ان دين ابراهيم ودين بنيه ثم في الاية دلالة
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الاخبار التي [illegible] من غير نظر منه في كتبهم ولا سماع
منهم ولا تعلم ذلك انه بالله علم وعنه اخبر وقوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية فالاية
تنقض على من يستثني في ايمانه لانه امرهم ان يقولوا قولا باتا لا ثنيا فيه ولا شك وكذلك قوله
فان امنوا بمثل ما امنتم به ثم يحتمل ان يكون هذا ردا على اولئك الكفرة حيث فرقوا بين الرسل
امنوا ببعضهم وكفروا ببعض وكذلك امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعضها فامر الله عز وجل
المؤمنين وهو عام اي ان يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعا لا يفرقون بين احد منهم كما فرقت
اولئك ويحتمل ان يكون ابتداء تعليم الايمان من الله عز وجل لهم بما ذكر من الجملة ثم اختلف في الحنيف
قيل الحنيف المسلم وقيل الحنيف الحاج وقيل كل حنيف ذكر بعده مسلم فهو الحاج وكل حنيف لم
يذكر بعده مسلم فهو مسلم وقال الحنيف المائل الى الحق والاسلام وقوله فان امنوا بمثل
ما امنتم به وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تقرأوا فان امنوا بمثل ما امنتم به فان
الله ليس له مثيل ولكن اقرأوا فان امنوا بالذي امنتم به او بما امنتم به وكذلك في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه فان امنوا بما امنتم به تصديقا لذلك وعلى ذلك قوله ليس كمثله شيء ان الكاف
زائدة اي ليس مثله شيء وهو في حرف ابن مسعود وكذلك ويحتمل امنوا بلسانهم بمثل ما امنتم
بلسانكم من الرسل والكتب جميعا فقد اهتدوا او يحتمل بمثل ما امنتم به اي بلسان غير لسانهم
فقد اهتدوا وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
كانه والله اعلم لما ادعوا ان ابراهيم ومن ذكر من الانبياء كانوا على دينهم فقال عند ذلك
لا ينفعكم لو كانوا على دينكم وانما لهم ولا ينفعكم لو كان على دينكم وانما لكم [illegible] بدينه
وما يعمل به وقوله فانما هم في شقاق قيل انما تولوا الخلاف وقيل الشقاق هو الخلاف

الذي بينه العداوة والله اعلم وقوله فسيكفيكهم الله هذا وعيد من الله عز وجل لهم ووعد
وعدية بالنصرة له لان اولئك كانوا يتناصرون ويتناصر بعضهم بعضا فوعد له عز وجل النصرة له
بقتل بعضهم واجلاء آخرين الى الشام وغيره وقوله صبغة الله قيل دين الله وقيل فطرة الله
كقوله كل مولود يولد على الفطرة وقيل صبغة الله حجة الله التي اقامها على اولئك وقيل صبغة
الله سنة الله ثم يرجع قوله ومن احسن من الله صبغة الى ذلك اي ومن احسن حجة عند ربك بالدلائل التي يقيمها
واقامها فيه ليبين كمن اولئك الذين استشرفوا في الحيرة والغفلة بلا حجة ولا دليل وقيل
ان النصارى كانوا يصبغون اولادهم في ماء ليطهروا وهو به ذلك فقال الله عز وجل صبغة
الله يعني الاسلام هو الذي يطهرهم لا الماء وقوله ونحن له عابدون قيل موحدون وقيل
مسلمون مخلصون ويحتمل ونحن عبيده وقوله قل اتحاجوننا في الله روي عن ابن عباس انه
قال قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى بالله منكم فانزل الله في ذلك
قل اتحاجوننا في الله وقيل في الله يعني في دين الله اي اتحاجوننا وتخاصموننا في دين الله وقوله
وهو ربنا وربكم اي اتحاجوننا في الله مع علمكم واقراركم انه ربنا وربكم بقوله ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله وقوله ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم قيل لنا ديننا ولكم دينكم كقوله لكم دينكم ولي دين
ويحتمل لنا اعمالنا لا تسألون ولا نسأل انتم عما [illegible] اعمالكم ولا نحن عن اعمالكم كقوله
ولا تسألون عما كانوا يعملون ونحن له مخلصون [illegible] عملا لا نشرك به غيره وقوله ام يقولون
ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أانتم اعلم ام الله
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قيل بل تقولون وقيل هو الاستفهام في الظاهر اتقولون
لكنه على الرد والانكار عليهم وذلك ان اليهود قالوا ان ابراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه كانوا
هودا او نصارى فقال الله تعالى قل يا محمد أانتم اعلم بدينهم ام الله مع اقراركم انه ربكم لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء وحقيقة الاستفهام منهم [illegible] ما قالوه كالرد عليهم والانكار ومن اظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله قيل الشهادة التي عنده علمهم انهم كانوا مسلمين ولم يكونوا على دينهم وقيل الشهادة
التي عندهم ان الاسلام انه دين الله وانه حق وقيل الشهادة التي كانت عندهم محمد صلى الله عليه وسلم
بنعته الله في كتابهم واخذ عليهم الميثاق بقوله لتبيننه للناس ولا تكتمونه فكتموه وكذبوه
وقيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول اليهود لابراهيم وما ذكر من الانبياء كانوا هودا
او نصارى فيقول الله لا تكتموا الشهادة ان كانت عندكم علم بذلك وقد علم الله انكم كاذبون وقيل
الاسباط بنو يعقوب سموا اسباطا لانه ولد لكل رجل منهم امة وقوله وما الله بغافل عما
تعملون خرج على الوعيد اي لا تحسبوا انه غافل عما تعملون ويجوز ان يكون لم ينشئهم على غفلة مما
يعملون بل على علم بما يعملون خلقهم ليعلم ان ليس له في شيء من اعمال الخلق له حاجة يخلقهم على دفع [illegible] النفع له
ولا قوة الا به خلقهم [illegible] وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الآية
قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله سيقول السفهاء من الناس هذا والله اعلم وعد كان وعده عز
وجل نبيه عليه السلام انه يحوله الى الكعبة من بيت المقدس واخبار عما يقول له اليهود قبل ان يحول
وقيل انهم يقولوا له ذلك الا ترى الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء انه لو لم يكن فيها وعد
بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة لكان [illegible] وجهه الى السماء [illegible] تحكم منه وتحكم
عليه وليس لاحد على الله التحكم والتحكم عليه في الاحكام والشرائع ولانه [illegible] انه في الوعد
له ما فعل والله اعلم ثم فيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان اخبر على ما اخبر من التحويل

الى الكعبة والقول منهم نقول انه علم ذلك بالله ثم اختلف في قوله سيقول السفهاء قيل هم
اليهود قالوا ذلك عند تحويل القبلة الى الكعبة وذلك انهم لا يرون نسخ الشرائع والاحكام
لانه كالبداء والرجوع عنها وذلك فعل من جهل عواقب الامور كبان يبني بناء ثم ينقضه لجهل منه به
لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره ولو عرفوا ما النسخ ما انكروا نسخ الشرائع والاحكام وانما
النسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم الى وقت ليس فيه بداء ولا نقض لما مضى بل تجديد حكم في وقت
بعد انقضاء حكم في مقدار الاول لوقت كونه ليس على ما ظنت اليهود من البداء والنقض لما مضى
كالبناء الذي وصفوا وبالله التوفيق وان كانت الآية في غير اليهود من اهل مكة في ما يقول بعض
اهل التفسير فقالوا المادح محمد الى قبلتنا من القبلة الاولى يرجع الى ديننا قال الله عز وجل
قل لله المشرق والمغرب والامكنة كلها والنواحي يامر التوجه الى اي ناحية شاء شرقا
او غربا فالطاعة له في الايتمار لامره والقبول له [illegible] لا للتوجه نحو الشرق او نحو الغرب لهوى
هووا ولمنى تمنوا لان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم لا اتباعا لامر امروا به وكذلك
النصارى اتخذوا المشرق قبلة بهوى انفسهم فاخبر الله عز وجل عن المومنين انهم يأتمرون بامر الله حيث
ما امروا واتجهوا نحوه وقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هذا على المعتزلة لانه اخبر عز
وجل انه يهدي من يشاء ولا يجوز ان يهدي وهو لا يهتدي وهم يقولون شاء ان يهدي ولكن لم يهتد
وان قوله من يشاء الى ان مشيئة الهداية لبيت للكل على ما قالت المعتزلة ان هداية بيان وذلك
للجميع وفيه دليل نسخ السنة بالكتاب لان القبلة الى بيت المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب
بل عملوا على سنة الاولين الماضين وهذا على الشافعي لانه لا يرى نسخ الكتاب بالسنة الا بعد عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاذا عمل به صار سنة ثم ينسخ السنة بالسنة لا نسخ السنة بالكتاب
فهذا منه قبيح فاحش وفيه نسخ الكتاب ووجه وقد نفينا عنده الحكم في انه لم يحل الكتاب من
القدر ما يقع به الزجر على ما كان عليه انفا لولا علمه صلى الله عليه وسلم فنعوذ بالله من الشرف في
القول والزيغ عن الهدى ولكن لم يعرف ما النسخ وما قدره ولو علم لما قال بمثله ونحن عندنا ما ذكر
من بيان منتهى الحكم الى وقت ولله جل جلاله نصب الاحكام والشرائع لكل وقت يبين ذلك مرة
بالكتاب وتارة على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق ولما جعل له صلى الله عليه وسلم
ان يعلم به فنسخ الكتاب تلك الشريعة نسخ ذلك في غيره من الناس والله اعلم وقوله وكذلك
جعلناكم امة وسطا وكذلك لا يتكلم الا على العطف على ما سبق من الخطاب ونحن والله اعلم معطوف
على قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الآية كانه قال [illegible] وفقكم في الايمان
بما ذكر وهداكم الاسلام كذلك جعلكم امة وسطا يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس ثم اختلف في قوله
على الناس قيل على بمعنى للناس وهذا جائز في اللغة سائغ كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب
وقيل على بمعنى على ان تشهدوا على الامم للانبياء على تبليغ الرسالة ويشهد الرسول لهم بالعدالة
وفيه دليل قبول شهادة اهل الاسلام على اهل الكفر وشهادتهم علينا لانه قبلت شهادتنا
عليهم على التبليغ ثم شهدوا اولئك بانهم لم يبلغوا الكافرين فيه تناقض فذلك ان شهادتنا تقبل عليهم
ولا تقبل شهادتهم علينا والله اعلم وقوله لتكونوا شهداء على الناس الذين ابوا اجابة الرسل
ويكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغ الرسالة وذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية
اضاف الله اليه جعلهم امة وسطا ثبت ان له في فعل ذلك فعل به ذكر منه والله اعلم وقوله
وكذلك جعلناكم امة وسطا فالوسط العدل اخبر عز وجل انه جعل هذه الامة عدلا وكذلك

هو المستحق للشهادة والقبول لها ففيه الدلالة على صحة هذا الاجماع حجة لانه وصفها بالعدالة وصيرها
من اهل الشهادة فاذا اجتمعوا على شي وشهدوا به لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا وان الشهادة
فيه انه من عند الله وضع لهم ذلك والثاني ما قال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اخبر انهم صدقة
يلزم اتباعهم والثالث ما قال عز وجل ومن يتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى والحق الوعيد
في مثله اذا لم يكن ذلك هو الحق عند الله والرابع قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول
امر عز وجل عند التنازع الرد الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال يقال
الله تعالى يوم القيمة للامم عند تبليغ الانبياء رسالة الله اليهم فينكرون ثم يوتى بهذه الامة فيشهدون
عليهم بالتبليغ فذلك قوله لتكونوا شهدا على الناس ويشهد الرسول عليهم يعني لهم بالعدالة والتزكية
والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وفي قوله لتكونوا شهدا على الناس وجهان احدهما على الكفرة
وفي ذلك دليل قبول شهادة المسلمين عليهم ورد شهادتهم عليهم لما بينا فيه فبطل منفعة الشهادة
عليهم والثاني لتكونوا من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهودا على من يكون بعدهم وفي ذلك دليل
نهي من تاخر الصحابة عن الخلاف لهم ويكون الرسول شهيدا عليكم اذا خالفتموه وعصيتموه وقوله
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لهذا والله اعلم
لما كانوا في المتابعة على قسمين منهم من تبعه لما وافق هواه ومنهم من تبعه لما علم انه الحق من عند
الله فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع علمه ذلك عندهم من المتبع له لهواه ومن المتبع
له بالامر والطاعة له وقيل ايضا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول بل ليعلم من يتبع الرسول
ما قد علم انه يكون كاينا وليعلم ما قد علم انه يوجد موجودا وقيل انه يجوز ان يراد بالعلم المعلوم
معناه والله اعلم الا ليكون المتبع له والمنقلب على عقبيه ثم الاصل في هذا ونحوه من قوله حتى نعلم
المجاهدين منكم انا لا نصف الله تعالى بالعلم في الخلق على غير الحال التي الخلق عليها لانه وصفنا اياه
بالعلم على غير الحال التي عليها الخلق يوجب وصفه بالجهل لانه لا يجوز ان يقال يعلم من الساكن
في حال السكون حركة او الساكن في حال الحركة او يعلم من الجالس قياما او القايم جلوسا وكذلك لا يجوز
ان يقال يعلم من العدم موجودا او من الوجود معدوما في حال وجوده لانه وصف بعلم ما ليس وهو
محال والله العصمة وقيل ان كل علم يذكر في حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت للحدوث لان لا يتهم
بذكره تقدم المعلوم في الازل واذا وصفنا الله بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصف
بالذي نصفه به في الازل لتعاليه عن التغير والزوال وعن الانتقال من حال الى حال ولا قوة
الا بالله وقوله وان كانت لكبيرة يعني تحويل القبلة لكبيرة ثقيلة على من كان اتباعه لهواه
دون امر امر به الامين الذي يتبع امر الله فهو يعتقد طاعته فانها ليست ثقيلة عليه ولا كبيرة
وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال بعض اهل التفسير ان قوما صلوا الى بيت المقدس
ثم ماتوا على ذلك فلما حولت القبلة الى الكعبة قالوا اضاعت صلوتهم التي صلوا اليها اشفاقا
عليهم لكن هذا بعيد لا يحتمل لان الذي اعتقد الاسلام من الصحابة وعرف موقع امر الله وامر
رسوله لا يجوز ان يخطر ببالهم هذا او يطلعوه لو خطر ببالهم حتى يسالوا عن ذلك بل كانوا اعلم
بالله من ان يجد عدو الله فيهم ذلك ولانهم قوم يعرفون بامر الله وطاعته ويومنون على التصديق
ولكنهم المومنون ثم ليكونوا في احوالهم لكن ان كان ثم سوال فمن اليهود والذين اعتقدوا
بطلان الناسخ في الاحكام والشرايع فكانوا يحتجون على رسول الله بانه نهي عن التفرق والاختلاف
خلاف شديد عوضوا في ذلك او قوم من الكفرة ذا رسول الله عليه السلام واخطوا في التكذيب

له والخلاف والعداوة فارادوا الاسلام فظنوا ان ما كان منهم من العصيان والتكذيب
يمنع قبول الاسلام فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم لما كان منكم في حال الكفر
الا ترى ان اخر الاية يدل عليه قوله ان الله بالناس لرؤوف رحيم اخبر انه رحيم يتجاوز عن ما
او قوم علموا انه لا تناسخ في الدين ولا اختلاف فيه فظنوا ان نسخ الاحكام وتبديلها يوجب اختلافا
في الدين وتفرقا فيه فنقول ان الايمان في الاصل هو الذي لا يقع في استقبال الصلاة الى جهة دون
جهة بل يقع على الايتمار فالايمان من الصحابة الذين ماتوا كان على اعتقاد الايتمار فهم مومنون
باعتقاد الايتمار في بيت المقدس مومنون باعتقاد الايتمار في الكعبة فلا تفرق ولا اختلاف
في الايمان اذ في الاصل فيه وقع الاعتقاد للايتمار وبالله التوفيق ثم قوله وما كان الله ليضيع
ايمانكم تاويله اي لا يضيع ايمانكم بالصلاة الى بيت المقدس ولو كان في الصلاة فيقول يحتمل
احدهما انها قامت بالايمان فهو سبب لها وقد يذكر الشي باسم سببه والثاني ان اليهود سموه
ايمانا فوقع الخطاب على ما عندهم ومن كقوله ذق انك انت العزيز الكريم لانه كان ثم الهة تكون لها
عندهم وكذلك قوله تبارك الله احسن الخالقين لانه كان ثم خالق سواه ولكن لما عندهم لكان
صانع خالقا فخرج الخطاب على ما عندهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله قد نرى
تقلب وجهك في السماء قد ذكرنا انه يخرج في الذي عمله وقوله قبلة ترضاها قال بعض المعتزلة
انه كان يقلب بصره الى السماء لما كان يكره ان تكون قبلته قبلة اليهود ولكن هذا بعيد لان
مثل هذا لا يظن باحد من المسلمين فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال كره كراهة الطبع
والنفس واما كراهة الاختيار فلا يحتمل ويقال انه كان حبب اليه الصلاة حين لا يصير متهاونا في التوجه
الصلاة الى بيت المقدس ولم يومر فيه بالتوجه الى غيرها فكان يقلب وجهه الى السماء وجاء ان
يومر بالتوجه الى غيرها او ان يقال قبلة ترضاها لانها كانت قبلة الانبياء من قبل فلا شك انه
كان يرضاها وهذا جايز في الكلام يقول الرجل لاخر اعطيتك شيا ترضاه وان لم يظهر منه الكراهة
في ذلك ولا الرد وقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وقد ذكرنا القول في القبلة والاختلاف
فيه ما تقدم وقوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يحتمل قوله انه الحق على
وجهين احدهما علموا ان تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة حق لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم
ويحتمل انه علموا بما بين لهم في كتبهم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه حق وما الله بغافل
عما تعملون وهو على ما ذكرنا انه على الوعيد والتهديد والله اعلم وقوله ولين اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك الاية في قوم علم الله انهم لا يومنون ولا يتبعون محمدا في
قبلته حيث ايسه من متابعتهم اياه لانها لو كانت في اهل الكتاب كلهم لكان لهم الاحتجاج على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب عليه لان من اهل الكتاب من قد امن فدل انهم لم يفهموا من
عموم اللفظ عموم المراد ولكن فهموا من عموم اللفظ خصوصا وكان ظاهرا في اهل الاسلام واهل
الكفر جميعا المعنى الذي وصفنا لكن ظهر انه لا يجوز ان يفهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد
وفيه دلالة اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم لانه في موضع الاخبار بالاياس عن الاتباع له ولا
يوصل الى مثله الا بالوحي عن الله عز وجل وفيه ان كثرة الايات وعظمها في نفسها لا يجزي الغايد
عن اتباع هواه والاعتقاد لما يخالف هواه وقوله وما انت بتابع قبلتهم فيه الوعد له
بالعصمة في حادث الوقت وما يتلوه وما يحتمل قوله وما انت بتابع قبلتهم اي وما ذلك ان تتابعهم
في القبلة وهذا اشبه وبه كانه اقرب لما خرج اخر الاية في الوعيد له بقوله ولين اتبعت اهواءهم

من بعد ما جاءك من العلم الاية وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي ويحتمل ان يكون المراد من الخطاب غيره
وقوله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم خص الاولاد لانما تعرف بالاعلام والاسباب
تتقدم فيلي وكذلك معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم انما تكون بالدلائل والاعلام وقد كانت تلك
الدلائل والاسباب في رسول الله ظاهرة لكنهم عاندوا وكابروا وكتموا بعد معرفتهم به انه الحق دليله
قوله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون والكتمان ابدا انما يكون بعد العلم بالشيء لان الجاهل
بالشيء لا يوصف بالكتمان وروي عن عبد الله بن سلام انه قال انا اعرف به اكثر مما اعرف ولدي لاني لا ادري
ما احدث النساء بعدي وفيه الدلالة ان نعته وصفته كانت غير مغيرة يومئذ وانما غيرت بعد
حيث اخبر انهم كتموا ذلك قيل لا يعلمون لا يؤمنون وهو على ما يشاء من تيه خاب نفعه وجائز ان
يكونوا عرفوه بما وجدوه نعته في كتبهم كما قال عز وجل الرسول النبي الامي الذي يجدونه الاية
وقوله فلا تكونن من الممترين يحتمل ان يكون الخطاب له والمراد غيره ويحتمل هو وان كان يعلم
انه لا يمتري لما ذكرنا في غير موضع ان العصمة لا تمنع النهي عن النهي او وقوله ولكل وجهة هو موليها
قيل فيه بوجوه قيل هو موليها يعني الله موليها ويحولها وقيل هو يعني المصلي هو موليها وقيل وفي
اقبل واليهود هو موليها هو مستقبلها وبيان في قوله ولكل وجهة هو موليها لكل امة من المسلمين
قبلتكم صليت قبلها الكعبة وقوله فاستبقوا الخيرات قيل فيه بوجوه قيل بادروا الامم الثابتة
بالخيرات والطاعات وقيل استبقوا امر اشتراء لا ازدحام تقول يباه وتقنعكم بعضا بالخيرات
ويحتمل ان استبقوا الى امر القبلة والتوجه اليها غيركم من الكفرة والله اعلم وقوله اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا قيل اينما كنتم يبعثكم الله ويحكم من البقاع البعيدة والامكنة الحصينة
وقيل اينما تكونوا اي في اي حال كنتم عظاما ناخرة او بالية او رفاتا يجمعكم الله ويحييكم ولا يتعذر
عليه ذلك وهو كقوله ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او
حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة اخبر ان شدة
الحال عندكم لا يتعذر عليه ولا تشتد من الاحياء والاماتة وقوله ان الله على كل شيء قدير
من جمع ما ذكرنا من الاشياء المتفرقة واحياء العظام البالية وقوله ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام يقول والله اعلم حيث ما كنت من البلدان والمدائن فول وجهك
شطر المسجد الحرام شطره تلقاءه ونحوه وجهته وهذا يبطل قول من يقول ان الحرم قبلة لمن نأى
عن البيت وبعد من اهل الافاق حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى شطر المسجد حيث
ما كان من البلدان وبالله العصمة والتوفيق قال الشيخ رضي الله عنه ذكر المسجد ومعناه موضعا
منه عرف ذلك بالتحقيق عنه من البقاع البعيدة والامكنة الخفية لا بالظاهر ولذكر وصل
البيان به وقوله وانه للحق من ربك قيل وانه تحويل القبلة هو الحق من ربك وقيل وانه يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربك ويحتمل انه يعني القرآن هو الحق من ربك وقوله ومن حيث
خرجت الى ما ذكرنا وقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خاطب الكل وامرهم بالتوجه
اليه حيث ما كانوا حتى لا يكون هو المخصوص به دونهم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة تاويل هذا
الكلام والله اعلم انه لما اختار اليهود ناحية المغرب قبلة والنصارى ناحية المشرق قبلتهم
فانزل الله تعالى ولله المشرق والمغرب الاية يهدي من يشاء وقال فاينما تولوا فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله فيقطع عند هود حججهم في ما ثبت في كتبهم انه يحول هو وذلك معنى قوله
لئلا يكون للناس عليكم حجة ثم اختلف في قوله للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا قيل اراد بالناس

اهل الكتاب واراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وتاويله لئلا يكون لاهل الكتاب عليكم
حجة فيقولوا ليس هذا الوصف في كتبهم انه يصلي الى بيت المقدس وقتا ثم يتحول الى الكعبة الا
الذين ظلموا منهم من يقول الا من ظلم منهم متكبرا في الكلام بلا حجة ولا دليل ومثل هذا جايز في الكلام
تقول لاخر ليس لك علي حجة الا ان تظلمني بلا حجة وقال لهذا اهذا كما يقول الرجل لاخر الناس لك حامدون
الا الظالم المعتدي عليك صواب في المعنى خطاء في العربية وذكر شيئا يدل على الجواز مما بالمدينة
دار غير واحدة ما دار الخليفة الا دار مروان يعني ولا دار مروان وقيل ايضا الا الذين ظلموا
منهم فلا تخشوهم على التقطع من الاول والابتداء بهذا اي لا تخشوا الذين ظلموا في العتب
لكم ولكن اخشوني في تركهم اياها اداني بقال لا تخشوهم بالقتال والغلبة فقد كفيتم مؤنة امره
واظهاركم على الاعداء وعلى هذا يخرج قوله ولاتم نعمتي عليكم يعني الامن من الاعداء ولا نعمة اعظم
من الامن واظهار الحق كقوله اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي قيل هو الامن من الاعداء او في
اراد بالنعمة كل نعمة من الاسلام والنصر وغيره ولعلكم تهتدون الى القبلة وتهتدون الى الارشاد والنصر
وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم قوله كما حرف لا يصح ذكره الا على
تقدم كلام اذ هو حرف عطف ونسق وهو والله اعلم كما ارسلنا اليكم رسولا اتمم عليكم بمعرفة
وحدانيته وبمعرفته محاجة الكفرة وانعم عليكم باكرامه اياكم بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يجب
عليكم ان تذكروه وتشكروا له ويحتمل على التقديم والتاخير على ما قاله اهل التفسير كانه قال
فاذكروني كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وذلك في القرآن كثير وقال الفراء يحتمل كما ارسلنا فيكم رسولا
اذكركم فيكون فيه جوابه لذلك جزم وهذا كقول الرجل كما احسنت فاحسن وقوله ويعلمكم
الكتاب وهو القرآن والحكمة قيل فيه بوجوه قيل الحكمة الفقه وقيل الحكمة الحلال والحرام وقيل
الحكمة السنة وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة هي الاصابة ومنه سمي الحكيم حكيما لانه مصيب
وقال الحسن الكتاب والحكمة واحد وهو على التكرار كقوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين وهما
واحد وقوله ويزكيكم قال ابن عباس باخذ زكاة اموالكم فيه زكاة يطهرو وقيل يزكيهم يدعوهم
الى ما به زكاة انفسهم وصلاحها وهو التوحيد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون من التوحيد والشرائع والمحاجة مع الكفرة وما اكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وما انعم عليهم من انواع النعم وقوله رسولا منكم خاطب العرب وذكرهم بما انعم عليهم من
بعث الرسول فيهم ومنهم وانزال الكتاب بلسانهم ثم كانوا يتمنون ذلك كقوله او يقولوا لو
انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فمن عليهم بذلك وبه استوجبوا الفضيلة على غيرهم
وكفى به فضلا وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الاية وقوله فاذكروني قيل
بالطاعة في الدنيا اذكركم في الاخرة بالنجاة وحسابكم وقيل اذكروني في الرخاء والنعمة اذكركم
في الضيق والشدة وقيل اذكروني في الخلوات اذكركم في ملاء الناس واذكركم في ملاء من
الملائكة ويحتمل اذكروني بالشكر بما انعمت عليكم اذكركم بالزيادة والله اعلم وقوله
واشكروا لي ولا تكفرون اي وحدوا الشكر بنعمتي الي ولا تشكروا غيري ويحتمل اشكروا لي اي وحدوا
العبادة لي ولا تعبدوا غيري والله اعلم وقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بل احياء قيل ان العرب كانت تعرف الموت من انقطاع ذكره اذا لم يبق له احد يذكر به من ولد
او غيره فيقولون عند موت هؤلاء انه ذكرهم قد انقطع فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم انهم مذكورون في ملاء الملائكة وقال الحسن ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنان وتعرض

ارواح الكفرة في النيران وكون الارواح الشهداء فضل لذة ما لا يكون لغيرهم من الارواح ويكون
لارواح آل فرعون فضل الم بعرضها على النار ما لا يكون لغيرهم من الكفرة وذلك فاستوجبوا
اسم الحياة بفضل لذة ما يجدون من اللذة على غيرهم اخبر عز وجل ان ارواحهم في الغيب تتلذذ وتلذ
تلذذهم بما كانوا عليه في الاجساد في دنياهم هذه وقيل ان الشهداء حي عند ربه كما عرف في القيمة
ان الشهيد هو الحاضر اخبر عز وجل انهم حضور عند ربهم وان غابوا عنكم وقيل ان الحياة والموت
على ضربين فمنها الحياة الطبيعي والموت الطبيعي والحياة العرضي والموت العرضي فالحياة
العرضي هو اليقظة وهو الحياة بالدين كقوله او من كان ميتا فاحييناه وكقولهم في الحياة بالعلم انه
حي بالعلم والحياة الطبيعي هو الذي به قوام النفس والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس
والشهادة هو الذي فيه اكتساب الحياة في الاخرة سمي به حيا والله اعلم ويحتمل قوله ولا
تقولوا اموات لما ينفر طبعكم من الموت ولكن قولوا احياء ليرغب انفسكم في الجهاد اذ هو رد بحياة
الدنيا والدين معا ويحتمل ان يكون الله بفضله يجعل لهم ما كان لهم لو كانوا احياء يعملون فكانهم
احياء فيما جعلت لهم حياة الدنيا والله اعلم وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وما ذكر
فيه تذكير من الله عز وجل الخلق لئلا يجزعوا على ما يصيبهم من انواع ما ذكر من المصائب ومن كل نوع
من ذلك امتحان بشيء من الخوف وبشيء من الجوع والله اعلم لان الله عز وجل اخبر في غير آية من
القرآن انه خلقهم للموت والفناء وان ما اعطاهم من الدنيا والزينة فيها كله للفناء والعواقب
بقوله خلق الموت والحياة ليبلوكم الاية وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اخبر ان الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف ان ذلك كله لما ذكرنا
يخف عليه ما يصيبه من الامراض والاوجاع والنقص في الاموال والانفس وما ذكر اذ ذلك
كله دون ما ذكر وليعلموا ان ما اعطاهم من الحياة والصحة والسلامة لم يكن اعطاهم لحق
لهم بل بالافضال والاحسان وقد جعل ذلك لمدة لا للابد منها الى غير تلك المدة لغيرهم لا لهم
فقوموا به منة لوقت وحقه وقت لاخذ ثم يحتمل ما ذكر من الخوف وجهين خوف في جهة العبادة
من نحو الامر بمجاهدة العدو والقتال معه ويحتمل لا في جهة العبادة وكذلك الجوع يحتمل الجوع
الذي فيه عبادة وهو الصوم ويحتمل ما يصيبهم من المجاعة في القحط ما اصاب اهل مكة بسنين
وكذلك قوله ونقص من الاموال يمتحنهم باداء الزكاة والصدقة ويحتمل الهلاك بنفسها وكذلك
الانفس يحتمل التعرض على الوصي القتل ذكر تماما وكذلك الثمرات ثم لا يحتمل خصوص الامتحان
بما ذكر دون غيره لان لله ان يمتحن عبده لا بل يمتحنهم بجميع انواع المحن لكن الوجه فيه ما ذكرنا
انه لما عرفهم ان كل ذلك انما خلق للفناء فلا تبعض عنه كذلك يخف ذلك عليهم والله اعلم ثم امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر الذين صبروا على المصائب التي امتحنهم بها عز وجل ولم يجزعوا
عليها وقالوا انا لله وانا اليه راجعون فيه الاقرار بوحدانيته عز وجل والبعث بعد الموت
وقيل ان هذا الحرف خص به هذه الامة دون غيرها من الامم لانه لو كان هذا الحرف عن
الامم ان الانبياء لاسترجع يعقوب صلى الله عليه وسلم على كثرة ما اصابه من المحن والمصائب والحزن
في يوسف لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال يا اسفى على يوسف ولو كان لهم هذا لظهر منهم
في ما ظهر غيره فدل انه مخصوص لهذه الامة والله اعلم وروي عن ابن عباس انه قال
من استرجع جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضى به ثم الصبر هو حبس
النفس عن الجزع في ما يفوت اذ كله لله عز وجل مستعار عند الخلق والجزع في فوت ما لغيره

مخافة الاحزان في قوله عز وجل لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم نهانا ان نحزن على ما يفوت
عنا اذ هو في الحقيقة ليس لنا وان نفرح بما آتانا اذ هو في الحقيقة لغيرنا والله الموفق وقوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة قيل الصلاة من الله عز وجل يحتمل وجوها يحتمل الرحمة والمغفرة
ويحتمل الصلاة منه ثناءها على الملائكة جوابا لهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كيف يكون منهم هذا
ومنهم من يقول كذا وقيل الصلاة منه الثناء عليهم واي كرامة تبلغ كرامة ثناء الله عليهم وقوله
ورحمة قال بعضهم الرحمة والصلاة واحد وهو على التكرار وقيل الرحمة النعمة وهي الجنة و
واولئك هم المهتدون شهد الله عز وجل بالاهتداء لمن فوض امره الى الله وسلم لقضائه
وتقديره السابق وهو كائن لا محالة كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في
كتاب من قبل ان نبرأها قال الشيخ رحمه الله قوله ولنبلونكم بشيء من الخوف بل هو بالذي
كان به عالما ليكون ما علمه يكون بالامر والنهي نحو المحنة وهو كان يختبر عما هو به خبير مع ما كانت
المحنة في الشاهد لاستخراج العواقب تكون بالامر والنهي فاستعملت في الامر والنهي وان كان
لا يخفى عليه شيء بل هو كما قال عالم الغيب والشهادة ثم له جعل الغيب شاهدا لجزئيات المحنة
فيعلم ما قد علمه غائبا شاهدا اذ هو موصوف بذلك في الازل وبالله التوفيق ثم كان العبد بجميع ما هو
فيه من السعة والسلامة فهو لله في الحقيقة لكن بفضله وكرمه يعامل عبيده معاملة من ليس له
ما كان يطلب منه ويأمره به فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وقال واقرضوا الله
قرضا حسنا الاية فيكون ذلك اطيب لانفسهم وارغب لهم في البذل لما طلب منهم وان كان له
اخذ ذلك منهم بلا ثمن يعد هو عليه فضلا منه فكذلك قال عز وجل ولنبلونكم بالذي ذكر ليدلهم على ان ذلك
ذلك منه ليعلموا انه كان وعد الاشتراء منهم وطلب منهم البذل بجزيل العوض لهم ليخف ذلك
عليهم ويطيب به انفسهم او ان يكون يذكرهم اولا انه يبتليهم بالذي ذكر ليطيبوا انفسهم به ولا
يتكلفوا لذلك من قلوبهم فيضجرون عند الابتلاء بذلك وكذا كل حادث للطبع اذ كان عن رياضته
اياه واشعاره به قبل النزول كان ذلك ايسر عليه من ان يأتيه وذلك من حيث لم يعلم به مما كان في
ذلك خطر بالقلوب نسبة مثله الى الخالق والسلام ثم قدم الله في ذلك البيان ليعلموا
ان ذلك بالذي جرى به الوعد وذلك كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الاية فبين ان ذلك مكتوب عليهم ليطيب الانفس وتطمئن القلوب عليه والاصل في هذا
ان جميع ما ذكر البلوى به في التحقيق ليس بحق للعبد بل هو امتنان من الله وافضال وانه لم
يستثنيه ولا احياء نشو الابدية والاحياة الشرعية فبلى ذلك جميع ما انعم عليه واذا اسكن
العبد في هذا الذي جبل عليه امر نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطاب به نفسه
مع ما يعلم انه انعم عليه لوقت ثم هو نعمة على غيره ولغيره يكون الماخوذ منه في الحقيقة لغيره
وان كان الله عز وجل ذكره في الابتلاء والمصائب فهو على ما اخبرت من كرمه بما يعامل عبده
عز وجل ولا قوة الا بالله وقوله بشيء من الخوف والجوع فهو على اضمار الشيء في كل حرف اذ هو حق
العطف على ما تقدم فكانه قال بشيء من الخوف وبشيء من الجوع ولا قوة الا بالله ثم يتوجه ما اخبر
من البلوى الى وجهين احدهما ان يبلوه بعبادة فيها ما ذكر والثاني ان يبلوه بالذي ذكر لا في
عبادة يدفع اليه وذلك نحو ان يبلوه بالجهاد وفيه الخوف او يبلوه بانواع اوصاب تحل به
فيخاف عند ذلك في نفسه والجوع ان يبلوه بالصيام الذي فيه ذلك او بقلة الاسباب
وغلو الاسعار ونقص من الاموال يكون في الجهاد والحج والزكاة والمؤن المجعولة في الاموال

ويكون في الخسران في التجارات وما يلحق انواع المكاسب من الجوائح والانفس يكون بالجهاد
ومحاربة الاعداء ويكون بانواع الامراض والثمرات ترجع الى قلة الاتراب وقصور الايدي
عما به ينال ومفارقة الاوطان للجهاد والحج ونحو ذلك مما فيه ثم ان الله سبحانه اخبر انه يبلوهم
بشيء مما ذكرنا لا بالكل وذلك انه عز وجل لم يقطع عليهم كل المنافع بل جعل لهم في كل نوع من ذلك شيئا
وان كان في ذلك نقصا ومن زاد جاز ان يبلوهم ذلك تمام ما في كل نوع لكنه بلطفه قرب اليهم فيما خوفهم
وجه الرجاء وفي ذلك جميع افعاله في المحن انها مقرونة بالخوف والرجاء ولذلك قرن في انفسهم
ولا قوة الا بالله ثم ان الله ولطفه بما عليهم من الحق فيما اخبر انه يبلوهم به بحرف البشارة
والوعد الجزيل الذي يسهل بمثله البذل من لا حول له فكيف ومن له كلية ذلك فقال تعالى
وبشر الصابرين ثم وصف الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون هدى الله عبده على الاعتياد بحرف التوحيد عند المصيبة اذ جل التوحيد واجل
في ذلك الحرف وهو التبري من ان يكون له في حكم الله تدبير او راي وتبديل النفس له وما للنفس
ليحكم فيها بما شاء وقوله انا لله كانه قال ما لنا فيها لنفسنا حكم ولا تدبير وانما يكون
الحكم في كل ملك لمن يملكه وبمثل هذا يتعود في كف الانفس عن الجزع وحملها على ما يكره وقوله
وانا اليه راجعون فكانه يقول اذا اليه مرجعنا لا فرق ان نرجع اليه جملة او بالتفاريق الا انه من
له علينا الاعتياد فضل القبول منا البعض دون الكل وفي ذلك تذكير للنفس عاقبتها لتكون كمن
يتقدم نحبا مما به قوامه الى مكان قراره وقد انتهى الخبر بالنوع فمعلوم ان ذلك اطيب للنفس
وامكن لقلبه من ان يكون جميع ذلك معه وبالله التوفيق وجملة ذلك ان هذه الدنيا انشئت
لا لها ولكن ليكتسب منها الاخرة وجعل كل شيء منها زادا بلاغا لينال به الدار ايام ابا في مدة الاجل
حتى كل فيها بعينه الذي يرى الذي انشئ ودعا له ليبقى فيعلم انه يبلغ في تجارته غايتها من الربح وانه
باع الفاني بالباقي مع ما كان وكل شيء من الدنيا ما يوقف بآفات الفناء والهلاك فابدل المألوف
بالذي لا انس فيه فجلو فيه يستحسن في التدبير ان لا يعد ذا مصيبة بل على الشكر وذا ارفع الربح لكن البشر
جبل على طباع نافرة عن كل ما هو جاهل بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل احد لان نفوس اهل الله
المشتغلين فان قلت فابل هذا الاسترجاع خص به هذه الامة اذ قال يعقوب يا اسفى على يوسف
الاية فهو والله اعلم ان كان لهو موضع التلفيف والتسليم او قولنا ذلك لان هذا المعنى مما يحتمل
ان يكون يتقرب لا بحقيقته بل حقيقته بقوله فصبر جميل الاية وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله ونحو
مع ذلك قد كان بما اخبره يوسف وربما اوحي اليه انه قد علم انه لم يهلك بعد ولم يوجد منه الى حيث
يرجع هو اليه من انبعث بعد الموت ولا قوة الا بالله ثم بين الله عز وجل ما يكرمهم اذ خضعوا لحكمه
ورضوا بقضائه مع ما دل عليه ايضا بقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله الاية فقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال في موضع آخر انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب فكان من فضله ان سمى ما وعدهم على الصبر اجرا ومعلوم ان كان
ذلك حقا لله عليهم بالتتابع من نفسه مع عظيم منته لكنه سمى ما افضل به عليه اجرا له مع ما
كان العبد يعمل لنفسه ولا يحتمل ان يستحق به الاجر لولا الانعام منه جل ثناؤه ثم وعد له
في حال فعله بخصال ثلاثة احدها ان عليه صلاته وصلاته تحتمل مباهاته للملائكة تعظيما
لما بذل عبده له وخضع لحكمه عليه ورضوا قالوا ونحن نسبح بحمدك الاية فيخبرهم ان هذا اقدر
تبع حضرة المصيبة وخضع لحكمه عليه ورضي بالاسترجاع وتحتمل مغفرته واعطاب الثواب

الجزيل

الجزيل له بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة الاية وقوله يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ما ذكر من
الافضال والله الموفق ويحتمل ثناؤه وذكره في اخيار عباده كقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل
الله اموات الاية وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية مما يرجى له من زيادة الهدى
في الدنيا بقوله والذين جاهدوا فينا الاية وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والرحمة قد
ترجع الى ما ذكرنا وجائز ان يكون رحمته هي التي اكرمه بها لذلك الاسترجاع ويحتمل النعمة او رحمة
يلقيها في قلوب العباد حتى يحنون له بها او خلف يعطيه في الدنيا ثم شهد الله لهم بالهداية
وفي ذلك يحتمل ان يكونوا اهتدوا الدين ولما عليهم في المصيبة من التسليم لله ويحتمل الاهتداء
لطريق الجنة على ما بينه انه وعد الشهداء ولا قوة الا بالله وقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
للاسترجاع وقد روي عن نبي الله انه قال لم يعط الاسترجاع من كان قبلكم لقوله ما بينا من
التلفظ به واما حقا التسليم فقد كان في توقيت وقت الصبر ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الصبر عند الصدمة الاولى وقد روي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من مصيبة وان طال عهدها فيجدد لها العبد الاسترجاع الا
جدد الله ثوابها كلما استرجع فلعل هذا لمن احسن القبول وقت المصيبة او رجع عما كان
فرط منه وتاب والاول في غير ذلك والله الموفق ثم في الاية وجوه من المعتبر احدها
ما يلزم العبد من المصائب وما يستوجبه اذا ادى ما عليه والثاني في ذلك بيان ان الصحة والاكل
وحفظ المقة ولا احد ليس بلازم في الحكمة لكنهما انعام من الله ولذا الابتلاء باخذه اذ لو كان عليه الاول
لم يكن يلزمه الشكر في ذلك والله الموفق والثالث ان الله تعالى ذكر انه بلا العباد بالذي ذكر
ومعلوم ان ذلك يجري على ايدي العباد بعدما اضاف ذلك الى نفسه ثبت ان له في ذلك تدبيرا
حتى يبلوهم به والله اعلم وفيه ان الله قال ونبلوكم بكذا ولم يكن كان يؤمن بشيء كان ذلك
وكذلك قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم الاية ثم بلوا بذلك ليعلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم علم ذلك بالله وبين ايضا انه موضع البشارة بما يضطرب على الخلق ويتبسم الفؤاد
في الطمع لم يحتمل ان يخبرهم به لولا الامر به وطاعة الله في ذلك وايضا انه ذكر الخوف
فيعلم ان الخوف من الخلق لا يؤمن الا عنقا وكذلك قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
تعلى ذلك الرجاء والطمع وجملته ان امر الدنيا محمول كلها على الاسباب لا انها توجب ولكن الله تعالى
اجرى احكامه عليها فيكون الخوف والرجاء فيما يستحق من الله ان يكون فعل ذلك سببا والله
الموفق وايضا انه يعلم ان المصائب في الدنيا ليست كلها عقب الآثام بل لله الابتلاء بالحسنات
والسيئات وايضا لا يدل على وهن عند المصاب ولا ذلة بل بها وكم على ذلك من الانبياء
والرسل ولكن في وجهين احدهما ان يكون الله يريد ان يحمي وليه لذات الدنيا ليبقى لها موفرة
في الآخرة والثاني ان يكون لهم لعله زلات لا ينال عنها الا ذلك فيبتلوا ليبعثوا يوم القيمة
ولا زلة بقيت مما يحزنهم تلك ولا قوة الا بالله وانا كذلك حملت المحنة قال وقوله
ان الصفا والمروة من شعائر الله ان صعودهما من اللازم في نسكه وكذلك صعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصفا وقال نبدأ بما بدأ الله وقد قال الله تعالى ذكره فلا جناح عليه
ان يطوف بهما ولم يقل بينهما لزم بصعود الصفا والمروة فلم يطف بهما مع ما قال الله تعالى في تعظيم
شعائر الله وفي ترك صعودهما احلال شعائر الله اذ قد بين الله انهما من شعائره وما وي .. ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على ناقته ومعلوم ان الناقة لا تصعد بما هو عندنا للصعود
نفل ذلك والا فانه قد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه صعدهما واستقبل البيت وقال
نبدأ بما بدأ الله ودليل ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه بينهما على ناقته والبيت
لعذر به ولا يحتمل ان يكون ايضا بغير عذر يدل منه المطلب بالسعي لما فيه من فضل الساعي والراكب
لا يسعى وقال الشافعي روي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت
وبين الصفا والمروة على ناقته ليرى الناس وقال جاء جابر اولى من خبر ابن جبير فكانه وقع
عنده انه عن ابن جبير وذلك عن ابن جبير عن ابن عباس وسواء لان العذر كان لا يعرف
بالنظر اليه بعد وانما يعرف بان قال او بالخبر من عنده في العذر وهذا احرج خبر ابن عباس
به ان خبر جابر لم يصح فيما يروي فيه لما ذكر انه يرى الناس فكانه اراد ان يعلمهم وذلك عذر له
صلى الله عليه وسلم اذ خرج مخرج التبليغ وذلك كالتعليم منه والتعليم عليه لازم فلو تركه
بلا عذر عليه لذلك عذر والله اعلم والثاني انه يجوز ان يكون فعله ذلك ليس هو فعل ما كان عليه
اذ قد ذكر الذي كان عليه انه كيف كان يفعله فكان ذلك لمكان الدلالة للخلق بذلك من الامور
المتوارث من صنع الحج والعرف ان الاول لا يفعلون ما يفعل الحاج لا في فعل الحج ولكن في التعليم
نفي ذلك امر المروي عنه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبونهم ان اشباها في التسمية او اعدلا في العبادة او شركاء في الحقوق فقوله
هذا انه يعمهم الاية تسفههم بما عبدوا وما قد صنعوه بالصناعة او النحت وزينوا بانواع
الزينة واعرضوا بذلك من عبادة من عرفوه بشهادة جميع العالم انه وحده بعلموا انه لا يملك شيئا
مما عبدوه ضرا ولا نفعا بل لو كان يجوز العبادة لغير الله لكان اولئك الذين اتخذوا اولى
من المتخذين ثم يبقى عظم سفههم عليهم بجهدهم بعبادتهم ومجرها عن الدفع عنها ثم فاسموا
بعد ما الدفع عنها سفها بغير علم يحبونهم كحب الله بتوجه وحهين اي كحبهم الله بما ادعوا
انهم بذلك يتقربون الى الله ويكون كحب المومنين الله معناه يحبون هم عبادة بعد كما يحب
المومن عبادة الله والذين امنوا اشد حبا لله اي لعبادته منهم لعبادة الاوثان من حيث لا يوثر
المومن على عبادة الله اعني في الاحتيار لا فيما يوجد من ظاهر الاحوال في الدارين حنيفا وهو
يتركون عبادة الاوثان بوجود ما هوا محب منها او لادنى شيء من متاع الدنيا وبعد فان الحب
يخرج في الثناء وفي العبادة والطاعة وفي التعظيم والتبجيل وقد يخرج في ميل القلوب يحب
الكفرة هذا او هو حب الجسد اي الذي يولده الشهوة او يستحسنه البصر وحب الله من
المومنين من هذين الوجهين فاسد بل هو من الوجه الذي ذكرناه وقد كان حب الهيبة والرغبة
اذ علموا الكفر كلها من الله وعلموا ان السلطان والعزة لله ولا احد ينال شيئا من ذلك الا بالله
فاوجب ما عنده من النعم والرغبة وما له من السلطان الهيبة فذلك طريق حب المومنين معما
ظهر من اياديه التي لا تحصى وانضاله التي لا تحاط والنعم مما موجبا تعظيم الامور والمبادرة
بالتسليم لما تبع الادلة المظهرة تعاليه عن تلك بالعقول وتصور الاوهام فيكون حب
في الحقيقة في تعظيم اموره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه لا في توهم ذات واضمار القلب
ما يعقله يرجع المحبة الى ذلك بل هو فيما ذكرت ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقول لهؤلاء ان كنتم صادقين تحبون الله فاتبعوني وهو ان من احب اخر محبة الجلال والرفعة
عظم رسوله واتباعه لما به عوه اليه وان كان في ذلك هلاكه تعظيما لامره وتبجيلا تكلف فيما

نجاة ودونه في الدارين والله الموفق وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يتوجه وجهين
احدهما الاذن في الاكل ما يستطيبه النفس ويتلذذ به ليكون ادعى والشكر لله فيما انعم عليه
ويكون في ارادة الحلال بقوله الطيبات فيكون في الاية دليل كون المرزوق حلالا وحراما
اذ قيل من ذا ولم يقل كلوا ذا ولو كان كل رزق حلالا لكان يقول كلوا مما رزقكم والله اعلم
شرح حق المحبة التمكين مما عرفه تحل وما برغبت فيه النفس ويزهد فيها ويرجع ذلك كله في الملك
وفي الرزق فيكون كلم من الامرين بالمحبة اذ ذلك حق المحبة والله الموفق قوله فمن اضطر
غير باغ ولا عاد يحتمل غير باغ في الاكل ولا عاد في حد الله اذ حرمه عليه في غير حال الاضطرار
فيصير باغيا في الاكل عاديا في الله ويحتمل ان يكون غير باغ ولا عاد تفسير القوله فمن اضطر
كقوله محصنات غير مسافحات الاية ويحتمل غير باغ ولا عاد لا يجاوز فيه الحل الحد المجهول
له من اقامة المهجة ودفع الضعف وهو الاكل لشهوة اذ لحاجة غير حاجة الجوع خاصة ويحتمل غير
باغ على المسلمين ولا عاد عليهم لكن تصحيح النهي عن الانتفاع بالشيء حرمة هتكها صاحبها في غنى عما
هتك لا عما كان مباحا له كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للمراة الناشزة ولا العبد
الابق وذلك نهي عن الاباق والنشوز لا عن الصلاة فمثله لو كان نهيا فكيف ولا نهي ولكن ذكر
الاباحة على صفة لم يذكر الحل والتحريم في الابتدا مع تلك الصفة وجملته ان بغيه لا يحرم ما قد
احل بالمحرم بالاتفاق فكذلك ما احل بالسبب ودليل ذلك ان الكفرة وسائر الفسقة انه لم يحرم
عليهم شيء من ذلك والثاني النهي عن قتله وقوله ان الصفا والمروة من شعائر الله يحتمل لا ان
الصعود على الصفا والمروة من شعائر الله لا الطواف بينهما خاصة في ما قاله فمن حج البيت قوله لا جناح
عليه ان يطوف بهما ولم يقل ان يطوف بينهما ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
نبدأ بما بدأ الله ثم صعد الصفا فاعرض بها وروي انه طاف بينهما على ناقته ولم يصعد قبل له
يحتمل انه لم يصعد لما كانت الناقة لا تصعد الا ان تتاح بها ولا الصعود او كان به عذر فترك
الصعود للعذر وقد يباح الاشيا في حال العذر ما لا يباح في غير تلك الحال ثم اختلف
في الطواف بينهما لماذا قيل ان الجناح به لوجهين احدهما ما قيل كان بالصفا صنم وبالمروة صنم
فتحرجوا الطواف بهما وقيل كان بينهما اصنام لذلك كان تحرجهم ثم قالت ان الضوال السعي بينهما
معبود حتى لو ترك الحاج خطوة منه وان في اقصى بلاد المسلمين امر بالعود ليضع قدمه موضعها
ويخطو تلك الخطوة واحتج بما روت صفية بنت فلان انها سمعت امراة سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان الله كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة فاسعوا
وهو باين من قبول المرابيل لتوهم الغلط ومرة يحتج بامراة لا تعرف ولا يذكر اسمها والوجه
فيه انه ثبت وصح ان الكتاب يحتمل غير ما قاله وهو ان يقال كتب اي حكم كقوله كتاب الله
من المومنين كتاب الله عليكم قيل به حكم الله عليكم وقال اخر وان ليس بفرض ولا لازم وانما احتج
بما ذكر في حرف ابي لا جناح عليه ان لا يطوف بهما ولا يذكر ذلك في شيء واجب وان في ذات
هذه اللفظة لفظة رخصة ولا رخص يترك ما فرض او لازم ثم الجواب عن الحرف الاول
ان القراات ربما تزاد وتنقص ولا يوجب زيادتها ولا نقصانها تغير حكمها كقوله يبين الله لكم
ان تضلوا اي لا تضلوا ومثل هذا كثير في القران والثاني ما ذكرنا ان المسلمين كانوا تحرجوا
عن الطواف بينهما لمكان الاصنام فبين عز وجل ان لا حرج عليهم في ذلك لان لفظ الجناح
برفع الحرج في تركه واما عندنا فهو لازم لانه نوع ما لا يتبرع به والاصل عندنا ان ما لا يتبرع

به يخرج الامر به مخرج الوجوب واللزوم كالطواف وسجدة التلاوة وكالوتر والاضحية ونحوه
وقد روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما تم حج امريء قط الا بما يسعى فهو ضعف
بالنقصان لا وصف بالفساد وفرق بين التمام من النقص وبين الجواز من الفساد وقوله
فان الله شاكر عليم عامل الله عز وجل بكرمه ولطفه عباده معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم
حيث وعد قبول اليسير من العمل واعطا الجزيل من الثواب وحيث طلب منهم الاقراض ووعد
لهم العظيم من الجزاء كمن لا حق له فيها بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وحيث خرج القول منه في الابتلاء والامتحان مخرج
الاعتداء وهو كان لا حق له فيه بقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية ثم بشر لهم بالجنة بما صبروا
على اخذ ماله اخذه وذلك من غاية اللطف والكرم وقيل شاكر اي يجزي بجزاء الخطير بعمل
اليسير وقيل يقبل اليسير ويعطي الجزيل وهو واحد وقوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
قيل البينات هي الحجج التي كتموا ما انزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم وقيل كتموا ما بين في كتبهم من
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وجائز ان يكون البينات ما بين للخلق ما عليهم ان يأتوا ويتقوا
من الاحكام من الحلال والحرام وقوله والهدى قيل الصواب والرشد وقيل الهدى ما جاءت به
انبياؤهم من شان محمد صلى الله عليه وسلم ودينه وامروا هم به من تصديقه وقيل كتموا الاسلام
وهو دين الله وكتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
وقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اختلف الناس قيل هم اليهود كتموا ما بين لهم وقيل
بينا للمؤمنين ما كتمهم اليهود من نعته وصفته ويحتمل البيان بالحجج والبراهين ويحتمل البيان
بالخبر اخبر المؤمنين بذلك وقوله اولئك يلعنهم الله قال بعض اهل الكلام اللعن هو الشتم
من الله تعالى لكنا لا نستحسن اضافة لفظ الشتم اليه لان المضاف اليه الشتم يكون مذموما
في المعروف ما جبل عليه الخلق ونقول اللعن هو الطرد في اللغة طردهم عز وجل
عن ابواب الخير وقوله ويلعنهم اللاعنون قيل الذين يلعن عليهم باللعن من اولئك اللاعنين
ويحتمل فيستبعدهم عن الخيرات وانواع البر وقيل هم البهائم اذا قحطت السماء واسنتت
الارض قالت البهائم منعنا القطر بذنوب بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقوله الا الذين
تابوا واصلحوا وبينوا قيل تابوا عن الشرك واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وبينوا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين تابوا عن الكتمان واصلحوا ما افسدوا بالكتمان وبينوا
ما كتموا فاولئك اتوب عليهم قيل نتوب عليهم نقبل توبة من يتوب وقيل يتوب عليهم اي يوفقهم
على التوبة وقوله الرحيم قيل المتجاوز عن ذنبهم في هذا الموضع وقيل الكاشف عن كربهم
وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله قيل لعنة الله هو ان يخلدهم
ابدا في النار واخلادهم فيها ولعنة الملائكة قوله او لم تك تاتيكم رسلكم بالبينات حتى ما لما
سالوا اهون تخفيفا للعذاب كقوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وكقوله ربنا اخرجنا
منها فان عدنا الاية فيقول لهم الملائكة اخسؤوا فيها ولا تكلمون هذا ما قيل من لعنة الملائكة
وقيل لعنة الناس اجمعين انهم لما طلبوا من اهل الجنة الماء بقوله ان افيضوا علينا من الماء
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هذا لعنة الناس والله اعلم وقوله ولا هم ينظرون
قيل لا يمهلون ولا يردون الى ما تمنوا كقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقيل لا ينظرون
لا يؤجلون قيل لا ينظر هم خزان النار بالعذاب وقوله والهكم اله واحد كرر هذا

الاسم لان كل معبود يعبد عند العرب يسمون الها كقوله فراغ الى آلهتهم وكقوله ارايت
من اتخذ الهه هواه لهذا ذكر ان المنكر الذي ينتحل الالوهية والعبادة واحد بذاته لا واحد
من جهة العدد كالخلق وواحد الاعداد والازواج والاشكال بل واحد بذاته وجلاله وعظمته وسلطانه
وتوحده عن شبه الخلق وجمع معانيهم يقال فلان واحد زمانه يراد لارتفاع امره وعلو مرتبته
لا بحيث العدد او بحيث العدد مثله كثير وقوله والهكم اله واحد فيه اثبات انه
واحد وفي قوله لا اله الا هو نفي غيره من الالهة فان قيل لم كان هذا اولا وهو في الظاهر
دعوى قيل له دليل وحدانيته قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
خلق السموات وجعل فيها منافع وخلق الارض وجعل فيها منافع للخلق ثم جعل منافع السماء
متصلة بمنافع الارض واخراج ما فيها من النبات من المأكول والمشروب والملبوس بالامطار
فذلك اتصال منافع احدهما بالاخر وتعلقها به على ان منشئهما واحد لانه لو كان من اثنين
لكان اذا انقطع هذا اوصل الاخر واذا اوصل هذا انقطع الاخر فاذا لم يكن ولكنه اتصل دل انه
فعل واحد فهو ينقض على الثنوية والزنادقة قولهم وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار
على ان خالقهما واحد لانه لو كان خالقهما اثنان لكان اذا اتى هذا بالليل منع الاخر النهار واذا
اتى احدهما بالنهار منع الاخر الليل وفيه ذهاب عيش الخلق وفي ذهابه تعطيلهم وفنائهم وهو
فذلك انه واحد والثاني انه جعل للخلق في الليل والنهار منافع وجعل نفعهما متصلة ببعض
متعلقة مع تضادهما كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
فذلك اتصال منافع احدهما بالاخر مع اختلافهما وتضادهما ان مدبرهما واحد وفيه دلالة حدث
العالم لما ذكرنا من تغييرها وزوالها من حال الى حال فدل تغيرها وزوالها على انها حدث
ودل جعل هذه الاشياء بابتداء ابقاء وعجزها على قدرة منشئها على انها محدث والثاني ان كل واحد
منهما اعني الليل والنهار يصير بمجيء الاخر مغلوبا فلولا ان كان ثم لغيره فيه تدبير والا لما احتمل
ان يكون مغلوبا بعد ما كان غالبا فدل ان لهما محدثا وانه واحد وفيه دلالة البعث والحياة
بعد الموت لان الليل يأتي على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من اثر النهار شيء وكذلك
النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل شيء ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد
في البدو من غير نقصان ولا تفاوت فدل انه قادر على انشاء ما اماته واتلفه وان لم يبق
له اثر على ما قدر من اعادة ما اتلف وانشاء ما اذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وان
لم يبق له اثر وقوله واختلاف الليل والنهار قيل اختلافهما لما جعل احدهما مظلما والاخر
مضيئا وقيل اختلافهما لنقصانهما وزيادتهما اذ ما ينتقص من احدهما يزداد في الاخر فذلك
انتقاصهما وزيادتهما على ان منشئهما واحد لانه لو كان من اثنين لمنع كل واحد منهما صاحبه من
الزيادة والنقصان وبالله التوفيق ولتغير الشمس والقمر ولا يجري كل عام الامر فيه على ما جرى
عليه في العام الاول وقوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فالاية تنقض
على المعتزلة قولهم لانه عز وجل جعل الفلك التي تجري في البحر من اياته والمعتزلة جعلوها
من ايات العباد لان الفلك قبل ان يعملها وينحت لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا فلو لم
يكن عملا للعباد وفعلا لهم فيها من مصنوعه ومخلوقه لذلك به موضع الحجاج والتسمية بالا
الايات فدل انه له فيها صنعا وتقديرا حيث صار بحيث باب من ابوابه العجيبة وهو ان الطباع
تنفر من معاينة البحر والاطلاع في امواجه وامن البعد اذا هو وان اهم من هاهنا اياته مما يجري به

في البحر على الحفظ والامر الواقع لهم فذلك انه من عند قادر لطيف خبير وفيه ايضا دلالة
وحدانيته وذلك ان اهل البر لهم الاستمتاع باهل البحر ولاهل البحر الانتفاع باهل البر على بعد
ما بينهما وتقصاه مما فذلك ان مدبرهما واحد ثم فيه دلالة اباحة التجارات مع الخطرات في احتمال
المشقات وتحمل المؤونات وفي ذلك دلالة النبوة لانه لا يعلم ان اتخاذ السفن وما فيه من المنافع
لا يقوم له تدبير البشر ثبت انه علم ذلك بمن يعلم جواهر الاشياء وما يصلح الاشياء وما لا
يصلح وفي الحاجة الى ذلك اصحاب القول بالرسالة للبشر وقوله وما انزل الله من السماء من ماء
فاحيا به الارض فيه دلالة تفضل العلوي على السفلي لان ما ينزل من السماء من الماء ينزل عذبا
وما يخرج من الارض يخرج مختلفا منه ما هو عذب ومنه ما هو اجاج وما هو مر فذلك ان ذا
فضل العلوي على السفلي وقوله فاحيا به الارض بعد موتها قد ذكرنا هذا وفيه دلالة البعث
وقوله وبث فيها قيل خلق وقيل بسط وقيل فرق من كل دابة قيل جعل فيها من كل جوهر الدابة منها
ما جعل ماكولا مستنفعا بها من كل انواع المنافع لبدنهم وليس عليهم في ذلك عذاب لهم في الجنة ومنها
ما جعل غير ماكولة ولا مستمتع بها لم جعلها اعداء لهم على تحذير منها او عدوا وحذروا في النار و
قوله وتصريف الرياح يحتمل وجهين يحتمل مرة نعمة للعذاب ومرة للمنافع لانه جعل فيها
منافع كثيرة للخلق بها تجري السفن في البحار وبها ينشر السحاب في الهواء وبها تبقى الاشياء
وبها يميز ما يحتاج به مما لا وذلك ما يكثر ذلك ثم يعلم من عظم لطفه انه جعل الهواء بحال لا يقوم بها
شيء وانه لطيف والسحاب مع غلظه وكثافته جعل الهواء لطافتها ودقتها مقرا للسحاب
حتى يطير الى غير فيه تدبير ويحتمل تصريف الرياح صرفه اياها مرة صبا ومرة دبورا ومرة جنوبا
ومرة شمالا ومرة يمينا ومرة شمالا للمنافع ثم فيه دلالة انها من الاجسام لا من الاعراض لكن
لا ترى للطافتها فذلك انها من الاجسام ثم من الاجسام ما يرى ولا يمس كالهواء يرى ولا يمس
ومنها من الاجسام كالذرة التي في الشمس ترى ولا تمس ثم قوله عز وجل ان الذي تحت السحاب
بالرياح التي جعلها في الهواء وبما فيها من المنافع التي تقدم ذكرها فيه ان مدبرهما واحد اذ لو كان
التدبير من عند اثنين لاوجب التناقض في التدبير اذ يجعل كل منهما فيه خلاف ما جعله الاخر
ويدبر كل منهما لينقض تدبير الاخر وفي اتساق التدبير واتقان الصنعة واحكامها دليل
ان الحكم هو الواحد الذي حكم هذه الاشياء الى الاتقان حليته والزمهم العبودية له بما
اودع له في كل هذه المصنوعات من ادلة وحدانيته وايات ربوبيته ولهذا قال لآيات
لقوم يعقلون ليعتبروا بما فيها من الادلة والحجج اذ من لا يعقل جهة الحكمة في خلق هذه الاشياء
ثم خلقت ولماذا خلقت وما الحكمة فيها لا يستوي عليه خلقها وغير خلقها ثم فيه دلالة ان ما خلق
من السموات والارض والليل والنهار والسحاب خلقها ليدلهم على وحدانيته وربوبيته وجعلها
مسخرة مذللة لهم وبالله التوفيق وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا قيل فيه
بوجوه قيل يتخذ يعبد من دون الله اندادا وقيل يتخذ من دون الله لله اندادا في التسمية يعني
يتخذ الجواهر التي تصاغ او تنحت ويتخذ ذلك مما يتعلق كوسيلة بعضهم ببعضهم بعد ان النعم
تركوا عبادة ربهم فامتن لهم كل نعمة وسلم لهم كل خير وعبدوا ما قد اتخذوه بالعادات
ولا قوة الا بالله وقوله يحبونهم كحب الله قيل يحبون عبادة الانداد لما عندهم كحبهم عبادة
الله وطاعته لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقيل يحبون عبادة الانداد كحب المؤمنين عبادة ربهم وقيل يحبون الهتهم كما

يحب الذين امنوا لهم ثم قال والذين امنوا اشد حبا لله منهم لالهتهم قيل والذين امنوا
اشد حبا لله تعالى اي اشد حبا لاجل الله وقيل والذين امنوا اشد حبا لله اي اشد اختيارا لطاعته
واكثر ايثارا واعظاما واجلالا لامره من اعظامهم واجلالهم لالهتهم والله اعلم ثم المحبة
محبة الشهوة والميل اليه فهو في الخلق لا يحتمل في الله ومحبة الطاعة والايثار والامر ومطلق
فهو في الله يحتمل وقوله ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالياء والتاء جميعا ومن قرأ بالتاء جعل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولو ترى الذين ظلموا يا محمد شهدوا لكنت ان القوة
لله جميعا ومن قرأ بالياء يقول ولو يرى الذين ظلموا او يعلم الذين ظلموا في الدنيا اذا راوا العذاب
يعلمون ان القوة لله جميعا ويحتمل لو يعلم الذين ظلموا اذا علموا عذاب الاخرة يعلمون ان القوة
لله جميعا ويحتمل المراد من قوله يرى اي يدخل كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اي لمن يدخلها
ويصلاها وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا يعني الرؤساء من الذين اتبعوا يعني الاتباع لم
يتبرأ بعضهم من بعض القادة من الاتباع والاتباع من القادة وهو كقوله قالت اخراهم
لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا الاية وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل الاية
وكقوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا والذين استضعفوا للذين استكبروا
مثل هذا وكقوله يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية وقيل اذ تبرأ الذين اتبعوا الشياطين
من الذين اتبعوا من الانس وقيل يتبرأ من الله كل هؤلاء اذ لا يغنون عنهم شيئا وكل هؤلاء كانوا
الذين اضلوهم ولا اشد الحسرة عليهم حين عاينوا النار وقوله وتقطعت بهم الاسباب
قيل الارحام والانساب كقوله فلا انساب بينهم وكقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية وقيل
تقطعت بهم الاسباب يعني العهود والايمان التي كانت بينهم في الدنيا وقيل تواصلهم في
الدنيا وقواهم لم ينفعهم شيئا لانهم كانوا يتواصلون ويتوادون في الدنيا وصاروا في الاخرة
يلعن بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكذلك قوله يريهم
الله اعمالهم قيل يريهم الله اعمالهم التي لم يريدوا بها الله حسرات عليهم اي حسرة وندامة
عليهم وقيل كل عمل عملوه ارادوا به غير وجه الله كان ذلك عليهم حسرة يوم القيامة وقيل
اعمالهم التي عملوها في الدنيا تصير حسرات عليهم حين رفع لهم الجنة ينظرون الى مساكنهم
التي كانت لهم لو امنوا بها ثم لغيرهم وبانها يورثهم لهم قال وهذا عندي لا يصح ان يجعل الله لاحد
نصيبا في الجنة ثم يحرمه ولكن هذا على اهل الوعد وعد من اطاع الله الجنة ومن عصاه النار
فهو على انهم لو اطاعوا كان لهم نصيب في الجنة وهو لو عصوا كان لهم نصيب في
النار او يكون ذكر النصيب لهم لا في الجنة من الدين ادعوه لا نصيب كما قالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى فيحرمون ويورث عنهم ما ذكروا انه لهم في الجنة كما قال
الله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وقوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
قيل فيه بوجوه قيل انهم كانوا يحرمون التناول من الاشياء والانتفاع من نحو البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي فيقولون حرم الانتفاع بها فانزل الله تعالى فقال كلوا مما في الارض حلالا
طيبا وانتفعوا بها فان الله لم يحرمها عليكم كقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الاية
وقيل خلق الله في الارض ما هو حلال وما هو حرام فاباح التناول من الحلال ونهى عن الحرام
وقيل ان قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام والرفيع من الملبوس ويتناولون الدون
والدنية منها عن ذلك ولا يحتمل ان يراد بالطيبات الحلال منها ولكن ما يطيب للنفس من

التناول لان التنعم لا يتلذذ بالتناول من كل حلال ولكن انما تطيب بما هو الذ وارفق والله
اعلم وعلى ذلك قوله قل من حرم زينة الله الاية فيكون كان الذين في الارض حلالا وحراما
ثم اما حل لطيب ودون فاسق باكل ما طاب من ذلك اذا التذ وعليه لانه في نفسه طيبه تعظيم محله
في القلب ويجب ذلك برعب نعمة بالشكر لمن انعم به عليه والتعظيم لمن اكرمه بالذي طابت
له به النفس والله اعلم وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل
وساوس الشيطان وقيل سبل الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فهو يرجع الى واحد قوله
انه لكم عدو مبين وذكر في موضع اخر وسماه ولياً بقوله اولياؤهم الطاغوت فالوجه فيه انه
يريهم في الظاهر الموالاة ولكنه يريد في الباطن اهلاكهم فاذا كان كذلك فهو في الحقيقة عدو
وجائز ان يكون اوليآؤهم اي هم اوليآؤه مما عملوا بامره او اوليآؤهم ما دام الو هم
في الفعل تشاركهم في الشر وكانوا في الحقيقة لهم اعدآء اذ ذلك هلاكهم ولا قوة الا بالله و
قوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه يوسوس ويدعو فان اطاعه والا ليس له غلبة سلطان
فهو في ذلك فهو ضعيف لان من لا ينفذ في رعيته فهو في قوله فهو ضعيف يوصف بالتضعيف
والله اعلم ويكون ضعيفا في من تامل مكائده وتحفظ احواله وقوله انما يامركم بالسوء والفحشاء
قيل يحتمل ان يكون السوء هو الفحشآء والفحشاء هو السوء لما ان كل واحد منهما يشتمل في كل نوع
من الاثام ويحتمل ان يكون السوء ما خفي من المعاصي والفحشآء ما ظهر منها وقيل السوء ما لا حد
فيه والفحشآء ما فيه حد من نحو الزنا وشرب الخمر وغيره وقيل الفحشآء ما يحسن في العقل
والسوء ما ينهى بالنهي عنه وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يخرج على الاول ان السوء
والفحشا يامركم بذلك فيقولوا الله امرنا بها ويحتمل قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
ما قالوا ان الله حرم هذه الاشيآء او القول على الله بما لا يعلمون بما لا يليق به من الولد والشركاء
وغيره من عبادته والله اعلم وقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه
اباءنا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان اباهم كانوا اولى لهم ان لا يفارقوا دينهم الذي هم عليه
فقالوا عند ذلك لا ندع دينا اباءنا كقوله اتواصوا به بل هم قوم طاغون او كانوا قوما سفهآء
اصحاب تقليد فقالوا انا قلدنا اباءنا فلا نقلد غيرهم وقوله او لو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون يخرج هذا الكلام على وجهين اي تقلدون انتم اباكم وان كانوا لا يعقلون
شيئا ويحتمل او لو كان اي وقد كان اباؤكم لا يعقلون شيئا فكيف تقلدونهم وهو كقوله
اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي وقد جئتكم او ان يقال من جعل اباءكم قدوة
يقتدى بهم وقوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع قيل فيه بوجهين قيل
مثلنا ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصوت بما لا يسمع الا دعاء ونداء يسمعون
الصوت ولا يفقهون ما فيه وقيل ينعق بمعنى ينعق ذكر الفاعل على ارادة المفعول كقوله
في عيشة راضية اي مرضية فعلى ذلك الاول وهو في اللغة جائز وقوله صم
بكم عمي فهم لا يعقلون سماهم بذلك وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك لما لم ينتفعوا بها اذ الحاجة
من هذه الاشيآء الانتفاع بها ولذلك سماهم بها لما لم ينتفعوا بعقلهم وعقلهم وقوله
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وان الذي كان لهم الاكل امرهم بالتناول
منه من الحلال شرعه الدليل على ان من الرزق ما هو طيب حلال وما هو خبيث حرام اذ لو لم
يكن منه طيبا وخبيثا لكان لا يتبعوا فيه ذكر الطيب بل يقول كلوا مما رزقناكم فان قيل ما وجه

الحكمة في الامتحان بجعل الخبيث رزقا لهم قيل هذا امثل المحنة في كل شيء جعل لهم الغذآء
فيامرهم بالامتناع عنه ويجعل لهم قضآء الشهوة في الحرام ويامرهم بالكف وهو الخطأ من
المحن وقوله واشكروا لله في ما اباح لكم الطيبات ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم به
تؤمنون ذلك ويحتمل ان كنتم اياه تعبدون اي اياه توحدون ويحتمل ان كنتم من تعبدونه اياه
تقصدون فلا تجعلوا عبادتكم له خالصة لا تعبدوا غيره فيكون له ولا قوة الا بالله وقيل
ان يعني اذا اثرتم عبادته فاشكروا له ويحتمل قوله واشكروا لله في جميع ما انعم عليكم من
الدين والبر والقرآن وغير ذلك من النعم اي كونوا له شاكرين وقوله انما حرم عليكم الميتة
ذكر الميتة فمعناه حرم عليكم الاكل من الميتة والتناول منها فاذا كان كذلك فليس فيه حرمة
ما لا يؤكل والانتفاع به من نحو الصوف والشعر والعظم ونحوه الا ترى انه هذا اذا ازيل
من الشاة وهي حية وابين منها لم يصر ميتة ولان الصوف واللبن وغيرهما ليس فيه الروح
فيموت باستخراج الروح منها كالحيوان في ما ذكرنا من الجرد وروى عن عمر انه سئل عن الانفحة
استخرجت من الميتة فقال انها ذم فقيل لا فقال لا بأس كلوا فان اللبن في ذكاة فيه
او كلام نحو هذا او كذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لا بأس به فان قيل الانفحة
بمنزلة الضرع كالوعاء للجبن يكون فيه اللبن يفسد بفساده قيل ان الشيء اذا كان موضعا
للشيء ومعدنه في الاصل فاد فساد ذلك الموضع لا يوجب فساد ما فيه الا ترى ان الدم الذي
يجري بين الجلد واللحم اذا ذبح لا يفسد اللحم لما كان ذلك موضعه ومظانه فعلى ذلك
اللبن في الضرع واما الاهاب فانه اذا دبغ فقد طهر لما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ايما اهاب دبغ فقد طهر والدم المذكور في هذه الاية هو الدم المسفوح لقوله
قوله تعالى او دما مسفوحا فالمحرم من الدمآء هو السائل الا ترى ان الشاة اذا ماتت صارت
ميتة لهلاكه فذلك المحرم من الدم فيه وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد اختلف فيه
في اوجه قيل قوله غير باغ ولا عاد هو تفسير لقوله فمن اضطر وهو كقوله محصنات
غير مسافحات ولا متخذات اخدان فصار قوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان تفسيرا لقوله
محصنات لانها ان كانت محصنة كانت غير مسافحة ولا متخذة الاخدان فعلى ذلك ان كان
مضطرا كان غير باغ ولا عاد والله اعلم وقيل فمن اضطر غير باغ اي غير مستحل لتناوله ولا عاد
يتعدى على اكله للجوع وقيل قوله فمن اضطر غير باغ يبتغي غير متجاوز حده ولا عاد ولا معتمد لغاية
ثم اختلف في حرمة غير الميتة في حال الاضطرار وحلها قال بعضهم عينها حلال لبني محرم وقال
اخرون عينها حرام لكن التناول منها مباح وهو قول اصحابنا رحمهم الله تعالى قال تحل عينها للضرورة
ذهب الى ان الحظر والاباحة لا تقع في الاصل لعين الشيء ولا يقال فيها يحل ولا حرمة بحيث العين
بل الحلال والحرمة في الوارد به فلما ان جعل الحرمة ثم الحرمة ترتفع بالضرورة فيبقى عينه على
ما كان في الاصل ومن قال بحرمة عينها وحل التناول منها ذهب الى ان الحرمة حدثت لما كانت
ميتة وميلا لغيره وجه الله تعالى وانما جعل الضرورة يحل في ان العلة كانت في الضرورة في
دفع حرمة التناول ولم ترتفع حرمة عينها الا انه ابيح التناول منها للضرورة في هذا الحرمة
ولكن يجب ان لا يتكلم في هذا او مثله بحرمة العين وحلها بعد ان يكون الاباحة للضرورة اذ يتبعه ان
تحل ميتا محرمة في حال الاضطرار ولهذا ان يحرم عينها ويحل التناول منها للاضطرار فلا نتكلم فيه
فضلا وتكلف وبالله التوفيق ثم المسئلة في الباغي والعادي يحرم عليه التناول منها في

حال الاضطرار ام لا قال بعض اهل العلم بحرمة ذلك عليه لوجهين احدهما لانه ظالم وفي
المنع عن التناول منها زجر عن الظلم وفي الاباحة عن التناول منها اعانة على الظلم لذلك
حرم عليه والثاني ان القاتل عوقب عندنا بالدية في الحرم بترك المواكلة والمشاربة والمجا
لسة الى ان يضطر فيخرج عقوبة له فكذا هذا الحرم عليه التناول منه عقوبة له الى ان يترجع وقال
انتقدنا نستحق بالبغي على اهل الاسلام العقوبة العظيمة دعاقب لهذا ايضا ثم من قول هذا القائل
في الباغي انه اذا اتلف اموال اهل العدل لا نتعرض له لما ولا يغرم وكذلك العادل اذا اتلف
اموال اهل البغي لا عن ائمة عليه والغرامة نوع من العقوبات فاذا استويا في سقوط الغرامة
وان كان احدهما ظالما كيف لا استويا ايضا في هذا وما الذي يوجب الفرق بينهما ثم نقول
لهذا المخالف لنا ان الباغي المقيم يمسح يوما وليلة واذا سافر لم يرخص له المسح ثلثا في الحضر
رخصة كما في السفر فاما ان تحرم احدى الرخصتين على اباحة الاخرى مع وجود الظلم والبغي
فكان لان الضرورة طريق التناول فيه رخصة لا ترخص لظالم لما هو تخفيف والاصل في
المسئلة ان الباغي على اهل الاسلام لا ياثم باحكام اهل الاسلام اذ لو ايترامرنا بالكف عن بغيه واذا لم
يأثم والاشكل انه لا يأثم في الثاني ولا يؤمر بما فيه العبث ولا يزجر بالتحريم عن التناول
او هو على الظلم بحرمة البغي فهو ما اشتهت نفسه فكيف ينهى بحرمة فيما اضطرت اليه نفسه
ولم يملك الغلبة عليها في نهوته اثبات الماكل لكن انتخاذ الماكف لا معنى لاحداث الحرمة عليه ببغيه
واصله قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة حرم عليكم القاء
انفسهم الى المهالك والجهد الانفس وفي دفع هذه الرخصة عنه اباحة تحريم منوا عظم منه عليه
فلم يفعل والثاني ان من قتل فالتجأ الى الحرم فان اهله نهوا عن مواكلته ومشاربته لم ينه هو
في نفسه عن الاكل والشرب اذ لا يقدر احد منعه عن ذلك فالقول في مثله نتكلف فكذا الاول والله
اعلم ثم المسئلة في القدر الذي يجوز ان يتناول منها فعندنا ان الاباحة كانت بالاضطرار فهو
في القدر الذي له الدفع والازالة وذلك بدون ما فيه سد المجاعة وذلك لا فضل في استغناء
الضرورة وقوله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في الكتاب يحتمل وجهين يحتمل
ان كتموا ما في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل ما كتموا من الاحكام والشرايع من
نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الاحكام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويشترون به ثمنا قليلا
قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم وقوله اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار يحتمل وجهين اي
ما ياكلون في دنياهم الا وجب ذلك لهم في الاخرة اكل النار ويحتمل ما ياكلون في دنياهم لا ياكلوا
في الاخرة غير النار وقوله ولا يكلمهم الله قيل لا يكلمهم بكلام خير ولكن يكلمهم بغير كقوله اخسئوا
فيها ولا تكلمون وقيل لا يكلمهم غضبا عليهم يقال فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه وقوله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قيل استحبوا الضلالة على الهدى وقيل اختاروا العذاب
على المغفرة وما قاله الكلبي فهو حسن انهم اشتروا اليهودية التي هي تحصل هذا بالايمان الذي
يحصل مغفرة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ايضا وقوله فما اصبرهم على النار قيل فما ادومهم
في النار وقيل فما اصبرهم على عمل الذي يوجب لهم النار وقيل فما اجراهم على عمل اهل النار وقيل
ما اعملهم باعمال اهل النار وقال الحسن فما لهم عليها صبر ولكن ما اجراهم على النار وقد
يقال لمن يطول حبسه ما اصبرك على الحبس لا على حقيقة الصبر لكن على وجوه فيه وقوله
وان الذين اختلفوا في الكتاب اي خالفوا الكتاب ولم يعملوا به لفي شقاق بعيد قيل في خلاف بعيد

وقيل لفي عداوة بعيدة وقيل حرف البعيد في الوعيد اياس كانه قال لا انقطاع له وقوله
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قيل ليس البر كله في التوجه الى ما ذكر دون
الايمان ويحتمل ليس البر في ذلك ولكن البر ما يقصد اليه او يتبع ذلك لحوائج تنزه من يخرج عن
العزيمة ويحتمل ليس البر في التوجه الى كذا او كذا لكن الايتمار لامره والطاعة له والبر هو الطاعة
في الحقيقة وقيل ليس البر تحويل الوجه الى المشرق والمغرب ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة
الله وصدقته الجوارح وقيل ليس البر ان تصلوا ولا تعملوا غير الصلاة كل ذلك يرجع الى واحد
وجملته انه قال ليس البر كله ذلك لكن ما ذكر او ذلك الاجه استعظموا الحج قال الله ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك والثاني انما يكون ذلك بنفسه ليس برا وانما
صار برا بالامر به او بما ذكر من الايمان والخيرات فاذا زال عنه الوجهان سقط فعله ان
يكون برا وقوله ولكن البر من آمن بالله قيل صدق بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الاخر
وصدق بالبعث الذي فيه جزاء الاعمال وصدق بالكتب والملائكة والكتاب والنبيين ولكن البر تاويلان
احدهما ما قيل والثاني في الاضمار كانه قال ليس البر من يولي وجهه ولكن البر بر من آمن
بالله كما قال اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن وقيل اجعلتم صاحب السقاية كمن آمن بالله وقيل
ان البر بمعنى البار يقول ليس البار من يحول وجهه قبل كذا ولكن البار من آمن بالله الاية وقوله
وآتى المال على حبه قيل اعطى على حبه وقيل على حاجته اليه وهي نفسه كقوله ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل حبه اي ذوي قرابته وفيه دلالة ان الافضل ان يبدأ
بالصلة قرابته ثم باليتامى لان على جميع المسلمين حفظهم ولا يقدروا ضعف انفسهم قيل المساكين
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسال الناس ولا يفطن
به فيتصدق عليه وابن السبيل قيل هو الضيف ينزل وقيل هو المنقطع حاج او غاز وقيل هو
المجتاز وهو واحد وفي الرقاب قيل هو المكاتبون واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا يحتمل العهود التي بينهم وبين الناس ويحتمل العهود التي فيما بينهم وبين
ربهم وقد ذكرنا العهد من الله تعالى فيما تقدم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه والموفين
على النسق على الاول قيل اذا عاهدت عهدا ابينا انك تفي به وتعلك ثم ليس في القرآن اية
اجمع لشرايط الايمان من هذه وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الايمان
فقرا هذه الاية وهكذا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه سئل فتلا هذه وقوله
والصابرين في البأساء والضراء قيل في الاية تقديم وتاخير السائلين وفي الرقاب
والصابرين وفي هذا تخرج حرف ابن مسعود والموفين بعهدهم وقوله البأساء من البؤس
وهو الفقر والضراء قيل هو المرض وحين البأس قيل عند القتال وقوله اولئك الذين
صدقوا في ايمانهم انهم مؤمنون وصبروا على طاعة ربهم واولئك هم المتقون وقيل الذين صدقوا
في ايمانهم واولئك هم المتقون روي عن عمرو بن شرحبيل انه قال من عمل بهذه الاية فقد
استكمل الايمان قال الفقيه رحمه الله تمام كل شي باجتماع ما يجزيه الا يرى ان المصلي اذا انتقص
شيئا منها لم يتم له وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية قيل
نزلت الاية في حيين من العرب كان وقع بينهما حرب وقتال وكان لاحدهما فضل وشرف
على الاخرى فارادوا ان يقتلوا بالعبد منهم الحر منهم وبالانثى منهم الذكر فانزل الله تعالى الحر بالحر

والعبد بالعبد والانثى بالانثى وهي منسوخة لانها تقتل غير القاتل منهما وقوله ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل قيل لا تسرف لا تقتل غير قاتل وليك وقيل لا تسرف
اي لا تمثل وقيل لا تسرف في القتل اي لا تقتل اثنين الا واحد مقصود فثبت بمجموعها انه لم يرد ان
يقتل غير القاتل وقوله ايضا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ولا يحتمل نفسا غير القاتل يقتل
بنفسه ودليله قوله فمن تصدق به فهو كفارة له ولا يتصدق في غير القاتل ثبت انها منسوخة بما
ذكرنا والثاني قال ولكم في القصاص حياة لانه اذا هم بقتل آخر تفكر في قتل نفسه به فيرتدع عن قتله
فيحيى به النفسان جميعا فلو لم يقتل غير القاتل لم يكن فيه حياة اذ لا يخشى تلف نفسه ثم هذا يدل
على وجوب القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم اذ لو لم يجعل بينهما قصاص لم يرتدع
احد من قتلهم اذ لا يخشى تلف نفسه بقتله لانهم يقتلون بعد والله اعلم وقد احتجنا بحمل الآية
ابتداء لا في الحين الذي ذكرناه ثم بيان النبي في ذكر شكل بشكل تخصيصها الحكم فيه وجعله
شرطا ونفيه في غير شكله ودليله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني
قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم
بالحجارة ثم لو اذا زنى البكر بالثيب وجب ذلك الحكم فدل ان النبي في ذكر شكل بشكل تخصيص
في الحكم ولكن فيه ايجاب الحكم في كل شكل اذا ارتكب ذلك وهو ان يقتل الحر اذا قتل آخر والحرية
لا تمنع الاقتصاص لفضله وكذلك العبد اذا قتل آخر يقتل به والرق لا يمنع ذلك للنقص الذي
فيه وكذلك الانثى تقتل اذا قتلت اخرى لا يمنع ما فيهما من الضعف في وجوب القصاص بالقصاص توفيق
وله وجه آخر وهو انه قال الانثى بالانثى ومن الاناث اماء وحرائر بالاقتصاص بينهن فليس
وجب تخصيص ما ذكرها شاهد وجب ان يذكر عاما ثم ما ذكر فيه العموم فان قيل في عموم الاسم في احدهما
وخصوص القول في الآخر قيل لنبي فكذا لو كان في ذكر الوفاق ما ليس منه فادخل ثم اذ ذكر
الوفاق في الخلاف في حق ادخال ما ليس من شكله بمحل واحد ثم فيا ان تقتل العبد بالعبد في حق
الجناية لا للمولى انما للمولى في نفسه الملك والمالية الا ترى ان العبد لو اقر على نفسه بالقصاص اخذ
به ولو اقر عليه مولاه لم يؤخذ به فدل ان نفسه له لا للمولى فكان كنفس الحر فيجب ان يقتل
الحر به اذ هو مساوي الحر في حق النفس فيجب ان يسوى بينهما في حق القصاص وقال بعض الناس
لا يقتل الحر بالعبد لانه افضل منه ثم هو يقول انه يقتل الذكر بالانثى وهو افضل وقال ان القصاص
انما ذكر في المؤمنين ثم قال بالعموم والزم قتل الكافر بالمؤمن ولم يذكر في القصاص الكافر وترك
الاقتصاص للكافر من المؤمن في عموم ايجاب القصاص على المؤمنين فاذا جاز ترك القصاص على ما ذكر
فيه القصاص ولا دخال من لم يذكر في حق الاقتصاص ما يجب فكان مثله في الذي ذكر عقيب ذكر الحق
ثم بالجمهم تحت الايجاب [illegible] ثم الاناث بالاناث مع اختلاف الاحوال يلزم القصاص كيف
لا يلزم مثله في الاحرار والاصل في هذا انه لا يعتبر في الانفس المساواة الا ترى ان الانفس
تقتل بنفس واحدة وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه انه قتل رجالا بامرأة وروي انه قتل سبعة
نفر بامرأة وقال لو تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم وقال وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يقتل مسلم بكافر ثم قال صاحب هذا القول لو ان كافرا قتل كافرا ثم اسلم هذا
الكافر يقتل به ثم قتل مسلما قيل تبينا ان الكافر اذا الاسلام [illegible] ولم يعتبر حاله فافهم فانه اذا ارتكب
الكبيرة بالكافر اذا القتل [illegible] والمسلم احق ان يقتل بالكافر من الكافر بالمسلم وذلك ان المسلم
هتك حرمة الاسلام بقتل الكافر لانه اعتقد باعتقاده في دين الاسلام حرمة دم الذمي وهو

يقتله

يقتله كمستحق بمذهبه واما الذمي فانه لا يعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء اهل الاسلام
فهو ليس يقتل المسلم كمستحق بمذهبه والمسلم كمستحق بمذهبه في ما ذكرنا لذلك كان احق
بالقصاص من الكافر الا يرى ان من قتل في الحرم قتل به لانه هتك حرمة الحرم كالمستخف به
واذا قتل خارجا منه ثم التجأ اليه لم يقتل حتى يخرج منه لانه ليس كمستخف له والاول مستخف
لذلك افترقا فكذلك الاول والله اعلم والخبر عندنا يحتمل وجهين احدهما قيل ان قوما قتل
بعضهم بعضا في الجاهلية فاسلم بعضهم فارادوا وليك ان ياخذوا من اسلم منهم بالقصاص فقال
صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر كما قال كل دم كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي هذا
والثاني انه اراد بالكافر المستامن لانه قال لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده لم يقتل به
المسلم والذمي يقتل به وهو العهد لذلك يقتل به المسلم والمسلم اذا قتل مستامنا لم يقتل به وكذلك
الذمي فدل بما ذكرنا انه اراد بالكافر المستامن لا الذمي والله اعلم وقوله فمن عفي له من اخيه
شيء اختلف في تاويله قال بعضهم هو القاتل اذا عفي له معناه عنه فليتبع الولي باخذ الدية
بالمعروف شاء القاتل او ابى احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصموا اليه
في قاتل اخيه فقال اتعفو عنه قال لا قال اتاخذ الدية قال لا قال اتقتله قال نعم عرض
عليه الدية ولو كان غير حقه لم يعرض عليه وقال في بعض الاخبار ولي القتيل بين خيرتين بين
قتل واخذ دية واما عندنا تاويل قوله فمن عفي له من اخيه شيء ليس هو القاتل لانه يكون
معفوا عنه ولانه لا يتبع احدا من المتبع بل هو الولي لانه هو المعفو له لا القاتل حيث
امر بالاتباع بالمعروف كانه قال من بذل له واعطي من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وذلك
جائز في اللغة العفو بمعنى البذل والاعطاء على ما قيل خذ ما اتاك عفوا صفوا [illegible] كذلك
روي عن عبد الله بن عباس انه قال فمن عفي له اي اعطي له والحق عندنا هو القود لا غير على
ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العمد قود الا ان يعفو وقد روي في بعض الاخبار الا
ان يرضى [illegible] والمفاداة هو فعل اثنين فلا ياخذ الا عن تراض واصطلاح منهما جميعا في الآية
دلالة ان الحق هو القصاص لا غير لقوله كتب عليكم القصاص اخبر ان المكتوب عليه والمحكوم
القصاص فلو كان له الخيار بين القصاص والعفو واخذ الدية شاء او ابى لكان لا يكون محكوما
عليه القصاص ويذهب فائدة قوله كتب عليكم القصاص انما كان يكون عليه احدهما كالخيار
في الكفارة بان المكتوب عليه العتق او احد الثلاثة فلما قال كتب القصاص دل ان اخذ الدية كان
كالخلف عنه وما روي عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال لولي القتيل اتعفو عنه قال لا اتاخذ الدية
قال لا انما عرض عليه الدية لما علم ان القاتل يرضى بذلك بعلمه كما روي ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرته ببغض زوجها فقال لها اتردين عليه حديقته قالت نعم وزيادة فقال
صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا وانما قال لها ذلك لما علم صلى الله عليه وسلم انه يرضى بطلاقها اذا
ردت عليه حديقته فعلى ذلك الاول ولو كانت لفظة العفو تعبر عن الزام الدية لما احوجه
الى ذكر الاتباع اي العفو مرة واخذ الدية ثانيا فثبت انه ليس الذي يعفو ان ياخذ الدية
بالعفو وقيل في قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف اعلمنا ان القاتل بين نفر
يعفو احدهم عن القاتل ويتبع الآخرون بالمعروف في نصيبهم لانه ذكر الشيء والشيء هو العفو عن
بعض الحق فالزم الاتباع للاخرين عند عفو بعضهم حتى ثبت ان العفو لا يلزم الدية وروي
عن عمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم انهم اوجبوا في بعض عفو الاولياء

للذين لم يعفوا الدية في ترك السؤال عمن عفا اكن عفوت بدية ولو كان شرحق ذكره لذلك
ان العفو لا يوجب الدية والله اعلم ثم لا يخلوا اما ان يكون حقه القصاص ثم له تركه بالدية
فهو الزام بدل حق قبل آخر من غير رضاه وذلك مما لم يتفق في شيء او كلاهما فهو ايضا كذلك لا يكون
لاحدهما الخيار جميعا معا او احدهما وهو مجهول فالمعفو عنه يشطل حقه اذا العفو ترك وقال
ان في اخذ الدية احياء النفس التي امر الله باحيائها وفي الامتناع عن اداء الدية اليه والبذل
له اذن بالقتل ومن قول الجميع ان احدا لو قال لاخر اقتلني انه لا يباح له قتله وكان معنى الامتناع
عن اداء الدية هو اذن بالقتل لم يجوز له يقال له انقذت القياس في التشبيه لان فيما يجز فيه
اذن بالقتل ولهذا لا موضع فيما ذكرت لم يظهر حيث قال كتب عليكم القصاص فاني يشبه
هذا ابدا اك ويقاس عليه او ان يقال لو كان الامر كما ذكرت لكان يجب ان يكون الصلح في كل ما له
وفيه تلف نفسه ان الجميع له منعه ومن قول الجميع ان له المنع وجائز وقوع الصلح على ما فيه تلف
ما له ثبت ان ما يقوله وهم ونقيد فان الذي ذكرت تدبيرا لحق عليه ان يقتل لا تدبيرا لالزام ولو
كان ذلك لازما لكان يقتل به له نفسه فيقرم ما علم ذلك وهذا كما يبتني الرجل ليشتر امامه قوام
نفسه عند الضرورة لان يلزمهم لو ابى ذلك لمثله ودية بمعنيان في ذلك تلف نفس تلك قيمته
فقتله الاول وما ورد في التخيير بين اخذ الدية وما ذكر فهو والله اعلم على بيان الحل والرخصة
على ما قيل ان من حكم التورية القتل ولا يجوز لهم العفو ولا اخذ الدية ومن حكم اهل الانجيل العفو
لا يقتل بالقصاص ولا يؤخذ الدية بحكم الله عز وجل على اهل القرآن ان جعل لهم القتل مرة والعفو
ثانيا واخذ الدية ثالث لذلك انه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة اذا طابت به نفس من عليه
ذلك يبذله اذا طلب ولا يوجب قطع الخيار من الاخر ولهذا انما نقول في قوله ففدية من صيام
او صدقة او نسك وقوله في التخيير في الكفارة ان ذلك الى من عليه لا على من يأخذ الحق ههنا
من جانب واحد فيجعل الخيار الى من عليه اذا كان من الجانبين فيعتبر رضاهما جميعا والله اعلم
وقوله ذلك تخفيف من ربكم ورحمة لما ذكر من اباحة العفو في حكم القرآن ولم يكن في حكم
غيره من الكتب واخذ الدية او القتل ولم يكن في حكم التورية والانجيل الا احد ويحتمل
ان كان في التورية هذا او هذا كما قال فمن تصدق به فهو كفارة له واحتمل انه ذكر العفو
شرعا لنا وقوله فمن تصدق لنا خاصة وقوله ورحمة فيه دلالة ان لا يقطع صاحب الكبيرة
عن رحمة الله لانه اخبر ان التخفيف رحمة في الدنيا فاذا لم يؤيسهم في الدنيا عن رحمته فلا
يؤيسهم في الاخرة منها وقوله فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان لا يزول اسم الايمان بارتكاب
الكبيرة من غير اخوة نسب دل انه اخوة الدين لانه سماه اخا وكذلك قوله وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ابقى لهما اسم الايمان بعد البغي والقتل دل ان ارتكاب
الكبيرة لا تخرجهم عن الايمان وهذا يرد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة
اخرجته من الايمان وما ذكر من التخليد في قتل العمد يخرج على وجهين احدهما لاستحلاله
قتله او يتعمد قتله والا فيخرج الايمان على ما نص في الظاهر لم يجعل على ما ذكرنا والله
اعلم وقوله فمن اعتدى بعد ذلك قيل من اعتدى على القاتل بعد ما عفا عنه او بعدما اخذ
الدية وقتل بعد ذلك اي من بعد النهي عن قتله وقيل اذا ذبح من غيره العفو ثم اخذ الدية ثم
اراد قتله فهو الاعتداء ثم اختلف بعد هذا على وجهين قال قوم اذا فعل ذلك يترك القصاص
فيه للعذاب المذكور في الاخرة وقال غيرهم اذا اقتص ارتفع عنه العذاب الاليم وان لم

فلا وجائز عندنا ان يكون العذاب الاليم في الدنيا اذ لم يخلو شيء منه من العذاب او القتل
هو الغاية من الالم والوجع والله اعلم وقوله ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب قيل
فيه بوجهين والا فظاهر القصاص لا يكون حياة لكن قيل من تكفر في نفسه قبلها اذا قتل آخر
ارتدع عن قتله فيحيى النفسان جميعا والقاتل من سطوة اي آخر يقتل بغيره امتنع عن قتل آخر
نفسه حيا نه او تذكر انه مقتص منه اذا قتل حمله حبه في احياء نفسه على ان يرتدع عن قتل آخر
احيى ففيه الحياة للانفس جميعا ولهذا نقول بوجوب القصاص في الانفس كلها واذا اختلفت
احوالها اذ لو لم يجعل بين الانفس على اختلاف الاحوال قصاص لم يكن في القصاص حياة لما حق
من يجعل فيه القصاص عند مختلف الاحوال لما يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه
على قتله فيجعل القصاص او لما يتحقق به واما الوارث لما يطمع وصوله الى مال مورثه فيحمله
على قتله بسبب القتل ليس ما يذكر لكنه شدة الغضب الذي في المواريث زيادة وهو ما يحصل
اليه ماله وفي الكافر من استخفافه بدينه من المقتول فغلب فيها المعنى الذي فيه الاحياء وهو
حرمان الميراث فعلى هذا التقدير يقتل المسلم بالكافر لان المسلم قد يستخف بالكافر وادليه
فيحمله استخفافه اياه في قتله ففيه معنى يدعو الى الفناء فيجب ان يقتص من المسلم بالكافر
لتحقيق معنى الحياة وعلى هذا التقدير يقتل الحر بالعبد لان الحر يستخف بالعبد فيدعوه استخفافه
به على قتله فهو يقتل به او نقول يقتل الولد بالوالد لما فيه الوصول الى ملكه فيحمله على
قتله فلزم حفظ ما لا جله الحياة ثم في الوالد شفقة ومحبة تمنع الوالد عن قتل ولده لذلك
انتفى عنه القصاص وهذا اعني قوله عليه السلام لا يقاد والد بولده وبالله التوفيق قال
الشيخ رحمه الله الوالد يحب ولده لولده لانه يرغب ان يكون له ولد لان الولد انما يحب
والده لنفسه ومنافع له فاذا كان والولد له لم يقتص منه وقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين تكلموا فيه باوجه قيل انه منسوخ بما بين عز
وجل في آية اخرى من حق الميراث ومنهم من قال لم ينسخ ثم قيل فيه بوجهين قيل انه كان ذلك
لان الناس كانوا حديث عهد في الاسلام قبل الرجل ولا يسلم ابواه فقوله كتب انما وقع في من
كان لا يرث ومنهم من يقول انها كانت للوارث ولم ينسخ وانما يقع الامر في غير من يرث ممن ذكر
لكن في ذلك ذكر كتب وذلك ايجاب ولا يحتمل ان يفرض عليهم صلاتهم مع التحذير عن اتخاذهم
اولياء بقوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء وقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون الآية وفي الزام الوصية بر حق المعروف اتباع الموالاة والزام المحبة وقد حذر وذلك
ذلك فثبت ان الآية فيمن يتوارثون اليوم لكنها نسخت والله اعلم ومنهم من يقول لا ولكنه
وقع على من كان يرث ويعطى من كان لا يرث بقوله كتب عليكم فهو كان مكتوبا عليهم فرضا في حق
الوصاية ثم من رأى نسخه احتج بقوله يوصيكم الله في اولادكم ذكر فيها الوصاية على بيان كل
ذي حق حقه فليس الذي اوصى الله بمنع وصايته الذي كتب عليهم لكن في الآية دليل انه لم ينسخ
لهذا الوجهين احدهما قوله يوصيكم الله فهو وصية ذكره كذكر الوصاية في الاول فيه فجعل
حق كالحق المجعول لهم اذ لم يذكر ذلك الوصية مع الميراث ثم نفاها والوجه الآخر انه قال
من بعد وصية توصون بها او دين فجعل حكم الارث في ذكر الوصية والارث بعد الوصية
فبان ان لها حكم البقاء ثم قيل فيه بوجهين قال قائلون قوله يوصيكم الله في اولادكم لم يكن
ميراثا له ولا من اهل الميراث محذوف الارث لا يمنع حق القطع عنه بالمكتوب الاول

ومنهم من جعل ذلك حيث كان وارثا او ذا ابيان من بعد منقطع عنه المكتوب له شيء من
الناس من ادعى نسخ هذا بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا ولو جعل الوصية له مع ما جعل الله لهم فيه من النصيب حتى به الكثير دون
القليل فثبت ان ذلك الكتاب رفع عنهم بما جعل لهم الحق الذي قل او كثر ثم الوجه فيه
عندنا منوا انه لم يكن نسخ لهذه الايات شيء مما قاله بعض الناس انه منسوخ بقوله صلى الله عليه
وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين انه قد كان اعطى ذا الحق حقه
في دفع ما كانت لهم من الوصاية فيه ثم اختلفوا في الخبر الذي روي ان الله تبارك وتعالى
قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فقال قائلون لا يجوز ورود الشرع على الاية لان السنة
لا ترد على نسخ الكتاب وقال اخرون لا ولكنه من اخبار الاحاد واخبار الاحاد في قول كثير
لا ترد في نسخ خبر مثله فكيف في كتاب رب العالمين فاما الاول في ان السنة لا تجيز نسخ
الكتاب فقد سبق القول فيه ان الذي حملهم على هذا هو جهلهم بموقع النسخ والا لو علموه لما
انكروه وهو ما قلنا ان النسخ بيان منتهى الحكم الى الوقت المجهول لنا واما من قال بانه من اخبار
الاحاد فان الاصل في هذا انه وان كان انه من جهة الرواية من الاحاد ومن حيث عمل العلماء متواتر
ومن اصلنا ان المتواتر بالعمل سواء وقع خبره بعد المتواتر المتعارف قرنا بعد قرن مما عمل الناس
فيه لم يعملوا به الا لظهوره وشهرته بينهم الناس عن روايته لما علموا اخلوه عن الخفاء ولهذا
نقول في الخبر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع فنرد
به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من اخبار الاحاد هو من جهة الرواية من
الاحاد ولكنه من حيث تواتر الناس العمل به صار بحيث يوجب علم العمل بجواز ان يجمع الامة
على شيء علموا الحكم من كتاب او سنة غيرما ذكروه فيكونوا قد اجتمعوا في تضييع كتاب او سنة
فكذا هذا لا يجوز ان يجتمع الناس في ترك الوصية للوارث وثم كتاب يصححه او سنة اخرى
يلزم العمل به فهذا اقتضينا بنسخه والله اعلم وقوله فمن بدله بعد ما سمعه قيل فيه بوجهين
فمن بدل هذه الوصاية المكتوبة للوالدين ان كان هذا اراد بقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت الاية فانما اثمه عليه ويحتمل من بدل الوصية بعد ما سمعه من الموصي فانما اثمه على
الذي بدله يحتمل هذا او جهين يحتمل انه اراد تبديل الوصي بعد موت الموصي ويحتمل تبديل من
حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيرهم وقوله فمن خاف من موص جنفا او اثما قيل فيه
بوجهين فمن خاف اي علم من الموصي جنفا وجورا الى الورثة بالزيادة في الثلث فلا اثم عليه في
تبديله ومنعه ورده الى الثلث وقت وصاية الموصي ويحتمل فمن خاف اي علم من الموصي خطأ
وجورا بعد وفاته بالوصية فلا اثم عليه في تبديله ورده الى ما يجوز من ذلك ويصح ومنع
الواجب على الاوصياء ان يعملوا بما يجوز في الحكم وان كان الموصي اوصى بخلاف ما يجوزه الحكم
ويوجبه قال الشيخ رحمه الله وكان صرف الحرف الى العلم اولى اذ هو تبديل الوصية
وقد نهى عنه واذن به للخوف فاذا لم يعلم فهو تبديل بلا عذر وقد يحق للخوف حق العلم اذا غلب الوجه
فيه كما اذن للاكراه اظهار الكفر وذلك في حقيقته خوف عما في التحقيق في العلم لغلبة وجه
الوفاء لا ذلك وقوله ان الله سميع اي سميع لمقالته ووصايته وعليم بجوره وخطئه
او عليم بتبديله والله اعلم وقوله فاصلح بينهم يعني بين الورثة بعد موت الموصي ورد
ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر انصبائهم وقوله ان الله غفور رحيم لجور الموصي

وظلمه اذا ابتدأ الموصي ذلك ورده الى الحق ويحتمل غفور رحيم لمن رد على الموصي جنفه
وميله في حال وصايته والله اعلم والاصل في امر الوصاية للوارث ان ايات المواريث لم يكن
نزلت في اول ما بهم حاجة الى معرفة ذلك فيجوز ان يكون في الابتداء كانت الوصايا بالحق الذي لهم
من ميراث يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنتي سعد قتل باحد وقد كان
استولى عمهما على ميراثه فسالت امهما عن ذلك فقال لم ينزل في ذلك شيء ثم دعا عمهما واعطاهما
ما بين الله في كتابه في قوله يوصيكم الله الاية وكذلك كان للنساء والحول في تركة الازواج وصية
لهن فعلى ذلك كان الامر بالوصية فقال عز وجل يوصيكم الله كالمبين بما كان فيه من الحق الثابت
في الميت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث
وما يبين ذلك انه معلوم ان تكون الوصية للوارث للميت تثبت حتى ان له لانه اليوم يكون حق
الوصية له بسبب بعض الورثة وعلى ذلك الوجه لا يجوز وصية الميت لاحد لكن تكف للورثة
وهذا يبين انها كانت في وقت لم يبين الميراث فلا تكون الوصية لمن يثبت له وصية بسبب
غيره في التحقيق فكان يجوز ثم بطل ببيان السنة او ليس في متلو القرآن حقيقة ذلك وانما يكون
ذلك بحق الانتزاع منه والنسخ ومعناه بالانتزاع ابعد من الاحتمال منه بالسنة ولا قوة الا بالله
ثم حق التواتر عنده ما يقع بظهور العمل بالخبر في عين ظهور المنع منهم والنكير عليهم في العمل وفي
هذا او جه وذلك من طريق العمل ثم العقول ابصار من الاية بالفتوى به بلا تنازع ظهر فيهم معا
ثم ذكر الله في المواريث غير متضاد وصية من الله وتخصيص الورثة فقصد مضادة تغييره
واستبدال الذي بينها قد تولى قسمه على غير الذي قسم والله اعلم وقوله يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام هو دلالة الايات حيث لم يضيعه بقوله كتب واليد ذلك الايمان
فيها الافطار لعذر والامر بالقضاء وذلك ليس بشرط الاداء ثم الامتنان علينا بقوله
عز وجل يريد الله بكم اليسر اي يريد بكم الاذن لكم في الفطر للعذر ولو كان غير فرض بدءا لم
يكن الفطر للعذر موضع الرخصة مع شرطه اكمال العدة في القضاء معين وفي ذلك لزوم
حفظ المتروك لئلا يدخل التقصير في القضاء وعلى ذلك اجماع الامة ثم بين عز وجل انه لم
تكن هذه الامة مخصوصة في الصيام بل في احق من قبلهم استعمال العقود والصفح بما خصهم بانه
جعلهم خير امة اخرجت للناس واخبر انه لم يجعل عليهم في الدين حرج ولا الزمهم العبادات
الشاقة فضلا منه عليهم وتخصيصا لهم اذ جعلهم شهداء على الناس فقال عز وجل كتب
عليكم كما كتب على الذين من قبلكم لكن كما يحتمل وجهين يحتمل العدد الذي كتب عليهم ويحتمل الفرضية
في الجملة لا عين ما افترض عليهم من حيث الاشارة الى ذلك ولذلك اختلف في الكتاب في قوله
كما انهار ابدية او حقيقية ثم اختلف في ما يثبت ذلك الصيام فمن الصحابة من جعله يوم عاشوراء
وايام البيض ثم استعملوا النسخ ذلك بصيام الشهر وقد روي مرفوعا ان صوم شهر رمضان
نسخ كل صيام كان وروي عن جماعة في امر صوم عاشوراء انا كنا نصومه حتى نزل صوم الشهر
فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا آله يامرنا به ولا ينهانا والاصل هذا انه كان فيما
لو كان ابتداء الاية عليه حق الفرض فابدل ذلك بصوم الشهر فلا تقع عنه الفرضية على
ما اذا كان يخرج منه بالنداء لم يكن معه فرضية القضاء ولا يبنى الفضل فيه اذ النسخ لم يكن من
حيث نفس الصوم اذ مثله من النسخ يكون تغير الصوم لا بصوم فثبت انه في نسخ الفرضية
ليس فيه حق الاوجب والفضل وبقي النسخ وان ذلك غير صوم الشهر الذكر في صوم الشهر بقوله

من كان منكم مريضا الاية اذ ذلك كان بعد موضع الشهر ولو كان الكل واحدا لكان الذكر في موضع
منه كافيا عن الاعادة فثبت انه في تناسخ الصيام وقد روي عن معاذ انه قال أُحيل الصيام ثلاثة
احوال ونبين الخبر على وجهه في ذلك ويحتمل ان يكون المراد منه صوم الشهر ويكون تكرار الذكر في
الرخصة لمكان رفع الفداء ولمكان ذكر حق الامتنان بالتيسير اذا التحريض في حفظ العدد والله
الموفق واي ذلك كان فليس بنا حاجة الى معرفة حقيقة ذلك لان كيفية الابتداء لم تكلف وانما
كلفنا ما بقي فرضه وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك ثم قد خاطب جل ثناؤه بالصيام من
قد آمن بقوله يا ايها الذين آمنوا فكان فيما خاطب وجهان احدهما انه خاطب المؤمنين لعرفوا لم خاطبون
ان الاشعر يذكرهم انهم بذكر من احب انه لمن حرزه من حكم الاية من حيث لم يكن وفاء بما به يستحق
الاشعر وكذلك سائر عبادات الافعال وهذا من اوضح ما يحتج به اهل العلم ان الايمان ليس باسم
لجميع القرب بل بحقيقته يصير افعال القرب قربا وقيل اذ لم يقل يا ايها الذين تلتحق بكم مؤمنون
انما اتقه دلالة لما هو في محو هذا القول وانه من تلبيس الشيطان ليبطل بالكم عقدهم كما
يبطل كل عقد يستعمله فيه صاحبه بما اذا لزمه العقوبة والله اعلم والثاني ان الله خص
بالعبادات المؤمنين وانهم لا يلزم من غيرهم وانما يلزم غيرهم فيها الاعتقاد لا الافعال التي
هي تقوم بالاعتقاد ولئن الاعتقاد بواجب لمكان تلك الافعال حتى يكون كالاسباب التي توجب
بالحاجب افعال بها تقوم بذلك او حب غيره الاولى انه لا يجوز ان يرتفع ذلك عن الخلائق بحال
من الاحوال في الدنيا والاخرة مع ارتفاع بعض ذلك من العبادات ثبت ان الامر بذلك بحيث
نفسه لا لغيره ثم لا قيام لغيره مع عدمه ثبت ان المعنى الذي تصير المرء اهلا لاحتمال فعل
العبادات لذلك لا يجوز الامر بشيء منها دون ذلك وله وجهان تحتملان الامر ايضا احدهما
العقل انه من البعيد ان يكون من لم يقبل العبودة ولا اقر بالرسالة يؤمر بالعبادة وباتباع الرسول
بحق الرسالة بل يقول ان امنوا الاول حتى يكون الثاني وهو كما احال ان من المناظرة في الرسل مع
منكري الصانع والرسل بمنزلة الاول بل يجب كل ترتيبه به اذ لا يكون الا به والله اعلم والثاني
القول بان من اسلم بعد اوقات العبادات لا يلزمه القضاء ثم لذلك وجهان من المعتبر احدهما انهم
ان لو كانوا خلوا في خطاب القضاء بما ليس منهم في الحال ما يحتمل معه القضاء فكذلك خطاب الابتداء او هو
الذي به لزم القضاء في الاسلام والله اعلم والثاني انه لا يلزم القضاء بعد الاسلام ولا يجوز الابتداء
في حاله فكان ذا تكليف لم يجعل الله للمكلف وجه القيام وقد تبرأ الله عن هذا الوجه من التكليف
بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها وبما بين الله بقوله فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب
النار بما لكان التمتع في الدنيا لا للعبادات في ذلك والله الموفق فثبتت بالاية التي ذكرنا دخول
جميع المؤمنين في الخطاب اذ بين الرخصة لذي العذر وفي الانتظار على وجوب القضاء فاذا لم يحتمل
خروج من له العذر وفي الفطر عن ان يتضمنه الخطاب وجه لزوم القضاء ثبت ان من لا عذر له داخل
فيه ولا يسعه الفطر في هذا اجماع بل بالاجماع لما ذا انه صلى الله عليه وسلم اكد عليه الامر
والزمه الكفارة في غير سؤال عن احوال سوى ما علم من حاله انه ليس بمريض ولا مسافر فكان
في ذلك دليل تاكيد الفرض وفي ذلك ايجاب الكفارة لتعديه في الصيام في حال لا يحتمل
الارتفاق اذ قد كان مثل تلك البلية في العيال يفعلون مع ذا بهن حيث كانوا يملكون ابقاء الرخصة
لا نبهم لولا النوم وفي ذلك ان فرض الصيام على المؤمنين ثم قال عز وجل فمن شهد منكم الشهر
فليصمه والشهر اسم للكل ولو كان المراد واحدا منه لكان الصيام في جزء لانه عند هجوم غيره ثم

شهود ثم مناقض لانه قال فليصمه ومحال ان يصوم في غيره ابتداء فرجع التاويل الى ان
من شهد منكم شيئا من الشهر فليصمه فمن اعترضه الجهول فيه لنوم فقد تضمنه الخطاب
ويجوز في حالة الفرض ايضا اذ لو شهد ليلة الصيام يحتمل لزم في الصيام يجوز له فرضه لم يطر
من حق الخطاب ثم اعترضه في سائر الليالي فرفع النية لا عذر ومنع الصيام ببعضه او بحق
اصل لكم الاية التي ذكرنا ولا للقيام لذلك الفرض فيما وصفنا فانه فبوجب النية كحق كان
من لعذر المرض والسفر والحيض ويجوز ذلك فيقال ان علم انه ممن يتضمنه الاية فعليه قضاؤه
وعلى ذلك في الصبي وان لكان لم يدخل في معنى الاية ولا كانا يحتملان في حال قضاء من القيام
فالقضاء في غيره عن ذلك لا يعلمانه من الحيض لذلك لم يلزمهم وقد روي عن محمد رحمه الله في هذا
ان من امدك يعني نائما فاق في بعض الشهر انه لا يقضي ما مضى في ما ذكرت وعن ابي حنيفة رحمه
الله في هذا انه يقضي ان كان في اول الشهر بالعا لما اخرت او صيامه لم يجز لعدم النية والعقد
والكافر بنفسه ومن فوته لعدم النية فهو واخل في حكم من هو مثله القضاء والله الموفق ومن
حق الشهر كله لا يقضي لشرط الشهود وهو لم يجتهد طرفا منه مع امكان الاسقاط به بدليل آخر
وان كان من حق الخطاب في الظاهر قد اقتضاه في مثل المريض الذي لا يصح من المسافر والذي لا يقوم
والله الموفق وفي قوله اياما معدودات ودلالة ان ابتداء الاية في غير صوم الشهر اذ صوم
الشهر يحفظ بالاهلة لا بالايام لكن الله تعالى اذ علم ان الامر الظاهر في الخلق انهم يعدونه بالايام
وان كان لهم عن ذلك غنى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشهر هكذا وهكذا
وهكذا باصابع يديه كلتا ثم عقد اصبعا منها فاخبر انه ذات وجاء عن غير واحد انهم قالوا
ما كنا نصوم على عهد رسول الله تسعة وعشرين اكثر مما نصوم ثلاثين فيما يذكر وقوله اياما
معدودات يعني فيه قلة الحال والله الموفق وقوله لعلكم تتقون ما حرم عليكم من انواع
اللذات بكف الانفس عن الذي به يدعو اليها من الاغذية او تتقون نقمة الله في الاخرة والخالفة
في العمل في الدنيا وقد جعل الله جل ثناؤه عبادات اعوانا للمعتادين بها على الكف عن المعاصي
والخلاف لله في الشهوات فقال استعينوا بالصبر والصلاة وقال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وغير ذلك والله الموفق والاصل ان العبادات تذكر اصحابها عظيم احوال الدنيا وما يت
فيها من المقام بين يدي الجبار وتطلعهم على الموعود لهم في المعاد وهما امران عظيمان احدهما في
في الزجر بما يعلم من عظيم المقام والاطلاع الواجد لها بعلمه والثاني في الترغيب بما يشعر قلبه
من لذائذ الموعود وما يضمحل الذي به كل لذة دونه وينقطع شهواته التي تحلى بينه وبين ما وعد الله
اعلم ثم قال فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر من غير ان ذكر فطرا ولا اضمار
الى ما ذكر من السفر والمرض اللذين جعلا له تاخير الصيام الى ايام اخر ولا اشارة الى اعيان تلك
الايام وذلك قال مسئلة فيما كان عرف الوقت لابتداء الصيام بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر
في ان المعروف له بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه لكن الفطر يعرف انه معروف بالعقل
والسمع فاما السمع فما جاء من الاثار في الاذن بالافطار للمسافر والمريض ولان الذكر للعدة
من ايام اخر انما نظر فيه والله اعلم والمسئلة ان الله تعالى جعل المرض والسفر سببا للرخص فلا
يجوز ان يصير اسبابا لها والفرض فيما كان قبل اعتراضهما عليه ان قوله يريد الله بكم اليسر وقيل
انه لو كان يلزم القضاء مع فرض الفعل للصوم لكان ذلك عسرا وحرجا في الدين وقد اخبر الله تعالى
انه لم يجعل علينا الحرج في الدين وعلى ذلك قال بعض الناس من يلزمهما القضاء ان افطرا اولا يحتملا

بما هو مذكور في القرآن الانتظار وذكر عدة من ايام اخر كانه جعل الوقت لهما غير الذي هو لغيرهما
يؤيد ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصائم في السفر ولكن لا بد عندنا
في الاسباب فيه ذلك مجزي ذكرا لرخص في امر ذلك الخطر كقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة
الى قوله عز وجل فمن اضطر غير باغ الاية من غير ذكر الاكل انه في اباحته وقال عز وجل واتموا الحج
والعمرة لله ثم قال عز وجل فان احصرتم ولم يذكر فيه الاحلال لكنه معلوم انه في النسك لم
يوجد اذ لا يكون العذر سبب الزيادة في الفرض وكذلك قوله عز وجل ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ
الهدي محله ثم قال عز وجل فمن كان منكم مريضا الاية وذلك في الحلق والحالق ثم يلزمه الفداء
لا ان الاذى والمرض يلزمانه بنفسه الاول ثم الاصل انه لا احد يلزمه صيام الشهر في
غيره اذا لم يدرك الشهر وقد امر من كان في ذكره فبان انه لا منة بادراك الشهر لادراك وقت
الامكان بلا عذر وقال فعدة من ايام اخر وقال ولتكملوا العدة ليعلم ان الذي يلزمه يلزمه
بالشهر في اوقات الامكان وذلك على ما يلزم الاحداث الطهارة لاوقات عبادة لا تتوهم ونها
وفعل الخطايا لاوقات الحلول وان تاخرت فمثله امر الشهر ودليله ما بينا وما ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته بفعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا ثبت ان الصوم
يجوز في ان المرض والسفر او بما لا انقسم الا بانقضاء الصيام عاجلا معهما وقد امر به المتمتع
ومن شاء اذ لبس ذلك في حاضري المسجد الحرام وذابح الصيد والمتاذي بما لا يصاد ان الصيام
ثم كان القضاء من الشهر بظاهر التلاوة فبان انه يجوز فيهما واذا جاز ثبت ان الاجر والرخصة
والفضل في الفعل والله اعلم والخبر في من يجهده الصيام حتى يخف عليه وكذلك ما جاء من الاثر
ان ليس من البر الصيام في السفر والله اعلم وعلى هذا يخرج قول اصحابنا في المكره في الفطر
انه ان كان مريضا او مسافرا الا يسعه ان لا يفطر لما جاء في ذلك من الوعيد في الفعل في السفر
في حال الضرورة وتبعه لو كان صحيحا مقيما لما لم يذكر له الرخصة ويلزمه فيه القضاء مع ما
فيه اذ لم يكن ظهر الاذن في تلك الحال كان كفه عنه تعظيما لامر دينه من ان يعين ان ذكر له في
الذي النهي عنه نفو في سعة ولبس كالمكره في اكل الميتة ما ليس ذلك بذي بدل وقد عرفت
بين ذي بدل وما لا بدل له نحو اتلاف مال آخر واكل الميتة ولان علته الاضطرار والبقاء
على الفطر في السفر تلك اذ قد يجوز لانه هو عند النفس لازم ودة النفس حكاية عن معقول
الملة وفيه تعظيم الدين وليس في اكل الميتة وما ذكر ولا قوة الا بالله ثم السفر الذي له
الرخص اجمع انه لم يرد به المكان لما جاء النهي في الامصار ثبت انه للنفس ثم كان السفر
حقيقة الظهور والخروج من الاوطان وقد يكون مثله في الخروج الى الضياع ونحوه ولم
يؤذن في الفطر ثبت انه راجع الى الحد وفي ذلك مختلف القول ثم كان الحد المرخص عندنا
الخروج على قصد سفر ثلاثة ايام لخصال ثلاث احدها الاجماع في ان هذا الحد مرخص
ودونه تنازع والتنازع يوجب النظر لا الفتوى بالرخص وفي ذلك امر بفعل الصيام
والثاني نحو الخبر وجهين احدهما في تقدير مسح السفر بثلاثة ايام ومعلوم انه جعل السفر
حدا ووقتا لفعل رخصة المسح والاوقات للافعال في اختلافها تستحق في انها لا تستفاد
من احتمالها لافعال في الوفاء ولبس بما لم يدخل الثلاث في حق السفر عبرة لان الاستفادة
وان كانت موسعة في قطع الطرق والسير فيها فاذ وادامه السير يجحف صاحبه ويهلكه
وفي ذلك منع السفر ثبت ان اوقات الراحة فيما بين اوقات المشي والسير مشروطة داخلة

في حق السفر لذلك صارت الليالي كالمعفوة فيكون محيطة بما بها من فعل المشي والثاني
ما جاء من الاثر في النهي من سفر ثلاثة ايام الا بمحرم ومن المستثنى لما جاء به النهي ودونه
تنازع لم يوجب الرخصة بلا اشكال في حق التمام لما ان الرخصة في ما كان لما له النهي والقياس
والوجه الثالث ان السفر عدد والمقامات في الاعذار الثلاث فكذلك بالايام اذ ما
فيها قدر وقال موسى صلى الله عليه وسلم ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا واما المرض فلم يجز ان يكون اسمه سببا للرخصة اذ ربما كان المرض يخفف الصيام
ويسهل عليه سبيل فعله ومن البعيد التوسع بما يسهل به الفعل والنفس لما يشتد ثبت
انه ليس لاسم المرض وفي ذلك الاجماع فهو والله اعلم لما يخاف ان يزداد بترك الاكل الدواء
ويتبع في المرء اكتساب الدواء وتعاطي العادية المرخص له الفطر لذلك وذلك يعني
النصرة اذ هو تخفيف ما به او منع ما يتزيد به من العارض لهذا اختار اصحابنا المرض بزمه
يخاف الزيادة فيه وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يفطر المريض والحبلى اذا خافت ان تضع ولدها والمرضع اذا خافت الفساد
على ولدها ثبت ان الرخصة لما يخاف من فساد يترك ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات من طعام او شراب وهو يقدر
فله النار وبالله المعونة وقوله وعلى الذين يطيقونه قال فلا يطيقون يطيقون الفداء
وذلك في الامر الاول في المسافر والمريض انه له ان يقضي في ايام اخر وان يفدي وجعل
وان تصوموا خير لكم ان تتمموا الصيام والله اعلم وقد يحتمل ايضا ان كانت الرخصة
من قبل فيمن عليه الصيام بين ان يصوم وبين ان يفدي والصوم خير على ما ذكر في الاية
ثم نسخ ذلك ان كان في التاويل الاول بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الاية انه الزم القضاء
في كل حال وان كان الثاني بقوله فليصمه انه الزم الفعل في كل حال وبمثل ذلك جر معاذ في امر
الصيام انه كان للمرء خيار بين الفطر والفداء وبين الصيام ثم نسخ او القضاء في غيره والى
احتمال الذي ذكرت والله اعلم ثم الدلالة في النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول في ان
المطلق لم يكن له الخروج من ذلك بالفداء فبذلك عرف النسخ معا ثبت من قطع الاية على
القضاء في احد الوجهين وفعل الصيام في الاخر وفي ذلك معنى العموم في النسخ الغالب الذي
لا يقوم للقضاء انه له الفطر والفداء لان الصوم قد ثبت انه يحتمل الوفاء بالفداء ولكن
نسخ بالصيام فاذا ارتفع الصيام بالعجز عن تحمل الخطاب بقيا وانه الاموات [illegible] وهو
المشايخ جاز ان يخاطبوا بالصيام الذي هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الفداء والله اعلم
وقد يطوقونه يعني يكلفونه ولا يطيقونه لكن في الاية وان تصوموا خير لكم ولو كان
لا يطيقونه لا يرغبون فيه الا ان يشترط فيه لطاقة الجهد والله اعلم وقوله عز وجل فمن
تطوع خيرا من زيادة فداء او ما يتزيد من الخيرات التي لم تعرض ليبتدئ به الخير او يطوع
فيما اذن له في الفداء بالصوم والله اعلم وروي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تقولوا شهر رمضان رمضان فانه من اسماء الله تعالى الشهر
الذي انزل فيه القرآن وقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف عز وجل الفعل
الى الشهر بقوله فليصمه فلذلك اذا اقصد به صوم الشهر جاز الصوم والا لم يجز الفرض من سوى
ما ذكرنا وكذلك سائر الفرائض نحو الظهر والعصر ينويه كذلك فيكون ذلك على ما حمله الله

من يوم وان لم ينوا الفرض ولا قوة الا بالله وعلى ذلك من نوى بالصيام غير صيام الشهر جاز عن
صيام الشهر فامرنا بصيام الشهر وان لم نؤمر بان نجعل ذلك بنية سواه والشهر موجود لنفسه لا يحتاج
صاحبه الى ان يوجده كان من ذلك في كل حال وكذلك كل حق معين في شيء لم يزل عنه بنيته الى غيره
كمن بايع انسانا بشيء بعينه لم يتحول عنه بالنية في ان ذلك كالطهر والغسل ونحو ذلك فيما لا
يلي تحقيق ذلك قصد غيره فيبطل كما لا يجمع ان لا يجوز غيره فثبت ان استحقاق الشهر بصومه
لا يستحق عليه غيره من الصيام فجاز عنه وفي ذلك اجاز ابو حنيفة في السفر غيره من حيث ان
له في تاخيره هذا او غيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل لا رخصة له في تاخير هذا وغيره
فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له في تاخيره فجاز به اذ هو وقت صيام تحول
الى وقت غيره فصار هذا الوقت بالحكم لغيره وليس كنية المتطوع لانه في موضع الرخصة
وفي العلم به قد يكون لمعتاد التطوع من الفضل في غيره فهو اولى به ولما قد يجوز النفل
بلا نية نفل فكانه لم ينو النفل فهو رجل لم يعمل برخصة الله بل عمل بوجه العزم ولا قوة الا بالله
وقوله جل وعز لعلكم تتقون قيل تتقون الاكل والشرب والجماع ويحتمل تتقون المعاصي
لان النفس اذا جاعت شبعت عن جميع ما تهوى وتشتهي واذا شبعت تمنت الشهوات وتمنى
ما تهوى ويحتمل تتقون عذاب الله وعقابه والله اعلم وقوله فمن كان منكم مريضا او
على سفر فعدة من ايام اخر الزم بعض الناس على المريض والمسافر قضاء عدة الايام وان
صاموا فاستدلوا بظاهر الاية فقالوا اوجب عليهم القضاء في ذكر الافطار فيها واحتجوا ايضا
بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر فقد حقق
له حكم الافطار في ان لا صوم له فذلك انه لم يجز فكان كالتقديم الصوم عن وقته واما عندنا
فهو في اضمار الافطار فكانه قال فمن كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام
اخر ومثل ما ذكر جل وعز في المتاذي من كان به اذى من راسه ففدية اي من كان به اذى
فوضع من راسه ففدية وكما قال في المضطر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ومثله كثير
في القرآن فلا يجوز لاحد ان ياتي ذلك ولان المرض والسفر اعذار رخص الافطار فيها تخفيفا
وترفيها في اربابهما فلو كان في ما قالوه لكان فيه تضييق عليهم ولانه اذا تعين في عدة من
الايام انما يعني عن ذلك الوقت فلو لم يجز الفعل في ذلك الوقت وفي تلك الحال لكان لا يؤمر
بالقضاء عن ذلك الوقت ولا عن تلك الحال فدل انه في ما ذكرنا والله اعلم والاصل فيه ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صام في السفر وروي انه افطر وروي عن الصحابة انهم
صاموا في السفر ولو كان لا يجوز لكان لا معنى لصومهم واما قوله الصائم في السفر كالمفطر
في الحضر فهو عندنا اذا كان الصوم اجهده وضعفه لرحمة ان يغلظ صار كالذي افطر في
الحضر والله اعلم وروي عن انس رضي الله عنه انه قال الصوم افضل والفطر رخصة وقوله
تعالى وعلى الذين يطيقونه قرا بعضهم وعلى الذين يطوقونه لمعناه يكلفونه وقال
بعضهم لا يطيقونه لكن هذا لا يحتمل وذلك انه قال وان تصوموا خير لكم ودل ان قوله
لا يطيقونه لا يحتمل وقيل كان اول ما نزل الصوم كان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم
مسكينا كل يوم فلما نزل صوم شهر رمضان نسخ ما كان قبله عمن يطيق الصوم وثبت
الرخصة لمن لا يطيق من نحو الشيخ الفاني والحبلى والمرضع اذا خافت على ولدها وقيل
وعلى الذين يطيقونه اي الفدية وقيل وعلى الذين يطيقونه ثم عجزوا فدية طعام مسكين

كل يوم وقيل ان المريض والمسافر ان شاء افطرا وقضيا وان شاء افطرا وفديا
لكن ذلك كله منسوخ بما ذكرنا بنزول شهر رمضان وروي عن انس انه قال احيل الصوم
على ثلاثة احوال مرة تقضي ومرة تطعم ومرة تصام ثم نسخ هذا كله ثم الا من به هذا
ان من عجز عن قضائه حل له الخروج بالفداء لعجزه عن ابتدائه من نحو الشيخ الفاني وغيره
ومن لم يعجز عن قضائه لم يحل له الخروج بالفداء لعجزه عن ابتدائه من نحو المرضع والحبلى
والمريض والمسافر لانهم لم يعجزوا عن عين الصوم وعن البدل ابدا انما يجب اذا عجزوا
عن اتيان الاصل والله اعلم وقوله فمن تطوع خيرا يحتمل وجهين يحتمل تطوع بالفداء وبصومه
صومه ويحتمل من تطوع بالصوم في اصله فصام ومن كتب له ومن تطوع خيرا يحتمل زيادة
الطواف ويحتمل نفس الحج ويحتمل مثل التطوع او كل ما تطوع به فهو خير له اذا تطوع في
الاصل جزء وقوله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس قال
ابن عباس رضي الله عنه نزل الى السماء الدنيا من اللوح جملة في شهر رمضان في ليلة القدر
في ليلة مباركة جملة واحدة ثم انزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والايام
على قدر الحاجات وقوله عز وجل هدى للناس يهتدون به الى الطريق المستقيم ويحتمل
بيانا للناس من الضلالة وبينات قيل حجج للناس اذا تاملوه وقيل البينات ابين فيه الحلال
والحرام والاحكام والشرائع وقوله عز وجل والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل
الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة وقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
يحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر وهو مقيم صحيح فليصمه ثم رخص للمريض والمسافر الافطار
بقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ويحتمل قوله فمن شهد منكم
الشهر اي من شهد منكم بعقل الشهر فليصمه فلا يدخل في الخطاب المجانين ولا الصبيان لان
في ان اول الخطاب خرج للمؤمنين بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
منهم قوم لم يدخلوا فيه فكذلك اذ قوله فمن شهد منكم الشهر اي شهد منكم بعقله فليصمه ثم يحتمل
ان يكون من بعض الصوم بقوله عز وجل فليصمه ويحتمل لا بعد ان ذلك بقوله ولتكملوا
العدة لان لا يجب اكمال العدة لما معنى الا على حق الزمنية والثاني قال يريد الله بكم
اليسر بما رخص للمريض والمسافر من الافطار ولو كان غير فرض لم يكن لما ذكر من الامتنان
علينا بالتيسير معنى لان المنة لا تذكر فيما له تركه فدل انه فرض ويحتمل ان يكون فرضيته
بقوله عز وجل كتب عليكم الصيام لا بقوله كتب قيل فرض من قبل هذه الايات على انه
فرض واختلف في قضاء ما فات منه برخصة الافطار في السفر او في المرض قال
بعضهم لا يجوز الا متتابعا وكذلك روي في حرف ابي بن كعب فعدة من ايام اخر
متتابعات واما عندنا فانه يجوز متتابعا ومتفرقا لما روي عن خمسة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا ان شاء تابع وان شاء فرق منهم
ان عليا رضي الله عنه قال تابع لكنه الا فرق خان ثم من هي وعبد الله بن عباس وابي
سعيد الخدري وابي هريرة واختلفت اذكره انهم قالوا بجواز ذلك ولا يحتمل ان كان التتابع
شرطا فيه خفي ذلك عليهم كلهم او تركوه ان عرفوه فدل انه لا يصح ذكر التتابع شرطا فيه وليس
كما ذكر التتابع في صوم كفارة اليمين في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لانه لم يخالفه احد من الصحابة
في ذلك فصار كالمتلو وهاهنا قد خالفوا ابيا في حرفه فلم يصر كالمتلو لذلك افترقا والله اعلم

وقراءة ابي ان ثبت عنه فهو على الادب لما ذكرت من اجماع الصحابة رضي الله عنهم بما انه وجب بوقت وكل
ذي وقت فليس التتابع بشرطيه في جزء ذلك الوقت ولو كان التتابع شرطا لكان حق الافطار
يلزم الكل حتى يكون القضاء موصولا او الابتداء فاما اذا جاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء
وبعض له حكم القضاء الجائز في غيره من الاشياء كل ذلك له في الابتداء جاز الفصل والترك
فصار حق كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره اذ كذلك حقه في الترك القضاء في الفعل في
الابتداء ولا قوة الا بالله وما ذكر من المسائل فهو مبنية على هذا الذي ذكرت ان التتابع
للفعل لا يحتمل اعتراض رخصة التفريق على امكان الجمع تبين ان الجمع شرطيه وما جرى بينه
يحتمل صوم كل يوم على الانفراد او يوجد فعله في الشهر بالرخصة عن غيره كذلك القضاء والله
اعلم ثم نعتمد لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله فعدة من ايام اخر وقوله عز وجل ولتكملوا العدة
كبير فائدة لان فيما التتابع شرط الجملة لان يتكلف له العدد وعلى الاحوال انه يتم المدة التي للقضاء
لان تحفظ الحساب لاكمال العدة والله اعلم والاصل ان كل صوم يؤمر بالتتابع بحيث الفعل
يكون التتابع شرطا فيه حيث ما كان نا الفعل وكل صوم يكون التتابع فيه بحيث الوقت فتفوت
ذلك الوقت فيسقط حق التتابع وتعرض على هذا مسايل اذا قال لله علي ان اصوم شعبان فلزمه
ان يصوم متتابعا لكنه اذا فات منه يوم منه يقضيه ان شاء متتابعا وان شاء متفرقا لان التتابع
بحيث الوقت فيسقط بسقوطه ولو قال لله علي ان اصوم شهرا متتابعا فيلزمه ان يصوم متتابعا
لا يخرج من نذره الا به لان التتابع ذكر للصوم فهو لا يسقط عنه ابدا والثاني ما قال عز
وجل يريد الله بكم اليسر واليسر رخصة لم يجز ان يجعل فيه ما هو عسر وضيق وهو التتابع
والله اعلم ثم في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه دلالة انه اذا صام عن غيره لم يجز لانه
اضاف عز وجل الصوم الى الشهر واشار اليه بقوله عز وجل فليصمه فلو جاز له ان يصوم عن
غيره لكان فيه صرف الى غير ما جعله الله وفي ذلك خوف اعتراض لامره واشراك في حكمه ونسأل
الله العصمة عن الزيغ عن الحق واما قوله عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فالاية
المعتزلة من صام في السفر او في المرض فعل ما لم يرد الله لان الله عز وجل اخبر انه لم يرد العسر
واراد اليسر فاذا صام في المرض او في السفر اراد العسر والله اخبر انه لم يرد فلذلك انه
فعل ما لم يرد الله لكن الوجه عندنا ان قوله يريد الله معناه اراد الله بكم اليسر لما رخص
لكم الافطار في السفر لا يغترهم على ان الصوم في السفر افضل والافطار رخصة ولا
ان يقال لم يرد الله ما هو افضل واراد ما هو دونه في قولهم ولكن يقال اراد لمن افطر
اليسر واراد لمن ترك الافطار العسر واراد دونه فانه فلا جائز ان يتفق في وجه ولا يتفق
في وجه اخر وقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر اي يريد ان ييسر عليكم بالاذن في الفطر
لا ان يعسر عليكم بالنهي عنه وقد يحتمل الفعل لكنه لم يذكر عن احد ان الله تعالى اراد به اليسر
فصار ثبت ان الارادة موجبة معا لا يحتمل على قولهم ان يكون الصيام في السفر غير مراد
وقد قضى به فرض الله واطاع الله فيه والمعتزلة يقولون بالارادة في كل فعل الطاعة فضلا
عن الفريضة وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم قيل يعني تعظموا الله على ما هداكم لامر
دينه ويحتمل ان يريد بالتعظيم الامر بالشكر لما انعم عليهم من انواع النعم من التوحيد والاسلام
وغيره ولعلكم تشكرون ونعم هذه النعم التي انعم عليكم ويحتمل انه امر بالتعظيم له والشكر
لما رخص لهم الافطار في السفر والمرض والله اعلم وقوله واذا سألك عبادي عني فاني

قريب

قريب هو على الاضمار والله اعلم كانه قال واذا سألك عبادي اي انا عن اهانهم فقل لهم
اني قريب يحتمل قوله اني قريب وجوها يحتمل قريب الاجابة واليسر والكرامة لمن اطاعني
ويحتمل اني قريب قرب العلم ولا حاجة لا قرب الذات كقرب بعضهم من بعض في المكان لانه
كان ولا مكان ويكون على ما كان وكذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية وكقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وكقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كل ذلك يرجع الى قرب
العلم والاحاطة وارتفاع الحجاب لا قرب الذات على ما ذكرنا وان كان التفسير على ما قاله
بعض اهل التفسير بان اليهود قالوا كيف يسمع ربك دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء
مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام نزل قوله واذا سألك عبادي
عني فاني قريب هذا المال نعرفوا الصانع الا انهم جعلوا له الولد وجعلوا له شركاء فخرج سؤالهم
ان كان يخرج سؤال المتعنت لا سؤال المسترشد وقوله اجيب اي اقبل دعوة الداعي
يعني من وجد الموحد وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله ادعوني استجب لكم اي
وحدوني اغفر لكم وقيل اجيب دعوة الداعي على حقيقة الاجابة وقوله فليستجيبوا لي
اي الى ما دعوتهم يحتمل على ما ذكرنا في قوله اجيب لكم اذا استجبتم لي بالطاعة والايتمار
ويحتمل اجيب لكم اذا اخلصتم الدعاء لي ويحتمل على ابتداء الامر بالتوحيد كانه قال وحدوني
الا ترى انه قال وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اذا فعلوا ذلك وقوله احل لكم ليلة الصيام
سماه ليلة الصيام والليل مضاف الى يومه كانه قال ليلة يوم الصوم وان لم يكن فيها صوم
في الحقيقة لاستحقاقه الصيام نهارا بالنهار على ما جاء عن رسول الله عليه السلام انه قال منتظر
الصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف الصوم الى
الشهر ويدخل فيه الليل والنهار لان اسم الشهر يجمع الليل والنهار جميعا وقوله الرفث الى
نسائكم قيل الرفث الجماع وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل الرفث هو حاجات الرجال
الى النساء من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره وقوله هن لباس لكم وانتم لباس لهن قيل
هن ستر لكم عما لا يحل وانتم ستر لهن ايضا سمت الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل وقيل سكن لكم وانتم
سكن لهن سكن الزوج بالزوجة والزوجة بالزوج وهو كقوله وجعلنا الليل لباسا اي سكنا
وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه ويحتمل ان يكون احدهما لباسا للاخر بالليالي والله اعلم وقوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تختانون وتخونون واختلف نزلت الاية في شان عمر رضي
الله عنه وذلك ان الناس اذا صاموا فعرفنا ان احد منهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يفطر من
الغد فواقع عمر رضي الله عنه امرأته يوما بعد ما نامت فغدا الى رسول الله فاخبره بذلك
فنزل قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اي تظلمون لان كل خاين ظالم نفسه فتاب الله عليه
وعفا عنه ثم رخص لهم المباشرة بقوله فالان باشروهن وهي على الرخصة هو على الاباحة لا على
الامر به وقوله وابتغوا ما كتب الله لكم قيل فيه بوجوه قيل ما كتب الله لكم من الولد
وقيل ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول الرحمة وقيل ابتغوا اي ابتغوا ما كتب
الله لكم من الرخصة والاباحة في الجماع في ليلة الصيام من الاكل بعد النوم وهو كما جاء من لم يقبل
رخصنا كان يقبل من اثمنا فليس منا وقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر ذكر عن عدي بن حاتم انه قال كنت اضع خيطين تحت وسادتي نحو
نزول هذه الاية احدهما ابيض والاخر اسود وكنت انظر فيه حتى ما تبين لي الى ان ابتنت رسول الله

عليه السلام فاخبرته فقال ان وسادك لعريض يعني ان الفجر المعترض في الافق وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يغرنكم الفجر المستطيل انما الفجر المستطير في الافق
وروي انه قال الفجر فجران فجر مستطيل في السماء وفجر مستطير في الافق فهو الذي يحرم الطعام
على الصائم ويحل الصلاة وروي انه قال لا يغرنكم اذان بلال فانه انما يؤذن بالليل ليوقظ نائمكم
ويرجع قائمكم وفي بعض الاخبار قال لا يغرنكم اذان بلال عن سحوركم فانه انما يؤذن بليل او كلام نحو
هذا والاصل في هذا ان الله عز وجل جعل حدا للصيام من وقت تبين النهار الى وقت غيبوبة
الشمس واباح من وقت غيبوبة الشمس الى وقت تبين النهار الطعام والشراب والجماع تخفيفا
منه وقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اختلف في المباشرة قيل المباشرة
هي الجماع وما دون الجماع فانما نهوا عنها وقيل المباشرة كناية عن الجماع ثم قوله ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد فيه ادلة من اوجه الاية كانها نزلت في نازلة بلغوا بها لان كانوا يباشرون
نساءهم في المساجد لان المساجد كان اجل عندهم من ان يجعلوها مكانا للوطي للنساء وكيف
والله اعلم ان الاعتكاف هو اللبث في مكان باخذ الحق في نفسه عند عكوفه في المسجد وحرز وجه
منه فذكر ان العكوف نفسه يحرم الجماع في الاحوال كلها لنفسي كالصوم الذي يحرمها لا دون حال
في الوقت الذي لم يكونوا انما ليعلموا ان حكم المقام في المساجد اخذ لهم وليبوا امرها ولو لم يكن شرطا
في ذلك لكان قوله وانتم عاكفون كانه اذ لم يكونوا في المساجد وقت لحوق النهي للمباشرة والله اعلم
وفيه دليل ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد حيث خص المساجد دون غيرها من الامكنة
وفيه دليل ان المعتكف قد يخرج من معتكفه لكنه لا يخرج الا لما لا بد منه على ما جاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يخرج الا لحاجة الانسان وحاجة الانسان تحتمل وجهين تحتمل
لما يرجع اليه من الحوائج وتحتمل حاجة الانسان الحاجة المعروفة التي لا تحتمل قضاؤها في المسجد
ثم المعاودة تقع بالخروج في العكوف بوجهين مرة في نفسه ومرة في افعال يكتسبها ويقول
اصحابنا في رخصة الخروج الى الجمع لان من اعتكف على ان لا يشهد الجمعة لا يؤذن له في ذلك لما
لا جاز ان يؤذن بما يجاب قربة هي ليست عليه بتضييع اخرى هي عليه لذلك كان ما ذكرنا فان قيل
روي انه كان يخرج لاتباع الجنازة وعيادة المريض قيل ان ثبت هذا فهو لوجه او لان
له الخروج لذلك الوجه يخرج ثم عاد مريضا او شهد جنازة او شهد جنازة ولو كان يؤذن لذلك
لكان يؤذن لكل قربة اذ الجنازة اذا شيعها الا الى شغلها فرض التشييع فاذ لم يؤذن في غير
هذا او هذا افضل وذلك او دونه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك دليل ان الخبر
غير ثابت والله اعلم وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من السنة ان لا يخرج المعتكف
من معتكفه ولعل هذا من عائشة ان خبر على ابي طالب رضي الله عنه على ما ذكرنا ان ثبت وفي
قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فيه قيل ان الاعتكاف يكون في جميع المساجد
لانه عم المساجد وما روي ان لا اعتكاف الا في المسجد الحرام ان ثبت فهو على التناسخ لان النبي
صلى الله عليه وسلم اعتكف في مسجد المدينة فذلك يدل انه منسوخ والله اعلم وقوله
تلك حدود الله فلا تقربوها قيل تلك المباشرة معصية فلا تقربوها في الاعتكاف فحد
الامر ان لا يقربها وقيل انه جعل لكل طاعة وامر فيه حدا وغاية فلا يتجاوز ولا ينقص عنه وقيل
تلك فرائض الله وقيل تلك سنن الله وكان الاول اقرب والله اعلم وقوله ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام قيل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها

الى الحكام وفي قراءة ابي ولا تدلوا بها الى الحكام وجاز في اضمار لا كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل
وتكتموا الحق اي ولا تكتموا وقيل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما تلبسوا الى الحكام وتقيموا
على ذلك حججا باطلة على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تختصمون الي ولعل
بعضكم الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق اخيه المسلم فكانما قضيت له بقطعة من النار
وقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل جعل مال اخيه كماله ونفس اخيه كنفسه بقوله
ولا تقتلوا انفسكم فاذا اكل مال اخيه بالباطل فانه مثله جعل كانه اكل ماله بالباطل وجعل قتل نفس
اخيه بالباطل كقتل نفسه بالباطل لانه اذا قتله بالباطل قتل به ثم من الناس من استدل بهذا على
ابي حنيفة رحمه الله فيما يقول بمضي العقد اذا شهد الشهود على ذلك عند الحاكم وقضى به
ثم ظهر ان الشهود شهود زور حيث قال ولا تاكلوا وما روي من الوعيد بالاخذ مكان ما اخذ
قطعة من نار فاذا لم يحل ذلك لم يمض العقد جواز الاصل عندنا اي كلما لو اجتمع الخصمان في ذلك
بسبب حل ذلك لهما فاذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ وقوله لتاكلوا فريقا من اموال
الناس يعني طائفة من اموال الناس وقوله ويسالونك عن الاهلة يحتمل قوله يسالونك
اي سالوك عن الاهلة ويحتمل يسالونك اي سيسالونك من بعد فان كان في هذا ففيه دلالة
رسالته لانه كان كما اخبر من السؤال لكنه لم يعين السؤال عن الاهلة والله اعلم ما هو لما رأوا
الشمس تطلع وتغيب على حالة واحدة ورأوا القمر يختلف الاحوال من الزيادة والنقصان
فحملهم ذلك على السؤال عن حال القمر فاخبر عز وجل انه جعل الهلال معرفا للخلق الاوقات
والاجال والمدد ومعرفة وقت الحج لانه لو جعل معرفة ذلك بالايام لاشتد حساب ذلك
عليهم ولتعذر معرفة السنين والاوقات بالايام فجعل عز وجل بلطفه وبرحمته الاهلة يعرفوا
بذلك الاوقات والاجال ويعرفوا وقت الزكاة ووقت الحج طلبا للتخفيف والتيسير عليهم
ثم قال هي مواقيت للناس والحج جعل الاهلة كلها وقتا للحج ولهذا ما قال اصحابنا انه يجوز
الاحرام في الاوقات كلها على ما يجوز فعله الاحرام في الاوقات كلها واما افعال الحج فانه
لا يجوز الا في وقت فعل الحج وهو قوله الحج اشهر معلومات فانما هي على افعال فيه دليله قوله
فمن فرض فيهن الحج ولا يفرض من الحج في غير الاحرام وذلك انه سمى افعال الحج وقد كان انه سمى الاحرام
على الانفراد حجا وسمى الطواف بالبيت حجا والوقوف حجا وقال الحج عرفة وسمى الذبح حجا
حيث قال افضل الحج العج والثج وانما سمى كلا منها حجا لما جعل لها اوقاتا معلومة تؤدى فيها
واما الاحرام فانه جعل الاشهر كلها حجا له بقوله يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها لا معنى لمطلب هذا الى الاول الا على
اضمار السؤال كانهم سالوه عن الاهلة وعن اتيان البيوت من ظهورها فاجاب لهم ليس البر في
اتيان البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ثم اختلف في قصة هذا الكلام قال
بعضهم ان بعض العرب اذا احرم احدهم لم يدخل بيته من بابه ولكن يدخل من ظهر البيت مخافة
تغطية الرأس اذا دخل من بابه وقيل ان بعض العرب اذا خرج احدهم لحاجة فلم تقض حاجته
ورجع لم يدخل البيت من بابه ولكن كان يدخل من وراء ظهره يكون دخول بيت عز سنخ بتطيره وكانه
وقيل لو لا قضاها ثانيا فقال عز وجل ليس البر فيما تصنعون ولكن البر من اتقى واتبع امر الله
وانتهى عما نهى عنه وياتي البيوت من ابوابها ويحتمل ان يكون على التمثيل والامر ليس على
التحقيق كقوله فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء

ظهورهم فهو ليس في حقيقة التطوع وزاد التطهر ولكن كانوا لا ينتفعون بكلام الله ولا يعبؤون
به وكذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتفعون به ولا يكترثون اليه فاخبر انه كالمنبوذ
والمطروح وراء الظهر لما لم يعملوا به فعلى ذلك الاول اخبر انه ليس البر في ترك اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم والائتمار بامره اي ليس فعل البر مخالفة محمد فيما يامره ولكن البر في الاتباع له
والائتمار بامره وقال القفال يحتمل ان المراد من الابواب هو علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
والموضع بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا باتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عند علي رضي الله عنه على ما جاء انه قال انا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن اراد الدخول
في البيت لا بد من ان ياتي الباب فيدخل من الباب لكن الجواب لو لم يكن قد رمانا قالوا انه ذكر البيوت
وذكر الابواب ايضا فالبيوت كثيرة والابواب كذلك ايضا فالنبي وغيره من الصحابة من نحو ابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فيه شرع سواء الاترى انه قال انا مدينة الحكمة والمدينة لا يكون
لها باب واحد بل يكون لها ابواب فدل ان تاويلهم في علي رضي الله عنه خاصة لا يصح وبالله التوفيق
وقوله واتقوا الله اي اتقوه ولا تعصوه ولا تتركوا امره وانتهوا عن مناهيه وقوله
وقاتلوا في سبيل الله في سبيل الله دينه وطاعته اي في الجهاد دينه قيل هي اول اية نزلت في الامر
بالقتال وقيل اول اية نزلت في الامر بالقتال قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ويحتمل
انه اخبر كانهم لم يعلموا انه لا شر اذن لهم فقاتلوا لما انكر عليهم فانزل الله انه اذن لهم اخبارا ولا
ندري ايهما اول ولكن فيه الامر بالقتال والنهي عن الاعتداء ومن هنا قيل هو نهي عن قتل الذراري
والنساء والشيخ الفاني في ما جاء انه بعث سرية اوصى لهم ان لا يقتلوا وليدا ولا شيخا وقيل
نهاهم ان يقاتلوهم في الشهر الحرام الا ان يبدؤهم المشركون بالقتال والله اعلم وقوله ان
الله لا يحب المعتدين لانه لا يحب الاعتداء لم يحب من اعتدى وقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم
قيل لفظ الحيث يعبر عن المكان فيه اذن بقتلهم في جميع الامكنة وفي تعميم الامكنة تعميم
الاوقات فهو في عموم المكان الا انه استثنى من المسجد الحرام مطلقا واما قوله يسئلونك
عن الشهر الحرام فالاستثناء ابه معتد فلا يخرج في ذلك العام والله اعلم ثم منهم من جعل هذه
القتل في الحرم وفي اشهر الحج بظاهر هذه الاية ومنهم من قال لا نقتل فيهما جميعا وقالت
اصحابنا يقتل في اشهر الحرم ولا يقتل في الحرم الا ان يبدؤا وهم بالقتال فحينئذ تقتلهم ولكن
يقولون فيمن قتل اخر ثم التجأ الى الحرم لم يقتل فيه ولكن لا يؤاكل ولا يشارب ولا يجالس
حتى يضطر فيخرج فيقتل واذا قتل في الحرم يقتل فيه وذلك لا نقاتل في الحرم الا ان يبدؤهم
بالقتال فيبدؤ ذلك كالقتل وانما يحل القتال في الحرم الا ان يبدؤا وهو به وان كان ظاهر
قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم فيه استثنى الحرم دون غيره من الاماكن واما قوله يسئلونك عن الشهر الحرام
قتال فيه قل قتال فيه كبير ظاهر هذه الاية يحرم القتال في اشهر الحج لكن فيه دليل حل القتال
بقوله والفتنة اكبر من القتل يعني بالفتنة الشرك جعل القتل فيه كبيرا ثم اجراء الشرك فيه
اكبر واعظم من القتل فالاصل عندنا ان الابتلاء اذا كان من وجهين يختار الايسر منهما والاخف
فلذلك قلنا انه يختار القتل في الحرم على بقاء الفتنة وهو الشرك اذ هو اكبر واعظم والله
اعلم وقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم يحتمل قوله واخرجوهم من مكة كما اخرجوكم عام
الحديبية ويحتمل ان امرهم بان يضيقوا عليهم ويضطروهم الى الخروج كما فعل اهل مكة

بهم ويحتمل الاخراج على ما جاء الا لا يجتمع مشرك بعد عامي هذا ويحتمل ان يمنعوهم عن الحج
فيه كقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وكقوله نخرجهم من الظلمات الى النور والمنع
عن الشرك اخراجا وقوله والفتنة اشد من القتل اي الشرك اعظم جرما عند الله من القتل
فيه وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم قد ذكرنا ان
هذا وقوله واقتلوهم كله يخرج على المجازاة لهم وفيه لغة اخرى ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقتلوكم فان قتلونا فلا سبيل لنا ان نقتلهم فما معنى هذا قيل يحتمل قوله ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
اي اذا قتلوا واحدا منكم فحينئذ تقتلونهم او لا تقتلوهم حتى يبدؤا هم بالقتل او ان نقول
لا تقتلوهم حتى يقتلوا بعضكم فاذا قتلوا ذلك فحينئذ تقتلونهم والله اعلم وقوله كذلك
جزاء الكافرين اي هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله ولم يستقبلها بالشكر ويحتمل كذلك جزاء من
بدا بالقتال في الحرم اي يقتل وقوله فان انتهوا فان الله غفور رحيم يحتمل فان انتهوا
عن بدء القتال وان اسلموا فان الله غفور رحيم يرحمهم ويغفر لهم وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة انما امرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا فان قيل اين الحكمة في قتل الكفرة وهو في الظاهر
متمحض في القتل قيل انا نقاتلهم ليسلموا ولا نقتلهم الا ان يابوا الاسلام فاذا ابوا ذلك ثم لم
نقتلهم لا يسلمون ابدا اذ ذلك قتلناهم او في القتل ذهاب الفتنة ويحتمل قاتلوهم حتى لا تكون فتنة
في وجه الارض اي يطهر من الشرك وقال قوم الفتنة ههنا العذاب اي قاتلوا حتى لا يعذبوا اهله
وقوله ويكون الدين لله اي ليكون الدين دين الله في الارض لا الشرك والدين الحكم وقوله فلا
عدوان الا على الظالمين فان قيل فاذا صار الدين كله لله فلا ظالم هناك فما معنى هذا الكلام قيل
يحتمل لا عدوان الا على الكلام الذي احدث المتكلمون بعد ويحتمل ان لا عدوان الا على من بقي منهم
مع انهم ظلموا فان قيل فلم سمي عدوانا والعدوان هو ما لا يحل قيل لانه جزاء العدوان وان لم يكن هو
في الحقيقة عدوانا فسمي باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة وان لم يكن هو سيئة كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن في الحقيقة اعتداء لكن ذلك الاول
وقوله الشهر الحرام بالشهر الحرام قيل خرج النبي عليه السلام في الشهر الحرام يريد مكة فصده
المشركون عن دخولها فجاء من عام قابل في الشهر الحرام فدخلها واقام ثلاثا وقضى عمرته التي فاته
في العام الاول فسميت عمرة القضاء فذلك تاويل قوله والحرمات قصاص هذه الثانية
صارت قصاصا بالاول وقيل ان اهل الجاهلية كانوا يعظمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه
فلما ان ظهر الاسلام عظم اهل الاسلام ايضا ولم يقاتلوا فيه حتى جعل الكفار يغيرون على اهل
الاسلام ويستحلون عليهم حرمة فنسخ ذلك وامروا بالقتال فيه بقوله والفتنة اكبر من القتل
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم كانه قال ما هتكتم من حرمة الشهر قصاص لما هتكوا
وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله
واتقوا الله يحتمل اتقوا مخالفة الله او اتقوا عذاب الله وقوله واعلموا ان الله
مع المتقين يعني من المؤمنين جملة ويحتمل اتقوا القتال في الحرم قبل ان يبدؤا او اعلموا ان الله مع
المتقين في النصر والمعونة وقوله وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل
فيه بوجوه قيل امر بالانفاق ترغيبا في الخروج الى الجهاد والاكل ينفق على نفسه مما يعلم انه يحتاج
اليه ولا يلقي نفسه في الهلاك من حيث منع الانفاق وقيل في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
هو ان يذنب ذنبا ثم ييأس عن العفو عنه وقيل انفقوا اي انفقوا اصحابكم ولا تلقوهم الى

التهلكة بترك المعونة لهم بالانفاق والتجهيز لهم وقيل تعدوا فيه حياة ابدانكم والتيكم

وقوله واحسنوا قيل احسنوا الى اصحابكم بالاعانة والتصدق وقيل احسنوا الظن بالله

بالانفاق وقيل احسنوا الظن بربكم في الخروج الى الحرب ويحتمل احسنوا اي اسلموا وفي

ذلك يخرج قوله ان الله يحب المحسنين يعني المؤمنين وقوله واتموا الحج والعمرة لله اختلفوا

في تاويله وفي قراءته قال بعض التابعين العمرة فريضة لهذه الاية لانه امر باتمامها كما

امر باتمام الحج وقيل هي الحجة الصغرى واما عندنا فهي ليست بفريضة وليس في قوله واتموا

الحج والعمرة لله دليل فرضيتها لانا لم نعرف فرضية الحج بهذه الاية ولكن انما عرفناه بقوله

ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ثم في الامر بالاتمام وجوه احدها انهم يستحبون

الحج بالعمرة فامروا باتمامها بما روي عن ابي عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد

رسول الله وانا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء وان في العمرة كان الاحلال

العمرة لله فامروا بجعلها لله وفي ذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ واتموا

الحج والعمرة لله بالرفع في الابتداء ويحتمل الامر بالاتمام ما روي عن علي وابن مسعود رضي

الله عنهما انهما سئلا عن قول الله واتموا الحج والعمرة لله قالا من تمامهما ان تحرم من دويرة

اهلك واحتج اصحابنا ايضا بما روي عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله العمرة

واجبة هي قال لا وان تعتمر خير لك وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال الحج مكتوب والعمرة

تطوع وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الكل اهلك يرجع بحجة وعمرة غيري

قال انفري فانه يكفيك الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا والاصل واحتج اصحابنا ايضا بنفي من

النظر وذلك ان الله فرض الصلاة والزكاة والصيام في اوقات خصها بها واجمع اهل العلم ان

المتطوع بالصدقة والصلاة والصيام يفعل ذلك متى شاء ثم اجمعوا ان العمرة لا وقت لها

فدل ذلك على انها تطوع اذ لو كانت فريضة كان لها وقتا مخصوصا تفعل فيه كغيرها من

الفرائض فان قيل ان الحج التطوع مخصوص بوقت كمخصوص الفرض منه فكما لم يدل الخصوص

الذي في الحج التطوع على وجوبه فكذلك العموم الذي في العمرة لا يدل انها تطوع قيل

وجدنا الفرض كله مخصوصا بالوقت ووجدنا التطوع على ضربين منه ما هو مخصوص كالحج ومنه

ما هو غير مخصوص كالصلاة والصيام والصدقة فلما لم نجد في الفرض ما ليس مخصوص بوقت

جعلنا كل ما ليس مخصوص بوقت تطوعا غير فرض واحتجوا ايضا بانا وجدنا العمرة تفعل

في اشهر الحج ولم نجد صلاتين يفعلان في وقت واحد فرضين ولكن تفعل الصلاة التطوع

في وقت الفرض فثبت لما جاز ان يجمع بين فعل الحج والعمرة في وقت واحد انها تطوع كالصلاة

التي تفعل في وقت الظهر وغيرها واحتج من جعلها فرضا بان قال لم نجد شيئا يتطوع به الا

وله اصل في القرآن فلو كانت العمرة تطوعا كان لها اصلا في الفرض قيل العمرة انما هي الطواف

والسعي ولذلك اصل في الفرض من الحج معها انا وجدنا الاعتكاف تطوعا وليس له اصل في

الفرض فبطل ذلك الفرض والاصل ان كل ما يبتديء الله ايجابه على عباده فانه يوجب فعلها

باوقات او يجعل لادائها اوقات والعمرة ليس لوجوبها وقت ولا لادائها ثبت انها ليست

ما اوجبها الله وقوله فان احصرتم فما استيسر من الهدي الاية في الاخبار كالتعقل

والله اعلم فان احصرتم عن الحج فاردتم ان تحلوا فاذبحوا ما استيسر من الهدي اذ الاحصار

نفسه لا يوجب الهدي لكنه اذا اراد الخروج منه يخرج بهدي وفي ذلك يخرج قوله فمن كان

منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر كانه قال والله اعلم من كان منكم مريضا او على سفر

فافطر فعدة من ايام اخر وكقوله او به اذى من راسه ففدية من صيام معناه والله اعلم او به

اذى فازال من راسه ففدية والاكثر الاذى في راسه لا يوجب عليه الفدية ما لم يحلق وكقوله

فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه اي من اضطر فاكل منها غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه

والاضطرار نفسه لا يوجب لا اثم ثم اختلف اهل العلم في الاحصار ما هو وبم يكون وبم

يحل روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا احصر الرجل من مرض او حبس او كسر او شبه

ذلك بعث الهدي واعد يوم النحر مكث على احرامه حتى يبلغ الهدي محله وعليه الحج والعمرة

جميعا من قابل وعن ابن الزبير وعروة ابن الزبير قالا المحصر من كل شيء يحبسه عدو او مرض وروي

عن حجاج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من

قابل ومعنى قوله فقد حل اي جاز له ان يحل لا ان يحل بغير دم لان الله تعالى اذن له في الاحلال

بدم وهذا عندنا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت

الشمس فقد افطر الصائم معناه فقد حل له الافطار فيقول ذلك الاول حل له ان يحل ثم قال بعض

اهل اللغة من نحو الكسائي وابن معاذ قالوا ان الاحصار من المرض والحصر من العدو وقال

قبل روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما قالا لا حصر الا حصر العدو ولكن في هذا

نسخ الكتاب بقولهما لانه ثبت وهو لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا ان يراه بقول الواحد من الصحابة

معما ترك قولهما لانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذهب الحصر ثم قال للشافعي رحمه

الله اذا جاز ان تجعل المراة بمنزلة المحصر من غير ان تخاف عدوا لكنها لما منعها من له ان يمنعها

جعلتها محصرة فهلا جعلت المريض مثلها وان كان النص في القرآن جاء في المحصر من العدو وفي

ذلك فقال لان المراة حبسها من له ان يحبسها فهي اشد حالا ممن حبسه عدو ليس له ان يحبسه

فقال له المريض امرضه من له ان يمرضه فاحبسه اشد حالا من الذي حبسه عدو ليس له ان

يحبسه او فرق بين المراة والمريض فقال لا فرق بينهما وذلك ان الخائف يعذر ويخاف

القتل على نفسه وقد اباح الله للخائف في القتال ان يتحيز الى فئة فينتقل بذلك من الخوف

الى الامن قيل له كما رخص للخائف في ذلك فقد رخص للمريض ان لا يحضر القتال فالرخصة

له اكثر من الرخصة للخائف فان قال ان المريض لا يبرأ بالقعود والخائف يأمن قيل له ان

الرخص التي جعلت للاعذار لا تجعل لترفعها ولكن الرخصة لتزيد الشقة فيقال له ايضا قد

جعلت المراة محصرة اذا منعها زوجها لا تخاف التلف على نفسها فيطلق عليه واتفقت

فان قال انكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا وهو ممنوع من المضي فما الفرق بينه

وبين المريض فيقال لو جعلنا الضال عن الطريق محصرا لم يجز له ان يحل من احرامه الا بدم

يرسله الى الحرم فيذبح عنه واذا وجد من يذهب الى الحرم فيذبح هديه فليس بضال لانه قد

وجد دليلا يدله على طريقه لذلك افترقا ويحتمل فان المريض احق ان يكون محصرا من

العدو وغيره لانه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الاحصار والمرض لا سبيل له الى

دفعه دل انه احق ان يجعل محصرا وقال بعضهم يكون محصرا من الحج ولا يكون من العمرة لان

الحج مما يحتمل الفوت والعمرة لا واما عندنا فانه يكون محصرا منهما جميعا لان الله عز وجل ذكر

الاحصار على اثر ذكر العموم بقوله واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من

الهدي وروي في الخبر عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية و
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فيه دلالة ان المحصر يبقى حراما على حاله لا يحل حتى ينحر
عنه الهدي واختلف اهل العلم اين يذبح الهدي فعندنا انه لا يجوز ان يذبح الا في الحرم وروي
عن ابن مسعود انه قال يبعث بهدي ويواعد يوما فاذا ذبح عنه حل وعن ابن عباس رضي
الله عنه مثل ذلك وعن ابي الزبير رضي الله عنه وعروة بن الزبير رضي الله عنه ان المحصر
يبعث الهدي فاذا ذبح عنه حلق ولنا ظاهر القرآن بل ليس ما روي عن هؤلاء لان الله تعالى
قال ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فجعل للهدي محلا سلفه وبين
موضع محله فقال هديا بالغ الكعبة فكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد ولدم المحصر قال الشيخ
رحمه الله المحل اسم للموضع الذي يحل فيه ولو كان كل موضع له محلا لم يكن لذكر المحل فائدة واحتج
من خالف اصحابنا رحمهم الله بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي يوم الحديبية
ثم قالت ولم يبلغنا انه نحره في الحرم قيل له روي انه نحر هديه يوم الحديبية في الحرم رواه
مروان بن الحكم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية
فحالت المشركون بينه وبين دخول مكة وجاء سهيل بن عمرو فعرض عليهم الصلح فنحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يسوقوا البدن حتى ينحر حيث شاء ولا يتوهم ان
يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد نحر الهدي في الحل وقد اطلق له المشركون ان ينحره حيث شاء
ولا يتوهم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقرب بنحره الى مولاه وروي عن مروان والمسور بن
مخرمة قالا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في الحل وكان يصلي في الحرم فهذا
يبين انه كان قادرا ان ينحر هديه في الحرم حيث كان يصلي ولا يحتمل ان يترك نحر الهدي في الحرم
وهو على ذلك قادر ولان الحديبية مكان يجمع الحل والحرم جميعا فالظاهر انه ذبح في الحرم لا في الحل
لما ذكرنا انه لا يحتمل ان يذبح في الحل وله سبيل الذبح في الحرم فان قيل حل النبي عليه السلام
عام الحديبية من احصاره بغير هدي لان الهدي الذي نحره كان هديا ساقه لعمرته لا لاحصاره
فنحر هديه على النية الاولى وحل من احصاره بغير دم قلنا النبي لا يخرج عندنا هكذا الا انه
لا يتوهم عليه صلى الله عليه وسلم ان يكون حل بغير دم وقد امر الله المحصر بالدم فان قال
كذلك قال وليس في حديث صلح الحديبية انه نحر دمين وانما نحر دما واحدا فما وجه ذلك
عندكم قيل وجه ذلك عندنا والله اعلم ان الهدي الذي ساقه كان هدي متعة او قران
فلما منع من البيت سقط عنه دم القران فجاز له ان يجعله من دم الاحصار فان قيل وكيف
قلتم ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ساق الهدي عن سبيله وانت تزعم ان من باع هديه فهو مسيء
قيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرف الهدي عن نحره لله والتقرب به اليه وانما صرفه
الى ما هو افضل منها واوجب فكان ذلك في فعله متبعا والذي باعه صرفه عن سبيله
وترك ان ينحره فيه فلذلك كان مسيئا ومما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم
جعل الهدي لاحصاره لما روي انه لم يحلق حتى نحر هديه وقال يا ايها الناس انحروا واحلقوا
ثم المسألة فيما يجب على المحصر بالحج والعمرة من القضاء اذا احل فعلى قول اصحابنا اذا كان
محرما بالحج فعليه الحج مكان الاول وعمرة لفوات الحج قال الله تعالى فاذا امنتم فمن تمتع
بالعمرة الى الحج اختلف اهل العلم في تاويل ذلك فروي عن ابن عباس في ما يكون الرجل
به محصرا انه قال فاذا امنتم من الخوف او المرض فمن تمتع بالعمرة اي اعتمر في اشهر الحج كانه

يترك ان عليه لاحلاله بغير الطواف عمرة فان اخرها حتى يجمعها مع الحج في اشهره فعليه لجمعه
بينهما دم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في رجل اهل بعمرة فاحصر يبعث بهديه فاذا بلغ
الهدي محله حل فان اعتمر من وجهه ذلك اذا امن فليس عليه هدي وان اعتمر من قابل بعد حج
فليس عليه هدي فان وصلها من قابل فتمتع فعليه هدي والحاج اذا احصر فانه يبعث بهدي فاذا
بلغ محله حل فان اعتمر من وجهه ذلك اذا امن فانه يحج من قابل فليس عليه هدي وان لم يزر البيت
حتى يحج وجعلها شهرا واحدا كان عليه هدي آخر شهران او هدي او هديان وشهر وقال قوم
عليه حج واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال امر الله بالقصاص افيأخذ منكم العدد
اي حجة بحجة وعمرة بعمرة وروي في خبر عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فقد حل وعليه
الحج من قابل هذا يدل على قول ابن عباس رضي الله عنه لانه قال وعليه الحج من قابل ولم يذكر عمرة
الا انه قد يجوز ان يكون عليه العمرة وان لم تذكر في الحديث كما ان الدم عليه واجب وان لم يذكر في
الحديث فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وان لم تذكر في الحديث فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وان
لم تذكر انما اوجبنا العمرة لفسخ الحج بغير طواف وحجة مكان حجته فان كان القارن في قوله
فمن تمتع بالعمرة اي بالعمرة التي لزمته باحلاله كما قال ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير فكيف
به حجة وان كان تاويل الاية غير ذلك فانا وجدنا من يفوته الحج يلزمه ان يطوف بالبيت ثم يحج
بعد ذلك قضاء الحج فاوجبوا على المحصر عمرة مكان الطواف الذي يجب على من يفوته الحج واوجبوا
الحج لما دخل فيه فان قيل يجب ان يسقط عنه العمرة التي يجب على من يفوته الحج لان الذي يفوته
الحج لا يحل منه بدم وانما يحل بالطواف والمحصر قد حل بالدم فقام الدم الذي لزمه مقام
الطواف في الذي يفوته الحج قيل له ان المحصر لو لم يذبح عنه هديا احتاج ان يقيم على احرامه
حتى يصل الى البيت فيطوف به ولو الى سنين ثم يحج بعد ذلك مكان الحجة التي دخل فيها فجعل له ان يتعجل
الى الخروج من احرامه ويؤخر الطواف الذي لزمه بعد من لفوته فبالدم جاز له ان يحل ثم ينقل
الطواف عنه واذا لم ينقل الدم عنه الطواف ولم يحصل به الا متنه فعليه ان ياتي به باحرام
جديد فيكون ذلك عمرة فان قيل ما انكرتم على ان الدم يحل به المحصر جعل عليه ليتعجل به الاحلال
ولم يجعل بدلا عن الطواف قيل لان اهل العلم اجمعوا على ان الذي يفوته الحج ليس له ان يفسخ
الطواف الذي لزمه بدم بعد فوته فجعله بدلا من الطواف فدل انه انما يفرق الدم بتعجله به
الى الاحلال لا بدلا عن الطواف والله اعلم وقوله فما استيسر من الهدي روي عن علي وابن
عباس انهما قالا شاة واصحابنا رحمهم الله يروون الشاة تجزي في المتعة والاحصار والفدية والحجة
لهم في ذلك ما ذكرنا من قول الصحابة وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب
ابن عجرة النسك شاة واجماع التابعين انما تجزيه في الاضحية ثم المسألة في المحرم اذا حلق رأسه
من اذى رخص الله تعالى للمحرم الذي حلق رأسه ان يفدي بفدية من صيام او صدقة او نسك
وروي في الخبر عن كعب بن عجرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايؤذيك هوام رأسك
قلت نعم يا رسول الله قال فاحلقه واذبح شاة او اطعم ستة مساكين وقال كعب في نزلت
هذه الاية ثم اختلف اهل العلم في الذبح اين يذبح قال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز ان يذبح
الفدية الا بمكة واما الصدقة والصوم فانه ياتي به حيث شاء وذلك عندهم بمنزلة هدي المتعة
لان هدي المتعة انما وجب لجمعه بين الحج والعمرة في سفر واحد ولانه لو شاء ان يفرد لكل واحد
منهما سفرا افضل فيأخذه بالرخصة لزمه دم وكذلك دم الفدية انما وجب لاخذه بالرخصة في الحلق

والله نفاد سبيل الدمين سواء يحيان بمكة وكذلك دم الاحصار انما وجب لانه اخذ بالرخصة
فحل من احرامه ولا يجوز ان يذبح الا بمكة كدم الفدية فيما كان انما وجب لانه رخص له في حلق شعر
ذلك والصدقة ثلاثة اصوع على ستة مساكين على ما ذكر في خبر كعب فاما الصوم فان المتمتع اذا
لم يجد هديا صام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله فاجمعوا على انه لا يصوم السبعة
بمكة وفي غيرها فالصوم والفدية كذلك وكذلك الثلاثة الايام اذا صامها بعد احرامه بالعمرة
عندنا وبعد احرامه بالحج عند مخالفينا بمكة او بغيرها فهي مجزية وكذلك صيام الفدية مجزية حيث
صامه قياسا على صوم المتمتع فاما الصدقة فان الشافعي رحمه الله ذكر انها لا تجزي الا بمكة
وقال لان اهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون بالهدي فيقال له ارايت ان ذبح الهدي بغير مكة ثم
تصدق به على اهل الحرم هل يجزيه ذلك فان قال لا قيل له قد بطلت علتك حيث لم تجز التصدق
على اهل الحرم وخبريان ان الدم يختص في الحرم لان الله تعالى قال حتى يبلغ الهدي محله فاما الصدقة
فهي مجزية حيث كانت ثم اختلف في الذي يحلق قبل ان يذبح فيما ذكره فقال ابو حنيفة رحمه
الله يجب عليه دم وحجته لان الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق حتى يبلغ الهدي محله
فان حلق وانه لاذى فعليه دم آخر لان الاية في الحلق في المحصر فاذا كان الذي يصيبه الاذى
يفدي به قبل الوقت الذي اذن له فيه بفدية بل الذي حلق وانه بغير اذى احرى ان يكون عليه
الفدية وابو حنيفة رحمه الله يزيد في التغليظ عليه فيقول لا يجزيه غير الدم ويخير صاحب
الاذى بين الدم والصدقة والاطعام كما اخبره الله تعالى في تنزيل القرآن شهد لمذهبه وخالفه
جماعة من اهل العلم فيمن حلق قبل ان يذبح فقالوا اذبح ولا حرج لكن قوله افعل ولا حرج يرجع الى
الاثم دون الكفارة افعل اي لو فعلت لم يكن عليك حرج لان الكفارة قد تجب في اشياء يفعلها
الرجل خطأ وعلى جهة الجهل انما يجب في ذلك فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث في زوال الكفارة
والاصل في ذلك ان احوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره لم يجز اعتبار ذلك الحكم في
غير احوال الضرورة والعذر وعلى هذا يخرج قولهم في جميع الاصول ان الحكم في حال الاضطرار
والعذر خلاف ما هو في حال الاختيار وعلى هذا استدل بما يكن عنه هاد في الاية ودليل لزوم
الفداء على المتدهن لانه جل وعلا قال فمن كان منكم مريضا وقد ذكرنا ان فيه اضمارا ثم وقت
حاجة المؤمن فيه قال من فيه اي الدهن فكانه مذكور في الاية والله اعلم وقوله فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي وقد ذكرنا هذا اقاويلهم وقوله فمن لم
يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج اختلف اهل العلم في تاويله قال بعضهم من حين يحرم آخرها يوم عرفة
وعن علي رضي الله عنه قال فصيام ثلاثة ايام في الحج اختلف اهل التاويل فيه قبل يوم
التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فان فاته ذلك صام ثلاثة ايام بعد ايام التشريق وانما
تاخير الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة لما لعله يجد الهدي وما ذكره مما امر المتيمم من
تاخير الصلاة رجاء ان يجد الماء فهي عن التيمم فكذلك يؤخر الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة
لما لعله يجد الهدي واما ما اختلفوا فيه من صيامهن حلالا لا بعد العمرة فان من لم يجوز ذلك ذهب
الى ان الله تعالى قال ثلاثة ايام في الحج فيتاول ذلك في الاحرام وقد يجوز ان يكون الان كما قال
ويجوز ان يكون معناه في اشهر الحج الا ترى ان الله يقول الحج اشهر معلومات ومعناه والله اعلم
ان الحج يفعل في هذه الاشهر بفعله اشهر معلومات فلما احتملت الاية ما ذكرنا وجدنا السنة في
المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية كذلك روي عن جابر بن عبد الله قال قدمنا مكة مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج لاربع ليال مضين من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا
والمروة ولم يحل لانه كان ساق الهدي وامر من لم يسق الهدي ان يطوف ويسعى ويقيم ثم يحل
فلما كان يوم التروية امرهم ان يهلوا بالحج فاذا كنا نامر المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية فكيف
يصوم الثلاثة ايام بعد ذلك وانما بقي له يوم ويوم واحد مثل ما وصفنا انه يجوز له ان يصومهن
حلالا بعد العمرة والله اعلم وقوله وسبعة اذا رجعتم اختلف فيه قيل اذا رجع من منى
وقيل اذا اتى وطنا ورجع وقيل اذا رجعتم الى اهليكم وقوله تلك عشرة كاملة قيل تلك
العشرة وان كانت متفرقة فهي كالموصولة في حق الحج وقيل تلك عشرة كاملة من الهدي والاية
انه يكمل ما حق الدم وقيل تلك عشرة كاملة في حق الثواب اي ثوابها كثواب الهدي والله اعلم
وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام جعل الحكم الذي ذكره في المتمتع والمحصر
لمن لا يحضر اهله المسجد الحرام عن ابن عباس قال ليس على اهل مكة هدي في المتعة ولان اهل
مكة لو كانوا كغيرهم لم يكن للخصوص معنى واذا كان المعتمر في اشهر الحج اذا رجع الى اهله ثم حج
من عامه ذلك فلا هدي عليه فالمكي منهم في منزله بعد عمرته بمنزلة غيره اذا لا يجب عليه دم المتعة
ان حج من عامه ذلك ولكنه ان تمتع فعليه دم لحلال لانه منهي عن التمتع ثم اختلف في حاضري
من هم قال اصحابنا كل من كان من اهل المواقيت فما دونها الى مكة فله ان يدخلها بغير احرام
فهم جميعا حكم حاضري المسجد الحرام وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه خرج من مكة يريد
المدينة فلما بلغ قديدا بلغه ان بالمدينة جيشا من جيوش الفتنة فرجع ودخلها بغير احرام
وعندنا اذا جاوز جميع المواقيت ثم رجع فعليه الاحرام وقال آخرون ليس كحاضري المسجد الحرام
الا اهل الحرم واما الدليل لاصحابنا ما ذكرناه اما قولهم انا نبني عليهم احصارا لان الاحصار هو الحبس
والحيلولة بينهم وبين دخولهم مكة فاذا كانوا في غيرها قادرون على الطواف بالبيت في كل وقت
لذلك بطل الاحصار وقوله الحج اشهر معلومات عن ابن عمر رضي الله عنه قال الحج اشهر
معلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله وعن الحسن
مثله والشعبي ومجاهد وجوبير وابراهيم مثله وعن عبد الله قال شوال وذو القعدة
وذو الحجة وروي ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اراد ما اراده الاولون لانه لا يبقى بعد
ايام منى من مناسك الحج شيء فكيف تكون الايام التي بعد النفر من ايام الحج ولا عمل فيها للحاج مثل
المسيلة فيمن يحرم بالحج قبل اشهر الحج ما عليه وهل يجوز احرامه فعن ابن عباس رضي الله عنه قال
من سنة الحج ان لا يحرم بالحج الا في اشهر الحج وعن جابر رضي الله عنه قال لا يحرم بالحج قبل اشهر
الحج فاصحابنا يكرهون الاحرام قبل اشهر الحج واتبعوا في كراهيتهم ما روي عن السلف النهي
عن ذلك لكنهم يقولون ان احرمه يجزيه واحتج بعض اصحابنا في ذلك بان قال الحج ميقات ووقت
واجمعوا ان من احرم بالحج قبل الميقات فاحرامه صحيح فيلي ذلك من احرم قبل وقته فاحرامه
صحيح وقال بعضهم الحج اشهر معلومات الاشهر كلها كقوله ان عدة الشهور عند الله اثنا
عشر شهرا وهي الاشهر كلها وهي معلومة وهي كقوله يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج فانه كان هذا في تاويل الاية فيه دليل جواز الاحرام بالحج في الاشهر كلها وقال
آخرون الحج اشهر معلومات اي في اشهر معلومات وهو ما ذكرنا من قول جماعة من السلف قالوا
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة فيرانه بتوجيه وجهين احدهما ان يفعل الحج اشهر معلومات
والثاني لقوله فمن فرض فيهن الحج سماه حجا قبله بسبب الالزام فثبت ان ما بعد الاحرام حج والوجه

القاني بان الحج اشهر معلومات لا يدخل فيها غيره ثم ادخل فيها العمرة رخصة ودليله قوله دخلت العمرة
في الحج هكذا فيكون معناه ان الحج اشهرا اي بعضه اشهر معلومات والله اعلم وقوله فمن فرض
فيهن الحج اختلف فيما به يفرض الحج قال بعضهم اذا نوى الحج صار محرما به وان لم يلب وقال اخرون
اذا نوى ان يفعل بجميع ما امر وان ينتهي عن جميع ما نهي صار بذلك محرما واما عندنا فان نادى بالتلبية
فمن فرض فيهن الحج اي نوى فيهن بالحج ودليله ما روي عن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم
انهم قالوا من فرض فيهن الحج اي لبى واما بنية مجردة فانه لا يكون محرما وما روي ايضا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة رضي الله عنها وقد راها حزينة مالك فقالت انا قضيت
عمرتي والقابل الحج غادي فقال ان ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم فحجي وقولي ما يقول المسلمون
في حجهم فبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة فحجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم ان
التلبية واجبة اذ كان المسلمون يفعلونها وامر عائشة باتباعهم فيها وعن عائشة رضي الله عنها
قالت لا يحرم الا من اهل او لبى فدلت هذه الاحاديث على ان التلبية من الحج وعن هؤلاء الائمة
واما غيرهم الذين ناخذ منهم الدين فلا يجوز مخالفتهم ولا العدول عن سبيلهم وقال اصحابنا ان
خرج رجل مع بدنته وقلدها وساقها وهو يريد الاحرام فهو محرم وينوب مناب التلبية فعل منه مقام التلبية
واحتجوا لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه في حجته لما امرهم بان يحلوا بعمرة قالوا
له انك لم تحل قال اني قلدت الهدي فلا احل من احرامي الا يوم النحر وقال لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما سقت الهدي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي منعه من الحل تقليده
الهدي وان ذلك قام مقام الاحرام لو جدده بعد الطواف وروي عن علي وعبد الله وجابر رضي
الله عنهم قالوا اذا قلد فقد احرم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اذا قلد وهو يريد الحج او
العمرة فقد احرم وما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى فذلك عندنا
في الذي يقلد بدنته ولا يخرج معها لا يصير محرما الا يرى ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ويقيم فلا يحرم عليه شيء وقوله فلا رفث
قيل الرفث جميع حاجات الرجال الى النساء وقال ابن عباس الرفث الجماع وابن عمر مثله واجمع
اهل العلم ان المحرم لا يجوز له ان يقبل امراته ولا يمسها بشهوة ويوجبون الدم في من فعل ذلك
وما روي عن ابن عمر اذا باشر المحرم امراته اهراق دما وعن علي رضي الله عنه قال اذا قبل
المحرم امراته فعليه دم وسئلت عائشة رضي الله عنها عما يحل للمحرم من امراته فقالت يحرم عليه
كل شيء سوى الكلام وقوله ولا فسوق قيل الفسوق السب وقيل هو كل فسق والفسق حقيقة الخروج
من امر الله قال الله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج وقوله ولا جدال في الحج قيل المراء
وذلك ان العرب كانت تؤخر الاشهر الحرم وتجادل في ذلك ترك انما النسيء زيادة في الكفر فبين
صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض فبين
ذلك انه قد ارتفع الحج ان حيث جعل لا يتقدم ابدا ولا يتاخر فلا تمارون فيه وعن ابن عباس رضي الله
عنه وعن ابن عباس قال لا تجادل صاحبك حتى تغضبه واشبه الامور والله اعلم تاويل الاية
ان الله تعالى امر بحفظ اللسان والفرج في الاحرام عن كل ما يذكر من فسوق ومعصية ومجادلة
ومخاصمة وعن الرفث بالفعل والقول لانه روي ان الفضل بن عباس كان ردف النبي صلى الله عليه
وسلم وكان الفتى يلاحظ النساء وينظر اليهن وجعل النبي يصرف وجهه بيده من خلفه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له او كما قال وروي عنه

انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله
ويجزيه في دينه ترغيب منه في كل خير وقوله وتزودوا اي بقبل تزودوا للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم
عن المسالة ولا تخرجوا بلا زاد فتكونوا عيالا على الناس ويحتمل ان يكون الامر بالتزود والمعاد بدليل
قوله فان خير الزاد التقوى يقول ان تقوى الله خير زاد لمعاد المعاد وقوله واتقون يا اولي
الالباب يحتمل واتقوا المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل التقديم والتاخير كانه قال
تزودوا يا اولي الالباب واتقون في المسالة من الناس وقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم قيل التجارة وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من التجارة في عشر ذي الحجة فلما
ان كان الاسلام امتنع اهل الاسلام عن التجارة واحبوا ان يكون خروجهم للحج خالصة دون ان يخلط
غيره من الاعمال فرخص الله تعالى التجارة للحاج وطلب الفضل وروي عن ابن عمر ان رجلا ساله
فقال انا قوم نكري ويزعمون انه ليس لنا حج فقال الستم تحرمون وتلبون فقال بلى قال فانتم حجاج
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عما سالتني عنه فنزلت هذه الاية ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه مثله واصحابنا يرون حج الاجير
والتاجر تاما وظاهر القرآن يدل على ذلك وكان عند القوم ان الاستيجار على الطاعة لا يجوز فاما
كالحاج هذا حتى سالوا في هذا واصله ان الحج لا يمنع افعاله غيره فاشبه الصوم ويجوز فيه الاجارة كذا
في هذا واما الصلاة فيها نية لها سواها من الافعال فاختلفا وقوله فاذا افضتم من
عرفات قيل ان اهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس ومن مزدلفة بعد
طلوع الشمس فامر اهل الاسلام بالخلاف جميعا ان يجعلوا الافاضة من عرفة بعد الغروب ومن
المزدلفة قبل الطلوع والله اعلم وفي الخبر ما يؤمر في الرجعتين جميعا والافاضة هو الاسراع
في المشي في اللغة وقيل الافاضة الاتحاد وقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام يعني المزدلفة
ويحتمل قوله فاذكروا الله وجهين يحتمل صلاة المغرب والعشاء ويحتمل الدعاء فيها جميعا وقال
ابن عباس المشعر الحرام الجبل وما حوله وهو الجبل الذي يوقف عليه يقال له قزح وسمي جمعا
ايضا لانه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء وقيل سمي جمعا لانه اجتمع فيه آدم وحواء وروي
عن ابن عباس انه قال سميت العرفات لان جبريل صلوات الله عليه لما علم ابراهيم صلى الله عليه وسلم
المناسك كان يقول له عرفت عرفت والله اعلم بذلك وقوله واذكروه كما هداكم يحتمل
وجهين يحتمل الامر بالذكر امرا بالشكر له على ما انعم عليهم من انواع النعم ويحتمل اذكروه كما علمكم
وارشدكم لامر المناسك ويحتمل الامر بالتوحيد له كانه قال وحدوه كما وفقكم لدينه وفي هذا الحج
وقوله وان كنتم من قبله لمن الضالين عن الهدي وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر والله
اعلم قال الشيخ رحمة الله عليه وجهين هذا في عرف لنبوته وهذا في دين الطاعة وقوله
ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل ان اهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون نحن اهل
حرم الله لا نفيض كغيرنا من قصدنا فامر الله فيهم بامرهم بالوقوف بعرفات والافاضة منها
من حيث افاض غيرهم من الناس وذكر عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت قريش ومن كان
على دينها يقفون بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة فانزل الله ثم افيضوا من حيث افاض الناس وفيه
دليل ان الوقوف بعرفة فرض فيه ذلك حديث لا يكاد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج
عرفة ومن ادرك عرفة بليل فقد تم حجه ويحتمل في قوله ثم افيضوا من حيث افاض
الناس يعني آدم وهو الفرد او غيرهم من اهل الافاق اذا قصدوا الى الاحرام من وراء الحرم وثم

امروا بالاحرام في الحرم فما احتشوا الموضع لكن لم يقضوا التقصير غيره من المناسك في الحرم والله اعلم
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله امر بالافاضة من عرفات ثم بعد ذكر المزدلفة والافاضة من عرفات
يتقدم المزدلفة فيبان انه حرف ثم ما تدبيتها به ابتداء وقوله فاذكروا الله كذكركم اباءكم قيل
فيه بوجهين قيل انهم في الجاهلية كانوا اذا قضوا المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون اباءهم ومناقبهم

١٢١

ويفتخرون بذلك فلما ان اسلموا امرهم ان يذكروا ربهم في الاسلام كذكرهم اباءهم في الجاهلية او
اشد ذكرا فانه اولى بذلك من الاباء وقيل ان يكونوا يذكرون اباءهم بما انعم عليهم اباؤهم واحسنوا اليهم
فقال اذكروا الله فيما تذكرون اباءكم مكان اباءكم فاني انا الذي انعمت عليكم وعلى ابائكم فاجعلوا
ذلك لي دون ابائكم وقوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق الاية
هم قوم لا يؤمنون بالبعث والاحياء بعد الموت خيرات الدنيا ولم يطلبوا الجزاء في الاخرة فاعطوا
خاتمها لو اس حسنات الدنيا وهو كقوله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب
ومن كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اي يوفي حرث الدنيا والاخرة فلما كان ذكر هذا في الدنيا
ويلهم انها لم يتركوا في دعائهم عنها واما من آمن بالبعث والاحياء بعد الموت فانهم سالوا الخيرات
الدنيا والاخرة جميعا بقوله ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب
النار علموا احسنات الدنيا لان الدنيا جعلها محل الزاد للاخرة لانه انما جعلها لهذا انما خلقهم للاخرة
كقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ثم اختلف في الحسنة في الدنيا وفي حسنة الاخرة قيل
حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الاخرة الجنة والمغفرة وقيل حسنة الدنيا النصر
والرزق وحسنة الاخرة الرحمة والرضوان وكله واحد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان لله عبادا يحيون في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في عافية قيل
يا رسول الله بم قال بكثرة قولهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
وقوله والله سريع الحساب قيل فيه بوجوه قيل فيه تقديم وتاخير كانه قال حسابه سريع قيل
سريع لما ان الابطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاشتغال وحفظ عقد الاصابع او لشغل
شغله والاشتغال عن ذلك او يوصف به او يشغله شيء وقيل سريع اي قريب كان قريبا كقوله
اقتربت الساعة وكقوله واقترب الوعد الحق وكقوله اتى امر الله اي قرب وقيل كناية عن عذاب
شديد اي شديد العقاب والعذاب وهو كقوله اتى امر الله اي قرب من نوقش الحساب عذب
وقوله واذكروا الله في ايام معدودات قيل انه يحتمل وجهين قيل انه اراد بالايام المعدودات
ايام النحر والذبح ان اذكروا الله بالنحر والذبح في ايامكم هو عند ابي حنيفة يوم النحر ويومان بعده
وقيل اراد بالايام المعدودات ايام رمي الجمار دليله قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وهي ايام
التشريق وهي ثلاثة ايام بعد النحر وروي عن علي رضي الله عنه قال الايام المعدودات يوم
النحر ويومان بعده اذبح في ايها شئت وافضلها اولها وكذلك روي عن عمر والله اعلم وقوله
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه قيل من تعجل في يومين بعد يوم النحر يقول من نفر من منى قبل
غروب الشمس فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فاقام الى الغد يرمي الثالث يرمي الجمرات
ثم ينفر فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى وقيل فمن تعجل في يومين من ايام التشريق فلا اثم عليه ومن تاخر
الى اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه ثم لا يحتمل قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن
تاخر فلا اثم عليه ان يكونا جميعا في الرخصة التعجيل والتاخير جميعا فلا لحقه الاثم بكليهما لانه
اذا كان التعجيل من الرخصة فالتاخير لا يكون رخصة واذا كان التاخير من الرخصة فالتعجيل ليس

برخصة لكن الوجه فيه والله اعلم ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فمن تعجل في
يومين غفر له ومن تاخر غفر له ما كان له من الاثم والذنب في يوم الذي اخر والله اعلم ويحتمل
انه خيره اي ان تعجل او اخر فلا اثم عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله فلا اثم

١٢٢

عليه رجع مغفورا له وقوله لمن اتقى قيل فيه بوجوه قيل لمن اتقى قتل الصيد في الاحرام ويحتج
ذلك قوله فاتقوا الله ولا تستحلوا قتل الصيد في الاحرام وقال ابن عباس رضي الله عنه لمن اتقى
الله جملة وقيل لمن اتقى جميع ما يحرم عليه الاحرام من الرفث والفسوق والجدال ونحو ذلك
وقوله واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون فتخوفهم عز وجل ليتقوا في كل وقت كل معصية خرج الخطاب
في الظاهر للمؤمنين ويحتمل ان يكون هكذا ابتغاء امرهم ان يتقوا الشرك والاشراك به في
افعالهم او عدهم الحشر والجزاء لا عاقبة وقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا
قيل انه رجل من الكفار كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظهر انه يحبه وكان يبدي له الموالاة
والمتابعة له في دينه ويحلف على ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه في المجلس
وفي قلبه خلاف ذلك فانزل الله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله الاية وقيل انها نزلت في
المنافقين لانهم كانوا يظهرون من انفسهم الموافقة له في الدين ويظهرون المودة على دينه ومذهبه
ويضمرون الخلاف له في السر والعداوة ويحلفون على ذلك فانزل الله ومن الناس من يعجبك
قوله والله اعلم وقوله وهو الد الخصام قيل اشد الخصام وقيل اجدل بالباطل وقيل الظالم في
الخصومة لا يستقيم ابدا وقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد قيل فيه باوجه قيل ويهلك الحرث اي يقتل النساء وهن حرث
كقوله نساؤكم حرث لكم وفي اهلاك النساء اهلاك النسل وقيل اراد بالحرث الحرث نفسه وهو
الزرع والنسل الدواب يحرق الحرث ويعقر الدواب وكل حيوان وقيل انهم كانوا يسعون
بالفساد ويعملون بالمعاصي فيمسك الله عنهم المطر فيهلك كل شيء من النبات وغيره ويحتمل
قوله ويهلك الحرث قتل ولد آدم وفي اهلاكهم اهلاك كل حرث لانهم هم الذين يحرثون ويتناسلون
والله اعلم وقوله والله لا يحب الفساد لظاهر وقوله واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم قيل له اتق الله عن صنيعك وهو السعي في الارض بالفساد حملته الحمية على
الاثم لكبر ما فيه قال الله تعالى لرسوله فحسبه جهنم يقول والله اعلم اعرض عنه واتركه
وصنيعه فان جهنم مصيره ومأواه وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال
ان ابغض الناس من يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك وقوله ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله يحتمل يشري نفسه يشتري نفسه ابتغاء اي يهلك نفسه اي يبيع نفسه
في عبادة الله وطاعته بذلك يجزاه بجزاء اباها ويحتمل يشري يبيع نفسه ابتغاء اي يبذل
نفسه ويبيعها في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فهو لا يبيع لو انفسهم لكن يتفضل الله عز وجل ببذل الجنة
لهم فهو الشرى والله اعلم وهو ما روي ان ابا بكر اشترى نفسه على رسول الله عنده ما هم المشركون
قتله وفيه دلالة ان ابا بكر كان اشجع الصحابة واصلبهم وان كان يقتل في نفسه لما لم يجاسر
احد من الصحابة على مثله وما روي ايضا انه خرج لقتال اهل الردة وحده فذلك هذا كله انه
كان اشجعهم واصلبهم في الدين وقيل ان الاية نزلت في صهيب ابتاع دينه باهله وماله على
ذلك والله اعلم وقوله والله رؤوف بالعباد يحتمل ان اذا ذكر العباد هو ان الكفار كانا اذا اسلم

واطلق وسنه لله يتغمده في رحمته ويقبل منه ذلك ويمحها ويعفو عنه ما كان منه في الشرك
والكفر والله اعلم ويحتمل ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وخيرهم وقوله يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم كافة يتبعه لعثمان السلم بالكسر والنصب من قراه بالكسر فهو الاسلام
ومن قراه بالنصب فهو الصلح كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى آخر
الآية فان قيل كيف امر بالدخول وهم فيه لانه خاطب المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا ادخلوا
قيل لوجوه احدها انه يحتمل ان قوله يا ايها الذين امنوا بالسنتهم امنوا بقلوبكم ويحتمل يا ايها
الذين امنوا ببعض الرسل من نحو عيسى وموسى امنوا بمحمد ويحتمل من الانبياء امنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل امره اياهم بالدخول امر بالثبات عليه وقيل انه انما امرهم بالدخول
فيه لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت لانه يعلو الامثال تتجدد ولا تبقى كانه
قال يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الاوقات امنوا في حادث الاوقات وفي هذا تخرج تاويل
قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو
مبين قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي ملتم وتركتم
من بعد ما ظهر لكم الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم قيل عزيز اي منتقم ممن ترك الحق بعد الظهور
ويحتمل عزيز اي غني عن طاعتكم له وعبادتكم اياه وقيل عزيز من ان يقهر او يذل او يغلب
لان العزيز نقيض الذليل وقيل عزيز لا يقدر احد ان يصل اليه او يقهره لا ذل بنفسه كما يقال
عزيز الامر ام وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل فيه بوجوه
قيل ان ياتيهم الله بامره وهو قول الحسن وقيل ياتيهم الله اي امر الله وهو كقوله او ياتي امر ربك او ياتي
بعض آيات ربك على الاضمار الامر فيه وقيل قوله في ظلل الغمام بمعنى الباء كانه قال ياتيهم الله بظلل
من الغمام وذلك جائز استعمال في مكان الباء لانهما جميعا من حروف الخفض والعرب تفعل ذلك
والتالي والاصل في هذا ونحوه ان اضافة هذه الاشياء الى الله عز وجل لا توجب حقيقة وجود
تلك الاشياء منه على ما يوجد من الاجسام لما يجوز اضافته الى ما لا يوجد منه تحقيق ذلك نحو
ما قيل جاء امر فظيع وجاء الحق وزهق الباطل وجاءتك بامر كذا وجاءكم رسول ذكر المجي والاتيان
لا على تحقيق وجود ذلك منه فعلى ذلك يخرج ما اضافه عز وجل الى نفسه من المجي والاتيان والاستوا
ليس على تحقيق الاتيان والمجي والاستواء منه على ما يكون من الاجسام وفي الشاهد ان ملوك الارض
يضيفون الى انفسهم ما عمل بامرهم من غير ان يتولوها بانفسهم كذلك اضاف جل ذكره امر القيمة
الى نفسه لفضل ذلك الامر وانه الاصل ان الاتيان والانتقال والزوال في الشاهد انما يكون
لخلتين اما لحاجة بدت فيحتاج الى الانتقال من حال الى حال والزوال من مكان الى مكان ليقضيها
او لسآمة ووحشة تاخذه فينتقل من مكان الى مكان لينفي عن نفسه ذلك وهذان الوجهان
في ذي المكان والله يتعالى عن المكان كان ولا مكان فهو على ما كان فالله يتعالى عن ان تمسه حاجة
او ياخذه سآمة فبطل الوصف بالاتيان والمجي والانتقال من حال الى حال او مكان الى مكان
وبالله التوفيق وقيل ان النص قد ورد بالاستواء والمجي وورود الخبر بالنزول والرؤية
فرد ذلك والشفع بانه ليس كمثله شيء في نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته ولزم الاقرار بما جاء
من عنده من غير طلب الكيفية له ولا تفسير لما يتبين فيه الايمان بالتنزيل والكف عن التشبيه
والله اعلم وفي ان هذا الاتيان في العرض ظهوره وفي الجسم تنقله من مكان الى مكان والله جل
ذكره جل ان يوصف بجسم او عرض كذلك اتيانه لا يشبه اتيان الاجسام والاعراض ويكون اتيان

لايرى

لا يرى كيفيته وكان جائزا ان يكون هو مشبها بدليل لا يشبهه عرض ولا جسم والله اعلم وقوله سل
بني اسرائيل كم اتيناهم من آية بينة يحتمل وجوها يحتمل ان يكون امر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بسؤاله
اياهم عما اتاهم من الآيات في اثر سؤالهم كان منهم في طلب الآيات فقال سلهم يا محمد كم اتينا اباءكم
واجدادهم من الآيات على يدي موسى فكفروا به ولم يؤمنوا فان اتيناكم ايات لا تؤمنون
ايضا فيخرج تفسيره او سؤال التقرير كان سؤال تعنت لا سؤال قبول وتصديق والله اعلم ويحتمل ان
يكون لا في اثر سؤال كان منهم ولكن في الابتداء او سل علماء بني اسرائيل والذين كم اتيناهم من آية
بينة فاخفوها وكتموها وهو كقوله او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل الآية ويحتمل السؤال على
الامر فيه في تحقيق لكن على التبيين انك لو سالتهم لاخبروك او يكون المراد من ذلك في الذين يضيق
صدورهم عند الاخبار ويقولوا جاءتهم الآيات التي سالوا منها لا يؤمنون ليخبر واهل الكتاب بطمانة
لذلك قلوبهم ويزول منها الخطرات والوساوس والله اعلم وقوله ومن يبدل
نعمة الله من بعد ما جاءته قيل نعمة الله دين الله من يبدله بعد ظهوره وبيانه وقيل نعمة الله يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم اي من كفر به بعد ما علم انه رسول الله ويحتمل نعمة الله النعم
التي كان اتاهم من المن والسلوى والغمام وغيره مما لم يؤت احدا من العالمين مثله فان الله
شديد العقاب فحق لهم ان يحلوا عذره حذرهم في تبديل ذلك وتركه والكفر بنبيه صلى الله عليه
وسلم بعد معرفتهم انه حق والله اعلم ويكون تبديل نعمة الله توجيه الشكر الى غيره ممن يعطيه
غيره والله اعلم وقوله زين للذين كفروا الحياة الدنيا قال الحسن زين لهم الشيطان وكذلك
وكذلك قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم ولكن معناه والله اعلم اي زين لهم التزين ثم التزين
يكون من وجهين من جهة الطبع لقرب الشهوات والعقل لعلمه بالادلة فيكون التزين بالثواب
واما ما زين للذين كفروا الحياة الدنيا لما ذكر فيهم من الشهوات وميل الطبع اليه واما الوجهان
الاخران فيهما للمؤمنين وقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة يحتمل وجهين يحتمل فوقهم
في الحجة يقول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويحتمل فوقهم في
الجزاء والثواب وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل وجوها يحتمل بغير حساب
بغير تبعة ويحتمل بغير حساب لا على قدر الاعمال ولكن على قدر الشهوة وزيادة عليها لان
رزق الجنة على ما ينتهي اليه الشهوات ورزق الدنيا مقدر على قدر الحاجة والقوت اذ لا احد
يبلغ مناه في الدنيا وحاجته وفي الآخرة كل ينال فوق مناه ولا ياكل الشهوة في الدنيا هو
المؤذي ويحتمل بغير حساب اي من غير ان ينتقص ذلك عن ملكه وخزائنه وان عظم عطاياه
وكثر منا له ليس كخزائن المخلوقين تنتقص بالرفع وتنفد والله اعلم وقوله كان الناس
امة واحدة قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه وآخر معه من الصحابة رضي الله عنهم قالا
كان الناس امة واحدة كلهم كفارا الى ان بعث الله فيهم النبيين وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه كان الناس امة واحدة مومنين كلهم ومن نوح الذين كانوا الى التفرقة الى ان
اختلفوا من بعد فبعث فيهم النبيين وقال بعضهم كان الناس امة واحدة ومن آدم مومنين
الى ان انزل بينهم وبعث فيهم الرسل ولم يقل بغير هذا كان الاقرب قوله كان الناس امة واحدة
يعني صنفا واحدا ومعنى الآية معنى الصنف كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم يعني اصنافا ثم خص الله تعالى صنفا ببعث الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم
من بين غيرها من الاصناف تفضيلا لهم واكراما بعث كل رسول الى قومه فيهم كافة وفيهم

مؤمنون لان الارض لا تخلو من ولي او نبي كقوله ولقد كرمنا بني آدم ليعلموا ان سائر اصناف الخلق خلقوا لهم لحاجتهم وهو قول الحسن وكذلك قول ابي حنيفة رحمه الله ان الارض لا تخلو عن نبي او ولي والله اعلم وقوله فبعث الله النبيين مبشرين لمن اطاعه ومنذرين لمن عصاه وجائز ان يكون البشارة والنذارة جعلت له عن الوقوع بما به يعاقب بخلف كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقوله نذيرا للعالمين وقوله ليحكم بين الناس بالحق يحتمل قوله ليحكم وجهين ليحكم الكتاب المنزل عليهم بالحق فيما بينهم وهو كقوله لتنذر الذين ظلموا ثم تبعهم بانبياء وقراء آخرون بالمتاع ومن قراه بالياء جعل الكتاب هو المنذر ومن قرأ بالتاء جعل الرسول هو المنذر فكذلك في هذا المحكم الكتاب بينهم بالحق ويحكم الرسول بالكتاب فيما بينهم بالحق وقوله فيما اختلفوا فيه يحتمل قوله فيه وجوها يحتمل فيه في محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل في دينه ويحتمل فيما اختلفوا فيه في كتابه وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات اي ما اختلفوا فيه الا من بعد ما جاءتهم البينات والعلم اما من جهة العقل واما من جهة السمع والكتب والخبر واما من جهة المعاينة والمشاهدة لكنهم عاندوا وكابروا وكفروا به بغيا بينهم قيل حسدا بينهم وقيل ظلما منهم ظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه تاويله والله اعلم اي هدى الله الذين آمنوا ولم يختلفوا من بين الذين اختلفوا ويحتمل هدى الله من انصف ولم يعاند ولم يهد الذي عاند ولم ينصف وقوله باذنه قيل بامره وقيل بفضله لكن قوله بامره لا يحتمل لكن باذنه اي بمشيئته واراداته وقوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فيه دلالة انه من شاء ان يهتدي فاهتدى ومن لم يشأ ان يهتدي لم يهتد لانه لو كان شاء ان يهتدوا جميعا على ما يقوله المعتزلة لكان يقول والله يهدي الى صراط مستقيم ولم يقل من يشاء فدل قوله من يشاء على انه شاء ايمان من آمن ولم يشأ ايمان من لم يؤمن فالاية تنقض على المعتزلة قولهم انه شاء ان يؤمنوا لكن آمن بعضهم ولم يؤمن البعض وفي قوله فبعث الله النبيين دلالة على ان لا يريهم من البعث والانبياء والمجيء والانتقال من مكان الى مكان ولا الزوال من موضع الى موضع لانه ذكر البعث وهم كانوا بين ظهرانيهم فدل انه يراد الوجود لا غير وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل معنى قوله ام حسبتم على اسقاط الميم وقيل ام بمعنى بل حسبتم وقوله ولما ياتكم مثل الذين قيل شبه الذين مضوا وقيل مثل الذين جزاء الذين خلوا من قبلكم وقيل سنن الذين خلوا من قبلكم من البلاء والمحن التي اصابت الماضين من المؤمنين وقوله ام حسبتم الاية احسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا كما ابتلي من قبلكم اي لا تظنوا ذلك عليه وان كان فيهم من قد يتدبر والله اعلم كقوله الم احسب الناس الى آخر الاية وقيل ان القصة فيه ان المنافقين قالوا للمؤمنين لم تقتلون انفسكم وتهلكون اموالكم فانه لو كان محمد نبيا لم يسلط عليه فقال المؤمنون لهم ان من قتل منا دخل الجنة فقالوا لم تمنون الباطل والبلاء فانزل الله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير ان تبتلوا ويصيبكم الشدائد ولما ياتكم خبر الذين من قبلكم مستهم البأساء والضراء وقوله وزلزلوا قيل حركوا وقيل جهدوا وقوله حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قيل فيه بوجهين قيل يقول الرسول والمؤمنون جميعا متى نصر الله ثم يقول الله لهم الا ان نصر الله قريب وقيل يقول المؤمنون متى نصر الله ثم يقول لهم الرسول الا ان نصر الله قريب ويحتمل هذا في كل رسول الله بعث اليهم امته يقول هذا وامته يقولون ايضا ويحتمل ان كان هذا في رسول دون رسول على ما قاله

بعض اهل التاويل والله اعلم ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك سبيل الا من جهة السمع ولا حاجة لنا الى معرفته وقوله يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فظاهر هذا السؤال لم يخرج له الجواب لان السؤال عما ينفق فخرج الجواب على من ينفق عليه انه يحتمل ان يكون ماذا بمعنى من وذلك مستعمل في اللغة غير ممتنع ويحتمل ان يكون سألوا عن شيئين احدهما عما ينفق والثاني على من ينفق فخرج لاحدهما الجواب على ما كان من السؤال على من ينفق ولم يخرج جواب ما كان من السؤال عما ينفق وهذا ايضا جائز كثير في القرآن ان تكثر الاسئلة ويخرج الجواب لبعض ولم يخرج لبعض ويكون جواب سؤال من ينفق في قوله قل العفو فيكون على ما ذكر والله اعلم ويدل لما قلنا انه كان سؤالان احدهما عما ينفق والآخر على من ينفق ما روي عن عمرو بن الجموح الانصاري رضي الله عنه انه قال يا رسول الله كم ننفق وعلى من ننفق فانزل الله يسالونك ماذا ينفقون الاية ثم اختلف في هذه النفقة قال بعضهم هذه النفقة كانت نفقة تطوع فنسخت بالزكاة وقيل هذه النفقة صدقة يتصدقون على الوالدين والاقربين الذين يرثون فنسختها اية المواريث وقيل فيه الامر بالانفاق على الوالدين والاقربين عند الحاجة وكان هذا اقرب والله اعلم وفيه دلالة لزوم نفقة الوالدين والمحاويج في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وفي قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وجه آخر وهو انهم والله اعلم ظنوا انما ثوابا لايمانهم يدخلوا الجنة ولا يبتلون بشيء من المحن والفتن وانواع الشدائد فاخبر عز وجل ان في الايمان المحن والشدائد لا بد منها كقوله حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات والله اعلم وكقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولان الايمان من حيث نفسه ليس بشديد لانه معرفة حق وقول صدق ولا فرق بين قول الصدق والكذب ومعرفة الحق والباطل في احتمال المؤونة الا لمخالفة الهوى والطبع وذلك في انواع المحن وقوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية فالكراهة المذكورة ههنا والمحبة كراهة الطبع والنفس لا كراهة الاختيار ولا يكون في كراهة الطباع خطاب لان طبع كل احد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو لا الكفر هو ذلك كراهة اختيار لانه لا يحتمل ان يكون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرون بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم هم يكرهون ما امروا اختيارا منهم لان ذلك دأب اهل النفاق فثبت انه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدائد والمشقة وكراهيته وقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم يحتمل هذا في القتال خاصة وهو ان يكونوا كرهوا القتال لما فيه من المشقة والشدة وهو خير لهم لما فيه من الفتوح والظفر وسعة العيش ونيل الثواب والدرجات في الآخرة وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من اجتراء العدو والاسر والقتل والذل والصغار وقطع الثواب في الآخرة هذا ويحتمل هذا في كل امر يحب في الابتداء ويكون عاقبته شرا له ويكره امرا يكون عاقبته خيرا له وهذا اجملنا بعواقب الامور وحوادثها ليعلم ان ليس لنا من التدبير في شيء والله اعلم وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون اي والله يعلم ما هو خير لكم في العواقب ما هو شر لكم وانتم لا تعلمون وقوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير معناه والله اعلم يسالونك عن القتال في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام قل قتال فيه

كبيرًا لو لم يكن من الكفرة ما ذكر من الصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفر به واخراج أهله
لكن اذا فعلوا ذلك لم يكن القتال تحته كبيرًا بل الكفر فيه اكبر من القتال فكانه والله اعلم ذكر
هذه الاحرف معنى فيه الكناية عن الكفر ثم جعل الكفر اكبر من هذه كلها مع المعرفة ان الذي يؤدي به
اقل منه ثم انهم اختاروا الاكثر عند البلوى بما بين القتال فيه كبير لان فيه تفاني الخلق ولم
يخلقوا للفناء ثم فيه نقض على المعتزلة بوجهين احدهما انه ذكر القتل وجعل الكفر اكبر منه ولو اوجب
القتل التخليد ما اوجب الكفر لكان فيه التساوي ولا يكون الكفر اكبر من القتل فبان ان الكبيرة
لا توجب التخليد ما اوجب الكفر والله اعلم والثاني قال والكفر اكبر منه فصيّره اكبر ثم لا يخلوا
كبره من ان يكون بنفسه او بالكافر او بالله ولا يحتمل ان يكون بالكافر لان فعل الكفر اعظم عنده من
فعل الزنا والقتل لانه يدين بالكفر ويستحسنه ويستقبح ذلك فبان انه يكبر بنفسه او بالله فان
قالوا بنفسه قيل لهم لما جاز ان يكون كبره بنفسه من بيّنته لم لا جاز خلقه بغير من يفعله او يكون بالله
ومن قولنا وقوله ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم فيه دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم يفعلون كذا فكان كما قال فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل
وقوله ان استطاعوا ولكن لا يستطيعون ان يردوكم عن دينكم فيه اياس الكفرة عن ردّ
هؤلاء الى دينهم واياس هؤلاء عن الرجوع الى دينهم وقيل انه يعني لو قدروا ان يردوكم عن دينكم
الى دينهم لفعلوا اخبر عز وجل عما ودّوا ان استطاعوا لكن الله بما آكرهم ونبّه من التضرع انهما
الذين لا يستطيعون على ذلك الخبر بقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم ذكر احباط الاعمال بالموت على الكفر
والعمل يحبط بالكفر دون الموت والوجه فيه انه لا يحتمل ان يكون الموت هو سبب احباط الاعمال
بل الكفر نفسه اذا وجد اذ الموت لا صنع فيه للعباد والكفر هو فعله اختيارًا لم يجز جعل العمل حبطًا
بما لا صنع له فيه دل ان الكفر هو المحبط لا الموت ولكن ذكر الموت لما فيه تمام الحبط والابطال
وما لم يمت يرجى له المنفعة بحسناته لانه اذا كفر يجحد تلك الحسنات فابطلها فاذا اسلم فيه
ذلك ندم على جعل ذلك باطلًا فيصار معا بلا اشيانه بحسناته لو طالة الانتفاع به كما قال
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
اما في الدنيا فذهاب التعظيم والاجلال والثناء الحسن الذي لا يستوجب بالخير والدين عند
الناس فاذا ارتد عن الاسلام حبط ذلك كله وصار على اعين الناس اخف من الكلب والخنزير
واما حبطه في الاخرة فذهاب ثواب اعماله وكان ما يستوجب المؤمن الثواب انما يستوجب
بما يأتي من الاعمال ويحفظها عند الله لا بالعمل نفسه الا ترى الى قوله من جاء بالحسنة فله كذا وقوله
ومن يأته مؤمنا فله كذا دل هذا ان الثواب انما يستوجب باحضاره واتيانه به عند الله
لا بالعمل نفسه والله اعلم وقوله ان الذين امنوا يتضمن قوله الذين امنوا الايمان بالله والايمان
بجميع الرسل والكتب التي انزلها على رسله والايمان بجميع ما جاء الرسل من الرسالات وغيرها
وقوله والذين هاجروا الهجرة تكون على وجهين الهجرة المعروفة التي كانت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو كقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا هجرة بعد فتح مكة والهجرة الثانية هجرة الاثام والاجرام التي لا ترتفع ابدا وقال الحسن
في قوله ومن يهاجر يعني بالعداوة منه لمن كفر بالله وقال ابو بكر انه يهجر قومه وداره ويخرج

لله ق وجاهدوا في سبيل الله المجاهدة تكون على وجوه مجاهدة العدو ومجاهدة
الشيطان ومجاهدة النفس اولئك يرجون رحمة الله فيه دلالة ان الذي يحق رجاؤه بعمله فاذكر
فيه ثم قوله رحمت الله يحتمل وجهين يحتمل الرحمة الجنة والرحمة المغفرة وقوله والله غفور
رحيم لما كان فيهم من التقصير فيما ذكر من المجاهدة والمهاجرة وقوله يسألونك عن الخمر
والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قل فيهما اثم كبير يعني الحرمة ومنافع للناس قبل الحرمة
واثمهما يعني الحرمة اكبر من نفعهما قبل التحريم والمنفعة في الميسر بعضهم ينتفع به وبعضهم
يخسر وهو القمار وذلك انهم كانوا يشترون الجزور فيجعلون لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون
فمن خرج سهمه برئ من الثمن حتى يبقى اخرهم رجلا فيكون ثمن الجزور عليه وحده ولا حق له في الجزور
ويقتسموا الجزور بينهم وقيل فيه بين الفقراء انه كان الميسر ثم قال فيهما اثم كبير يذكر بهما لان فيهما
ترك الصلاة وترك ذكر الله وركوب المحارم والفواحش ثم قال ومنافع للناس يعني التجارة واللذة
والفرح ثم اختلف فيه قال قوم اية الخمر محرمة بهذه الاية حيث قال اثم كبير والاثم محرم بقوله
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي وقال قوم لم تحرم بهذه الاية اذ فيها
ذكر النفع ولكن حرمت بقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس والرجس محرم وقال
من عمل الشيطان وعمل الشيطان محرم ثم اخبر في آخرها انه يوقع بينكم العداوة والبغضاء ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلاة وذلك كله محرم والاصل عندنا في هذا انهم اجمعوا على حرمة الميسر
مع ما كان فيه من المنافع للفقراء واهل الحاجة والمعونة لهم لانهم يقسمونه على الفقراء فاذا
حرم الله هذا مع هذا ثبت ان المتروك في احتي الحرمة مع ما فيه من العفو الذي ذكرنا والله
اعلم وقال الشيخ رحمه الله في قوله يسألونك عن الخمر والميسر ولم يبين في السؤال انه عن
اي امر بهما كان السؤال وامكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب بقوله قل فيهما اثم كبير كان
السؤال كان عما فيهما فقال فيهما كذلك وعلى ذلك قوله يسألونك عن اليتامى كان السؤال عما
يعمل في امور اليتامى من المحافظة وانواع المصالح وكذلك عن المحيض كانه كان عن غشيان في
المحيض اذ في ذلك جرى الجواب لم يبين في السؤال لما في الجواب دليله او لما كان الذين سألوا
ممن يعرفون يوصل بهم الى الحقيقة ذلك والله اعلم وقيل هذه الاية تدل على حرمتهما بما قال فيهما
اثم كبير وقد قال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الى قوله والاثم فثبت ان الاثم محرم والاصل
ان الحرمة فيهما ثبت بهذه الاية ولكن بقوله انما الخمر والميسر وقوله فيهما اثم كبير يبلغ امر
الشرب والميسر اي ما يكون فيهما اثم كبير من نحو ما بين عند السكر والميسر في سورة المائدة من
وقوع العداوة والبغضاء والصد عما ذكر وفيهما منافع في ذلك الوقت بوجوه اما في الخمر لانه
يتكرر في التجارة فيها وفي الميسر لما كان يفرق ما يخبه ذلك على الفقراء وما فيه من التجارة ونحو
ذلك وعلى ان قبل الاول يخرج قوله قل فيهما اثم كبير اي في الشرب والقمار وحرما ومنافع كثيرة
قبل ان يحرما والله اعلم ثم الذي علينا ان نعرف حرمتهما اليوم ان كانت في هذه الاية او لم تكن
فينتفي الانتفاع بهما نحو ذلك وقد بين الله الكافي من ذلك في سورة المائدة وجاءت الاثار
في تحريمهما على ما في الميسر من الحظار والجهالة التي جاءت الاثار على كون امثالها في حكم الربوا وفي
الخمر ما لا يتخذ للمنافع وانما يتخذ للّهو والطرب وكل ذلك مما نهينا عنه مع ما في ذلك من ذهاب
العقل الذي هو اعز ما في البشر وغلبة السفه في اهله تحقيق لمن عقل لو تأمله لو كان حلالا لما
في ذلك من التبذير فكيف وقد ظهرت الحرمة ثم كان معلوما علة حرمة الخمر اذا اسكر منها الشارب

ثم خاطبه القرآن وليست تلك العلة في شرب القليل منه فلم يلحق تحريم القليل عندهما والحق بالكثير كل شراب
بعد ذلك العلة المانعة المعنى الذي ذكر اذ كانت الخمر لا تتخذ في الغالب المتعارف للمصالح وانواع المنافع بل تتخذ
لما ذكرت من اللهو والطرب ولا يستعمل شربها الا اللهو ونوع الفسق فكون حرمة الخمر لعينها لا لما
ذكرت من قصد العواقب بها وكل جوهر لا يقصد باتخاذ ذلك فهو غير محرم لعينه والله اعلم وقوله
ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل عن القوت وذلك ان اهل الزروع كانوا يتصدقون
ما يفضل عن قوت سنة واهل الغلات يتصدقون ما يفضل عن قوت الشهر واهل الحرف والاعمال
يتصدقون بما يفضل عن قوت يوم ثم نسخ ذلك بما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الزكاة نسخت كل صدقة كانت وصوم شهر رمضان نسخ كل صوم كان والاضحية نسخت كل
دم كانت فان ثبت هذا الخبر فما ذكرنا وروي عن ابن عباس قال كان هذا قبل ان تفرض الصدقة دليل
ذلك ظهور اموال كثيرة لاهلها في الصحابة الى يومنا لم يخرجوا من املاكهم ولا تصدقوا بها ولا
انكر عليهم فثبت ان الامر في ذلك منسوخ او هو على الادب وقوله كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة قيل اما في الدنيا فيعلمون انها دار بلاء وفناء واما الاخرة
فهي دار جزاء وبقاء فيعملوا للباقية منها وقال الحسن اي والله من تفكر فيها ليعلمن ان الدنيا
دار بلاء وان الاخرة دار بقاء عن ابن عباس رضي الله عنه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة
يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الاخرة وبقائها بل ليعلم بالتفكر ان الدنيا للزوال ثم انها هي
للتزود لدار القرار فينصرف سعيه الى التقديم وجهده في تحصيل رغبته واحسانه وهما الاخرة
الخالدة وفي قوله كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون دلالة جواز تاخير البيان لانه امر
بالتفكر والتدبر ليحصل له عند الفكر الوصول الى المراد في الخطاب فذلك انه تأخر عن وقت
قرع الخطاب السمع وقوله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير كان في السؤال
اضمار لانه قال ويسئلونك عن اليتامى ولم يبين اي حكم واضماره والله اعلم انهم سألوه
عن مخالطة اليتامى بين ذلك قوله وان تخالطوهم ودل قوله وان تخالطوهم ان السؤال كان
على المخالطة وكذلك قوله يسئلونك عن الخمر والميسر ولم يبين اي حكم فكانه قال يسئلونك
عن شرب الخمر والعمل بالقمار والميسر ثم قال قل فيهما اثم كبير ودل قوله قل فيهما اثم كبير ان السؤال
كان عن شرب الخمر والعمل بالميسر وهذا جائز في اللغة وفي القرآن كثيرا ان يكون في الجواب
بيان السؤال انه لم كان وان لم يذكر في السؤال كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم فيهن وما
يتلى عليكم في الكلالة دل ما ذكر في الثنيا ان الاستفتاء كان عن الميراث وكذلك قوله
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن الى قوله وان تقوموا لليتامى دل قوله وان تقوموا لليتامى ان السؤال
كان عن نساء اليتامى وهذا جائز وربما يخرج الجواب على الاسئلة ليعرف مراده بالسؤال
دون ذكر السؤال ثم السؤال يحتمل وجهين يحتمل ان يكون عن مخالطة الاموال والانفس جميعا
فقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فانما جاءهم والله اعلم في سؤال المخالطة
ما قيل لما نزل قوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الى قوله سعيرا وقوله فادفعوا اليهم
اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا اشفق المسلمون من خلطة اليتامى فعزلوا لهم بيتا وعزلوا
طعامهم وخدمهم وثيابهم فشق ذلك عليهم جميعا فسالوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية فيما سالوك عن اليتامى الاية وفي الاية دلالة جواز المناهدات والمواكلات

في الاسفار وغيرها حيث اباح لهم المخالطة باموال اليتامى فاذا احتمل ذلك مما للصغار
من اليتامى فاحتماله في مال الكبار اشد اذ مال الكبير يحتمل الاباحة والاذن ومال الصغير
لا وفي الاية دليل جواز القليل من المعروف واليسير منه في ملك الصغير واحتماله وذلك
لانه جل وعز اباح لهم المخالطة مع اليتامى على العلم بالاستيفاء مبلغ الكبير بل يقصر عنه
وفيه دليل ان علة الربا ليس هو الاكل على ما قاله بعض الناس ولكن هو الكيل والوزن لانه اباح
لهم المخالطة في الماكول من الطعام والمشروب من الشراب على غير كيل ولا وزن على العلم
من قصور الصغير عن الاستيفاء قدر الكبير وبلوغه مبلغه فلو كان علته الاكل لكان لا يبيح لهم
اكل الربا فدل ان علته ليس الاكل ولكن هي الفضل عن الكيل او الوزن في الجنس وفيه دليل
جواز بيع الثمرة بالتمرتين لخروجه عن الكيل وهكذا كل شيء خرج عن الكيل او الوزن لترك الناس
مكايلته وموازنته وان كان كيليا يجوز بيع واحد باثنين والله اعلم وفيه دليل ان لا باس بان
يؤدب الرجل اليتيم بما هو صلاح له وذلك كما يؤدب ولده وان يعلمه بما فيه الاعتياد لمحاسن
الاخلاق والتوسيع كما امر بالصلاة اذا بلغ سبعا والضرب عليها اذا بلغ عشرا اعتيادا الا
ترى انه روي في الخبر شر الناس الذي ياكل وحده ويشرب وحده وفي المخالطة التخلق باخلاق
الحسنة وفي تركها التخلق باخلاق السيئة والاعتياد بعادة الشر وقوله قل اصلاح لهم
خير فيه دليل اضافة من طلب الصلاح لهم اما بالتولي لهم في امر الهند والنظر لهم بما يعقب نفعا
لهم او طلب التخلق بالاخلاق الحسنة والاعتياد بعادة المحمودة فذلك اصلاح لهم خير بحكم الصلاح
لهم او خير لهم بما يعود نفع ذلك اليهم والا فطلب الصلاح حسن لكل احد فلا وجه لتخصيصهم به
فدل انه على طلب النفع والنظر لهم والله اعلم ثم اوعدهم عز وجل بقوله والله يعلم المفسد من المصلح
اي والله اعلم يعلم طالب النفع والنظر لهم من طالب الفساد والاسراف في اموالهم وقوله
ولو شاء الله لاعنتكم قيل لضيق عليكم ولم يأذن لكم بالمخالطة معهم وقيل لاثمكم فلم يرخص لكم في الخلط
وقيل لاحرجكم وهو واحد واصل العنت الاثم كقوله عزيز عليه ما عنتم يعني ما اثمتم وقوله
ان الله عزيز حكيم وعيد لهم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاخوانكم في الدين وغيرهم عز وجل بما
اخبر انهم اخوانكم في الدين بطلب الصلاح والنظر والنفع لهم اذ هو يستوجب بعضهم قبل بعض المعونة
لهم والحفظ والصلاح كقوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وكذا قوله اخوانكم في الدين على
ان الصغير قد يتبع والديه في امر الدين ويجوز منهم الدين اذا عقلوه ولم يكونوا بالغين والله اعلم
وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف في تأويل الاية فقال قائلون الحظر على كل مشركة
ومشركة كتابية كانت او غير كتابية ثم نسخ بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وقال
اخرون هو على المشركات خاصة دون الكتابيات والكتابيات مستثناة تدخل كل كتابية حرة
كانت او امة لان الاستثناء اذا كان عن جملة الاديان سوى دين الكتابيات لم يحتمل دخول بعض
اهل ذلك الدين دون بعض والذي يدل عليه قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة فجعل الامة
المؤمنة خيرا بالنكاح من المشركة ومن قوله ايضا بالقدرة على طول الحرة الكافرة لا يباح له نكاح
الامة المؤمنة فبان ان موقع الاية ليس على النكاح في ما يقوله ان الاماء يدخلن تحت قوله عز
وجل والمحصنات ودليله قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب فثبت انهن قد يحصن فيستوجبن اسم الاحصان وقد جعل شرطا لحلهن وذكر الاماء
وقوله ايضا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقوله والمحصنات من النساء

الا ما ملكت ايمانكم استثنى الاما من جملة المحصنات دل انهن دخلن في الخطاب وقد اجمع على انهن
تحل لنا بالنص وكل مذكور في الكتاب مبتدي الحل فيه الا من جهة العدد فاذا ابيح لنا تزويج العدد
منهن كالحرائر ثبت انهن محكوم بحكمهن في النكاح فبطل قول من ابطل نكاح الاماء اذ ثبت ان الاية
بخلاف ما قاله وبالله التوفيق ثم الاية تضمنت احكاما منها ان من قول اصحابنا ان المناهي بحيث
التي لا توجب الحرمة والثاني ان الاية كيف كان حكمها على الخصوص في بعض احق والعموم في بعض
وتخرج الخطابين واحد والثالث ان في الاية ذكر المنع لعلة وهو الدعوة الى النار فكيف لم يلزم حفظ
ما لاجله وجب الحرمة على وجوده وهذا هو الاصل ان تحفظ الاحكام المعلقة بالعلل ما دامت
توجد العلل والرابع انه بيان في تولي النكاح ان للاولياء خرج الخطاب بقوله ولا تنكحوا المشركين
واما قولنا في النهي فان النهي يوجب الانتهاء ولكن لا يوجب الحرمة الا بدليل يقوم على مراد الحرمة في
النهي لما رايناه من المناهي كثيرة لم توجب الحرمة فلو كان نفس النهي موجبا ذلك لوجب ان يوجب في كل ذلك
فلما لم يوجب ذلك دل ان نفسه لا توجب الحرمة ولكن الدليل هو الموجب للحرمة واما قولهم وسئل هو
عن الخصوص والعموم فذلك جائز عندنا خروج الاية على العموم فيعقل بها الخصوص وهو كثير في
القران مما لا يحتاج الى ذكره وشرحه من ذلك قوله للنبي اقم الصلاة واتوا الزكاة وانتم بزي على
عقل ايجاب تعظيم الرسل والانبياء الكل وبعضها للخاص وكذا قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا ان التخلف غير موجود في بعض الاحيان وان حق
النهي عن الرغبة عن نفسه اخذ الجميع فعلى ذلك هنا يجوز خروجه عاما فخص بالمعقول واما
قولهم وجوب الحكم لعلة وهو الدعاء الى النار فله وجهان احدهما ان الكتابي الذي كنا به يتبدل
في الزام الدين بالدعاء اليه فنفسه رجاء الاسلام وغيرهم من اهل الشرك لا طمع فيهم بمثله والثاني
ان علة الحظر قوله اولئك يدعون الى النار والزوجات لا يدعون ازواجهن الى ذلك بل الازواج
هم الاصل في الدعاء وهو الامر على الزوجات والزوجات هن الاتباع للازواج والمذللات
في ايديهم لذلك ابيح ثم الاصل بان النكاح جعل لامرين اما الابتغاء النسل واما التحصن والتعفف
عن السفاح ثم قد ينكح من لا نسل فيه فلا يبقى الا وجه المنع عن السفاح ثم الدعاء الى النار اعظم
من السفاح لهذا الوجه النكاح ثم الدلالة على تخصيصها وجهان احدهما قوله الخصوص بالنسخ انه
ورد في بعض دون بعض وما ذلك الا الخصوص والثاني ان ذكر ذلك في الكتابيات لم يجز
بحيث الظهار ما حل وما حرم او شرط نكاحهن انما هو عند العجز عن الحرائر يجري الذكر فيهن اذ
هن الاصل في عقود النكاح وان الاما دخيلات في حق النكاح وانما جرى الذكر في حلهن بملك
اليمين لذلك ترك ذكرهن معا يجوز دخول الاماء في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
لما اوجب لهن العفة والتحصن بقوله فاذا احصن فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
وبقوله محصنات غير مسافحات واما قولهم خاطب الاولياء في النهي بقوله ولا تنكحوا المشركين
وخاطب الاولياء ايضا في الامر بانكاح الايامى بقوله وانكحوا الايامى منكم دل ان الولي يشترط
في جواز النكاح فجوابنا انه انما خاطب الاولياء في النهي عن النكاح وفي الامر بالنكاح لما العرف
في الامة ان يتولى النساء النكاح بانفسهن بل الاولياء هم الذين يتولون عليهن النكاح برضاهن
وامرهن وتدبيرهن لذلك خرج الخطاب للاولياء معا ليس في تخصيص الاولياء بالخطاب
دليل اخراج النساء عن ولاية النكاح الا ترى انه ذكر في الاية الصلاح بقوله والصالحين من
عبادكم واما تكم لم يصر ذلك شرطا في الجواز فعلى ذلك الاولى وهذا يدل ايضا على ان لشيء

تخصيص المحصنات من الكتابيات حظر نكاح الاماء منهن والثاني ان قوله ولا تنكحوا المشركات
يحتمل ان يكون في الصغار خاصة نهي الاولياء عن تزويج الصغار من المسلمين والمشركات من الكتابيات
فاذا كان محتملا لما ذكرنا لم يكن لمخالفنا الاحتجاج به علينا في ابطال نكاح المراة نفسها دون وليها
والله اعلم وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف في تاويله قال قوم هو في غير
الكتابيات يبين ذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم فنسق الكتابيات بالاحلال على ما لم يختلف فيه احوال الحل من اول الاسلام
الى الابد ولا من قبل ذلك نحو الطيبات من الطعام من طعام المؤمنين واهل الكتاب ونحو
المحصنات من المؤمنات بمنزلة الكتابيات اذ نسق نكاحهن على من ذكر ولو كان التاويل هذا
كان الاية نطقت بان لا ينكحوا المشركات غير الكتابيات فلا يكون في الاية تحريم الاماء من
اهل الكتاب ولا النهي عن ذلك وانما يعرف ان كان يجوز او لا بدليل اخر سوى هذه الاية فان
قيل على ذلك لم لا كانت اية الاحلال في التخصيص بذكر المحصنات دليلا على حرمة النكاح الاماء
قيل لاوجه احدها ان ذكر الحل في حال لا يدل على الحرمة في غيرها كذلك ذكر الحل في صنف لا يدل
على الحرمة في غيره ولو كان ذا يدل لكان يجب ان يكون حكم ما لا يرد فيه السمع مخالفا لما يرد فيه
وذلك فاسد اذ السمع هو دليل الحكم فيما لا سمع فيه بالمعنى الذي ضمن فيه والله اعلم والثاني
ذلك قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن ثم هن يحللن
وان لم يؤتين اجورهن بمنزلة الاول والثالث انه مسوق على مثله في المؤمنات ثم لم يكن ذلك
في المؤمنات على تحريم الاماء فمثله في الكتابيات فان قيل لما بين في اماء المؤمنات قيل لم يزعم
احد ان ذلك على نسخ هذه الاية فثبت انه ليس في الذكر في المحصنات تحريم الغير فكذلك في
المنسوق على ذلك معا ولو كان في مثل هذا الاستدلال على الحرمة لكان في قوله ولا تنكحوا المشركات
اذ وقع على غير الكتابيات دليل على الاحلال فيكون ذكر الحرمة في نوع دليل الحل في غير مثل
ذكر الحل في نوع دليل ذلك فما تعين الادلة والله اعلم ووجه اخر ان المحصنات يحتمل ان يريد
بها العفائف واهل الصلاح والاماء قد يتحصن هذا الاسم كقوله فاذا احصن فان اتين
بفاحشة فعليهن وقوله محصنات غير مسافحات وقوله والمحصنات من النساء الاية واذا
استحققن الاسم فهن في الاية حتى يظهر الاخراج والله اعلم وبعد فانا نقول ان ما في ذلك
ان يكون في ذلك النهي عن تزويج الاماء من اهل الكتاب فان النهي في ذلك لا يدل على الحرمة لانه
معلوم المعنى الذي له يقع النهي عن نكاح الاماء انه لمكان رق الاولاد ولمكان مخالطة الاماء الرجال
وخلوتهن بالموالي وذلك ما ينفر عنه الطباع ثم كان النساء الثانيات جميع ذلك فيهن موجود
والنهي قائم وقد يمتحن اولادهن اعظم الشين الذي يضعف على الرق ثم لم يمنع النهي جواز نكاحهن
بما هو بعينه نفار الطباع لا معنى في ذلك له يكون الحرمة فمثله امر الاماء والله الموفق ثم
دليل ملهمن ان كل امراة حرمت لنفسها فسواء وجه الحل فيهن في ملك اليمين والنكاح وكل
امراة كان حرمتها بالحق بمختلف فيه الملكان فاذا كانت هذه محللة بملك اليمين ثبت انها
لم تحرم لنفسها فهي تحل بالنكاح كما تحل بملك اليمين على هذا الاصل امر المجوسيات والمحارم
ونحوها والله اعلم وقال قوم ان الاية في جميع المشركات والكتابيات ثم نسخت الكتابيات
بالاية التي في سورة المائدة وكان النسخ بشرط الاحصان فبقيت الاماء على الحرمة دليل ذلك
وجهان احدهما قوله ولا تنكحوا المشركين انه يدخل في ذلك الكتابي وغيره فكذا في الاول

والثاني قوله اولئك يدعون الى النار الاية والثالث ان الكتابية مشركة في الحقيقة اذ
هو مما لا يقبوله والكتابين في الدعاء ايضا وغيره سواء فلذلك كان على ما ذكرت فنحن نقول
في ذلك وبالله التوفيق فيما ذكر دليل على ما ادعى لانه جائز خروج اية واحدة في امرين من وقتها
من الخصوص والعموم بالدليل نحو قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم الاية انه قد يجوز التخلف
عنه لعذر ولا يجوز الرغبة عنه بحال وقال في قوله لمن اتم الصلاة الاية ان ليس كلها كذلك
مما يقتضي عموم الخلق وان كان الظاهر في الكل بالمخرج واحد ثم ما ذكرت من الاية دليل الفضل
والثاني انه يجوز ان تكون الاية في غير اهل الكتاب دليل ذلك الامر المعروف من التفريق في
التسمية وان كانوا في الشرك مجتمعين قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا
المشركين وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم الاية وغير ذلك مما قد فصل
الله بينهم في التسمية وان كانوا في حقيقة الشرك مجتمعين فجائز ان تكون الاية على ذلك
ثم حرم تزوج المسلمات من اهل الكتاب لا بهذه الاية لكن بغيرها من الادلة الاخرى انا لا نترك
مما يملك اهل الاسلام تحت ايديهم لا بهذه الاية فمثله امر الانكاح والله اعلم ثم في الاية دليل
ذلك وهو قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة الاية وكل يجمع ان المسلم لا يحل نكاح الامة المؤمنة
على الحرة الكتابية فلو كانت هي مرادة في هذه الاية لكان نكاح من هو خير منها في النكاح لا يحرم عليه
حتى ان الذي يقول بهذا القائل بل يحرم لطول الكتابية فضلا عن نكاحها ولا قوة الا بالله وقوله
اولئك يدعون الى النار دليل ان الاماء غير داخلات في الخطاب لانهن لا يدعون بل الغالب عليهن
ان يتبعن ويجبن لمن هن تحته فيما دعين اليه لا ان يدعون هذا الامر المتعارف والله اعلم
ثم نقول احمل كانت الاية نزلت في الكتابيات فقال ولا تنكحوا الكتابيات فان الكتاب
في جميع ما جرى به الذكر في حقوق النكاح والطلاق والاحكام يتضمن خطاب الاحرار خاصة
فيما بعد عرف امر الحرمة في الاماء والعبيد بالادلة العقلية مما دلت عليه احكام
الشرع لكن هذا والله الموفق وقوله ولا تنكحوا يحتمل على التحريم باتفاق الامة وان
احتمل ما سواه لهذا المخرج على غير التحريم على ان الله قد نهى بقوله اذا جاءكم المؤمنات الى قوله
لا جناح عليكم ان تنكحوهن الاية ان النكاح قد انفسخ حيث اباح لغير الازواج والتزوج
وفي قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم انه لا استمتاع بذوات الازواج اذا
سبين وقال ولا تمسكوا بعصم الكوافر ذكر جملة النساء ونهى الرجل عن التمسك بعصمتهن
واسم الشرك اسم لعموم بالاطلاق واسم الكفر بجملة على ما قال والذين كفروا الاية
وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وغير ذلك مما جمع في اسم الكفر وفرق باسماء
المذاهب وجعل اسم الشرك في التفريق فدلت هذه الايات على الحرمة في قوله ولا تنكحوا
الاية وهل قوله في اخر الاية اولئك يدعون الى النار معنى ذلك ومعلوم ان [illegible] دعا يعني الى
النكاح فيصير ذلك شيئا للتنافر ما يوجبها حرام ثم فيها دلالة عموم الاية في الذكور لانه
في تعارف الخلق ان الرجال هم الذين يدعون لا النساء والنساء تتبعهم وذلك
المعنى في رجال اهل الكتاب وغيرهم سواء فتكون الحرمة فيهم سواء وفي ذلك المروي من
الخبر ان رجلا اسلم وتحته ثماني نسوة واختان ونحو ذلك فاسلمن ذلك انهن يتبعن الرجال
لا انهن يدعون الى ما يخترن من الدين والله اعلم ثم الدليل على ان النهي ايضا نهي التحريم
في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن انه لولا خبث فيهن في الحقيقة يوجب حرمة الاستمتاع

لكان لا ينهى عن التناكح وذلك من ابلغ اسباب دعوتهن الى الاسلام بما ذكرت من الفرق في طاعتهن
الازواج فيما يختارون من الدين في المتعارف مما روي في الخبر وبخاصة ذلك في
المشركات احق في الحلمنه في الكتابيات اذ هن انما اخذن دينهن عن ابائهن بالاعتياد والتقليد
ومعلوم اعتبارهن ما فيه رضا الازواج ايثارا ذلك على ما فيه رضا الاباء حتى يؤثرونهم عليهم
بما جعل الله منهم مودة ورحمة والكتابيات اخذن دينهن بما اعلمن انه دين الرسل والعلم مردود
بالتمسك به فاذا نهوا عن نكاح المشركات وابيحوا نكاح الكتابيات والاسلام فيهن بما ذكرنا
ادعى ثبت ان ذلك كان لخبث لهن وقد حرم الله الخبائث والله اعلم ثم الله سبحانه اخبر انه
حرم الخبائث واحل الطيبات فلولا ان فيما حرم خبث يحتمل الوقوف عليه وفيما احل طيب
لسواء الحرمة والحل له كان كذلك لم يحتمل التسمية في وصف التحريم والتحليل سوا غيره
وهذا كما وصف المؤمن بالحياة والسمع والبصر والكافر بضد ذلك بما في كل معنى ذلك
لا انه اسم لقب دون ان يكون له حقيقة له تسمى بمثله الذي ذكرت ثم كان الخبث
يكون من وجهين من خبث الاحوال ومن خبث الافعال وله سمي الكفر رجسا وكذا الخمر
والميسر وذلك كله لخبث الافعال وعلى ذلك يجوز ان يكون تحريم تزوج المسلمات
المشركين لخبث الفعل اذ هو خوف وقوع الفعل اذ هن يتبعن الرجال فيما يؤثرون من الافعال
وتقليد في الدين فيكون التحريم لهذا الخوف اذ هو الوجه الذي عليه جرى عليه حرمات
النكاح من ذلك نحو نكاح ما كثر عددهن بقوله وان خفتم ان لا تقسطوا فمنع عن الخمس واكثر
لخوف وقوع الجور الذي هو في العقل خبيث ونكاح الامة بعد الحرة اذ الطبع ينفر عن مناكحة
من يخالط الرجال ويخلو بهن لا يؤمن عليه التسافح فما يؤمن مثلها عند الغيابة بالحرة عنده عنها
الا لامر حدث بينهما مما بعث ذلك في الحرة فنهوا عن ذلك وكذلك نكاح المحارم مما قد يجري من
الامور في النكاح مما يحمل في تضييع الحدود وانواع الشرور الذي يمنع ذلك القيام بحق النسب
وصلته فيكون في ذلك تضييع الفرض وكذلك محارم المراة وعلى هذا يجب تحريم المسلمة على
الكتابي وغيره لخوف وقوع فعل الخبث منهما وهو الكفر ولم يقع النهي عن نكاح الزانية والزاني
على ذلك لانه ليس في الطباع احتمال اتباع احدهما الاخر في ذلك الوجه بل ينفر عن ذلك اشد
النفار فلا يخاف فيه هذا انه على الادب بما يلحق الولد الطعن وصاحبه يشتم به لا ان
يلحقه وصفه موافقة ما ثم الامكان الاخر يكون النهي نهي تحريم بل يكون على الارشاد بما يلحق من
الطعن دونما ان يحدث من تعدي حد او جور في الفعل وعلى ذلك امر نكاح الامة والله اعلم
ثم وجه التفصيل بين الكتابية والمشركة والله اعلم في اباحة التناكح ان المشركة اثرت فعل
البهيمي في الدين على فعل البشري والكتابية اثرت فعل البشري وهو ما يدعو اليه العقل
لان الطباع لا يمض برحيض في الاختيار الى الايمان بالرسل لكن ابين انهم لو دعوا الايمان
بمن يدعوهن اليه فاعتقدن على ذلك بالاثار عندهن من الحجج كما اعتقدنا نحن بان لا نبي بعد
محمد صلى الله عليه وسلم لكن خبرنا صحيح وخبرهم فاسد والوجه الاعتقاد على ما في العقل
ذلك واما المشركة لم يكن ذلك بحجة انما كان بوجود الاباء على ذلك من غير الالتفات الى من في
العقل اتباعه كما قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الاية تحرم علينا نكاحها لخبث اختيارها
واتباع فعل البهيمي واثاره على فعل البشري والله اعلم وعلى ذلك لو اسلمت لم يعطنو
درجة اسلامها لولا انا نرجو من رحمة الله ان الله اذا قبلت هي الاسلام بالاعتياد ليغيرن

قلبها حتى ينشرح صدرها للحق لكان لا يكون لا تفاضلهما فضل جهة والله الموفق ووجه آخر ان الكتابية
لما امنت بكتب الانبياء في الجملة فقد امنت بذلك ما لم تسل جميعها لكنها كذبت من كذبت بما وقع الحجز
عندها بخلاف الحقيقة فامكن ان تنبه عن حقيقة ذلك بالكتاب الذي امنت به ليكون ايمانها في
الحقيقة ايمان بمن كذبته بما ظنت ان في ذلك الكتاب تصديق والمشركة احتيج فيها الى ابتداء الاز
لا ان كان معها ما به الاز ومما تدرج ايمانها به والله اعلم وفي هذا الا انبئهم لم تدرك الكتاب
ان احتاد لانا نعلم انه يظهر ذلك لانه في الحقيقة مختار اذ كيانها مصدق كما نقدر لم تجز
ان يظهر له عما به التصديق التكذيب ليرجع الى رد هذا ايقبول الاخر فلذلك لم نحل بابهم والله
اعلم وقيل انهي عن النكاح والانكاح حتى يكون الايمان اذ الايمان معروف عندهم يعلمون به
حقيقة الشرط والله اعلم ومخاطبات الاولياء في قوله ولا تنكحوا تخرج على الامر المعروف ب
من التولي او على الوقت الذي ايهم حق التولية او على ان الحق لهن عليهم في التزويج اذا اردن
فنهوا عن ذلك ليعلم ان الاحق يجب لهن في ذلك والله اعلم وقوله يدعون الى النار يحتمل وجهين
احدهما الخبر عما يدعو البعض بعضا الى عبادة غير الله وذلك دعاء الى النار كما قال انما
يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير عما يوجب العمل الذي دعوا اليه ذلك فكان دعاء الى ذلك
اذ هو المقصود من الثاني وعلى ذلك تسمية الجزاء باسم العمل الذي له الجزاء والله اعلم ويحتمل
يدعون في التناكح للتهود واستكثار الاتباع في معاداة الله ومعاداة اوليائه بالتناكح والله تعالى
يدعوكم الى التعفف واستكثار الاتباع على ما ينال به مغفرته ورحمته والله الموفق وقوله
اولئك يدعون الى النار يعني يدعون الى عمل الذي يستوجب به النار والله يدعو الى الجنة يعني
يدعو الى عمل الذي يوجب لهم الجنة والمغفرة والله اعلم وقوله باذنه ويبين اياته
للناس لعلهم يتذكرون وقوله ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا ذلك جوابه على
ان السؤال كان عن قربان النساء في المحيض او كان عن موضع الحيض فاخبر انه اذى والعرب
تفعل ذلك ربما ان يفهم من الجواب مراد السؤال وربما يتبين المراد في السؤال والاجابات
يتبع غيره ثم الاذى وقت الاذى بالاتصال ومن بعد انقطاع الدم قبل ان يغتسل يحتمل ان
يتبع غير مكان الاذى مكان الاذى بالاتصال والله اعلم ولا يحتمل ان يكون الامر بالاعتزال
يقع على اعتزال الابدان والاشخاص بالاتفاق اذ كل يجمع ان له ان يمسها باليد وان يقبلها
ونحو ذلك الا انهم اختلفوا في موضع الاستمتاع قال ابو حنيفة رحمه الله يستمتع بها ما فوق
السرة وما تحت الركبة ويجتنب غير ذلك وقال محمد رحمه الله يجتنب شعار الدم في ما جاء عن
عائشة رضي الله عنها انها قالت تتقي شعار الدم وله ما سوى ذلك ثم دل هذا الخبر على ان النهي
في الموضع الذي فيه الاذى ودليله اول الاية قل هو اذى ورجحه ابي حنيفة رحمه الله ما روي
انه قال لها ما تحت السرة وله ما فوقها وما روي ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضن
امرهن ان يتزرن ثم يباشرهن واما محمد رحمه الله فانه ذهب الى ما ذكرنا انه انما نهي
عن قربان ذلك الموضع للاذى واما الموضع الذي لا اذى فيه فلا باس ويحتمل ان نهي عن قربان
هذه الاعضاء من نحو الفخذ وغيرها لاتصالها بالموضع الذي فيه الاذى ويحتمل ان يكون
ذكر الازار كناية عن الموضع وفي ذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عما يحل
للرجل من امراته وهي حائض فقالت يحل له كل شيء الا النكاح وسئلت عما يحل منها صائما فقالت
لا يحل له الا الكلام وقوله ولا تقربوهن يعني لا تجامعوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فيه

لغتان في حرف بعضهم بالتشديد يطّهّرن وفي حرف آخرين بالتخفيف فمن قرا بالتخفيف فهو عبارة عن
انقطاع الدم ثم من قول اصحابنا رحمهم الله ان المراة اذا كان ايامها عشرا حل لزوجها ان يقربها قبل
ان تغتسل واذا كان ايامها دون العشر لم يحل له ان يقربها الا بعد الاغتسال او يحتمل ان تكون الاية
فيما كانت ايامها دون العشر في الغسل حتما اذ الغالب كان يعلم ان الحيض لا يحيط بكل وقت
على ما روي ان تحيض في علم الله ستا او سبعا فعلى ذلك انه انما حل قربانها بالاغتسال
قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن انه على ما دون العشر ان اذن بها الغالب
كان على انه لا يمتد الى اكثر الوقت ولا ينقص عن الاقل على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال في النساء هن ناقصات العقل والدين ووصف نقصان دينهن ان تحصل حيضهن
في الشهر ستا او سبعا وصفهن جملة بنقصان الدين شرطين ما ذكرنا لتعبير عن الجملة ثبت ان ذلك
كان الغالب في الجملة حتى خرج عليه الجواب انه لا يمتد الى الاكثر ولا ينتقص على الاقل والله
اعلم وايد هذا انما اخبر عن ابتداء الاية انه الاذى وامر بالاعتزال ثم جعل لها نهاية الانقطاع
قبل الاغتسال حكم الاذى فلم يجز ان يجعل الحكم لما ليس بحقيقة حكم الاذى فيجعل بالطهر الذي
هو ضده ذلك الحكم والله اعلم بما ليس لذلك حكم الاذى في العشر كان الوقت يضيق عنه
في رفع الصلاة فكذا في امر القربان والله اعلم وعلى ما ذكرت من العرف بتصرف امر الوقت
انها لو اخرت الاغتسال عن وقت الصلاة كان للزوج ان يقربها بما لزمها من قضاء الصلاة
وهذا النوع من الاذى لا يمنع لزوم القضاء وحصل الحظ بنفي الوقت بالعرف بانها لا توخره
وبما ذكرت من لزوم القضاء الذي يمنعه حكم الاذى وبذلك صار غسل الحيض كغسل غيره
من الاحداث وهو لا يمنع القربان والله اعلم وهم اتيان الادبار بما عليه اتفاق ان الادبار وبما
خص المكان بالامر بالقربان وبما امر بالاعتزال للحيض ولو كان يحل غشيانها في الادبار
لم يكن للامر بالاعتزال معنى اذ قد بين احد الموضعين من المقصود بالغشيان لو احتمل والله اعلم
والامر في ذلك ان الحل في الابتداء لم يتعلق بقضاء الشهوات ولا كانت هذه لها وانما قضاء
الشهوات خاصة الجنة فاما الدنيا انما جعلت لقضاء الحاجات اذ بها يكون بقاء النسل والابدان
وبها يكون قوام الابدان ودوام الحياة الى انقضاء الاعمار وركبت فيهم الشهوات لتبعثهم على
قضاء تلك الحاجات اذ لولا الشهوات لكان كل امرئ وذلك في الطباع يكون كالادوية
الكريهة والمحنة الشديدة فخلق الله فيهم الشهوات ليدوم ما به جرى تدبيره في امر العالم ولم
يتعلق الحاجات باتيان الادبار ولو احلت لكان الحل لحق الشهوة خاصة والدنيا لم تخلق لها
فلذلك لم يجعل فيما جعل فيها ولو كان يحتمل ذلك لاحتمل التناكح في نوع ذات ام يحتمل بان ان ذلك
انما جعل للنسل والله الموفق وقال بشر اذ حرم الغشيان للحيض بما هو اذى وهو يكون على
ما يستقذر فالذي في الدبر بجزاه والذي منه يخرج من الاذى احق واخبث وذلك قائم في كل
الاوقات لقيام الحيض في اوقاته فالحرمة لذلك اشد وذكر بوجه امكن ان يبسط ما قال
على الدين وصفته والله اعلم وقوله فاتوهن من حيث امركم الله قيل فيه بوجوه قيل
معنى قوله من حيث امركم الله لا تاتوهن صائمات ولا معتكفات ولا مصليات ويحتمل
لا تاتوهن حيضا ولكن فاتوهن طهرا وقيل فاتوهن في الموضع الذي اباح لكم اتيانها وهو
النسل ولا تاتوهن في ادبارهن ويشبه ان حيث يعبر به عن المكان ان يكون من حيث امركم
الله ان تبتغوا الولد بقوله وابتغوا ما كتب الله لكم وقوله ان الله يحب التوابين

الذنوب متطهرين من الاحداث والاذى والتائبين منه فعل هذا قبل النزول والمتطهرين
انفسهم بالتكفير والتواب هو الراجع عما ارتكب والتائب من العود الى ذلك غير مصر على الذنب
وتحتمل التواب الذي لا يرتكب الذنب وقوله نساؤكم حرث لكم هو المزدرع وفيه دليل
النهي عن الاعتزال عنها لان المزدرع اذا ترك سدى فيضيع ويخرب وفيه دليل ان الاباحة في
اتيان النساء لطلب التناسل والتوالد لا لقضاء الشهوة لانه سمى ذلك حرثا والحرث ما يحرث
فيتولد منه ذلك الولد وفيه دليل ان الاتيان في غير موضع الحرث محرم منهن وعلى ذلك جاءت
الاثار وانما سميت اللوطية الصغرى وما جاء انه نهى عن اتيان النساء في محاشهن يعني في
ادبارهن وفي بعض الاخبار اتيان النساء في ادبارهن كفر وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم يعني
على اي جهة شئتم بعد ان يكون ذلك في المزدرع ولا باس بالاعتزال منها اذا اذنت لما ذكرنا ان
الامر بذلك امر بطلب النسل لا لقضاء الشهوة فاذا كان كذلك فلها ان لا تحتمل مشقة تربية الولد
واما الزوج فانما عليه المؤنة وذلك مما ضمن الله لكل ذي روح بقوله وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها لذلك نهى عن الاعتزال دون اذنها ولم ينه عن الاذن عن ذلك والله اعلم
واما الاعتزال عن الامة بملك اليمين فانه لا باس به لانه لا يطلب النسل من الاماء في المتعارف
لذلك لم يكره لان في حبالهن التلاف وللرجال ان لا يتلف ملكه لذلك افترقا والله اعلم والاصل
ان الشهوات مجبولة لما لها امكان قضاء الحاجات التي تنقضي بها جرى تدبير العالم وبه يكون
دوام النسل وبقاء الابدان والحاجة لا تحتمل الوقوع في الاخبار لذلك لم يجعل فيها وقوله
وقدموا لانفسكم قيل فيه بوجهين قيل قدموا الاعمال الصالحة وقيل قدموا لانفسكم من الولد تحتسبونه
عند الربع عما لا يحب وقوله واعلموا انكم ملاقوه ما قدمتم من الاعمال الصالحة فيجزى على ذلك
كقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وتحتمل قوله انكم ملاقوه اي ملاقو ربكم بوعده
ووعيده وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية قيل كان الرجل يحلف ان لا يصنع
المعروف ولا يبر ولا يصلح بين الناس فاذا امر بذلك قال اني حلفت على ذلك فنهوا عن ذلك
بقوله لا تحلفوا على امر هو في معصية ان لا تصلوا القرابة وان لا تبروا وان لا تصلحوا بين
الناس بل الاصلاح بين الناس وصلة القرابة خير لكم من الوفاء باليمين في معصية الله تعالى
والعرضة العلة بقول لا تعللوا اي لا يمنعكم ان تبروا او ما ذكر وقوله والله سميع عليم
حرفان يخرجان في الوعيد سميع بمقالتكم وايمانكم عليم بما ذكرتم في حلفكم وقال الشيخ
في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلوب لا يكون
عندنا الا الحنث انما هو تعمد الكذب كقوله ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
فعلى ذلك امر يمين اللغو والتعمد وهذا ليبين ان اليمين يكون في موجود لا فيما يوجد اذ فيه
وسعت المآثم وفيما يكون لم يكسب قلبه ما ياثم فيه فعلى ذلك امر اللغو والغموس في الماضي ولا يؤاخذ
بالخطا ويأثم في عمد الكذب للغو بالتعمد ثم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان وبين ان المؤاخذة تكون في هذه الا بالكفارة وفي الاول بالمأثم وفي اللغو لا يؤاخذ
بهما فلزم تبلغ البيان لما جاء في كل ذلك ثم جميع المؤاخذات في كسب القلب بالمأثم ولزوم
التوبة لذلك في هذا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر اللعان انه قال ان احدكما
كاذب فهل منكما من تائب ومعلوم كذب احدهما ولزوم التوبة معا في تركه الوعيد الشديد
من الغضب واللعن ولو كانت فيه كفارة لكان لا يحيل الى العلم بها الا البيان فهي احق ان

تبين لو كانت واجبة ولما لم يبين انها غير واجبة على انها تجب للحنث والحنث عقيب العقد
يرفعه وكان هاهنا ملاقيا له لم يمنعه على نحو جميع الحرمات التي تنفسخ الاشياء في عقد الابتدا
تمنع وللبقاء ذلك كالطلاق ونحوه لما قد يكون بلا شرط واليمين لا يصح الا به ولم يكن ما نقد وقوله
والله قد تخرج مخرج الاستخفاف الحلف بالله كاذبا والجراة على الله كاذبا ينبغي ان يكون كفرا
لولا ان المؤمن يخطر ببال لم يحمله على ذلك دون قصد الاستخفاف به وعلى ذلك امر اللعان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل احدكما كافر فهل منكما من يؤمن لانهما لم يقصدا ذلك القصد
فكذا اكل حالف على تعمد الكذب والله الموفق وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال
سعيد بن جبير هذا محمول على قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي لا يؤاخذكم بنقضها ايمانكم التي حلفتم
بها لانها معصية الله ولكن يؤاخذكم بحنثها والمضي عليها ثم اختلفوا في اللغو ما هو قال
بعضهم هو الاثم وقيل هو الغلط ثم اللغو المذكور الذي اخبر ان لا مؤاخذة على صاحبه يحتمل ان لا يؤاخذ
بالاثم ويحتمل ان لا يؤاخذه بالكفارة بل انما يؤاخذ بالكفارة بما يعقد ثم يجيء في الاية الثانية لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولو حمل على انه لا يؤاخذ في هذا ايضا بالاثم
وقع الكلام بحيث لا يفيد في حد التكرار والاصل عندهم بان حمله على ما يفيد احق من حمله على
ما لا يفيد فثبت ان الاول في نفي الاثم والثاني في نفي الكفارة وعلى هذا القول في الغموس
انه لعظم الوزر والاثم لم يلزم ان يكفر فلبس فيه الكفارة وله وجه اخر وهو ان سبب الحنث
من اللغو والغموس بلا في العقد فلم يصح به اليمين لان الحنث نفسه يسقط اليمين فاذا اتى
الحنث اليمين منع صحتها ووجوبها فاذا كانت هذه اليمين غير صحيحة في العقد لم يلزم الكفارة
لخروجها عن الشروط ثم لم يزل عنه في الغموس الاثم لتعمده الكذب قال الفقيه وانا اقول
عندي في التعمد بالحلف على الكذب ان يكفر ولهذا اما الحجة الورود لما ان الايمان جعلت لتعظيم
لله تعالى بالحلف بها والحالف بالغموس مجترئ على الله تعالى مستخف به ولهذا نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء والطواغيت لان في ذلك تعظيم لهم وتجليلا الحالف
بالغموس في الذي هو مجترئ مستخف فالورود له بالجراة لا من التعمد مجترئ مستخف بالله
تعالى على المعرفة انه لا يسع نسبته سبيل اهل النفاق اظهار الايمان بما فيه استخفاف
وان كان سببا للتعظيم للاستخفاف لانهم العقوبة بذلك كذا الاول ولكنه بالحلف خرج
فعله عن الجراة للوصول الى مناه وشهوته لا للقصد اليه وعلى ذلك يخرج قول ابي حنيفة
رحمه الله في سؤال السائل ان العاصي مطيع للشيطان ومن اطاع الشيطان كفر كيف لا يكفر
العاصي فقال لانه خرج فعله في الظاهر مخرج الطاعة له لا ان القصد يكون طاعته وانما يكفر
بالقصد لا بما يخرج فعله فعل معصية فكذا الاول والله اعلم وعلى ذلك جاء في امر اللعان
من القول بان احدكما كاذب فهل منكما تائب نفسه وجهان انه لم يامر بالايمان ولا قال
احدكما كافر فثبت انه لا يكفر وجه والثاني انه امر بالتوبة وقد يعلم من كذب ان عليه ذلك فيما
في القرآن من اللعن والغضب ولم يامر بالكفارة وهي لا تعلم الا بالبيان فهي احق ان تبين لو
كانت واجبة والله اعلم والاصل عندنا في اليمين الغموس انه اثم وعليه التوبة والتوبة
كفارة وهكذا ان كل يمين في عقدها معصية ان يلزمه الكفارة وهي التوبة واما الكفارة
التي تلزم في المال فهو لا يلزم الا بالحنث لانه بالحنث يأثم والحنث نفسه اثم لذلك لم يجز الا
بالحنث وما روي من الاخبار من قوله من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر يمينه

ثم لباب الذي هو حنث انه اذا كانت يمينه بمعصية يصير باليمين آثما ويكلف بالتوبة فان قيل الحلف
بالطلاق والعتاق والحج بالماضي يلزم فكيف لا تلزمه الكفارة قيل لان الطلاق والعتاق والحج
يلزم دون ذكر ما ذكرنا اذا قال علي حج او انت طالق او هو حر ولو قال والله الف مرة دون ذكر ذلك
الفعل لا يكون يمينا ولا يلزمه شيء لذلك افترقا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الايلاء معلوم في
اللغة انه اليمين وكذلك كان ابن عباس يقرأ للذين يقسمون وما سوى اليمين من الحكم لا يجب لغيرها
نحو الكفارة التي تجب للحنث فيما تجب له على كل حال على اي وصف كانت اليمين فكذلك حكم الايلاء
وهو قول عبد الله وابن عباس وروي عن علي التفريق بين الغضب والرضا ثم اوجب التربص
للمولي من كانت يمينه بدون اربعة اشهر فهو بعد المدة ليس بمول فلم يلزمه الحكم الذي جعل الله
للايلاء الا ترى انه في المدة ذكر الفيء وهو لو وجد منه لم يجب عليه ما في الفيء من الكفارة فكذا بمضي
المدة لا يلزمه الطلاق وبه يقول علي وابن عباس وابن مسعود فيقول يلزمه حكم يمين يوم وابن
عباس يقول في الايلاء يمين الابد وذلك عندنا على ارادة الاتمام ولو جعله شرطا لكان الحكم
يلزمه بمضي الاربعة الاشهر فلا وجه للزيادة عليه وهو قول عبد الله يلزمه بدونه ثم اختلف
الصحابة في الوقف بعد الاربعة الاشهر على اتفاقهم على لزوم طلاق او حقه بمضي المدة ثم لا يجوز
ان يحلف بحق الطلاق فيلزم ويجوز ان يحلف بالطلاق فيلزم لذلك كان الطلاق احق معا وذلك
زيادة في المدة للتربص وجميع المدد التي جعلت بين الزوجين لم تحتمل الزيادة علينا لما جعلت
له المدة فمثله مدة الطلاق وهذا يدل على ان الله حذر نقض اليمين بقوله ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها والحلق في هذا اربعة اشهر بما روي في قراءة ابي فان فاؤوا فيهن فنفي غير ذلك
حكم انتهى له آخذ والله اعلم وقوله وان عزموا الطلاق فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
وليس ذلك على احداثه بعد مضي المدة كذلك الاول والله اعلم وقوله سميع لايلائه عليم
بتحقيق حكمه انه لم يف اليها معا كان لذلك بدأ انه كانه قال عن علم بما يكون من حلفه وعابه فلا هم
وما اليه مرجعهم خلقهم وهو السميع لجميع ما به تناجوا واسروا او جهروا والله الموفق ثم
الدليل على ان المراد من قوله ثلاثة قروء وان احتمل الطهر يرجع الى الحيض وجوه احدها
ان ثلاثة اسم لتمام العدد فيصير كانه قال ثلاثة اطهار ولو اراد به الطهر او ثلاث حيض
لو اراد به الحيض ثم هو على اختلافهم اتفقوا انه بالحيض ثلاثة وبالطهر طهران وبعض
الاول ثبت ان الحيض اولى معا كان فيه الاحتياط اذا احتمل الوجهين اذ يدخلا جميعا في الحق
لا يزال تعتد ان ثبت الاول بيان ويلين وان في الخبر تلك العدة التي امر الله ان تطلق لها
النساء انه الحيض حتى يكون قبلة الطهر معا احتمل عدة يفعل الطلاق في الانقضاء ببين ذلك
ما روي ان عدة الامة حيضتان وهي تنقص عدة الحرة ووقت طلاقها وقت طلاق الحرة فثبت
ان العدة اثنتان والثاني ذكر الحيض عند ذكر البدل وذلك حكم الابدال ان يذكر اصولها
عند ذكرها والثالث قوله فاذا بلغن اجلهن والبلوغ اسم للتمام وفيه بدء المراجعة من بعد
الاعتراف عليه وهو بالطهر لا يعلم حتى يرى الدم لان الطهر لا غاية له وذلك يمنع في قولهم الرجعة
فثبت انه الحيض لان له الغاية وان لم ينقطع الدم وقت وبما كان الطلاق وقت ابتداء الحرمة
وذلك طهر ووقت تنقضي العدة وقت تمام ذلك فهو الطهر معا تنقضي يطلب الملك بالطلاق
ووقته الطهر وبقية الملك بنقض العدة فيجب ان يكون وقته الطهر على جميع الفروع
مع الاصول والحاق التوابع بالمتبوع عين ولا قوة الا بالله وقوله تعالى للذين يؤلون من

نسائهم تربص اربعة اشهر والايلاء هو اليمين في اللغة يدل على ذلك حرف ابن مسعود وابن
عباس حيث قرآ للذين يقسمون من نسائهم ثم اختلف فيه على وجوه قال ابن مسعود في الايلاء
على يوم فقط واما التربص باربعة اشهر فانه لم يذكر في الكتاب للايلاء مدة وانما ذكر المدة للتربص
الى هذا ذهب ابن مسعود وقال ابن عباس لا ايلاء الا على الابد وذهب في ذلك الى ان الايلاء كان
طلاق القوم والطلاق يقع على الابد وقال اخرون من ترك القربان في حال الغضب فهو مول
وان لم يحلف لكن هذا ليس بشيء لان الله تعالى ذكر الايلاء والايلاء هي اليمين ودليله ما ذكرنا من حرف
ابن مسعود وابن عباس للذين يقسمون فدل منه ان حكم الايلاء لا يلزم الا باليمين على ترك القربان
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا سأله انه حلف ان لا يقرب امرأته سنتين فقال
هو ايلاء وانما تبين اذا مضت اربعة اشهر فقال انما حلفت ذلك لمكان ولدي فقال لا يكون ايلاء
لو اراد في ذلك ايلاء اذا كان عاصيا واذا كان ايلاؤه وتركه قربانه ابانها لمكان الولد لم ير ذلك
ايلاء ثم لا يجوز ان يحمل ما حمل هو لانه انما حمل علي بن ابي طالب واعتباره بالعصيان وغير العصيان
فالايلاء هو اليمين والايمان لا تختلف دخولها ووجوب احكامها في حال العصيان وفي حال الطاعة
فيلي ذلك حكم الايلاء ولو حمل على ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الايلاء بعد مضي اليوم
فاذا لم يكن يمين بعد اليوم لم يبق حكمها ولو حمل على ما قال ابن عباس رضي الله عنه لكان لا فائدة
لذكر التربص فاذا بطل ما ذكرنا ثبت قولنا ان مدة الايلاء اذا قصرت عن اربعة اشهر لم يلزمه حكم
الايلاء ولو كان على الابد لكان لا فائدة في ذكر المدة وان لا يعتبر العصيان ولا الطاعة ولا الغضب
ولا الرضا على ما ذكرنا وروي في بعض الاخبار انه قال الايلاء ليس بشيء معناه ما قيل ان الايلاء
كان طلاق القوم فقوله ليس بشيء يقع للحال دون مضي المدة ثم اختلفوا ايضا بعد مضي المدة قبل
ان يفيء اليها في المدة قال اصحابنا اذا مضت اربعة اشهر وقع الطلاق وقال قوم يوقف فان فاء
اليها والا اطلق عليه واحتجوا في ذلك الى ان الله تعالى ذكر الفيء بعد تربص اربعة اشهر بقوله
تربص اربعة اشهر فان فاؤوا فدل ذلك كان له الفيء بعد مضي الاشهر وروي في بعض الاخبار الوقف
فيه وروي عن عمر وعلي وعثمان وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم في المولي اذا مضت اربعة اشهر
فاما ان يفيء واما ان يطلق الى هذا يذهبون لكن يحتمل ان يكون التي لهم من الراوي دون ان يكون
ما قالت الصحابة واما عندنا ان قولهم ذكر الفيء بعد تربص اربعة اشهر فذلك لا يوجب الفيء بعد
مضيها الا ترى الى قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ليس انه يمسكها بعد مضي الاجل ولكن
معناه اذا قرب انقضاء اجلهن فامسكوهن فعلى ذلك جعل لهما الفيء اذا قرب انقضاء اربعة
اشهر واما ما روي من الوقف فليس فيه الوقف بعد مضي اربعة اشهر يحتمل الوقف في الاربعة الاشهر
واما عندنا فانها تبين اذا مضت اربعة اشهر بانت منه من نحو عمر وعلي وابن مسعود وعثمان
وابن عباس وجابر وزيد بن ثابت رضي الله عنهم فاتبعناهم ثم اختلف في الطلاق اذا وقع قال
قوم هو رجعي وهو قول اهل المدينة فهو على قولهم لغو لان الزوج يقدم الى الحاكم فيطلق عليه
الحاكم ثم كان له حق المراجعة فيكلفون الحاكم العبث واما عندنا فهو بائن وعلى ذلك جاءت الاخبار
روي عن ابن عباس قال اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة بائنة وعن ابن مسعود مثله وروي
عن ابي في قوله فان فاؤوا فيهن فيهن الاربعة الاشهر فان الله غفور رحيم فثبت انه جعل الرحمة
والمغفرة فيها والثاني قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولم يجعل له القربان والعرض
في المدة لكان لا سبيل له الى نقضها بعد مضي المدة اذ هي متأكدة فثبت انه لا يبقى ايلاؤه ثم قوله

فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين يحتمل ما جعل له الخروج مما ضيق على نفسه لان لا يطول عليه
المدة ويحتمل ان المغفرة كانت بما ارتكب ما اقسم عليه وحده وانه مستحقا للعقوبة فغفرها له
صنيعه ورحمه بان تجاوز عنه ما فعل **قوله** وان عزموا الطلاق روي عن ابن عباس قال
عزيمة الطلاق مضي اربعة اشهر وقد ذكرنا قول الصحابة ان عزيمة الطلاق انقضاء اربعة اشهر و
قوله فان الله سميع بالايلاء عليم بترك الفيء او عليم بما اراد بالايلاء والله اعلم والفيء الجماع
وهو الرجوع في الحاصل لانه حلف ان لا يقربها فاذا قربها فرجع عن ذلك وهكذا روي عن ابن عباس
وابن مسعود انهما قالا الفيء الجماع **قوله** والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اختلف
الناس في الاقراء قال بعضهم هي الاطهار وقال آخرون هي الحيض وهو قولنا وفي ذلك اختلف
الصحابة قال عمر وعلي وعبد الله هي الحيض وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر هي الاطهار
وبه اخذ اهل المدينة وقالوا قلنا ذلك بالسنة والاجماع عن الصحابة واللسان والمناقضة
اما السنة فقوله لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليطلقها وهي طاهر او حامل من غير جماع فتلك العدة التي
امر الله ان تطلق لها النساء فدل ان العدة التي تطلق لها النساء هي الاطهار ولكن الجواب لهذا من
وجهين احدهما انه جعل ذلك عدة للطلاق لا عدة عن الطلاق والعدة للطلاق غير العدة عن الطلاق
وكذا نقول في الطهر الذي تطلق فيه النساء انها عدة للطلاق لا عنها والثاني انه من قول الرجل ان
له الايقاع في آخر اجزاء الطهر وقد ذكر في الخبر الطلاق لقبل عدتهن ولو كان المعني به الطهر لكان
الطلاق في آخر اجزاء الطهر قبل الحيض في آخر اجزاء الطهر في القبل فثبت ان القول بجعل الطهر
عدة عن الطلاق بعيد وقال باللسان وهو قول الشاعر قروء المرء في جوفه وقري الطعام في
شدقه اي حبس والطهر سبب حبس الدم لكن عندنا الطهر جبلة والاصل عليها خلقت والنبت
والحيض عارض فاذا كان في الرحم ومر خرج والا كانت على اصل خلقتها كما هو الآن الطهر يحبس الدم
فاذا كان هذا اما ذكرنا بطل احتجاجه باللغة واللسان واما المناقضة هي ان يقول جعلتم هي معتدة
مع زوال الاذى عنها ما لم تغتسل في اباحة الرجعة فاما دعوة المناقضة فهو بعيد لان الكتاب
جعلها ثابتة ما لم تغتسل في حكم الاذى فاذا كان فيه طعن فعلى الكتاب وقال ذكر الله تعالى في ثلاثة قروء
باسم التذكير لا باسم التانيث فدل انه اراد به الاطهار يقال ثلاثة رجال وثلاث نسوة فاذا
ادخل فيه الهاء فعقل انه اراد الطهر قيل ان اللغة لا تمتنع عن تسمية شيء واحد باسما التذكير والتانيث
كالبر والحنطة ونحو ذلك اذا لم يكن من ذي روح فاذا كان كذلك فلا دلالة فيه على جعل ذلك طهرا
وقال القرء هو الانتقال يقال قرا النجم اذا غاب ونحوه لكن هذا ليس بشيء لانه لو كان القرء
هو الانتقال من حال الى حال لكان يقال للنجم اذا طلع قرأ فيكون الاسم للظهور والغيبوبة
او لهما جميعا فلا دلالة له في ذلك واما الاصل عندنا فقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف فامر بالامساك عند بلوغ اجلهن ثم لا يخلو بلوغ الاجل من ان يكون بالاشراف على اول
اجزاء الطهر او عند انتهائه فان كان على انتهاء الطهر فلا غاية له ينتهي اليه ليقطع عليه الحكم وان
كان على الاشراف عليه ايضا كذلك ثم لو حمل على الانتهاء ايضا يفسد بما نعرف ذلك بالحيض الذي يقطع
جهة الامساك فحمل على ما يعرف لا على ما لا يعرف والله اعلم والثاني قوله واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن كذا انتقل اليه انه مذكور على البدل ولم يعرف ذكر الابدال في الاشياء
الا في الاصول حيث ما ذكرنا ان المبدل من ذلك انما هي الحيض المجعولة اصولا في تقتضي
العدة واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم عدة الامة حيضتان ثبت ان اصل ما به تنقضي العدة

هو الحيض وقال الشافعي قوله عدة الامة حيضتان اي قرءان والقرءان هما الطهران
فيقال له ابلغت في الغفلة والورطة في الحجاج حيث سميت من الحيض القرء وهو اوضح عند
اهل اللسان بالسماع من المفهوم له به مع ما في ذلك تجهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان
وهو افصح العرب واعلم البشر حيث عبر عن الطهر بالحيض ووجه آخر ما اتفقوا انه لو طلق
في بعض الطهر فالبقية منه عدة ومثله من الاعتداد قرءان ونصف والكتاب اوجب
الاعتداد بالثلاث فثبت ان الامر بالاعتداد امر بالحيض لا بالاطهار بالمعنى الذي وصفنا وان
كان القرء اسما للطهر والحيض جميعا في اللغة ثم الاصل في المسالة ان اول ابتداء الحل للزوجات
ولغيره بالطهر وكذلك نهاية الحل انما جعلت بالاطهار ثم الاصل ابتداء حرمتها على الزوج الاول
بالطهر فيجعل انتهاء الحرمة في حقه بالطهر والاصل هذا انه جعل نهاية الحل فيه وفي غيره بما به
ابتداء الحل فكذا الحل نهاية الحرمة فيه وفي غيره بما به ابتداؤه واذا ثبت ان المنظور في الحل
والحرمة في الابتداء الابتداء وجب ان يكون المنظور في الحل والحرمة بالانتهاء ثم في قوله والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وفي قوله فاعتزلوا النساء في المحيض وفي قوله ويسئلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير وان الله تعالى لطوفهم في هذه الآيات دلالة تاخير البيان حيث لم يبين ما الاقراء
ولم يبين الاعتزال من اي موضع ومن اي مكان ولم يبين المخالطة فيماذا وفي اي شيء فالاختلاف
فيه باق الى يوم التنادي فبطل قول من ينكر تاخير البيان وثبت قول من اوجبه والفقهاء المتوفقين **قوله**
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ففي الاية دليل ان ما
ان ذكر حرمة الكتمان فيمن آمن ليس بشرط فيه دون غيره اذ قد يلزم ذلك من هو غير مؤمن
اذ هو غير مستحسن في العقل ففيه الدليل على ان الحكم الموجب لعلة يجوز ان يبقى فيما ارتفع عنه
تلك العلة وعدمت وهو كقوله واصلحوا ذات بينكم الى قوله ان كنتم مؤمنين وقد يلزم صلاح ذات
البين في غير الايمان وكذا قوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين وقد يلزم ترك الربا
للمعاهد وقد يجوز ذلك للمسلم في غير داره فدل ان الحكم اذا ذكر لعلة في احد لا يمنع لزوم ذلك
في غير المذكور قال الشيخ رحمه الله فيه دليل على ان اضافة الحكم الى سبب لا يمنع حقه ارتفاعه
وفيه دليل ان لا يحل ذلك لمن قد آمن في الخلق لان حقه التصديق والاعتبار الحق وفي الكتمان
والتكذيب ترك ما فيه من الشرط والله اعلم ثم اختلف في قوله ما خلق الله في ارحامهن قال
بعضهم الحبل والحيض وكذلك روي عن علي وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا
ما خلق الله في ارحامهن الحبل والحيض فثبت ان موضع الحيض الرحم ثم الرحم يشغله الحبل
عن خروج الدم فبان ان الحامل لا تحيض وعلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما ذاك دم عرق
انقطع وهو الامر الظاهر المتعارف في النساء ان الحبل يحبس الدم وقال بعض اهل التاويل
ما خلق الله في ارحامهن الحبل خاصة دون الحيض لوجهين احدهما العرف في الجاهلية يكتمن ذلك
فيلحقن بغير الآباء فاوعدن على ذلك فنهى الاسلام فتبين ان الحيض لا تحمل والثاني ان الحيض
لا ينسب بكونه في الرحم فاذا كان غير منسوب اليه لم يحتمل كونه فيه والله اعلم لكن الوجه فيه
ما ذكرنا من قول الصحابة وما فيه من الدلالة انه هو تمام فيما يخبرن لوجهين احدهما جاز
الله ان الامانة ان يؤتمن المراة على رد وجها والثاني لولا انها مما تقبل خبرها فيما تخبر طلاقا وعدمه لم
الكتمان ثم يحتمل الكتمان من وجهين احدهما ان يكتمن ذلك ليثبت جري به الانفاق من عندهم
او ازواجهن ليقولن العدة باق وذلك يحتمل الحيض والحبل جميعا ويحتمل ما قاله بعض اهل التا

من انقضاء حق الرجعة ويحتمل قول ابي حنيفة في كتمانها اذا قال في المراة اذا جاءت بولد في العدة فشهدت
امراة على الولادة والحبل لم يكن ظاهرا ان يقبل قولها اذ هي امرت بالاظهار فاكتمانه اذا وجدت تهمة
في القبول ويحتمل ان لا يحل لهن ان يكتمن الحبل فيلحقن بغيرهم من الازواج والله اعلم وقوله
وبعولتهن احق بردهن يحتمل وجهين يحتمل الذي لا يملكون الرجعة ولا يمنع ان ذا يجيء عن المراجعة في ذلك
اي بعولتهن ويحتمل احق بردهن الى نكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب اجله وقوله وبعولتهن فيه دليل
ان قوله والمطلقات يتربصن انما عنى به المطلق طلاقا لم ينقطع على نفسه جهة العود وقوله
في ذلك ان ارادوا اصلاحا يحتمل اصلاح ما بينهن ويحتمل ان ارادوا امساكهن بالمعروف كقوله
ولا تمسكوهن ضرارا انهن ممسك لها وان كان معنى الضرار لا اصلاح هذا انه ان قال فامساك بمعروف
ليس على ان يصير ممسكا لها بغير المعروف كقوله ولا تمسكوهن ضرارا انهن ممسك لها وان كان ضرارا
بغير الاصلاح هذا انه وان قال فامساك بمعروف ليس على انه لا يصير ممسكا لها بغير المعروف
واصل هذا ان النهي في القول بانه لا تفعلوا او قيل الجواز والفساد اذا فعل ذلك هو اختلف في
قوله في ذلك اي في الوقت الذي تعتد به او في ذلك العدة والله اعلم وقوله ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اني احب ان اتزين لامراتي كما
احب ان تتزين لي لان الله تعالى يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال اخرون لهن من
الكفاية ما عليهن من الخدمة وقال غيرهم لهن من الحق في المهر بتسليم الازواج اليهن ما عليهن
من تسليم الانتفاع الى الازواج فيدل هذا على ان الخلوة والتسليم منها محل محل تبعض الحق منها لازوجها
وقيل ولهن مثل الذي عليهن الحقوق ما يلزمهن من حقوق الازواج بلازم مثلها على الازواج لهن وان
كان مختلفة وقوله وللرجال عليهن درجة قيل هو الطلاق بيد الرجل وليس بيدها وقيل هي
الامارة والامر وقيل ما فضل الله به عليها من الجهاد والميراث وغيره وقيل لهم من الفضيلة في
الولايات والشهادات والعقل وذلك ليس لهن وقيل فضيلة في الحق وما ساق اليها من المهر
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله ولهن مثل الذي عليهن اي من الحقوق على الازواج ثم
يحتمل حقوقهن المهر والنفقة ويحتمل ما اتبع من قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ويحتمل
قضاءها لها من الحوائج خارج البيت مما به قوام دينها ورقابتها عن النار وعليهن من الحقوق مقابل الاول
البذل له وان لا يوطين فرشهن احدا ومقابل الثاني ان تحسن اليهم في البر باللسان والقول
المعروف الذي فيه يطيب نفسه به كما وصف الحميدة منهن ان انظرت اليها سرتك واذا
دعوتها اجابتك وتحفظك في النفس والمال ومقابل الثالث ان لا تستقبله بمكروه ولا تقابله بما يعجز
ويبغضه مع الخدمة وكفاية الداخل مما به قوام دينه والله اعلم والدرجة التي ما له من الملك
فيها والفضل في الحقوق عليها وما جعل قواما عليها وغير ذلك والله اعلم ويحتمل ما لهن من قوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان وعليهن بذل حكم المعروف والاحسان اليهم فيما يعود من
الخدمة والقيام بكفاية داخل البيت مع حفظ ما له عندها والله اعلم وقوله الطلاق
مرتان فنفيه دلالة انه يطلق ثنتين بمرتين وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
ان له الرجعة بعد طلاقين بذكره مرتين وفيه ان المطلق في الطهر الثالث من غير رجعة مطلق
للسنة لما خير بين الامساك والتسريح من غير مراجعة وهو على ما ذكرنا لانه يقول لبعولته ان يزيد
على تطليقة واحدة الا ان يراجع والتسريح باحسان هو التطليقة الثالثة كذلك روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن التسريح باحسان فقال هو التطليقة الثالثة فان قيل

اي الحكمة في ذكر المعروف في الامساك والاحسان في التسريح قيل وذلك ان في التسريح قطع
الحقوق التي اوجبها النكاح فامر عند قطعها عنها بالاحسان اليها مبتديا والاحسان ابدا انما
يكون عند ابتداء كما يكون عند ابتداء الفعل لا عند المكافاة واما المعروف في الامساك فالنكاح
اوجب ذلك كقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الغليظ الحقوق التي اوجب النكاح
وهذا والله اعلم وجه الحكمة والمعروف ما عرفا في النكاح والاحسان هو ما يبتدي ما لم يعرفا
وقوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله فان
خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فظاهر هذه الاية يوجب ابتداء
الخطاب للازواج ثم اخرها يوجب الخطاب لهما جميعا ثم اخرها يوجب الخطاب لغير الازواج
يحفظ عليهما حدود الصحبة فيشبه ان يكون في الاية اضمار فيهما الحكمين فيكون كقوله وان
خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فيكونان هما اللذان يحفظان عليهما الحد
المحدود ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله للحكام لانهم الذين
يتولون النظر في امور الناس ليقوموا على حفظ حدود الله ثم القول عندنا في قوله ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اذا كان النشوز والقصار من قبل الزوج فانه لا يحل اخذ شيء على الخلع
استدلالا بقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا
منه شيئا واما اذا كان النشوز من قبلها فانه لا باس ان ياخذ قدر المهر ويكره الزيادة ويجوز
اما قدر المهر فانه لا باس اذا كان النشوز من قبلها استدلالا بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به ذكر رفع الحرج عن الذي فدي فيما عنه ففي غير هذا او هو الموجب لذلك قلنا انه يجوز اذا
كان النشوز من قبلها قدر المهر واما الزيادة فانه يكره استدلالا بما روي في الخبر ان امراة اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت تبغض زوجها فقال اتردين عليه حديقته فقالت نعم
وزيادة فقال اما الزيادة فلا فنهيه اياها دلالة ان النشوز اذا كان من قبلها فانه يجوز قدر المهر
وقال ابن داود خالف الناس في ظاهر الكتاب فجعل له اخذ ما فدي والزيادة والكتاب رفع الحرج
عن اخذ ما فدي لم يجعل له غيره بقوله لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله قال ابن سريج ما ذلك الاخذ في الطلاق انما ذلك في غير الطلاق ذكرها لانه ليس في
الاية ذكر الطلاق واستدل بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فجعل له اكل
ما اخذ بالوصف الذي ذكره ثم كان له اخذ ما يبذل في غير الطلاق فيقبل ذلك في الطلاق وفي
الطلاق احق والله اعلم والاصل عندنا جواز ما بذلت اخذه مما احتج به الرجل ان كان له ذلك
في غير الطلاق ومن في الطلاق احوز لانها تستمتع غير انه يكره له الفضل لما ذكرنا من الاية والخبر ثم
هو يجوز لانه تبادل فكان كالعقود التي تكره لربح ما لم يضمن على الجواز فكذا هذا والاصل ان
الطلاق بالبدل يبينها ومتى لم يملك البينونة مطلقا لم يملكه بما شرط فثبت انه يملك والاصل
انه بالطلاق يعرف انما ملك ولها بالعقد فانتفعت بازاء ما بذلت لذلك سلم للزوج ما اخذ
والله اعلم قال ويكره له اخذ الزيادة بجانبه رفع النكاح فيصير اخذ انما ياخذ بالذي اعطاها
فيفضل عليه ليس بازائه بدل وذلك وصف الربا والله اعلم ثم اختلف في قوله الا ان يخافا قيل
هما يعني الرجل والمراة وقيل هم الحكام ان لا يقيما حدود الله وعلى ذلك قوله فان خفتم الا يقيما
حدود الله قيل علمتم وقيل الخوف هو الخوف فكانه اقرب لان العلم يكون فيما مضى من الحال
انهما اقاما حدود الله والعلم بقيامهما انما الخوف في حادث الوقت امكن لانه لا يعلم باليقين لذلك كان

ما ذكرنا وهو كقوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقوله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به اختلف فيه قال بعضهم اراد بقوله عليهما عليه خاصة وهذا جائز في اللغة اضافة
الشيء الى واحد والمراد به واحد منهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما
ومثله كثير وقال اخرون اريد اجميعا المرأة بالفداء والزوج بالاخذ لان الزوج نهي عن اخذ شيء
١٤٥
مما اتاها بقوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا ثم اباح ورفع الحرج منه بالاخذ على
الشرط وقيل اراد به نفي الحرج عن الزوج خاصة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تلك حدود الله فلا
تعتدوها قيل اراد الم يفهم بحدود حدود الله ما يفهم من حد الخلق كيف يفهم من استواء الرب
ومجيئه من قوله استوى على العرش وجاء ربك ما يفهم من استواء الخلق ومجيئهم والاستواء
والمجي الى احتمال معان تنفي عنه التشبيه اكثر من احتمال الحدود التي في الشاهد فاذا لم
يفهم من هذا اذ كان لا يجوز ان يفهم من الاول ما فهموا وقد قال ليس كمثله شيء وقوله حدود الله
قيل احكام الله وسننه وقيل اوامره ونواهيه وقيل اداءه ونوائبه وهو واحد وقوله ومن يتعد
حدود الله يحتمل وجهين يحتمل يتعدى حدود الله مستحلا لها فيكفر بتعديه ذلك فهو ظالم لكفره
ويحتمل يتعديها ويترك امر الله وما نهاه عنه غير مستحل لها فهو ظالم نفسه غير كافر وقوله
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره هذه الاية رجعت الى الاولى قوله الطلاق مرتان
فان طلقها بعد التطليقتين تطليقة اخرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وقوله الطلاق مرتان
فامساك بمعروف او تسريح باحسان قيل التطليقة الثالثة وفي ذلك جاء الخبر وسوى احد عندنا
يدل عليه ايضا قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع من الثالثة
ليس في الاية ذكر الدخول بها واما عندنا فهو في فعل الجماع في النكاح الثاني يدل عليه قوله
عليه السلام لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها فيكون النكاح مضمرا وهو اولى لان الاية
في عقوبة الاول ولا يعتد عليه النكاح حتى يتصل به الاول وفيه دلالة في كراهة التطليقة
الثالثة اذ هي لا تحل له بعدها الا بعد دخول زوج اخر بها وذلك مما ينفر عنه الطبع ويكرهه
وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا فيه دليل على ان في التراجع ايجاب عقد بهما جميعا فذلك
على قطع رجعته الثاني المحل للزوج الاول وذلك انه لا رجعة فيه لغيره وقوله وبعولتهن
احق بردهن اضاف الرد الى الازواج فذلك انهم ينفردون به دونهن ثم ذكر الكتاب لا تحل
له حتى تنكح زوجا غيره جعل غيبته الحل على الزوج الاول نكاح الثاني لم يجز ان ينهى عنه وقد
جعل هو سبب رفع الحرمة اذ مثل هذا في احكام الله تعالى لا يوجد ولا يستقيم وهو كالوضوء فيما
جعل سببا لاقامة الصلاة لم يجز ان يجعل سببا لها ثم يكره الاقدام عليه وينهى عنه وكالتحريم
اذ جعل سببا للدخول في الصلاة لم يجز ان ينهى عنها وبها قوامها كذا هذا لما جعل سببا لرفع الحرمة
به لا يجوز ان ينهى عنه وفيه دلالة جواز نكاح المحلل فان سألنا عن قوله لعن الله المحلل
والمحلل له قيل لحوقا اللعن لاجل الانكاح في قصد الفراق والطلاق ليس لاجل التحليل في
الاول ورفع الحرمة عنه دليله قوله عليه السلام ان الله لا يحب كل ذواق مطلاق وذلك
لقصده الفراق بالنكاح اذ النكاح يبنى في الاصل على البقاء والدوام عليه وفيه الشفقة وفي
الطلاق زوال ما به يقصد فلهذا الحقه ما لحقه من اللعن ثم المحللة لما طلب نكاح الزوج
الثاني مما ينفر عنه الطباع ويكرهه من عودها اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها
منع لهذا المعنى عن ايقاع الثالثة لكن اذا تفكر حرمتها عليه الا بنكاح اخر انزجر عن ذلك

ثم العقد نفسه لا ينفر عنه الطباع ولا يكرهه ثبت ان الدخول شرط فيه ليكون زجرا
ومنعا عن ارتكابه وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا لا حرج على الزوجين وذلك والله
اعلم ان الطلاق يحرمها عليه ويبينها منه كما يحرم عليه هي بانواع الحرم فاخبر عز وجل واباح
له النكاح بعد وقوع الحرمة ان هذه الحرمة ليست كغيرها من الحرم التي لا ترتفع ابدا والله
١٤٦
اعلم وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
وقال وبعولتهن احق بردهن ذكر في الاية الاولى الامساك والامساك ان هو ترك وهو امساكها
على ما كان من الملك وذكر في الاية الاخيرة الرد والرد لا يكون الا بعد الخروج من الملك هذا
هو الظاهر في الاية لكن بعض اهل العلم يقولون انه يمسكها في الملك الاول ويردها من
الحرمة الى الحل لان من مذهبهم ان الطلاق يوجب الحرمة ولا يخرجها من ملكه وهذا اكثر ان
يحرم المرأة في زوجها وهي بعد في ملكه فاذا كان كذلك فامر بالامساك على الملك الاول
وبالرد من الحرمة الى الحل وهو قول اهل المدينة ان يردها من العدة الى ما لا عدة ويمسكها
بلا عدة واما عندنا فهو واحد يحدث الامساك ونيله قوله ولا تمسكوهن ضرارا ولو لم يكن
الامساك سوى القصد اليه لكان لم يكن بالقصد اليها مضرة اذ هو فيها امر بالامساك بالمعروف
فيه وجهان احدهما هو ان يمسكها على ما كان يمسكها من قبل من مراعاة الحقوق ومحافظة
الحدود ويحتمل ما قيل ان لا يطول عليها العدة على ما ذكر في القصة من تطويل العدة عليها
وفيه نزلت الاية وفيه دلالة ان الزوج يملك جعل الطلاق بائنا بعدما وقع رجعيا لانه
يصير بائنا بتركه المراجعة فعلى ذلك يملك الحاق الصفة من بعد وقوعه فيصير بائنا
والله اعلم وقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا قال الشيخ الاجل عندنا في المناهي
انها لا تدل على فساد الفعل ولا يستدل بالنهي على الفساد كقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما
حدود الله وفي ذلك قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وانه يصير ممسكا لها وان كان
فيه ضرار لها وهكذا اهلا الى كل ما يشبه هذا من قوله ومن لم يستطع منكم طولا انه اذن
بالفعل في حال فهو وان اوجب نهيا في الفعل فذلك لا يدل على الفساد في حال اخرى و
ولا تتخذوا ايات الله هزوا اعتناء والله اعلم اي لا تجعلوا ايات الله عملا تخرج فيه له
بما يخرج فعل الهازئ لانه معقول ان اهل الايمان والتوحيد لا يتخذون ايات الله هزوا
ولا يقصدون الى ذلك وقيل انهم في الجاهلية كانوا يلعبون بالطلاق والعتاق ويمسكونهم
بعد الطلاق والعتاق على ما كانوا يمسكون قبل الطلاق وقبل العتاق فنهوا عن ذلك بعد
الاسلام والتوحيد ثم اختلف في ايات الله تعالى قيل حجج الله وقيل احكام الله وقيل دين الله
ويحتمل ايات الله الايات المعروفة وقوله واذكروا نعمة الله عليكم يحتمل وجوها يحتمل
النعمة هنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو من اعظم النعم ويحتمل النعمة الاسلام وشرائعه ويحتمل
النعمة التي انعمها على خلقه جملة والنعمة على ثلاثة اوجه النعمة بالاسلام يقتضي منه المحافظة
ونعمة الخاص يقتضي الشكر والنعم جملة يقتضي منه التوحيد وقوله وما انزل عليكم من
الكتاب وهو القرآن فيه دلالة ان الكتاب منزل ليس كما يقول القرامطة لانهم يقولون بان
محمدا صلى الله عليه وسلم الف القرآن وانما كان يوحى اليه كما يتوهم الرجل شيئا فيجعله كلاما
وقوله والحكمة اختلف فيه قيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل الحكمة هي الاصابة
اصابة موضع كل شيء منه وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة القران وهو من الاحكام والاتقان

كأنه قال عز وجل اذكروا ما اتاكم من النعمة والاصابة والكتاب المحكم والمتقن الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله يعظكم به قيل بالقرآن واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم فيه تخويف وتحذير وليعلموا انه كل شيء في علمه وانه لا يعزب عنه شيء وبالله العصمة
وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم
بالمعروف اختلف فيما قبله قال قائلون فيه دليل فساد النكاح دون الاولياء واحتجوا بانه
قالوا قال الله لا تعضلوهن ولا ينهى عن العضل من يجوز ان يفعل ذا القول فيما لا يعمل عقد ما
لعضلها به فثبت انه عاضل وانه له فيه حق الى ان قالوا ثبت ان قوله لا تعضل منع او لو لم
يجعل منعا لم يكن عاضلا به وقال اخرون فيه دليل جواز نكاحهن دون الاولياء لانه قال ان
ينكحن واستند لو ابان النكاح في وجود العضل يجوز ولو كان العضل سبب المنع في الجواز لم
يحتمل جوازه اذا فات ذلك وفيه ان العضل اذا لم يكن جاز للنساء تزويج النكاح واحتجوا ايضا
بما اضاف النكاح اليهن بقوله ان ينكحن اذا اجهن وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من
معروف واضاف الانكاح الى الاولياء في عقد ارادة ادخال الصغار والثاني في وجوب
الحق عليكم لان يحب لهن عليهن بدلا لاصل بان كل نكاح ارتد بالذكر الصغار واضيف
الانكاح الى الاولياء كقوله وانكحوا الايامى منكم وقوله ولا تنكحوا المشركات ولا تنكحوا المشركين
معنا احتمل دخول البالغين في هذا دليله قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به والفدية لا تصح
من الصغار وقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والصغار لا تخاطب باقامة حدود
الله وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وان كان متاخرا بالذكر لهذا قيل
قيل ان وقوع الانكاح بالاضافة الى الصغار الى الاولياء وفي الكبار اليهن ثم ذكر الكفاءة
والمهر وحجر اضافته الى الاولياء لذلك كان لهم التعرض في صحته ثم قوله اذا تراضوا بينهم
بالمعروف راجع ذلك الى المهر لان التراضي يقبل الشيء من المهر يتعرف بها لان النقصة في امواله
بينهما وكانت ظهرت كفاءة زوجها لها وقال في الكفاءة لا جناح عليكم فيما فعلن ووجود الكفاءة
انما تكون من احدى الجانبين فذكر ذلك مضافا الى الاولياء ولم يجز دونهم والاصل في مسئلة
النكاح ان الحق في النكاح لها في الولي لا للولي عليها دليله ما يزوج في الولي اذا اسم وجبر
عليه اذا وجد وزوج عليه اذا ابى وهي لا تجبر بارادة الولي اذا ابت فبان ان الحق لها قبله
ومن ترك حق نفسه في عقده له قبل الحرم يوجب ذلك فساده والله اعلم وقوله فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن فيه دليل على ان النهي عن العضل انما كان الازواج كان لهن دليله قوله ازواجهن
ولا يسمى الازواج الا بعد النكاح ويدل ايضا قوله واذا طلقتم النساء ذكر قوله الطلاق فدل
انه كان في الازواج كان لهن ويحتمل ان يكون في الابتداء من يجوز ان كان ثم نكاح وجائز تسميته النكاح
باسم ما يؤول الامر اليه لقرب كالمعنى بهم واما اهل التفسير باجمعهم قالوا ان الاية نزلت في
اخت معقل بن يسار ان زوجها قد طلقها وانقضت عدتها ثم اراد الرجوع ان يتزوجها ثانية
وتهوى المراة ذلك فيقول الولي لا ازوجها اياه فنزل قوله ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
وهو يحتمل المعنيين الذي ذكرنا والله اعلم وقوله ذلك يوعظ به قيل بما ذكرناه به كقوله يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا اي نهاكم وقيل يوعظ به اي يؤمر به وقوله ذلكم ازكى لكم واطهر
قيل وضعهن انفسهن حيث هوين ازكى واطهر لكم من العضل عن ذلك ولعل العضل يحملهن على
الفساد والريبة وقيل المراجعة خير لكم من الفرقة واطهر لقلوبكم من الريبة وقوله والله

يعلم من حيث كل منهما صاحبه وانتم لا تعلمون ذلك وقوله والله يعلم نفع صلاحكم وانتم
لا تعلمون وقوله والوالدات يرضعن اولادهن قال بعضهم هن المطلقات يرضعن
اولادهن ومن كقوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ذكر هنا الاجر وذكر هنا الرزق
والكسوة وهما واحد وقال اخرون لا ولكن قوله والوالدات يرضعن اولادهن وهو
كقوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ذكر هنا الاجر وذكر هناك الرزق والكسوة وهما واحد
وقال اخرون لا ولكن قوله والوالدات يرضعن اولادهن هن المنكوحات وقوله فان ارضعن لكم
فآتوهن اجورهن هن المطلقات ودليل ذلك ذكر الاجر في احديهما والرزق والكسوة في الاخرى
في ان المنكوحة اذا استؤجرت على رضاع ولدها منه لم يستوجب الاجر قبل الزوج الرزق
والكسوة فدل هذا على ان ذكر الاجر في المطلقات وذكر الرزق والكسوة في المنكوحات
فان قيل ما فائدة ذكر الرزق والكسوة في المنكوحة في الرضاع وقد يستوجب ذلك في غير الرضاع
الا ترى ان لها ان تعطى لذلك فثبت انها تفضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع تلك الحاجة في غير
حال الرضاع فخرج ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم ذكر تلك الزيادة لذلك الفضل والانتفاع
وفي القرآن دليل ان مؤونة الرضاع على الاب من اوجه احدها قوله وان تعاسرتم فسترضع له
اخرى والثاني قوله وعلى المولود له رزقهن والثالث قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة
فتبين انه حق على الوالد اليه اذ ذكر فيه اباه الاخر وفيه دلالة على ان شرط الطعام والكسوة
للظئر يجوز بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف الكسوة لا يجوز الا باعلام الجنس
والطعام يجوز لان الظئر لا تكسى كسوة الاهل وتطعم طعامهم فلابد في الكسوة من اعلام
جنسه انه لا يجوز ان يكون كسوة واحدة لها وللاهل ويجوز في الطعام ذلك لان الكسوة
ليست بذي غاية تعرف فاحتيج الى ذكر الجنس ليقع به حد قرب المعرفة والعلم واما الطعام
فهو ذو غاية عند الناس غير متفاوت ولا متفاضل عندهم لذلك جاز هذا ثم لم يجز الاجر
الا ان يعلم الجنس والله اعلم الجنس لجنسه بعينه عنده هو كالطعام والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله فيدل على جوازه قوله وعلى الوارث مثل ذلك اي والله اعلم مثل ما على المولود
له ويكون ذلك بعد موته لذلك يجوز شرط الكسوة والطعام في الرضاع وقوله حولين
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة فيه حمل الحولين شرطا في الرضاع لوجوه احدها قوله
لمن اراد ان يتم الرضاعة فلو لم يحتمل الزيادة والنقصان لم يكن لقوله لمن اراد معنى والثاني
ان الارادة والقدرة ربما تذكران على تمييز الارادة والقدرة في الحقيقة ولكن على ارادة حقيقة
ارادة الفعل دليله قوله صلى الله عليه وسلم من اراد الحج فليعجل كذا ومن استطاع ان يفعل
كذا فليفعل ليس ذلك في ارادة القدرة والارادة ولكن هذا والله اعلم في معنى من فعل
كذا فليفعل كذا الكذا فكذا الاول ليس على حقيقة الارادة ولكن بذكره لك لما لم يكن الفعل
الا بقدرة وارادة والله اعلم والثالث لا يخلو الحولين من ان يقدر بالاهلة فتقدر بنقص
عن سنتين او ان تقدر بالايام فتزداد على المعروف من الوقت فثبت انه يحتمل لاحتمال
ما ذكرنا او يحتمل لمن اراد ان يبلغ حتى يتم او لمن اراد ان يستتم على التمام على ان الاية ليست
في حمل الحرمة لكنها في حق الفعل ان قد يجب الحرمة لا تحول فيه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
في تاويل قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ان حمله وفصاله في عامين قال ان كان الحمل ستة
اشهر ففصاله في عامين وان كان تسعة اشهر فبعد ذلك بقي على ان الحولين ليس بشرط

في الفطام ولا وقت له لا تجوز الزيادة عليه ولا النقصان والله اعلم وقوله وعلى المولود
له رزقهن قد ذكرنا انه يحتمل فيه وجهين قيل انه في المطلقة وقيل انه في المنكوحة وقد دللنا
على انه في المنكوحة والله اعلم وقوله لا تكلف نفس الا وسعها قال قوم قوله الا وسعها الا
ما يسع ويحل لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان بالامر يحل ويسع وكان كانه قال لا تكلف الا ما تكلف
وذلك لا يكون وقال قوم قوله الا وسعها يعني طاقتها وقدرتها وهذا اشبه ومعناه لا تكلف
الزوج بالانفاق عليها والكسوة الا ما يحتمل ملكه وان كانت حاجتهم تفضل عما يحتمله ملكه لم يفرض
عليه الا ما احتمله ملكه والله اعلم كقوله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ثم اختلف في تحريم
الرضاع في حال الكبر قال قوم يحرم وروي في ذلك احاديث وقال اصحابنا لا يحرم وذهبوا في
ذلك الى آثار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الرضاع فقال ما انبت اللحم
وانشز العظم وفي بعضها الرضاع وفي بعض خبر لا رضاع بعد الفصال وروي عن علي بن
ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهما انهما قالا لا رضاع بعد الحولين وعن علي وابن مسعود
انهما قالا لا رضاع بعد الفصال او الفطام الشك هنا وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض الاخبار انه دخل على عائشة رضي الله عنها فرأى معها رجلا فرأت عائشة الكراهة
في وجهه فقالت انه اخي من الرضاع [illegible] فقال لها رسول الله انظرن ما الرضاعة انما الرضاعة
من المجاعة وروي عن ابي موسى الاشعري ان رجلا قال له ان امرأتي ارضعتني احرم علي فقال
نعم فبلغ ذلك ابن مسعود فاتاه فقال انت تفتي بكذا انها تحرم فقال كذبت او كلام نحو
هذا انما الرضاعة من المجاعة الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا في نفي تحريم الرضاع بعد الفطام
وبعد الكبر واصله ان ينظر فان كان غذاؤه باللبن او الغالب غذاؤه به فهو يحرم واذا كان
بالطعام او غالب غذائه به فهو لا يحرم واصله ما ذكر في الخبر ما انبت اللحم وانشز العظم
فهو يحرم واذا كان غذاؤه بالطعام سوى اللبن فالطعام هو الذي ينبت اللحم وينشز العظم
فلم يحرم ثم الاصل ان كل مذكور في الكمال والتمام لا يمتنع عن احتمال الزيادة والنقصان
دليله قوله صلى الله عليه وسلم من ادرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقوله
اذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك ووصفهما بالتمام والحرمة باقية ثم قدر ابو حنيفة رحمه الله
الزيادة بستة اشهر وذهب في ذلك الى ان الفطام ربما يتعرض ويتعرى في حال وهو حال
الحر والبرد مما لو منع الرضاع منه لاورث هلاك الصبي وتلفه لما لم يتعود غيره من الطعام
ففيه خوف هلاكه فاذا كان فيه خوف هلاكه لما ذكرنا استحسن ابو حنيفة رحمه الله ابقاها
بعد الحولين بستة اشهر اذ في هذين الحالين يدور واشتد والله اعلم وقال زفر بزيادة
سنة ذهب في ذلك الى انه لما جاز ان يزاد بالاجتهاد على حولين بستة اشهر جاز ان يزاد
على الحولين بسنة قال الشيخ رحمه الله ويجيء ان يزاد على المذكور من الحمل مثل اقدر مدة الرضاع
يزاد على المذكور من الرضاع مثل اكثر الحمل او لما احتمل الاقل الانتقال الى الاوسط يحتمل
الاوسط الانتقال الى الاكثر وذلك في قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقوله لا تضار
والدة بولدها يحتمل وجهين لا تضار الوالدة في ترك الانفاق عليها ويحتمل لا تضار والدة
بولدها في انتزاع الولد منها وهي تريد امساكه وقوله ولا مولود له بولده كذلك
يحتمل وجهين لا يضار الوالد بولده في ردها الولد عليه وذهابه اليه بعد ما الف
الولد الام ويحتمل لا يضار الوالدة الوالد في تحميل ثقيل النفقة عليه وملكه لا يحتمل

ذلك بل انما يحمل ما احتمله ملكه وقوله ولا مولود له بولده فيه دليل انه انما يسمى والدا على
المجاز ليس على التحقيق لانه لم يلد هو انما ولد له ثبت ان الرجل يستحق اسم الفعل بفعل غيره وكل
معمول له يستحق اسم الفاعل وان لم يعمل هو نحو ما سمي والدا وان لم يلد هو وانما ولد له يعني دلالة
الا ترى من حلف لا يطلق ولا يعتق فامر غيره ففعل حنث وجعل كانه هو الفاعل والله اعلم وقوله
وعلى الوارث مثل ذلك اختلف فيما ذكر قال بعضهم هو معطوف على قوله لا تضار والدة
بولدها معناه ان لا يضار الوارث ايضا باليتيم وقال آخرون هو معطوف على الكل على النفقة
والكسوة والمضارة وقال غيرهم هو راجع الى النفقة والكسوة دون المضارة وهو قولنا
لوجهين احدهما ان نسق الكلام انما هو على قوله وعلى المولود له رزقهن فنسقه على حرف على اولى
من نسقه على حرف لا ليصح او لو حمل على قوله لا تضار لكان انما يؤدي من الكلام انما هو ولا يضار
الوارث مثل ذلك والثاني انه لو حمل على اضرار الوارث بالولد في الميراث لقال وعلى
المورث بحق الميراث فلا ضرر فيه بل يمنع الانفاق ثبت ان حمله عليه احق ثم اختلف في قوله
وعلى الوارث قال بعضهم اراد بالوارث الوالد الاعمى الحي ولا يدخل ذو الرحم المحرم فيه
ذهبوا في ذلك الى ما روي عن ابن عباس انه قال ذلك واما اصحابنا فانهم ذهبوا الى ما روي
عن ابن عباس انه قال ذلك واما اصحابنا فانهم ذهبوا الى ما روي عن عمر رضي الله عنه انه
اوجب النفقة على العصبة وقال لو لم يبق من العشيرة الا واحد لاوجبت عليه النفقة وروي ايضا
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال في قوله وعلى الوارث مثل ذلك النفقة على كل ذي الرحم
المحرم على قدر مواريثهم فاتبعنا الصحابة في ذلك وفي الكتاب دليل وجوب النفقة على المحارم قوله
لا جناح عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم الى قوله
او صديقكم فانما يأكل بحق لا بالرضا الا يرى انه يأكل من بيت الاجنبي اذا ابذل ورضي فلو لم يكن اكله
من بيت هؤلاء بحق لم يكن للتخصيص فائدة فان عورض بالصديق انه لا يفرض عليه قيل لما انه لو فرض
عليه لانقطعت الصداقة بينهما ثم لقائل ان يقول كيف لا اوجبت النفقة على كل وارث على ظاهر
الآية قيل الآية مخصوصة بالاتفاق لان المرأة وارثة ولا يفرض عليها نفقة الزوج وكذا انه اذا
وارثا دون وارث وهو الوارث من ذي الرحم المحرم والله اعلم وقوله فان ارادا فصالا عن تراض
منهما وتشاور فلا جناح عليهما قيل فان ارادا الابوان فصال الصبي وفطامه بدون الحولين
ليس لهما الا بتراضيهما جميعا واتفاقهما على ذلك واما بعد تمام الحولين فانه اذا اراد احدهما
الفصال دون الآخر يفصل واصله ان الزيادة في الفصال بعد الحولين فصال على التمام والكمال
فجاز ان يفصل اذا اراد احدهما واما الفصال قبل الحولين ففصال في غير تمام ذكره الكتاب
فلا يفصل الا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك وما بعد الحولين هو في تمام النص فجاز ذلك لرأي
واحد منهما وما قبله لا يجوز الا لرأيهما جميعا واصله انه بالحولين قد ظهر التمام والكفاية نصا
بالنص وما دونه بالاجتهاد وعند التنازع يدل موضع بيان الصواب فيرد الى الحد
المذكور ومعنى في القرآن للتمام ذكر ارادة القرب وللفصل التشاور والله اعلم ثم ان الزوجين
يحكمان على انفسهما برضاع ولدهما لذلك لا يحتاج الى نظر غيرهما ولا الى رأي آخر لما لا يجوز ان
يعد من شفقتهما حيفا عن ولدهما انما اذا كان الحكم لغيرهما او في غيرهما فلا بد من ان يحكم غيره
ودليله قوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فهكذا
الحكم على غيرهما لذلك احتيج الى غيرهما وذلك الزوجان يحكمان على انفسهما وينظران

لولا ما اشترطاه والله اعلم والجناح والحرج واحد وهو الضيق ومعناه اي لا ضيق ولا تبعة
عليهما ولا اثم اذا اراد الفطام بدون الحولين وقوله ان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
فلا جناح عليكم فيه دلالة جواز الرضاع بعد الحولين وحرمته لانه ذكر في قوله فان ارادا فصالا
عن تراض منهما بدون الحولين ثم قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم يقتضي استرضاعا بعد الحولين
اذ ذكر الرضاع في الحولين بقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة وذكر الفصال بدون الحولين بقوله
فان ارادا فصالا عن تراض منهما فجعل قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم بعد الحولين وهذا
يدل لابي حنيفة رحمه الله ويقوي مذهبه ويحتمل ان تكون الاية في جواز استرضاع غير الامهات
اذا ابت الام رضاعه وهو كقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقوله اذا سلمتم يعني
اذا اسلمتم الامر لله ما اتيتم اي قبلتم لنبيكم من الاباء ولكن هي القبول دليل ذلك قوله فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ليس من الايتاء نفسه ولكنه هي القبول كانه قال
فان تابوا وقبلوا اقامة الصلاة وعهدوا ايتاء الزكاة فخلوا سبيلهم فهي ذلك الاول واتيتم اي
قبلتم ايا مما عهدوا وهو الاجر وقد يكون ما اتيتم بعقد ثم عقد الايتاء اذا الايتاء هو الاعطاء
والعطية عقدتم التسليم عليه وذلك دليل لقول من يفرق بين قوله اعطيتني كذا فلم اقبضه
وسلمتني فلم اقبضه والله اعلم واتقوا الله فيما امركم من الانفاق والكسوة ونهاكم من الاضرار
بالولد واضرار احدهما صاحبه وقوله ان الله بما تعملون بصير هو وعيد على ما سبق من الامر
والنهي وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
قيل هي ناسخة لقوله متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم انها وان كانت مقدمة
في الذكر وتلك مؤخرة فاربعة اشهر وعشرا ناسخة لتلك الى هذا يذهب عامة اهل التاويل
الا ترى الى ما جاء ان امراة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي معتدة فاستاذنته في الكحل
والتدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احداكن كانت تجلس حولا في منزلها ثم تخرج
عند راس الحول فترمي ببعرة فثبت ان ما كان ذلك مما تقدم الامر به نسخ بالتالي وقال
اخرون انه اثبت في الاية متاعا ووصية ثم ورد النسخ في كل وصية كانت للوارث بقوله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ولا كان الاعتداد الواجب
اللازم هو اربعة اشهر وعشرا واحتمل ان يستدل بقوله فان خرجن او كان على الزوج غير اخراج
فان خرجن كان النهي على الاخراج دون الخروج وهذا اصل في الوصايا بالمتاع ان لا يمنع الرد
وان اجبر على التسليم وفي الاية دلالة جواز الوصية بالسكنى اذا بطلت بحق الميراث لا بحق
الوصية والله الموفق وهو جابر حيث لم ينسخ له الوصية واحكم الاستدلال بالاية في عدة
الوفاة بالحبل ان ثبت ما روي انه يكون اربعين يوما نطفة واربعين يوما علقة واربعين يوما
مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشر فاذا كان ما ذكرنا امرت بتربص اربعة اشهر وعشر ليتبين
الحبل ان كان بها واذا كان هذا معنى المدة فاذا دلت بعد ذلك انقضت العدة والله اعلم
فان قيل الامة التي لا تحتمل كالحرة في تبين الحبل ثم لم يجعل عدتها اربعة اشهر وعشرا فاذا
لم يجعل ذلك كيف الكلام ان الامر بتربص اربعة اشهر وعشر لا لهذا المعنى قيل لوجهين احدهما
ان الحرائر هن الاصول في النكاح وبهن تجري الانكحة فيخرج الخطاب لهن والثاني انها
حق اخذت الحرة والحقوق التي تاخذ الحرائر اذا صار ذلك الى الاماء تاخذ نصف ما اخذت
الحرائر والثالث انه لا يقصد احد الحق لما فيه رق الولد واكتساب الذل والدناءة

عن علي رضي الله عنه انه قال تعتد ابعد الاجلين احتياطا ذهب في ذلك الى ان الاعتداد
بوضع الحمل انما ذكر في الطلاق ولم يذكر في الوفاة فيحتمل ان يكون ذلك في الوفاة كهو في الطلاق
ويحتمل ان لا يكون فامرها بذلك احتياطا واما عندنا ما روي عن عمر وعبد الله وابن عباس
انهم قالوا اذا وضعت ما في بطنها وزوجها على السرير انقضت عدتها وكذلك روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان امراة مات عنها زوجها وكانت حاملا فوضعت بعد ذلك بايام فاذن
لها بالنكاح ثم الامر بالاحداد اربعة اشهر وعشرا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاثة ايام الا المراة على زوجها
فانها تحد اربعة اشهر وعشرا فان قيل الى من وجب ذلك على المطلقة والاحداد انما جاء في الموت
قيل ليس للموت ما وجب ولكن لمعنى في الموت وهو فوت النعمة في الدين وذلك الفوت في الطلاق
كهو في الموت الا ترى انه لم يجب ذلك في موت ابنها ولا في موت ابيها دل انه لم يجب للموت نفسه
ولكن لفوت النعمة في الدين الا ترى انه روي في الخبر ان المراة الصالحة مفتاح الجنة فامرت باظهار
الحزن هي بما فاتت منها من النعمة بترك الزينة والتشوق اذا النكاح نعمة ثم الدخول بها في الموت
وغير الدخول بها سواء في وجوب المهر والعدة وترك الزينة واظهار الحزن على فوت النعمة واما
المطلقة قبل الدخول بها فلم يلزم ذلك لان العدة لم يلزمها فيتجدد لها النعمة لما لها ان تنكح فحال
فتكسب نعمة والله اعلم الا ترى ان الصبي الصغير اذا مات عن امراته يلزمها اربعة اشهر وعشرا
دل ان وجوبها لفوت النعمة والله اعلم وقوله فيما فعلن في انفسهن بالمعروف قيل لا تبعة
عليكم ولا اثم فيما فعلن قيل تزين بعد انقضاء عدة وقيل المعروف هو وصفهن انفسهن في
الاكفاء بمهر مثلهن وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء قيل التعريض هو ان يرى من نفسه الرغبة فيما يكنى به من الكلام هي ما ذكر في الخبر ان
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا انقضت عدتك فاذنيني فاستاذنته في
رجلين كانا خطباها فقال لها اما فلان فانه لا يرفع العصا عن عاتقك واما فلان فانه صعلوك
لا شيء له فعليك باسامة بن زيد فكان قوله فاذنيني كناية خطاب الى ان اشار عليها باسامة دون
ما ذكره اهل التاويل انك لجميلة وانك لنحبيني وما اجاوزك الى غيرك وانك لنافعة مثل هذا
لا يحل ان يقال لامراة اجنبية لا يحل له نكاحها وفي الاية دلالة ان لا باس للمتوفى عنها زوجها
الخروج بالنهار لما ذكر من التعريض لان الرجل لا ياتيها منزلها فيعرض لها ولكن المراة قد تخرج
من منزلها فتصير في مكان احتمال التعريض فيفيد ذلك بقول لها ما ذكرنا وعلى ذلك جاءت
الاخبار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة مات زوجها فاتته فاستاذنته للانتقال
لمرايات انه نهاها عن الخروج واما ما روي عن عمر وابن مسعود انهما اذنا لهن بالخروج بالنهار و
والنهي عن البيتوتة في غير منزلهن ولان المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها فلا بد لها من
الخروج واما المطلقة فان مؤنتها على زوجها اذ زوج هو الذي يكفي مؤنتها ويخرج عليها لذلك افترقا
والله اعلم ثم التعريض لا يجوز في المطلقة لوجهين احدهما ما ذكرنا ان لا يباح لها الخروج من
منزلها ليلا ولا نهارا والمتوفى عنها زوجها يباح لها الخروج وانما ذكر الله التعريض في المتوفى
عنها زوجها لم يذكر في المطلقة والثاني ان في تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما
بينه وبين زوجها اذ العدة من حقه ودليله انه اذا لم يدخل بها لم يلزمها العدة واما المتوفى عنها
زوجها لزمتها العدة وان لم يدخل بها لذلك يجوز التعريض في المتوفى عنها زوجها ولا يجوز في

المطلقة قال الشيخ رحمه الله ولان زوجها في الطلاق حتى يعلم ما يحدث بينهما الشقق
والمكروه في الحال وليس ذلك في الوفاة وقوله او اكننتم في انفسكم اي اخفيتم تزوجهما
في السر علم الله انكم ستذكرونهن سرا او علانية وقيل يعني الخطبة في العدة وقوله ولكن
لا تواعدوهن سرا قيل فيه باوجه قيل لا تاخذوا ميثاق عهدها ان لا تنكح غيركم وقيل لا تواعدوهن
سرا يعني الزنا والسر الزنا في اللغة وقيل السر الجماع يقول انيك الاربعة والخمسة ونحوه ثم
قال الا ان تقولوا قولا معروفا وقيل يقول لها قولا لينا حسنا ولا يقول لها قولا يحملها على الزنا
او على ما يظهر من نفسها الرغبة فيه على ما ذكر في الاية فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
او ان يعد لها عدة حسنة او ان يبرها ويحسن اليها لترغب فيه ولا يقول لها ما لا يحل ولا يجوز
والله اعلم وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح قيل هو على الاضمار كانه قال لا تعزموا
على عقدة النكاح وقيل لا تعزموا لا تعقدوا النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله يعني بالكتاب ما كتب
عليها من العدة حتى ينقضي ذلك وفيه دليل حرمتها على الازواج لبقية الملك فالخطاب للاجنبيين
لا للازواج او للازواج لا لاتزوا على النكاح واكن في عدة منهم قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا
تعزموا عقدة النكاح حمل على التحريم او احتمل الذي هو بهذا المخرج غير التحريم لا تعلقا لا انه
على تحريف المراد اليه ولقوله حتى يبلغ الكتاب اجله اي ما كتب عليها من التربص ولما كان انتهى
عن ذلك بما لزمها العدة للزوج الاول فهي باقية بها على ما سبق من النكاح المحرم لها على غيره
فلذلك بقيت الحرمة ولهذا اجاز لمن له العدة النكاح فيها اذ لا يجوز ان يمنع حقه حقه والله اعلم
وقوله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه موصوف وعيد اي يعلم ما تسرون في
القلوب وتظهرون باللسان من التعريض فاحذروه ولا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان
الله غفور حليم فيه اطماع المغفرة واهمال العقوبة من ارتكب النهي وخالف امره والله اعلم
واعلموا الاية حذرهم بعلمه بما في انفسهم ليكونوا ابدا قيمين له فيما اسروا واعلنوا وليعلموا انهم
مواخذون بما اضمروا من المعاصي والخلاف له وان الذي لا يواخذ به العبد هو الخطر بالبال
لا بالعزم عليه والاعتقاد ثم اخبر انه غفور ليعلموا ان استتار ذلك بما غفره والعفو عنه
استوجبوا بفعلهم الخزي لكن الله بفضله ستره عليهم ليشكروا عظيم نعمه او لئلا ييأسوا من
رحمته فيستغفروه وذكر حليم لئلا يغتروا بانه لم يواخذوا بجزاء ما اضمروا في ذلك الوقت
فيظنون الغفلة عنهم كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقوله تعالى
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن فيه دليل رخصة طلاق غير المدخولات بهن في الاوقات
كلها اذ لا يتكلم بنفي الجناح الا في موضع الرخصة ولم يخص وقتا دون وقت واما المدخولات
بهن فانه عز وجل ذكر لطلاقهن وقتا بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن لذلك قال اصحابنا
ان لا باس للرجل ان يطلق امراته في حال الحيض اذا كان لم يدخل بها ووجهه انه اذا كان دخل بها
تعرف وقت طهرها مما سبق من الدخول بها فامر بالطلاق في ذلك الوقت ليكون ادعى الى المراجعة
اذ اندم في طلاقها واما التي لم يدخل بها لا يعرف وقت طهرها لما لم يسبق منه ما به يعرف ذلك
الوقت فلم يومر بحفظ ذلك الوقت ولانه اذا لم يدخل بها فان الطلاق يبينها منه فجعل كل الاوقات
له وقتا للطلاق لما لم يجعل له حق المراجعة قبلها لتكون بعض الاوقات له ادعى الى ذلك
والله اعلم والثاني ان الدخول بها يتوهم علوقها منه فجعل لطلاقها وقتا ليستبين حالها
احاملا ام لا لئلا يندم في طلاقها لان الرجل اذا طلق امراته ثم علم انها كانت حاملا فيندم في طلاقها لذلك

١٥٤

كان الجواب ما ذكرنا والله اعلم وفيه دليل رخصة طلاق المبين منه اذا لم يملك امساكها عند
الندامة لان الطلاق قبل الدخول يبين المراة من زوجها والاصل لا من جعل الطلاق في وقت
جمعها بالازواج وكل الاوقات في غير المدخول بها وقتا اجل وقوله تعالى او تفرضوا لهن فريضة
معناه ولم يفرضوا لهن فريضة كانه عطف على قوله تعالى لا جناح عليكم اي قوله عز وجل ما لم
تمسوهن ودليله قوله تعالى ومتعوهن ولو الامر بالمتعة ان قوله تعالى او تفرضوا لهن معناه
ولم تفرضوا لهن ودل قوله عز وجل فنصف ما فرضتم ان ذلك في غير المفروض لها حتى وجب
في المفروض نصف المفروض واوجب ثمة المتعة ثم يجي في القياس ان يوجب في غير المفروض
نصف مهر المثل لا المتعة لانه اذا دخل بها اوجب كل مهر المثل كما اوجب كل المفروض عند الدخول
بها ونصف المفروض عند عدم الدخول بها لكن اوجب المتعة لوجهين احدهما ان مهر المثل انما
يتقدر بها اذا دخل بها فاذا لم يدخل بها لم يعرف الزوج ما قدر مهر مثلها فاذا لم يعرف ما قدر مهر
مثلها لم يعرف النصف من ذلك والثاني انه اوجب المتعة تخفيفا وتيسيرا لان الحاكم يلحقه بفعل
كلفة وعناء في تعرف حالها وحال نسائها اذ مهر المثل انما يعتبر بنسائها وليس ذلك في المتعة
والله اعلم ثم قدر المتعة يعتبر بحاله اعتبار اقدارها لانه لو اعتبر شانه دون قدرها ما اوجب لها
عنيا هاو غنا اهلها ومهر المثل لا يبلغ ذلك فكان لي ذلك تفضيل المتعة على مهر المثل وقد ذكرنا
ان المتعة اوجب تخفيفا ولو نظر الى قدرها دون قدره لكلف الزوج ما لا طاقة له به ولا وسع
له ذلك وجب النظر الى قدره اعتبار الا بقدرها والله اعلم وقوله او تفرضوا لهن فريضة او نسق
على قوله ما لم تماسوهن فهو على ما لم تفرضوا لهن فريضة فعلى ذلك قوله اذا نكحتم المومنات ثم
الاية وعلى هذا اجماع القول في جواز النكاح بغير تسمية وفي ذلك دليل ان قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم
محصنين الاية هو ما يبتغى من النكاح بالمال لا بتسمية المال فيكون النكاح موجبا له فهو موصل الى
حق الاستمتاع لا التسمية ولهذا كان لها حق حبس نفسها عنه حتى يسلم اليها ما منع عن الملك الابه
مسمى او غير مسمى كقوله تعالى والمحصنات من المومنات الى قوله عز وجل اذا اتيتموهن اجورهن
وقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية واذا جاز النكاح بلا تسمية لم يفسده فساد التسمية بل
الذي فسد في اعلى احواله كانه لم يكن وعلى ذلك اتفاق فيما تزوج المراة على ما لا يحل من خمر او ميتة
او نحو ذلك ان يجوز فيكون في ذلك امران احدهما ان ما لا يتعلق جوازه بالشرط فساد الشرط
لا يفسده والثاني ان نفي موضع النهي عن الشغار دانه غير مفسد العقد لانه في جعل ذلك بدلا
للبضع وانه لم يجعل التسمية شرط الجواز ليفسد لفسادها والله اعلم ثم جعل الطلاق قبل
المماسة سببا لاسقاط نصف ما اوجبه العقد فهو والله اعلم لما لم يوصل اليه كمال ما له قصد
النكاح اذ هو مجعول للتعفف وحقيقته في امكان الاستمتاع لا بالعقد ولولا ذلك لما جعل
النكاح ولم يكمل كل المهر لما هو تعلق في الملك الذي له البدل اذ هو في الحقيقة للملك لا للاستمتاع
دليل ان ما لا يزداد بكثرة الاستمتاع تثبت له بدل الملك فالتعلق فيه اذ هو ليس هو حيث
لفسخ السبب الموجب للملك الذي له وجب البدل بل هو تعلق فيه له يرفع عنه البدل كله والله
اعلم فاوجب عز وجل نصف المهر واسقط نصفه بما فقد احد القصدين ووجد الاخر
والله اعلم ثم اذا لم يكن التسمية جعل الله تعالى المتعة مقام نصف المسمى عند التسمية و
كان لو ترك كان القدير بعد بيان الواجب فيما لم يسم من مهر المثل نحو وجوب المسمى فيما سمي
لكان الذي نهلف على الوهم انا لا ندرك تدبيرنا غير نصف مهر المثل فتولى الله تعالى بيانه

١٥٤

١٥٥

ذلك ليعلم الناس والله اعلم ان الله بين كل ما بالخلق اليه حاجة على قدر ما يحتمله وسعهم ويبلغه
فهمهم وان الذي لا يحيط به تدبرهم بين لهم بالاشارة اليه تفضلاً منه على عباده ليؤلف به
بينهم ويمنعهم من التنازع والله اعلم ثم لم يبين لنا ماهية المتعة بالاشارة اليه ومعلوم ان قدر
الذي يبين فيها لم تصل التدبير عن الاحاطة بدرك ذلك النوع من الحكمة فيما لم يبين فهو والله
اعلم بما علم ان العقول تبلغه واتصل بالتدبير فيما بين وجه الوصول اليه ولا قوة الا بالله ثم قد
بين ان الحق او كد عند التسمية منه فيما لم يكن التسمية بوجهين احدهما بقوله تعالى على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره فيما كان الطلاق قبل المماسة وعند التسمية اوجب نصف المسمى احتمله
وسعه او لا ومعلوم ان الاحتمال على قدر الوسع اخف مما كان يحتمله عند الخروج من
الوسع والله اعلم والثاني بما علم من وقوع الاختلاف بين الامة فيما لا تسمية اذا مات
احد الزوجين في حق كمال المهر وارتفاع ذلك بما كان ثم تسمية فهو الدليل على ان الحق في احد
الوجهين اوكد منه في الآخر على ان العقود والفسوخ كلها تثبت لها عند التسمية البدل ولا يجب
شيء من ذلك بقبول العقد البدل حتى يستوفي في بعض ذلك ولا يجب شيء في البعض في كل حال
ثبت به ما ذكرت فاوجب ما ذكرت ان الايراد بالمتعة بنصف مهر المثل اذ قد ثبت بالبيان الاول
ان التدبير لا يوجب الزيادة عليه وبالبيان الثاني ان الامر فيه محمول على التيسير والتخفيف ومن
البعيد المجاوزة بالامر الموسع على التخفيف على الموسع بالتغليظ في التغليظ ولم يبين لنا ماهية
المتعة ومعروف ان المتعة هي التي يستمتع بها وان مهر المثل مما قد يستمتع به فجعلنا نصف مهر المثل
نهاية المتعة بما هو النهاية فيما كان مبنياً على التغليظ فلا يجاوز بها ذلك معنا فيه وجهان احدهما
ان حالة وجوبها اكثر من مهر مثلها فيكون الدخول بها سبباً لاسقاط الحق وقد جعله الله سبباً لمنع
السقوط فثبت ان مهر المثل منتهى في المتعة والثاني انها حكم البدل عن ذلك ودليله وجها احدهما
ان المطالبة كانت بمهر المثل والطلاق سبب اسقاط حقوق النكاح لا تجابها فثبت ان المتعة
كانت بمهر المثل والطلاق سبب اسقاط حقوق مكان ما فيه المطالبة لا ان حدث الوجوب
بالطلاق والثاني انه متى وجب مهر المثل لم يوجد بها عن ان يدخل بها بسبب انها كانت بدلاً فلا
يزاد البدل على ما له البدل معها كان التحويل الى جنس نوع مهر المثل انما هو والله اعلم لما قد
تتعذر معرفته او ان لم يعرف ذلك بالاجتهاد والفحص عن احوالها ومحلها وحال تربها وفي ذلك
مؤن وتكلف ثم تعذر العلم بذلك لا بد من الاجتهاد في الوسط من ذلك ثم في امرها منهم فجعل
الله بفضله من الوجه الذي للمرء سبيل العلم به عن ذلك التكلف او لو دفع من الى الحاكم
امكنه الوصول الى العلم به بدون ما ذكرت من النظر فكان ذلك والله اعلم نحو ما ذكر من الله
تعالى من زكاة الابل لانها تجب لذا صارت لو كانت فيها لكانت جزءاً يتعذر واخذ مثله ثم التسليم
الى الشركاء فجعل في ذلك بدلا على ان الذي عليه لو خرج بتسليم الغنم جاز فمثله ما نحن فيه وهذا
هو وجه جعل متعة على انها كانت واجبة بحق الامساك لو لم ذلك اذ عليه النفقة والكسوة
فاذا طلقها فجعلت في مكان مهر المثل اذا فات السبب الذي كانت تجب بحقها فجعلت واجبة
بحق بعضها حتى لا يقع في الطلاق وجوب امر لم يكن فيما تقدم لو اريد به الامساك ومن البعيد
ان يزاد كسوة المرأة على مهرها او نصف مهرها في الحق ولا قوة الا بالله ثم لنبين في ظاهر
الآية ابطال المهر فيما لم يسم ولا التنصيف فيما سمي وانما الاول الامر بالمتعة وفي الثاني
بيان ان لها نصف العوض والقول بان نصف هذا العبد لفلان او لفلان كذا من الحق لا يبطل

١٥٦

عند الحقوق جملة او عن النصف الآخر لكن القول بان فيه بيانا ان ذلك انه له وغيره متروك له فليتبه
ولا قوة الا بالله وكذلك قوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ليس في ذلك ان لا عدة عليهن ذلكن
فيه انه لا عدة لهم تجوز ان يكون عليها لا له وكذلك عندنا العدة التي هي عقيب الخلوة لا يمكن فيها
فيها امساكها وبلزومه المؤنة وكذلك عليه لا له والله اعلم مع انه لو كان في الظاهر ذلك لا يمكن ان يكون من
المسيس في الحقيقة ولم يجب به ذلك فثبت ان المراد من ذلك معنى في المسيس لا ما يحتمله اسمه ثم
الذي يؤيد انه الامكان والاجتماع وجهان احدهما قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
الآية الى وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض والافضاء في اللغة معروف
انه الانضمام لا المجامعة معا كانت المجامعة الى الازواج يضافان بفعلها وفي هذا اضافة الافضاء
الى كل واحد منهما ثبت لعنه في معنى ذلك من كل واحد منهما نحو الذي من الآخر وذلك يكون في الاجتماع
خاصة والله اعلم والثاني وجود القول من جملة من نجباء الصحابة الخلفاء لمن دونهم ممن لا يحتمل
خفاء الآيات عليهم ومن شهد الخطاب احق بفهم الحقيقة من المراد فلو تبيا لو اعرض ذلك من ان يطلعهم
على حقيقته اذا كان بحيث احتمال الخفاء وخاصة النجباء الذين يعلمون انهم ائمة الخلق وفي الاقتداء
بهم بحيث الائمة معها في ذلك عدول عن الظاهر والقول بالذي لا يحتمل فيه عنه ثبت انه كان ذلك
منهم عن بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن دليل يشهد على ظهور المراد ولا قوة الا بالله على
ان في الآية لو كان نصاً في جماع لكان يلزم ذلك بالخلوة لوجهين سوى ما ذكرت احدهما جرى الاحكام
الكتاب والسنة في البذل لاشياء مقصودة اسماء تحقيقاً ليستوجب حق الوفاء بها نحو شرط
الله البيض في الرهان والقتال في الغنائم والاباء في الاجور والمهور والخروج لامر الحجة وامر
رؤيا ابراهيم لما اسلما لامر الله فبلى ذلك امر المهور والعدة في الخلوة التي سلمت نفسها لذلك
وعلى ذلك امر الخروج من الامانات بقوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ولو كان لا يخرج
الا بادخال في الايدي في الحقيقة لكان لا سبيل الى القيام بما كلف الله وفي ذلك اجماع القول في
الاجارات اذا امكن للانتفاع بها والله اعلم والثاني ان النساء لا يملكن من تسليم ما عليهن من الحق
ومحال ان يلزمهن من الحق اكثر مما مكن الله وسعهن فثبت ان ليس عليهن غير الذي فعلن فاستوجبن
ما لهن وعلى ذلك قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن والله اعلم ثم قد اجمع على وجوب المهر في موت
احدهما وان الموت لا يسقطه وان لم يكن ثم دخول فهو والله اعلم ان المقصود بالنكاح الملك وقيام
الزوجية الى موت احدهما وان كان ذلك للاستمتاع وقد وجد تمامه وقد بينا ان المهر للملك لا للنفس
الاستمتاع يوجب كما له وان مات احدهما ما لم يبلغ الملك نهايته وفي هذا يخرج قولنا فيما لم يسم لها
المهر ان مهر المثل انما هو بدل الملك ودليله انه يوجب لها المطالبة به عندنا بعد ان لم يستوجبه
واصله ما بينا من تعلق هذا الملك بالبدل حكماً وان لم يكن تعلق به شرطاً وقد وجد ثم وفي هذا
روي عن ابي مسعود رضي الله عنه في ذلك وقام معقل بن سنان وقال نشهد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قضى في بروع بنت واشق بمثل الذي قضيت انت فسر به عبد الله لموافقة رأيه
ما روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك فعلى ذلك ان المعقود بالنكاح ان تبذل
المرأة نفسها له ليستمتع بها فاذا ثبت بالخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح على ما وجد في
موت احدهما فيجب كمال المهر كما وجب بالاول ويستوي في ذلك مهر المثل والمسمى والله اعلم
وفي ذلك فيما لم يوجب جملة بدل المنفعة اذ هو قيمة البضع ويجب قيمة الاشياء باتلافها
ولم يوجد ها هنا وعندنا انه وان كانت قيمة ذلك فهي بدل ملك ذلك لا بدل الانتفاع نفسه

اذ لا يجب في الزنا شيء لانه للملك يجب او بشبهته وقد وجد في الاول على تمام ما رجح ايجاب المعقود وذهب
على ما لم تربيانه والله اعلم واوجب قوم في المسماة نعند النكاح بنصف المسمى اذا طلق قبل الدخول
استدلالا بظاهر الاية ولكن التسمية عند الناس انما تكون عند العقد حتى لا يعرف لها وجود بغيرها
وفي التسمية في العقد فهي المرادة بالخطاب اذ هي المعروفة من العرف ثم تربيرها الحق الاستدلال
فان الا ان الدليل لحاق التسمية في العقد لم يرد الا لا تر وجد جميع الاسباب التي تحمل الاعيان
حل ذكر النص من بعد السبب كلا ذكر مثله امر النكاح فاوجب ذلك فساد التسمية فلم يجب المسمى
من بعد الاحتج بوجبه الدليل وقد قام دليل الوجوب عند وجود ما له حكم الدخول بها يجب عنده
ذلك والا لا نر وجد لزوم القول بها محرج على احوال احديها ان التسمية اذا جازت جازت
بحق مهر المثل اذ في كل سبب لنفسه عوض بالحكم لم يجز فعد كان مهر المثل يسقط قبل الدخول بها كذلك
الواجب به والله اعلم وايضا ان الحكم يوجب مهر المثل فيدفع الينا اذ لها حق الامتناع الا
به فاشطلا حيها على ما شيا ان تعد له حق ما في الحكم ذلك وهو التبين ولو عينه الحاكم لكان يسقط
مثله هذا والله اعلم والثالث انه معلوم انه لو كان الذي في علم الله من طلاقها لو كان ظاهرا
وقت التسمية لكان حقها عليه المتعة ولم يكن يجب النظر الى مهر مثلها الا من وجه تحديد المتعة
تكون لك اذا ظهر والله اعلم وامكن اذ ثبات الاصل في ذلك ان المتعة ليس يوجبها الطلاق ولكن
النكاح يوجب ثم كان الواجب بالنكاح مجهول لا يدري اهو مهر المثل او المتعة اذ لا يجوز ان يجبا
ولا ان يوجب الطلاق احدهما لما هو بيانه ذلك فثبت ان الواجب في الحقيقة احدهما لكن لها مطالبة
مهر المثل في الظاهر وما التسمية عنه بما العرف في النكاح انه لله وار تعرض للاستمتاع
محلا الامر على ذلك الظاهر وبه اجزنا التسمية فلما ورد الطلاق قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب
فبطل الذي كان يحق المهر لما ظهر ان الواجب في علم الله المتعة والله اعلم في اخلاد هذا المعتبر
امر المهر ومن الظاهر انه نوع الايمان وذلك مما لا يزداد ولا ينتقص فيجب بالطلاق نصف
مهر وهي ثم اذا كان من نوع ما يزداد فينتقص فيحدث احد الوجهين فليس في الكتاب تسمية
ذلك النوع على المعروف ولا التقصي فيه بشيء ومعلوم ان ذلك لو كان في يدي الزوج ليجب بنصف
ذلك فيما كان الطلاق قبل الدخول بها فيصير بحكم المفروض وان لم يكن مما كان حدث من الحق وما
كان في علم الله ان الحق في ذلك النصف اذ ذلك حكم الطلاق قبل الدخول بها على حق المنصوص فيكون
الذي حدث من النصف حقه اذ بما كان ذلك مهرا والحادث يحتمل حمله مهرا المهر فيه على ما عليه
معتبر الحقوق فيلحق الفروع الاصول فان كان ذلك قبل القبض فقد انتهى امر الحق وحدث
ما حدث في ملكها اذ على ذلك يحدث فعلنا لو نقص المهر في العين لكان يصير النصف له حق بعض
القبض فيه ثم نقص الحقد واذا كان كذلك لا يخلو امر الزيادة من ان يرد اليه فيرجع بشيء لم
يسلم الينا وذلك فيفضل على ما اخذ من الحق باخذه بالحكم فيكون ربا لانه لم يسمه ولا اسلم اليه
فكان المعنى الذي هو لها فيه فيكون اخذه بلا عوض في عقد التبادل فيصير ربا ولو ابقى له
على فسخ القبض في المهر والعقد فيصير كذلك لما نقل من اصل قد فسخ العقد فيه ما لم يكن لها
الا بدل بلا بدل وذلك وصف الربا وقد حرم الله الربا فيجب بالنص ورده فجعل المهر وصف
كالهالك فيجب نصف القيمة ليزول معنى الربا والله اعلم وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي يوسف
في الغلة والهبة انه يظهر الواجب في الحكم وعند ابي حنيفة ذلك في حق النقص يصير
كذلك وليه ما لم يكن يحوز فيه تعلب الزوج لو كان منه ثم النقص لا يرد على ما ليس له حكم المهر

فيبقى ذلك للمراة على ما كان لها قبل الطلاق لان الطلاق نقص الملك في المهر وليس ذلك بمهر
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله والمذكور في المتعة فيما قبل الدخول يحتمل ما عليه في حال
النكاح من الكسوة والنفقة الى تمام العدة فتكون الاية في ذكر النفقة بعد الفراق اذ لا يجوز ان
يكون الطلاق سببا لايجاب حق غير واجب قبله ويحتمل ان يكون في حق التبرع شرط عليه فيكون
تبرعا بالاحسان على ما رغب في غير المدخول من الانعام اذ لا يجوز ان يكون ذلك بدلا لا يكون للملك
واحد بدلين معا جعل الله الطلاق سببا لتخفيف الحقوق على الزوج ورفع المؤنة ورد الاموال
الغني بالاخر بقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته لم يحتمل به الوجوب فيصير سببا
لالزام المؤنة ولا قوة الا بالله وقوله حقا على المحسنين فيه دليل لابي حنيفة رحمه الله حيث
قال ان الذمي اذا تزوج امراة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يدخل بها لا متعة لها لان
الله تعالى انما اوجب المتعة على المحسنين والذمي ليس بمحسن والدليل على ان المتعة انما اوجبت تخفيفا
ومهر المثل لا ان مهر المثل اوجب على المرء احتملة ملكه ولم يحتمل ذا المتعة لم تلزم الا ما احتمله
ملكه فبان انها اوجبت تخفيفا فاذا كان تخفيفا لم يزد على مهر المثل والدليل ان المتعة اوجبت
بدلا من نصف مهر المثل ثم لا يجاوز ان يزاد بالبدل المبدل كما قيل في سائر الابدال والله اعلم وهي
ثلاثة اثواب لانه تخرج بها من المنزل ولا تخرج المراة من المنزل انما تخرج بثلاثة اثواب
فان قال لنا قائل ان الكتاب ذكر المتعة للمطلقة قبل المماسة اذا لم يفرض لها فرضا وذكر
نصف المهر ومن اذا طلقها قبل المماسة وانتم اوجبتم كل المسمى وكل مهر المثل اذا خلا بها ولم
يمسها فيكون في الاية بيان وجوب نصف المهر في حال وبيان وجوب المتعة في حال وليس في بيان
وجوب النصف نفي وجوب الكل لانه اذا قيل لفلان نصف هذا الشيء ليس فيه دليل ان النصف
الاخر ليس له فاذا كان ما ذكرنا ليس لمخالفينا الاحتجاج علينا بظاهر الكتاب ولا النسبة الى
مخالفة الاية نصا ومعونة وذلك تدبير آخر لا من جهة الكتاب معناه انه لا يوجب المهر كله لعين
المسيس فكانا نحن وهو اتفقنا جميعا على ايجابه لا بالكتاب والله اعلم وان شئت قلت ان الخلوة
لا توجب كمال الصداق وانما يوجبه صحة العقد ودليله مطالبة المراة الزوج بكماله بعد صحة
النكاح قبل ان وجوبه لا بالخلوة ولكن بصحة العقد فالكلام انما وقع في اسقاط البعض
فيسقط اذا قام دليل الاسقاط والله اعلم وان شئت قلت ان المراة لا تملك سوى تسليم
نفسها اليه فالعقد انما وقع على ما تقدر على تسليمه اليه ليس على ما لا تقدر لانها لا تقدر على تسليم
الاستمتاع اليه اذ لو كان العقد واقعا على ذلك لكان يبطل لان من باع ما لا يقدر على تسليمه
الى المشتري لبطل العقد باصله فبطل عقد النكاح اذا جعل واقعا على تسليم الاستمتاع اليه
لكان باطلا كالبيع للمعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم اختلف في المراة التي مات زوجها عنها
ولم يدخل بها ولا فرض لها مهرا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لها مهر
مثلها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى لبروع بنت واشق بمهر مثلها وروي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لها المتعة بكتاب الله تعالى وقال لا ندع كتاب
الله تعالى بقول اعرابي وذهب والله اعلم الى ان الكتاب ذكر المتعة في الطلاق ثم كان ذلك
الحكم في غير الطلاق كهو في الطلاق فعلى ذلك الفرقة التي وقعت بالموت توجب المتعة فيه كوجوبه
في الفرقة الواقعة في غير الطلاق وكقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وذكر
المطلقات ثم كانت التي وقعت الفرقة بينهما بغير طلاق يلزمها ما يلزم المطلقة ومثل ذلك كثير مما

يكن ذكره والله اعلم واما عندنا فانه لا يلزمه المتعة ولكن يلزمه مهر المثل لوجوه احدها قوله
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذكر في الطلاق
قبل الدخول نصف المفروض وفي الدخول كل المفروض فعلى ذلك ما اوجب من الحكم في التي لم يدخل
بها ولم يسم لها مهرا دون ما اوجب في حكم الدخول والله اعلم والثاني ان المقصود بالنكاح انما
يكون الى موت احد الزوجين فاذا كان كذلك لزم كل المسمى او كل مهر المثل والله اعلم والثاني ان
المقصود بالنكاح انما يكون الى موت احد الزوجين والثالث الخبر الذي ذكرنا انه قضى بمهر المثل
وخبر مثله مقبول اذا كانت البلية في مثله بلية خاصة اذ مثل هذا لا يبلى الا الخواص من الناس
لذلك كان ما ذكر وقوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم ذهب قوم الى ظاهر الاية انه ذكر فيها نصف ما فرضتم وذهب قوم الى ظاهر الاية انه ذكر فيها
ولم يخص المفروض في العقد دون المفروض بعد العقد فكله مفروض فلها نصف المفروض
سواء كان المفروض في العقد او بعد العقد وفي ذلك قال قوم ان الرجل اذا تزوج امراة على جارية
ودفعها اليها فولدت عندها ولدا ثم طلقها قبل الدخول بها ان له نصف الجارية لان الله تعالى قال
فنصف ما فرضتم وانتم لا تجعلون له نصف ما فرض لها لتم ظاهر الكتاب اما الجواب لمن جعل المفروض
بعد العقد كهو في العقد حيث جعل لها نصف ما فرض فان الخطاب من الله تعالى انما خرج في المفروض
في العقد لا في المفروض بعد العقد لانه لم يتعارف الفرض بعد العقد فاذا لم يتعارف في الناس
الفرض بعد العقد انما يتعارف في العقد خرج الخطاب على هذا المتعارف فيهم وهو المفروض في
العقد فيجعل لها نصف ذلك وما يفرض بعد العقد انما يفرض بحق مهر المثل فاذا وجد الدخول
وجب ذلك والله اعلم واما جواب من قال بانه اذا تزوجها على جارية ودفعها اليها فولدت ولدا
ان له نصف ما فرض فانا نقول ان الاية لتثبت في الفرض الذي معه اخر ولدا او غيره الا ترى
ان الجارية اذا كانت عند الزوج فولدت ولدا فان لها نصف الجارية ونصف الولد فالولد لم
يكن في العرض وقت العقد فعلى ذلك الاية لتثبت في الجارية التي ولدت عندها لكن في الفرض الذي
لا زيادة معه ثم لا يخلو اما ان يجعل له نصف الجارية لها دون الولد فقد فسخ العقد في الاصل
فيبقى الولد بلا اصل فذلك دنا او يجعل له نصف الجارية مع نصف الولد وهو غير مفروض والله
تبارك وتعالى انما جعل لها نصف ما فرض فبطل قول من قال ذلك والله اعلم قال الشيخ رحمه
الله وقوله حقا على المحسنين قيل يريد به المؤمنين فيكون في هذا الناس دليل لا له على ما قال
ابو حنيفة رحمه الله ان لا يلزم الذمي المتعة وقيل على من قصد هو الاحسان الى الازواج
ويسقون الخلاف لما كان عليه النكاح من امساك بمعروف او تسريح باحسان والله الموفق واعتل
قوم في حق العدة وكمال المهر انه ذكر فيه الطلاق لا على تخصيص الحكم له بل بكل ما يكون به تفويتها
فمثله بحق ذكر المماسة لا على تخصيص ولكن بكل ما يكون به تحقيقها لا لقوة الا بالله قال
وقدرت المتعة في الاختيار بالقدر الذي كان يمتعها بالامساك اذ لا بد من كونها لتعلم ان ليس
للفراق ذلك الحق يتعلق او بما به يخرجها من منزله فامر ان يمتعها بما به التي تخرج من المنازل
واقل ذلك ثلاثة اثواب والله اعلم وفي هذه الايات دلالة واضحة على ان الشيء الثابت لا يحتمل
ان يكون مهرا الا اوجب عند العدم فيما لا تشبه فيه الشيء الخطير وهو الذي يمنعها واقل ما تمتع
هي له فيه ثلاثة اثواب وفيما سمى ابو حنيفة ذلك بالمتعة وحمله لا يحث على الفعل فيها
ولا يرغب بين الزوجين الا الاخذ بالفضل بمثله ولهذا لذلك حد قد يجري بمثله التنازع

فيه عفوه في ابقاء ذلك واختيار ما به التالف على ان الله تعالى جعل ابتداءه قد جعل بناء النكاح بالاولى
وبها اصل وقال في ذي الهدى ومن لم يستطع منكم طولا الاية ولو كان عجزه طول حرة لكان لاحد
بعجزه عنها فيشترط ذلك في تزويج المملوكة وخاصة على قول من لا يبيح الاماء الا لقادر على
الحرة يتوق الى الاستمتاع فضلا من ان يخير شيء على ذلك قال في الاماء وآتوهن اجورهن بالمعروف
والحرة معلوم انها اكرم من المملوكة فثبت ان مهر الحرة ايسر ويظهر في اهل الحاجة ولان القول
بجعل الحرة مهرا تاما ووصف ملكها بملك الطول قول مهجور لا معنى له وبعد فان الناس
اجمعوا اي انها لا تملك المعروف بضعها والبذل للزوج بلا بدل يلزمه نقصان كمتولي العقد على
ما ليس لها وحط القليل في مثله والكثير في المنع واحد فقياس ذلك ان لا يكون الحط من مهر
مثلها والحرة لا تكون مهر مثل اجنبية امراة في العالم فلا يجوز ان يجوز الحط ولكن اجمع العشرة
بالاتفاق ولم يجوز الاكثر للتنازع وقد بينا الفساد من طريق التدبير والله اعلم وقوله
الا ان يعفون قيل المراة او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اختلف فيه قال علي وابن عباس
هو الزوج وقال قوم هو الولي والاشكل ان يكون قول من قال بانه الولي لما ان المهور في الابتداء
كانت للاولياء ودليل ذلك قول شعيب لموسى اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني
ثماني حجج شرط المهر لنفسه وكما روي من الشغار ثم نسخ من بعد وصار ذلك للنساء بقوله
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه وقوله فلا تأخذوا منه شيئا وقوله وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة ولانهم اجمعوا ان لا يجوز لاحد العفو عن ملك الاخر الا باذنه فعلى ذلك لما ثبت ان المهر
لها لا يجوز للولي العفو عنه وقوله الا ان يعفون يعني المراة تترك له النصف ولا تأخذ
منه شيئا او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج يجعل لها كل الصداق بقول كانت في
حبالي ومنعتها من الازواج وتترك المراة له النصف فيقول لم ينبسط الي عن زوجي ولا تمتع
بي ومن على الانفصال وعلى ذلك يخرج قوله ولا تنسوا الفضل بينكم ان يتفضل احدهما على الاخر
بترك النصف او باتمام الكل ومعنى قوله ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا الفضل الذي في ابتداء
الامر لان امر النكاح في الابتداء مبني على الشفع والافضال فيرغبهما عز وجل على ختم ذلك
الافضال على ما بني عليه والله اعلم وفيه دلالة على ان العفو هو الفضل في اللغة وهو الذي يقول
العرب عفوت لك اي بذلته فاذا كان العفو هو البذل فكان قوله عفي له ترك له وبذل فاتباع
بالمعروف فيكون فيه دليلا لقول اصحابنا في ذلك وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى معناه
والله اعلم حق على المتقي ان يرغب فيه وكذلك قوله حقا على المحسنين ان يرغب فيه ثم لا ضمانه
ذلك الى الايجاب وجهان احدهما لما العفو هو الذين زكوا حتم ومن عندهم خبا هذا التفسير
والثاني انه في تسليم ذلك من الرجال الكمال وهم في الاصل موصوفون بالكمال ومن عندهم تسويه
ما فيه الكمال قال الشيخ رحمه الله وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى يحتمل اشتراك الزوجين في
ذلك على معنى الاخذ بالعفو والفضل اي لمن يريد التقوى وزيادة الاخلاق واولى الفضل
من اكرم بالتقوى الخلاف لله وحث الازواج بما قد ضمنوا الامساك بالمعروف والتسريح
بالاحسان فهو اقرب الى وفاء ذلك واتقاء الخلاف له على ان سبب الفراق جاء منهن فذلك اقرب
لاتقاء الجفاء منهم والظهر للعدل فيما اختاروا والله اعلم وقوله ان الله بما تعملون بصير
حرف وعيد عما فيه التعدي ومجاوزة الحدود والخلاف لامره وقوله حافظوا على
الصلوات والمحافظة من المفاعلة والمفاعلة هو فعل اثنين فهو والله اعلم انه اذا حفظها

١٦١

على وقتها ولم يتهاون عنها حفظته وهو كما ذكر في آية أخرى أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي
حرف ابن مسعود رضي الله عنه أن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فعلى ذلك إذا حفظها
على أوقاتها مع أحكامها وسننها ولم يدخل فيها ما ليس فيها من الكلام والالتفات وغير ذلك مما يمنع
حفظته وكذلك قوله وسارعوا وحافظوا من المفاعلة فإذا بادر إليها بادرت إليه وبالله التوفيق
وقوله والصلاة الوسطى اختلف فيه قال بعضهم قوله والصلاة الوسطى أي كل الصلاة
لا صلاة دون صلاة وهو والله أعلم أن الصلاة هي الوسطى من الدين وعلى ما جاء الإيمان كذا
كذا بضعة أعلاها كذا وأدناها كذا فعلى ذلك قوله والصلاة هي الوسطى من الدين ليست بأعلاها
ولا بأدناها ولكنها الوسطى من الدين وقال آخرون والصلاة الوسطى هي صلاة العصر وعلى ذلك
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هي العصر وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها
أيضا أنها هي العصر وقال قائلون هي الفجر ذهبوا في ذلك إلى أن النهار يجمع الصلاتين والليل
يجمع فيه كذلك فالفجر أوسطها وكذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال هي الفجر وقال
آخرون هي الظهر ذهبوا في ذلك إلى أنها إنما تقام وسط النهار فسميت بذلك وكذلك روي
عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال هي الظهر ومن قال هي العصر ذهب في ذلك إلى ما روي في
الخبر وإلى أن العصر هي الواسطة من صلاتي النهار وصلاتي الليل لأن صلاتين بالنهار قبلها وصلاتين
بعدها بالليل فهي الواسطة والقياس أن تكون هي المغرب لأن الظهر سميت أولى والعصر تكون
الثانية فالمغرب هي الواسطة لكن لم يقولوا به وفيه دلالة أن الصلاة وتر لأن الشفع مما لا
وسط له ثم جهة الخصوصية أنها كانت فإن كانت عصرا فهو ما ذكر أن الكفرة حملوا على أصحاب
رسول الله في صلاة الظهر فلو تهيأ لهم أن أقاتهم فقالوا احفظوا عليهم صلاة هي أكرم عليهم من
من أنفسهم وأموالهم وأهاليهم فظهر بهذا أن لها فضل وخصوصية من عند الله ورسوله وما
روي في الخبر أيضا قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله فإن كانت
فجرا فلأن الكتاب ذكرها بقوله إن قرآن الفجر كان مشهودا لما قيل إن ملائكة الليل والنهار يشهدونها
فظهرت لها الخصوصية والفضل ومن قال إنها الظهر ذهب في إثبات خصوصيتها وفضيلتها ما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر أربعا إذا زالت الشمس وقال إن أبواب
السماء تفتح في ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله والصلاة الوسطى تحتمل وجهين
أحدهما أن الصلاة هي الوسطى من أمر الدين فهي بين أن لا دفع من أمر المؤمنين من التوحيد والإيمان
وذلك من الدين لا يرتفع بعذر ولا يسقط لسقوط المحنة إذ ذلك في الدين جميعا ومن الأخلاق
وبقي جميع معاني الخلق به عن بوحده ويؤمن به وسائر العبادات قد تقوم مع وجود أمور بالدنيا
والمعاش منها في كلها بالذي به قوامها والتوحيد لازم والصلاة مما لها ترك جميع ما ذكرت في حال
فعلها فيما به فعلها فهي تشبه الإيمان من هذا الوجه ومن حيث تسقط للأعذار ولا تجب في غير
دار المحنة على ما عليه أمر غيرها من العبادات فصارت بذلك الوسطى من أمر الدين والله
الموفق والثاني أن تكون هي صلاة من جملتها فذكر بحرف التخصيص لها من الجملة لوجهين أحدهما
ليبان جملة القرآن بعضها فيما وتر لا الشفع إذ لا وسطى للشفع فيكون في ذلك بطلان قول من
أنكر الوتر وقد لها وقدم وزعموا أنها صلاتان في الجملة والله أعلم والثاني أن يراد بذلك التفضيل
لصلاة من الصلوات في الحث في فعلها والترغيب في محافظتها ويجوز أن تكون تلك من دونه عند
الذين خوطبوا إما بالإثم أو بالحال من النوازل لأنه لا احتمال أن يرغب في فعل لا يعلم حقيقة ذلك

١٦٢

والله أعلم ثم الثاني أن يراد بذلك التفضيل يكون الاختلاف ممن لم يشهد النوازل التي عرفت
المراد فقال كل مبلغ جهده فيما أدى إليه رأيه من الترغيب في الفعل إنما على ذلك لكنهم
اختلفوا فمنهم من اعتبر بالركعات فقال أكثرها أربع وأقلها ركعتان والوسطى منها ثلاث
فصرف التأويل إلى المغرب واستدل في الترغيب بما جاء أن الله قد زادكم الوتر وما جاء
من الترغيب في تعجيلها والمبادرة في فعلها حتى لم يؤذن بالاشتغال عنها عند هجوم وقتها
بنافلة ولا لحاجة وذلك يبعض ما يعرف من معنى المحافظة ومن أن الصلاة تحل بين صلاتي
الأوقات وهي الوسطى فهي أيضا والله أعلم وقوم ردوا إلى صلاة الفجر بما في ذلك من الترغيب
والتخصيص بالأمر كقوله وقرآن الفجر الآية وما جاء من شهود ملائكة الليل والنهار ولأن وقتها
الوسط من أحوال الخلق وأحوالهم أحوال سكون مرة وانتشار ثانيا وبذلك ختم أوقات السكون
وافتتاح أحوال الانتشار ووسط الليل هو الذي فيه حفظ الحواس وقد وجد في وقت هذه الصلاة
والله أعلم ومنهم من صرف إلى العصر بما جاء في ذلك من الترغيب ومن الوعيد في ترك ذلك
ولما هي أحوال الزلات التي تدخل في المكاسب فيكون لها التوبة منها والاستغفار منها ولا قوة
إلا بالله وقوله حافظوا في مخاطبة الجملة على الاشتراك إذ المفاعلة أشغل ذلك على تحصيل الترغيب
في الجماعات أو على لزوم كثرة عدد الصلوات أو على ما خرج الأمر بالمسارعة إلى الخيرات
والمسابقة لها وكل في ذلك والله أعلم على أن تسمية الظهر أولى يقبل ذلك تكون المغرب
الوسطى وقوله وقوموا لله قانتين قيل خاشعين خاضعين فيها لا يدخل فيها ما ليس منها وعلى
ذلك روي عن زيد بن أرقم أنه قال كنا نتكلم في الصلاة فلما نزل قوله وقوموا لله قانتين أمرنا
بالسكوت ونهينا عن الكلام وعلى ذلك سمي الدعاء قنوتا وقال آخرون قانتين مطيعين وذلك
ما قيل أن أهل الأديان يقومون في صلاتهم عاصين ساهين فأمر أهل الإسلام أن يقوموا مطيعين
والقنوت هو القيام على ما روي أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال طول القنوت وأصل القنوت
ما ذكرنا من القيام فإن الذي يقوم لآخر يقوم على الخضوع والخشوع والسكوت وليس في الآية
أنه أمر بذلك في الصلاة بمكان أهل التأويل صرفوا إلى ذلك لأنها ذكرت على أثر ذكر الصلاة وكذلك
قوله فإن خفتم فرجالا أو ركبانا ليس فيه أن ذلك في الصلاة لكنهم صرفوا إليها ذلك في الصلاة أنه
الصلاة ثم اختلف فيه قالوا ركبانا على الدواب حيث ما توجهت بهم الدواب يصلون
عليها في حال السير والوقوف وعلى ذلك جاءت الآثار من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل
الصحابة في النوافل فيكون العذر يصح عندنا العذر به مراده بالآية بل على ما ظهر فعل النوافل
في غيره بالسنة وأما قوله فرجالا فيما اختلف فيه قال قائلون فرجالا مشاة ومنهم من لم يجز
وأما عندنا فهو على المعروف من الصلاة على الأرجل والأقدام قياما وقعودا لا يزال عن
الظاهر والمعروف الذي عرف الفعل به على ما عرف من الصلاة على الأرجل وقوله وركبانا على
ما عرف من الركوب وهو في حال السير ولم تر الصلاة تقوم مع المشي فيها فإذا قيل صلاة الخوف
فيها مشي فخاصة قيل إن المشي ليس في فعل الصلاة لا نعرف في الوقت الذي يمشون لا يفعلون
فعل الصلاة وهو كما قال إن الصلاة لا تقوم مع الحدث فإذا أحدث فيها فذهب ليتوضأ ليس
هو في وقت الحدث مصليا وإن اتفق حكم الصلاة فعلى ذلك المشي في صلاة ليس هو في فعل الصلاة
وإن كان باقيا في حكم الصلاة والله أعلم وقوله فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم يحتمل
قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون وقوله فاذكروا يحتمل أي صلوا كما علمكم

ان تصلوا في حال الامن وتحتمل ان يصرف الى غيره من الاذكار كقوله ولذكر الله اكبر وتحتمل
ان يصرف الى الشكر اي اذكروا نعمتي اي النعمة عليكم واشكروها كقوله فاذكروني اذكركم
والله اعلم وفي قوله كما علمكم وقوله علم الانسان وعلم القرآن وعلمه البيان دليل ان لله صنع
في فعل العباد حيث اضاف التعليم الى نفسه ومن ان خلق فعل التعليم منه اذ لو لم يكن منه
فيه صنع لكان اضيف ذلك الى المعلم دون البيان فدل اضافته اليه على ان له فيه فعل نعوذ بالله
من الشرك في القول والزيغ عن الهدى قال الشيخ رحمه الله في قوله فاذكروا الله كما علمكم
اي صلوا له كما علمكم من الصلاة في حال الامن او معلوم تقدم من الامر بالصلاة وتعليم حدودها
وفرض من في الرخصة في التخفيف بحال العذر وتحتمل اذكروا الله بشكر ما امنكم كما علمكم من
الشكر له في النعم وان ذلك كان فيهم الذي عليهم نعمه ان كانوا غير عالمين به والله اعلم وول الاضافة
التعليم في هذا اليه وكذلك في قوله علمه البيان وقوله وما علمناه الشعر على وجود الاسباب
من الله له في الامرين على ان كان من الله في احد الامرين ما ليس منه في الآخر ومعنى الاسباب
فيهما واحد ثبت انه على خلق فعل التعلم وتشبيه والله اعلم وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن الاية قد ذكرنا فيما تقدم انها
تخرج على وجهين على النسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا او تحتمل على نسخ الوصية خاصة دون نسخ العدة وان الامر بالاعتداد في الابتداء
امر واحد بعد اربعة اشهر وعشرا او نسخ الوصية باية المواريث وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا وصية لوارث وفيه دلالة ان للموصى له خيارا في قبول الوصية وفي ردها وفيه ان لها ان ترد
اذا قبل بقوله غير اخراج فان خرجن اذن في الخروج وردها وذلك بعد القبول وقوله فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم قد ذكرنا انها تحتمل وجهين تحتمل ما فعلن
في انفسهن من التشويف والتزيين كذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لا جناح عليكم
ان يتشوفن ويتزين ويلتمسن الازواج وتحتمل وصفهن انفسهن على كفوء بها المثل والله اعلم
وقوله وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين تحتمل الاية ان تكون في المطلقات غير
المدخولات بهن وقد فرض لهن ان يبرئ الازواج بالمتعة ادبا لا وجوبا على ما روي عن الحسن
ابن علي انه متع بعشرة الاف على ما روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما انهما قالا ان
كنت من المتقين او من المحسنين فمتعها فهو امر ادب لا امر ايجاب يجبر على ذلك وان كانت
في المطلقة التي لم يدخل بها ولا فرض لها صداقا فهو على ما يقوله وهي واجبة يجبر على ذلك فيخرج
هذه الاية والتي قبلها قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره على مخرج واحد غير
ان في احدهما بيان قدر المتعة والبيان في الاخرى بقوله ما ذكر وتحتمل وجها آخر وهو ان الامر بالمتعة
امر بالانفاق عليها والكسوة لها اذا دخل بها ما دامت في العدة او على الاختيار على ما ذكرنا لا على
الايجاب اذ لو كان على الوجوب لكان في ذلك ايجاب بدلين الصداق والمتعة ولم يعرف عقد من
العقود اوجب بدلين فكذلك هذا والله اعلم وان في ان الطلاق سبب سقاط لا سبب ايجاب
فاذا كان كذلك لم يجز ان يوجب بالسبب الذي هو سبب الاسقاط لذلك لم يجب والله اعلم و
قوله كذلك يبين الله لكم اياته ما سبق ذكره من الاحكام من الامر بالاعتداد والانفاق
عليهن والتمتيع وغير ذلك لعلكم تعقلون امره ونهيه قال الشيخ رحمه الله في قوله كذلك
يبين الله لكم اياته اي كما بين في هذا يبين في جميع ما يعلم لكم الى بيان ذلك حاجة على قدر ما اذا

من البيان من بيان كناية او مبالغة لبيلوات جميع ما به بالخلق حاجة وادخل تحت البيان
يوصل الى ذلك تهددا ما تحمله القول به ما يكرم الله المجاهدين جهد في طلب مرضاته و لا
قوة الا بالله قوله الم تر حرف تعجيب وتنبيه ليتأمل فيما يلحق به ما ارتدوا لاتباعه
او فيما قد كان سبق الاتباع عنه ليتجدد بالنظر فيه فهذا انه على ذلك المعروف من استعمال هذه
الكلمة ولذلك وجهنا ويله الى الخبر مرة والى العلم به ثانيا والى النظر فيه ثالثا على اختلاف
ما قيل فيه كل ذلك والله اعلم قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
قوله الم تر ولم تخبر ولم تنتظر مثل هذا الاتيان من الاعجوبة فالمقصد فيه والله اعلم جواب
قوله لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اخبرهم عز وجل عن قصة هؤلاء ان حملهم باجال اولئك
حملهم على هذا القول مثل حمل بني اسرائيل باجالهم حملهم على الخروج حذر الموت ثم لم ينفعهم فكذلك
لن ينفعوا كذا هذا انه اختلف في قصة هؤلاء قال بعضهم خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله فاماتهم
الله ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا الى الجهاد في سبيل الله وقال اخرون وقع الطاعون في قريتهم
فخرج اناس وبقي اناس ممن خرج اكثر ممن بقي فنجا الخارجون وهلك الباقون فلما كانت الثانية
خرجوا باجمعهم الا قليلا فاماتهم الله ثم احياهم فلا ندري كيف كانت القصة فان كانت القصة
في الفرار من الجهاد في سبيل الله وله نظير في الايات قوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب
عليهم القتل الى مضاجعهم وقوله قل لن ينفعكم الفرار الاية وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم ومثله كثير في القرآن وان كانت في الطاعون ففيه ما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا كنتم في ارض وقع فيها وباء فلا تخرجوا منها واذا لم تكونوا فيها فلا تدخلوها
ومعناه والله اعلم انهم اذا كانوا فيها يخرج يخرج الفرار من الموت ان تحولوا او ان الفرار اذا جاء
ان لم يكونوا فيها ان دخلوا فاصابهم بقدر الله يظنون انهم اذا لم يكونوا فيها لم يصبهم ذلك ففي الوجهين
نسيان القضاء وقد جاء ان لا عدوى ولا هامة فان قيل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا مر على حائط مائل اسرع المشي كيف نهى عن الخروج عن ارض وقع فيها الطاعون
قيل ان كل ما كان يخرجه يخرج ابنة وفيها اهلا كعمر فذلك لا يكون الا بامر سبق منهم يحق مثل
الفرار الى الله لا الى غيره واما انكسار الحائط فليس لامر سبق منه فجاز ان يخرج منه خوف
هذا من الفرق بينهما والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويجوز ان يكون فعله صلى الله عليه وسلم
ليعلم ان مثله من الخوف لا يعد نقصانا في الدين وذلك كالعدة تتخذ للحروب والاغذية للابدان
لا على ظن بالله انه لا يملك الحياة دونها او تغيير العدد ولكن على التاهب والانتهاء واتخاذ
حيل الذي خيف فيه والذي رجي والله اعلم قوله ان الله لذو فضل على الناس في احيائهم
بعدما اماتهم وذلك فضل منه وذو فضل على الناس بكل نعمة انعمها عليهم يستحق الشكر من
الخلق بذلك هذه الاية على المعتزلة اذ قالت ليس له ان يفعل بخلقه الا الاصلح لهم في الدين
ولو فعل غير ذلك كان جائرا فان كان هذا عليه فاي يكون الافضال وانما يقال ذو فضل
وذو منة اذا اعطى ما ليس عليه واما من اعطى ما كان عليه لا يقال انه متفضل او من كمن يقضي
دينا عليه لا احد لا يستوجب الشكر بذلك لانه قضى ما كان عليه قضاؤه فكذلك الله تعالى
اذا اخبر انه ذو فضل وذو منة ما لم يكن ذلك عليه فاستوجب الشكر على الخلق بذلك والله
التوفيق ثم الكلام في ان اولئك ماتوا باجالهم او لا باجالهم قالت المعتزلة لم يكن اجالهم
ذلك بل ذلك استيجال من اجالهم ومن قولهم ان لكل احد اجلين ان قتل فاجله كذا وان مات

فكذا قيل ذلك تأجيل من لا يعلم انه يقتل او يموت فاذا علم الله انه يموت لم يكتب له اجل
القتل وكذلك ما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر وكان في علم الله في الازل انه يصل الرحم
فكتب عمره ازيد ممن يعلم في الازل انه يقطع ولا يصل اذ لو جاز ذلك في الخالق لكان هو الحرج فعله
فعل من يجهل العواقب فان قيل فلم يلام القاتل اذا قتل غيره بغير حق قيل له لانه كتب اجل
المقتول بقتل هو معصية بما علم الله انه يقتضي به ويجانب الاحكام هو بيان النهايات
والاعمار وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا عامل الله تعالى بلطفه وكرمه الخلق
معاملة من لا حق له في اشياء ملكهم لا كمعاملة العباد بعضهم بعضا وان كانوا عبيده واموالهم ملكه
له حيث طلب منهم الاقراض كما يقترض بعض من بعض ثم وعد لهم الثواب في ذلك بخيار ان يضاعفه له
اضعافا كثيرة ثم لما سمع اليهود ذلك قالوا ان اله محمد فقير وهو قوله لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ومرة قالوا لماذا اراد الله فيقبض الناس منا لنا انما يفعل
ذلك لبخله حيث قالوا يد الله مغلولة فزاد الله المنع اما للبخل واما للفقر فاكذبهم الله تعالى
في قولهم ذلك فقال والله يقبض ويبسط قيل يقتر ويبسط ويوسع وقيل يقبض ما اعطي
اي يأخذ ويبسط ويترك ما اعطى ولا يأخذ منه وقيل انها نزلت في ابي الدحداح وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة فقال ابو الدحداح ان
تصدقت بحديقتي فلي مثلها في الجنة فقال نعم قال وام الدحداح معي قال نعم قال والصبية
معي قال نعم فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فيها فقام على باب الحديقة فنادى
يا ام الدحداح اني جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وام الدحداح
والصبية فيها معي قالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت ثم خرجوا منها فتركوا
ما كانوا اجتنوا منها وسلموا الحديقة الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا الاية قال الشيخ رحمه الله في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا الاية في توجيه الاية اليه منهم من يوجهها الى جميع المحاسن يوجبها ويحتاجها الله
فله اضعاف ذلك في الموعود آجلا وعاجلا فالآجل ما وعد والعاجل ما الثناء وجلالة القدر
له في القلوب فتعاد ذلك للاحياء وسماه قرضا بما هو اشد المعروف ليذكره عظيم منه عليه
ان قبله قول المعروف بالشكر له في ذلك وان كان ذلك حقا لله عليه والله اعلم والثاني ليعرف
الخلق كيفية الصحبة والمعاشرة بينهم ان الله تعالى عامل عنده بما هو له معاملة من
يستحق الشكر منه بما يبتدي اليه من المعروف ليعرف حقيقة ذلك ليعقل الحكماء ان مثل ذلك في
معاملة الاخوان وفيما كان منه في الحقيقة لوجب واحق وليعظموا المعروف ويثنوا بالمعروف بما
اكرمهم الله بالاشياء الجليلة ولا قوة الا بالله ومنهم من يوجهها الى الصدقات خاصة سماها
قرضا لوجوه احدها انه جعل معاملة الفقراء والتصدق عليهم معاملة الله تفضيلا لهم على
ما نسب مخادعة المؤمنين الى الله تعظيما لهم ومثله الصدقة تكون عدو العوض ليصير
الصدقة بمعنى الاقراض اذ يرجع في عوضه بين ومن وجه الامتنان عن الفقير بما يأخذ منه
البذل وبالله التوفيق والثاني يسمى ذلك قرضا بما هو له في حال بذل الله تعالى جود عباده
بالذي عرفوا به كرمه وجوده حتى سمى تسليم الذي له في الحقيقة قرضا كالتسليم الى من
لا حق له في الحقيقة وفي ذكرنا من الخبر قوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية والله اعلم
والثالث انه ذكرتم وجها القصد في الصدقات والموقع لها ليكون ذلك تنبيها لعظيم منته

النعم عليه اذ وصل به الى الله ذكره الله واجل محله عنده فيصير عنده اجل الاعواض
له وان الانصار في عظيم الموعود وجليل القدر عند الله فيحمله على ذلك ويكرمه ودون
ان يمن عليه او يؤذيه والله الموفق وقوله الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله في هذه الاية وفي الاية التي قبلها قوله الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان القصة لم كانت
ظاهرة في اهل الكتاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلف الى احد منهم ولا نظر في كتبهم ثم اخبر
على ما كان دل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل شرفه ودلالة ان كل نبي كان اماما وللائمة
من قومه والرؤساء منهم وانهم يصرف تدبير الامور لا الى السفلة منهم والارذلة وفيه دلالة
ايضا ان الانبياء صلى الله عليهم وسلم لم يكونوا يتولون الجهاد والقتال بانفسهم ولكن الملوك
هم الذين يتولون ذلك ثم الملوك هم الراجعون الى تدبير الانبياء والرسل في امر الدين والحرب
حيث سألوا ملكا يقاتلون معه عدوهم وذكر ان كفار بني اسرائيل قهروا المؤمنين فقتلوهم
وسبوهم واخرجوهم من ديارهم وابنائهم فمضوا زمانا ليس لهم ملك يقاتل عدوهم فقالوا لنبي
لهم وهو من نسل هارون بن عمران اخي موسى ابعث لنا ملكا نقاتل عدونا فقال لهم نبيهم
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال استخبار منه سوء الهزل الذي سألوا احق هو ام تمني اجروه على
السنتهم من غير تحقيق لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك اذا اجيبوا واعطوا ما سألوا
وتمنوا لما عرف من شدة القتال مع العدو والجهاد في سبيل الله وكراهية ذلك في كل قوم
الى ان يتيقنوا الضرر حتى سألوه لما بينوا العلة التي حملتهم على ذلك وغايته رغبتهم فيها ومما
لاجله كان السؤال الا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
من القتل واخذ الاموال وسبي الذراري فلما كتب عليهم القتال اي فرض تولوا الا قليلا منهم
فيه دلالة في انه قد كان فيهم ما كان في هذه الامة من قوله لم تقولون ما لا تفعلون من كراهية
القتال والجهاد في سبيل الله وقيل تولوا الا قليلا منهم وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا الذين
يقولوا اعانا سألوا الشرقان لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قيل سمي طالوتا لطوله
وقوته وقوله انى يكون له الملك علينا يتوجه مثل هذا الكلام وجهين احدهما على الانكار
فلا يحمل على الانكار لانه كفر والثاني على الاسترشاد وطلب العلم لهم منه في ذلك عن جهة
جعله له ملكا لما قد عرفوا ان لا يستوجب الملك ولا يولى الا احد رجلين اما بالولادة انه من
الآباء او بالسعة في المال لذلك قالوا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال لانهم
كانوا ابناء الملوك وارباب الاموال ثم بين لهم عز وجل ان جهة الاختيار ليس لهم وان
سبب الملك ليس ما ذكرنا ودون غيره بل الله عز وجل يختار من يشاء لذلك باختياره سوى
ما ذكروا ابعد فضل يميزه بفضل قوة حيث قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم فزاد عنده من اراد الملك يحتاج الى فضل علم وفضل قوة ثم يحتمل قوله بسطة في
العلم علم الحرب والقتال ويحتمل علم الاشياء الامور في حفظ الرعية وغيره قال
الشيخ رحمه الله في قوله انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه فهو والله اعلم الآية
بمن جعل له الملك علينا او كيف يكون له الملك علينا ونحن بظاهر الاسباب التي تحقق الملك
املك فنكون بها احق بالملك منه فبين ان المعنى الذي له صار احق بالملك منهم في ذلك الامر
والله اعلم والحرف وان كان مما يتعارف في الانكار فليس هو كذلك في الحقيقة اذ فيه جرم

من موسى بني عندهم ومن تقدم عنده بنبوة احد لا يحتمل تكذيبه اياه في هذا والله اعلم وقد
يحتمل كون اهل النفاق فيهم فيكون منهم الانكار ايضا كما كان امثال ذلك في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك قوله في آخر الآية حين قال ان آية ملكه كذا والله اعلم ويؤيد
ذلك كثرة مخالفتهم اياه لما امتحنوا بالنهر والله الموفق وفي هذا ونحو ذلك دلالة جواز الآيات
لغير الرسل اذا كان فيها تصديق الرسل كذلك قصة مريم وكذلك عمل صاحب سليمان وغير ذلك
مما جاء به الكتاب لكن ذلك يجوز اذا كان منهم تصديق الرسل فيكون في التحقيق كآيات لهم
ظهرت على السن غيرهم او ايديهم ومن اراد بها ادعاء الرسالة لنفسه فيعجز عن ذلك بل لا يكون
الله تعالى بحكمته يعلم انه يدعو الى تصديق الكذب وفي هذا هلاك الرسل وكذا ايجاب لمن يعارض
من يتلو القرآن ثم يأتي موضعا لا يعرف فيحتج به في نبوته معاني ذلك اوجه يمنع الاحتجاج
به من ذلك ما فيه من الاخبار عن الاسئلة والانباء عن امور لا توجد هنالك والله اعلم
وبما لا يعلم اهله انه من تعلم بتقدم منه او من هو حجة له ادعى وحي اليه اذ لم يكن امتحن من قبل
والحجة ما يخرج من المعتاد وعلى الطبيعة يكرم بها فيتناقض الدعوة بلا سبب سبق منه يعمله
ولا عناية ولا قوة الا بالله وتقيد فانه قد ظهر في جميع من لسانه ذلك الشأن عن الابطال
الرفع لمثله ولا انكار وانتشار اخبار الآي به فيظهر بذلك كذبه وينقطع عنه الدعوى قبل
المحنة والتأمل فيما جاء به الا ان يأتي به من لبيق ذلك لسانه ولا معنى للاحتجاج به في
امثاله والله الموفق وقوله والله واسع عليم اي غني يغني من يشاء ويعطيه علم من
يصلح للملك وقوله وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت كانهم سألوا نبيهم من
آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت تحمله الملائكة وذكر في القصة ان التابوت
يكون مع الانبياء واذا حضروا قتالا قدموا التابوت بين ايديهم الى العدو فيتقدم ولن
يبرح عن العدو وهو فيه سكينة كانها رأس هر فاذا ان وكذلك التابوت يسمع التابوت انين ذلك
الرابض دق نحو العدو وهم يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما عصت بنوا
اسرائيل وعصوا الانبياء سلط الله عليهم عدوهم واخذوا منهم التابوت لما سبوا وملكوا
منه ثم رد عليهم بعد زمان طويل وجعل ذلك آية من آيات ملك طالوت فلا ندري كيف كانت
القصة ثم اختلف في قوله سكينة من ربكم قيل السكينة ريح هفافة فيها صورة كوجه الانسان
وقيل السكينة لها وجه كوجه الهر لها جناحان فاذا صوتت عرفوا النصر وقيل السكينة
طست من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل فيه اي في التابوت سكينة اي طمأنينة
من ربكم كان التابوت في اي مكان كان اطمأنوا اليه وسكنوا فلا ندري ما السكينة سوى انا عرفنا
ان قلوبهم كانت تسكن اليه وتطمئن فلنبين الى معرفة السكينة وكيفيتها [illegible]
وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون قيل البقية فيه رضاض الالواح وهو كسرها وثياب
موسى وهارون وقيل عصا موسى وعصا هارون وقيل البقية قفيز من من وهو الترنجبين
الذي كان فيه يأكله بنوا اسرائيل في ارض التيه وقيل فيه سنة موسى وهارون وعلمهما والله
اعلم بذلك وفي الآية دليل جري الآية على ايدي الاولياء لما اعطى لطالوت آية لملكه تشبه
آيات الانبياء حيث اخبر انه كان تحمله الملائكة حتى اتوه في داره وهم كانوا لم يروا ذلك
وقت حمل الملائكة اياه لكن تلك الآيات في الحاصل تكون للانبياء تجريها الله تعالى على
ايدي الاولياء لا ان يكون للاولياء وذلك تم من ادعى من الاولياء تلك الآيات النبوة لنفسه

بمعجزة الله عن ذلك ويخرج الآية من ان تصير آية له بحضرة مدينة من المدائن التي لم يبلغ
اهلها هذا القرآن ولا امر نبوته ولا سمعوا ذلك من احد قط يجعل نبيا او ذلك عليهم عن ظهر
قلبه وادعى بذلك رسالة لنفسه ايسع اهل ذلك البلد ان يصدقوه فيما ادعى ام لا فان
لاصحابنا في ذلك جوابان احدهما ان في القرآن ما يظهر به كذب هذا المدعي ودعواه من نحو
قوله لنبيا لو تلك من كذا ومن نحو الاخبار والحكايات والقصص التي فيها مما لا يحتمل كونها الا
بتقدم اسباب فيكذب به ذلك فلم يلزمهم تصديقه وبالله العصمة والثاني قالوا اذا ادعى
ذلك به يعجزه الله عز وجل عن تلاوته واجرائه على لسانه واذا عجز عما ادعى بذلك وكان
هذا اقرب والله اعلم وقوله فلما فصل طالوت بالجنود اي من المدينة قيل هم سبعون
الفا وقيل كانوا مائة الف ساروا في حر شديد فنزلوا في قفرة من الارض فاصابهم عطش
شديد فقالوا لطالوت الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر وقيل انما قال لهم ان الله
مبتليكم بنهر بينهم وقوله من شرب منه غرفة كفاه ومن شرب اكثر منه لم يروه ولا يعد
عصوه وقيل من شرب منه فليس مني اي ليس معي في عدوي اي لا يخرج معي وجنود ليس معي
اي ليس من اتباعي وشيعتي وجائز ان يكون به ظهور النفاق والعقوق في الدين ومن لم
يطعمه فانه مني فيقول ليس مني ومعي ويحتمل ان يسمى الشراب باسم الطعام والطعام
باسمه وقوله الا من اغترف غرفة بيده استثنى الغرفة كانه قال من شرب منه
فليس مني الا غرفة ففيه جواز الثنيا من الكلام المتقدم وان كان دخل بين حرف الثنيا وحرف
الاول شيء آخر وهو يرد لاصحابنا حيث قالوا فيمن اقر فقال لفلان علي كر حنطة وكر
شعير الا نصف كر حنطة انه يصدق ويلزمه من الحنطة نصف كر ويجعل ان يكون الثنيا
على ما يليه وقوله ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة وقيل شرب غرب الدواب
والغرفة هي شرب وقوله فشربوا منه الا قليلا منهم وقيل القليل هو ثلاثمائة
وثلاثة عشر رجلا اغترفوا غرفة واحدة بايديهم وكانت الغرفة يشرب منها هو وخدمه
ودوابه وقيل انما استثنى الغرفة باليد لئلا يكرعوا كرع الدواب فيفعل بعضهم ذلك
فرد طالوت العصاة منهم لم يستطيعوا معه وقطع معه الثلاثمائة والثلاثة عشر
رجلا وهو قوله فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
قيل هو قول بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لانهم اكثر منا وكانوا
مائة الف وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والله اعلم بذلك العدد وقوله قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله قيل الذين يعلمون ويقرون بالبعث كم من فئة قليلة عددهم
غلبت فئة كثيرة عددهم وقيل الذين يظنون يعني يخشون انهم يقتلون لانهم وطنوا
انفسهم على الموت فطابت انفسهم بالموت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقوله
باذن الله قال بعضهم باذن الله اي بامر الله لكنه لا يحتمل الغلبة بالامر ولكن باذن الله
عندنا بنصر الله والله مع الصابرين بالنصر والمعونة لهم وقوله ولما برزوا لجالوت
وجنوده يعني لقيا لهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا يقول احبب وقيل اتمم علينا صبرا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وهكذا الواجب على كل من لقي العدو
ان يكون مناجاته هذا او على قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء لانه قد كان فعل هذا الاصلح فاستحال
الدعاء [illegible] وقوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت

قال بعضهم باذن الله بامر الله لكنه لا يحتمل لانهم كانوا يقاتلون بالامر ولا يهزمون بالامر وقال
اخرون بعلم الله كانه علمه في الازل انهم يهزمون فهزموا وقيل بامر الله بنصر الله وهو اقرب
والله اعلم وقيل في القصة ان داود صلى الله عليه وسلم كان راعيا وكان له سبعة اخوة
مع طالوت خرجوا معه للقتال ولما ابطأ خبر اخوته على ابيهم ارسل داود اليهم ينظر
ما امرهم وياتيه بخبرهم قال فاتاهم وهم في الصفوف فبرز جالوت فلم يخرج اليه احد
فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لخرج الي بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم احد يخرج الى هذا
الاقلف قال فقالوا اسكت قال فذهب داود الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته قال
فمر طالوت به وهو يحرض الناس قال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال
طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي فقال داود لطالوت فانا اخرج اليه قال فاعطاه
طالوت درعه وسيفه قال فلما خرج في الدرع جرها في الارض لان طالوت كان اطول منه
قال فلما كان داود وانا اخرج اليه قال له طالوت من انت قال انا داود بن فلان فعرفه طالوت
ورأى انه اجلد اخوته قال فاخذ داود العصا ثم خرج الى جالوت فمر بثلاثة احجار فقلن يا داود
خذنا معك ففينا ميتة جالوت فاخذها ثم مضى نحوه وعلى جالوت بيضة فيها ثلثمائة رطل فقال
له جالوت اما ان ترميني وانا ارميك فقال له داود وانا ارميك فرماه بها فاصابه في اجرها
فوقعت في صدره فنفذت ثم فقتلته وقتل الحجر بعدما نفذ اناسا كثيرة وهزم الله جنوده
وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت والقصة طويلة فلا ندري كيف كانت
وليس لنا الى معرفتها حاجة وقوله وآتاه الله الملك والحكمة فالملك يحتمل علم الحرب وسياسة
القتال اذ لم يكونوا يقاتلون الا تحت ايدي الملوك وهو كقوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
ويحتمل الملك بما عقد له من الخلافة كقوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
وذكر انه اجتمع الامران لما كان من ترتب زمانه على ما عليه ابتداء الاية ان الملك يكون في غير بني
مجمعا جميعا له ويكون على ذلك بيانا والحكمة قيل الحكمة النبوة والحكمة في الاصل الاصابة وقيل هي النبوة
وقد تقدم ذكره وقوله وعلمه مما يشاء قيل صنعة الدروع كقوله والنا له الحديد وقيل
كلام الطير وتسبيح الجبال وذلك ما خص به داود دون غيره من الانبياء صلى الله عليه وسلم
ويحتمل وعلمه مما يشاء اشياء اخر وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض اختلف فيه قال بعضهم دفع بالكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين لما شغل بعضهم
ببعض وجعل بعضهم لبعض اعداء الى ان لم يتفرغوا عن انفسهم للمسلمين والا لكان في ذلك فساد
الارض وقال اخرون دفع بالرسل والانبياء شرهم عن المسلمين وكفاهم عدوهم وقال بعضهم
دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد ولولا
لغلب المشركون على الارض وفسدت دفع بالمصلي عمن لا يصلي وبالمزكي عمن لا يزكي وبالحاج عمن لا يحج
وبالصيام عمن لا يصوم ثم اختلف في قوله لفسدت الارض قيل لو لم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم
بعضا واهلك بعضهم بعضا في ذلك تفانيهم وفسادهم في ذلك فساد الارض وقال اخرون لو لم
يدفع لفسدت الارض واذا فسدت الارض فسد اهلها لانه لو لم يدفع لغلبت المشركون على اهل
الاسلام واهلها فاذا غلبوا افسدوا اهلها وقال لفسدت الارض اذا غلبت المشركون عليها هدمت
المساجد والصوامع فيفسد فساد الارض والله اعلم وقوله ولكن الله ذو فضل على العالمين
يدفع ذلك كله عن المسلمين وعلى قول المعتزلة ليس هو بذي فضل على احد لان عليه ان يفعل ذلك

وان يدفع ذلك كله عن المسلمين على قولهم فاذا كان عليه ذلك لا يصير هو بما يدفع متفضلا ولا
ممتنا نعوذ بالله من السرف في القول وقوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق يحتمل قوله
آيات الله ما ذكر من قتل داود جالوت بالحجارة ذكر في القصة مع ضعف داود وقوة جالوت وعظم
ما قيل ان قامته كانت قدر ميل وان بيضته كانت ثلثمائة رطل ويحتمل ما ذكرت من قيام القليل
للكثير لانه قيل ان جنود جالوت مائة الف وجنود طالوت ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وذلك
من الايات ويحتمل جميع ما قص الله عليه في القرآن من اخبار الامم الخالية والله اعلم وفي قتل
داود جالوت وقتل القليل الكثير دليل انهم لم يقتلوا بقوة انفسهم ولكنهم بالله وبنصره اياهم
قال الشيخ رحمه الله من آيات وحدانيته قتل داود جالوت مع ضعف داود وقوة عدوه و
قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية يحتمل يفضل بعضهم على بعض ما ذكر منهم
من كلم الله ومنهم من اتخذه خليلا ومنهم من سخرت له الريح والطير ما كان في الانبياء مثله
ويحتمل بعضهم على بعض في الحجاج والحجج على القوم لان فيهم من كان اكثر محاجة لقومه واعظم حججا
وهو ابراهيم صلوات الله عليه وموسى ويحتمل التفضيل التمكين في الارض مكن لبعضهم ما لم
يمكن للباقين ويحتمل ذلك في الاخرة في الشفاعة ورفع الدرجات ويحتمل بعضهم على بعض في
الرسالة لان منهم من ارسل الى الانس والجن جميعا ومنهم من ارسل الى الانس خاصة ومنهم من ارسل الى
قومه خاصة ومنهم من ارسل الى نفسه والله اعلم وقد ذكرنا انه لا يكون من الله تفضيل لبعض الرسل على
بعض على قول المعتزلة لانه فعل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما عليه ان يفعل فانه لا يوصف بالفضل
والافضال وان انه ليس على ما يقولون ويذهبون اليه وقوله وايدناه بروح القدس
قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
هذه الاية والاية من بعدها قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد
في المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا ما اقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا ولكن
اقتتلوا والاقتتال هو فعل اثنين وفيهم من اقتتل ظالما وفيهم من اقتتل عن ظالم دفعه وقوله
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم قال ولو شاء الله ما اقتتلوا اخبر انه لو شاء ان
لا يقتتلوا ما اقتتلوا واخبر انه يفعل ما يريد ثبت انه فعل الارادة وهم يقولون لا يفعل
ما يريد وكذلك قوله ولو شاء الله ما اختلفوا اخبر انه لو شاء ما اختلفوا وهم يقولون شاء ان
لا يختلفوا ولكن اختلفوا ثم لا يجوز صرف الاية الى مشيئة القسر والجبر لان المشيئة التي
ذكرها الله عز وجل معروفة في الناس فلا يجوز صرفها الى غير المشيئة المعروفة الا بعد تقدم
ذكر وبيان ان المعاني المرادة وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا ولا اختلفوا فجعلهم على امر
واحد ودين واحد كقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة والمعتزلة يقولون شاء ان
يصيروا امة واحدة ولكن لم يصيروا فنعوذ بالله من الجرأة في القول والقول في الله بما
لا يليق به وقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم يحتمل الامر بالانفاق امر بتقديم الطاعات
والمسارعة الى الخيرات قبل ان ياتي يوم يمنعه ويعجزه عن ذلك وهو الموت ويحتمل امر
بالانفاق من الاموال في طاعة الله من قبل ان ياتي يوم وهو يوم القيامة لا بيع فيه قيل
لا فداء ولا خلة ولا شفاعة يحتمل قوله لا خلة اي لا ينفع خليل خليله كما ينفع في
الدنيا وكذلك لا شفيع ينفع شفاعته كما تنفع في الدنيا ويحتمل لا خلة ولا شفاعة اي
لا ينفع احد احدا ولا يغيث احد احدا ولا يشفع احد احدا ويحتمل يوم لا بيع فيه انهم لا يملكون

يشفع الشفيع من الله تعالى بما ذا احيوا احيا فاذا ما قوا لم يملكوا كقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم الآية فاول الآية وان خرج الخطاب للمؤمنين فالوصف بما وصف الكافرين لكن
فيما زجر للمؤمنين عن صنيع مثل صنيع الكفار وقوله الله لا اله الا هو قيل الله هو اسم المعبود
وكذلك يسمي العرب كل معبود الها ومعناه والله اعلم ان الذي يستحق العبادة وتحق ان
تعبدوا هو الله الذي لا اله الا هو لا الذي تعبدونه انتم من الاوثان والاصنام اي لا تستحق
عبادة تلك اياها ولا ينبغي لكم ان تتركوا العبادة له ويحتمل ان يكون على الاضمار اي قل الله الذي لا اله
الا هو لانهم كانوا يقرون بالخالق ويقرون بالاله كقوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وكقوله قل من رب السموات السبع الآية وقل من بيده ملكوت كل شيء الآية
فسيقولون الله فاذا كانوا يقرون به فاخبرهم ان الذي يقرون به ويسمونه هو الله الذي
لا اله الا هو الحي القيوم ويحتمل ان يكون للقوم من اهل الاسلام عرفوا الله تعالى وامنوا به ولم
يعرفوا نعته وصفته فعلمهم نعته وصفته انه الحي القيوم الى اخره وقوله الحي القيوم
قيل هو الحي بذاته لا بحياة هي غيره كالخلق هم احياء بحياة هي غيرهم حلت بهم لا بد من الموت
والله عز وجل يتعالى عن ان يحل فيه الموت لانه حي بذاته وجميع الخلائق احياء لا بذاتهم تعالى
الله عما يقول فيه الملحدون علوا كبيرا والاصل ان كل من وصف في الشاهد بالحياة وصف
ذلك للعظمة له والجلال والرفعة يقال فلان حي وكذلك الارض سماها الله تعالى حية
اذا اهتزت وانبتت لرفعتها في اعين الخلق فعلى ذلك الله سبحانه حي للعظمة والرفعة
والكبرياء ما يذكر في الموات كلها كما سمي الشهداء احياء لانهم يذكرون في الملإ من الخلق ويحتمل
انه يسمى حيا لما لا يغفل عن شيء ولا يسهو ولا يذهب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في
الارض ولا في السماء وبالله العصمة وقوله القيوم القائم في مصالح اعمال الخلق وارزاقهم
وقيل القيوم هو القائم على كل شيء يحفظه ويجاهده كما يقال فلان قائم على امر فلان يقوم انه
يحفظ امره وهو لا يذهب عنه شيء وقيل هو الحي القيوم اي لا يغفل من احوال الخلق وقوله
لا تأخذه سنة ولا نوم قيل السنة النعاس وقيل السنة هي بين النوم واليقظة وهي
وسنان وقيل هي ريح يجيء من قبل الرأس فتغشى العينين فهو وسنان بين النائم واليقظان
ويحتمل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم على نفي الغفلة والسهو عنه اذ لو اخذه صار مغلوبا مقهورا
فيزول عنه وصفه حي قيوم كقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في نفي الغفلة ويحتمل انه
نفى عن نفسه ذلك لان الخلق انما ينامون ويسهون لطلب الراحة والمنفعة اما لدفع حزن
او وحشة فاخبر انه ليس بالذي يحتاج الى راحة ولا الى دفع حزن او وحشة وقيل لا يفتر ولا
ينام قال الشيخ رحمه الله والنوم والسنة حالان تدلان على غفلة من حلا به وعلى حاجته
الى ما فيه راحته وعلى عجز اذ هما يغلبان ويقهران من وصف الرب نفسه بالعلو عن الذي ذلك
عليه من الوجوه وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العالي في ذلك القاهر له
لا تأخذه سنة ولا وحشة ولا معنى يدل على العجز والحاجة ولا قوة الا بالله وقوله له
ما في السموات وما في الارض اخبر انه له ما في السموات وما في الارض عبيده واماؤه لئلا
كما قالوا فلان ابن الله والملائكة بنات الله بل كلهم عبيده واماؤه والناس لا يتخذون
ولدا من عبيدهم واماهم فالله احق ان لا يتخذ وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه اي لا احد يجترئ على الشفاعة الا باذنه ثم اختلف في الشفاعة

قالت المعتزلة لا تكون الشفاعة الا لاهل الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم او كان لهم ذنب فتابوا
عنه وذهبوا في ذلك الى ما ذكر الله تعالى في قوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
فاذا كان الاستغفار في الدنيا انما يكون للذين امنوا وتابوا فعلى ذلك الشفاعة انما تكون في الاخرة
لهؤلاء واما عندنا فان الشفاعة انما تكون لاهل الذنوب لان من لا ذنب له لا حاجة له الى الشفاعة
وقوله للذين امنوا واتبعوا سبيلك يكون لهم ذنوب في احوال التوبة فانما يغفر لهم ذنوب
التي كانت لهم وقت ظهرا لا استغفار لاهل الذنوب فعلى ذلك الشفاعة فان قيل اذا تاب رجل الا كان
لقلبه ان عملت عملا تستوجب به الشفاعة فانت حرفا في عمل يعمله يستوجب به الشفاعة حق
يعتق عنده الطاعة او المعصية قيل الطاعة فعلى ذلك الشفاعة لا تكون الا لاهل الشفاعة
والخير لا لاهل المعصية قيل ان الشفاعة التي يستوجبها اهل الذنوب انما يستوجبون
بالطاعات التي كانت لهم حالة الشفاعة لان لاهل الايمان وان ارتكبوا اثاما ومعاصي فان
لهم طاعات يتكلف الطاعات ما يستوجبون الشفاعة كقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
فالشفاعة في شره بخيره وقالوا لا شفاعة في الشاهد لاحد في الاخرة لان الشفاعة
هو ان يذكر عن مناقب احد عنده احد وخيراته [illegible] وكذا في الاخرة والجواب
لهم من وجهين احدهما انه انما يذكر في الدنيا خيرات المتشفع له لانها له هذا باحواله فيذكر خيراته
ليعرفه بها فيشفع فيه والله تعالى عارف لا يعرف والثاني ان ذكر خيراته لحاجة تقع
للمذكور له في مثلها لا تكون في الاخرة خاصة والله يتعالى عن الحاجة عما بالعباد لذلك اختلفا
والله اعلم فان قال لنا قائل ان جميع ما ذكر في هذه الآية من اولها الى اخرها كلها دعوى
فما الدليل على ذلك الدعوى قيل يحتمل ان يكون دليله ما تقدم ذكره من قوله ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار الآية والثاني من انكر الصانع فيتكلم اولا معه في حدث العالم
وحاجته الى محدث فاذا ثبت حدث العالم فحينئذ يتكلم في اثبات الصانع ووحدانيته وبالله
التوفيق وقوله واحد ليس من حيث العدد لان كل ذي عدد يحتمل الزيادة والنقصان ويحتمل
الطول والعرض والقصر والكثر ولكن يقال ذلك واحد من حيث العظمة والجلال والرفعة
كما يقال فلان واحد زمانه وواحد قومه يعنون رفعته وجلاله في قومه وسلطانه عليهم جائز
القول فهو لا يعنون من جهة العدد لان مثله فيهم كثير من حيث العدد والله اعلم وقوله
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء هذا على المعتزلة لانهم لا يصفونه بالعلم وقد اخبر ان له
العلم ثم احتمل قوله علم الغيب وقال اخرون علم الاشياء كلها لا يعلمون الا ما يعلمهم الله من
ذلك كقول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ومن قال علم الغيب فهو الذي قال فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقوله وسع كرسيه السموات قال بعضهم وسع
علمه وهو قول ابن عباس وقال اخرون كرسيه قدرته وهو وصف بالقدرة والعظمة
وقيل وسع كرسيه فالكرسي هو اصل الشيء يقال كرسي كذا والمراد منه انه المعتمد والمفزع
للخلق وذلك وصف بالعظمة والقوة ويقال وسع كرسيه وهو خلق من خلقه وقيل ان
الكرسي هو الكرسي لكن خلقه ليكرم به من شاء من خلقه ثم لا يجوز ان يفهم من اضافته اليه ما يفهم
من الخلق كما لا يفهم من قوله ناقة الله وبيت الله ونحوه ما فهم من اضافته الى
خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله وسع كرسيه وغيره من الآيات ما يفهم من الخلق بقوله ليس كمثله

شيء وقوله ولا يؤده حفظهما قيل لا يشق عليه وهو قول ابن عباس وروي عنه ايضا انه
قال لا يثقل عليه وقيل لا يجهده وقيل لا يحتاج بحفظ شيء مثل الخلق وقوله وهو العلي
العظيم العلي عن كل موهوم محتاج الى عرش او كرسي العظيم عن ان يحاط به وقال ابن عباس
وسع كرسيه قال علمه اي قوله ولا يؤده حفظهما كل شيء في علمه لا يؤده حفظه والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله العلي عن جميع اشباه الخلق وشبههم والعلي القاهر والغالب لا اكراه اي لا يكره
على الدين فان كان انما جعل هذا القول على بعض دون بعض وقوله لا اكراه في الدين قال بعضهم
نزلت في المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه يقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام
ليس كمشركي العرب اذ لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ولا يقبل منهم الجزية فان اسلموا والا
قتلوا وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كتب الى المنذر بن فلان اما العرب
فلا تقبل منهم الا الاسلام او السيف واما اهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وعلى ذلك
نطق به الكتاب تقاتلونهم او يسلمون وقال قوم قوله لا اكراه في الدين اي لا دين يقبل بالاكراه
بل الدين ذلك بايمان والتأبي ان الرشد قد تبين من الغي ويتبين ذلك لكل احد حتى اذا قبل الدين
قبل عن بيان وظهور لا عن اكراه وقال اخرون قوله لا اكراه في الدين اي لا اكراه على هذه
الطاعات بعد الاسلام لان الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المومنين فلا يكرهون على
ذلك ومعناه ان في الامم المتقدمة الشدايد والمشقة وقد رفع الله عز وجل تلك الشدايد عن هذه
الامة وخففها عليهم دليله قولهم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ومثل
ذلك كثير كانت على الامم التي قبلها وعلى هذه الامة خفيفة فاذا كانت مخففة عليهم لا يكرهون
على ذلك وقال اخرون هو منسوخ بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال اخرون ان قوما من الانصار
كانت ترضع لهم اليهود فلما جاء الاسلام اسلم الانصار وبقي من عند اليهود من اولاد الانصار على
دينهم فارادوا ان يكرهوهم فنزلت الاية لا اكراه في الدين قال الشيخ رحمه الله ويحتمل لا اكراه
في الدين ما قال في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله قد تبين الرشد من الغي يعني قد
تبين الاسلام من الكفر فلا يكرهون على ذلك وقوله فمن يكفر بالطاغوت اختلف فيه قيل
الطاغوت الشياطين وقيل كل ما يعبد دون الله فهو طاغوت من الاصنام والاوثان التي
تعبد دون الله وقيل الطاغوت الكهنة التي يدعون الناس الى عبادة غير الله يكفر هو ولا
ويكذبهم قال الشيخ رحمه الله وجملته ومن يكفر بالذي يدعوا الى عبادة غير الله ويكذبه في
ذلك ويؤمن بالذي يدعوا الى عبادة الله ويصدقه انه داع الى الحق وقوله ومن يؤمن بالله
فيه دلالة ان الايمان بالله هو ايمان بالانبياء والرسل والكتب جميعا اذ لم يذكر معه غيره
والكفر بالذي ذكرت يمنع حقيقة الايمان بالله لان من آمن بالله آمن به وبامره ونهيه وثوابه
لكن الذي قال لا نفرق بين احد من رسله لقول قوم حيث قالوا نومن ببعض ونكفر ببعض والا
كان في الايمان بالله ايمان بجميع ذلك وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى يحتمل
هذا وجهين يحتمل فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع
لاستوائه الحجة ببعضه ويحتمل فقد استمسك بالعروة الوثقى بنصب اياه بالحجج والبراهين
النيرة التي اعتصم بها لا انفصال لها عنه ولا زوال ثم فيه نقض على المعتزلة لانه

اخبر عز وجل ان من آمن بالله فقد استمسك بكذا والمعتزلة يقولون صاحب الكبيرة مخلد في
النار وهو مومن فاين عروة او هي من هذا على قولهم وان له زوال وانقطاع من ثوابه الذي
وعد له عز وجل بايمانه بالله وتصديقه به وبالله العصمة وقوله سميع لقولهم عليم بثوابهم
او سميع بما قالوا عليم بجزاء ما قالوا والله اعلم وقوله الله ولي الذين امنوا قيل الولي الحافظ
وقيل الولي الناصر وهو ناصر المومنين وحافظهم وقيل سمي وليا لانه يلي امور الخلق من النصر
والحفظ والرزق وغير ذلك يسمى الولي والي لما يلي امور الناس وقيل قوله الله ولي
الذين امنوا اي اولى بهم وحافظهم وهو الذي يكفيهم والطاغوت اولى بالكافرين
كما قال ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه والله اعلم وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور قوله
يخرجهم بمعنى اخرجهم وجائز هذا في اللغة يفعل بمعنى فعل وبمعنى يفعل كما يقال فيهما غير ممتنع عنه
وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات من اول ما ابتدأ نشوهم عليه لانه
كان فيه ثم اخرجهم كقوله [illegible] السموات بعد ما رتقهما ابتداء لئن كانت مجموعة
شيء فيها فقيل ذلك الاول والاية تنقض على المعتزلة قولهم اذ من قولهم ان جميع ما اعطى المومن
من الاخراج من الكفر اعطى مثله الكافر فكانهم يقولون اخرجهم جميعا من الظلمة وعليه اخراج
الكافر ايضا من الظلمات اذ ذلك هو الاصلح له وعليه ان يعطي الخلق ما هو اصلح لهم في الدين
فاذا كان هذا قولهم فهو ولي الكفرة والمومنين جميعا على قولهم وهو بالسبب الذي ذكر الولاية
للمومنين فيجب ان يكون ولي الكفرة فان قالوا انه اضاف الكفر الى الطاغوت وانتم تضيفونه
الى الله عز وجل قيل هو كذلك هو الكذب انا لا نضيف ذلك اليه الكفر انما نقول انه خلق فعل الكفر
من الكافر كفرا وخلق فعل الايمان من المومن فعلا على انه اذ كان هذا في الكفرة فما القول في الفضل
الاول من قولكم ان الله منعم على المومن بشيء لا نعمة فيه على المومن الا بالامر والاقدار ولا اقدار نعمة
موجود للكافر في كفره على قولكم ثم لا نعمة تبقى في الامر والدعاء للمومن الا ويقع مثله للكافر اذ هو
في الامر والدعاء كالمومن سواء ولا قوة الا بالله وليس في القول بانه خالق فعل كل احد على ما عليه
اضافة الكفر اليه بل انما يضاف الخير اليه تماما فيه من الافضال على الشكر له فدل ان له عز
وجل في المومن فضل صنع ليس ذلك له في الكافر والكفر في اللغة الستر وكذلك الظلمة في الستر
يقال كفرت الشيء اي سترته وكذلك يقال لليل كافر لانه يستر ضوء النهار بدونه فيستر الاشياء
عن ابصار الخلق قال الشيخ رحمه الله في قوله الله ولي الذين امنوا الاية دلت هذه الاية
على ان كان من الله الى الذين امنوا شيء لم يكن منه الى الذين كفروا به كانوا به مومنين ولو لم يكن الا
الامر والاقدار او اسباب على ما قالت المعتزلة لكان كل ذلك عندهم الى الكفرة فلا وجه
لتخصيص المومنين بما ذكر وجعل الطاغوت اولياء الكافرين وصنع الله الى كل واحد لم يكن
من الله تلك الزيادة فاذا كان الذي ذكر لهم في انفسهم فلا وجه للامتنان بذلك ومن البعيد
ذكر الامتنان فيما به الالزام والامر وما ذكرت المعتزلة انما هي اسباب الالزام ولولا
ذلك كان [illegible] عنهم واقل الاية نكتة [illegible] بها ثبت ان كان منه فضل ليس ذلك في اعدائه
به استوجب الحمد منهم ولهذا ايضا نال به الخيرات على الشكر له ويوجب الحمد اليه ولا يضاف
اليه الشر [illegible] ليس في ذلك شكر انما فيه الخذلان بما علم من ايثار الكافر عداوته واختياره
الكفر به فلذلك لم يجز الاضافة اليه والاضافة الى الله جل ثناؤه لا يا تبرا الخلق يخرج مخرج
التعظيم له والخضوع من العبد بالحمد له والشكر ولا يجوز مثله فيما ليس فيه ذلك على ما لا يضاف

اليه الا بالخبائث والخبائث والجواهر القبيحة وان كانت من طريق الخلقة جرى عليها تدبيره وخرجت
على تقديره فيلي ذلك افعال الخلق ودل ذلك القول بانه رب كل شيء واله كل شيء ثم على الاشارة
لا يوصف بذلك في الاشياء الخاملة المستحقة بها لفضلة الاول والله اعلم وقوله والله لا
يهدي القوم الظالمين والكافرين ونحو ذلك يخرج على وجوه احدها انه لا يهديهم وقت اختيارهم ذلك
ويكون على ان لا يخلق منهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل من في علمه انه لا يهتدي
فيرجع المراد به الى الخاص ويحتمل لا يهدي طريق الجنة في الاخرة من كفر بالله في الدنيا ويحتمل
لا يجعلهم في حكمهم كقوله ام حسب الذين اسوا وعملوا الصالحات ان نجعلهم الاية وقوله
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذكر ان الكفرة هم اصحاب النار وذكر في اية اخرى ان الملائكة
اصحاب النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة لكنه ذكر الملائكة اصحاب النار لما يتولون
تعذيب الكفرة فيها فسماهم بذلك وذكر الكفرة اصحاب النار لانهم هم المعذبون فيها والملائكة
معذبوهم فيها والله اعلم وقوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه قد ذكرنا ان قوله الم
تر انما يفتتح به الاعجوبة كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل وفيه اباحة التكلم في الكلام والمناظرة فيه والحجاج لانه حاج ابراهيم في ربه ورد على
من يمنع التكلم فيه وينكر ذلك لانا امرنا بدعاء الكفرة جميعا الى وحدانية الله عز وجل والاقرار
له بذلك والمعرفة له انه كذلك وكذلك الانبياء باجمعهم امروا وبدؤوا الى دعاء الكفرة الى
شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فان دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل
على ذلك والبيان عليه والوصف له كما هو والتقرير عنده انه كذا فلا يكون ذلك الا بعد
المناظرة والحجاج فيه لذلك قلنا ان لا باس بالتكلم والمناظرة فيه وفيه دلالة على اباحة المحاجة
في التوحيد وفيه الاذن بالنظر في النظر لانه حاجه ليعلم والله اعلم وقوله ان اتاه الله الملك
قال اهل الاعتزال قوله ان اتاه الله الملك هو ابراهيم لا ذلك الكافر لقوله لا ينال عهدي
الظالمين اخبر ان عهده لا يناله الظالم والملك عهده لكنه غلط عندنا لوجوه احدها ان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم ما عرف بالملك والثاني ان الاية ذكرت في محاجة ذلك الكافر ابراهيم ولو
كان غير ملك وكان ابراهيم هو الملك لم يقدر المحاجة مع ابراهيم اذ لا يحاجه الا من ملك ذلك
انه هو الذي كان الملك والثالث قال انا احيي واميت ثم قيل انه جاء برجلين فقتل احدهما
وترك الاخر فلو لم يكن ملكا لم يتأت له ذلك من بين يدي ابراهيم اذ كان ابراهيم هو الذي اتاه الله
الملك فدل ان المراد به ذلك الكافر ثم الملك يكون في الخلق باحد امرين اما الفضل والقوة
والعز والسلطان والدين واما من جهة الاموال التي يطول عليها والقهر والغلبة فان لم يكن
له الملك من جهة الاول لكان له ذلك بفضول الاموال لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله اعطي الملك يمتحن به كما يعطي الغنى والصحة يمتحن بهما وقوله اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وكان هذا من ابراهيم والله اعلم عن سؤال سبق منه ان قال
له ذلك الكافر من ربك الذي تدعونا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت والا لا يحتمل ابتداء
الكلام بهذا على غير سبق سؤال كان منه وهو ما ذكر في قصة فرعون حيث دعاه موسى الى الايمان
بربه قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى يدل على ذلك الاول وقوله
انا احيي واميت فقتل احدهما وترك الاخر على ما قيل في القصة قال ابراهيم فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب قال بعض اهل الجدل ليس هذا من ابراهيم صرف المحاجة الى

فيه ما كان ابتداؤها ومثله في الظاهر انقطاع وحيد عن الجواب لان من حاج اخر في شيء وناظره
فيه لم يتم حجته وفات تلك الحجة واتمامها الى اخرها فاذا اشتغل بغيرها كان منه انقطاعا عما حمل
وفاؤها فابراهيم اشتغل بغيرها وترك الاول وهو في الظاهر انقطاع لا رجوا به ان يقول انا
افعل كما فعلت وان يقول له ان هذا الحي كان حيا ولكن احي هذا الميت لكنه صلوات الله عليه
فعل هذا ليظهر عجزه على الناس لان ذلك كان منه تمويها وتلبيسا على قومه اخذ به قلوبهم فاراد
ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يظهر عليه من الحجة ما هو اظهر واعجز له واخذ للقلوب والاسماع
اراد ان يريه ان هذا انما قدر عليه بغيره والذي لم يجعل له القدرة عليه لم يقدر عليه ثم ما ثبت
عجزه في احدهما يظهر عجزه في الاخر والله اعلم وقيل بان هذا من ابراهيم انتقال من حجة الى حجة
ليس بانقطاع وهو جائز وقوله فبهت الذي كفر قيل انقطع وتحير وقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين ذكر الظلم لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه حيث هذا اللعين الحجاج في غير موضعه
وقوله او كالذي مر على قرية قيل هو نسق على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم وقيل نسق
على قوله انا احيي واميت لانه بذلك انكر البعث ثم اختلف في المار على القرية قال بعضهم
كافر قال ذلك وقال اخرون لا ولكن قال ذلك مسلم وقال اكثر اهل التاويل هو عزير
فان كان قائل ذلك كافرا فهو على انكار البعث والاحياء وان كان مسلما فهو على معرفة كيفية
الاحياء ليس على الانكار وهو كقول ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي وليس لنا الى معرفة قائله حاجة انما الحاجة الى معرفة ما ذكر في الاية
والله اعلم وقوله وهي خاوية على عروشها قيل خالية عن سكانها وقيل خاوية ساقطة
سقوفها على حيطانها وحيطانها على سقوفها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها هو على ما ذكرنا
وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه اراد والله اعلم ان يريه الاية في نفسه والاية في
اية البعث ويحتمل ان تكون اية في المتأخرين وقوله كم لبثت سأل منه جل وعلا الاجتهاد
بظاهر الحال الذي ظهر عنده ليعلم انه اجتهد بدليل ان بنيه على ما يدرك وسعه فبان ان
المجتهد يحل له الاجتهاد فيما يدرك في ظاهر الحال وان كان حكم ما به الاجتهاد بالمغيب قال
الشيخ رحمه الله واراد بقوله كم لبثت التنبيه كقوله لموسى وما تلك بيمينك يا موسى ليريه الاية
من الوجه الذي هو اقرب الى الفهم ثم جمعه الاعجوبة فيه بوجهين مرة باماتته الحمار الذي من
طبعه الدوام ومرة بابقاء طعامه ومن طبيعته التغير والفساد عن سريع جعل في ابقاء طعامه
وحفظه من الفساد اية ومن طبعه الفساد وفي احياء حماره بعد اماتته ومن طبعه البقاء ليعلم
ما نازعته نفسه في كيفية الاحياء وذلك وهو قوله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
ثم قيل في وجه ما اراه باوجه قيل انه احيى عينيه وقلبه فادرك بهما كيفية الاحياء في
بقية نفسه وقيل احيى نفسه فاراه ذلك في حماره وقيل انه اراه ذلك في ولده لانه رجع شابا
وولده شيوخ وذلك اية قال الشيخ رحمه الله في قوله ولنجعلك اية قال كم لبثت الاية فان قال
قائل كيف ساله عن لبثه وقد علم انه لم يكن علم به وايد ذلك اخباره بقوله لبثت يوما او بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام قيل القول فيه يحتمل وجهين وكذلك القول بقوله كم
لبثت مائة عام احدهما على فوت البقاء اليه ونطق اسمع هو والثاني ان يكون على ان حدثته
نفسه بمدة لبثه في حال نومه فسأل بذلك احوال نومه او اخبر عما عاين من احوال الوقت
الذي كان فيه مما كان ابتداء وقت نومه فقال بالذي ذكر ثم لما تأمل شأن الحمار والشجر عرف

الاحوال قالت له نفسه بل لبثت مائة عام فانظر منظره في حماره وما اداه من تغير احواله ابقاه
الله تعالى على ما ذكر وكل ذلك جرى عما حدثته نفسه حتى تعتمد على التفكر في احواله والنظر فيما جاء
من امر الحمار وكان علم ان ذلك موت شبه لكنه استقل ذلك مما شهدت نفسه بما عاينها على ما كانت
حملها فلما تامل شان حماره علم انه دفع الى ايات عجيبة فرجع الى الله فانباه الله تعالى بالذي وصف
في القرآن والله الموفق ولو كان على القول فان في السؤال عما لبثت السايل حمله المسئول وجهين
احدهما الامتحان على ما به ظهور احوال الممتحن من الاجتهاد في تعرف الحقايق بالاستدلال
او الخضوع له بالاعتراف بقصوره عن الاحاطة به كفعل الملايكة عند قوله انبئوني باسماء هؤلاء
فقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والاول كما فعل صاحب هذا انه قال يوما او بعض يوم ومثله
من اصحاب الكهف والله اعلم والثاني ان يراد بالسؤال التقرير عنده ليكون متيقظا لما
يراد به من الاطلاع على الاية كما قال لموسى وما تلك بيمينك يا موسى الاية وهذا انما كان السؤال
في الظاهر خارج في الحقيقة مخرج المحنة نحو ما ذكرنا في امر الملايكة وامر موسى صلى الله عليه وسلم
فاما السؤال الذي هو في حق السؤال انما هو في حق الاستخبار ليعلم ما عليه حقيقة الحال
بالسؤال لكن الذي ذكرت فيما كان سبيله ان يكون من له الامتحان ولا قوة الا بالله و قوله
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قيل لم يات عليه السنون اي كانه لم يات عليه السنون
وقيل لم يتسنه لم يتغير ولم ينتن والاول اشبه لانه يقال من التغير والنتن لم يتسنن
و قوله وانظر الى العظام كيف ننشزها بالزاي وهو من الارتفاع والنصب وفيه
لغة اخرى ننشرها وهو من الاحياء وننشزها من النشز و قوله فلما تبين له قال اعلم ان
الله على كل شيء قدير بالنصب والخفض ممن قراه بالنصب صرف قوله الى يحيي هذه الى المتكلم
ومن قراه بالخفض صرف الى الكافر يقول الله له اعلم ان الله على كل شيء قدير ويحتمل ايضا منه
الى المتكلم واعلم على الاخبار كانه قال اعلم ما كنت اعلمه غيبا مشاهدة وفي هذه الايات
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذه القصص كانت ظاهرة بينهم ولم يكن له اختلاف
اليهم ولا النظر في كتبهم ثم اخبر على ما كان ليعلم انه انما علم ذلك بالله جل ثناؤه و قوله واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال
بعضهم كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم موقنا بان الله يحيي الموتى ولكن احب ان يعاين ذلك
لان الخبر لا يكون عند ابن آدم كالعيان على ما قيل ليس الخبر كالمعاينة وقيل يحتمل سؤاله
عما قال لما نازعته نفسه وحدثته في كيفية الاحياء وقد تنازع النفس وتحدث بما
لا حاجة لها اليه من حيث نفسه ليقع له فضل علم ومعرفة وقيل ليطمئن قلبي اي ليسكن قلبي
واعلم انك قد استجبت لي فيما دعوتك واعطيتني الذي سالتك وقيل اولم تؤمن اي لم توقن
بالخلة التي خاللتك قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بالخلة وقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي بانك اريتني الذي اردت ويحتمل ان يكون ابراهيم صلى الله عليه وسلم اراد بسؤاله
ان يكون له اية حسية لان ايات ابراهيم كلها كانت عقلية وآيات ساير الانبياء كانت
عقلية وحسية فاحب صلوات الله عليه ان يكون له اية حسية على ما لهم كسؤال زكريا
ربه حيث قال رب اجعل لي اية قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام جعل له اية حسية
عقلية لكن سؤال ابراهيم و قوله فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك معناه وجههن
اليك كقول الرجل صر وجهك الي اي حول وجهك وروي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه

فصرهن قيل هو التقطيع وقيل فصرهن اضممهن و قوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الاية يحتمل ضرب مثل النفقة في سبيل
الله بالحبة التي ذكر وجهان احدهما انه ما ذكر في تلك النفقة تزداد وتنموا على ما ذكر في الحبة واحدة
فصارت سبع مائة و اكثر والثاني قال يربي الصدقات ورداوا الصدقة تتلف وتتلاشى في ايدي
الفقراء فقال لو كنت تربي وهي تالفة فقال يربي كما ان الحبة في الارض تفسد ما تلفت فيها و فسدت
فصارت مائة وزيادة فعلى ذلك الصدقة في طاعة الله والنفقة فيما يربي وان كانت تالفة
وقيل انها منسوخة بالفرايض لكن هذا لا يحتمل لانه نسخ وعد في الاخرة والوعد لا يحتمل النسخ الا ان
يعنون نسخ عين الصدقة بغيرها فاما الوعد فلا نسخ له والله اعلم و قوله والله واسع عليم قيل
غني وقيل جواد يوسع على من يشاء و قوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قال المعتزلة
لعلها خصصوا الجهاد بهذا والله اعلم لان العدو اذا خرجوا لقتال المسلمين خرجوا للشيطان وليسلكوا
سبيله وطريقه والمؤمنون انما يخرجون ليسلكوا طريق الله وينصروا دينه واولياءه لذلك
كان التخصيص له بقولهم والا كان يجوز ان يسمى الطاعات كلها والخيرات سبيل الله لانه سبيل
الله وطاعته كقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الاية و قوله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى قيل منا على الله واذى للفقير وقيل منا على الفقير واذى له ثم قيل من على الفقير
على الفقير هو ما انفق عليه وتصدق واذاه توبيخه عليه بذلك وكذا امتنانه على الله كقوله يمنون
عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان و قوله ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم و قوله قول معروف ومغفرة خير
من صدقة يتبعها اذى قيل قول معروف كلام حسن يدعو الرجل لاخيه بظهر الغيب وقيل قول
معروف يستغفر الله ذنوبه في السر ومغفرة له يغفر له ويتجاوز عن مظلمته وقيل قول
معروف الامر بالمعروف خير ثوابا عند الله من صدقة فيها اذى ومن فان قيل كيف جمع بين
قول المعروف والمغفرة وبين الاذى والمن فقال خير من كذا واحدهما خير والاخر شر وانما
يقال هذا اذا كانا جميعا خيرين فيقال ايهما اخير قيل معناه والله اعلم هذا خير لكم من ذلك وهو
كقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي خير لكم في الاخرة من اللهو والتجارة في الدنيا كرم
وان لم يكن اللهو والتجارة من جنس ما عند الله فعلى ذلك الاول ويحتمل الاية على الابتداء لا على
الجمع هذا اجرا وهذا شرا قال الشيخ رحمه الله وجه ذلك ان الصدقة قربة وهي خير
فاذا اتبعها الاذى ابطلها فيكون قول معروف اي رد جميل للسايل خيرا من اجابته في البذل
ثم الرد بالاذى لان هذا ابقى وان كان لا ينتفع به الاخر والصدقة وان كان ينتفع بها الفقير
والله اعلم و قوله والله غني عن صدقاتكم حليم لا يعجل بالعقوبة عليكم بالمن والاذى وقال
بعضهم المن والاذى ان تقول لقد ابتليتني لا بارك الله فيه لك و قوله لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى والاذى والمن الذي ما ذكرنا ثم جهة البطلان والله اعلم ان الله عز وجل وعد
لمن تصدق الثواب عليها بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
وقال واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وقال في اية
اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وان كانت تلك
الاموال في الحقيقة له اعطاهم الثواب على ذلك فاجراه مجرى الاعيان اخذ شيئا ببدل لا يمن
عليه كالمبادلات التي تجري بين الناس ان لا يكون لبعض على بعض منة اذا اخذ بدله

ما اعطاه او انه بيان ان الامور كلها لله تعالى فانما اعطى ماله وكل من اعطى ما له آخر لا يستوجب ذلك
حمدا ولا شكرا اختلف في قوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس قال بعضهم هو منافق لانهم كانوا ينفقون
اموالهم رياء ودليله قوله ولا يؤمن بالله واليوم الآخر شبه الصدقة التي فيها من واذى بالصدقة
التي فيها رياء وذلك والله اعلم ان الصدقة التي فيها من واذى لم يبتغ بها وجه الله فكان كالصدقة
التي ينفقها للرياء ولا يبتغي بها وجه الله تعالى وقال آخرون كل صدقة فيها رياء فذلك
كافر كان منفقها او مسلما لانه لم يبتغ بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ثم ضرب المثل للصدقة
التي يبتغى بها الرياء والصدقة التي يتبعها المن والاذى بالصفوان الذي عليه تراب وهو الحجر الاملس
فقال كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا الوابل هو المطر الشديد عظيم القطر
وفي ضرب الامثال تقريب ما غاب عن الابصار بما هو محسوس وذلك ان الصفوان الذي به
ضرب المثل والتراب محسوس ومن التراب جعل الاغذية للخلق والدواب ثم الثواب الذي وعد
للصدقة ليس بمحسوس بل هو غائب فعرف الغائب بالمحسوس فقال لما كان التراب الذي به يكون
الاغذية يذهب بالمطر الشديد حتى لا يبقى له اثر كذلك الثواب الذي يكون للصدقة يذهب
ويتلاشى حتى لا يظفر بها بالمن والاذى والرياء كما ذهب المطر التراب الذي على الصفوان فصار
صلدا لا شيء عليه من التراب وقوله والله لا يهدي القوم الكافرين قالت المعتزلة لا يهدي
القوم الكافرين بكفرهم الذي اختاروه وقلنا نحن لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر ويهديهم
وقت اختيارهم الايمان وفي قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى دلالة وحجة
آخر وهو ان يحتمل قوله قول معروف هذه التسبيحات والثناء والحمد والمغفرة ستر ما ارتكب
من المآثم وقوله خير اي احب على البذل من صدقة يتبعها اذى والله اعلم وقوله ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة الآية في الامثال التي ضربها
الله تعالى وذكرها في القرآن وجوه احدها جواز قياس ما غاب من الحكم عن المنصوص بالمنصوص
اذا جمعهما معنى واحد والثاني ان علوم المحسوسات والمشاهدات هي علوم الحقائق وهي
الاصول التي بها يستدل ويوصل الى معرفة الغائب والثالث فيها اثبات رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم وذلك ان العرب كانت لا تضرب الامثال ولا كانت تعرفها في امر الترغيب والترهيب ما غاب
عن حواسهم من امر القيامة ونحو ذلك ثم بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان العرب
كانت لا تضرب الامثال ولا كانت تعرفها وانزل عليه القرآن وذكر فيه الامثال ليذكرهم تلك
الامثال ليعلموا انه انما عرفها بالله عز وجل لانه انشأ هذا القرآن من تلقاء نفسه وذلك من آيات
نبوته ورسالته وعلى ذلك جعل عدم الكتابة له وانشاد الشعر من آيات نبوته لان من عادة
العرب انشاد الشعر والكتابة ويفضلون اربابها على غيرهم لئلا يرتاب هؤلاء فيقولون انه
اخذ من الكتب او اختلق من نفسه كقوله ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون والرابع فيها
دلالة ان الله جل وعلا خالق الدنيا وما فيها من المحاسن والخبائث والاعالي والخسائس حيث
مثل الرفيع بالرفيع والخسيس بالخسيس فدل ان خالق هذه الاشياء كلها هو الله تعالى لا شريك
له ثم شبه الصدقة التي هي لله عز وجل مرة بالربوة من الارض وهي المرتفعة منها ومرة بالحبة
التي تنبت كذا وكذا سنبلة وفي كل سنبلة كذا وكذا حبة ومرة بالاضعاف المضاعفة لقوله
فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله اعلم لما علم عز وجل رغبة الناس مرة في العدد وفي الدنيا ومرة
في النبات المرتفعة ارضها وتربتها ليشوق فيها على غيرهم من الخلائق والنبات ومرة في الكثير

من الاشياء والعظيم منها ورغبتهم عز وجل في الصدقة بما ذكرنا من الاشياء لعلمه برغبتهم فيها ليرغبوا
في ذلك والله اعلم وعلى ذلك حرم الله تعالى هذه الصدقات على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه
كان يرغب الناس في الصدقة لئلا يظنوا به ظن السوء ويقولون انه انما يرغبهم فيها لينتفع هو
بها وقوله وتثبيتا من انفسهم قيل تصديقا كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى وقيل
وتثبيتا اي يقينا بالاخلاص وقيل يتثبتون في مواضع الصدقة وقيل تثبيتا في الصدقة اذا
كانت لله امضى وتصدق بها وان خالطه شيء امسك والله اعلم وقوله فآتت اكلها يعني
الجنة اضعفت في ثمرها في اهل ضعفين حين اصابها وابل كذلك الذي ينفق ماله لله في غير منة
يجزى بها اضعاف نفقته كثواب النفقة او ثلث وقيل يضاعف الله المنفق الاجر مرتين وقوله
فاصابها وابل والوابل قد ذكرنا انه المطر الشديد العظيم القطر وقوله فطل والطل هو
المطر الضعيف وقيل هو الطش من المطر وهو الرذاذ مثل الندى لا تزال الجنة خضراء وآتيا
ثمرها قل او كثر وقوله ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الآية ليس لهذا الخطاب
جواب لان جوابه ان يقول يود او لا يود لكن الخطاب من الله تعالى يخرج على وجوه ثلاثة خطاب
يفهم مراده وقت قرعه السمع وخطاب لا يفهم مراده الا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر وهو
كقوله افلا يتدبرون القرآن الآية وكقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقوله
ويعقلون وخطاب لا يفهم مراده الا بالسؤال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او من له علم في ذلك
كقوله تعالى فاسأل به خبيرا وكقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فاذا كان ما ذكرنا
فيحتمل ان ما ترك من الجواب للخطاب انما ترك للطلب والبحث عنه والتفحص ثم ان هذا الخطاب
يحتمل ان يكون في اهل النفاق وذلك ان المنافق يري من نفسه الموافقة لاهل الاسلام في الظاهر
وهو مخالف لهم في السر وعنده انه يستحق الثواب بذلك وقت الثواب كان كصاحب الضيعة
التي ذكرت في الآية ان صاحبها يغرس فيها الغروس وينبت فيها النبات في حال شبابه وقوته رجاء
ان يصل الى الانتفاع بها في وقت الحاجة والضعف فاذا بلغ ذلك واحتاج جل نيته ويئس الانتفاع
بما فيها فكذلك المنافق الذي كان رغبته لمنافع في الدنيا وسعته لها اذا بلغ الى وقت الحاجة حرم ذلك
وكذلك هذا في الكافر لانه راى لنفسه النفع بعمله لوقت تأمله كصاحب الضيعة ثم عند بلوغه
الحاجة حرم عنه ذلك لاعراض ما اعترض من الآفة وهو كقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية لان الكافر بما يرى من الذين اعابدين لينتفع بتأمله في الدنيا والمؤمن
انما يعبد لينتفع بتأمله وينتفع في الآخرة ومن جاء الكافر في غير موضعه لذلك كان ما ذكرنا
اعلم ثم الامثال التي ضربت ينتفع بها المؤمنون لانهم ينظرون ما في الامثال من المعنى المذموم والموضوع
فيها ثم ينظرون والى اعينها وانما الكفار فانما ينظرون الى اعين الامثال لا الى ما فيها فاستحقروها
واستبعدت عقولهم ذلك لذلك قال لآيات لقوم يتفكرون ويعقلون ووجه ضرب هذا
المثل هو ان الكافر يحرم اجره عند افقر واحوج ما كان اليه كالحرث هذا انفع نبتا به عند افقر
واحوج ما كان اليه حين كبرت سنه وضعفت قوته ولا حيلة له يومئذ وقوله اعصار
قال ابن عباس الاعصار ريح فيها سموم وقيل الاعصار ريح فيها نار تحرق الاشجار وقيل هي ريح
تسطع الى السماء وهي اشد قال الشيخ رحمه الله في قوله ايود احدكم ان تكون له جنة الآية
معناه والله اعلم انه يكون اذ لا يود احد ان يكون له جنة بالمكان الذي وقت قوته وغناه
بقوته عنها وعمرها من وجوه المعاش ثم يحرم نفعها لوقت الحاجة اليها لضعف بدنه وارتكابه

عن الذرية فكذلك لا ترضوا من انفسكم في قوتها وغناها الغفلة عنها لوقت حاجتها الى الاعمال
وقت الاضطرار اليه ثوابها والله اعلم وان يكون المعنى من ذلك اي لا تغتروا بظاهر احوالكم في
الدنيا وبما تنالون من المنافع بالذي اظهرتم من موافقة المومنين كاغترار من ذكرت جنته في
خاص ما عليه كاله الى ان صار الى ما اراه ابن من عاقبته انه يود عند نهاية ذلك ان لم يكن منه
الاعتراض في ذلك ولكن كان قيامه على ما لا يضيع عنده ذلك لتلك الحال فيخرج واي ضرب
المثل للمنافق ويحتمل ان يكون ذلك مثل لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يومن بالبعث ان الذي
ينال بالكفر به من الرياسة والعز كالذي ذكر من صاحب الجنة انه لا يود لكنا لا يبتدأ بما يفعل
تلك العاقبة فعلى ما ينبغي لهذا ان يتعرف عواقب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ يوثروا الذي
نالوا ابتدعهم بشدة تلك العاقبة والله اعلم والمثل خرج في غير ذكر الجواب فيه لما قد جرى
له البيان لجمله بالمبعوث مبينا او بما في الحال التي لها نزول الاية وليل التعريف او بما اراد
الله استمالة السامعين بالتامل في الاية ليبان لكل ذي عقل فضله ويكرم به اهل التدبر في
اياته في صرف وجوه مرده وبعد ليهم في الصدود عن اداتهم والاعتماد على اشارتهم والله اعلم
وجملة ذلك ان افعال ذوي الاخيار تكون للعواقب وما اليه مرجع الفاعل مقصود في الابتداء
فبين لمن اغفل عنه بالذي عرف من حيرة المثل وحسبه لما انكشف له عاقبتها حتى لعله يود
ان لم يكن له تلك ليكون مسرورا بما يحمد عاقبته فعلى هذا امر الافعال التي يغفل عن عواقبها اذا هاك
اليها صاحبها والله الموفق وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا
لكم من الارض فيه دليل وجوب الزكاة في اموال التجارة بقوله ما كسبتم لان اموال التجارة هي
التي تكتسب وليس في كتاب الله بيان وجوب الزكاة في اموال التجارة في غير هذا الموضع وليس
فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر عن بعض الصحابة القول به فيحتمل ان
يكون ما قالوا قالوا بهذه الاية وان ما ذكره الذهب والفضة والمواشي جميعا لها ذكر في
الكتاب والسنة فالزكاة تجب فيها بعينها اكتسب فيها ام لم يكتسب واما اموال التجارة فان
الزكاة تجب فيها بالاكتساب وفيه دليل ان النفقة المذكورة فيه لازمة واجبة لانه قال
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه ذكر الاغماض والاغماض لا يكون في المعروف انما يكون في اللازم والواجب الذي
لا يخرج له عنه الا بالاداء الا ترى انه عفو وصفح والرضا [illegible] الحق ثبت انه على اللزوم وفيه
دليل وجوب الحق في الرطاب والخضراوات لانه ذكر في الاية المخرج والرطاب هي التي تخرج
من الارض واما الحبوب انما تخرج من الاصل الذي تخرج من الارض لذلك كان الرطاب والخضراوات
بوجوب الحق من غيره بظاهر الاية قال الشيخ رحمه الله والوجوب في الحبوب بما كانت تخرج
من الطروق والحقوق فبظاهر هذه الوجوه في التي تخرج من الارض واما ابو يوسف ومحمد رحمهما
الله فانهما قالا يحتمل قوله اخرجنا لكم من الارض فيه من الاصل الذي تخرج لكم من الارض كقوله
قد انزلنا عليكم لباسا يواري ولا ينزل من السماء اللباس كما هو ولكن اراد الاصل الذي به يكون
اللباس هو كذلك قوله خلقكم من تراب ثم من نطفة خلقنا من التراب وانما خلق الاصل من التراب وهو
ادم فعلى ذلك الاول والله اعلم والوجه فيه ان من الله علينا بما اخرج لنا من الارض من
انواع ما اخرج بحبة تلقى في الارض فتفسدها فيخرج منها النبات بلطفه لا صنع لاحد فيها
وتكون المنة لا تكون في اربابها خاصة دون الفقراء بل هي في الفقراء كهي في اربابها لانه اخرجه
[illegible] فكل نفسه حق الفقراء والاغنياء جميعا ومن ثم جاء وجوب العشر على الصغار الى قوله

اذا يتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قيل انتم تنبتونه ام نحن المنبتون
واما ما نقل العبادات فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ وغيره لذلك كان ما ذكرنا والله
اعلم وفي قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه
دلالة على انه لا يتصدق بالردي عن الجيد فاذا تصدق به يلزم فضل ما بين الردي الى الجيد
على قول محمد رحمه الله بظاهر قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه وعند ابي حنيفة رحمه
الله يجزي ولا يحتاج له ذلك وذلك ان الله تعالى اطمع الناس قبول ذلك اذا انفقوا وصدقوا
منه واحق ان يطمع فيها القبول لكرمه ولطفه ولانه ليس لصنعه ما يكال او يوزن من نوعه
قيمة فاذا لم يكن له قيمة لا يلزم فضل الصفة وقوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
قوله يعدكم الفقر في الدنيا بالتصدق والانفاق ويامركم بالفحشاء بترك الصدقة بخلا ويحتمل
يعدكم الفقر في الدنيا بطول الامل وفناء المال ويامركم بالفحشاء بعموم النطق بربه والله
يعدكم مغفرة بالصدقة وفضلا وذكرا في الدنيا ويحتمل قوله والله يعدكم مغفرة في الاخرة
وفضلا في الدنيا يعني خلفا وقيل مغفرة لكم لفحشائكم وفضلا لفقركم وقوله والله واسع عليم
اي غني يقدر اخلاف ما انفقتم عليم بجزاء صدقاتكم ويحتمل ما تنفقون من الصدقة والحسنة وفي
قوله والله واسع عليم وغني حميد ونحوه ليعلموا انه امر عباده بالصدقات والنفقات
ابتلاء ومحنة منه لا حاجة ولا فقرا وقوله يوتي الحكمة من يشاء قيل الحكمة في هذا الموضع معرفة
القرآن وتفسيره وهو قول ابن عباس وكذلك روي مرفوعا وقيل الحكمة الفهم في القرآن وقيل
الحكمة الفقه وقيل النبوة وقيل الحكمة هي الاصابة وفيه دليل جواز الاجتهاد وانه مصيب في
اجتهاده قال الشيخ رحمه الله في قوله يوتي الحكمة من يشاء اختلف في تاويل الحكمة في هذا قال
قوم هي القرآن وهو على ما وصفه نورا وهدى وروحا وشفاء والنور هو الذي يبصر به حقائق
الاشياء وبالهدى يدرك كل حق ويتقي كل تلف وبالروح يحيى كل ذي روح وبالشفاء يبرأ كل سقيم
ويزال كل افة والذي هذا وصفه فهو الخير وبالله التوفيق وقال قوم الحكمة هي الاصابة لحقيقة
كل شيء وبها يتقى كل شر وينال كل خير وذلك هو الخير الكثير وبالله العصمة وقال بعضهم الحكمة
هي ادب الله الذي اكرم رسوله صلى الله عليه وسلم بالذي من سلكه نجا ومن حاد عنه غوى ذي الاعقل
فقيل الحكمة في التحقيق وضع كل شيء موضعه ودفع كل حق الى محقه ولهذا قال بعض الفلاسفة
في حد الحكمة انه العلم والعمل بالعلم في وضع الاشيا مواضعها والعمل في ايصال كل ذي حق
الى محقه وقيل هي من احكام الامور وانما ذلك متقارب لما يضاد الحكمة السفه وهو
التفاوت في الفعل والاضطراب في الامور والله اعلم وقال قوم الحكمة في القرآن هي فهم
الحدود والتدابير وهو الذي به يدرك الموافقة والمخالفة من طرق الحقائق لا من جهة
الظواهر وذلك علم الحكماء ودعاة الدين ولا قوة الا بالله وقال قوم هي الفطنة والفقه معرفة
الشيء بمعناه الدال على نظيره وهو الذي به يوصل الى معرفة الغائب بالشاهد والغامض بالظاهر
والفرع بالاصل ولا قوة الا بالله واي هذه الوجوه كانت الحكمة فذلك الوجه يجمع خير الدارين
لو حفظ حقه والذي هذا وصفه فهو الخير الكثير وبالله المعونة وفي الاية دلالة ان الله لا يوتي
كلا الحكمة وان الحكمة وان كانت فضلا للحكيم فيما عطاه الله نالها وانه لا يجوز ان يعطيها احدا ثم
لا ينالها المعطي وهذه الوجوه كلها تخالف راي المعتزلة وقوله فقد اوتي خيرا كثيرا من
حفظ النفس في الدنيا عن جميع الافات وفي الاخرة من دفع العقوبات وما يذكر في هذا الا

١٨٤

لعلوا الالباب يعني وما يتعظ بما ذكر الا ذوو الفهم والعقل وفي الاية نقض قول المعتزلة
لانه قال يؤتي الحكمة من يشاء ثم قال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولو كان اعطى الحكمة
الحكمة اعطايؤتي بعضا دون بعض فلو كان على الله ان يعطي الاصلح في الدين لكان قد اتى الكل
ويبطل التفضيل ومن قال يؤتي غيرها فكان خلاف ما في الكتاب وقوله وما انفقتم من
نفقة او نذرتم من نذر يحتمل نفقة المحارم ويحتمل النفقات التي تجري بين الخلق ويحتمل
المفروض من الصدقات ويحتمل غيرها ثم روي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله او نذرتم من نذر قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في
معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لم يطقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا
اطاقه فليف به فيه تنبيه وتذكير ان الله يعلم ما يضمرون فيحذرهم ويحسبوا في النفقة
ويخلصوا في النذر ويوفوا به وقوله فان الله يعلمه قيل يقبله وقيل يأمر بوفائه ويحتمل
قوله يعلمه اي يعلم ما وفيتم منه فيجزيكم على ذلك ويحتمل يعلمه ما اردتم بصدقاتكم ونذوركم
وقوله وما للظالمين من انصار في الاخرة يعني يمنع يجيرهم من العذاب وقيل ما للظالم
من شفيع يشفع لهم ولا نصير ينصرهم لانه ما من ظالم الا وله في الدنيا ظهير وقوله
ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال بعضهم هي
الفريضة وقال اخرون هو تطوع وهو اوجه وقال غيرهم قوله ان تبدوا الصدقات
هي الفريضة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء هي التطوع قال الشيخ رحمه الله لا يحتمل
الاخفاء في التطوع والابداء في الفرض لما اخبر في الاخفاء انه خير ولا يكون التطوع خيرا من
الفريضة ومن حمله على الفريضة يستحب ان يظهروا الزكاة المفروضة ليقتدوا به ويرغبوا
الناس فيها ومنهم من يستحب الاخفاء ايضا ويقولون في الابداء شيئان الصدقة نفسها
والابتداء وفي الاخفاء وجوه احدها الصدقة والاخر ترك المراءاة وسلامتها والثالث
الكف عن المن والاذى ومنهم من حمل قوله ان تبدوا الصدقات على الفريضة وان تخفوها
على التطوع وذهب الى ان الفريضة ليس فيها الرياء لانه شيء عليه فسؤاله فيها الاظهار والابدا
واما التطوع ففيه الرياء لانه معروف ليس عليه والاخفاء له اسلم والله اعلم وقوله والله بما
تعملون خبير فيه وعيد وتحذير انه يعلم ما تسرون وما تعلنون في الصدقة ويحتمل تعملون
خبير من جزائكم للصدقة وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله ان تبدوا الصدقات الاية
جعل الله تعالى صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل
في الاشياء كلها وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقة السر تطفئ غضب
الرب وصنائع المعروف تدفع مصارع السوء وصلة الرحم تزيد في العمر وعن الحسن قال
الاخفاء في العمل اتقى من العلانية وذلك ان العبد ليعمل العمل سرا فيكتب له عمل السر فلا يزال به
الشيطان حتى يخرجه من عمل السر الى عمل العلانية ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب ان يحمد حتى
يكتب من عمل العلانية في الرياء وقوله ويكفر عنكم من سيئاتكم فيه دليل ان من السيئات ما يكفرها
الصدقة ومنها ما لا يكفر وقيل ان من ههنا صلة فيه الجماع تكفير السيئات كلها بالصدقة كقوله
ان الحسنات يذهبن السيئات وفيه على المعتزلة لا يغفر لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة
منها ولا التعذيب على الصغائر فاما ان كانت الاية في الكبائر فبطل قولهم لا يكفر بغير التوبة

او

١٨٤

او في الصغائر فيبطل قولهم انها مغفورة اذ وعدت بالصدقة لا انه يخلد صاحب الكبائر
في النار والله تعالى اطمع له تكفير السيئات كلها بالصدقة والله الموفق وقوله ليس
عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء اخبر الله نبيه عليه هداهم وعليه البيان والتبليغ
فدل انه هناك فضل هدى لا يملك هو ذلك وهو التوفيق على الهدى والتحقيق له وهذا
يرد على المعتزلة وتكذيب قولهم ان كل الهدى البيان اذ لو كان كل الهدى بيانا لكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يملك ذلك اذ عليه البيان فدل انه لا يملك الهدى المراد في الاية فهو ما ذكرنا
من التوفيق ويحتمل قوله للنبي عليك هداهم اي جواب ترك اهتداءهم كقوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وانما عليك البلاغ وقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم من خير
اي من مال فلانفسكم يعني فلانفسكم الثواب وقيل قوله فلانفسكم يعني منفعته لكم وفي قوله وما
تنفقوا من خير فلانفسكم دلالة على ان الفقراء كانوا يتحرجون بالتصدق على اقربائهم من الكفار خشية
ما يقع من التعاون على ما اعتقدوا من الدين اذ المكاسب لكل اهل دين انما يقع من العقلاء امكانه
ما ينفقون به لاجل الدين فبين جل وعلا ان ذلك يقع لكم ولانفسكم وتكفير ما ارتكبتم ثم في الاية
دلالة جواز الصدقة على الكفار وقيل جواز دفع الكفارات اليهم بقوله وما تنفقوا من خير
فلانفسكم ثم وقيل لا حسابا لانه جعل هذه الصدقة منكرة وقوله يوف اليكم يعني يوفر
عليكم ثواب صدقاتكم وان كان التصدق على الكفرة وقوله وانتم لا تظلمون في حرمان الثواب
والجزاء وقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله قيل في سبيل الله اي من سبيل الله يعني
حبسوا انفسهم عن الجهاد كقوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والعرب تستعمل حروف
الخفض بعضها موضع بعض ويحتمل قوله احصروا في سبيل الله اي حبسوا انفسهم في طاعة الله
لا يجدون ما يتجرون ولا ما يحترفون ولا ما يكسبون وقوله لا يستطيعون ضربا في الارض
للتجارة وقوله لا يسألون الناس الحافا يحتمل وجهين اي لا يظهرون السؤال اي لا يسألون
كقوله لا تنفعها شفاعة اي لا يشفع لهم فان كان على السؤال فانهم اذا سألوا لم يلحوا وليله
قوله صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر
ثم ذكر في الخبر من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله وان كان على التعفف ففيه
اباحة التعفف بعض بين يدي اهل الجود والسخاء وقوله تعرفهم بسيماهم يعني بسيما التخشع
وقيل بسيما الفقر لا يسألون الناس الحافا يعني الحاحا وقيل تعرفهم بسيماهم اي بتحملهم
لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا ولا غير الحاح وقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم كذا قيل هي النفقة على الخيل المحتبسة للجهاد
ينفقون ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيه ولا سمعة وعن علي وابي امامة رضي الله عنه
هي النفقة على الخيل في سبيل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في علف الخيل النفقة
عليها وقيل نزلت في نفقة عبد الرحمن بن عوف في جيش العسرة وقيل نزلت في علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه لم يكن يملك من المال غير اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي حملك على
هذا قال حملني ان استوجب على الله الذي وعدني فنزلت فيه هذه الاية وقيل نزلت في ثابت
ابن قيس بن شماس الانصاري فلا ندري فيمن نزلت ولا يسعنا الا معرفة المنزل شانه وحاجة
سويه انه وصفهم بالجود والسخاء ونفقتهم على الناس ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها

ولا منّ ولا اذى وفيه نفي الرياء عن نفقتهم لان من عوّد نفسه البذل في جميع الاوقات لم يرائي
وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان نعيم الدنيا مشوبة بالحزن والخوف فاخبر ان نعيم
الآخرة لا يشوبه حزن ولا خوف لذلك كان ما ذكره الله اعلم قوله الذين يأكلون الربا قال
بعضهم ليس في حقيقة الاكل ولكنه كان في الاخذ كقوله واخذهم الربا وقد نهوا عنه فاذا كان
هذا في الاخذ فقوله لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس هو في التمثيل ليس
في التحقيق وقال آخرون هو في نفس الاكل وما ذكر من العقوبة لما اكلوا من الربا لا يقوم يوم
القيامة الا كما يقوم المجنون المخنق وقال غيرهم ذلك لاستحلالهم الربا وتخبيطهم الله عز وجل
في الحكم في تحريم الربا بقولهم قالوا انما البيع مثل الربا ثم قوله ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا
فيه دليل جواز القياس في العقل لانه لو لم يكن في العقل جواز لم يكن لقولهم انما البيع مثل الربا
معنى لكنهم لم يعرفوا معنى المماثلة ثم المماثلة في وجهين مماثلة اسباب ومماثلة احوال
فالمماثلة التي هي مماثلة احوال هي ابتداء محنة من الفعل لا قياس على غيره يجوز ان يقال افعل او لا
يقال افعل لا قياس على المعقود ولا المعقود على القياس انما هو محنة لا يلزم غير المخاطب
به واما مماثلة الاسباب فهي مماثلة الايجاب يجوز ان يقال حرم المسكر في الحال فحيث ما وجد المسكر
حرام لانه يجني في العقل فكل ما يجني عليه فهو محرم التناول منه وقوله انما البيع مثل الربا
يقولون لما جاز ان يباع ثوبا يساوي عشرة باحد عشر كيف لا يجوز ان يباع عشرة باحد عشر
وقيل كان الرجل منهم اذا حل ماله على صاحبه طلبه فيقول المطلوب للطالب زدني في الاجل
وازيدك على مالك فيفعلان ذلك فيعلان فيه فاذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء الزيادة
في البيع والزيادة عند محل البيع فاكذبهم الله تعالى في ذلك وقال ليس هكذا او يحتمل
فيه ابتداء حرمة ان احل ما هو بيع لا ما هو ربا ثم قوله واحل الله البيع وحرم الربا فلقائل ان يقول
انما يحرم منه قدر الربا اما العقد فانه يجوز لما ليس فيه ربا لكن الاصل عندنا فيه ان الدرهم
الزائد يأخذ كل درهم من العشرة فيشيع منه جزءا من اجزاء كل درهم منه فلا سبيل الى امضاء
العقد لاختلاط اجزائه كل درهم من الذي فيه العقد وهو ربا وفيه وجه آخر وهو انه خرج الكلام
على قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا يرد ربا من المال في عقد قد مضى ثم معرفة الربا من
غير الربا ما ليس بالاه يدل عليه دلالة ان حرمة الربا كان ظاهرا عندهم حتى حكموا وكان حرمته
فيما بينهم كهو فيما بين اهل الاسلام لذلك قال ابو حنيفة انه لا يجوز بيع الربا فيما بين اهل الاسلام
وبين اهل الذمة فعلى ذلك خرج الخطاب منه جل وعز بقوله لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة
قوله فمن جاءه موعظة من ربه قيل بيان تحريم الربا وقيل من جاءه نهي في القرآن من وجه
في تحريم الربا فانتهى عن الربا ويحتمل الموعظة من التذكير لما سبق منه فيتذكر فيرجع عن صنيعه
وقوله فله ما سلف قيل بوجهين قيل ما سلف له في الجاهلية صار مغفورا له وهو كقوله
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل قوله ما سلف وذلك ان الكافر اذا تاب ورجع عن
صنيعه يرجع لا ان يعود الى فعله ابدا ويندم في كل سيئة ارتكبها فيجعل الله كل سيئة كانت
منه حسنة وهو كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله وامره الى الله الى حادث
الوقت ان يعصمه وقوله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان بعض المعتزلة
استدلوا بهذه الآية لاهل الاسلام بما ذكر فيه من الخلود ولكن هذه الآية على الاستحلال فعلى ذلك
العود اليه على جهة الاستحلال يدل عليه قوله والله لا يحب كل كفار اثيم ما ثبت له الكفر

بالذي كان منه في الابتداء وهو الاستحلال كذلك العود اليه وقوله يمحق الله الربا ويربي
الصدقات قيل يمحق يهلك وقيل يبطل ولكن اصل المحق هو رفع البركة وذلك ان الناس
يقصدون جمع الاموال واليسر بها لينتفعوا بها واولادهم من بعدهم اشفاقا عليهم وكذلك
يمتنعون عن التصدق على الناس فاخبر الله تعالى ان الاموال التي جمعت من جهة الربا ان لا ينتفع
اولادهم بها وهو الامر الظاهر في الناس واخبر ان الصدقات التي لا يمتنعون عن الانفاق
عنها يربي ويخلف لاولادهم اذا تصدقوا ويمحق الربا ويرفع البركة عنها حتى لا ينتفع اولادهم
بها وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا
بورك لهما فيه وان كذبا وكتما محقت عنهما البركة وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الآية ظاهرة وقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين
قيل فيه بوجهين قيل قوله وذروا ما بقي من عمركم الربا اذا صرتم مؤمنين وقيل وذروا ما بقي
من الربا الذي لم تقبضوا ان كنتم مؤمنين وفي الآية دلالة ان الربا الذي لم يقبض اذا ورد عليه
حرمة القبض انتقضت لذلك قال اصحابنا ان فوت القبض عن المبيع يوجب فساد العقد
كما كان فوت قبض الربا في ذلك العقد اوجب منع قبض الربا والذي يدل عليه قوله وان تبتم
فلكم رؤس اموالكم فاوجب نقض فيه حتى اوجب رد ما بقي والآية دليل من وجه آخر وهو ان
جعل حدوث الحرمة المانعة للقبض يرتفع به العقد في فساد العقد فعلى ذلك يجعل حدوث
يجيء في عقد معقود قبل القبض كالمعقود عليه في استيجاب حصته من الثمن وقوله وذروا
ما بقي من الربا وقوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم فيه دلالة ان ما جرت بين اهل الاسلام واهل
الحرب من المداينات والمعاملات ثم اسلموا يرد ما اخذوا قهرا لا برد وذلك ان الربا
الذي قبضوا قبضوا بلا برد فلم يؤمر برده فعلى ذلك ما اخذوا قهرا اخذوا بلا برد لم يجب
رده واما ان امثل المال فانما اخذوا للرد فعلى ذلك ما اخذ بعضهم من بعض دينا او قرضا وجب
رده ففيه دليل لقول اصحابنا على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله عن ابن عباس رضي الله عنه قال من كان مقيما على الربا مستحلا له لا ينزع عنه
حق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع عنه والا ضرب عنقه وقوله فاذنوا فيه لغتان
بالقطع والوصل فمن قرأ بالقطع فهو على الامر بالاعلام المستحلة انه يصير حربا له بالاستحلال
ومن قرأ بالوصل فهو على العلم فكانه قال للمؤمنين انه حرب لنا وقوله لا تظلمون ولا تظلمون
عن ابن عباس رضي الله عنه قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون اي لا تظلمون
فتربون ولا تظلمون فتنتقصون وقتادة يقول يبطل الربا ويبقى رؤس الاموال وقوله
وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة عن ابن عباس رضي الله عنه الى ميسرة قال هو
المطلوب وهو في الربا وفيه دلالة جواز التقلب في البيع الفاسد لانه جعل لارباب الاموال
النظرة الى ميسرة من عليه المال فلو كان له حق اخذه حيث ما وجده بعد ما تناسخت الايدي
او كان له حق تضمين من هو اغنى لم يكن لانظار المعسر الى وقت الميسرة معنى ولكن يختار تضمين
الموسر وهو اغنى هو اذا كان يقدر فله خصومته واذا كان بشرط سقط خصومته كما تقول
فيمن تكفل عن معسر او عن اجل ثم التكفل انما تكون بالاختيار ومن له الحق لانه يكون هكذا
ذا ميسرة او الى دليله قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق اليد واللسان اما اللسان فيتقاضاه
واما اليد فيلازمه ويحبسه لكنه اذا اجل قطع على نفسه حق اللسان واليد الى ان يعني ذلك

الوقت فاذا مضي ذلك الوقت ثبت له من اللسان واليد وقوله وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون
يعني برؤوس الاموال اذا ظهر اعساره وعن الضحاك قال في قوله وان تصدقوا خير لكم قال اخذ راس
المال حسن وتركه احسن وانما الصدقة على المعسر فاما على الموسر فلا وفيه دليل جواز صدقة
الدين وهبته ممن عليه ولمن لا عليه الا اذا ظهر اعساره وفقره والله اعلم وقوله
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية قال عامة اهل التاويل ان هذه الاية اخر ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك روي عن ابن عباس فانه كان ما ذكروا فهو والله اعلم
انه وجههم في ذكر ذلك اليوم لما في ترك ذكره يطول الامل وطول الامل يورث الحرص والحرص
يورث البخل ويشغله عن اقامة العبادات والطاعات فاذا كان كذلك فاحق ما ختم به القران
هذا لئلا يتركوا ذكر ذلك اليوم فيسقطوا عن منزلة الثواب والجزاء والله اعلم قال الشيخ
رحمه الله ويصير كانه قال اتقوا عبيد الله في جميع ما بعدكم وما لزمكم من الحق وقوله
اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فيه دليل جواز السلم من قوله اذا تداينتم بدين لان المداينة هو
من فعل اثنين وهو السلم نفسه لانه دين من الجانبين جميعا وعلى ذلك روي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال اشهد ان السلم المضمون مما اجازه الله في كتابه ثم تلا هذه الاية اذا قبض احد
الجانبين وقال اخرون قوله اذا تداينتم بدين هو بيع كل دين الى اجل مسمى فهو يسمى التداين
كما يسمى البايع والمشتري المتبايعان لان كلا منهما بايع في وجه ومشتري في وجه فعلى ذلك
المداينة والتداين والله اعلم وقوله الى اجل مسمى فالعرف في الاسلاف عند الناس ان لا اجل
عن الاجل فصار الاجل بالعرف شرطا في جواز السلم وان لم يوجل لان التاجيل لا يسلم السلف
ليوديه بحالة الاسلاف لان الحاجة هي التي تحمله على الاسلاف فهو انما يسلف ليوديه في وقت
باله لانه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج الى غيره ولكنه يبيعه فيصل الى حاجته ولا يتحمل المونة
العظيمة فصار بالعرف كانه باجل فيفسد لترك بيان الاجل والله اعلم وعلى ذلك روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم
ثم امر عز وجل بالكتابة في التداين بقوله فاكتبوه وذلك والله اعلم لانه وصل الى حاجته
بقبض راس المال والاخر لم يصل فلعل ذلك يحمله على انكار الحق والجحود فامر عز وجل بالكتابة
احترازا عن الانكار والجحود للحق له لانه اذا تذكر انه كتب واشهد عليه يرتدع عن الانكار والجحود
فهو كما ذكرنا في قوله ولكم في القصاص حياة لانه اذا ذكر انه يقتل ارتدع عن قتل غيره فكذلك
اذا ذكر انه مكتوب عليه يمتنع عن الانكار والجحود لما يخاف ظهور كذبه وفضيحته على الناس
والله اعلم ولا كذلك بيع العين بالعين لان كل واحد منهما لا يصل الى حاجته الا بما يصل به الاخر
فليس هنالك للانكار معنى لذلك لم يومر بالكتابة في بيع الاعيان وامر في المداينات والله اعلم
ويحتمل الامر بالكتابة في التداين وجه اخر وهو يجوز ان يغني فينكر ذلك او ينسى بعضه ويذكر بعض
فامر بالكتابة لئلا يبطل حق الاخر بترك الكتابة ولا كذلك بيع العين لذلك افترقا قال الشيخ
رحمه الله والنسيان يعقب التنازع والمنازعة توجب التخالف وفيه الفساد فامر بالكتابة
لدفع ذلك وللوفاء بالحق ودفع الخصومات والله اعلم ولا يحتمل ان يغني من الكتابة والكتون
ماينه ان يحفظ الحق ولمن له تركه كذلك له ان لا يقبضه مع اليت هي في عقد او فسخ فتكلم فيها
بوجوب واختيار انما هي احتياط للمحق لله فيفعل ذلك والله اعلم ثم اختلف في الكتابة قال
بعضهم هي واجبة لازمة واستدلوا على وجوبها بقوله الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم

فليس عليكم جناح الا تكتبوها اخبر برفع الجناح في التجارة الحاضرة فلو كانت في المداينة غير واجبة
لم يكن لرفع الجناح فيها معنى ندل ان الكتابة لازمة في المداينة حيث رفع الجناح في الحاضرة فيها واما عندنا
فهي ليست بواجبة لانه قال عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة ثم قال
فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته ذكر الرهن بدلا عن الكتابة ثم ذكر ترك
الرهن بالائتمان فاذا كان له ترك الرهن بالائتمان وهو بدل الكتابة فعلى ذلك له ترك الكتابة بالائتمان
اذ كان اصله مفروضا لم يحتمل تركه بدله بالائتمان فاذ كان ذلك له دل انه ليس بمفروض
ولا لازم والله اعلم وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل يحتمل ان الكاتب مامون عليه
يؤدي حق ما اوتمن فيه لا يزيد على ما املي عليه بالنصيحة واداء الامانة وهكذا الواجب
على كل من حكم بين اثنين ان يحكم بالعدل والنصيحة واداء الامانة كقوله واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل وكقوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله
ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب قال بعضهم هذا وذلك ان الكتبة كانوا في
صدر الاسلام قليلا فنهوا عن ترك الكتابة اذ في ذلك بطلان حقوق الناس وذهابها واما
اليوم فلا باس بالاباء عنها لما يجد من يكتب له بالاجر فلا يبطل حقه وفيه وجه اخر وهو ان قوله
ولا ياب كاتب ان يكتب اي لا ياب الكاتب اذا كتب ان يكتب بالعدل اي لم ترك الكتابة لكنه
اذا كتب لا يكتب الا بالعدل والله اعلم وقوله كما علمه الله هو على المعتزلة لانهم يقولون
يكتب وان لم يعلمه الله والله عز وجل اخبر انه يكتب بتعليم الله اياه ولو كان التعليم من الله
اياه الاسباب لم يكن لقوله وما علمناه الشعر معنى لانه قد اعطى اسبابه والعدل ما ذكرنا ان
لا يزيد على الحق ولا ينتقص منه واصل العدل هو وضع الشيء موضعه وقوله وليملل الذي عليه
الحق ما عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا اي لا يملي على الكاتب اقل من حقه
ولا ينقص منه شيئا فيه دلالة ان القول قوله في قدر الحق حيث اوعد فيما يملي على الكاتب ان
لا ينتقص من حق الطالب شيئا وقوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع
قال قايلون هذا كله واحد السفيه والضعيف والذي لا يستطيع ان يمل وقال
اخرون بل هو مختلف السفيه هو الصغير على وليه والضعيف هو المرتبك الذي لا يقدر ان يملي
والذي لا يستطيع هو الجاهل الذي لا يعرف ان يملي ثم اختلف في الولي قال بعضهم الولي هو
صاحب الحق يملي بالعدل بين يدي من عليه الحق لئلا يزيد على ذلك شيئا فان زاده او نقصه انكر
عليه صاحبه وقال اخرون الولي هو ولي الصغير او ذو النسب منه ثم المسئلة في الحجر
قال ابو حنيفة رحمه الله الحجر لا يمنع عقوده وقال محمد بن الحسن لا تجوز عقوده ولكن الولي
هو الذي يتولى ذلك استدلالا بظاهر قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا
يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل فانما جعل الاملاء الى الولي لا اليه ولو كان يجوز ذلك
املاؤه لكان لا معنى لجعل ذلك الى غيره دل انه لا يجوز واما ابو حنيفة رحمه الله فانه ذهب
الى انه يجوز بقوله اذا تداينتم بدين اجاز تداينه فدل ان الحجر لا يمنع العقد عليه ولان البينة
ولان السفيه لم يستفد الاذن من السلطان انما استفاده من الله تعالى ولا يجوز حجر من لم
يستفد الاذن منه وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم لم يجعل الاشهاد شرطا في
جواز البيع ولكنه معطوف على قوله فاكتبوه امر عز وجل بالاشهاد في البيع والتداين للمعنى
الذي ذكرنا ان ترك الاشهاد والكتابة يحمله على الانكار وجحود الحق فاذا كان هنا لك شهود

وكان يمتنع عن الانكار لخوف ظهور الكذب ولم يصر شرطا في جواز التداين لان الاشهاد انما
ذكر بعد المداينة والمبايعة وكذلك الكتابة فيه لما ذكرنا ان الانسان من طبعه النسيان والسهو
فامر بالاشهاد والكتابة لئلا ينسى او يحمله ترك الاشهاد والكتابة على الانكار واما الامر
بالاشهاد في النكاح في عقد النكاح نفسه ودليله قوله لا نكاح الا بشهود لذلك صار شرطا في عقد
النكاح ولم يصر شرطا في المبايعة ووجه آخر وهو ان الشهادة في النكاح لدفع تهمة الزنا
عنهما وقد يحتاج اليه في اول احوال العقد والحاجة الى الشهادة في البيع الى ما يعقب فيه من توهم
وقوع التنازع اذ له بذل ملكه بلا عوض من غير عقد بيع وليس لها بذل الاستمتاع لها من غير عقد النكاح
لذلك صار الاشهاد شرطا في جواز النكاح ولم يكن شرطا في البيع والله اعلم. قوله
واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان في الاية دلالة على ان القضاء
بالشاهد واليمين لا يجوز بخلاف ظاهر الكتاب وهو ايضا خلاف السنة لان قوله واستشهدوا والنص
على الاشهاد انما هو للاحتياط والشهادة اذا الحجي لا يقع في الاشهاد وانما يقع عند الاستحقاق ولو
كان يجيء بيمينه عنه لم يأمر المرأتين بهتك سترهما لان الاية ذكرت حجة القضاء في المبايعات
الواقعة والاحكام التي سبيلها لزوم القضاء بالقضايا بين اربابها من جعل فصل القضاء بالشاهد
واليمين جعل على خلاف ما جعله من له نصب الشرائع والحجج وقال الله ولا يشرك في حكمه احدا
واما مخالفة السنة فقوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه فاذا
اتى بشاهد واحد لم يخرج الآخر من ان يكون مدعى عليه فاذا كان كذلك وقد جعل النبي صلى الله عليه
وسلم حجة المدعى عليه اليمين ولم يجعل اليمين حجة المدعي فلذلك قلنا انه المخالف لظاهر الكتاب
والسنة ولان الله تعالى جعل المرأتين في حال الضرورة وهو حال عدم الرجل مقام رجل لذلك الرجل
فلو كان يجوز القضاء بالشاهد واليمين لم يحتج الى ان يكلف النساء من الخروج الى ابواب القضاة
والسلاطين لاداء الشهادة وفي ذلك هتك الستر عليهن وكشف عورتهن وتكلف القضاة بفضل
التفحص عن حالهن ومعرفتهن لذلك بطل القضاء بالشاهد واليمين والله اعلم فان قيل روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قضى به قيل انه لم يبرز ان له فيم قضى في الاموال او في غير الاموال
فان ثبت انه فيم قضى لكنا نقضي به ثم قال الصحابة انه قضى بالشاهد واليمين في الامان ونحن
نقضي ببعض احكام الامان بالشاهد الواحد اذا كان عدلا واليمين باب ما يحتاط فيه اذا شهد
شاهد انه آمنه لم يقتل ولكن يسترق واما الاموال فان الاحتياط في ذلك ترك القضاء الا ان
يقوم الحجة التي تزيل الشبهة من جميع الوجوه وبالله التوفيق واما شهادة النساء فانها جائزة
في الاموال وفي غير الاموال الا في الحدود خاصة فانها غير مقبولة واما جوازها في غير الحدود
لان الله تعالى ذكر التداين وذكر في التداين الاجل والاجل ليس بمال ثم اجاز شهادة النساء في التداين
وفي الاجل الذي ليس هو بمال دل ان علة جواز شهادتهن ليس هو المالية نفسها وأجيزت
شهادة النساء فيما لا مالية فيه وهو الاجل فظهرت ان ليس المالية واما بطلان شهادة النساء في
الحدود فلان شهادة النساء انما اجيزت بحكم البدل عن شهادة الرجال والابدال في الحدود غير مقبولة
نحو الوكالات والكفالات فعلى ذلك شهادة النساء لما كانت جوازها بحكم البدل لم يقبل ولان النساء جبلن
على السهو والغفلة ونقصان العقل والدين لقوله انهن ناقصات العقل والدين فاذا كان كذلك
اورث ذلك شبهة في الحدود والحدود مما ينبغي فيها الدرء لذلك لم يقبل والله اعلم ولان
شهادة النساء انما ذكرت به الاعلام والاعلان لا الاشهار فعلى ذلك فقبل شهادة النساء فيما ينبغي

يثبت ذلك المعنى واما الحدود ومما يلزم فيها ذلك انما ينبغي في ذلك الاشهار والستر لذلك
قلنا بان شهادة النساء تجوز في النكاح والطلاق والعتاق لان النكاح ينبغي فيه الاعلان على ما جاء اعلنوا
النكاح لذلك قبلت والله اعلم ومعنى آخر ان الخصم اجاز شهادة النساء بالانفراد في كل شيء ما خلا
الحدود والقصاص لذلك قبل بالرجال ولان شهادة النساء اجيزت في الاصل بوجه ضيق فلا يجوز ان
ترد فيما يتوسع وتقبل فيما يضيق وامر النكاح والطلاق في الشهادة اوسع فهو احق ان يقبل
وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان فان قال قائل
كيف جاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين فهو والله اعلم امر باستحضار الرجلين عند
الحاكم للشهادة لا امر بالاشهاد عليها لذلك قال عز وجل فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
اي لا تكلف النساء حضور ابواب القضاة ومجالسهم لاداء الشهادة الا عند العجز عن وجود الرجال
لما في ذلك هتك استارهن وكشف عورتهن والله اعلم والثاني ان الله تعالى ذكر امرأتين
وانابهما مقام رجل واحد والرجل الذي قام المرأتان مقامه موقتا ابدا غير موجود ولو ذكره
ان يشهد عدد على ذلك الحق لذلك جازت شهادتهن وان كان هناك رجلان والله اعلم فان
قيل ما الحكمة في ذكر رجلين دون ذكر العدد او ذكر واحد قيل لوجوه احدها ذكر على تقدير
الاشياء ومن ابتها عند الناس اذا كان امرا عظيما شنيعا لا يقبل فيه الاشهادة عدد نحو الزنا
كقوله فان لم يأتوا باربعة شهداء الاية واذا كان خسيسا سهلا عند الناس قبل قول الفرد حرا
كان او عبدا نحو الاستيذان والدخول على آخر ونحوه ثم الاموال وغيرها هي المتوسطة المترددة
بين هذين فقبل الوسط من الشهادة ولم يقبل دونها والله اعلم ووجه آخر قيل انه ذكر ذلك
عبارة لا لمعنى المودع فيه ولكن سمعنا فهو على ما ذكر لا يطلب معناه والثالث ان الواحد لم يقبل
شهادته في الحقوق بالانفراد لانه ينتفع بها لان من صدق في قوله قبل وبتصديقهم اياه فعلى ذلك
لم يقبل قول المدعي في دعواه وان كان عدلا لما ينتفع بالتصديق وقبول قوله فيه فاذا كانا
اثنين صار كل واحد منهما والانتفاع بصاحبه فجعلت الشهادة خالصة لصاحبه فقبلت
والله اعلم والرابع ان الانسان مطبوع على السهو والغفلة فاذا كان نزل الخلاف عليه
النسيان امر بضم اخر اليه ليذكر كل واحد منهما صاحبه اذا نسيه وعلى ذلك يخرج قوله فان لم
يكونا رجلين فرجل وامرأتان ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لما ذكرنا انهن جبلن
وطبعن على فضل السهو والغفلة امر بضم غيرها اليها اذا نسيت وغفلت عنها ثم اختلف
في قوله شهيدين من رجالكم قال اصحابنا يرجع الخطاب الى الاحرار خاصة دون العبيد
والكفرة اما الكفرة فلان الخطاب في الابتداء للمؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
الاية يخرج الكفار من خطاب الاية لذلك لم تقبل شهادتهم على اهل الاسلام واما العبيد فلم
يدخلوا تحت هذا الخطاب لوجوه احدها ما ذكرنا ان ظاهر الخطاب للاحرار دون العبيد
لما لا يملكون امر التداين والتبايع فعلى ذلك خطاب الشهادة فان قيل ان العبيد يملكون
التبايع والتداين قيل يملكون بالاذن والتولية لا يملك انفسهم فذلك القدر من التداين
وغيره يملك الكفار ثم لم يجب قبول شهادتهم ولا دخلوا تحت ذلك الخطاب فكذلك العبيد
والثاني ما قال الله عز وجل ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ثم لا يملك العبيد الاجابة لكل ما دعوا
لحق السادات فعلى ذلك نفي عنهم الاجابة في الشهادة لحق السادات والله اعلم والثالث
ان الله تعالى جعل الشهادة نسخة الميراث بقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقال

في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ثم لا حظ للعبد في الميراث فبطل ذلك ان لا حظ له في الشهادة والرابع
ان الشهادات تجري مجرى الولايات والتمليكات ثم لا ولاية تكون للعبد على غيره ولا تمليك فبطل
ذلك الشهادة اذ فيها ولاية وتمليك الحاكم الحكم والله اعلم وعلى ذلك بطلت شهادة الكفار على اهل
الاسلام لما لا ولاية لهم عليهم والخامس ان الشهود بين ما بين سبحانه يصدقوا فتمضي شهادتهم وبين
ان يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد اذا كذبوا في شهادتهم لم يضمنوا لان ضمان الشهادة ضمان عن وث
لانه لا بدل له بما ذاته فمن لم يكن من اهل المعروف لم يكن من اهل الشهادة وذلك انهم ليسوا من اهل الشهادة
وعلى ذلك قلنا ان النكاح يجوز بشهادة الفاسق والمحدود في القذف وانهما من اهل الشهادة
فيه لانهما من اهل الضمان وان كانت شهادتهما ردت لتهمة الكذب في سائر الحقوق واما العبد
فليس هو من اهل الشهادة بحال للمعنى الذي وصفنا والله اعلم والاغلب ان يجوز شهادة العبيد
لانهم من حق الله جليله قوله واقيموا الشهادة لله وقوله كونوا قوامين لله شهداء بالقسط لكنها لم
تقبل للوجوه التي ذكرناها والله اعلم **قوله** فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان الى ان قال
فتذكر احداهما الاخرى قد ذكرنا فيما تقدم انه لما اجملن وطعن على فضلهن وعقلهن ضمت
اليها اخرى لتذكرها الشهادة اذا نسيت وفي الاية دلالة ان الرجل اذا نسي الشهادة ثم ذكر فتذكر
يجوز ان يشهد واما اذا اخبر بالشهادة ولم يذكر لم يجز له ان يشهد لقوله فتذكر احديهما الاخرى
اذ لم يقل فتخبر احديهما الاخرى و**قوله** ممن ترضون من الشهداء فيه دلالة ان من المسلمين من لا
يكون مرضيا وكذلك فيهم من يكون عدلا ومن لا يكون عدلا لقوله وقوله واشهدوا ذوي عدل منكم
لانه لو لم يكن فيهم مرضيا وغير مرضي لكان يقول واشهدوا رجلين منكم ولم يشترط فيه العدالة
والرضا وهو خلاف المعتزلة لانهم يقولون المسلم لا يكون غير عدل ولا غير مرضي وفي الاية التي
ذكرناها دلالة ما قلنا والله اعلم وفي قوله ممن ترضون من الشهداء دلالة ان الشهود اذا شهدوا على
المدعى عليه بالحق وهو مرضي عنده يجب ان يؤدي اليه حقه لانا قلنا ان قوله واستشهدوا
شهيدين من رجالكم امر باستحضارهم عند الحاكم فاذا كان كذلك فهو دليل ما قلنا والله اعلم و
قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا اختلف فيه قيل لا يأب الشهداء اذا ما دعوا للاشهاد
وقيل ولا يأبوا اذا ما دعوا للاداء وهذا اشبه لان للشهود ان يقولوا احضر الخصم ههنا
لنشهد عليه فانا لا نحضر المكان الذي هو فيه وليس هذا القول في الاداء اذ الاداء لا يكون
الا عند الحاكم لذلك كان اولى كقوله ولا تكتموا الشهادة ولا تجد من يشهد هو ولا تجد من يشهد
له غيره هو والله اعلم **قوله** ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله فيه دلالة
جواز السلم في الثياب لانه مما يكال ويوزن لانه ذكر فيه الصغير والكبير ولا يكتب صغيرة
وكبيرة انما يكال ذلك في العددي و**قوله** ذلكم اقسط عند الله يعني اعدل عند الله واقوم
للشهادة في الحجة و**قوله** وادنى ان لا ترتابوا اقرب الى رفع الظنون والشكوك الذي يحملكم على
التناكر والتنازع الذي عاقبته الفسخ ولهذا انما امر عز وجل بالكتابة فيه والاشهاد وذكر
كل صغير وكبير لئلا يقع بينهم في العاقبة تنازع وتناكر فيحملهم ذلك الحاكم على فسخ العقد بينهما وعلى
ذلك نصبوا الاجل فيه شرطا لتقطع وقوع التنازع والتناكر الذي حكمه الفسخ في الاخرة والله
اعلم **قوله** الا ان تكون تجارة حاضرة الاية استثنى عز وجل التجارة الحاضرة بترك الكتابة
والاشهاد والرهن وغيره وذلك لما ذكرنا ان المداينات والقروض تنسى ويشتبه على
الناس فلذلك امر بالكتابة فيها والاشهاد ولا كذلك التجارات الحاضرات وعلى ذلك امر ظاهر

بين الناس انهم يكتبون ويشهدون في الديون والقروض ولم يفعلوا ذلك في التجارات الحاضرات
الجاريات فيما بينهم لارتفاع ما يخاف وقوعه في الديون والقروض وخلافها عن ذلك والله
اعلم و**قوله** تديرونها بينكم يقول يدا بيد ولم يبق فيها انجاب القبض على المجلس و**قوله**
واشهدوا اذا تبايعتم امر عز وجل بالاشهاد في التجارة الحاضرة ولم يأمر بالكتابة وامر في التداين
بالكتابة والاشهاد جميعا فالامر بالكتابة لمحافظة الحقوق ومعاهدة كل قليل وكثير فيه واما الامر
بالاشهاد فللادب والامر بالرهن امر بالوثيقة والحق والكتابة والاشهاد وكل ذلك يمنع صاحبه
عن الانكار والجحود ويذكر عند النسيان والشهود وذلك كله لتقطع التنازع الواقع فيما
بينهما في المتعقب والله اعلم وقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد اختلف فيه قال بعضهم لا يضار
الكاتب والشهيد لا يشغل الكاتب ولا الشهيد فيقول له اكتب لي كذا واشهد لي كذا وهو يجد
غيره وقال اخرون قوله لا يضار كاتب صاحب الحق فيكتب ما لا ينبغي ان يكتب بالزيادة والنقصان
وكذلك الشاهد لا يزيد على الحق ولا ينقص من الحق شيئا ولا يكتم الشهادة فهذا اقرب والله اعلم
فان قيل اذا كان المعنى راجع الى ما ذكرت ان لا يزيد الكاتب ولا ينقص الا قال لا يضاره بالرفع
قيل انه لا يضارر فطرحت احديهما فاذا طرحت انتصبت علامة للطرح اذ هكذا عمل الادغام
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الامر اذا يترك الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله امرك
ان لا تأبى اذا ما دعيت فيضاره بذلك و**قوله** وان تفعلوا اي تضاروا فانه فسوق بكم هذا
يدل على ان التاويل ما ذكرنا من النهي عن الزيادة والنقصان والتحريف والكتمان اذ في ذلك
خروج عن الامر والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه وهو على المعتزلة و**قوله**
واتقوا الله في المضارة من الزيادة والنقصان والكتمان ويعلمكم الله الحكم والادب وما جل
وما دق والله بكل شيء عليم حرف وعيد و**قوله** وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة قد ذكرنا فيما تقدم ان الامر بالكتابة والاشهاد انما والله اعلم لحفظ الحقوق ما جل منها
وما دق وان لا تحملهم على الانكار والجحود وان يذكرهم ذلك حتى لا ينسون فعلى ذلك الامر بالرهان
لئلا يؤخروا اقتضاء الدين ويذكروه ولا ينسون والله اعلم وفيه دلالة ان لا يجوز الرهن الا مقبوضا
لان الرهن يقبض لامرين لانه اذا كان مقبوضا محبوسا عن صاحبه عن جميع انواع منافعه ذكره
وتقاضاه ليتصادينه واذا كان في يديه لم يتقاضاه على ذلك لذلك قلنا انه لا يجوز الا مقبوضا
والثاني انه انما يقبض ليستوفي منه الدين ولا يستوفي الا بعد القبض او يأخذ بأخذ الدين منه
من غير تخيس فيه ولا منع عنه ووجه اخر فيما لا يجوز الرهن الا مقبوضا لانه جعل وثيقة فلا
يجوز ان يكون وثيقة وهو في يدي الراهن غير محبوس ولا ممنوع عن منافعه فدل ما ذكرنا
من طلب الناس بعضهم من بعض الرهون انهم طلبوا وثيقة فاذا كان وثيقة فانما يكون وثيقة
اذا كان في يدي المرتهن محبوسا عن صاحبه الا ترى ان الكاتب امر بالاداء الامانة اذا امن بعضهم
بعضا بغير رهن فلو كان الرهن يكون رهنا في يد الراهن لذكر فيه اداء الامانة في الرهن
ولم يكن لذكر القبض وجه لذلك قلنا ان الرهن لا يجوز الا ان يكون مقبوضا محبوسا عن
منافع صاحبه و**قوله** فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته فيه دلالة جواز
الرهن ودلالة استيفاء الدين من الرهن لانه انما ذكر الاداء فيما امن بعضهم بعضا بلا
رهن ولم يذكر الاداء فيما فيه الرهن فلولا ان جعل في الرهن استيفاء الحق والا لذكر
الاداء فيه كما ذكر في لا رهن فدل ان مضمون به اذا هلك هلك به والله اعلم وايضا

قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه دليل لقولهم في الشركات
انه يكتب الشريكان على تقوى الله واداء الامانة لان كل واحد منهما امين في ذلك لذلك ذكر فيه
تقوى الله واداء الامانة كما ذكر عز وجل بتقوى الله واداء الامانة فيما ائتمن وقوله ولا
تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ذكر اثم القلب والاثم توصفه القلب لكنه يشيع في
الجوارح ويظهر على ما روي ان في النفس مضغة اذا صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن
قال الشيخ رحمه الله وفيه دلالة ان المأثم تعمد القلوب باي شيء كان فلذلك وصف القلب بانه آثم
وهو كقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكذا قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم الاية وقوله لله
ما في السموات وما في الارض هو ظاهر ان ما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه ورد على
قولهم عزير ابن الله وعيسى ولد الله والملائكة بنات الله وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم في غير موضع
وقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله من الناس من استدل على
نسخها بقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لكنه لا يحتمل الاية وعد وجزاء بالمحاسبة والوعد
لا يحتمل النسخ لانه خلف وبداء وذلك من يجهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك ثم اختلف فيه
قال الحسن هو على ما عزم لا على ما خطر بالنفس وكذا قوله من هم ويحتمل على التقديم والتاخير
ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه يحاسبكم به الله ويحتمل ايضا ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
وعزمتم عليه واعتقدتموه لا على الخطر فيه او حديث النفس على ما روي من هم بحسنة فله كذا
ومن هم بسيئة فكذا النهي على ما خطر فيه وحدث النفس به ولكن على العزم عليه والاعتقاد
وكذلك قوله ولقد همت به وهم بها همت هي به هم عزم وهو هم بها هم خطر والمرء غير
مؤاخذ بما يخطر في القلب وحدث النفس به انما يؤاخذ على ما عزم واعتقد عليه والله
اعلم وقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيه دليل لما قلنا انه على العزم والاعتقاد
عليه لما ذكرنا من العفو منه والعقوبة عليه وقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون يحتمل وجهين
يحتمل آمن بنفس المنزل بما انزل اليه انه من عند الله وكذلك المؤمنون ايضا آمنوا بما انزل
اليه انه من عند الله ويحتمل قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه اي آمن الرسول بما في
المنزل اليه وكان فيه ما ذكرنا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله واليك المصير وكذلك
المؤمنون آمنوا بجميع ما في المنزل وهو ما ذكرنا وفيه دليل ان الايمان بالمنزل على رسول الله ايمان
بجميع الرسل والكتب كلها والملائكة والبعث والجنة والنار وفيه دلالة نقض قول من يشك
في ايمانه ويستثني لانه عز وجل شهد لهم بالايمان فلا يخلو الاستثناء اما ان يكون لشكهم في اتيان
ما امروا او في الذي اخبر الله عنه بما كان فيه الويل لهم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة
لانه شهد لهم بالايمان وهم نفوا عنهم لا بهم الذي شهد الله لهم بالايمان به وبالذي ذكر
وكل صاحب كبيرة مؤمن بجميع ما ذكر وقد سماهم الله به مؤمنين وشهد لهم به والله الموفق فان
قيل فقد ذكر الطاعة في آخرها قيل ذكر الطاعة في الاجابة وبتلك الاجابة شهد لهم فيلزمهم ما شهد
الله لهم جل وعلا بما اجابوا وقوله لا نفرق بين احد من رسله يحتمل ان يكون هذا خبرا اخبر الله
عز وجل عن المؤمنين انهم قالوا لا نفرق بين احد من رسله كما فرق اليهود والنصارى وقوله
وقالوا سمعنا واطعنا يحتمل سمعنا قولك ودعاءك واطعناك في الاجابة ويحتمل سمعنا
القرآن واطعناك فيما فيه والله اعلم وقوله غفرانك ربنا واليك المصير اي المرجع وهذا

الاية جمع جميع شرائط الايمان لذلك قلنا ان الايمان بالقرآن ايمان بجميع الكتب والانبياء والبعث
وغيره وبالله العصمة والنجاة وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اختلف فيه قال الحسن قوله
الا وسعها الا ما يحل ويسع لكن بعض الناس يقولون هذا بعيد لا يحتمل الاية اذا كلف حلا ووسعا
فاذا كان كذلك لم يكن لقوله معنى قيل له هو كقوله احل لكم الطيبات اذا احل طيب واذا طيب
احل فكذا الاول وقد ذكر الامرين حسنا وتاويل ثاني الا وسعها الا طاقتها كذلك قول المعتزلة
غير انا اختلفنا في تقدم استطاعة الافعال فعندنا نحن تقدمها وقلنا لا يكون الا مع الفعل وقالت
المعتزلة بتقدم الفعل واما عندنا فانها على وجهين استطاعة الاحوال والاسباب واستطاعة
الافعال اما استطاعة الاحوال والاسباب فانها تتقدمها وعلى ذلك يقع الخطاب دليله قوله
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قيل يا رسول الله وما الاستطاعة قال الزاد والراحلة
ثم كل يجمع ان من كان باقصى بلاد المسلمين فانه يلزمه فرض الحج على كل منهم ان تلك الاستطاعة لو
كانت الى استطاعة الافعال لم يبق الى وقت وجود الافعال ثم قد لزمه ذلك فبان ان الكلفة
انما تقع على استطاعة الاحوال والاسباب وكذلك الكلفة في جميع الكفارات فان قيل قد يقع
هذا على الخروج فيوجد الفعل عقيب قوة الخروج قيل لو كان كذا لكان لا يلزم فرض الحج الا بالخروج
ولو ترك الخروج او باكتساب الخروج يلزمه فرض الحج فلا يلزم عليه فرض الحج ثبت انه لا يحتمله
بل هو على ما قاله اصحابنا انها استطاعة الاحوال وتلك متقدم لما ذكرنا والله اعلم واما استطاعة
الافعال فانها تحدث بحدوث الافعال ومثلها كالاوقات التي لا تبقى في وقت ثان مثل الوقت
الذي لا يبقى في وقت ثان والله اعلم فان سئلنا عن التكليف ايكون فيما لا يطاق يجوز انه فيما
صنعنا عنه فلا وفيما لم نمنع وضيعنا فشغلنا بغيره فبلى ثم الكافر بما اعطي من القوة والاستطاعة
شغل نفسه بغيره وضيع ما اعطي من القوة فاذا ضيع لم يكن تكليف ما لا يطيق ثم نحن اولى
احق بالقول بتكليف ما لا يطاق من قول المعتزلة ان القوة على الفعل توجد في الوقت الثاني
ثم في الوقت الثاني جعلوه غير قادر عليه بقدرة توجد ثم جعلوه غير قادر في الحال على الترك
للفعل والمتعارف من الامر في الظاهر لشيء يفعله في وقت انه لا يقع الامر به وقت ما يفعله
ويقع الخطاب السمع في ثان من الوقت فيحصل عندهم الامر على الوقت الذي هو غير قادر
فيه فاذا تكليف على نفي الحقوق والوضع ابين مما قالوا وبالله التوفيق ثم الحشو من هذا
ما قالوا ان القدرة تتقدم الفعل والفعل هو الذي يلزم وجود الولاية وهو في وقت انجاز الفعل
ان كان كفرا فعادى وان كان ايمانا فهو الى محصل القول على ان الموالاة والمعاداة ابدا تقع في
غير وقت الانتهاء والابتداء ثم قولهم في قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
انه على الجبر ولا يحتمل ذلك لانه قد اوجب لكل ذلك مرة بالجبر في الخلقة وهو قوله وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها فنفذ الاجبار في الاسلام بالخلقة فان ان الثاني على الاختيار
ثم قولهم في استطاعة واحدة تعملين خطا لان من قولهم ان الاستطاعة لا تبقى ثم وجودها لعملين
معا في وقت باستطاعة محال ووجود تلك الاستطاعة لاحد العملين بعدم الآخر مستحيل
لعدم البقاء ووجوده عندهم على البدل محال اذ جعلوا عين ما هو الاصل لاحدهما للآخر
فثبت انه خطا وفي قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت دلالة ان الله تعالى انما يأمر عبيده وينهى
انما يامر وينهى لمنافع لهم ولنص وليمتحنهم لا لمنافع تكون له بالامر فيامر او ينهى لحاجة فينفي عن
ذلك فيكون في الامر خيار منفعة وفي النهي دافع مضرة كما يكون في الشاهد ان من امر آخر

بشيء انما يامر لمنفعة يناله فيه وينهى عن شيء لدفع ضرر يلحقه وتعالى الله عز وجل عن ذلك
وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قيل فيه بوجهين قيل ان نسينا يعني تركنا كقوله نسوا
الله فنسيهم وكقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي اي ترك وقوله اخطانا يعني ارتكبنا
ما نهيتنا وقيل انه على حقيقة النسيان والخطاء كان في الابتداء ان قولوا لا تؤاخذنا الاية ثم
اختلف فيه هذا قالت المعتزلة امر بالدعاء فيه تعبدا وتقربا اليه وكذلك قوله ربنا واتنا
ما وعدتنا الاية وكذلك قوله قل رب احكم بالحق ونحوه خرج الدعاء به مخرج التعبد والتقرب
لان رسوله اخبر ان لا تؤاخذ ناسا لنسيان والخطاء واخبر انه لا يخلف الميعاد وكذلك معلوم انه
لا يحكم الا بالحق وكذلك قوله واستغفر لذنبك وقد اخبر انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر ذلكنه على ما ذكرنا اي هذا ايذهب المعتزلة واما الاصل عندنا في هذا انه جايز في الحكمة
ان يعاقب على النسيان والخطاء لمجتهد والى حفظ حقوقه وحدوده وحرماته لئلا ينسوا الا ترى
ان الله تعالى اوجب على قاتل الخطاء الكفارة ثم قال توبة من الله فلو لم يجز ان يعاقب عليه لم يكن لوجوب
الكفارة عليه والتوبة معنى دل انه جايز في الحكمة المؤاخذة به والثاني قوله عز وجل وما
انسانيه الا الشيطان وجعل الشيطان مما يتقى ويحذر لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم لانه لو اجتهد
عن فعل السهو والنسيان سلم عنه فجايز ان يكون السلامة عنهما او بالجهد فيسلم عنه وبالغفلة
يقع فيه والثالث ما ذكرنا ان النسيان هو الترك والخطاء هو ارتكاب المنهي وانا بذكر لا امر الله
والمرتكب لنهيه يستوجب العقاب عليه والله اعلم فيصح الدعاء على ذلك لئلا يلحقهم العذاب
بترك ذلك الامر وارتكابه المنهي فان قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفع النسيان والخطاء
وما استكرهوا عليه قيل انما جاء هذا في الكفر خاصة لا في غيره وذلك ان القوم كانوا حديثي العهد
بالاسلام يجري على السنتهم الكفر على النسيان والخطاء وكذلك يكرهون على الكفر فيجري ذلك
على السنتهم مخافة القتل فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان ذلك مرفوع عنهم قال الشيخ رحمه
الله وبعد فان الخبر العفو فيكون في ذلك دليل جواز الاخذ لفعل الوعد بالعفو متى وجد شرط
الدعاء ولذلك يدعون وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا فاجيب لا ان يؤمر
احد ان يدعوا ابدا والله اعلم واما قوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك فيه وجهان احدهما
انه وعد الرسل والمؤمنين جملة الجنة فسئل كل منهم ان يجعله من تلك الجملة التي وعدهم الجنة
والثاني لما كان الختم على ما به يستوجب الموعود واما الامر بالاستغفار فهو يخرج على وجهين
احدهما ما روي المؤذن يغفر له مد صوته فهو على استيجاب اولئك المغفرة به فعلى ذلك
استغفاره ليغفر به بعض امته والثاني ان المغفرة في اللغة هي التغطية والستر فكانه سال
الستر عليه تعبدا ابتهالا ودعنه قال الشيخ رحمه الله ثم الاصل ان الاستغفار هو طلب المغفرة
فلو كان لا يجوز له التعذيب فيكون التعذيب جورا فيصير السؤال في التحقيق سؤال ان لا تجوروا
ذلك مما لا يسع المحنة وكذلك لو كان مغفورا له كان الحق فيه الشكر لما انعم عليه وفي ذلك كتمان
النعمة والمحنة بكتمان نعم الله وكفرانها محال لذلك لا يحق ان يكون في الايات ما يتمكن محنة
المحنة من المعز والله اعلم واما قوله قل رب احكم بالحق قيل الحق ههنا هو العذاب كانه امره
ان يسال بانزال العذاب عليهم وقيل احكم بحكمك الذي هو الحق فاذا كان ما ذكر محتملا دل انه
ليس على ما ذهب اليه اولئك والله اعلم وقوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا قيل الاصر هو العهد يقول لا تحمل علينا عهدا يعذبنا بتركه ونقضه كما حملته على الذين من

قبلنا وكان من قبلهم اذا اخطاوا خطيئة حرم الله عليهم بحق خوضهم ما احل لهم من الطيبات كقوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكاصحاب الاخدود وغيرهم فكان المسلمون كذلك
فقالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي حرمانا حرمتها فتحرم علينا الطيبات واصل الاصر الثقل والشدائد
التي كانت عليهم نحو ما كان توبتهم الامر بقتل بعضهم بعضا كقوله اقتلوا انفسكم وقوله ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به يحتمل وجهين يحتمل ان لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من القتال والهلاك اذ في ذلك افناؤهم
وفي الفناء ذهاب طاقتهم قال الشيخ رحمه الله اي ما نشتغل بما نختار عما امرتنا فيكون كالدعاء بالعصمة
والله اعلم ويحتمل ان يراد به طاقة الفعل وهي لا تتقدم على الفعل والله اعلم وقوله
واعف عنا قيل اترك ما علينا على ما نحن عليه ولا تعذبنا وقوله واغفر لنا اي استر لنا والغفر الستر
ولذلك سمي المغفر مغفرا لانه يستر ويستر الذنب هو اعظم المغفرة وقوله انت مولانا
قيل انت اولى بنا وقيل انت حافظنا وقيل انت ولينا وناصرنا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله
فانصرنا على القوم الكافرين يحتمل الكفار المعروفين ويحتمل الشياطين اي اظهرنا عليهم

سورة ال عمران

بسم الله الرحمن الرحيم قوله الم الله قال بعضهم تفسيره ما ذكر
به من قوله الم ذلك الكتاب ذلك الكتاب هو تفسير الر والم الله لا اله الا هو تفسير الم والمص كتاب
انزل اليك هو جميع ما وصف به الحروف المقطعة فهو تفسيرها ولله ان يسمي نفسه بما شاء سمي نفسه
مجيدا كقوله ذو العرش المجيد وسمي القرآن مجيدا كقوله بل هو قرآن مجيد وقال بعضهم حروف المقطعة
هي مفتاح السورة وقال اخرون ان كل حرف منها اسم من اسماء الله ومنهم من يقول بانها من
المتشابه التي لا يوقف عليها ومنهم من يقول هو على التشبيب اذ من عادة العرب ذلك وقد مضى
الكلام فيه في قوله الم ذلك الكتاب بما يكفي وقوله الحي القيوم هو الحي بذاته وكل حي سواه
حي بحياة هي غيره فاذا كان هو حيا بذاته لم يوصف بالتغاير والزوال ولما كان حي سواه حي بغيره
احتمل التغاير والزوال وكان الحياة عبارة يوصف بها من عظم شانه وشرف امره عند الخلق
الا ترى ان الله تعالى وصف الارض بالحياة عند نباتها لما يعظم قدرها ويشرف منزلتها عند الخلق
عند النبات وكذلك يسمي المؤمن حيا لعلو قدره عند الناس والكافر ميتا لدون منزلته عند الناس
فكذلك الله سبحانه سمي حيا لعظمته وجلاله وكبريائه وعلى هذا يخرج قوله في الشهداء حيث قال
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي مكرمون معظمون مشرفون عند ربهم وقوله
القيوم قال بعضهم هو القائم على كل نفس بما كسبت وقال اخرون القيوم الحافظ وفي حرف
ابن مسعود هو القيام وكله يرجع الى واحد القائم والقيوم والقيام يقال فلان قائم على امر فلان
اي يحفظه حتى لا يغيب عنه من امره شيء وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ان اسم الله
الاعظم هو الحي القيوم وقوله نزل عليك الكتاب ظاهرا بالحق قيل فيه بوجوه يحتمل
بالحق اي دعا الخلق الى الحق ويحتمل بالحق اي هو الحق نفسه حجة مجعولة واية معجزة ايس العرب
عن ان يعارضوه او ياتوا بمثله ويحقق عند كل انه من عند الله الا من اعرض عنه وكابر وعاند
وقيل بالحق اي بالصدق والعدل وقيل بالحق الذي لله عليهم وما يكون لبعضهم على بعض وقوله مصدقا
لما بين يديه اي موافقا لما قبله من الكتب المتقدمة وهي غير مختلفة ولا متضادة وفيه
دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه موافق لتلك الكتب غير مخالف لها ولو كان على
خلاف ذلك لتكلفوا اظهار موضع الخلاف فاذا لم يفعلوا ذلك دل انهم عرفوا انه من الله
وان محمدا رسوله لكنهم كابروا وعاندوا وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل هدى

وانزل الفرقان من بعد وقال بعضهم هدى للناس اي بيانا لهم وحجة لمن اهتدى وحجة على من عمي
اذ لا يحتمل ان يكون له هدى وعليه حجة في الهلاك انما يكون حجة له وهدى اذا اهتدى وعليه انه
ترك الاهتداء وبان انه يخالف ما يقوله المعتزلة وقوله وانزل الفرقان قد ذكرنا فيما تقدم
انه انما سمي فرقانا لوجهين احدهما لما فرق اياته وفرق انزاله والثاني لما يفرق بين الحق والباطل وبين
الحرام والحلال وبين ما يتقى ويؤتى فعلى هذا كل كتاب مبينا فيه الحلال والحرام وبين ما يتقى ويؤتى
والانجيل فيه سمي انجيلا لما يجلي وهو الاظهار في اللغة وقيل سمي التورية تورية من اوريت الزند
وهو كذلك والله اعلم وقوله ان الذين كفروا بايات الله قيل بحجج الله وقيل كفروا بايات
الله اي بالله لانهم اذا كفروا باياته كفروا به وكذلك الكفر بدينه كفر به والبراءة من دينه
براءة منه والبراءة من رسوله براءة منه وقوله والله عزيز ذو انتقام قيل فيه بوجهين
قيل ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقيل ذو انتقام وانتصار في الاعداء وقيل ذو بطش
شديد وقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو وعيد كانه والله اعلم
قال لا يخفى عليه ما في السموات والارض من الامور المستورة الخفية على الخلق فكيف يخفى عليه
اعمالكم وافعالكم التي هي ظاهرة عندكم ويحتمل اذ لم يخف عليه ما بطن وخفي في الاصلاب والقرار
والارحام فكيف يخفى عليه اقوالكم وافعالكم التي هي ظاهرة الا يرى انه قال هو الذي يصوركم في الارحام
اذ علم في الارحام وصورها على ما شاء وكيف شاء وهو في ظلمات ثلاث وقوله هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء فيه دليل نقض قول من يقول بالقايف لانه جعل علم التصور في
الارحام لنفسه لم يجعل لغيره كيف يعرف القايف تصويرا لا ولد حتى قال انه في صورته وفي نفوره
وانه من مائه ثم اختلف في خلق الاشباه قال بعضهم يخلق الفروع من الاصول وهي اسباب
للفروع وقال اخرون يكون باسباب وبغير اسباب فان كان بعض الاشياء يكون باسباب
من نحو الانسان من النطفة الا ان النطفة تتلف فتكون علقة ثم مضغة فدل انه يخلق الخلق
كيف شاء من شيء ولا من شيء بسبب وبغير سبب وهو القادر على ذلك وبالله التوفيق وقوله
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اختلف فيه قيل
المحكمات هي الناسخات المعمولات بهن والمتشابهات هي المنسوخات غير معمول بهن
وهو قول ابن عباس وقال اخرون المحكمات هي ثلاث ايات في اخر سورة الانعام قوله قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تتقون وما ذكر في سورة بني اسرائيل من قوله وقضى ربك الا
تعبدوا الا اياه الى اخر هذه الايات سميت محكمة لانها توجب ايمانا بالله وغير من
المتشابه ثم قيل تعدد هذه الوجوه قيل المحكمات هي التي يعرفها كل احد والمنظر فيها والتامل فيها
والمتشابه هو المبهم الذي يعرف عند البحث فيه والتكلف وقيل المحكمات ما يوقف ويفهم
مراده والمتشابه هو الذي لا يوقف عليه لتبدد ما قضى حوائج الخلق من البيان في المحكم منه ولكن
يلزم الايمان به وهو من الله محنة على عباده ولله ان يمتحن خلقه بما شاء من انواع المحن لانها
والمحنة وغيرها ما لا يفهم مرادها ويحتمل ان تكون المحكمات هي ما ظهر لكل احد من اهل الاسلام
حتى لم يختلفوا فيها والمتشابه هو الذي اشتبه على الناس لاختلاف الالسن فاختلفوا فيها
او لما يؤدي ظاهره الى غير ما يؤدي باطنه فتعلق بعضهم بالظاهر فقالوا به وتعلق اخرون
بالباطن لما ان ظاهره جور او ظلم او تشبيها على اتفاقهم في نفي الجور والظلم عنه وجواز انه
يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم وقال اخرون المحكم هو الواضح المبين فلو كان على ما قالوا لم

والمتشابه كل ان الذي هو عليه هو المحكم لانه لو كان ظاهرا مبينا لتكون اهـ ولم يقع بينهم اختلاف وفيه
دليل ونقض على المعتزلة لانهم يقولون انه لا اصلح في الدين انه لا يفعل الا ذلك ثم لو بين لهم المحكم من
غير المحكم ولو بين كان اصلح لهم في الدين فدل ان الله عز وجل قد يجوز ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم
في الدين امتحانا وابتلاء بينه لهم والله اعلم لكن لا يخرج من الحكمة ثم ما قالوا في الامر حوال لا بأس الا بالاصلح
له فيه الاصلح وقد يفعل ما هو حكمة في حق المحنة وان كان غيره ذلك اصلح لهم في الدين بمعنى اقرب واولى
اليه والله الموفق وقال قوم المحكم ما في العقل بيانه والمتشابه ما لا يدرك في العقل وانما يعرف
بمعونة السمع وقال قوم لا متشابه فيما فيه احكام من امر ونهي وحلال وحرام وانما ذلك فيما
ليس بالناس حاجة الى العلم به نحو الانباء عن منتهى الملك وعن عدد الملوك وعن الاحاطة بحقيقة
الموعود ونحو ذلك ولا قوة الا بالله لكن امكن ان يكون سمي متشابها بما تشابه في اوليكن التوهم حقيقة
ما واهوا من الوجه الذي طلبوا وقد بينا الحق في امر المتشابه وما يجب في ذلك من القرب وبالله
العصمة والنجاة وقوله هن ام الكتاب يحتمل وجهين يحتمل ام الكتاب اي اصل الكتاب
ويحتمل ام الكتاب اي المتقدم على غيرها وعلى هذا اخرج ام القرى اي مكة لانها هي المتقدمة
على غيرها من القرى ويحتمل هي اصل القرى كما سمي فاتحة الكتاب ام القرآن لانها اصل او لانها
هي المتقدمة على غيرها من السور والله اعلم ويحتمل قوله هن ام الكتاب اي مقصود الكتاب
يعني المحكمات والمتشابهات مما فيه شبهة من غيره فيتشابه فهو متشابه كقوله ان البقر
تشابه علينا وكذلك المشكل سمي مشكلا لما يدخل فيه شكل من غيره فسمي مشكلا فكذلك المتشابه
يدخل فيه شبه غيره فصار متشابها والله اعلم قوله عز وجل فاما الذين في قلوبهم زيغ
قيل ميل عن الحق وقيل الزيغ هو الريب والشك فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
فلو كان ثم اتباع لعدد والا الاتباع لعنى اتباع ما فيه من المراد وعلى هذا يتاول في قوله يتلونه
حق تلاوته اي يتبعونه حق اتباعه وكذلك قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم والمتشابه قد
انزل الينا من ربنا فيجب متبعه في الحقيقة فثبت انه لم يكن ثم اتباع في الحقيقة وانه لو كان
لعدوا ولكنه كان والله اعلم اتباع الاداء في التاويل بالاراء والعاقبة التي انهم طلبوا
بالتاويل منتهى ملك هذه الامة وهي العقوبة عليه ووقوف على علم الساعة وسبيل القيامة
وذلك علم لم يطلع الله الرسل في ذلك فضلا ان يطلع عليه غيرهم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل
ويحتمل ان يكون اتباعهم تطرقهم فيما بعض انتهاهم عن الاداء اكبر في الوقوف عليه ولو كان تنظرهم
في المحكم من ذلك لكان لهم في ذلك بلاغ وكفاية فيما اليهم به حاجة ولا قوة الا بالله قال
الشيخ رحمه الله في قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وذلك همتهم اذ كان ذلك
اعتقادهم فان كان المراد من ذلك في الكفرة فهو الاول وان كان في اصحاب الهوى من الذين
يدينون دين الاسلام فهو الثاني وكذلك يجد كل ذي مذهب في الدين مما اعتقد حقيقة
الامر في قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الاية وقوله
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل الاية يتعلق بظاهر الاية يدعي انها محكمة بما عنده انه
الحق فلهذا ان اجهد نفسه في طلب الحق ويتوقى عن ذلك عليه فان كان في ذلك فحقه التسليم
لما عليه توارث الامة ظاهرا على ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن تفرق
الامة ثم استثنى المتمسك بما هو عليه هو واصحابه فيلي ذلك امر المتوارث فيجب جعله محكما
وبيانا لما اختلف عليه ولا قوة الا بالله ويكون المبتدع في ابتغاء تاويله بريد التلبيس على من لم

تلك الجملة وكذلك لاهل جملة الذين من نزع اليه لهذا التنازع وترك الاشتغال بتاويل ما اعترضه لكان متبع المحكم عند الامة معطيا المتشابه حقه ولا قوة الا بالله وان كان من الاول فقد ذكر ان ذلك في استخراج منتهى ملك هذه الامة وان لها بقية الساعة والعلم بهم يطلع عليه الرسل فضلا عن دونهم وكان ذلك في اشياء يقصر عقول المتعمقة عن الاحاطة بذلك يريدون بذلك التلبيس على العوام واهل الغباوة فاخبر عز وجل بما ذكر انه لا يعلمه الا الله كان ذلك فيما يعلمه غيره او لا فان كان الملعون بالله عليه لا يلزم ذلك في العقول بلوغ ذلك وهو معنى الاتباع ما قدمنا وقوله فيتبعون ما تشابه منه اي من القرآن بقوله ما اشتبه حسابهم ابتغاء الفتنة وقيل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة المحنة اي يمتحنون اهل الاسلام وقوله وابتغاء تاويله يقول وابتغاء تاويل منتهى ما كتب الله عز وجل لهذه الامة من المدة لهذا الوقت واهل التاويل يقولون المنتهى قال الله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله اي ما يعلم منتهى ملك الامة الا الله ثم المتشابه ان كان مما يوقف فيه فهو وان كان مما يعرفه اهل المعرفة ويعلمه بالواضح فهو سواء اصل هذا ان كل ذي مذهب في الاسلام يدعي على خصمه بما ذهب اليه من الحجاج بالآيات الوقوع في المتشابه ولنفسه الوقوع في الواضح وعنده ان ما ذهب اليه هو الحق فلا فرق بين ان يدعي عليه ذهابه الى غير الحق او تعديه الى المتشابه وترك الواضح فسبيل مثله التخلص والبحث عما ذهب اليه ان جاء بشيء يضطر العقل الى قبوله سلم له فاما بدون الا تخلصه منه في دعوى مثله بالوقوع له في المتشابه يحل دعواه وقوله وما يعلم تاويله الا الله قال قوم موضع الوقف على قوله والراسخون في العلم ثم ابتدأ فقال يقولون آمنا به كل من عند ربنا يقولون بمعنى قالوا آمنا به بما عرفنا وذلك جائز في اللغة يقول بمعنى قال وقال آخرون موضع الوقف على قوله الا الله ثم استأنف الكلام فقال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا المحكم والمتشابه وغيره وقيل الراسخون هم المتدارسون وقيل المتثابتون رسخ بمعنى ثبت وقيل الراسخون الثابتون يقال رسخ في العلم ورسخ فيه فان قيل ما الحكمة في انزال المتشابه قيل اذا كان مما يعلم فهو يحتمل وجهين يحتمل ليعلم فضل العالم على غيره لما للعلماء يحتمل ان جعل عليهم طلب المراد فيه والتفحص عما اودع فيه وان كان مما لا يعلم يحتمل المحنة امتحنهم في ذلك بالوقف فيه اذ الدار دار محنة ولله ان يمتحن عباده بجميع انواع المحن وقوله وما يذكر الا اولو الالباب اي ما يتعظ الا اولو الحجى والعقل وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فيه وجهان على المعتزلة احدهما انه اضاف الزيغ الى نفسه وهو حرف مذموم عند الخلق اذ قيل فلان ازاغ فلانا عن الحق فاذا اضاف الله عز وجل الى نفسه حرف الزيغ دل ان فيه معنى سوى ظاهره حتى جاز اضافته اليه وهو ان خلق منهم فعل الزيغ وكذلك هذا في الضلال واضاف ايضا الهداية الى نفسه بقوله بعد اذ هديتنا فلو كان الهدى البيان على ما يقوله المعتزلة لجاز ان يضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو ملك البيان لانه بعث مبينا معلما فاذ لم يجز ذلك دل ان فيه معنى سوى البيان وهو التوفيق والعصمة حتى جاز اضافته اليه ولا يجوز الى غيره والله الموفق والثاني انهم سألوا العصمة عن الزيغ والضلال فلو كان عليه ان يفعل وان يبذل لهم العصمة لم يكن للسؤال عن ذلك معنى دل انه متفضل فيه يبذل ذلك لهم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ربنا لا تزغ قلوبنا الآية فيه وجهان احدهما انه لو لم يكن له الا الاصلح في الدين فتركه جور فالقول بربنا لا تزغ قلوبنا لا يخلو من ان يكون الازاغة اصلح له وهو يدعوه بجوره او لا يكون اصلح فهو يدعوه بانه لا يجور وحال الدعاء به على خوف

الجور ومن خاف جور الخالق فهو غير عارف به والثاني ان الداعي فيما جبل عليه الخلق يدعو على امن انه لو اجابه لكان لا يزيغ قلبه وكذلك سؤال العصمة والهداية ولهذا يدعو به ايضا ولو كان يكون معه زيغ لكان لا فضل في الامر من الدعاء بالازاغة وان لا تزغ اذا الخوف مع الامرين قائم والله الموفق وفي ذلك ايضا وجهان آخران احدهما ان الازاغة اذا اضيفت الى احد خرجت مخرج الشتم له والتعيير ثبت ان فيما اضيفت الى الله تبارك وتعالى معنى ليس فيما اضيفت الى احد غيره وهو والله اعلم ان الازاغة من كل احد فعل هو زيغ بنفسه فيه وهو من الله ليست فيكون فيه ان خلق فعل الزيغ ليس بزيغ فان كان فعله زيغ والله اعلم وفيه ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء وانه يكون من الله ما يوصف بالازاغة ويصير له به الآخر زائغا ولا شيء يوجد يكون كذلك سوى خلق فعل الازاغة من العبد والله الموفق والثاني قوله بعد اذ هديتنا ولو لم يكن من الله في الهداية سوى البيان لكان يصح ذلك لكل كافر ويجوز الاضافة الى الرسل فاذ لم يصح ذلك ولم يجز ثبت ان ثم فضلا وهو خلق فعل الهداية او التوفيق الذي معه الاهتداء لا محالة وبالله المعونة وقوله وهب لنا من لدنك رحمة والرحمة تحتمل وجوها تحتمل الهدى والاسلام اذ به تستفاد وتحتمل الجنة وتحتمل المغفرة لان كل رحمة قال ابو بكر الاصم الرحمة السعة في الدنيا والثواب في الآخرة وقوله انك انت الوهاب فهو على قول المعتزلة ليس بوهاب لان الوهاب هو المتفضل الذي يهب ويبذل ما ليس عليه وعلى قولهم عليه ان يعطي الخلق كل ما هو اصلح لهم في الدين فالآية تكذبهم وترد عليهم قولهم الوحش في الله تعالى عن ذلك ويحتمل هب لنا ما نستوجب به الرحمة وهو عمل الخير كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وقوله ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اقرار بالايمان والبعث بعد الموت وقوله ان الله لا يخلف الميعاد في هذه الخاصة ان يكون يراد به القيامة والبعث ويحتمل لا يخلف الميعاد في كل شيء مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح والحزن والاسف يقولون انه كان بوعده ووعيده وانه كان مكتوبا عليهم ولهذا انه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبا عليهم ليصبروا على الشدائد والمصائب فلا يجزعوا فيها ولا يحزنوا وليشكروا على الآلاء والنعماء ولا يفرحوا فيها وهو كقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وذلك ان الكفرة كانوا يفتخرون بالاولاد والاموال في الدنيا ويستعينون بها على غيرهم فظنوا انهم يفتخرون ويعززون في الآخرة ويدفعون بهم عن انفسهم العذاب وهو كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر الله عز وجل ان اموالكم واولادكم لا تغني عنكم من عذاب النار شيئا وقوله واولئك هم وقود النار اي حطب النار وهو والله اعلم ان الانسان اذا وقع في النار في هذه الدنيا لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب ويسيل منه الصديد فقال الله عز وجل ان الكفرة يحترقون في النار في الآخرة احتراق الحطب لا احتراق الانسان في الدنيا لانها اشد سلطانا واسرع احتراقا واطول احتراقا وعلى هذا يخرج قوله والله شديد العقاب ليس كعذاب الدنيا انه على الانقضاء والنفاد ولكن على الدوام فيها والخلود ابد الآبدين نعوذ بالله منها وقوله كدأب آل فرعون قيل كاشباه آل فرعون وقيل كفعل آل فرعون وكصنيعهم وكله واحد ثم يحتمل بعد هذا وجهين يحتمل صنيع هؤلاء وعملهم كصنيع آل فرعون ومن كان قبلهم بموسى في التكذيب والتعنت ويحتمل بصنيع هؤلاء ما يحقهم من العذاب بالتكذيب

والتحقت ما لحق اولئك من العذاب بتكذيب الرسل وتنتقم عليهم والله شديد العقاب قد
ذكرناه وقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وهذا والله
اعلم في قوم قد علم الله عز وجل انهم لا يؤمنون الا ترى انه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
ان قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم الاية والا فلا يحتمل ذلك وقال ابو عبيد والله اعلم انه
من الكفار من يسلم ومن لا يسلم وقوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل ٢٠١
قابل ما في فئة قليلة وهي فئة اهل الاسلام في غلبة فئة كثيرة وهي فئة المشركين حيث غلبت
فئة المسلمين وهم قليل فئة المشركين وهم كثير يوم بدر وقد يكون لاهل الكفر اذا كانوا
قليل يغلبوا على اهل الاسلام اية فقيل ليست الاية في الغلبة خاصة لكن الاية فيها والله اعلم في
غيره من وجوه احدها ان غلبة المسلمين مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وخروجهم لا على وجه
الحرب والقتال المشركين مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم واستعدادهم للحرب وخروجهم
على ذلك والقتال اية وعلموا العدة ان ليس لهم فئة ولا لهم رجاء المدد وان لا غياث لهم من
البشر وذلك ابدا الجراءة وعلامة الشجاعة وعوضه امن والله اعلم والثاني ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذ كفا من تراب فرماهم في وجوههم وقال شاهت الوجوه فامتلأت
اعينهم من ذلك وعموا حتى انهزموا فصار اية والثالث ما قيل ان ابا جهل قام فدعا فقال
ايناحق دينا واوصل رحما فانصره واجعل الغلبة والهزيمة على الاخر فاستجيبت فكانت الغلبة
والهزيمة عليهم فكان اية والرابع ما اعان الملائكة المسلمين وبعثهم الله عز وجل مددا لنصرة
المومنين على الكافرين يوم بدر فذلك اية ووجه اخر ما ذكرنا ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا خرجوا شبه العير بغير سلاح غير مستعدين للقتال في علم منهم بذلك واولئك
خرجوا مستعدين لذلك فكان ما ذكر والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في ذكر القتال في الايتين
من الجانبين اية عظيمة اذ هي حسية والحواس تؤدي عن المحسوسات حقائقها فجعلها الله بحيث
لا تؤدي لما قال ليقضي الله امرا كان مفعولا فيحتمل ان يكون المراد ما ذكر من الاية في امر الفئتين
هذا والله الموفق وقوله يرونهم مثليهم راي العين وفي بعض القراءات ترونهم بالتاء
يرى المومنين اولئك مثلي انفسهم لا اكثر وهم كانوا ثلاثة امثالهم على ما روي في القصة وهذا
لما جعل الحق عليهم قيام الواحد من المسلمين بالاثنين منهم مع ضعفهم لجهدهم في العبادات
وبلوغهم الغاية من احتمال الشدائد والمشقات اخبر عز وجل بمعرفتهم امر اهل الحرب وشدة
رغبتهم في تعلمهم ما يحتاجون في الحرب والقتال ولهذا اقال لو ان الله عز وجل علم المومنين
جميع ما يحتاجون في الحرب من الاداب وغيرها في الكتاب كقوله اذا لقيتم فئة فاثبتوا
امرهم بالتثبت ثم قال فلا تولوهم الادبار وقال ولا تنازعوا فتفشلوا لجعل التنازع
الواقع بينهم على خلاف تفرقهم نقضا سبب الهزيمة نفيه امرنا بالاجتماع وجعل الله بيرد اخذا
والطاعة لامامهم وقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وانما كان عبرة لما ذكرنا من
خروج المومنين بقلة عددهم وضعف ابدانهم بلا استعداد للحرب والقتال انما هو خروج
شبه العير وخروج اولئك بالعدة مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم وطمع المدد لهم ولم يكن
للمسلمين ذلك فهي مثل غلبة المومنين الكافرين والخذلان والنقص لهم عليهم في الوصف
الذي وصفنا هو عبرة وانه لاولي الابصار والعبر وقوله زين للناس حب الشهوات
ابعد حب الشهوات من النساء والبنين وما ذكر الى اخره قال الحسن والله ما زينها الا الشيطان

اذ لا احد اذم لها ولا اهلها من الله تعالى واليه تذهب المعتزلة لكن الاصل في هذا وفي امثاله
ان الله عز وجل زين هذه الاشياء والتزيين من الله تعالى يقع لوجهين وكذلك الكراهة
ايضا تقع لوجهين تزيين في الطباع والطبع يرغب فيما يتلذذ ويشتهي وان لم يكن في نفسه
حسن وتزيين في العقل فلا يتزين في العقل الا ما يثبت حسنه بنفسه او الامر او حمد العاقبة
ونحو ذلك ثم حمل العقل ما تناله واذا اما يرغب اليه الطبع ويميل لان الطبع ابدا يميل ٢٠٢
الى ما هو الذ واشهى واخف عليه وينفر عما يضره ويولمه والعقل لا ينفر الا عما هو القبيح في
نفسه ويرغب فيما هو الحسن في نفسه وعلى ذلك يخرج قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
بالمكاره والنار بالشهوات ليس على كراهة العقل ولا على شهوة العقل ولكن على كراهة الطبع
وشهوته وكذلك قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم ليس على كراهة الاختيار ولكن
كراهة الطبع لان كراهة العقل كراهة الاختيار وكذلك رغبة العقول رغبة الاختيار
وفيها تجري الكلفة اعني على اختيار العقل لا اختيار الطبع بما يميل ويرغب في اللذة وينفر
عن المضار ودليله قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما اخبر انهم لا يؤمنون ما وجدوا في قضائه حرجا فدلت الاية ان الخطاب
والكلفة انما تكون في اختيار العقل وكراهته لا على اختيار الطبع لذلك قلنا انه يجوز التزيين
في الطبع من الله تعالى وكذلك الكراهة في الطبع مكروه من الله عز وجل فاما قولهم ان الشيطان
هو الذي زينها فان عنوا انه يزينها لهم اي يرغبهم ويدعوهم اليها ويريهم زينتها فنعم وان عنوا
انه يزينها بحيث نفسها لهم فلا لان الله تعالى وصف الشيطان بالضعف ونفى عنه هذه
القدرة بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلو جعلنا له التزيين لهو على ما قالوا لم يكن كيده
على ما وصفه عز وجل بالضعف ولكن كان قويا ولكنه يدعوهم اليها ويرغبهم فيها ويريهم
المزين لهم شهوة عادة ابا هم وحجبته في ذلك وقوته من حيث لا يطلع عليه بقوله انه
يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فالعدو الذي يرى مومن نهاديه ولا يرى هو كان
يجب ان يكون احذر منه واخوف ممن يرى ووجه اخر ان الشهوات التي اضاف التزيين
اليها لا خلاف بينهم في انها مخلوقة لله فما بقي للشيطان الا الدعاء اليها والترغيب فيها ووجه اخر
انه لو لم يجعل هذا امر نبيا من الله عز وجل ذا الموضع استدلال الشاهد على الغائب بالدنيا على الاخرة
وقد جعل ما في الدنيا نوعين مستحسنا ومستقبحا وجعل ذلك عيانا لما ادعو ووعد فيما لم يكونا
منه لم يصح موضع التيسير لانه جعل على بلطفه شجر كل مرغوب في الدنيا ودعوا اليه من جوهره
في الاخرة وحسنه ليرغب الناس هذا الى ما في الجنة بحسنه ولطفه وزينته ويدعوهم الى ترك
ما في الدنيا من الفاني الى نعيم دائم ابدا فلو جعل هذا امر تزيين الشيطان لعنه الله وصنوعه
لهم يذهب عظيم موضع الاستدلال الذي ذكرنا فدل انه مزين منه عز وجل تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا انه امتحنهم عز وجل بترك ما زين لهم في الطباع بما ركب لهم من العقول لوازرة
لتحاور اما حسن في العقول وتزين فيه ذلك جرت الكلفة والخطاب لا بما مالت اليه الطباع
ونفرت عنه العقول وبالله التوفيق ثم في الاية دلالة وجوب الحق في كل ما ذكر في الاية من المال
وكذلك الخيل واما في النساء والبنين فلما متعوا بهن اوجب عليهم النفقة كذلك والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة اوجب في النساء عليهم النفقة وكذلك البنين
واوجب في الذهب والفضة حقا ثم ذكر الخيل المسومة اذ كان المراد منه جعلها سائمة لذلك

قال ابو حنيفة ان في الخيل صدقة ثم اختلف في المسومة قال بعضهم هي المسيبة الراعية
وقال اخرون هي المعلمة وعن ابن عباس رضي الله عنه المسومة الراعية وقال عنه هي
المطهمة وهي الحسنة ثم اخبر ان ما ذكر في الاية من متاع الحياة الدنيا ثم هو يترك ذلك والاجر
الا لهم عنده حسن المآب ان هو تركها استحقوا ثم قال ان من اتقى في الدنيا خير له من ذلك بقوله
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الى اخره ثم اختلف في
القناطير المقنطرة منهم من قال الف ومائتا اوقية ومنهم من يقول اثني عشر الفا ومنهم
من يقول سبعون الف دينار ومنهم من يقول مل مسك ثور ذهب او فضة
ومنهم من يقول كل مائة قنطار من كل شيء ومن اشترى المال العظيم الكثير لا ندري ما مقداره وليس لنا
في معرفة تقديره حاجة ولا فائدة انما الحاجة الى معرفة الرغبة فيما كثر من المال او ليتقي قدر احتماله
تحمل عليه الرغبة من الاجر والله اعلم وقوله خالدين فيها وازواج مطهرة قيل مطهرة من الافات
كلها من الاخلاق السيئة والاقذار والعيوب كلها وقد ذكرنا فيما تقدم في صدر السورة
قال وكل اهل الجنة مطهرة من جميع المعايب لان العيوب في الاشياء علما للفناء وهم خلقوا
للبقاء الا ان الذكر جرى للنساء لما ظهر في الدنيا من فضل المعايب والاذى وقوله الذين يقولون
ربنا اننا امنا الاية تدعي بهذا القول وفيه تزكية لهم ولو كان الايمان جميع الطاعات لم يرض
منهم للتبري في الثنيا من النساء وما ذكر الى اخره وقوله للذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك
ويحتمل للذين اتقوا الفواحش والمعاصي كلها وقوله الصابرين قيل الصابرين في طاعة
الله وقيل على اداء الفرائض وقيل الصابرين على المراذي والمصائب والشدائد والصبر هو
حبس النفس عن جميع ما تهوى وتشتهي وقوله والصادقين قيل في ايمانهم وقيل الصادقين
بما وعدوا وقيل الصادقين في جميع ما يقولون ويخبرون والمنفقين يحتمل الانفاق ما لزم في
اموالهم من الزكوات والصدقات ويحتمل المنفقين المؤدين حقوق بعضهم بعضا من حق القرابة
والمقبلة والقانتين قيل القانت الخاضع وقيل القانت المطيع وقيل الخاشع وكله يرجع
الى واحد واصله القيام وكل من قام لامر كان مطيعا وخاشعا وخاضعا ومقرا وقيل القانت
المقر كقوله كل له قانتون اي مقرون وقال قتادة الصابرين الذين صبروا على طاعة الله وصبروا
عن محارمه والصادقين الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم وصدقوا في السر
والعلانية والقانتين المطيعين والمستغفرين بالاسحار والمنفقين يعني نفقة اموالهم في
سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قيل المصلين بالاسحار وقيل المصلين في اول الليل
والمستغفرين في اخره واصل الاستغفار طلب المغفرة مما ارتكب من الماثم على ندامة القلب
والعزيمة على ترك العود الى مثله ابدا ليس كقول الناس نستغفر الله على غير ندامة القلب
واصل الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة باسبابها ليس ان يقول بلسانه اغفر لي كقول
نوح لقومه استغفروا ربكم امرهم بالتوحيد ثم اخبر عز وجل ان الجنة هي للصابرين وما
الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله شهد الله انه لا اله الا هو قيل فيه بوجوه قيل شهد الله شهادة
ذاتية اي من ذاته لا اله الا هو اذ في ذاته ما يليق الشهادة ويمثله له من الالوهية والربوبية
والنبي ذلك في ذات غيره وبالله العصمة وقيل شهد الله بما خلق من الخلايق انه لا اله الا هو
اي خلق من الخلايق ما يشهد خلقه كل احد في وحدانيته والاهيته لو نظروا في خلقهم وتدبروا
جزا ذكر كذلك الملائكة واولوا العلم شهدوا انه لا اله الا هو في تاويل الاول وفي تاويل الثاني

ان

ان خلق الملائكة واولوا العلم يشهد على وحدانيته فيشهد ولعل ذلك الا الجهال فانهم لو تاملوا
في انفسهم لا تنكروا في انفسهم فلم يشهدوا بها ولانه امر الرسل والانبياء بان يقولوا لا اله الا الله
فنزوله وامره به شهادة منه ويحتمل شهادة القول كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي وذكر
من الله الربوبية ومن الخلق العبودية له فيجب الربوبية من العبودية فيه ولانه خلق
الايمان ممن قال انه غير مخلوق لم يجد واحد من ذلك وبالله التوفيق وقيل شهد الله اي علم الله انه
لا اله الا هو وكذلك علم الملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو قال محمد بن كعب صح دعوى
دعوى قيل لان دعوى من ظهر صدقه في شهادته اذا شهد مقبول وممن ادعى الالوهية والربوبية
اذ لم يستقبله احد ظهر صدقه وقهر كل مكذب له في دعواه وباهر الحجاة وقوله قائما بالقسط
اي حافظا ومتوليا كقوله قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظها ومتوليها كما يقال فلان قائم على
امر فلان اي حافظ لامره ومتعاهد لاشتباهه قال الشيخ رحمه الله وقيل من عادل اي لا يجور لان
ثم معنى القيام كقوله قوامين بالقسط مقسطين لان ثم للقيام فيه معنى يسبق الوهم اليه والله
اعلم وقوله ان الدين عند الله الاسلام قال ابو بكر ان الدين الذي هو حق بين الاديان هو الاسلام
لان كل احد منهم يدعي ان ما دان به هو دين الله الذي امر به وقال قوم ان الدين الذي امر به العبد
من عند الله هو دين الاسلام لا غير كانوا مع اختلافهم مقرون بالايمان لكن بعضهم لا يقرون
بالاسلام فاخبر ان الدين الذي امر به وفيه التوحيد هو دين الاسلام لا غيره الا يرى انه قال
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما اخبر ان ابراهيم ليس على دين سوى دين
الاسلام والاسلام هو الاخلاص على ما ذكرنا فيما تقدم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة شهدوا واولوا العلم ان الدين عند الله الاسلام والله قائم بالقسط
والقسط هو العدل في جميع القرآن وقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يحتمل وجهين يحتمل
الاختلاف التفرق اي تفرقوا في الكفر كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية ويحتمل
الاختلاف نفسه لا الاختلاف في الدين كقوله ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر اخبر انهم اختلفوا
عن جهل لكن عن علم وبيان كقوله الا من بعد ما جاءهم العلم ثم يحتمل قوله الا من بعد ما جاءهم العلم
وجهين اي لم يختلفوا الا من بعد ما علموا عن عنادهم ويحتمل اي لم يختلفوا الا من بعد ما اوتوا اسباب
ما لو تفكروا وتدبروا لوقع العلم لهم بذلك والبيان لكنهم لم يتفكروا فاختلفوا ثم في الاية
دليل انه لا يجوز ان يفسر قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله ونحوه الانتقال من حال الى حال
او من مكان الى مكان لانه ذكر مجيء العلم والعلم لا يوصف بالمجيء والذهاب وكذلك قوله قل جاء
الحق وزهق الباطل ذكر مجيء الحق وذهاب الباطل وهما لا يوصفان بمجيء الاجسام وذهابهم بالانتقال
والتحول من مكان الى مكان ولا يعرف ذلك ولا يعرف انه يفعل ذلك لا يجاز ان يعرف قوله وجاء
ربك وقوله ثم استوى على العرش ونحوه الى المعروف من استواء الخلق ومجيئهم تعالى الله عن ذلك قال
والمجيء لا يكون عن الانتقال خاصة بل يكون مرة ذاك واخرى غيره وكذلك الاتيان والله اعلم وقوله
بغيا بينهم قيل حسدا بينهم لانهم طمعوا ان يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل على ما بعث
سائر الرسل بعد اسرائيل منهم فلما بعث من غير بني اسرائيل حسدوه وخالفوا دينه الاسلام ويحتمل
بغيا من البغي وهو الجور وقوله ومن يكفر بآيات الله اي من المختلفين فان الله سريع الحساب

٢٠٥

كأنه يقول لا ابصار ان قل يا محمد ومن يكفر بآيات الله من بعد ما جاءهم العلم والبيان فإن الله سريع
الحساب وله ثلاثة اوجه لان ظاهر الجواب على غير اضمار ان يكون ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع
الحساب اي العذاب والله اعلم بمن يجب لان لفظ الحساب عذاب لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش
الحساب عذب فجعل الحساب عذابا ثم اخبر انه سريع الحساب لا كحساب الذي يكون بين الخلق
لان الخلق يشغلهم اسباب ويمنعهم اشياء ويحتاجون الى التذكر والله تعالى عن ان يشغله
شيء او يمنعه معنى جل الله عن ذلك وقيل على التقريب حسابه سريع كأن قد جاء لقربه والله اعلم
قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو هو شهادة ربوبية لا يتوهم له كيفية ولا يخطر بالبال
له المائية ولا يحتمل الوصول الى حقيقة ذلك بالتفكر لانه يحتمل بلوغ العقل لو تفكر في ذلك
اذ هو خلق قصر عن الاحاطة بماهية نفسه وعن ادراك وجه قيامه بالذي ذكر او بحمد بدنه من حيث
نفسه وهو تحت جميع ما ذكرت اذ هو خلق وحدث جرى عليه التدبير ودخل تحت التقدير فالربوبية
احرى ان تحير عنها الاذهان ويكل عن توهمه ادراكها الافهام وفي ذلك امر تكوين الله الاشياء على
ما شهدت الاشياء التي هي تحت التكوين في العبادة لا على توهم في التكوين ومعنى تحتمله الافهام
وتبلغه العقول وانما هو عبارة بما جعل لا يتفق على العبارات عن المتعالي عن صفات الخلق الحق
له الجلالي من جهة لعموا لا من حيث المفهوم في الخلق للتقريب الى الافهام دون تحقيق المفهوم عما عن العبارة
عنه قد دلت العبارات في الاخبار عن الله سبحانه عن ذلك في هذا القول الله لا اله الا هو الرحمن وجميع
ما يتعارف الخلق من الاسماء وعلى ما يقرب الى الافهام المراد بها لا تحقيق الحروف او ادخال تحت
تركيب الكلام وتأليف العبارة وهذا المعنى معرفة وحدانيته من جهة ضرورات توجب المعرفة على
الوصف بالشبهانية له عن معاني جميع المعدين ذاته العصمة والمعونة ثم قد يحتمل ان يؤذن
في العبارة عن ذلك بما هو الطف وادفع للتوهم توهم ما لعل القلب عند ذكر الشهادة يفضل حيرة
ليبقى عند تلك العبارة وذلك يخرج على وجوه في الاحتمال لما يفهم عقولنا دون القطع على شيء بما
وقع عندنا يمكن الرجوع اليه والله اعلم من ذلك شهادة الخلائق كلهم بما فيهما من آثار الصنعة ودلالة
الربوبية وشهادة الالوهية ليكون شهادة بالذي ذكر لا اله الا هو اذ في كل شيء سواه هذه الشهادة
بالصنعة التي جعلها هو فيه له والله اعلم والثاني ان يكون بذاته متعاليا عن جميع معاني من سواه
من المعاني التي ادخلها الله مربوب وجعل كل شيء في الحقيقة له عند توهم المعبود لا يستحق عبيده
غير آثار الحدثية وشهادة المدخلة تحت القدرة والتدبير وهو به انه متعال عن كلية الجهات
والمعاني التي كانت بها تعبد اذ لم تكن وبها صارت مربوبة عبيدا وهو متعال الانتفاع عن الوصف
بالجهات والمعاني بل هو خلق والخلق ولا قوة الا بالله ويحتمل شهد علم وكذلك من شهد الشيء فقد علم
بخبره خلقته بأنه القائم والله واحد لا شريك له لا اله الا الكل وطاعتهم ليعلموا انما علمهم انه كما اخبر
وذلك في نقض قول كثير ممن يقول ان الله انه عالم وشاهد كل شيء والله الموفق وليس فيها حجة الله
فيها ومن ذكر توهم معنى لشهادته بما هو فيها ومن ذكر معا قد يحتمل لما جمع الى شهادته بها ومعنى
ذكر وجهاد احد بما انفصل من ذكر بما ذكر شهادته فمنه ذكر شهادته وهو على نحو قوله واعلموا انما غنمتم من
شيء فان لله خمسه الاية انه ذكر ماله وان كان له الخلق كله على وجهين احدهما جعل ذلك لوجه العبادة
كما اضاف اليه المساجد وفي انها وغيرها له وذكر في الملائكة الذين عنده وفي امر القيمة واليه

المصير

٢٠٦

ونحو ذلك انما تخصوص لما ذكر من الاوقات في فضل او غير جعل له اولما كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم نسب اليه او كان بكلية المعاني للعبادة فلذلك امر شهادات في ذكر قرنها بشهادة الله تفضلا
لاولئك وتخصيصا من بين الخلائق والله اعلم والثاني في كون الشهادة من الاخبار حق لا من نسبه
اليه كما نسب اليه كتابة الالواح ونفخ جبريل الروح بما كان عينه امر به فكذا فعله في الاضافة اليه
والله اعلم بشرح ذلك فيما على التحقيق ان يفهم ما عن الله ربوبية وعن العبد عبودية على جميع ما يضاف
الى الله انه يفهم من غير الوجه الذي يضاف الى الخلق فلذلك امر الشهادة والله اعلم وروي عن
ابن عباس انه قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام على معنى جعل انه صلة في الكلام
وحقيقته شهد الله الذي لا اله الا هو والملائكة ومن ذكر ان الدين عند الله الاسلام والاسلام
في الحقيقة جعل كلية الاشياء لله سالمة لا شريك له فيها في ملك ولا انشاء ولا تقدير والايمان التصديق
بشهادة كلية الاشياء لله بانه وحدانيتها على ما هي عليها خالية عن الشركاء وقد قيل الاسلام خضوع
وقيل الاخلاص وهو يرجع الى ما بينا وذلك كقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سالما لرجل والايمان هو التصديق بالله بما اخبر انه رب كل شيء وان له الخلق والامر وقيل هو التصديق
بما جاءت به الرسل وذلك يرجع الى ما بينا ايضا والله اعلم و**قوله** قائما بالقسط قيل هو عادل
لا يجور لان للقيام معنى في ذلك كقوله كونوا قوامين بالقسط بمعنى كونوا عادلين مقسطين والله
اعلم وقيل قيام تولي وحفظ او كفاية وتدبير كما يقال فلان قائم بامر كذا لا يعني توهم انتصاب
وفي ذلك قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت و**قوله** فان حاجوك وقد قيل جادلوا حاجوك
فيحتمل والله اعلم ان يكون هذا بعد ما علم الله انهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة امره بترك المحاجة
بقوله فقل اسلمت وجهي لله وكذلك من اتبعني اسلموا انفسهم لله كقوله وتول عنهم فاعرض عنهم اياسا
عن ايمانهم وامره بترك المحاجة معهم و**قوله** فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت ثم يحتمل قوله
وجهي لله اي نفسي لله لا اشرك فيها احدا ولا اجعل لغير الله فيها حظا على ما جعل الكفرة في انفسهم شركاء
وارباب **قال** الشيخ وقيل الاسلام ان تجعل نفسه بكليتها لله سالمة لا شريك فيها لاحد كما قال
ورجلا سلما لرجل والايمان هو التصديق لشهود الربوبية لله من نفسه وغيره لانه ما من شيء الا
وفيه شهادة الربوبية لله و**قوله** ومن اتبعني اي من اتبع ديني فقد اسلموا انفسهم لله ايضا
لم يشركوا فيها شركاء وارباب ويحتمل قوله وجهي لله اي اسلمت امر ديني وعملي لله وكذلك من اتبعني
واتبع ديني فقد اسلموا اعمالهم وامورهم لله كقوله وافوض امري الى الله وفي حرف ابن مسعود
ومن اتبعني اي ومن معي و**قوله** وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين قيل الذين اوتوا الكتاب
اليهود والنصارى والاميين العرب الذين لا يقرؤون الكتاب ولا لهم كتاب ااسلمتم اخلصتم لله
كما اخلصت انا وجهي لله ومن اتبعني فان اسلموا فقد اهتدوا واخلصوا وجوههم لله واعمالهم
وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فان ابوا ان يسلموا فليس عليك الا البلاغ كقوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله عليك البلاغ وعلينا الحساب
و**قوله** والله بصير بالعباد هو حرف وعيد قيل بصير غير غافل وقيل بصير بجزاء اعمالهم
وقيل بصير بما اسروا او اعلنوا وفي كل وجه وعد ووعيد **قال** الشيخ رحمه الله في قوله فان
حاجوك ولم يبين فيما ذا وقد يجوز ترك الاخبار عن القصة بوجهين احدهما لعلم اهله والثاني
بما في الجواب دليله قوله يستفتونك وتبينا لو انك في غير موضع على غير البيان انه عما ذا او هو والله
اعلم داخل تحت ذلك الوجهين ثم يحتمل ان تكون المحاجة قد كانت فيما قال فان حاجوك والحجة

٢٠٧

قد ظهرت فيه فكانوا يجحدون ايمانهم عنادا وتعنتا فاكرم الله رسوله بالاعراض عن محاجتهم
ذلك بما ظهر تعنتهم فقال فقل اسلمت وجهي لله في الاعراض عن محاجتهم والله اعلم ويحتمل ذلك
يخرج معنى الامر بالتولي عنهم في غير موضع ويحتمل ان يكون المحاجة في عبادة الواحد القهار والاوثان
التي كانوا يعبدونها من دون الله فبين جل ثناؤه في ذلك بالذي يقول لهم هو ومن اتبعه في ذلك
نحو قوله لكم دينكم ولي دين وقوله لا حجة بيننا وبينكم الاية ونحو ذلك والله اعلم قوله ان الذين
يكفرون بايات الله قيل بايات الله التي في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقيل
بايات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ويقتلون يحتمل قوله يقتلون اي يهمون ويريدون
قتلهم كقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم فلو كان على حقيقة القتل فاذا قتلونا لم نقدر على قتلهم وكقوله
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت ان تقرأ القرآن وكقوله اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا اي اذا اردتم ان تقوموا الى الصلاة لانه اذا قام الى الصلاة لم يقدر على الغسل
فكذلك الاول ويحتمل ان يكون الرضاء بقتل ابائهم الانبياء فاضاف ذلك اليهم وقيل ان
اولاد اباء هؤلاء الذين قتلوا الانبياء وقيل جاء انهم كانوا يقتلون الف نبي كل يوم وقال لا اعرف
هذا فان صح فهو على انهم تمنوا ذلك او قتلوا انبياء والنصارى فسموا انبياء لما كان يلي بعضهم
بعضا والله اعلم وقوله فبشرهم بعذاب اليم ولو كان ذا واذا بشر كيف يامر رسوله بالبشارة
وهو موبق دل هذا على ان ثنا ويل من الاول ان هموا بقتلهم او رضوا بصنع ابائهم والله اعلم
والبشارة المطلقة انما تستعمل في السرور والخيرات خاصة الا ان تكون مقيدة فحينئذ تجوز
في غيرها كقوله فبشرهم بعذاب اليم فقيدها هنا لذلك قال اصحابنا ان اليمين الحقائق اولى
من المجاز ولذا الظاهر اولى من الباطن الا بدليل على ما صرفت اشياء كثيرة عن حقائقها بالعرف
من نحو الايمان وغيرها وقوله اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة يحتمل وجوها يحتمل
اعمالهم التي فعلوا قبل ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث كفروا به فبطلت تلك الاعمال
ويحتمل ما كان لهم من الاعمال من صلة الرحم والقرابات والصدقات فبطلت لما لا قوام لها
الا بالايمان فلما لم يأتوا به بطلت وقوله في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فثوابها واما في
الدنيا محمدتها وثناؤها ويحتمل في الدنيا ثواب الدنيا كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين يكفرون بايات
الله فالايات اعلام وحجج وهي انواع منها حسيات نحو الخلائق في الدلالة على وحدانية الله تعالى
والخارجة منها عن احتمال وسع البشر يظهر عند ادعاء الرسل الرسالة يشهد على ان الذي ارسلهم
هو الذي تولاها ليعلموا انها حجة ويوضح لهم رسالتهم ومنها السمعيات وهي التي جاءت بها
الرسل من الانباء عما لا سبيل الى الوقوف عليها الا بالتعلم بلا تقدم تعليم او ما لا يعلم حقيقة ذلك
الا الله ليعلم ان الله هو الذي اطلعهم عليها لتكون اية لهم والله اعلم ومنها العقليات وهي التي
تعرف بالحجج والتحقق عنها لما بها يوصل الى معرفة التوحيد والرسالة ودرجها ثم قد جعلها كلها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن يكفر بها تخرج على وجهين احدهما على الكفر بحقيقة الايات اذ يكون
من ايات لما اجتمعت له وجوه من الوجوه التي ذكرت فنفى الله تعالى لمن يكفر بها بما ذكرت لتعنتهم
ومعاندتهم والله اعلم والثاني ان يريد بالكفر بالايات الكفر بمن له الايات فنسب الى الايات
لانها تعلم الحقيقة كما نسب الاشياء الى اسبابها التي بها يوصل اليها فذلك معنى الكفر بالايات
ثم كانت الكتب السماوية وما فيها من النعوت وما عجزهم عن اتيان مثل القرآن ونحو ذلك

٢٠٨

من الحسنات والله اعلم فعلى ما ذكرنا تخرج معنى الكفر بالايات لانها تحيط باخذها الحواس
ويحيط بها الاوهام والعقول ولكن على انكر ايات للذي ذلك عليه او على الكفر بالذي له
ايات توجب تحقيقه والله الموفق وقوله فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقال في
ذلك الكتاب لا ريب فيه وقد ارتاب فيها اكثر اهل الارض قيل قوله لا ريب فيه قد يتكلم به
على تثبيت المقول به عنده فاتكل لا على نفي الشك عن كل من سمعه ارادة التاكيد فعلى ذلك امكن
ان يخرج معناه اذ هو مخاطبة على ما عليه كلامهم وكذلك قولهم ابد الابد ودوام الدوام امتداد دوام
لا على حقيقة الابدية وكذلك يقولون هذا الملك قديم وامر قديم لا يريدون به حقيقة القدم التي تخرج
عن الكون بعد ان لم يكن والله الموفق والثاني على انه لا يرتاب فيه المتامل المنصف بما جعل الله
لذلك من الايات وعليه من الادلة التي من تدبرها اظهرته له حتى يصير كالمعاين ولا قوة الا
بالله والثالث ان يخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم عن قوم مخصوصين بما كانوا يدعونه فيه فيقذ
علمهم بصدقه ليعرف به تعنتهم ويؤيسه عن الطمع فيهم ولا قوة الا بالله وقوله الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله الم تر انما يتكلم به لاحد معنيين اما على التعجب من الامر
العظيم يقول الرجل لاخر الم تر فلانا يقول كذا او يعمل كذا يقول ذلك له لعظيم ما وقع عنده واما
للتنبيه فانهما كان فيه تحذير للمؤمنين ليحذر المؤمنون عن مثل صنيعهم كقوله ولا تكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل الاية حذر المؤمنين ان يكونوا مثل اولئك الذين اوتوا الكتاب ولا يخالفوا
كما هم كما خالفوا هم وقوله يدعون الى كتاب الله يحتمل ان يكون اراد بالكتاب التورية
على ما قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اسلموا تهتدوا ولا تكبروا فقالوا نحن اهدى
واحق بالهدى منك وما ارسل الله رسولا بعد موسى صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم بيني وبينكم التورية والانجيل فانه مكتوب فيهما نعتي واني رسول الله فابوا ذلك فخرج عنا
على ظهورهم وكذا قولهم وقيل اراد بالكتاب القرآن دعوا اليه لانه مصدق لما معهم من الكتاب فابوا ذلك
بل هم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وذلك الايام التي عبدوا وهم العجل فظنوا انهم انما يعذبون
بقدر ما عبدوا وهم العجل وهم لا يخلدون في النار لانهم ابناء الله واحباؤه ويحتمل
ان يكون اباؤهم قالوا لهم انكم لا تعذبون في النار الا قدر عبادتنا العجل فاخبر عز وجل ان قد غرهم
في دينهم ما كانوا يفترون ثم خوفهم فقال فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقوله
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية يحتمل قوله مالك الملك
وجهين احدهما مالك ملك كل ملك في الدنيا له حقيقة الملك والثاني ان الملك له يؤتي من يشاء من
ملكه وينزع ممن يشاء الملك ومن المالك لذلك والقادر عليه والاية ترد على القدرية قولهم
لانهم يقولون ان الله لا يعطي الكافر الملك ومن قد اخبر انه يعطي من يشاء الملك وقد يؤتي الكافر له
الملك فان قالوا اراد بالملك الدين فقد اخبر ايضا انه ينزع فكيف يستقيم على قولكم في الاصلح
هذا اثر في الاية بقوية لمن قرأ مالك يوم الدين بالالف لانه اعم واجمع لانه قال مالك الملك
ومن اعم والثاني ان الملك انما يعبر عن الولاية والسلطان والمالك انما يعبر عن حقيقة الملك ومنزلة
في التحقيقة الملك فله ولاية التقلب والتصرف فيه وولاية السلطان وليس كل من له ولاية السلطان
يكون له ولاية التقلب لذلك كان بالالف اقرب ومن قرأ ملك يوم الدين بغير الف ذهب الى ان هذا
كقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم ومن الملك يقال ملك لا يقال مالك لذلك كان ما ذكر والله اعلم
والمالك في الاطلاق لا يقال الا لله وكذلك الرب في الاطلاق لا يقال الا لله واما العبد فانه

يعون الشي اليه فيتاك ذلك اذا اردهما لكنها ورب اذا اردها لكنها والله أعلم وقوله قل
اللهم مالك الملك قال قايلون الخطاب لرسول الله خاصة وقال اخرون الخطاب بذلك
لكل عاقل وهو كقوله قل هو الله احد اي احد ذلك الخطاب لكل احد لا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاصة وقال الشيخ رحمه الله يبين هو خطاب ولكنه امر بالبلاغ ليقوله كل احد لانه
لو خوطب به لم يذكر قل عند قراته وقوله اللهم قال قايلون اللهم يعني يا الهنا وقال
اخرون اللهم يعني اقصدنا بالخير والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله قل اللهم
مالك الملك الاية فكانه عز وجل امتحن من رغب في الملك او نال حظا منه ان يصرفوا وجه الرغبة
اليه اويروا حقيقة ما نالوه منه فليوجهوا اليه الشكر ويخضعوا له بالعبادة والطاعة فيما
امرهم به ليبقى لهم شرفه او يدوم له عزه وذلك كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة ليريهم ان الذي يملك هذا النوع الذي رغبت فيه انفسكم ومنعكم عن
القيام بحقه هو الذي يملك ذلك فاليه فاصرفوا سعيكم وبشكره استديموا الذي له اختر
جل كذلكم فانه يملك ذلك دون غيره وجملة ذلك في قوله وما بكم من نعمة فمن الله ومعقول في ما عليه
طبع البشر واليه دعاهم عقولهم ان كل شي يؤثره انفسهم كان الذي يحق عليهم طلبه عند من به يوصل
اليه واحياء وهو ما به يبلغون ما يأملون من انواع الحيل التي تقربهم الى ذلك فمثله يلزم امر
الملك ولذات الدنيا وبقو ربه في قلوبهم وجود ذلك لقوم لو كان ينال بالتدبير او بحسن السياسة
وطلب ذلك من الوجوه التي يطلب بها البشر فلم يكن الدين لهم ذلك باحق من غيرهم بل كان فيهم
حرموا من هو اولى بذلك واحق ان يكون في ذلك متبوعا لا تابعا من الذين نالوه ليعلم ان الذي يملك
دفع ذلك الى احد او يملكه احدا غير الذي حرموا كدحهم وحملوا اليه سعيهم فيكون لله في كل امر مما
عليه امر البشر اية عظيمة وعلامة لطيفة على تفرده بملك ذلك وتوحده بالتدبير فيه لمن له بصيرة
ولمن فيه يمتحن عباده وفي ذلك اذ ثبتت في ذلك ادلة التوحيد والادعوا لاعتبار به ليعرف
من له الحق ثبت القول ببطلان ما يكون كثير من المعتزلة ان الملك الذي قال له الجبابرة والسعة
التي تحصل الى الكفرة لم يكن نالوه بتقدير الله ولا وصلوا اليه بتدبيره اذ حقه ما ذكرت من عظيم
ما فيه من الفساد ليلزمهم به ارتفاع المحن والى الشكر له اذ سلوا بالحسنات والسيئات كما وعد
عز وجل وجعلته ان الدنيا اذ هي دار محنة ومكان ابتلاء فليس الذي يعطي منه على الاستحقاق
ولا ما يمنع على العقوبة وان احتملا الرفع والمنع لذلك ولكن له والمحي والمحنة الا على ما يلي محالفة
الاهوآء وتحمل المكاره ويكون ذلك على اعطاء ما ينظر في انسهم او التمكين بم يمتحنوا فيبتلي الابنا
والشرك لوجه الله والرغبة فيمن اليه حقيقة ملك كل شي والميل الى من اليه انواع التعوير والمخادعا
من غير تحقيق ولا قوة الا بالله وفي ذلك قوله ان اتاه الملك يبين ذلك باحتجاجه على ابراهيم بالذي
ذكر واعتضاء ابراهيم عنه ولو كان الذي اتاه الملك ابراهيم لم يكن ليحتج عليه تلك المقالة نحو
انا احيي وامنت ولا قوة الا بالله ثم على قول المعتزلة ان الله تعالى انما اتى اداة يؤتي الملك اوليائه
وينزع من اعدائه في الجملة فكيف ادعى لنفسه هذا السلطان والملك وكان الوجه فيه عند ذلك
ابطل المعتزلة ان الحجة يقطع ما هو اوجب للشبهة في حجج التوحيد بارفع مما اعطاهم المعتزلة
بهذا القول او يمكنهم من التمكين في نقض ما دعت الموحدة من علو الرب وقدرته وجلاله
ما بلغ بما لقنتهم المعتزلة بما ليست بوب التوحيد واستترت بتوة في الظاهر شرا عطت
الملحدة هذا البطشوا الشر لعلموا ما به نقض التوحيد ودفع حجج اهله جل الله عما وصفته الملحدة

وتعالى في العصمة والنجاة ولما اعطتهم المعتزلة في الجملة سبقهم به ابليس حتى كانوا بمثله
يحتجون فينطقون ان الفراعنة بالنبوة منهم بما اعطوا من الملك والثروة في الدنيا نطقوا الفراعنة
عند الله وارفع في المنزلة منهم لم يكن ليؤثرهم بالرسالة عليهم لكن اولئك صفوا حاق التعبد
لله وقيل مما نالوا من الملك واعترف به المعتزلة وامنت اذ اله ذلك عن الله ليبلوا عنهم
ما لهم من الشكر له والطاعة لمن فرنته الله وشاء ان الله تمام نعمه في الدين والدنيا وقوله
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وقوله تخرج الحي من الميت ونحو ذلك وجوه من
الادلة احدها ان يعلم ان الله جل ثناؤه فيما يخلق لا يخلق على معونة الاسباب وتوليد الطبايع لان
الاسباب تكون بموضع الاشكال وكذلك الطباع يولد الذي في جوهره نحو الحار يولد الحرارة والبا
الموددة يبين جل ثناؤه الانشاء في احوال التضاد ليعلم ان القادر على اجتماع ما شاء مما شاء بلا
معونة من ذلك ولا توليد ولا قوة الا بالله والوجه الثاني انه جرى تقدير ذلك على ما لا اتفاوت له
ولا اخلاف في اختلاف الاعوام ليعلم انها مستواة في التدبير احكمه في ذلك العزيز الحكيم الذي
لا يعجزه شي ولا يخفى عليه امره ليعلم ان الذي قدر في ذلك واحد اذ لم يختلف ولو كان اثنين ولا
قوة الا بالله والثالث انه تدبير كل جوهر باحداث الاخر كانه لم يكن قط وكان بقي له اثر ثورد ده
بالوصف الذي كان حتى لا يفوت منه شي حتى لا سبيل الى العلم بالتفصيل بينهما ليعلم قدرته في التعب
ينبغي ان يفني كل الاجزاء والاثار على ما كان ولا قوة الا بالله والرابعة انه اذ بني الامر على ما فيه
من عظيم الحكمة وعجيب التدبير لم يجز ان يكون فعله خارجا على العبث ثم في دفع المحنة وابطال
الرسالة في تعليمه ما في ذلك من الحكمة وما يلزم بمكان ذلك التدبير من الشكر والمعرفة ثم من
الترغيب فيما يملك من النعمة والترهيب عما عنده من النقمة ابطال الحكمة وتصوير العالم مما
ذكرت على العبث وذلك فاسد في العقول وموجود في الجواهر عظيم حكمة منشيها ثبت بذلك
العبادة والرسالة والجزاء ولا قوة الا بالله وقوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
الى اخره يحتمل وجهين يحتمل ان تؤتي ابتداء من غير ان كان اتاه مرة وكذلك تنزع اي تمنع ابتداء
من غير ان كان اتاه مرة يتنزع كقوله رفع السموات رفع ابتداء من غير ان كانت موضوعة فرفعها
وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور اخراج الابتداء الا انهم كانوا فيها ثم اخرجهم فعلى ذلك هذا
وعلى ذلك قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ايلاج ابتداء الا ان كان احدهما في الاخر كقوله
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة والنهار سرمدا اخبر انه لم يجعل واحدا
منهما سرمدا وكذلك قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي اخراج ابتداء ان تخلق الحي
من الميت ابتداء وتخلق الميت من الحي من غير ان كان فيه ويحتمل هذا الكله ان كان يؤتي الملك
بعد ان لم يكن وينزع بعد الذلة وينزع الملك بعد ان كان وبذل تعبد ان كان العز وهذا في هذا
وقوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قيل ان تخرج حي الاقوال من ميت الافعال
وميت الافعال من حي الاقوال تخرج المومن من الكافر والكافر من المومن على ما سمى الله تعالى
الكافر ميتا والمومن حيا في غير موضع من القرآن وقيل تخرج حي الجوهر من ميت الجوهر وميت
الجوهر من حي الجوهر وقيل تخرج الحي من المني وتخرج المني من الحي وقيل البيضة من الحي والحي
من البيضة وقيل النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من
الحبة وقوله وترزق من تشاء بغير حساب قيل بغير حساب يعرف الخلق عدده ومقداره
وقيل بغير تبعة ولا طلبة اي لا يحاسبهم فيما اعطاهم من بعدما اعطاهم ويحتمل بغير حساب اي

لا يحاسبهم بحساب اعمالهم ولكن بتفضل خلافا للمعتزلة ويحتمل بغير حساب في الآخرة وعن
ابن عباس رضي الله عنه بغير هنداز فادسية معرّبة ومن مقاتل لا يقدر ذلك غيره
يقول ليس فوقي ملك يحاسبني انا الملك اعطي من شئت بغير حساب لا اخاف من احد يحاسبني والله
اعلم وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يحتمل وجهين يحتمل لا يتخذ

٢١١

اي لا يكونون اولياء لهم وان اتخذوا اولياء بل هم لهم اعداء كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر الى آخر الآية ويحتمل على النهي اي لا تتخذوا اولياء كقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء وكقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله الا ان تتقوا منهم تقاة اختلف فيه
قيل الا ان يكون بينكم وبينهم قرابة ورحم فيصلون ارحامهم من غير ان يتولوهم في دينهم على ما جاء
عن علي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه ابو طالب ان عمك الضال توفي فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فواره ويحتمل قوله الا ان تتقوا على انفسكم منهم تقاة الا
تخافوا منهم فتظهرون لهم ذلك مخافة الهلاك وقلوبكم على غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه
التقية التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان وقوله ويحذركم الله نفسه قيل عقوبته ونقمته
التي تكون من نفسه لما يكون ذلك به لا بغيره والله اعلم وقوله قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يحتمل ما تخفوا من ولاية الكفار وتبدوه يعلمه الله فيه اخبار ان في قلوبهم شيئا
ويحتمل ان يكون اراد جميع ما تخفون وتبدون ويعلم ما في السموات وما في الارض الآية وقوله
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قيل تجد ثواب ما عملت من خير حاضرا لان عمله
انما كان للثواب لا للنفس لعمله وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يحتمل ما عملت
من سوء تجده مكتوبا تجاوز عنه لان الله عز وجل وعد للمؤمنين والطمع لهم قبول حسناتهم
والتجاوز عن سيئاتهم كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم
فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا ويتجاوز عن مساويه واما الكافر فيجد عقاب ما عمل
من سوء في الدنيا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا فلا يتجاوز عنهم ويبطل خيراتهم وقوله
امدا بعيدا قيل بعيدا من حيث لا يرى وقيل بعيدا تود ليت ان لم تكن ما من نفس مؤمنة ولا
كافرة الا وتود التبعد عن ذنبه وان لم يكن ويحذركم الله نفسه قد ذكرناه وقوله والله رؤوف
بالعباد ان اراد رأفته الآخرة يعني بالمؤمنين خاصة وان اراد رأفته الدنيا فهو بالكل قال
الشيخ رحمه الله في قوله والله رؤوف بالعباد فالرحمة من الله جل ثناؤه والرأفة نوعان احدهما
في حق الابتداء ان خلق خلقا ذكر فيهم ما يميزون به بين مختلف الامور ويجمعون بين المؤتلف
ثم لم يأخذ كلا منهم بما استحق من العقوبة بل رحم وامهل للتوبة والرجوع اليه وهذه الرحمة
رحمة عامة لا يخلو منها احد ورحمة في حق الجزاء من التجاوز والمغفرة وايجاب الثواب
للفضل لهذه لانها لما اعدائه لما يوجب تجهيل في التفريق بين الذي جعل في العقول التفريق
ولما يكون وضع الاحسان في غير اهله والاكرام لمن لا يعرف المكرم به ولما في الحكمة تقديمهم
تخوفيا وزجرا انما يختارون دنيا لها من تعرف واعتقد الموالاة وكان هوا عظم في قلوبهم
وطاعته من جميع لذات الدارين وان كانوا يبتلون بالمعاصي على الجهالة او على رجاء الرحمة
والعفو اذ هو كذلك في شرطهم الذي به والو به بالغلبة والله اعلم فهي رحمة خاصة اي هي
بالمؤمنين والعباد الذين بذلوا انفسهم له بالعبودة بحق الاختيار وان كانوا يغلبون على
ذلك في احوال والله الموفق وقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قيل ان قوما

كانوا يقولون في عهد رسول الله عليه السلام انا نحب الله حبا شديدا فانزل الله عز وجل هذه الآية
وبين فيها المحبة لها وقيل ان اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فانزل الله تبارك وتعالى قل يا محمد
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وذلك ان من احب ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في امره

٢١٢

ويؤثر طاعته لحبه فاذا اظهرتم ترك اتباعكم لرسولي وتركتم اتباعه في امره وايثاره طاعته ظهر انكم
تكذبون في مقالتكم نحن ابناء الله واحباؤه لان من احب آخر يحب المطلعين به ورسله وحشمه والمحبة
هاهنا الايثار بالفعل طاعة من يحبه فيما احبه وكرهه والطاعة له في جميع امره والله اعلم وقوله
اطيعوا الله والرسول الآية قد تقدم ذكرها وقوله ان الله اصطفى آدم اختلف فيه قيل
اصطفى آدم ونوحا فمن ذكر لرسالته ولنبوته وقيل اختارهم لدينه وهو الاسلام وقيل اختارهم
في النبوة والعمل الصالح والاخلاص له قال الشيخ رحمه الله في الاصطفاء ان يجعلهم صافيا
من تكدر في الدنيا وغيرهم اخيارا وهم لا مرين لا من الآخرة ولا من المعاش لا يرى الى قوله انا معشر
الانبياء لا نورث تموت تموت العبد لسيده وقال الشيخ ايضا في قوله ان الله اصطفى من ذكر
فهو والله اعلم ذكر الله اوليائه واهل صفوته واعدائه واهل الشقاء ترغيبا فيما استوجبوا
الصفوة وتحذيرا عما به صاروا اهل الشقاء اذ هما امران يتولدان عن اختيار البشر ويتوهمان باسبابها
اهل الحي لا تبعد الخلقة والجوهر فيها والذكر للمعنى الذي ذكرت وفي هذا ذكر وجه ذكر عواقب
الذين يتقون في الدنيا وما انتهى بصيرا من هو من المعاد وفي هذا اما ضرب الله من الامثال بانواع الجواهر
الطيبة والخبيثة في العقول والطبائع ترغيبا وترهيبا وعلى هذا جميع امور الدنيا انها كلها عبر
ومواعظ وان كان فيها شهوات ولذات والآلام والاوجاع ليعلم انها خلقت لا لها لكن لامر عظيم
كان ذلك هو المقصود من مدبر العالم بالعواقب يذم اهل الاختيار ويحمدون فجعل الله عواقب
الحكماء واهل الاحسان حميدة لذيذة ترغيبا فيها وعواقب السفهاء واهل الاساءة وخيمة وخيفة
ترهيبا عنها فخرج جميع فعل الله على الحكمة والاحسان وان كانت مختلفة في اللذة والكراهة لانه
كذلك طريق الحكمة في الجزاء وفي ابتداء المحنة الا ان المحنة تكون مختلفة والجزاء نوع لما هو كذلك
في الحكمة والاعيان اذ كذلك سبق من اهلها الاختيار والجزاء على ما اختاره من له وعليه حكمة
واحسان اعني بالاحسان فيما يجوز الامتحان بالاجزاء على الشكر لما اولي وابلي والحكمة فيما كان ولا قوة
ذلك في التدبير ولا قوة الا بالله وقوله ذرية بعضها من بعض قيل بعضها من بعض في النسب
من ذرية آدم ثم من ذرية نوح ثم من ذرية ابراهيم وقيل بعضهم من ذرية بعض وقيل بعضهم
من جوهر بعض فلا يتكبروا كقوله والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض منع الحر على التعظيم على العبد
واختلف في الذرية قال بعضهم الذرية الاولاد والآباء كقوله وذرية من حملنا مع نوح وكانوا
الاولاد والآباء والذرية مأخوذة من الذرو وهو الخلقة وقيل الذرية الاولاد خاصة
يقال ذرية فلان انما يراد بذلك اولاده خاصة ودليله قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان واختلف في الآل قيل آل الرجل المتصلون به وقيل
آل الرجل اتباعه وقيل اقرباؤه وروي انه قال كل تقي فهو من آلي وقيل ان عمران هو والد
سليمان بن داود وقوله اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآ
اخبر عز وجل انه اصطفى آل عمران واختارهم على العالمين وكان اول ما في صفوته واختياره
ان جعلت امرأة عمران ما في بطنها محررا والمحرر هو العتيق من المعاش بالعبادة وقيل المحرر
هو الذي يعبد الله خالصا مخلصا له لا يشغله شيء عن عبادته فارغا لذلك وهو قول ابن عباس

رضي الله عنه وقيل المحرر هو الذي يكون لله صافيا وقيل المحرر هو من خدم المسجد وقوله اني نذرت لك ما في بطني محررا اصلت ما في بطنها لله خالصا لم تطلب منه الاستيناس به ولا ما يطمع الناس من اولادهم وذلك من المعتبرة اي ذكر عز وجل وهكذا الواجب في كل احد انه اذا طلب ولدا ان يطلب للوجه الذي طلبت امراة عمران وزكريا حيث قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وما سال ابراهيم صلى الله عليه وسلم هب لي من الصالحين وكقوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا الاية هكذا الواجب ان يطلب الولد لا ما يطلبون من الاستيناس والاستعانة بامر المعاش بعده وقوله فتقبل مني انك انت السميع العليم اي تقبل مني قربانا وما جعلت لك خالصا انك انت السميع لنذري العليم بقصدي في التحرير وقيل السميع هو المجيب لدعائي العليم بنيتي وقوله فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى ومعنى قولها اني وضعتها انثى مع علمها ان الله عالم بما في بطنها وما وضعتها وجهان احدهما اعتذار لما لم يكن محرر في ذلك الزمان الا الذكور من الاولاد فاعتذرت اي ما وضعت لا يصلح للوجه الذي جعلت وانها في ان الانسان اذا رأى شيئا عجيبا قد ينطق بذلك وان كان يعلم ان غيره علم ما علم هو وانه راى مثل ما راى هو او يحتمل انها طلبت ردها الى منافعها اذا وضعت الانثى لما رات ان الانثى لا تصلح لذلك ويحتمل قولها اني وضعتها انثى التعرض لاجابة الله لها فيما قصدت من طاعته بالنذر وان لم تكن صلحت لما قصدت وقد اجيبت في ذلك بقوله فتقبلها ربها بقبول حسن نحو ما يتقبل لو كان ذكرا في الاختيار والاكرام وجعلها خير نساء العالمين وقوله وليس الذكر كالانثى اختلف فيه قيل ان ذلك قولها قالت وليس الذكر كالانثى على اثر قولها اني وضعتها انثى لما تحتاج الانثى الى فضل حفظ وتعاهد والقيام باشياء لا يحتاج الذكر وقيل ان ذلك قول قاله عز وجل لما قالت اني وضعتها انثى جوابا لها وليس الذكر كالانثى فيما قصدت والله اعلم وقوله واني سميتها مريم فيه دليل ان التسمية للاولاد الى الامهات في الاناث دون الاباء ثم استجارت الى الله تعالى حيث اعاذتها به وذريتها من الشيطان الرجيم وفيه دلالة ان الذكور يكونون من ذرية الاناث لانه لم يكن منها الا عيسى وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن يحتمل قوله فتقبلها ربها بقبول حسن ان اعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم على ما سالت ويحتمل ان جعلها تصلح للتحرير ولما جعلت وان كانت انثى وقوله وانبتها نباتا حسنا يحتمل انبتها نباتا حسنا ان لم يجعل للشيطان اليها سبيلا ويحتمل ان ربا ها تربية حسنة ان لم يجعل رزقها وكفايتها بيد احد من الخلق بل هو الذي يتولى ذلك لما بعث اليها من الوان الرزق كقوله وجد عندها رزقا وكقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقوله وكفلها زكريا فيه لغتان احدهما بالتخفيف والاخر بالتشديد فمن قرا بالتخفيف فمعناه ضمها زكريا الى نفسه ومن قرا بالتشديد فمعناه ان الله عز وجل ضمها الى زكريا وقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قيل وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال زكريا اني لك هذا قيل فيه بوجهين قيل استخبار عن موضعه او كيف لك هذا اعني الاستيصاف انكار ان يحملها وانها انما لما لا يدخل عليها غيره ولا يقوم بكفايتها سواه فوقع في قلبه ان احدا من البشر اتاها بذلك وقيل انه قال ذلك تعجبا منه لذلك لما راى من الفاكهة والطعام في غير حينه غير متغيرة فقال اني لك هذا تعجبا منه لذلك ثم قالت

هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي يرزق من حيث لا يحتسب وقوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة قيل فيه ذلك دعا زكريا ربه لما كانت نفسه الحاشية تحدثت بالولد ان يهب له لكنه لم يدع لما راى نفسه متغيرة عن الحال التي يطمع منها الولد ورأى ان السؤال في مثل ذلك لا يصلح فلما راى عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غير متغيرة عن حالها علم عند ذلك ان السؤال يصلح وانه يجاب للدعاء في غير حينه فذلك معنى قوله هنالك دعا زكريا ربه والله اعلم ويحتمل انه لما راى ما اكرمت امراة عمران في قبول دعوتها وتبليغ ابنتها في الكرامة المبلغ الذي راى فيها مما لعل الحماع الانفس لا تبلغ ذلك دعا الله جل ثناؤه ان يكرمه بمن يبقى له الاثر به والذكر وان كانت تلك الحال حالا لا تطمع الانفس فيها وعن صلى الله عليه وسلم معما كان يعلم قدرة الله عز وجل على ما شاء من غير ان كان يحبس على طلب الاكرام بكل ما يبلغه قدره حتى راى ما هو في الاعجوبة قريب مما كان نفسه تمنيه والله اعلم بالمعنى الذي سال وقوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء اي مجيب للدعاء وقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب وفي هذا ان المحراب هو موضع الصلاة ان الله يبشرك بيحيى فيه دلالة لقول اصحابنا ان الرجل اذا حلف ان لا يبشر فلانا فارسل اليه غيره يبشره حنث في يمينه لانه هو البشير وان كان المؤدي غيره الا ترى ان البشارة ههنا اضيفت الى الله تعالى فكان هو البشير وكذلك هذا وقوله مصدقا بكلمة من الله بكلمة قيل عيسى كان بكلمة من الله فيحيى صدقه برسالته وقيل اول من صدق عيسى يحيى بن زكريا ولهذا اذ وقع على النصارى شبهة حيث قالوا عيسى ابن الله بقوله بكلمة من الله وروح منه ظنوا انه جزء منه لكن ذلك انما يذكر اكراما لهم واجلالا ولا يوجب ذلك ما قالوا الا ترى ان الله عز وجل قال وما بكم من نعمة فمن الله ونحو ذلك لم يكن فيه ان النعمة منه في شيء فعلى ذلك الاول وقوله وسيدا قيل سيدا في العلم والعبادة وقيل السيد الحكيم ههنا وقيل السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه وكذلك كان صلوات الله عليه وقيل السيد الحسن الخلق وقيل السيد التقي وقيل التقي يحيى من اسماء الله تعالى من حي والله عز وجل هو الذي سماه يحيى وكذلك عيسى الله هو الذي سماه مسيحا بقوله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وذلك اكراما لهما واجلالا على ما سمى ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله وموسى كليم الله اكراما لهم واجلالا فكذلك الاول وجائز ان يكون يحيى بما حيي به الدين قال الشيخ رحمه الله في قوله يحيى قيل سماه به لما حيي به الدين والمروة او حيي به العلم والحكمة او حيي به الاخلاق الفاضلة والافعال المرضية ولهذا اوالله اعلم سمي سيدا لان السؤدد في الخلق يكتسب لهذا النوع من الاحوال والافعال المرضية ولهذا اوالله اعلم سمي سيدا لان السؤدد في الخلق يكتسب لهذا النوع من الاحوال وسمي مسيحا بما مسح بالبركة او بما ذكر في كل شيء يمسحه بيده فكان يبرا به ويحيي والله اعلم وحقيقة السؤدد انه يكتسب بالاخلاق الحسنة والافعال المرضية وجائز ان يكون صلى الله عليه وسلم جمعهما فيه تسميه والله اعلم والاصل في هذا ونحوه ان لا يسميها اذ جعلت للمعارف وليعلم بها المقصود فالكف عن التكلف في المعنى الذي له سمى له اسلم وان كان في الجملة يحتاج مما يحسن منه في الامتناع دون ما يقبح على المقال او على الرغبة

في ذكره على ما نختار من محل شيء والله أعلم وقوله وحصورا قيل الحصور الذي لا ماء له
ولا شهوة وقيل هو المأخوذ من النساء والممنوع منهن وقيل هو الذي لا يشتهي النساء وكل واحد
والله أعلم ونبيا من الصالحين ذكر أنه من الصالحين وإن كان كل نبي لا يكون إلا صالحا على ما سمي كل
نبي صديقا وإن كان لا يكون إلا صديقا نبيا وجه ذكره صالحا أنه كان يتحقق فيه ذلك لأن غيره من
الخلق وإن كان يستحق ذلك الاسم إنما يستحق بجهة دون الأنبياء صلى الله عليهم وسلم يتحقق ذلك
فيهم من الوجوه كلها والثاني دعا أن يلحق بالصالحين في الآخرة والله أعلم قال الشيخ رحمه الله
ما ذكر في كل نبي أنه كان من الصالحين يخرج على أوجه على جميع الصلاح وعلى البشارة لهم في الآخرة
أنهم يلحقون بأهل الصلاح وفي أنفسهم لولا النبوة ليعلم أن النبوة إنما تختار في الذين لم تزل
لهم وصف الصلاح وعلى الوصف به أنفسهم كذلك على البعض أن الناس وأن الذين ردوا عليهم ردوا وتعدوا
عليهم بصلاحهم أو على الوصف به كالوصف بالصديق وإن كان كل نبي كذلك معا لعل لذلك حق عند
الله ذلك أو إذ لم يكن اطلع غيره عليه والله أعلم وجائز أن يكون يحيى سمي به الأخلاق المحمودة
والأفعال المرضية ولذلك سمي سيدا وحكمة أن الله أن يسمي من شاء بما شاء وليس لنا تكلف طلب
المعنى فيما سمى الله الجواهر به إذ الأسماء للتعريف لكن نختار الأسماء الحسنة في السمع على النفار ولكن
والله أعلم وقوله وروح الله وكلمته كقوله خليل الله وحبيبه وذبيح الله وكليمه ليس على
توهم معنى يزيل معنى الخلقة ويوجب معنى الربوبية أو البنوة وذلك على ما قيل من بيوت
الله وعلى ما قيل لدينه نور الله وقيل لمن أتى به حد و الله لا على معنى يخرج عن جملة خلقه بل على
تخصيص لذلك في الفضل على أشكاله وذلك كما قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وأما بنعمة ربك فحدث
وقال في الجملة وما بكم من نعمة فمن الله لا على ما توهمته النصارى في المسيح فيقولة الأول ولا قوة
إلا بالله وقوله ويكلم الناس في المهد وكهلا بشارة ببقائه إلى أن يصير كهلا وفيه وجه
آخر وهو أن في ذلك بيان أن كلامه في المهد كلام مختار إذ ذلك وصف كلام الكهل ليعلم أن قوله
إني عبد الله إلى آخره إنما هو حقيقة الخضوع لله والاتباع عنه لا على خلقه كنطق الجوارح في الآخرة
والله أعلم أو ليكون آية له ودلالة إذ لم يكن على ما عليه أمر البشر من التغيير على أن آيات الجوهرية
تزول عند الفناء نحو العصا فيما يعود إلى حالها واليد ونحو ذلك ليحقق هو نوعا من الآيات
الحسية بالدوام ولا قوة إلا بالله قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر الآية يحتمل
هذا الكلام وجوها أحدها على الإنكار أن لا يكون لكن هنا لا يحتمل لأنه كان أعلم بالله وقدرته
أن ينطق به أو يخطر بباله والثاني أنى يكون لي غلام أي كيف وجهه وسببه وكذلك قوله أنى
لك هذا وقوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها وأنى يكون له الملك علينا أي كيف وجهه وما
سببه والثالث أنى يكون لي غلام في الحال أي أنا بحالنا أو أرد إلى الشباب فيكون لي الولد
هذا إن الوجهان محتملان وأما الأول فإنه لا يحتمل وقوله وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر
وذلك في سورة مريم قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
ذكر على التقديم والتأخير على اختلاف الألفاظ والقصص دل أنه ليس على الخلق حفظ
اللفظ واللسان إنما عليهم حفظ المعاني المدرجة المودعة فيها وبالله التوفيق وليعلموا أنه لم
يكن على كلا القولين ولم يكن لهذا اللسان وقوله قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقوله قال
كذلك قال ربك هو علي هين واحد وإن اختلف في اللسان وقوله قال رب اجعل لي آية

طلب من ربه آية لما اعتجله لم يعرف أن تلك البشارة بشارة الملائكة أو وسواس فطلب آية
ليعرف أن تلك البشارة بشارة الملائكة من الله عز وجل لا بشارة إبليس لأنه لا يقدر أن يفعل
في الآية لأنه فيها تغيير الخلقة والجوهر وهم لا يقدرون على ذلك ولعلهم يقدرون دون الأفعال
في البشارة ألا ترى أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما نزل به الملائكة لم يعرفهم بالكلام وهابهم حتى
قال إنكم قوم منكرون حتى قالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط فذهب ذلك الروع منه بعد ما أخبروه
أنهم ملائكة رسل الله أرسلهم إليه وقوله عز وجل قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا
رمزا قال بعض أهل التفسير حبس لسانه عقوبة له بقوله أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر لكن
ذلك خطأ والوجه فيه منعه من تكليم الناس ولم يمنعه عن الكلام في نفسه ألا ترى أنه أمره
أن يذكر ربه ويسبح بالعشي والإبكار كقوله واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار ويحتمل أن يكون
أراه آية في نفسه من نوع ما كان سؤاله إذ كان عن العلم بالولد في غير حينه فأراه بمنع اللسان
عن النطق والحالي أحوال الاحتمال ليكون آية للأول وقيل في قوله اجعل لي آية أنه طلب آية لجعله
بعلوق الولد وحبلها ليعرف متى يأتيها وقوله إلا رمزا قيل الرمز هو تحريك الشفتين
وقيل هو الإيماء بشفتيه وقيل هو الإشارة بالرأس وقيل هو الإشارة باليد والله أعلم بذلك
وقوله وإذ قالت الملائكة يا مريم قال أهل التفسير هو جبريل لكن ذلك لا يعلم إلا بالخبر
فإن صح الخبر فهو كذلك والإمام نقل من كان من الملائكة قال ذلك وقوله إن الله اصطفاك
أن صفاها لعبادة نفسه وخصها له ما لم يكن ذلك لأحد من النساء فيكون ذلك صفوتها وقيل
اصطفاها بولادة عيسى إذ أخرج منها نبيا مباركا نقيا على خلاف ولادة البشر وقوله وطهرك
قيل من الآثام والفواحش وقيل وطهرك من مس الذكر وما قذفت واصطفاك على نساء العالمين
هو ما ذكرنا من صفوتها إذ جعلها لعبادة نفسه خالصا أو ما قد ولدت من ولد من غير أب على خلاف
سائر البشر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة خطوط
ثم قال هل تدرون ما هذه قالوا الله ورسوله أعلم قال أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة
ومريم وآسية امرأة فرعون وكذلك روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقوله يا مريم اقنتي لربك يحتمل وجهين الأمر بالقنوت القيام
ثم الأمر بالسجود أي الصلاة ثم الأمر بالركوع مع الراكعين وهو الصلاة بجماعة فيه الأمر
بالصلاة بالجماعة على ما هو علينا لأنه قال واركعي مع الراكعين وفي ذلك روي في الخبر أنه
سئل عن أفضل الصلاة فقال طول القنوت ويحتمل أنه الأمر بالركوع ثم بالسجود فيدل
أن السجود وإن كان مقدما ما ذكره على الركوع فإنه لا ينبغي تقديم ذكر شيء على شيء دلالة خبر شيء عن شيء
في الذكر دلالة وجوب الحكم كذلك وقيل القنوت هو الخضوع والطاعة كقوله وقوموا لله قانتين
أي خاضعين مطيعين فإن قيل كيف أمرت بالركوع مع الراكعين قيل كانوا والله أعلم ذوي قرابتها
منها وزوج الأخرى ألا ترى كيف اختصموا في ضمها وإمساكها حين أراد كل واحد منهم ضمها إلى نفسه
وأنه الأحق بذلك ودل أن بينهم وبينها رحما وقرابة وقيل في قوله اقنتي أي أطيلي الركوع في الصلاة
والله أعلم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل مع الراكعين أي ممن يركع ويخضع له بالعبادة لا على
الاجتماع والله أعلم كيف كان الأمر في ذلك وقوله ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك أي من أخبار
الغيب لم تشهده أنت يا محمد ولم تحضر بل نحن أخبرناك وذكرناه عندك ذلك ثم في ذلك

٢١٧

وجه الدلالة احدها ان اذان تخبره عن صفوة هو لا وضيعهم ليكون على علم من ذلك والثاني
دلالة اثبات رسالته لانه اخبر على ما كان من غير ان اختلف الى احد او اعلمه احد من البشر على علم
منهم ذلك دل انه انما علم ذلك بالله عز وجل والثالث ان ينا تمل وجه الصفوة لهولا الفريم ناتوه
فيجتهدوا في ذلك والله اعلم وفي ذلك تاخير البيان عن وقت الحاجة الى ان ظهر ذلك بالقا الاقلام
قوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية قيل القوا اقلامهم في جرية
الماء فذهبت الاقلام كلها مع الجرية الا قلم زكريا فانه وقف على وجه الماء وقيل طرحوا اقلامهم
في الماء وكان من شرطهم ان من صعد قلمه مقابلا به مع الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية
فهو المتروع فصعد قلم زكريا فسفلت اقلامهم فعند ذلك ضمها زكريا اي نصيبه ثم من الناس من
احتج بجواز القرعة والعمل بها بهذه الاية حيث ضمها زكريا اليه من بين نصيبها خرجت القرعة له
لكن القرعة في الانبياء التبيين الاحق من غيره لوجهين لحق الوحي والثاني للظهور والاعلام في نفس القرعة
ما نعلم انه كان بالله وذلك لا ينبغيه كارتفاع القلم على الماء ومثل ذلك لا يكون في التقلد والحق من
المبطل وفيما بين سائر الخلق لعلمهم التهم فهي لا تدفع ابدا ويحتمل استعمال القرعة فيها لتطييب
الانفس بذلك او علموا ذلك بالوحي فليس اليوم وحي لذلك بطل الاستدلال بجواز العمل بالقرعة
اليوم والله اعلم او كان ذلك اية والاية لا يقاس عليها غيرها مع قبول حول قبيل بني اسرائيل ابه
ليس به معتبر في جواز القول قبل اخر قبل الموت **وقوله** اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم يحتمل بكلمة منه اذ قال كن فكان من غير اب ولا سبب وساير
البشر لم يكونوا الا باباء والاسباب من النطفة ثم من العلقة ثم من مضغة مخلقة في ما وصف
عز وجل في كتابه وكان امر عيسى على خلاف ذلك ويحتمل بكلمة منه ما ذكر انه يكلم الناس في المهد
اي عبد الله اتاني الكتاب الاية وذلك ما خص به عيسى ومن بكلمة من الله قال ذلك فان
قيل ما معنى قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا والكهل مما يكلم الناس قيل لان كلامه في المهد
اية والاية لانه وقت لو يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية وانما يكون ذلك مرة لا انها
تشهد وتنطق ابدا فاخبر انه يكلمهم الناس في المهد وان كانت اية فانه ليس بالذي لا يدوم ولا يكون
الامرة والثاني امر من الله لمريم وبشارة لها عن وفاته الى وقت كهولته والله اعلم **وقوله**
اسمه المسيح قال ابن عباس المسيح المبارك اي مسح بالبركة وقيل سمي مسيحا لانه كان يمسح
بين الاعمى والاعور فيبصر وقيل المسيح العظيم لكنه والله اعلم بلسانهم فيسا الما المسيح
بلسانهم **قوله** وجيها في الدنيا بالمنزلة وحكيما في الاخرة ما ذكر ومن المقربين في الدرجة
والرفعة ومن كان وجيها في الدنيا والاخرة فهو مقرب فيهما **وقوله** قالت رب اني يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر عرفت مريم ان الولد يكون بمس البشر وعلمت ايضا انها لا تتزوج ولا يمسها
بشر ابدا لانها قالت اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فان لم يكن مسها احد قبل ذلك فلعله يمسها
في حادث الوقت فيكون لها منه الولد فلما لم يقل لها يمسك ولكن قال كذلك الله يخلق ما يشاء ان
ذلك انها علمت انها لا تتزوج ابدا لانها كانت محررة لله مخلصة له في العبادة والله اعلم
ويحتمل قوله اني يكون لي ولدا اي من اي وجه يكون لي ولدا بالهبة لانها بشرت ان يهب لها ولدا
فقالت من اي وجه يكون لي ولد بالهبة ولم يمسسني بشر ثم قال كذلك الله يخلق ما يشاء
تاويله ما ذكر في سورة مريم حيث قالت اني يكون لي ولد الاية ثم قال كذلك قال ربك هو علي
هين اي خلق الخلق علي هين باب وبغير اب ومس بشر وبغير مس بشر كخلق الليل والنهار

٢١٨

خلق بلا تولد احدهما من الاخر فكذلك يخلق لك ولدا من غير اب ولا مس بشر وبالله الحول
والقوة **وقوله** اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي اذا قضى امرا بتكوين احد وبتكوين
شي فانما يقول له كن لا يثقل عليه ولا يصعب خلق الخلق وتكوينهم كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة اي خلق الخلق كلهم ابتداء وبعثهم بعد الموت كخلق نفس واحدة اذ يقول كن فيكون وانما يثقل
ذلك على الخلق ويصعب لموانع تمنعهم واشغال تشغلهم فاما الله سبحانه فيتعالى عن ان
يشغله شغل او يمنعه مانع او يحجب عليه حجاب **وقوله** فانما يقول له كن فيكون ذكر والله اعلم
هذا الحرف لانه ليس في كلام العرب حرف او جزء منه يعبر فيهم معناه لان كان منه جل وعز
كاف او نون او حرف او هجاء او صفة فيهم ويعرف حقيقته او يوصف هو بمعنى من معاني الخلق او
صفاتهم او يكون لتكوينه وقت او مدة او حال او تكون تكوين بعد تكوين في ما يكون من الخلق انما هو
اوجز حرف يفهم معناه بالعبارة اخبارا منه عز وجل الخلق عن سرعة نفاذ امره ومشيته **وقوله**
ويعلمه الكتاب بشارة منه لها ايضا انه يعلمه الكتاب ثم اختلف في الكتاب قيل الكتاب هو الخط
هاهنا يخط بيده ويحتمل الكتاب الكتاب نفسه التورية والانجيل ويحتمل الكتاب كتب النبيين
والحكمة قيل الحكم بين الخلق وقيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل السنة والحكمة هي
الاصابة وقد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** ورسولا الى بني اسرائيل وهذا ايضا بشارة لها منه
وكان عيسى صلى الله عليه وسلم من اول امره الى اخره اية لانه ولد من غير اب على خلاف ما كان سائر البشر
وكلم الناس في المهد فاقر بالعبودية له ولم يكن لاحد من البشر ذلك وابرا الاكمه والابرص واحيا
الموتى وانبا ما كانوا ياكلون ويدخرون ولا كان له ماوى ياوي اليه ولا عيش يتعيش هو به والبشر
لا يخلو عن ذلك ثم القى شبهه على غيره فقتل به ورفع هو الى السما وذلك كله اية وكانت اياته
كلها حسية يعلمها كل احد وايات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت حسية وعقلية اما الحسية
فهو انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وكلام الشاة المسمومة وقطع مسيرة شهر في ليلة
وغير ذلك من الايات مما يكثر عدده ها هنا كلها كانت حسية واما العقلية فهذا القران الذي
نزل عليه وهو بين اظهرهم وفيهم فصحاء وبلغاء وحكماء يتلى عليهم فاتوا بسورة من مثله الاية
وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا فلو كان بمقدرتهم وطاقتهم ان ياتوا بمثله لجهدوا كل جهد وتكلفوا كل تكلف حتى
يطفئوا هذا النور ليتخلصوا عن قتلهم وسبي ذراريهم واستحياء نسائهم فلما لم يفعلوا ذلك
دل انه كان اية معجزة عجزوا جميعا عن اتيان مثله فاية اية تكون اعظم من هذا وبالله المعونة
والنجاة **وقوله** اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة اي رسول منه اليكم ثم فسر الاية فقال
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله **قوله** اني اخلق لكم هو على
المجاز لا على التخليق لان الخلق ليس هو من فعل المخلوق وانما هو من فعل الله عز وجل لان التخليق
هو الاخراج من العدم الى الوجود وذلك فعل الله تعالى لا يقدر المخلوق على ذلك فهو على المجاز
الا ترى انه قال في اخره ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وليس الى الخلق تحليل شي او تحريمه انما
ذلك الى الله عز وجل فمعناه اي اظهر لكم حل بعض ما حرم عليكم فعلى ذلك قوله اني اخلق لكم من
الطين كهيئة الطير اي اظهر لكم بيدي ما خلق الله من الطير كان انا فيكون اية لرسالتي اليكم وكذلك
الايات ليس مما ينشيها الانبياء ولكن يظهر على ايديهم والثاني يحتمل اضافة التخليق الى الخلق لما ذكرنا
انه اخراج الشي من العدم الى الوجود وذلك ليس الى الخلق والثاني ان التخليق هو اخراج الفعل

على التقدير وفعل العبد انما يخرج على تقدير الله لا يخرج على تقديره لذلك لم يجز اضافة ذلك الى الخلق
الا على المجاز والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الخلق اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة
خاصة وايات الانبياء هي التي تخرج على خلاف الامر المعتاد فيما بينهم يجريها الله تعالى على ايديهم ليعلموا
ان ذلك لم يكن بسحر انما كان ذلك بالمرسل الذي ارسلهم لتدل على صدقهم ودعوتهم الى الله وابراء
الاكمه والابرص من اظهر ايات النبوة لخروجها عن الامر المعتاد فيما بينهم فان قيل ان احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص من ايات النبوة ويجوز ان يكون ذلك من منجم قيل له جوابان احدهما ان كان يكون
مثل ذلك بالنجوم احدهما انه منضم الى الايات فصار آية باضمامها والثاني ان هذا ان كان
يعلم بالنجوم فعيسى صلوات الله عليه لما علم قومه انه لم يختلف الى احد في تعلم علم النجوم ثم
عرف ذلك وانباهم بذلك دل انه انما علم ذلك بالله فكان آية وبالله التوفيق مع ما كان في قومه
الحكماء وحكما وبصراء لم يدع احد شيئا من هذه الايات التي جاء به عيسى صلوات الله عليه وذلك
ترك اشتغالهم بذلك على اقرارهم بانها اية سماوية لكنهم عاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به قال
الشيخ رحمه الله الخلق اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة وقوله باذن
قيل بامر الله وقيل بمشية الله واختلف في الاكمه عن مجاهد قال الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا
يبصر بالليل وعن ابن عباس الاكمه الاعمى الممسوح العين وقيل هو الذي ولد اعمى لا يتكلف حذق
الاطباء ابدا مثله ولا اشتغل بمداواته دل انه عرف ذلك بالله تعالى والاطباء يتكلفون في دفع
العلل العارضة الحادثة واما ما كان خلقة من جبلة فلا وقوله ان في ذلك لاية لكم
ان كنتم مومنين قيل قال ان هذا اية لكم ان كنتم صدقتم اني رسول الله اليكم وقيل قال ان في
ذلك لاية لكم في رسالتي ان كنتم مومنين بالرسل ويحتمل ان كنتم تومنون اي بالايات انها تعرف
ما جعلت له والله اعلم وقوله وجئتكم باية من ربكم الاية ما ذكر وقوله فاتقوا الله يحتمل
فاتقوا الله في تكذيبي في الايات واطيعون في تصديقي وقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم ظاهر قد ذكرنا فيما تقدم وقوله فلما احس عيسى منهم الكفر قيل احس علم
وقيل احس رأى وهو كقوله هل تحس منهم من احد وقيل احس اي وجد وهو قول الكسائي وقيل
عرف وهو كله واحد ثم قوله احس منهم الكفر قال من انصاري الى الله يحتمل والله اعلم ان قومه
لما سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم اية لرسالته وصدقه ففعل الله
عز وجل ذلك وانزل عليهم المائدة ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزال المائدة يعذبه عذابا لا يعذبه
احدا فكفروا به فعلم ان العذاب ينزل عليهم فاحب ان يخرج من آمن به لئلا ياخذهم العذاب
فقال من انصاري الى الله يؤيد ذلك قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا
الذين امنوا على عدوهم الاية ويحتمل ان يكونوا اظهروا الاسلام له كقوله وكانوا في الحقيقة على
خلاف ذلك فلما علم ذلك منهم وقد هموا على قتله قال عند ذلك من انصاري الى الله احب ان
يكون معه انصار مع الله ينصرونه فيظهر المومنون من غيرهم حتى هم الله على اعدائهم ليظهر
المومنون من غيرهم وهو قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومن الناس من
يقول انه لم يكن في سنة عيسى عليه السلام الامر بالقتال وفي الاية اشارة الى ذلك بقوله فايدنا
الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اخبر انهم اصبحوا ظاهرين على عدوهم فلا يخلو اما
ان يكون قتالا او غلبة بحجة او شيء مما يقهرهم والله اعلم وقوله قال الحواريون نحن انصار الله
اختلف في الحواريين قال بعضهم هم القصارون الغسالون للثياب ويبيضونها وعن ابن

عباس رضي الله عنه قال انما سموا الحواريين لبياض ثيابهم وكانوا يصيدون السمك وقيل
الحواري الوزير والناصر والخالص على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريون
وحواري فلان وفلان ذكر نفرا من الصحابة وانما اراد والله اعلم الناصر والوزير ويحتمل
ان يكونوا سموا بذلك لصفاء قلوبهم وهم اصفياء عيسى كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه والله
اعلم بهم وقوله نحن انصار الله ان الله يتعالى من ان ينصر ولكن يحتمل نحن انصار الله اي انصار
دين الله او انصار نبيه او انصار اوليائه تعظيما لذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم ان الله لا ينصر
ولكن ينصر دينه او رسله او اولياءه وهو كقوله يخادعون الله ان الله لا يخادع ولا يمكر ولكن لما
خادعوا اولياءه او دينه اضاف ذلك الى نفسه فعلى ذلك لما نصروا دين الله ونبيه ودينه اضاف
الى نفسه وقوله امنا بالله واشهد بانا مسلمون الاية تنقض على من يجعل الايمان غير الاسلام لانهم
اخبروا انهم امنوا وانهم مسلمون لم يفرقوا بينهما وكذلك قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لم يفصل بينهما وجعلهما واحدا وكذلك قول موسى لقومه يا قوم
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين لم يجعل بين الايمان والاسلام فرقا وهو قولنا
ان العمل فيهما واحد لان الايمان بان تصدق بانك عبد الله والاسلام ان تجعل نفسك لله سالما وقيل
الايمان اسم ما بطن والاسلام اسم ما ظهر الا ترى انه اجاز في الاسلام الشهادة وفي الايمان
التصديق وقوله ربنا امنا بما انزلت يعني والله اعلم بما انزلت من الكتب السماوية التي انزلها
على الرسل جميعا فان ارادوا بما انزلت على عيسى فالايمان بواحد من الكتب او بواحد من الرسل
ايمان بالكتب كلها وبالرسل جميعا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ومكروا ومكر الله مكروا
بنبي الله عيسى حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله اي يجزيهم جزاء مكرهم والاحرف المكره مذموم
عند الخلق فلا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء على ما ذكره عز وجل في موضع الجزاء كقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والاعتداء اسمه غير جائز كقوله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
فكان قوله فاعتدوا عليه هو جزاء الاعتداء فيجوز فعلى ذلك المكر والخداع والاستهزاء لا يجوز
ان يسمى به فيقال يا ماكر ويا خادع ويا مستهزئ لانها حروف مذمومة عند الناس فيشتم
بعضهم بعضا بذلك لذلك لا يجوز ان يسمى الله تعالى به الا في موضع الجزاء وبالله العصمة و
والله خير الماكرين اي خير الجازين اهل الجور بالعدل واهل الخير بالفضل وقيل ومكروا حيث
كذبوه وهموا بقتله ومكر الله حيث رفع الله عيسى والقى شبهه على رجل منهم حتى قتلوه فذلك
خير لعيسى من مكرهم وقيل ومكروا اي قالوا ومكر الله قال الله وقولهم الشرك وقال لهم قولا
التوحيد والله خير الماكرين اي خير القائلين والله قال الشيخ رحمه الله والله خير الماكرين
بما بالحق مكروا باخذ من استحق الاخذ وهو لا والله اعلم والمكر هو الاخذ بالغفلة والتنبه يأخذهم
بالحق من حيث لا يعلمون فسمي مكرا لذلك كما يقال امتحنه الله وهو الاستظهار ولكن لا يراد
به هذا في الله وقوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اختلف فيه قيل هو على التقديم
والتاخير انك رافعك الي ثم متوفيك بعد نزولك من السماء ولكن هو التقديم والتاخير لم
يكن في الذكر فهو سواء لانا قد ذكرنا ان ليس في تقديم الذكر ولا في تاخيره ما يوجب الحكم كذلك فكم
من متقدم في الذكر هو مؤخر في الحكم وكم من مؤخر في الذكر هو متقدم في الحكم فاذا كان كذلك
لم يكن في تقديم ذكر الشيء ولا في تاخيره ما يدل في ايجاب الحكم كذلك كقوله الله يتوفى الانفس حين
موتها فانما هو قبض الارواح فيحتمل الاول كذلك ويحتمل توفي الجسم اي متوفيك من الدنيا اي

قابضك وليس بوفاة موت وعن ابن عباس رضي الله عنه اني متوفيك اي مميتك وهو

ما ذكرنا ليعلم انه ليس بمعبود **قوله** ورافعك الي هو على تعظيم عيسى صلى الله عليه وسلم ليس

على ما قالت المشبهة باثبات المكان له لانه لو كان في قوله رافعك الي يوجب ذلك يجب ان

يكون اهل الشام اقرب اليه لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال اني ذاهب الى ربي سيهدين والى

الكفرة اليه قريب منه كقوله ثم الي مرجعكم ولا هذا انما قالوا احيانا فاسد تعالى الله عما

يقول الظالمون علوا كبيرا ولكن هو التبجيل والتعظيم اعني المضاف اليه والاصل في هذا ان الخاص

اذا اضيف الى الله فانما يراد به تعظيمه لذلك الخاص نحو ما قال بيت الله على تعظيم البيت وناقة الله

فهو على تعظيم الناقة ونحوه مما يكثر واذا اضيف الجماعة اليه فهو على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه

نحو رب العالمين وله ملك السموات والارض ونحوه كله على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه نحو رب

العالمين وله ملك السموات والارض ونحوه كله على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه و**قوله**

ومطهرك من الذين كفروا قيل فيه بوجوه قيل مطهرك من اذى الكفرة ومن بين اظهر المخالفين

لك وقيل ومطهرك من الكفر والفواحش ويحتمل ومطهرك مما قالوا فيك و**قوله** وجاعل

الذين اتبعوك فوق الذين كفروا يحتمل يجعله فوق الذين كفروا بالقهر والغلبة والقتل ويحتمل

بالحجة ويحتمل في المنزلة والدرجة في الاخرة ويحتمل قوله ومطهرك بقتل الكفرة من وجه

الارض على ما ذكر في بعض القصة انه ينزل من السماء فلا يبقى على وجه الارض كافر الا وهو

يقتله مع الذين اتبعوه فذلك تطهيره وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا و**قوله**

ثم الي مرجعكم وكذا والله اعلم وان كان المرجع في كل الاحوال اليه في حال لانهم يقرون ولا يعترفون

في ذلك اليوم ان المرجع اليه وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا وهو كقوله الملك يومئذ لله الملك

كان له في ذلك اليوم وفي غير ذلك اليوم ولكن معناه لا ينازعه احد يومئذ في ملكه ويقرون

له بالملك وفي الدنيا انكروا ملكه وهو كقوله وبرزوا لله جميعا كلهم بارزون لله في كل وقت لكنهم

انكروا بروزهم في الدنيا له فيقرون يومئذ بالبروز له فكذلك الاول والله اعلم و**قوله**

فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يحتمل احكم بينكم من المحق منكم ومن المبطل ويحتمل احكم بينكم

اي اجزيكم على قدر اعمالكم و**قوله** فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا واما الذين امنوا

وعملوا الصالحات الاية ويحتمل احكم بينكم اي اجزي كلا بعمله على ما يستوجبونه و**قوله**

في الدنيا بالقتل والجزية وفي الاخرة العذاب قال الشيخ رحمه الله في قوله اني متوفيك

ورافعك اي فقوله متوفيك يحتمل توفي الموت بما يقبض روحه كفعله بجميع البشر تكذيبا لمن

ظن انه الله او ابنه لا يحتمل ان يموت وقد لزمهم هذا اليضا بوجهين ظاهرين وان كان فيما عليه

خلقه وجوهره نقله من حال الى حال في نفسه ومكان الى مكان في حق القرار والحاجة كفاية

لمن يتدبر الحقائق ولمن تامل الاشياء عبرا احدهما بقوله انما المسيح ابن مريم و قوله عيسى بن

مريم حتى انطق به لسان كل منهم ومعلوم احالة ابن بشر الها او ولد الاله اذ هو يكون ابعض

منهما وذلك اية حدثه وكذلك قوله في المهد اني عبد الله اي اخر ما ذكر معا لو احتمل ذلك لكان

آدم صلى الله عليه وسلم الذي هو الاصل وهو المتقدم وهو الذي لا يعرف له والدان احق اذ هو

اذ هو جوهر معهود له لا غير اذ ذلك وصف الاولاد والله اعلم والثاني قوله كانا ياكلان الطعام

فاخبر عن حاجته وغلبة الجوع عليه ونقد نفسه الى ما يقيمها من الاغذية ثم لها ذلك حاجة الى

الخلاء واختيار الامكنة القذرة لقضاء حاجته وبالله التوفيق والثاني في قبضه نفسه

من بين اظهر اعدائه ورفعه الى ما به شرفه وتطهيره مما كان يحق منهم من الكفر وانواع

الفساد وختمه من بين البشر على وجه آية يكون له عليهم من اول احوال ظهوره الى آخر احواله

مقامه فيهم ليكون اوضح لمتبعيه في الايات وعلى مخالفيه في قطع العذر ولا قوة الا بالله

وفي الدعاء الى المباهلة دلالة ظهور التعنت والعناد وفي تخلفهم عن ذلك دليل علمهم بتعنتهم

وخوفهم مما قد وعدوا ان لو نزل عليهم ثم لا موانع ذلك ما كانوا عليه من السفه والعناد ليعلم

ان الحيل على اعتقاد المعاندة منقطعة ومعلوم ان الدعاء الى المباهلة لا يكون في اول

احوال الدعوة وانما يكون بعد توفير الحجة وقطع الشبهة ففي ذلك بيان انه كان ثم محاجة

حتى بلغ الامر هذا ودل على ذلك امر القتال انه لم يوضع في اول احوال الاسلام وفي الحال

التي للقول وللحق وجه القبول من طريق النصف والعقل وانما كان عند ما ظهرت معاندتهم

وكثر سفههم حتى هموا بالقتل والاخراج والاذى واكرهوا اقواما على الكفر واخرجوا ارباب

العزة من بين اظهرهم بعدما اموا قتله وطردوا اصحابه من بلادهم حتى تحصنوا بالقران

فاذن الله عند ذلك بالقتال وفتح الفتوح ليكون اية في كل وجوه الايات ظاهرة وحجة

بينة وفي ذلك جواز محاجة الكفرة في التوحيد والرسالة لكن على ما قال الله تعالى وجادلهم

بالتي هي احسن ولا تمار فيهم الا مراء ظاهرا نهيا عن التعمق والخوض فيما يقصر عنه الافهام

وان كان معلوما ان لله حججا ظاهرة وغامضة ولا قوة الا بالله وفي ذلك تعليم الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر انه يكون ذلك بالتلطف والرفق ليرى المقصود به ليقرر عنده

الحجة ويزيل عنه الشبهة من الوجه الذي يحتمل عقله ويبلغه فهمه فان زاده تماديا في

ذلك يوعده ويخوفه بالاذى ونحو ذلك من الوعيد فان رآه يكابر عرفت شوم طبعه

وسوء عنصره فيتركه او بما جاء به التعليم من الضرب والحبس فان نفع ذلك والا فكف شره

عن غيره وتطهير الارض عنه فانه النهاية في القمع والغاية فيما يحق من معاملة السفهاء والله

اعلم لكنه على مثل ذلك لا يحتمل انتهاء كل انواع الماثم الى هذه الغاية بل فيها ما كان اعظمها دون

هذا الكثير والله اعلم لذلك يلزم تعرف مقادير الاثام او لا ليعرف بها ما يحتمل كل اثم من العقوبة

فيه والزجر به ولا قوة الا بالله و**قوله** والله لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظلم

قوله ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم قيل الحكيم من الحكم وقيل الحكيم اي

من نظر فيه وتفكر يصير حكيما كما قال والنهار مبصرا اي يبصر فيه والله اعلم و**قوله**

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قيل في القصة ان نصارى من اهل نجران

قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انك تشتم صاحبنا عيسى بن مريم تزعم انه

عبد وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فاربنا خلق الله

عبدا مثله يعمل هذا والنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية اما التشبيه فانما حملهم

على ذلك ظنهم في قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال ربي الذي يحيي ويميت ظنوا

ان عيسى لما قال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير انه رب واله لان ابراهيم اخبر ان ربه

الذي يحيي ويميت ظنوا ان عيسى لما قال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير انه رب

واله لان ابراهيم اخبر ان ربه الذي يحيي ويميت فسموا عيسى الها بهذا وهو كانوا يرون

عيسى ياكل ويشرب وينام ثم لو لا انهم عرفوا الله جل وعز كذلك والا ما شبهوه به تعالى

الله عن ذلك واما القدر فلما لم يروا الله في افعال العباد صنعا اعادوا ذلك بالخلق

خاصة فلما زاد ذلك من عيسى ظنوا أنه رب لما لم يروا ذلك من غيره ولو كانوا عرفوا الله حق المعرفة لعلموا أن لم يكن من عيسى إلا تصوير ذلك الطير وتمثيله ويكون مثله من كل أحد وإنما الإحياء كان من الله عز وجل أجراه على يدي عيسى وأطيره وإنما كان من عيسى تصوير ونفخ وكذلك ما كان من إبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الله عز وجل أجراه على يديه آيات لنبوته لا لما ادعوا له الربوبية من وجهين لكونه بغير أب والآية ثم قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم يحتمل وجهين والله أعلم

أحدهما أن الله عز وجل صور صورة آدم من طين ثم جعل فيه الروح لم يجز أن يقال صار آدم حيا من نفسه لوجود صورته كيف جاز لكم أن تقولوا إن عيسى لما صور ذلك الطير من الطين صار محييا له بتصويره إياه دون إحياء الله تعالى إياه والله أعلم والثاني أن آدم صلى الله عليه وسلم خلق لا من أب وأم ثم لم تقولوا إنه رب ولا إله فكيف قلتم في عيسى إنه إله وإن خلق لا من أب إذ عدم الأبوة في آدم لم يوجب أن يكون ربا أوجب عدم الأبوة في عيسى كونه ربا وإلها والله الموفق وإنما كان عيسى بقوله كن كما كان آدم أيضا بكن من غير أب وقوله كن قد ذكرنا أنه أوجز كلام في لسان العرب ليعبر فيؤدي المعنى فيفهم المراد لا أن كان من الله عز وجل كاف أو نون أو وقت أو حرف أو يوصف كلامه بشيء مما يوصف به كلام الخلق تعالى الله عن ذلك وقوله يكون يحتمل وجهين يحتمل يكون بمعنى كان والعرب تستعمل ذلك والثاني أن يكون الكائنات بأشباهها أو قال أنها التي أراد كونها على ما أراد وأصل ذلك إذا ذكر الله ووصف بذكر بلا ذكر وقت في الأزل وإذا ذكر الخلق معه يذكر الوقت والوقت يكون للخلق بقوله خالق لم يزل وخالقه في وقت خلقه وقوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يحتمل هذا وجوها يحتمل أن يكون الخطاب لكل أحد قال في عيسى ما قالوا أي لا تكن من الممترين في عيسى أنه عبد الله خالصا وأنه نبيه ورسوله إليكم ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي عليه السلام والمراد غيره وهكذا عادة الملوك إذا رضي القواد أرادوا أن يعرفوا رعيتهم شيئا أنهم يخاطبون أعقلهم وأفضلهم وأرفعهم منزلة وقدرا عندهم استكبارا منهم مخاطبة كل وضيع وسفيه فكذلك عز وجل خاطب نبيه أعظم ما له وإجلالا والله أعلم ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم أن العصمة لا تمنع النهي ولا الأمر بل تزيد أمرا ونهيا وإن كان يعلم أنه لا يكون من الممترين أبدا والله الموفق وقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة فالمباهلة في اللغة اللعن والملاعنة دعاهم إلى الدعاء باللعنة على الكاذبين فامتنعوا عن ذلك خوفا وكانوا ... يقروا بالحق وقوله إن هذا لهو القصص الحق يعني الخبر الحق وقوله وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم كما هو قد ذكرناه فيما تقدم والله أعلم وقوله الحق من ربك يحتمل خبر الحق في أمر عيسى أنه كان عبدا بشرا نبيا فلا تكن من الممترين أي لا تحملنك شدة محاجتهم وكذبهم في القول فيه بهذا الوصف على التكذيب الخبر الذي جاءك عن الله كقوله لعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي احرص على الموعظة لا على أنه يكون كذلك أو على ما سبق ذكره والله أعلم ويحتمل الحق من ربك أي كل حق فهو عن الله جائز إضافته إليه على الوجوه التي تضاف إليه والباطل لا من الوجه الذي هو باطل فلا يكونن ذلك من الممترين والله أعلم وجائز أن يقول جعل الله ذلك الفعل ممن فعله باطلا ولا يقال الباطل من الله والله أعلم وقوله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم يعني كلمة الإخلاص والتوحيد سواء بيننا وبينكم أي عدل أي تلك الكلمة عدل بيننا وبينكم لأنهم كانوا يقرون أن خالق السموات والأرض الله بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض

ليقولن الله

ليقولن الله وكذلك يقرون أن خالقهم الله بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لكن منهم من يعبد دون الله أوثانا ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ومنهم من يجعل له شركاء وأندادا ليشركهم في عبادته فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يجعلوا عبادتهم إلا لله الذي أقروا جميعا أنه خالق السموات والأرض وأنه خالقهم وأن لا يصرفوا عبادتهم إلى غير الذي أنعم عليهم إذ العبادة هي شكر وجزاء لما أنعم عليهم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله لأن العبادة لم تزل حق واحد من العبادة لغيره وإن صرفوا العبادة إلى من أنعم عليكم أولى من صرفها إلى الذي لم ينعم عليكم إذ ذلك جور وظلم في العقل أن ينعم أحد على آخر فيشكر غيره قال الشيخ رحمه الله العدل في اللغة وضع الشيء موضعه وفي إخلاص العبادة لله والتوحيد ذلك وهذا معنى سواء وجائز أن تكون كلمة يستوي فيها أنها عدل ما شهد لنا ولكم أكمل أنواع الحجج وقوله فإن تولوا يحتمل تولوا عن طاعة الله وتوحيده وصرف العبادة إليه فعل كذا ويحتمل فإن تولوا عن المباهلة والملاعنة فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي مخلصون العبادة له صارفون الشكر إلى ما أنعم علينا والله أعلم قال الشيخ رحمه الله فإن تولوا عن قبول ما دعوتهم إليه من الاجتماع على الكلمة وقوله يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم الآية وذلك أن اليهود قالوا إن إبراهيم كان على ديننا اليهودية والنصارى ادعت أنه كان على دينهم ومنهم ليس على دين الإسلام فنزل قوله لم تحاجون في إبراهيم يعني في دين إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده يعني من بعد إبراهيم وهو يحتمل وجهين يحتمل أن التوراة والإنجيل إنما نزل إلا من بعده وأنتم لم تشهدوه يعني إبراهيم حتى تعلموا أنه كان على دينكم لم تقولون بالجهل أنه كان على دينكم ويحتمل وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أي أن التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعد موته وكان فيهما أنه كان حنيفا مسلما أفلا تعقلون أنه كان حنيفا مسلما ثم أكذبهم الله عز وجل فقال ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين قال الشيخ رحمه الله وفي هذه الآية دلالة أنهم علموا أنه كان مسلما لكن ادعوا ما ادعوا متعنتين حيث لم يبالوا بكذبهم بالذي ادعوا من نعته ونحلا ما ادعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نعته فيه ودلالة الرسالة إذ في دعواهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف نعته بهم لما ادعوا هو غير الذي ادعى ثبت أنه عرف بالله وذلك علم الغيب والله الموفق وقوله ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو ما ذكرنا وفيه دلالة جواز المحاجة في الدين على العلم به وإنما نهي هؤلاء عن المحاجة فيما لا علم لهم ألا يرى أن الرسل صلى الله عليهم وسلم حاجوا قومهم حاج إبراهيم قومه في الله وذلك قوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وموسى صلى الله عليه وسلم حاج قومه وما من نبي إلا وقد حاج قومه في الدين فذلك يبطل قول من يأبى المحاجة في الدين قال الشيخ رحمه الله وأيدنا الحق أنه كذلك عجز البشر عن إيراد مثله وعجزهم عن المقابلة بما ادعوا وادعوا الكفر عرفوه بالله وقوله إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وهكذا يكون في العقل أن من اتبع آخر في الطاعة فهو أولى به وإنما الحاجة إلى السمع بمعرفة المتبع له والمطيع أنه ذا أو ذا فأخبر عز وجل أن الذين آمنوا والنبي صلى الله عليه وسلم هم المتبعون له فهم أولى به وقوله والله ولي المؤمنين اختلف فيه قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وقيل هو أولى بالمؤمنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقد يكون وليهم عادلهم

منهم صنفه اعدآيهم في ابرا هيم وا ظهر الحق في قولهم قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية وفي قولهم لم تحاجون وفي قولهم لم تلبسون الحق بالباطل الاية
ونحو ذلك من الايات التي خص بالخطاب بها اهل الكتاب وجوه من المعتبر احدها ان الذين خوطبوا
بهذا الاسم معروفون وانه لم يخطر ببال مسلم انه قصد به غير اهل التوراة والانجيل ولا ذكر
الله تعالى حق المحاجة على غيرهم ثبت ان المجوس ليسوا باهل الكتاب والثاني ان المراد من ذكر اهل الكتاب
غيرهم وان اخذ الجزية من المجوس ليس مما تضمنه قوله من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون لكن بدليل اخر ومراد وفي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سنوا
بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وفي ذلك ايد قوله ان تقولوا انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا ليعلم ان اهل الكتاب المعروف واهله هولاء وان كانت ثم كتب
وصحف والله اعلم والثالث ان الله خص اهل الكتاب بانواع الحجج وجعل المحاجة بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليوضح انه وان كان مرسلا الى جميع البشر كان له التخصيص في المحاجة و
ذلك عامة سورة الانعام في محاجة اهل الشرك على ان اهل المدينة كانوا اهل كتاب واهل مكة
كانوا اهل الشرك نحاج كلا بالذي هو احرى ان يكلم فيه وان كانت الحجة تلزم الفريقين لان محاجة
اهل الشرك اكثرها في التوحيد وامر البعث وفي وجوه في اهل الكتاب لبعض المشاركة لهم
ومحاجة اهل الكتاب بما في كتبهم وفيه وجهان احدهما العلم بما قد غاب عنه السبب الذي يوصل
اليه بالكسب ليعلم انه وصل اليه بالوحي فيكون ذلك بالوجه حجة على الفريقين والثاني ظهور
سفه اهل الكتاب بوجه يسقط عنه التامل الريبة والجهل الذي كان يمنعهم ذلك من انباء عن
وذلك فيما فيها مدح كتبهم وشهد لها بالصدق والحق واظهار الايمان برسلهم ليعلم انه ليس بين
الرسل والكتب اختلاف في الدعاء الى عبادة الله وتوحيده وانهم اولئك انما كذبوا التسليم لهوى الرئاسة
ثم مع ذلك ظاهروا اهل الشرك المكذبين لكتبهم ورسلهم ليعلم كل ذي عقل شبههم وتمردهم
في الباطل اذ ظاهروا اعداءهم في الدين على من الذي اظهر وامر الاتباع في الدين ذلك انه فيكون في
ذلك ابلغ الزجر لمستعبيهم واعظم الحجة عليهم فيما اثروا من السفه وتركوا الحق والله اعلم
وفي ذلك وجه اخر ان اهل الشرك قد عرفوا حاجتهم الى اهل الكتاب في امور الدين وما عليه
امر السياسة فيصير ما يلزم هولاء لينك من الحجة لازمة لهولاء لمحاجته بالذي في كتبهم لزوم الحجة
معها عليهم في ذلك بما اقسموا بالله جهد ايمانهم الاية ابلغ الحجة في محاجة اهل الكتاب اذ تمنوا
ان يكون منهم نذير فكان وقد بلغ المبلغ الذي له نظير بما قد خصوا من الحجج وشاركوا اولئك في
جميع ما به كان افتخارهم عليهم وعوا الفضل والله اعلم معا لم يكن له اللسان الذي به ظهر
كتبهم اخبرهم به جميع ما في كتبهم بغير لسانهم ليعلموا انه اوكد ذلك ممن له حقيقة كتبهم والله
اعلم وفي ذلك وجه اخر انه حاجهم بوجهين احدهما بالموجود في كتابهم والمعروف عند ائمتهم من
العلم بالكلمة التي دعاهم اليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والامر واخبار ما في كتبهم
من انواع البشارات به ومن موافقة الكتاب وعلى ذلك امر ابراهيم وغيرهم ليكون
اعظم في الحجة واقطع للشغب والله اعلم والثاني بما قد حرفوا من كتبهم وبدلوا من احكامهم
وحرفوا من صفته ونعته ونعت امته ليعلم كل متامل انه لا وجه لتعلم ذلك بهذا ولا احتمال انه
يكون منهم هتك استارهم والاطلاع على اسرارهم بما لا يتهيأ لهم دفع ذلك ولا المقابلة في
ذلك ليعلم كل الخلائق ان انما وصل اليه ولا ان ذلك لا يدركه الا من له العلم بكل سر ونجوى

والاخرة الا بالله معا في ذلك وجهان من المعتبر احدهما ان ذلك الزمان لم يكن زمان حجاج
ونظر في امر الدين انما كان ذلك الزمان زمان تقليد في امر الدين وتناهي في امر الدنيا وتفاخر
بكثرة الاموال والاولاد فبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم نشا بين اظهرهم ودعاهم الى ترك
التقليد في الدين واتباع الحجج التي لا يدفعها اهل الحجاج بعقولهم دون ان يكون لهم المعونة من
علم الوحي وما فيه من علم الربوبية فكيف والقوم اصحاب التقليد اما ائمة باديتهم الذين
ادعوا علم الكتب المنزلة واما اتباع امنا اباءهم فيما نشاوا عليه ان الحق لا يعدو عنهم على
ما في ذلك من الاختلاف الذي يمنعهم الامرين جميعا لكن اذا لم يكونوا اهل نظر في الدين وحجة
فيه لم يعرفوا ان ذلك يمنعهم التقليد فاظهر لهم الحجج وانباهم بالمودع من حجاج انبيائهم في
كتبهم والزمهم ان في ابائهم من يلزم التقليد كانوا احق بذلك بما كان عندهم ان اباءهم كانوا
على دينهم بما بين من تغييرهم وتبديلهم وتركهم الواجب عليهم من حق الاتباع والله اعلم والثاني
اذ ظهر فيهم الاختلاف في ائمتهم على ادعاء كل منهم ان ذلك هو الذي كان عليه الانبياء والرسل
في اهل الكتاب ومحاجات غيرهم بما ليس عندهم الا الابائي عندهم فضل على الثوب ثم
كان معلوما عند الاختلاف والتفرق ومضادات الحاجة قد عمتهم والعلم بعرفي لزوم
الاحكام الجي يدا لهم على الحجة ويعرفهم الحق لم تقرر عندهم فبعث الله بفضله من اظهرهم
بما انطق به لسانه من الحجاج وان اهم من علمه بما غيروا وحفظ ما كان عليه اوائلهم فكان ذلك
اظهر البيان واولى ما يعرف من افضال الله عليهم بالاغاثة والامتنان عليهم بالفرج مما قد
مستهم اليه الحاجة ودفعتهم الى العلم به الفاقة والله الموفق وفي الفصل الاول نوع حرف
لم نذكره ومن ان دعاهم الى الزهد في الدنيا فقد المذكور انما والى الاخرة في الدين فقد ظهر
التفاخر بينهم بكثرة العشائر وتقابل القبائل والسخاء بجميع ما طبعوا عليه بما تقدم عندهم ما اليه
جمع عوايب امرهم وقام بذلك في قهر العادة ومخالفة الطبيعة التي يعلم ان ذلك في مثل
ذلك العمل انه سماوية خارجة عن وسع البشر ليكون اقطع لعذرهم وامكن لقلوبهم اليه
فلله الحمد على ذلك وقوله يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء الاية قيل فيها باوجه احدها
انها العدل وهي كلمة التوحيد وكانت عدلا باتفاق الاسلاف سئلوا عن خلق السموات
والارض في الفزع اليها بالاجابة وشهادة الخلقة على وحدانية من له الخلق والامر والله اعلم
ومن هذا الوجه امكن ان يحاج جميع الخلق وان خص به اهل الكتاب والله اعلم والاخرى
ان نستوي فيها انفا حق وعدل وهي عبادة الواحد الذي لم يختلف في انه معبود وان كل من
عبد غيره فعلى ان يكون له العبادة بسبب فيرجع الى حقيقة دون ان يكونه بيننا وبينه من يعلم
انه لا يستحق العبادة وهذا المعنى يلزم الجميع ايضا والثالث ان يكون الى كلمة ظهر انها عدل
في كتابهم عاجات رسلهم ونزلت بها كتبهم ولا فرق الا بالتعبد وقوله ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم ذكر في القصة ان المشركين اخذوا عمارا وحذيفة فقالوا لهم ديننا افضل من
دينكم وافضل من الاديان كلها فنزلت هذه الاشبه ان يكون مثل هذا من رؤساء اهل الكتاب
وعلمائهم هم الذين يتولون مثل هذا العمل واما الجهال منهم والاتباع فانهم لا يعقلون
هذا والله اعلم وقوله لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم الاضلال قيل فيه بوجوه
قيل الاضلال من الاضلال ارادوا ان يخذلوهم لا يذكرون بعدهم ابدا كما يخذل ذكرا ولك
وقيل الاضلال من الاهلاك وقيل الاضلال من التحيير وكل ما في طريقا فهو متحير تائه وما

٢٢٧

يضلون الا انفسهم اي ما يهلكون الا انفسهم وما يحلون الاذكار انفسهم وما يشعرون وذلك وما يشعرون ان الضرر يهلكون انفسهم او يحيرون وما يفعل ذلك اذا علمهم فيما وددوا من اليم العقاب والله اعلم ويقال نزلت في عبد الله بن مسعود وقوله يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون قوله وانتم تشهدون يحتمل وجوها يحتمل وانتم تشهدون ان تلك الايات وتعاينونها وتعلمون انها ايات لكن تكابرون وتعاندون ولا تؤمنون بها ويحتمل وانتم تشهدون اي وانتم تعلمون ما في التوراة ولا الانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه حق ولكن لا تتبعونه وقيل وانتم تشهدون ان اي تعلمون انها ايات يحتمل القرآن ويحتمل رسول الله محمدا ويحتمل غيرهما من الايات التي جاء بها وقال بعضهم لم تكفرون بدين الله وانتم تعلمون بدلالة الخلقة وشهادة كتبكم انه دين الله وتوحيده حق قوله يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون في الاية دلالة جواز هتك الستر وافشاء المكنون والمكتوم من الاسرار اذ كان في ذلك تحذيرا لغيرهم عن مثله وترغيبا لهم في المحمود من الفعل وفيه دلالة اثبات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يخبرهم عما كانوا يكتمون ويسرون فيما بينهم وذلك من اطلاع الله اياه على ذلك وانتم تعلمون ذلك الامر الذي يعلمهم من الله تعالى من ذلك فيقولون حتى تكتموا الحق وحتى تلبسوا الحق بالباطل مثل الذي علمتم انه حق وانه رسول وانتم تعلمون بالله عز وجل وذلك قوله وانتم تعلمون ثم علم ذلك يكون بان كان ذلك في كتابهم او علموا بالايات المعجزة ويحتمل قوله وانتم تعلمون ما جزاء من لبس الحق بالباطل وكتمه والله اعلم ويحتمل وانتم تعلمون انكم تلبسون الحق بالباطل **قوله** وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره قيل فيه بوجوه قيل قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار يعني باول امر محمد صلى الله عليه وسلم لا النهار بنفسه وذلك لان في القصة ان بعضهم كان يقول لبعض ان محمدا كان على قبلتنا وقبلته بيت المقدس ويصلي اليها فامنوا انتم به واكفروا اخره يعني اخر امره يعنون قبلة البيت الحرام الكعبة اي اكفروا بقبلته التي يصلي اليها الان وهي الكعبة وقيل ان بعضهم يقول لبعض امنوا بمحمد في اول امره حتى يرى به جميع العرب ثم اكفروا به في اخر امره فيقولون لما لم تكفروا به ورجعتم عن دينه فنقول لهم انا وجدنا في التوراة نعت نبي وصفته فحسبنا انه هذا فامنا به ثم نظرنا فاذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا به حتى رجعوا اجمعها عن دينه فذلك قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقيل ايضا ان رؤساءهم قالوا للسفلة صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وجه النهار يعني اول النهار يعني صلاة الغداة فاذا كان صلاة العصر اكفروا به فقولوا لهم ان قبلة بيت المقدس كانت حقا فما ذا بعد الحق الا الضلال ليرجعوا عن دينهم فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا انه كان يخبرهم بما يضمرون في انفسهم ويسرون فذلك من اطلاع الله اياه ويحتمل قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي ما اظهروا واظهروا الاسلام اي الموافقة ولا تؤمنوا به بالحقيقة يدل على ذلك قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي في الحقيقة امنوا به ظاهرا واما في الحقيقة فلا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقال الشيخ رحمه الله في قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل الاية يحتمل وجهين احدهما حقيقة النهار ثم

٢٢٨

يتوجه وجهين احدهما امر القبلة خاصة فيريدون بذلك المحاجة بالموافقة في احد الوقتين عليهم فيما خالفوا في ذلك وان علموا ان ذلك حق ليبينوا على الضعفة انه لا يزال ينتقل من دين الى دين ومذهب الى مذهب وان من لزم الدين الاول والمذهب الاول الحق للموافقة فيه مرة ولما لا يؤمن البقاء في الثاني ومن كقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وعلى ذلك انكروا جواز نسخ الشرائع ظنا منهم انه ليس معنى التناسخ الا اختلاف العبادات لاختلاف الاوقات وذلك المعنى قائم وما التناسخ الا انما عليه تناسخ الاحوال في كل على ان العبادات فيها المصلحة ومن تعبدهم بها فالوا الذي به الاصلح في كل وقت فله ذلك والثاني ان يكون الذي اول النهار لعله انزل بما فيه ومن رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان او وصف اوائلهم في رعاية الحق وتعاهد الدين فامنوا بالايمان بذلك ليروا اتباعهم ان قد ثبت وصف من تقدم بما ذكروا النعم في ذلك ومنه ما فيما اخبر من تبديل من بدل من اوائلهم وغير منهم لان كانوا كذلك ليلزموهم التقليد في الامرين والله اعلم ومعناه انه اذا عرفت حال الاوائل لا يعتبر قبل ذلك امر الاخر ومن به كانت المؤنة الذي هم التصديق في الامرين جميعا مما اتى في القرآن ووصف بتصديق كتبهم فحقتهم فيما هو في مقابلة كتب انبيائهم لتكون هي الماضية والمثبتة للحق انه على ما ادعوا او ادعي عليهم وقد ظهرت صفتهم بحظا هو بهم للمنكرين لكتبهم المكذبين برسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تصديقه اياهم وشهادة كتابه بذلك ليعلم المتامل عناد هم بغيا وحسدا كما اخبر الله تعالى عنهم والوجه الاخر من تاويل الاية ان يراد بما اخبر عنهم اول امره واخره لا حقيقة بياض النهار ثم ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون دعاؤه في اول الامر الى التوحيد والايمان بالكتب المتقدمة وهم يدعون الى ذلك وعلى ذلك كانوا قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر ذلك بما بين من تحريفهم وبغيهم لما اخذهم البغي وغلبهم الحسد وخافوا على رياستهم واشفقوا على ملكهم وجرى التحريف والاخبار كثيرا مما قد كتموا ابليهم فكذبوه في هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك من الشيم اصطلاح على الايمان بذلك حتى يعلم صلحهم وحرصهم على قبول الحق ثم يكفرون به ليكون الاول دريئة لهم في الثاني انهم ان تحققوا انه على الحق لا تبعوا له فلما تبين لهم باطله رجعوا عن ذلك فاطلع الله نبيه على ما اسروا ليصير ما ظنوا انه حجة لهم حجة عليهم وجملة ذلك انا لا ندري ما السبب الذي كان منهم القول وفيم كان ولكنه قد بان ان ذلك كان منهم اسرار اطلع الله نبيه ليكون حجة له وزجرا لهم عن كل انواع التبديل في شان رسوله بما يهتك عليهم فيفتضحون عند من كانوا اسروا اخبارهم ويسقط رياستهم والله الموفق **قوله** قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اختلف فيه قيل هو على التقديم والتاخير قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم كان على اثر قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم يقول بعضهم لبعض ما انزل الله كتابا مثل كتابكم ولا بعث نبيا مثل نبيكم قالوا ذلك حسدا منهم وقيل ان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين لما نزلت **قوله** قل ان الهدى هدى الله قال لهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يعني دين الله الاسلام هو الدين ان يؤتى يقول لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم من دين الاسلام والكتاب الذي فيه الحلال والحرام والله اعلم ويحتمل ان يكون قال لن يؤتى احد من الانبياء قبل من الايات مثل ما اوتيت انا لان اياتهم كلها كانت حسية بنفسها كل احد واية رسول الله كانت حسية وعقلية

لا يثبتها الا الخواص من الناس وخبرهم شهود قوله او يحاجوكم عند ربكم راجع الى قوله ولا
تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فيحاجوكم به عند ربكم انهم قد آمنوا به مرة واقروا له وهو كقوله
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم انهم كانوا يظهرون لهم الاسلام والايمان ثم اذا خلوا قالوا انا معكم انما نحن
مستهزؤن فقال بعضهم لبعض لا تظهروا لهذا الاسلام فيحاجوكم عند ربكم في الآخرة و
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء هذه الآيات
على المعتزلة لانهم يقولون ان الفضل ليس بيد الله وكذلك وكذلك الاختصاص انما ذلك
بيد الخلق لان من قولهم ان ليس على الله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين ليس له
ان يؤتي احدا فضلا ولا له ان يختص احدا برسالة الا من هو مستحق لذلك مستوجب له فذلك
الفضل والاختصاص انما استوجبوا بانفسهم لا بالله على قولهم ففي الحقيقة الفضل عندهم
كان بيدهم لا بيد الله فاكذبهم الله بذلك اذ الفضل عند الخلق هو فعل ما ليس عليه لا ما عليه
نعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الرشد قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم يحتمل ان يكون في السر وان اعطيتم لهم الظاهر ويحتمل ان يكون بعد ما اظهرتم
اكثر والآخرة ويحتمل لا تؤمنوا بما جاء به الا لاجل من تبع دينكم فيكون عندهم قدوة يتقرر عندهم
بالذي فعلتم انكم اهل الحق فيتبعكم كيف ما تصيرون اليه ويحتمل لا تؤمنوا الا تصدقوا فيما تخبرهم
عن اوائلكم الا لمن تبع دينكم على المنع من تصديق الرسول بما يخبرهم من التحريف والتبديل والله
اعلم وقوله ان الهدى هدى الله يحتمل وجهين احدهما البيان هو ما بين الله اذ هو الحق
وكل ما خالفه الهوى عنه فهو تلبيس وتمويه ويحتمل ان يكون الدين هو الذي دعا اليه بما اوضحه
وانار برهانه لا الدين الذي دعا اليه اولئك المحرفون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي لن يؤتى
والله اعلم من الكتاب والحجج ويحتمل ان يكون صلة قوله ان الهدى هدى الله وهو دينه او القرآن
او ما دعا اليه ثم يقول ان يؤتى بمعنى لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم اهل الاسلام من الحجج البينات
التي توضح ان الحق في ايديكم وقوله او يحاجوكم عند ربكم فان كان هو صلة الاول فهو بمعنى
يحاجوكم او حتى يحاجوكم وامنتم بما دعا اليه فيحاجوكم بذلك عند ربكم اي انما امنتم بالذي
جاءكم من عند ربكم فيصير ذلك لهم حجة عليكم وان كان صلة الثاني فهو على انهم لا يؤتون
مثل ما اوتيتم من الحجج يحاجوكم بها عند ربكم في ان الذي هو عليه حق لما قد علموا نعته وتحريفهم
والله اعلم ثم بين السبب الذي هو نيل كل خير وفضل والله اعلم وقوله قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء وقوله والله يختص برحمته من يشاء ينقض على المعتزلة قولهم بوجهين احدهما
انهم لا يرون لله ان يختص احدا بشيء فيه صلاح غيره صرفه عن ذلك الغير بل ان فعل ذلك كان
محابيا عندهم وبخيلا بل في الابتداء لم يكن له ذلك وانما يعطي بالاستحقاق وذلك حق يلزمه
وقد ذكر بحرف الامتنان وعندهم ايضا ليس له ان لا يشاء او لا يعطي فلا معنى لذكر الذي ذكر
معها صار ذلك بيد غيره او يلزمه ذلك والله اعلم والثاني ان الذي يحق عليه ان يبذل له كل الاصلح
له في الدين وانه ان خص احدا من ذلك كان جائرا ثم لا فضل للعبد بعد ما اعطي حتى يطيعه
فيما امره فيكون الفضل في الحقيقة في يد العبد يؤتي نفسه ان شاء ويمنع ان شاء والله الموفق
وقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك والقنطار ما تقدم ذكره ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك وصف الله عز وجل اهل الكتاب بعضهم باداء الامانة

وبعضهم بالخيانة وليس المراد من الآية والله اعلم القنطار نفسه او الدينار لكن وصفهم بان
فيهم امانة وخيانة قلت الخيانة او عظمت وكذلك الامانة الا ترى انه يستحق الذم بدون القنطار
والدينار اذا خان وكذلك يستحق الحمد اذا ادى بدون ذلك دل انه لم يرد به التحديد ولكن
على التمثيل وهو كقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ليس على ارادة الذرة ولكن على التمثيل
ان لهذا الخير والشر جزاء وان قل فكذلك الاول وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لما ذكرنا انه لم
يرد القدر الذي ذكر ولكن المعنى به بالاجتهاد يعرف لا بالنصوص وعلى الشافعي رحمه الله ان الدينار
عنده مستكثر عظيم مدعيه عند المنبر والله تعالى جعله مستقلا وفيه ايضا دلالة جواز
شهادة بعضهم لبعض وعلى بعض انه كان فيهم نزلت على ما قاله بعض اهل التأويل لانه وصف عز
وجل بعضهم بالامانة في المال وان كانت الامانة لهم في الدين والشهادة امانة والله اعلم
ويحتمل ان تكون الآية فيمن اسلم منهم وصف بالامانة ومن لم يسلم وصفهم بالخيانة على ما ذكر
عز وجل في آية اخرى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ووصف عز وجل من آمن منهم
بالعدالة والهدى ووصف الكفار بالخيانة في غير آي من القرآن ويحتمل ان تكون الآية فيما
ائتمنوا او فيما جرى بينهم وبين المسلمين من المداينة من غير رهن ولا كفالة وهو كقوله فان امن
بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته امرهم باداء الامانة فيما ائتمنوا وقوله الا
ما دمت عليه قائما قيل ملازما ما دام الحيا (?) وايا متقاضيا ومن عامل من المسلمين الناس هذه
المعاملة يخاف دخوله في هذا النهي والوعيد وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل قالوا ذلك لانهم كانوا يستحلون اموال المسلمين ظلما يقولون لم يجعل علينا في كتابنا
لاموالهم حرمة اموالهم علينا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه واراد بالاميين العرب اذ
ليس لهم كتاب وقيل ذلك الاستحلال بان قالوا ليس علينا فيهم سبيل واراد بالاميين
المسلمين على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب
وقيل قالوا لا حرج علينا في حبس اموالهم لما في التوراة فاكذبهم الله عز وجل بقوله ويقولون على
الله الكذب بان ليس في كتابهم حرمة اموالهم لا لهم عليهم سبيل وهم يعلمون انهم يكذبون
على الله وقوله بلى من اوفى بعهده يحتمل قوله بلى رد على قولهم ليس علينا في الاميين سبيل
بل عليكم سبيل ثم ابتداء الكلام فقال من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اي هؤلاء الذين
يحبهم الله لا اولئك ويحتمل قوله بلى من اوفى بعهده الذي عليه في التوراة من اداء الامانة والجهاد
نعته صلى الله عليه وسلم وصفته ايتمهاد (?) التي يحاربه وظلمه الناس فيه تركها لو فاء وفي نقض
العهد وصدق الله ورسوله ولم يكتم نعته وصفته فان الله يحبهم والله اعلم وقوله ان
الذين يشترون بعهد الله قيل عهد الله امره ونهيه ويحتمل هذا العهد فيما عهد اليهم في التوراة ان
لا يكتموا نعته وصفته ولكن يظهرون ذلك للناس ويتبرؤن به وايمانهم ثمنا قليلا ايمانهم
التي حلفوا كذبا انه ليس نعته وصفته فيه مخافة ذهاب مآكلهم ويحتمل ان حلفوا كذبا فاخذوا
اموال الناس بالباطل والظلم وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الآية والعهد والايمان يكون سواء لا فرق وما ايمانهم الله (?)
والايمان ما حلفوا والله اعلم وقوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب لهم
في الآخرة مما ذكر وان لهم عند الله من الخيرات والحسنات كقوله حبطت اعمالهم في الدنيا

والآخرة وقوله ولا يكلمهم الله يحتمل وجهين يحتمل انه اراد به كلام الملائكة الذين
يأتون المؤمنين بالتحية والسلام من ربهم كقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الآية وقوله ولا يكلمهم الملائكة بما يكلموا المؤمنين اضاف ذلك الى
نفسه على ما ذكرنا فيما تقدم من اضافة السلطنة على ارادة اوليائه فكذلك هذا او ان يكون الله
عز وجل كان قد كلمهم بتكليم الملائكة اياهم لا بغير رسله لكان كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيبشره ببعث الرسل كان قد كلمهم فكذلك الاول ويحتمل
ان يكون الله عز وجل يكرم المؤمنين في الجنة بكلامه فما كلمهم في الدنيا فلا يكلمهم كما يكلم
المؤمنين ويحتمل لا يكلمهم بالرحمة سوى ان يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وكقوله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة وقوله عز وجل ولا ينظر اليهم نظر رحمة كما ينظر الى المؤمنين بالرحمة وقوله
ولا يزكيهم اي لا يجعل لخيراتهم ثوابا ويحتمل ان يكون هذا في قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا
فقال لا يزكيهم اي لا يزكوا اعمالهم وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب اي كانوا
يحرفون السنتهم بالكتاب على التعظيم والتبجيل ليحسبوه من الكتاب اي كانوا يحرفون نعته
صلى الله عليه وسلم وصفته ثم يتلونه على التعظيم والتبجيل ليحسبوه من الكتاب المنزل
من السماء وما هو من الكتاب الذي انزل من السماء ويقولون هو من عند الله وما هو من عند
الله بل هو كتبوا بايديهم وهو كقوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون
هذا من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون على الله وان ذلك ليس
هو من عند الله وقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة اي ما كان
لبشر اختاره الله للذي قال ويبين انهم انما اتهموا فيهم الذي فيه عبادة غير الله الى
انبيائهم كذبة وان الله يجعل رسالته عند من يعصمه عن مثله بقوله الله اعلم حيث يجعل
رسالته لا يجعلها حيث يخان ويكتم والله الموفق وهذه الآية تنقض على الباطنية قولهم
لانهم يقولون ان الله لا يؤتي النفس البشرية الكتاب ولا النبوة انما يؤتي النفس البسيطة
وهي الروحانية لتأتي بحيل في قلوب الانبياء ويؤيده هو حين يولعوا كقوله نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين فاذا ثبت ذلك في قلوب الرسل
تفوهوا الكتب والصحف لا يقدر غير الرسل على ذلك ثم الناس يأخذون ذلك منهم فالآية
فالآية تكذبهم وترد عليهم قولهم حيث اخبر انه يؤتي البشر الكتاب والحكم والنبوة بقوله
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة وكذلك قال عيسى في المهد اني عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا وفي الآية دلالة عصمة الرسل والانبياء عن الكفر بقوله ما كان لبشر
ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وخاصة
في عصمة رسولنا صلى الله عليه وسلم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة وقال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا شرط في المؤمنين
اكتساب ما يستوجبون به الاذى ولم يشترط في النبي صلى الله عليه وسلم دل انه لا يكون
منه اكتساب ما يستوجب به الاذى ويكون من المؤمنين بشرطه فيهم ذلك والله اعلم
قوله ولكن كونوا معناه اي ولكن يقول لهم كونوا ربانيين وكانه على الابتداء لا استثناء
ويقول لهم كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ثم اختلف في ربانيين
قيل متعبدين لله بالذي يعلمون الكتاب وبالذي يدرسون وقيل الربانيين العلماء الحكماء

وقيل حكماء علماء وقيل علماء فقهاء وسموا اصحابه وفيه دلالة ان الرجل قد يدرس ويعلم آخر
بما لا يفقه ولا يعلم معناه لانه من يدرس شيئا او يعلم آخر يكون تفقهها فيه ويعرف ما اودع فيه
من المعنى وفيه دلالة جواز الاجتهاد لانه انما يوصل الى ما فيه من المعنى والفقه بالاجتهاد والله
اعلم وقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اختلف فيه قيل ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة اربابا لانهم يقولون ان الله امرهم بذلك كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها فيل ان عيسى وعزيرا ومن ذكر لا يأمركم ان تتخذوا الملا
والنبيين اربابا من دون الله وقد عصمهم الله بالنبوة وقوله ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون يحتمل وجهها يحتمل ايأمركم الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون له بالخلقة لما شهد خلقة
كل احد على وحدانيته كقوله وله اسلم من في السموات والارض ويحتمل بعد اذ انتم مسلمون اي
اسلموا له واقروا به مرة ثم كفروا به بعد ما كانوا مخلصين له بالتوحيد ويحتمل قوله بعد اذ
انتم مسلمون بعد اذ دعاكم الى الاسلام فاجاب بعضكم وقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال مجاهد هذا خطأ من الكاتب وهي في قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه ميثاق الذين اوتوا الكتاب على ما ذكر في آية اخرى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لان الميثاق لا يؤخذ على النبيين ان يصدقوا لكنه يجوز هذا ثم
اختلف فيه قيل ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن بما جاء به الآخر منهم لو ادرك وقيل اخذ
الله ميثاقا على النبيين ان يصدق بعضهم بعضا وان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى قومهم
ففعلوا ثم اخذوا وامروا ان يأخذوا على قومهم ان يؤمنوا بمحمد ويصدقوه وينصروه وقيل اخذ الله على
النبيين ميثاقا على ان يبلغوا الرسالة الى قومهم ويدعوا الناس الى دين الله قال الكلبي
فيه بوجهين احدهما سؤال ميثاق الذين منهم النبيون وهم بنو اسرائيل وكل ميثاق ذكره
الله تعالى في القرآن في اهل الكتاب فانما يراد به بنوا اسرائيل وان في ذكره كما ذكرنا من
تصديق بعضهم بعضا وتبليغ كتب الله الى قومهم وقوله ثم جاءكم رسول مصدق الى لما
معكم اخذ عليهم الميثاق ليأخذوا على قومهم المواثيق ان يؤمنوا بمحمد اذا خرج وينصروه
وقوله قال أأقررتم قال الله للانبياء أأقررتم واخذتم واخذتم على ذلكم اصري قيل
هو عهدي والاصر قيل هو العهد قالوا اقررنا بالعهد لتؤمنن به ولتنصرنه واخذنا على قومنا
ليؤمنن به ولينصرنه وقال الله فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين يقول الله وانا على اقراركم
بمحمد من الشاهدين وقيل قال الله فاشهدوا اني قد اخذت عليكم بالعهد وانا معكم من الشاهدين
انكم قد اقررتم بالعهد يقول الله فمن تولى بعد ذلك العهد والاقرار ينقض العهد والرجوع عن
الاقرار فاولئك هم الفاسقون وقوله افغير دين الله يبغون الدين كانه يتوجه الى وجوه
يرجع الى اعتقاد المذهب في الاصل ويرجع الى الحكم والخضوع كقوله افحكم الجاهلية يبغون
ويرجع الى الجزاء كقوله افغير دين الله يبغون كانه كل منهم يبغي دينا هو دين الله ويدعي ان
الدين الذي هو عليه دين الله لكن هذا والله اعلم كل منهم في الابتداء يبغي دين الله في نفسه
لكن بان له من بعده وظهر بالآيات والحجج انه ليس على دين الله وان دين الله هو الاسلام فلم يرجع
اليه ولا اعتقده ولزم عليه بالاعتناد والمكابرة فهو تابع بغير دين الله والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله في قوله افغير دين الله يبغون اي افغير ما في دين الله من الاحكام والتوحيد
ويحتمل افغير دين الله تدينون وليس على الاستفهام ولكن على الايجاب انهم في صنيعهم يبغون

غير الذي هو دين الله كقوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وكقوله افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم الاية وقوله وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها يحتمل وجوها يحتمل اسلم اي استسلم وخضع له بالخلقة اذ في خلقة
كل دلالات وحدانيته ويحتمل وله اسلم من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض المؤمنين
الذين اسلموا طوعا وكرها يعني اهل الاديان يقرون ان الله ربهم وهو خلقهم كقوله ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله فذلك اسلامهم وهم في ذلك مشركون وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
من في السموات اسلموا طوعا واما اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها مخافة
السيف وعن ابن عباس رضي الله عنه ايضا قال طوعا من ولد في الاسلام وكل من اسلم ولم
يولد في الاسلام فهو كره وقيل منهم من اسلم طوعا ومنهم من جبروا عليه والاسلام هو تسليم
النفس لله خالصا لا يشرك فيها غيره كقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سالما لرجل الاية دلت الاية انه ما ذكرنا والله اعلم والاسلام هو اسم الخضوع وكل منهم
قد خضعوا ولم يجترئ احد ان يخرج عليه وقوله قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل
على ابراهيم الاية هذا والله اعلم وذلك ان اليهود والنصارى لما امنوا ببعض الرسل وكفروا
ببعض كانوا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض امر الله تعالى المؤمنين ان يؤمنوا بالرسل جميعا فامنوا
بهم جميعا وقالوا لا نفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون والاسلام ما ذكرنا والله اعلم
وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه اختلف فيه فلن يقبل منه حسنات من
يبغي غير دين الاسلام في الدنيا وهو كقوله ومن يكفر بالايمان اي بالمؤمن فقد حبط عمله ويحتمل
من اتى بدين سوى دين الاسلام فلن يقبل منه وقيل انها نزلت في نفر ارتدوا عن الاسلام بعد
ما اسلموا ثم تاب بعضهم فنزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة
من الخاسرين قال الشيخ رحمه الله في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يحتمل
يبتغي يطلب فلن يقبل منه كانه نهى عن ذلك اذ يقصد بالتدين التقرب الى الله تعالى
فاخبر ان ذلك لا يقبله ليصرف الطلب الى غير ذلك وذلك كانوا في عبادة الاوثان
وغيرها ليقربهم الى الله زلفى فاخبر انه لا يقرب ليصرف الطلب الى حقيقة ذلك الذي هي
الاديان كانت معروفة تابى الانفس لكثرة عن الحضور الاسلام لدينهم وادعوا ان دينهم هو دين الله
فاخبر الله ان دينه هو الاسلام وان من يبتغي الدين لغير دين الله به فيه فانه لا يقبل منه والله
اعلم ويحتمل الابتغاء الارادة فيكون فيه تحقيق الدين اذ هي مجامع العقل فكانه قال من دان
غير دين الاسلام فلن يقبل منه وان قصد به الله بالدين والله الموفق ايد ذلك قوله وهو
في الاخرة من الخاسرين انه فيمن اتى بغيره والله اعلم وقوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الاية فالاية تحتمل وجوها يحتمل ان لا يهدي الله قوما هم
معاندون مكابرون فيه غير خاضعين له ولا متواضعين انما يهدي من خضع له وتواضع فاما
من عاند وكابر فلا يهديه ويحتمل ان هذا في قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لا يؤمنون
ابدا فاخبر الله انه لا يهديهم واما من علم الله انه يؤمن وتاب فانه يهديه بقوله الا الذين
تابوا واصلحوا الاية اطمع من تاب واصلح ان يهديه ويغفر له ويحتمل ان لا يهديهم طريق
الجنة اذا ماتوا على كفرهم كقوله لا يهديهم طريقا الا طريق جهنم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل
لا يهديهم في وقت اختيارهم الضلالة وقيل بما اختاروا من الضلالة لا يهديهم اي لا يثيبهم

والله لا يهدي القوم الظالمين قال الشيخ رحمه الله ودل قوله كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم ان دين الاسلام هو الايمان وان الكفر مقابله من الاضداد وكيف يهدي قيل بكفرهم
وقيل به وتلاحب دهرهم وقيل ذلك في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكانت همتهم التعنت
والمخالفة والله اعلم وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين الاية ترد على المعتزلة في قولهم
لان الهدى البيان والبيان للكل قالوا تقدم القبل فلو كان ما تقدم لكان في ذلك اعطاء
الهدى للظالم فاخبر عز وجل انه لا يهدي الظالم وهم يقولون لا بل نهدي الظالمين لكي خروج
عليه واما في قولنا فان التوفيق والقدرة انما تكون معه فكان قولنا موافقا للاية قال الشيخ
في قوله والله لا يهدي من ذكر فلو لم تكن الهدى غير البيان فلقد هدى امرا ذا على قول المعتزلة والله
اعلم وقوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله عذاب الله وقيل لعنة الله الاياس من رحمته
وعفوه واللعن هو الطرد في اللغة ولعنة الملائكة ما قيل في اية اخرى قوله ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا الاية وقيل
لعنة الملائكة قولهم ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون الى اخره وقيل يدعون
عليهم باللعن وقيل لعنة المومنين قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فذلك لعنهم عليهم وقوله الا
الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ملحق على قوله كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم ذلك الكفر بعد الايمان ثم ذكر التوبة فقال الا الذين تابوا الاية اطمع لهم
المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر بقوله فان الله غفور رحيم وما قيل في القصة ايضا
ان نفرا ارتدوا عن الاسلام ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض فنزل قوله الا الذين تابوا الاية
وفي الاية دلالة قبول توبة المرتدين لان قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك الاية قيل في القصة
وقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا اي ماتوا على ذلك فذلك زيادة كفر
الكفر وقيل ان الذين كفروا ببعض قبل الايمان بالرسل جميعا ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه
وسلم لن تقبل توبتهم قيل لن تقبل توبتهم التي تابوا مرة ثم تركوها وقيل لن تقبل توبتهم التي اظهروا
باللسان ولما كان ذلك في قلوبهم اي ليست لهم توبة لان يكون توبة منهم فترد كقوله لا تقبل
شفاعتهم وقيل هم قوم علم الله انهم لا يتوبون ابدا فاخبر انه لا تقبل توبتهم كقوله انذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل لا تقبل توبتهم عند الموت كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله
وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم
تكن امنت من قبل اخبر انه لا ينفع الايمان في ذلك الوقت فعلى ذلك قوله لن تقبل توبتهم
في ذلك الوقت اذا داموا على الكفر الى ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله ان
الذين كفروا بعد ايمانهم لن تقبل توبتهم ذلك في قوم مخصوصين انه لا يكون منهم توبة كقوله
ولا تقبل لهم شفاعة اي لا شفاعة لهم ويحتمل عند رؤية باس الله وجزاء فعله عند القيامة
او معاينة الموت يدل على ذلك الاية التي تقدمت وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا الاية كقوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا ولو افتدى به يتوهم لو كان معهم لافتدوا به انه قد قبل منهم ولكن لا يكون كقوله
لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي لا يكون لهم شفيع لا ان كان لهم شفيع فيشفع
فلا يقبل شفاعتهم ولكن لا يكون لهم فهذا يدل على ان قوله لن تقبل توبتهم اي لا يتوبون والله اعلم

٢٢٥

وروي عن انس بن مالك ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال
له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول نعم يا رب فيقال له قد
سئلت ايسر من ذلك وقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يحتمل ان تكون الاية
والله اعلم في كفار منعهم عن الاسلام الزكاة والصدقات التي تجب في الاموال كقوله ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا
به وتولوا الاية الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاخبر عز وجل لن تنالوا الاسلام
حتى تنفقوا مما تحبون من الاموال وكقوله الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون ويحتمل
الاية في المؤمنين رغبهم عز وجل في انفاق ما يحبون كقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين واتى المال على حبه الاية
اخبر ان البر ما ذكر من الايمان به وايتاء المال في حبه وروي عن انس رضي الله عنه قال
لما نزل قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابو طلحة يا رسول الله حائطي الذي في
مكان كذا وكذا فهو لله ولو استطعت ان اسره ما اعلنته فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجعله في قرابتك او قرابتك وروي عن عمر رضي الله عنه انه لما نزل هذا اعتق جارية
ثم اختلف في البر قيل البر هو الجنة ههنا وقيل البر هو الاسلام ان كان في الكافر وقيل
لن تنالوا درجات الجنة وما عند الله من الثواب الا بانفاق ما تحبون وقوله وقوله
وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم فيه دليل قبول القليل من الصدقة لانهم كانوا
يمتنعون عن قليل التصدق استحياء فاخبر انه بذلك عليم وان قل بعد ان يكون ذلك
لله عز وجل والله اعلم وقوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
الاية قال ابن عباس رضي الله عنه وكان الطعام كله حلالا لهم الا الميتة والدم ولحم الخنزير
الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعني يعقوب حرم على نفسه لحم الابل والبانها وكان من احب الطعام
اليه ان ثبت ما ذكر في القصة ذكر في القصة ان يعقوب صلى الله عليه وسلم اقبل يريد بيت
المقدس فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه يصارعه حتى اضاء له الفجر فلما اضاء له
الفجر غمز الملك فخذ يعقوب فتهيج عليه عرق النسا فكان يبيت الليل ساهرا من وجعه
فاقسم لئن شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه فلما شفاه الله من ذلك
حرم لحم الابل والبانها لانها من احب الطعام والشراب اليه فان ثبت هذا فهو انما حرم ذلك
على نفسه بالاذن من الله عز وجل والامر منه ثم ان اليهود قالوا انما كان تحريم ذلك من الله
في التورية فامر الله نبيه ان قل لهم فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ان ذلك التحريم
من الله في التورية ويحتمل ان التحريم كان بظلم منهم كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم ثم انكروا التحريم ذلك بظلمهم فدعوا باحضار التورية ليظهر كذبهم فابوا
ذلك فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه اثبات دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر عما استروا واظهر ما كتموا قال ابو زيد انما قدر اهل الكتاب على تغيير كتابهم
والزيادة فيه والنقصان ولم يمكن لاحد تغيير القرآن عن وجهه او زيادة فيه او نقصان
منه لان كتبهم تشبه كلام بعض من الحكماء تغير وابين من كلام الحكماء واما القرآن فهو آية
معجزة لم يقدروا على تحريفه ولا تبديله وان علم انه كان كما ذكروا الا فهو والله اعلم فيبكت
عليهم استادهم وليظهر عليهم ما كتموا وفيه اثبات الرسالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

٢٢٦

وقوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قيل فيه بوجوه قيل ان اول
بيت مبارك وضع للناس هو بكة وقيل اول مسجد وضع للناس مكة وقيل يريد بمكة
البقعة اي اول بقعة خلق الله هو بكة ومنها دحيت الارض وقيل ان آدم صلى الله عليه وسلم
لما امر بالحج فيه قال له جبريل قد حج فيه الملائكة قبلك بالفي عام وقيل خلق الله البيت قبل الارض
بالفي عام ثم اختلف في قوله بكة قيل البكة الزحام وقيل البكة موضع البيت ومكة سائر
القرية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال مكة من فج الى التنعيم الى المتحرك وبكة من البيت
الى البطحاء وقيل بكة الكعبة حيث يبك الناس اي يزدحم بعضهم بعضا ومكة ما وراءها
وقوله مباركا قيل يغفر فيه الذنوب والخطايا وهدى للعالمين فيه آيات بينات يحتمل
قوله فيه آيات بينات ما لو تاملوا لهداهم وذلك ان الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال
في ارض ملساء قليلة الاتراب والريع لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة ما لا يرغب الخلق الى مثله ثم جعل
قلوب الناس تهوي وتميل اليه اشد تعظيم من غيره ان كان فيه ما يرغبهم من النزهة فلولا ان كان
ذلك من ايات الله ولطفه والا ما رغب ان يرى الى مثله ويحتمل قوله فيه آيات بينات
مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وذلك آياته والله اعلم وقوله ومن دخله كان آمنا
ظاهر فيمن يجني ثم دخل الحرم امن لان من لم يجن فهو آمن ابن دخل من الحرم وغيره وانما
الاية على ما يخص بالامن اذا دخل الحرم دون غيره وقد روي عن جماعة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق هذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا اصاب
الرجل الحد في الحرم اقيم عليه وان اصابه في غير الحرم ثم لجا اليه لا يحدث ولا يجالس ولا
يؤاكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيؤخذ فيقام عليه الحد وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه
قال لو وجدنا قاتل ابينا في الحرم لم نقتله وروي عن الحسن رحمه الله انه قال في قوله ومن
دخله كان آمنا كان هذا في الجاهلية فاما الاسلام فلم يزده الا شدة من اصاب الحد في
غيره ثم لجا اليه اقيم عليه الحد فقال محمد ان الصيد كان يامن في الجاهلية ثم في الاسلام
لم يرتفع ذلك الامن بل كان امن الصيد في حال الاسلام كهو في حال الجاهلية فعلى ذلك الامن
الذي كان في الجاهلية هو باق غير زائل في الاسلام واصحابنا يذهبون الى ما روي عن ابن عباس
وابن عمر ولما روي ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم مكة يوم
خلقها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا
يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحتش حشيشها اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
مكة بعد الاسلام حرام كما كانت قبله وانها لم تحل له الا ساعة من نهار فاذا كان الملتجي اليها آمنا
قبل الاسلام فالواجب ان يكون آمنا بعد الاسلام حتى يخرج منها وحجته ان الله تعالى
اباح لرسوله قتل المشركين جميعا ولم يرخص ذلك فيه الا لاهل مكة فانه لم يحل له قتلهم الا ساعة
من نهار فتفضل مكة على غيرها بما خصها به من التحريم فلا يسعد ان لا يقام على من التجا اليها في الاسلام
اذا كانت جنايته اقل من كفر اهلها ولم يحل قتلهم الا ساعة من نهار وفي الفرق من قتل فيها وفي
غيرها ثم لجا اليه وجه آخر قول الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قاتلونا ففي ذلك دليل ان الحد
اذا اصاب ومن اصاب في غيره ثم لجا اليه لم يقتل كما لم يقاتلوا اذا لم
يقاتلوا وهذا القول حسن واحد والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل ومن دخله

كان امنا يحتمل ان يكون صار الحرم في قديم الدهر انه كان على ما بين الخلق من التجاذب والطلب
يامنون بالحرم اذا التجؤا اليه وذلك كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم فيكون ذلك من عظيم ايات الله ان اهل الجاهلية على عظيم ما بهم من الامور وغيرها
من الدين منعهم الله عن هذا التغير حيث يهيب لكل من شهده اية ان الله له هذا السلطان وبه
قام هذا التدبير العظيم له العلم بحقايق الاشياء ووضع كل شي موضعه وعلى ذلك قال بعض
اهل التاويل في قوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم وقد جعل جل ثناؤه ذلك كالمامن في الشرع
والطبع فاما الشرع فما جاءت به الرسل واما الطبع فما تنافر الناس حتى صار ذلك الى الصيد
الذي يوذيه الاخذ والى انواع الاشياء التي قامت بجوهر تلك البقعة من النبات لا بانها
تكتسب ولهذا اكره بيع رباع مكة ورخص في بيع ما احدث فيه من البنا والله اعلم وقوله
وجعلنا كذا على لزوم ذلك الحق لانه مذكور بحرف الامتنان والاحتجاج له ولا يجوز تغير الذي
هذا وصفه والله اعلم ويحتمل كان صار امنا اي اوجب له الامان ومعلوم ان الذي لم يلزمه
القتل كان امنا دون دخوله فثبت ان ذلك فيمن لزمه وايد ذلك قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام لقوم قد سبق منهم القتل وقت شرع القتال بالكفر لم ياخذهم حتى الشروع على ما سبق
من الكفر في وقت لم يكن ذلك جزاء في الدنيا الا انه يحدث القتال فيلي ذلك من لزمه لا فيه
فهو يامن به الا ان يكون احدثه فيه والله اعلم واصله انه اضاف الامان الى نفسه بقوله كان
امنا فكل حق تلف نفسه فله امان بالدخول فيه وكل حق في اقامته احياء ما جعلت الحياة لمنع
مثله فهو قائم ليكون زجرا له وتكفيرا على ما باه الامن ليحيي نفسه وردها الى ما لم يبد انه التجا
اليه للهرب عن حكم الله تعالى او للامان بالله ليتصل الى اقامة احكام الله امنا وفي اقامته
هذا ايضا والله اعلم و **قوله** عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
فرض الله تعالى الحج بهذه الاية على من استطاع اليه سبيلا ولم يبين ما السبيل وبين ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وهكذا يقول
علماؤنا ان الاستطاعة والسبيل هو الزاد والراحلة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بعض الناس اذا كان بينه وبين الحج بحر لم يلزمه الحج فكانه ذهب الى ظاهر الاية من استطاع
اليه سبيلا فجعل البحر واشباهه من بلا للاستطاعة فخالف ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة فلم يجز
لاحد ان يزيد في شرايط الاستطاعة مع الزاد والراحلة لان النبي صلى الله عليه وسلم هو
المبين عن الله فعلينا اتباعه في قوله وفعله وتفسيره الاية ولكنا نجعل من يحول بينه وبين
البيت معذورا في التاخير لا باثم ان شاء الله اذا لم يقدر على الوصول الى البيت بعلة على
ما جعل التاخير في غيرها من العبادات عند الاعذار والعلل ولا باثم في ذلك ثم في الاية دلالة
ان لا يلزم المراة الحج الا بالمحرم لان المراة وان وجدت الزاد والراحلة فانها تحتاج الى
من يركبها وينزلها ولا تقدر على ذلك الا بغيرها وهكذا [illegible] الكان كذلك جعل كانها
غير واجدة للراحلة والله اعلم وفيه دلالة ان العبد اذا حج ثم اعتق لزمه حجة الاسلام لانه لا يملك
الزاد والراحلة فاذا لم يملك الزاد والراحلة لم يجز ذلك عن حجة الاسلام وكذلك روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ايما عبد حج ولو عشر حجج فعليه اذا اعتق حجة الاسلام والصبي كالعبد
يحج ثم اتسع جاز ذلك من حجة الاسلام ففرقوا بينهما وان كانا في زوال الحج في الابتدا سوا وذلك

ان الفقير اذا بلغ ذلك المكان صار غنيا ولزمه الفرض لانه لا يحتاج حينئذ الى زاد وراحلة
واما العبد اذا حضر ذلك المكان لم يعتق لذلك افترقا في ذلك جهة اخرى ما اجمع اهل العلم
ان فقيرا لو حضر القتال ضرب له بسهم كامل كما يضرب لمن كان فرضا عليه ولا لازما له ولو ان
عبدا شهد الوقعة رضخ له ولم يكمل له سهم الحر فافترقت حال الفقير والعبد في الجهاد والضرب
في السهمان فعلى ذلك يفترق حالهما في الحج والله اعلم و **قال** بعض اهل العلم ان الشيخ الذي لا يستمسك
على الراحلة اجزى ان يحج عنه فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته عنه
اكان يقبل منك قال نعم قال فالله اولى بحج ابيك او كلام نحوه ولكن ليس في الخبر انه لزمته الحج انما ادركه
في الحال التي لا يستمسك على الراحلة فيجوز ان ادركته فريضة الحج قبل ذلك فكذلك نقول على ذلك
ان الحج اذا وجب فاخره واتى حتى اعتبر لم يسقط عنه الحج وكذلك اذا وجب عليه الحج فلم يحج حتى كبر فصار
لا يستمسك على الراحلة عليه ان يوصي ليحج عنه ويحتمل ايضا انه رغبه صلى الله عليه وسلم
في الحج عنه متبرعا لا انه لزمه الحج في ذلك الوقت الذي لا يثبت على الراحلة وعندنا انه لا يلزمه
لانه اذا لم يستمسك على الراحلة فلا راحلة له ثم من قول هذا القايل ان من لزمه فرض الحج فله ان يؤخر
وفي التاخير حتى ادركه المنية ومن قوله انه لو اخر حتى مات يصير فاسقا فاذا مات مات فاسقا
يجعل له رخصة التاخير ثم يعنفه فكانه يجعل له الرخصة في الفسق فذلك قبيح وحشو من القول
سمج واما عندنا فانه لا يسع له التاخير في اول احوال الامكان على تمام شرط الاختيار كغيره من
العبادات التي لزمت من نحو الصلاة والصيام وغيرهما لا يسع التاخير فيه كذلك الحج ثم من قول
الشافعي ان على الكافر الحج والصلاة والصيام في حال كفره فاذا اسلم سقط ذلك عنه فذلك
عندنا لعب وعبث في دين الله تبارك وتعالى يخبر ان يلزمه فرض في حال لا يجوز له فعله فاذا
جا سبب الجواز يسقط عنه ذلك وفي الاية دلالة ان الحج انما كان ذلك فرضا على المومنين خاصة بقوله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين فلو كان هو الكافر على المسلم لم يكن لقوله معنى ولان الله عز
وجل انما امر بالعبادات باسم المومنين ثم المسالة بيننا وبين المعتزلة في الاستطاعة قالت
المعتزلة يكون قبل الفعل لان الله تعالى فرض الحج وامر بالخروج اليه اذا قدر على الزاد والراحلة على
ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يقدر لم يلزمه فدل انها تتقدم واما عندنا فهي على وجهين
احدهما استطاعة الاسباب والاحوال والثاني استطاعة الافعال فاما استطاعة الاحوال
والاسباب فيجوز تقدمها من نحو الزاد والراحلة والجوارح السليمة واما استطاعة الافعال فانها
لا تكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا يكون الا معه والوقت في الحج لفعل الحج لا
للايجاب لانه لو كان للايجاب لكان له ان لا يخرج ولا ياتي ذلك المكان فيجب عليه الحج ولانه لو لم يلزمه
الا بالوقت ثم لا يتمكن بفعله به دون المكان فيجيء انه لا يلزمه الا بحضور ذلك فلا يلزمه الخروج ابدا
اذا كان الحج غير لازم ولانه ليس على العبد ان يتكلف في اكتساب ايجاب العبادات وعليه ان يجهد
في اداء الواجب عليه ثم الاوقات على اقسام ثلاثة وقت للايجاب والادا جميعا نحو الصلاة والصيام
ونحوهما ووقت للايجاب نحو الزكاة ووقت للادا نحو الحج انما وجوبه بالزاد والراحلة واما
الوقت فهو للادا خاصة فاذا كان في غير بلاد المسلمين فلم يكن ندبه بفعل الحج لانه لا يقدر
على فعله اذا كان فيما ذكرنا دلت ان قدرة الفعل لا تتقدم الفعل وقدرة الاحوال تتقدم لما ذكرنا
والله اعلم و **قوله** ومن كفر فان الله غني عن العالمين في الاية دلالة ان الله عز وجل اذا امر
عباده بامر ليس يامره لحاجة نفسه وبامره لحاجة العبد لانه غني بذاته لا لحاجة تمسه واما الامر

فيما بين الخلق فانما هو لحاجة بعضهم لبعض اما لجر منفعة او دفع مكروه فلذلك معنى قوله ومن كفر
فان الله غني عن العالمين ثم اختلف في قوله ومن كفر عن ابن عباس رضي الله عنه ومن كفر قال من زعم
انه لم ينزل وعن الحسن ومن كفر قال من زعم ان الحج ليس بواجب وقيل ومن كفر بالله قال هو الذي
ان حج لم يرج ثوابه وان جلس لم يخش عقابه وعن ابن عباس قال من استطاع اليه سبيلا والسبيل
ان يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير ان يجحف ثم قال ومن كفر يقول ومن كفر بالحج
فلم ير حجه برا ولا تركه مأثما **قوله** ولله على الناس حج البيت دلالتان احديهما في الوجوب بقوله
ولله على الناس وايد ذلك قوله ومن كفر وما جاء من الاثر والثاني في القول والثاني جعل البيت شرطا
للقيام لما هو في قوله على الناس ذلك فيكون فيه دليل لزوم الطواف تفسيره في قوله وليطوفوا
بالبيت العتيق وكذلك ايده قوله فمن حج البيت او اعتمر وايده ايضا ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال في امرأة نفست احابستنا هي قيل انها افاضت وعلى ذلك اتفاق
القول بلزوم الطواف والله اعلم فلما دل ان الطواف لازم لم يخل اما ان يكون الطواف المبتدأ
به في الحج او الذي يختم به والذي يبدأ به لا يلزم كل الناس ثبت ان الفرض هو الذي يختم به
وقوله من استطاع اليه سبيلا اوجب جعل السبيل اليه والامكان شرطا للوجوب اذ الاية
في ذكر الوجوب لا الفعل وعلى ذلك جميع العبادات جعل الامكان في وجوبها شرطا بالسمع بقوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها وغير ذلك مما ذكر في كل نوع من العبادات من الاستطاعة وكذا حق
هذا بالعقل وذلك يخرج على وجهين استطاعة الفعل من القدرة التي تحدث لا محالة ما سلمت
الاسباب الا ان يكون يمنعه الفعل الاعراض منها بالشغل بغير ذلك الافعال او اشتغال
ذلك بالفعل فيكون فوت الاستطاعة بتضييعه ولا على التفويت لما كان المكلف يفوته كفوت العلم
به على الامكان وان كان لا يتوهم دونه والذي يويد ان هذه الاستطاعة ليست بشرط في الايجاب
انها لا تبقى ثم محال وجودها في حال لو اريد اقامة الحج لا يتهيأ وذلك نحو ان يكون في اقصى البلاد
من مكة ومعلوم ان القدرة التي بها يكون الفعل ليست معه ومحال تكليف السبب الذي به يجب
الفعل فلذلك لم يجز تكليف بالخروج ولا امر بالحج فكانه يومر بتكليف سببا لا لجائب ثبت ان
لم يجب الحج لا يملك القوة وكذلك يجوز في الكفارات استعمال الابدال في حال العجز وان كان
لا يعلم ان العجز يمتد الى آخر ما يتوهم به الاصل بل على ظهور ان لا يمتد يمضي البدل ثبت ان لا يعتبر
لعقد قدرة الفعل ووجودها في التكليف والله اعلم والثاني ان يراد بالاستطاعة سلامة الاسباب
ولا يجوز التكليف دونها بالفعل لانه ممنوع ومحال امر الممنوع عن الفعل به كالاعمى والمقعد
ونحو ذلك والى مثل هذا انصرف شرط الاستطاعة ومن اللازم في العقل لما القرب نحو التكليف
لما القوم على المامور فاذا منع عنه السبب الذي هو النعمة لم يحتمل ان يؤمر بالشكر ولا نعمة والله
اعلم وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال الزاد
والراحلة والله الموفق وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي حنيفة رحمه الله في وجوب الحج وان لم
يدرك الوقت الذي فيه يقوم الحج على ما ذكرته وان لم يكن اصاب المكان الذي فيه يقام والله اعلم
فظاهر الاية معا ذكرنا من بيان الاثر واصله ان الوقت في الحج جعل لجواز الفعل اذ هو لوفات
لا يحتمل في غيره وكل فعل يجوز في غير وقته فما يقرب من الوقت به كان احق بالجواز فاذا عجز
هذا وجاز في مثله من القابل ثبت انه للجواز لا للوجوب وايد ذلك ما لا يوصف بالقضاء ومتى
ادى ولو كان في الاول واجبا لوقت الاول لكان يكون في الثاني قاضيا فاذ لم يكن ثبت انه ليس لوجوب

وقت والله اعلم **قوله** قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله واياته ما ذكرنا فيما تقدم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبالقرآن والحج والله شهيد على ما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه ينبههم عن
صنيعهم ليكونوا على حذر من ذلك **وقوله** لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا يحتمل
قوله لم تصدون عن سبيل الله من آمن من الاتباع الذين كانوا ايمانهم ايمان تقليد لا ايمان بالعقل
لان من كان ايمانه ايمانا بالعقل فهو لا يصد ولا يصرف عنه ابدا لما عرف حسن الايمان وحقيقته
بالعقل فهو لا يتركه ابدا فاما من كان ايمانه ايمان تقليد فلم يكن ايمانه ايمان حقيقة فلذلك يصد
عنه الا الذي من يمن الله عليه فيشرح صدره حتى يكون على نور منه وذلك احد وجوه اللطف والمقلد
غير معذور بما معه لو استعمله لا وضح له الطريق واراه قبح ما آثر من التقليد والله الموفق ويحتمل
قوله لم تصدون عن سبيل الله من آمن اي لم تقصدون قصد صدهم عن سبيل الله ثم لا يرجعون
الى دينكم ايا من منه اياهم عن ان يرجعوا عن دينهم الذي عليه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي فيه اياس الكفرة عن رجوع المسلمين الى دينهم وقيل كانوا يصرفون المومنين عن الحج **وقوله**
تبغونها عوجا والعوج هو غير طريق الحق وهو الزيغ والعدول عن الحق **وقوله** وانتم شهداء وانتم
تشهدون واحد وفي حرف حفصة رضي الله عنه وانتم شهداء على الناس **وقوله** وما الله بغافل
عما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه لان من علم ان عليه رقيب وحافظ يكون احذر واخوف ممن لم يكن
عليه ذلك قال الشيخ رحمه الله فيه انه لا غفلة بالذي يكون منكم خلقكم ولكن على علم ليعلموا انه
لا لحاجة خلقكم بل لا تزيدا الغنى والسلطان يجل ثناؤه **وقوله** يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية تحتمل وجهين احدهما معلوم ان المومنين لا يطيعونهم كفارا
بحال في الكفر ولكن معناه والله اعلم ان يدعوهم الى شيء لا يعلمون ان في ذلك كفرا فاخبر انهم ان يطيعوهم
في كل ما يدعونهم لعل ما يدعونكم اليه كفر وانتم لا تعلمون ويحتمل النهي عن طاعتهم كالنهي عن ان
يطيعوهم وان كان قيل انهم لا يطيعونهم كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم في غير آية من القرآن
كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين فكذلك هذا قال الشيخ رحمه الله ويشبه ان
تكون الاية في عرض موعود عظام يرغب فيها النفس ليكفروا بها ويحذر عن ذلك بما بين من الاعتناء
والحث في آية اخرى ليعلموا ان ذلك تجارة خسرة وقد كانت لهم لاهل كل دين ومذهب
هذا الاستغناء والله اعلم وعلى ذلك قوله وكيف تكفرون على ان الذي اتاكم الرسول صلى الله
عليه وسلم اتم العقول وازدح للابدان مما وعدوه مع سوء المآب والله اعلم **وقوله** وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وهو على وجه التعجب ظاهره ولكنه على طلب الحجة في كفرهم
وفيكم رسوله يدفع عنكم الشبهة التي عرضت لكم بالقاء اهل الكتاب اليكم ومن يعتصم بالله اي من حبل
الله عز وجل ملجأ له ومفزعا اليه عند الشبه والاشكال فقد هدي الى صراط مستقيم اي يحفظه
عن الشبه ويرشده الى صراط مستقيم والله اعلم ويحتمل ومن يعتصم بالله يتمسك بالذي جاء من
القرآن فقد هدي الى صراط مستقيم **قوله** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته روي عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر اي لا يغفل ويذكر
فلا ينسى وان اداء حق تقاته مما يحتمله وسع الخلق وروي في حرف حفصة اتقوا الله حق تقاته
اي اعبدوا الله حق عبادته وهذا في اعتقاد التوحيد وروي عن انس رضي الله عنه يقول
لا يتقي الله احد حق تقاته حتى يخزن من لسانه ويعد كلامه من عمله وقيل اتقوا الله اطيعوا الله
حق طاعته وقيل انه هذا نسخها قوله اتقوا الله ما استطعتم الاية لكن لا يحتمل انه يامر الخلق بشيء

ليس في وسعهم القيام به ثم يبيح ذلك بما يستطاع ذلك أصله ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال إن لله على عباده حقا وللعباد عليه حقا وحق الله على عبده أن يعبد الله ولا
يشرك غيره فيه وحق العبد على الله أن يدخل الجنة إذا عبده ولم يشرك غيره فيه إذا فيكون
هذا ناسخا لا للآية أن قوله اتقوا الله ولا تكفروه فيكون فيه الأمر بالإيمان والنهي عن الكفر لأنه
ليس في وسع أحد أن يتقي الله حق تقاته في كل العبادة ألا ترى إلى ما روي من أمر الملائكة معما جبلوا
من عبادتهم أنهم لا يفترون ولا يسأمون ثم يقولون ما عبدناك حق عبادتك وإذا كان أحد لا يبلغ
ذلك فلا يحتمل تكليف مثله وجملته أن ذلك ليس بذي حد وغاية فيحد بكيف كان والله أعلم الأمر فيه
راجع إلى الإسلام أو في نفي حق الاشتراك خاصة لا في جميع الأحوال والأفعال دليله ما ختم به الآية
وفي وسع الخلق أن لا يشركوا أحدا في عبادته ألا ترى أنه قال ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وفي
ظاهر الآية النهي عن الموت إلا مسلما وليس في الموت صنع للخلق والمعنى والله أعلم أي كونوا في حال
إذا أدرككم الموت كنتم مسلمين فالنهي فيه نهي عن الكفر والأمر بالإسلام حتى إذا أدركه الموت
أدركه وهو مسلم والله أعلم وقد يكون على بيان أن لا عذر عند الموت وإن اشتد أمره بالذي ليس
بالإسلام وروي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال أكثر ما يسلب الإيمان عند الموت كان الشيطان
يطمعه في أمر لو أعطاه ما طلب ويحتمل قوله اتقوا الله حق تقاته أي احذروا عذاب الله حق
حذره فاحذروا نقمته كقوله يحذركم الله نفسه بمعنى نقمته وقوله واعتصموا بحبل الله
جميعا اختلف فيه قيل حبل الله يعني القرآن وهو قول ابن مسعود وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال حبل الله الجماعة وإنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها أمر بالكون مع الجماعة ونهى عن التفرق
لأن أهل الإسلام هم أهل الجماعة ألا ترى أنه قال في آية أخرى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وصف أهل دين الإسلام بالجماعة وأهل الأديان غيرها بالتفرق
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا قال حبل الله الجماعة وروي في بعض الأخبار أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه يعني
حبل الإسلام وروي عنه أيضا قال إن الشيطان ذئب كذئب الغنم يأخذ الشاذة والقاصية
والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة وهذا المسجد وروي عن علي رضي الله عنه
قال دعاني النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ثلاث مرات ثم قال سيكون في أمتي اختلاف قلت كيف
نصنع يا رسول الله إذا كان كذلك قال عليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم
وهو حكم فيما بينكم من يدعه من جبار يقصمه الله ومن ترك الهدى في غيره يضله الله وهو حبل الله
المتين وأمره الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تختلف فيه الألسنة ولا تخلقه كثرة
الرد ولا تنقضي عجائبه وقيل حبل الله دين الله والحبل هو العهد كأنه أمر بالتمسك بالعهود التي
في القرآن والقيام بوفائها والحفظ لها ونهى عن التفرق كما تفرق الأمم الخالية واختلفت في الأديان
وقوله واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ألف بين قلوبكم بالإسلام وقيل بالقرآن ولم يكن ذلك للدين نفسه ولكن بلطف من الله من به
على أهل دينه وأخبر أن التأليف بين قلوبهم نعمة لأن التفرق يوجب التباغض والتباغض يوجب
القتال وفي ذلك التفاني وعلى قول المعتزلة ليس من الله على المسلم من النعمة إلا ومثلها يكون
على الكافر لأن الهدى والتوفيق عندهم البيان وذلك البيان للكافر كهو للمسلم وعلى قولهم
لا يكون من الله على أحد نعمة لا يفعلون به في الهداية فعلا إلا وذلك من الخلق وأما عندنا

فإنما يكون الإسلام بهدايته إياه فذلك من أعظم النعم عليه وقوله فأصبحتم بنعمته إخوانا
أي صرتم بنعمته إخوانا وقوله وكنتم على شفا حفرة من النار أي كنتم على شفير حفرة من
النار ودنوا القرب منها لولا أنه من بالإسلام ويحتمل أن يكون على الكون فيها أو الوقوع لا القرب
كقوله لترون الجحيم ليس على الرؤية خاصة ولكن على الوقوع فيها وكقوله وذوقوا العذاب ليس
على البعد منها ولكن على الكون فيها ومثله كثير يترجم عن الوقوع فيها وقوله حفرة كأنه قال كنتم
على شفا وركن من دركات النار فأنقذكم منها وهذا أيضا على المعتزلة لأن على قولهم هم
الذين ينقذون أنفسهم لا الله على ما ذكرنا والله الموفق قال الشيخ رحمه الله يقول
إذ كان الله تعالى عندهم قد جمع بين الكفرة والبررة في بذل الأصلح لهم في الدين وليس
منه غير ذلك فلا يجوز أن يمن عليهم به فيتألف بنعمته والذي منه موجود مع التفرق بل أولئك
تألفوا بنعمتهم وتعبد فإن النعمة لو كانت دينا فما الذي كان منه حتى يمن وذلك فعلهم بلا فضل
منه فيه والله أعلم وفي قوله وكنتم على شفا حفرة الآية أنه قد يلزم خطاب الإيمان حين الفترة
لأنهم في ذلك الوقت كانوا أنقذوا نعتدا والله الموفق وقوله كذلك يبين الله لكم آياته
إذ كنتم أعداء فألف في الجاهلية والكفر متفرقين وصرتم إخوانا في الإسلام كلمتهم واحدة لعلكم
تهتدون لكي تعرفوا نعمته ومنته قال الشيخ رحمه الله وقد يكون كذلك يبين الله لكم آياته
في حادثات الأوقات لتكونوا فيها مهتدين كما اهتديتم فيكون في ذلك وعد التوفيق والبشارة
بالثبات والله أعلم وقوله ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وقوله ولتكن منكم أمة يحتمل أن يكون هذا خبرا في الحقيقة وإن كان في الظاهر أمرا
فإن كان خبرا ففيه دلالة أن جماعة منهم إذا قاموا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط ذلك
عن الآخرين لأنه ذكر فيه حرف التبعيض وهو قوله منكم أمة الآية ويحتمل أن يكون على الأمر في
الظاهر والحقيقة جميعا ويكون قوله منكم صلة فإن كان على هذا ففيه أن على أحد أن يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر وذلك واجب كأنه قال كونوا أمة يأمرون بالمعروف الآية لأنه ذكر جل وعز
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آي كثيرة من كتابه منها هذا ولتكن منكم أمة الآية ومنها
قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وذم من تركهما بقوله
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وروي عن عكرمة أن ابن عباس قال
له قد أعياني أن أعلم ما فعل بمن أمسك عن الوعظ فقلت أنا أعلمك ذلك اقرأ الآية الثانية
وأنجينا الذين ينهون عن السوء فقال لي أصبت فاستدل ابن عباس بهذه الآية على أن الله
أهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه ممن يعمله فجعل والله أعلم الممسكين عن النهي الظالمين
مع الظالمين في العذاب وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا أيها الناس إنكم
تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن
يعمهم الله بعقاب وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل في القوم
يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر منه وأعز ولو شاؤوا أن يأخذوا على يديه لأخذوا على يديه
ينزعوا له فيعذبهم الله به وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن الله عليكم عقابا من عنده ثم
لتدعونه ولا يستجيب لكم وعن أبي سعيد الخدري يذكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

يقول ان الله ليسأل العبد يوم القيمة حتى يقول ما منعك اذا رأيت منكرا ان تنكره فاذا الله لقن
عبدا حجته فقال اي رب وثقت بك وفرقت من الناس وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت ان تركنا الامر بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف
الا عملنا به وانتهينا عن المنكر حتى لا يبقى شيئا الا انتهينا لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر فقال مروا
بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله ولا ينبغي للرجل ان يقول لست ممن يأمر
بالمعروف كله وينهى عن المنكر كله حتى آمر غيري وأنهاه فان فعله المعروف واجب عليه فلا يجب
اذا قصر في واجب ان يقصر في غيره وقوله كنتم خير امة اخرجت للناس يحتمل وجوها يحتمل
كنتم اي صرتم خير امة اظهرت للناس بما تدعوا الخلق الى النجاة والخيور ويحتمل كنتم خير امة في الكتب
السالفة بانكم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويحتمل تكونون خير امة ان امرتم بالمعروف ونهيتم
عن المنكر ويحتمل كنتم صرتم خير امة وكانوا كذلك هم خير ممن تقدمهم من الامم بما بذلوا مهجهم لله
في نصر دينه واظهار كلمته والاشفاق على رسوله حتى كان احب اليهم من انفسهم ويرونه اولى بها
والله الموفق ثم اختلف في المعروف والمنكر قيل المعروف كل مستحسن في العقل فهو معروف
وكل مستقبح فيه فهو منكر ويحتمل الامر بالمعروف هو الامر بالايمان والنهي عن المنكر هو النهي
عن الكفر دليله قوله وتؤمنون بالله الآية يؤمنون هم ويأمرون غيرهم بالايمان وينهون عن
الكفر وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الآية التفرق هو سبل الشيطان بقوله
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله من بعد ما جاءهم البينات والبينات هي الحجج التي اي
لها ويحتمل بيان ما في كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويحتمل تفرقوا عما نهى لهم
الله واوضح لهم الرسل فابتدعوا لانفسهم الاديان بالاهواء فحذرنا ذلك وعرفنا ان الخير كله
في الاتباع اتباع من جعله الله حجة له ودليلا عليه وداعيا اليه ولا قوة الا بالله واولئك لهم عذاب
عظيم وان هذا ان السبل هو الذي يدعو الشيطان اليها وقوله يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الآية وصف عز وجل وجوه اهل الجنة بالبياض لان البياض هو غاية ما يكون به الصفاء
لان كل الالوان تظهر في البياض ووصف وجوه اهل النار بالسواد لان السواد هو نهاية
ما يكون به الظلمة اذ الالوان لا تظهر في السواد فهو شبيه بالظلمة وقد يحتمل ان يكون المراد من
وصف البياض والسواد ليس نفس البياض والسواد ولكن البياض هو كناية عن شدة السرور
والفرح والسواد كناية عن شدة الحزن والاسف كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة ووصف وجوه اهل الجنة بالضحك وليس على حقيقة الضحك ولكن وصف نهاية
السرور والفرح وكذلك وجوه اهل النار وصفها بالغبرة والقترة وهو وصف بشدة الحزن
والله اعلم وقوله اكفرتم بعد ايمانكم يحتمل وجوها يحتمل اكفرتم بالسنتكم بعد ما شهدت
خلقتكم بوحدانية الله تعالى لان خلقة كل احد تشهد على وحدانيته ويحتمل اي اكفرتم بعد
ما امنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بوجود ذكر نعته وصفته في كتابكم وفي هذا قال
بعض اهل التاويل والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له اي على استجابة كثير منهم
من الاجلة والكبراء الذين لا يعرفون بالتعنت في الدين ولا بالتقليد والله الموفق ويحتمل
قوله اكفرتم انتم بعد امن منكم فريق لان منهم من امن ومنهم من كفر فقال لمن كفر اكفرتم انتم
وقد امن منكم نفر الا يرى انه قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق والله اعلم وكقوله فامنت
طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وقيل اراد بالايمان الذي قالوا حين خرجوا من ظهر ادم وقالوا

الآية وقول المعتزلة بتخليدهم اهل الكبائر في النار واخراجهم اياهم من الايمان من غير ان
ادخلوهم في الكفر لانه عز وجل لم يجعل الا فريقين بياض الوجوه وسواد الوجوه فبياض
الوجوه هم المؤمنون وسواد الوجوه هم الكافرون لانه قال اكفرتم فاصحاب الكبائر لم
يكفروا بارتكابهم الكبيرة ولم يجعل الله فرقة ثالثة وهم جعلوا فرقة ثالثة وكذلك قال
جل وعز فريق في الجنة وفريق في السعير لم يجعل الخلق الا فريقين وهم جعلوا فرقا وكقوله جل
وعز فمنكم كافر ومنكم مؤمن فان قيل ذكر في الآية الكفر بعد الايمان ثم لم يكن فيه منع دخول
من لم يكفر بعد الايمان فامتنع ان لا يكون فيه منع دخول صاحب الكبيرة قيل الجواب ما سبق ان
خلقة كل كافر تشهد على وحدانيته لكنهم كفروا بالسنتهم وذلك كفر بعد الايمان فلم يجز ان
يدخل في الآية من لم يكن كافرا في حكم الكافر وبالله التوفيق وقوله فذوقوا العذاب
في الظاهر امر لكنه في الحقيقة ليس بامر لان العذاب لا يذاق وانما يذوق هو فكانه قال
اعلموا ان عليكم العذاب وقوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق يحتمل آيات الله حجج
الله وبراهينه ويحتمل آيات الله القرآن بالحق ببيان الحق ويحتمل بالحق بالدين والذي هو
الحق ويحتمل ان الآيات هي الحق قال الشيخ رحمه الله اي بالامر بالدعاء الى الحق ويحتمل
بالحق الذي لله على عباده ولبعضهم على بعض وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين والظلم
هو وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان ما في السموات وما في الارض كله له ومن وصف في الخلق
بالظلم انما وصف لانه يضع حق بعض في بعض ويمنع حق بعض فيجعل لغير المحق فالله يتعالى عن
ذلك وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يريد ان يظلمهم وان شئت قلت لا ارادة صفة
لكل فاعل في الحقيقة فكانه قال لا يظلمهم وكيف يظلم وانما يظلم بنفع تشوه اليه النفس
او من يدفع به فالمعنى بذاته متعال عن ذلك وقوله والى الله ترجع الامور اي اليه
يرجع امر كل احد فلا يحتمل الظلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله كنتم خير امة اخرجت
للناس قال خير الناس انفعهم للناس وتامرون بالمعروف اي تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله
الا الله والاقرار بما انزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله هو اعظم المعروف والمنكر هو
التكذيب فهو انكر المنكر وعن علي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت
ما لم يعط احد من الانبياء فقلنا يا رسول الله وما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح
الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم قال الشيخ رحمه الله
كنتم خير امة اخرجت له وجهان اي كنتم على لسان الرسل في الكتب المتقدمة خير امة ويحتمل
اي كنتم صرتم بايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعكم ما معه خير امة على وجه الارض
لانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض وقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر يتوجه
الى وجوه ثلاثة المعروف هو المعروف في العقول الذي يستحسنه العقول والمنكر هو
الذي تستقبحه العقول وانكرته ويحتمل ان يكون المعروف هو الذي عرف بالآيات والبراهين
انه حسن والمنكر ما عرف بالحجج انه قبيح ويحتمل ان المعروف هو الذي جرى على السن الرسل
انه حسن والمنكر هو الذي انكروه ونهوا عنه فعلى هذه الوجوه يخرج تاويل الآية والله اعلم
وقوله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لا شك ان الايمان خير لهم من الكفر ولكن معناه
والله اعلم انهم انما ابوا الايمان وتمسكوا بالكفر لوجهين احدهما انهم كانوا اهل عز وشرف
فيما بينهم واهل وراثة الكتب ينتاب الناس اليهم ويختلفون اليهم بحوائجهم فخافوا ذهاب ذلك

منهم اذا امنوا فاخبر عز وجل انهم ان امنوا لكان لهم من الذكر والشرف والعز في اهل الايمان اكثر
مما لهم في اهل الكفر لان من امن منهم من رؤساء الكتاب وعلمايهم كان لهم من الذكر والشرف
في الايمان ما لم يكن لاحد مات منهم على الكفر نحو عبد الله بن سلام ومن اسلم منهم نحو كعب وغيره من
الاحبار وانما كانوا من علمايهم لم يكونوا من علماء اهل الايمان فنالوا بالايمان من الذكر والعز والشرف
ما لم ينل احد منهم مات على الكفر بل خمل ذكرهم وانبتر في اهلهم فضلا عن اهل الايمان والاسلام
والله اعلم والثاني انهم كانوا ابوا الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا المقام على
الكفر خوفا واشفاقا على ما لهم من المنافع والمنال ان يذهب ذلك عنهم بالاسلام فاخبر عز
وجل انهم لو امنوا لكان خيرا لهم في الاخرة اذ ذلك ينقطع ويذهب عن قريب والذي لاهل الايمان
في الاخرة باق دايم لا يزول ابدا لما كان ان يناله بالايمان غيب وذلك ما حل بالكافر من الجزاء الكفر
غيبا اشتد عليهم التفكر والتدبر لما يمنعهم عن الشهوات وينغص عليهم اللذات فاثروا ما هو حاضر
انفسهم وتلذذ وانه على التدبر معا كان اوداك الغايب بالشاهد امر عسير لا يوصل اليه الا
بفضل الله ولم يكن عليه ذلك لا يسقط معنى الافضال والانعام ويصير حقا معا كان منهم من
تقديم الجفاء وايثار زهرة الدنيا ومحبة العين على الموعود والله اعلم وقوله منهم المومنون
واكثرهم الفاسقون كذلك كانوا كان المومنون اقل والكفار اكثر وقوله لن يضروكم الا
اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار الاية فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
والامن لهم عن اذى المشركين وضررهم الا اذى باللسان وهو كقوله لتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب وقوله لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم الاية ونحوه من الايات
التي فيها بشارة لاهل الايمان بالنصر لهم على عدوهم وفي قوله لن يضروكم الا اذى الاية دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر بذلك قبل ان يكون فكان على ما اخبر ذلك انه
انما علم ذلك بالله عز وجل وقوله ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل حرف
ابن مسعود رضي الله عنه ضرب عليهم المسكنة وليس فيه الذلة وفي حرف حفصة ضربت
عليهم المسكنة والذلة ثم اختلف في الذلة قيل هي الجزية التي ضربت عليهم وهي ذلة كقوله عن
يد وهم صاغرون لانهم كانوا يانفون عنها وقوله اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من
الله وحبل من الناس يعني بعهد من الله وعهد من الناس يكونون تحت قهر بودون الجزية وكذلك
قال ابن عباس رضي الله عنه بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد من الله وعهد من الناس
وقال ابن مقاتل والناس في هذا الموضع النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ويحتمل قوله ضربت
عليهم الذلة بكفرهم فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل ذكر وشرف وعز فيما بينهم اينما
ثقفوا اي لا يوجدون الا بحبل من الله وحبل من الناس بالاسلام اي لا يظفرون بهم ولا يوجدون
الا ان يسلموا لخوفهم على انفسهم وقوله وباووا بغضب من الله قيل استوجبوا غضبا من
الله بكفرهم وقيل رجعوا وقيل وجب عليهم الغضب وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم
وقوله وضربت عليهم المسكنة وهي الحاجة والفقر وسوى ما ذكرنا انهم ظاهروا المشركين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوتهم برسول الله وتعبدهم بالمشركين فاذلهم الله بذلك
وجعلهم اهل حاجة وضعفة فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم وهو كقوله وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب الاية قال الشيخ
رحمه الله وقد يحتمل رجوع الاية الى خاص منهم وهم الذين ذكر الله في قوله وانزل الذين ظاهروهم

الاية وغير ذلك مما يصير به المسلمون بعرف حقيقة المراد من شديد النوازل وعرف الاسباب
التي لها حاجات البشادات ويحتمل ان الله تعالى جعل كل حاجاتهم الى ما يفني وهو الدنيا التي لا بقاء
لها ولا منفعة في الحقيقة فهي حاجة ثم بما يفنيهم بالجهل ان ذلك بهم حاجة ويحتمل ان الله متعهم
ووسع عليهم الدنيا وجعل في قلوبهم خوف الفقر واعظم الحاجات فهي المسكنة وقوله ذلك
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ما ذكرنا في غير موضع وقوله ويقتلون الانبياء بغير
حق يحتمل وجوها يحتمل ان اباهم قد قتلوا الانبياء وهو لا رضوا بذلك وانهم كانوا يتولونهم
بانهم فاضاف الله ذلك اليهم لانهم شركوا في صنيعهم برضاهم وهو كقوله من قتل نفسا بغير
نفس فكانما قتل الناس جميعا ويحتمل ان يكونوا قصدوا قصد قتل محمد صلى الله عليه وسلم فاذا قصدوا
ذلك فكانهم قصدوا الانبياء كلهم كما ذكرنا في قوله من قتل نفسا الاية ويحتمل ان يكونوا هموا
قتل محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون عيرهم باباء اذ هم قتلة وهم في الذين ضيق
صنيعهم بالانبياء ليعرفوا به سفههم وسفه كل من تقدم والله اعلم ويحتمل ان يكون قتلوا
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاضاف اليه وهو كما اضاف مخادعتهم المومنين الى نفسه وكما
اضاف نصر اوليايه اليه وان كان الله لا يخادع ولا ينصر فعلى ذلك اضافة القتل اليه لقتلهم
الاتباع والله اعلم وقوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قايمة يتلون ايات الله الاية اي لا يستوي
من امن منهم تبعي من اهل الكتاب ومن لم يومن منهم لان منهم من قد امن فصاروا امة
قايمة قيل عدله كقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقيل امة قايمة على
حدود الله وفرايضه وما عنه وكتابه لم يحرفوه وقيل امة قايمة مهتدية وهم الذين امنوا
منهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال امة قايمة يتلون ايات الله اناء الليل قال امة
محمد صلى الله عليه وسلم يصلون ولم يكن هذا اللام الثانية وفي حرف حفصة ليس اهل الكتاب
سواء منهم امة قايمة كقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون واما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم كذا واما الذين فسقوا فماواهم النار الاية وقوله وهم يسجدون يحتمل قوله
وهم يسجدون اي يصلون ويحتمل يسجدون يخضعون والسجود هو الخضوع يومنون بالله
واليوم الاخر ويامرون بالمعروف اي يومنون بانفسهم ويامرون غيرهم بالايمان ويدعون اليه
وينهون عن المنكر يعني الكفر ويحتمل يامرون بالمعروف كل معروف وينهون عن المنكر كل منكر
وقد ذكرنا هذا ويسارعون في الخيرات في الخيرات كلها واولئك من الصالحين وقيل مع الصالحين
في الجنة قال الشيخ رحمه الله ابى من ذلك بفعله فهو صالح وقوله وما تفعلوا من خير فلن
تكفروه اي لن يرد ذلك عليكم بل يقبل بل تجزون به في الاخرة قال الشيخ رحمه الله تعالى كيف
يكفر وهو الشكور الذي يقبل اليسير ويعطي الجزيل وفي حرف حفصة فلن تتركوه اي لن
تتركوه دون ان تجزوا عليه وان قل وذلك كقوله وان تك حسنة يضاعفها والله اعلم
ما ذكروا لن يتركم اعمالكم وقيل لن يظلمكم وقيل لن ينقصكم وقيل فلن يضل عنكم بل نشكر ذلك
لكم يعني فلن يضيع ذلك عند الله والله اعلم والله عليم بالمتقين ظاهر وقوله ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا الاية قال الشيخ رحمه الله فهو والله
اعلم ان مثله يكون النفع في الدنيا لكن الذي كان فيها لا ينفع في الاخرة بل يكون كما قال الله يوم
يفر المرء الاية ثم لا مال له ثم ولا لو كان له ينتفع وذلك انهم ظنوا ان كثرة الاموال والاولاد
تمنعهم من عذاب الله كقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر عز وجل ان كثرة

الاموال والاولاد لا تغني عنهم من الله شيئا وقوله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة
الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم ضرب مثل نفقة الكفار التي انفقوها بريح فيها
صر اصابت حرث قوم فهو مثل ذلك والله اعلم انهم كانوا ينفقون ويعملون جميع الاعمال من عبادة
الاصنام والاوثان ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ظنوا ان تلك الاعمال والنفقات
التي انفقوها في صلة الناس تنفعهم في الاخرة وتقربهم الى الله فاخبر انها لا تنفع فكان كالريح التي فيها
صر وبرد ظنوا ان فيها راحة وشيئا ينفع زرعهم وينمونها فاذا فيها نار واحرقت حرثهم كما طمعوا
من اعمالهم نفعا لهم في الدنيا والاخرة قربة وزلفة اليه فاذا هي مهلكة لابدانهم كالريح التي
فيها صر كانت مهلكة محرقة لزرعهم وحرثهم والله اعلم والصر هو البرد الشديد وقيل
الصر الصوت كقوله فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها قيل في الصوت وقيل مثل
ما ينفقون في الصد عن سبيل الله وفي قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله ان الذين ينفقون
اموالهم ليصدوا الاية اي يندمون على ما انفقوا ا نا اسف صاحب الزرع على ما كان انفق فيه
والله اعلم وقوله وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون والظلم ما ذكرنا هو وضع الشيء في
غير موضعه فهو والله اعلم قال هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها لان وضع الله انفسهم
ذلك الموضع لانهم عبيد واعبد الله ولم يجعلوا انفسهم خالصين سالمين لله فهم الذين ظلموا
انفسهم حيث اسلموها لغير الله وعبدوا وادوا نفذ ذلك وضعها في غير موضعها لان وضعها
موضعها ان يجعلوها خالصة لله سالمة له وقيل ما ضر والله بعبادتهم غيره وتكبرهم عن
[illegible] والانفسهم اذ لا حاجة له الى عبادتهم والله الموفق قال الشيخ رحمه الله تعديهم
وتاخيرهم اصل ذلك ان الله قد وضع كل نفس الخلقة بموضع العبودية فجعلوها عبدة غيره
وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اختلف فيه قيل نهى الله المؤمنين
ان يتخذوا المنافقين اولياء اخوهم او يتولوهم دون المؤمنين وقيل في حرف حفصة لا تتخذوا
بطانة من دون انفسكم يعني من دون المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نهى الله المؤمنين
ان يتخذوا اليهود والمنافقين بطانة دون اخوانهم من المؤمنين فيحدثوهم ويفشوا اليهم
سرهم دون المؤمنين والبطانة قيل هم الاخوان ويجعلونهم موضع افشاء سرهم قال
الشيخ رحمه الله والنهي عن اتخاذ الكافر بطانة لوجهين احدهما العرف به ان كل يعرف
بمن يصحبه والثاني الميل اليه بما يريه عدوه انه حسن العشرة وحسن الصحبة مما به الاشفاق
عما به مشتغلان على امر الدين والاعمال عزة وقوله لا يالونكم خبالا يقولون لا يتركون
جهدكم في فساد امركم وقوله ودوا ما عنتم اي يودون ويتمنون ما اثمتم قال
الشيخ رحمه الله تعالى ودوا ان تشاركوهم في اشياء يوثمكم ويعنتكم عليه وقيل العنت الضيق
اي ذلك تصدهم كالاية التي تتلوهم وقوله قد بدت البغضاء من افواههم من قال ان اول
الاية في المنافقين يقول قوله قد بدت البغضاء من افواههم ما ذكر في اية اخرى ولتعرفنهم في
لحن القول انهم كانوا يعرفون المنافقين في لحن كلامه قال الشيخ رحمه الله في قوله بدت البغضاء
من افواههم ما كان من التحريض بقوله ان الناس قد جمعوا لكم والمنا والتسويف بيانهم كقوله
وان منكم لمن ليبطئن الاية وقوله وما تخفي صدورهم اكبر وذلك انهم كانوا يظهرون
الموافقة لهم ويضمرون العداوة والخلاف لهم والتشفي في هلاكهم ما كانوا يضمرون
اكثر مما يظهرون ومن قال بان الاية في الكفار فهو ظاهر وقوله قد بدت البغضاء من افواههم

من الشتيمة والعداوة ويضمرون اكثر من ذلك من الفساد والشر والله اعلم وقوله
قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون يحتمل قوله ان كنتم تعقلون الايات ويحتمل قوله ان كنتم تنتفعون
بعقولكم لانه عز وجل ذكر في غير اي من القران انهم لا يعقلون وقد كان لهم عقول لكنهم لم ينتفعوا
بعقولهم فاذا لم ينتفعوا نفي عنهم العقل راسا وقوله ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم
من قال ان اول الاية في المنافقين فهذا ابين له ويشهد لانه قال واذا لقوكم قالوا امنا الاية
يقول ها انتم يا هولاء المسلمين تحبونهم يعني المنافقين ولا يحبونكم على دينكم قال الشيخ رحمه الله
وفي الاية بيان ان اولئك قوم يحبهم المؤمنون اما بظاهر الايمان او بظاهر الحال منهم من
طلب مودة تصرفا لطمع اطلع الله المؤمنين على سرهم لئلا يغتروا بظاهرهم وليكون حجة لهم ولرسول
الله صلى الله عليه وسلم بما اطلعه الله على ما اسروا والله اعلم ومن قال ان اول الاية في الكفار
يحمل قوله ها انتم اولاء تحبونهم على الابتداء والقطع من الاول لانه وصفهم بصفة المنافقين
ووسمهم بسمتهم وليس في الاول ذلك وقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا
بغيظكم هو على التمثيل يقال عند شدة الغضب فلان يعض انامله على فلان وذلك اذا
بلغ الغضب غايته قال الشيخ رحمه الله في قوله قل موتوا بغيظكم انما كان يغيظهم ما كان
للمسلمين من السعة والنصر والتكثر والعز فيكون في ذلك دعا لهم بتمام ذلك حتى لا يزول عنهم
الغيظ والله اعلم وفي حرف حفصة قل موتوا بغيظكم لن تضروا شيئا ان الله عليم بذات
الصدور وفيه الوعيد وقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال ليس هذا وصف المنافقين
في الظاهر لانهم كانوا يظهرون [illegible] عند الجراب لكنه يحتمل انهم كانوا يطمعون بخراب تكون
لهم لا للمؤمنين وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ذكر في القصة انهم اذا راوا المسلمين تظفر على عدوهم
والغنيمة يسوؤهم ذلك واذا راوا القتل والهزيمة عليهم يفرحون به ويسرون وقيل اذا راوا
المؤمنين الخصب والسعة ساءهم واذا راوا لهم القحط والجدب وغلاء السعر فرحوا به
لكن هذا يحتمل في كل خير واذا اهتموا بذلك وفي كل مصيبة ونكبة واذا لهم فرحوا بها وقوله
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وعد النصر بشرط لا يضركم كيدهم
شيئا اخبر ان المؤمنين اذا اتقوا وصبروا ان لا يضرهم كيدهم شيئا حتى يعلم ان ما يصيب
المؤمنين انما يصيب بما كسبت ايديهم وقوله ان الله بما يعملون محيط في الوعيد
وقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قوله تبوئ قيل تهيئ للمؤمنين
امكنة القتال وقيل تبوئ تنزل المؤمنين وقيل تبوئ للمؤمنين تتخذ للمؤمنين مقاعد لقتال
المشركين وقيل تبوئ توطن وقيل تستعد للقتال كله يرجع الى واحد ثم اختلف في اي حرب
كان واي يوم قال اكثر اهل التفسير كان ذلك يوم احد وقيل انه كان يوم الخندق وقيل
كان يوم الاحزاب فلا يعلم ذلك الا بخبر يصح انه كان يوم كذا لكن في ذلك ان الائمة هم الذين يتولون
امر العساكر ويختار لهم المقاعد وعليهم تعاهدها لهم ودفع الخلل والضياع عنهم ما احتمل
وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الاشارة من الامام وذلك في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم ذكرها عنا القتال في هذه الاية لكن الذي لزم من ذلك في اية اخرى
ذكر الصف بقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
وذكر في اية اخرى الثبات بقوله عز وجل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والاصل
انهم امروا بالثبات فلا حسن ان يختار لهم امكنة لهم بها معونة في الثبات والله اعلم

فيحتمل ان يكون اراد بالمقاعد المعسكر وذلك اثبت للقتال وادفع للعدو وفيما ذكرنا القصة
ذكر محلة عليه بقوله عز وجل اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فيه رخصة الحملة على العدو والرجوع وان كان فيهما
تولية الادبار ويحتمل ان يكون اراد بالمقاعد الاماكن والمواطن للقتال والحرب والله اعلم
وقوله عز وجل والله سميع عليم يحتمل سميع لمقالتكم عليم بسرائركم ويحتمل سميع بذكركم
الله وان غلبة لا تعدوا امروا بالذكر به والثبات للعدو بقوله عز وجل فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا او عليم بثوابكم ويحتمل قوله سميع عليم البشارة من الله عز وجل بالنصر لهم والامن عن ضرر
المتقين كقوله عز وجل لموسى وهارون فقولا له قولا لينا الاية فقالا اننا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى ثم قال عز وجل لا تخافا انني معكما اسمع واري امنهما من عدوهما بقوله عز وجل اسمع
واري فعلى ذلك يحتمل اي قوله سميع عليم ويكون سميع اي اسمع دعاكم بمعنى اجيب واعلم
ما به نصركم وظفركم والله اعلم وقوله عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قوله همت
يحتمل ان همتا هم خطر ويحتمل ان همتا هم عزم وكذلك هذا التاويل في قوله ولقد همت
به وهم بها همت هي به هم عزم وهم هو بها خطر وهم الخطر يقع من غير صنع من صاحبه
وهم العزم يكون بالعزيمة والقصد وقوله همت ان تفشلا والفشل الجبن مما نهي عنه لانه
يقع من غير فعله لكنه والله اعلم همتا ان يفعلوا فعل الفشل والجبن وذكر في القصة ان
الطائفتين احديهما كانت من بني كذا والاخرى من بني كذا فلا نحب ان يذكرا لا ان يفتروا بذلك
وقيل الفرقا كانوا اقروا ابن كعب وقالوا نحن كنا فعلنا وما نحب ان لا يكون لنا قوله والله وليهما لظهر
لنا ولاية الله ولو لم يكن لم يظهر وقوله والله وليهما قد ذكرنا هذا في غير موضع ان الولي قيل
هو الناصر وقيل انه هو الحافظ وقيل انه اولى بهم قال الشيخ رحمه الله المومن كيف علم اليقين
ان من نصره الله لا يغلبه شيء ومن يخذله الله لا ينصره شيء وقوله وعلى الله فليتوكل المومنون
حق على المومنين ان لا يتوكلوا ولا يثقوا الا على الله عز وجل قال الشيخ رحمه الله فتوكل اي اعتمد
على ما وعد واجتهد في الوفاء بما عهده وفوض كل امره الى الله اذ علم انه بكليته بيده واليه مرجعه
وبعد فالجملة تمهيد ان تنصر دينه ولا توالي عدوه ودينه والله اعلم وقوله ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة يذكرهم عز وجل ان لا يتكلوا الى انفسهم لكثرتهم ولقوتهم ولعدتهم وقد
تتقوا باحد سواه بل على الله يتوكلون واليه يكلون وبه يثقون لانه اخبرهم كانوا اذلة ضعفاء
فنصرهم وامدهم بالملائكة حتى قهر عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم يوم بدر ويوم احد
كانوا اقوياء كثيرة العدد فتوكلوا الى انفسهم فكانت الهزيمة عليهم وقوله فاتقوا الله يعني
اتقوا معاصيه لعلكم تشكرون فيه دلالة ان الشكر انما يكون في طاعته واتقاء معاصيه وان
المحنة انما تكون في الشكر لما انعم عليه والتكثير لما سبق منه من الجفاء والغفلة والله اعلم وقوله
اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين وذكر في الانفال
بالف من الملائكة مردفين فاختلف فيه قيل كانوا عشرة الاف لانه ذكر مرة ثلاثة الاف ومرة
خمسة الاف ومرة الفا مردفين فيكون الكل عشرة الاف وقيل كانوا تسعة الاف ثلاثة
الاف وخمسة الاف والف وقيل كانوا كلهم خمسة الاف ثلاثة الاف والفان مددا ثم اختلف
فيه قال بعضهم كان يوم احد وقال اخرون يوم بدر وقوله فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم بالف
من الملائكة يوم بدر ولا ندري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة سوى ان

فيه بشارة للمومنين بالنصر لهم والمعونة بقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وجعل
في ذلك تسكين قلوب المسلمين ثم اختلف في قتال الملائكة قال بعضهم قاتل الملائكة الكفار وقال
اخرون لم يقاتلوا لكن جاؤوا بتسكين قلوبهم ما ذكر في الاية ولا يحتمل القتال لانه ذكر في الاية
ويقللكم في اعينهم ولو كانوا قاتلوا لم يكن لما يقلل معنى ولان الواحد منهم كاف لجميع المشركين الا
ترى ان جبريل كيف رفع قريات لوط الى السماء فقلبها فدل انه لما ذكرنا والله اعلم وقيل قاتلوا يوم
بدر ولم يقاتلوا يوم احد فلا ندري كيف كان الامر وقوله مسومين قيل منزلين ومسومين
سواء ومسومين من الارسال من التسويم وقيل معلمين بعلامة وذلك والله اعلم ليعلم المومنون حاجتهم
الى العلامة لان الملائكة يحتاجون الى العلامة وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقوله وما النصر الا من عند الله
ليعلموا ان في النصر لطف من الله لا يوصل اليه بشيء من خلقه لانه نفاه عنهم مع مدد الملائكة ليعلم
ان كل منصور على آخر انما كان ذلك من الله عز وجل وقوله ليقطع طرفا من الذين كفروا قال
قتادة كان يوم بدر قتل صناديدهم وقادتهم في الشر وقيل طرفا من الذين كفروا جماعة وقيل
طرفا من الذين كفروا يعني اهل مكة وقوله او يكبتهم قيل يخزيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال الكبت الهزيمة وقيل الكبت هو الصرع على وجهه وقوله فينقلبوا خائبين والخائب هو
الذي لم يظفر بحاجته اي رجعوا ولم يصيبوا ما املوا قال الشيخ رحمه الله ما ذكر من حضور
الملائكة الحرب فنحو الله اعلم في حق محنة الملائكة وله ان يمتحنهم بما شاء من الحضور والمعونة
او الكف عن ذلك او الدعاء لاوليائه بالنصر وبما شاء الله من الوجوه التي يمتحن بها عباده في
الحضور والمعونة وفيهم من قد امتحنه على الارزاق والارواح والامطار والاعمال وانواع
الاذكار والاعمال اذ هم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته وطاعته في جميع ما يامرهم به
بقدرهم وبعلي رتبتهم تقدلوا اذن لهم بالمعونة اعانوا المومنين على قدر الاذن لهم اذ هم
على ما وصفهم الله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله يسبحون له بالليل
والنهار وهم لا يسامون وغير ذلك ما وصفهم بالطاعة له والاتباع لامره وما اكرمهم من
هيبة جلاله وخوف عقابه صلوات الله عليهم اجمعين ثم كان للمومنين في حضورهم انواع
البشارات فيما لم يكن اذن لهم بالقتال وانواع الايات فيما قد اذن لهم على ما ذكر من امر
بدر وغيره مما اخبر الله من ارسال جنوده وهزيمة اعدائه بمنه وفضله من ذلك على قال الله
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا الاية ان يكون الله يؤيدهم بما به تشجيع
قلوب المومنين على ما قد امكن اعداءه من انواع الوساوس التي لولاها يضطرب قلوبهم وتزل
اقدامهم فمثله يمكن اولياءه في تشجيع المومنين ليسكن قلوبهم ويثبت اقدامهم والله اعلم والثاني
ان يكون الذي جبل عليه الخلق ان يكون كل احد عند معاينة الحاجة الى دعائه وما يحتمل وسعه
من معونة عليه اقبل وبه ارغب فيكون للمومنين بحضورهم رجاء النصر بدعائهم وبحق قوله
انا لننصر رسلنا الاية وقوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم والله اعلم اذ كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عمرهم يبشرهم بحضورهم فيكون لهم بذلك فضل ثبات وقرار في
جنانهم بما اعلموا اطلاعهم على ذلك او يكون لهم فضل قوة بذلك واقبال على الامر على ما جبل
الخلق من الاقبال على الامور المهمة اذا كثروا وعلى ذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم ولعلهم
انفا بما يطمعون الظفر لو اطاعوا الله وثبتوا الاعداء به اذ لهم النصر والدفع فكان ذلك بعض

ما يستبشرون وعلى ذلك اكثر ما بكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهزيمة انما كان
يصرف قلوبهم الى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والاعجاب بالكثرة ونحو ذلك ثم
من اعظم الاعلام في ذلك ما قال الله عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما
النصر الا من عند الله فتكون البشارة والطمانينة بالذي طبع عليه البشر على ما بينت ويكون
النصر من عند الله الذي متى اراد نصر احد لن يغلب قلت اعوانه او كثرت وذلك لطف من الله
العزيز العليم يريهم النصر من الوجه الذي لا يعلم ما تاه وفي حال الانفس من ان تشبهوا ان يقوم لعدوهم
ليعلموا عظيم لطفه الذي بمثله ارتفعت درجات الاخيار وشرفت منازلهم ولو كان لهم حركة
بالاذن على ما ذكر من قوة جبريل في قلب قريات لوط بجناح واحد لم يكن يقوم لمثله اهل الارض
فضلا من عدد يسير منهم ولكنهم لا يجدونه بين يدي الله والله لم يكن اذن لهم في القتال
عند كل مشهد والله اعلم وقوله عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
الاية قوله ليس لك من الامر شيء انما انت عبد مامور فليس لك من الامر شيء انما ذلك الى الواحد
القهار الذي لا شريك له ولا ند كقوله هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله وقوله او يتوب
عليهم او يعذبهم فيه انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم معنى قولا وفعلا حتى نزل قوله ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم الاية ولكنا لا نعلم ذلك المعنى غير انه قيل في بعض القصة ان النبي
صلى الله عليه وسلم شج يوم احد في وجهه وكسرت رباعيته فدعا عليهم فنزل قوله ليس لك
من الامر شيء وقيل ان سرية من اصحابه خرجوا الى قتال المشركين فقاتلوهم حتى قتلوا جميعا
فشق على النبي صلى الله عليه وسلم من اصحابه بقتلهم فدعا عليهم باللعنة فيهم على المشركين
اربعين يوما في صلاة الغداة فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وعن ابن عمر قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم يوم احد اللهم العن ابا سفيان اللهم العن فلانا حتى لعن نفرا منهم فنزلت
قوله ليس لك من الامر شيء الاية وقيل ان نفرا من المسلمين انهزموا فشق ذلك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل ليس لك من الامر شيء فامره بكف الدعاء عنهم والله اعلم بالقصة في ذلك
وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم فان كانت القصة في الكفار فكانه طلب التوبة والهلاك
والهلاك في الشفقة فقال ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم فيهديهم لدينه او يعذبهم على
كفرهم فانهم ظالمون كقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فان كان في المومنين
فتاويله او يتوب عن ذنبهم الذي ارتكبوا او يعذبهم بهم ولا يعفو عنهم والله اعلم بذلك و
قوله ولله ما في السموات وما في الارض الاية فيه دلالة ما ذكرنا في قوله ليس لك من الامر
شيء انما الامر الى الله الذي له ما في السموات وما في الارض هو الذي يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء وفي قوله ليس لك من الامر شيء جواز العمل بالاجتهاد لانه صلى الله عليه وسلم عمل بالاجتهاد
لا بالامر حتى منع عنه والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ليس لك من الامر شيء يحتمل ان يكون على
اثر ما جبل عليه البشر مما راى في ذلك صلاح الخلق ودعا عليه التدبير بحيث الاخلاق
فقيل هذا وان كان على ما رايت فليس لك من امر هذا شيء وانما الذي اليك الصفح عن ذلك
والاعراض والله اعلم وما كان ويحتمل ان يكون يبتدي القول به من غير ان يسبق منه ما يقال
عليه او يمنع منه ليكون ابدا مقبلا نحو الاذن له في كل شيء والامر ولا يطمع نفسه في شيء لم يسبق
له البشارة به على ان النهي والوعيد امران جايزان وان كان قد عصم عن ركوب المنهي ووجوب
الوعيد اذ هناك يظهر رتبة العصمة ولا قوة الا بالله والظاهر ان يكون على اثر امر استعمل ذلك

من دعاء الاهلاك او الهداية لقبول الحق والخضوع له فيقول ليس لك شيء من ذلك في احد على
الاشارة اليه انما ذلك الى الله يصنع فيهم ما عنده من الثواب او التعذيب على قدر ما يعلم
من اقبالهم على الطاعة له او نفارهم عنها والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربا اضعافا مضاعفة قوله لا تاكلوا الربا كقوله وذروا ما بقي من الربا فنبه بين عن الاخذ
كقوله واخذهم الربا وقد نهوا عنه فيلي ذلك قوله لا تاكلوا الربا اي لا تاخذوا وقوله
اضعافا مضاعفة فان قيل ما معنى النهي عن المضاعفة وغير المضاعفة حرام لكنه يحتمل هذا
وجوها يحتمل ان يكون هذا قبل تحريم الربا فنهوا عن اخذ المضاعفة ويحتمل قوله لا تاكلوا
الربا اي لا تكثروا اموالكم باخذ المضاعفة ويحتمل اضعافا مضاعفة اي لا تصروا على استحلال
الربا فتبقون عليه آخر الابد ويحتمل اضعافا مضاعفة تضعيف العذاب ويحتمل ما قيل كان
احدهم يبايع الرجل الى اجل فاذا حل الاجل زاده في الربح وزاده في الاجل وذلك كان ربا
الجاهلية قال الشيخ رحمه الله في قوله لا تاكلوا الربا يحتمل الاكل لانه نهاية كل كسب ويحتمل الاخذ
كقوله واخذهم الربا وقد نهوا عنه وقوله وذروا ما بقي من الربا وقوله اضعافا مضاعفة في
الاخذ اي لا تاخذوا ليكثروا اموالهم او تنقصوا تنقضا عن اموالكم اي بغير حد وليس فيه
ان القليل ليس بحرام لكن ذلك موضع قصود اهله نهوا عن ذلك وحرمة القليل بغير ذلك من الايات
ويحتمل ان يكون في نازلة علينا خرج النهي لا على الاذن بدون ذلك ولو كان على حقيقة الاكل فهو
على النهي عن التوسع بالربا او الامر بالعود الى ما لا ربا فيه وان كان في ذلك ضيق والله اعلم ويحتمل
ان يكون في الاية اضمار فيقول لا تاكلوا الربا لانكم ان اكلتموه فتبدا العلم بالتحريم تضاعف
عليكم الماثم والعقوبات وقد جعل الله للربا اعلاما دلت على غلظ شانها نحو ما وصف من لا يتقيه
بالخروج بحرب الله وحرب رسوله وبالتخبط يوم القيامة وانتفاخ البطن وما جرى في معاقبة
اليهود بتحريم اشياء لمكان ذلك وفي قوم شعيب ما حل بهم بلبذهم تعاطي الربا والله اعلم واتقوا
الله ولا تاخذوا الربا لا تستحلوه لعلكم تفلحون وقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين
فيه دلالة انها انما اعدت للكافرين لم تعد لغيرهم فذلك يرد على المعتزلة حيث خلدوا اصحاب
الكبيرة في النار والله تعالى يقول انها اعدت للكافرين وهم يقولون ولغير الكافرين قال
الشيخ رحمه الله في قوله اعدت للمتقين يحتمل للذين اتقوا الشرك كقوله هدى للمتقين ويحتمل
للذين اتقوا جميع انواع المعاصي فان كان التاويل هو الاول فكل من لم يستحق بفعله اسم الكفر
فهو في الاية اذ قال في النار اعدت للكافرين لم يجز ان يكون من اهل غيرهم فيها احدهما اذ
لا يجوز ان تكون الجنة معدة للمومنين تكون لغيرهم فكذلك النار المعدة للكافرين وهذا
اولى بجواز القول في ايجاب الجنة لمن لا يكون منه الايمان بجوازه فيه وفساد القول فيهم بالنار
والله اعلم والثاني انما ادخلت لغيرهم او اعدت لغيرهم لكان لا يكون للكفر فضل هيبة
ولفعله فضل فزع في القلوب بوجود ذلك ومعلوم ان ذلك بالعذاب لا بنفس الفعل ثبت
انه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها حتى يكون ممن اعدت له ولغير الرد تحذير لا يحقق ذلك كله
والله اعلم وان كان التاويل هو الثاني من اتقوا جميع المعاصي فيكون لذلك نعد عنه تاب [illegible]
احدهما ان قد ظهر اهل الجنة واهل النار وبينهم قوم لم يبلغ بهم الذنوب الشرك فيدخلون
في الوعيد بالنار المعدة لمن لا اتقوا جميع المعاصي فيكونون في الوعد المطلق بين اعدت له
الجنة فحقه الوقف فيه حتى يظهر ذلك في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي قوله اولئك

الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية
وغير ذلك من الايات في العفو والمغفرة وما كان ذلك واجبا في الحكمة فيكون القايم به مستحق
وصف العدل لا العفو والمغفرة ثبت ان ذلك فيما قد وجب او يكون فيمن يجزيهم جزاء هو
ويدخلهم الجنة اذا اخبر انه لا يجزي السيئة الا مثلها وما يتخلل مضاعفة ذلك من وجهين احدهما
انه عذاب الكفر وهذا دونه والثاني منع لذة الحسنة بكليتها بل حق ذلك ان يكون كفوه
ومن يعمل مثقال ذرة الاية ان يجزي بالامرين جميعا ولا قوة الا بالله والثاني انه قد جاء بمقابلة
السيئة من الحسنات ومقابل كل انواع من المعاصي من الطاعات وقد وعد على الحسنة عشر
امثالها فمحال ان يقابل مثل الذي دون الشرك من السيآت الشرك في احباط العمل ولا
يقابل مثل الذي دون الايمان الايمان في احباط الذنوب ويجب له الجنة ثم مع ذلك الايمان
الذي لا انفع منه وهو الذي نعمته على الحرب والرخاء وثبت الاستعاذة وعلى انه لا يخشى على نفسه كل بلاء
وحاجة كل نفع في الكفر برتبته لم يوثر ذلك معا وعد على الحسنة عشر امثالها ثم يبطل لذة ذلك كله
ويلزم الخلق القول فيه بالكرم والعفو والرحمة ولا قوة الا بالله **قوله** واطيعوا الله والرسول
ذكر والله اعلم الطاعة للرسول لان من الناس من لا يرى طاعة الرسول فامر عز وجل طاعة رسوله لئلا
يخالفوا امر الله ولا امر رسوله وان من اطاع الله ولم ير طاعة رسوله منهم لم يطع الله في الحقيقة
ويحتمل اطيعوا الله في امره ونهيه واطيعوا الرسول فيما بين من سننه او دعا او بلغ والمقصود
في الاية الحرص على طاعة الرسول واطيعوا الرسول في امره ونهيه كما اطعتم الله في امره ونهيه
و**قوله** عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله عز وجل ولا
تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة اي لا تاخذوا الربا اضعافا مضاعفة فتكثروا اموالكم
وحقيقته وسارعوا الى ما فيه وعد المغفرة من ربكم بالاجابة له الى ما دعا والقيام به بحق الوفاء
و**قوله** عز وجل واتقوا الله في استحلال الربا لان من استحل محرما فقد كفر وحقيقته
اتقوا نارا او عدكم ربكم عليها النار واصل الطاعة الايتمار بامر المطاع في كل امر فمن اطاع الله فيما
امر واطاع رسوله رحمه ربه وفي الطاعة رحمة الخلق على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا كلنا نرحم يا رسول الله قال ليس رحمة الرجل ولده
ولكنه رحمة عامة و**قوله** واطيعوا الله في تحريم الربا واطيعوا الرسول في تبليغه اليكم تحريم
الربا والنهي عن اخذه لعلكم ترحمون اي ارحموا الناس وترحموا هم في ترك اخذ الربا ترحمون انتم
وتنجون من النار وعذاب الله ثم قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي بادروا بالتوبة والرجوع
عن استحلال الربا والترك عن اخذه والمغفرة هي فعل الله لكنه والله اعلم كانه قال بادروا
الى الاسباب التي بها تستوجبون المغفرة من ربكم والمغفرة هي الستر في اللغة ثم يحتمل
وجهين يحتمل ان لا يهتك استاركم في الاخرة اذا تبتم ويحتمل ان يبقي عليكم مساويكم في الجنة
لان ذكر المساوي في الجنة تنغص عليهم نعمه فاخبر عز وجل انه ينسيهم مساويهم في الجنة لئلا
ينغص ذلك عليهم والله اعلم و**قوله** عز وجل وجنة عرضها السموات والارض وبادروا
ايضا بالتوبة عن استحلال الربا الى جنة عرضها السموات والارض فمعنى ضرب مثل الجنة
بضرب السموات والارض وذلك والله اعلم ذكر موات السموات والارض احوالا ليست
تلك الاحوال لغيرها من الخلائق بقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وذلك انها عندهم من اشد الخلائق واقواها فنبهنا ان الذي قدر على اتخاذه ما سواه اشد واقوى

٢٥٤

واصلب لقادر على انشاء ما هو دونه وهو هذا العالم الصغير ومن ايضا السموات والارض
بالغلظ والكثافة والشدة لقوله عز وجل سبع سموات شدادا وغلاظا ثم اخبر عز وجل انها مع
غلظها وكثافتها تكاد ان تنشق لعظيم ما قالوا بالله وللذي اشركوا بقوله تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ليبلغوا اعظم القول وقبحه
لئلا يقولوا في الله ما لا يليق به ووصف ايضا السموات والارض بالدوام الى وقت يبعثنا
في اوهام الخلق وان كانا فانيان بقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض فاذا
كان للسموات والارض ما ذكرنا من الاحوال عند الخلق ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلائق
بشدتها وقوتها وصلابتها وكثافتها وسعتها شبه عرض جنته وسعتها بسعة السموات والارض
وعرضهما لما هما عند الخلق ليسا بذي نهاية وان كانا ذو نهاية وغاية كما وصف اهل الجنة
واهل النار بالدوام فيها بدوام السموات والارض وان كانا فانيين غير دايمين ابدا لبعد
فنائهما في اوهام الخلق فيلي ذلك الاول والله اعلم وفيه دلالة ان الجنة ذو نهاية المكان
والعرض وان لم تكن بذي نهاية الوقت وغايته لانه ذكر العرض لها وكل ذي عرض يحتمل الغاية
عرضه والله اعلم ولو لم يكن ذو نهاية من حيث العرض فكان الله غير موصوف بالقدرة على
الزيادة ومن زال عنه وصف ذلك انقطع عنه الطمع واضمحل الرجاء وتعبد فان شق
دار اخرى سوى الجنة فاوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض اذ كان غير الجنة دار اخرى
مثلها في ارتفاع نهاية الوقت وجاز وجود امرين مختلفين على اتفاق في الوقت ومحال
وجودهما في مكان واحد واتفاق مكان لذلك لزم نهايتهما وان زالت عنهما نهاية الوقت و
قوله عز وجل اعدت للمتقين والاتقاء هو من الطاعة في كل امره ونهيه وترك مخالفته
في ذلك كله ثم سبب التقوى يكون بوجوه ثلاثة بذكر عظمته وجلاله وهيبته عن مخالفة امره
ونهيه فيذلك لذلك ويتقيه فيمنعه عن مخالفته او بذكر نعمته واحسانه فيمنعه ذلك عن
ارتكاب ما نهي عنه حياء منه والثالث بذكر نقمته وعذابه في مخالفة امره ونهيه فيتقي
بذلك عذاب الله ونقمته قال الشيخ وقوله عز وجل اعدت للمتقين ثم فسر الذين يتقون
الى اخر ذلك فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد ممن اعدت له من جميع الذي ذكر والثاني
ان يريد باعدت للمتقين الذين اتقوا الشرك بالذي اخبر عز وجل بقوله ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ثم وصفهم بالذي ذكر من الافعال المحمودة لا ان ذلك بكليته شرط لا نعيد له
الجنة حتى يحرم من لم يبلغ ذلك فان كان على الاول فكانه وصف النهاية ممن اعدت الجنة وقد
يجوز ان يكون لهم اتباع في الحركة وان لم يبلغوا تلك الرتبة بفضل الله او بما اعطى من ذكرهم
من الشفاعة او بما شاركوا اولئك في اصل الاعتقاد بقبول ذلك وان كان منهم تقصير على
انه قد يذكر في امر من الامور العظيمة النهاية في ذلك على مشاركة من دونهم لهم في ذلك على
ذلك نحو ما ذكر من بعث الرسل الى الفراعنة على دخول من دونه في ذلك وعلى مخاطبة اهل الجلال
في ذلك ودخول من دونهم في الحق وكذلك ذكر الخطاب في اهل الرتبة والعلو على تضمين من دون
ذلك فكذلك الاول وكذلك الله سبحانه ذكر في القرآن من الكفرة الذين جمعوا مع الكفر العناد
والتمرد وذكر اهل الايمان الذين لهم مع ذلك الخيرات متناهية ان ذكرهم لا باعلى ما به يصير
لمقته من غير تخصيص في اصله الوعد والوعيد الا من حيث التشديد والتفضيل فمثله الاول
ايد ذلك قسمته اهل الجنة قسمين السابقين واصحاب اليمين ثم قال في الذين من ذكر الذين

خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد بين في آخر ذلك ما يدل على ذلك وهو من ذكر من الذين يأتون
الفواحش والظلم ثم لم يصروا على ما فعلوا ويكون في ذلك وجهان احدهما ان الله بمنه يوفقه
لما يرضيه في آخر امره فيختمه به اذ كان في وقت ارتكابه ما ارتكب وتقصيره فيما قصر معتقدا اجلال
ربه خائفا عظمته راجيا رحمته متعرضا لما عرفه من الكرم والعفو فيكون هو ممن يكون من ذكر
بالخاتمة وان كان منه تخلف عنه في الابتداء والله اعلم والثاني ان يكون تجزيه مما قصر وفرط حتى
يطهره مما كان من الخلط فيرجع الى ما وافق الاول في جملة الاعتقاد فيكون معدة لمن جمع ذلك
والجمع فيكون بالذي ذكرا والعفو والجود اذ جعل الجزاء حوته الجود والكرم لا الاستحقاق والله
اعلم وان كان على المعنى الثاني فالاية تخرج مخرج الترغيب في جمع تلك الاوصاف وتكون الجنة
في الاطلاق معدة للمتقين الذين اتقوا الشرك والدرجات وما فيها من الفضايل والمراتب على
قدر ما يتقي من انواع الخلاف في الافعال ويتوصل الى الله بالمبادرة والمسارعة الى ما فيه
الرغائب وعلى ذلك امر الوعد بتفضيل الدرجات في الجنة وتفريق الدركات في النار على
ما اعدت النار في الجملة للكفرة وتتفاوت اهلها بتفاوت الافعال من الخلاف والتمرد والله
الموفق ثم السبب الذي به يستعان على التقوى ثلاثة احدها ان يذكر المرء عظمته وجلاله
وقدرته عليه في كل احواله فيتقي مخالفته بالهيبة والاجلال والثاني ان يذكر عظيم منته
عليه ونعمه عنده واياديه التي منها يتقلب فيها فيمتنع فيتقيه حياء منه والثالث ان يذكر
نقمه عظيم نقمته الموعودة وعذابه المعدة لاهل الخلاف له فيتقيه اشفاقا على نفسه والله
الموفق وجملة ذلك ان من تأمل ما اليه مرجعه والذي منه بدؤه وما فيه متقلبه من اول
احواله الى منتهى اجله حتى صير ذلك كله كالعيان لقلبه سهل عليه وجه التقوى لما عند ذكر
يذهب شهواته ويضمحل امانيه والله الموفق وقوله عز وجل الذين ينفقون في السراء
والضراء قيل السراء الرخاء والضراء الشدة وقيل السراء السعة والضراء الضيق وهو
وهو واحد وقيل السراء ما يسر هو الانفاق من نحو الولد وغيره يسره الانفاق عليه والاجنبي
يضره وعلى تاويل الاول ان الانفاق في حال الرخاء والسعة اهون وايسر على المرء من الانفاق
في حال الضيق والعسر فاذا انفق في الاحوال استوجب به كثير المدح والله اعلم والسبب الذي
يتيسر عليه الامر وجهان احدهما علمه بان الذي في يده في الحقيقة في يد الله فهو يصرف ذلك حيث
يصرفه لم يخرجه من يده في يده كانه بعد في يده والثاني علمه بوجود ربه وقدرته حيث
يكون ذلك فيما به قضاء حاجته والوصول الى منفعته معاينهم بالوجود كثرة الانتفاع بما لا يملك
لمنفع به وحرمان ذي الملك ذلك فيه قال الشيخ رحمه الله في قوله الذين ينفقون في السراء والضراء
يحتمل فيما يسرهم ويضرهم او في حال يسر وعسر او حال بلاء ونعمة ثم السبب الذي يسهل سبيل
الانفاق في تلك الاحوال وان كان بالذي ذكر في تسهيل التقوى هذا وجوه ثلاثة احدها ان
ترى ما في يدك لمن له يدك امتحنك بحق ذلك وحفظه وانك اذا انفقت لله ارتفعت عنك مؤونة
الحفظ ومراعاة الحق على ما لم يكن زال عنك نفعه الذي كان له وقت كونه في يدك اذ هو بعد
البذل في يد من بذلت قبله في تيه فكانه لم يخرج من يدك بحيث النفع وانما سقطت عنك ما ذكرت
من المؤونة اذ معلوم وجودها لك في الظاهر لا منتفع به ومن لا يملك لغيره في الشيء منتفع به على العمل
باستوائها لامر على من له بذلت والله اعلم والثاني ان تشعر قلبك جوده بمن اثره على ما عنده وقدرته
على اعطائه اياه من خزائنه التي لا تنفد ولا تستغرق عليه فتتيقن بذلك وتعلم انه لك على الايجاب

اليه فيما قد يكون اوصله وعلى ذلك فيما اعطاه في العدة واجل يرجون عليه وذلك والله اعلم والثالث
ان يعلم ان الذي عليه جعل واليه دفع ليس للوقت الذي فيه ذلك لم يترد لمعاده ويكتسب به الحياة
الدائمة والمنفعة التي لا تنفد فيصير كبايع الشيء باضعاف ثمنه او كباذل ما فيه ملك كذا قبته او
كمقدم ما يتمنى الى مكان يحضنه او كمن يقذف الشيء في مسكنه لوقت حاجته فان مثله آثر في الطبيعة
والذي في العقل ولا قوة الا بالله ثم الاصل في قوله اعدت للمتقين ان من لم يبلغ بما يرتكب من المعاصي
الكفر لم يمتنع من احتمال التسمية المتقين على ارادة خصوص التقوى وهو ممتنع على احتمال التسمية
بالكفر على صرف الاية في اعداد النار الى الخصوص وعموم فثبت به خروج صاحب الكبائر على اهل
الاسم الذي اعدت له النار ولم يثبت خروجه عن اهل الاسم الذي له اعدت الجنة والاحاطة
بان النار لم يذكر انها اعدت له ادخل فيها فيكون في ذلك اسقاط اسم العفو والرحمة اذ لو لم يجعل
لمثله لبطل ان يكون له موضع لما في غيره استحقاق والله اعلم والثالث ما فيه اسقاط الموازنة
وافساد المقابلة مع مجيء الايات بالكتب التي تقرأ والموازين التي توزن معاني ذلك بمخالفته العموم
الكريم الذي امرنا ان نسميه بها معا قد كان من التجاوز عن السيئات والتفضيل بالحسنات من داخله
وفي ذلك تلف ذلك والله اعلم وقوله عز وجل والكاظمين الغيظ روي عن نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا والغيظ كانه متردد بين
الحزن والغضب والحزن على من فوقه والغضب على من دونه والغيظ بين ذلك مدحهم عز وجل
بترديد حزنهم وغيظهم في اجوافهم وقوله عز وجل والعافين عن الناس اي عن ظلمهم وروي
عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ما عفا رجل عن ظلمه الا زاده الله بها عزا ومن عفا عن الناس
عن مظلمة فقد احسن بذلك كما يقال فلان يحسن بكذا او لا يحسن وقوله عز وجل والله يحب
المحسنين والاحسان يحتمل وجهين يحتمل العلم والمعرفة ويحتمل ان يفضل فضلا ليس عليه من نحو المعروف
والايادي الذي ليس عليه انما يفعله الافضال ذكرهما المحسنين وجه والخبر في الاية الاولى
ان الجنة اعدت للمتقين بقوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض ثم قال اعدت للمتقين واخبر ان النار اعدت للكافرين ثم اختلفوا فيه قال بعضهم من لم
يكن من المتقين لم تعد الجنة له فهو ممن اعدت له النار وهو قول الخوارج والنهاة وقال آخرون
انه اخبر ان النار اعدت للكافرين فهو اذا لم يكن كافرا ممن اعدت له النار فهو ممن اعدت له
الجنة وقال غيرهم اخبر ان النار اعدت للكافرين واخبر ان الجنة اعدت للمتقين فوصف المتقين
فقال الذين اتقوا معاصيه وتركوا مخالفة امره ونهيه فاذا كان قوم هم مساوي لم يك خلوا في
الاطلاق قوله عز وجل اعدت للمتقين ولا دخلوا في قوله اعدت للكافرين فيكون لهم موضعا بالقاب
واما عندنا فانه يرجى دخول من ارتكب المساوي من المؤمنين في قوله عز وجل وجنة عرضها كذا
اعدت للمتقين بقوله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله
ان يتوب عليهم ذكر خلط عمل الصالح بعمل السيء ثم وعد لهم التوبة بقوله عز وجل عسى الله ان
يتوب عليهم والعسى من الله واجب والثاني قوله عز وجل اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا
ويتجاوز عن سيئاتهم فاذا تجاوز لم يبق لهم مساوي فصار من اهل هذه الاية اعدت للمتقين
وقوله ايضا والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
قالوا ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ان اخبر انهم اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم وقد ذكرنا فيما تقدم انهم لاي معنى ظلموا انفسهم حيث لم يسلموا انفسهم لله خالصين

والظلم هو وضع الشيء غير موضعه فاذا لم يشغلوا انفسهم ووضعوا انفسهم في غير مواضعها لذلك
صار ظلمة انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم اي طلبوا لذنوبهم مغفرة واقروا انه
لا يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ذنوبهم والاصرار هو الدوام عليه ثم اخبر ان جزاء هولاء
المغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الى آخرها ذكر وذلك هذه الآيات على
تاييد قولنا ان اهل المساوي والفواحش اذا تابوا واصلحوا وآمنوا اعدت لهم الجنة وان لم يكونوا من
المتقين من قبل لفعله اذا تجاوز الله عن سيئاتهم كفر وعفا عنهم بما هو عفو غفور والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية يحتمل ان يكون الظلم
غير الفاحشة ويحتمل ان يكونا واحدا واحدا في المراد وقد يكون في المعنى ان كل عاص ظالم لنفسه يعني
ضرها ويبخس لحظها اذ فعل ما ليس له الفعل ووضع اختياره في غير موضعه وهو معنى الظلم
وكذلك من تعدى حد الله اذ آثر ما يزجره العقل والشرع فقد فحش بفعله وذلك معنى الظلم الذي
وصفنا اذ فعل ما ليس له واختياره غير الذي له هو الذي يزجره العقل والشرع والله اعلم ويحتمل
التفريق وهو ان الظلم يجمع كل وجوه الخلاف عظم او صغر وكذلك قد ينسب ذلك الى زلات
الانبياء ونحو ما قيل لآدم صلى الله عليه وسلم في اكل الشجرة فتكونا من الظالمين وقيل في الشرك ان
الله لا يهدي القوم الظالمين والفواحش ما يظهر ويتبين قبحه لا ما قل او كثر في الذنوب وعلى
ذلك سمي النقصان ظلما كقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا وقد يوصف العيب والنقصان بالفحش
لكنه اذا كثر وظهر مثله في الزلات ويكون كالطيب في المحللات من المباح ونحوه في الدرجة والله
اعلم ثم ليس بنا حاجة الى معرفة المقصود بالذكر في الاية لما فيها الرجوع عن ذلك وطلب المغفرة
وكل انواع المآثم بالتوبة يغفر بما وعد الله في الشرك والزنا والقتل فما دونه بقوله يضاعف له العذاب
يوم القيمة الى آخر الاية والله اعلم وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل الفاحشة ما يفحش في العقل
ويقبح وقال آخرون كل محرم منهي عنه فاحشة والاول كانه اقرب لان الشيء ما لم يبلغ في الفحش
والقبح غايته فانه لا يقال فاحشة واذا بلغ الغاية يخفيه كالطيب انه انما يقال ذلك اذا بلغ غايته
في الحل واللذة فاما ان يقال لكل حل في الاطلاق طيبا فلا فكذلك الفواحش لا يقال لكل محظور محرم
انما يقال ما بلغ في القبح والفحش غايته فاما ان يقال ذلك لكل محرم منهي فلا وبالله التوفيق
والطيب ما استطابه الطبع فاذا بلغ طيبه غايته في الطبع فهو طيب والله اعلم وقوله عز
وجل وهم يعلمون انها معصية فلا يقيموا عليها ولكن يتوبون فمن تاب من ذنبه فجزاؤه ما وقوله
عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يحتمل احكاما والاحكام تكون على وجهين حكم يجب لهم من الثواب
عند الطاعة واتباع الحق وعذاب يحل بهم عند الخلاف والمعصية ويحتمل السنن الاحكام
المتنوعة فسيروا في الارض حتى تروا آثار من كذب الرسل وما حل بهم من العذاب بالتكذيب
او سيروا في الارض اي سلوا من يعلم ما الذي حل بهم حتى يخبركم ما مضى من الهلاك في الامم الخالية
لهذا التنبيه من الله عز وجل اياهم انكم ان كذبتم الرسول فيحل بكم ما قد حل بمن قد كان قبلكم وان
اطعتم الرسول فلكم من الثواب ما لهم فاعتبروا به كيف كان جزاؤهم بالتكذيب وما في القرآن مثل
مثل هذا المعنى لو سألت لاخبروك وقيل سيروا في الارض اي تفكروا في القرآن يخبركم عن الامم
الماضية فكانكم سرتم في الارض وما في القرآن مثل هذا المعنى لو سألت لاخبروك فان فيه خبر من
كان قبلكم من الامم وما لهم من الثواب بالتصديق والطاعة وما عليهم من العقاب بالتكذيب والله اعلم
وفي قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يحتمل في المكذبين بالرسل والمصدقين فسيروا في الارض

يحتمل لو سبرتم فيها لرأيتم آثارهم ولعرفتم بذلك ما اليه يرجع عواقب الفريقين ويحتمل الامر
بالتامل في آثارهم والنظر في الانباء عنهم ليكون له به العبرة وعما هم عليه مزجرة ويحتمل السنن الموضوع
من الاحكام وما به امتحن من قبلهم ليعلموا ان الذي بلوا به ليس ببديع بل على ذلك امر من تقدمهم كقوله
ما كنت بدعا من الرسل وكقوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والله اعلم وقوله
عز وجل هذا بيان للناس يحتمل قوله هذا بيان يعني القرآن هو بيان للناس وهدى من الضلالة وموعظة
للمتقين اي يتعظ به المتقون ويحتمل بيان للناس ما ذكر من السنن التي في الامم الخالية وقوله عز وجل
وتلك الايام نداولها بين الناس ان الله يصرف الدولة الى اهل الشرك بفعل وتدبير اذا اضاف ذلك
اليه ما به الدول ثم ذلك معصية وقهر وتذليل فثبت بما ذكرنا ان ما هو فعل معصية الى الله من طريق
التخليق والتدبير والله اعلم اذ ذلك لهم بما هم عصاة به والله اعلم وقوله عز وجل ولا تهنوا
اي لا تضعفوا في محاربة العدو ولا تحزنوا بما يصيبكم من الجراحات والقروح كقوله تعالى ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله ويحتمل قوله عز وجل لا تهنوا في الحرب وانتم تعملون لله اذ هم لا يعملون
فيها وهم يعملون للشيطان وقوله عز وجل ولا تحزنوا على ما فاتكم من اخوانكم الذين قتلوا ويحتمل
ما اصابكم من القروح اي لا يمنعكم القروح والجراحات لا تمنعكم عن قتال العدو ولكم الآخرة والشهادة
وقوله عز وجل وانتم الاعلون قيل فيه بوجوه قيل وانتم الاعلون في الآخرة وقيل الاعلون الحجة
بالحجج وقيل وانتم الاعلون في النصر اي يرجع عاقبة الامر اليكم ويحتمل ان النصر لكم ان لم تضعفوا في
الحرب ولم تعصوا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحتمل وانتم الاعلون لكم الشهادة
اذا قتلتم واحياء عند الله وهم اموات وقوله عز وجل ان كنتم اذ كنتم مومنين ليس على الشرط
ذكر على الخبر كقوله عز وجل لا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يومن بالله اي اذ كن مومنات
وان كنتم مومنين بالوعد والخبر وقوله عز وجل ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
اختلف فيه قيل يمسسكم قرح في آخر الاية يعني يوم احد فقد مس المشركين قرح مثله يوم بدر يذكر هذا
والله اعلم على المسكين ليعلموا انهم لم يخصوا بذلك وقوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس
يحتمل الاية وجوها يوما للمومنين ويوما عليهم وذلك ان الامر بمجاهدة العدو والقتال معهم محنة
من الله عز وجل اياهم يمتحنهم ويبتليهم مرة بالظفر لهم والنصر على عدوهم ومرة بالظفر بالنصر
بجميع انواع المحن بالخير مرة وبالشر ثانيا ويحتمل المداولة ابقاء بها آخرون والظفر والنصر
لو كان ابدا للمومنين لكان الكفار اذا اسلموا انما يسلموا الاسلام اختيارا ولكن انما امنوا ايمان قهر
وكره وجبر لما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا كانوا الدولة والظفر للمومنين وان كان الظفر
والنصر ابدا للكفار فلعلهم يظنون انهم المحقون فيمنعهم ذلك عن الاسلام ويحتمل ان ما يصيب
للمومنين انما يصيب بمعصية سبقت منهم او خلاف كان منهم من ترك امر او ارتكاب نهي والله
اعلم فان طعن طاعن من الملحدة في قوله عز وجل ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل ان ينصركم
الله فلا غالب لكم ان النبي وعدكم ان نصرتم دينه ينصركم واخبر ايضا انه ان نصركم فلا غالب لكم
فاذا نصرتم دينه فلم ينصركم النبي يكون خلفا في الوعد وان نصركم فغلبتم يكون كذبا في الخبر قيل
لهذا اجوابة من اوجه قيل يحتمل قوله عز وجل ان تنصروا دين الله في الدنيا ينصركم في الآخرة بالحجج
كقوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الاية وكقوله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المومنين
سبيلا وقيل ان تنصروا دين الله ولم تعصوا الله فيه ينصركم فلا غالب لكم وقيل يحتمل ان تنصروا
دين الله جملة ينصركم كقوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب اثنا عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة وكقوله

عز وجل وانا كرمن كل ما سالتموه وقيل ان تنصروا دين الله ينصركم اي يجعل الظفر والنصر في العاقبة
لكم وكذلك كان وان كان في ابتدا الامر الغلبة على المومنين فان العاقبة لهم في الحروب كلها ومقدار
ما كان عليهم انما كان لامر سبق منهم اما اعجابا بالكثرة كقوله عز وجل اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم
شيا واما خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس
دلالة ان كان من الله معنى لديه تكون الغلبة لهم بقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم ولكان
هو يجعل ابدا الدولة لاحد الفريقين وقد اخبر انه يجعلها دولا معلوم ان كانت الدولة بالغلبة ثبت
ان من الله في صنع العباد صنع له اضيفا اليهم صنعهم والله اعلم ثم معلوم ان الغلبة لو كانت
للمسلمين كان ذلك الزم للحجة واظهر للدعوة وادعى للاجابة وفيها كل صلاح فثبت ان ليس في الحكمة
شرط اعطا الاصلح والله اعلم وفي قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس رد قول المعتزلة
حيث قالوا ان الله لا يفعل الا الاصلح في الدين بتهالك لهذا اي صلاح للمومنين في مداولة الكافرين على
المومنين وقوله عز وجل وليعلم الله الذين امنوا اي ليعلم ما قد علم بالغيب انه يومن بالامتحان
مومنا شاهدا او ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا وجائز ان يراد بالعلم المعلوم كقوله الصلاة امر الله
اي بامر الله وفي قوله عز وجل وليعلم الله الذين امنوا الاية تخرج على اوجه احدها ان ما وصفت
الله به اذا ذكرت معه الخلق تذكر وقت كون الخلق لئلا يتوهم قدمه واذا وصفت الله تعالى
بلا ذكر الخلق وصفته به في الازل نحو ان تقول عالم قادر سميع في الازل فاذا ذكرت المسموع
والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه لئلا يتوهم القدم من الاخر وعلى هذا اعتدنا القول
خالق رازق ونحو ذلك والله اعلم والثاني على تسمية معلومه علما في مجاز اللغة وذلك كما سمي
عذاب الله في القرآن امره ومسمى الناس الصلاة وعينها من العبادات امره على معنى انها تفعل
بامره وكذلك ما سميت الجنة رحمته على انه كان بها يكون ليعلم الله الذين امنوا اي ليكون الذين
امنوا على ما علمه يكون والله اعلم والثالث ليعلم الله الذين امنوا في الغيب شهودا اذ هو عالم
الغيب والشهادة وتحقيق ذلك لا يكون بحادث العلم وذلك نحو من يقول لقد يكون بعلمه بعد الله
وان لم يكن له احداث العلم قد كان وعلى هذا قيل ليعلمه كائنا لوقت كونه ما قد علمه يكون قبل كونه
والله اعلم وقال بعض اهل التاويل ليكون الذي علمه يكون بالمحنة ظاهرا موجودا او هو يرجع الى
ما بينا وقال بعضهم ليرا وهذا من صاحبه ظن ان الكلام في الرؤية لعله اليق وعلى اشبه
ابعد عند من يعرف الله حق المعرفة مما واحد والاصل في هذا ونحوه في الاضافات الى الله انها
كانت بالاحرف المجعولة المتعارف في الخلق ثم هي تودي عن كل ما يضاف اليه وينبا اليه ما كان
عرف من حال ذلك قبل الاضافة لان تقدر عند الاضافة معنى لا نعرفه به لولا ذلك يعني ما عرف
من الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعنى فعلى ذلك امر الاضافة الى الله تعالى وموضع ذلك
ما لم يفهم احد من قوله عز وجل وتلك حدود الله ما فهم من اضافة الحدود الى غيره وكذلك بيوت
الله وعباد الله وروح الله وكلمته ونحو ذلك مثله الذي يحق فيه وجاز في الجملة انه يومن بالله
بانه لم يزل عالما بكون كل ما يكون كيف يكون وفي وقت كونه كائنا وبعد كونه قد مضى كونها على تحقيق
التغيير في احوال الذي يكون لا في الله سبحانه اذ تغيرها لاحوال والاشتمال لتمام اثبات الحدث
والامارات المصنفة قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل
فيه بوجهين احدهما ولم يعلم وهو يخرج على وجهين احدهما على اثبات انه علم انهم لم يجاهدوا كقول
الناس ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون اي ما شاء ان لا يكون لا يكون والثاني انه عالم بكل شيء

فلو كان منكم جهاد لكان يعلمه وانما لم يعلمه لانه لم يكن وعلى ذلك قوله عز وجل فما تنفعهم شفاعة
الشافعين اي ليس لهم والثاني قوله عز وجل ولما يعلم بمعنى الا كقوله لما عليها حافظ بالتشديد
بمعنى الا عليها حافظ فيكون معنى الاية ام حسبتم ان تدخلوا الجنة لا تدخلونها الا ان يعلم الله مجاهدتكم
اي حتى تجاهدوا فيعلم الله ذلك منكم موجودا والله اعلم وكذلك قوله عز وجل ونعلم الصابرين اي
ليعلم ما قد علم انه يصير صابرا وكذلك قوله وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اي ليعلم
الذين قد علم انهم يصدقون صادقين وليعلمن الذين قد علم انهم يكذبون كاذبين وكذلك قوله
عز وجل حتى نعلم المجاهدين اي حتى نعلم ما قد علمنا انهم يجاهدون مجاهدين والاصل قوله عز وجل
عالم الغيب والشهادة ليعلم شاهدا ما قد علم غائبا والله اعلم وقوله عز وجل ويتخذ
منكم شهداء اي يستشهد وتبلى في سبيل الله بايدي عدوهم ويحتمل ويتخذ منكم شهداء على الناس
كقوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وفيه دلالة انهم لا يستوجبون
بنفس الايمان الشهادة على الناس حتى يظهر الصيانة والعدالة في انفسهم وقوله عز وجل وليمحص
الله الذين امنوا اي يمحص ذنوبهم وسيئاتهم ويطهرهم وقوله عز وجل ويمحق الكافرين اي يهلكهم ويستاصلهم
وقوله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا ما ذكرنا من تمحيص الذنوب على ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم السيف محا للذنوب ويمحق الكافرين اي يهلكهم ولا يكون السيف تمحيصا لهم
من الكفر بل يهلكهم في النار وقوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل بل حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين قيل ولما يعلم الله اي ولم يعلم الله الذين جاهدوا
منكم اي لم تجاهدوا وقيل ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما بمعنى الا يعلم بمعنى لا تدخلوا الجنة
الا ان يعلم الله الذين جاهدوا منكم وهو كقوله عز وجل ان كل نفس لما عليها حافظ من قرا بالتشديد فكان
معناه الا عليها حافظ ومن قراه بالتخفيف فمعناه لعليها حافظ وما صلة وفي قوله عز وجل ايضا ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة اي ظننتم ذلك ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقال في مواضع
اخر اولما اصابتكم مصيبة الاية بمعنى ولم تجاهدوا ولم يصبكم مثل الذي ذكر نفي ذلك وعد
ان يصيب اولئك الذين خاطبهم به ما اصاب من تقدمهم وان الله قد يبتلي انفسهم ليجاهدوا من قبل
الموت وعلى هذا قال قوم في تاويل قوله عز وجل صدقوا ما عاهدوا والله ان يدخلوا الجنة اذا
اصابت مثل الذي اصاب من تقدمهم والله اعلم يكون تاويل قوله ولما ولم والالف صلة وقيل
يحتمل بالتشديد منه الا كما قيل في تاويل قوله عز وجل ان كل نفس لما عليها بالتشديد الا عليها حافظ
فيكون بمعنى الاضمار اي لا تدخلوا الا ان يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد بينا ما في العلم في الحرف
الاول في الله له وجهان ايضا احدهما ان الله لم يعلم بذلك وهو العالم بكل شيء فلو كان لكان يعلمه
والثاني ان يعلموا ان يكونوا لم يجاهدوا بعد وسيجاهدون على ما بينا والله اعلم وقوله
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قيل فيه بوجهين قيل قوله عز وجل تمنون ما فيه الموت وهو
القتال وقيل تمنون الموت نفس الموت ثم يحتمل وجوها يحتمل تمنون اشفاقا على دينهم الاسلام
لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم الذي هو عليه ويحتمل ان يكونوا تمنوا الموت ليتخلصوا
من تعذيب الكفار اياهم وتعييرهم على ما قيل ان اهل مكة كانوا يعذبونهم فطلبوا النجاة منهم والخلاص
والله اعلم وقيل يتمنون الموت اي يتمنون الشهادة لما سمعوا المقام عظيم الثواب وجزيل
الاجر تمنوا ان يكونوا شهداء لما عز وجل احياء عند ربهم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل تمنون
الموت وذلك حين اخبر الله عز وجل عن قتلى بدر وما هم فيه من الخير فتمنوا يوما مثل يوم بدر

فاذا اخبر الله بيوم واحد يعز بنو ابه بذلك بقوله تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه
يعني يوم احد وقوله عز وجل فقد رايتموه يحتمل وجوها يحتمل فقد رايتم اسباب الموت
وانتم تنظرون اليه ويحتمل فقد رايتم اصحابكم الذين قتلوا بين ايديكم على تاويل من صرف قوله عز وجل
تمنون الموت الى القتال والله اعلم وقوله عز وجل وانتم تنظرون ويحتمل وانتم تنظرون
الى الموت يعني الى موت اصحابكم او الى القتال ويحتمل وانتم تنظرون اي تعلمون انكم كنتم تمنون
الموت والله اعلم وقوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم يحتمل هذا وجهين يحتمل والله اعلم ان يقول لهم انكم لما امنتم بمحمد صلى
الله عليه وسلم قبل ان بعث لم تومنوا به لانه محمد ولكن امنتم بالذي ارسله اليكم والمرسل حي
وان كان محمد صلى الله عليه وسلم قتل او مات على زعمكم فكيف انقلبتم على اعقابكم قال الشيخ رحمه
الله وفي الاية خبر بانقلاب من علم الله انه يرتد بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عز وجل
ومن يرتد منكم عن دينه والشاكرون الذين جاهدوا وهم قد اخبر الله عز وجل انه يحبهم ويحبونه
وقال الحسن انه ابا بكر رضي الله عنه كان والله امام الشاكرين ويحتمل وجها اخر وهو ان من
كان قبلكم من قوم موسى وعيسى عليهما السلام كانوا اكثر بوا رسلهم ما دام احياء حتى قال لهم موسى عليه
السلام لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم كذلك قال عيسى عليه السلام يا بني اسرائيل اني
رسول الله اليكم مصدقا الاية فاذا ماتوا ادعوا انهم على دينهم وانهم صدقوهم حينما دعوهم
اليه وان لم يكونوا على ذلك فلم ينقلبوا على اعقابهم فكيف تنقلبون انتم على اعقابكم ان مات محمد
صلى الله عليه وسلم او قتل والانقلاب على الاعقاب على الكناية والتمثيل ليس على التصريح وهو
الرجوع الى ما كانوا عليه من قبل من الدين وقوله عز وجل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
اي من ارتد بعد الاسلام فلن يضر الله شيئا لانه لم يستعملهم لنفسه ولكن انما استعملهم لانفسهم
ليستوجبوا بذلك الثواب الجزيل في الاخرة فانما يضرون بذلك انفسهم لا الله والثاني
انه انما يامرهم ويكلفهم لحاجة انفسهم لا انه يامر لحاجة نفسه ومن امر اخر في الشاهد انما يامر
لحاجة نفس الامر فاذا لم ياتمر لحق ضرر ذلك الامر فاذا كان الله سبحانه تعالى عن ان يامر لحاجته
وانما يامر لحاجة المامور فاذا ترك امره ضر نفسه وبالله التوفيق وسيجزي الله الشاكرين قيل
الموحدين لله وقيل الذين امنوا وجاهدوا يجزيهم في الاخرة وكل متمسك بامر الله ومؤتمر بامره فهو
شاكر وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله يحتمل قوله الا باذن الله اي لا يموت
الا بتبعيض المسلط على قبض الارواح وروحه كقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ان مات
او قتل ويحتمل الا باذن الله الا بعلم الله كتابا مؤجلا قيل وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتاخر مات
او قتل ما لم يستوف رزقه واجله وقيل كتابا مؤجلا اي مبينا في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه وقوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من اراد بمحاسن اعماله الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة
نؤته منها اي من يرد باعماله الصالحات ومحاسنه الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وهو كقوله
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها على قدر ما قدر وما
له في الاخرة من نصيب فكذلك هذا ايضا والله اعلم وقوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون
كثير قيل فيه لغات احدها قاتل معه بالالف وتاويله وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير فقتل
في الارض والثاني وكم من نبي قتل معه ربيون كثير برفع القاف والثالث وكم من نبي قتل
معه ربيون كثير بالنصب ومعنى الاية والله اعلم كم من نبي قتل فلم ينقلب اتباعه على اعقابهم بل

كانوا اشد وفا بعهدهم اشد اتباعا لهم من حال حياتهم حتى قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا فما بالكم
تخطرون بالكفر والانقلاب على اعقابكم اذا اخبرتم انه قتل نبيكم او مات وفي انبا هذه الاية قصص
الامم الخالية واخبارهم وجهان احدهما دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم
علموا انه لم يختلف الى احد منهم ممن يعلم هذا ثم اخبر بذلك فكان ما اخبر دل انه علم ذلك بالله
والثاني ليعمل بخير ابائهم وسننهم الا ما ظهر نسخه بشريعتنا الا ترى انه ذكر محاسنهم وخيراتهم وانما
ذكر لنتشبه بهم في ذلك ونقتدي بهم وذكر مساويهم وما لحقهم بها لننتهي عنها ونكون على حذر مما
اصابهم بذلك والله اعلم وقوله ربيون كثيرا اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال علماء
كثير وعنه ايضا الجموع الكثيرة وعن الحسن مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الالوف
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير يقول قاتل الا
يريد انه يقول فما وهنوا لما اصابهم ثم اختلف في قوله فما وهنوا وما ضعفوا قيل فما وهنوا
في الدين وما ضعفوا في انفسهم في قتال عدوهم بذهاب النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم فما بالكم
تضعفون انتم ويحتمل قوله فما وهنوا يعني ما عجزوا لما نزل بهم من قتل انبيائهم وما ضعفوا في
انفسهم لما اصابهم في سبيل الله من البلايا وقيل قوله عز وجل فما وهنوا يرجع الى قاتل الى المقاتلين
وفي قتل الى الباقين وقوله وما استكانوا قيل لم يذلوا في عدوهم ولم يخضعوا لقتل نبيهم
بل قاتلوا حجة في ما قاتلوا معه فهلا قاتلتم انتم على ما قاتل عليه نبيكم كما قاتلت القرون
من قبلكم اذا اصيب انبياؤهم والله اعلم والله يحب الصابرين على قتال عدوهم وعلى كل مصيبة
تصيبهم وقوله وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
قيل وما كان قول الامم الماضية عند قتل نبيهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الاية يقول
يعير الله هذه الامة ويعاتبهم هلا قلتم انتم حين نعي اليكم نبيكم كما قال القوم في الامم السالفة
وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا قيل الذنوب هي المعاصي وقوله واسرافنا في امرنا قيل الجرائم
هي المجاوزة في الحد والتعدي عن امره وقيل هما واحد وقوله وثبت اقدامنا يحتمل وجهين
يحتمل ثبتنا على الايمان ودين الاسلام والقدم كناية كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها اي تكفر بعد
الايمان كقوله يردوكم على اعقابكم وذكر القدم لما بالقدم يثبت ويحتمل قوله وثبت اقدامنا في
قتال العدو ودعوا الى الله عز وجل بعد ذهاب نبيهم من بينهم ليحفظهم على ما كان يحفظهم
في حياة نبيهم وقوله وانصرنا على القوم الكافرين يحتمل النصر عليهم بالحجج والبراهين ويحتمل
النصر بالغلبة والهزيمة عليهم وقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا يحتمل ثواب الدنيا الذكر
والثناء الحسن وهو كذلك اليوم يتبعهم ويقتدي اثارهم ويحتمل على ما قيل النصر
والغنيمة وقوله وحسن ثواب الاخرة الدائم وذكر في ثواب الاخرة الحسن ولم يذكر في
ثواب الدنيا الحسن لان ثواب الاخرة دائم لا يزول ابدا وثواب الدنيا قد يزول او ان
يشوب في ثواب الدنيا افات واحزان فينقص ذلك وليس ثواب الاخرة كذلك والله اعلم
وقوله والله يحب المحسنين الاحسان يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل المحسن العارف كما يقال
فلان يحسن ولا يحسن ويحتمل المعروف من الفعل بما ليس عليه يصنع الى اخر تفضلا منه واحسانا
ويحتمل اختيار الحسن من الفعل على القبيح من الفعل والسوء كان كقوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين هذا اختيار المحاسن من الافعال على المساوي والله اعلم ويحتمل المحسنين الى
انفسهم باتباعها لما فيه نجاتها وقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم

يحتمل الطاعة لهم طاعة الذين اي يطيعوهم في كفرهم ويحتمل الطاعة لهم في ترك الجهاد مع عدوهم كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة الاية وقوله يردوكم على ادباركم قد ذكرنا اي يردوكم على دينكم الاول وهو على التمثيل والكناية والله اعلم وقوله بل الله مولاكم اي اوليكم او ناصركم او حافظكم وليكم وهو خير الناصرين اي خير من ينصر من نصره فلا يغلب كقوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم وقوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الاية هذه بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر له حين اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وكذلك قوله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وكان ما ذكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بعد ذلك ويقصدهم لا انهم اتوه وكانوا قبل ذلك يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصدونه بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي بالشرك ما قذف في قلوبهم من الرعب من غير ان كان لهم بما اشركوا حجة او برهان او كتاب او عذر قال ابن عباس رضي الله عنه السلطان في القرآن حجة وقوله ومأواهم النار اي مقامهم في النار وبئس مثوى الظالمين اي النار بئس مقام الظالمين وقوله ولقد صدقكم الله وعده اي انجز الله وعده حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وقد فعل اذ تحسونهم باذنه قال اهل التفسير اذ تقتلونهم وقوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر هو على التقديم والتاخير حتى اذا تنازعتم فشلتم اذ التنازع هو سبب الفشل كقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وقوله عز وجل وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون يحتمل ما اراكم ما تحبون من الهزيمة والغنيمة ويحتمل ما اراكم من النصر لكم على عدوكم وانجاز الوعد لكم وقوله عز وجل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ما كنا نعرف احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل قوله منكم من يريد الدنيا وقوله عز وجل ثم صرفكم عنهم روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ثم صرفكم عنهم يعني حيث هم المسلمون ينصرفون عن المشركين منهزمين لعدد اذ كانوا منهزمين لكن لما عصوا وتركوا المركز صرفهم الله عن عدوهم ليبتليكم اي ذلك القرح كان لكم من الله ابتلاء ومحنة وقيل كان ذلك العصيان الذي منكم كان من الله ابتلاء ليعلم من قد علم انه يعصي عاصيا والله اعلم وكذلك قوله عز وجل ثم صرفكم عنهم وان كان الانصراف فعلهم ان الله نسبه اليه على ما عليه فعلهم خالق وان الخلق الشيء ليس هو ذلك الشيء اذ ذلك الشيء اذا كان انصرافا عن العدو معصية وقد تبرا الله عن ان يضاف اليه المعاصي وقد اضاف الانصراف الى نفسه وهو المعروف ثبت انه يخلق فعلهم والله اعلم ولقد عفا عنكم يحتمل وجهين يحتمل عفا عنكم حيث لم يستأصلكم بالقتل ويحتمل عفا عنكم حيث لم يؤاخذكم وتوبتكم عن العصيان وهذه الاية وقوله عز وجل ثم صرفكم وقوله وتلك الايام نداولها بين الناس على المعتزلة وقوله تعالى لبرز الذين كتب عليهم القتل الاية لانهم يقولون هم الذين صرفوا انفسهم لا الله وهم الذين كتبوا عليهم القتل لا الله وهم الذين يداولون لا الله وقد اضاف عز وجل ذلك الى نفسه فيقال ذلك لا يضاف اليه الا من يفعل وصنع له فيه ولانهم يقولون لا يفعل الا الاصلح لهم في الدين فاي صلاح كان لهم في صرفه اياهم عن عدوهم واي صلاح لهم فيما كتب عليهم القتل فدل ان الله قد يفعل بعباده ما ليس ذلك باصلح لهم في الدين والله اعلم وقوله عز وجل والله ذو فضل على المؤمنين بالعفو عنهم وقبول التوبة حيث عصوا رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وتركوا امره وعلى قول المعتزلة عليه ان يفعل ذلك فيلي قولهم ليس هو بذي تفضل على احد نعوذ بالله من السرف في القول قال الشيخ رحمه الله الاية في تخصيص المؤمنين بالامتنان عليهم دون جملة من بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم معنا ذكرته ما انبعث من انفسهم وقد بينا وجه المنة في البعث من جوهر البشر وجهان احدهما الامر لم يؤمن به لم يكن عرف نعمة من الله وان كان في الحقيقة نعمة منه لهم ورحمة لهم وللعالمين تخص من عرفه لتيك والعباد كرهم ومن كقوله عز وجل انما تنذر من اتبع الذكر اي هم يتقبلون ويرون حق الانذار والثاني انه صار لهم حجة على جميع الاعداء انهم لا يطيقونه لمعنى كان منهم الا وللمؤمنين عليهم وجه دفع ذلك بما كان عليه ما عرفوه به قبل الرسالة لما فيه لزوم القول بصدقه فيكون ذلك منة لهم وشرف ونعمة عظيمة فاسئل ذا هم الله شكرها ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل اذ تصعدون ولا تلوون فيه لغتان تصعدون بنصب التاء وهو من الصعود ان صعدوا الجبل وتصعدون بالرفع من ان اصعدوا واصحابهم نحو الوادي لان المنهزم الاول اذا التفت فراى منهزما احسن اسنة وقيل الاصعاد هو الانقياد في الارض وقيل تصعدون من صعود الجبل وتصعدون في الوادي من الجبل وقوله عز وجل ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون على احد ولا ترجعون والرسول يدعوكم في اخراكم اي الرسول يدعوكم وينادي وراءكم الي انا رسول الله وقيل ينادي من بعدكم اي انا رسول الله يا معشر المؤمنين وكان يصل نداؤه في اخراهم بادهم بعضهم ببعض فلم يرجعوا اليه وقوله عز وجل فاثابكم غما بغم اختلف فيه قيل الغم الاول الهزيمة والنكبة التي اصابتهم والغم الاخر الصوت الذي سمعوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم فذلك غم على غم وقيل غما بعصيانهم رسول الله اغتموا والغم الاخر انهم كيف يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز وعصيانهم اياه والخلاف له وقيل قوله عز وجل فاثابكم غما بغم اي مرة بعد المرة الاولى وقيل غما بغم اي هزيمة بعد هزيمة اصابتهم هزيمة بعد هزيمة من قتل اخوانهم واصابتهم الجراحات وقيل فاثابكم غما بعصيانكم رسول الله بغمهم الذين ادخلوا على رسول الله بتركهم المركز والطاعة له وفي قوله عز وجل فاثابكم غما بغم وهو غم الهزيمة والنكبة بالغم الذي ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصيانهم اياه واهمالهم المقعد الذي امرهم بالمقام فيه وقيل غما بالغم الذي له تركوا المركز وهو ان غمهم اغتنام اصحابهم وقيل غم الاعتذار الى رسول الله بالغم الذي جنوه به حيث مالوا الى الدنيا وعصوه فيما امرهم وقيل غما اثرهم من القتل والهزيمة والارجاف بقتل رسول الله وحقيقته ان يكون احد الغمين جزاء والاخر ابتداء وفي ذلك تحقيق الدلالة في الجزاء وذلك كقوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم يحتمل من الفتح والغنيمة ولا ما اصابكم من القتل والهزيمة ويحتمل قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا ما اصابكم فيها من انواع الشدائد بما ادخلتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغم بعصيانكم اياه والله خبير بما تعملون على الوعيد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم قيل فيه بوجهين قيل الطائفة التي اتاهم النعاس هم المؤمنون سمعوا بانصراف العدو عنهم وصدقوا الخبر فناموا لان الخوف اذا غلب يمنع النوم واما الطائفة التي قد اهمتهم انفسهم هم المنافقون لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف فلم ينعسوا وذلك كقوله عز وجل يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الاية وقيل كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين

لكن احدهما قد اتاها النعاس لما امنوا من العدو والاخرى لا لعصيانهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتركهم امره منع ذلك النوم منهم ان كيف يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف
يعتذرون اليه والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النعاس في الصلاة من الشيطان
وفي القتال امنة من الله وقوله عز وجل يظنون بالله غير الحق قيل يظنون بالله ان لا ينصر
محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه واي غير المومنين وقيل يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة

انما هم اهل شرك وريبة في امر الله يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقوله عز
وجل يقولون هل لنا من الامر من شيء قيل يقول بعضهم لبعض هل لنا من الامر من شيء يعني بالامر
النصر والغنيمة وقيل قالوا ذلك للمومنين قل ان الامر كله لله يعني النصر والفتح كله بيد الله
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك والذي يخفون قولهم لو اقمنا في منازلنا ما قتلنا هاهنا
وقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء قالوا لو كان قليل من الامر من شيء اما الامر الى محمد ولو كان
الامر لنا ما خرجنا الى موضع كذا حتى قتلنا هاهنا قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قيل لو كنتم في بيوتكم كما تقولون لبرز يعني لخرج من البيوت الذين
كتب عليهم القتل ليقتلوا وقيل من كتب عليه القتل يظهر الذي كتب عليه حيث كان وقيل اذا كتب
على احد القتل لا تاه ولو كان في البيت كقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
وقيل حتى كتب الله على قوم القتل فلا يموتوا ابدا وفي هذا بيان ان الاجال المكتوبة هي التي تنقضي
بها الاعمار ان كان قتلا فقتل وان كان موتا فموت لا على ما قالت المعتزلة ان المقتول يعجل عن اجله
المكتوب له وعليه والله اعلم وقوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم والابتلاء هو
الاستظهار كقوله عز وجل يوم تبلى السرائر تبدى وتظهر وذلك يكون بوجهين يظهر بالجزاء
مرة ومرة بالكتاب يعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء وكذلك اذا كانت سيئة او
يعلم ذلك بالكتاب وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليظهر الله للخلق ما في صدورهم
بما مضى وليجعله ظاهرا لهم وليمحص ما في قلوبكم من الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال الابتلاء والتمحيص بمعنى واحد وقوله عز وجل والله عليم بذات الصدور يقول هو
عالم بما في صدورهم من سرائرهم ولكن يجعلها ظاهرا عندكم ويحتمل الابتلاء هاهنا الامر بالجهاد
ليعلموا المنافق منهم من المومن والله اعلم وقوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان يعني ان الذين انصرفوا عن عدوهم منهزمين منهم منهزمين يوم التقى الجمعان جمع
المومنين وجمع المشركين وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اي انما
انهزموا ولم يثبتوا خوفا ان يقتلوا بالثبات فيلقوا الله وعليهم عصيان رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فكرهوا ان يقتلوا وعليهم معصية رسول الله خوفا من الله عز وجل ولقد عفا
الله عنهم بما خافوا الله بعصيانهم رسول الله ويحتمل قوله انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ان الشيطان لما اغراهم وجاءوا الى ما دعاهم من اشتغالهم بالغنيمة وتركهم المركز وعصيانهم
رسول الله ودعاهم الى الهزيمة فانهزموا وتولوا عن عدوهم ويحتمل قوله ببعض ما كسبوا اي بكسبهم
قال الله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وكذلك هذا والله اعلم ان الله
غفور حليم قبل توبتكم وعفا عنكم حليم لم ياخذكم وقت عصيانكم ولا عاقبكم او حليم بتاخير
العذاب عنكم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى الاية اختلف في قوله تعالى كالذين كفروا قال بعضهم نهى

المومنين ان يكونوا كالذين كفروا في السر والعلانية وقالوا لاخوانهم يعني المنافقين لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل لا يكونوا كالمنافقين قالوا لاخوانهم يعني لبعضهم لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا وقيل قالوا لاخوانهم يعني المومنين الذين تولوا وهم كانوا اخوانهم في النسب
وان لم يكونوا اخوانهم في الدين والمذهب لا حاجة لنا الى معرفة قائله من كان ولكنا لمعنى ان

لا تقولوا مثل قولهم لمن قتل وقوله اذا ضربوا في الارض يعني اذا ضربوا في الارض تجارا او غزى
اي غزاة وقيل قوله اذا ضربوا في الارض وكانوا غزاة على اسقاط الالف وقوله ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم اي ليجعل الله ذلك القول الذي قالوا حسرة يترددون في اجوافهم ويحتمل
قوله ليجعل الله ذلك لهم حسرة يوم القيامة كقوله انما لهم حسرات عليهم وقوله والله يحيي ويميت
اي والله يحيي من ضرب في الارض وغزا ويميت من اقام ولم يخرج غازيا اي لا يبتلي الموت
بالخروج في الغزو ولا يتاخر بالمقام وترك الخروج دعاهم الى التسليم انما هي انفاس معدودة
وارزاق مقسومة واجال مضروبة ما لم يفنها ولم يستوفها ولم ينقض اجلها لا ياتيها والله بما
تعملون بصير وعليم وقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير اي ان
الموت ان كان لا بد نازلا بكم فقتلكم او موتكم في طاعة الله وجهاده خير من ان ينزل بكم في غير طاعة
الله وسبيله ومغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من الاموال ولئن متم او قتلتم لالى الله
تحشرون اي ان متم على فراشكم او قتلتم في سبيل الله فاليه تحشرون فمعناه والله اعلم اي انكم
تعبدوا على ان لم تحشروا اليه كيف تعبدون ان لا ينزل بكم الموت وانتم في بيوتكم والله اعلم وقوله
فبما رحمة من الله لنت لهم يحتمل هذا وجهين يحتمل برحمة من الله عليك لنت لهم كقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويحتمل قوله فبما رحمة من الله اي برحمة من الله على الخلق لنت
لهم فيجب ان يكون الانسان رحيما على خلقه على ما جاء في الخبر قال لاصحابه لن تدخلوا الجنة حتى
تراحموا فقيل كلنا نرحم يا رسول الله فقال ليس تراحم الرجل ولده او اخاه ولكن يتراحم بعضهم بعضا
او كلام نحو هذا او ما جاء من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا او ما جاء ومن لم يرحم اهل
الارض لم يرحمه اهل السماء كما قال الله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله الاية
وقد امر الله عباده ان يعاملوا بعضهم بعضا بالرحمة واللين لا بالعنف والمعاندة والمكابرة وحين امر
بالقتال كقوله لموسى وهارون حيث ارسلهما الى فرعون فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى وكان اللين من القول انفذ في القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة من
الخشن من القول وذلك ظاهر في الناس لذلك امر الله عز وجل رسله باللين من المعاملة
والرحمة على خلقه وجعله سبب تاليف القلوب وجمعها وجعل الخشن من القول والفظاظة سبب
الفرقة بقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اي لو كنت في الابتداء فظا غليظا
لتفرقوا ولم يجتمعوا من عندك وقوله فاعف عنهم بايذائهم اياك ولا تكافئهم واستغفر
لهم فيما بينهم وبين ربهم ويحتمل قوله فاعف عنهم واستغفر لهم بما عصوك ولا تنتقم
منهم ولكن لكن امر الله المومنين جملة ان يعفوا اعداءهم وان لا ينتقموا منهم بقوله فاعفوا واصفحوا
حتى ياتي الله بامره وكان لرحى الاية للمومنين قوله واستغفر لهم كما قال تعالى قل للذين امنوا
يغفروا للذين لا يرجون الاية وقوله ايضا واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات لا جائز ان
يومر بالاستغفار لهم الا ثم لا يفعل او اذا فعل لا يجاب فدل انه ما ذكرنا والله اعلم وكذلك دعا
ابراهيم صلوات الله عليه رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب ودعا نوح رب

اعفو عني ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات لا يجوز ان يدعو هو الا لانبياء
صلى الله عليهم وسلم ثم لا يجاب لهم **قوله** وشاورهم في الامر اي امر الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامر نفيه وجوه ثلاثة احدها انه لا يجوز له ان يامره
بالمشاورة فيما فيه النص وانما يامره بها فيما لا نص فيه نفيه دليل جواز العمل بالاجتهاد والثاني
لا يخلو امره بالمشاورة اما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند الله او لفضل العقل ورجحان اللب
فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم ان يسووا انفسهم بهم ولا يجاوز ايضا ان يامر نبيه بمشاورة اصحابه
ثم لا يعمل برايهم وان اتفقوا اذا اجتمعوا كان الحق لا يشذ عنهم وقال بعضهم انما امر نبيه صلى الله
عليه وسلم بمشاورتهم في امر الحرب والقتال وعن الحسن لما انزل الله وشاورهم في الامر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عن مشاورتكم ولكنه اراد ان يكون
سنة لامته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقرا وشاورهم في بعض الامر **وقيل**
امر الله نبيه ان يشاور اصحابه في الامور وهو ياتيه وحي السماء لانه اطيب لانفس القوم
وان القوم اذا شاور بعضهم بعضا فارادوا بذلك وجه الله عزم الله لهم على ارشده //
وقيل ان العرب في الجاهلية كانوا اذا اراد سيدها ان يقطع امرا دونهم شاورهم
في الامر شق عليهم فامر الله النبي ان يشاورهم في الامر اذا اراد فان ذلك اعطف لهم عليهم
واذهب لاضغانهم وفي بعض الاخبار قيل يا رسول الله ما الحزم قال ان تستشير ذا الراي ثم
تطيعه وكان يقال ما هلك امرؤ عن مشورة ولا سعد بتوحد وقيل المتوحد هو الذي لا يستشير
ويعمل برايه **وقوله** فاذا عزمت فتوكل على الله اي لا تتكلن الاحيل الى نفسك ولا تعتمدن على احد
ولكن اعتمد على الله وكل الامر اليه وقيل فاذا اوردت الامر فابدا بمن ذونه فامض لامرك فان
كان في امر الحرب على ما قيل فهو والله اعلم لا تعجبن بالكثرة ولا ترين النصر به ولكن اعتمد
بالنصر على الله كقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا والله اعلم بما اراد بذلك كقوله وما
النصر الا من عند الله **وقوله** ان ينصركم الله فلا غالب لكم صدق الله من كان الله ناصره فلا
يغلبه العدو ومن تعبد وان يخذلكم اي يترككم فمن ذا الذي ينصركم والنصر يحتمل وجهين يحتمل
المعونة ويحتمل المنع كقوله وما لهم من ناصرين وقوله ان ينصركم الله اي اعانكم الله فلا يغلبكم
العدو وان يخذلكم فلم يعنكم فمن الذي اعانكم سواه ومن المنع اي ان منع الله عنكم العدو
فلا غالب لكم وان يخذلكم ولم يمنعكم فمن الذي يمنعكم من بعده والخذلان في الحقيقة هو تركه
المامول منه ما امل منه واستعمل في هذا الكل استعمل الابتلاء على غير حقيقته **وقوله** وعلى
الله فليتوكل المؤمنون هو على الامر في الحقيقة كانه قال وعلى الله فتوكلوا ايها المؤمنون //
والتوكل هو الاعتماد عليه وتفويض الامر اليه لا بالكثرة والاسباب التي بها يقوم من نحو القوة
والقدرة والنصر والغلبة وفي الشاهد انما يكون عند الخلق بثلاث اما بالكثرة واما بفضل
قوة بطش واما بفضل تدبير وذلك في امر الحرب وجميع نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغلبته على عدوه انما كان لا بذلك ولكن بالتوكل عليه وتفويض الامر اليه دل ان ذلك كان بالله
عز وجل وذلك من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم **وقوله** عز وجل وما كان لنبي ان يغل
فيه قراءتان يغل بالنصب للياء وبرفع الياء ونصب الغين ومن قرا بنصب الياء ذلك يحتمل
وجهين يحتمل وما كان لنبي ان يغل اي لم يكن نبي من الانبياء غل قط ومتى حسن لا تتهموه
لعلمكم به فكيف تتهمونه هذا بالغلول وقيل ان ناسا من المنافقين خشوا ان لا يقسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بينهم فطلبوا القسمة فنزلت الاية وقيل قالوا اعدل
يا محمد في القسمة فنزل هذا او يحتمل قوله وما كان لنبي ان يغل اي قد كنتم عرفتموه من قبل ان يرسل
فما عرفتموه خان قط او غل فكيف يحتمل الخيانة بعدما ارسل هذا لا يحتمل ومن قراه بالرفع فهو ايضا
يحتمل وجهين اي يتهم بالغلول في الغنيمة فهو يرجع الى تاويل الاول ويحتمل قوله ان يغل ان يخان
في الغنيمة لا يجوز ولا يحل ان يخان النبي في الغنيمة فانه يطلع على ذلك يطلع الله رسوله على ما جاء
في بعض الاخبار انه مر بقبر فقال انه في عذاب قيل بماذا يا رسول الله فقال انه كان اخذ من
الغنيمة قدر درهمين او نحوه ويحتمل خصوص الغنيمة بما بينا وكل الغال جملة بما لا يعرف له
صاحب كالمال الذي لا مالك له وربما يباح التناول منه للحاجة والاخذ بغير البدل بوجه
لا يحتمل في ذلك الحل من ذلك **وقوله** يات بما غل يوم القيمة اي يوخذ به يوم القيمة وهكذا
كل من اخذ من مال غيره بغير اذنه فانه يوخذ به وقال بعض الناس وانما خص الغنيمة بفضل
وعيد لان الغلول فيها يجحف بحق الفقراء واهل الحاجة او بعض ذلك اصناف الخلق وساير
الاموال ليس كذا وقيل انما جاء الوعيد في هذا انهم كانوا اهل نفاق يستحلون الغلول في
الغنيمة والاخذ منها وهذا اكل انه اشبه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال بعث النبي عليه
السلام جيشا فغلوا راس ذهب فنزلت وما كان لنبي ان يغل وعن ابن عباس رضي الله عنه
ايضا قال فقدت قطيفة حمرا يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال اناس لعل رسول الله
اخذها لنفسه فانزل الله وما كان لنبي ان يغل **وقوله** افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله قيل افمن لم يغل ولم ياخذ من الغنيمة شيئا كمن غل واخذ منها شيئا سواء رجع احدهما
برضوان الله والاخر بسخطه ويحتمل افمن اتبع رضوان الله افمن اطاع الله واتبع امره كمن عصى
الله واتبع هواه شيئا سواء **وقوله** هم درجات عند الله والدرجات والله اعلم ما يقصد
اهلها والدركات ما لا يقصد من غير ان يقصدها كالدركة في العقوم يتركه من غير قصد
وقيل الدرجات ما يعلو والدركات ما يسفل والله اعلم فهذا في التسمية المعروفة ان سميت
النار دركات والجنة درجات وحقيقة ذلك واصله الاية تدل على الامرين **وقوله**
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وجه المنة فيما بعث الرسل عليهم من البشر
ولم يبعث من الملايكة ولا من الجن وجوه احدها ان كل جوهر يالف بجوهره ويسكن اليه
ما لا يالف بجوهر غيره ولا يسكن الى جنس اخر فاذا كان كذلك والرسل انما بعثوا لتاليف قلوب
الخلق وجمعهم والدعاء الى دين يوجب الجمع بينهم ويدفع الاختلاف من بينهم فاذا كان ما وصفنا
بعثوا من جوهرهم وجنسهم ليالفوا بهم ويسكنوا اليهم والله اعلم والثاني ان الرسل لا بد لهم
من ان يقيموا ايات وبراهين رسالتهم فاذا كانوا من غير جوهرهم وجنسهم لا يظهر لهم الايات
والبراهين لما يقع عندهم انهم انما ياتون ذلك بطباعهم دون ان ياتوها بغير اعطاهم اياها
ذلك والثالث ان ليس في وسع البشر معرفة غير جوهرهم وغير جنسهم من نحو الملايكة والجن الا
ترى ان البشر لا يرونهم فاذا كان كذلك بعثوا منهم ليكون هو لظهور الحجة والله اعلم ثم المنة
الثانية حيث بعثهم من نسبهم وحسبهم وجنسهم لم يبعثهم من غيرهم وذلك انهم اذا بعثوا من
غير قبيلتهم وجنسهم لم يظهر لهم صدقهم ولا امانتهم بما ادعوا من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر
صدقهم وامانتهم لما ظهر صدقهم وامانتهم في غير ذلك فيدل ذلك انهم لما لم يكذبوا في شيء قط
ولا خانوا في امانة لا يكذبون على الله تعالى والثاني انهم اذا كانوا من غير نسبهم فلعلهم اذا

اتوا باية او براهين يقولون انما كان ذلك بتعليم من احد واختلاف الى احد ممن يتعقل بمثل هذا
فبشهر الله منهم ليعلموا انهم اذا لم يتعلموا من احد ولا اختلفوا اليه انهم انما علموا ذلك بالله تعالى لا باحد
من البشر وانما علموا الا ترى ما اتى به موسى صلى الله عليه وسلم من الآيات من نحو العصا واليد
البيضاء وغير ذلك لو كان سحرا في الحقيقة لكان من اعظم آيات رسالته لانه لم يعرف انه اختلف الى
احد في تعلم السحر قط وقد نشأ بين اظهرهم فكيف ولم يكن سحرا فدلت انه بالله خلقه منة عظيمة فيما
بعث الرسل من انفسهم وقرابتهم وممن نشأ بين اظهرهم لعين الذي وصفنا والله اعلم وقيل قوله
رسولا من انفسهم اي من العرب معروف النسب اميا ليعلموا انه انما اتى به ما اتى بما وحيا
وانه لا يرتاب في رسالته وفيما يقوله كقوله ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الآية
وقوله يتلوا عليهم آياته يحتمل اعلام رسالته ونبوته ويحتمل الآيات الحجج والبراهين بما واحد
ويحتمل آيات القرآن وقوله ويزكيهم يحتمل التزكية من الزكاء والنماء ويحتمل الطهر ذكرهم والثناء
شرفهم ومدحهم حتى صاروا ائمة يذكرون ويقتدون بهم بعد موتهم كقوله قد افلح من زكاها
الطهر ولم يحتمل ذكره الا ترى انه قال وقد خاب من دساها اي اخفاها واخملها ويحتمل يزكيهم اي
يطهرهم بالتوحيد وقيل يزكيهم اي يأخذ منهم الزكاة ليطهرهم وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب
والحكمة انه ينصرف الى وجوه وقد ذكرنا في غير موضع وقوله وان كانوا وقد كانوا من قبل لفي
ضلال مبين وقد ذكرنا الضلال انه يتوجه الى وجوه الى الهلاك والى الحيرة والى خمول الذكر وغيره
وقوله او لما اصابتكم مصيبة يوم احد حيث قتل منكم سبعون فقد اصبتم مثليها يوم بدر
قتلتم سبعين واسرتم سبعين وقيل ان ذلك كله يوم احد كانت الدبرة والهزيمة على المشركين
في الابتداء ثم هزم المؤمنون يقولون ان اصابكم في آخره ما اصاب فقد اصابهم ايضا مثليها يذكر
هذا لهم والله اعلم على التسلي بما اصيبوا ليتسلى ذلك عنهم او يذكرهم نعمة عليهم بما اصيب
المشركون مثلي ذلك ليتسلوا واله عليها وليعلموا انهم لم يخصوا هم بذلك وقوله قلتم انى هذا
قل هو من عند انفسكم كانه يعاتبهم والله اعلم بقولهم قلتم انى هذا فقال قل هو من عند انفسكم كانه
يعاتبهم والله اعلم بقولهم قلتم انى هذا فقال قل هو من عند انفسكم يعاتبهم بتركهم الاستغفار
بالتوبة عما ارتكبوا من عصيان ربهم والخلاف لنبيهم صلى الله عليه وسلم اذ مثل ذلك الكلام
لا يكون الا من كان متبرئا عن ارتكاب المنهي والخلاف لامره فاما من كان منه ارتكاب المناهي
والخلاف لربه فلا ينبغي ذلك او كان ما اصابهم انما اصاب محنة منه ولله ان يمتحن عباده
بانواع المحن على يدي من يشاء اذ كلهم عبيده فعاتبهم لما لم يعرفوا المحنة وقلتم انى هذا ونحن
نقاتل في سبيل الله وهم مشركون فقال هو من عند انفسكم يقول بمعصيتكم الرسول صلى الله عليه
وسلم وترككم ما امركم به من حفظ المركز وغيره كقوله ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل قلتم انى هذا يخرج ان كان
من اهل النفاق مخرج الاستهزاء اي لو كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم من النصر له او الرسالة
حقا من اين يلي هذا وذلك كقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقولهم يوم الخندق
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وغير ذلك مما عليه معهودهم في اظهار الاسلام والله اعلم
وان كان ذلك من اهل الايمان فهو سؤال تعريف الوجه الذي بلوا به وهم انصار دين الله وقد
وعد لانصار دينه النصر وان الذي ينصره الله لا يغلبه شيء وكان قد وعد والقاء الرعب في
قلوب اعدائهم او بما كانوا رأوا الدبرة عليهم والهزيمة من الاعداء فيقولون بم انقلب علينا

الامر فبين ان ذلك بما قد عصوا ومالوا عن الله وان كان ذلك عن بعضهم لا عن جملتهم فجائز ذلك في المحنة
اذ قد يجوز الابتلاء به معا يكون ذلك عن المعاصي ازجر وللاجتماع على الطاعة ادعى اذ المحنة بمثله
تدعو كلا الى اتقاء الخلاف ومنع اخوانه ايضا عن ذلك فيكون به ائتلاف وصلاح ذات البين
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير من النصر والهزيمة ولكن ما اصابكم انما
اصاب بمعصيتكم ربكم وخلافكم رسوله صلى الله عليه وسلم او اصابكم محنة منه اياكم وقوله
وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين فباذن الله قيل فبمشيئة الله وارادته
وقيل فباذن الله بتخلية الله اياكم لما لعلهم رأوا النصر والغلبة بالكثرة او بالقوة والعدة
فخلا هو الله بينهم وبين عدوهم ليعلموا ان اشياء لهم مع قلتهم وضعفهم لا بنيتهم ولا من امثال ذلك
مع كثرة عددهم وقوتهم انما هو وعد نصر في سلاحهم ذلك بالله ليتبصروا من منهم ويتلبون عليهم
وقيل فباذن الله فبعلم الله اي بعلم الله ما يصيبكم من خير او شر ليس عن سهو وغفلة منه
يصيبكم وقوله عز وجل وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا لما ذكرنا فيما تقدم ليعلم ما قد علم
انهم سيظهرون ولا يصبرون على البلايا والقتال مؤمنين صابرين محتسبين وكذلك ليعلم ما قد
علم انهم سينافقون ولا يصبرون منافقين غير صابرين ولا محتسبين وقوله تعالى وقيل
لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قوله او ادفعوا يحتمل وجوها يحتمل او ادفعوا اي كثروا
السواد لان المشركين اذا رأوا سواد المؤمنين يرهبهم ذلك ويخوفهم كقوله عز وجل واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ويحتمل او ادفعوا العدو
عن انفسكم لما لعلهم يقصدون انفس المؤمنين المقاتلين او ادفعوا عن انفسكم واولادكم وذراريكم
ويقصدون ذلك او ادفعوا عن دينكم اذا قصدوا دينكم وقد يقصدون ذلك او ان يكون قوله
عز وجل قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا واحدا اي قاتلوا في سبيل الله وادفعوا والله اعلم وقوله
عز وجل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني المنافقين قيل قال المنافقون الذين تخلفوا في المدينة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال ذلك غيرهم وقوله عز وجل هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان يعني المنافقين اخبر انهم الى الكفر اقرب من الايمان للكفر والى الكفر ومن الكفر كل
ذلك لغة وفي حرف حفصة هم الى الكفر اقرب وتأويله والله اعلم ان المنافقين كانوا لا يعرفون
الله عز وجل ولا كانوا يعبدونه فانما هم عباد النعمة يميلون الى حيث مالت النعمة ان كانت مع
المؤمنين فيظهرون من انفسهم الوفاق لهم وان كانت مع المشركين فمعهم كقوله عز وجل الذين
يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم الآية وكقوله عز وجل ومن الناس من يعبد
الله على حرف الآية واما الكفار فانهم كانوا يعرفون الله لكنهم كانوا يعبدون من الاصنام والاوثان
لوجهين احدهما لما اتخذوها اربابا والثاني يطلبون بذلك تقربهم الى الله زلفى كقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى لكنهم اذا اصابتهم الشدة ولم يروا فيما عبدوا الفرج عن ذلك فزعوا الى
الله عز وجل كقوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فاذا ذهب ذلك
عنهم عادوا الى دينهم الاول وقوله عز وجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه الآية
واما المؤمنون فهم في جميع احوالهم في حال الرخاء والشدة والضراء والسراء مخلصين لله
صابرين على مصائبهم وشدائدهم قائلين انا لله وانا اليه راجعون وقوله هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان يحتمل هذا وجوها قيل انما كانوا كذا لانهم كانوا يقولون للمؤمنين الم نكن معكم
وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ذكروا كونهم مع المؤمنين

٢٧١

وذكروا انه لكانوا ان يستحوا ذهم عليهم ومنعهم عن المؤمنين فذلك ايه الا قرب منهم ويحتمل اقرب
منهم للايمان لان ما اظهروا من الايمان كذب والكفر نفسه كذب فما اظهروا من الايمان هو كذب
الى الكذب الذي هم عليه اقرب وهو الكفر وعن ابن عباس رضي الله عنه هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان قال هم يومئذ يسرون الكفر ويظهرون الايمان وهذا للمنافقين من علانيتهم وقوله
اولى من قوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وهو قوله وقيل وهم منهم اقرب لانهم كانوا في
الحقيقة كما قال عليه وسلم وقوله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يحتمل الزم واقبل كقوله
عز وجل ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها فيكون الوصف بالقرب على الوقوع
والوجوب كقوله عز وجل ان رحمة الله قريب من المحسنين اي هي لهم وبالله التوفيق وذلك لانهم
كانوا اهل نفاق والكفر لم يكن يفارق قلوبهم وما كان من ايمانهم كان بظاهر اللسان تدينا رياء في
اكثر اوقاتهم والله اعلم وقد يكون على القرب من حيث كانوا الشاكين في الامر والشاك في امر الكفر
والايمان تارك للايمان اذ حقيقته تصديق عن معرفة ولم يكن لهم معرفة والكفر قد يكون بالتكذيب
كان له بما يكذب علم بالكذب اولا فلذلك كان الكفر اقرب اليهم ويحتمل اقرب اليهم بهم وهم به
احق ان يعرفوا بما جعل الله لهم من اعلام ذلك في لحن القول نحو افعال الخير نحو احوال الجهاد مما
يظهر منهم من اثار الكفر في الاقوال والافعال بما جاء به القرآن والله اعلم فان قيل في قوله اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كيف عم هؤلاء بالعقوبة وانما
كان العصيان والخلاف في الامر من بعضهم لا من الكل قيل لما خرج ذلك لهم مخرج الامتحان والابتلاء
لا مخرج الجزاء والتطهير ولله ان يمتحن عباده ابتداء بانواع المحن من غير ان يسبق منهم خلاف في الامر
او عصيان وكل عقوبة خرجت مخرج جزاء عصيان او خلاف في امر لم يؤاخذ غير مرتكبها كقوله عز
وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى وما خرج مخرج الامتحان جاز ان يعمهم لما ذكرنا ان له ابتداء امتحان
وان كان ما كان منهم معونة غيرهم فعمهم لذلك بذلك كقطاع الطريق وكسراق اذا يعمهم
العقوبة جميعا من اخذ ومن لم ياخذ ومن تولى ومن لم يتول فكذلك هذا وكانوا جميعا كنفس واحدة
فعمهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل الذين قالوا لاخوانهم قيل لاخوانهم في الدين ومعارفهم
من المنافقين لو اطاعونا ولم يخرجوا الى الجهاد ما قتلوا وقيل قالوا لاخوانهم في النسب والقرابة
وليسوا باخوانهم في الدين والولاية كقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا ليس باخيهم في الدين في
الولاية ولكن كان اخوهم في النسب والقرابة لو اطاعونا وقعدوا عن الخروج الى الجهاد ما قتلوا
في الغزو ثم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم فادرءوا عن انفسكم الموت اي ادفعوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين بانهم لو قعدوا في بيوتهم ما قتلوا المعنى والله اعلم ان من قتل في
سبيل الله فمكتوب ذلك عليه ومن مات في بيته فمكتوب ذلك عليه فاذا لم تقدروا دفع ما كتب
عليكم من الموت كيف زعمتم انهم لو قعدوا ما قتلوا فهو مكتوب عليهم كالموت وفي هذه الاية ترد على
المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من قتل مات قبل اجله او قبل ان يستوفي اجله ثم والله [illegible] فيما
انكر الله عليهم قولهم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا سواء بقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قيل فيه بوجوه قيل ان المنافقين
قالوا للذين قتلوا باحد وببدر انهم ماتوا فانزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله باحد وببدر امواتا كسائر الموتى بل هم احياء عند ربهم وقيل قالوا ان من قتل لا يحيا ابدا ولا
يبعث فقال عز وجل بل يحيون لا يبعثون كما يحيي ويبعث غيرهم من الموتى وقيل ان العرب كانت

٢٧٢

تسمي الميت من انقطع ذكره اذا مات ولم يذكر ابدا لم يبق له احد يذكر به فقالوا اذا قتل هؤلاء ماتوا
اي لا يذكرون فاخبر عز وجل انهم مذكورون في الملا ملا الملائكة وملا البشر وهم الطاهرون
المعروفون في الخلق ان الشهداء مذكورون عند ربهم وقيل قوله عز وجل بل احياء عند ربهم اي تجري
اعمالهم بعد قتلهم كما كان تجري في حال حياتهم فهم كالاحياء فيما تجري لهم ثواب اعمالهم وجزاؤهم
ليسوا باموات وقيل او احياء تهم حياة كلفة وذلك انهم من واحيا انفسهم في الاخرة فقيل
المؤمنون ذلك احيوا انفسهم في الاخرة فسموا احياء لذلك والكفار لم يحيوا انفسهم بل اماتوها
فسمي اولئك احياء والكفار موتى وقيل سمي هؤلاء احياء لانهم انتفعوا بحياتهم وسمي الكفار امواتا
لما لم ينتفعوا بحياتهم الا ترى انه عز وجل سماهم صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بسمعهم ولا ابصارهم
ولا السنتهم وان لم يكن فيهم آفة ذلك المؤمنين لما انتفعوا بذلك كله فيقال لذلك سمي هؤلاء احياء لما انتفعوا
بحياتهم واولئك الكفرة موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم والله اعلم وقال الحسن ان ارواح المؤمنين
يعرضون على الجنان وارواح الكفار على النار فيكون ذلك لارواح الشهداء افضل لذة ما لا يكون لارواح
غيرهم من المؤمنين وكذلك يكون لارواح الكفار [illegible] فضل الم وشدة ما لا يكون لارواح غيرهم من
الكفرة فذلك فاستوجبوا بفضل اللذة على غيرهم اسم الحياة الا ترى انه قال تعالى يرزقون فرحين
فرحين بما اتاهم الله من فضله وقيل ان الناس كانوا يقولون فيما بينهم من قتل ببدر واحد مات
فلان ومات فلان فقال الله عز وجل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات وقوله عز وجل يرزقون
فرحين بما اتاهم الله من فضله روي عن مسروق قال سالت عبد الله بن مسعود عن هذه الاية
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية قال سالت عن ذلك رسول الله فقال ارواحهم عند
الله في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى
قناديلها الى الحديث بطوله وقوله عز وجل ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية
عن ابن عباس رضي الله عنه قال تنزل عليهم صحف مكتوب فيها من يلحق بهم من الشهداء فيكف
يستبشرون وقيل يستبشرون لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وامرهم بما قدموا عليه من الكرامة
والفضل والنعم الذي اعطاهم الله وقيل يستبشرون يعني يفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
يعني من بعدهم من اخوانهم في الدنيا [illegible] لانهم يستشهدوا فيلحقوا وقيل لم يلحقوا بهم من خلفهم
الذين يدخلون في الاسلام من بعدهم فاستبشروا بموالنعم او طلب البشارة كانهم طلبوا البشارة
لقومهم ليعلموا بكرامتهم عند الله ومنزلتهم كقول من قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين وقيل ان الحياة على ضربين حياة الطبيعي وحياة العرضي وكذلك الموت على وجهين
موت الطبيعي وموت العرضي ثم حياة العرضي على وجوه احدها حياة الدين والطاعة كقوله
عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه وحياة العلم والبصيرة والتيقظة سمي العالم حيا والجاهل
ميتا وحياة الزينة والشرف على ما سمي عز وجل الارض ميتة في حال يبسها وحية في حال خروج
النبات منها بقوله عز وجل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها وحياة
الذكر واللذة فجاز ان يكون الله لما اخبر انهم احياء عند ربهم ان يكون لهم حياة من احد الوجوه
التي ذكرنا حياة ذكر ولذة او حياة زينة وشرف او حياة العلم لهم باهل الدنيا على ما كان لهم قبل
ذلك او حياة دين وعبادة ان تجري عليهم اعمالهم على ما كان لهم قبل الشهادة وان كانت حياتهم
في الحقيقة ميتة في احكام الدنيا عند اهل الدنيا وهذا يقوي قولنا في المرتد انه اذا لحق بدار
الحرب يحكم في نفسه وماله بحكم الموتى في قسمة المواريث وقضاء الديون وغيرها ان

كان موتى في الحقيقة حي على ما حكم في اموال الشهداء وازواجهم حكم الموتى في حكم الدنيا لما لا يعودون الى
الدنيا وان كانوا عند ربهم احياء فعلى ذلك يحكم في نفس المرتد واموالهم حكم الموتى لما لا يعودون الى دارنا
وان كان موتى في الحقيقة حي عند الله لما جاز ان يكون حيا عند الله ميتا عندنا جاز ان يكون ميتا
عندنا حيا عند الله والله اعلم وحياة الطبيعي من حياة جوهره وما به يتوهم النفس وموت الطبيعي
من هلاكه وقوته ولا قوة الا بالله وموت المرض من حمله والله اعلم وقوله عز وجل يستبشرون
بنعمة من الله وفضل يحتمل بنعمة من الله اي بمن من الله كقوله عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا قيل
بدينه ويحتمل بنعمة من الله الجنة وفضل زيادات لهم وكرامات من الله عز وجل وقوله عز وجل
وان الله لا يضيع اجر المؤمنين اي لا يضيع من حسناتهم وخيراتهم وان قل وصغر كقوله عز وجل
يتقبل عنهم احسن ما عملوا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية
وقوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول قيل اجابوا الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم
الى ما دعاهم اليه واطاعوا فيما امرهم به من بعد ما اصابهم القرح اي الجراحة قيل دعاهم الى
بدر الصغرى من بعد ما اصابهم باحد القروح والجراحات فاجابوه بذلك قوله تعالى الذين استجابوا
لله والرسول الاية وقوله تعالى للذين احسنوا منهم في الاجابة له من بعد ما اصابهم الجراحة وشهدوا
القتال معه واتقوا الخلاف له وترك الاجابة ويحتمل اتقوا الشرك والمعاصي اجر عظيم في الجنة
وثواب جزيل والله اعلم وقوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
قيل ان المنافقين قالوا لاصحاب رسول الله بعدما انهزم كفار مكة وولوا دبرهم ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم يخوفونهم حتى لا يتبعوهم على اثرهم كذلك عادتهم لم تزل كقوله عز وجل
ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وقيل انه انما قال ذلك لهم رجل يقال له نعيم بن مسعود لا ندري
كيف كانت القصة وقوله تعالى فزادهم ايمانا لما وجدوا الامر على ما قال لهم رسول الله ووعد
لهم لا على ما قال اولئك فزادهم ذلك ايمانا اي تصديقا فزادهم قيل جراءة وصلابة وقوة على
ما كانوا من قبل في الحرب والقتال ويحتمل زادهم ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وتصديقا وقيل
قوله عز وجل فزادهم ايمانا اي تصديقا بقينا بجراءتهم على عدوهم ويقينهم بربهم واستجابتهم نبيهم
صلى الله عليه وسلم فان قال قائل ما معنى قوله عز وجل فزادهم ايمانا على اثر قوله عز وجل الذين قال
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وذلك قول لا يحتمل ان يزيد الايمان
ولبس كقوله عز وجل اذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لانها حجج والحجج تزيد التصديق او تحدث او تدعو
الى الثبات على ذلك فتزيد الايمان فقوله فاخشوهم كيف يزيد قيل يخرج ذلك والله اعلم على وجوه
احدها ان الفراد علموا انهم اهل النفاق وانهم يخوفونهم بذلك وقد كانوا وعدهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بصنيعهم فكذبوهم بذلك واقبلوا على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اجابة
لامره وتصديقا بوعده ومجانبة لاعترادهم باخبار اعدائه والنزول على قولهم فكان ذلك
منهم عند ذلك زائدا في ايمانهم معاني تكذيبهم ذلك نحو قوله عز وجل واما الذين في قلوبهم مرض الاية
انه اذا ازداد تكذيب ايات الله رجسا فمثله تكذيب المكذب بالايات لذلك يزيد ايمانا والله
اعلم والثاني ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم بتفرق اعداء الله وتشتت امرهم
واخبرهم المنافقون بالاجتماع فصاروا الى ما نعتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا
الامر على ما قال وذلك من انباء الغيب وانباء الغيب من اعظم ايات النبوة فزادهم ذلك ايمانا
والله اعلم وذلك قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الاية والثالث انهم لما لم يرتدوا ويتولوا

المنافقين ولا قصدوا الذلك ولا ضعفوا فانزل الله سكينته على قلوبهم فيزيد لهم بذلك ايمانا
كقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين الاية وبالله التوفيق ثم معنى زيادة الايمان
تخرج على وجوه احدها يجدد الايمان في حادث الوقت اذ له حكم التجدد في حق الانقلاب بما هو الكفر
به تارك وعلى ذلك قوله يا ايها الذين امنوا امنوا الاية فيكون ذلك يجدد الزيادة على ما مضى وان
كان يجدد في حق الحادث والثاني ان يكون له الثبات عليه والحجج التي توجب لزومه
والدوام عليه فسمي ذلك زيادة ويحتمل ان يكون يزداد له في امره بصيرة على ما رغب فيه ايام
وتحققه مراعاة فيكون في ذلك زيادة في قوته او في نوره او بزينته وتمامه وذلك امر معروف
ويحتمل ان يكون ذلك راجع الى محافظة حقوق والتمسك بادلته والوفاء بشرائطه فيزيد ذلك
فضله كما عدت صلاة واحدة في التحقيق التاما في ذلك من حفظ الحقوق ومراعاتها والله اعلم
وقوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فزعوا الى الله تعالى بما راوا من صدق وعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم وظهور كذب قول المنافقين ان الناس قد جمعوا لكم الاية او قالوا ذلك
عند قول المنافقين اياهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فوضوا امرهم اليه وسلموا الامر اليه
التصرف منه رضا منهم بكل ما يصيبهم كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون فمدحهم عز وجل بما قالوا وشهد لهم بذلك هذا وقوله عز وجل والله ذو فضل عظيم
اي ذو من عظيم بدفع المشركين عن المؤمنين وقوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل يحتمل النعمة
الدين على ما ذكرنا وقيل انقلبوا بنصر من الله والغنيمة ويحتمل النعمة من الله الامن من العدو
لان المنافقين كانوا يخوفونهم بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل النعمة الجنة
والفضل الزيادة على ذلك وقيل النصر والاجر من الله والفضل ما تشوقوا به من التسوق ثم
لم يمسسهم سوء ولا قتل ولا هزيمة وقوله واتبعوا رضوان الله اي اتبعوا العمل الذي به رضوان
الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ويحتمل اتبعوا طاعته ورضاه ويحتمل قوله بنعمة من الله
والفضل الزيادة في الايمان ومن الصلابة والقوة فيه وقوله لم يمسسهم سوء مما كانوا يخوفونهم
بقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل قوله فانقلبوا بنعمة من الله اي رجعوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وقوله انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون يخوف اولياءه
واعداءه لكن اعداءه لا يخافونه واولياؤه يخافونه كقوله انما تنذر من اتبع الذكر كان ينذر
من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن من اتبع الذكر كان يقبل انذاره ومن لم يتبع الذكر لا وان كان
ينذر الفريقين جميعا فعلى ذلك الشيطان كان يخوف اولياءه واعداءه جميعا لكن اعداءه
لا يخافونه واولياؤه يخافونه ويحتمل قوله يخوف اولياءه اي باوليائه وجائز هذا في الكلام كقوله
لتنذر يوم الجمع اي بيوم الجمع الا ترى انه قال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
فعلى ذلك قوله يخوف اولياءه اي باوليائه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه يخوفكم
اولياءه وهذا يدل على ابو بكر تاجرا من يتأول يخوف باوليائه والله اعلم وقوله فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين ان لا تخافوه لما لقيتم اياه وخافون اي خافوا مما لقيتم امري كقوله
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر
ان ليس له سلطان على الذين امنوا انما سلطانه على الذين يتولونه لذلك قال لا تخافوه لما ليس
له عليكم سلطان وخافوني لما عليكم سلطان وبالله العصمة وقوله ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر يحتمل الاية وجهين يحتمل ولا يحزنك الذين ظاهروا غيرهم من المشركين

عليكم وقد ظاهروا اهل مكة غيرهم من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
الله لرسوله لا يحزنك مظاهرة المشركين عليك فان الله ينصرك فيخرج هذا مخرج البشارة
له بالنصر على اعدائه والغلبة عليهم ويحتمل ايضا وجها اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يشتد عليه كفرهم بالله ويحزن لذلك كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين
فيخرج قوله لا يحزنك مخرج تسكين الحزن ودفعه عنه والتسلي على ذلك لا مخرج النهي اذ الحزن
٢٧٥ ياخذ الانسان ويأتيه من غير تكلف ولا صنع كقوله لا تحزن ان الله معنا هو على مخرج التسكين
والدفع عنه لا على النهي فكذلك الاول والله اعلم وكقوله لا تخافي ولا تحزني وقوله انهم
لن يضروا الله شيئا يحتمل قوله لن يضروا الله اي لن يضروا اولياء الله انما ضرر ذلك عليهم كقوله
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ويحتمل لن يضروا الله شيئا لانه ليس لله في فعلهم
وعملهم نفع ولا في ترك ذلك عليه ضرر انما المنفعة في عملهم لهم والضرر في ترك عملهم عليهم والله
اعلم وقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة هذه الاية تنقض على المعتزلة قولهم لان
الله يقول اراد ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا والمعتزلة يقولون بل اراد ان يجعل لهم حظا في
الاخرة اذ يقولون اراد لهم الايمان وبالايمان يكون لهم الحظ في الاخرة فثبت بالاية انه لم يكن
اراد لهم الايمان والاية في قوم خاص علم الله انهم لا يومنون ابدا فاراد ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة
ولو كان على ما يقوله المعتزلة بانه اراد ان يجعل لهم حظا في الاخرة لما اراد لهم ان يومنوا ولكن
لم يومنوا لكان حاصل قولهم اراد الله ان لا يجعل لمن اراد ان يومن في الاخرة وذلك جور عندهم
وبالله التوفيق وقوله ولهم عذاب عظيم وذكر مرة اليم ومرة شديد لان التعذيب
بالنار اشد العذاب في الشاهد واعظمه لذلك اوعد بها في الغائب وجعل شرابهم وطعامهم
ولباسهم منها نعوذ بالله من ذلك وقوله ان الذين اشتروا الكفر بالايمان قد ذكرنا تاويل
هذا فيما تقدم لن يضروا الله شيئا ثم ما ذكرنا انه على الوجهين اللذين وصفتهما والله اعلم
وقوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الاية اختلف في قراءتها قرا بعضهم
بالياء وبعضهم بالتاء فمن قرا بالتاء صرف الخطاب الى رسول الله عليه السلام فقال
لا تحسبن يا محمد انما نملي لهم خير لهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومن قراه بالياء صرف الخطاب
الى الكفرة فقال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم يكون خيرا لهم بل انما نملي لهم ليكون شرا
وانما لهم فالاية على المعتزلة لكنهم تاولوا على وجهين احدهما على التقديم والتاخير كانه قال
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم فيقال لو جاز حمل
الاية ومن فيها على ما حملتم عليه وصرفتم اليه لجاز حمل جميع الايات التي فيها وعد للمومنين وصرفها الى
الكافرين وما كان فيها وعيد للكافرين الى المومنين اذ لا فرق بين هذا وبين جعلكم الخير مكان
الاثم والاثم مكان الخير وبين جعل الوعد في موضع الوعيد والوعيد في موضع الوعد والوجه
الثاني قالوا اخبر الله عما يؤول امرهم في العاقبة لا ان كان في الابتداء كذلك كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم انهم لم يلتقطوا ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن
اخبار عما آل امره في العاقبة انه صار لهم عدوا وحزنا كذلك يقال للرجل سرقت ليقطع
وقتلت لتقتل ومعلوم انه لم يسرق ليقطع ولا قتل ليقتل ولكن اخبار عما آل امره وحاله في العاقبة
فكذلك هذا لكن لا اخبار عما يؤول الامر يخرج مخرج التنبيه عن السهو والغفلة في الابتداء
فالله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك يخرج ذلك مخرج التحقيق في الابتداء لا مخرج الاخبار

يؤول الامر في العاقبة وبالله التوفيق والثاني ان من اراد امرا يعلم انه لا يكون فهو لجهل يريد
ذلك او لعبث فالله سبحانه يتعالى عن الجهل بالعواقب او العبث في الفعل ولان الله كان يعلم ما اراد
فيصلي لا انما لم يرد ولو كان الله سبحانه لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين واخير لم يكن
٢٧٦ نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاعجاب بما اعطي الكفرة من الاموال والاولاد بقوله فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية لانه قد يعطى ما ليس باصلح في الدين ولا اخير والله اعلم
وقال الشيخ رحمه الله في قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها الاية وقوله
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك من
الايات فيها وجهان على المعتزلة احدهما قولهم في الاصلح ان الله لو فعل بالخلق شيئا غيره اصلح
لهم في الدين في حال المحنة كان ذلك جورا ومعلوم ان الفعل بهم ليزدادوا اثما لا يبلغ في الصلاح
في الدين الفعل بهم ليزدادوا به برا ومعلوم انه لو كان كذلك لم يكن يجوز ان يحذر رسوله عن ذلك
فيقول لا يعجبك كذا فكانه قال لا يعجبك الذي هو صلاح في الدين ثم يوكد ذلك بانه يجعل لهم ذلك
ليعذبهم بها ثم شهد على من حسب ما حسبته المعتزلة بانهم لا يشعرون فكان ذلك شهادة منه عز
وجل على كل من وافق رايه رايهم او رأي الكفرة انهم لا يشعرون ومعلوم ان الجبابرة والفراعنة لو
لم يجعل الله لهم تمكنا لحوائجهم والملك والقوة لم يكن يجترئوا على دعوى الربوبية ويبلغوا في
الماثم ما بلغوا فيكون صرف ذلك اصلح لهم في الدين وقد قال الله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ثم كان معلوما انه اذا كان بما جعل ذلك للكفرة يكفرون فلو
جعل للمومنين يومنون ثم لم يجعل كذلك وايد ذلك قوله انما يريد الله ليعذبهم بها الاية والثاني
ان الارادة اذ هي صفة لكل فاعل مختار في الحقيقة وقد اخبر لاي وجه اعطي ثبت انه اراد ذلك
مع ما كان المتعالم من فعل كل احد لا يخرج على ما اراده ولا يبلغ به ما لو فعل انه يكون على جهل او سفه
فالاول يكون فعله على ظن ان يكون ذلك فلا يكون والثاني اذا علم ان لا يكون فيكون له فعلا باستهانة
جل الله عن الوجهين ثبت ان فعله لما علم انه يكون لا لغيره فيلحقه به وصف جهل او سفه وبهما سقوط
الربوبية ثم وجهت المعتزلة الاية الى وجهين احدهما على التقديم والتاخير معنى ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم ليزدادوا خيرا وذلك فاسد لوجهين احدهما لو كان جعل
الخير شرا والشر خيرا بالتاويل وصرف الاية عن سننها لجاز ذلك في كل وعد ووعيد وامر
ونهي وتحليل وتحريم فيصير كل امور الدين معلولا والثاني انه لو كان كذلك لكان يجب ان يتجه
به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ على ذلك معجزا ولكانوا فيما حسبوا ان ذلك خير لهم يشعرون
لا انهم لا يشعرون مع ما قيل ولا يحسبن بالياء في بعض القراءة ومتى كان حسب الكفرة ذلك شرا
حتى بنوا على الحسبان والله الموفق والثاني قالوا ذلك خبر عما يؤول الامر اليه كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لا كذلك التقطوا وكمن يقول للسارق سرقت لتقطع
يدك وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب والذين قالوه انما هو تنبيه وايقاظ لقوم لا يذكرون عواقب
الامور فيحرصون عليها عن غفلة بالعواقب فاما الله سبحانه فهو المحال ان يكون امره على ذلك
فيكون فيما يذكره ذلك الا ترى ان احدا لا يقول ولدت للموت او بنيت للخراب لانه لا لذلك يفعل
ولا كان اليه يؤول وانما هو قول الواعظ لهم بما ذكرت لذلك بطل هذا وامر قوم فرعون لم
يقل ليكون لهم عندهم انما هو ليكون لهم عند الله وعلى ارادة الله وكان كذلك ولا قوة الا بالله وقد

بينا ما في الحكمة حقيقة من طريق الاعتبار ولاتوة الابالله والاصل في ذلك ان الله عالم بمن يؤثر عداوته ويعاند اياته فاداه انه لايكون منه ذلك كحاجة اليه في سوالاتهم او ايجاب غلبة عليه في بعض ما يريد جل الله عن هذا الوصف **وقوله** ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قيل فيه بوجوه قيل لايترك الله المومنين على ما انتم عليه ايها المنافقون ولكن يمتحنكم بالجهاد وبانواع المحن ليظهر المنافق لهم من المومن وقيل ليظهر الكافر لهم من المومن المصدق وقيل فيه بوجه آخر وذلك ان المنافقين كانوا يطعنون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن بهم فيخبر ان الله عز وجل لايدع المومنين على ما انتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء بهم ولكن يمتحنكم بانواع المحن لتفتضحوا وليظهر نفاقكم عندهم ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اي لايدع المومنين على ما انتم عليه من النفاق والكفر في دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى يميز فيها الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم الاية **وقوله** وما كان الله ليطلعكم على الغيب قيل فيه بوجهين قيل انهم كانوا يقولون لانومن حتى نوتى مثل ما اوتي الانبياء كقوله لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله ومثل قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة كلا فقيل ذلك قوله ما كان الله ليطلعكم على الغيب الا من اجتبا لوحيه وجعله موضعا لرسالته اي لايجعلكم رسلا او علم الغيب اية من ايات رسالته والله اعلم وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون فياتون باخبارها الى الكهنة قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الكهنة يخبرون بما يخبرهم من الكفرة فانزل الله وما كان الله ليطلعكم على الغيب بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا كما كنتم تطلعون على اخبار السماء قبل بعثه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي يصطفي من يشاء فيجعله رسولا فيوحي اليه ذلك اي ليس الوحي من السماء الى غير الانبياء ويحتمل قوله يجتبي من رسله من يشاء اي لايطلع منكم احدا على الغيب الا من اجتبا منكم لرسالته ويحتمل يجتبي من رسله من يشاء اي لاينسخ شرائعه واحكامه برسول اخر نحو ما بين موسى الى عيسى ان كان فيما بينهما نبي لم يجعل له احكام سوى احكام موسى ولكنه ابقى تلك الاحكام والشرايع وكذلك ما بين عيسى الى محمد فاجتبى هولاء لانباء شرايعهم واحكامهم والله اعلم **وقوله** فامنوا بالله ورسله ظاهر وان تومنوا برسله كلهم وتتقوا المعاصي فلكم اجر عظيم ويحتمل وان تومنوا وتتقوا الشرك فلكم كذا **وقوله** ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم في الدنيا والاخرة ولو لم يكتموا كان خيرا لهم في الدنيا ذكرا وشرفا وفي الاخرة ثوابا وجزاء وقيل نزلت في مانعي الزكاة بخلا منهم وشحا بذلك وعيد لهم والاول اشبه والله اعلم وان كان في الزكاة قيل الحق دونها كقوله الذين لايوتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون **وقوله** سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فان كان على التاويل الاول من كتمان نعته وصفته فهو والله اعلم يطوق ذلك في عنقه يوم القيامة ليعرفه كل احد كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وان كان على التاويل الثاني في ان الزكاة التي منعها تصير حية ذكرا شجاعا اقرع ذو زبيبتين ينهشه من يطوق بها في عنقه فتنهشه بنابيه حيثما يذهب عنه حتى يقضي بين الناس فلا يزال معه حتى يساق الى النار والله اعلم **وقوله** ولله ميراث السموات والارض في الاية دلالة ان اهل السموات والارض في الاية دلالة ان اهل السموات يموتون ليس على ما يقول الفلاسفة انهم لايموتون لانه اخبر ان له ميراث السموات والارض والوارث هو الذي يخلف المورث ودل انه ما ذكرنا وان كانوا هم وجميع ما في ايديهم لله عز وجل ملكا له وعبيدا الا ان له

روي في الخبر لايرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده سمي ما يكون للمولى من عبده ميراثا وان كان العبد وما في يده ملكا للمولى فعلى ذلك الاول سمى الله عز وجل ذلك ميراثا له وان كانوا هم عبيده وما في ايديهم ملكا له والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ولله ميراث السموات والارض وكانت له لاعن الميراث لايجيء احدهما على الاخبار عن ذهاب اهلها وبقائه عز وجل دايما اذ ذلك وصف المواريث ان يكون لمن له البقاء بعد فناء من تقدم والله هو الباقي بعد فناء الكل معنا يجوز القول بما هو له في الحقيقة من قبله بالميراث من حيث ملك غيره الانتفاع من ذلك وعلى ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لايرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده وليس ذلك في الحقيقة ميراث اذ كان له في حال حياته ولكن كان ولاية الانتفاع به فزال وعلى مثل هذا وراثة المسلمين الجنة لا على انتقال من غيرهم اليهم ولكن على بقائهم فيها وحصول امرها لهم او على وراثة ما لو كان من لم يومن آمن وما ادعوا انها لهم بقولهم لايدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فصارت ميراثا لغيرهم ما ادعوا انها لهم والله اعلم والثاني ان يملك كل بالموت حقيقتها انها له فاضيفت اليه بالميراث عنهم كما قال ويرد والله حقيقة واليه المصير والمرجع ونحو ذلك من غير غيبته عنه ولكن مما يبطل كل ذاك وكذلك قوله والامر يومئذ لله وهو في الحقيقة في كل يوم له ولاقوة الا بالله وفي الذكر والاخبار ان له ميراث تحريض على الانفاق والترود او هي في الحقيقة لغير اهلها وانما لهم ما ينفقونه ويتزودون دون ما يمسكون وفيه منع الامساك وذلك كقوله وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض الاية والله بما تعملون خبير وعيد منه اياهم **وقوله** لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قيل لما نزلت من ذي الذي يقرض الله قرضا حسنا الاية قالت اليهود ربكم يستقرض منكم ونحن اغنياء وليس في الاية بيان ان ذلك القول انما قاله اليهود او غيرهم من الكفرة ولكن فيه انهم قالوا ذلك فلا ندري من قال ذلك ولا نجزم انه اي احد بعينه الا بنيان ثم يحتمل ذلك القول منهم وجوها يحتمل ان يكون قال ذلك اوائلهم على ما قال في قتل الانبياء وهو لانه لم يقتلوا ولكن انما قتلهم اوائلهم اضيف ذلك اليهم رضا منهم بصنيعهم فعلى ذلك القول الذي قالوا يحتمل ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هو لا قالوا ذلك بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشهدهم او قالوا ذلك في سر فان قال ذلك اوائلهم فانه يحتمل وجهين يحتمل ان يكون الله تعالى اعلم ذلك رسوله تصبيرا منه اياه وتسكينا ليصبر على اذى الكفار حيث قالوا في الله ما قالوا فكيف فيه والله يحتمل ان يكون اعلم ذلك ليكون اية من ايات رسالته وان كانوا قالوا ذلك بحضرة اصحابه ففيه ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا من التسكين والتصبير على اذاهم والثاني ليعلموا ان جميع ما يقولون محفوظ عليهم ليس بغايب عنه ولا غافل عنه كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم الاية لكنه يوخر ذلك الى وقت وان كانوا قالوا ذلك سرا ففيه ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا ان يكون اية من ايات رسالته ليعلموا انه انما علم ذلك بالله على علم منهم انه لم يكن فيما بينهم من ينهي الخبر اليه والثاني خرج على التعزية له والتصبير على اذاهم ثم معنى قوله اقرضوا الله قرضا حسنا ومن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يحتمل وجهين احدهما ليلا تمنوا على الفقراء بما يتصدقون عليهم اذ يعلمون انه ليس بفقير ولا محتاج فيستقرض لنفسه ولحاجته وكل من اقرض آخر لا لحاجة له في ذلك القرض ولا فقره ولكن ليكون ماله عنده محفوظا

في الشاهد فانه لا يمن المقرض عليه بل تكون المنة للذي عنده القرض على المقرض حيث يحفظ
ماله في الشفاع فيلي ذلك المال الذي يقرضون و يتصدقون على الفقراء يكون محفوظا عند الله
ليوم حاجتهم اليه فلا منة تكون على الفقير والله اعلم والثاني انبا عن وجوده وكرمه لان العبد
وما في يده له فلو ان ياخذ جميع ما في يده لكان له ذلك ثم يطلب منه يبدل بيضا عن على
ذلك والثالث ان المولى اذا طلب من عبده القرض يكون في ذلك شرف للعبد وعظم فعلى
ذلك الله سبحانه اذا طلب من عبده القرض على علم منه في انه غني بذاته لا يجب ان يستحل عليه وفي
ذلك شرفه وعظمه والله اعلم وقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير قالت
اهل التفسير قالت اليهود وذلك تنبيه بصنيعهم وشدة سفههم حتى زعموا ان يد الله مغلولة لكن
ليس في الاية بيان القايلين ولا في النسبة الى احد منفع سوى خوف الكذب لو لم يكن ذلك منه لكنهم
قالوه والاغلب على مثله ان يكونوا قالوه سرا يكون في اظهاره اية الرسالة او كانت الاوايل يقولون
فيكون في ذلك ذلك اذ لا يحتمل ان يصبر لمثله بيان بحضرة الصحابة الا ان يكون في وقت امروا
بالكف فيكون في ذلك بيان قدر رضا عنهم لله مع عظيم ما سمعوا من القول وجملة ذلك ان في كر
ذلك دعا الى الصبر الجلي اذا هم سوء قولهم اذ هم مع تقلبهم في نعم الله وعليهم بانعام قالوا ا
ن الله فقير اخبر الله عليه بمثل هذا القول وبلغ عتوهم هذا اذ الله جل ثناه مع قدرته
وسلطانه يحكم عنهم ليوم وعدهم فيه الجزاء فمن ليس منه اليهم نعمة ولا تقدم عليهم منه كثير منة
احق بالصبر لاذا هم واعراض عن مكافاتهم وعلى ذلك قوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله الاية وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وقوله سنكتب ما قالوا قيل سنجزيهم جزاء ما قالوا وقيل سنحفظ ما قالوا وسنثبت وما الزم
كقوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه والله اعلم وقوله وقتلهم الانبياء بغير حق قد ذكرنا
هذا فيما تقدم انه يحتمل ان قتل اوايلهم فاضيف اليهم لرضاهم بفعلهم كقوله من قتل نفسا بغير نفس
فكانما قتل الناس جميعا لرضاه بقتله فان قيل ما الحكمة في قوله وقتلهم الانبياء بغير حق والانبياء
صلوات الله عليهم لا يرتكبون ما يجب به قتلهم كقوله ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله
الاية اطلق القول فيه من غير ذكر اكتساب شي يستوجب به ذلك وشرط في المومنين اكتساب
ما يستوجبون به كقوله والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا الاية فكيف ذكر
ههنا القتل بغير حق وهم لا يستوجبون به القتل قيل يحتمل قوله بغير حق اي بغير حاجة لانهم
كانوا يقتلون بلا منفعة تكون لهم في قتلهم على ما قيل انهم كانوا يقتلون كذا كذا نبيا ثم يهيج لهم
سوق البقل فاذا كان كذلك يحتمل قوله بغير حق اي بغير حاجة كقول لوط هولا بناتي هن
اطهر لكم فقالوا ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة والله اعلم ويحتمل قوله وقتلهم الانبيا
اي قصد وانصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه قد قتلوه او قتلوا اصحابه فاضيف
اليه والله اعلم وقوله ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق وقد ذكرنا هذا وقوله
ذلك بما قدمت ايديكم ذكر الايدي لما بالايدي تقدم وان لم يكن هذا منه مما باليد في الحقيقة
وكذلك قوله بما كسبت ايديكم لما باليد يكتسب والله اعلم وقوله الذين قالوا ان الله
عهد الينا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان قيل انهم لما دعوا الى الاسلام يعني اليهود قالوا
ان الله عهد الينا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار وكان ذلك اية في بني اسرايل
فسال اليهود من محمد ذلك صلى الله عليه وسلم وقيل كان من قبلنا في الامم الخالية ذلك فسالوا من

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وذكر لما لم يكن القربان من ايات النبوة والرسالة ان كان فهو
من ايات التقوى كقوله واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من
الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين كان القربان من ايات التقوى لا نرى انه قال يا محمد
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم يعني القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الله
عهد الينا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار الذي ان كان ذلك من ايات النبوة لم قتلتم
الانبياء الذين اتوا به او لم قتل اوايلكم الانبياء اذا اتوا بالقربان ان كنتم صادقين انه من ايات النبوة
او ان كنتم صادقين انه عهد اليكم ان لا تومنوا به حتى ياتي بقربان والله اعلم وفي قوله ايضا عز وجل
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فهو والله اعلم ا
ادعوا ان اوايلهم ادعوا الذي ذكروا من العهد وهم تبعوا اوليك فهم صنع من بدعوهم احتجوا
ليكون لهم فيه اية اتاكم بهم بما احتج [illegible] المتقدمين في ذلك فبطل عذرهم اذ هم قتلوهم
فلا يجوز تصديقهم على العهد الذي ادعوا وذلك صنيعهم او يقولوا اخبروا بالعهد عن ان كان
كذبا وباطلا فبطل حجاجهم على ان في الاية انما يتقبل الله من المتقين فجعل ذلك اية التقى لا اية النبوة
والاصل فيه انا لما عرفنا ايات الرسل عليهم السلام لا بد كون القربان بين ثبت ان هذا الذي ادعوا
ليس هو بشيء جاء به الرسل عليهم السلام ولكنه حيل التبسها بتلقين الشياطين وجهم لذلك لم يجب الذي
ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فان كذبوك يا محمد في القول وما جيت من ايات تدل وتوضح
انك رسول الله وانك صادق في قولك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات يعزي نبيه صلى
الله عليه وسلم ويصبره ليصبر على اذاهم وتكذيبهم اياه كما صبر اوليك على اذاهم وتكذيبهم
كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وفي قوله تعالى ايضا فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك وجوه احدها ان يصبره على ذلك عاله فيه اخوان صبروا على عظم ذلك عليهم وذلك
في قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني على رفع العذر عنه في ترك الابلاغ ان ذلك
لم يمنع من تقدمه والثالث على الانبيا القوا اصحاب تقليد في التكذيب لا اذ يكذبوا عن محنة وطلب
فذلك اقل للتاذي به ولتوهم الارتياب في الانبيا ليستيقن من حضره وصدقه ان ذلك منهم على
الاعتناد والتقليد دون المحنة والظهور والله اعلم وقوله بالبينات قد ذكرناها فيما
تقدم في غير موضع وقوله تعالى والزبر قيل احاديث الانبيا من قبلهم بالنبوة على ما يكون وقيل
الزبر هي الكتب اي جاوا بالبينات والزبر يعني الكتب والكتاب المنير قيل الزبر والكتاب واحد
وقيل الكتاب المنير هو الذي فيه الحلال والحرام والاحكام المكتوبة عليهم والمنير هو الذي
انار قلب كل من تمسك بالهدى كما قيل في الفرقان انه يفصل ويفرق بين الحق والباطل والله اعلم
وتسمى كتب الله كلها فرقانا ومنيرا بما يفرق بين الحق والباطل ويبين السبيل حينا والله اعلم
وقوله تعالى كل نفس ذايقة الموت فيه دلايل احدها دليل اثبات الرسالة لانه ليس في العقل
ان لا تبقى هذه الانفس ابدا ولا تدوم ولا فيها انها تموت ثم وجود العلم من كل منهم بالموت
والتسليم له والاقرار منهم ان كل نفس تموت يدل ان انما عرفوا ذلك واتيقنوا به من خبر السما
بالوحي والله اعلم ثم ان كل حي يتلذذ بحياته ويحب ذلك اليه ويكره الموت ويبغضه ولان
هذا العالم يكون بالطباع ولكن لما كان بغيره لا يتلذذ طبع كل منهم بالحياة ويكره بالموت ويبغض
به اذ لو كان به لكان يختار ما يتلذذ به ويدفع ما يكره به فدل ان غيرا فعل ذلك وخلق لما
ذكر خلق الموت والحياة الاية وفي ذلك بطلان قول اصحاب الطبايع وايضا ان كل نفس تجمع

منها الطبايع المختلفة المتضادة التي من طبعها التنافر لم يجز ان يكون بنفسه يجتمع دل ان له جامع
وايضا ان العالم لو كان بنفسه وطبعه لاختار كل لنفسه احوال الاحسن الاحوال والذها فيبطل
منه الشرور والقبايح فدل وجود ذلك على كونه بغيره ثم فيه ان ذلك الغير الذي كان به العالم
واحد لا عدد اذ لو كان لعدد لم يحتمل وجود العالم على الطبايع المختلفة والهمم المتفرقة لما
جمع هذا ما فرق الاخر وما اثبت هذا نفى الاخر وفي ذلك فساد الربوبية فدل وجوده على ما ذكرنا
انه واحد لا عدد فاتسق تدبيره ونفذ امره مع ما كان الامر المعتاد بين الملوك في الشاهد
الا من فعل هذا ينقض الاخر وما دام هذا بجاهه يريد الاخر اعدامه وما ابقى هذا اراد الاخر افناءه
وفي ذلك تناقض وتنافي فدل الموجود على ان الذي به كان واحد لا عدد ثم لا يحتمل على الاصطلاح
منهم لانه يدل على الجهل والعجز او العجز او الجهل هو الذي حملهم على الاصطلاح والعاجز والجاهل
لا يصلح ان يكون الها وبالله التوفيق ثم الدلالة على حكمته وعلمه تمام تباين شيء ولا شيء هذه
الا وفيه حكمة عجيبة ودلالة بديعة بما يعجز الحكماء عن ادراك ماهيته وكيفية خروجه على ما خرج
وعلم كل احد منهم بقصور علمه على ما عنده من الحكمة والعلم عن ادراك كنه ذلك فيما ذكرنا وخروج
الفعل متقنا محكما دلالة حكمة مبدعه وخالقه وبالله التوفيق ثم الدلالة انه لم يخلق الخلق للفناء
خاصة ولكن خلق للعواقب ما امل فيرجى ويخاف وما يخرج فعل كل احد في الشاهد من الحكمة
اذ بني للفناء والنقض فاذا كان الحكمة التي هي جزء تخرج فعله عن الحكمة اذا كان ذلك للفناء والهلاك
خاصة وخروج الكل عن ذلك لذلك احرى واولى ان يكون سفها لا حكمة والله الموفق قال
وللت طمانينة القلوب بموت كل نفس وترك حكما البشر الاحتيال في دفعه على ما ليس في الجوهر
دليله ولا في العقل امتناعه انه عرف ذلك بمن له التدبير فيها بالوحي اليهم وفي ذلك ايجاب القول
بالرسل ثم دل فيه جميع الحكما به على حب الحياة اليهم وبغض الموت عندهم على خروج جميع الاحيا
عن تدبيرهم وفي خروجهم خروج الاموات اذ هو تحت تدبير الاحياء ثم في طمانينة كل قلب على الموت
دلالة التدبير للواحد اذ لو كان لاكثر لجوز التمانع وابطال الواحد من الوحي وفي ذلك ايجاب
مع ما كانت كل نفس تحت امور تنصرها وتحرجها الى امور تعلم ان مدبرها هياها على ذلك
وطبعها انه العليم بما به صلاحها وقوامها واليه كاجتهاد على ذلك جبلها ليظهر عظيم حكمته
وتعاليه عن الشرك في التدبير اذا المعونة في التدبير ثم لا يحتمل فنون مثله على ما جرى عليه من حكمته
في موت كل انه كان للموت انشا لا للفناء اذ تدبير فعل واحد للفناء خاصة من حكما البشر يخرج عن معنى
الحكمة ويدل على تصور صاحب ذلك وسفهه فجملة العالم الذي كانت حكمة الحكما جزء منها
وعقل العقلاء بعض منها احق واولى ثبت انما انشئت ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين
ويوم تجزى كل نفس بما كسبت وذلك قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الاية و **قوله** عز وجل وانما
توفون اجوركم يوم القيمة لما ذكرنا انهم لها خلقوا فيهم الاخرة بجزاء الثواب و **قوله** عز وجل فمن
زحزح عن النار قيل بعد ونحي عنها وادخل الجنة فقد فاز قيل فاز نجى وقيل سعد وقيل الفائز
الناجي وقيل فاز غنم واصل الفوز النجاة اي نجا مما يخاف ويحذر ويظفر بما يامل ويرجو
عز وجل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وحياة الدنيا للدنيا غرور كقوله عز وجل انما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال حياة الدنيا للدنيا لعب ولهو
وغرور وللاخرة ليس بلعب ولا لهو ولا غرور واصل الغرور ما يتراءى في ظاهره حسنا
مموها فيغتر بها كل ناظر اليها ظاهرا فاذا نظر في باطنها وجدها قاتلة مهلكة نعوذ بالله من الاغترار

فيها وقيل الحياة الدنيا على ما عنده اولئك الكفرة لعب ولهو وعند المؤمنين حكمة و **قوله**
عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم يحتمل الابتلاء في الاموال والانفس ان يبلوا بالنقصان
فيها كقوله عز وجل ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس الاية ويحتمل ان يبلوا
بما جعل فيها من العبادات من الصلاة وغيرها والجهاد والحج وغيرهما من العبادات والله اعلم و **قوله**
عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعني الذين لهم علم بالكتاب ومن غيرهم اذى كثيرا كقوله
عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك و **قوله** تعالى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا امثالهم
على ما صبروا اولئك واشكالها فان ذلك من عزم الامور فقيل من خير الامور هذا يحتمل وقيل
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومن الذين اشركوا يعني العرب
اذى كثيرا يعني نصب الحروب فيما بينهم والقتال والسب وغير ذلك وان تصبروا على ذلك
والطاعة له وتتقوا معاصي الرب فان ذلك من عزم الامور يعني من حزم الامور و **قوله** عز وجل
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي الذين اوتوا العلم بالكتاب واخذ الميثاق ليبيننه
اي ليبينوا للناس ما في الكتاب من الامر والنهي وما يحل وما يحرم وغير ذلك من الاحكام ولا يكتموه
ويحتمل ان اخذ عليهم الميثاق ان يبينوا للناس بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ولا يكتموه بالتحريف
وبترك البيان و **قوله** عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم اي لم يعملوا بما فيه ولا بينوا للناس لكن
كالمنبوذ وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا الاية قد ذكرنا معناه في غير موضع وعن علي رضي
الله عنه قال ما اخذ الله ميثاقا على اهل الجهل بطلب العلم حتى اخذ ميثاقا من اهل العلم ببيان
العلم لان العلم كان قبل الجهل و **قوله** تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا قيل بما غيروا من
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابهم وكتموه وبدلوا الكتاب واحباب الناس في ذلك
وحمدهم على ذلك وقيل ان اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك
ونصدقك وليس ذلك في قلوبهم فلما خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم المسلمون
ما صنعتم فيقولون عرفناه وصدقناه فيقول المسلمون احسنتم بارك الله فيكم فيحمدهم المسلمون
على ما اظهروا من الايمان وهم يحبون ان يحمدوا على ذلك فذلك تاويل قوله ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا وقيل انهم قالوا نحن اهل الكتاب الاول واهل العلم واهل الصلاة والزكاة ولم يكونوا
كذلك واحبوا ان يحمدوا على ذلك والله اعلم بالقصة وفي قوله عز وجل ايضا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الاية دلالة لما ذم الله عباده واوعدهم عليه
اليم عذابه فيما احبوا الحمد على ما لم يفعلوا اعلى تعالى الرب عن قول المعتزلة في قولهم الشي به في
الايمان قد بين سوى الامر ولا صنع وقد احب ان يحمد عليه بقوله عز وجل انعمت عليهم وبقوله عز
وجل ولكن الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته في غير موضع من
القرآن ولا قوة الا بالله قال الله تعالى والله على كل شيء قدير امتدح جل ثناؤه بادخال كلية الاشياء
تحت قدرته وبه خوف من عاند نعمته واطمع من خضع له عظيم ثوابه فلئن جاز اخراج شيء
تحت القدرة عن قدرته لا يحتمل الخوف عما خوفه والرجاء فيما اطمعه اذ لم يظهر على ذلك
قدرته الا بقوله وهو على كل شيء قدير وما لا صنع لاحد في شيء الا باقداره ومحال ان يقدر على ما لا
يقدر هو عليه او يزول به قدرته لما فيه ما ذكرت فلذلك قلنا في بطلان قول المعتزلة باخراج
افعال صنع الخلق عن قدرة الله وامتناعه عن تدبيره ولا قوة الا بالله قال الله عز وجل ان
في خلق السموات والارض الى قوله عز وجل لايات لاولي الالباب نتوكل وبالله نستعين اخبر الله

٢٨٣

او فيما ذكر آيات لمن ذكر ومعلوم ان الآيات انما احتيج اليها لمعرفة امور غائبة عن الحواس يوصل
اليها بالتأمل والبحث عن الوجوه التي لها جعلت تلك الاشياء المحسوسة التي تغني عن الادلة
دخولها تحت الحواس عن تكلف العلم بها بالتدبير فلا علم الحواس هو علم الحس وذات وذا اول
علوم البشر الذي منه يرتقي الى درجات العلوم فيلزم طلب ذلك فبطل به قول من قال ان العلوم كلها
ضرورات لا تقع بالاكتساب ولا يلزم الخطاب دون تولي الرب انشاء العلم في القلوب بحقيقة
ما فيه الخطاب اذ ذلك يرفع حق الطلب ويستوي فيه الموصوف باللب وغير الموصوف والمتفكر
في الامور وغير المتفكر وقد قال الله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية وفي ذلك
دليل ان المقصود مما ظهر ليس هو ما ظهر اذ لزم التفكر بالذي ظهر ليوصل به الى العلم بالذي له
انشا الذي ظهر وبعلم ما خفي الذي دليله وعلمه وهذا لكل انواع العلوم ان منها ظاهر مستغن
بظهوره عن الطلب وخفي يطلب بما له في الذي ظهر من اثر ينبئ عنه المتأمل والله اعلم وفي ذلك
دليل لزوم التوحيد بالكتب اذ صيرها آيات لمن له ذلك واول درجات الآيات انه يعرف منشئها
وجاعلها آيات والله اعلم ثم دل اتصال منافع السماء والارض على بعد ما بينهما حتى قام بها
وحي جميع من دب على وجه الارض وانتفع بشيء في اتصال الليل بالنهار في منافع كل حي على تضاد
ما بينهما حتى صارا كالمتشاكلين والسماء والارض كالقرينين على ان منشئ ذلك كله واحد وانه لو
اختلف الانشاء لتناقض التدبير وبطل وجوه النفع وان الذي انشأ ذلك عليم علم كيف يرتب
لاتصال المنافع واجتماعها لتقوم على اختلاف ما بينهما وانه حكيم وضع كل شيء على ما لو تدبر الحكماء
فيه لم يكن يعرف اتصالا اقرب في المنافع على اختلاف في الجواهر وتضاد في الاحوال ابلغ من ذلك
بل يقصر حكمتهم عن الاحاطة بوجوه الحكمة او الظفر بطرف منها الا بمعونة من دبر ذلك سبحانه ربنا
وذلك مما يدل على قدرته وعلو سلطانه اذ سخر ذلك كلها لبذل ما فيها من المنافع لمن جعلها له
وجعل البعض على بعض سلطانا وقهر ليعلم ان التدبير يرجع الى غير ذلك وبعلم ان من قدر على ذلك
وهو قبل خلق المنتفعين بما خلق على اي تدبير ولهم عليه لقادر على اعادة مثله والزيادة منه
على انواع ذلك اذ كل امر له حق الابتداء كان ذلك ابعد عن التدبير مما له حق الاحتذاء بغيره او الاعادة
مع ما كان في اعادة الليل والنهار وجعل كل من ذلك يمضي واذا كان الذي مضى مرة دلالة كافية للبعث
والقدرة عليه والله الموفق ومنها انها جعلت على تدبير يعرف صاحبها منشئها وانه دبرها
على ما فيها من وجود الحكمة التي صارت الحكمة جزء استفاد فنون العلم التي ينال بالتأمل فيها مما يوضح ان
الذي ابدعها حكيم عليم بما فيها من آثار الاحكام والاتقان الكافية في الانباء عن الانشاء بالحكمة
وان الذي ابدع ذلك ليس بعابث ولا سفيه ثم معلوم ان الفعل للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة
ثبت ان ذلك غير مقصود فصار المقصود من ذلك وجها يبقى ثبت انه مع هذه دار اخرى يبقى فيها
المقصود وحصلت تحت الجزاء وفي ذلك لزوم المحنة والقول بالرسالة ليعلم بالوحي كيفية وجوه المحنة
مع ما لم يخل شيء من ان يكون فيه اثر دلالة من غيره ان كان منه ما يستحق ذلك فثبت انه في حق الابتداء
او لا وشكر المنعم في المعقول فيجب به وجهان احدهما القول بالرسل لبيان وجوه الشكر اذ النعم
مختلفة واصل الشكر يتفاضل على قدر المنعمين وكذلك النعم تتفاضل على قدر تفاضل متناولها
لا بد من بيان ذلك ممن يعرف حقيقة مقادير النعم وجلاله حق المنعم وبالله التوفيق فكان فيها
آيات الرسالة والتوحيد وحكمته وقدرته وعلمه وجلاله عن الاشباه والشركاء وتعاليه عن
احتمال الشرك في صنعه او الشبه في فعله على انه كلية كل من سواه تحت القدرة وسموا المتعالي عن

٢٨٤

ذلك وفيه دلالة البعث لما ذكرت ولما اذ لزم الشكر بما ذكرت لزمت العقوبة بالكفران وقد يخرج
المخرج به فيما غير تعاطي النعم وفي الحكمة والعقل عقوبته لزم ان يكون ثم دار اخرى مع ما
كان خلق الخلق لا لمن يعرف الحكمة من السفه والولاية من العداوة والحجر من الشر والرغبة من الرهبة
لا معنى له بما فيه تضييع الحكمة وجمع بين الذي حقه التفريق في الحكمة والعقل وذلك آية السفه
وتعالى كونه من الحكمة صفته والعدل نعته فلزم خلق الممتحن بالذي ذكرت فصار جميع الخلائق
للمحن ثم لا بد من ترغيب وترهيب اذ على مثله جبل محتمل المحن فلزم به القول بالدار الاخرى وثبوت
البعث ليكون احداهما حق الابتداء الثقة والاخرى حق الاستحقاق والجزاء وان كان فيه التكليف بلا جزاء
الثابت للنعم ولا قوة الا بالله والمعاقبة واجبة في الحكمة بالجفاء والكفران وبالله التوفيق **وقوله**
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قيل بعيد من العذاب بل لهم عذاب اليم **قوله** عز وجل
ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير يشبه والله اعلم ان يكون هذا جوابا
لقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء اي كيف جاز نسبة الفقر اليه
والحاجة وله ملك ما في السموات وما في الارض ونسبة الغنى الى انفسكم وانتم عبيده واماؤه
وما في يد العبد يكون لمولاه وان يكون جوابا لقولهم قالوا اتخذ الله ولدا اي كيف يجوز ان يتخذ
ولدا وله ملك ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه والولد في الشاهد انما يتخذ
لاحد وجوه ثلاثة اما لوحشة اصابته فيستأنس به او لحاجة تبدو له فيدفع به او لقهر غلبه
يخاف من عدوه فيستنصر به على اعدائه او يرث ملكه اذا مات فاذا كان والله له ملك السموات
والارض تعالى عن ان يصيبه شيء من ذلك كيف جاز لكم ان تقولوا اتخذ ولدا وان كان الخلق كلهم
عبيده واماءه وانتم لا تتخذون الاولاد من عبيدكم واماءكم كيف زعمتم انه اتخذ ولدا من عبيده
وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون لا يقدر على خلق فعل العبد
وعلى قولهم غير قادر على اكثر الاشياء وهو تعالى اخبر انه على كل شيء قدير **وقوله** عز وجل ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب في الآية وجوه احدها
خلق السموات والارض للبشر ولمنافعهم لانه خلقها لا لانفسهما لا منفعة لهما بخلقه اياهما
حتى يكون خلقه لانفسهما اذ خلق الشيء لا لمنفعة احد او للفناء خاصة عبث فاذا كان ما ذكرنا
انه لا منفعة لهما في خلقهما دل انه انما خلقهما لمنافع البشر وسخرهما لهم ثم جعل منافع السماء مع
بعدها من الارض متصلة بمنافع الارض حتى لا تقوم منافع الارض الا بمنافع الاخرى فيصيرهما
كالمتصلين لاتصال المنافع مع بعد ما بينهما فدل ان هذا ان الذي انشأهما واحد وكذلك اختلاف
الليل والنهار وهما مختلفان احدهما ظلام والآخر نور وتفنيان الاعمار وتقربان الآجال وليس
بينهما في مرأى العين تشابه ولا تشاكل اذ احدهما ظلام والآخر نور وهما متضادان لكن خلقهما
لمنافع البشر والمقصود بخلقهم بنو آدم لا لنفسه على ما ذكرنا ان لا منفعة لهم في خلقهم ثم
صيرهما مع اختلافهما وتضادهما كالمتشاكلين لاتصال منافع بعضها ببعض دل ان منشئهما
واحد وانه عليم حكيم حيث جمع بين المتضادين المختلفين وصيرهما كالمتشاكلين ومما لعلم وحكمة
وتدبير صار كذلك وفيهما دلالة البعث لانهما يفنيان حتى لا يبقى من الليل اثر حتى يجيء النهار ويذهب
النهار ايضا حتى لا يبقى من النهار اثر ثم يجيء الآخر لا يدرى ان كذلك فاذا كان قادرا على خلق الليل والنهار
من غير اثر بقي من النهار وكذلك قادر على انشاء النهار من غير ان بقي من الليل اثر ظلام لقادر
على ان ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وان فنوا وهلكوا ولم يبق اثر فاذا كان ما ذكرنا من خلق

السموات والارض وما فيهما لمنافع البشر وهو المقصود في خلقهما لا غير وهو من الخلائق لما
ركب فيهم من العقول والبصر الذي بهما يميزون بين المنافع والمضار وبين الخبيث والطيب
وبين الحسن والقبيح ولم يركب ذلك في غيرهم من الخلائق لا بد من امر ونهي يامر باشياء
وينهى عن اشياء ويمتحنهم على ذلك اذ هم اهل التمييز والفهم والبصر فاذا كان ما ذكرنا لا بد
٢٨٥
ايضا من دار اخرى يجزي بكرم المطيع فيها والولي ويعاقب العدو فيها والعاصي ولا قوة
الا بالله وقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يحتمل هذا ان جعل
الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الاحوال نحو ان جعل القيام نعمة في
قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل القعود راحة له عند الاعياء وكذلك الاضطجاع
فاشتغلوا هم بالشكر له في كل نعمة على حال من تلك الاحوال ومدحهم على ذلك اذ اشتغلوا ويحتمل
ان يكون تعالى امرهم ان يذكروه في كل حال في حال الرخاء والشدة وفي الضراء والسراء لا في حال
دون حال على ما يفعله بعض خلقه يذكرونه في حال الشدة والضراء ولا يذكرونه في حال الرخاء
واليسر ويذكرونه في حال الرخاء واليسر ولا يذكرونه في حال الشدة والبلاء فمدح المؤمنين انهم
يذكرونه على كل حال لا على ما يفعله اهل الشرك على غير ارادة القيام ونفس القعود والاضطجاع
ولكن على كل حال في كل وقت والله اعلم وقيل انه جاء في رخصة صلاة المريض يصلي قائما ان
استطاع والا فقاعدا فان لم يستطع والا فمضطجعا وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال ذلك وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اذ في خلقهما دليل
وحدانيته وشهادة ربوبيته ربنا ما خلقت هذا باطلا اي عبثا ولكن خلقتهم دليلا على وحدانيته
وشاهدا على ربوبيته وقوله عز وجل سبحانك هو للتبرئة والتنزيه هو انباه عن العيب
وتبرئة منه وتطهير عما يقول الكفار وهو حرف يتقدم عند حاجات ترفع اليه ودعوات يدعى
بها وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل اذللته وفضحته واهنته وما
للظالمين من انصار اي مانع يمنع عنهم العذاب ويدفع ويحتمل الانصار الاعوان اي ليس
لهم اعوان يعينونهم في الآخرة وقوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان يحتمل هذا
وجهين احدهما على حقيقة السمع ان سمعوا مناديا يدعوهم الى الايمان وهو رسول الله صلى الله
عليه وسلم او القرآن كلاهما يدعوان الخلق الى الايمان بالله ويحتمل قوله سمعنا اي عقلنا وعقل
كل احد يدعي الى التوحيد والايمان به وقيل سمعوا دعوة الله فاجابوها وصبروا عليها وعن
ابن عباس رضي الله عنه المنادي محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرا لانذركم به ومن بلغ الاية
وعن غيره المنادي هو القرآن يدعوهم ان امنوا بربكم فامنا ربنا ثم فيه دلالة ان لا ثنيا في
الايمان لانهم اطلقوا القول في الاخبار عن ايمانهم من غير ذكر حرف الثنيا دل ان الايمان مما
لا يحتمل الثنيا وقوله ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا قيل قوله اغفر لنا ذنوبنا
التي كانت فيما مضى من عمرنا وكفر عنا سيئاتنا اي اعصمنا فيما بقي من عمرنا او وفقنا للحسنات
التي تكفر سيئاتنا لما انه يلزم العبد التكفير لما اساء وقيل المغفرة والتكفير كلاهما سواء
لان المغفرة هو الستر وكذلك التكفير ولذلك سمي الحراث كفارا لسترهم البذر في الارض
وكذلك الكافر سمي كافرا لستره الحق بالباطل ولستره جميع ما انعم الله عليه بتوجيه الشكر الى
غيره والله اعلم وقوله وتوفنا مع الابرار يحتمل قوله توفنا مع الابرار اي توفنا واجعلنا
مع الابرار ويحتمل توفنا من الابرار وفي الابرار ثم اختلف في البر قيل هو الذي لا يؤذي

احدا وقيل الابرار الاخيار ويحتمل توفنا على ما عليه توفيت الابرار وتوفنا ابرارا والبر
الطاعة والتقوى ترك المعصية وقوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك قيل فيه بوجهين
قيل واتنا ما وعدتنا على السن رسلك على اضمار السن كقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
٢٨٦
كبيرا وقيل ما وعدتنا على رسلك اي ما جعلت عليهم من الاستغفار للمؤمنين كقوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وكقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب اغفر لي ولوالدي الاية
وكقول نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ثم بيننا وبين
المعتزلة كلام في الاية قالت المعتزلة يجوز الدعاء والسؤال عنه بما قد اعطي وما عليه ان
يعطي نحو ما ذكر من السؤال بما وعد وما وعد لا شك انه يعطي وانه لا يخلف الميعاد ونحو قوله
قل رب احكم بالحق وهو لا يحكم بالجور واما عندنا ان السؤال عما عليه ان يعطي يخرج مخرج الدعاء
له ربنا لا تجر ولا تظلم لان هذا الابتهال الا من يخاف الجور منه والظلم او يميل الى ذلك
عليه والسؤال عما قد اعطي محال لانه يخرج مخرج كتمان ما اعطي او البخس عنه ما يعطيهم فيخرج
مخرج السخرية به لذلك بطل السؤال والله اعلم ثم تاويل الاية عندنا على وجوه احدها
قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك يحتمل ان يكون الوعد منه لرسله باستغفار الرسل اذا كان
من المؤمنين استغفار وسؤال كقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول الاية ووعد لهم المغفرة لهم باستغفار الرسول اذا كان منهم استغفار وسؤال
عن التوبة فعلى ذلك الوعد منه باستغفار الرسل اذا كان منهم استغفار وسؤال بقوله
اجعل وعاي وعما من جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم مستغفرا انما يستغفر له وكقوله ايضا
لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا والثاني يحتمل ان يكون الوعد لهم اذا
ماتوا على ذلك فالدعاء كان منهم والسؤال انه اذا انا نقر بمثبتهم على الايمان على ما كانوا احياء
والمغفرة والرحمة حينئذ تكون لهم الاولى انه قال من جاء بالحسنة فله كذا او لم يقل من عمل بها
فله كذا ولكن ذكر بجيئه بها فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وفيما ذكر
من تاويل الاية في الابتداء كفاية من ذلك والله اعلم والثالث يدعو ليجعلهم من الجملة الذين
كان لهم الوعد غير مبين لمن هو فسالوا ان يجعلهم في تلك الجملة والله اعلم وقوله
عز وجل فاستجاب لهم ربهم هذا يدل ان الوعد لهم كان مقرونا بشرط السؤال لانه قال
فاستجاب لهم والاستجابة تكون على اثر السؤال كقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان الاية وقوله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او
انثى بعضكم من بعض قيل من الخلق كلهم لكن جعل جزاء اعمال الكفرة في الدنيا كقوله تعالى
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون واما المؤمنون في الدنيا والاخرة واما الكفار
فانما يعطيهم ابتداء ليس لجزاء وقوله عز وجل نوف اليهم اعمالهم اي نردها عليهم وهم
لا يبخسون اي لا يتهمون وقيل قوله منكم اشارة الى المؤمنين خاصة كقوله عز وجل والمؤمنون والمؤ
منات بعضهم من بعض الاية وقوله عز وجل فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
الاية الذين هاجروا الى الله تعالى ورسوله طوعا واخرجوا من ديارهم اي اضطروا وهو حتى
خرجوا من ديارهم مهاجرين واوذوا في سبيلي اي في طاعتي وقاتلوا حتى قتلوا ويحتمل هذه الكلمة
ان يكون بعض طوعا وبعض اخرجوا من ديارهم حتى هاجروا وقاتل بعض حتى قتلوا او قاتل
بعض ولم يقتلوا وقيل بعض وقوله ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار الاية تاويلها

ظاهر وقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل يحتمل تقلبهم وجوها وذلك
منة من الله عليهم لتركهم يتجرون في البلدان مع كفرهم وقهرهم والثاني اعطاهم اموال التي يتمولونها
بها ويتلذذون والثالث ما اخر عنهم العذاب والهلاك والموت يقول لا يغرنك يا محمد ذلك
انما هو متاع يسير ومصيرهم الى النار كقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وكقوله
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما الاية قال والنهي
للاغترار في نفس التقلب لانه جهد ومشقة ولكن لما فيه من الامن والسعة والقوة والنية قوله
تعالى متاع قليل ثم قال لكن الذين اتقوا منهم وسعيهم للاخرة متاع لا ينقطع وقوله
تعالى لكن الذين اتقوا ربهم يعني الشرك لهم جنات تجري الى اخر ما ذكر نزلا من عند الله يحتمل
ان يكون الاخر ما ذكر في بعض التفاسير ان بعض المؤمنين قالوا ان الكفار في خصب ورخاء
ونحن في جهد وشدة فنزل لا يغرنك تقلبهم في ذلك انما هو متاع قليل وذلك ثوابهم في الدنيا واما
ثواب الذين اتقوا ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الى اخر ما ذكر وقوله وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم يعني القرآن وما انزل اليهم يعني التوراة ثم اختلف في نزوله قال
بعضهم نزل في شان عبد الله بن سلام واصحابه اقروا بانه واحد لا شريك له وصدقوا رسوله
صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه الاية وقيل نزل في شان النجاشي وروي عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال ناس من المنافقين يصلي على حبشي مات في
ارض الحبشة فانزل الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية وعن الحسن قال لما مات
النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم قالوا يا رسول الله لذلك العلج
فانزل الله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية وقيل لما صلى عليه قال المنافقون صلى على من
ليس من اهل دينه فانزل الله الاية وعن الزهري عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي
الله صلى على النجاشي فكبر عليه اربع تكبيرات وصففنا في المصلى خلفه وكان مات بالحبشة
قال والنوازل على وجهين من نزل بسببه خير وسعة فله به فضل لانه كان مفتاح الخير ومن نزل
بسببه ضيق فعليه فضل لوم كانه مفتاح الضيق واما الاحكام فانه ينظر الى ما فيه نزل فيترك
فيه الخلق ولا يجوز ان يقال نزل في شان فلان انما نزل لما في شان فلان لا في شانه وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اصبروا قيل على اداء الفرائض والعبادات وقيل اصبروا على البلايا
والمصائب والشدائد وصابروا في الجهاد لعدوكم وقيل اصبروا على امر الله وفرائضه وصابروا
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله في المواطن وعن الحسن قال امروا ان يصبروا على
دينهم الذي ارتضى الله لهم وهو الاسلام ولا يدعوا دينهم لشدة ولا لرخاء ولا ضراء ولا سراء
حتى يموتوا وان يكونوا يصابروا الكفار حتى يكونوا هم يملوا عن دينهم وامروا ان يرابطوا المشركين
وقيل اصبروا على الجهاد وصابروا العدو ورابطوا اي داوموا على دينكم واتقوا الله لعلكم
تفلحون قال والصبر في نفسه خاصة في طاعة يصبر عليها ومعصية يصبر عنها وفي البلوى
والمصابرة مع غيره وقد يكون كل واحد على المعنيين لانه لا يخلو عن مصابرة عدو فيما يطيع
ربه وقيل ورابطوا مع عدوكم ما اقاموا واتقوا الله فيما امركم به فلا تدعوا ذلك مع نبيكم
وذو واما تفاكر عنه سورة النساء بسم الله الرحمن الرحيم قوله يا ايها
الناس اتقوا ربكم في كل ما كان الخطاب للكفرة ذكر الله تعالى على اثر حجج وحدانيته ودلائل
ربوبيته لانهم لم يقروا به قوم نحو ما ذكر يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

الاية وكقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الاية وكقوله عز وجل
يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ونحوه كثير وذلك يخرج والله اعلم لما يدعوهم
الى معرفة الصانع وتوحيده لينظروا وانهاه ليتفكروا ويتذكروا انها ظاهرة لهم وان في كل ما كان الخطاب
للمؤمنين لم يذكر حجج الوحدانية ولا دلائل الربوبية لانهم قد عرفوا ذلك قبل الخطاب ولكن ذكر
على اثره نعمه التي انعمها عليهم وثوابه الذي وعد لهم نحو قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا الى اخر ما ذكر ذكر نعمه التي انعمها
عليهم وكقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين الى ما ذكر على هذا يخرج
الخطاب في الاغلب وقوله اتقوا ربكم قيل اتقوا عذابه ونقمته وقيل اتقوا عصيانه
في امره ونهيه وقيل اتقوا الله بحقه في امره ونهيه وقوله الذي خلقكم من نفس واحدة
اضاف خلقنا الى ادم اذ الانسان في النطفة قال وذلك اضافة خلقنا من ادم وان لم يكن انفسنا
مستخرجة منه على امرين احدهما جائز اضافة الشيء الى الاصل الذي اليه المرجع وان بعد ذلك
عن الراجع اليه على التوالد والتناسخ والثاني انا لم نكن بابداننا فيه وان اضيف خلقنا اليه اذ
لو كنا فيه لكنا منه نحو الاخراج لا نحو الخلق منه وذلك يبطل قول من يجعل صورة الانسان في
النطفة مع الاحالة ان تكون معا في التراب او النطفة اذ هما من التراب الخارج من اجتماع
الذكر ونحن احياء وذا كون والله اعلم وقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اي فرق
ونشر والظهر منهما اولادا كثيرا ذكورا واناثا وقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
قوله تساءلون به اي اتقوا الله الذي تساءلون بعضكم من بعض اي يسال بعضكم من بعض الحوائج
والحقوق به يقول اسالك بوجه الله وبحق الله وبالله ويسال بعضكم من بعض بالرحم يقول الرجل
لاخر اسالك بالرحم وبالقرابة ان تعطيني وقوله والارحام روي عن ابن عباس رضي الله عنه
يقول اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الارحام وصلوها وقرئ بالنصب والخفض والارحام
والارحام فمن قرأ بالنصب يقول اتقوا الله فلا تعصوه واتقوا الارحام فلا تقطعوها ومن قرأ
بالخفض يقول اتقوا الله الذي تساءلون به وبالارحام وروي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا الله وصلوا الارحام فانه ابقى لكم في الدنيا وخير لكم في الاخرة والاية في الظاهر على
العظة والتنبيه وكذلك قوله ان الله كان عليكم رقيبا هو على التنبيه والايقاظ وقوله
جل وعز واتوا اليتامى اموالهم يحتمل هذا وجهين احدهما احفظوا اموالهم الى ان يخرجوا
من اليتم فاذا خرجوا من اليتم اعطوهم اموالهم ويحتمل قوله واتوا اليتامى اي انفقوا عليهم من
اموالهم ووسعوا عليهم النفقة ولا تضيقوها لينظروا الى اموال غيرهم واتوا بمعنى تؤتوا الوقت
الخروج من اليتم اي احفظوا لتؤتوا وقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اي لا تاخذوا الخبيث
فتتركوا لهم مما وعد لكم في الاخرة بحفظ اموالهم وقيل لا تاخذوا الجياد من ماله وتعطي الردي من
ماله فذلك تبديل الخبيث بالطيب وقيل لا تاكلوا الخبيث وهو اموال اليتامى وتذروا الطيب
وهو اموالكم اشفاقا على اموالكم ان تبقى وقيل لا تاكلوا الحرام مكان الحلال لان اكل مال اليتيم
حرام واكل ماله حلال فنهي ان يبدلوا الخبيث بالطيب ويحتمل لا تاخذوا ماله وهو خبيث ليؤخذ
منك الذي لك وهو طيب ويحتمل لا تاكلوا ذلك ابتداء لا اموالكم التي طيبها الله تعالى لكم بما جعل
الله لكم خبيثا ويحتمل لا تاكلوا اموالهم في الدنيا فيكون هي نارا تاكلونها فتتركوا الموعود
لكم في ابتداء الخبيث كقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وقوله ولا تاكلوا

أموال اليتامى إلى أموالكم يحتمل هذا والله أعلم وجهين يحتمل قوله أموالهم إلى أموالكم أي مع أموالكم
أي لا تخلطوا أموالهم مع أموالكم فتأكلوها فنبّه بهذا عن الخلط والجمع ويحتمل أموالهم إلى
أموالكم أي بأموالكم فنبّه أنه نهى عن أكل أموالهم بأموالهم تبعاً كقوله ولا تقربوا مال اليتيم
إلا بالتي هي أحسن وقوله ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم بمعنى لا تجمعوها إليها فتأكلوها معاً
ويحتمل مع أموالكم والله أعلم وقوله حوباً كبيراً قيل حوباً أي قيل الحوب الإثم وهو
واحد وقيل خطأ وقيل ذنباً كبيراً أو قيل إثماً وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقوله
وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع اختلف في
تأويله قيل إنهم كانوا يخافون من أموال اليتامى ويتحرجون منها لكثرة ما جاء من الوعيد فيها
فنزل هذا أي فإن خفتم وتحرجتم من أموال اليتامى فكذا فتحرجوا من الزنا وانكحوا ما طاب لكم من
النساء الآية وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت نزلت في يتامى النساء تكون عند الرجال فتكون
اليتيمة التي هي عند الرجل وهي ذات مال فلا ينكحها لشوهتها ولا ينكحها ضناً بما لها لتموت
فيرثها وإن نكحها أمسكها على غير عدل منه في أداء حقها إليها ولا ولي لها سواه يطالبه بحقها فأنزل
الله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فذروهن ولا تنكحوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء
وروي عنها أيضاً أنها سئلت عن هذه الآية فقالت نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في
جمالها ومالها وينقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق وأمروا
بنكاح من سواهن من النساء قالت عائشة رضي الله عنها واستفتى الناس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن إلى قوله وترغبون أن
تنكحوهن فأنزل الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها
ونسبها في إكمال الصداق وإذا كانت مرغوباً عنها في شهوتها وقلة ما لها تركوها وأخذوا غيرها
من النساء قالت فكما تتركونها حين ترغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا
لها ويعطوها حقها الأوفر من الصداق وقيل لما أنزل الله تعالى إن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلماً الآية ترك المؤمنون مخالطة اليتامى وتنزهوا عنها فشق ذلك عليهم فاستفتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخالطتهن وكان يكون عند الرجل عدد من النساء ثم لا يعدل
بينهن فأنزل الله تعالى فإن خفتم الحرج في مخالطة اليتامى فكذلك خافوا جمع النساء وترك
التسوية بينهن في النفقة والجماع ثم من الناس من يبيح نكاح التسع بقوله مثنى وثلاث
ورباع فذلك تسعة وأما عندنا فإنه لا يحتمل ذلك لأن معنى قوله مثنى وثلاث ورباع مثنى
أو ثلاث أو رباع لأنه قال وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة استثنى الواحدة إذا خاف أن لا يعدل
بينهن فلو كان ما ذكر لكان لا معنى لاستثناء الواحدة منهن ولكن يقول وإن خفتم ألا تعدلوا بين
التسع فثمان أو سبع أو ست فلما لم يستثن إلا واحدة دل أن التأويل ما ذكرنا مثنى أو ثلاث
أو رباع على الانفراد وأن ما ذكر في القصة أنه كان عند الرجل عدد من النساء عشر أو أكثر
أو أقل يخرج ذلك على بيان ما يحل من العدد وذلك أربعة وروي أن رجلاً أسلم وتحته ثماني
نسوة فأسلمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر منهن أربعاً وفارق البواقي وفي الخبر
بيان منتهى ما يحل من العدد دون وجه الحل فاحتمل أن يختار أربعاً على استقبال النكاح
وقوله فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية قيل فيه بوجوه أحدها أنه قال
إذا خفتم الجور في كفالة اليتامى فاتقيتموها فخافوا في كفالة النساء فلا تكثروا منهن والثاني

٢٨٩

أنه إذا خفتم في أموال اليتامى فتحرجتم فتحرجوا من أموالهن إليكم إشفاقاً على أنفسكم أن تأكلوا مهورهن
فلا تأخذوا من النساء مواقعتهن من وجه يحرم عليكم فانكحوهن والثالث أنه إذا خفتم الجور في يتامى النساء
لو تزوجتموهن من حيث ليس معهن من يمنعكم من ظلمهن فانكحوهن من غيرهن ممن إذا جرتم فيهن
منعتم عن ذلك لكنه معلوم أن الحد في عدد النساء لخوف الجور وبما علم الله من عجز البشر على
ما جبل عليه اختيارهم لا يقومون وفاء الحق في أكثر مما ذكر وقوله فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ليس
على الحكم والحتم ولكنه أدب لأنه وإن خاف أن لا يعدل فتزوج أربعاً جاز وهو مثل الذي نهى
الإضرار في المراجعة وأمر بالقصد فيها والعدل فإن فعل ذلك أثم والرجعة صحيحة وكذلك
كالأمر بالطلاق في العدة والنهي في غير العدة ثم إذا طلق في غير العدة وقع فكذلك إذ خفتم
أن لا تعدلوا في واحدة لأنه ليس للإماء قبل سادتهن حق الجماع والقسم منكم ما شاء وكانت
قال هذا أو هذا لما ليس لأكثرهن غاية فله أن يجمع ما شاء من الإماء في ملكه وليس له أن يجمع
بالنكاح أكثر من أربع ولو كان التأويل ما ذهب إليه لم يكن لقوله أو ما ملكت أيمانكم وجه وفيه
إذن بتكثير العيال مع ما أن كثرة العيال معدودة من الكرم إذا أحسن إليهم لم يحتمل أن يزهد
فيه وقوله ذلك أدنى ألا تعولوا قال بعض أهل العلم إن قوله تعالى أن لا تعولوا من كثرة
العيال وهو قول الشافعي لكن هذا لا يستقيم في اللغة لأنه يقال من كثرة العيال أعال يعيل
إعالة فهو معيل ولا يقال عال يعول وإنما يقول ذلك في الجور فإن قيل روي في الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال ابدأ بمن تعول قيل تأويله والله أعلم ابدأ بمن يلزمك نفقته أي
ابدأ بمن تصير جائراً بترك النفقة عليه وكذلك يقال عال يعول عولاً إذا أنفق على عياله
وليس من كثرة العيال في شيء ألا يرى أن على الرجل أن يبدأ بمن يعول فلو كان قوله كذلك أدنى أن
لا تعولوا من العيال لكان المتزوج واحدة ذا عيال وأن قول الله تعالى أن لا تعولوا والمتزوج
واحدة يعولها فدل بما ذكرنا أن قوله أن لا تعولوا أي لا تجوروا ولا تميلوا على ما قيل وعن عائشة
رضي الله عنها أن لا تعولوا أي لا تميلوا وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله والعول هو المجاوزة
عن الحد ولذلك سمي الحساب الذي إن زاد على أصله عولاً لمجاوزته الحد فيكون ذلك العول
ههنا هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وهو الجور وقوله وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ليس
بشرط لمنع القول ولأنه لا وجه لمعرفة حد الخوف الذي يجعل شرطاً للجواز وكل عدل يخاف
أدنى خوف بل جميع أمور الدين هو على الخوف والرجاء ولأنه يوجب جهل النساء ممن يحل له النكاح
ويحرم إذ لا يعرف ذلك ومتى حرم عليه حرم عليها ولا يحتمل أن يجعل للحل شرطاً لا يوصل إلى
حقيقته ولظهور الجور في الأمة على الابتلاء في النكاح فضلاً عن خوفه مع ما في قوله ولن تستطيعوا
أن تعدلوا الآية دلالة ظاهرة وكذلك في قوله وإن امرأة خافت من بعلها الآية وقوله وإن
خفتم شقاق بينهما وقوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وقوله وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة عن ابن عباس رضي الله عنه نحلة قال المهر وقيل النحلة الفريضة أي أعطوهن فريضتهن
وقيل نحلة أي عطية أي تعطي هي لا وليها وهو من النحل وقيل نحلة من نحلة الدين أي من الدين
أن تؤتوا النساء صدقاتهن ليس على ما كانوا يفعلونه في الجاهلية يتزوجون النساء بغير مهور وفي
نفيه أن لا لأهل الكفر النكاح بغير مهر وقوله فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً
مريئاً وفي الآية دلالة جواز هبة المرأة من زوجها ونقض قول من لا يجيز هبة المرأة بما لها
حتى تلد أو تبقى في بيته سنة فيجوز أمرها وفي الآية أيضاً بأن المهر لها حيث أضاف

٢٩٠

٢٩١

الاحلال والهبة والمهر بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفيه دليل
ايضا ان هبة الدين للبرآءة منها جايزة كما جازت هبة المراة مهرها فهو دين وقيل
فيه بوجه آخر وهو ان الآبآء في الجاهلية والاوليآء كانوا ياخذون مهور بناتهم فامرهم عز
وجل ان لا ياخذوا ذلك وحكم بان المهر للمراة دون وليها الا ان تهبه له فيها فيحل حينيذ وقوله
جل وعز فكلوه هنيئا لا داء فيه ومريئا لا اثم فيه وقيل الهنيء من اللذيذ الشهي الذي يلذ
عند تناوله وبعده والمريء الذي تحمد عاقبته ثم ان الحكمة في ذكر الهنيء والمريء هنا وجهان
احدهما ما ذكر في الايات من الوعيد باخذه منها بقول جل وعز لا تاخذوا واخذنه شيئا اناخذ
بهتانا الى قوله بعضكم الى بعض لئلا يمتنعوا عن قبول ذلك للوعيد الذي ذكر في الايات
والثاني ان الامتناع عن قبول ما يبذله الزوجة يحمل في حدوث المكروه ويورث الضغاين
وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما وقيل قوله عز وجل وآتوا النسآء صدقاتهن نحلة فيه
بطيبة انفسكم يقول لا تعطوهن مهورهن وانتم كارهون ذلك لكن آتوهن وانفسكم به طيبة
اذا كان المهور لهن دونكم وقوله فان طبن لكم اي ما طابت به انفسهن من غير كره الى حلال لك
وعن علقمة انه قال اطعمني من الهنيء المريء وعن علي رضي الله عنه قال اذا اشتكى احدكم شيئا
فليسئل امراته ثلاثة دراهم من صداقها ثم يشتري بها عسلا ثم يشربه بما السمآء فيجمع
الله تعالى الهنيء المريء والشفاء والماء المبارك وفي قوله ايضا جل وعز فكلوه هنيئا مريئا
ان النفقة وان كانت عليه فهي اذا قامت بها في نفسها لا يخرج هو لان نفقتها عليها ليس باعظم
من نفقته من مالها اذا تطيبت ووصفه بالهنيء والمريء بما ربما يستثقل الطبع من مالها
كراهة الامتنان او بما كان عليه كفارتها او بما جرى من الوعيد الشديد في منع مهرها او بما
قد تحتشمه فتبذل له او بما يوهم الطمع في مالها والرغبة في النكاح لذلك فطيبه الله
تعالى حتى وصفه نهاية ما يحتمل المال من الطيب وفيه بيان جواز معروف وتاكيد وترغيب في حسن المعاشرة
بينهما حتى ابقى ذلك بعد الفراق بقوله عز وجل الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
الاية وذلك اخص ما يورث المحبة والمودة او بدؤها اذ جعل الله بينهما بقوله ومن اياته ان
خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها روي عن عبد الله عتبة رضي الله عنه قال
قال عمر بن الخطاب ينكح العبد اثنتين ويطلق اثنتين وتعتد الامة بحيضتين فان لم
تحض فشهر ونصف وعن علي رضي الله عنه انه قال لا يحل للعبد ان ينكح فوق اثنتين وعن
عبد الرحمن بن عوف انه قال يتزوج العبد اثنتين وعن عمر رضي الله عنه انه قال لابن
مسعود ما يحل للعبد من النسآء قال اثنتين قال عمر ذلك ارى وعن الحكم قال اجتمع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان العبد لا يجمع من النسآء فوق اثنتين فهؤلاء
ستة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن
عوف وعلي وابن مسعود والفضل بن عباس والانصاري اتفقوا على ان العبد يتزوج
اثنتين ولا يتزوج اكثر من ذلك وايضا عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الامة تطلق تطليقتين وتعتد حيضتين فان احتج محتج بعموم الاية ان الله تعالى
قال مثنى وثلاث ورباع ولم يذكر عبدا ولا حرا فهو على عمومه قيل في الاية دليل ان
الخطاب للاحرار وهو قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسآء فهو على من له النكاح بنفسه والعبد

مسألة في العبد لا يتزوج اكثر من اثنتين

٢٩٢

يكون له النكاح بغيره بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامايكم فكان
المخاطب بنكاح العبيد مواليهم لعبيدهم لا ان ينكح المرء الا باذن مولاه ومولاه يزوجه اذا شآء
بغير امره فانما الخطاب لمن له ان يتزوج اذا شآء والعبد من ذلك خارج الا ترى انه قال
جل وعز او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك ملك اليمين فدل ان الخطاب راجع الى الاحرار
دون العبيد فان قيل فقد جعلتم للعبد ان يطلق الحرة ثلاثا فجعلتم له من الطلاق مثل الذي
جعلتموه للحر فيجب ان تجعلوا له من تزوج النسآء مثل الذي تجوز للحر قيل الفرق بينهما ان الطلاق
عندنا بالنسآء لان الحر يطلق امراته الامة تطليقتين فتحرم عليه والتزوج بالرجال لا ينظر
فيه الى النسآء فللعبد ان يتزوج النصف من تزوج الحر كما ان عدة الامة وطلاقها على
النصف من عدة الحرة على ما روينا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون للعبد
في المراتين شيئا نصف ما للحر من الاربع وروي عن الحسن انه قال في قوله ولا تؤتوا السفهآء اموالكم
فيكونوا ايتاما ما عليكم ولكن كونوا انتم قيما ما عليهم وقيل لا تؤتوهن اموالكم فيكونوا اربابا عليكم
وكونوا اربابا باموالكم عليهم ومن صرفها الى اليتامى جعل معنى قوله عز وجل اموالكم
كقوله لا تقتلوا انفسكم وكقوله فسلموا على انفسكم عبيدكم تردوه في البيوت فعلى ذلك اضافه
اموال اليتامى الى الاوليآء و قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهآء اموالكم الاية فالسفيه في الحقيقة
من يفعل عملا لخطاب كان جاهلا في الحقيقة او لما قد يلحقه العار به اذا ضيع الحدود وتعاطى
الافعال الذميمة وعلى ذلك ما جاء الكتاب بتسفيه علماء اهل الكتاب ثم قد يسمى الجاهل
به لما الجهل من السبب الباعث على فعل السفه فقوله لا تؤتوا السفهآء اموالكم يحتمل الوجهين
وأي الامرين كان وفيه التحذير للمعنى الذي بين من قوله التي جعل الله لكم قياما ما ما اذا كانت
قياما للمعاش او للمعاد او لهما وطريق الانفاق في الوجهين والامساك لهما التدبير ومراعاة
الشرع وتعاهد الاسباب والوجهان جميعا يمنعان الوفآء بما جعلت له الاموال لكن ومن
انعم بها عن تضييع ذلك بالتسليم الى من ذكر معا يكون في ذلك اتباع من يستحق ان يكون متبوعا
لمن حقه ان يجعل تابعا وذلك خارج عن حد الحكمة وما تحمده العقل ثم قد صرفت الاية الى
النسآء بما جعل من اليه التدبير وهو الذي انما هن تحت ايدي الرجال في الامور وقد وصف
الرجال انهم قوامون على النسآء وصرفت ايضا الى الصغار وبما من حفظ اموال مثلهم
الكبار وجعلوا مكفولين عند البالغين فاموال البالغين احق بذلك وحقيقة السفه ما ذكر
وجائز ان يكون المقصود بالذكر من ذكرا لصغار والنسآء بما خاطب من يختص بالرفع الى من
ذكر رزقا لهن وكسوتهم ولا يجب رزق الجهال والسفهآء في الافعال على غيرهم فيكون
ما ذكرنا اولى بمراد الاية وان كان المعنى الذي قصد بالاية الى ذكرتهم قد استحقوا او لما غلبت
تلك الاحوال على هؤلاء جعل من ذكرت قواما عليهم وقد قيل عن الحسن انه صرف الاية الى
الكفار وحكاية فقال في القيام القيام بامر الدين والكفار لا يجوز الاستعانة لهم فيه وله
جعل المال عنده معاكرة العلماء وتسليط الكفر العقود لجهلهم بحق شرع الاسلام فيما يحتمله ويدفع
الاموال اليهم و قوله عز وجل التي جعل الله لكم قياما عن ابن عباس التي جعل الله لكم قياما
يعني قوام امركم ومعيشتكم وهكذا جعل الله هذه الاموال اغذية للخلق بها يقوم
دينهم وابدانهم و قوله وارزقوهم فيها واكسوهم يقول لا تؤتوهم ولكن ارزقوهم انتم
واكسوهم وقيل يقول انفقوا عليهم منها واطعموهم وقيل لما اضاف الاموال الى الدافعين

لا الى المدفوعة اليهم ودل على وجوب نفقة الولد وكسوته على الرجال قوله عز وجل وقولوا لهم قولا معروفا قيل عدة حسنة جميلة انا فعلنا سأكسو وقيل من وهو بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل علموهم الادب والدين وقولوا لهم كلاما فيه البر واللين واللطف قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اختلف فيه قال بعضهم قوله عز وجل حتى اذا صرف حتى صلة وقال ويليه وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح وهو قول الشافعي يجعل الابتلاء بعد البلوغ ويحتمل ان يكون المراد بالابتلاء قبل البلوغ لوجهين احدهما ان يبتلى الايتام قبل بلوغهم بانواع العبادات والآداب ليعتادوا ويعتادوا بها ويبتلوا اليهم حقوق الاموال وقدرتها ويحفظوها اذا بلغوا لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم من العبادات والفرائض وقت البلوغ وكان في ذلك تضييع حقوق الله وفرايضه اذ لا سبيل لهم الى القيام بها حتى البلوغ فامر الاولياء والاوصياء ان يبتلوهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا بلغوا عارفين لما عليهم من العبادات والحقوق حافظين لها الا ترى الى ما روي في الخبر انه امر الاب ان يامر ولده بالصلاة اذا كان ابن سبع وامر بالضرب والتاديب اذا كان ابن تسع وبالتفريق في المضاجع ومن حقوق الخلق بعد البلوغ ليعتادوا ويأخذوا الادب قبل البلوغ حتى اذا بلغوا عرفوا ما عليهم وهان القيام بها اذا اعتادوا وقبل ذلك يشتد عليهم القيام باقامة العبادات واداء الحقوق فيلي ذلك الاول ووجه آخر ان يبتلي عقولهم بشيء من اموالهم يتجرون بها ويتقلبون فيها ليتنظر واهل يقدرون على حفظ اموالهم عند حدوث الحوادث والنوائب فيه وقيل جوازا للاذن في التجارة في حال الصغر لانه لا يظهر ذلك الا بالتجارة وان كان المراد بالابتلاء بعد البلوغ والكبر فهو ايضا يحتمل وجهين يحتمل العلم بها نفسه ويحتمل العمل بها والعلم لا يضعوها في غير موضعها وقوله ان حرف حتى صلة انه لو كان له ان يجعل هذا صلة لجاز لغيره ان يجعل الرشد صلة فيه اذ لا فرق بين هذا وبين الاول ان يجعل صلة ثم اختلف في قوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم قال بعضهم هو ان يصير هو من اهل الشهادة فحينئذ يدفع اليه المال فيقال في قوله يجب ان ينتزع الاموال من ايدي الفساق لانه لا شهادة لهم وقد قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم يجب ان لا يدفع اليه المال الا بعد ايناس الرشد منه فلو كان شرط الرشد هو الشهادة لكان الكافر لا يدفع اليه عنده لما لا يقبل الشهادة ما دام الكفر على احد دل ان الرشد ليس ما ذكر ولكن ما قيل من العقل والحفظ لماله والاصلاح فيها وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله فان آنستم منهم رشدا قال اذا ادرك بحلم وعقل ووقار وهو قول ابن سيرين ايضا في قوله منهم رشدا ان الله سبحانه يقول اختبروا اليتامى من عند الحلم فان عرفتم منهم رشدا في حالهم والاصلاح في اموالهم فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف ابن مسعود فان احسستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف حفصة وابتلوا اليتامى في اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح بعد كبرهم ثم لا يخلو منع الاموال منهم من اوجه ثلاثة اما ان يمنع لحفظ التبذير والانفاق جودا او مجازة وحسن الظن بالله انه يرزقهم ويعطيهم خلف نفقتهم وهذا لا يحتمل لان هذا من اخلاق الانبياء صلى الله عليهم وسلم وسيرتهم فلا يحتمل النهي عن ذلك او يمنع لغلبة شهوتهم لقضاء وطرهم وحاجتهم فينفقون الاموال ليصلوا الى ذلك فانه هم منعوا عن اموالهم شيئا ولون من اموال غيرهم فيتعاطون ما لا يحل ولا يحسن فلا يحتمل ان يمنعوا لذلك او ان يمنع عنهم الاموال لآفة في عقلهم ونقص في لبهم فان كان لهذا انما منع اموالهم عنهم فيجب ان يمنع ابدا الا وقت في ذلك ولا مدة الا ابدا وتناع ذلك ورد اليه عنهم

ودفع

ومنها الوجه يمنع منه حتى يؤنس منه الرشد ثم جعل ادراكه وبلوغه بالاحتلام لان كل جارحة من جوارح الانسان يجوز استعمالها الا الجارحتين منها فانه لا يقدر على استعمالها الا مع احديهما الذكر والاخرى اللسان فان هاتين الجارحتين لا يمكن استعمالهما الا وصاحبهما يحمل الاحتلام علما لبلوغه وادراكه لذلك ولهذا لم يعمل الاكراه عليهما نحو من اكره بالزنا فزنا فانه عليه الحد لان الاكراه لا يعمل عليه فانما كان يعمل منه الا الوالي فانه اذا اكره آخر بالزنا ففعل لم يقم عليه الحد لما جعلنا ذلك كالعلم بالسبب الذي يحل وكذلك لو اكره حتى وطي امرأة لزمه العقر ولا يرجع على المكره ولو اكره على اتلاف مال من اموالهم ففعل رجع على المكره بقيمة الذي وصفنا ولهذا ما وقع طلاق المكره ونكاحه وعتاقه لان هذه الاشياء انما تقع باللسان واللسان مما لا يعمل عليه الاكراه لذلك جاز والله اعلم واما البيوع والاشربة والعقود كلها سوى هؤلاء يكون بالتسليم والنقض والتسلم باللسان والتكلم بها فالاكراه مما يعمل عليها لما امكن استعمالها عنه لذلك افترقا ولهذا ما قلنا ان الايمان يكون بالقلب دون اللسان لانه اذا اكره حتى يكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه وكان قلبه مطمئنا بالايمان لم يكفر فاذا اطمأن قلبه بالكفر كفر لان الاكراه لا يعمل على القلب ولا يصير المكره مستعملا له انما المستعمل هو لا غير لذلك كان الجواب ما ذكرنا ومعنى جعل الاحتلام بلوغا هو امكان استعمال سائر الجوارح دونه يعني لفرج الا بعد الكبر وما كان المعروف من الاباء والاولاد ما كان مما لهم يجري الامر بابتغاء المكتوب من الولد يكون بعد البلوغ ويبعد ذلك الا في الوقت الذي لو ابتغى لوجد الولد عليه ويبين ذلك الا في خروج الماء للشهوة ثم يكون في المتعارف الاحتلام من ذلك يجعل علما له ولذلك قيل حتى اذا بلغوا النكاح ثم فرق في حق الخطاب بين اللسان وغيره من حيث لا يملك احد منهم لسان آخر حتى ينطق دون صاحبه فيه يظهر سبب جري القلم من الاقرار بالبلوغ وهذا اشبه ما جعل سببه بما لا يعمله غيره ليكون اول احوال البلوغ ووقوع قوله حيث البلوغ متى ما كان النطق نقل من يجري في جنسه الخطاب وكانه اتصل امره بالسبب الذي خص به الممتحن من العقل اذ كان العقل قد يعرف بالمحنة والاحتلام لا فامرنا بالابتلاء من حيث العقول ولم نؤمر من حيث الاحتلام بل يقبل قوله في ذلك وذلك قبول قول من بلغ بالاخبار عن احتلامه وبه يجري القلم عليه ويلزمه الحقوق ان يقبله يجوز في ذلك الوقت وخاصة على قول من يرى الابتلاء بعد الادراك انه لو لم يقبل فيه لم نبتليه ثم اذا جاز قوله لزم كل امر علق به وعلى ما ذكرت من اول ما علق به القول في حق البلوغ دليل اتصال حكم القول بالعقل وتمام العقل بالبلوغ اذ به يجري القلم ودل ما ذكرت من امتناع اللسان عن سلطان غير صاحبه عليه على لزوم كل حق يتعلق به على الاكراه اذ لا يلزم بغيره وهو لا يجري عليه ثم كل امر يكون لا به يصير اللسان سببا فيه به كالمعلوم عنه وهو مما يجري عليه القهر ويعلم قوته به فيبطل والله اعلم وقوله جل وعز ولا تأكلوها اسرافا وبدارا قيل الاسراف هو كل ما نهي عنه وقيل الاسراف هو اكل في غير حق وكان الاسراف هو المجاوزة عن الحد وهو كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا وكان القوم مما فعلى ذلك الاسراف في النفقة في مال اليتيم وقوله اسرافا وبدارا قيل البدار هو المبادرة وكلاهما لغتان كالجدال والمجادلة وهو ان يبادر باكل مال اليتيم خشية ان يكبر فيحول بينه وبين ماله وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وفي حرف ابن مسعود ولا تأكلوها اسرافا وبدارا خشية ان يكبروا قوله عز وجل ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان

٢٩٥

فقيراً فليأكل بالمعروف احل الله تعالى لولي اليتيم بظاهر الاية اذا كان فقيراً ان يأكل بالمعروف من غير اسراف وذلك هو الوسط منها وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلاً قال له فقال ليس لي مال ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالك بماله وفيه دليل ان الغني لا يجوز له ان يأكل من مال اليتيم وان الفقير اذا اكل منه انفق نفقة لا اسراف فيها وعن عمر رضي الله عنه قال اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان احتجت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وروي عن ابي عباس رضي الله عنه قال الوصي اذا احتاج وضع يده مع ايديهم ولا يكتسي عمامة وعن عائشة قالت في قوله عز وجل ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف وقالت يأكل ولي اليتيم من مال اليتيم اذا كان يقوم له على ماله ويصلح اذا كان محتاجاً وقيل يأكل قرضاً ثم يرد عليه اذا ايسر وهو قول ابن عباس وقيل يأكل بالمعروف اي من مال نفسه حتى لا يفضي الى مال اليتيم وقيل يأكل اذا كان يعمل له ويقوم عليه وقيل يأكل قرضاً الا ترى الى قول الله تعالى فاشهدوا عليهم امر بالاشهاد عليهم عند الدفع ولو كانت امانة في يده لم يحتج الى الاشهاد في الدفع ولكن يجوز ان يؤمر بالاشهاد لا لمكان الوصي نفسه ولكن لما يجوز ان تحدث بينه وبين ورثة الوصي خصومة فيشهد ليدفع تلك الخصومة عنهم وقيل الاكل بالمعروف قوتاً يسد به جوعته ويواري عورته وقوله جل وعز وكفى بالله حسيباً قيل شهيداً بما اخذ من ماله وانفق ويحتمل قوله حسيباً يحاسبه في الاخرة اذ لم يحاسبه اليتيم في الدنيا وقوله جل وعز للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب الاية يحتمل ان تكون الاية والله اعلم نزلت بسبب ما لم يكن يورث اهل الجاهلية الاناث والنساء والصغار ويجعلون المواريث لذوي الاسنان من الرجال الذين يصلحون للحرب ويحوزون الغنيمة فنزلت الاية بتوريث الرجال والنساء جميعاً وقيل ان الاية نزلت في شان رجل يقال له اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك بنات وامراة فقام رجلان من بني عمه وهما وصيان فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئاً فجاءت امراة اوس بن ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت واخبرت بالقصة فقال لها ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله في ذلك فانصرفت فنزل قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية وقيل نزلت الاية في شان امراة ابن سعد ان سعداً استشهد باحد وترك ابنتين وامراة فاحتوى اخ سعد على مال سعد ولم يعط المراة ولا الابنتين شيئاً فاختصمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرته بالقصة فقال لها لم ينزل الله علي فيكم شيئاً ثم نزلت الاية فاخذ من عمهما ثلثي المال ودفعه اليهما ودفع الثمن الى المراة وترك البقية للعم والله اعلم ان يتركه يردها وفي هذا الخبر دليل ان للابنتين الثلثان كالثلاث فصاعداً من البنين كما قال بعض الناس ان لهما النصف لان الله تعالى انما جعل الثلثين للثلاث ثم يحتمل الاية وجهين بعد هذا يحتمل ان يكون المراد الاولاد خاصة لا غير فيدخل كل ولد وولد البنات وولد البنين لانهم كلهم اولاده ويحتمل ان يكون المراد منها الرجال والنساء فيدخل ذوو الارحام في ذلك فلما لم يدخل بنات البنات في ذلك وهن اولاد دل انه اراد النساء والرجال جميعاً لا الاولاد خاصة وفيه دلالة نسخ الوصية للوارث لانه قال جل وعز للرجال نصيب وللنساء نصيب الى قوله مفروضاً اي معلوماً بما اوجب في كل قليل وكثير كما قال في قوله نصيباً مفروضاً قيل واجباً الى ما بين فرضه وهو اصحاب

الفرايض

٢٩٦

الفرايض دون العصبات فيكون على ما اشار الى حقه حيث الاشر في القرآن ويحتمل ما يجري فيه ذكر حقين احدهما حق العصبة كما ذكر في الاب والاخوة والاولاد وحق اصحاب الفرايض ولو كان على ذلك فقد يتضمن الفرض ما قيل بالاشارة اليه والدلالة لان اكثر من يوصي بحق العصبة هو مما لا نص فيه والذي فيه النص هو ما في الاولاد والاخوة خاصة والوالدين وقيل يتضمن كل الاقرباء على اختلاف الدرجات فيكون منصوصاً ايضاً والله اعلم ويؤيد هذا التاويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم بين من المومنين والذين هاجروا واولئك هم ابتداء الذين لهم اخوة الدين والهجرة فاذا بقي الرحم احد لم يمض من ذلك الى المومنين وقد تقدم حقهم في المومنين والمهاجرين بالرحم لذلك هو اولى مما للامام من ذلك بحق الايمان انهم فيصير الدفع اليهم بحق الجواز والى غيرهم شك عند قيامهم فالدفع اليهم اولى لو جهين احدهما عموم الكتاب على تحقيق حق لكل اية فيها دون ادخال حكم اية في حق اخرين بلا ضرورة والثاني الاجماع من الوجه الذي ذكرت مع اتفاق اكثر الصحابة والتفريق الى يومنا هذا وقوله عز وجل واذا حضر القسمة اولوا القربى قيل فيه بوجهين قيل اراد بالقسمة قسمة المواريث بين الورثة بعد موت الميت وقيل اراد به قسمة الموصي وهو الايصاء وهي وبين لمن ذكر من الاقرباء واليتامى والمساكين فيجوز فالخطاب للموصي ومن قال قسمة المواريث فالخطاب للورثة ان كانوا كباراً يعطون لهم كذا شيئاً ويبرون ويفرقون وان كانوا صغاراً فيقول لهم الوصي قولاً معروفاً اي يعد لهم عدة حسنة الى وقت خروج الابرار او الى وقت البلوغ ان بلغوا ثم اختلف المتاولون فيها فقال بعضهم هي منسوخة وقال اخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس ومن قال هي منسوخة قال نسخها اية المواريث قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم الاية لانهم كانوا يوصون الاولاد والاباء والامهات كقوله جل وعز كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين الاية فنسخت اية المواريث وصية الموصي ومن قال هي محكمة متقنة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم لانه المعروف والبر والاصلاح وذلك مما لا يحتمل النسخ وقيل ان عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار مسكيناً ولا ذا قرابة الا قسم له من ميراث ابيه وتلا هذه الاية واذا حضر القسمة الى اخره فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنه فقال ما اصاب ليس ذلك له انما ذلك في الوصية يريد الميت ان يوصي لهم وقوله عز وجل وارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً قيل اذا كان المال كثيراً رضخ واعطى لهم شيئاً واذا كان قليلاً اعتذر اليهم وهو قول ابن عباس وقيل امر لم يرث ان يرضخ ويعطي لمن لا يرث شيئاً وهو قول الحسن وقال لهم قولاً معروفاً والقول المعروف يحتمل ما ذكرنا ان يعطي لهم ان كانوا كباراً اعني الورثة وقيل والهم عدة ان كان المال ضياعاً الى وقت خروج الانزال والغلات او الى وقت خروج الثمار ويعطي الورثة ان كانوا كباراً ويعتذر اليهم الوصي ان كانوا صغاراً وقوله جل وعز وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم قيل هو الرجل يحضره الموت وله ولد صغار فيقول له اخر اوص بكذا واعتق كذا وافعل كذا ولو كان هو الميت لاحب ان يترك لولده فخوف هذا القائل بقوله فليتقوا الله وامر ان يقول له مثل ما يحب ان يقال له في ولده بالعدل بقوله عز وجل وليقولوا قولاً سديداً وهو قول ابن عباس وقيل هو الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضر اتق الله وامسك عليك لولدك الصغار والضعفاء ليس احد احق بمالك منهم ولا توص بمالك كله فنهى ان يقال له ذلك

لما لو كان من الموصي وله ذرية ضعفاء صغار ضعفاء احب بان لا يقال له ذلك فكذلك لا يقول هو له ولا اولاد
اشبه ذلك وقوله وليقولوا قولا سديدا قيل عدلا بان لا يأمره ان يوصي بما عليه من الدين والوصية ولا يجور
في الوصية وعن ابن عباس قال يعني من حضر منهم مريضا عند الموت ان يأمره ان ينفق ماله في العتق
او الصدقة او في سبيل الله ولكن يأمره ان يبين ما له وما عليه من دين او حق وقوله ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما اي مستحلا لا فاذا استحل كفر فذلك الوعيد له وقيل ظلما اي غصبا والاكل
هو عبارة عن الاخذ كقوله لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة انما هو نهي عن اخذه وكذلك قوله الذين
يأكلون الربا وقوله وذروا ما بقي من الربا انما هو نهي عن قبض الربا فيكون ذلك في الاكل في هذه الاية
عبارة عن الاخذ والاستحلال ومن حمل الاية على الغصب حمل الوعيد عليه الا ان يتوب او لله
ان يعذب من شاء من ارتكب من عباده جرما كما حمل الوعيد على المستحل الا ان يتوب وقيل انه
على التمثيل ان الذي يأكل من مال اليتيم كانه يأكل نارا لخبثه وشدته وعن قتادة قال ذكر لنا
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا الله في الضعيفين قيل ومن هما يا نبي الله قال اليتيم
والمرأة فان الله ايتمه واوصى به وابتلاه وابتلى به وقيل في قوله فليتقوا الله وليقولوا
للميت اذا جلس اليه قولا سديدا اي عدلا في وصيته ولا يجور ومن عدل في وصيته عند موته
فكانما وجه ماله في سبيل الله وعن سعد بن ابي وقاص فسأل النبي صلى الله عليه وسلم كم يوصي الرجل
من ماله قال الثلث والثلث كثير لان تدع عيالك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون
الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم زيادة في اعمالكم
عند وفاتكم وقوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قيل قوله يوصيكم
الله اي يفرض عليكم الله وقد سمى الله تعالى الميراث فريضة في غير آي من القرآن بقوله للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ثم قال نصيبا مفروضا وقال ايضا في اخر هذه
الاية فريضة من الله ولانه شيء تولى الله بيانه من غير اكتساب اهله فهو كالفرائض التي اوجبها
الله على عباده من غير اكتساب اهلها فلذلك سمى هذه فريضة لان الله اوجبه والله اعلم
وقيل قوله يوصيكم الله اي يأمركم الله في اولادكم اي يبين الله في اولادكم الى آخر ما ذكر وفيه نسخ الوصية للوالدين
والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين ودليل
نسخه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
للوارث ثم قيل ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد والاناث
وانما كانوا يورثون الرجال ومن يحوز الغنيمة فنزل قوله للرجال نصيب مما ترك الاية فالاية
في بيان الحق للاناث في الميراث وكذلك قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فيه
بيان حق الميراث للذكور والاناث جميعا وقيل تأويل هذه الاية ما بين في القرآن في ذوي الارحام
وانهم كانوا يختلفون في سبب ذلك وان الايات التي قبلها من قوله يوصيكم الله في اولادكم الى
آخر الايات التي فيها ذكر المواريث فسر بها مبلغ النصيب الذي اوجبه الله للنساء والرجال
في الاية الاولى مجملا واجمعوا ان الرجل اذا مات وترك ولدا ذكرا وانثى فالمال بينهم للذكر
مثل حظ الانثيين ويحتمل قوله في اولادكم اولادهم تأكيد وهكذا جائز في اللغة لانه لا يجوز ان
يفرض على الرجل قسمة الميراث في اولاده وموضع ذلك انه اراد اولاد الموتى ويحتمل ما ذكرنا
انهم كانوا لا يورثون الاناث من الاولاد والصغار منهم فخاطب الجملة بذلك لئلا يحرموا
الاناث من الاولاد والصغار سهم وفي قوله ايضا يوصيكم الله في اولادكم اي في اولاد من مات

منكم

منكم اذ لا يحتمل خطاب الحي بما ذكر في ولده فقد ان كان تأويل يوصي يفرض او يأمر وان كان تأويل
ذلك يبين فذلك جائز ان يخبر الحي بما يبين الله في اولاده بعد موته في ماله وذلك يمنع الوصية لانه
يزيل حق البيان ولما يمكن رفع القسمة وتحصيل الوصية على بعض لبعض وذلك يبين اذ لا يمكن
في غير هذا ثم من الناس من رأى نسخ الوصية للوارث بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان
الاية لان الاية اوجبت الميراث فيما قل او كثر فلو كانت الوصية تجب للوالدين بقوله كتب
عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الاية لكان الميراث لا يجب فيما قل منه وانما يجب فيما
يفضل منه لكن الاية اذا لم تمنع الوصية للاجنبي وهي تصرف السهم المفروض الى ما يفضل من
الوصية تسلمه للوارث لكن في الاية دلالة على رفع الكتاب اذ في الاولى انما كتبت فلما اوجب
الحق في كل قليل وكثير لم يبق معه المفروض والوجوب ولكن بقي الفضل ثم كان حق الوالدين وهو ذكر
حق اللزوم وقد سقط ذلك وبه كان يجوز فلما سقط الحق جاء الجواز لا وصية للوارث وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث فسقط الحق بالاية
من الوجه الذي يثبت والمتصل بقوله لا وصية من هذا الوجه الذي ذكرت فسقط حق الوصية
بالقرآن لكن قد ذكر للمرأة لا بحرف الوجوب بقوله متاعا الى الحول ثم سقط ايضا بالجواز ولين
في الاية ذكر المرأة بما ذكر فيها ميراث الاولاد والاقربين وقد بقي حق المتاع اذ له ان يوصي
لغير الوارث لكن ذكر في ميراث المرأة وصية كقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية من الله والوصية منه مكتوبة على ما للوالدين والاقربين ثم اشرك الزوجين في مال
الوالدين والاقربين فيما قل او كثر كقوله النصف والربع والثمن مما ترك وقد بينا ان الاية
نسخت ما ذكرت فصارت ناسخة للامرين جميعا فهذا من جهة الاستخراج في حق النسخ على انه
على مذهبنا السنة كافية في بيان نسخ الحكم بينه الكتاب اذ هو بيان منتهى الحكم من الوقت وقد
جعل الله نبيه بحيث البيان لما في القرآن وقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين فيه دلالة
ان المال كله للذكر من الولد اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر مثلي ما جعل للانثى وجعل للانثى النصف
اذا لم يكن معها ذكر بقوله وان كانت واحدة فلها النصف فدل ان للذكر من الولد اذا جعل له
مثلي ما جعل للانثى عند الجمع انما جعل له ذلك بحق الكل فيكون له اذا انفرد الكل وقوله تعالى
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قال بعضهم بين الحق لما فوق اثنتين ولم يبين
للاثنتين ولهما النصف الذي ذكر للواحدة وهو قول ابن عباس واما عندنا فان للاثنتين
ما للثلاث فصاعدا ويكون بيان الحق للثلاث بيان للاثنتين لان الله تعالى جعل حق ميراث
الواحدة من الاخوات النصف بقوله وله اخت فلها نصف ما ترك كما جعل حق البنت النصف
اذا لم يكن معها ذكر بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس
ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاذا انزلت الاخوات
منزلة البنات في استحقاق النصف اذا كانت واحدة واستحقاق الثلثين اذا كانتا اثنتين
فصاعدا فكذلك نزل بيان الحكم في الاختين منزلة بيان الحكم في الابنتين وقيل بفوق اثنتين
اثنتان فما فوقهما وقيل بين الكتاب الاستواء من البنت الواحدة والاخت الواحدة
ليعلم استواء حق الولد وولد الاب ثم بين في الاخوات للثنتين الثلثان وفي البنات لما فوقهما
ليكون الذكر في الاختين دليلا على الابنتين وفيما اكثر من البنات على ما اكثر من الاخوات وايد
ذلك امر الاجتماع بين البنتين والبنات وان كثرن واما الاخوة والاخوات وان كثر واجمع ما كان

معلوماً ان بنات الرجل احق من بنات ابيه ايد ذلك ان بنات ابنه تدير بن وبنات ابن ابيه لا فلا يجوز ان يكون الاختين اكثر حقا من الابنتين وفي الاغلب ان الرجل لهن ميراث هولاء وابين ذلك انه ما دام يوجد في الاولاد من له فرض او فضل لم يصرف الى اولاد الاب ثبت انهم عمي الخلف في هولاء على ما ذكرت جاءت الاثار وعليه اجتمع اهل الفتوى وقوله ولابويه لكل واحد

منهما السدس ان كان له ولد اختلف فيه قال بعضهم اراد بالولد الذكور خاصة لانه جعل للابوين لكل واحد منهما السدس اذا كان الولد ذكرا اما اذا كان الولد انثى فللاب يكون الثلث واما عندنا فان اسم الولد يجمع الذكور والاناث جميعا وتعهد فانه ان كان الولد ههنا ذكرا وانثى فينظر ان كان ذكرا يكون لكل واحد من الابوين السدس والباقي للولد وان كان انثى فلها النصف وللابوين السدسان والباقي للاب على ما جاء في الخبر ما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر وقالت الروافض الباقي للبنت ذهبوا في ذلك الى ان الذي يقابل البنت هو الابن والذي يقابل الاب هي الام فالذي يقابل البنت هو اولى باحراز الميراث من الذي يقابل الام وهو الاب فعلى ذلك الذي يقابل الابن وهي البنت اولى بذلك من الذي يقابل الام وهو الاب واما عندنا فان الاب اولى بذلك من البنت لان للاب حقان حق فريضة وحق عصبة اما حق الفريضة بقوله فلابويه لكل واحد منهما السدس واما حق العصبة بقوله وورثه ابواه فلامه الثلث جعل الباقي له فذو حقين اولى بذلك من ذي حق واحد والبنت ليس لها الاحق الفرضية لذلك كان الاب اولى وفي الخبر دلالة ان حكم الابنتين فما فوقهما سواء وهو الثلثان ما روي عن جابر بن عبد الله قال جاءت امراة ثابت بن قيس بابنتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا ثابت اصيب معك يوم احد وقد اخذ عمهما مالهما وميراثهما ولم يدع لهما شيئا الا اخذه فما ترى يا رسول الله فوالله لا تنكحان الا ولهما مال فنزل قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فقال رسول الله عليه السلام لعم الجاريتين اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وذلك ما بقي وفي الاية دليل احدها مخرج الخطاب على العموم والمراد منه خاص لانه ذكر الاولاد والولد قد يكون على غير دينه فلا يرث وقد يكون مملوكا فلا يرث على ما روي في الخبر لا يتوارث اهل ملتين وما روي لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم الا العبد مولاه وذلك في الحقيقة ليس بميراث ولكن مال العبد يكون لمولاه وفي هذا دليل جواز الاستثناء من غير نوعه حيث استثنى العبد وذلك في الحقيقة ليس بميراث وفي الاية دليل جواز الاستثناء من غير نوعه حيث استثنى القياس والفكر فيها والاعتبار لان ميراث الابنتين مستدل عليهما غير منصوص وكذلك ميراث الذكور من الاولاد بالانفراد مستدل عليه غير منصوص وما يحرز الاب من الميراث بحق العصبة مستدل عليه لا منصوص وما يستحق بالفريضة فهو منصوص عليه وهكذا كل من يستحق شيئا بحق الفريضة فهو منصوص عليه فدل ان ما ترك ذكره انما ترك للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار وفيه دليل انه يجوز ان لا يطلع الله عباده على الاشياء بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اذ لم يبين الله اقرب نفعا ودل قوله وورثه ابواه فلامه الثلث اذ ذكر وراثتهما ولم يبين حق الاب انه جعله عصبة يرد اليه الفضل فيظهر للاب بهذه الاية من قوله يوصيكم الله الى اخرها امران احدهما حق العصبة والثاني حق الفرض بقوله لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد ثم فيما هذا انبه امران احدهما انه اذا اثبت له حق العصبة وقد بين الله نصيب البنت انه النصف ونصيب

الاب مع الولد ان له السدس زعمت الشيعة ان الفضل يرد الى البنت لانها لم يذكر له مع الولد الا السدس وعندنا يرد الى الاب لانه لم يذكر للبنت الا النصف ثم قد جعل الاب عصبة فيما له حق الفضل عن الفروض ولم يجعل الابنة لذلك كان الرد الى الاب احق مما يحتمل ان كان له ولد ذكر ثم حرمت الام بالبنت اذ هي تحرز بالاخوات فالبنات احق اذ هن اقرب والثاني انه اذا جعل للاب السهم من وجهين ثم الذي له في احد الوجهين صار للجد دون اولاده ذبيتن لا ولاد الاب الحق وان باحق الجد لما بين لوليه فعلى ذلك ما له من الوجه الثاني وهو اولى لان حق العصبات يخرج على الحاق الابعدين فيه بالاقربين وحق الفرائض لا حتى يبين ثم صار الجد ابا في حقه من الفرض والذي هو فضله في حق العصبة شرفيه وجه اخر انه اتبع ذلك الذكر ذكر الزوجين وذكرهما مع الولد ولم يذكر معهما الولدان فثبت ان امرهما يدخل في حالهما فيما كان لا في حالهما اياما للزوجين وايد ذلك قوله انه بقي لهما مع الزوجين مع الولد على ما كان عليه دون الزوجين معه فعلى ذلك ما لهما بلا ولد وفي ذلك وجوب صرف حقهما الى ما فضل كما ذكر في قوله وورثه ابواه فيكون الفضل بينهما على ما كان عليه بالكل لولا الازواج وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس اختلف في حكم الاية من اوجه ثلاثة قال بعضهم لا يحجب الام عن الثلث باخوان ولا اختان حتى يكون ثلاثة لان الله تعالى قال اخوة واقل الاخوة ثلاثة وهو قول ابن عباس وقال اخرون يحجب الام عن الثلث الذكور منهم ولا يحجب الاناث لان الله تعالى ذكر الاخوة والاخوة اسم للذكور منهم دون الاناث اذ للاناث اسم على حدة وهو الاخوات لذلك حجب الذكور ولم يحجب الاناث واما عندنا فان الاخوة اسم للذكور والاناث جميعا في الحكم وان لم يكن لهما اسم جميعا في الحقيقة الا ترى ان الله تعالى ذكر الاخوة ثم جعل بالتفسير اسم لهما جميعا بقوله وان كانوا اخوة رجالا ونساء دل ان اسم الاخوة يجمع الذكور والاناث جميعا في الحكم لذلك يحجب الام عن الثلث ذكورا كانوا او اناثا واما قولنا بان الاثنين يحجبانها عن الثلث ما روي عن علي وعبد الله وزيد بن ثابت انهم قالوا يحجب الاخوان الام عن الثلث كما يحجبها الثلاثة وجعلوا الكلالة من اخوة والفرائض على اختلافها اتفقت في ان حكم الاثنين حكم الاكثر فكذلك في حق الحجاب والله اعلم ووجه اخرى وهي ان الله حكم في الكلالة اذا كان واحدا ان له السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فجعل حكم الاثنين والثلاثة واحدا يشتركون في الثلث فوجب ان يكون حكم الاثنين والثلاثة من الاخوة في حجب الام عن الثلث سواء ووجه اخرى وهي ان الله تعالى جعل للاختين من الاب والام الثلثين وسوى بين حكم الاختين والثلث في الميراث فعلى ذلك يجب ان يستوي حكم الاخوين والثلاث في حجاب الام عن الثلث ثم المسئلة بيناه بين الدوا فيض وعمت الروافض ان الاخوة من الام لا يحجب الام عن الثلث لانهم منها فمن البعيد ان يحجبوها ويمنعوا ذلك عنها ويجعلون ذلك لغيرها يفضلون بالام وينقصون غيرها وقد قال ابائكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله والثاني ان الحجاب قد يجوز ان يقع بمن يحصل له ما حجب عنها كالاخوة من الاب والام اذا حجبوا الام عن الثلث وقع لهم ذلك واما الاخوة من الام فان وقع لهم الحجاب لم يجعل لهم ذلك المحجوب منها فلا يحتمل الحجاب بهم واما عندنا فانه ليس لهم حق القرب والبعد ما يحجبون ولكن بحق الميت فاذا كان ما ذكرنا سواء كانوا من قبل الام او من قبل الاب في حق الحجاب والثاني ان المواريث جعلت بحق الابتداء لا بحق المورثين لما لا يحتمل ان يختار المورث من هو انفع علي من هو اقرب

٢٠١

نحو من يموت عن بنت وابن عم لا يحتمل ان يحتاج ابن العم على البنت في النصف الباقي وذلك انه
على الابتداء وتقول في الاخوة في الام انهم في الحجاب كالاخوة من الاب والام وان كان الحق لغيرهم
لما ان الاخوة لما تفرقت حقوقهم ذكرت ذلك في الاولاد فلو كان الحجاب يتفرق لكانت الاخوة
الى الذكر لا ذمرا وبينه ترك الاثر بالتنظر فيما لا اصل له في الاثر ولا اصل له في هذا الباب بل
قد جمع ذلك بين الاخوة والاخوات على ما في ذلك من اختلاف الحقوق ان جزء الحجاب من الحقوق
ليس باصل له والاصل ان ذلك لو كان على اعتبار الحق فهو حق الميت لا حق الابوين لانه لم يعرف
الحجاب حق ممن لا حق له ولا حق لهم مع الاب فبان انه معتبر حق الميت يقع الحجاب والمعنى فيه والله اعلم
ولو كان حجابا للاخوة من الاب بالاب لكان الاب اذا حجب الام فاذا كان هو لا يحجب بان ان
ولد هذا لا يحجبونها به انما هو حق الميت وقوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين ذكر
الله تعالى الوصية قبل الدين واجمع اهل العلم ان الدين يبدأ به قبل الوصية والميراث وروي
عن علي رضي الله عنه قال انكم تقرؤون الوصية قبل الدين وقضى محمد صلى الله عليه وسلم بالدين
قبل الوصية وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل
الوصية والوصية قبل الميراث ولا وصية لوارث واجمعوا انه اذا اقتضي الدين دفع الى اهل الوصايا
وصاياهم الا ان يجاوزوا الثلث فيرد الى الثلث ان لم يجز الورثة ويقسم الثلثان بين الورثة
على فرايض الله تعالى وليس معنى قول الله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين ان يخرج الثلث
فيبدأ بدفعه الى الموصى لهم ثم يدفع الثلثان الى الورثة لان الموصى له شريك الورثة ان
هلك من المال شيء قبل القسمة ذهب من الورثة والموصى له جميعا ويبقى سائر المال بالشركة
بينهم ولكن معناه من بعد وصية اعلام ان الميراث يجري في المال بعد وضع الوصية من جملته اذا
كان الثلث او دونه وان لم يكن دفع ذلك الى اصحاب الوصايا ثم لم يذكر في الاية تقدم الدين
والوصية ومن قولهم ان الدين اذا احاط بالتركة منع الميراث والوصية واذا لم يحط لم
يمنع والوصية تجوز في الثلث ولا تجوز اكثر من الثلث الا ان تجيز الورثة والاية لم تخص قدرا
من الدين دون قدر وكذلك الوصية لكن تفسيره ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الثلث والثلث كثير وما روي في خبر آخر ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم عند
وفاتكم زيادة في اعمالكم يحتمل له اكثر من ذلك وما روي في خبر آخر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وعمر وعثمان رضي الله عنهما الخمس استحسانا والربع جهد والثلث حيف ثم الوصية جوازها
الاستحسان والافضال من الله تعالى والقياس يبطلها وذلك ان الله تعالى لم يملك الخلق اعين
الاموال وانما جعل الانتفاع لهم بها الا ترى انهم نهوا عن اضاعتها ولو كان اعين المال لهم لكان
لا معنى للنهي عن اضاعتها دل انه انما جعل لهم الانتفاع بها الى وقت موتهم فبالموت ينقطع
الانتفاع بها فينظر من الاحق بها بعد الموت الغريم صاحب الدين او الوارث او الاحق الوصية
الافضال من الله تعالى على عباده بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم
عند وفاتكم دل هذا الخبر ان جوازها الافضال والاستحسان منه الى عباده والله اعلم
وقوله من بعد وصية يوصي بها او دين يدل على ان ما ليس بدين ولم يوص به الميت فانه
لا يخرج من ماله ويدخل عندنا في هذا الجنس الحج يكون على الرجل والنذر والزكاة واشباه
ذلك ليس بشيء منها دين فاذا لم يوص الميت بها فلا يجب ان تؤدى من التركة الا ان يتطوع بها الورثة
فان قال قائل هي دين كسائر الديون قيل له ارايت ان كان عليه دين وزكاة يبدأ بالدين

٢٠٢

او يقسم التركة بالحصص اذا لم يف بذلك كله فان قال يبدأ بالدين قيل له لو كانت الزكاة دينا كدين
الناس كانت اسوتها في القضاء فان قال ان الزكاة اسوة في القضاء مع الديون قيل له ما تقول
في رجل افلس وعليه ديون هل تقسم ماله بين غرمائه فان قال نعم قيل فان كانت عليه زكاة هل
يضرب لها معهم فان قال لا قيل كيف ضربت لها معهم بعد الموت لما قسمت ماله ولم تضرب لها
بينهم في الحياة ان كانت كسائر الديون بعد الموت فيجب ان تكون كسائر الديون في الحياة لان
الزكاة خالصة واجبة على من كان عنده مال حال عليه الحول فاستهلكه وليس تجوز له تاخير
قضاء الدين وفي اقراركم انكم تبدؤون بالدين قبل الزكاة في الحياة دليل على انه يجب ان تبدؤوا بالدين
قبل الزكاة بعد الموت فان قيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي سالت هل تحج عن
ابيها ارايت لو كان على ابيك دين فقضيتيه الم يجز عنه يدل على ان الحج دين قيل له ليس فيه دلالة
الوجوب عليها انما فيه دليل جواز الحج عن الميت وقبوله اذا كان قضاء ما هو اوكد منه من ديون
العباد وقضاء صحيحا فالحج الذي هو دون ذلك في التاكيد احرى ان يقبل كانه اراد هذا والله
اعلم وفي دليل اخراج الزكاة لا يجوز ان تؤدى عن الميت اذا لم يوص بها لان الزكاة لا تؤدى الا بنية
المزكي والنية عمل القلب ولا خلاف في انه لا يصلى عن الميت ولا يصام عنه فلما لم يجز ان
يصلى عن الميت عمل الابدان لم يجز ان تقوم نية الورثة في اداء الزكاة مقام نية الميت قال
الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين ظاهره انه يقدم الوصية على الميراث
لكن اجمع ان الابتداء من حق الميراث ولكن يوزع فيحتاج التاويل على وجوه احدها ان قوله يوصيكم
الله الى قوله من بعد وصية كانه يقول اي تسوا ما لكم ان توصوا او وصاكم الله فيه لكن اذا اتاني
ان يكون من بعد وصية اي من بعد ما اوصيتم ويكون الميراث بعد الايصاء ويحتمل من الميراث
كان عليكم الايصاء والذين امركم بالمواريث فيكون فيه نسخ قوله من بعد وصية يوصى بها او دين
غير مضار وصية من الله فدلت هذه الاية على جواز بعض الوصايا بقوله غير مضار لكن يحتمل ان
تكون المضارة تبطل الفضل ويحتمل ان لا تبطل كقوله ولا تمسكوهن ضرارا في الرجعة على امضاء
الرجعة على ذلك لكن الاضرار في الرجعة مخصوص وفي هذا مخصوص فيمكن التفريق بين
الامرين فقال جل وعز تلك حدود الله الآية ثم اوعد جهنم على تعدي هذه الحدود فذلك لا يحتمل
مع جواز الفعل وايد ذلك قوله فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم الآية ولو كان يجوز
لكان لا يملك معه الاصطلاح فثبت ان من الوصايا ما يبطل مع ما كان الله ذكر في المواريث
من فريضة من الله فلا يملك ابطال فريضة الله والاذن منه يجوز فعله لذلك يبطل بعض وصايا
والاصل في ذلك ان الاموال انشئت للاحياء وخلقت لمنافع الاحياء فلما ملكوا منافعها
الى انقضاء اجالهم ثم صارت الى من هو مثلهم كما جعلها لمن يشاء وبعضها عند من يشاء
وقد بين جل وعز انها لمن هو احق بها فصارت الموصي كانه او هو احق من بين انه يحقه فيه
غيره فان تفضل الله عليه في ذلك من شيء والا فذلك كسائر الاملاك التي يقيت اربابها لم
يكن لغيرهم فيها حق الا بجعل الله او جعل من له فعل ذلك هذا قد جاء من الله بيان حده تعدى ان
يقيت اربابها لم يكن لغيرهم فيها حق الا بجعل الله هذه الآيات جعل الحق الى الثلث فذلك
له صدقة من الله وفي الفضل ان الحاذ المجعول له كان والا والله اعلم فجعلت للوصية حقا
ولم يجعل للدين لان الدين مما يتصل بحق الآخر في حال حياته او هو يلزم بالاسباب التي بها معاملة
وعداوة فصار مقدما على المتروك في الحكم وانما جعل المواريث في المتروك مع ما كان

٢٠٧

الغرماء احق بملكه في حياته بعجزه عن كثير من المعروف في مرضه بعضه لو لم يكن لهم الحق لا يمنعوا
من التبرعات الا بوثائق يكونون هم احق بها بعد الوفاة من الورثة او يمنعون من التبرعات
وفي ذلك تقصير التنوب والاعذار عن متعين الاجل ومن وجهها مؤخر جعلت الديون كانها استحقت
الاملاك في حال الحياة فلم يجز منهم التركة وكذلك العبادات لانها تجب في الفضول عن الحاجات
والديون في الاصول فليست العبادات بالتي تمنع الوفاء بالايجاب ولا كان بازائها ابرانا ملك
الضرورات فانما هي حق القرب وهي عمل الاحياء فاذا ماتوا زال الامكان وجرت في الاموات
المواريث وكذا المعروف من الدين المذكور في القرآن من قوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين
ان العبادات لا توصف بالديون ولا تفهم من اطلاق القول بالديون متضادات بمعنى الفضل عن
الوصايا والديون الى ان يوجل ومن الحقيقة ان لا يكون للمولى على عبده دين فيكون المذكور دينا
في الافعال كما ذكرت العبادات دين في الاخلاق لا في حقيقة الذمم مع ما كانت هي لله وقد جعل
الله له فريضة الاقوام باعيانهم لا يمنع عنهم الا بالوصية كما جعل للموصي وعلى ان العبادات
لا تسقط الا بتبعات ولا تؤدى عن احد في حياته الا بامره وان احتمل قيام بعض منها عن بعض وسائر
الديون يجوز ودونه فعلى ذلك بعد الوفاة وان كان كل ما يؤدي به فهو الذي حدث به الوصية
وقد جاء الحد لها مع ما كانت العبادات لا تحتمل لحوق الاموات ذلك الايجاب عليهم في اموالهم
ثبت انها حقوق الحياة خاصة والديون تحتمل في حقوقهم في الحالين ثم قد ذكر في الدين غير
مضار بل الدين اقرب الى حرف الثنيا ومعلوم انه لا يقع منه في الديون الظاهرة المعلومة
مضارة بالورثة ان كان يقع في الغرماء اذ يؤخذ منه بلا ايصاء ولا يحتمل النهي من حيث
الغرماء لما فيه الزام المكاسب في اوقات العجز لقضاء الديون فثبت ان ذلك فيما لا يعرف
من الديون وانما يرجع بها الى قوله فيبطل بالذي ذكر تحقق جواز اقراره على كل حال لكل احد اذ لا ضرر
يقع من حيث يقبله يرد وقد ثبت ان المضارة في هذا تمنع الجواز فثبت ان من الاقرار ما لا
يجوز فقال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز اقراره لبعض الورثة وقت الاياس من نفسه لانه
وقت الايثار والسخاء بما عنده من المال ولو وقت سخاء ما ابطل وصيته للوارث بما يخرج مخرج
الايثار حتى اذا اجزنا اقراره فهي لشطره لم يمنع الوصية لا تنتفع بل يذهب الكل وفي الاول
لم يكن يذهب والله اعلم ثم الاصل انه اجيز في الكل حق الامانة والوصية بحق الملك ثم جعل في
وارثه كمن لا ملك له اذ قد يقصد به التفضيل والتخصيص لا القربة فعلى ذلك فيما كان
في الامانة يجعل كمن لا امانة له لما يخرج على ما بينا واسقاط الاخبار لتوهم من الاغنياء او حد في
الاحكام من اسقاط المعروف عن الاملاك والله اعلم وعلى ذلك فيما كانت عليه ديون ظاهرة
تدبيغ النص ربا بعضها لبعض من له تشابه عناية وفيما بينهما حقوق توجب التهمة على المعروف
والصلة له وقت السخاء بماله وللعلم بانه عن الانتفاع به عاجز فيقوى لهم ذلك التهمة لكن التهم
في الحقوق التي ظهرت ثم كانت عبادات الاموال تقوم عن الاموات بالامر ولا يقام عبادات
الافعال لوجهين احدهما جواز بعض عن بعض في احد النوعين فيما للعباد بلا امر في الحياة ولا
يجوز في الاخر فكذلك العبادات بالامر والثاني ان السبب الذي به يجب عبادات الاموال
قد يجوز ان يوجب على غير بالتحول من ملك الى ملك وماله يجب عبادات الافعال لا يجوز تحول
ذلك حق القيام بالافعال وعلى ذلك النيابات اذ ليست من الحقوق التي تتصل بالاموال في
شي من الاموال لم يقم بها احد عن احد لذلك لم يجز الا بامر فيكون الامر بالامر لما امر به نائبا

والله

٢٠٤

والله اعلم وقوله عز وجل آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اختلف فيه قال
بعضهم هذا في الدنيا وهو ان يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة والقيام بامره والاب يلزمه
النفقة على ولده في حال صغره وعند الحاجة اليه والقيام بحفظه وتعاهده فاذا كان ما ذكرنا لم يدر
ايهما اقرب نفعا نفع هذا لهذا او هذا لهذا ويحتمل ان يكون قال لا تدرون انتم اي نفع اقرب
اليكم نفع الآباء او نفع الابناء فان كان التأويل ما ذكرنا ففيه دلالة بطلان شهادة الوالد لولده
وشهادة الولد لوالده اذ اخبر ان لهذا انتفاعا في مال هذا ولهذا انتفاعا في مال هذا فاذا ثبت الانتفاع لم
تقبل شهادة من ينتفع بشهادته ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله انه لا يجوز للوكيل بالبيع
او الشراء ان يبيع من ابنه او ابيه ووالدته لما ينتفع ببيعه منه وبالشراء منه وكذلك قالوا
اذا اشترى من هؤلاء ليس له ان يبيع مرابحة الا ان يبين لانه ينتفع به وقيل هذا في الآخرة روي
عن ابن عباس آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يقول اطوعكم لله من الآباء والابناء
وارفعكم درجة عند الله يوم القيامة لان الله سبحانه وتعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض وقيل
قوله لا تدرون انتم في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا يقول اخصكم نفعا في الآخرة في الدرجات الوالد
لولده او الولد لوالده اذ هم في الدنيا لا يدرون ايهم اقرب لصاحبه نفعا في الآخرة حتى يرجعوا
الى الآخرة قال فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى اليه ولده في درجته
لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والده رفع الله تعالى الى الوالدين الى الولد في
درجتهم لتقر بذلك اعينهم يرفع الاسفل الى الاعلى والادون الى الافضل فهو كقوله والذين
آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان يعني بايمان الآباء الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم يعني الآباء
من عملهم من شيء ويحتمل ان يكون هذا في الشفاعة او لا يدري ما ذلك النفع والمنفعة ان او
يحتمل قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ليس على حقيقة القرب ولكن على الكبر والعظم وقد يتكلم
الله كقوله وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها ليس على ان ايتهن اكبر من اخرى ولكن على وصف كل
منها بالكبر والعظم فعلى ذلك قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا على وصف كل منهم بالنفع على الاعظام
والاكبار والله اعلم ويحتمل قوله اقرب لكم نفعا اي اوجب كقوله ان رحمة الله قريب من
المحسنين اي واجب للمحسنين وبعض من الآيات وقوله عز وجل فريضة من الله سمى الله تعالى
المواريث فرائض لما ذكرنا لانه كان بايجاب الله تعالى لا باكتساب من الخلق اذ لم يملك الخلق
اعيان هذه الاموال ولكنه انما ملكهم المنافع منها الى وقت وفاتهم فاذا ماتوا صار ذلك الى المالك
للذي جعل له ذلك ولهذا سمى فرائض وقوله ان الله كان عليما حكيما بهم وبما لهم ومعاشهم ومصالحهم
وما يصلح لهم وما لا يصلح حكيما فيما فرض من قسمتها بينهم والحكيم هو المصيب واضع كل شيء موضعه
والظالم هو واضع الشيء غير موضعه وقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد
فان كان لهن ولد الى آخر ما ذكر فيه من اراد الخصوص وان كان مخرج الخطاب عام لان الزوج او الزوجة
اذا لم يكن على دين صاحبه وعلى وصفه لم يجر بينهما التوارث دل ان ليس لاحد الاحتجاج بعموم المخرج
على ما ذكرنا في الولد والوالد والام وغيرهم انه اذا لم يكن بعضهم على وصف بعض لم يجر بينهما التوارث
دل ان عموم مخرج الخطاب لا يدل على عموم المراد ثم الآية معطوفة على ما سبق من الآيات لا بما ذكرت
بحرف العطف والنسق بقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد والربع ان كان
لهن ولد ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد والثمن ان كان لكم ولد فبين في الآية الاولى ميراث
الاب والام وميراث الاولاد ولم يبين ميراث الازواج ثم بين في هذه الآية فنسق على الاول

ولذلك ان الازواج والزوجات اذا كانوا معهم فان الحكم لا يختلف فيهم يكون للام الثلث اذا لم يكن
هنالك ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات نصا عندنا والسدس اذا كان له ولد او اثنان من الاخوة
والاخوات يكون لها مع هؤلاء ثلث ما بقي حيث نسوق هذه على الاولى وقوله عز وجل وان
كان رجل يورث كلالة اختلف في الكلالة قال بعضهم الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد
وعن الحسن انه قال الكلالة الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من الاب
ذهب في ذلك الى ما ذكر في اية اخرى قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك
ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الى اخر ما ذكر
والنصف انما يكون للاخت من الاب والام او الاخت من الاب وذلك تفسير الكلالة ولانها
الاخوة والاخوات من الاب والام او من الاب وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال
الكلالة ما خلا الولد والوالد وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال لقد اتى علي زمان وما ادري
ما الكلالة الا وان الكلالة من لم يكن له ولد ولا والد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
الكلالة ما خلا الولد والوالد وروي ان ابا بكر الصديق قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله
تعالى في اول سورة النساء في شان الفرائض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية انزلها في
الزوج والمراة والاخوة من الام والاية التي ختم بها سورة النساء انزلها في الاخوة من الاب
والام والاية التي في سورة الانفال في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله مما جرت في
الرحم من العصبة وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال اذا كانت الكلالة بعضهم اقرب من بعض
باب فهو احق بالمال وحديث عمر هذا يبين ان الكلالة اسم يقع على الاخوة من الام ويقع على
الاخوة من الاب ويقع على الاخوة من الاب والام وهو ما ذكرنا من قول ابي بكر وعمر رضي الله عنه
ان الكلالة ما عدا الوالد والولد فكانوا يذهبون والله اعلم الى ان الاعمام وبني الاعمام يرجعون
في النسب مع الميت الى جد وقد تكللوه بعد وكذلك الاخوال والخالات واولادهم يرجعون
مع الميت الى جده ابي امه وقد تكللهم ابوا الام فسبيلهم في ذلك سبيل الاخوة والاخوات الذين
تكللهم الاب والام اذا انفردوا لما كانوا ابعد في النسب من الاخوة والاخوات لم يورثوا معهم فاجمعوا ان
معنى قول الله تعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت هو في الاخت من الاب والام او من
الاب اذا مات الرجل ولا ولد له ذكر ولا انثى تعطى الاخت النصف تسمية فقال قوم من الشيعة
الاية تدل على انه اذا ترك ابنة واختا ان المال كله للبنت ولا شيء للاخت لان الله تعالى جعل
لها الميراث اذا لم يكن له ولد فسوى الذكر والانثى من الاولاد وليس الامر كما قالوا لانا اذا جعلنا
للبنت النصف وجعلنا ما بقي للاخت فلم نعطها ما اعطيناها بالتسمية الا ترى انه لو كانتا اختين
كان لهما عندنا ما بقي ولو جعلنا ذلك لهما تسمية اعطيناهما الثلثين لان الله تعالى جعل
لهما الثلثين بالتسمية وليس سبيل ما تاخذه الاخت بالتسمية لا ينقص منها شيئا ما ناخذه
من الباقي بغير تسمية الا ترى ان الله تعالى جعل للابوين السدسين مع الولد فان كانت بنتا
وابا فلها النصف وما بقي للاب فقد اعطينا الاب اكثر مما سمى الله تعالى له ولكنا لم نعطه الزيادة
بالتسمية فلم يلزمنا الخلاف في زيادته فان خالفونا في ذلك قيل قد سبق لذلك جواب
ما يدل على ان الاب بالباقي اولى من البنت لذلك لم نذكره في هذا الموضع فان قال البنت اولى
بما زاد على النصف لان الله تعالى قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فكانت البنت احق
بذلك من غيرها قيل له ان قول الله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما اوجب انهم اولى ببعض

من الاجنبيين بين ذلك قوله من المؤمنين والمهاجرين لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة فنسخ
الله ذلك وجعل الميراث لذوي القرابة وليس في الاية دليل على ان القريب اولى بالميراث
ممن هو ابعد منه في القرابة وقال الله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يريد والله اعلم الاخ
من الاب يرث الاخت المال كله ان لم يكن لها ولد وترث من الاخ النصف اذا كان هو الميت
وقال الله تعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاجمعوا ان الاختين وما زاد في الميراث
سواء وقال الله تعالى وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين فاجمعوا ان الرجل
والمراة اذا مات احدهما وترك اخا واختا فما زاد على ذلك من الذكور والاناث كان الميراث
بينهم للذكر مثل حظ الانثيين فهذا ما نص الله عليه في فرائض المواريث وقد تكلم اهل العلم
في الرد والعول وميراث ذوي الارحام فاما ميراث ذوي الارحام فان الله تعالى قال
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فمن ذهب ان المال لبيت المال فلم يجعل بعض الارحام اولى
ببعض بل جعل الغرباء اولى بالميت من اولي الارحام فكان قول المورثين عندنا اولى وهو قول
عمر وعلي وعبد الله وجماعة من الصحابة الا زيد بن ثابت رضي الله عنه فانه جعل ذلك لبيت المال
فان قيل ان قول الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما هو فيمن سماه الله لهم سهما
قيل في الخبر قيل انه في غير الذين سمى الله لهم سهما لما روي عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى ابي
عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ورسوله ولي من لا ولي له والخال
وارث من لا وارث له وروي ايضا عن عمر رضي الله عنه انه قضى للخالة بالثلث وللعمة
بالثلثين وعن زر بن حبيش عن عمر رضي الله عنه انه قسم الميراث بين العمة والخالة وعن
عبد الله قال الخالة والدة وعن علي رضي الله عنه انه قال في العمة والخالة للعمة الثلثان
وللخالة الثلث فاخذ علماؤنا في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الاجلة من الصحابة
وكان ذلك موافقا لظاهر الاية وعمومها وكان اتباع ذلك عندهم اولى من غيره فاما الكلام
في العول فان ابن عباس كان ينكره ويقول لا تعول الفريضة وكان علي وعبد الله وزيد بن ثابت
يقولون بعول الفرائض وروي عن الحرث قال ما رايت احدا قط احسب من علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اتاه آت فقال يا امير المؤمنين رجل مات وترك ابنتيه وابويه وامراته
ما لامراته قال صار ثمنها تسعا وكان ابن عباس ينكره ان ينقص الاب من السدس وقد سمى
الله تعالى له السدس ثم لم يمض على هذا الاصل لانه قال في الابنتين والابوين والمراة للمراة
الثمن وللابوين السدسان وما بقي فللابنتين فنقص الابنتين مما سمى الله لهما فلم كانتا اولى
بالنقصان كله من غيرهما وسائر الصحابة ادخلوا النقصان على كل وارث بقدر نصيبه لئلا
يلحق النقصان بعضهم وياخذ البقية كمال نصيبهم وجعلوا ذلك كقوم اوصى لهم رجل بوصايا
يتجاوز الثلث اذا اجتمعت فالحكم ان يقتسموا الثلث بينهم بالحصص وكقوم صح لهم دين على ميت
وتركته لا تفي بذلك فهم جميعا اسوة يلحق كل واحد منهم النقصان بقدر حصته واما الرد فان
عليا رضي الله عنه وعبد الله رضي الله عنه قالا به على اختلافهما فيمن يرد عليه وسبيل ذلك
سبيل ذوي الارحام لان ذا الرحم بالباقي من المال اولى من الاجنبيين لقول الله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض فمن لا رحم له فلا حق له بغير سهمه وليس في الزوج والزوجة خلاف بين
اهل العلم انه لا يرد عليهما ولان في الاية دليل الرد على غير الزوجين من اهل السهام ومنع الرد
عليهما لانه عز وجل ذكر للابوين السدسين اذا كان له ولد وسمى للام الثلث اذا لم يكن له ولد

ولم يجعل للأب شيئاً ليرد الباقي عليه وكذلك سمى للذكور من الأولاد مع الإناث نصيباً بقوله يوصيكم
الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ولم يسم لهم شيئاً في حال الانفراد فيرد الكل عليهم ولم يترك
للزوجين ذكر تسمية سهامهما في حال بل ذكر سهامهما في الأحوال كلها في حال الولد وفي حال الذي لا ولد
له فلذلك منع وقيل الرد عليهما وقوله تعالى غير مضار وصية من الله ودية فريضة من الله حتى تعلموا
إنما واحد ثم ذكر المضارة في ميراث الإخوة والأخوات ولم يذكر في الولد والوالدين والزوج والزوجة
فهو والله أعلم يحتمل وجهين يحتمل أنه ذكر في هذا لأنه بهم ختم المواريث فيكون تلك المضارة
كانت كالمذكور في الأولاد والوالدين والأزواج إذ من ذلك ختم ويحتمل أنه ذكر هنا المضارة
ولم يذكر فيما ذكرنا لما في الطبع يقصد الرجل إلى مضارة الأخ والأخت ومن بعد منه ولا يقصد
في المتقارب إلى مضارة الآباء والأولاد ومن ذكرنا فإذا جاء النهي في مضارة من يقصد في
الطبع مضارته فلأن ينهى عنها فيما لا يقصد بالطبع أحق ثم بيان المضارة في الوصية ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقوله إنك أن تدع ورثتك أغنياء
خير من أن تدعهم عالة يتكففون وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم
له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل عمل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له
بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرأوا إن شئتم تلك حدود الله ومن
يطع الله ورسوله إلى قوله عذاب مهين وما روي الثلث حيف وما روي عن ابن عباس قال
الإضرار في الوصية من الكبائر ثم قرأ تلك حدود الله إلى آخره قال في الوصية وقوله عز وجل
فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه ثم الإضرار قد يكون أيضاً إذا أوصى
لوارث ولم يوص للباقين لأنه آثره بالوصية لبعض ورثته الباقين بلا فرق بين أن يضر
بعض الورثة وبين أن يضر الورثة كلهم فيه وقيل ببطلان الوصية لبعض الورثة وذلك
بعض ثمرة الإضرار قد يكون بالدين على ما يكون بالوصية لأنه إذا أقر المريض لبعض الورثة بدين
فإن إقراره لا يجوز كما لا تجوز وصيته والإقرار بالدين أحق أن لا يجوز من الوصية لأن الإقرار
في المرض جوازه بحق الأمانة إذ يجوز جواز الشهادة والشهادة أمانة والوصية جوازها بحق
الملك فإذا أبطل الوصية للوارث فإقراره له في المرض أحق أن يبطل وعلى ذلك إذا كان عليه دين
في الصحة فأقر بدين في المرض فغرماء الصحة أولى بدينهم من غرماء المرض لأن في ذلك إضراراً
بغرماء الصحة لأن دينهم قد تعين في ماله وتحول من الذمة إلى التركة ألا ترى أنه ليس له أن يقضي
غريماً دون غريم فإذا كان ما ذكرنا لم يكن له قسمة المال بين غرماء الصحة وبين من أقر لهم بالدين
في المرض إذ فيه الإضرار بهم إذ قد تعين حقهم فلا فرق أن يكسب الضرر على الوارث وبين أن يكسب
الضرر على الغرماء وإذا باع شيئاً بقيمته في المرض أو استقرض فإنه يجوز وينفذ لأنه لا
يعمل للغرماء إذ يقضي ديونهم مما أخذ وإذا تزوج أو استأجر فيكون أسوة الغرماء لأنه لم يعمل
لهم إنما يعمل لنفسه وليس فيه اكتساب الضرر على الغرماء فيكون أسوة ثم إذا أعتق لم يجز ويرد
ذلك الضرر ويفسخ فإن قيل إن الرجل قد ينهى عن الإضرار في نفسه وما لو أنه فعل يجوز
قيل إن الإضرار إذا حصل في ملكه أو نفسه ينفي ويجوز لأنه لم يمض غيره وإذا حصل في ملك
غيره لم يجز ورد وهاهنا إنما حصل في ملك الورثة والغرماء لذلك بطل ولا يوصي بأكثر من
الثلث ولا يوصي لوارث ولا يقر بحق ليس عليه مضارة للورثة و   وصية من الله

يحتمل قوله وصية من الله أي الذي نهى عن المضارة وصية ويحتمل الذي فرض عليكم من المواريث
وصية من الله وفريضة منه والله أعلم وقوله والله عليم بمن ضار الوارث وزاد على
الثلث وبمن لم يضار حليم لا يعجل بالعقوبة على من ضار ويحتمل العليم والحكيم أن يكونا سواء
لأن ضد الحكيم سفيه وكذلك الحليم وقوله تلك حدود الله قيل فرائض الله التي أمركم
بها من قسمة الميراث ويحتمل حدود الله ما حد لنا حتى لا يجوز مجاوزتها وقد تقدم ذكرها في
سورة البقرة ثم ذكر حدود الله وقد يجوز أن يكون للخلق حدود ويقال حد فلان فإذا لم يفهم من
حدود الله ما فهم من حد الخلق كيف فهم من قوله استوى على العرش واستوى إلى السماء ما فهم
من استواء الخلق فإذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق لم يجز أن يفهم من استواء الله ما يفهم
من استواء الخلق وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق ولا يفهم من مجيئه مجيء
المخلوق ولا من قوله نزوله نزول المخلوق على ما لم يفهم من قوله حدود الله حدود الخلق إذ لا فرق
بين هذا إذ بين الأول وقوله عز وجل تلك حدود الله يحتمل وجهين أحدهما أوامره ونواهيه
وما حرم وأحل ويحتمل حدوده وهي من ذلك يخرج تأويل الأول إلى النفس العبادات والثاني إلى
نهايات العبادات والمعروف من الحدود التي تنسب إلى الخلق وجهان أحدهما نهاية المنسوب
إليه وذلك حد الأعيان والثاني الأثر الذي يضاف إليه وذلك حد الصفات أنه يقال
حد العقل بعقل كذا أو حد البصر والسمع يراد به الأثر الذي به يعرف إذ هنالك ما ذكرتم لم
يكن الحدود التي أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى على واحد من الوجهين اللذين يضافان إلى
الخلق إذ قد ثبت بضرورة العقل وحجج السمع تعاليه عن المعاني التي هي تعالى خلقه فتعالى
ذلك ما أضيف إليه من طريق العقل من الاستواء والمجيء والرؤية لم يجز في ذلك تصور المعنى
الذي في إضافة ذلك إلى الخلق يكون بما في ضرورة العقل والسمع جلاله وكبرياؤه عن ذلك
المعنى وبالله العصمة وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله قيل من يطع الله في أداء
فرائضه ورسوله في سنته يدخله جنات إلى آخر ما ذكر وقيل ومن يطع الله فيما أمر ونهى
وأطاع رسوله في أمره ونهيه فله ما ذكر وقيل إذا أطاع الله فقد أطاع رسوله وإذا أطاع
رسوله فقد أطاع الله تعالى وهو واحد كقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله ومن
يطع الله تعالى فيما أمر ونهى وحرم وأحل ورسوله فيما بلغ وبين وقيل ذلك ليس بتفريق
لكن من الذي يطع الله هو الذي يطيع رسوله لأنه إلى طاعة الله تعالى دعا فعلى عباده رغب
فتكون طاعته طاعة كقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وكقوله إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني الآية وقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده وهذا كذلك أيضاً
إذا عصى الله فقد تعدى حدوده ومن تعدى حدوده فقد عصى الله ويحتمل قوله ومن يعص
الله ورسوله فيما لم ير أمره أمراً ونهيه نهياً ويتعد حدوده يعني أحكامه وشرائعه أي لم
يرها حقاً يدخله ناراً خالداً فيها وله ما ذكر وقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من
نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قيل كان هذان
الحكمان في أول الإسلام الأول منهما للمرأة والثاني للرجل وقيل إن آية الأذى كانت في
الرجل والمرأة وآية الحبس كانت في حبس المرأة ويحتمل أن يكون آية الأذى كانت في البكر
في الرجل والمرأة جميعاً وآية الحبس في الثيب في الرجل والمرأة جميعاً ويحتمل أن يكون آية
الأذى في الرجال خاصة فيما يأتي الذكر ذكراً على ما كان من فعل قوم لوط وآية الحبس في الرجال

والنساء جميعا فان كانت الآية الاولى في الرجال خاصة ففيها حجة لابي حنيفة رحمه الله حيث لم يوجب
على من عمل عمل قوم لوط الحد وانما اوجب التعزير والاذى وهو منسوخ ان كان في هذا وان كانت في
الاول فهي منسوخة ثم اختلف بما به نسخ فقال قوم نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة لكن عندنا هذا لا يجوز ان يجمع بين حكمها فكيف يكون به النسخ ولكن نسخ عندنا بالخبر الذي روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر والثيب
بالثيب البكر تجلد وتنفى والثيب تجلد وترجم ففيه دليل نسخ القرآن بالسنة فان قيل في الآية دليل
وعد النسخ بقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانما صار منسوخا بما وعد في الآية من النسخ لا بالسنة قيل انما من
آية او سنة كان من حكم الله النسخ بقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانما صار منسوخا بما وعد في الآية من النسخ
لا بالسنة الا انه لو عرفنا النسخ وانه لم يكن مذكورا لان الله عز وجل لا يجعل الحكم في الشيء للابد ثم ينسخ لانه
بدو وذلك فعل البشرية لا فعل الربوبية فاذا كان ما ذكرنا فلا فرق بين ان ينسخه بوحي يكون قرآنا
يتلى وبين ان ينسخه بوحي لا يكون قرآنا وفيه اخبار كثيرة روي انه رجم ماعزا لما اقر بالزنا مرارا ورجم
غيره ايضا ما روي ان عسيف الرجل زنا بامرأته وقال سأقضي بينكما بكتاب الله تعالى وقال
واغد يا انيس على امرأة هذا فان هي اعترفت فارجمها وعن عمر رضي الله عنه قال خشيت ان
يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا
وان الرجم حق اذا احصن الرجل وقامت البينة او اعترف وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله رجم رسول الله ورجمنا بعده وقال قوم ان الرجم بين اليهود والنصارى
كهو بين المسلمين كالجلد بالآية ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين قيل انما رجم
بحكم التوراة الا ترى انه روي انه دعا بالتوراة ودعى علماءهم فامرهم ان يقرءوا عليه فوضعوا ايديهم
على الموضع الذي فيه ذكر الرجم فقرءوا غيره فقال ابن سلام انهم كتموه يا رسول الله ثم قرأ هو فامر
برجمهما ولا شك ان القرآن نسخ حكم التوراة لذلك لم يقم عليهم الرجم فان قال قائل ان الحد يقام
على من عمل عمل قوم لوط بقوله عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قيل
لا يحتمل وجوب الحد عليه بذلك لانه يخالف حكمه هذا من هذا في الحرمة ووجوب المهر وغير
ذلك فلا يحتمل ان يعرف حكم شيء لما يخالفه في جميع احكامه وجميع الوجوه وقوله عز وجل واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم في الآية دليل جواز القياس لانه ذكر الحكم في النساء ولم يذكر في الرجال
ذلك الحكم وهما لا يختلفان في هذا الحكم مما يلزم المرأة في ذلك الفعل يلزم الرجل مثله دل ان
ما ترك ذكره في المنصوص انما ترك للاستدلال عليه والاستنباط من المنصوص والانتزاع منه
وقال قوم ان على الثيب الجلد والرجم جميعا وذهبوا في ذلك الى ما روي عن عبادة بن الصامت عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر تجلد وتنفى والثيب
بالثيب تجلد وترجم اوجب الجلد والرجم على الثيب واما عندنا فانه لا يوجب مع الرجم الجلد
لما روينا من الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجم ماعزا ولم يذكر انه جلده وما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اغد يا انيس على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها لم يذكر هنا الجلد
والاخبار كثيرة في هذا وروي انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر
بستر الله الذي ستره عليه فانه من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حد الله ثم يحتمل قوله صلى الله عليه
وسلم الثيب بالثيب تجلد وترجم في اختلاف الاحوال تجلد في حال وترجم في حال او تجلد ثيب وترجم
آخر لانه لا كل ثيب يرجم لانه اذا كان ثيبا غير محصن لا يرجم دل انه على ما ذكرنا او يحتمل قوله صلى الله

عليه وسلم البكر بالبكر تجلد وتنفى والثيب بالثيب اي البكر مع البكر والثيب مع الثيب يكون ثيبا
تجلد وثيب آخر ترجم ثم اختلف اهل العلم في نفي البكر قال قوم النفي ثابت واجب وعندنا ان كان
فهو منسوخ والدليل لنسخه ما روي في خبر زيد بن خالد وكان الرجل بكرا ولم يذكر انه نفي وما روي
عن عمر رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد ولحق بالروم فقال لا انفي بعد هذا ابدا وما روي انه قال
كفى بالنفي فتنة او ان كان فهو عقوبة وليس بحد لحبس الله عاقبة وغيره والدليل على ان النفي
ليس بحد ان الله تعالى قال في الاماء فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب والامة لا تنفى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت امة احدكم
فليجلدها ثم اذا زنت فليجلدها ثم اذا زنت فليبعها ولو بضفير امر بجلدها ولم يأمر بالنفي ولو
كان حدا لامر به كما امر بالجلد دل انه ليس بحد في الحر لانه اوجب على الاماء نصف ما اوجب
على الحرائر ولا نصف للنفي دل انه ليس بحد ولا يجب ذلك وان كان فهو حبس وفي الحبس نفي فيحبس
او ينفيان لينسيا ذلك ولا يذكر وقوله [illegible] واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله فان تابا
واصلحا يخرج على وجهين لو كانت الآيتان في الزنا احدهما ان يكون في جميع الاناث الحبس وفي الذكور
الايذاء ولذلك جمع بين الجميع في الخبر الذي به النسخ فارتفع الحبس والاذى جميعا وذلك معقول
تأنيب الرجل به ازجر له وحبس المرأة اقطع لوجوه الزنا او ان تكون الآية الاولى في المحصنات
على تضمن المحصنين بالمعنى والآية الثانية في الذكور على تضمن الاناث بالمعنى لكن جرى الذكر بما ظهر
من فضل صيانة الابكار وفي الاناث اما تدينا او حياء الافتضاح او ما الغالب عليهن الصون
من المحارم والحفظ عن قرب الذكور وليس يخفى من ذلك في الرجال ولا في الشبان من الناس على انه
بعيد بلوغ من النساء في قلة الحياء الى ان يفعل حتى يشهد اربع والغالب عليهن انه لا يخالطهن
هذا القدر من العدد ثم الدلالة على دخول الكل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله
لهن سبيلا ذكر لهن على ما جرى به الذكر في القرآن ثم جمع في التفسير بين الكل ثبت ان الذكر قد
تضمن الكل وذلك يبطل تأويل من صرف الآية الى الابكار من الاناث والذكور ومتى يحتمل وجود مثل
ذلك بعد النكاح على ان خلوة الازواج بهن والاطلاع على ما فيه المسيس الدائمة والعادة اللازمة
له ثم كشف ذلك بجميع محارمها ثم خوف الانتشار به لظاهر وكيف يحتمل في مثل تلك الحال ان يمكن
من ذكر بحضرة من ذكر دون ان ينضم الى الزوجها فتأويل من وجه الآية الى الابكار خارج عن المعروف
ثم المروي من السنة ثم ما اجمع عليه اهل التأويل على صاحبه على هذا اجمله بان لا يجوز بيان نسخ حكم
بينه الكتاب بالسنة وحكم على الله تعالى وعلى رسوله بحجر هذا النوع وقوله عز وجل واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا الآية ومعلوم ان عقوبة
الزناة تولاها الائمة وكان الخطاب عليهم خرج ثم قد اثبت الفاحشة منهن ولم يأذن في اقامة عقوبتها
حتى يستحضر اربعة فيشهدون [illegible] على هذا ان ليس للائمة تولي حد الزناة بعلمهم حتى يكون ثم شهود
وفي ذلك لزوم حق الستر الى اقتضي ما ينتهي اليه من اعلان الفعل من الزناة اذ ذلك امر معلوم
فيما يحل ان لا يفعل الا في احوال الخلوات التي يمنع حقيقة ذلك بالرؤية يكون فاما من حيث الكون
دونه فانما هو غالب الظن فالذي لا يحل من ذلك ان يكون بحيث لا يعلم حقيقته ابدا يدل على ذلك
جميع الامور التي منها المباح والمحظور ان المحظور منه انفذ من الظهور والعلم به من المباح فيعلى
ذلك امر هذا انما [illegible] ما جعل فيه من حد الرأي وجهين احدهما الزجر عن هتك هذا النوع
من الستر حتى جرحت شهادة من رمي بذلك بما هتك ستر الله والثاني تحسس الشين بفاعل ذلك

ولا دوام المسبّة في صاحب ذلك وذلك غاية معنى الذم والشين وكذلك روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من ابدا
لنا صفحته اقمنا عليه حد الله فاذ ابلغ الفعل الذي حده ما ذكرت من نهاية التشنيع بين
الاعلان حتى ظهر ذلك للجماعة يفعل من يشينه بفعله ما ذكرت لاستحق ما ذكرت من العقوبة لجرأته
على ذلك بمحله وبقلة حيائه وحيث الظهور الذي ذلك حقه الستر عقوبة ذلك الفعل ما لزم من اتيه
ذلك القبيح ومن به تلبّس ثم جعل الله في ذلك الفعل عقوبات مختلفة على اختلاف اوقات الفعل
واهله على ما علم من مصلحة الخلق بها وزجرهم وتكفير ذنوبهم بها ثم ان الله سبحانه جعل اول عقوبة
الزنا في نوع من الخلق في الاسلام الحبس في البيوت فهو والله اعلم يخرج على اوجه احدها انه كان
الزنا في الابتداء في نوع من الخلق ظاهرا يكتسبون به عرض الدنيا وفي ذلك في الاماء حتى قال الله
تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وحتى كانوا يدعون الانساب في اولاد الزنا من الاماء
وحتى بلغ من ظهور ذلك الى ان يمازح به الحرائر في الطرق تعاميا عن حالهن فنزل قوله تعالى يا ايها
النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
واذا كان هذا الحال في ذلك الوقت غلب عليهم خوف مواقعة الزنا وذلك الحرائر لكثرة ما يرين
او يسمعن وذلك معين بتعب من شهوة نفسه وقل تفكره في امر عاقبته مما ينزل به او بنيته وقد
دكنت هذه الشهوة في كل البشر فخفف الله عقوبته في الابتداء ان جعل في الحبس والامساك في البيوت
ثم صار ذلك الى الضرب لما ان تحرج الناس وعظم ذلك في اعينهم وجعل في الشتم به الحد ليعرفوا
عظيم موقعه عند الله وانتهوا عن فعله وقد جعل في ذلك في بعض الاحوال الرجم وهي الحال
التي يزول فيها كل وجوه العذر ويرتفع جميع معاني الشبه لعظيم امره والثاني ان السبب الباعث
على ذلك قرب بعض ببعض ومخالطة بعض لبعض على عظم الشهوة فغلبت عليهم الامور واستعبدتهم
الشهوة حتى واقعوا ذلك ثم في الحبس وجهان احدهما الكف عن المعنى الذي يدعوا اليه من الاختلاط
وتلاقي الابصار والثاني ما فيه من فضل ضجر وتضييق الحال اذ جعل ذلك الى الموت فيكون في
ذلك عقوبة من حيث الضجر ومعونة على الكف عنه بالحبس حتى لا يقع بصر ذكر على انثى وانثى على
ذكر والثالث ان يكون في الحبس ترغيب الارحام في الحفظ والزام القرابة لبعض ما يجري على تضييع
حقوق الرحم ويدعوا الى القيام بالكفاية اذ ضيق على الفاعل ذلك وذلك يوجب قبل المواقعة الا
شتعال عن الاحوال والجد في الحفظ اذ في ذلك بعض عقوبة اهل الاتصال من تكليف الامساك
والقيام بالكفاية فيكون ابلغ في العقاب واقرب الى الصلاح وعلى مثل ذلك جعل امر العاقل
ليقوم اهل الصلاح في كل قبيلة في كف اهل الفساد عن الفساد والله اعلم ثم لما انقطعت
العادة وقام الناس بالتعاهد وتفرق الفتيان حتى لا يؤذن بالاجتماع الا ان يكون ثمّ
من جبل على الاياس من ذلك وانشئ على قطع الشهوة فنهي ان يجعل في ذلك حد وجعل في ذلك لهن
سبيلا وذلك والله اعلم يخرج على اوجه يحتمل التأمل في الوجوه الذي به نسخ ما نسخ به اللازم
في ذلك وذكر فيما ذكر حد مرة ورجم ثانيا ومعلوم ان المجعول له السبيل والرجم والحد الشق
عليهم من الحبس وقد روي عن نبي الرحمة انه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب تجلد وترجم فهو والله اعلم ان هذه الشريعة
خفي سبيلهن لا ان اوجب على المحبوسات اقامة ذلك بما قد حبس بالزنا ولكن في هذا التخلية
السبيل على الاثنين اذا ان بين فعل بهن ذلك على رفع الحبس عنهن اذ حبسن بما لم يبين حد ذلك فاذا

بين ذلك ذلك ولا حد حتى يكون منها ذلك فالسبيل المجعول لهن تخلية السبيل ثم بين الحكم في الحادث
ووجه آخر ان السبيل في الحقيقة مجعول لمن كلف امساكهن وان اضيف اليهن بما فيهن ضيق
عليهم الامر وذلك كقوله فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن والاماء لا يؤتين الاجر
لكن بما يعني بهن ذكر الاجر فاضيف اليهن وعلى نحو ما اضيف اهل القرى الى القرى بالتسمية
فاخرجت على تسمية القرى واذا كان المراد اهل ذلك في حق تسمية الاهل التذكير فالعقوبة
الثانية فكانه جعل للمأمورين بالامساك سبيلا في ان يقيموا الحد ويزول عنهم مؤونة
الامساك والقيام بالكفاية والثالث ان يكون في طول الحبس ضجر وضيق وحيلولة بين المحبوس
والشهوات كلها وقطع بينه وبين الاحباب وتحمل مثله بمن اثير لها لنفس واهون من
دوام الذل والقهر ثم لا مخلص عن ذلك الا بما في الاول يكون محرما فلذلك سمي والله اعلم ذلك
سبيلا لهن ثم دل الخبر الذي ذكرت على امرين احدهما ان الحبس وان كان مذكورا في النساء
خاصة فهو في جميع الزناة لانه قال عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
ثم ذكر ما به جعل لهن السبيل في الذكور والاناث وفي المحصنين وغيرهم جميعا ليعلم ان الحكم
يجمع الكل وان كان الذكر فيهن وذلك كما ذكر حد المماليك في الاماء وحد الزناة في تذنب المحصنات
والحكم يجمع الذكور والاناث من حيث اتفاقا لمعنى الذي له جعل لمثله فيما نحن فيه والثاني بيان
نسخ المذكور من الحكم في الكتاب بالسنة وذلك لوجهين احدهما انه لم يوجد على الترتيب الذي
ذكر في القرآن مما ذكر تخلية السبيل وليس بمذكور في شيء من القرآن ثبت ان ذلك كان بوحي
غير القرآن والثاني انه قال خذوا عني خذوا عني ثم اخبر عن جعل الله لهن السبيل فدل قوله
صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني انه عنه بيان جعل الله وهكذا معنى النسخ انه بيان
جعل الله مدة حكم الاول بما يحدث فيه الحكم وليس قول من يقول في هذا ان القرآن وعد بقوله
جل وعز حتى يجعل الله لهن سبيلا بمعنى لان كل شيء في حكم الله انه ينسخ فالوعد في حكمه قائم الا ان
يقول قائل لا مصدقا لرسول ببيان وعد الحكم وانما يصدق ببيان وعد الشرط فيحتاج ان يحدث
منه ايمانا والله الموفق مع ما اذا حار ان يعد النسخ المذكور في القرآن حقيقة لا فيه يجوز ان النسخ
المذكور حقيقة لا فيه وبعد فان من يقول هذا اتفق عليه بجملته معنى النسخ انه البيان عن
منتهى حكم المذكور من الوقت ولا ريب ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيان منتهى الحكم من النوع
لمثله الوقت ثم اذا كان هذا اول عقوبة في الاسلام فثبت به نسخ الحكم بالتوبة والعمل اذا كان
بهما الرجم وقد ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجم بحكم التوراة وقال انا اول من احيى
سنة اماتوها واذا ثبت ان ذلك حكم التوراة ثم ثبت نسخ حكمه فلا يقام عليهم الرجم الا بعد
البيان مع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرك بالله فليس بمحصن وانه
اخبر بالرجم في القرآن المحصن وقال قوم عقوبة الحبس في الاناث خاصة واما في الذكور ففيهم الاذى
باللسان والتعزير بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية وهذا اقرب من حيث كان النساء
حكمهن البيوت واحكم حفظهن عن الزنا وتسليمهن الى الازواج من والمحارم ثانيا والرجال
اذا حبسوا تعطلت مؤونتهم الى غيرهم فيكون عقوبة بغيرهم تلزم غيرهم والراحة تكون لهم واما
النساء فهو تعطل في الاصل على غيرهن فليس في حبسهن زيادة على غيرهن فذلك عقوبة لهن مع ما
كان الرجال بحيث يمكن تعبيرهم وذلك ابلغ ما يزجر العقلاء وقد يحتمل ان يكون ذلك في الرجال
خاصة اذ لا يذكر في عمل قوم لوط العقوبة وقد ذكر علم الله سبحانه وتعالى حاجة الناس الى معرفة

عقوبة ذلك اذ قد جعل الله في اتيان النساء حقوقا وحرمات واحكاما ليست في اتيان الذكور من
عرف الخلائق تلك فلذ يحتمل ان يترك ذكر عقوبته للذكور في الزنا قبل ان فرق احكام الامرين فيشبه
ان تكون الاية على ذلك والله اعلم وذلك جل وعز انه قال فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ولم يذكر في ذلك
جعل السبيل وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في كل اقسام الزنا ثبت ان ذلك فيما
ذكرت فتكون عقوبة الاولى في ذلك اخف من الحد فكذلك عقوبة الثانية مع ما يكون فيما
يؤذيان بتعنيف وتعيير وذلك هو الباقي اذا لم يظهر معنى النسخ والاية الذي ذكرت استوى
الذكور والاناث في جميع عقوبات الزنا في قديم الدهر وحديثه من حد والمماليك والاحرار
والثيبات والابكار فعلى ذلك امر تاويل الاية والنفي المذكور في الخبر يحتمل وجوها احدها
ما ذهب اليه الخصوم من جعله عقوبة وانه النفي من البلد لكن الحد وقد جعلت كفارات
قد جعلن زواجر في الزنا خاصة اذا مرنيه بالحبس الى بعد قطع السبيل اليه وفي الاشخاص والاخراج
من البلدان تمكين وذلك بعيد والله اعلم فعلى ذلك لو كان عقوبة فهو على الحبس فينفى عن
وجوه الاجتماع على ما كان من قبل فينفي ذلك العذر منه لظهور خشوع التوبة وقد يحتمل ان يراد
بالنفي قطع الذكر ورفع المسبة فينبغي ذلك فلانه يعير بذلك وكذلك في الاماء ولا في الكفر
اذ ما فيهم من الذل اعظم منها لا يجب نفيه من ذكرت حد لبعلم عظيم موقع ذلك في الاحرار ولو كان
على العقوبة فهو منسوخ بما جرت السنة في الاماء بحدهن من غير ذكر الحبس وقد قال الله تعالى
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والمذكور في الثيب يحتمل الجلد في حال والرجم
في حال اذ لا كل ثيب يجلد وان كان ثم نسخ بما ذكر من خبر ما عز وغيره و **قوله** تعالى فاذوهما
بالحبس وقيل فاذوهما بالتعيير فان تابا واصلحا فكفوا عن ذلك وقيل سبوهما لكن ذا قبح وتعيير
اقرب و **قوله** انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة يحتمل قوله انما التوبة على الله
للذي كذا اي توفيق التوبة وهدايته على الله اذا كانت نفسه ترغب فيها ويميل اليها على الله ان يوفقه
على ذلك اذا علم الله منه انه يتوب ويحتمل قوله انما التوبة على الله اي قبول التوبة على الله اذا
تاب ورجع عما كان فيه وارتكبه وفي قوله ايضا انما التوبة على الله لمن ذكر يحتمل قبولها يعني
ان الذي لا يسوف التوبة ولا ينتظر بها وقت المنع عن ذنوب ما عنده يتوب والاياس من امكان
العود الى ما عنده يتوب فالله يقبلها اذا كان ذلك واتبعه وعماد ته وان بلغ هو ذلك الضيق بامر
دفع اليه او كان يتوب من قريب من الذنب بان لا يستخف به فيترك الرجوع لقلة مبالاته به فلا
يقبلها ممن هذا وصف توبته وحال استخفافه بالذنب والثاني ان يكون توفيق التوبة والهداية
اليه ممن يفزعه ذنبه ويبعثه على الرجوع الى الله والتعرض لرحمته واحسانه ولا يوفق من لا يبالي
بالذي يذكر ولا يتضرع اليه وقيل الاول في الصغاير والثاني في الكباير والثالث في الكفر
بان صاحب الصغيرة ارق قلبا واخشع ذكرا له ورجوعا الى ربه وصاحب الكبيرة اقسى قلبا
من الاول والظلم فهو لا يندم الا بعد شدة وبعد طول المحنة وضيق القلب مثل فليس على
الله قبول توبة من يتوب في تلك الحال ولا توبة من بان منه ما يا مله بالذي عليه قبول ذلك
ولكن بفضله ورحمته يقبل ويوفق له بما كان منه من الخيرات والحسنات التي هي اسباب
التقرب الى الله تعالى والكافر لا يقبلها اذ هو لا يتوب حتى يموت فيستيقن بالعذاب والله
اعلم ويحتمل ان يكون هذا الاخير في الكفار فيكون فيهم من يظهر التوبة عند الضر والدفع
الى الحال التي يزول عنه ويمنع الامكان وييأس من الامهال الى ما كان له بذنب فالله

يقبل

توبته اذ ليست في الحقيقة توبة بل توبة مضطر اوتوبة دفع ما حل به اذ هو وقت يتغل
عن الاختيار لا عن الوقوف على الاسباب من جهة ان مثل ذا النظر لا يرى غير الذي اقبل عليه من
يظن ان له الخلاص بالذي يبذل والله اعلم و **قوله** عز وجل يعملون السوء بجهالة هذا
ايضا يحتمل وجهين يحتمل جهل الفعل فيقع فيه من غير قصد ويحتمل قصد الفعل والجهل بموقع
الفعل والعمل بجهالة تخرج على وجوه يكون عن غلبة تغلب عليه شهوته فيعمل ذلك العمل على طمع
منه انه سيتوب من بعد ويصير رجلا صالحا على ما فعل اخوة يوسف حيث قالوا اقتلوا يوسف او اطرحوه
ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ثم سماهم جهلة بذلك في اية اخرى حيث
قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ويحتمل العمل بالجهالة هو ان يعمل
على طمع المغفرة ويتكل على رحمة الله وكرمه ويحتمل العمل بالجهالة جهالة عقوبة عمله على ذلك
وكذلك الخطأ والنسيان على وجهين خطأ الفعل فهو الذي ليس بصواب ولا رشد وخطاء
القصد عمدا الفعل هو الذي قصد احدا فاصاب غيره والنسيان على وجهين ايضا نسيان
ترك وهو الذي يجوز ان يضاف الى الله تعالى بحال كذلك الجهالة والله اعلم والاصل في النسي
في الشي المعني انه متروك فسمي المتروك من الرحمة والكرامة منسيا فيجوز الاضافة الى الله تعالى
من هذا الوجه وقيل نزل قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية في المؤمنين
وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الى اخر الاية في الكافرين وقيل انهما جميعا في المؤمنين
والثالثة في الكفار وقيل الاولى في المؤمنين والثانية في المنافقين والثالثة في الكفار
وعن عمر رضي الله عنه قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من تاب قبل ان يغرغر نفسه ويعاين الملائكة تقبل الله توبته والاصل في هذا
ان توبة الكافر تقبل اذا كان توبته توبة اختيار واما اذا كانت توبته توبة ضرورة اضطرار
ودفع فانها لا تقبل ابدا كقوله لا تنفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اذا كان ايمانه ايمان دفع
واضطرار عند معاينة العذاب فانه لا يقبل ابدا وهو ايضا كايمان فرعون حيث قال حتى اذا
ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل الاية لم يقبل ايمانه لانه
ايمان دفع واضطرار فعلى ذلك كان كل ايمان كان دفع ايمان دفع واضطرار فانه لا يقبل ابدا
وكقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقيل قوله جل وعز اني تبت الان توبة تشريط
فلم يقبل لانه لم يقطع القول فيه قطعا وقيل في قوله جل وعز وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت
اخبر انه لا يقبل توبتهم لانهم يتوبون توبة دفع واضطرار و **قوله** عز وجل ولا الذين يموتون
وهم كفار لا تقبل توبتهم لانهم يتوبون في الاخرة دفع العذاب عن انفسهم كقوله ما اشركنا وما
كنا مشركين و **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قال بعضهم كان
يجوز لهم ان يرثوا النساء طوعا لانه انما نهى ان يرثوهن كرها فكان فيه دليل جوازه واثبتهن طوعا
واما عندنا فانه ليس فيه دليل جوازه واثبتهن طوعا وان كان النهي انما كان في حال الكره لان الاصل
عندنا ان ليس في حظر الحكم في حال دليل اباحته في حال اخرى ولا في اباحته في حال دليل حظره
في حالة اخرى ولا في حله في حال دليل حرمته في حال اخرى ولا في حرمته في حال دليل حله في حال
اخرى دليل ذلك قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس على ان لهم ان يقتلوا اذا لم
يخشوا الاملاق و **قوله** انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن ليس فيه انه

لا يحل له إذا لم يؤت أجورهن وقوله فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة والقصة في الآية قيل
أن الرجل إذا مات وترك امرأة كان أولياؤه أحق بامرأته من ولي نفسها إن شاء تزوجها
وإن شاء زوجها وإن شاء والعين زوجها نزلت الآية في ذلك وقيل كانوا أيضاً في أول
الإسلام إذا مات الرجل أقبل أقرب الناس منه فيلقي على امرأته ثوباً فيرث نكاحها طوعاً وكرهاً
فنزلت الآية في ذلك والآية عندنا خرجت مخرج بيان التحريم على ما كانوا يفعلون وقيل ذلك
قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف نهي الأبناء أن ينكحوا ما نكح آباؤهم
من النساء لأن الذي كان في الجاهلية جميعاً في حال الكره والرضا والله أعلم وفي قوله لا يحل لكم
أن ترثوا النساء كرهاً الآية يحتمل حرمة ووراثتهن ابتداء أو أن ذكره كرهاً لأوجه أحدها أن ليس
في ذكر الحرمة في وجه أو ذكر الحكم في حال دلالة تخصيص الحال كقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية
إملاق وقوله فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة وقوله إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن
أنهن يحللن وإن لم يؤتين أجورهن وإذا لم يصر ذلك شرطاً صار كأنه قال جل وعز لا يحل لكم
أن ترثوا النساء كرهاً والله أعلم والثاني أن يكون الوراثة أن يكون الوراثة أبداً تكون كرهاً
ويجب الميراث سامر فيه وله أولاد إذا كان هن أوجه الوراثة فنذكره ذلك وغير ذلك سواء
والثالث أنهم كانوا يتوارثون النكاح ومواريث يحتمل الاشتراك ولا عقد لا اشتراك الاستمتاع
فكان ذلك على تراض منهم لواحد أو يكون فيما كانت الوراثة ترجع إلى واحد فيكون ذلك له
نحو النكاح لا الميراث فإذا حرم النكاح في حق من يرث من الذكور وهم الآباء والأبناء فبطل الميراث
لو كان يجوز أن يورث فنزلت هذه الآية في قطع وراثة منافع الأبضاع وملك الأبضاع أو دم
من ملك الإجارات فيجب أن يكون قطع الإجارات أقل دليل آخر على بطلان الوراثة أن المرأة
تدعى الميراث فيكون وراثة بعض نفسها فيبطل من حيث يراد إثباته وقوله تعالى ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة اختلف فيه قال
بعضهم هو معطوف على الأول وهو ما ذكرنا من الوراثة فهاهنا أن يعضلوهن لتذهبوا
بما آتوهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قيل لم يكن يومئذ عقوبة إذا أتت المرأة بفاحشة
سوى أخذ المهور منها وكانوا يمسكونها على الوراثة فإذا أتت بفاحشة ما آتاها ثم يسرحها
فإن قيل إنما نهاها عن الوراثة لأن الولي إذا ورثها ورثت هي نفسها فيبطل بذلك فالنهي لذلك
قيل لو كان لذلك فالمرأة إذا كانت ممن لا ترث غير الزوج مملوكة يجب أن يحل ذلك إذ لا وراثة ثمة
فإذا لم يجز دل أنها خرجت على بيان التحريم والله أعلم وقيل في قوله جل وعز ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن على الابتداء ليست على الأول نهي الزوج أن يأخذ منها ما آتاها
من المهر إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ثم اختلف في قوله الفاحشة هاهنا هو النشوز أي إذا
نشزت فلا بأس أن يأخذ منها ما آتاها وقيل هو ما ذكره جل وعز في آية أخرى ولا يحل لكم أن
تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً لا تأخذوا منه شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن
خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به نهى الأزواج أن يأخذوا منهن شيئاً
إلا عندما يخافا أن لا يقيما حدود الله فحينئذ أباح أخذ ما افتدت به فعلى ذلك قوله ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو ما ذكرنا من النشوز
وخوف ترك إقامة حدود الله فعند ذلك أباح لهم أخذ ما آتاها والله أعلم وقوله جل
وعز وعاشروهن بالمعروف اختلف فيه قيل هو كقوله عز وجل فإمساك بمعروف وتسريح

بمعروف وكقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقيل وعاشروهن بالمعروف في
كلامها ونشرها والإنفاق عليها والإحسان إليها والاجتناب عما لا يليق بها من الشتم والضرب وغير
ذلك وعاشروهن بالمعروف يحتمل بالفعل ويحتمل كما لو فعل بك مثل ذلك لم تنكره بل تعرفه وتقبله
وقوله تعالى فإن كرهتموهن قيل فيه بوجهين قيل كرهتم صحبتهن من قبحهن وقبح منهن
أو سوء خلقهن فصبرتم على ذلك يجعل الله فيه خيراً كثيراً قيل يهب لكم منهن أولاداً تقر به أعينكم
أو يعطي لكم في الآخرة ثواباً جزيلاً بصحبتكم إياهن وقيل قوله عز وجل فإن كرهتموهن أي كرهتم فراقهن
ويجعل الله في الفراق خيراً كثيراً كقوله وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وقوله وإن أردتم
استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً والقنطار قيل ما بين رطل وقيل في حرف ابن
مسعود قنطاراً من الذهب وعن ابن عباس قال إن كرهت امرأتك أو أعجبك غيرها فطلقت
هذه وتزوجت تلك فأعط هذه مهرها وإن كان قنطاراً والقنطار اثني عشر ألف درهم أو
ألف دينار وقيل القنطار ألف ومائتا دينار وهذا على التمثيل ليس على التقدير ووجه
النهي والوعيد في ذلك والله أعلم ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن النساء
عندكم عوان اتخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى ثم عز وجل عن
الأزواج في غير آي من القرآن عن أخذ مهور النساء وغيرها من الأموال لضعفهن في أنفسهن ولأن
هم القوامون على النساء لئلا يبسط الأزواج فيأخذوا لهن إشفاقاً عليهن وأيضاً إذا أخذ منها مهرها تبقى
تلك المنفعة بلا بدل وذلك زنا وعلى هذا يجيء أن لا يجوز له أن يخلعها لأنه إذا أخذ منها مهرها
بقيت له المنفعة بلا بدل لكنه أجيز له ذلك لأنه تعتبر في الملك وكل من تعلب في ملكه بيد لبس
يأخذه كان له ذلك وقوله جل وعز أتأخذونه بهتاناً قيل ظلماً بغير حق وقيل إذا أراد طلاقها
لا يصدقها بكذب لتفتدي منه مهرها وإثماً مبيناً ويحتمل أن يكون البهتان والإثم واحداً
وقوله جل وعز وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض قيل الإفضاء هو الجماع والخلوة
أن يكون الإفضاء الاجتماع لأنه أضاف إليهما جميعاً فهو بالاجتماع أشبه وإليه أقرب فيجب المهر
بالاجتماع والخلوة بعد الاجتماع بفعل الزوج بعد إليه خاصة وقوله عز وجل وأخذن
منكم ميثاقاً غليظاً قيل عقدة النكاح وقيل هو ما ذكرنا في قوله إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
وقيل الميثاق الغليظ ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في النساء فإنكم إنما
اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وإنهن عندكم عوان لا يملكن من أمرهن
شيئاً وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً وإن لهن عليكم حقاً أن من
حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن
هن فعلن ذلك فقد أحل الله لكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح يعني غير شائن وإن من حقهن عليكم
الكسوة والنفقة بالمعروف وقيل إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يحل لنا من
نسائنا وماذا يحرم علينا منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرثك فأت حرثك أنى شئت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجرها إلا في بيتها وأطعمها إذا أكلت واكسها إذا اكتسيت
وقيل الميثاق الغليظ ما أقروا به من قول الله تعالى فإمساك بمعروف أو تسريح بمعروف
وقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حرم الله تعالى على الأبناء نكاح نساء
الآباء وذلك أنهم كانوا يفعلون في الجاهلية ما قيل في القصة أن أبا قيس توفي فعمد ابنه يقال
له محصن فتزوج امرأة أبيه فنهى الله تعالى عن ذلك فقال جل وعز ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من

النساء وحرمه الله تعالى وقيل ان رجلا كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج سلاً
شيبته فقيل له ما شانك فقال ان رجلا تزوج بامراة ابيه فهذا اذا تزوجها مستحلا لها ثم يكفر
لذلك كان يقصد قتله ولذلك حرم الله تعالى على الآباء نكاح نساء الابناء بقوله وحلائل ابنائكم و
قوله جل وعز الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومعناه اي انكم اذا انتهيتم عن ذلك في الاحتياط
يغفر لكم ما قد سلف وان كان فاحشة وقيل الا ما قد سلف قبل التحريم انه كان فاحشة اي صار
فاحشة في الاسلام ومقتا قيل بغضا وساء سبيلا اي بئس المسلك تزوج نساء الاباء ويحتمل ان
تكون الاية في الطلاق اذا كان الرجل يطلق امراته ثم يندم على طلاقها فيتزوجها ابنه فيمقت ذلك
الاب ويبغض و قوله عز وجل وساء سبيلا اي بئس السبيل نكاح امراة ابيه حيث مقت
ابيه وبئس مقت ابيه المسلك و قوله جل وعز حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم الى اخره
يحتمل وجهين يحتمل اي حرم عليكم الاستمتاع بامهاتكم وبناتكم واخواتكم وما ذكر والجماع بهن ويحتمل
حرمة النكاح اي حرم عليكم نكاح امهاتكم وبناتكم واخواتكم فان كان هذا المراد فلا يحرم النكاح نفس
النكاح ولكن يحرم النكاح لما به يوصل الى الاستمتاع بالنساء واليه يقصد فدل انه يحرم الجمع
بين الاختين في الاستمتاع في ملك اليمين ولا يحرم الجمع بينهما في العقد ثم ذكر الحرمة في الامهات
والبنات والاخوات ولم يذكر في الجدات انهن محرمات وان علون ولم يذكر في بنات البنات
انهن محرمات وان سفلن فقد ذكرنا ان ذكر الحرمة في الامهات والبنات ذكر في الجدات وان علون
وفي بنات البنات وان سفلن لانه ذكر الحرمة في العمات والخالات والعمات والخالات من
ولد الجدات فانما ذكرت في الاولاد الحرمة ثبت حرمة الجدات والاجداد وكذلك ذكر الحرمة في
الاخوات وبنات الاخوات فالحرمة في بنات الاخ والاخوات لحرمتها في الاخوات والاخوة فعلى
ذلك ذكر الحرمة في الامهات ذكر في البنات وبنات البنات لما ذكرنا او يقال ان بنات البنات
بنات وان سفلن تدخلن في ذكر الحرمة نصا وكذلك امهات الام وان علت تدخلت في الخطاب و
قوله عز وجل وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة ذكر الامهات من الرضاعة
والاخوات ولم يذكر البنات قال بشر انما لم يذكر البنات من الرضاعة لانه لا يمكن من الرضاعة
البنات لذلك لم يذكر وذلك اختلاف بيننا وبينه في لبن الفحل فعندنا لبن الفحل محرم
وعنده لبن لا يحرم لبن الفحل ذكر الله تعالى الحرمة في النسب بيننا وبين بيان احاطة
وحقيقة وذكر الحرمة في الرضاع وبين بيان كيفية لا بيان احاطة فاما ان ترك ذلك للاجتهاد
والاستنباط من المذكور وقد اجمعوا جميعا ان بنات الاخوة والاخوات من الرضاع كالذكر
في اولادها فعلى ذلك يجب ان يكون ذكر الحرمة في الامهات من الرضاعة ذكرا في بناتها او ترك
بيان ذلك للشبهة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت جاء عمي من الرضاعة فاستاذن علي فابيت ان اذن
له حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله فسالته فقال انه عمك فاذني له
فقلت يا رسول الله انما ارضعتني المراة ولم يرضعني الرجل فقال عليه السلام انه عمك فليلج
عليك فقالت عايشة رضي الله عنها وذلك بعد ان ضرب علينا الحجاب وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه سيل عن رجل له امراتان جارية وامراة فارضعت هذه جارية وهذه غلاما
هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وعن عمرة عن عايشة رضي الله عنها
انها اخبرتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت رجلا يستاذن في

بيت

بيت حفصة قالت عايشة فقلت يا رسول الله هذا رجل يستاذن في بيتك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله
لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان الرضاعة
تحرم ما تحرم الولادة وعن علي رضي الله عنه قال لا تنكح من ارضعته امراة ابيك ولا امراة
اخيك ولا امراة ابنك وعن عايشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس جاء فاستاذن
عليها وهو عمها من الرضاعة بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبرته بالذي صنعت فامرني بان اذن له علي وحجة اخرى من السنة بان
الله تعالى حرم البنت على ابيها وعلى جدها والبنت حدثت من ماء الاب بعينه ولم تحدث من ماء
الجد ولكن الجد سبب ماء الاب الذي حدثت عنه البنت قال فاللبن وان كان حدوثه من
الام فان سبب كونه هو الاب فيجب ان تحرم المراة التي ارضعتها امراته عليه اذا كان سببا
لذلك اللبن كما تحرم المرضع اذا كان سببا على الذي ارضعته ثم تبقت مسئلتان احديهما
في التقدير والاخرى في الحد اما في التقدير فنقول بقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة لم تخص قدرا دون قدر وروي عن علي وعبد الله قالا قليل الرضاع وكثيره سواء
وعن ابن عباس كذلك وعن عبد الله بن عمر قال الرضعة الواحدة تحرم فان قيل روي عن عايشة
انها قالت كان فيما نزل عشر رضعات ثم صرن الى خمس فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهن مما
يقرا فان قيل لسنا نجد في القرآن آية الناسخ ولا آية المنسوخ ولا يجوز ان يقال من القرآن
شيء فلا نترك ما نجده ثابتا محفوظة بروايتها لعلها قد غلطت فيها وروي عنها انها قالت يحرم
من الرضاع ما انبت اللحم والدم وروي عنها انها قالت لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة
ولا الاملاجتان فذكر ذلك لابن عمر فقال حكم الله اولى وخير او كلام نحو هذا من حكمها وعن
عمرو بن دينار قال سالت ابن عمر فذكرت شيئا من الرضاع فقال لا نعلم الا ان الله حرم الاختين
من الرضاعة قال فقلت ان امير المومنين ابن الزبير يقول لا تحرم المصة والمصتان فقال
قضاء الله خير من قضائك وقضاء امير المومنين مع ما يحتمل قوله لا تحرم المصة والمصتان
ولا الاملاجة ولا الاملاجتان لما لم يتحقق بالمصة والمصتين ان اللبن قد صار في جوف الصبي
ووصل اليه فلذلك لم يحرم به واما المسئلة في الحد ان الرضاع في الكبر لا يحرم عندنا
ما روي في خبر عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها فراى عندها رجلا فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقالت انه عمي من الرضاعة فقال انظرن
ما الرضاعة انما الرضاعة من المجاعة وما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما انبت
اللحم وانشز العظم وما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما فتق الامعاء وفتق
الامعاء انما يكون في الصغر لان امعاء الصبي تكون ضيقا لا تحتمل الطعام لضيقه وانما تفتقه
باللبن على ما وصفه جل وعز لبنا خالصا سائغا للشاربين فاذا كان عند آوه انما يكون باللبن
للمعنى الذي وصفنا كانت كفاية مجاعته به وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم انما الرضاعة
من المجاعة وكذلك ما روي الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وفي الكبر لا ينشز العظم
ولا ينبت اللحم وروي زاذان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الجرعة تحرم كما تحرم خمس لان كاملا فان ثبت هذا فهو الاحتمال في ذلك المعهود
عليه فان عورض بما في خبر سالم حيث قال لها صلى الله عليه وسلم ارضعي سالما خمس رضعات تحرمي

تحرم عليه قيل هذا احتمل وجهين يحتمل ان يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من الناس فاذا كان
كذلك فلا بأس عليه غيره ويحتمل ان يكون منسوخا بما روينا من الاخبار المرفوعة والموقوفة
بايجاب الحرمة بالقليل منه والكثير وقوله جل وعز وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن لانه اجتمع اهل العلم في الربيبة على انها لا تحرم على الرجل الذي كان
تزوج امها وطلقها قبل الدخول بها او ماتت وانما تحرم عليه اذا دخل بها واختلف في ام المرأة
اذا لم يدخل بالبنت حتى بانت منه قال اصحابنا هي حرام عليه كان دخل بالام او لم يدخل بها وقال
آخرون شرط الدخول في آخر القصة راجع الى الربيبة والام جميعا فما لم يدخل بواحدة منهما حل له
ان يتزوج بالاخرى اذا فارقها ومن القياس الظاهر في الكتاب في امر الشرط والثنيا ان يكون
الشرط فيهما جميعا لانه قال تعالى وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن ذكر امهات النساء وربائب النساء ثم شرط الدخول بهن فيجيء ان يكون الشرط لاحقا بهما
جميعا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة وعن جابر قال ينكح امها
ان شاء الله تعالى وعن ابن مسعود انه افتى في امرأة تزوجها رجل فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت
قال لا بأس ان يتزوج امها فلما اتى المدينة رجع فاتاهم فنهاهم عن ذلك فقيل انها ولدت
او لا وان كانت ولو ولدت الى هذا ايه هبون او لئك ومن الظاهر من الاية واحتج بعض اصحابنا
في ذلك ان الثنيا الملحق في آخر الكلام ربما يلحق الكل على ما تقدم من الكلام وربما يقع على
ما يليه فلما كان غير ملحق على الكل من المذكور وقع على ما يليه فان قيل يلحق على ما تقدم من المذكور ما
يحتمل الشرط على ما لا يحتمل الا ترى ان الله تعالى قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم لم يلحق الكل ولا وقع على ما يليه خاصة
ولكنه لحق على ما احتمل عليه تعالى ذلك فيه هذا لم يلحق الكل لانه لا يحتمل ووقع على الام والربيبة
لانه يحتمل واحتج لاصحابنا ايضا ان الحرمة قد تثبت بقوله جل وعز حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم الى قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم فلا نسخ
بالشك وفي الربيبة لم تثبت الا بالشرط فلا تحرم الا بالشك وقيل ايضا ان الدخول لو كان
شرطا في الام والربيبة جميعا لا اكتفى بذكر الامهات والربائب فيقول امهات نسائكم من
ربائبكم اللاتي دخلتم بهن ولم يحتج الى ان يذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن على ما اكتفى بذكر الحرمة في الانساب والرضاع في الاصول عن الفروع فلما لم يكتف بذلك
دل ان الربائب مخصوصات بالشرط دون الامهات ومما يبين ذلك ان الربيبة لو لم تذكر
لم يجز ان يبقى من الكلام وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن ولو لم يذكر الامهات فبقي من الكلام
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن كان كلاما تاما فدل ذلك على ان قوله من
نسائكم انما هو في الربائب دون الامهات واصله ما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده
فلا بأس بان يتزوج ابنتها وايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا
يحل له ان يتزوج امها وعن ابن عباس وعمران ابن حصين في امهات نسائكم قالا هي مبهمة
وقال اكثر اهل العلم اذا تزوج الرجل امرأة فدخل بها لم يجز له ان يتزوج ابنتها وان لم تكن
ربيبته في بيته وحجره وهي في ذلك بمنزلتها لو كانت في حجره يربيها واجمعوا جميعا ان الجمع
بين المرأة وامها او ابنتها في الجماع في ملك اليمين حرام وكذلك روي عن عمار انه سئل عن ذلك

فقال ما احب ذلك فان قال قائل ان الخطاب كما ذكرت يدل على ان الشرط في الدخول بالامهات
انما هو بسبب الربائب فما تنكر ان يكون حكم الامهات حكم الربائب كما كان حكم حلائل الابناء حكم نساء
الآباء قيل لا يجوز ان يقاس المنصوصات بعضها على بعض وانما يقاس ما لا نص فيه على المنصوص فبطل
ذلك الاول والله اعلم ثم يجب ان ننظر اي حكمة اوجبت تحريم الجمع بين المحارم بين محارم الرجال
ومحارم النساء وروي عن انس قال ان اصحاب رسول الله كانوا يكرهون الجمع بين القرابات في
النكاح وقالوا انه يورث الضغائن او كلام نحو هذا فقيل له يا ابا حمزة من منهم فقال ابو بكر وعمر
وعثمان وروي مرفوعا انه قال لا ينكح كذا على كذا ولا كذا على كذا انا نهى نبيا طعن وتراه قال
لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وروي في بعضها انه يوجب القطيعة وروي عن ابن مسعود انه
كره الجمع بين ابنتي عم وقال لا احرمه ولكن اكره لانه يوجب القطيعة فلم يحرم لان صلة القرابة
فيما بينهما ليست بمفترضة والصلة بين المحارم مفترضة فاذا كانت مفترضة فالجمع بينهما يحمل
على القطيعة فحرم وعلى ذلك في نساء الآباء وحلائل الابناء اذا فارق واحد منهم امرأته
فلعله يندم على ذلك فيريد العود اليها فاذا تزوجها ابوه او ابنه اورث ذلك فيما بينهما القطيعة
لذلك حرم والله اعلم وكذلك هذا المعنى في البنت اذا طلقها ثم تزوج بامها حملهما ذلك
على الضغينة والقطيعة فيما بينهما واما اذا تزوج الام ثم فارقها قبل ان يدخل بها حل له ان يتزوج
بابنتها لان الام تؤثر ابنتها على نفسها في المتعارف فلا يحمل ذلك على القطيعة والبنت لا تؤثر
امها على نفسها بل تؤثر نفسها على امها لذلك كان ما ذكر واما اذا دخل بالام لم يحل له ان ينكح بالبنت
لانه يذكر استمتاع هذه في استمتاع هذه فيكون جامعا بينهما في الاستمتاع لذلك حرم ثم اختلف
في الجماع والدخول بها اذا كان من غير رشد قال اصحابنا يحرم كما يحرم الحلال ويمنع نكاح الربيبة
كما يمنع الحلال وقال قوم لا يحرم ولا يمنع نكاح الربيبة واستشهد لو اني ذلك بقول الله تعالى وربائبكم
اللاتي في حجوركم من نسائكم لان الله تعالى حرم ربائب النساء اذا دخل بالامهات والذي يأتي البيت بزوجة
للزاني فلا يحرم ابنتها ذكرته لا حجة لهم في ذلك وذلك ان الله عز وجل ذكر الدخول بهن ولم يذكر
النكاح ولا خص الدخول في النكاح بل ذكر الدخول وهو على كل دخول رشدا كان او سفاحا والسفاح
احق في الحرمة من الحلال اذ حكمه اغلظ واشد فعلى ذلك في ايجاب الحرمة من الحلال يجيء ان يكون
اشد واغلظ ولو كان ذكر الدخول هاهنا في النكاح لم يكن فيه ما يمنع وجوب الحرمة اذا كان في
غير النكاح الا ترى الى قول الله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم والربيبة التي لا تكون في حجر الرجل
مثلها في الحرمة ولم يجعل قوله تعالى في حجوركم خصوصا فيها دون ما اشبهها وكذلك يجوز ان
لا يجعل قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن خصوصا الدخول بالازواج دون ما اشبههن وهي
الموطوآت مع ما ذكرنا ان للنهي في الاية ذكر نساء لذلك لم يكن فيه دليل الحظر في غيره وقد
كنا قد ذكرنا فيما تقدم ان النهي في حال حظره في غير تلك الحال والحرمة من ذلك الاستمتاع
انه اذا استمتع باحديهما لم يكن له الاستمتاع بالاخرى ولا يحل له ان يتزوج بالاخرى الا ترى الى
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ملعون من نظر الى فرج امرأة وابنتها ومعلوم
انه لا ينظر الى فرجيهما في وقت واحد وانما ينظر في وقتين فهو والله اعلم انه اذا نظر الى فرج
احدهما ثم نظر الى فرج الاخرى تذكر نظره في فرجها في وقت نظره في فرج هذه فهو كالقاضي وطره
فيهما كذلك في الزنا كهو في النكاح والله اعلم على انهم اجمعوا ان من وطئ امة له لم يكن له ان يتزوج
ابنتها فدل ان الدخول بها في النكاح وفي غير النكاح سواء وانه محرم وما اجمعوا عليه ايضا انه

اذا وطي امرأة في النكاح الفاسد او بشبهة حرمت ابنتها عليه وهو وطي حرام فدل هذا على ان التحريم انما يكون بالاستمتاع بها لا غير وروي ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى فرج امرأة لم تحل له امها ولا ابنتها وعن عمران بن حصين في رجل زني بام امرأته قال حرمت عليه امرأته وعن عبد الله قال لا ينظر الله الى رجل نظر الى فرج امرأة وابنتها الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا **وقوله** تعالى وامهات نسائكم وربائبكم الاية الاصل ان الله تعالى بين المحرمات في الانساب ببيان الابلاغ وفي غير الانساب ببيان الكفاية اذ بين في الانساب الحرمة في الطرفين في اللواتي علون وسفلن نحو الامهات والبنات ثم في اللواتي يتصلن بالاباء والامهات نحو العمات والخالات ثم في اللواتي تشترك الطرفين بالاشتراك كالاخوات وذكر في الرضاع من الانفس احد الطرفين وفي الشعوب ما يشترك الطرفين على الاكتفاء به كوطرف من الانفس عن الطرف الاخر وبذكر المشتركات من الشعوب على الاكتفاء به عن ذكر المنفردات فعلى ذلك امر الانفس في خطاب المحرمات فلما ذكر في ذلك للامهات والبنات حسبا على ما ذكر في الواجب فيما كان المذكور في نوعه نحو الكفاية من البيان لا نحو الابلاغ وان ذلك لما اريد به التفريق في الامرين وايد ذلك خبر عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاويل جماعة الصحابة معا كان في ذلك امكان شبهة الخفة اذ لو اقتصر على ابتداء الاية الحرمة بالعقد لا يزال ذلك بالشك على ان وجه الاعتبار الاستواء في الحرمة قبل الدخول لتكون حرمة البنت على الام في زوجها حرمة الام عليها على ما عليهما امر الابن من الاب في زوجته لكن فرق من حيث اشارة الرجل في الاختيار اذا اختار الام على البنت ان علم او الغفلة ان لم يكن علم وحق مثله الزجر عنه والتوبة عن مثله لجعل له معاودتها لابنتها وقد نبين بذلك قبل الدخول على ان الدخول مذكر له ما كان لها في حال الاستمتاع بها وقد حرم ذلك الجمع حرمة ابدية ما ينبغي ان يجعل بما يذكر وسبيل الحظر بالقلب والله اعلم وليس امر الابن والاب هذا اذ ليس هما في الابتداء الاختيار دون الابتداء له وكل يؤثر الذي له على الذي هو لغيره وفي النساء انما يجب بعد الخطاب وليس منهن عرض لذلك لم يعتبر ما لهن على ان الامهات في العرف يؤثرن لذات بناتهن على لذاتهن فلا يلحقهن في الفراق لاجل البنات غضاضة ويلحق للبنات فلذلك فرق وانما بعد الدخول فهو يوجب الحرمة لا من حيث الايثار اذ من جهة حرام او حلال يوجب ذلك فلذلك اختلف الامران قال بشر ان تخصيص ذكر الاصلاب في حلائل الابناء على دفع حرمة الرضاع او على ان لا يكون الا من الصلب ونحن نقول لا دلالة فيه على ما ذكرنا لما استدل به على الكون كان الرب اذ خص ذكر الاصلاب ولو لم يكن الا من الصلب لكان القول حلائل ابنائكم كافيا عن ذكر الاصلاب مع ما فيه وجوب الالحاق بقوله يحرم من الرضاعة ومعلوم ان الحرمة من الولادة تلحقه وان لم يكن منه حقيقة الولادة بما كان سببا له فكذلك يصير مرضعا لما كانت هي مرضعة وان لم يكن منه حقيقة الارضاع لما كان هو سبب لما به درور اللبن وايد ذلك امر حلائل ابناء الابناء بل حلائل ابناء البنات وان لم يكونوا للصلب للاتصال جميعا بالنسب على البعد عما ذكرنا احق والله اعلم مع ما يجوز ان يقال صار الرضاع ولاء اي الحكم بالخبر فيصير للصلب بالحكم نحو قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم قد يقيم فيهم الولاء في الحجاب لما جاء ان الولاء لحمة كلحمة النسب ويصير ونسب ورحم بالحكم بما ذكر من الخبر فمثله الاول مع ما قد قيل ان فائدة ذكر الصلب ان لا يحق حرمة حلائل ابناء التبني بالاصلاب ولذلك قال والله اعلم فلما تبني

ويد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم **وقوله** حرمت عليكم امهاتكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين احتمل الجمع في العقد والجمع في الملك والجمع في الاستمتاع واحتمل الجمع في جعل الاستمتاع واحتمل ان لا يرجع المراد الى معنى من ذلك ولكن يرجع الى الكل ثم كان الاستمتاع بهما مرة واحدة غير ممكن فان كانت فيه حرمة فهو لمعنى هنالك يوجد في حال الجمع لان الخطاب باخذه اذ هو غير ممكن وجوده ولا يجوز احتماله ليقصد بالخطاب نحوه ولكن من خاطب يجوز ان يخاطب بحمل فيه تحريمه وان لم ينص عليه في الخطاب ثم الملك المطلق او العقد المطلق قد يوجدان بغير تحريمين نحو عقد به يملك ملك يمين فثبت ان المقصود لو كان ملكا او عقدا فهو متقيد نحو ملك النكاح او عقد ملك النكاح وقد اجمع على دخول هذا في حق الخطاب اذ قد اجمع على ان من جمع بين الاختين في النكاح انه لا يصح واجمعوا انه لو تزوج بعقدين ان نكاح الثانية فاسد من حيث ان كان جمع في العقد بل في الملك لم يثبت العقد في الثانية واذا ثبتت الحرمة لهذا العقد والملك لم يكن لعقد ملك اليمين ولا لملكه ثبت انها لمعنى في ذلك لا لنفس ملك او عقد ونفدها في ايجاب الحل واحد ثبت ان ذلك ليس للحل نفسه ولا للملك ولا للعقد اذ كل ذلك على الانفراد لا يحل هذا الحل فيجب ان يكون المعنى من ذلك الاستمتاع والجمع في الفعل به غير ممكن ثبت انه لمعنى قد وصف الجمع بالاستمتاع وذلك على وجوه احدها عقد الاستمتاع وهو عقد النكاح او عقد ملك اليمين قد يوجد ولا يوجب حق الاستمتاع وملك النكاح اذ هو لا يخلو من ان يوجب ذلك الحق ثم كان نفس الاستمتاع بحقه احق من الاسباب الموجبة له والعدة مما يوجب الاستمتاع نفسه فهي احق ان يكون شرطا للمنع بل هو اولى اذ قد يمنع الاستمتاع بملك اليمين ولا يمنع لحل ولا للملك ولا للسبب فاذا وجب المنع في النكاح لما هو سبب له فهو لان يجب لحقيقته احق وان شئت قلت اذ لم يتفرد الحق لنوع من السبب دون ان يشاركه غيره من الاسباب لزم ان يكون حقيقة السبب مجهولا لا يطلق ما قد ثبت الحرمة الابيتين والله اعلم وايضا ان عقد النكاح قد حرم عليه وعليها لكن الذي حرم عليه في محارمها وعليها في الكل ثم معلوم ان ملك الزوج فيها ما به تحل لغيره من الفراق وحضرة فعله فلما دخل عجز ذلك بما احدث له فيها الاستمتاع بها حقا بعد الفراق ابقاها على ما سبق من الوصل بالافراق فعلى ذلك ما فيه من الحق اذ ذلك واجب بما فيه اشتركه على الغالي بقية ملك له بنكاح عملت فيها بقية ملكه على صلة ملكه فمثله فيه وقد الحق بعض من انكر حرمة الجمع في العدة بالواطي حرمة ما نزل منها من اللبن على احتمال دروده ودون الولد بما كان هو سبب في ذلك كانت حرمة العدة احق بذلك والاصل ان الحرمة قد تثبت بالنكاح فلما وقعت الفرقة اشكل زوالها فلا يزال بالشك مع ما في الازالة تعليق الحرمة بالحل او بالملك خاصة وقد بينا وجوبها لا لذلك الوجوه ثم الاصل في النكاح ان المقصود منه الاستمتاع وبحله يحل هو وبحرمته يحرم فيجب ان يكون هو الاصل للتحريم والتحليل وعلى هذا تحريم كثير من الاماء في حق الاستمتاع بهن وان لم يحرم فيهن الملك ويحرم بالاستمتاع في ذلك وان كان الملك لا يوجب الحرمة فاذا ثبت ان الاستمتاع احق في التحريم والعدة حق الاستمتاع او جهاته فيجب ان تكون هي محرمة لذلك لم يجز نكاح الاخت فيها مع ما كانت موجبة الحرمة فيها اكثر مما يوجب في ملك اليمين ثم كان الاستمتاع بملك اليمين يحرم الاستمتاع بالاخت فالعدة التي هي مجعولة لتاكيد الحرمات وقطع المجعول للحل خاصة احق ان يمنع والله اعلم وعلى ما بينا اذ ثبت ان الاستمتاع هو الاصل في التحريم سواء له وقع من وجه حل او لا فيهن الحرمة

حرمة الامهات لا حرمة الجمع اذ لا اثر يقع له جمع ثم الاصل في ذلك ان تعلق الحرمات بالمحرمين
الاعيان الظاهر منه بالمحللة منها انه كما ان الاستمتاع بالاعيان المحللة توجب حرمة الامهات
والبنات لقوله في المحرمات مع ما لا يخلو ان تكون الحرمة لاجل الايمان جل فيجب ان لا يجب
في النكاح الفاسد ولا في وطي جارية تنفذ وطي الابن او الملك وفيهما ايضا ذلك اذا الشبهة يجب
ان لا يحل الحرمة فيما لا يكون منه نسبا او في وقت لا يمكن او بايجاب الحقوق فيجب ان لا يحل في
مماسة الامة دون الفرج او للاستمتاع خاصة فيجب استوا حال السفاح والنكاح وقوله
جل وعز اللاتي دخلتم بهن قال بعضهم هو كناية عن الجماع لكنه عندنا الدخول بها هو اخذه بيدها
في ادخالها في موضع الخلوة والجماع لا انفس الجماع كما يقال فلان دخل بفلان موضع كذا لا يراد به
غير الدخول به المعروف وهو اخذه اليه والدخول فيه لذلك قلنا بانه اذا ادخلها في موضع
وخلا بها وجب كمال المهر بظاهر الاية ووجبت الحرمة والله اعلم وقوله ايضا اللاتي دخلتم
بهن كني به عن الجماع من حيث لا يكون الجماع الا بالدخول بها مكانا يسترهما والا فحقيقة الدخول
باخر ليس بجماع ولا يصلح القول به مطلقا دون ذكر المكان الا في المراة بما يعلم انها لما ذي يدخل
وفيه يدخل مجازا ان يكون في الحرمة على حقيقة الكناية والمراد منه الجماع وجاز على حقيقة الدخول
بها مكانا لذلك اذ هو الظاهر وهذا الذي يكون باخذ يدها او شي منها فيكون هو الداخل بها
لا هي ووجوده لا يكون الا للشهوة فيكون هو المذكور للحرمة فاذا لم يظهر حقيقة المراد يجب
الاحتياط في ايجاب الحرمة من كل وجه او تحقيق هذا اذ هو الجهر له وله ادلة ثلاثة احدها
ما روي ملعون من نظر الى فرج امراة وابنتها انما وجب اللعن بالنظر فلولا ان النظر الاول
قد حرم الثاني لم يلحقه به اللعن ثم النظر دون المس في العبادات والاحكام فالمس اولى في
ايجاب الحرمة والثاني ما بينا ان علة الحرمة الاستمتاع ومعلوم ان معناه في القبلة والمباشرة
اعلا منه في السبب الذي يقتضي به الاستمتاع وهو النكاح وقد اوجب له فالقبلة اولى بوجوب
لها وذلك كما اوجب بسبب الحدث وهو النوم حكمه ثم لا يحل لا في حال دون حال وقد يجب لنفس
الحدث في كل حال لمنزلة سبب الاستمتاع من حقيقته والله اعلم والثالث ان كل انواع الا
ستمتاع في الحرمة والحل متصل بالجماع وخاصية في حقوق الاملاك فعلى ذلك في فسخ الاملاك
وتحريمها على انه يبعد ان يكون المرء يستمتع بالمراة عاما ثم حين يتمتع بها ولدها وكذلك بابنها
دون الفرج او ان يكون من لا يقدر على الايلاج لعنة او جب يرتفع عنه الحرمة اذا فيشتري
امة وابنتها فيتمتع بهما ابدا وذلك بعيد فيجب الحرمة من الوجه الذي ذكرت وقوله
وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يحتمل ذكر الصلب وجوها احدها يحتمل ان يكون ذكر الصلب
ليعلم ان الحرمة في حليلة الولد كهو في ولد الصلب وكذلك الحرمة في حليلة ابن الرضاع كهي
في حليلة ابن الصلب على ما كانت في محارم الرضاع وان لم يذكر نصا كان ذكر امهات الرضاع
واخواته ولم يذكر غيرها ثم دخل ما دون ذلك في الحرمة فيقول ذلك هذا وقال بعضهم ذكرت
تخصيص الاصلاب على نسخ حرمة حليلة الابن من الرضاعة اذ لا يكون من الرضاع ابن فلما
لم يكن من الرضاع ابن لم يكن لذكر الصلب لا بن معنى ولا فايدة ولانه يكون من الرضاع ابن
على ما يكون من النسب وان الحرمة من الرضاع كهي في النسب وان كانوا في الحقوق مختلف
نحو العتاق يعتق بعضهم على بعض ويجب لبعض في احوال بعض النفقة وحقوق بمثله لا يوجب
في محارم الرضاع وذلك والله اعلم ان الرضاع انتفاع والنسب حدوث نفس بعضهم من بعض

بعض فاذا كان كذلك لم يوجب الرضاع الا حرمة الانتفاع خاصة وهو الاستمتاع واما النسب
فهو كون الولد منه وحدوث نفسه منه فاوجب مع ذلك حقوقا ولان في اقرار بعضهم في بعض ايضا
وعينا انهم او غلبة لم يوجب ذلك فالم يحصل لبعضهم في بعض لذلك كان الجواب ما ذكر وقيل
انه ذكر ابنا الاصلاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امراة زيد بن حارثة بعدما طلقها
وقد كان تبناه فعابه المنافقون على ذلك وقالوا تزوج رسول الله امراة ابنه فانزل الله تعالى وحلايل
ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله عزوجل وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يحتمل قوله
وان تجمعوا بين الاختين وجوها يحتمل الجمع بينهما في العقد وقد اجمعوا انه اذا لم جمع بينهما بالعقد
ولكنه تزوج احديهما ثم تزوج اخرى لم يحل له نكاح الاخرى دل انه لم يرد به الجمع في العقد ويحتمل
الجمع في الملك وقد اجمعوا ايضا ان له الجمع بينهما في ملك اليمين فدل انه انما اراد الجمع بينهما في الاستمتاع
واذا استمتع باحديهما بنكاح ثم فارقها لم يحل له ان يتزوج اختها والاولى في عدة منه من طلاق باين
لان الاستمتاع هو الذي حرمها على الازواج فكان كالجمع بينهما في الاستمتاع ولان المعنى الذي به
حرم الجمع في ملك النكاح ذلك اذا كانت في عدة منه موجود وهو خوف القطيعة فيما بينهما والله
اعلم ولان اكثر احكام الزوجات قائم فيما بينهما نحو الاسكان والانفاق عليها والحاق الولد وغير ذلك
من الحقوق وعن علي رضي الله عنه انه سيل عن رجل طلق امراته فلم تنقض عدتها حتى تزوج اختها
ففرق علي بينهما وجعل لها الصداق بما استحل من فرجها وقال تكمل الاخرى عدتها ثم خاطب وعن
زيد بن ثابت انه سيل عن رجل تحته اربع نسوة فطلق احديهن ثلاثا ايتزوج خامسة فقال لا
حتى تنقضي عدة التي طلق وعن عبيدة مثله واختلف في الجمع بين الاختين من ملك اليمين عن عمر
انه سيل عن المراة واختها من ملك اليمين هل يوطا احديهما بعد الاخرى قال ما احب ان اجيزهما جميعا
ونهى عنه وعن ابن مسعود انه كره في الاختين من ملك اليمين فقال يحل احدكم ملك اليمين وعن
ابن مسعود رضي الله عنه قال يحرم من جمع الاما ما يحرم من جمع الحرائر الا العدد وعن ابن عمر
رضي الله عنه انه سيل عن رجل له امتان اختان وقع على احديهما ايقع على الاخرى قال لا
ما دامت في ملكه واجمعوا ايضا على انه ان تزوج بامراة فاشترى اختها لم يحل له ان يطاها
الى هذا ذهب اصحابنا ثم اذا طلق امراته وانقضت عدتها او ماتت حل له ان يتزوج اختها ولم
يحل له ان يتزوج بامها وذلك والله اعلم بان الحرمة في الاخت في نفسها ولمعنى في ولدها والحرمة
والحرمة في الام والبنت في انفسهما ومعنى في ولدهما فاذا كانت الحرمة في الاخت من وجه وفي الام
من وجهين ففيما كانت الحرمة من وجه كانت حرمة الجمع لحرمة تابيد وفيما كانت من وجهين
حرمة جمع وحرمة تابيد لانها تاوت اي اولادها وفي الاخت لم تتاو لذلك اختلفا وقوله
جل وعز الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما يحتمل الا ما قد سلف قبل التحريم في الجاهلية
فانهم اذا انتهوا عن ذلك في الاسلام يغفر الله لهم ويحتمل قوله الا ما قد سلف وان كانت
محرما في ذلك الوقت فانهم اذا انتهوا عن ذلك بعد الاسلام يغفر ذلك لهم وقبحا وذ عنهم
وهو كما ذكرنا في قوله الا ما قد سلف انه كان فاحشة يحتمل كان في ذلك الوقت فاحشة ويحتمل
كان فاحشة اي صار فاحشة في الاسلام وقوله عزوجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت
ايمانكم اختلف في تاويله قال ابن مسعود والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال
ذوات الازواج من المسلمين والمشركين وقال علي ذوات الازواج من المشركين وذهب عبد الله
في تاويل الاية ان بيع الامة طلاقها يحل للمشتري وطيها وان سبي الكتابية والمشركة تحلها لمولاها

الجزء ٥

وان كان لها زوج في دار الحرب وذهب علي الى ان الاية نزلت في المشركات وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال كل ذات زوج اتيانها زنا الا ما سبيت وروي عن ابي سعيد الخدري
قال وقعت في سهمي يوم اوطاس جارية فبينا انا اسوقها اذ رنت واشار الى الحل فقال ذاك
زوجي فانزل الله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال ابو سعيد فاستحللنا
فروجهن فهذا بين ابو سعيد في حديثه ان الاية نزلت في المشركات ذوات الازواج وكان حديثه
يقوي قول علي بن ابي طالب ومن وافقه وقيل ايضا في تاويل الاية والمحصنات من النساء الا
ما ملكت ايمانكم قال والمحصنات من النساء حرام على الرجال الا ما ملكت يمينك قال ملك
يمينه امراته وعن ابي قلابة قال ما سبيتم من النساء اذا سبيت المراة ولها زوج من قومها
فلا باس ان يطاها وعن ابن عباس والمحصنات من النساء قال لا يحل له ان يتزوج فوق اربع
نسوة فما زاد عليهن فهو عليه حرام كامه واخته واشباهه الا ما ملكت ايمانكم الا ما فانه على اربع
واكثر من اربع وعن ابي سعيد الخدري الا ما ملكت ايمانكم من نساء كانت نصيبهن يهاجرن ولا
يهاجر ازواجهن فمنعنا هن في هذه الاية ثم انزل الله تعالى في الممتحنة ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
اذا اتيتموهن اجورهن فاحللن لنا بعد ان نتزوجهن وفيه نهي عن الزنا واباح التزويج فجعلوا
ملك اليمين التزويج واصح التاويلين واولاهما بالقبول ما روي عن علي وابن عباس ولما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وظاهر القرآن يدل على ان ذلك هو الحق لان الله قد
فصل في غير هذا الموضع بين التزويج وملك اليمين فجعل ملك اليمين الاماء الا ترى الى قوله
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقال لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
فهذان الاثنان تدلان على ان قول الله تعالى في اية المحصنات الا ما ملكت ايمانكم على غير الازواج
كما روي عن الجماعة من الصحابة الذين ذكرناهم ثم الكلام بين علي وابن مسعود وعن ... ابن
مسعود واوجب على الامة اذا باعها مولاها ولها زوج العدة اذا كان قد دخل بها وانها عنده لا تحل
لمولاها حتى تنقضي عدتها فلم يحلها حلالا للمولى الثاني ملكه اياها لكان قول علي اشبه بظاهر الاية
لانه تأول الاية على متزوجة تحل بالملك لمولاها في حال الملك من قول عبد الله اذ جعلها محرمة وان
كانت مملوكة حتى تنقضي عدتها وفي ذلك وجه آخر وهو ان الله تعالى قال والمحصنات من النساء الا
ما ملكت ايمانكم وعبد الله يحرمها على البائع ويحلها للمشتري ولم يخص التعاقد من المالكين وعن
علي بن ابي طالب حمل الاية على امراة كانت متزوجة سبيت فاحلها الله لمالكها فلم يعرف من
حال المملوكة هذا مع موافقة الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري وظاهر الاية يدل على
ان المأسورة ذات الزوج لا عدة عليها ومن قوله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن فامر ان لا يردوهن الى ازواجهن
فلما جاز ان تتزوج الحرة اذا خرجت مسلمة ولا عدة عليها حلت اذا سبيت فملكت قبل ان تعتد
وان في انها كانت حرة فابطل الرق حكم الحرية والزوجية فكذلك يبطل حكم العدة هذا كله اذا
سبيت ولم يكن معها زوجها فاما اذا سبيت ومعها زوجها فان الفرقة لا تقع بينهما لانها لو بانت
من زوجها بانت للرق والرق لا يمنع ابتداء النكاح كيف يمنع في بقاء نكاح ثابت ولكن اختلاف
الدارين هو الموقع فيما بينهما الفرقة لفوت الاجتماع بينهما واذا فات الاجتماع بين الزوجين
والاحتباس عن الاستمتاع وقعت الفرقة فيما بينهما وهذا ابطل قول من يقول انه يقع الفرقة فيما بينهما
للرق والثالث ان العدة حق من حقوق الزوج يبين ذلك قول الله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدو

فلا يجوز ان يبقى للحربي على المسلمة الخارجة الى دار الاسلام حق فاذا لم يكن عليها العدة لها ان تتزوج
وسبيل الامة المسبية سبيل الحرة المسلمة لان حكم الاسلام قد جرى عليها فحلت لمولى وان
كان لها في دار الحرب زوج ومن الدليل ايضا على ان المسبية ذات الزوج يحل ترد بها وطيها
لمولاها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية ابنة حيي ابن اخطب في رجوعه من خيبر
قبل ان يصل الى المدينة ومعلوم انه كان لها زوج كبير وان عدتها منه لو كانت واجبة لم
تنقض في تلك المدة فهذا يبين ان لا عدة على مسبية من زوجها المقيم في دار الحرب ولا على مسلمة
اذا خرجت من دار الحرب واقام زوجها هنالك وقوله عز وجل والمحصنات من النساء
الاية قيل فيه باوجه ثلاثة احدها في المسبية ذات الازواج وكذلك روي عن علي وابي سعيد
الخدري فيكون فيه امران احدهما الحرمة على الازواج والثاني ارتفاع العدة اذ هما حقان
للحربي وحقه في نفسه لا يمنع الاسترقاق ولو كانت حرمة الاستمتاع لمثله في زوجته لكن يدخل
على هذا سبي الزوج معها ان الرق قد ثبت فيهما ولم يبطل النكاح فيجاب لهذا بوجهين احدهما
الاستحسان من حيث يلزم المولي حق الانكاح بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين الاية
فلم يبطل عليه التجديد ولبين هذا اي سبي الزوجة اذ لا تعقب لها به وهو في دار الحرب والنكاح
ان يكون الزوج وحق الرق انما يجب اذا اخرج المرء بيد نفسه والمملوك قد يكون له يد في النكاح
لكنها لم تخرج من يده اذ سبي معها واذا لم يسبيا لا يكون لمن في دار الحرب يد في دار الاسلام وفي
حق الاية عبارة اخرى انها اذا سبيت وحده انقطعت عنها عصمة الزوج وقد جعل الله تعالى
انقطاع عصمته بسبب حل غيره لقوله اذا جاءكم المؤمنات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
وقد جعل ذلك في الزوج سببا لقطع عصمته بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وعصمة
الزوجين عصمة مشتركة ايهما خرج مسلما خرج لئلا يعود وكذلك المختلف يختلف لئلا يخرج نبطل
العصمة بينهما واصل التناكح ولو خرجا معا لا انتقل امر النهي وناديا آخران يكون قوله والمحصنات
من النساء الاية الى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية على ان لا يحل وراء الاربع الا ملك
يمين وعلى هذا الى غير ذات الازواج وقد روي مثله عن ابن عباس ويكون في ذلك بيانا لما كان
حرمه من حيث العدد يختص بالنكاح فان كان النكاح وملك اليمين فيما كانتا الحرمة من حيث
المنكوحة يستوي من حيث كانت حرمة العدد بحيث العقد بما فيه من الحقوق التي لا تتوهم لها
الابتداء تد عصمه وملك اليمين لا يجب فيه ذلك وما كانت الحرمة بحيث تنوا للمراة تستوي
لاستواء الملكين في حق الحل والحرمة ووجه اخر قيل المحصنات هن الحرائر وما ملكت
ايمانكم بالنكاح محمد هب من يقول بحفظنا الجا لو لم يذكرا ايمان ولكن قال المحصنات من
النساء الا ما ملكتم فيكون التحريم في غير النكاح لكنه يبعد على المعهود من الكلام انه لا يكلم
به الا في ملك اليمين خاصة ويجوز حمل الامرين من الاماء على حظر وطء ذوات الازواج على التوالي
واخبار المتصفات منهن لملكه الاولاد وقوله جل وعز كتاب الله عليكم قيل كتب الله
عليكم ما ذكر مما مر في هو لآخ الايات وقال الكسائي نصب كتاب الله على قوله حرم كذا وكذا
كذا الحاجب الله عليكم على الاغراء يقول عليكم كتاب الله دونكم كتاب الله اتبعوا كتاب الله في نحو
هذا المعنى وقيل كتاب الله عليكم يقول هذا احرام الله عليكم في الكتاب وقيل هذا التحريم من النكاح
قضاء الله عليكم في الكتاب وقوله جل وعز واحل لكم ما وراء ذلكم اختلف فيه قيل ما وراء
ذلكم اي ما سوى ذلكم وهو قول ابن عباس دليله قوله ويكفرون بما وراءه اي بسواه وقيل

ما وراء ذلكم اي ما قبله في الكلام ومن كقوله وكان وراءهم ملك ومن كان امامهم وقيل
وراء ذلكم اي بعد ذلكم وخلفه وهو ظاهر ومن قال سوى ذلك يقول احل لكم ما سوى ذلكم
الذي حرم عليكم مما لا يجوز لكم ومن قال ما وراء ذلكم اما دون ذلك وقبله فمن ما ذكر قبل هذه المحرمات
قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن قال وما وراءه بعد اي ما بعد الاربعة
الاصناف المحرمة المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهر والمحرمات
بالجمع يقول احل لكم ما بعد هؤلاء الاربعة الاصناف وقيل في قوله والمحصنات من النساء
هن العفيفات من الاماء الا ما ملكت ايمانكم من الاماء المسافحات الزانيات كأنه قال
فاستمتعوا بالعفيفات منهن ولا تستمتعوا بالزانيات لانهن يلبسن عليكم النسب ومن
كقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا
باموالكم بين الله تعالى ان النكاح لا يكون الا ببدل يكون مالا لانه قال باموالكم وفي الاية
دلالة ايضا على انه ما يملك ولا يتبع عليه اسم المال لا يكفي مهرا لانه قال ان تبتغوا باموالكم
ولا يسمى الدانق والحبة مالا ولو كانت الحبة مالا لو كانت التمرة مالا فثبت بما وصفنا من دلالة
الاية ان المهور لا تكون الا من الاملاك فان قيل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل قد
زوجتكها بما معك من القرآن قيل تاويله عندنا والله اعلم بما معك من القرآن اي من اجل
ما معك من القرآن ولا يجوز ان تكون السورة مهرا بدليل الكتاب لانها ليست بمال وكذلك كل شيء
ليس بمال ولا يكون له قيمة فلا يجوز ان يكون مهرا وكذلك قوله فنصف ما فرضتم يدل على ان
السورة وما لا يتمول لا يكون مهرا روي عن انس ان عبد الرحمن بن عوف تزوج على وزن
نواة من الذهب قلنا وزن نواة من الذهب يكون دينارا فان قيل قد بين في الخبر قيمتها
ثلاثة دراهم وثلث لكن لا ندري من كان المقوم للنواة ولا يجوز ان نحمل تقويم ذلك المقوم
وتفسيره حجة على علمائنا حتى نعلم ذلك مع ما قال قوم لون النواة عشرة دراهم وهو ما قال
ابو هاشم فان قيل روي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى في نكاح ملء
كفيه طعاما او دقيقا او سويقا فقد استحل وكذلك يقول اصحابنا ولكن يتم لها عشرة دراهم
ولم يقل النبي عليه السلام ولا شيء عليه سوى ذلك مع ما يقول المخالف لنا اذا كان المهر مما لا يتمول
لم يكن مهرا وملء الكف من الطعام لا يتمول وان جعل ذلك مهرا فقد ترك اصله ان ما لا يتمول
لا يكون مهرا وكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال زوجتكها بما معك من القرآن ولم يذكر
ان لا شيء عليه سوى ذلك واهل العلم مجمعون على ان السورة لا تكون مهرا ومن الحجة لها اخبار
ما روي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهر دون عشرة وروي عن
علي قال لا يكون المهر اقل من عشرة دراهم وعن ابن عمر مثله على ان اهل العلم اجمعوا ان النكاح
لا يكون الا ببدل وانه خالف سائر الاملاك التي يوهب ويتصدق بها بغير بدل وكل جعل
لذلك حدا وانما اختلفوا في ذلك المقدار والحد وكل يقول ايضا ان التافه لا يكون مهرا
فذهب اصحابنا ان الفروج لما لم تملك الا ببدل لم يجعل البدل الا ما اجمعوا عليه وهو عشرة
دراهم اذ كان النكاح مخصوصا ان لا يملك الا ببدل دون غيره من الاملاك **وقوله** عز
وجل محصنين غير مسافحين قيل متناكحين غير زانين بكل زانية وقيل محصنين اي عفائف
للفروج وغير مسافحين في العلانية بالزنا وكانه امر جل وعز ابتغاء النكاح بالاموال وبين
ان الاستمتاع بغير مال وقيل السافح الذي يزني بكل امراة يجدها والمسافحة كذلك تزني

بكل احد والمتخذات اخدان هن اللاتي لا يزنين الا باخدانهن والسفاح مما يفعل ما ظهر وعلى
مسئلة في المتعة **قوله** تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ذهب قوم الى
جواز المتعة بهذه الاية يقولون ذكر الاستمتاع بهن ولم يذكر النكاح وذكر الاجر بعد الاستمتاع
والمهر انما يجب في النكاح بالعقد بوضع الزوج اولا بالمهر ثم يستمتع بها فهو بالمتعة والاجارة اشبه
كقوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن امر بايتاء الاجرة اذا ارضعن فعل ذلك لما ذكرنا الاستمتاع
بهن وامر بايتاء الاجر لا المهر دل انها نزلت في المتعة واما عندنا فانها نزلت في النكاح ودليله ما تقدم
من الذكر من قوله واحل لكم ما وراء ذلكم نكاحا وقوله محصنين غير مسافحين غير زانين
وقوله ان تبتغوا باموالكم كل ذلك يدل على انه في النكاح وكذلك قوله فما استمتعتم به منهن في
النكاح فآتوهن اجورهن وقد سمى الله المهر اجرا كقوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن
وقال فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن واما قولهم ذكر ايتاء الاجر بعد الاستمتاع والمهر
يجب بالنكاح فهو على التقديم والتأخير كانه قال فآتوهن اجورهن اذا استمتعتم بهن
كقوله اذا طلقتم النساء فطلقوهن اذا طلقتم لعدتهن ونحو ذلك كثير وقال ابو بكر الاصم ولك
قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن مهورهن كملا واذا لم يدخلوا بهن فالنصف بالاية الاخرى
فهذه الاية ذكر الاجور والاستمتاع ومن بالنكاح اشبه واولى من المتعة لما ذكرنا من تحريم الاجناس
من المحرمات في اولها واباحتها في آخرها ما وراء ذلك وبين ايضا ان الاستمتاع هذا النكاح
وان الاجر هو المهر لما ذكرنا وروي عن ابن عباس قال رحم الله عمر ما كانت المتعة الا رحمة رحم
الله بها امة محمد فلولا نهاه عنها ايانا ما زنى الا شقي كان يراها حلالا قال وقال
في حرف ابي الى اجل مسمى وروي عنه انه قال ان الناس هذا اكثروا في المتعة فقال انها
لا تحل الا لمن اضطر اليها كالميتة والدم ولحم الخنزير فدل قوله انها بمنزلة الميتة على انه رجع
عن قوله الاول فان كانت المتعة في حال غير الضرورة حراما فهي في حال الضرورة حرام وانما احل
الله المحرم في الضرورة اذا خاف الرجل على تلف نفسه وليس في ترك الوطء خوف تلف نفسه وروي
عن ابن عباس في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن قال نسخها يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الاية
هذا يدل على انه رجع عن قوله الاول والدليل على تحريمها قول الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فحرم الله تعالى من الجماع ما عدا النكاح وملك اليمين والمتعة
ليست بملك نكاح ولا ملك يمين فهي داخلة في التحريم ومن الدليل على تحريمها ما روي عن علي رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الانسية
وعن سبرة الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نهى عن متعة النساء يوم فتح مكة وعن
ابن عمر رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر
الاهلية وفي خبر آخر انه كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول اني كنت اذنت لكم في المتعة فمن
كان عنده شيء فليفارقه ولا تاخذوا مما آتيتموهن شيئا فان الله عز وجل قد حرمها الى يوم القيمة
وعن ابن عمر قال سمعت عمر يقول في المتعة لو تقدمت فيها لرجمت وعن عبد الله قال المتعة
متعة النساء منسوخة نسخها الطلاق والصداق والعدة والمواريث والحقوق التي تجب في
النكاح وعن عائشة رضي الله عنها انها اذا ذكرت لها المتعة قالت والله ما نجد في كتاب الله الا النكاح
والاستسرار ثم تتلو هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الاية وعن عمر قال متعتان كانتا
على عهد رسول الله وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فانكر قوم على عمر قوله انهما على عهد النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ونهاه عنهما لكن الجواب في ذلك كما كان علمه بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء وما ترك قرنا من نص القرآن فكان ذلك عنده لاحقا بمن فصلها لعلمه بانها منسوخة و قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن يحتمل الاجارة ويحتمل التمتع بالنكاح الا انه اذا كان فهذا الاستمتاع يوجبهن كلا لم يرتهنه وذكرا لمهر في النكاح والبعض فهذا الطلاق قبل الكل في هذه الاية هذا التاويل ما كان عليه ذكرا لمحرمات والاحلالات كله بالنكاح وكذلك على ذلك قوله ومن لم يستطع منكم طولا احله في النكاح لا في الاجارة وان ذكر فيه الاجر كما ذكر في الاماء ولو كان بالاجرة فهو منسوخ بقوله لا تنكحوا ما نكح آباؤكم على النساء كان ذلك اجارة وصف انه بغي ونهوا عن ذلك وبقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم فذكرا ان ذلك باغيا فهذا لو عرف بحكم الكتاب فما ذكرته له ناسخ ولو عرف بالاخبار لكانت اخبار الاباحة رويت معترفا بها النبي ثم الاخذ بطرف منها على الاعضاء عن الطرف الثاني اعطى خصمه الاعضاء عليه بالطرف الثاني والمنع مما قال فيه ثم امتناع الائمة عن العمل على ظهور الحاجة ونفوذ الطباع عن قبول مثله من احد في المتصدين فاضرب على الحق ثم وذلك ما روي عن ابن مسعود انه قال نسخ الطلاق والعدة ان الاول كان نكاحا يمضي بمضي المدة انقطاع احكام النكاح عنه و قوله جل وعز ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة في الاية دلالة ان الزيادة في المهر جائزة لان الفريضة هي التسمية فان قيل قوله فيما تراضيتم به معناه الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فهو ان تبذل المراة من مهرها شيئا او الزوج لها قيل لو كان ذلك كذلك برضاها يعني رضا زوجها وقال تراضيتم به فجعل للزوج في الرضا نصيبا ومعناه والله اعلم ان الزوج اذا زاد على المهر فذلك جائز فهذا التراضي انما يكون منهما جميعا في الحالين وذلك اصل الزيادة في المهر والثمن في البيع واشباه ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب ومسلمة ويقول ان كان ايمانك ان ازيدك في الصداق زدتك وان ازيدك ازيد النسوة وروي عن علي قال زدها فهو اعظم للبركة وروي عن عثمان وعمار كذلك وقد دل الكتاب والسنة وقول الصحابة على جواز ذلك فهو الحق وعلى ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم ومن الدليل ايضا على جواز الزيادة في الثمن والمهر وانها تصير كانها مسماة في عقد البيع ان رجلا لو اشترى من رجل عبدا بيعا باتا ثم ان احدهما جعل لصاحبه الخيار يوما انتقض البيع ان نقضه جائز ويصير ذلك كالخيار المشروط في اصل البيع وكذلك رجل اشترى عبدا بالف درهم حالة ثم ان البائع اجل المشتري في الثمن شهرا كان الاجل جائزا ويصير كانهما سميا الاجل في عقد البيع فوجب ان تكون الزيادة في البيع في الثمن كانها كانت في عقد البيع و قوله جل وعز ان الله كان عليما حكيما فيما حرم واحل حكيما حيث وضع كل شيء موضعه و قوله جل وعز ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم وقال جل وعز ذلك لمن خشي العنت منكم فقال بعض اهل العلم لا يجوز تزوج الامة حتى يعجز عن نكاح الحرة ويخشى مع ذلك العنت فاذا اجتمع الامران فحينئذ يجوز ان يتزوج الامة ولا يجوز ان يكون تاويل الاية في هذا وذلك ان الاماء اعز وجودا اليوم من الحراير ويجد الرجل حرة يتزوجها باوفى شيء ما لم يجد بمثله الامة الا ان يقال ان الاماء في ذلك الزمان اوجد وان الحراير اعز وان مؤنة الاماء ومهورهن اقل فخرج الخطاب على ذلك او انه لما نزل قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وعتب الساداة في تزويج الاماء بشيء يسير فبعد ذلك نزل قوله ومن لم يستطع منكم طولا الاية والا الامر الظاهر ما ذكرنا ان الاماء اعز وجودا من الحراير واكثر مؤنة وان الحراير اهون وجودا

ومولنهن اقل او ان تكون الاية في الانفاق عليهن ليس في ابتداء النكاح ويكون ان الرجل اذا تزوج حرة لزمه ان ينفق عليها شيئا او ابى فاذا عجز عن الانفاق عليها يطلقها ويتزوج بامة ونفقة الامة على سيدها ونفقة الحرة عليه فامر ان يطلق الحرة التي نفقتها عليه ويتزوج امة تكون نفقتها على سيدها هذا اشبه والله اعلم بما قال او لكي اوان يقال انه اراد بالنكاح الوطء لا العقد والتزوج على ما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النكاح اسم للوطء والتزوج جميعا قال الله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وتاويله الوطء لكن ذلك الاول ومعنى قول علي حيث حمل الاية على الوطء لانه قال لا تتزوج الامة على الحرة كانه منعه من ذلك لانه قادر على وطء الحرة ويتزوج الحرة على الامة يقول تتزوج الامة ولم يكن قادرا على وطء الحرة فجاز نكاحها وان كانت الاية في ابتداء النكاح والتزويج على ما قالوا فليس فيها حظر نكاح الاماء وبطلانه في حال الطول والقدرة لانه اباح نكاحهن في حال عدم الطول والقدرة ومن اصلنا ان ليس في اباحة الشيء وحله في حال دلالة حظره ومنعه في حال اخرى دليله قوله اذا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن ليس فيه انه لا يحل له اذا لم يؤت اجورهن وقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ليس فيه حظر الاربع وان خاف ان لا يعدل فهذا ايدل على ان حظر الشيء ومنعه لا يوجب الحظر في حال اخرى واباحة الشيء في حال وحله لا يوجب منعه وحرمته في حال اخرى على ان المخالف لما لم يجعل الايمان المذكور في الاية شرطا لقوله تعالى ان ينكح المحصنات المؤمنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في حال نكاح الاماء كيف صار الطول والقدرة شرطا فيه ادمن قوله انه ليس له ان ينكح الامة اذا كان له طول نكاح المحصنة الكتابية فلما لم يصر هذا شرطا في ذلك كيف صار الطول والعنت شرطا وهذا ابطل قوله ان ليس له ان ينكح امة كتابية لانه يقول لان الله تعالى شرط فيهن الايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في المحصنات كيف صار شرطا في الاماء وذلك كله عندنا ليس بشرط فان قال قائل ان قول الله تعالى فمن لم يستطع فاطعام كذا ليس صار ذلك شرطا حتى لا يجوز غيره اذا كان له طول العتاق وقدرة الصوم ما بالكم لا يكون الاول بمثله قيل صار ذلك شرطا فيه لانه فرض لزمه شرطه لم يكن له الخروج والتعدي الى غيره واما النكاح فليس هو بفرض لزمه بوجود الطول والقدرة والعتاق وما ذكر فرض لزمه بوجود الطول والقدرة عليه وبجواز الطعام لكن لم يسقط الفرض الذي لزمه عنه لذلك صار شرطا فيه والاول لم يصر فان قال ما معنى الاية اذا قيل معنى الاية على الاختيار والادب او على الانفاق الذي ذكرنا او ان لا يختار نكاح الامة على نكاح الحرة اذا كان له طول الحرة على ما جاء عن عمر رضي الله عنه قال ايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه وايما عبد تزوج حرة فقد اعتق نصفه لا يختار له نكاح الامة وله الى طول الحرة سبيل ويجوز ان يكون قوله ذلك لمن خشي العنت منكم ان لا يحمل على الزنا ولكن يحمل على تحاليطهن الناس واسترقاق الاولاد فاذا امنه السيد عن استرقاق الولد وعن ترك الاختلاط بالناس فبعد ذلك يتزوجها اذ قلوب الناس لا تحتمل اختلاط ازواجهم بالناس واسترقاق الاولاد فحمل العنت على هذا اشبه من الزنا ومن الدليل ايضا على انه لا يعتبر الطول على التزوج على ما قالوا ان تزوج امة ثم قدر على تزوج الحرة لم يفسد نكاح الامة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فيلي ذلك طوله في الابتداء على نكاح الحرة لا يمنع جواز نكاح الامة والله اعلم وعلى ان عدم الطول في الاصل لا يمنع نكاح الحرة اذ هي بلزم الذمة وعدم النفقة يمنع الامساك عنده فذلك ان الاية لعدم نفقة الحرة اشبه واقرب من عدم طول مهر الحرة في الابتداء على

ثم ذكرنا ان الاصل ان كل امر يجوز بشرط الاضطرار فانه اذا ارتفع الضرورة يمنع ابتداء فاذا السؤال
يمنع بانه لا علة في الحل بالضرورة دون ذلك بخلاف لمن نخشى حتى مفارقة الامة اذ بانها كما فارق
الولد الذي يتبع في العقل احتياطه ومخالطة الازواج في التطبع نفادمه لمثله في الابتداء والله
اعلم مما قال الله تعالى وان تصبروا خير لكم وليس غير الذي فيه الضرورة من شرط المعتبر شيء
الشرك واحدهن يملك المال وهو غائب عنه نخشى العنت الى ان يبلغ ذلك انه لا يمنع النكاح
وجميع ما له الحرمة فيستوي غيبة ذلك وحضرته كنكاح الامة على الحرة والاخت على الاخت
ونحو ذلك مع ما لو كان خشية العنت يصير سببا لحل شيء لكان ملك الحرة التي هي عنه غائبة
اذ لم يتصل لها دون مبيحة فاذا بان ان الحرمة لنفس النكاح في الوجه فالحل لعدمه لا للسبيل
الى ذلك وعبرنا بالسبيل ثم قوله جل وعز ذلك لمن خشي العنت منكم اي الضيق كقوله ولو شاء الله لاعنتكم
اي يضيق عليكم بمخالطة الايتام او الاثم كقوله عزيز عليه ما عنتم وكل ذلك فيه وسع الاستمتاع
ثم نخشى العنت فينبغي ان يباح له على كل حال او يرجع الى الضيق بكون المقصود منه الاستغناء دون
العقد والله اعلم ثم خشية الزنا ان يحتمل ان يصير شرطا للحل قد يحصل له عقوبة فيما ابلغ
ابلغ الزجر لمن عقل من رجم او جلد بل يبرئ عليه انها ذلك بكل وجوه الامكان ومعلوم ان الله قد
جعل عنه غير النكاح سبيلا في الاستمتاع ايضا وقد جاء ايضا الامر بالصيام بانه له وجاء
فانما خشية ذلك خشية خطر لا حقيقة فلم يجز ان يجعل عذرا لرفع الحرمات ولقدر عليه
بالمباح من الصيام والتوكل في قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الاية نقول
وبالله التوفيق يحتمل الاية وجهين احدهما طول عقد النكاح من ملك المهر والثاني طول الامساك
الحرة للاستمتاع من النفقة والكسوة والمسكن وهذا الوجه احق لا وجه ان طول عقد النكاح
مذكور ايضا في نكاح الامة بقوله واتوهن اجورهن بالمعروف ومعلوم وجود الحرة بالمهر الذي
يوصف في المعروف من المعهود وقيل لعل ذلك في الحرائر او حد اذ قد جاز نكاح الحرائر بالاشياء
الضعيفة ومعروف وجوده في كل عصر دون ما يوجد من مثله الاماء فمحال ان يشترط في
نكاح الاماء عدم ما لا يوجد السبيل اليه الا بوجود ذلك او ما هو اعظم في الوجود واما النفقة
والمسكن فقد يكون بمال السيد دون ان يوخذ به وفي الحرة هي لا سبيل اليها الا بمال الزوج
نفيهما بذكر الوجود لا فيما يستوي الذكر فيه في المتلو ثم في الحاجة على ما عليه العرف فيه
نفصل ولا قوة الا بالله والوجه الثاني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح
الامة على الحرة ولو كان يجوز نكاحها عند وجود طول الحرة لم يكن للنهي عن ذلك معنى النكاح
وجه اذ ليس لذلك وجود لما التطول يمنع وجوده والثالث ان الذي به يجب النكاح ليس للوجود
شرط فيه والذي به الامساك شرط اذ قد يجوز بذمة من لا يملك شيئا ولا يمسك بمثله ثبت
ان ذلك في حق الامساك وبعد لو كان يمنع بالذي ذكر لكان جوازه بحق الضرورة وهذا فيما لا يقع به
الضرورة فثبت ان ذلك في حق الامساك ثم لو كان الثاني دليل على النكاح لم يكن في ذلك تحريم النكاح
على وجود طول الحرة لخصال احدها ان ذلك يوجب ان يكون نكاح الاماء يجوز بحق الابدال والا
ضطرار وذلك لا يحتمل حقا لنكاح لوجوه احدها ان طريق ذلك طريق الاباحة ورخص والفروج
لا يحتمل الاباحات بل الاباحة توجب حد المبيح وعقوبته ويجعل كمبيح ما لا يملكه والثاني ان
ان المحرمات التي كانت في جميع النكاح كانت ظاهرة لم يرتفع شيء منها لحاجات وكذلك نكاح الحرة
لو كان من المحرمات بل الحكم ان يحل امرأة لا يحتمل النكاح التي لا تحل بملك اليمين فلو قلنا انه لا يحل

نكاحها لذا انها لم تحل في ملك اليمين فاذ حلت بها وكرت وليس كالزيادة على الاربع لان تلك الحرمة
لحق المنكوحة لا لمكان المرأة وكذلك الاخت ونحو ذلك ودليل ذلك جواز ذلك لا بحق الابدال
والاضطرار اذا عدم نكاح غيره وبعد فانه لم يحل في شيء من اجل الحرمة المال بل قال الله تعالى
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا الاية صير العدم شرط الترك وله تر يفسح لانه شرط الاباحة
فكذلك امر نكاح الاماء والثالث ان الاصل في اضافة الحل والحرمة الى حال انه لا يوجب ضد ذلك
في غير تلك الحال بل هو في غيرها موقوفا على قيام الدليل من ذلك المضاف اليه او غيره لانه يوجب
ذلك ودليل ذلك امور النكاح قال الله تعالى لنبيه انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
لا انه لو لم يؤتهن الاجور لم يحللن وكذلك قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقال جل وعز فاذا احصن فان اتين بفاحشة الاية لان الحد
لا يجب لو لم يحصن وقال عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات
لا على جعل الايمان شرطا وقال جل وعز فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم لان الامة
لا تحل اذا لم يخف العدل في الحرائر وغير ذلك مما يكثر اذ ليس في اضافة الحل الى حال قطعه عن
غيره فمثله امر النكاح فيما نحن فيه ثم احتج بعضهم بالايات التي فيها من لم يستطع ومن لم يجد
لتوجيه ذلك التحريم هاهنا وقد دخل جواب هذا فيما قلنا ان الحكم في غيره موقوف على الدليل
فيه فمنعنا لا يمتنع ما تيسا دليل ما نحن فيه ليس بشرط الاترى انه ذكر شرط الايمان في المحصنات
ومن لم يصر شرطا وقد صار في الكفارات ونحو ذلك فمثله ما نحن فيه ثم الفضل بين الامرين
يقع من وجوه احدها ان تلك بحق الابدال والاضطرار ودليله زوال حكمه عند الارتفاع
وفي هذا لا اذ لا يرتفع نكاح الحرة فلذلك اختلف الامران ولو جعلنا الامر فيه في جانب
او الاستنادة بالحل انها دليلا على النهي عن ذلك كان نهي عن نكاح الاماء في حال طول الحرائر فلا يجعل
ان يكون النهي مبطلا للفعل لاوجه احدها لان الحقيقة التي له يقع النهي كان متعقولا ولا بمثله
لا يحتمل الفساد وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يرق ولده والثاني ان تخالط امرأته محالفة
الرجال وذلك بعض ما يشين الرجل ثم كان نكاح الزانية مع النهي عن ذلك يجوز ومع الامر
بطلاقها ومعلوم ان ذلك اعظم في الشين اذ تدخل به ما تخانه في المملوكة ويصير ولده
منسوبا باثمه ما هو اوحش في العقول من كل رق وعبودية ويقال له يا ابن الزانية وذلك
ايضا تلبيس النسب وتشبيهه ثم لم يجب به الفساد فامر المملوكة الاحرى وايضا لم تختلف
على نفي الحرمة عن نكاح العبيد وله يعرف الاولياء ويعرف حق بسبب لا بآباء الى الموالي اذا
معلوم ان الطعن عليهن في الخلاف اقبح منه عليهم ثم لم يمنع ذلك جواز النكاح فمثله ما نحن
فيه وايضا ان الحرمة في وجهين حرمة لنفس المنكوحة او الاستمتاع وحرمة لحق النكاح وكل
محرمة لذاتها في لا تحل بملك اليمين ولا بملك النكاح وما كانت الحرمة بحق النكاح على انها
كانت الامة تحل بملك اليمين ثبت ان حرمتها ليست لنفسها ولا للاستمتاع فهي تحل بملك اليمين بل
جعلها في الاصل بملك النكاح احق اذ لعين الا للاستمتاع فاذا احلت به فبالاخرى ان تحل بالنكاح
ثم قد تحرم للنكاح الخاص لا بحرمة للاموال تحل فكذا ما نحن فيه وقوله عز وجل والله اعلم
بايمانكم يحتمل وجهين يحتمل والله اعلم حقيقة ايمانكم وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل والله اعلم
بايمانكم وغيره لا يعلم حقيقة ذلك وفيه لزوم العمل بالظاهر وقوله جل وعز بعضكم من بعض
يحتمل بعضكم من بعض في الدين ويحتمل بعضكم من نسب بعض فيه ايذان على ان بعضهم من

من بعض ومن نسب بعض فليس لبعضهم على بعض فضل من جهة الدين والنسب اذ جميعهم ولد
واحد وليس للحرة على الامة فضل من هذا الوجه وفي قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب وقيل ان قوله احصن تزوجن وقيل اسلمن فكيف ما كان
التاويل لم يصر الاحصان شرطا في لزوم ذلك العذاب لانها اذا كانت على غير هذا الوصف لزمها
ذلك الحكم وان وجوب الحكم في حال على وصف لا يمنع وجوب ذلك الحكم في حال اخرى على غير
الوصف الذي وصف في تلك الحال وهذا بالمخالف لنا الزم لانه قال جل وعز في قوله ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ان النهي وقع على جميع المشركات كتابيات
وغير كتابيات ثم صار الكتابيات منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ثم قال
اذا كان له طول محصنة كتابية لم يحل له نكاح الامة المومنة وقد اخبر جل وعز ان الامة المومنة خير
من مشركة ومن يقول بل المشركة خير من الامة فقد ابان عن اضطرابه في قوله على مذهبنا ما قلنا
وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية على المشركات خاصة من غير الكتابيات عندنا
دليله قوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل ذكر المشركات وذكر الكتابيات
دل هذا ان المشركات في هذه الاية غير الكتابيات وقد ذكرنا الوجه في ذلك في صدر السورة
ما يغني ذكره في هذا الموضع فاذا كان ما ذكرنا حل له ان يتزوج كتابية محصنة كانت او امة وقد
اقمنا الدليل على انه ليس في ذكر الايمان فيهن وقيل جعله شرطا في جواز نكاحهن على ما لم يكن في ذكر
الايمان فيهن وقيل جعله شرطا في جواز نكاحهن على ما لم يكن في ذكر الايمان في المحصنات من المومنات
دليل جعل الايمان فيهن شرطا وقوله جل وعز والله اعلم بايمانكم اي تموا على حقيقة ايمانهن
وانتم لا تعلمون حقيقته وان كانت اثبت لنا علم الظاهر بقوله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
فان علمتموهن مومنات امرنا بالعمل على الظاهر لا يعلمنا الحقيقة بقوله الله اعلم بايمانهن فان
علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار فقد ابان ان على ان الايمان هو عمل القلب لا عمل اللسان
لانه لو كان عمل اللسان لكان يعلم حقيقته كل احد فظهر انه ما وصفنا وقوله عز وجل بعضكم
من بعض قيل فيه بوجوه بعضكم من بعض في الولايات والدين كقوله والمومنون والمومنات
بعضهم اوليا بعض وقيل بعضهم من بعض في النسب وكل منهم من اولاد ادم ويحتمل بعضكم
من بعض في الاسلام وقوله جل وعز فانكحوهن باذن اهلهن اي باذن ساداتهن سمي ذلك
اهلا لهن ودل انه ليس من اهلهن وفيه ان للمراة ان تزوج نفسها اذا اذن لها وليها لانه
قال باذن اهلهن فلو كان اهلهن هم الذين ينكحوهن لم يكن لطلب الاذن معنى وفيه ان للمراة
ولاية النكاح لانه قال باذن اهلهن والمراة اذا كانت لها جارية لها ان تزوج من غيره وهذا
في النسا اولى لان الرجل اذا كانت له جارية يستمتع بها ولا يزوجها من غيره والمراة اذا كانت
لها جارية هي التي احتاجت الى تزويج جاريتها لذلك كان في هذا اولى وفيه انه ليس للعبد ولا
للامة ان تتزوج الا باذن السيد وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد
تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وقال بعض اهل العلم قوله فانكحوهن باذن اهلهن اذا كن
مومنات على ما سبق من ذكر الايمان بقوله من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم لكن هذا ان
وان كان نهيا عن نكاح الاماء اذا كن غير مومنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن اذا كن غير
مومنات الا ترى ان النسا نهين عن تزويج انفسهن من العبيد وذلك مما يشينهن ثم لم يمنع ذلك
النهي عن التزويج منهم فعلى ذلك لا يمنع شرط الايمان فيهن والنهي عن نكاحهن فساد النكاح ولا

بخلا

بخلافه وكذلك الرجل يحل له ان يتزوج كتابية حرة وهو واجد الحرة المومنة ثم مع ما في عن نكاحها
او افضل ذلك جاز النكاح فعلى ذلك الاول وكذلك قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ذكر الصلاح فيهم ثم اذا كانوا على ذلك الوصف جاز فكذلك الاول وكذلك قوله محصنات
غير مسافحات ذكر الاحصان فيهن ثم لم يصر الاحصان فيهن شرطا في جواز النكاح لانهن لو كن غير محصنات
يجوز نكاحهن فعلى ذلك الاول ولو كان الطول والقدرة مما يمنع جواز نكاح الاماء وجواز نكاح
الاماء بمعنى البدل لكان اذا تزوج امة ولم يكن له طول ثم نكاح الحرة في ذلك الوقت ثم كان الطول
على نكاح الحرة يجب ان يفسد النكاح لانه اذا امتنع الابتدا يمنع البقا في ملكه فاذا لم يمنع دل انه ليس
على حكم البدل اذ الابدال الاقرار لها والاثبات عند وجود الاصول ولكنه ليس عنه ولكن على
الاختيار والتاديب ان لا يعتاد نكاح الاماء على الحرائر والمسافحات على المحصنات ولا يختار
المشركات على المومنات فان قيل انكم تمنعون عن نكاح الامة ثم لا تمنعون نكاح الامة اذا كانت عنده
امة فتزوج حرة قيل له انما يمنع من نكاح الامة على الحرة لحق حرمة الجمع كالجمع بين الاختين وبين
المراة وعمتها فاما اذا الحرة تكن ثم جمع لا يمنع وهذا ليس بجمع وقوله جل وعز فاتوهن اجورهن
قيل فاتوهن اجورهن باذن اهلهن على ما ذكر الاذن في النكاح بقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن ويحل
ايضا ان يوفى اجرها وان لم ياذن له مولاها اذا كانت الجارية ممن تحفظ مال سيدها وسبا هذه
ان الناس يشترون المماليك لحفظ اموالهم وسوق املاكهم مما جاء عن ابو عبيد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته حتى العبد عن مال سيده فاذا كان ما وصفنا
لا باس بان يدفع الاجر والمهر اليها اذا كانت هي ممن تحفظ ماله وتصونه ثم من الناس من استدل
بقوله فاتوهن اجورهن على حقيقة الملك للمماليك ويبيح لهم التمتع بالجواري وبقوله ايضا وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله لو لم يملكوهم حقيقة
الملك لم يكن لوعد الغنى لهم معنى لانه لا يقع الغنى لهم ابدا وكانوا لا يملكون وكان الغنى يملكون حقيقة
الملك واما عندنا فانهم لا يملكون حقيقة الملك فيتنزلا لا يخولوا لقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل
مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم اخبر انهم ليس لهم فيما رزقهم شركا مما ملكت ايمانهم دل
انهم لا يملكون حقيقة الملك فان قالوا انهم يملكون التمتع في النكاح اذا ملكوا مما منع ايضا ان يملكوا
رقاب الاشيا اذا ملكوا قيل ان الشاذات لا يملكون من المماليك رقبة ما يمتنع به بالاشترا الا ترى
ان السيدة لا تملك من غيرها التمتع به وان املك ذلك للعبد خاصة لذلك ملك ملك التمتع
في النكاح وقوله جل وعز فاتوهن اجورهن ما ذكرنا من الاذن من اهلهن وما جعل الله حفظ
الاموال واما قوله جل وعز يغنهم الله من فضله يغنيا شاذا اتفقوا ومقدارا ما يطعمون ويجزون
مما جعل لهم الانتفاع بهم وقوله تعالى بالمعروف قيل مهر غير منقوص وقيل هو المعلوم وقوله
محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان قد ذكرنا فيما تقدم وقوله فاذا احصن
قيل فاذا اسلمن وقيل فاذا احصن فاذا تزوجن ويحتمل فاذا احصن فاذا بلغن مبلغ النساء
وقيل فاذا احصن اي عففن وتابعن قبله والله اعلم ما ذكره في اول الاية وقوله ذلكم هو ا
منكم على النسا ان ان دون يحصنا الفتن اذا تركن التعفف ولم يكرههن على البغي فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب يعني الحراير لان عذاب المتزوجة اذا دخل بها زوجها
الرجم ولا نصف للرجم والماحة للامة الجلد فلا يجوز ان يكون المحصنات في هذا الموضع ذات
الازواج لان عذاب ذات الازواج الرجم ولا يتصف له دل انه اراد بالاحصان الاسلام وروي

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة من اهل العلم ان لا حد على الامة حتى تتزوج واما
عندنا فان عليها الحد لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بجلد الامة اذا زنت
وان لم تتزوج فذلك حجة لقول من قال احصانها اسلامها وهو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
وزيد بن خالد وشبل رضي الله عنهما قالوا كنا عند النبي عليه السلام فسأله رجل عن الامة تزني
قبل ان تحصن قال اجلدها فان زنت فاجلدها ثم قال في الثالثة او الرابعة فبيعوها ولو بضفير
هذا الخبر يدل على ان الامة اذا زنت تجلد وان لم تتزوج **قوله** جل وعز وان تصبروا
خير لكم اي وان تصبروا ولا تتزوجوا الاماء فهو خير لكم لان اولادكم يصيرون عبيدا فهذا يدل
على ان قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
كلمة على الاختيار ليس على الحكم لانه اختيار لا على انه اذا فعل لا يجوز **وقوله** عز وجل والله
غفور رحيم يحتمل وجهين يحتمل غفور رحيم حيث كفر عنكم ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي
يقام عليكم ولم يجعل عذابكم في الاخرة اذ عذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا وذلك من
رحمته ويحتمل غفور رحيم من رحمته ان جعل الحدود في الدنيا زواجر عن العود الى ارتكاب
مثله من الافعال **وقوله** عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل قوله يريد الله ان يبين لكم ما تأتون
وما تتقون وما لكم وما عليكم ويبين ما به صلاحكم ومعاشكم في امر دينكم ودنياكم لكن حقيقة
المراد بالاية اما ان يكون اراد جميع ما ذكرنا او معنى خاصا مما احتمله الكلام وليس لنا القطع على
ما اراد به **وقوله** جل وعز ويهديكم سنن الذين من قبلكم وجوهها اي يبين لكم سبيل الذين
من قبلكم اي سبيل الانبياء والرسل عليهم السلام واهل الهدى والطاعة منهم ليعملوا ما عملوا هم
وينتهوا عما انتهوا وكذلك في حرف ابن مسعود سنن الذين من قبلكم سبل الذين من قبلكم ويحتمل
قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي امر الرسالة والنبوة يهديكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو
رسول اذ امر الرسالة والنبوة ليس ببديع قد كان في الامم السالفة رسل وانبياء فامر رسالة محمد
ونبوته ليس ببديع ولا حادث كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل ويحتمل قوله ويهديكم سنن
الذين من قبلكم اي يبين لكم انه كيف كانت سنته في الذين خلوا من قبل في اهلاك من عاند الله ورسوله
والاستيصال من امتنا ضلهم بتكذيب الرسل والانبياء عليهم السلام والخلاف لهم كقوله تعالى سنة
الله في الذين خلوا من قبل وقوله تعالى وقد مضت سنة الاولين وقيل سنن الذين من قبلكم نحو اتباع
الذين من قبلكم من المحرمات والمحللات من اهل التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب **وقوله**
جل وعز ويتوب عليكم اي يريد ان يتوب عليكم وفي قوله ايضا جل وعز سنن الذين من قبلكم يحتمل
يهديكم تلك السنن اي يبينها لكم انها كانت ماذا ويحتمل يهديكم سنن الذين من قبلكم بمعنى جعل
تلك السنن هداية لكم ثم قوله جل وعز من قبلكم يحتمل سنته وسيرته في الذين من قبلكم ليتعبدوا
بها ويحتمل سنتهم التي لزموها وسيرتهم التي سلكوها بما لهم من العواقب ليتعظوا بها والله
اعلم بحقيقة ما انصرفت اليه مراد الاية لكن فيما احتمله فههنا موعظة بتنا فيه وعلى ذلك معنى
قوله جل وعز يريد الله ليبين لكم يحتمل كل ما به لنا نفع او كل ما بنا اليه حاجة او كل ما علينا
القيام به او يرجع ذلك الى الخاص مما يريد بالاية الاخبار عنه وان الذي علينا النظر فيما
نديم فضل البيان عنه وفيما ابانا عن سنته حتى تقدمنا مما نرجو به الهداية والشفا
والشفا للقيام بما علينا في ذلك من الحق دون الشهادة عليه جل ثناؤه بالمراد فيها في مخرج
الكناية دون التصريح من الموعود وقوله ليبين وان يبين في مفهوم الخطاب فما جرى

به الذكر في هذه الاية واحد اذ لو كان ذكر ان يسبق الى الفهم غير الذي سبق فيه هنا على حق
العباد من التناهي ولا تقدر على ثم كان معلوما فيما اراد بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم
انه لو لم يبين ما اراد لعله او عد ولم تقدر انه كان يلحقه الخلف في الوعد فيلي وكذلك فيما قال
يريد الله ان يتوب عليكم ويريد الله ان يخفف عنكم لو لم يكن يخفف ويتوب على من اريد
بقوله يتوب ويخفف عنكم يلحقه الخلف في الوعد ثم يخالف وصف كافر في حال انه يريد تاب
الله عليه ثبت انه لم يدخل في قوله يريد الله ان يتوب عليكم فاذا ثبت انه لم يدخل فيه وجب
في ذلك امران احدهما ان الارادة ليست بامر اذ قد امر الكافر بالتوبة والثاني ان كل من لم
يتب فهو ممن لم يرد الله ان يتوب عليه وهو في قوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
على ان الله قال في المؤمنين تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقال في الكفار لم يرد
الله ان يجعل لهم حظا في الاخرة على انفرد من الذي في علمه ان يختم مؤمنا ومن في علمه ان
يختم كافرا على ان ارادة الهداية مع ارادة ان لا يجعل له الحظ في الاخرة على الموعود خلف
والارادة من لا تدبير له في فعله ولا يتصل به فعله تمني في متعارف الامر وتشهي ولا يجوز
ان يضاف الى الله تعالى الارادة من هذا الوجه فكان لحق الارادة وهي التي يوصف بها من
بفعله الاختيار ثبت ان لله تعالى في فعل العباد فعلا يحدث فعله يوصف بالارادة وفي
ذلك وجوب القول بخلق افعال العباد او ان يكون المراد من تلك الارادة اذ لم يحتمل التمني
ولا الامر ان يكون الارادة التي تنفي القهر والغلبة فيلزم اذ ثبت نفي القهر الوصف بالارادة
ثبت انه مريد لكل فعل نفي عنه القهر في وجوده وبالله المعونة **وقوله** جل وعز
والله عليم بما يؤتي ويتقي عليم بما به معاشكم وصلاحكم وما به فساد معاشكم وبحره
حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم **وقوله** جل وعز والله يريد ان يتوب عليكم قالت
المعتزلة قد اراد الله تعالى توبة من لا يتوب فيقال لهم ما التوبة عندكم اليس التوبة
عندكم السخا وذو الدعا فاذا وعد ان يتوب فلم يفعل فقد ترك ذلك الا لعجز او بخل وذلك
الوصف له بالجهل او العجز فنعوذ بالله من الزيغ عن الحق والشرك في القول واما تأويله عندنا
والله يريد ان يتوب عليكم في الذي علمه انهم يتوبوا وكان ذلك اخبارا عن قوم اراد الله
ان يتوب عليهم فتابوا وقال قوم قوله والله يريد ان يتوب عليكم اي يأمر ان يتوبوا والله
اعلم **وقوله** ويريد الذين يتبعون الشهوات الاية من اختار الدنيا على الدين والاولى
على الاخرة لهوا يتبعه وشهوة تغلبه لا لتقصير من الله جل وعز عن البيان بل لتركهم النظر
والتامل بالعواقب غلبت عليهم شهواتهم واتبعوا هوى انفسهم اما دنياهم للذتها واما
سعة في الدنيا يبتغونها لكن الذي يمنعهم عن النظر في العاقبة والتامل في الاخرة لذلك
مالوا ميلا عظيما وخسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا **وقوله** جل وعز يريد
الله ان يخفف عنكم يحتمل هذا انه خفف علينا ولم يحمل ما حمل على الامم السالفة من الاصر
والاثقال والاغلال والمشقات مما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا وجعل توبتنا الندامة
بالقلب والرجوع عما ارتكبوا وان يقال خفف عنا حيث لم يعجل علينا ولم يهلكنا بالخلاف
له وترك الطاعة على ما استاصل اولئك واهلكهم ويحتمل التخفيف عنا ايضا وهو ما خفف
علينا من اقامة العبادات والطاعات من نحو الحج والجهاد وغيره حتى جعل القيام به لكل احد
على الاحتمال واليسر من قيامه باخف العبادات وايسرها وذلك من تخفيف الله علينا وتيسيره

منفصلاً منه ورحمة والله اعلم وقوله جل وعز وخلق الانسان ضعيفا يحتمل ان يكون اراد
به الكافر كقوله وخلق الانسان هلوعا وكقوله واذا مسه الشر كان جزوعا وقد قيل
كل موضع ذكر فيه الانسان فهو في الكافر ومن ضعفه يضيق صدره ويحمل نفسه بطول الترك
من التعدي حتى يضجر فيها ويحتمل انه اراد الكافر والمسلم ووصفه في ابتداء خالقه انه كان ضعيفا
كقوله خلقكم من ضعف ويحتمل وصفه بالضعف له لانه ضعيف في نفسه عن حمل الطاعات
والعبادات التي حملها الله عليه ليس كالملايكة حيث وصفهم الله لا يفترون ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا كذلك بنو آدم وقوله جل وعز يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الظاهر في الاستثناء انه من غير جنس المستثنى لانه استثنى
التجارة عن تراض من اكل المال بالباطل بينهم واكل المال بالباطل ليس من جنس التجارة ولا التجارة
من نوع اكل المال بالباطل وان الاستثناء في الاصل جعل لتحصيل المراد في المجازين من اللفظ فاذا لم يكن
من نوعه كيف جاز لكنه يحتمل والله اعلم ان يكون على الابتداء والاستيناف كانه قال لا تاكلوا اموالكم
اموالكم بينكم بالباطل ولكن كلوا بتجارة عن تراض منكم وعلى ذلك يخرج قوله جل وعز لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما استثنى السلام والسلام ليس من جنس اللغو لكن معناه ما ذكرنا لا يسمعون
فيها لغوا ولكن يسمعون فيها سلاما ويحتمل ان يكون في الاستثناء بيان تخصيص المراد في المطلق من
الكلام كقوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط ذلك استثناء آل لوط على انه اراد بقوم
مجرمين قوم لوط خاصة لانه قد كان في قوم ابراهيم عليه السلام وفي غيرهم من اقوام مجرمين
دل الاستثناء على مراد الخصوص فعلى ذلك يدل استثناؤه التجارة عن تراض منهم على انه اراد
باكل المال بالباطل تجارة عن غير تراض وان كان في الحقيقة يصير مال هذا اسماه لهذا او هو ان
ياخذ مال غيره فيتلفه فيلزمه بدله فيصير ما عوض من بدله على التلف قصاصا فهو في الحقيقة
تجارة او يحتمل ان يكون اكل المال بالباطل بينهم ما لا يجوز ولا يطيب لان حرف البين لا يستعمل
الا فيما كان التبادل من الجانبين فاذا كان ما وصفنا يحتمل كان الاستثناء من ذلك من وجه يطيب
ومن وجه لا يجوز ولا يطيب وفيه دليل ان التجارة هي جعل الشيء له بدل وترك الشيء بالشيء الا
يرى الى قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ذكر الشري والمعنى منهم الاختيار الهدى
بالكفر ثم سمى ذلك تجارة بقوله فما ربحت تجارتهم وفيه دلالة ان البيع يتم بوقوع التراضي
بين المتبايعين وليس كما قال قوم لا يتم البيع وان تراضيا على ذلك حتى يتفرقا عن المكان وكانوا
تاركين عندنا لظاهر هذه الاية فان احتجوا بالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا لكن معناه عندنا ان يقول الرجل للرجل
بعتك عبدي فكان لصاحبه ان يقول قبلت البيع ما دام في مجلسه او يحتمل ان يكون اذا قال
بعتك كان له الرجوع قبل ان يقول الاخر قبلت على ان قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا
لا يوجب ان يكون تفرقا عن المكان تفرق الابدان الا ترى ان الله تعالى قال وان يتفرقا يغن
الله كلا من سعته ولا يفهم المعنى من ذلك تفرق المكان والابدان ولكن وقع ذلك على القول
والطلاق وفي ان في الاية بيان تمام البيع بوجود التراضي بقوله الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم فلو كان البيع لا يتم بالتراضي حتى يشهد
قبل التفرق ان اشهد قبل التفرق فهل المعترض ادق في ان لصاحبه
عليه الثمن او كذب اذ كان البيع لم يتم وما نفعه الاشهاد ان كان للمعترض ان يبطل اقراره

برد التلقية وان كان انما يشهد بعد التفرق فقد يجوز ان يتلف المال بالتفرق قبل الاشهاد
فاين التحصين الذي امر الله تعالى به ومما يدل على تاويلنا في الخبر ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
من بيعهما او يكون بيعهما خيار وما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيعان فيالخيار ما لم يتفرقا ولا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه خشية ان
يستقيله وقوله يستقيله يدل على انه ليس له ان يرده الا بان يقيله صاحبه ويدل قوله صلى
الله عليه وسلم ما لم يتفرقا من بيعهما على ان التفرق هو الفراغ من عقد البيع لا غيره ومما يدل
على ان الخيار ليس بواجب قول عمر ان البيع عن صفقة او خيار فكان موافقا لما روى ابو هريرة
يقول ذلك قوله لا تاكلوا الى قوله تجارة عن تراض على الاذن في الاكل اذا وجدت التجارة عن تراض
من الناس والتجارة معروفة عند جميع من له عقل ومعروف ان تفرق المتعاقدين بعد الفراغ
من العقد لم يعرف فيما هو عند الخلق تجارة ولكن التفرق بانقضاء ما له الاجتماع والفراغ منه
عما ليس من معاقدة العقلاء الوقوف في مكان بلا حاجة فليس التفرق مما يحتمل ان يظنه حكيم او سفيه
من التجارة وقد اذن في الاكل والاكل عبارة عن الاخذ وكل انواع المنافع بالباطل فثبت ان قد ملك
بالفراغ عن التجارة بغير الرضا وايد ذلك قوله واشهدوا اذا تبايعتم والتبايع الذي عليه الاشهاد
هو التعاقد لا التفرق ومن البعيد ان يكلفوا الاشهاد على التبايع قبل وجوب الواجب من الحق
الذي عليه الاشهاد فثبت بذلك وجوب ما جعل التبايع بوجوبه دون التفرق واذا ثبت الذي
ذكرنا من احكام القرآن مع الكفاية بالامر الذي لا يجوز شذوذ حق لا فيما عنه بتبرع علم جميع
البشر وكل اهل التبايع به فيما دونا الحق بينهم بالفراغ من العقود ولا يجوز شذوذ ذا العلم عن ذلك
محله فيكون اتفاق الخلق على الجهل بالاعتقاد في امر يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم ائمة
الهدى لا ينهون عن ذلك والله اعلم فالامر والولا المروي من الخيار ان كل متبايعين بالخيار
ما لم يتفرقا فحمل الخبر على ما فيه تعطيل العمل بحق القرآن وما عليه امر الخلق على الاتباع لغير ذلك
الوجه بل العمل بغيره اولى ثم يخرج على وجوه على اضمار حق على المتبايعين ان يكونا كذلك في حق الجمل
لا في حق العبادة عن الواجب ودليله رواية عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه خشية ان يستقيله
ثبت ان المعنى بالخيار في حق الجمل لو طلب كالفسخ في الاستقالة والله اعلم والثاني ان يريد
ما وراء في التبايع ودليل ذلك احتمال اللفظ قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم والاشهاد على
التبايع والتبايع هو فعل اثنين وقد ثبت منهما مع الفراغ الاشهاد على التبايع وهذا احق بوجهين
احدهما من حق اللغة انه اسم التفاعل وهو اسم لفعلهما فيستحقان ذلك في وقت كونهما فيه
كالتضارب والتقاتل ونحو ذلك وقبل الفراغ التسمية تكون بحق الحكاية دون تحقيق الفعل
والثاني بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعان
بالخيار ما لم يتفرقا من بيعهما وبيعهما معروف والله اعلم والثالث مستحق القول من اهل
العقل على رؤية وجوب البيع دون التفرق عن المكان والله اعلم والرابع ان يجعل ذلك الحق
لاصلاح البياعات انهما ما لم يتفرقا يمكنهما الاصطلاح واذا تفرقا لا ولهذا اولى اذ قد حل التفرق
التام شرط الفساد ومنع الاصلاح وقد كان في بعض العقود مما يصلح بالبعض فهو على
الوجوه قبل التفرق ثم لا يصلح اذا وجد التفرق لمثل ما كان الصلاح والقول في الاصلاح

وعلى ذلك اذ قال احد للآخر اختر انقطع خيار ولو كانا تفرقا من القول وليس فيه زيادة على ما في
قوله بعث منك في حق الاصلاح ثبت ان التفرق وقطع الاصلاح لا للاصلاح والله اعلم **قوله**
انه للناس عرف في التبايع من وجهين احدهما في التعاقد والثاني في التقابض فيكون المعنى من
الخبر فيما البيع عن تقابض وهو بيع المداومة اذا ترك كل واحد منهما الاخر بما وقعه يعطي ما سلم
وقبض كان ذلك بينهما وجاز ذلك ايضا بحق الاية في الاباحة عن تراض والشرى التجارة قد يقع على
تبادل لشيء فيه قول البيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ان الله
اشترى وذلك مع قوله عز وجل فما ربحت تجارتهم وفي ذلك ان البيع الموقوف اذا اجيز يباح الاكل
لما كان وقت الاكل قد وجدت التجارة عن تراض وفي ذلك دليل وجوب خيار الرؤية اذ قد جعل
الرضا سببا وهو مما يجهل غير محقق وانما يعلم بالرؤية وفيه انه بالقبض يمضي حق العقد والتجارة
للاكل ولا يوصل اليه الا بالقبض فاذا مات فات ما له التجارة تبطل والله اعلم وفي قوله ايضا
تجانبا وان كان اسما لفعل اثنين فلما يتصل صحة كلام كل واحد منهما اذا كان الاخر حاضرا لكانما
اشتركا في صحته فصارا به متبايعين نحو قوله حتى يتفرقا والتفرق اسم لفعل اثنين لكن احدهما
اذا فارق مكانه البيع والاخر لم يفارقه فقد وجد حق التفرق من ان ليس احدهما بجنب الاخر
فكانهما اشتركا في التفرق وان لم يوجد الفعل من احدهما والله اعلم و**قوله** جل وعز
ولا تقتلوا انفسكم يحتمل وجهين اي لا يقتل بعضكم بعضا فانه اذا قتل آخر يقتل به فكانه هو الذي
قتل نفسه اذ لولا قتله اياه والا لم يقتل به والثاني انه اضاف القتل الى انفسهم لان كلهم كنفس
واحدة اذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد و**قوله** جل وعز ان الله كان بكم رحيما اي من رحمته
اذ جعل لكم فيما بينكم القصاص واخذ النفس بالنفس والمال بالمال وفي ذلك حياة انفسكم وابقاء
اموالكم ومن رحمته ايضا ان جعلكم من جواهر واحد اذ كل ذي جوهر يألف بجوهره ويسكن اليه
والله اعلم ومن رحمته ارسل اليكم الرسل وانزل عليكم الكتب واوضح لكم السبل ومن رحمته
ان امهل لكم وستر عليكم ودعاكم الى المتاب ومن رحمته دفع عنكم الآفات واوسع لكم الرزق
وبالمؤمنين خاصة برحمته اهتدوا وتخلصوا عن كل داء و**قوله** جل وعز ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما عدوانا المجاوزة حدود الله وظلما على صاحبه والعدوان هو التعدي والمجاوزة عن
حدود الله كقوله ومن يتعد حدود الله ويحتمل قوله وظلما على نفسه كقوله عز وجل ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه وقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وقوله عز
وجل فلا تظلموا فيهن انفسكم وهذا الوعيد والله اعلم لما يفعل ذلك مستخفا بحدود الله
واستحلالا منه لذلك والا لو كان ذلك على غير وجه الاستخفاف بها والاستحلال لها لم
يستوجب هذا الوعيد الا ترى انه قال تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى ثم قال عز
وجل فمن عفي له من اخيه شيء انما جاء هذا في قتل العمد ثم ابقى الاخوة فيما بينهما واخبر ان ذلك
تخفيف منه ورحمة وفيما كان الفعل منه بغير الاستخفاف والاستحلال لا يجوز ان يكون فيه منه
رحمة ويخلده في النار وعلى ذلك يخرج قوله جل وعز ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فيها اذا قتله مستحلا له مستخفا بتحريم الله اياه فاستوجب هذا الوعيد فاما من قتل على غير
الاستحلال والاستخفاف بحدوده فالحكم فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله ايضا عدوانا وظلما
يحتمل الاستحلال ودليله قوله عز وجل كتب عليكم القصاص ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه
شيء وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فابقى الاخوة التي كانت بقوله عز وجل يا ايها الذين

امنوا

امنوا فثبت ان الايمان بعد باق فابقى له الرحمة والاخوة وههنا والله لذلك افترقتا لاختلاف
والثاني انه وعد اختلافهم ولم يذكر الخلود وجائز تعذيبه في الحكمة والتنازع في الخلود
لا غير والاصل فيه هذا ونحوه انه لم يتنازع الذي ذكره بفعله الذي فيه الوعيد اذ كان ثم خلود
فهو الذي يزيل عنه اسم الايمان ويبطل عنه حق فعله وانما التنازع في انه هل اسم الايمان في لزوم
الوعيد حتى فيمن لم يبق له الا الشرك والله اعلم و**قوله** جل وعز ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
اختلف فيه قال بعضهم كبائر الشرك لان كبائر الشرك انواع منها الاشراك بالله ومنها جحود الانبياء
صلى الله عليهم وسلم ومنها الجحود ببعض الرسل عليهم السلام ومنها جحود العبادات واستحلال
المحرمات وتحريم المحللات وغير ذلك وكل ذلك شرك بالله فقيل اراد بالكبائر كبائر الشرك
فاذا اجتنب كبائر الشرك صارت ما دونها مغفورة مما هو عودا بها بالمغفرة بالمشيئة بقوله تعالى ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنه بمشيئته
فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وبالله التوفيق وقيل اراد بالكبائر
الاسلام ثم يحتمل وجهين بعد هذا يحتمل ان تكون الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ويحتمل
ان تكون الصغائر مغفورة بالحسنات الا ترى انه قال في اخره يكفر عنكم سيئاتكم والتكفير انما
يكون بالحسنات الا ترى انه قال ان الحسنات يذهبن السيئات اخبر ان من السيئات ما يذهبها
الحسنات ويحتمل ان يكون التكفير لها جميعا وان لم يجتنب الا ترى انه قال في آية اخرى ان
تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله عز وجل ويكفر عنكم من سيئاتكم وقال عز وجل توبوا الى الله
توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الا ترى انه روي عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي نائلة لاهل الكبائر من امتي وروي عن علي رضي الله عنه انه
سمع امرأة تدعو اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد فقال لها قولي اللهم اجعلني من الفائزين
فان شفاعة محمد لاهل الكبائر ثم قرأ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية ثم اختلف في كيفية
في كيفية الكبائر وماهيتها قال بعضهم ما اوجب الحد فهو كبيرة من نحو الزنا والسرقة والقذف
وغير ذلك وقال اخرون الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها واكل مال اليتيم
واكل الربا وقول البهتان والفرار من الزحف وروي عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن ذلك
فقال من اول السورة الى هنا من المحرمات فهو من الكبائر وروي انه قيل لابن عباس ان عبد الله
ابن عمر يقول الكبائر تسع فقال ابن عباس هن الى السبعين اقرب ولكن لا كبيرة مع توبة ولا
صغيرة مع اصرار وروي عن الحسن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في الزنا
والسرقة وشرب الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة ثم قال صلى الله عليه
وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين قال
وكان متكئا فجلس ثم قال الا وقول الزور الا وقول الزور قاله ثلاثا وقوله ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ذكر تكفير السيئات ان اجتنب الكبائر ولم يذكر الحكم اذا لم
يجتنبها فليس فيه انه اذا لم يجتنب لا يكفر فهو في مشيئة الله ان شاء كفره وان شاء عذبه
على ما ذكرنا ان وجوب الحكم لا يوجب ايجاب ذلك الحكم في حال اخرى حظرا كان او حلالا والله
اعلم وفي قراءة بعضهم ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه فان ثبت هذا فهو يدل على
ان قيل الذي ذكرنا انما اراد بالكبائر كبائر الشرك والله اعلم و**قوله** جل وعز
وندخلكم مدخلا كريما قيل الجنة و**قوله** جل وعز ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

الاية قيل لا ينبغي للرجل مال اخيه ولا امراته ولا داره ولا اشباه من الذي له ولكن ليقل
اللهم ارزقني قوله تذكر نوع الذي رغبت فالله واجد ذلك وهو الواسع العليم وقيل
هو كذلك في التورية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا
الرجال ولا نذكر فنزلت الاية ولا تتمنوا ما فضل به الى قوله جل وعز للرجال نصيب مما

٢٤١

اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ويحتمل ان يكون هذا التمني في الديانة ومن الديانة اما
في الديانة هو ان يتمنى احد ان يكون قدره مثل قدر آخر عند الناس من العلم والزهد وغير ذلك
فنهى ان يتمنى ذلك لم يبلغ هو ذلك المبلغ الا باحتمال المكاره والمشقة والجهد وفي الدنيا به
هو ان يتمنى مال اخيه وزوجته وخدمه ويحتمل ان يكون معنى التمني ما ذكر في خبر ام سلمة لان في
ذلك الكفران بنعم الله لان النساء وان لم يجعل عليهن القتال وغيرها من الخيرات ورفع عنهن
بعض المؤنات ففي التمني الكفران بتلك النعم التي انعم الله عليهن وقال في قوله ايضا ولا تتمنوا
ما فضل الله اي الذي فضل الله بعضكم على بعض فهو والله اعلم لما فيه التسخط بحكمه يريد الصبر
الملك او لما فيه انه لما قصر فضله على ما رأى والا لا يبع فضله له وللذي فضله ولما ان نظر لما اكرم
به غيره نحو التمني تلهي عن نعم الله عليه او عما يخرج ذلك بخروج الغداوة وحق نعم الله على كل احد
ان يعرف التعظيم له وكذلك قيل فضلت على غيرك لترحمه وتتفضل به عليه وفضل عليك
لتعظيم والتمني او حسن من الحسد لان الحسد هو ارادة الصرف عنه وفي التمني ذلك وارادة
الفضل له به عليه وسالوا الله من فضله وكان فضله في الحقيقة هو ما له ان لا يسد وذلك
يخرج على فضل في الدين او فضل في الخلق والمروءة فاما فيما يرجع الى نعم الدنيا مما لا ينتهله
في احد ذلك الوجهين فهو في الظاهر فضله ولله وفي الحقيقة بلية ومحنة قال الله تعالى فلا
تعجبك اموالهم الاية وقال عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وجائز ان تكون
الاية في النهي عما مكنوا من العمل ووضعوا للخيرات فان كان فلا دفعوا من الميراث نحو ذلك
ان يشكر لله بما اكرمه به من حسنات ويرغب في التوفيق لمثله وان كان في امر النعم محنة
ان يعينه بالدعاء ليكون النعمة له لا بلية ومحنة ويرغب فيما يقربك الى الله في عاقبته وقد
ذكر ان ام سلمة تمنت بعض ما يتقرب به الرجال من العبادات نحو الجهاد واشكاله فنزل
النهي عن ذلك والترغيب في فضله في نوع ما تحتمل هي من الجزاءات دون الذي يفضل عليهن
بالرفع عنهن والله اعلم وفي قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله به الاية يحتمل ان يكون على
ما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ولا تمدن عينيك الاية فان زهرة الدنيا عطيتها لم يعط
للكرامة ولكن ليفتنهم به والعقل يابي الرغبة فيما يفتن به دون ما يكرم به ثم بين الذي
هو اولى بالمتمنى من التمني فقال للرجال نصيب مما اكتسبوا ارغب فيما له وامر بالتوجه
من فضله اذ لا يكون كسبه له الا بفضله كقوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ثم قال
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فبين ان كسبه عليه الا بفضل الله وبين
ان الاولى به الاقبال على ما له عاقبة والتضرع الى الله بالاكرام دون الذي عليه في ذلك
خوف الفتنة وقوله عز وجل واسالوا الله من فضله مثله فان فضله واسع ولا يتمنى
حال اخيه وداره او اسالوا الله العبادة ولا تتمن ان لا تكون لاخيك ذلك ويكون لك ثم
اخبر ان ما يكون للرجال انما يكون بالاكتساب وما يكون للنساء يكون بالاكتساب يكون لكل
ما اكتسب من الاجر وغيره وقوله جل وعز ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون

احمد

احتمل هذا والله اعلم ان يكون معطوفا مردودا الى قوله جل وعز للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الاية ذكر ههنا ما يرث الرجال والنساء
من الوالدين والاقربين ولم يذكر ما يرث الوالدان من الاولاد والاقربون بعضهم من بعض
من نحو العم وابن العم وغيرهم من القرابات فذكر ههنا ليعلم ان للمولى من الميراث مما ترك

٢٤٢

الوالدان والاقربون ما لاوليك من الوالدين والاقربين او الزوجين اولئك ان جعل هو لا
ما جعل لاوليك ولم يذكر ايضا ما للوالدين من الاولاد في قوله للرجال نصيب مما ترك الاية
ولكن ذكر في اية الوصية في قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف ذكر
الوصية للوالدين والاقربين ولم يذكر للاولاد والله اعلم ان الرجل قد يوثر ولده على نفسه
وعلى غيرهم من الاقرباء ولا كذلك الولد الوالد فذكر الوصية للوالدين والاقربين لهذا المعنى
ليصل اليهم المعروف واما الاولاد فانهم لا يوثرون على غيرهم لذلك لم يذكرهم والله اعلم
وقيل في قوله ولكل جعلنا اي بينا فيكون فيها بيان ما هو الاولى من المواريث ثم قيل في الموالي
انهم هم العصبة وقيل هم اولياء الاب او الاخ او ابن الاخ وغيرهم من العصبة وقيل
هي الورثة وهو قول ابن عباس وكله واحد وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمومنين من مات وترك مالا فماله لموالي العصبة ومن
ترك قوله او ضياعا فانا وليه فلادعاه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحقوا المال بالفرائض فما ابقت السهام فلاولى رجل ذكر وعن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما احرز الوالد او الولد فهو لعصبته من كان وعن عمر انه كتب اذا كان
العصبة بعضهم اقرب بام فهم احق بالمال واجمع اهل العلم على ان اهل السهام اذا استوفوا سهامهم
وبقي من المال شيء انه لعصبة الميت وهم الرجال من قرابته من قبل ابيه وانه لا يكون
احد من النساء عصبة الا الاخوات من الاب والام او من الاب مع البنات والمراة المعتقة
فان هاتين عصبة واجمعوا ان كل من اتصلت قرابته من قبل النساء بالميت فليس بعصبة
وان المراة اذا اعتقت عبدا او امة فانها عصبة المعتق بعد موت امه الا ابن مسعود فانه يجعل
لذوي الارحام دون الموالي واجمعوا انه اذا اجتمع عصبتان فاقربهما اولى واقرب العصبة الابن ثم
ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا والاخ من الاب والام ثم الاخ من الاب ثم ابن الاخ من
الاب والام ثم ابن الاخ من الاب ثم العم من الاب والام ثم العم من الاب ثم ابن العم من الاب والام
ثم ابن العم من الاب ثم مولى النعمة ثم ابن مولى النعمة وان سفل فهؤلاء كلهم عصبة الميت واقربهم
اولاهم بما فضل من المال عن اصحاب السهام المذكور سهامهم هو والله اعلم موافق لما ذكرنا من دليل
الاية والسنة وما تواترت به الروايات عن الصحابة رضي الله عنهم وفي قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون يحتمل ولكل من الموالي جعلنا على اضمار نصيب او حق فيما ترك الوالدان والاقربون
فيكون تاويله قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فيكون هم موليه في الميراث على تاويل
الفرائض بما تركوا وعلى مثله قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا او وليه من يلحقه في ملكه
يفسره قوله تعالى يوصيكم الله وجميع ايات المواريث الا انه لم يذكر للوالدين في هذه الجملة ولا للزوجين
ولا يخلون في اسم القرابة ولا في اسم الاولاد وقد جاء الايجاب لهم كما احتجت عليه الامة على
غيرهم عرف النسخ فيه من احد فيعلم ان التخصيص بالذكر في الحق لا يقطع حقا غيركنه يكون الامر موقوفا
على وجود دليله والله اعلم على ان في الايجاب للاقربين وللموالي الكفاية عن ذكر من ذكر اذ هم يكون كل

القرابة وبالتناصح بكونه النسل وهو الحجبون ذلك وكذلك لا يسقط حق هو لآجال ولا يحجبون عن الكل
بالصدق وقد جرى ذكر حقهم فيما نسخته هذه الآية من الوصية والله اعلم ويحتمل قوله ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان والاقربون ان يرجع الموالي الى الذين ورثوه من تركة الابوين والاقربين
غير ان قد تجري المواريث فيما قد ورثت عوضا يجري فيما لديكم ورثه مرة ترجع الى بعضا ولا الى الاول
والاقرب الاول او ان يكون المعنى وفيما ترك الوالدان والاقربون بما ذكر في ابهم نصيبا مفروضا
ان يكون هذا فيما ترك الوالدان والاقربون مع اصحاب الفرائض فيكون هذه الآية في بيان حق العصبات
اذ لم يذكرهم وان يكون معهم اصحاب الفرائض يرثون حق السهام لا بحق الفصول فيكون
على الآيات في المواريث ثلاث احدها في اصحاب الفرائض وهو قوله عز وجل فيما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا والثاني في حق العصبات وهو قوله ولكل جعلنا موالي الآية والثالث في حق ذوي
الارحام وهو قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الآية ثم الحق بهؤلاء حجاب الابعدين
اهل العقد بقوله عز وجل والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم وانما ذكر ذلك فيما ترك الميت
ولا وجه للعقود او لم يذكر منه او النص مع ما ذكر نصيبهم في التركة كما ذكر لاصحاب الفرائض وعلى
ذلك المرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن اسلم على يدي آخر انه احق الناس بمحياه ومماته
وكذلك روي عن علي وعبد الله مع ما كانت المواريث بهذا من قبل فنسخ بقوله عز وجل واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض فاذا ارتفع ذلك ذهب التناسخ يوجب لهذا ذهبت الموالي وورث
بولاية الايمان جملة ولهذا انك الولاية وولاية اخرى لخواص والله اعلم وعلى هذا لا من
له رحم كما خلف ولاء العتاقة بما تقدم من النعمة بالاعتاق حق العصبة من ذوي النسب بقوله
عليه السلام الولاء لحمة كلحمة النسب وقوله عز وجل والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
قيل هو من الايمان كان حلف في الجاهلية بقول الرجل لآخر ترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك
وتنصرني وانصرك ويحالفان على ذلك وقد قرئ بالالف عاقدت فهو من المحالفة ثم روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام
الا شدة وقيل هو من ضرب اليمين في اليمين وهو المبايعة كان الرجل يبايع الرجل ويأتيه في
الجاهلية فيموت فيرثه وقيل ان ابا بكر عاقد رجلا فمات فورثه ولذلك خص الايمان بالذكر
لهذا من قوله تعالى وما ملكت ايمانكم لانهم يشترون للخدمة والمرء اذا اخدم نفسه انما يخدمها
بيمينه فاذا كان تاويل الآية ما ذكروا انه منسوخ بقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله وعاد وبيانا من الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وما كان من حلف
في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ويحتمل ان تكون الآية فيمن اسلم على يدي آخر ووالاه
على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنة في اهل الكفر على يدي رجل من المسلمين فهو
اولى الناس بمحياه ومماته وروي عن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن رجل اسلم على يدي
رجل ووالاه قال هو مولاه فله ابي فلبيت المال وروي عن مسروق قال اتيت عبد الله
فقلت ان رجلا كان عاملا علينا فخرج الى الجبل فمات وترك ثلاث مائة درهم فقال عبد الله
هل ترك وارثا او لاحد منكم عليه عقد ولاء قلت لا قال فاجعل ماله في بيت المال وكذلك يقول
اصحابنا من مات وترك وارثا فماله لوارثه وان لم يكن له وارث فللذي اسلم على يديه ووالاه
لما روينا من الخبر هو اولى الناس بمحياه ومماته وقوله بمحياه في العقل ومماته في الميراث ولما
روينا من الصحابة رضي الله عنهم وقوله جل وعز والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم قيل

في الوصية الى تمام الثلث لان المواريث قد نسخ بالآية التي في الانفال بقوله عز وجل واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا فهي الوصية الى تمام الثلث فاذا كانت الآية في الذي اسلم على يديه ووالاه وعاقده
فهو ليس بمنسوخ وقيل فآتوهم نصيبهم من النصر والمعونة والمشورة ولا ميراث وقوله
جل وعز ان الله كان على كل شيء شهيدا بما ذكر من الشرط والوفاء به وبالله التوفيق وقوله عز
وجل الرجال قوامون على النساء قال اهل التاويل الآية نزلت في الازواج ودليله قوله وبما انفقوا
من اموالهم والازواج هم المأخوذون بنفقة ازواجهم وفيه دليل وجوب نفقة المرأة على زوجها
وعلى ذلك اجماع اهل العلم وقال بعض اهل العلم في قوله تعالى الرجال قوامون على النساء دليل انه
لا يجوز النكاح الا بالولي حيث اخبر انهم القوامون عليهن دون نفس قيل له ان كانت الآية في الازواج
دون الاولياء على ما ذكرت ففيه دليل جواز النكاح بغير ولي لا بطلانه وذلك قوله الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اخبر انه فضل بعضهم على بعض وذلك التفضيل
تفضيل خلقة وهو ان جعل الرجال من اهل المكاسب والتجارات والقيام بانواع الحرف والتقلب
في البلدان والمدائن والنساء ليس كذلك لما جعلهن ضعفاء عاجزات عن القيام بالمكاسب
والحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون عليهن والبالغ مؤدهن وكافين حوائجهن
قائمين على ذلك فالاصل على الرجل القيام بمصالحهن كما ذكرنا مع ما فرض ذلك على الرجال يحوزها
وليس بانفسهن وفيمن يحوائجهن من البياعات والاشربة وغير ذلك بعلى ذلك النكاح وان كان الرجال
هم القوام عليهن فانفسهن اذا اولين ذلك بانفسهن وقمن بذلك كما جاز منه ولهذا امر الاولياء
بالتزويج في قوله وانكحوا الايامى منكم الآية ونهاهم عن العضل عن النكاح بقوله ولا تعضلوهن ان
ينكحن ازواجهن الآية لان ذلك حق عليهم ان يفعلوا حتى يعين ذلك بانفسهن اذ لا بد من حضور مشهد
الرجال ومجالسهم ليشهدوا ويلي ذلك بذلك على الاولياء القيام به ولهذا ما جعل نفقتهن اذا لم يكن لهن
مال على محارمهن لانهن لا يقمن بالمكاسب وانواع الحرف والتجارات والرجال يقومون فجعل
مؤنتهن عليهم لضعفهن وعجزهن عن القيام بالمكاسب خلقة ولهذا لم يجعل للذكور من المحارم
بعضهم على بعض النفقة لما يقومون بالمكاسب فاذا صار زمنا وعجز عن المكاسب جعل نفقته على
محارمه لانه صار في الخلقة كالمرأة والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض قال امراء عليهن ان تطيعه فيما امرها الله به من
طاعته وطاعته ان تكون محسنة الى اهله حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعيه وقيل
نزلت الآية في رجل لطم امرأته لطمة في وجهها فنشزت عن فراش زوجها واستعدت الى رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لطمني في وجهي فلان لطمة وهذا اثر يده في
وجهي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ بين الرجال
والنساء في اللطمة والشجة والضربة ثم ابصر النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ينزل
فقال لها كفي حتى انظر ما جاء به جبريل في امرك فاتاه بهذه الآية الرجال قوامون على النساء بما
فضل الله بعضهم على بعض في السلطان على ادب النساء في الحق وقيل بتفضيلهم عليهن بالعقل والبر
في الدين والنبوة والعلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد
الله خير مما اردنا الرجال قوامون الآية على ان النكاح لا يجوز الا بالولي فعرفنا جواب الآية انهم
فيما ينفقوا فيلزم الاولياء النفقة وهو لا يقول به وبعد فان الآية لو كانت في الاولياء

ثم في كل امورهن اليهم حاجة فيخرج ذلك مخرج الحق لهن في أن يقوموا لهن العقود وكلفوا ان يقوموا
في كفايتهن وكفالتهن لا انهن لو قمن بانفسهن يبطل بعضهن فضله امر النكاح واهل التاويل يحملون
الاية على الازواج ومن يريد من الاية علموا ما فيها قال اهل التاويل دون الذي ذهب اليه انت
والله اعلم وقوله جل وعز فالصالحات قانتات حافظات عن ابن عباس رضي الله عنه قال
قانتات يعني مطيعات والقانت هو المطيع ويحتمل مطيعات لربه ويحتمل مطيعات للازواج
ويحتمل قانتات يعني قائمات بما اوجب الله عليهن من حقوقه وحقوق ازواجهن وقوله
جل وعز حافظات للغيب قيل حافظات لما استودعهن الله من حقه وحافظات لغيب
ازواجهن وقيل حافظات لانفسهن لغيبة ازواجهن في فروجهن ويحتمل قانتات للغيب في الله في
اموره ونواهيه والقائم بحقوقه والقانتات والحافظات هو تفسير الصالحات وقوله تعالى
بما حفظ الله اختلف في تلاوته وتاويله في حرف بعضهم بالنصب بما حفظ الله وتاويله بحفظ الله
لكنه نصب لسقوط حرف الخفض ومن رفعه جعل تاويله بما استحفظهن الله والله اعلم وقوله
جل وعز واللاتي تخافون نشوزهن قال بعض اهل الادب سمى العلم خوفا لانه اصطرق العلم وقال
اكثرهم هو الخائف الظان لانه يرجو ويخاف واما الاصل فيه انه سمى العلم خوفا لغلبة شدة الخوف
فيعمل عمل العلم بالشيء على غير حقيقته لانه يعرف بالاجتهاد وبأكثر الرأي والظن وهكذا كل ما كان
سبيل معرفته الاجتهاد فان غالب الظن واكبر الرأي يعمل عمل اليقين في الحكم وان لم يكن هنالك
حقيقة الامر الى قوله فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار والزمنا العمل بظاهر علمنا وان
لم نصل الى حقيقة ايمانهن فعلى ذلك اذا علم منها النشوز فلم اكثر الظن وغلبه يعمل عملا الذي ذكر
في الاية من العظة وغيرها لان قوله تخافون نشوزهن ليس على وجود النشوز منها بالحال حقيقة
ولكن على غالب الظن لانها اذا كانت ناشزة كيف يعظها وكيف يهجرها ويضربها لذلك انه في
غالب العلم او لا يرى انه من اكره على ان ينطق بكلام الكفر بقتل او ضرب يخاف منه التلف كان
في حل وسعة ان ينطق به تعهدا ويكون قلبه مطمئنا بالايمان وذلك انما يعلم بغالب الظن واكبر
الرأي لا يعلم علم حقيقة ثم ابيح له ان يعمل عمل حقيقة العلم فكذلك الاول والله اعلم وقوله
عز وجل المرأة عن عصيان زوجها امرها بطاعته في نفسها كما امره ان يحسن عشرتها وهذا
هو والله اعلم من الحق الذي ذكره الله في سورة البقرة مجملا بقوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وفسر الحق عليهن في هذه السورة وهذا ان يطيعه في نفسها ويحفظ غيبته الا يرى انه قال فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حق الزوج على امرأته
اذا دعاها وهي على قتب ان تطيعه وقوله عز وجل فعظوهن عن ابن عباس قال عظوهن
بكتاب الله فان اطعنكم ايهن رجعن الى الفراش فارفق معه والا فاهجروهن والهجران ان لا يجامعها
ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر فان قبلت والا فقد اذن الله لك ان تضربها ضربا غير مبرح
ولا تكسر لها عظما فان قبلت والا فقد حل لك منها الفداء ويحتمل قوله فعظوهن ان يقول لها كوني
من الصالحات ومن القانتات ومن الحافظات ولا تكوني من كذا على الرفق واللين فان هي تركت
ذلك والا فاهجروها والهجران يحتمل وجهين يحتمل التخويف على الاعتزال منها وترك المضاجعة
والجماع ويحتمل ان يهجرها ولا يجامعها الا على التخويف من ترك ذلك فان هي تركت ذلك والا ضربها
عند ذلك الضرب الذي ذكرنا غير مبرح ولا شاين والله اعلم على الترتيب يعظها اولا بما ذكرنا
من الرفق واللين لعلها المطاوعة وتركت ذلك ثم اذا لم تطعه خوفها بالهجران فلعل قلبها لا يحتمل

الهجران

الهجران وترك المضاجعة فتطيعه فان هي ابت ذلك حينئذ هجرها ولم يجامعها ولا ضاجعها
فان هي اطاعته والا عند ذلك ضربها فان هي اطاعته والا فعند ذلك يرفعا الى الحكم وهذا يجب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيعظه على الرفق واللين اولا ولا يغلظ له في القول فان هو قبل ذلك
والا عند ذلك غلظ القول به فان قبل ذلك والا انبسط يده فيه على ما اباح الله تعالى الازواج ان يعاملوا
النساء من العظة ثم الهجران ثم الضرب ثم الرفع الى الحكمين وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تضربوا اماء الله فترك الناس ضربهن فجاء عمر رضي الله عنه فقال والله لقد ذئر النساء
يا رسول الله ولقد اطاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب والله ما تجدون اولئك
خياركم وقال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وقال احسن المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم
باهله قال والموعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة فيكون ذلك تذكير
عواقب الامور ومساوي الاحوال والله اعلم وعلى ذلك يعظها ويخوفها بان يذكرها نعم الرب
جل جلاله وما جبل من الحق عليها وما وعد في ذلك واوعد وفي هذه الايات دلالة لزوم الاجتهاد
وتكليف ما لا يوصل الى معرفة المكلف به الا بالتدبر والعرض على الامور المعتادة او الاسباب
المعقولة في جعلها اسبابا للمصلحة وسبلا للوقوف عليها في اصول تلك النوازل من الحكمة ولا قوة
الا بالله ثم جعل تاديبهن الى الازواج لا الى الائمة اذ عقوبة الائمة تكون بالضرب او الحبس وما
يلحقها من المكروه في ما له امر بالتاديب مع ما في ذلك من الستر ويكون الغالب منها لا يجد
سبيل الاطلاع عندنا الحاكم ويكون في اوقات تضيق عن احتمال ذلك ويكون ذلك اصلا لتاديب
كل اهل احرص من الايتام والصغار وغير ذلك والله اعلم والاصل ان الله عز وجل قال ومن
آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فجعل التاديب من الوجه
الذي فيه حفظ المجعول له آية ورعايته ما جعل بينهم من المودة والرحمة والمنافرات والخصومات
الى الحكام تقطع تلك المجعول لهم من ذلك قدرما لا يقطع مثله من التاديب المجعول بينهم وذلك
لم يؤذن بالضرب المبرح ولا اذن الا عند انقطاع الحبل التي جعلت للالفة والمحبة على ان في خيف
ذلك انما هو الاشفاق على ما اعترض من خوف انقطاع المودة والرحمة وابداء العتاب الذي هو بسبب
النصح والرحمة اذ ذلك مما يخاف في تركه ذلك تمام ما قد افتتح من الستر والشفقة والله اعلم وقيل
في قوله ربما استغرا من اجوا الخبر بما ساق اوامر الهوى النفقة وقوله تعالى واهجروهن في المضاجع
يحتمل وجهين احدهما ان يهجرها في حال مضاجعته اياها اي انه لا يكلمها لا ان يترك مضاجعتها اذ
المضاجعة حق بينهما في تركها ما يلزمها لا يؤذيها بما يضحكه ونفسه والله اعلم ويحتمل قوله
اي اهجروهن عن المضاجع ومضاجعة اخرى في حقها فيكون حقها يطلب في حال الموافقة وحفظ حدود
الله بينهما لا في حال التضييع والله اعلم وعن ابن عباس انه قال يهجرها بلسانه لا يجامعها ولا يضاجعها
على فراشه ويوليها الظهر لكنه على هذا يشترك فيه التاديب لانه يؤدب نفسه في ذلك لما في حاجته
لكن المعنى من ذلك ان لا يجامعها لوقت علمه بشهوتها وحاجتها وانما ينظر وقت شهوته وهو ذا والله
اعلم وقوله عز وجل فلا تبغوا عليهن سبيلا ان اطعنكم اي لا تطلبوا عليهن عللا وقيل
لا تكلفوهن الحب وانما جعل الله الموعظة والهجران والضرب في المضاجع وعن ابن عباس انه
قال فان اطاعته فلا سبيل له عليها سوى الضرب هو ما ذكرنا انه يضربها ضربا غير مبرح وهو
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علق سوطك ادنى حيث تراه اهلك ولا تضربها
به فيلوم متضرب قال فيضربها ضربا غير مبرح يعني غير مؤثر ولا شاين وروي في خبر آخر قال

صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله وان لكم عليهن ان لا يوطئن فراشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح
ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عز وجل ان الله كان عليا كبيرا هذا والله اعلم
تذكير من الله عباده وامر منه اياهم انه مع علوه وسلطانه وعظمته وجلاله وقدرته لا يواخذكم
باول عصيان تعصيه ولا باول عثرة تعثرها مع قدرته على الاخذ على ذلك واهلاكه اياكم
فانتم لا تواخذوهن ايضا باول معصية يعصين فيكم والله اعلم ويحتمل ذكر هذه الاية وهو
كذلك ليذكر علوه وكبره فيتحفظ حده فيما جعل له من التاديب ويذكر قدرته عليه وقوله
جل وعز وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها الاية كان هذه المخاطبة
والله اعلم لغير الازواج لانه قال فان خفتم شقاق بينهما ولو كانت المخاطبة في ذلك للازواج
لقال فان خفتم شقاقا بينهما او ان خفتم شقاق بينكم وقوله واللاتي تخافون نشوزهن فظاهر
الاية تخاطب بذلك الازواج لانه قال واهجروهن في المضاجع وذلك الى الزوج اذ للزوج اذا
خاف نشوز امراته ان يعظها اولا فان قبلت والا فبعد ذلك هجرها ثم يضربها ان لم تقبل ذلك
فان لم ينفع ذلك كله فبعد ذلك دفع الامر الى الحاكم او الامام فوجه الحكمين وروي نحو ذلك
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يبعث الحكمان حكما من اهله وحكما من اهلها فيقول
الحكم من اهلها يا فلان ما تنقم من زوجتك فيقول انقم منها كذا وكذا فيقول ارايت ان نزعت عما
تكره الى ما تحب هل انت متقي الله وتعاشرها بما يحق عليك من نفقتها وكسوتها فاذا قال نعم
قال الحكم من اهله يا فلانة ما تنقمين من زوجك فيقول مثل ذلك فان قالت نعم جمع الله بينهما بالحكمين
بهما يجمع الله وبهما يفرق ثم اختلف في الحكمين هل يفرقان بينهما قال بعضهم يفرقان بينهما
ان شاءا وان شاءا جمعاهما وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال بعثت انا ومعاوية حكمين
فقيل لنا ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما واما عندنا فانهما لا يفرقان
الا برضا الزوجين لما روي ان رجلا وامراته اتيا عليا مع كل واحد منهما فيام من الناس فقال
علي ما شان هذين قالوا بينهما شقاق قال علي رضي الله عنه ابعثوا حكما من اهله وحكما من
اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فقال علي رضي الله عنه هل تدريان ما عليكما ان
رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما قالت المراة رضيت بكتاب الله فقال
الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى تقر كما اقرت اخبر علي ان الفرقة
الحكمين انما تجب برضا الزوجين فلو كانت فرقتهما تجوز بغير رضا الزوجين لم ينظر الى سخط الزوج في
الفرقة ولقال علي رضي الله عنه للحكمين فرقا ان رايتما ذلك كره الزوج او رضي وفي قوله ايضا
وان خفتم شقاق بينهما اي علمتم اذ حق ذلك ان يجتهد في الحال بينهما فيعمل على الغالب والغالب
من العلم في الاعمال وهو الترتيب في الشهادة فذكر باسم الخوف على ما به من علم العمل على ان في ظاهر
الاية التفرق في المنزل حيث يبعث من اهل كل واحد منهما ولو كانا في منزل واحد لحقه ان يجمع بين
الحكمين ان يبعثا ليتبين لك ذلك على نحو الخلاف والشقاق والله اعلم وقال وامر الحكمين بالاصلاح
بين الزوجين وهو الامر الذي امر بين جميع المومنين من قوله فاصلحوا ذات بينكم وقوله ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم الاية وقوله لا خير في كثير الاية وذلك يحق التاليف وما به تمام الاخوة بقوله
واصلحوا بين اخويكم لا بما يرفع اهله ويوجب التفريق بينهم والتباغض وعلى ذلك امر الحكمين
في النكاح والله اعلم وقوله جل وعز ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما عن ابن عباس عن ابن

عباس

عباس ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما هما الحكمان وعن مجاهد مثله وقال اخرون قوله
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما هما الزوجان وفي الاية دليل على انه ليس للحكمين ان يفرقا
لان الله تعالى قال ان يريدا اصلاحا وليس فيها قيل ان فرقتهما جائزة بشيء وقوله جل وعز
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قيل جعل الخلع اليهما دون
الحكمين وكان الحكمين يوجهان ليعرف من الظالم من الزوجين فيشهدان بهما على الظالم لان
كل واحد منهما قد اشتكى بين الناس من صاحبه لا يعرف الظالم منهما من غير الظالم فان كان الزوج
من الظالم لم ياخذ على يديه وقيل لا يحل لك ان تفعل هذا لتخلع منك وامر بالانفاق عليها وان
كانت هي الظالمة وكانت في غير منزله ناشزة ولم يؤمر بالانفاق عليها وقيل لها قد طلبت الفدية
وكان في اخذها معذورا بما ظهر للحكمين من نشوز المراة والله الموفق وفي قوله ايضا ان يريدا
اصلاحا لا يخلو من امرين اما ان يريد به الزوجين او الحكمين ثم الاصلاح يكون مرة بالجمع ومرة
بالتفريق فقيل الجمع تارة قيل التوفيق الجمع بينهما وعلى ارادة التفريق تارة وقيل التوفيق للاصلاح وعلم
التوفيق للاصلاح يدخل فيه الامران وفي ذلك ان الفرقة والاجتماع اليهما اذ عليهما ارادة الاصلاح
وانصرف معنى الاية الى الزوجين وايد ذلك قوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها نشوزا او
اعراضا الى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية ثم قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
الاية فعلى ما ظهر منه النشوز صرف امر التفرق الى الزوجين وكذلك قوله لا يحل لكم ان تاخذوا مما
اتيتموهن الى قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فاشركهما في الافتداء الذي به الفراق او يريد
به الحكمين فيكون ذلك على الترغيب في طلب الاصلاح بينهما وعلى ايثار العدل والصواب كقوله
كقوله واذا حكمتم بين الناس فاحكموا وقوله كونوا قوامين بالقسط الاية فاذا ارادا الاصلاح
يوفق الله بينهما له وجهان احدهما بين الزوجين ببركة قيام الحكمين لله وابتغائهما الصلاح بينهما
يلوفق الزوجين لما له النكاح من السكن والرحمة والمودة والبقية ويحتمل يوفق الله بينهما بين
الحكمين في اصابة ما ارادوا من الاصلاح ثم العلم بارادتهما الاصلاح لا يعلمه الا الله فلا يحتمل ان يوجب
لهما في الحكم التفريق والذي جوابه وعد التفريق لم يبين فلذلك لم يكن لهما حق التفريق انما اليهما
اعلام ما اتفقا عليه شرطا حلالهما وعليهما فيكون لهما الرضا بما رايا وغير الرضا واصله وجهان
احدهما انه استوجبا القيام بالتولية والتراضي من الزوجين وبمن يخاف الشقاق بينهما فان
قاما ببعث الناس فانما يبعث من لا يملك الفراق ثم يستوجبا بعد ذلك وان قاما ببعث
الزوجين ورضاهما بعثهما في ذلك لم يكن لهما غير الذي كان فيه الرضا عليهما والله اعلم والثاني
انهما بعثا للعلم بالسبب الذي حملهما على الشقاق ولعل السبب منهما فلا يحتمل ان يلزما به الطلاق
بلا ذنب منه فيمكن به كل امراة ترتب مفارقة الزوج واغرامه المهر واذا لم يحتمل ذلك لم يحتمل
ان يكون لهما حق التفريق بعد البعث مع ما بعثا لدفع الشقاق والهائج بينهما والرد الى الصلاح
الذي له كان النكاح على انه يمكن الاخذ على يدي الظالم منهما والقهر على العود الى ما فيه الصلاح
بالتاديب لم يجز ان يلزما الفراق واذكرها والله اعلم ثم الاصل انهما بالفان لا يلزما ما ب
النكاح اذا كرهاه وان الزوم الصلاح الى التناكح على احدهما وجود الولايات في الانكاح كما
ان لا يلزما الطلاق اذا كرها على امتناعه من وجوب الولايات به لغير الزوجين احري والله اعلم
وقوله ان الله كان عليما خبيرا من الظالم منهما ومن المظلوم وقيل عليما خبيرا بنصيحتهما
لهما عليما بما احترث المراة الى حكمها والزوج الى حكمه خبيرا بما اطلع كل واحد من الحكمين من

صاحبه على ما اخفى به انه اصدقه ام لم يصدقه والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فابعثوا حكمًا من اهله وحكمًا من اهلها و **قوله** عز وجل واعبدوا الله قيل وحدوا الله وقيل اطيعوا الله وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ولا تشركوا به شيئًا يحتمل النهي عن الاشراك في العبادة والطاعة ويحتمل النهي عن الاشراك في الربوبية والالوهية ويحتمل النهي عن الاشراك في سلطانه وغير ذلك كل ذلك اشراك بالله وبالله العصمة قال بعض اهل اللغة العبادة هي الطاعة التي معها الخضوع وقال بعضهم التوحيد واصلها ان يجعل العبد نفسه لله عبدًا لا يشرك فيها غيره من هوا او ما كان من وجوه الاشراك فقوله وجهان احدهما في الاعتقاد والثاني في الاستعمال والله اعلم و **قوله** عز وجل وبالوالدين احسانا امر عز وجل بالاحسان الى الوالدين وامر بالاحسان الى ذي القربى واليتامى والمساكين الى اخر ما ذكر لكن المعنى الذي به امر بالاحسان الى هولاء الاصناف في الفرق مختلف اما احسان الوالدين نشكرهما بما احسنا اليه وربياه صغيرا كقوله ان اشكر لي ولوالديك وقوله ولا تقل لهما اف الاية وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا يذكر حال صغره وضعفه انه كيف ربياه ويشكر لهما على ذلك وتحسن اليهما جزاء لما احسنا اليه وربياه صغيرا وقال عز وجل ايضا ووصينا الانسان بوالديه احسانا فاحسان الوالدين جزاء وشكر لما انعاما عليه وذلك يكون من جانب لان مثله لا يلزم الوالدين لولده وذلك فرض على الولد حتى عد عقوق الوالدين من الكبائر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين والواجب على الرجل ان يطيع والديه وكل واحد منهما الا ان يامراه بمعصية او ينهياه عن اداء فريضة او تاخيرها عن وقتها فان طاعتهما حينئذ معصية لله الى يري الى قوله عز وجل وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا امره بصحبتهما بالمعروف الا ان يامراه بمعصية ولهذا قال اصحابنا لا ينبغي للرجل ان يقتل اباه الكافر اذا كان محاربا الا ان يضطره الاب الى ذلك لانه قال وصاحبهما في الدنيا معروفا ليس من المعروف في الدنيا ان لا يقتله ولا يشهر عليه السلاح وقالوا ايضا ان مات احدهما يواريه دفنه وذلك من حسن الصحبة والمعروف روي ان ابا طالب لما مات قال رسول الله عليه السلام لعلي اذهب فواره ثم في هذه الاية تسوية بين الوالدين فيما امر له من الاحسان اليهما ولم يجعل للاب فضلا في ذلك على الام فذلك يدل على ان اسلام كل واحد من الابوين اسلام للصغير اذا كان الاجماع قائما في ان اسلام الاب اسلام لولده الصغار وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فان ابواه يهودانه وينصرانه و **قوله** جل وعز وبذي القربى امر بالاحسان الى ذي القربى ومعنى الامر به والله اعلم صلة يصل بعضهم بعضا وذلك من جانبين ما يلزم هذا ان يحسن الى هذا يلزم الاخر ان يحسن اليه وذلك ابقاء للمودة فيما بينهم والمحبة وذلك فرض ايضا ان يصل بعضهم بعضا لان صلة القرابة فريضة والامر بالاحسان الى اليتامى يحتمل وجهين يحتمل لما انهم ليس لهم والد يقوم بكفايتهم على ما يقوم له والده وامر بذلك لما يبرا الرجل ولده اخر لكلاه والديه فاذا مات والده يمتنع عن ذلك فامر ان يحسنوا اليه بعد موت والده على ما كانوا يحسنون في حياته لانه في ذلك الوقت احوج اليه اذ لا شفقة لاحد عليه كشفقة والده معه ورحمة والله اعلم ومعنى الامر بالاحسان الى المساكين ايضا وجهين يحتمل شكرا لله على من عليهم والعفو بالافضال على اولئك اذ لم يسبق الى الله معنى يستوجبون ذلك وقد امر بالاحسان اليهم شكرا لما انعم

عليهم

عليهم واحسن اليهم والثاني ان المساكين من جوهرهم وجنسهم في الخلقة يحتاجون الى ما يحتاج هو اليه من الماكل والمشرب والملبس وغير ذلك بامر هم بالاحسان اليهم شفقة منهم لهم ليتقووا على اداء ما فرض الله عليهم اذ هم مثلهم في الخلقة والجوهر والله اعلم وهذا الاحسان في اليتامى والمساكين من جانب ليس من جانبين و **قوله** عز وجل وابن السبيل امر الله بالاحسان الى ابن السبيل للوجهين اللذين وصفتهما في المساكين والله اعلم وقيل في اليتامى انه امر الاوصياء بالقيام على ما لهم وحفظهم ورحمة لهم وللين لهم و **قوله** والجار ذي القربى وهو ذو قرابة وله حقان حق الجوار وحق الرحم كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له حقوق ثلاثة حق القرابة وحق الاسلام وحق الجوار والذي له حقان حق الاسلام وحق الجوار والذي له حق واحد هو حق الجوار خاصة و **قوله** عز وجل والجار الجنب خص الله تعالى الجار الجنب دون غيره من الجيران غير الملازقين وكان ذلك دليلا على ان الحقوق التي تلزم بالجوار انما تلزم في الجيران الملازقين لا غير **قوله** الجيران بالملك تمس ملك بعضهم بعضا وتلصق به كما في الرحم يمس النسب بعضهم بعض ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله انه اذا اوصى لجيرانه فالوصية للملازقين دون غيرهم لانهم هم الذين يلزم لبعضهم على بعض حقوق يتوارثون باداءها في حال حياتهم فاما اذا ماتوا فادعوا انما اوصى باداء ما كان بينهم وكذلك قال في الوصية لذي قرابته انها لقرابته الذين يفرض عليهم صلتهم اذا كانوا احياء فاذا مات فاوصى فانما يوصي باداء ما كان يؤدي في حال حياته وذلك مما عليه الاداء وفيه دليل على ان الشفعة الواجبة للجار انما تكون للجار الجنب الملازق دون غيره من الجيران وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار وامر بحفظه مجتبه وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي بعض الاخبار من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وفي بعضها ما امن من امسى شبعانا وجاره جائعا واذا بيع بجنبه دار او ارض ان ياخذها بالشفعة لما روي عن عمرو بن الشريد عن ابي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجار احق بسقبه وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجوار قال الجار احق بسقبه ما كان وعن رافع بن خديج قال عرض علي سعد بيتا له فقال خذه فاني قد اعطيت به اكثر مما تعطيني ولكنك احق به لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجار احق بسقبه وعن ابي الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة بالجوار وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار احق بشفعة جاره اذا كان طريقهما واحد ينتظر بها وان كان غائبا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر بها وان كان غائبا يدل على انه لا ينتظر بها اكثر من ذلك وفي ذلك دليل على ان الشفيع ان امسك عن طلب الشفعة وقد علم بالبيع بطلت شفعته ومما يدل على ذلك ايضا ان الشفعة انما جعلت للجار والله اعلم بما يخاف عليه من سوء جوار المشتري والضرر الذي عسى ان يلحقه منه فلو جعلنا الشفيع على شفعته ابدا لم يومن ان يبني المشتري في الدار وينفق فيها نفقة عظيمة ثم يجي الشفيع فيطلب الشفعة فيقال للمشتري سلم الدار وارفع بناءك وفي ذلك ضرر عليه بين وعن علي وعبد الله قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة بالجوار وعن شريح قال كتب الي عمر ان اقض للجار بالشفعة والى هذه الاثار ذهب اصحابنا في ايجاب الشفعة للجار وانكر قوم ان

يكون الشفعة الا فيما لم يقسم من الدور والارضين واحتجوا في ذلك بما روي عن سعيد بن المسيب
وابي سلمة قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم فاذا وقعت الحدود
وصرفت الطرق فلا شفعة وكذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله
لكن تاويل الحديث عندنا والله اعلم ان قوله قضى بالشفعة فيما لم يقسم قول الراوي لانه
لم يحك عنه انه قال لا شفعة فيما قسم فيحتمل ان يكون علم ذلك بحكاية ولم يعلم غيره وان من
الاخرون بايجاب الشفعة فيما قد قسم واما قوله فاذا وقعت الحدود فلا شفعة فيلتبس فيه بيان
حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد يجوز ان يكون ذلك من الراوي او ان قال انما قال
في القسمة لا شفعة في القسمة عندنا ثم قد جعل الله تعالى للجيران بعضهم على بعض حقوقا
بالاتصال املاكهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يبيع داره فليعرضها على
جاره فاذا اراد البائع اختيار الجار الذي لا حق له على الجار الذي له حق جعل له ابطال ذلك اذ
ليس غرضه من البيع الا الثمن وقد يوجد ذلك من الجار ولهذا ما توجب الشفعة في الهبات والصدقات
مما يجوز ان يقصد بها اختيار واحد لا يوجد ذلك في الاخر واما البيع فالمقصود فيه الثمن
وقوله ايضا والجار ذي القربى والجار الجنب والجنب البعيد بين والله اعلم ليعلم
ان الحق الذي ذكر للجار من الاحسان اليه ليس هو بحق القرابة بل هو بحق الجوار فامر بالاحسان
الى من له جوار بالملك نحو ما امر بالاحسان الى من له جوار بالنسب ثم كان الحق قد يفترض بجوار النسب
بحال مع ما كانت الصلة مفروضة فيمن مس ملكه ملكه في الملك وجوبه فيما وقع التماس بالابدان
في البدن على ان الاية فيما امر بالاحسان الى جميع من ذكر قد يصير ذلك حقا يلزم بحال فمثله
حق الجوار وذلك لا يعرف غير حق الشفعة وقد جاءت به الاثار وتوارثت المسلمون في ذلك
الطلب والاحتيال في الصرف والمنع فبان ان الحق به ظاهرا لا يحتمل الخفاء مع ما لا ينفك من القول
عن ذلك الا وعنده حظ من العلم فيه لا يوجد مثل شيء من الحقوق في غير املاك المحتجين هذا
البيان والظهور ثبت ان امر كان معروفا في الامة حتى جرى به التوارث ثم هذا النوع من
العلم لا يحتمل انتشاره ونيله بالرأي فصار كسنة ظاهرة لها حق التواتر مع ما يستغني عن
روايته والله اعلم ثم ان الناس على اختلافهم مستقيمين على وجوب حق الشفعة بحق الشركة
فيما يحتمل القسمة فاما ان يجب بحق القسمة فيجب ذلك في كل يحتمل القسمة وذلك
مما يابانا الجميع او يجب بما جعل من حق الجوار الذي جاء به الكتاب وجرت به السنة او بما جعل من
تاذي بعض الجيران ببعض والامر بالمعروف في الخلق من الاستحباب وعن احوال الجيران قبل
تامل الدور وتفاوت القيم باختلاف الجيران بما في ذلك من المؤن والمضار وايهما كان
فالشفعة واجبة بالجوار لانهما امران لا ينفك منهما على ثبات الجوار فيجب به الشفعة مع ما
امكن الجمع بين الاثار بما لا يحتمل تسمية الشريك جارا من حيث الشركة لوجهين احدهما قوله
تعالى وفي الارض قطع متجاورات لم يجعل الارض من حيث الارض متجاورة حتى اثبت لها
القطع فاوجب بالقطع التجاور ومع ما كان الجوار في اللغة اسم للتقارب والالتصاق
لا التداخل [illegible] ذلك عندهم تابى تسمية مكابرة المعارف والوجه الاخر ما لم يسمي
الشركاء في عين العرصات جيرانا ثبت ان ذلك ليس من اسماء الشركة فلا وجه لصرف
الخبر باسم الجوار الى الشركة مع ما قد جاءنا يقطع من الصواب عن ارض ليس لاحد فيها شرك
الا الجوار انه قال الجار احق بسقبه وما جاء الجار احق بشفعة جاره ينتظر به وان كان

غائبا اذا كان طريقهما واحدا فيجب بما ذكرت صرف خبر الشريك الى وجه يوافق خبر الجار وله اوجه
ثلاثة احدها ان قوله قضى بالشفعة للشريك لم يقسم عن مقابل الخبر الجوار اذ هو احق في
الشريكين فما روي من القول اذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة فيحتمل ان يكون
خبرا عن هذا الفعل ان لا شفعة في ضرب الطرق واظهار الحدود اذ القسمة في معنى البيع
في الامور حتى منع الا فيما [illegible] لا يحتمل التفاضل الا بما يجوز به فقيل لا شفعة في هذا
والله اعلم والثاني ان يكون اذا كان هذا الا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت
بينهم الطرق والله اعلم والثالث اذا وقعت الحدود فتباينت وصرفت الطرق فتباعدت
اذ فيما لم يتباينا ثم حد ليس واحد من الامرين واذا احتمل خبر الشريك ما ذكرنا ثبت امر الشفعة
بالجوار والشرك جميعا على الترتيب ولا قوة الا بالله ولو كان الجنب انما هو البعيد الجيران بالنسب
استحق بما كان الذي به الجوار للاتصال ويكون كل واحد منهما يجب للجوار ولا ينبغي كل بعيد
به نفيه وجهان احدهما الحق بالاتصال والثاني بيان ما به يكون الجوار والله اعلم وقوله
والصاحب بالجنب اختلف فيه قال علي هي المرأة وقال عبد الله بن مسعود كذا ايضا هي
المرأة وعن ابن عباس من الرفيق في السفر وكذلك قول مجاهد فان كان الصاحب بالجنب
هو المرأة فالامر بالاحسان من جانب وان كان هو الرفيق في السفر فمن جانبين ما يلزم هذا يلزم
الاخر مثله بحق المصاحبة وقوله عز وجل وما ملكت ايمانكم يحتمل الامر وجهين بالاحسان
الى المماليك شكرا لما انعم عليهم بما جعل لهم من الحق له من جوهرهم وامثالهم في الخلقة اذ كلا
تحت ايديهم يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم ولما هم انما لهم في الحاجة من المطعم والمشرب
والملبس وهم متعهدون في ايديهم وقد يترك الرجل النظر لمن هو متعود بيده امر بالنظر اليهم
والله اعلم وقد جاءت الاثار في ذلك عن انس قال كانت عامة وصية رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلوات وما ملكت ايمانكم وعن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يوصي بالمملوك خيرا ويقول واطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وعن علي رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالصلاة والزكاة وبما ملكت وعن ام سلمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرضه الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما
يفيض بها لسانه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم للمملوك
طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وعن انس قال كان اخر وصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة الصلاة وما ملكت ايمانكم ثم جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتغرغر بها في صدره ولا يفصح بها لسانه وعن ابي ذر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في المماليك هم اخوانكم ولكن الله خولكم اياهم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم
مما تلبسون وقوله عز وجل ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا قيل المختال المتكبر
وقيل هو من الخداع وقيل هو الذي يمشي مرحا وهو واحد يتكبر على عباد الله تعالى ويتكبر
على عباد الله ويخدعهم وقوله لا يحب كل مختال فخور لانه لا يحب الاختيال وكذا اذا
في كل ما ذكر لا يحب واو يحب وكذا قوله يحب المتطهرين والتوابين ولا يحب الظالمين لانه
يحب الطهارة والتوبة ولا يحب الظلم ولا الكفر فاذا لم يحب هذا لم يحب فاعله لفعله واذا
احب هذا احب فاعله لفعله وقوله عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
الاية يحتمل ان تكون الاية تفسيرا لما تقدم من قوله ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ووصف

لهم ان لا يتكلموا بمثل الا عن تقدمه وتحتمل على الابتداء كقوله الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين
الاية ثم تحتمل وجوها تحتمل قوله يبخلون بما عندهم من الاموال ويامرون الناس به وهكذا
دأب كل بخيل انه يبخل ويامر غيره به وتحتمل يبخلون ما عندهم من العلوم والاحكام لئلا
يعلموا غيرهم ويامرون الناس بذلك وتحتمل قوله يبخلون باظهار نعت محمد صلى الله عليه وسلم
ويامرون الناس به الا يرى انه قال ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي يكتمون بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وتحتمل قوله يكتمون ما آتاهم الله من فضله من العلوم والحكمة وتحتمل ما ذكرنا انهم
يكتمون ويبخلون بما آتاهم الله من فضله من الاموال ولا ينفقونها وفي تركه الانفاق والتصدق
كتمان ما انعم الله عليهم فيه ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله نعمة
فليري عليه لكنه اذا ذبيوله يري عليه ان ينفقها على نفسه ويتصدق بها ويلبسها وجائز ان يكون
اراد والله اعلم الانفاق والتصدق على غيرهم فيلي ذلك كتمان ما آتاهم الله من الاموال
اذا تركوا الانفاق على غيرهم لان من كانت له الاموال لا يترك الانفاق على نفسه وقيل في قوله الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل نزلت في كعب بن الاشرف كتم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتب
الى الرؤساء من اليهود في الاخفاق بامرهم بكتمانه وايضا في قوله يبخلون ويامرون الناس بالبخل
اي بما انعم الله عليهم من الاموال او بما بين لهم من صفات الرسول او بما امروا به من العبادات
حملهم على الكفر احد هذه الاوجه الثلاثة او كانوا استحلوا احدها فكفروا بذلك لزمهم الذي
ذكر في القرآن والله اعلم وكما نعم يرجع الى كتمان النعت او الحقوق او العبادات في انفسهم
لئلا يخرجوا بالعدول عليهم عما في كتبهم وذلك تحريفهم والله اعلم **وقوله** واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا ظاهر قد ذكرنا في غير موضع **وقوله** والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر الاية قيل نزلت في المنافقين كانوا ينفقون من آمنه ويتصلون من آمنه كانوا
يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك وكانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر سرا وقيل انها نزلت
في الذين ينفقون في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون معه ينفقون اموالهم رئاء
للناس يطلبون بذلك الرياسة **وقوله** عز وجل ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
يحتمل ان يكون هذا في الدنيا وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم الاية وتحتمل في الآخرة كقوله تعالى
فبئس القرين اليوم انكم في العذاب مشتركون فهذا والله اعلم لان كلامهم كان تقبيح الشيطان
وبانفهم وتحسين الملائكة وتحمدهم حتى ضرب مثل القبح من الاشياء بالشياطين كقوله
طلعها كانه رؤوس الشياطين وضرب مثل الحسن بالملائكة وذلك لمعرفتهم بقبح الشياطين
وحسن الملائكة وذلك انما عرفوا بالخبر لانهم لم يروا ملكا عرفوا حسنه بالمعاينة ولا شاهدوا
شيطانا عرفوا قبحه بالمشاهدة ولكنهم عرفوا ذلك بالخبر ففيه دليل اثبات النبوة لانهم ما عرفوا
ذلك الا بخبر دل به استقباح الجميع الشياطين واستكبارهم واستحسانهم الملائكة واستعظامهم
من غير ان شهدوا من احد من الفريقين على قبول الاخبار عن الاعين نطقوا به وعلى اثبات الرسالة
اذ هو جاء بالانباء عمن شهده هو والشاهد والله اعلم **وقوله** عز وجل وماذا عليهم لو
امنوا بالله واليوم الآخر هذا والله اعلم صلة قوله والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر معنى قوله فماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله والله
اعلم وذلك انهم كانوا ينفقون من آية طلب الرياسة والثناء فقال لو امنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله يبقي لهم تلك الرياسة التي يطلبونها فالتبس بالكفر ما يبقى لهم الرياسة

ويكون لهم الذكر بل لو امنوا كان ذلك في الايمان اكثر ذكرا واعظم قدرا ومنزلة الا يرى انه
من اسلم منهم من الائمة من نحو ابن سلام وغيره كان لهم ذكر في الاسلام وبعد موتهم من غير حاجة
وقعت بغيرهم في تحقيق شرايع الاسلام ومن مات منهم على الكفر لم يذكر ابدا فاخبر الله تعالى ان
ليس في الايمان بالله واتباع محمد ذهاب شيء مما يخافون ذهابه من الرياسة والمنافع التي يطمعون
وصولها اليهم وغير ذلك حيث قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال وماذا
عليهم لو امنوا بالله واليوم الآخر لم يكن مما خافوا باتباع الهدى قليلا ولا كثيرا **وقوله**
عز وجل وكان الله بهم عليما يحتمل وجهين يحتمل انه كان عليما بهم منه يفعلون ما يفعلون من فعل
الكفر والشرور نحو من خلق ابليس لا عن جهل ولا غفلة ليس كصنيع ملوك الارض انهم انما فعلوا
فعلا ثم استقبل الخلاف فانما يكون ذلك لغفلة منهم وجهل بالعواقب فالله سبحانه وتعالى كان
لم يزل عالما بهم لكنه لم يمنعهم على ذلك لما لا يلحقه الضرر بالعصيان ولا النفع بالطاعة بل
حاصل النفع والضرر يرجع اليهم والثاني يخرج مخرج التحذير لهم والتنبيه لان من علم ان آخر
يعلم بصنيعه كان احذر واخوف ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب وعلى هذا يخرج قوله
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ليكونوا على حذر من ذلك وقيل وكان الله بهم عليما انهم لن يؤمنوا
وفي قوله ايضا وكان الله بهم عليما اي انا اعلم انهم بما يفعلون يبين انه انما امر ليعلم
الخلائق ان مخالفتهم اياه لا تضره اذ كل من يضره الخلاف لا يتولى ابتداءه الا على الغفلة
سعته من الضرر يلحقه بالخلاف والثاني على التحذير وقت الفعل بتذكير المراقب عليه فلي
ما عليه الامر المعتاد من الانتهاء عن امور تهواه النفس بالمراقب عليه كان على ارادة نفي حديثه
العلم او اخبر بعلمه بفعلهم وما لهم من الجزاء والله اعلم **وقوله** جل وعز ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وقوله ولا تظلمون فتيلا ونقيرا ان ما ذكر بظلام للعبيد ذكر هذا ان الله اعلم
لئلا يظن جاهل اذا راى ألم الاطفال والصغار وما يحل بهم ان ذلك ظلم منه لهم لكن ذلك
والله اعلم ليعلموا ان الصحة والسلامة افضال من الله تعالى لهم لا حق عليهم ذلك اذ له ان يخلق
كيف شاء صحيحا وسقيما ثم من ظلم آخر في الشاهد انما يظلم لاحد ثلاثة اما الجهل بالعدل
والحق واما لحاجة تمسه يدفع ذلك عن نفسه فيحمله على الظلم فالله سبحانه وتعالى غني بذاته
عالم لم يزل متعالي عن ان تمسه حاجة او يخفى عليه شيء مع ما كان يخفى الظلم في الشاهد هو
التناول مما ليس له بغير اذن من له وكل الخلائق من كل الوجوه له فلا معنى ثم للظلم ثم قيل
في الذرة انها نملة وذكر ذلك في حرف ابن مسعود مثقال نملة وقيل مثقال حبة وهو على التمثيل
ليس على التحقيق ذكر لصغر جثته ان لا يظلم ذلك المقدار فكيف ما فوق ذلك لا ان مثله
يحتمل ان يكون لكن لو كان لهو يكون به وبالله التوفيق **وقوله** وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما هذه على المعتزلة لانهم يقولون من ارتكب كبيرة مخلد في النار
ومعه حسنات كثيرة فاخبر عز وجل وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهي
الجنة وهذا الشرط ظهر بالله والايمان من رحمته عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها اما رزق في الدنيا واما جزاء في
الآخرة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان قال ابو سعيد فمن شك في
ذلك فليقرا ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية **وقوله** عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد

يقول يا نبي يعني نبيها وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا عليهم يعني على أمته شهيدا بالتصديق
لهم لأنه يشهد وشهد على الأمم للرسل أنهم بلغوا ما أرسلوا به لما قالوا قيل صدقهم وقامت
براهينهم بالرسالة وصارت شهادته على هؤلاء أي لهؤلاء على هذا التأويل كقوله وما ذبح
على النصب أي لها وتحمل عليهم لو كذبوا وزلوا وقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
يعني نبيها وجئنا بك يا محمد على أمتك شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل يومئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض قيل فيه وجوه أحدها إذا ميز الله أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال قال للوحشي والطير والسباع كوني ترابا فتكون ترابا فعند ذلك
يتمنون أن يكونوا ترابا مثلا لو حشر فتسوى بهم الأرض وعن ابن عباس قال يحشر أهل الشرك
يوما لعله آخرها كانوا مشركين فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم فيودون أنهم كانوا ترابا كقوله
يا ليتني كنت ترابا وقوله يا ليتها كانت القاضية وكذلك قوله لو تسوى بهم الأرض ليتنا لم نبعث
ولم نحيى ويقرأ تسوى وتسوى وتسوى وتستوي وتسوى وفي حرف حفصة لو تستوي
بهم الأرض وقوله عز وجل ولا يكتمون الله حديثا وقيل لما انطق الله جوارحهم وشهدت
عليهم حين أنكروا أن يكونوا مشركين بقوله الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لم يستطيعوا
أن يكتموا الله حديثا ويحتمل على الاستيناف لا يكتمون الله حديثا ويحتمل أن يكونوا يودوا في
الآخرة ويتمنوا أن لم يكونوا كتموا في الدنيا حديثا وقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى قيل لا تدنوا مكان الصلاة وأنتم سكارى وكذلك الجنب لا يدنوا مكان
الصلاة وهو قول ابن مسعود وقيل وقوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى نهي عن الصلاة في حال
السكر وروي أن رجلا صنع طعاما فدعى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسعد ابن أبي وقاص فأكلوا
وسقاهم خمرا وذلك قبل أن تحرم فحضرت صلاة المغرب فأمهم رجل منهم فقرأ قل يا أيها الكافرون
بطرح اللاآت فنزل قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يصلين أحدكم وهو لا يعقل صلاته وفي الآية دلالة أن في الصلاة قولا فرضا
نهي عن قربانها في حال السكر مخافة تركه أو نهي عن قربانها في حال السكر خوفا أن يدخل فيها قولا
ليس منها وفي ذلك دليل فساد الصلاة بالكلام عمدا كان أو خطأ لأن السكران لا يفعل ذلك
على العمد ولكن على الخطأ والأصل في هذا أنه لم ينهه عن فعل الصلاة في حال السكر لنفس
الصلاة ولكن فيه نهي عن السكر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة للعبد الآبق ولا
للمرأة الناشزة ليس النهي فيه عن الصلاة ولكن النهي عن الإباق والنشوز نفسه وهكذا
كل عبادة نهي عنها بأسباب تتقدم فالنهي إنما يكون عن تلك الأسباب لا عن العبادة التي أمر
بها لأن الإباق والنشوز والسكر ليشتغلوا بالذي يعلمون في اشتغال ذلك الفرض وتلك العبادة
وفي الآية دلالة أن السكران مخاطب بقوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى نهي عن قربان
الصلاة في حال السكر فالنهي إنما وقع في حال السكر فإذا كان مخاطبا عمل طلاقه ونفذت عقود
الأمور أنه قال في آية أخرى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
الآية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فلو لم يكن عليه ذكر في حال السكر لم يكن
ليصدهم عن ذكر الله معنى ولا ذكر عليهم ذلك أنه مخاطب ولهذا ما قال أبو يوسف أنه إذا ارتد
عن الإسلام يكون ارتداده ارتدادا كما نفذ طلاقه وسائر عقوده وفسوخه فعلى ذلك الارتداد
وعلى قول أبي حنيفة رحمه الله لا يصير مرتدا استحسانا ليس كسائر العقود والفسوخ لأن

سائر العقود يتعلق جوازها باللسان وإن كان رضا القلب شرطا فيها وأما الإيمان والكفر
فإنما يكون بالقلب وإن كان العبارة باللسان تكون شرطا فيما بين الخلق فإذا كان كذلك فإذا
سكر يذهب تسكر القلب تحول كأنه لم ينطق به وأما كان سائر العقود تعلقها باللسان فإذا
نطق به جاز والله أعلم اختلف في قوله لا تقربوا الصلاة منهم من حمل على مكان الصلاة أن الصلاة
نفل والنفل لا يقرب ومنهم من حمل على الفعل أي لا تصلوا وأي الوجهين أريد به فلا حرج وأجل
فيه لأنه إذا نهى عن حضور مكانها لحرمته فهي أعلى في الحرمة وأحق في المنع وأيد ذلك قوله حتى تعلموا
ما تقولون والعلم بالقول يحتاج إليه في حق الفعل لئلا يترك المفروض من الذكر فيفسد أو يدخل
المحرم فيه فيفسد وفي ذلك دلالة أحد الوجهين وفي حق العموم الوجهان جميعا وهو على الخطأ
يقول فثبت أن الخطأ من القول في الصلاة مفسد إذ لو كان لا يفسد لم يكن سوى النهي وفي التأخير
نهي أيضا والله أعلم ولو أريد به الصلاة فأما المكان لأجلها فلا وجه لحضور دون إمكان الفعل
للفعل والله أعلم وعلى ذلك أمر الجنب واستثنى عابري السبيل يكون على فعل الصلاة بالتيمم
فيكون في الآية دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول فيه على العبور فيه بالتيمم أيضا فعلى
ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه إذا كان فيه بالتيمم والله أعلم وإذا أبيح للجنب على المنع
عن دخول المسجد إلا بالتيمم فثبت أن التيمم تحصل له الطهارة فله الصلاة به لعذر والله أعلم
شرطي المزوجي ولا لأنه عمن أم في المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون على طرح اللاآت في حال السكر حتى نزلت
قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أن كلام الكفر في حال السكر لا يكفر صاحبه إذ خاطبهم باسم
الإيمان فلذلك لم يكن عند أبي حنيفة كافرا على أن المخطئ لما يجري على لسانه كلمة الكفر لا يصير
كافرا في الحكم والسكران يجري على لسانه على الخطأ ونيله ما لا يذكره وما كان عن عقد القلب
فهو لا ينتهي وبخاصة المذاهب كلها تختار عن فكر الأسباب وعن اختيار الأحق من الأمور عنده
إما بحجة أو شبهة أو شهوة بين تخلو الأنف بالتقليد وحسن الظن والذي يكون على ما ذكرت
لا يحتمل السهو عنه حتى لا يخطر بباله لو أراد بدعوة عن قريب ثبت أنه كان عن خطأ وقد
جاز رفع الخطاب وأصله أن الإنسان معبر عن الخطأ والاعتقاد في أمر الدين وبخاصة في الكفر
الذي يكون بالقلب خاصة بلا اشتغال اللسان فإذا كان يخطئ في أمر اللسان دون القلب
الذي اللسان عنه معبر ومن عبر الكفر باللسان ووصفه لا يكفر إلا أن يكون يعبر عن نفسه
أنه اعتقده فلذلك كان على ما بينا على أنه قد يجري بتلاوة القرآن على اللسان بالغلط ما يكفر
عليه بالتعمد فلا يجوز أن تجعل تلاوته للتعظيم والإيمان به كفرا ثبت بذلك رفع الكفر عن
أخطائي إجرائه على اللسان فمثله السكران إذ هو مخطئ والله أعلم ثم اختلف أهل التأويل
في تأويل قوله تعالى ولا جنبا إلا عابري سبيل عن علي رضي الله عنه أنه قال هو أن يكون مسافرا
ولا يجد الماء فيتيمم وعن ابن عباس قال هو المسافر وقيل ولا جنبا إلا عابري سبيل في الجنب
أن يدخل المساجد ومكان الصلاة إلا عابري سبيل الاجتياز أو من تأول الآية على المرور في
المسجد فهو غير بعيد يقول إنما كره للجنب أن يتوطأ المسجد فأما المار لا ضرر له فقد رخص
له الأمر أن الجنب يرخص له أن يقرأ بعض الآية ولا يجوز أن يتمها لما وراء في المساجد إذا
لم يجلس فيه كقراءته لبعض الآية إذا لم يتمها وعلى ذلك أمر الجنب واستثنى عابري السبيل
يكون على فعل الصلاة بالتيمم فيكون في الآية دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول فيه
على العبور فيه بالتيمم أيضا على ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه إذا كان فيه بالتيمم والله أعلم

وإذا أبيح للجنب دخول المسجد بالتيمم فثبت أن التيمم قد جعل له الطهارة فلذا الصلاة به لعذر والله
أعلم وقوله عز وجل وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط الآية أباح الله عز
وجل للمريض المقيم أن يتيمم والآية ذكرت المرض عاما وأجمعوا أن المريض الذي لا يخاف أن يضره
الماء لا يتيمم وإنما الجواز أن يتيمم إذا خاف ضرر الماء إن هو توضأ به فدل أن الله تعالى لما أباح
للمريض التيمم لم يبح باسم المرض ولكنه لمعنى في المرض ودليله ما ذكرنا أنه لم يبح لكل مريض وإنما
أبيح لمريض دون مريض وفيه دليل لقول أبي حنيفة حيث أباح للمقيم الجنب التيمم إذا خاف على
نفسه الهلاك ألا يرى أن الله عز وجل أباح للمسافر التيمم ولم يبحه باسم السفر ولكنه أباح لمعنى
لمعنى فيه وهو إذا كان بمكان أعوز الماء ألا يرى أنه لا يباح له التيمم في الأمصار وإن كان اسم
السفر موجودا لعدم معنى السفر فعلى ذلك إباحة التيمم للمريض إباحة لمعنى في المرض ألا يرى أنه
ذكر مجيئه من الغائط والغائط هو المكان المطمئن الذي يقضي فيه الحاجة ولا كل من جاء من
ذلك المكان يلزمه الوضوء والتيمم دل أنه لمعنى فيه فعلى ذلك الأول وروي أن جريحا غسل
فمات فبلغ الخبر النبي عليه السلام فقال قتلوه إنما يكفيهم كفا من تراب وكذلك غسل مجدور
فمات فقال قتلوه إنما يكفيهم من تراب ونحو هذا فإذا ثبت أن المراد من المرض والسفر والغائط
المعنى الذي فيه لا لعين المرض والسفر والغائط لما ذكرنا أن لا كل مريض يباح له التيمم وإنما
يباح لمريض دون مريض وكذلك لم يبح لكل السفر ولكن لسفر دون سفر ومكان دون مكان
وهو المكان الذي يعدم الماء فيه ويعتقد فعلى ذلك المراد من قوله أو لامستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا غير اللمس وهو الجماع وكذلك روي عن ابن عباس قال الملامسة
والمباشرة والإفضاء والرفث والجماع نكاح ولكن الله تعالى كنى وعن الحسن وعبيد بن عمير
وعطاء قالوا الملامسة الجماع فإن قيل ما الحكمة في ذكر المرض والسفر والغائط والملامسة
إذا كان المراد من ذكرها غيرها قيل الحكمة في ذكرها أن المرض في أغلب أحواله يعجز المرء
عن إصابة الماء وكذلك السفر في أغلب أحواله يعجز صاحبه عن الماء فخرج الذكر عن أغلب
الأحوال وكذلك من جاء من الغائط الأغلب أنه إنما يجيء عن قضاء الحاجة لأنهم كانوا لا يخرجون
إلا لقضاء الحاجة وكذلك الملامسة من الزوجين الأغلب فيها قضاء الوطر والحاجة فعلى الأغلب
خرج الذكر وإن احتمل غيره وهذا يدل على أن الاحتجاج بالظواهر والعموم محال لخروج بالطل
فلا يجوز لأحد أن يحتج بظاهر هذه الآية أن يقول في كل مريض أو على كل مسافر إلا أن أشد تمسكا
أن أريد به الجماع فهو ممكن لوجهين أحدهما بما أثبته بالقبلة والمس باليد من الزوجين
ظاهرا لا يحتمل أن يعرف به الوضوء الآية من قبل القوام فلو كان الوضوء فيه لازما لا يحتمل
ترك أظهر البيان حتى يلزم أكثر الأئمة المنكر في قبل الصلاة والله أعلم والثاني أن يكون
الأمر بالمعروف ثم كل المس ومس جرى الذكر به بين الذكور والإناث فهو حق الكناية عن الجماع
وكذلك سائر الحروف المحتملة للكناية عنه من نحو المباشرة والغشيان ونحو ذلك وبه قال
كل من أجاز التيمم للجنب في حق الصلاة من الصحابة والله أعلم وإن أريد به غير الجماع مما
قد يحتمل وجوها فهو لا يجمع الكل ولكن يرجع إلى خاص وهو الذي في الغالب أن يكون ثم خروج
وإن لم يكن وهي المباشرة الفاحشة ودليله ذكر المرض والسفر على غير اقتران الحكم بنفسه
إذ هو اشتماله لوجوه كما قلنا إلى نهاية ما له وتحقق الرخصة من العجز والعدم فمثله أمر الوضوء
في الأول والله أعلم وقوله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا قيل التيمم القصد يقال تيممت

الصعيد وأممته لغتان وقوله فتيمموا تعمدوا صعيدا طيبا فإذا كان التيمم القصد والتعمد
إلى الصعيد لم يجز إلا بالنية لأنه أمر عز وجل بالقصد إليه والتعمد وذلك أمر بالنية لأن
القصد نية وفي حرف حفصة وابن مسعود فأتوا صعيدا طيبا أي اقصدوا وتعمدوا والصعيد
قيل هو وجه الأرض وسمي صعيدا لما يصعد عليها وقيل الصعيد هو الأرض التي تنبت والدليل
أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا إلا السبخة
والمقبرة وقيل إنها ملعونة ولهذا ما قال أبو يوسف رحمه الله أن التيمم لا يجوز من الأرض
السبخة لأنها ليست بطيب والطيب ما ينبت وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه قال الطيب هو
الطاهر الحلال له أن يتيمم به إذا عدم الماء الطيب الطاهر ما خلا في كل نوع من المقصود فيه والمقصود
في التيمم التطهر فهو الطهور والطاهر والآية الخبر الذي ذكر من جعل الأرض طهورا والله أعلم
وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وأيديكم الأمر يقع بمسح الأيدي إلى الذراعين دون الكفين
دليله أمر الوضوء أنه يغسل الذراعان وقت غسلهما بلا غسل كفين إذ قد تقدم غسلهما فالذراعان
دخلتا في المسح بذكر اليد وكذلك في الوضوء لأن الكفين يغسلان قبل غسل الوجه فالأمر بغسل
اليد يقع على الذراعين وما وراء ذلك وعن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي جهيمة قال
أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غائط أو بول فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فضرب
باليد الحائط ضربة فمسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها يديه إلى المرفقين ثم
رد السلام وهكذا يقول أصحابنا بالضربتين ضربة للوجه وضربة للذراعين والأصل أنه
إذا قال الله عز وجل في الوضوء وأيديكم إلى المرافق أنه في وقت الأمر بغسل الغسل إلى
المرافق غير مخاطب بغسل الكفين على حق غسل الذراع إذ تقدم غسل منهما من قبل فصارت
الآية كأنها في غسل الذراع بالأمر بغسل اليد وعرف غسل الكف لا بها فمثله أمر التيمم
فصارت الآية كأنها في حق الذراع ودخل الكف في ذلك بالخبر على أن الطهارة فيما أضيفت
إلى عضو أو بدن لم يجد لم يدخل كالمضاف إليه في الاشتراك فيصار حقهما نحو الجنابة والوجه
والرأس فكذلك أمر اليد في التيمم لكن قصر عن التمام بدلالة بيان السنة وعموم القياس وما
لا يكمل في قضاء حكم الوضوء ولكن هو في بعض اليد فلا يحمل فيما ليس هو فيه بدل له أو حقه
التقصير عن كمال وظيفة الأصل لا الزيادة عليه والله أعلم وقوله إن الله كان
عفوا غفورا الماضي من الذنوب غفورا لما يستقبل والعفو الصفح والمحو والغفر الستر وهو
يعفو عنه ولا يفتح على صاحبه أو يعفو من التجاوز فيحتمل اللفظ على إرادة معنى واحد و
قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا يقول أعطوا حظا من علم الكتاب وهم
علماؤهم يشترون الضلالة بعلم الكتاب ويحتمل يشترون الضلالة بالهدى وذلك
أنهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما لم يبعث على هواهم كفروا به
كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويحتمل
يشترون ضلالة غيرهم بالتحريف والرشاء ونحو ذلك كقوله والذين يتقون أمواتهم ويصدوا
عن سبيل الله وقوله اتبعوا سبيلنا ألم تر حرف التعجب من أمر قد بلغه فيخرج مخرج الذكر
أو لم يبلغه فيخرج مخرج التعليم والله أعلم وقوله عز وجل ويريدون أن تضلوا السبيل
يحتمل وجهين يحتمل يريدون أي يتمنون أن تضلوا السبيل لتدوم لهم الرياسة والمأكلة
إذا كانت لهم الرياسة على من كان على دينهم ولم يكن لهم ذلك على من لم يكن على دينهم فتمنوا أن يكونوا

على دينهم لتكون لهم الرياسة عليهم وقيل يريدون أن تضلوا السبيل أي بأمرهم وهو دعوتهم
إلى دينهم لما ذكرنا من طلب المنافع وإبقاء الرياسة والله أعلم وقوله عز وجل والله
أعلم بأعدائكم كأنهم والله أعلم يطلبون موالاة المؤمنين ويظهرون لهم الموافقة فنهى الله
تعالى المؤمنين عن موالاتهم كقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم وقوله
ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم الآية فأخبر الله تعالى المؤمنين أنه أعلم بأعدائكم منكم ويحتمل
أن يكون المؤمنون استنصروهم واستعانوا بهم في أمر فأخبر أنهم أعداء وكونهم أعداء أعلم بهم منكم
ثم قال وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا أي كفى به ربا ومعينا وكفى به ناصرا ويحتمل قوله
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا إنما أعطاكم من أعطاكم أي لا ولي أفضل من الله تعالى ولا
ناصر أفضل منه مع البراهين والحجج والله أعلم وقوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه وفي حرف ابن مسعود وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا على الابتداء
والابتداء خبره في حرف غيره من الذين هادوا معناه والله أعلم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب من الذين هادوا لا ذكر النصارى في ذلك وفي حرف ابن مسعود ذكر النصارى في الذين
أوتوا نصيبا وفي حرف حفصة من الذين هادوا من يحرفون الكلم عن مواضعه ثم تحريف الكلم
يحتمل وجهين يحتمل تغيير المعاني وتبديلها وقيل على جها لهم كقوله وإن منهم لفريقا يلوون
ألسنتهم الآية ويحتمل تغيير اللفظ والكتابة نفسها كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل ويقولون سمعنا وعصينا قيل سمعنا قولك
وعصينا أمرك وقوله واسمع غير مسمع قيل اسمع قولنا غير مستمع أي غير مجيب
وقيل اسمع قولنا غير مستمع لا سمعت على التعنت وقوله وعصينا الاشتراء به منهم الخبرة
الله عليهم لتكون آية للرسالة وقوله وراعنا قيل يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم أرعنا
سمعك وقيل وراعنا ارعنا حقوقنا وهو من المراعاة وقوله ليا بألسنتهم أي تحريفا
والتحريف ما ذكرنا كقوله يلوون ألسنتهم بالكتاب الآية وقيل في قوله واسمع غير مسمع أي
اسمع يا محمد منا قولنا غير مستمع منك قولك ولا مقبول ما تقول وقوله عز وجل ولو أنهم
قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم أي لو قالوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك
وانظرنا فلا تعجل علينا ننتظر وقيل في قوله وانظرنا أفهمنا وقوله لكان خيرا لهم مما قالوا
سمعنا قولك وعصينا أمرك لكان خيرا لهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا لدوام الرياسة
التي خافوا ذهابها لو أطاعوه واتبعوه إذ قد آمن منهم وأطاعوه فلم تذهب عنهم
الرياسة والذكر في الدنيا بل ازداد لهم شرفا وذكرا في الحياة وبعد الممات وأما في الآخرة
فثواب دائم غير زائل أبدا وقوله أقوم يعني أعدل وأصوب لما ذكرنا ولكن لعنهم الله بكفرهم
واللعن هو الطرد طردهم الله عز وجل من رحمته ودينه لما علم منهم أنهم لا يؤمنون باختيارهم
الكفر وقوله عز وجل فلا يؤمنون إلا قليلا قيل والقليل من أسلم منهم نحو ابن سلام وأصحابه
وغيرهم وقيل قوله فلا يؤمنون إلا قليلا منهم أو لا يؤمنون إلا بالقليل من الكتب والأنبياء
كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقوله عز وجل يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم دلت هذه الآية أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب ولا ممن أوتوا الكتاب لأنه قال
جل وعز آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم أي موافقا لما معكم وليس عند المجوس كتاب حتى يكون
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم ثم قوله مصدقا لما معكم أي موافقا لما معكم وإنما

كان موافقا لما معهم بالمعاني المدرجة فيه والأحكام ولا بالنظم واللسان لأنه معلوم أن ما معهم
من الكتاب يخالف القرآن نظما ولسانا وذلك كان كتب الله تعالى موافق بعضها بعضا معانيا
وأحكاما وإن كانت مختلفة في النظم واللسان ودل أن القرآن من عند الله نزل إذ لو كانت من عند
غير الله كانت مختلفة ألا ترى أنه قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفيه دليل
لقول أبي حنيفة رحمه الله حيث أجاز الصلاة بالقراءة بالفارسية لأنه لم يغير النظم واختلاف
اللسان لم يوجب تغيير المعاني واختلاف الأحكام وحيث أخبر أنه موافق لما معهم وهو في الكتاب
والنظم مختلف والمعنى موافق ثم يحتمل قوله مصدقا لما معكم بصفته ونعته ونبوته ومبعثه
وزمانه فيه فيما معكم لا يخالف في شيء من ذلك وأيضا يحتمل أنه هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي آمنتم
به قبل أن يبعث لكنكم كفرتم به والله أعلم وقوله عز وجل من قبل أن نطمس وجوها الآية
قيل لما نزلت هذه الآية قدم عبد الله بن سلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال
يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وقيل طمسها أن نعمي أبصارها
ونردها على أدبارها أو قيل طمس الوجوه أن نعمي ونردها بصيرتها وذلك أنهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى
الله عليه وسلم مستيقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي الله يجدونه في كتبهم يقول حققوا الإيمان
بمحمد وكتابه من قبل أن نضلكم عن هداكم ونصيركم ضلالا لا تعلمون ما كنتم تعلمون ويحتمل أن
تكون الآية خرجت على الوعيد وهي على التمثيل لا على التحقيق ويحتمل على التحقيق كقوله أو نلعنهم
كما لعنا أصحاب السبت ويحتمل أن تكون هذه في الآخرة وقوله عز وجل أيضا من قبل أن نطمس
وجوها يحتمل الحقيقة فيرجع إلى يوم القيامة فيذهب عنه جميع محاسن الوجوه ونطمس وجوه
الحق عنه بمعاندته فيبصر الحق بغير صورته والباطل بغير صورته بعدما كانوا أدركوا كل شيء بصورته
في كتبهم المنزلة والله أعلم أو نطمس وجوههم عقوبة لهم الذين لأجلهم غيروا وحرفوا لما يطلعهم على
خيانتهم ويظهر تبديلهم وقد فعل بحمد الله تعالى وقد يحتمل الوعيد أن يفعل بهم إن لم يؤمنوا حتى يلحقه
ذلك كفعله بأصحاب السبت تغييرا لجوهرهم ثم لعل أولئك قد أسلموا أو نزل بهم ولم يذكر والله أعلم
وقوله عز وجل وكان أمر الله مفعولا أي كان بأمر الله مفعولا كما يقال الجنة رحمة الله والمطر
رحمة الله أي برحمة الله فعلى ذلك معنى قوله أمر الله مفعولا أي بأمر الله كان مفعولا ويحتمل قوله
وكان أمر الله أي عذاب الله نازلا بهم وقوله عز وجل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء أجمع الناس أن يغفر الذنوب كلها الشرك وما دونه إذا انتهى وتاب بقوله
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ودل أن أطماع المغفرة لما دون الشرك لمن لم يتب عنه وقالت
الخوارج الكبائر كلها إشراك بالله فمن ارتكبها دخل تحت قوله لا يغفر أن يشرك به والمسألة بيننا
وبينهم في ذلك فيقال لهم المعنى الذي صار به مشركا عندكم بارتكابه الكبيرة وذلك المعنى
موجود في ارتكابه الصغائر فينبغي أن يكون كافرا إذا لم يصر بذلك كافرا لم يصر بارتكابه الكبائر كافرا
وقالت المعتزلة صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وقال أبو بكر الأصم ظاهر الوعيد
في الكبائر وشرط المغفرة لما دون الشرك بقوله لمن يشاء هو للصغائر كقوله نكفر عنكم من سيئاتكم
أخبر أن من السيئات ما يكفر ومنها ما لا يكفر فهو للصغائر وأما عندنا فإن الله عز وجل أطمع
المؤمنين المغفرة ما دون الشرك ولو كان لا يجوز في العقل المغفرة لكان لا يطمع لأنه
لا يجوز أن يطمع ما لا يجوز في العقل فإذا أطمع دل أنه يجوز في العقل المغفرة لما دون
الشرك ثم له المشيئة إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم وأما أطماع المغفرة في الشرك فإنه لا يجوز

في الفعل إلا من اعتقده دينا إنما يفعله للإثم وليس كل من ارتكب ذنبا يرتكبه للإثم بل إنما
يرتكبه لقضاء شهوته تغلبه فهو يندم على أثره لذلك قلنا يجوز في العقل إطماع المغفرة لما دون
الشرك ولا يجوز للشرك وبالله التوفيق ووجه آخر أن الوعيد الذي ذكرته يحتمل الاستحلال
والاستخفاف بالأمر والنهي فلا يترك بما أطمع هذه الآية من المغفرة فيزال الطمع والرجاء
بالوعيد المتوجه وجهين أو يوقف فيه فأما القطع في أحد الوجهين بالمحتمل ومنع القطع
بالآخر للاحتمال فهو تحكم ولا قوة إلا بالله ووجه آخر أن الآية في التفصيل بين المحتمل للغفران
والذي لا يحتمل فإذا صرفنا إلى الصغائر فيبطل تخصيص اسم الشرك ويلبس على السامع محله
وليس أمر الوعيد فيما جاء في موضع التفصيل بل الذي جاء بحق التفصيل ذكر الغفران بالتكفير
والتكفير يكون مقابلة الجزاء من حسنات أو عقوبات كقوله إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
الآية والله الموفق ووجه آخر قال عز وجل لمن يشاء وهذه الكناية عن الأنفس المغفورات
لا عن الآثام التي تغفر لم يعرض التخصيص إلى الآثام والآية المكنى بها عن الأنفس وفي الآيات
الوعيد تحقيق في الذين جاء بهم وفيما جاء عاما فبان أن لا ضيق في ذلك فهو أولى والله الموفق ونقول
فإنه قال لمن يشاء والصغائر عندكم مغفورة بالحكمة لا بالوعد والآية في التعريف ولا قوة إلا
بالله وقوله أيضا إن الله لا يغفر أن يشرك به فمعلوم أنه فيما يلزمه حتى يختم به لا فيما يتوب
عنه أيد ذلك قوله إن ينتهوا يغفر لهم الآية وغير واحد من الآيات التي جاءت في الكفرة لما
أسلموا والله أعلم فصار كأنه قال لا يغفر أن يشرك به إذا لم يتب عنه ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وإن لم يتب منه فلو كان شيئا مما دونه لا يحتمل في الحكمة المغفرة لصار إلى الممتنع عن
الاحتمال لا أن ألحقه بالمحتمل له فيما كان معلوما أن القصد به إلى بيان ما فيه الرجاء والإ...
وأيد ذلك قوله لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلو كان يلزم الإياس لما دونه لوجب
الوصف له بالكفر إذ الإياس هو الكفر في حقيقته فأي الوجهين لزم تبعه الآخر
في حق الإياس لا في وجود فعله إذ قد يوجد فعل الرجاء في الكفرة ثبت أن ذلك في الحكم والتحقيق
لا في وجود الفعل والله الموفق وقوله عز وجل ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم قيل هم اليهود
جاءوا بأبنائهم الأطفال فقالوا يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا قالوا والذي تحلف
به ما نحن إلا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل إلا كفر عنا
بالنهار فذلك التزكية منهم وقيل تزكيتهم أنفسهم بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ولا ذنوب لنا
ويحتمل أن تكون تزكيتهم أنفسهم ما قال الله عز وجل يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
وأني فضلتكم على العالمين وكان أكثر الأنبياء إنما بعثوا من بني إسرائيل وكانوا يزكون أنفسهم بذلك
فأخبر عز وجل أنهم كانوا مفضلين على غيرهم لكن لما فضل غيرهم عليهم صار أولئك المفضلون
دونهم وذلك قوله بل الله يزكي من يشاء يفضل من يشاء ويبرئ من يشاء من الذنوب ثم التزكية
تذم أن يزكي أحد نفسه لأن التزكية هي التنزيه من العيوب كلها والذنوب وذلك مما لا يملك
أحد عنها ولا يبرأ ولا يستحق مخلوق ذلك معنى النهي لا تزكوا أنفسكم إذ تخرج التزكية مخرج
التكبر وذلك جهله بنفسه لما لا يرى غيره شكل نفسه ولا مثله فيتكبر عليه وإن عرف أنه مثله
وشكله ما تكبر على أحد فلا يزكي نفسه وقول الرجل أنا مؤمن ليس ذلك منه تزكية إنما هو إخبار
عن نعمة أكرم بها والتزكية هي التي يريد ذلك من نفسه وقوله أيضا ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم
ليس في الإيمان تزكية لما لا يخلو من أن يظهره لمن أبى حسنا ذلك فيه فعليك الإظهار

نحو الدعوة إليه ليدعوه أي ما يقربه به أو مما يشاركه فيه والتزكية في الحقيقة فيما يوجب تقديمه
وليس في هذا أيضا أن القول بالإيمان لنفس معتقد أو من سمي العبادة أو سبب فيه علو من حيث
ذلك إنما هو خبر عن أمر هو في اللغة تصديق والتصديق بأمر هو كذلك ليس بالذي يوجب في الرتب
بل على كل ذلك ولا أحد إلا وقد يؤمن بأشياء ويصدق فليس في القول به منقبة ولكن ذلك مما من
أحد إلا عليه التكذيب بأمور فلا بالتكذيب في الإطلاق لومه ولا بالتصديق بالإطلاق مدح إذ كل
في ذلك لكن إذا قرن تكذيب بكذب به فيكون من حيث كذلك ذم ثم تتفاوت على تفاوت درجات
الكذب ثم التصديق ثم التصديق لو كان شر مدح فهو بتصديقه أيضا ولا أحد يخرج الصدق كله
فيصير لم يوصفه نفسه صادقا في تزكيته ومدحها ولا قوة إلا بالله على أن للإيمان حد وكل
عبادة ذات حد فلا امتداح ممن قرأ أنها بالإخبار عن الأداء وخاصة الفرائض منها نحو
من يقول قد صليت الظهر وأديت زكاة مالي وحججت ونحو ذلك وفيما يقول هو بر وتقي
أو حبيب لله تعالى أو نحو ذلك مما يرجع ذلك إلى ما لا يعرف حده من الخيرات فهو بذلك يرتفع
على الأشكال ويرتفع عليهم بما لو كان صادقا كان في ذلك منه إغفال عن حق ذلك ولو كان
كاذبا كان ذلك بمرائيه ممقوتا بالكذب والله الموفق وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا
عن ابن عباس قال الفتيل ما فتلت بين أصبعيك والنقير ما يكون وسط النواة وقيل النقير
والقطمير قشر النواة وقيل الفتيل أيضا ما يكون وسط النواة وقيل النقير الذي يكون في
ظهر النواة وهو على التمثيل وقيل في حرف حفصة ألم تر إلى الذين قالوا إنا نزكي أنفسنا بل الله
يزكي من يشاء وقوله انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا الآية ظاهرة و
قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قيل أعطوا حظا من الكتاب وهم
علماء وهم يؤمنون بالجبت والطاغوت اختلف فيه قيل الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن
وقيل الجبت السحر والطاغوت الشيطان وعن ابن عباس قال الجبت الشيطان بكلام الحبشة
والطاغوت كهان العرب وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان وقيل الجبت حيي
بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف يخبر عز وجل عن سفههم بإيمانهم هؤلاء وحسدهم
محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتحذير المؤمنين عن صنيعهم لأن هؤلاء كانوا علماء وهم يؤمنون
بالجبت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا قيل في القصة إن هؤلاء أتوا
مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أجله ففعلوا فدخل أبو سفيان البيت في مثل عددهم فكانوا
بين أستار الكعبة فتحالفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه لتكونن كلمتنا
واحدة ولا يخذل بعضنا بعضا ففعلوا ثم قال أبو سفيان فنحن يا معشر اليهود أينا أقرب
إلى الهدى وإلى الحق نحن أم محمد وأصحابه فإنا نعمر هذا المسجد ونحجب قدر الكعبة ونسقي
الحاج ونفادي الأسير فنحن أفضل أم محمد وأصحابه قالت اليهود بل أنتم فذلك قوله ويقولون
للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا وفي حرف حفصة ويقولون أشركوا هؤلاء
أهدى من الذين آمنوا سبيلا ثم قال عز وجل أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن
تجد له نصيرا واللعن يكون على وجوه اللعن هو العذاب وقيل لعنهم الله عذبهم الله واللعين
هو الممنوع عن الإحسان والإفضال وقيل هو التبعيد أي طردوا من رحمة الله وإفضاله
وإحسانه قال الطاغوت هو اسم اشتق من الطغيان كالرحموت والرهبوت من الرحمة

والرهبة ونحو ذلك مما يسمى به كل من انتهى في الطغيان غايته حتى استعمل ان يعبد من دون الله فهو
طاغوت وعلى ذلك قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله اي بعبادة كل من عبد دون الله
وقيل هم مردة اهل الكتاب وقيل من الشيطان وقيل الصنم وذلك كله يرجع الى ما ذكرت
وقيل في ذلك كاهن وتديمي جبتا وقيل في الجبت سحر فان كان الجبت سحرا فهو على ما قال
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآيات والى شيء مما ذكرت قد كانوا امنوا بذلك فعيرهم
الله وسفه احلامهم بالايمان بمن ذكرت ومظاهرتهم على ما لهم من الاتباع على رسول رب العزة صلى
الله عليه وسلم تعبد علمهم بموافقته صلى الله عليه وسلم رسلهم وتصديقه بكتبهم وعلمهم بعدول
اولئك عن هذه الرتبة بغيا وحسدا وكان في اظهار ذلك عليهم بيان الرسالة واعلام اتباعهم تحريفهم
كتب الرسل واتباعا في قلوبهم من الحسد ليتزول الشبهة عن الاتباع وتظهر المعاندة في المتبوعين
ولا قوة الا بالله **وقوله** عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا الخلف
فيه قيل لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا من بخلهم وقلة خيرهم وقيل
لهم نصيب من الملك من الشرف والاحوال والرياسة فيما بينهم لكن لا يؤتون الناس نقيرا فكيف
يتبعونهم وقيل قوله ام لهم نصيب من الملك اي ليس لهم نصيب من الملك فكيف يؤتون الناس
شيئا انما الملك لله عز وجل هو الذي يؤتي الملك من يشاء كقوله قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية انما يستفاد ذلك بالله عز وجل لا باحد دونه
والله اعلم **وقوله** عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله يقول بل يحسدون
محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله من الكتاب والنبوة يقول الله عز وجل ردا
عليهم فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة والنبوة فلم يحسدوه فكيف تحسدون محمدا صلى
الله عليه وسلم بما اتاه الله تعالى من الكتاب والنبوة وهو من اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم فهذا
والله اعلم معناه **وقوله** عز وجل واتيناهم ملكا عظيما قيل واراد الملائكة والجنود وقيل
هو ملك سليمان بن داود وكان من آل ابراهيم صلى الله عليه وسلم **وقوله** عز وجل ام يحسدون
الناس يعني محمدا على ما اتاهم الله من فضله يعني من كثرة النساء لكن ذلك ليس بحسد انما هو طعن
طعنوه وعيب عابوه لان الحسد هو ان يرى لاحد شيئا ليس له فيتمنى ان يكون ذلك له دونه
وقد كان لهم نساء لكنه ان كان ذلك فهو طعن طعنوه وعيب عابوه على كثرة النساء ويقولون
لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النساء ويقولون هو حرم على الناس اكثر من اربع وهو يتزوج تسعا
وعشرا فانزل الله عز وجل ردا عليهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الآية وكان لداود تسع وتسعون
امراة وما قيل ايضا ان لسليمان ثلاثمائة سرية وسبعمائة حرة ان ثبت ذلك فكثرة النساء
له لا تمنع ثبوت الرسالة والنبوة وانما تمنع كثرة النساء لاحد شيئين اما الخوف الجور واما
للعجز عن القيام بايفاء حقهن فالانبياء صلى الله عليهم وسلم من ناحيتهم الجور وكانوا يقومون
بايفاء حقهن مع ما كان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لتسع او لعشر من النساء من
آيات النبوة لانه كان معروفا بالعبادة لله بالليل وبالصيام له نهارا وتحمل الجوع وانواع المشقة
تباعا ومعلوم في الخلق ان من كان هذا سبيله لم يقدر على وفاء حق امراة واحدة فضلا ان
يقوم لايفاء حق العشرة واكثر فدل انه بالله قدر على ذلك وعلى ذلك قيام داود صلى الله عليه وسلم
في المائة من النساء وقيام سليمان الالف منهن فذلك من آيات النبوة لما ذكرنا انه ليس في وسع
احد من اهل القيام بذلك وكذلك في قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم لاظهار هذا الدين

من

من غير اتباع كان له او ملك او فضل سعة وبل انه كان في بعض الله اظهر ونبوده يوجميع هذا
الخلق على دينه وفي قوله ايضا ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا آل ابراهيم
الآية يحتمل وجهين احدهما المحاجة انه كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم واتباعه من آل
ابراهيم واولاده بما خصهم به من فضله ولم يزل ذلك في آل ابراهيم ولم يكونوا احسدوهم
وعلى هذا قوله فمنهم من آمن به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بكتابه الذي انزل عليه والثاني
ان يكون على التعيير على اوائلهم الذي كان منهم بالحسد مما كان هذا حين فقد من آل ابراهيم
ومن فضله من الحساد لهم في ذلك والموذين لهم فصبروا ولم يكافوهم نحو قوله فمنهم من آمن به اي
بابراهيم او بما انزل اليه او اليه والله اعلم والاصل في اختلاف التاويل الآية واحدة فيما يجب
في ذلك من الحق انه على اقسام احدها انه يتبع الكل يحتمل دخول الكل في المراد ويحتمل ارادة
البعض فان كان ذلك مما يجب العمل به يلزم طلب الدليل على الموضع المراد فانه وجد من طريق الاحاطة
شهد عليه بالمراد وان لم يوجد عمل به وان كان ذلك مما لا يجب العمل به والاضافة الشهادة يشهد
على ما في الحكمة وجوب تلك الشهادة من غير ان يقضي على الآية بقصد ذلك انما كانت بحيث يقع
له ولغيره نحو القول بانه سميع عليم على اثر امور وهو من ادلة الخصوص لو كانت تحتمل الخصوص
وفي الحكمة انه سامع كل صوت وعليم بكل شيء فيشهد ولا يشهد في ذلك انه اراد واين العاقب
نحو قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قال قوم لا يقع الطلاق حتى يوقع لانه ذكر انه
سميع ولو وقع الطلاق بغير قول لم يكن لذكر السميع في هذا الموضع فائدة وقال قوم سميع لا يلائمه
اذ هو قسم ينطق به عليم لعزمه وقد ذكر سميع عليم فيجب توجيه كل حرف الى وجه يفيد حقيقة
ذلك في هذا الموضع ولو كان لا يقع دون القول لكان كل امر مسموع ليلغي القول بانه سميع عن القول
بانه عليم وفي جملة العقد من الحكمة انه سميع بكل صوت عليم بكل شيء لكن في النوازل بتوجه وجهين
لا يجب القطع عليه في الارادة الا ان يجيء ما يوجب الاحاطة وقد عمل به الخلق على الاختلاف والله اعلم
ووجه آخر من التاويل انه يحتمل وجوها لا يسع للكل في حق العمل ويحق الشهادة لكنها لاحد الحقين
فان كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليله ويكون الدليل على وجهين احدهما ان يوجب على حق
العمل والشهادة جميعا والآخر ان يوجب حق العمل خاصة وقد بينا ذلك وان كان في حق الشهادة فيجب
الوقف في تحقيق المراد والتسليم لله حتى يظهر وذلك في نحو اضافة الاستواء الى الله على العرش
والقول بالرؤية من حيث يثبت ما به يرى على الاشارة اليه لا بالاحاطة ونحو ذلك من الامور والله
المسدد ووجه آخر ان يكون احتمال وجوهها انما يكون بمقدمات فيختلف على اختلاف تلك المقدمات
فلا يجوز تاويل تلك الا بمعرفة اذ لم يكن فيها غير معرفة الموقع من المقدمة نحو قوله فاذا فرغت فانصب
لم يكن لاحد تاويل واحد من الوجهين حتى يعلم بالسمع انه فيم كان مظنون لا وقوله فلينظر ايها ازكى
طعاما لم يكن لاحد طلب مراد قايله او تاويل مراده ولا يظفر به الا بالوحي ولا قوة الا بالله والقول
في حقه الى ان يتبين ما كان في حق الشهادة فلا بد من الوقف فيه حتى يظهر وما كان في حق العمل فان
كان في نوع ما يحتمل الاحتياط فحقه القيام به حتى يظهر دليل التوسيع ودليل التوسيع على
الوجهين اللذين ذكرت وان كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحقه التوقف حتى يظهر والله اعلم
ولا يخلو شيء الا لاحد الوجهين به حاجة من دليل يكون له **وقوله** عز وجل بدلناهم جلودا غيرها
اي غير جلودهم المنضجة كقوله انا لفي خلق جديد اي يجدد ما قد فني وكذلك اعيد ما قد كان
من الجلود قبل النضج جديدا في راي العين من حيث صار الاول نضيجا لا ان كان هذا غيره

الاول بل منه الاول على تنضيح اذ ذلك نتيجة الاول وتعذيب ما كان ارتكب المعصية لان التعذيب
في الحقيقة على نفسه الذي اثم فيه وقال قايلون ان الجلود والعظام ونحو ذلك لم تكن عصت ولا
الطاعت بل استعملت قهرا وجبرا لا انها عملت طوعا لكن الذي به عملت والذي استعملها في
الجنة به فيا لذة وفيا لم منه المعذب والمثاب بما صور من الجسد الاخري ان اجساد اهل
الجنة يزداد الحسن والجمال ويحصل لاهله حتى الا يزداد ولا ينتقص واجساد اهل النار مشوهة
قبيحة ليكون لهذا في التقبيح عقوبة وللاول بالتحسين ثواب فكانت فيها احوال للجزاء لم يكن
للاعمال فثبت ان المثاب والمعاقب ما ذكرت لكنه يتالم ويتلذذ ويحصل على ما بها تمام اللذة
والالم من الاجساد لا معنى اعادة النفس تلك الاجساد تدل على تجديدها كما ذكره في القرآن وكذلك
المتطوع على بعض الاعضاء في حال الكفر واسلم بعث سليما لا كذلك ومثله في ابطال الاسلام
لو ارتد لم يرفع عنه ان ذلك بدل الذي ذكرت على حق تجدد بان بن على ما شاء الله والذي ب
كان الماثم وايرى على ما قد كان والله اعلم وللمذهب الاول ان الجزا هو لما تحتم عليه اذ لو كان
الاسلام يتمتع فتنبه احسن الاحوال واسلم البنية ليستعملها بالخير فاوجب ذلك ابطال جميع
السيئات كانت بجوارح ذهبت او بقيت وكذلك من احتاز الكفر فقد آثره واختار ان
يكون على ذلك وان سلمت جوارحه وصحت فلزمه حكم احتياط جميع ما تقدم بكل تايب منه وباقي
وفي الاول استوجب حل جميع ما تقدم منه بالتايب والباقي حسنات لما ندم عن الكل بكل الجوارح
فلحق حكم تبديل السيئات بالحسنات في الكل فيكون على حكم اعادة الاولى بحق التجديد في العين
والله اعلم نحو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم وقوله فاولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات
الاية وفي الاعادة كفر لم ومن يعيدنا الاية وقوله انا لفي خلق جديد الاية وغير ذلك من ايات
البعث والله اعلم وقال قايلون الواجب من المعترب للكفر وغيره حكم التبع له وكذلك
الثواب الواجب منه للايمان وغيره بحكم التبع بل به قام والاول به سقطت عنه مشيئة
القطع نقصان الذي به الجزاء خاصا وغيره بحكم التبع يزداد وينقص فعلى ذلك امر الجزاء التجدد
والاعادة وكل ذلك للذي هو بحق التبع والاتباع في الشاهد بتجدد اعيان الافعال ولابد من الا
عتقاد في الامرين بدوم فعلى ذلك امر الجزاء لذلك والله الموفق ولهذا الوجه ما يبطل الخلود
لما سوي الكفر اذ في ذلك ابطال الجزاء التام موجب الافعال وادامة الجزاء المنقطع من حيث
الافعال فيكون منه زيادة في العقوبة على المثل والله يقول لا يجزى الا مثلها والله الموفق
ثم اختلف في المبعوث انه يبعث بجسده او يبعث الروحاني منه ثمة بعض الفلاسفة نفسا
وبعضهم جوهرا روحانيا وبعضهم بسيطا فان كل جسد فيه روحاني في حياته ومنافعه وحسه
له كالمانع عن جميع ما يحتمل من الامور والجوهر الروحاني لطيف ينفذ في الاشياء ويتحلل
الا بالملابس بيبقى فلذلك من انه لم ان النفس تخرج لقوله الله يتوفى الانفس حين موتها او هي كلية
يكن الجوارح وينقطع عنها هذا الجسدية يرجع الي حصة جوهره فيراها تطوف في البلاد والنار
وفي الامكنة العلوية حتى لا يصيبها ارض ولا سماء او ياتي بالاخبار عنها كانها شاهدة اما ما كان
ذلك عملها بالجوهر حيث يكون من النفاذ اذا لم يحس او هي بالجوهر يخرج فيعمل ذلك وهي تسمع
وتبصر وتعقل في المنام كانها بالجسد كذلك ندل ان العقل في حال اليقظة وحالة الجزاء لها
فعلى ذلك امر الجزاء وعلى ذلك جميع الجواهر التي بها الاغذية والحياة فليست باعيان تلك
الاشياء ولكن بما جعل في سر يتها من الروحاني وهي القوى التي تظهر في البدن الى كل اجزاء البدن

فيتوى ويصح فيه بحياة روحه وتزول عنه الافات وكذلك عن السمع والبصر والعقل
حل شيء ثم للقا فعل فعلى ذلك امر المعاد من الجزاء فهو على ذلك وكذلك الثواب يكون من كل نوع
مما يعرف في الشاهد بجسده ويرجع الى السرية التي هي روح لذلك فيكون هو الثواب لما هو بحكم
روح في الجسد الاخرى انه لا يبقى في الاخرة بالاكل الاجساد التي بها الاذى الاثقال التي تتصل
في البدن وتخرج منها جميع ما فيها من الاثرية والروح فثبت ان الامر يرجع الى ما ذكرت وهذا
معنى قوله عليه السلام ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان ذلك الجوهر
لا تراه العين ولا تسمعه الاذن في الشاهد ولا يخطر على القلب ويكون لذة ذلك روحاني لا
هذه لذة الحياة بحياتها البصر والسمع وكل ما طريق الجوهر ولذة الاجساد انما تكون باللهاة
في التطعم وبالعين في اللون وهذا النوع يذهب هذا ويكون الاول وعلى ذلك يذهب لعبادة
الجسدانية وتبقى الروحانية من الحمد والثناء والتعظيم والهيبة والمحبة ونحو ذلك يبقى ابدا
بل يزداد ولما يذهب منها الحواجب من الجسداني وعلى ذلك يبطل تقدير الرؤية وابطاله مما عليه
امر الشاهد لذهاب ما به كونها في الشاهد ورجوع الامر الى ما تخاطب به على سقوط الحواجب
والله اعلم اختلف من ذكرت في امر البعث فمنهم من لا يرى على ما في الجسد من الروحاني فناء
والبعث هو انتقاط الاجساد وخروج ما فيها من الروحاني يصعدها ومنهم من يقول يعني
ويعاد على حالها ومعلوم ان ذكر الحديث لا يحتمل بلا ذهاب الاصل وذكر الاعادة بلا موته وقال
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وجعل النشاة الاولى دلالة الاخرى وليس ثم اخرى بل هي
الاولى والاول هي على ما يزعمون عن صح ورفة عند المنكر فيحتج عليهم بها بل يجب ان يعرفوا الكل
اولا شيئا عادون على نفي البعث ويلزمون الالحاد والدهرية ومنكري البعث يقولون في
جميع العالم بالظهور نقيا الكون والكون في الاصول بالقوة ثم الظهور بالفعل فكيف يكون
البعث فيحتج عليهم بالخلق الاول والله اعلم وقال قوم بالبعث بالاجساد على ما كانت لكنها
كانت في الدنيا منشاة للفنا مشتمل عليها اثار الفنا ويحيط اعلام الهلاك ومن افاق كلها دوا
تحيي من اعمال لطايف الجواهر وعن ذلك الروحانيين والائمة كما وصفهم الله تعالى انه
خلقهم في احسن تقويم وكرمهم بانواع جواهر واكمل اشرف التي خلقه فاذا وقعت عليهم الافات واعيد
للبقاء فيزول منهم جميع الظلمات التي هي حواجب وستائر لهم في الاحاطة بحقايق الاشياء
ويروا الجنة وعلي شكلهم ينشا اجساد المجعولة جزاء لهم فيلحقون بجميع اللطايف حسنا بما
فيها من الجواهر الروحاني لنصير هذه في اللطف كذلك الجواهر وهي لا تنتقل الى الطيب من ذلك
والنور لها كالارواح فيتصلون على الروحانيين باجسادهم معانيها من اللطافة والنفاذ في الاقوى
التي هي كالروحانية في التمثيل وعليهم حق الروح فيتبين اللطف من ذلك بارتفاع اثار الفناء عنها وخروجها
من ان يعمل فيها الفساد وعلى ذلك اجساد الجزاء فانها تخرج عن الافات وتمتنع عن الفساد ويصير
اجسادها في التلهب والضيا كالروحاني وما فيها من الروحاني يبقى فيها على كل حال لا يعني
والاصل فيه ان الجزاء نحو الشهوات واللذات لا نحو الاغذية وحياة اجساد المستغنين
بها فتكون هي بجسدها دون حاجة وبقاء الاجساد لها احق من بقاء الروحاني في هذا العالم
من طريق الاعتبار لان الذي له حق الروحاني في الشاهد به البقاء واللذة والحياة لما يدفع بها الافات
العارضة في الارواح من جهة القوالب التي تضعف وتقوى وفي الاخرة لا يعترض الافات يحتاج
فيها الى الاغذية وانما ينال عنها الشهوات واللذات وانما يكون ذلك من حق الاجساد في

الشاهد لذلك كان شاهدان تكون في الاخرة ثم هذا القول ادق مما جاء به من حجج السمع وما
عليه الاعتماد فاما حجج السمع فان الله عز وجل قال ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
الاية وقال اذا كنا عظاما نخرة الاية وقال عز وجل من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها
الذي انشاها اول مرة الاية وغير ذلك مما احتج به منكري البعث والاشكال فكان هذا
في الاجساد وفيما جرت المحاجات لذلك كانت هي اولى في الاعتماد مع ما كانت الاشياء
اللطيفة لا تمس ولا تحس في التحديد لهم لكن بحيث احتمال الانكار لوجود هو في كل جانب
نحو العقول تذهب بانشباب ثم تعود وكذلك العلوم والسمع والبصر ونحو ذلك ثم
الحسيات اللطايف نحو الليل والنهار والنور والظلمة والظل ونحو ذلك يرون الفنا والعود
في كل حين لا ينكرون هذا النوع ليحاجوا بالذي ذكر ولهذا لذلك كان القول بالاجساد احق
والله اعلم والاعتبار ان الله سبحانه وتعالى انشا هذا الخلق على ما يليق ذوق
دنيا لمن ليكون ذلك علما للترغيب والترهيب بالموعود وما يحل من الافات واضدادها
في الروحاني في الجسد يكون له سرور وحزن لا بالروح يتلذذ وقد جرى الوعد بالموعود الملذ
وكذلك حكمة خلق الجسد على ذلك بما نحو العلم بالمرغب والمرهب من الموعود على ان
السرور والغموم للنفسا بحيث يرغب فيهما او يزهد الامر حيث يالم الجسد ويتلذذ
بل كل يكون به الامران ليسر ويحزن فلذلك كان القول بالاجساد احق من طريق التقدير
على ما جرى به من السمع والعقل والله اعلم بحقيقة ذلك وبيده الملك يكرم من شا بما
شاء تفضلا منه ويهين من شا بما شا عدلا منه والله الموفق و **قوله** عز وجل فمنهم من آمن
به بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود ومنهم من صد عنه قال فمنهم من آمن
به يعني بالكتاب الذي اعطي ابراهيم ومنهم من صد عنه يعني عن الكتاب وهو قول ابن عباس
وقيل فمنهم من آمن به يعني ابراهيم ومنهم من صد عنه يعني عن ابراهيم و **قوله** عز وجل
وكفى بجهنم سعيرا كان جهنم والله اعلم سوطها ايتاب وجميع ذلك كما قال والسعير هو التهابها
ووقودها كقوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم ويحتمل قوله وكفى بجهنم سعيرا اي عذابا والله اعلم وكفى بجهنم اي بالتهاب جهنم
التهابا اذا اشتعلت الالتهاب والله اعلم و **قوله** عز وجل ان الذين كفروا باياتنا يحتمل
الايات اعلام الدين واثاره ويحتمل الايات ايات الربوبية له ويحتمل الايات اعلام
رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الكفر بها كفرا بالله و قوله سوف نصليهم نارا
قيل نصليهم ندخلهم وقيل نصليهم نشويهم يقال شاة مصلية اي مشوية و **قوله** عز وجل
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها اي جددنا لهم جلودا غيرها ليزدادوا الما او بقاء اعرانه فيكون الم العذاب
فيهم من حيث التجديد غير لان الاولى قد احترقت ونضجت ومن حيث العين نفسها هي
الاولى الا ترى ما يقال تبدل فلان فانما يراد من حيث تغيره من لون الى لون لا انه كانت
تحولت بنفسه وتبدل من حال الى حال فعلى ذلك قوله بدلناهم جلودا غيرها هي من
حيث العين انما كانت تلك بعينها واحد على ذلك البعث بعد الموت والانشاء اخرى من حيث
التجديد غير ومن حيث العين انما كانت تلك بعينها واحد على ذلك البعث بعد الموت
والانشا اخرى من حيث التجديد غير حيث تفاوتوا وهيئات واحوال ومن حيث الاعادة الى الحالة

الاولى

الاولى هو بانفسهم لينوا نبيه وعلى ذلك تسمى البعث خلقا جديدا وان كان هو الاولى في
المعنى ثم تكلموا في قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها قال لو كيف كان او يعذب جلود الاثام
فيها وانما المأثم في الجلود التي احترقت ونضجت وقالوا ابدا فيمن قطع يده وهو كافر
ثم اسلم فمات على الاسلام ما حال اليد المقطوعة تعذب في النار وتكون مع النفس في الجنة
وفيمن قطعت يده وهو مسلم ثم كفر فمات على كفره تلحق النفس وتكون في الجنة فالجواب
لهذا كله ان الجوارح والاعضاء ليست تعمل ما تعمل بالاختيار والطوع ولكنها كالمكرهات
والمقهورات في العمل الاولى ان الاكراه يعمل ما توجب تحويل الفعل منها الى المكره فيحصل كان المكره
هو الذي فعل ذلك فلم نجد نقصان فهذا ايدل ان هذه الجوارح كالمكرهات والمقهورات لحقت
لنفس حيث كانت ثم معلوم ان من اسلم في اخر عمره يتمنا سلامة جوارحه التي كانت ذهبت
عنه ليعمل بها في طلب مرضاة ربه تعالى وكذلك من كفر بعد الاسلام يتمنى سلامة جوارحه فيستعملها
فيما اختار من الدين فاذا كان كذلك لحقت النفس حيث كانت في طاعتها ومعصيتها وقالت فرقة
فرقة من الملحدة ان الثواب في الاخرة لا يكون لهذه النفس التي تاكل وتشرب وتعمل كلما تعمل
ولكن انما تكون للروحاني الذي جوهرها جوهر النور ولكن هذه النفس ممتحنة في الدنيا بالاكل
والشرب مشوبة بالافات والعيوب فاذا صفت عن الافات وتنزهت عن العيوب التي
بها امتحنت صارت اهلا للثواب العظيم ومحلا للجزاء الجزيل وبالله العصمة والنجاة و
قوله عز وجل ليذوقوا العذاب اضاف الذوق الى الطعام والشراب يكون بالفم ليعرف طعمه
ولذته وانما ذوق العذاب فانما يكون بكل جارحة منه ليجد الم ذلك في جميع الجوارح والله
اعلم والذوق في العرف جعل ليعرف الشخص ليتقرب به كل شي يعرف فيقال لفلان ذوق في امر
كذا اي بصر ومعرفة و **قوله** عز وجل ان الله كان عزيزا حكيما قيل العزيز هو ما يعز وجود
في الشاهد وقيل هو عزيز لا يعجزه شيء عزيز لما لا يوجد في الاوهام ولا يدرك بالاوهام وقيل
العزيز المنتقم وقد ذكرنا في غير موضع و **قوله** عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة من الافات
والعيوب ليس كازواج الدنيا ونسائها و **قوله** وندخلهم ظلا ظليلا لا يغشاه الشمس
ولا اذى فيه لان الشمس فيها منافع للشاهد واذى وكذلك القرينة اذى وان كان فيه منافع
والظلمة كذلك فيها منافع واذى وانما الظل نفسه فليس فيه اذى على كل حال فان كان فهو
للزمان لا للظل بنفسه فاخبر عز وجل انه يدخلهم الظل الذي ليس فيه اذى الشمس ولا اذى الظلمة
ولا اذى الزمان ليس كظل الدنيا مشوب باذى غيره والله اعلم وذلك تاويل الظليل انه يظله
من جميع المؤذيات والله اعلم و **قوله** عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل
لما فتح الله مكة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له العباس يا رسول الله لو جعلت السقاية
والحجابة فينا فاخذ مفتاح الكعبة من ولد شيبة فدفعها الى العباس فانزل الله تعالى هذه
الاية فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فردها الى ولد شيبة ثم قال يا عم ان الله
احب ان يرزا ولا يرزا شيئا وقيل انها نزلت في الامرا في الفي الذين استامنهم على جمعها
وقسمتها ولا يجب ان تكون نازلة في كل امانة او تمنا المرء فيها من نحو ما كان فيما بينه وبين
ربه وما كان فيما بين الخلق اما ما كان فيما بينه وبين ربه من نحو العبادات التي امر المرء
باداها ومن نحو تعليم العلم الذي رزقه الله تعالى له كقوله انا عرضنا الامانة على السموات

والامر من الآية وكقوله كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية وكقوله واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل كل ذلك امانة تدخل في قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها وكذلك
كل امانة يوتمن المرء عليها تدخل في ذلك ذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ادّ الامانة
الى من ائتمنك عليها ولا تخن من خانك ومن قال نزلت في الامراء استدل بقوله ان تحكموا
بالعدل لان الحكم الى الامراء وعن ابن عباس ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها
قال هي مبهمة للمومن والكافر منها وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به من الحكومة بالعدل
واداء الامانات ان الله كان سميعا بصيرا يحتمل مجيبا لمن دعاه وسامعا كقوله عز وجل
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان يجيب لمن استجاب
وادى الامانة ويحتمل سميعا بصيرا اي لا يخفى عليه شي واختلف اهل العلم في العارية اذا
ضاعت قال اصحابنا لا شي عليه وقال غيرهم عليه الضمان ولاصحابنا في ذلك عدة حجج احدها
ان المستعير ان لبس او تعمم او ركب الدابة او حمل عليها ما اذن له في حمله عليها واصابها
في ذلك نقصان في قيمتها فلا شي عليه فاذا لم يكن عليه ضمان فيما وقع بها من الضرر والنقص
بفعله واللبس والركوب فلا يجب عليه ضمان ما هلك منها بغير فعله والثاني ما روي عن ابن
الحنفية عن علي قال العارية ليس بتبعة ولا مضمونة انما هي معروف الا ان يخالف
فيضمن وروي عن الحسن قال اذا خالف صاحب العارية ضمن واحتج من خالف اصحابنا
في ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال على اليد ما اخذت حتى ترده فالحديث يحتمل
معنيين احدهما ان يقال معناه على اليد ان ترد ما اخذت اذا كان قايما حاليها وقد ما الا ترى
ان الوديعة لا تضمن اذا تلفت وعليه ان يردها اذا كانت قايمة فالعارية مثلها والثاني
انه يحتمل معنى ذلك في الغصب واشباهه فعلى الغاصب ان يرده قايما او تالفا ولا يدخل
في عموم الخبر العارية الا ترى ان الوديعة لم تدخل فيه وان كان فيه اخذ واحتجوا بحديث
صفوان ان رسول الله عليه السلام استعار من صفوان يوم حنين درعا فقال اغصب يا محمد
فقال بل عارية مضمونة وروي في خبر آخر ان صفوان هرب من رسول الله يريد حنينا
فقال يا صفوان هل عندك من سلاح قال عارية او غصبا قال بل عارية فاعاره ولم يذكر فيه
الضمان فهو عندنا ان ثبت خبر صفوان مضمونة الرد على المستعير والعارية ليس كالودايع
لان الوديعة ما لم يطلب صاحبها لم يرد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يويد
قولنا وهو قوله العارية مؤداة **قوله** تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
وقال عز وجل ان الله يامركم بالعدل والاحسان فمن ولي امرا او حكما فيما بين الناس فهو
ولي الامانة يجب ان يوديها الى اهلها وعلى ذلك جاءت الاخبار روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يكون على شي من هذه الامور قلت او كثرت فلا يعدل فيهم الا
اكبه الله في النار وفي خبر آخر ايما امير ولي من امر الناس شيا ثم لم يحطهم مثل ما يحوط
به نفسه واهله لم يرح رايحة الجنة يوم القيمة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من احب الناس الي واقربهم مني مجلسا يوم القيمة
امام عادل وان ابغض الناس الي يوم القيمة واشدهم عذابا امام جاير **وقوله** عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان قيل كيف خص الله
تعالى المومنين بالخطاب بالطاعة له وطاعة الرسول واولي الامر وانما يعم المومن والكافر جميعا

قيل لوجوه ثلاثة احدها ان من عادة الملوك الكبراء اذا خاطبوا الشي انما يخاطبون اهل
الشرف والمجد ومن كان اسمع لخطابهم واعظم لقولهم كقوله عز وجل يا ايها الملاء افتوني في امري
وقال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها يخاطبون اهل الشرف والمجد ومن هو اقبل لقولهم واطوع
لامرهم فعلى ذلك خاطب الله تعالى المومنين وامرهم ان يطيعوه ويطيعوا رسوله وان كان
الخطاب بذلك يعمهم والثاني يحتمل ان يكون الخطاب بذلك للمومنين خاصة لان الكافر انما
يخاطب باعتقاد الطاعة له اولا فاذا اجاب الى ذلك فعند ذلك يخاطب بغيره والمومن قد
اعتقد طاعة ربه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لذلك خرج الخطاب منه للمومنين خاصة
والله اعلم ويحتمل ان يكون تخصيص الخطاب للمومنين لما امر بطاعة اولي الامر ليعلم انه انما
امر بطاعة اولي الامر اذا كانوا مومنين والله اعلم وفيه دلالة جواز الطاعة لغير الله لان
كل من عمل امر آخر فقد اطاعه هو الايتمار للامر واما العبادة فهو اخلاص الشي بكليته لله عز
وجل حقيقة اذ الاشياء كلها لله بكليتها حقيقة ليس لاحد سواه لذلك لم يجز ان يعبد غيره وقد
يجوز ان يطاع غيره لما ذكرنا ان الطاعة هي الايتمار بالامر وليس العبادة كذلك لذلك افترقا
ثم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يكون طاعة لله لانه بامره يطاع وفي طاعتهم له طاعته
ثم قيل قوله تعالى اطيعوا الله في فرايضه ورسوله صلى الله عليه وسلم في سننه وقيل اطيعوا
الله فيما امركم ونهاكم في كتابه واطيعوا الرسول فيما امركم ونهاكم في سننه ثم اختلف
في اولي الامر قيل هم الامراء امراء السرايا وقيل هم العلماء والفقهاء وقيل هم اهل الخير
ويحتمل اولي الامر الذين يولون السرايا فكيف ما كان ومن كان ففيه الدلالة انه لا يولى الامر
الا العلماء والبصراء في ذلك امراء السرايا كانوا او غيرهم لانه عز وجل امر بطاعتهم ولا يومر
بطاعة احد الا بعلم وبصر يكون له في ذلك والآية التي تقدمت وهو قوله تعالى واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل يدل على ان اولي الامر الامراء لانه امر الحكام في الآية الاولى بالعدل
وامر الرعية بالسمع لهم والطاعة فيما يحكمون ويامرون والله اعلم الا ترى انه روي في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اسمعوا واطيعوا وان امر عليكم حبشي مجدع
فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله وعن ابن عمر عن رسول الله على المرء المسلم السمع
والطاعة فيما احب وكره الا ان يومر بمعصية فمن امر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة وتعبد
هذه الآية التي تليها تدل على ان اولي الامر هم الفقهاء وهو قوله تعالى فان تنازعتم في شي
فردوه الى الله والرسول التنازع يكون بين العلماء فكانه والله اعلم امر في آية اولي الامر بطاعة
الامراء واولي الفقه برد ما يختلفون فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
والآية تحتمل المعنيين والله اعلم ان العامة طاعة امرايهم في احكامهم وعليهم اتباع علمايهم
في فتواهم يبين ذلك قول الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين الآية
فلو لم يجب على قومهم قبول قول علمايهم ما وجب عليهم انذار قومهم وفي هذه الآية دليل
على ابطال قول الرافضة في الامامة لان الله تعالى قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فليس يخلوا اولوا الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون الامراء او الفقهاء
او الامام الذي يذهب اليه الرافضة فان كان المعني في اولي الامر الفقهاء او الامراء ففيه
ابطال قول الرافضة انه الامام الذي يصفونه ومحال ان يكون ذلك هو الامام الذي يذكرونه
لانه قال عز وجل فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول وذلك الامام عندهم طاعته

منترعة وهو بين أظهر المتنازعين عندهم ومخالفته كفر في مذهبهم فلو كان ذلك كذلك
لقال والله أعلم فردوه إلى الإمام فإن من خالفه فقد كفر وكذلك عز وجل أمر برد المتنازع
إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدل على أن قول أحد لا يقوم في الحجة مقام
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول
قيل إلى الله أي إلى كتاب الله أو إلى رسوله صلى الله عليه وسلم إذا كان حيا فلما مات إلى سنته
استدل قوم بهذه الآية على إبطال الاجتهاد وترك القول إلا بما يوجد في كتاب الله تعالى أو في سنته
نصا ويقولون إن كل أمر إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وليس ذلك عندنا والآية
تحتمل وجهين أحدهما أن تحمل تأويلها على أن التنازع إذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجب الرد إليه عليه السلام وسؤاله عن ذلك ولا يستعمل في الحادثة الاجتهاد ولا النظر
فأما ما كان من التنازع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن حكم الحادثة يطلب في كتاب
الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو في إجماع المسلمين فإن وجد الحكم في أحدهم بينا وإلا
قيل بالاجتهاد والوجه الثاني أن يكون المجتهد إذا ما اجتهد فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم فيقول وجدت في الكتاب أو في السنة كذا وكذا أو هذه الحادثة تشبه
هذا الحكم فحكمها حكمه ويكون رد الحكم الحادثة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم أو شبهها بما وجده من الحكم فيهما وإذا كان ما وصفنا من تأويل الآية محتملا فلا حجة
لهم علينا في ذلك والله أعلم المستعان وفي الآية دلالة على جعل الإجماع حجة وهو قوله فإن تنازعتم في
شيء فردوه إلى الله والرسول إنما أمرنا بالرد إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم عند التنازع
لم يؤمر عند الإجماع ودل أنه إذا كان ثم إجماع لا تنازع فيه لم يجب الرد إلى ما أودع في الكتاب
وفي السنة وفي الآية دلالة أنه يدرك بالطلب الموضع فيه لأنه لو لم يدرك أو ليس ذلك فيه لم يكن
للرد إلى ذلك معنى ألا ترى أنه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فإنما يستنبط ما فيه
فدل أن حكم الحوادث مذكور في هذين في الكتاب والسنة إذ لو لم يكن الفرج عند التنازع بالطلب
لكان لا يفيد الأمر بالرد إليهما معنى ثم لا يوجد منصوص في كل ما يبتلى ثبت أنه مطلوب وموجود
على لزوم البحث في استخراج الموضوع من المنصوص والله أعلم وفي قوله أيضا يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول الآية تخصيص المؤمنين على اشتراك الجميع في اللزوم
تخرج على أوجه أحدها على مخاطبة الأشراف والنجباء وعلى ذلك أمر الملوك في الأمور يريد
اشتراك الرعية وأهل المملكة في ذلك كقوله تعالى قالت يا أيها الملأ وقال سليمان عليه
السلام يا أيها الملأ وقال فرعون للملأ وقال اذهب إلى فرعون وملإيه ونحو ذلك لمثله الذي
نحن فيه والله أعلم والثاني الظفر بما قد عرفوا الأمور والمناهي فقيل لهم أطيعوا الله وما
ذكروا علموا الظفر فيمن أمروا به ونهوا عنه ولم يكن من الكفرة علم بالذي يوجهون إليه
الأمر إليهم فلذلك خص من ذكر والله أعلم والثالث أن الكفرة قد أنكرت المعبود والرسول
فجرى الخطاب فيمن ثبتت لهم المعرفة بذلك مع ما يحتمل أن يكون هذا الخطاب في
الشرائع وهي غير لازمة للكفرة فلذلك كان على ما ذكرت والرابع ما أدخل في الخطاب
أولي الأمر منا ولا يلزمهم طاعتهم لذلك خص المؤمنين وكان المقصود بالآية بيان طاعة
أولي الأمر منا وإلا كانت كطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كانت
إيمانهم قد ثبتت ولكن جمعت طاعة من ذكر ليعلم أن قد يكون بطاعة أولي الأمر طاعة الله

والله

الله والله الموفق ومما يبين الذي ذكرت أن كل من عرف الإله عرف أن عليه طاعته بما عرف
اسمه الذي سمت العرب كل معبود إلها فمن عرف منهم الإله عرف أن عليه طاعة معبوده ثم
من عرف ما له عنده من الأيادي وعليه من النعم على أن عليه شكره وطاعته به ثم من عرف
الرسول صلى الله عليه وسلم عرف أن طاعته من طاعة الله لأنه إنما يدعو عن أمره ونهيه
يأمر وينهى إذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم منه إلى الخلق وليس من عرف الله وعرف
الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف أن عليه طاعة أولي الأمر بما لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبين الله تعالى ذلك في هذه الآية ليعلموا أن طاعتهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم وذلك هو الدليل على جعل الإجماع حجة وأن متبعهم مطيع لله إذا صير الله طاعتهم
طاعته وهو في ذلك الإجماع وعلى ما ذكرت من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج قوله
تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية صيّر لو أحد حاكما
ثم لا يجد حرجا من قضاء الله في نفي حكم الإيمان وعلى ذلك قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا
ليطاع بإذن الله أي تكون عليهم طاعته بأمر الله تعالى إذ هي طاعة الله أو لتكون طاعته طاعة
الله بإذنه وبأمره والله الموفق ثم اختلف في أولي الأمر ومعلوم أنهم هم الذين إليهم يرجع
تدبير أمور الدين وعن أنهم بعد وهم الذين تضمنتهم آية أرجو أن يكون فيها الكفاية
في تعريف المقصود بها وهو قوله عز وجل ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم فجعل أولي الأمر من عندهم علم الاستنباط وشهد لهم بالعلم فيما رد
إليهم فثبت أنهم الفقهاء المعروفون بالاستنباط ورعاية أمور الدين وفي هذا الإيضاح لا لغة
على إصابتهم فيما أجمعوا عليه أو شهد لهم في الجملة بالعلم وعلى ذلك قوله تعالى كنتم خير أمة إلا
وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية ثم كانت الشهادات والأمور التي بعلمها بها
ثبت أن الأمر في ذلك ينصرف إلى العلماء والفقهاء إذا اجتمعوا على شيء بالأمر أو بالنهي يكون إجماعا
لأن ذلك كذلك عند الله تعالى وبجواز شهادتهم على جميع العوام ومن تأخر عنهم ومن ذلك في
الأمور التي تجري بها البلية والعمل بها في العامة مما لا يحتمل خفاء مثله على ما ذكرت من
الخاص أن ذلك كان عندنا أو نبك الخاص على ذلك إذا لم يغيروا ولا شهدوا على ذلك بعده
وأمراء السرايا لو كانوا أهل البصر في الأمر مع العلم بالشرع والسنة يلزمهم ذلك
لأنهم ميزوا في أسباب أهل الأمر والآية الأولى أنهم العلماء قوله عز وجل فإن تنازعتم في شيء
فردوه إلى الله والرسول وتعلموا أن على العوام لدى الإشكال والحاجة الرد إلى أولي
الأمر بما ذكرت من الآية فثبت أن هذا في تنازع العلماء وهو يوضح إبطال قول الروافض في
جعل أولي الأمر أئمتهم وإبطال قول من يجعل أولي الأمر كل أمير ونحوه وإنما هم العلماء في
كل نوع حتى يتمكن فيهم التنازع وإمامهم واحد لا معنى للتنازع فيهم والتنازع إنما يكون عن
تدبر وبحث ونظر ولا معنى في ذلك للعوام الذين لا يعرفون الأصول والفروع والله
الموفق ثم اختلف في تأويل قوله فردوه إلى الله والرسول فقال قوم كأنه قيل كلوا الأمر
فيه إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجتهدوا فيه كقوله تعالى وما اختلفتم فيه
من شيء فحكمه إلى الله تعالى ولأن الاختلاف كان على تأويل الكتاب والسنة فكيف يطلب
من نقيضهما وبعد الطلب حدث التنازع وقال قوم الاختلاف كان على تأويل الكتاب
يمنع في التأويل بقوله تعالى فردوه إلى الله والرسول إلى ظاهر ذلك ولا تتأولوا فتختلفوا إذ الأولى

كان على ان قيل وقال قوم هذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يظهر في ذلك نص
الحكم والحق في ذلك فيكون الامر الذي يتنازع فيه اولوا الامر يجد لا حد لعل الا بالبيان ولهم
وجه الوصول الى البيان في الحقيقة فامر وابن ذلك مع ما كان يجوز ان يكون التنازع في وقت لم
يفرغ من بيان جميع ما بالخلق اليه حاجة بالكفاية اذ كان ذلك الوقت وقت حدوث الشرايع
ووقت احتمال النسخ وتبديل الاحكام فاذا وقع التنازع للمجتهدين فلعله مع اشكال التنازع فيه
احتمال ان ما اشكل لم ينزل وان الذي يتضمن حكمه من المنصوص لم يبلغهم في ذلك فيجب في ذلك
الرد الى الله تعالى بالرد الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واما بعد فقد فرغ من جميع اصول
الحوادث التي يعلمها الله تعالى انها وقع بيان كفاية اذ لو لم يبين ذلك الله لبقي يتنازع لا ارتفاع
له ولا يجوز الحكم ولكان لا يعلم الحادث الذي له اصل يطلب ولا وفي ذلك تمكين المعنى الذي يخرج
الى الشناعة مع ما نتكلم جميع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم الى اليوم في الحوادث
من غير ان يظهر عن احد قول بان هذا هو ما لم ينزل له الاصل فصار ذلك اجماعا في ان الاصول
كل حادث يجب طلبه في الاصول والله اعلم والاصل انه فيما يوكل الى احد يوكل الى من يعلم
الحكم ويملك اختياره فلو كان للتنازع يجب الرد الى الله تعالى لترك الحكم في ذلك بالاجتهاد فان
يبطل ان يكون في الرد اليه علم بحكمه الا للوقت الذي لا يحتاج الى الحكم وهو يوم القيمة على انه
معلوم لو كان يرده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان لا بد عنهم في ما هو عليه من التنازع الذي
هو اصل كل شيء وفسا وفعلي ذلك فيما يرد الى الله تعالى وان علم عز وجل بجميع النوازل وبجميع
ما بالخلق اليه حاجة فصارت النوازل كلها مردودات اليه فيجب ان يكون حكم فيها اذ قال
عز وجل فحكمه الى الله وان الم يحكم فيها لم يبطل حكم التبديل لا حكم فيه الى الله تعالى فلما وجب
بالذي ذكرت ان يكون ذلك مما تضمنه البيان لزم الاجتهاد ثم لو كان الحق عندنا للتنازع الظاهر
دون ان يطلب على ما صح التاويلات دليل لكان لا يجوز التنازع ان يقع لان الظاهر قد كان في
ايديهم وهو حجة لا يحتمل ان يتركه احد الا بالدليل لو كان حجة وكان قد قام الدليل على لزوم العدول
عن الظاهر بتاويل جميع اولي الامر في ذلك فثبت ان دليل ذلك مطلوب يوجد وينعقد عليه
اذا انصفوا وانعموا النظر واعرضوا عن حب النطق تفرق من الامة على ان الذي يتولد هؤلاء
فيبتغي احكام الحوادث كلها بيقين فثبت ان احكامهم مودعات في المنصوص نص او متعلقا
بالمعاني لا بالظواهر ثم الاصل ان العمل بالظواهر يحتمل المعاني ومختلف التاويلات مما
فيه التنازع في الامة وللتنازع امر بالرد فيجب ان يرد الى ما لم يثبت صحته بل به النظام
وجه في ظاهر الامر باللسان او الظاهر من التفاهم في المعتاد ونحو القول بان اغسلوا وجوهكم
انه بان غسل فيستحق اسم الفعل في اللغة لكن لما يشتغل به عادة في الاستعمال الى ذلك ينصرف
الخطاب ويصير الظاهر في المعتاد به اولى من الظاهر في اللسان ويكون في ذلك منع الذي
ذكر حتى يوضحه دليل او يعلم انه المعتاد فيكون ذلك دليلا والله اعلم ثم لا يحتمل التنازع فيما
هو المعتاد من الظاهر والعدول عنه الا بدليل فيجب القول لمن عدل ان كان عنده دليل
فيكون بما يوجب العمل منع والله اعلم ثم قيل في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
باوجه ثلاثة اطيعوا الله تعالى فيما امر والرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغ واطيعوا الله
فيما فرض والرسول فيما سن واطيعوا الله تعالى فيما انزل ونص والرسول فيما بين والامر
في مفهوم اللسان ان الطاعة تكون في الاتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطاع في جميع

ما امر لان طاعته في ذلك وامره اذا ثبت انه امر هو من الله تعالى وطاعته صلى الله عليه
وسلم طاعة الله عز وجل وله يحب به ظهور الخصوص والعموم والناسخ جميعا وبه تبين
الفرض والادب وذلك نوع وما يخبر عن الله تعالى لحكم علينا به صلى الله عليه وسلم كما كان
او تنزيلا كان او تاويلا فالتقسيم بين الذي لله عز وجل والذي لرسوله صلى الله عليه وسلم يوجب
الشبهة وتوهم الاختلاف جل الله عز وجل ان يبعث رسولا يخالفه وبالله العصمة و قوله
عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله ذلك خيرا في ذلك الرد خيرا في ما ذكر ويحتمل ذلك خيرا
اي الايتلاف فيما امكن فيه خير من الاختلاف والخلاف و قوله واحسن تاويلا اي عاقبة
وقيل احسن تاويلا اي جزاء في حرف حفصة ذلك خير واحسن ثوابا وعن ابن عباس ذلك
خير واحسن تاويلا قال القرآن احسن تاويلا و قوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم
امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية ذكر في القصة ان رجلين تنازعا احدهما
منافق والاخر يهودي فقال المنافق اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال اليهودي اذهب
بنا الى محمد فاختصما الى نبي الله فقضى لليهودي على المنافق فلما خرجا قال المنافق انطلق بنا الى
عمر بن الخطاب نختصم اليه فاقبل معه اليهودي الى عمر فقال اليهودي يا عمر انا اختصمنا الى
محمد فقضى لي عليه فزعم انه لا يرضى بقضائه وهو يزعم انه يرضى بقضائك فاقض بيننا
فقال عمر رضي الله عنه للمنافق كذلك قال نعم فقال رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت
فاشتمل على السيف ثم خرج فضرب به المنافق فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت والطاغوت قيل هو كعب
ابن الاشرف وقيل الطاغوت هو اسم الكاهن وقيل الطاغوت الكافر والطاغوت هو
كل معبود دون الله تعالى ويصح هذا التاويل ويخرج قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما
قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله اي جاء اهل النفاق يحلفون بالله انه لم يرد بالتحاكم الى
ذلك الا احسانا وتوفيقا وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان
قوله يريدون ان يتحاكموا قصدوا ان يتحاكموا ولم يتحاكموا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فعلموا انه انما علم ذلك بالله لكنهم لشدة تعنتهم وتمردهم لم يتبعوه و قوله عز وجل وقد
امروا ان يكفروا به اي امروا ان يكفروا بالطاغوت كقوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى و قوله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اي
يريد الشيطان ليضلهم ضلالا بعيدا اي لا يعودون الى الهدى ابدا فيه اجلاء الذين يموتون على
ذلك كذلك كان وهو في موضع الاياس عن الهدى وقيل بعيدا عن الحق وقيل طويلا ويقوا احدا و
قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اي اذا قيل لهم تعالوا الى
حكم ما انزل الله في كتابه والى الرسول والى امر رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا والصدود هو الاعراض في اللغة والصد الصرف وقال الكسائي قرا
يصدون بكسر الصاد ويصدون بضم الصاد وفي حرف حفصة واذا دعوت الكافرين والمنافقين
الى ما انزل الله رايت المنافقين يصدون عنك صدودا و قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة
بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا يحتمل هذا ما ذكر في القصة
الاولى ان عمر رضي الله عنه لما قتل ذلك الرجل المنافق جاء المنافقون الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحلفون بالله ما اراد ذلك المنافق الا احسانا الى تحكيمه وتيسيرا عليك ليرفع عنك

المودة وتوفيقا الى الخير والصواب وقيل نزلت في المنافقين الذين بنوا مسجد ضرار كقوله تعالى
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ويحتمل قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك
يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا الاية في كل مصيبة تصيبهم وكل نكبة تلحقهم ان كانوا يأتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتذرون كما يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن
نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم الاية لانهم كانوا يميلون الى حيث ما كانوا يطمعون من المنافع
من الغنيمة وغيرها ان راوا النكبة والدبرة على المؤمنين مالوا الى اولئك ويظهرون الموافقة
لهم طمعا منهم ويقولون انا معكم وان كانت الدبرة على الكافرين يظهرون الموافقة لهم كقوله
تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين هذا كان دابهم وعادتهم ابدا وقوله عز وجل ان
اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل فيه بوجوه قيل الا تخفيفا وتيسيرا عليك وقيل قالوا انما تحاكمنا
اليه على انه ان وفق والا رجعنا اليك وفيه دلالة بطلان تحكيم الكافر والتحاكم اليه وذلك حجة
لاصحابنا رحمهم الله والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من
النفاق والخلاف غير ما حلفوا فاعرض عنهم ولا تعاقبهم في هذه المدة وقل لهم ان فعلتم مثل هذا
ثانية عاقبتكم ويحتمل ان يكون على الوعيد اي لا تعاقبهم فان الله عز وجل يعاقبهم وقوله
عز وجل ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل اي تيسيرا وتخفيفا عليك على انه ان وفق للصواب
والا رجعنا اليك احسانا وتوفيقا لما فعل التحاكم اليهم يحملهم على الرجوع الى دين الاسلام وقيل
احسانا يحسنون الينا ويبروننا بفضول اموالهم وقيل توفيقا بفضول اموالهم وقيل
توفيقا اي صوابا وقوله عز وجل وقل لهم في انفسهم قولا بليغا قيل اوعدهم وعيدا انهم
اذا عادوا الى مثله يعاقبون وقيل الزمهم الحجة في ذلك وابلغها اليهم حتى اذا عادوا عاقبتهم وقوله
عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله يحتمل قوله باذن الله وجوها قيل ليطاع باذن
الله اي بمشيئة الله وقيل ليطاع باذن الله اي بامر الله وقيل ليطاع باذن الله اي بعلم الله ومن
قال باذن الله بمشيئة الله اي من اطاع الرسول عليه السلام انما يطيعه بمشيئته وكذلك من عصاه
انما يعصيه بمشيئته من الطاعة او عصاه فاما ذلك كله بمشيئة الله وما تاول الا باذن الله العلم
يقول انه يعلم من يطيعه ومن يعصيه اي كل ذلك انما يكون بعلمه لا عن غفلة منه ولا سهو كصنيع
ملوك الارض انما يستعملهم من العصيان والخلاف انما يستعملهم سهوا او غفلة عن العواقب فاما
الله سبحانه اذ بعث رسلا بعث على علم منه بالطاعة لهم وبالمعصية لكنه بعثهم لما لا ينفعه
طاعة احد ولا يضره معصية احد فانما ضرر ذلك عليهم ونفعه لهم ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اخبر انه ما ارسل الرسل الا ليطاع ومن الرسل من لم يطع كيف
لا تستنتج ان من الفعل ما قد اراد عز وجل ان يفعل وان يكون ذلك لم يكن على ما اخبر انه ما ارسل
الرسول من رسول الا ليطاع ثم من قد كان من الرسل ولم يطع قبل من ما ذكر في اخره الا ليطاع باذن
الله اي بمشيئة الله فمن شاء من الرسل ان يطاع فقد اطيع ومن شاء ان لا يطاع فلم يطع وكذلك
من علم انه يطاع فارسله ليطاع فاطيع ومن علم انه لا يطاع فلم يطع ومن ارسل ان يطاع بامر
ليكون عليه الامر فذلك مستقيم ومن ارسل ليطاع بالامر فلا يجوز ان لا يطاع وقوله ايضا ليطاع
باذن الله قيل فيه بامر الله وقد مر بيانه وقيل ليطاع بمشيئة الله فيطيعه كل من شاء الله وقيل بعلم
الله فهو حين يعلم انه يطيعه اذ لا يجوز ان يعلم الطاعة ممن لا يكون والمعتزلة في هذا انه اخبر انه ما ارسل

ليطاع ولم يطعه الكل فما يجب ان يكون اراد ليطاع وان كان لا يطيعه الكل فعلنا اراد ان
يطاع باذن الله والاذن يتوجه الى ما ذكرت فعلى ما ذكرت كان ليطاع ممن يطيعه لا غير فحصل
الامر على الدعوى ومثله كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ومعلوم ان اراد الصغار منهم
لا يعبدون فخرج الجزاء في الخصوص بالوجود لا ان كان في كل امر فعلى ذلك امر الارادة فمن وجد
لا ينبغي كل على انه فيه فعلى ما هو يرجع الى نقض من الكل فعله الا ان في الارادة المتشبه فالله اعلم
وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اي علموا ان حاصل ظلمهم راجع اليهم لان الظلم هو
وضع الشيء في غير موضعه وهم وضعوا انفسهم في غير موضعها فاذا لم يعرفوا انفسهم لم يعرفوا
خالقها وقوله عز وجل جاءوك فاستغفروا الله اي جاءوك مسلمين تائبين عن التحاكم الى غيرك
راضين بقضائك نادمين على ما كان منهم واستغفر لهم الرسول اي يشفع لهم الرسول لوجدوا
الله توابا رحيما اي قابلا لتوبتهم وقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون قيل قوله فلا صلة وكذلك
في كل قسم اقسم به كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد ولا اقسم بيوم القيامة ونحوه كل صلة كانه
قال اقسم وربك لا يؤمنون وقيل قوله فلا وربك ليس هو على الصلة ولكن نفيا لذلك على نفي
ما تقدم من الكلام وانكاره كقول الرجل لا والله ابتداء الكلام ولكن على نفي ما تقدم من
الكلام فعلى ذلك هذا وفيه دلالة تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل لان الاضافة
اذا خرجت الى واحد تخرج مخرج التعظيم لذلك الواحد والتخصيص له واذا كانت الى جماعة
تخرج تعظيما لهم كقوله وان المساجد لله وقوله له ما في السموات والارض ونحوه وقوله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما وان لم يحكموه
ليس معناه والله اعلم حتى يحكموك فيما شجر بينهم اي حتى يرضوا بحكمك في انفسهم حرجا مما قضيت
قيل ضيقا وقيل شكا مما قضيت بينهم انه حق وقيل اثما وفي الاية دلالة ان الايمان يكون
بالقلب لانه قال ثم لا يجدوا في انفسهم اي في قلوبهم الا ترى انه قال تعالى في اية اخرى ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ذكر ضيق الصدر وذكر ضيق النفس وهو واحد الا ترى انه
قال في اية اخرى ولم تؤمن قلوبهم فهذه الايات ترجع على الكرامية قولهم فيقال لهم أانتم اعلم ام
الله ثم قيل ان الاية نزلت في اليهودي والمنافق اللذين تنازعا فيما كان الى الطاغوت وقيل نزلت
في شان رجل من الانصار والزبير بن العوام كان بينهما تشاجر في الماء فارتفعا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال للزبير اسق ثم ارسل الماء الى جارك فغضب ذلك الرجل فنزلت الاية فلا وربك
لا يؤمنون الاية ولا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الاخبار انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس
اجمعين وقيل في قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم اي في قلوبهم حرجا اي شكا مما قضيت انه هو
الحق ويسلموا لقضائك تسليما وفي قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع قيل
تاويله انه ما ارسل رسولا في الامم الخالية الا ليطيعوه فكيف تركتم انتم طاعة الرسول الذي
ارسل اليكم وقوله تعالى الا ليطاع باذن الله ما ارسل الله رسولا الا وقد امرهم ان يطيعوه
لكن منهم من قد اطاعه ومنهم من لم يطع وقوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او
اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم الاية قال ابو بكر رضي الله عنه لو كان علينا نزلت
يا رسول الله لبدات بنفسي واهل بيتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك لفضل يقينك
على يقين الناس وايمانك على ايمان الناس وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رجل من

الانصار والله لو كتب علينا لقتلنا انفسنا فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده للايمان
اثبت في صدور الرجال من الانصار من الجبال الرواسي قيل ولو انا كتبنا عليهم الاية هم يهود
بعا به العرب كما امر اصحاب موسى عليه السلام وقيل قال عمر ونفر معه والله لو فعل ربنا لفعلنا
فالحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للايمان اثبت في قلوب المومنين
من الجبال الرواسي ثم اختلف في قتل الانفس قال بعضهم هو ان يقتل كل نفسه وقال اخرون هو
ان يامران يقتل بعض بعضا واما قتل كل نفسه فلا يحتمل لوجهين احدهما ان ذلك انه عبادة
شديدة مما لا يحتمل احد كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اخبر انه لا يكلف ما لا طاقة له
والثاني ان فيه قطع النسل وحصول الخلق للافناء خاصة وذلك مما لا حكمة في خلق الخلق للافناء
خاصة وقوله عز وجل ما فعلوه الا قليل منهم قيل هو عبد الله بن مسعود وعمار وثلاثة وفلان وفلان ولا
ندري ايصح ام لا ولو كان قوله تعالى ان اقتلوا انفسكم قتل بعض بعضا فذلك مما امر به مجاهدة
العدو والاخراج من المنزل من الهجرة ثم اخبر انهم لا يفعلون ذلك الا قليل منهم وقوله عز وجل
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم يحتمل هذا وجهين لو فعلوا ما يومرون به من الاسلام
والطاعة لكان خيرا لهم وذلك ويحتمل لو انهم فعلوا ما يومرون به من القتل لو كتب عليهم لكان خيرا
لهم في الاخرة واشد تثبيتا قيل حقيقة وقيل تحقيقا في الدنيا وقيل ما يوعظون به من القران لكان
خيرا في دينهم واشد تثبيتا يعني تصديقا بامر الله وقوله عز وجل واذا لاتيناهم من لدنا اجرا
عظيما يحتمل وجهين الاجر العظيم في الاخرة ويحتمل في الدنيا كقوله فسنيسره لليسرى وقوله
ولهديناهم صراطا مستقيما نعوا الهادي للعباد الى الطريق المستقيم وقيل تثبيتا
لهم في الدنيا وقوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين الاية قيل في بعض من يطع الله والرسول القصة ان رجلا
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقال ما يبكيك فقال والذي لا اله غيره لانت احب الي من نفسي وولدي
واهلي واني لاذكرك فلولا اني اجيء فانظر اليك لرايت اني ساموت وذكرت موتي وموتك
ومنزلتك من الجنة ترفع مع النبيين واني وان دخلت الجنة كنت دون ذلك وذكرت ان لا اراك
عند الموت فبكيت لذلك فما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادع لي فلانا فقال له ابشر ثم قرا عليه هذه الاية وقيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على بعض اصحابه فراى في وجوههم كآبة وحزنا
قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم وما غير وجوهكم ولونكم قالوا يا رسول الله ما بنا
من مرض ولا وجع غير انا اذا لم نرك ولم نلقك اشتقنا اليك واستوحشنا وحشة شديدة
حتى نلقاك فهذا الذي ترى من اجل ذلك ونذكر الاخرة فنخاف ان لا نراك هناك فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية ويحتمل
ان لم يكن فيه واحد من ذلك ولكن فيه وجوه اخر احدها ان اليهود وغيرهم من الكفرة والذين
اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرطوا في تعنتهم وتمردهم في ترك اجابتهم اياه وطاعتهم
له ظنوا انهم وان اسلموا واطاعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل ذلك منهم توبتهم
ولم ينزلوا منزلة من لم يوجد منه ترك طاعته فاخبر عز وجل انه اذا اطاع الله والرسول
يكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كانه لم يترك

طاعته ابدا والله اعلم كما قال تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان يكون ذلك
لما ظنوا ان لكل احد في الجنة منزل مثل الدنيا فظنوا ان لا يكون لهم الاجتماع والالتقاء
بعضهم من بعض فاخبر عز وجل ان يكون لهم الاجتماع لان ذلك لهم في الدنيا من اعظم النعم
واجلها ويحتمل ان يكون على الابتداء ان من اطاع الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم فيكون
مع الذين انعم الله عليهم في دار واحد لا يكونون في غيرها لهذه الوجوه كانها اشبه والله اعلم
اذ هو بالطاعة اجابوا والله اعلم ثم اختلف في الصديقين قال بعضهم اتباع الانبياء عليهم
السلام وخلفاؤهم في كل امر من التبليغ والدعاء لهم الى طاعة ربهم وقيل الصديق هو
الذي يصدق الرسول عليه السلام في اول دعوة دعاه الى دين الله تعالى وفي اول ما عاينه و
قوله والشهداء قيل الشهيد الذي قتل في سبيل الله وقيل الشهيد هو القايم بحقه وقيل
الصديقين والشهداء والصالحين كله واحد وقوله عز وجل ذلك الفضل من الله وكفى
بالله عليما دلت الاية على ان الجزاء افضال من الله تعالى اذ قد سبق من عنده الانعام والافضال
عليهم فيخرج طاعتهم له مخرج الشكر له لا اداء عليه وذلك ان الجنة لا يدخل فيها الا برحمته وفضله وقوله
ايضا ذلك الفضل من الله اي ذلك الانعام الذي انعم عليهم فضل من الله ويحتمل قوله ذلك
الفضل من الله اي ما احسن من الرفقة بينهم تلك فضل منه وفي الاية رد على اصحاب الاصلح لان
تلك الافعال انما صارت قربة لله بانعام من الله وافضاله وتوفيقه وبه استوجبوا الثواب
وقوله ايضا ذلك الفضل من الله تبدا نعم بان الفضل هو بذل ما لم يكن عليه وبذل ما عليه فهو
الوفاء لا الفضل في متعارف اللسان والمعتاد ثم لا يخلو من ان يرجع منه الى الجزاء التي
اكتسبوها فيبطل به قول المعتزلة بما لا يخلو من ان كان منه ذلك الفعل او مثله الى الكافر
او لا فان كان منه لم يكن للامتنان منه بما اتى كان منه وجه يستحقه وقد كان منه الى غيره
فلو قيل تلك الدرجة ولا يبلغ تلك الرتبة فبان انه لابد ذلك بلغ من بلغ فيكون منه فيما لم يكن
وايضا انه لو لم يكن منه ذلك عنهم لم يكن البذل فضلا لما ذكرت ثبت ان قيل الحق عليه كما به
الاصلح في الدين لم يزل معنى الفضل اذ لم يكن اعطاه الكافر مثله فهو عندهم بحال ما منه على المومن
وقد منع بعض ما عليه في الاصلح وذلك عندهم بخل جل الله عما وصفوه وان كان ذلك في الثواب
فان الله له ان يثيب حتى يصير ما اثاب عليه فضلا ولا يحتمل ان لا يرى بطاعة العبيد واتباع رسوله
صلى الله عليه وسلم فثبت ان الرضا الذي هو المراد والله الموفق وقوله عز وجل وكفى
بالله عليما قيل عليما بالاخرة وثوابها وقيل وكفى به عليما بما وعد من الخير في الاخرة لهولاء الاصناف
وعن ابن عباس قال الصديقون هم الذين سبقوا الى تصديق النبيين انعم الله عليهم
بالتصديق والشهداء هم الذين انعم الله عليهم بالشهادة والصالحون هم المومنون اهل الجنة
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل خذوا اعدتكم من السلاح وقيل
قوله خذوا حذركم جميع ما يحترز به العدو كقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
الاية وكقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة امر الله عز وجل بالاعتداد للعدو والاعداد
له واذ لا يوكل الامر في ذلك الى الله دون الاعداد للعدو وقيل للتاييد وان كان يقدر نصره
اولياءه وقهر عدوه من غير الامر بالتاهب لهم اذ في ذلك محنة امتحنهم بها نحو ذلك امرهم بالاعداد
للعدو واخذ الحذر لهم وذلك اسباب يعد قبل لقائهم اياه وفيه دلالة تعلم اداب الحرب قبل لقاء
العدو ليحترز منه وفيه دلالة اباحة التكسب لانه فرض عليهم الجهاد والامر بالاعداد له يحترز من

العدو ولا يوصل الى ذلك الا بالكتب والله اعلم وفي قوله ايضا يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم
اي ما تحذرون به عدوكم وما تحذرونه وفيه وجوه منها الاسلحة ومنها البنيان ومنها الكثار
عند الالتقاء والثبات وذكر الله عز وجل كما قال فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي هذا امر
بالاعداد للعدو قبل اللقاء واية ذلك قوله عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وكذلك
قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فيكون الامر بالاعداد قبل وقت الحاجة ودليل جواز الكسب
لحاجات تحدث وان الاستعداد للحاجات ليس برغبة في الدنيا اذ لم يكن الاعداد فعل ولا
ترك التوكل على ان الجوع وحاجات النفس يقين ويلقى العدو ولا او لا حول ولا قوة الا بالله و
قوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا قيل الثبات هو السرايا او انفروا جميعا
يعني عسكرا وقيل ثباتا يعني فرقا او انفروا جميعا مجموعا وقيل انفروا ثباتا اي عصبا او انفروا
جميعا وعن ابن عباس قال وضحاك قيل الثبات الاثبات والثبة في كلام العرب الجمع الكثير ومعنا
انفروا كثيرا او قليلا وفي ذلك دلالة الامر بالخروج الى العدو فرادى وجماعة وفرقا وجماعة
والله اعلم و قوله عز وجل فانفروا ثبات اي اذا استنفرتم فانفروا وذلك و قوله
تعالى فانفروا ثبات او انفروا جميعا ومعلوم ان عليهم الدفع فيحتمل ان يكون قوله انفروا واذا
ادوا اي على ما استنفرتم من جميع او بعض فيكون في ذلك دلالة قيام البعض عن الكل على غير
الاشارة الى ذلك وقد يجب فرض في مجهول على كل الناس حتى يعلم الكفاية بمن خرج وهذا
كنذا ايقن بفوت لا يعرف بعينها او حرمات تظهر لا يعرف المحرم بعينه فعلى من حرم عليه الاتقاء
والقيام بجميع الفرائض للخروج عما عليه ثم اذا غلب عليهم في التدبير الكفاية بمن خرج سقط عن
الباقين ولو لم يكن سقط لم يكن للامام استنفاد البعض يدل على ذلك قوله تعالى فلولا نفر من
كل فرقة الاية وقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار واصله انه فرض لعله لا يجوز تاره
وقد دلت الدلالة على ان خروج الجمع من جهة ابدا آه للعورة من جهات فلذلك لم يحتمل تكليف
خروج الجميع من جهة استنفر منها والله اعلم و قوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن قوله
منكم يحتمل وجوها يحتمل في الظاهر منكم ويحتمل في الحكم منكم ويحتمل في الدعوى لا انهم كانوا اهل
الكفر منافقين يظهرون الموافقة للمؤمنين وان كانوا في الحقيقة لم يكونوا و قوله ليبطئن قيل
ان المنافقين كانوا يبطئون الناس عن الجهاد ويتخلفون كقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون البأس الا قليلا كانوا يسرون ذلك ويضمرونه فاطلع
الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وفيه دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم و قوله عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم
الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة
على التقديم والتاخير ويفرح بذلك اذا اصابتهم مصيبة كان لم يكن بينكم وبينه مودة لانه من
كان بينه وبينهم مودة اذا اصابته نكبة يحزن عليه وفيما لهم اخبر عز وجل ان هؤلاء المنافقين
اذا اصاب المؤمنين نكبة يسرون بذلك ولا يحزنون كان لم يكن بينهم مودة ولا صحبة و قوله
ولئن اصابكم فضل من الله يعني القسمة والفتح يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ان ناخذ
من الغنيمة نصيبا وافرا و قوله عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا هذا قول المكذب الشامت ولئن اصابكم فضل من الله الاية هذا
قول الحاسد وهو قول قتادة وقوله وان منكم لمن ليبطئن يعني ليتخلفن عن النفر ان

اصابتكم مصيبة يعني شدة وبلاء من العيش والعدو وقال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
فيصيبني ما اصابهم كان لم يكن بينكم وبينه مودة و قوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا
جميعا فيه ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين لانه قال انفروا ثبات او
انفروا جميعا امر بنفير الثبات فلو كان لا يسقط بقيامهم عن الباقين لم يكن للامر به معنى وتاويله
والله اعلم اذا قيل لكم انفروا فانفروا ثبات او انفروا جميعا و قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة كانه والله اعلم في المنافقين بالخروج الى الغزو كقوله تعالى
فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا او امر المؤمنين ان
يخرجوا الى ذلك لانه قال تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة والمؤمنون
هم الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة و قوله في سبيل الله قيل في الجهاد في دين الله وقيل في طاعة
الله وفي نصر اوليائه و قوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما في الاية دلالة ان من بذل نفسه وماله لله غاية ما يجب او يبذل استوجب العوض
قبل وان لم يتلف نفسه فيه ولا اصيب لانه قال عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او
يغلب جعل لمن لم يتلف نفسه فيه الثواب والعوض الذي تلفت نفسه فيه لانه اذا غلب لم يتلف
نفسه فيه وكذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون جعل لمن قتل ولم يقتل فيه العوض فهذا يدلك على مسائل لنا من ذلك
ان المراة اذا اسلمت نفسها للزوج في الوقت الذي كان عليها التسليم استوجبت كمال الصداق
وان لم يقبض الزوج منها ومن ذلك البائع ايضا ان اسلم المبيع الى المشتري كان مسلما وان لم
يقبض المشتري وكذلك من صلى صلاة الظهر في منزله ثم خرج الى الجمعة فصيره ايضا للظهر لانه
عليه الخروج اليها فيصير بالخروج اليها كالمباشر لها وان لم يباشر على سبيل ما جعل الباذل
لنفسه لله عز وجل والمسلم اليه كانما اخذت منه في استيجاب العوض الذي وعد له فلذلك
يجب ان يجعل تسليم ما ذكرنا الى المحق كاخذ المحق منه وان لم ياخذ وليس كالقيام الى الخامسة
ولا كالمتوجه الى عرفات قبل فراغه من العمرة لان على هذا الفراغ ثم يمكنه ثم التوجه
الى عرفات والقيام الى الخامسة فلم يصح ذلك واما المراة والبائع ومودي الظهر في منزله
عليهم التسليم والبذل لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وفي الاية ان الله تعالى عامل عباده معاملة
اهل الفضل والاحسان كان لا حق له لا معاملة ذي الحق وان كانت الانفس والاموال كلها له
في الحقيقة حيث فرض لهم الجهاد وجعل لهم بذلك عوضا كقوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال عز وجل في اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم الاية من المؤمنين كثير امن لا حق له فيها وهي له في الحقيقة ووعد لهم على ذلك عوضا
واجرا عظيما و قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الاية مثل هذا الايات للتفريط سبق منهم ثم لم
يزل اسم الايمان منهم بذلك وكان الجهاد فرضا عليهم فهذا ينقض على من يخرج مرتكب الكبيرة من
الايمان و قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين وكذلك
روي عن الكسائي وفيه دلالة ان على المسلمين ان يستنقذوا اسراهم من ايدي الكفرة اذا اسروا
باي وجه ما قدروا عليه بالاموال والقتال وغير ذلك وذلك فرض عليهم وحق ان لا يتركوهم في

ايديهم لانه قال تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها الاية وفي الاية دلالة ان اسلام
الصغار اسلام وكفرهم كفر اذا عقلوا لانه قال تعالى والولدان والكبار من الرجال والنساء
لا يسمون ولدانا انما يسمون الصغار منهم لانه عاتبهم بتركهم في ايدي الكفرة فلو كانوا على
حكم الاباء الكفرة لم يكن للتعيير والعتاب وجه بتركهم في ايديهم اذ لم يعاتبوا بترك اولاد
الكفرة في ايديهم فدل انه انما الحقهم العتاب لاسلامهم وكذلك قوله تعالى ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ثم استثنى المستضعفين فقال
عز وجل الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة فلو لم يكن اسلام
الولدان اسلاما والا لكفرهم كفرا لم يكن لاستثنائهم معنى ولكن واخراجهم من الوعيد الذي ذكر
معنى والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اخرجنا من هذه القرية سألوا الله عز وجل ان يخرجهم
من القرية وهم علموا ان الله لا يتولى اخراجهم ولكن على ايدي قوم يبعثهم على ذلك وهم علموا ان لله
تعالى في ذلك صنعا والمعتزلة لم يقبلوا وذلك ينقض قولهم بان الله لم يوفق وقوله الظالم
اهلها قيل المشرك اهلها كل ظالم بمنعهم عن الخروج الى دار الاسلام والهجرة وقوله
عز وجل واجعل لنا من لدنك وليا في ديننا ونصيرا يمنعنا عن المشركين وقيل ما نمتنع
عن المشركين وقد ذكرنا الولي والنصير في غير موضع والله اعلم وقوله تعالى الذين
امنوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الله ذكرنا الذي يأمرهم بالسلوك فيه وقوله عز وجل
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت قال ابن عباس الطاغوت هو الشيطان في هذا
الموضع لانه هو الذي يدعو ويأمر بالسلوك في سبيله وفي الاية دلالة ان لا يؤمر الكفار بالجهاد
ولا بالصلاة ولا بالزكاة ولا بغيرها من العبادات لانه اخبر انهم قاتلوا انما يقاتلون في
سبيل الشيطان وكذلك اذا صلوا صلوا له وكذلك سائر العبادات ولكن يؤمرون اولا
بالايمان ثم لو فعلوا من العبادات كانت في سبيل الله وهو الايمان وهذا ينقض قول من يقول
ان الكافر مأمور مكلف بالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات والله اعلم وقوله عز
وجل فقاتلوا اولياء الشيطان هذا يدل على ان الطاغوت هو الشيطان هاهنا وكل ما عبد
دون الله فهو طاغوت وقوله عز وجل ان كيد الشيطان كان ضعيفا يحتمل قوله ان كيد الشيطان
اي كيد اولياء الشيطان كان ضعيفا اذا كان الله ناصركم كقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب
لكم ويحتمل ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه لا يملك سوى الدعاء والامر بدعوتهم الى
سبيله فذلك لضعفه لا يباشر القتال ولا الضرب انما هو الاشارة منه والدعاء كقوله تعالى
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقوله عز وجل الم تر الى الذين قيل
لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال الاية اختلف فيه قيل
نزلت الاية في بني اسرائيل وهي الاية التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة الم تر الى الملأ من بني
اسرائيل من بعد موسى الى قوله فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقيل انها نزلت في
المؤمنين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنوا رسول الله في قتال كفار مكة
سرا لكثرة ما يلقون من الاذى منهم فنزل قوله تعالى كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
اي لم تؤمروا بالقتال فنهاهم عن ذلك فلما كتب عليهم القتال وامروا به كرهوا ذلك فذلك قوله

تعالى

٢٨١

تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الاية وقيل انها نزلت في
المنافقين الذين كانوا يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يخشون الناس كخشية
الله اي يخشون الناس يعني المنافقين كخشية المؤمنين الله او اشد خشية كقوله تعالى يحبونهم
كحب الله او اشد حبا وان كانت في المؤمنين فما قيل يخشون الناس في القتال كخشية الله في
الموت واشد خشية لانه اقرب واسرع نفاذا والله اعلم وقوله ايضا الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم الاية تكلموا في ذلك فمنهم من جعله خبرا عن ملأ من بني اسرائيل الذين قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا الاية امروا اذا امروا بالكف عن مقاتلة تمنوا الاذن في ذلك وسألوا
نبيهم عليه السلام عن ذلك ثم منهم من اعرض عن الطاعة عز وجل وقد كان اهل الايمان
يتمنون الاذن في ذلك كقوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت فوعظوا بما ذكرت لتقبلوا العافية
ولا يتمنوا محنة فيها شدة فيبعثهم على ما بعث ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية واذا لقيتموهم فاثبتوا واي وجوههم
او كان في علم الله تعالى ان يأمرهم ناخيروا الاذن فقتلوا دخل بعضهم لئلا يفعلوا مثل فعلهم
والله اعلم وخشيتهم كخشية الله لقوله لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده الى تمام القصة
وقد قيل الاية نزلت فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجيبوا الى ذلك ثم خاطبهم
الذي ذكر لكن اختلف في ذلك فمنهم من يقول كان ذلك في المصدقين لكن اشتد عليهم الامر وذلك
في ذلك ما كان منهم يوم حنين واحد حتى انما نصرهم الله تعالى وفرج عنهم بمنه وفي ذلك نزل قوله ولقد
كنتم تمنون الموت اي ما فيه الموت من الجهاد وعلى ذلك يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية
فلما عاينوا السبب الذي فيه هلاكهم وبلغ عند ذلك الخشية غايتها نحو قرب الموت وشدة
المرض يكون لم يخشى منه الموت ما لا يخشى لولا تلك الحال لانه يرى الموت من المرض وان
كان الذي يظهر عليه من خشية الموت في تلك الحال اشد فهي الحقيقة خشية من الله تعالى ان
يكون جعل ذلك سبب الموت واتاه حضره وقرب منه فيكون في ظاهر الامر كمن يخشى عن تلك
الاحوال وقد جعل لما جبل عليه الخلق في مثل معروف مثله اعني ان المريض يخاف الموت لما
يغلب عليه نفاد الموت لما يغلب عليه الاياس من حياته وان كان الذي يصيبه يستوي عليه
احواله فيلي ذلك امر الاول على ذلك فيما طبع عليه الخلق من طمانينة القلب عند تلك اسباب
الرزق والقدرة عليهما لم يكن في غيرها وان كان من حيث قدرة الله واحد فتكون تلك الخشية
جبلية طبيعية لا اختيارية او سخط بحكم الرب وهو كالذي جاء من قوله كتب عليكم القتال
وهو كره لكم الاية وقوله على ذلك ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الاية
يحتمل وجهين احدهما الخبر عن اماني طباعهم كما قال عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم الاية
وقال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وانما ذلك على الطبع فذلك الطبع كالسائل عن ذلك
وربما يصنعون القول والسؤال على اعتبار الاحوال الى ما لا يطيقه فيلي ذلك هذا والله اعلم
ويحتمل ان يكون قولا منهم عن وجه الحكمة لهم بالامر فيما علموا الكفر يبلغون بالقتل والجراحات
لا يتومون للعدو ولا يملكون انفسهم في ذلك الوقت فاخبر عز وجل ان الذي حملهم على ذلك رغبتهم
في التمتع في الدنيا والسرور وامتاع الاخرة في قلوبهم لذهب منهم ذلك ويثبتون للعدو ولا يبالون
بما حل بهم ولا يخشون الا كذلك وكان وعد لهم ان متاع الاخرة لكم على هذا الفعل لو صبرتم خير لكم
وما وعدكم عليه خير من متاع الدنيا وايضا ان بيان ان هذا وان عظم هوله على الطبع فانه

٢٨٢

اذا كان له تحفا لعبادة فهو ابشر واهون من الموت على صاحبه اذا احضر ادبرهم الله متاع الاخرة
او تبعض ما فيها الكرامة فيصير ذلك متاع الاخرة لهم وقت الموت فهو خير من تمتعهم في الدنيا ثم الموت
ولا ذلك من كما قيل في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه ان المومن يرى ما له من الكرامة فيحب الموت لان يعجل به ليصل الى ذلك
والكافر يرى سخطه فيكرهه وعلى هذا انا يقبل القول في الدنيا انها سجن المومن وجنة الكافر ان يكون
كذلك في ذلك الوقت والله اعلم وتاويل اخر ان تكون الاية في المنافقين انه يظهر عليهم وقت تفرقة
المحنة بالجهاد دون غيره من العبادات قال الله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة
الاية بين ما نزل بالمنافقين وكذلك قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم الايات والله اعلم فيمن
نزلت الاية لكنها نعلم ان فيها ترغيبا فيما عند الله وتزهيدا في الدنيا ودعاء الى الرضا بحكم الله
فيما خف وثقل والله المستعان وعلى التاويل الاخر جميع ما ذكرها جرى في المنافقين مذكور ذلك
في الايات التي ذكرتها وفيهم قال عز وجل لن ينفعكم الفرار ان فررتم الاية وغير ذلك مما دلت
على انكارهم وفصل خوفهم في ذلك والله اعلم فان قال قائل كيف قال الله تعالى ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقد هلك به اكثر البشر قيل قد يخرج على وجوه والله اعلم احدها انه يضعف
كيده على من تعوذ بالله كقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وانما يقول على من جنح
له ومال الى ما دعاه اليه كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان الاية الى قوله
ثم لا يقصرون والثاني ان يكون ضعيفا على المقبل على ربه والذاكر له في احواله المفوض امره
الى ربه فاما من تولاه واقبل على اشارته فهو الذي جعل له السلطان على نفسه بما اثره من شهواته
ومال به هواه ونحو كقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا الاية وقد سماه الله تعالى الوسواس
الخناس بما يخنس بذكر الله ويوسوس عند الغفلة عن الله فكان سلطانه به والله الموفق والثالث
انه لا يملك الجبر والقهر ولا اكتساب الضرر في الابدان والاموال فهو ضعيف والله اعلم والرابع
انما ان يكون كان ضعيفا اي صار ضعيفا عند نصر الله ومعونته والله اعلم ويحتمل كان
ضعيفا لو ظهر حتى يعلم انه شيطان لكن قوي بما لا يعلم المغرور والتكيد . وتغريره والله اعلم وقوله
عز وجل ربنا لم كتبت علينا القتال قيل في حرف حفصة واقيموا الصلاة واتوا الزكاة قالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال فلما كتب عليهم القتال اذا هم يخشون الناس كخشية الله كان في
انها ربيبين ذلك حرف حفصة ولما لم يكن في ظاهر الاية خبر عن يكون قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم الاية جوابا له وقوله عز وجل قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فان كانت
الاية في المنافقين فهو على الانكار قالوا ذلك وان كانت في المومنين فهو يخرج على طلب الحكمة
في فرض القتال عليهم طلبوا اي حكمة في فرض القتال علينا وقد تطلب الحكمة في الاشياء ولا عيب
يدخل في ذلك واصله ان كل امر في الظاهر من هو فوقه فذلك سؤال له في الحقيقة لا امر يخرج
سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له ومن امر من دونه فهو في الحقيقة ليس بسؤال فهو يخرج على
الامر والنهي وهو الامر الظاهر في الناس وقوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه والله
اعلم انا لم نخلقكم للدنيا وللمتاع فيها انما خلقناكم للاخرة وللمقام فيها فلو خلقناكم للدنيا اشد
كتبت عليكم القتال لكان ذلك عبثا خارجا عن الحكمة ولكن خلقناكم للاخرة وللمقام فيها ويحتمل
قوله يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقوله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا ان لم يقولوا ذلك قولا ولكن كان ذلك خطرا في قلوبهم فاخبرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم

عما اجروا وليعلموا انه انما عرف ذلك بالله عز وجل ليدلهم على نبوته ورسالته وقوله عز
وجل لولا اخرتنا الى اجل قريب فنموت حتف انفنا ولا نقتل قتلا فيشمت بذلك الاعداء كقوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وفي القتل فتنة وقوله عز وجل قل متاع الدنيا
قليل يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انكم لم تخلقوا لمتاع الدنيا ولكن انما خلقتم لمتاع الاخرة
والثاني ان متاع الدنيا قليل من متاع الاخرة كقوله تعالى وما متاع الحياة الدنيا في الاخرة
الا قليل وكقوله تعالى افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون وقوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى لان متاع الاخرة دايم غير منقطع ومتاع الدنيا
زايل منقطع وقوله تعالى ولا تظلمون فتيلا قد ذكرناه وقوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة قيل لما استشهد من استشهد يوم احد قال المنافقون لو كان
اخواننا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج
مشيدة ويحتمل ان يكون جوابا لما سبق من القول قولهم لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا
الى اجل قريب فيقول من كتب عليه الموت ينزل به لا محالة قاتل او لم يقاتل كقوله قل لو كنتم في
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ويحتمل ان يكون قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم
الموت اذا كان الموت نازلا بكم لا محالة فالقتل انفع لكم اذ تستوجبون بالقتل الثواب
الجزيل ولا يكون ذلك لكم اذا متم حتف انفكم والله اعلم وقوله عز وجل في بروج مشيدة
قال القتبي المشيد والمشيد واحد وغيره المشيد بالتشديد يعني بما يكثر الفعل والمشيد فيما
لا يكثر الفعل وقيل المشيد هو المجصص والشيد هو الجص وقال بعضهم بروج مشيدة حصينة
وقيل قصور محصنة طوال وقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك معلوم ان القوله يريدوا بالحسنة والسيئة حسنة في الدين وسيئة
في دينهم ولكن انما ارادوا بالحسنة والسيئة في الدنيا من المنافع والبلايا والشدائد وذلك
انهم كانوا لا يحزنون لما يصيبهم من السيئة في الدين ولا كانوا يفرحون بالحسنة والخير في الدين
ولكن فرحهم بما كانوا يصيبون من الدنيا من الخصب والسعة وحزنهم بما يصيبهم من الضيق
والشدة وكانوا يتطيرون برسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان دأب الكفرة من
قبل كانوا يتطيرون بالانبياء والرسل عليهم السلام كقوله عز وجل اخبارا عن قوم موسى صلى الله
عليه وسلم وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وكقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك
قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وقال عز وجل انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم
لا يعلمون فعلى ذلك قولهم وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك تطيرا منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل قل كل من عند الله اي
انه بتقديره كان وقضائه يصيب كقوله وما بكم من نعمة فمن الله وجزاء كقوله عز وجل وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اي ما اصابهم انما اصابهم بشؤم صنيعهم بنبي الله صلى الله عليه
وسلم وتكذيبهم اياه كقوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله عز
وجل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وفي حرف ابن مسعود قال
وانا قدرتها عليك ويحتمل ان يكون قوله ما اصابك من حسنة فمن الله يرجع الى ما ذكرت من السعة
والعافية ونحوها وما اصابك من سيئة من البلايا والشدة فمن نفسك اي من جناية نفسك

جزاء في الاولى قال من الله في ذلك بعينه نحو الجزاء في الثاني من نفسك نحو الجناية على الاية التي
ذكرت من قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويحتمل ان تكون الاية الاولى في امر الدنيا
والاخرى في امر الدين فاختلفت الاضافة في هذا اذا اتفقت في الاولى اذ الاولى على ما عليه امر
المحنة من قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات
والسيئات وقوله خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا فجعل الله تعالى مختلف احوال
احوال العباد لا منتفع لغيره في ذلك وكذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر الاية وقوله
تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الاية والثاني في حق الافعال فيضاف الى الله ما صلح منها
شكرا او حمدا بما انعم الله عليه وذلك قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم وقوله صراط الذين انعمت
عليهم وقوله ولكن الله يمن عليكم الاية وقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور وقوله ولكن الله حبب اليكم الاية وغير ذلك فيضاف اليه بما منه في ذلك من الفضل
والنعمة شكرا والثاني ان له فضلا لا يجوز الاضافة اليه لما شبه الاعتذار ولا عذر لاحد
في ذلك ويقبح في الاضافة وذلك نحو القول بانه رفع السموات والارض ولا يقال هو رب
الخنازير والاقذار ونحو ذلك لما يقبح في السمع وان كان من حيث الخلق والتدبير واحد
فكذلك امر الافعال والله الموفق وفي الاضافة عنده لا يدل على نفي ان يكون خلقه لما بينا من
الاشياء الاضافة اليه كالتخصيص فيقال يا خالق القدر والخنازير ويا اله الاقذار والخنا
ويا رب الشرور والمصائب وان كان كل ذلك واخلاف اسماء الجملة وتحقق منه تقديرها
وخلقها وكذلك الفواحش والكبائر والله اعلم والثاني ان الخيرات والاعمال الزاكية قد
تضاف اليه لان وجه التخليق عند الجميع بل عند ناس جهة الافضال بالتوفيق والانشاء
وعند المعتزلة من جهة الامر والترغيب فيقول وذلك نفي الاضافة فيما لم يضف اليه لهذا
وايد بعض القراءة عن عبد الله وانا قدرتها عليك قال قائل لا يقع ذلك على الافعال لقوله ما اصاب
ولو كان على ما كان يقول ما اصبت شر كان له جوابان احدهما ان الاجابة انعم منه ترك ما يصيبه
من يصيب ذلك فسواء لو اضيف اليه او اضيف هو اليه والله اعلم والثاني ان ذلك
مخرج الجزاء ايضا اذ كان على ما يقوله فيكون على ما يصيبه من جزاء حسنة او سيئة واذا لم
تحمل فيه حسنه فضلا لم يحتمل الاضافة اليهم مع ما قد بينا من اضافات اعمال الخير اليه
ووقع الشر لما ليس فيه فعله من الله افضال عليه به النعم وكان في فعله الخير ذلك لانا لا نعرف
والتي اذ هما فيستويان في كل واحد والله اعلم ثم اوضح ذلك خبر عبد الله فظننته قوم بمعنى لعنه
المصحف المعروف قلنا ليس بذي خلاف انما هو بيان المطلق وقد يقبل خبر الاحاد في مثله والله
اعلم وقيل خبر عبد الله من خبر الاحاد ولعله ليس بل مصحفه تردى عنه العامة لا يحتمل
التبديل واما خبره عن رسول الله عليه السلام اذ لا يجوز اختراع القراءة من موضع وخبر
العدو فيقبل فيما لا اختلاف فيه وان كان فيه تاويل الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل
وارسلناك للناس رسولا يقبل في حرف حفصة وارسلناك الى الناس رسولا وكفى بالله
شهيدا قيل كفى بالله شهيدا بانك رسوله وقيل وكفى بالله شهيدا على ما يعملون في تلاوتهم
وقيل فلا شاهد افضل من الله بانك رسوله وفي قوله ايضا وكفى بالله شهيدا وجوه احدها
ان يحمد واتبليغك في الدنيا او يقولون لم نعلم رسالتك والثاني ان تكون بالايات التي جعلها
الله تعالى لرسالتك تحقق وشهادة الله لك بالرسالة شهيدا لك او مبينا اذ حجة فان لن

ان يكون حجة على الانبياء والرسل عليهم السلام بتبليغهم الخبر اليهم شهادة وكفى به شهيدا
على ما اضاف بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ونظر اولياء اليه قال الله تعالى او لم يكن
لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ويحتمل شهيدا مبينا او حكما مبينا فمعنا فيبين لهم بالمعنى
ما كان بينه بالدلالة والايات وحكما فاصلا بين الحق والمبطل فيخرج الوجهان جميعا مخرج
الاعراض عن المحاجة بما ظهر عن العناد والمكابرة وتفويض الامر الى الله وانجاز من النزاع
ما كان عليه فيهم من حق التبليغ ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله لان الله عز وجل امر بطاعة الرسول فاذا اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فقد
اطاع الله تعالى لانه اتبع امره الا ترى انه قال عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحتى
جعل طاعة الرسول من شرط الايمان بقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الاية والثاني ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر بطاعة الله فاذا اطاع رسوله صلى
الله عليه وسلم وائتمر بامره فقد اطاع الله عز وجل لانه هو الامر بطاعة الله وما به
التوفيق وقيل لان الرسول صلى الله عليه وسلم يامر بامر الله تعالى لذلك كان طاعته طاعة
الله وذكر في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بالمدينة من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فطعنه المنافقون في ذلك فانزل الله تعالى تصديقا لقول النبي
صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر وان قلت صلاته وصيامه
وتلاوته القران ومن عصاه فقد نسي الله تعالى وان كثرت صيامه وصلاته وتلاوته
القران فطاعة الله تعالى انما تكون في اتباع امره والانتهاء عن مناهيه وكذلك حبه انما يكون
في اتباع اوامره ونواهيه كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله
ايضا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ظاهر مكشوف حقيقته انه في طاعة الله اذ
الامر يطيعه على انه يدعو الى طاعته وطاعته اجابة له بما يطيع الله به وحكمته انه لم
تجعل شكل الطاعة عبادة وان كانت هي لله عبادة ولا يجوز عبادة الرسول فصيرت
الله تعالى طاعته عبادة لله تعالى فاعلم ان الطاعة قد تكون غير مستحقة لاسم العبادة
او تدبيرا لامر ذلك الوجه ولذلك جاز القول بمطاع في الخلق ولا يجوز بمعبود والله اعلم
وايضا فيه شهادة له بالعصمة في كل ما دعا اليه وامر به والزام للخلق الشهادة له بالصدق
في ذلك والقيام به اكده بقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره وبقوله عز وجل فلا وربك
فلا وربك لا يؤمنون الايتين جميعا وذلك الا ما على لزوم طاعته اخوف مخالفة العذاب
الاليم واذا ل عن الواجد في نفسه من قضايه الحرج الايمان ثم لبيتت طاعته في فعله خاصة
او قول ما يقوله وكلتها بد حجتي احدهما اعتقاد كل فعل وقول على ما عليه عنده من خصوص او
عموم او الزام او اداب او اباحة او ترغيب والثاني في الوفاء بالذي منه المراد فيه من ان
يفعل كفعله او سعى ذلك او يستعمله في حق الاباحة او ما اراد من محله فيه بمعرفة موقع كل من
ذلك بالادلة ولا قوة الا بالله وقول من يقول لا يلزم طاعته في فعله او يلزم كلامه لقصد ا
الاطلاق لا معنى له وقوله عز وجل فما ارسلناك عليهم حفيظا في اعمالهم وانما عليهم
ما حملوا وعليكم ما حملتم لا تسأل انت عن اعمالهم ولا يسألون عما فعلتم فانما علمه ويحتمل
قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا تطلع على سرائرهم انما عليك ان تعاملهم على الظاهر والله اعلم

عز وجل ويقولون طاعة قيل ان المنافقين قد اظهروا التصديق لله تعالى ولرسوله صلى الله
عليه وسلم فاذا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله امرك طاعة مرنا
بما شئت نفعله واذا امرهم بامر وغابوا عنه خالفوا امره وغيروا ما امرهم فانزل
الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى الى قوله
٢٨٧
تعالى بيت طايفة منهم غير الذي تقول **قوله** عز وجل بيت طايفة منهم غير الذي تقول
قوله بيت قيل غير ما امرهم به وقيل بيت الف وقيل بيت اي قدروا اما بقيل التوك والقرآن
وكل كلام وقول مقدر بالليل مولف فيه يقال بيت ومعناه والله اعلم ان رسول الله عليه السلام
لقد اذا الله اعلم معنى قوله بيت طايفة منهم غير الذي تقول والا ظاهر هذا النص على ما قاله
اهل التفسير والله التوفيق **قوله** عز وجل والله يكتب ما يبيتون اي الله تعالى يا مسود
بانبات ما يبيتون من القول الكذب والمغير من القول ليلزمهم الحجة لا نعزكا فالتيمو وذلك
ويعن وانه لا يظهرون اخبار لا يجزيهم جزاء ذلك **قوله** عز وجل فاعرض عنهم ولا تكافهم على
ذلك اي نبه هذا تحمل اعرض عنهم ولا تستكشف اخبارا ستروها ولا تطلع عليه اما ذلك الي لا اعلمكم على
ما يسرون ليعلموا انك انما عرفت ذلك بالله نبيه ولا له اثبات الرسالة وتوكل على الله وثق به
ولا تخافهم فان الله يدفع عنك شرهم وكيدهم وتحمل وتوكل على الله يجزيهم فان الله هو
يتولى جزا انكذبهم اياك قال الله اعلم وكفى بالله وكيلا فيما ذكرنا اي كفى به ما نعا فلا احد امنع منه
وقيل وكفى بالله شهيدا بما يبيتون وحافظا وقال بعضهم لا يكون التبييت الا بالليل يقولون الذي دونه
بالليل **قوله** عز وجل افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لو كان
الحكم الله هو المخرج على ما يقوله لوم لكان القرآن خرج مختلفا متناقضا لانه قال عز وجل في امة
لا ريب ذلك الذين يومنون بالله واليوم الاخر لا ريب ويقول في اية اخرى انما يستأذنك الذين
لا يومنون بالله واليوم الاخر لو كان على ظاهر المخرج فهو مختلف وكذلك قوله تعالى فان طلقها
فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقال عز وجل في اية اخرى فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي احدهما
حظر وفي الاخرى اباحة فلو كان على ظاهر المخرج والعموم لكان مختلفا متناقضا يجد اهل الالحاد
او طعن فيه وايضر سبيل الى القول بانه غير منزل من عند الرحمن اذ به وصفه انه لو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه الاية وقال عز وجل وانا له لحافظون فيرد جدا اكثر ما فيه الحكم متفرقا الى غير
المخرج ومحتملا على غير مجرى اللفظ والعموم والخصوص فدل به ان الحكم لا كذلك ولكن ليعني
الموضع فيه والمدرج لا يوصل الى ذلك الا بالتدبر والتفكر فيه والى هذا ندب الله عباده
ليتدبروا فيه ليفهموا مقصوده وليعلموا به ثم يحتمل بعد هذا اوجهات احدها قوله تعالى ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي لو كان هذا القرآن من عند غير الله لكان لا يوافق
عما يخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يخرجهم مخالفا لذلك لان الكهنة الذين كانوا يدعون
الخبر عن غيب لا يخرج خبرهم موافقا بل كان بعضه مخالف لبعض متناقض له فلما خرج هذا
ما يخبر النبي صلى الله عليه وسلم من سرايرهم موافقا دل انه خبر عن الله تعالى لهذا الي انهم
كانوا يقولون ان هذا الا اختلاق وما هذا الا افك مفترى ونحوه فاخبر عز وجل انه لو
كان من عند غير الله لكان لا يوافق لما عندهم من الكتب بل كان مختلفا متناقضا فلما خرج هذا
القرآن متسقا موافقا لسائر الكتب كقوله مصدقا لما معهم ومصدقا لما بين يديه من التوراة

دل انه من عند الله نزل ويحتمل وجها آخر وهو ان هذا القرآن نزل على محمد صلى الله عليه
وسلم في اوقات متفرقة متباعدة على نوازل مختلفة فلو كان من عند غير الله نزل لخرج مختلفا
متناقضا بعضه بعضا لان حكيما من البشر لو تكلم بكلمات في اوقات متباعدة لخرج كلامه متناقضا
٢٨٨
مختلفا الا ان يستعين بكلام رب العالمين ويبرهنه عليه فهذا ذلك لانه نص فلما خرج هذا مع تباعد
الاوقات غير مختلف ولا متناقض دل انه من عند الله نزل وبالله التوفيق وفيه الاحتجاج على
الملاحدة حيث قال افلا يتدبرون القرآن الى قوله اختلافا كثيرا فلو وجدوا لاظهروا ذلك ويقوله
تعالى فاتوا بسورة من مثله ولو قدروا على ذلك لاتوا به ولما تركوا اتيانهم ذلك اظهر لعجزهم عن
اتيان مثله ولو وجدوه مختلفا لاظهروه ولو كان من كلام البشر على ما قالوا لاتوا به لانهم من
البشر فظهر انه منزل من عند الله والله الموفق **قوله** عز وجل افلا يتدبرون القرآن وقوله
ليدبروا اياته دلالة تنبيه على وجهين احدهما ان المقصود منه ذكره بالتأمل والتدبر
اذ به يجري الامر والترغيب قبل وقت العمل بلا نزول التبيان وعما يحتمل بالتدبر فيه وجهان
احدهما ان الامر ليس على مخرج الكلام عند اهل اللسان ولا على حق الابتدا في اللغة اذ حق مثله
ان يرغب في معرفة الموقع عند اهل اللسان من المخرج ويوجه اليه لا التدبر فيه والله اعلم
ومعلوم ايضا ان التدبر فيه حظ الحكماء واهل البصر لا حظ العوام وما يعرف من حيث اللسان
فهو حظ العربيين ثبت ان على العوام اتباع الخواص فيما انهوا اليهم والا تقليدهم والله اعلم
والثاني انه جعل وجه معرفة الاختلاف والاتفاق بالتدبر فيه لا بقرع الكلام السمع واذا
ثبت ذلك لم يلزم العمل بنص الظاهر حتى يعرف الموقع انه على ذلك بالتدبر لئلا يلحق المتمسك به
التناقض بالتدبر والله اعلم والوجه الثالث مما تضمنه الاختلاف ان ارتفاع الاختلاف
جعله حجة على انه عن الله اذ علم الله مما جعل عليه الخلق انه لا احد يملك نحو الاحتراز الا عن علم
السماع يلتجي اليه عن الله بخبر الصادقين عملك تاليف الكلام ونظم مثله بنظم متناقض لا مختلف
بين بين الاختلاف ما قرب به من الكهنة اذ كذلك كلام الكهنة مخرج مختلفا وما قرن من تاليف
البشر واساطير الاولين والسحر ونحو ذلك اذ كل ذلك يخرج على الاختلاف وفي ذلك بيان حظر
حمل المخرج نحو اللسان من الاشتراك ولئلا لما يوجد من ذلك الوجه اختلافا كثيرا ولو كان من
ذلك الوجه الاحتجاج لوجد الاختلاف ومن رام اذ يحمل القرآن لم لا ينال الخبر موقعه على جهة
قد تقع فيه الاختلاف دونه فهو وصف القرآن مع اجتماع الخبر بين الاختلاف وانما هو في
نفسه مختلف فمثله لكل كاهن وبشر اريد تثبيت التناقض فيه امكن لمن يذب عنه ان كان
عنه مترجم يجب من تاويله اليه فيبطل ان يكون على احد وجود اختلاف في مكان ويكون احتجاج
العدين عبثا جل عن ذلك ثم ما ويحتمل الاحكام والحدود والامور والنواهي وذلك يوجب
ان التناسخ والخصوص والعموم لا يكون مختلفا ويحتمل الاخبار والوعد والوعيد
ونحو ذلك واعني بالاخبار عن الغيب وعما كان اخبر عن شيء كان فيتبين وعما اليه مرجع الامور وعما
كان عنهم ونحو ذلك مما خرج كذلك والله اعلم **قوله** عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به وفي حرف ابي مسعود واذا جاءهم نبا من خوف او امن اذاعوه وكذلك في حرف
حفصة قال الكسائي هما لغتان اذعت به واذعته اذا افشيته وقيل سمعوا به وافشوه
وقيل افشوه واذاعوه ثم اختلف فيمن نزلت قال الحسن نزلت في المومنين وذلك انهم اذا اجتمعوا
خبر امر اخبار السرايا والعساكر مما يسرون ويفرحون افشوه في الناس فرحا منهم واذا اجتمعوا اخبار

ويهم المظهرة في الناس حزنا وعاما استثنى الا قليلا منهم لا يذيعون ولا يفشون بالخبر فلو سكتوا وردوا
الخبر الى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يخبر بما كان من الامر او ردوه الى اولي الامر حتى يكونوا
هم الذين يخبرون به كان اولى وهو على التقديم والتاخير وقال ابو بكر الكيسائي نزلت الاية في
المنافقين وذلك ان المنافقين اذا سمعوا رسول الله عليه السلام يخبر عن نصر المسلمين
الى الاعداء بذلك لا عدوا على ذلك واذا سمعوا ان الاعداء قد اجتمعوا واعدوا للحرب اخبروا
بذلك ضعفة اصحاب رسول الله ليمتنعوا عن الخروج اليهم فقال عز وجل ولو ردوه الى
الرسول حتى كان هو يخبرهم عن ذلك او ردوا الى اولي الامر منهم ليخبروا بذلك والله اعلم ثم
اختلف في اولي الامر منهم قيل هم امراء السرايا وقيل هم العلماء الفقهاء الذين يستنبطونه
منهم الذين يطلبون علمه بقوله وقيل اولوا الامر هنا مثل ابي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجونه من كتاب الله تعالى وقيل اولوا الامر ولاة الامر
الذين يستنبطونه والذين اذا علموا به قوما اما ما يقولونه واما مؤمنون على ما ذكرنا انما هو
اذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله الاية على قول بعض وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا اختلف فيه قيل فضل الله محمد صلى الله عليه وسلم ورحمته القرآن
تاويله لولا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لاتبعوا الشيطان الا قليلا منهم لم يتبعوه ولكن
امنوا بالعقل وقيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الامر والنهي عن الاذاعة والافشاء والا
لاذاعوه واتبعوا الشيطان في اذاعتهم به الا قليلا منهم فانهم لا يذيعون به وعن الضحاك قال
هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا حدثوا انفسهم بامور من امور الشيطان الا طائفة منهم
لم يحدثوا بها انفسهم وقال اخرون هم المنافقون كانوا اذا بلغهم ان الله تعالى اظهر المسلمين
على المشركين وفتح عليهم صغروه وحقروه واذا بلغهم ان المسلمين نكبوا نكبة عظموه وعظموه
وعن ابن عباس الا قليلا منهم يقول لعلموا الامر الذي يريدون والخبر كله الا قليلا يقول
لم يخف عليهم الا قليلا من ذلك لو ردوه الى الرسول الاية وعن الحسن قال هو الذين استثنى
الله عز وجل حين قال ابليس لعنه الله لاحتنكن ذريته الا قليلا وحين قال لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين وقال غيره هو ما ذكرنا على التقديم والتاخير واذا جاءهم امر من
الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا منهم والله اعلم بذلك قوله فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك قوله لا تكلف الا نفسك يحتمل وجهين اي ليس عليك حسابهم ولا جزاؤهم
انما حساب ذلك عليهم كقوله عز وجل ما عليك من حسابهم من شيء وكقوله عز وجل فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم والثاني لا تكلف الا نفسك اي تكلف انت بالقتال والجهاد وان تخلف من تخلف
عن الخروج معك يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس قال هذا حين استنفر النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابه رضي الله عنهم بموعد ابي سفيان بدر الصغرى فخذل الناس فانزل الله تعالى
هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخرجن الى بدر وان لم يتبعني احد منكم فاتبعه
اناس من اصحابه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفيه دليل وعد النصرة والفتح والنكبة
على الاعداء لانه لا يحلف الخروج وعده فلو لم يكن وعد النصرة لم يؤمر بالخروج الا ترى انه
قال عز وجل عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله واجب وفي قوله عسى الله وعد
نصر وان خرج وحده اذ عسى هو من الله واجب وقوله عز وجل وحرض المؤمنين يحتمل
وجوها يحتمل حرض المؤمنين بالثواب لهم وكريم الماب على ذلك ويحتمل قوله حرض المؤمنين

٢٨٩

على القتال لما في القتال معهم اظهار دين الله الاسلام وفي ترك المجاهدة والقتال معهم نصر العدو وعليهم
والجهاد وفيه امر عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ليرغبهم في مجاهدة اعدائهم والثالث وحرض المؤمنين
على المجاهدة والقتال معهم ووعد اياهم الظفر والفتح والغنيمة والله اعلم وقوله عز وجل عسى
الله ان يكف باس الذين كفروا وان العسى من الله واجب وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكف عنه باس
الذين كفروا وقوله عز وجل والله اشد باسا واشد تنكيلا وقوله اشد باسا لما يدفع باس المشركين
عنكم ولا تقدرون انتم دفع باس الله عن انفسهم فباس الله اشد وقوله واشد تنكيلا قيل التنكيل هو العذاب
الذي يكون لاخر فيه زجر ومنع وقيل حين قال له لا تكلف الا نفسك ولو لم يمسك احد من الناس يكف
الله عنك باس المشركين وقيل الباس هو عذاب الدنيا والتنكيل والنكال هو عذاب الاخرة كانه خوفهم
بباسه لتخلفهم عن الغزو ومخافة باسهم وعذابهم فاخبر ان باس الله وعذابه اشد من باس الاعداء
والله اعلم وقوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها لم يذكر ما تلك الشفاعة التي تشفع فيحتمل الشفاعة الحسنة هي الدعاء له
بالمغفرة والرحمة وهو لذلك مستوجب فيكون له بذلك نصيب والشفاعة السيئة هو
الدعاء عليه باللعن والمقت وهو لذلك غير مستوجب فيكون له بذلك نصيب وقيل هو كقول
العرب الدال على الخير كفاعله ومن دل اخر على الخير فله في ذلك نصيب وكذلك من دل اخر على
الشر ويحتمل الشفاعة في مظلمة يشفع في دفع مظلمة عن اخيه المسلم وهو شفاعة حسنة فله
في ذلك نصيب والشفاعة السيئة هي ان يشفع في فساد امره فيلحقه من ذلك تبعة ومظلمة فله في
ذلك اثم وقيل الشفاعة الحسنة هي التي ينتفع بها وعمل لها هي بينك وبينه هما فيها شريكان
والشفاعة التي يضر به هما فيها شريكان ويحتمل ان يكون الشفاعة الحسنة كل صانع معروف وكل
امر به والشفاعة السيئة كل صانع منكر وامر به فهما شريكان في ذلك الامر والفاعل جميعا
ويحتمل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله يحب اغاثة اللهفان وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة افضل
من صدقة اللسان قيل وما صدقة اللسان يا رسول الله قال الشفاعة تحرر بها الى اخيك
وقد وقع عنه ثقل الكريهة وتحقن بها الدم والكفل والنصيب واحد وقيل الكفل الجزء وهو
واحد وقيل الكفل الاثم لكن لم يتبين اسمه خاصة الا ترى انه قال يؤتكم كفلين من رحمته والشفاعة من
اعظم ما احتيج اليها اذ قد جاء القرآن بها والاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والشفاعة
في المعهود من الامر يكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بشفاعة
الاخيار واهل الرضا بهم ثم كانت الصغاير مما لا يجوز التعذيب عليها التعذيب عليها عند
القائلين بالخلود في الكبائر والكبائر مما يعفى عنها بالشفاعة فاذا ابطل عظيم ما جاء من القرآن والاخبار
في الامتنان وسقط ما جبل عليه اهل العلم بالله وبرحمته وبطل رجاء المسلمين بشفاعة الله ولا
قوة الا بالله وقال بعضهم الشفاعة تخرج على وجهين على ذكر محاسن احد عند اخر ليقربه
عنده المنزلة والرتبة والثاني ان يدعو له فالاول هو الذي يحتمل توجيه الشفاعة اليه والثاني
تدبير بقوله الذين يحملون العرش الى قوله العظيم وقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى والخوف
يدل على وجهي الشفاعة لان المرتضى هو ذو منزلة وقدر وهو ممن تضمنته اية شفاعة الملائكة
فيقال الوجه الاول في الاخرة لا معنى له لوجهين احدهما انه في تقرير الامر عند من يجهله والله
جل ثناؤه هو العليم بحقيقة ذلك بل غيره مما يجوز عليهم خفاء الحقايق كقوله يوم يجمع الله الرسل

٢٩٠

فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا الاية وقال عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية
وكان في ذلك ان الحقايق في ذلك عند الله وهم سروا عن العلم بذلك واقروا بان الله هو المنفرد
بعلم ذلك وبالله التوفيق والثاني ان ثم كتبت ستراتها اعمال بني ادم وما سبق منهم من صغير وكبير
ففي الكفاية في التقدير ان كان في حق الاحتجاج وان كان في حق الاعلام فعل الله بهم معنى عن ذلك ولا
قوة الا بالله واما الدعا فكذلك فيتوسل بدعا من له ذلك الوصف ويشفع له فيما كان في ذلك منه من الماثم
والذنوب لانه اذا كان كل ما فعله ذلك فيشفع لهم لانه لا يجوز في الحكمة تعذيبهم على ما ذكر من الافعال
بل هو عليها اعظم الثواب وارفع المدارج وطلب الشفاعة والمغفرة لمثله يقبح من وجوه احدها
ان ذلك لا يجوز في الحكمة فكان فعل طلبوا منه ان لا يجوز ولا ينبغيه وذلك لا يسوا الخلق مخرج مخرج
السنة متضلا من ان يتضرع الى الله به جل الكريم الحليم عن هذا الوصف والثاني ان الحق في
مثله اذ هو مثاب غير معاقب يلزم ذلك منه بالتكرر والحمد في الدعا كما ان ذلك وكنوا انه محال
الاذن في ذلك وبالله التوفيق والثالث ان ذلك من الموعود له بالجنة والمبشر بها فطلب مثله يوجب
الجهالة به لكن لا ان يكون الوقت لم يبين فيكون ذلك في الاستعمال وهو قولنا في اصحاب الكباير
المقر لو عذبوا بقدر الذنوب لكان ذلك في الحكمة عدلا فيشفع لسايلهم بالفضل والاحسان دون
العدل والاستيفا ولا قوة الا بالله والاصل انها مقادير المقربات اماكن من يقول
مقادير الاجرام وليس من الخلايق يحتمل تركيبه احتمال العقل مقاديرها اذ لا احد يبلغ في معرفة
تعظيم الله كنه عظمته ليعرف قدر الخلاف لامره جل وعلا وما كان هذا سبيله فحق القول فيه
الاتباع بعد العلم في الاتباع ان الله لا يجزي بالسيئة الا مثلها ثم معلوم ان لا سيئة اعظم من
الكفر وجعل مثلها من الجزاء الخلود في النار ثم من الزم ذلك لما دونه وصف الله تعالى انه
يجزي بالسيئة اكثر من مثلها والله اخبرنا انه لا يجزي ذلك والله الموفق و قوله عز وجل
ايضا من يشفع شفاعة حسنة يكون فيما بين المرء والرب فيشفع اليه بالمغفرة لاحد ويتجاوز
عن المذنب فيكون له نصيب منها ويحتمل ان يكون الله تعالى يرحمه برحمة على اخيه بالشفاعة
اليه بالتجاوز عنه والمغفرة ويحتمل ان يكون الله تعالى اذا غفر له يجعله في شفيعه شفاعة
فيجعله كما وهب لاوليائه وفيما سيئة فيما يلعنه او يدعو الله عليه بالهلاك من غير استحقاق
او عليه في نفسه ضرر يكون له نصيب منها يلقى الاخر واحمد يلعنه ويدعو عليه به ان يعاقبه
باساته الى اخيه في طلب الهلاك له بلا معنى له و قوله عز وجل ايضا من يشفع الاية يحتمل
فيما بينه وبين ربه يشفع له بخير اليه من عفو وتجاوز او بسوء اليه من لعنة وهلاك فالنصيب
منها بوجهين احدهما المغفرة في الاول هي برحمته لاخاه واشفاقه عليه او يعطى المشفوع له
الشفاعة فيكون ذلك له نصيب منها وفي الثاني بجزيه باساته الى من لعنه ودعا عليه
بالهلاك بلا استحقاق سعى لاوليا واحد اثمه والله اعلم ويحتمل فيما بينه وبين الناس
ثم يكون ذلك بوجوه احدها بما يشفع الى من بر اخيه واخرسه في ذلك وجلب سخبة او الالفة
او الى ضد ذلك يشفع في اثارة عثرة او تميم بينهما للالتقا عداوة او يشفع اليه بالدلالة على
ملهوف في اغاثة او مظلوم في نكبة او يصنع من دنا او نكبة يبعث ذلك على جزا وشر ولا قوة
الا بالله و قوله عز وجل وكان الله على كل شي مقيتا قيل هو الحافظ فهو قول ابن عباس وقيل
مقيتا حسيبا وقيل شهيدا وقيل مقيتا اي مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتاكل بمسلم اكلة اطعمه الله من نار جهنم ومن قام باخيه

المسلم مقام سمعة ورياء اقامه الله مقام سمعة ورياء ومن يتبع عورة اخيه المسلم يتبع
الله عورته ومن يتبع عورته يفضحه في بيته وعن البراء الكنابي قال الا المغتاب المعتدي من
الناس يقيت اقاته وقيل المقيت مشتقة من القوت يقول رزق كل دابة على الله تعالى حتى
يستوفي اكلها ورزقها وقيل مقيتا واحيا يكلؤهم ويرزقهم وقال ابو بكر الكنابي وهو ماخوذ
من الكتب السابقة هو شبيه بما حكي لانبيا وله نعلمه على خلاف ما بينا وله والله اعلم و قوله
تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ذكر التحية ولم يذكر ما تلك التحية وان
التحية يقع على اشيا من نحو ما جعل الصلاة تحية المسجد والطواف تحية البيت وغير ذلك مما
يكثر عددها لكن اهل التاويل اجمعوا على صرف هذه التحية الى السلام دون غيرها من التحية
التي ذكرنا الا ترى انه قال عز وجل او ردوها ولو كان غيرها لم يقل او ردوها لان
غيرها من التحية لا ترد اذ في الرد ترك القبول ولم يؤمر بذلك ودل انه اراد بالتحية السلام
ويدل على ذلك ايات من كتاب الله تعالى قال الله تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند
الله فجعل تحية الملايكة صلى الله عليهم وسلم للمؤمنين السلام كقوله سلام عليكم بما صبرتم وجعل
تحية اهل الجنة السلام كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وكقوله تعالى تحيتهم فيها سلام
وتحية الملايكة بعضهم على بعض بالسلام الا ترى انها فسلموا على انفسكم تحية من عند الله
الاية فيلي ذلك يحتمل ان يكون المراد من قوله عز وجل واذا حييتم بتحية السلام وجعل الله تعالى
السلام علما وشعارا فيما بين المسلمين وامانا يومن بعضهم بعضا عن شره الا يرى ان اهل
الذمية لا يسلمون ولا يردون السلام وان كانوا لا يعرفون تعبيره ولا معناه وذلك على الطبع
جعل ذلك لهذه السلام وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى فهو يحتمل وجوها يحتمل السلام مسلم
طاهر عن الاشباه والاشكال وسلام عدل منزه عن العيوب كلها فالجود والتكبير وقوله
ورحمة الله اي برحمته ينجون ويخافون سعيد من سعيد وبركاته به ينال كل خير وما اشكل خير
الا ترى انه جعل التحليل من الصلاة بالسلام بقوله السلام عليكم ورحمة الله على ما جعل تحريمها
باسم الله فعلى ذلك جعل الافتتاح عاجل الختم ثم اختلف في قوله عز وجل فحيوا باحسن منها
او ردوها فقيل حيوا باحسن منها للمسلمين او ردوها على اهل الكتاب وعن النبي قال
نهينا ان نزيد على اهل الكتاب على عليك وعليكم وعن ابن مسعود قال السلام من اسماء الله
تعالى وصفاته في الارض فافشوه بينكم فان الرجل اذا سلم كتبت له عشر حسنات فان هم
ردوها عليه كتبت لهم مثله وقيل قوله فحيوا باحسن منها بالزيادة او ردوها بمثلها وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه فقال السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليكم ورحمة الله ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عليه السلام
وعليكم ورحمة الله وبركاته ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال
وعليكم فقيل له انك زدت في الاول والثاني فقال ان الاول والثاني تركا شيا لي زيادة
وهذا لم يبق لي زيادة وقيل انه روي انه سلم عليه رجل فقال السلام عليكم فقال
النبي عليه السلام عشر يعني عشر حسنات وسلم عليه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله
فقال عشرون وقال اخر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون ومنتهى السلام
قوله وبركاته لا يزاد عليه كقوله ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل يسلم في الصلاة
على رسول الله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ولا يقول في التحليل من الصلاة وبركا

قيل لوجهين احدهما تفضيلا لرسول الله والثاني لانها لهم في الدنيا زيادة وقيل يسلم الراكب
على الماشي والماشي على القايم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على
الماشي والماشي على القايم والقايم على الجالس والصغير على الكبير والقليل على الكثير وروي عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له ان
يجلس فليجلس وان قام والقوم جلوس فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى وعن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشبه بغيرنا فليس منا وقال لا تسلموا تسليم اليهود
والنصارى فان تسليم النصارى بالاكف وتسليم اليهود بالاشارة ويكره ان يبتدي اهل
الكتاب بالتسليم ولكن اذا ابتداوا هم يرد عليهم كذلك جاءت الاثار روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبداوا اليهود والنصارى بالتسليم واذا لقيتموهم
في الطريق فاضطروهم الى اضيقها وعن ابي نضرة الغفاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم يوما انا راكب الى يهود فان سلموا عليكم فقولوا وعليكم ثم قيل في تفسير السلام عليكم
بوجوه قال بعضهم تاويله الله شهيد عليكم وقيل الله قايم عليكم وهو كقوله تعالى افمن
هو قايم على كل نفس برا او فاجرا … ويحفظهم ويستجيب لهم وقيل هو الدعاء لهم بالمغفرة
والسلامة ومن ما ذكرنا بديا وقوله ان الله كان على كل شيء حسيبا قيل شهيدا وقيل حفيظا
وقيل كافيا مقتدرا انباك احسبني هذا اي كفاني وقال الكسائي مشتقة من الحساب
كقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي حاسبا كالامير والقدير والقادر والله
اعلم وقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه هذا ان الله اعلم لما
ادعم الله واجري على السنتهم انه الله وانه خالق السموات والارض وانه خالقهم كقوله ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله اخبر ان الذي سميتموه الله وقلتم انه خالق السموات والارض
هو واحد لا اله غيره ولا رب سواه هو واحد لا شريك معه ولا ند وان الاصنام التي تعبدونها
من دون الله تدعيلمون انها لا تنفعكم ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتم عبادتها وبالله التوفيق
وقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة قيل فيه بوجهين قيل ليجمعنكم بيوم القيمة كقوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع وقيل ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة ثم يبعثكم والله اعلم وقوله ومن اصدق
من الله حديثا معناه والله اعلم انكم تقبلون الحديث بعضكم من بعض وان حديثكم يكون
صدقا ويكون كذبا فكيف لا تقبلون حديث الله وخبره في البعث وما اخبر في العذاب
وحديثه لا يحتمل الكذب هذا والله اعلم تاويله وقوله فما لكم في المنافقين فئتين
اختلف في قصة الاية قيل ان ناسا من مكة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فاسلموا واقاموا بها ما شاء الله ان يقيموا ثم ندموا على الهجرة والاقامة بها وارادوا الرجعة
الى مكة واجتووا المدينة فخرجوا نحو … منتقلة منتقلة حتى تباعدوا من المدينة فلحقوا
بمكة فكتبوا كتابا ثم بعثوا به مع رسول من قبلهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم به
الرسول عليه بالمدينة فاذا فيه انا على الذي فارقناك عليه من التصديق بالله وبرسوله
اشتقنا الى ارضنا واجتوينا المدينة ثم انهم خرجوا من مكة متوجهين الى الشام للتجارة
فبلغ ذلك المسلمين وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض فما يمنعنا
ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا وتركوا هجرتنا فنقتلهم وناخذ ما معهم فقال
فريق منهم كيف تقتلون قوما على دينكم ورسول الله ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين حتى

نزل قوله فما لكم في المنافقين فئتين يقول عز وجل لرسوله امرهم وما صاروا اليه وقيل تخلف
رجال عن احد فكان اصحاب رسول الله فيهم فئتين فرقة تقول اقتلهم وفرقة تقول اعف عنهم
نزلت الاية فما لكم في المنافقين فئتين وقيل ان قوما كانوا يتحدثون فاختصموا الى اهل مكة
فقال بعضهم القوم كذا وقال اخرون القوم قد اكلوا ذبايحكم وصلوا صلاتكم واجابوا دعوتكم
فهم معكم وقال غيرهم تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه فاكثروا في ذلك فنزلت
قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين الاية فلا ندري كيف كانت القصة وليس فيه النهي عن الاختلاف
والتنازع بينهم كانه قال والله اعلم كيف تختلفون في قوم ظهر نفاقهم وكيف لا تقتلون ورسول
الله عن قتالهم … ظهر كفرهم كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية وظهور
نفاقهم يحتمل الجزم به نصا انهم منافقون ويحتمل الظهور بالاستدلال على افعالهم وقد
يوقف على حال المرء بفعله انه كافر او مؤمن وقوله عز وجل والله اركسهم بما كسبوا قال
الكسائي فيه لغتان اركسته في امر كذا او ركسته وارتكس الرجل اذا وقع فيه ورجع اليه
وقيل في حرف ابن مسعود وحفصة والله ركسهم بما كسبوا ثم قيل اركسهم اي ردهم وعن ابن
عباس اركسهم بما كسبوا قال اوقعهم ثم يحتمل قوله اركسهم بما كسبوا وجهين ما اضمروا وما
كان في قلوبهم من النفاق والخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله بما كسبت قلوبكم
ويحتمل ابتداء اكتسب كسبوا انهم ما اسلموا اي كفروا وارتدوا عن الاسلام بعد ما صح اسلامهم
وفي اضافة اركاسهم الى الله دلالة خلق فعلهم وحرمان امر عليكم والله اعلم بما كسبوا
من احداث شرك او نكسهم بالقلوب وقت اظهار الايمان في ان ظهر عليهم بلحوقهم اخوانهم من
الكفرة او لما جعل الله من اعلام النفاق التي ظهرت بفرض الجهاد والعبادات والله اعلم
وقوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله تاويله والله اعلم اتريدون ان يهتدوا وقد
اراد الله ان يضلهم لما علم الله منهم انهم لا يهتدون باختيارهم الكفر ويحتمل انكم لا تقدرون
على هداهم اذا لم يهدهم الله كقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي قوله
ايضا اتريدون ان تهدوا قيل ان تسموا مهتدين وقد اظهر الله ضلالتهم صلة لقوله فما لكم
في المنافقين فئتين حذرهم عن الاختلاف في المشتبهة بعد البيان وقيل ان تجعلوهم مهتدين
وقد جعلهم ضالين على نحو قوله انك لا تهدي من احببت الاية ابتداء تمام الاية واضح الاول
قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يقول من اضله الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا مهتديا
دينا وقيل مخرجا هو واحد والله اعلم وقوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سواء قيل ودوا الذين كفروا وتركوا الهجرة ورجعوا الى اهلهم ومنازلهم الذين قال لهم الله فما
لكم في المنافقين فئتين ان تكفروا كما كفروا اي تتركون الهجرة وترجعون كما رجعوا منهم فتكونون
انتم وهم سواء شرعا في الكفر تمنى هذا الله كفارا وامرهم بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا
منهم اولياء بالهجرة الاولى كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء قال الله لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء وكقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهاهم ان يتخذوا اولياء
حتى يهاجروا هجرة ثانية الى المدينة ويثبتوا على ذلك هذا على قول من قال انهم كانوا
هاجروا ثم لحقوا بمكة واما في قول من قال انهم كانوا في اهلهم تكلموا بالاسلام فهاد لم يهاجروا
فمعنى هذا لا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا كما هاجر غيرهم وقيل المهاجرون على طبقات
منهم من هاجر واقام وسمع واطاع وثبت على ذلك ومنهم من هاجر ثم خرج من غير اذن رسول

الله فليلحق باهله وابطل هجرته التي هاجر واظهر ايمانه الذي آمن ومنهم من تكلم بالاسلام واقام
باهله ولم يهاجر وبه قوة الهجرة كان كذلك ومنهم من تكلم بالاسلام ولم يكن له قوة على
الهجرة كانوا مستضعفين وهم والله اعلم ما قال الله الا المستضعفين من الرجال والنساء
الاية وروي عن ابن عباس قال كنت انا وامي من المستضعفين والذين آمنوا ولم يهاجروا ولهم
قوة الهجرة ما قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وفي قوله
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا يحتمل من اظهر الموافقة من المنافقين للكفرة ولحق بهم
ويحتمل من قد آمن ولم يهاجر فيكون الاول على ولاية الدين والثاني على ولاية الميراث
كقوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ومن تأول الاية على اظهار الكفر
دون الخروج من المدينة فهاجرته تخرج على وجهين احدهما ان يكون قد انضم فيها الى معاونة
الكفرة فيما يترك صحبتهم والثاني ان يهاجر الاعلام المجعولة لاهل النفاق مما يظهر ذلك فيما
امتحنوا به من الافعال ليظهر خلاف ذلك كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
وقوله فان تولوا وابتغوا الهجرة فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم لانهم صاروا حربا
لنا حيث تركوا الهجرة واظهروا ايمانهم الذي تكلموا به ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لما ذكرنا
والله اعلم وقوله ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق يخرج على وجهين احدهما في لحوق قوم من مظهري الايمان الكفرة لو لحقوا بمن لا ميثاق
بينكم وبينهم ولا عهد فاقتلوهم حيث يتوبوا او يهاجروا ولو لحقوا باهل الميثاق لا تدعوا
الولاية التي كانت بينكم وبينهم والثاني ان تكون الاية في قوم من الاعداء او اهل الحرب لو
انضموا الى اهل الميثاق واهل العهد فلا تقاتلوهم فيكون الامر عقيب موادعة تجري
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قوم في دورهم على ان لا تمانع بينهم لاهل الاتصال
في الزيادة والاجتماع الى المدة المجعولة للعهد ممن اذا خيف منهم نبذ اليهم العهد ويرى
اليهم المدة اذا اوفوا والله اعلم كقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم وقوله
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وقوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
قال بعضهم استثنى الذين خرجوا من دار الهجرة مرتدين الى دينهم وكان بينهم وبين المومنين
عهد وميثاق وقال وفيهم نزل قوله الا الذين عاهدتم من المشركين كانه قال والله اعلم ان
وصلوا الى اولئك الذين بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم وقيل كان هذا في
حي من العرب بينهم وبين رسول الله امان وعهد وكان الموادعة على ان من اتاه من
المسلمين فهو آمن ومن جاء منهم الى المومنين فهو آمن يقول والله اعلم ان وصلوا
او غيرهم الى اهل عهدهم او قال عهدكم فان لهم مثل الذي لاولئك من العهد وترك
القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما صد مشركوا مكة نبي الله عن البيت جاء
رجل فقال كذا من بعض القبائل لينظر ما امر محمد وقريش ثم اخبرهم ان خلوا بين رسول
الله وبين البيت فقال يا معشر قريش اتردون قوما عمارا صغارا واردتم عن البيت الله
لا يشرككم في هذا اصطلح رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعه ان لا يكونوا مع
رسول الله ولا يكونوا عليه ومن لجأ اليه فهو آمن فلا ندري كيف كانت القصة في ذلك
فمكان فيه دليل ان من اتصل باهل العهد وكان عطي ايهم فهو بمنزلتهم لا يقاتلهم ومن قولنا
ان الامام اذا وادع اهل بلدة من بلدان اهل الحرب فمن دخل فيها او اتصل بهم فهم

آمنون مثلهم لا يحل قتالهم ولا اسرهم حتى ينبذ اليهم عهدهم واذا آمن قوما منهم في دار الاسلام
وادعوهم ثم انضموا اليهم اخرون فدخلوا معهم دار الاسلام لم تقاتلهم ولا اسرهم والله اعلم
وقوله او جاءوكم حصرت صدورهم قيل اي ضيقة صدورهم وهكذا قال الكسائي
كل من ضاق صدره عن فعل او كلام فقد حصر والله اعلم ما ذكرنا ان الموادعة ان لا يبغي بعضهم
بعضا في القتال ولا يعينوا عليهم عدوهم فيما هو الله عز لهم لما اخبر ان قلوبهم تضيق
على ان يقاتلوكم مع قومهم او يقاتلوا قومهم معكم وفي قوله ايضا او جاءوكم حصرت صدورهم
يحتمل ان يكون حكم هذا الحرف ما ضمنه الحرف الاول فيكون ذلك النهي عمن ذكرت اذا كان
هذا صفته ان يضيق صدره عن مقاتلة المومنين والكافرين جميعا اما بالتضييع او بوفاء العهد
او بانتظار الامر ليتبين له الحق وهو متردد في الامر لما بالعجز وهو يقين بالكتب التي احتج بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم متخلفين فيه على ما عشو لهم مرتب بهم او تخلف عن الاحاطة
بحق الحق لا لبعد طول النظر والله اعلم فيكون معنى قوله او جاءوكم بعض وجاءوكم ويحتمل في قوم سوى
ما ذكرت من الذين يصلون لكن في اولئك المعاهدين نفسه الذين ابت انفسهم نقض العهد
بينهم وبين المومنين وعرفوا على الوفا به وابت نفسهم ايضا معونة المومنين على قومهم بالموافقة
بالمذهب والدين وعلى ذلك وصف جميع المعاهدين الذين عرفوا على الوفاء بالعهد وذلك في حق
الايات التي ذكرنا ثم بين الذين ينقضون العهد والمنافقين الذين حين سئلوا عن الكون مع رسول
الله والغزو لا عذر به الا من فيهم وذلك كقوله يا اهل يثرب لا مقام لكم الى قوله ولو دخلت عليهم
من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وتكون هذه الاية فيهم كقوله لئن لم ينته المنافقون الاية
فيكون في هذه الاية الاذن والله اعلم وقوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي نزع عن قلوبهم
الرعب والحرب فقاتلوكم ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا
اليكم السلم يعني طلبوا الصلح وهو قول ابن عباس وقيل قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا اي حجة وسلطانا في القتال امر الله رسوله بالكف عنهم ثم قال
ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الاية قيل كان رجال تكلموا بالاسلام متعوذين
ليامنوا في المسلمين اذا لقوهم ويامنوا في قومهم بكفرهم فامر الله نبيه ان لم يعتزلوا عن
قتالهم وقيل قوله ستجدون آخرين هم قوم لا يفي لكم ما كان بينكم وبينهم من العهد يريدون ان
يامنوكم يقول يريدون ليامنوا اليكم فلا تتعرضوا لهم ويامنوا قومهم بكفرهم فلا يتعرضوا لهم ثم
اخبر عز وجل عن صنيعهم وحالهم فقال كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها اي كلما دعوا الى الشرك
رجعوا فيها فهؤلاء امر الله ورسوله بقتالهم وقرن صفتهم ان لم يعتزلوا او لم يكفوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي جعلنا لكم عليهم
سلطان القتل وحجته في حرف ابن مسعود ويكفوا ايديهم عن ان يقاتلوكم وفي حرفه ركسوا فيها
وفي حرف حفصة وكفوا فيها وفي حرفها ان يقاتلوكم ويقاتلوا قومهم ثم يحتمل نسخ هذه الاية
وقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم
السلم بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم وقوله وما كان
لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ اختلف فيه عن ابن عباس قال وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا
خطأ اي لا ينبغي لمومن ان يقتل مومنا بغير حق عمدا الا خطأ فيما لا يملكه وقيل الا بموضع الواو
كانه قال وما كان لمومن ان يقتل مومنا عمدا ولا خطأ وذلك جائز في اللغة وقيل وما كان ينبغي

لمؤمن ان يترك قتله اذا قتل اخر عمدا الا خطأ فانه يترك قتله ولا يقتل به وهو قول ابن بكر الكسائي
وقيل وما كان ينبغي لمؤمن ان يترك حكم قتله الا خطأ قال ابو بكر الكسائي حكم القتل ما ذكرنا من
القصاص والقود او كلام نحو هذا او يحتمل قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فقط بعد ما سبق من الله
بيانه في غيرها من القرآن نحو قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص وقوله وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس وقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا او غيرهما من الايات الا خطأ
فانه لم يسبق منه الحكم فيه الا في هذه الاية فانه وقيل وليس لمؤمن ان يقتل مؤمنا في كل حال الا ان
يقتله مخطئا فعليه ما في القرآن وهو قريب مما ذكرنا ثم الخطأ عندنا على وجهين خطأ قصد وخطأ
من خطأ القصد هو ان يقصد اصابة شيء فيصيب غيره وخطأ الذي هو ان يعرفه مشركا كافرا من قبل
حلال الدم فيقتله على ما عرفه من قبل وهو بحال مسلم فان قيل كيف لزمه في قتل الخطأ ما لزمه من
الكفارة وقد اخبر الله ان لا يؤاخذ له وان لا حرج عليه في ذلك بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال في اية اخرى لا جناح عليكم فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم وغيرهما من الايات قيل ان الفعل فعل مأثم وان كان لم يوجد منه القصد فيه فما اوجب
انما اوجب لما الفعل فعل مأثم والثاني يجوز ان يكون الله كلفنا بترك القتل والفعل في حال
السهو والغفلة الا ترى انه قال لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا والخطأ نقيض الصواب فلا يجوز
ان يؤمر بطلب الصواب ولا ينهى عن اتيان ضده كقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا الاية ثم اختلف
في المعنى الذي اوجب عليه رقبة مؤمنة قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله لعبادته فاوجب مكانها
نفسا لتعبد الله على ما عبدت تلك كذا قال وقيل لو كان هذا لكان يجب في العمد ما وجب في الخطأ
لانه وجد ذلك المعنى لكن اوجب لا لذلك المعنى والله اعلم ولكن تغليظا وتشديدا عليه لما اتلف
نفسا محظورا لم يؤذن له في ذلك لئلا يتهاون في مثله ولله ان يوجب على من يشاء بما شاء لما شاء من غير
ان يقال لم وكيف فان قال قائل لم اوجب عليه رقبة مؤمنة لانه اتلف نفسا مؤمنة بفعل ما اتلف
له نفسا مؤمنة اوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة وفي قوله ايضا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا
خطأ اختلف في تأويله وما كان لمؤمن فمنهم من يقول بالعماد وما كان بمتروك لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطأ فيخرج معنى بمتروك على وجهين احدهما ما قاله ابو بكر الملقب بالاصم اي بمتروك له
القصاص الا ان يقتله خطأ لكن هذا يوجب منع العفو لما يرى الترك وقد علموا انه امر وعفي فيه
حتى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي القتيل الى العفو ثم الى اخذ الدية ثم لما ابت
نفسه عند ذلك اذن له في الاقتصاص ويدل على ذلك قوله فمن عفي له الاية وقوله وكتبنا
عليهم فيها الى قوله فمن تصدق به فهو كفارة له الاية الا ان يرجع في قوله بمتروك له اي الوجوب
اي لا يرفع عنه ايجاب القصاص الا من قتل خطأ فانه ليس عليه القصاص والثاني انه ما كان
بمتروك له من التانيب والتوبيخ والتعيير بسوء صنيعه باخيه وتعذيبه حق الله ومعونة
ولي القتيل اذا كان من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا لحق ذلك على الناس ان يظهروا
له النكير عليه ويعيروا بالنص لوليه والله اعلم الا ان يكون خطأ فلا يلحقونه بشيء مما ذكرت بل يقومون
بالشفاعة له والمعونة في احتمال ما لزمه ولذلك جعل الله على العاقلة ما به من ابتلائه
ودفع الضغينة والاجتماع للتناكر للمعصية ومنهم من يقول في تأويل الاية وما كان لمؤمن اي حرام
عليه ذلك الفعل بما حرم الله وما بينهما من الاخوة في الدين وبما هو شفقته وجنسيته فيألم مما
يألم الاخر ويتأذى بما يتأذى الاخر والنفس عن مثله تنهى والطبع ينفر فما كان له ان يفعل هذا ان يقتل

وقوله الا خطأ قيل فيه بوجوه احدها ان يقع ذلك منه على الخطأ فيكون على ما لا يصلح الا الاية
التي ذكرنا ولا ومنه المبتدئ الذي وصفنا والثاني ان يكون الا في موضع الابتداء مما بين له من
الحكم بمعنى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة لكن من قتل خطأ فتحرير رقبة كقوله لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما بمعنى لا يسمعون فيها لغوا البتة لكن الذين يسمعون يسمعون سلاما وقيل
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الا انه لا يعلم انه مؤمن وكان يعرفه كافرا لما قتله عادوي من
الاذن في البيان وقتل عيون الكفرة بما سبق من ظهور كفرهم واحتمل ايمانهم فيما بين لم يقتل
فيكون بمعنى حرام عليهم الا من هذا وصفه ويجوز وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اي لمؤمن ذلك
قط الا ان يقتل خطأ فانه ليس حينئذ يقال كان له او لا لما يقع به لا ان يفعله هو في التحقيق او حقيقة
الفعل ان يقع بارادة ويخرج عليها وهذا لا يقع بها ولا يخرج عليها وقوله ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة فلم يذكر في القاتل انه مؤمن عند ذكر قتله لكنه يرجع اليه بوجهين احدهما ان
الاية في بيان قتل يكون من المؤمن وعليها جرى تنبيه الحكم عند الوقوع والثاني قوله توبة من الله
والتوبة بالتحرير يكون للمؤمن لا لغيره والله اعلم على انه حق الشرع من العبادات فلا يحتمل قصد
الكافر به وانه ذلك المذكور من الرقبة مؤمنة وهو لا يقوم الا بالايمان شرط جعل الايمان شرطا من حيث
الذكر وتاكيده باوجه ثلاثة احدها بالتاكيد بذكر كل قتيل على اختلاف اهل القتل وفي ذلك دليل
ان ذلك جعل عليه لمكان امر يدخل على دينه مما عليه من الحق ان يحفظ حرمته وحرمته فيتقي قتل
من ذكرنا وحرمة دينه عليه فيصير في قتله مضيعا كما لزم بما ذكرت في كل انواع القتيل لم يجمع امره
ذلك كله اي تضييع من حق دينه ولذلك قيل توبة من الله وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحقق
معنى التوبة في فعل الله وذلك يخرج على وجهين احدهما على ما تجاوز عنه اذ لم يأخذه بالخطأ
فيكون نحو جعل ذلك شكرا من العبد بما لم يؤاخذه بالخطأ فيكون معنى التوبة منه انه لم يؤاخذه
بالخطأ ولا اوجب الاعتاق ذلك والاعتاق للشكر له فيما لم يأخذه وقد يجوز ان يؤاخذه
لما بالجهد في التحفظ قد يومن ذلك فلما لم يكلفه وتجاوز عنها كان على الخطأ يأمر بالشكر لذلك
والثاني قبوله منه ذلك في محل التوبة عن غير القتل من الزلات فيكون في قيام ما امر وتوجيه
في حكمه العفو عن مثله فجعل ذلك من العبد مثبوا لا يلحق التوبة من الزلات او نسب الى التوبة
منه اذا كان على التوفيق لفعله وذلك تسمية الله توابا على التوفيق او التجاوز والله اعلم
والثاني يرجع الى فعل العبد فيكون توبة من الله على عبده القاتل بان يتوب باعتاق رقبة مؤمنة
وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون الفعل فعل مأثم ولله مؤاخذة عليه لانه بالجهد يمكن اتقاء
ذلك ولذلك تعبده بكونه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا واذا كان كذلك فيكون ذلك منه
توبة الى الله ليحفظ عن مثله فيما ياتي والثاني ان يكون عليه حفظ دينه عما يقع فيه من
التضييع الذي يبلي بالقاء الشيطان او بفرط غفلة او نحو ذلك فيلزم جبر ذلك بما ذكر وانه
يعلم انه قد يجوز ذو نوع النقصان في ذي المحرمات من وجه لا اثم يلحق نحو المذكور في المتأذي وفي
امر السهو في ذلك فيؤمر به ليتجبر ذلك ونحو ذلك نحو ما قد يفسد بامر من وجه لا يعلم به
كذلك امر النقصان فيؤمر بالتوبة الى الله عن ذلك بما يمحي الله به من الاثم والله اعلم
مع ما قد يتصل بالقتل ما له حكم الخطأ يأثم الملتزم عليه ويخرج لجاجة ان يرجع حرف التوبة من الله
الى ذلك ومنه في خطأ العمد والثاني مما يدل على جعل الايمان شرطا انه جعل لما وقع في حال يبين من
التضييع اذا تعلقت الحرمة بالدين من الوجه الذي بينا ولا فرق بين عبارتهم فيما اي الهالي نقع

فما تضييع في حد منها يلزم تلك الكفارة وبين حد من العبادات يبتدئها الانسان وحمى الوفاء
بما يقع في حد منها تضييع او متعدا بحدها من الفرض لا يعلمه الا من يعلم حد التضييع من الاصل ولا يعلم
حده غير الذي جعل الحدود ويكون في ذلك بيان ان المبرور به دونه لعله لا يتحرز الزم بالاحتياط وذلك
وعلى ذلك امر الحدود للاحرام والثالث مستفيق القول على موقع الشرط انه يحق اللزوم وعلى ذلك
شرط في التتابع في الصيام له هذا المعنى والاول جميعا وعلى هذا الاتفاق جعل قوام امر هذا
اصلا لغيره من الكفارات ونحن لا نجعلها لوجهين احدهما ما لم يجعل ذكر التتابع في هذا اصلا
لكل ما لم يذكر فيه التتابع والثاني بما بقيا من محل كل من اصل ذلك انه انما يحل من علم ما حد ذا
من الاصل ومعلوم الاختلاف في الكل لذلك لم يجب هذا لكن يطلق المطلق ويقيد المقيد بالذكر
وايد ذلك ان الله تعالى قد ذكر في كل قتل ولو كان بالذي يحتمل درك الحد بالتدبير لكان ترك
الذكر في هذا بالافهام الحكم في نوع المذكور اقرب منه في غيره به بين والله اعلم لوجهين احدهما
للتنبيه على لزوم الرجوع في هذا الى الذكر والثاني للتنبيه انه لم يجعل المكافأة للقتيل لكن لما وقع
في الدين من التضييع وجائز ان يكون شرط الايمان بما سبق منه تضييع حد من الحدود الذي اقتضى
ايجابه عليه الايمان فامر باعتاق من حصل له الرقبة لحفظ ما لزمه حق الايمان من ان يشغل عنه
نحو الرق فيه لغيره ويجوز ان يكون انما ابتغيت به نفسه وهي مؤمنة لله تعالى فامر ان يشكر ربه
تعالى بابقاء نفس مؤمنة اذ بالعتق واحياء على ما ذكر من اختلاف الحدود وما له حدود في حق الشرع
لم يقبض الكفارة على الصيام عند العجز عنه على ما قضى به في حق الظهار ود الفطر متعمدا في الظهار
حق لما لم يكن له التاخير الى القدرة عليه او ملك الرقبة وليس ههنا وامر الفطر هو في بعض
صيام قد جعل لا اصله من الطعام عوضا عن حده بقوله وعلى الذين يطيقونه الاية ففي ذلك
امر عوض التعدي فيه وليس في امر القتل ذلك ودلت الاية بذكر الايمان على ان له حدا يعرف
موقعه ثم الذي يبين فيها انه التصديق خاصة ما جمع من المومن الذي يحتمل ان يكون منه شائبة
الشرائع والذي لا يحتمل سوى نفس الايمان ومن المومن الذي من قوم عدو لنا اذ تدبر من في دار
الحرب بما في العقل دليله ولا يعلم به غيره من العبادات التي هي حق الشرائع وقد يجوز ان يكون
في الابلاغ في وصف ما يكفر به الابلاغ في التحويز عن الغفلة التي فيها خوف وقوع ما ذكر وعلى
ما ذكرت من تضييع حق لزمه دينه لزم التفرد كل واحد منهم الكفارة على التمام لما انفرد كل
بما لزمه من الحق بدينه في التضييع وعلى هذا قولهم في المحرمين يتناولون الصيد ان كل واحد
منهم جنى على احرامه الذي لم يتصل احرامه باحرام غيره على ان النفس اذ هي لا تحتمل التجزية
لم يتحرز المجعول لها فعلى ذلك امر القصاص والدية لم يجب في الحقيقة للنفس اذ هي قد تجب
لما دون نفسا فيما يحتمل التجزية اكثر مما يجب للنفس واذا بلغت النفس فسقط بعض ماله منها حكم
الوجوب ولما هي ترجع الى جزاء الجاني ومحال اخذ الكل ممن يرجع اليه بالكل بما يكون في طلب تحقيق
الاعجاف واهلاك الخلق ولما كان حق النفس من حيث القتيل في الحال يختلف ومن حيث القصاص
والكفارة لا تثبت ان المرجع في هذه الى احوال في نفس القاتلين من دين يضيع حقه او امتناع
عن احتمال التجزية او احياء او نيد بالموضوع ولو لم يحصل في الجماعة ليذهب فائدة الاحيا
اذ الوجود بالاحاد غير فيبطل الاحيا في ابلغ احوال الحاجة اليه ثم اذا رجع امر الكفارة الى
من تولى قتله وقد سبق عليه امر الدية كقوله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة بمعنى عليه تحرير
ما ذكر او فداوجب عليه وعلى ذلك جميع ما في القرآن من الامر على اثر الاسباب ثم نسق على ذلك

بقوله ودية مسلمة الى اهله فحقها ان تكون عليه والخبر الوارد عن رسول الله في امر العقل الذي تواترته
الامة الى يومنا هذا ابل الامر حتى كان قد ظهر من امر الرسالات الله حتى التواتر في المومنين بهم والمنكرين
لهم فكان ذلك بحق التعاقل ولذلك قال اصحابنا في الذين لا عاقلة لهم يجب الدية في اموالهم وعلى ذلك
فيما يظهر باقرارهم دون البينات ومن الحق اذ فيما يجب فيه القصاص من انفسهم يتلف بقبول ذلك
الدية والاصل في ذلك ان معنى القصاص معقول ابدا الذي ذكره الله في القرآن من قوله ولكم في
القصاص حياة فلا معنى لصرف ذلك الى غير المتولي لما يذهب الحياة وجاز شرع ذلك بحق العقل
لينزجر الناس به وليتسلم لهم الحياة التي هي الذ الاشياء اذ بها يعرفوا اللذات كلها وذلك
المعنى ليس في نفس القتيل اخص من غيره من ان يجعل القصاص بحقه بل الاولى ان يجعل لا محالة للردع
والزجر مع ما كان معلوما ان نفس القتيل لا تنتفع بالقصاص بل انما نفعها في ان يبقى لخوف
القصاص من يروم قتل الاشفاق على نفسه وليس ذلك المعنى في امر الدية بشيء وانما توجب
بعد الوفاة ولم يجب حتى وجه يتولد منه المضاغنة والعداوة التي لا يغا سفك الدماء
على حق تخصيص الدماء فما هي تجب بالخطا من وجه يقبل عذر من مثله ذلك لكن الله تعالى بفضله
بما جعل للمتصلين معونته في حياته وشرف في كثرة الاقوام ومباهة في الدنيا مع ما يقع بها التناصر
والتدافع الذي بمثله الدوام والقوام فيخطر بمثله مصيبة القتل وبخاصة من وجه
لعلة فسبق الهم الانفعال في التلبيس على اهله بالخطا وان ذلك ليس يحق فيخاف وقوع الشر
بينهم والعداوة التي تولد الفساد فجعل الله تعالى بمنه وفضله لهم ما تطيب بمثله انفسهم ويكن
المعنى الذي يخاف من حدوث الشر منهم مع ما لهم جعل ما يخلو له ابتداء المحنة بما ذكر بلا سبب
يسبق منه بالسبب احق واذا جعل لهذا من الوجه الذي لعله الاشيا نله وضع ذلك في اموالهم
ومرتبا نفس القاتل لما ذكرت من المنافع على ما جعل في ذلك وان لم يرجع منفعة الواجب
في ذلك الى القتيل بما لا نعلم انه يقتل لجعل ذلك لوجه يتزود به لمعاده وان حرم ذلك في
دنياه فيصير المجعول في ذلك ممن لهم وعليهم بالذي ذكرت من دفع الفساد والقيام بحق الاحسان
ثم الاصل في اتلاف الاموال ان منافعها عند القيام ومضادها عند الاتلاف ترجع الى اربابها
خاصة والانفس ترجع منافعها في ذلك الى العشاير والمتصلين ففي ذلك المجعول فيها مع ما كان
الاموال تملك فيصير من ضمنه كانما اشتراه وكل مشتري بالتسليم اليه الخروج منه فلا يحتمل
ان يضمن من لم يكن منه الجناية لما يسقط لو ضمن بعقد التسليم ولا على ذلك امر جنايات الا النفس
فجاز في حق الشرع الموضوع على غيره من تولى اذ على غير التسليم الى احد يستوجب له ثم وقوع
الخطا يكون من وجهين احدهما من جهة دينه بحران ظنه القاتل كافرا كان عرفه كذلك او بما عليه
سيما الكفرة ومن جهة نفسه في ان يرمي غيره فيصيبه والحكم في وجهي الخطا واحد والخطا
الثالث وهو الذي لم يتبينه حتى هذه الاية وهو عند الضرب قد يقع ذلك فيما اخطا الدين
وفيما تهدا النفس حينئذ … ثم دية مسلمة الى اهله لم يبق من اهله وقال في موضع
اخر ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ولم … من وليه فكان الاهل والولي هم
ورثته على ما جاء في الخبر انه ورث امراة اشيم من دية زوجها وان كانت الدية لاهل العصبة
منهم من قتل ولان هذه الدية انما وجبت لمكان ما لهم من المنافع من القتيل في حال حياته دون
غيرهم فاذا قتل فذهب منافعه منهم اوجب ذلك لهم لانهم هم المنتفعون في حياته دون
غيرهم وقيل ان القتيل يوجب لعصابتين بما بين اولياء القتيل واولياء القاتل فيحمل ذلك

على الفساد والاهلاك فاذا وجبت هذه الدية لتطييب انفسهم بذلك ولا يحمل ذلك على الضغائن
والحقد وقيل اوجبت هذه الدية لئلا يدعي الخطا فيسقط القصاص عن نفسه بدعوى الخطاء
فاوجب الدية لما اذا ادعى الخطاء اخذ بالدية وقد ذكرنا ان الخطا على وجهين وهو ان يقصد شيئا
فيصيب نفسا فانه خطا لانه اصاب غير الذي قصده بالضربة والثاني خطا الدين وهو ان يظنه
كافرا فيقتل على ذلك قاصدا له فهو خطا او بالخطا وجه آخر وهو ان يضرب الرجل الرجل
قاصدا لذلك بغير حديدة فان كان الذي ضربه به حجرا صغيرا او عصا صغيرة فحكمه حكم الخطا
وان كان حجرا كبيرا مثله يقتل او عصا عظيمة فان اصحابنا رحمهم الله اختلفوا في ذلك فقال
ابو حنيفة رحمه الله لا قود في ذلك وعلى عاقلته الدية مغلظة وقال محمد رحمه الله يقتل
به اذا كان من مثله لا ينجا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين ان العمد ما كان
بحديد فهو حجة لابي حنيفة رحمه الله في الحجر العظيم ودليل على ان التعمد بالضرب قد يكون
خطاء وروي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء خطاء الا الحديد
والسيف وسنذكر هذه المسئلة في باب شبه العمد ان شاء الله تعالى ثم اجمع اهل العلم على ان
الرقبة على القاتل لا على العاقلة واما الدية فلم يذكر على من تجب فقال اكثر السلف تجب على
العاقلة وعلى ذلك تواترت الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس الدية
ايضا على القاتل كالرقبة فيقال له ان الصيام بدل عن الدية او عن العتق فان قال لا بل
بدل عن العتق قيل له فذلك يدل على ان الذي يجب على القاتل هو العتق الذي ان لم يجده
صام مكانه ويدل على ان الدية ليست عليه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل
الدية على العاقلة عن مقسم عن ابن عباس قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين
والانصار ان يعقلوا معاقلهم وان يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في الجنين غرة عبدا او امة على العاقلة وان التي ضربت ضرتها بعمود
فسطاط فقتلتها فقضى النبي صلى الله عليه وسلم بديتها على عصبة القاتلة وفيما بطنها غرة فقال
اعرابي يا نبي الله اتغرمني من لا طعم ولا شرب ولا صاح فمثل ذلك يطل فقال النبي عليه السلام
اسجع كسجع الاعراب اغرم فان الدية على العاقلة والميراث لاهل المراة وعمود الفسطاط
مما يقتل مثله ولم يوجب النبي عليه السلام على التي ضربت ضرتها به فقتلتها القصاص فذلك حجة
لابي حنيفة رحمه الله في قوله ان الخشبة العظيمة والصغيرة سواء ولا قصاص فيه والاخبار
فيه كثيرة وقوله ودية مسلمة الى اهله ذكر الله عز وجل مسلمة الى اهله على الحث
والترغيب في التسليم والنهي عن التماطل الذي عسى ان يتوهم حدوث الشر والفساد والذي يبلغ
مثله جعل العوض في قتل الخطاء وعلى ذلك قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء
اليه باحسان وترتيبا من وسلم ثم بين التسليم الى اهل القتيل ولم يبين من اهله وقد
اجمع السلف على ان اهله ورثته والاصل في ذلك ان الدية جعلت بدلا لنفس القتيل فهي
متروكة عنه وعلى ذلك لو كانت منه الوصايا او عليه دين ينفذ منها فصارت فيما قال الله
للرجال نصيب مما ترك الايات التي فيها بيان من يرث من بعد الوصية والدين فلذلك لهم فيصير
اهله كغيره فانه من ينتفع بتركته اذ كذلك ومن الاهل في الحياة انه يرجع الى المتصلين به
ومنافعه مما كان اسم الاهل في الزوجة غير ممتنع استعماله على كل حال فيجب دخولها في ذلك
وغيرها من الورثة احق وقد روي في مثل ذلك من توريث امراة اشيم الضبابي

وعمل به عمر بحضرة الصحابة والذين لهم سائر الولايات حوى ولاية الميراث مع ولاية الميراث
احق والله اعلم وقوله الا ان يصدقوا انما التصدق من الدية لانه لا حق لاحد في العتق حتى يحتمل التصدق
وهو كقوله في القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وذكر التصدق على ما فيه الترغيب في الترغيب
من قوله وان تصدقوا خير لكم ثم ان الاصل ان التصدق من المعروف الى ذوي الحاجات والفعل انما
وضع اصله على الاغنيا لكن يخرج على وجهين احدهما ان الاية جاءت بذكر القاتل ووجود الدية
المسلمة بحملها لكل قاتل عسير فكان الترغيب على ذلك والثاني انه معروف في الديون وكذلك
حكم الصدقات اذ لا يقع له الثواب في الدنيا وبما يقع لغير المعروفين فيكون فعلهم في الحقيقة
لله لا لابتغاء الجزاء فسمي صدقة اذ هو اسم لما يقع من المعروف لله مع ما يمكن في ذلك ان الفعل
ليس شرطه الغنا الذي له يجب الزكوات وغير ذلك النوع من الغنا لا يخرج اهل من احتمال
الصدقة بل يجعل على اهل الديوان وهذا الذي احتمله الهيأت في تخريج الخطايا يوجد لوقت
الخروج لا بعد الموقع بالملك وتمام شرط الغنا له في هذا امر الثنيا الى الذي يلي من الكلام
دون الذي تقدم وحمله على بعض الكلام دون الكلام ليعلم ان موقع النهي عن الحكم على ما يقتضيه
حق الحكمة دون الذي يبنى عليه حق اللسان والله اعلم وقوله وان كان من قوم عدو لكم
وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة عن ابن عباس رضي الله عنه قال يكون الرجل مؤمنا وقومه
كفار في دار الحرب فيقتله مسلم فلا دية عليه ولكن عليه عتق رقبة مؤمنة وعنه ايضا
قال كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه فيقيم فيهم ثم يغزوهم الجيش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب
فانزل الله تعالى وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقال بعضهم كيف
يكون للمؤمن المقيم في دار الحرب دية واولياؤه حرب لنا فهل يجوز ان نعطي لهم الدية ونحن
نقتلهم انما العرفان قيل تكون الدية لبيت المال قيل له انما يجوز ان تكون لبيت المال من لو كان
حيا كان له في بيت المال حق فاما المسلم المقيم في دار الحرب فلا حق له في بيت المال لان حكمنا
لا يجري على داره لكنه فيستحق بيت المال دية وبعد فان المسلم في دارهم لم يحرز بالاسلام
تحرز النفس وماله لان دار الحرب ليست بدار يحرز بها الدماء والاموال فاذا كان كذلك
فلم يكن للانفس والاموال هنالك بدل لذلك لم تجب الدية الا ترى ان من اتلف مال
ذلك المسلم لم يغرم بدله فيلي ذلك لم يغرم بدل نفسه لان حرمتهما سواء في دار الاسلام ثم
اختلف في تاويل قوله ايضا وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة الاية على
الاتفاق ان لا دية فيه لكن الاختلاف فانه يخرج على ثلاثة اوجه احدها ان ذلك فيما
يقتل على الاغارة بحربه بيتا على اهل الحرب وفيهم مسلم فانه لا دية فيه لما ابيحت الاغارة
فيجب على هذا امران احدهما ان يكون دفع الكفارة في ذلك احق من دفع الدية ومن حيث كانت
الكفارة حق الله بمعنى العبادة او التوبة فاذا وقعت الاباحة من عنده فهي في السقوط احق
من الدية التي هي حق العباد ولم يرد ممن هي له الاباحة فلما اوجبت هي والدية احرى ان يجب فاذ
لم يجب بان انه ليس على ما قدر والثاني ان يكون لو كان كذلك فيجب ان يكون ذلك فيمن كان من
قوم معاهدين او لا سواء اجل من حيث الاغارة بل اذا صادف الاغارة مباحة وان كان فيهم
مسلم وذهب حق النفس من الامرين جميعا من الدية والكفارة وعلى ذلك اختلف في نفس
القصاص فيما دون النفس فما من الاقتصاص انه لا كفارة في ذلك وقد اختلف في الدية
وعلى ذلك يكون يقتله من لا يحتمل الظلم دما او جب من القتل في الوجوه بلا دية يوجب ان يكون

الدية أحق في الإيجاب من الكفارة فإذا لم تجب بأن ليس فيه الدية لما ظنوا والقول الثاني
ذهبوا إلى أن القتيل الذي قومه أهل الحرب أنه لا تجب فيه الدية بقوله فإن كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن ويؤيد ذلك قوله فدية مسلمة إلى أهله وأهله عدو لا يحتمل التسليم إليهم لما أن أخذ
أموال أهل الحرب مباح لنا وأما الكفارة فهي حق الله تعالى لزمه إذ هي حق التوبة
والكفارة لما في ذلك من معنى الإثم فيعمل على ذلك أيضًا أمران أحدهما انتفاء الدية عن كل
نفس لا وارث لها إذا قتل من أهل دار الإسلام في دار الإسلام إذ لا أهل لها وعدم الأهل أكثر
من كون الأهل حربًا أعداء له بل يغرم الذي قتله وتوضع في بيت المال فعلى ذلك الأول لو كان يجب
ولكن لم يجب لا لهذا إذ قد رأينا الوجوب مع ما هو أعظم في العدة من هؤلاء وأيد ذلك الإيجاب
في المؤمن الذي قومه من أهل الميثاق والكافر الذي هو من أهل الميثاق والعداوة لم تكن انقطعت
بالميثاق والوجه الثاني أنه لا توارث يجري بين المسلمين وأهل الكفر فبطل حق الدية بوجوبها لهم
بل يتحول الميراث بالإسلام إلى أهل الإسلام وإن لم يكن له خصوص أهل وعلى ذلك جميع تركته فبان أنه
لا لهذا لم يوجب والقول الثالث أن الآية فيمن أسلم في دار الحرب ولم يخرج إلينا حتى يقتل
مؤمن خطأ أن عليه تحرير رقبة ولا دية فيه فيكون المعنى من قوم عدو لكم هو من قوم في الظاهر
عند القاتل لم يخرجوا فعلى من أخطأ والمعاذ أنهم مشركون فقتله الخطأ من وجهين أحدهما بما كان عرف
كفره ولم يظهر انتقاله عما كان عليه في الظاهر لا يخرج إلى دار الإسلام ولا سيما يظهر وذلك
ظاهر الوجود في مثله نزل قوله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا الآية وقد أخبر
أنهم كانوا كذلك يكتمون دينهم حتى منّ الله عليهم بالإظهار فيكون هذا في الظاهر على الأمر الأول
ولا على ذلك بما أن المسلمين الذين دخلوا تلك الدار بالأمان ولا يحتمل أن يلحقه هذا النوع من
قتل الخطأ فلزم في نفسه البدل على كل حال والثاني أن يرمي غيره فيصيبه على ما يكون خطأ أهل
هذه الدار ولم تجب له الدية لما لا يقع فيه الخطأ من الوجه الذي على الأمر فيعمل على ما بينت
فلا يحتمل أن يجعل لنفسه بدل والأصل في ذلك أن دار الحرب هي دار الحرب وفي الحرب
سفك الدماء وإتلاف الأموال فلا يقع بها إحراز الدماء والأموال فلذلك لم يجب فيها البدل
وليس كذا دار الإسلام لأنها دار السلم والأمن حيث جعلت تحرز بها الدماء والأموال على ما كان النفس
الأعزاء إذا دخلت بالميثاق أيضًا استوجبت حق الإعزاز ولزموا البدل وإن كانوا من قوم
عدو لنا إذ هي لتلك الدار ديارهم وإحرازهم ولا يشبه الذي أسلم ولم يخرج الذي خرج من هذه
الدار دخل لما كان يخرج بأمان ومن الأمان لزوم حفظ الأمر الأول وليس في الأول ذلك
على أن أحد الأمرين في ابتداء الإيجاب والآخر في البقاء على ما وجب ومعلوم تفاضل هذين في
الأصول واختلاف الأمر بينهما وقد كان في ابتداء نقض ما يستوجب بالدين لترك الهجرة كقوله
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقد نسخت تلك الهجرة ثم نسخ
المصير إلى دار الإسلام وإن نسخت إلى المدينة فلم يكن لنا من ولايتهم من شيء وإنما حق بذل الأنفس
لمن نفى عنه من الأولياء والأهل وقد نفى ذلك فلذلك لم يجب وعلى هذا يخرج قولنا فيه لو قتل
عمدًا أن لا يجب القصاص ولا الدية لأن الله تعالى قال فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد نفينا
حق الولاية لذلك بطل السلطان وفي بطلانه بطلان البدل ويجوز منعه فيما الحق الذي
بينه وبين الله لثبات تلك الحرمة ووجه آخر في تأويل قوله من قوم عدو لكم أي في قوم عدو
لكم أي في قوم مظهرين العداوة ودليل ذلك أنه وإن خرج إلى هذه الدار فهم قومه لكنه ليس

في

يرجع إلى المؤمن آمن وهو بعد فيهم أن لا شيء فإذا خرج إن عاد والإثم له حكم بأن له لم ينتقص به
حق الآية فيجب فيه الذي يجب على حسب الدليل الموجب والله أعلم قوله وإن كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال
بعضهم ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا وبينهم ميثاق فاحتج بعض أصحابنا بهذه الآية
في إيجاب الدية في قتل المعاهد دية مسلمة وهي مثل دية المسلم لأن الله قال فيهما جميعًا فدية
مسلمة فهما سواء وقد روي ذلك عن ابن عباس والآية تحتمل غير هذا لأن الله تعالى قال في أول
الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ إلى قوله فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فيحتمل أن يكون معناه وإن كان المقتول المؤمن من قوم
بينكم وبينهم ميثاق فاكتفى بذكر الإيمان في القتيلين الأولين عن إعادة ذكر الإيمان في القتيل
الثالث ولم يكتف بذكر الإيمان في القتيل الأول عن إعادته في الثاني لأنه لو قال وما كان لمؤمن أن
يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ولم يزد على هذا لكان يوجب
الدية في قتل كل مؤمن فذكر الإيمان في الثاني للتفريق بينهما وأما ذكر الإيمان في الثاني أغنى عن
ذكره في الثالث لأنه لا تفرقة بينهما لذلك كان ما ذكرنا وعن الحسن وإن كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق قال مؤمن واستدل قوم من ذهب إلى أن المقتول مسلم بأن الله تعالى قال فتحرير رقبة
مؤمنة ولا تجب الكفارة على قاتل المعاهد إذا لم يكن ذمته الأدمي أن النبي صلى الله عليه وسلم
فدى قتيلي عمرو بن أمية وكان لهما عهد ولم يبلغنا أنه أمر بالكفارة فيقال له إن الكفارة واجبة
على قاتل المعاهد المستأمن بظاهر الآية بقوله وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وقال
أيضًا ومما يدل أن المقتول معاهد أنه لو كان مسلمًا لم يجب لأهله من المعاهدين الدية لأنهم
لا يرثونه وإنما يرثونه إذا كان معاهدًا وهذا يؤيد قول أصحابنا في وجوب كمال دية المسلم
على قاتل المعاهد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ودى ذميًا دية مسلم وحديث
عمرو بن أمية أنه كان ببعض الطريق أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان معهما
عهد من رسول الله لم يعلم به عمرو وقد علم أنهما من بني عامر فلما ناما عدا عليهما فقتلهما
وهو يرى أنه أصاب منهما ثأره من بني عامر فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لقد قتلت قتيلين لأدينهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن
الدية كانت تامة وإن لم تسم لأن العرب كانت لا ترضى أن تنتقص ديتها عن ديات
المسلمين وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل دية العامريين دية الحرين المسلمين
وعن ابن مسعود قال دية أهل الكتاب مثل دية المسلم فإن قيل روي عن عمر قال دية اليهودي
والنصراني أربعة آلاف ودية المجوسي ثمانمائة درهم وعن عثمان مثله قيل له
يحتمل هذا ما روي عن عمر أنه قوم الإبل فبلغت قيمتها أربعة آلاف درهم ثم قومها ثانيا فبلغت
ستة آلاف إلى أن بلغت عشرة آلاف أو ما ذكر فيحتمل أنه لما قومها فبلغت أربعة آلاف كان
ذلك في دية يهودي أو نصراني فظن الراوي أنه إنما أوجب أربعة آلاف لأنه دية النصراني
أو اليهودي وقد روي على ذلك ما روي عن عمر وعثمان بعشرة آلاف وروي أن أبا بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم قالوا دية المعاهد دية الحر المسلم فهذا يوهن قولهما الأول أو
يحتمل أن يكون على الاصطلاح فإن قيل روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال دية الكافر نصف دية المسلم قيل إن كلا الفريقين قد تركوا العمل بهذا

الخبر لان من يقول بأربعة الاف لم يأخذ به لان اربعة الاف ثلث دية المسلم على قوله لان دية المسلم
اثنا عشر الفا عنده ومن يقول بعشرة الاف لم يأخذ به فقد اجمعوا على ترك العمل به وذلك لما
لم يثبت عندهم والله اعلم مع ما وصفنا في ايجاب قتل المسلم بالكافر ما يدل على ان ذلك واجب
فاذا اوجب قتل المسلم بالذمي وجب ان تكون ديتهما سواء الا ترى ان الكفارة على قاتلهما سواء وقوله
ايضا وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اختلف فيه وقيل هذا الحرف من وجهين احدهما ان الاية
في المؤمنين خاصة لانهم على اقسام ثلاثة احدها على الشهود على الايمان والاخر على اصحاب الايمان
في دار الحرب من اهل الحرب والثالث على احد اهل الايمان من اهل الميثاق في دار العهد والاخر من
وجه الاية بيان جميع ما يجب في نفسه حقا ان قتل خطأ من مؤمن قد احرز دمه بالايمان او بالايمان
والدار او بالعهد وفي ذلك انما قطع الحق عن كثير ممن يحق عن قتله اذ لم تتضمنهم هذه الاية من نحو
نساء اهل الحرب والذراري فلم تجب الدية بما لم تحرزه ما دهم بدار الحرب ولم تجب الكفارة بارتفاع
الميثاق وان كنا لا نقتلهم فان كان تاويل الاية هذه فكان في الاية ايضا على تخصيص القتيل المؤمن
من اهل الحرب ان لا دية فيه وعليها كان نصر الاجماع ان الله لو اراد الجمع من القتيل لكان يخرج الامر على
الابلاغ على ما في الكفارة وفيها من صفة الايمان او على الاعجاز والتدريج فيها بالمعنى فلم يذكر في قتيل
واحد كان فلما ذكر في قتيلين ولم يذكر في الواحد دل انه على التفريق وايد ذلك امر الصيام انه
ذكر مرة والحكم به باق على الكل وكذلك حق الدية مع ما بين الذي هو منه وان كان تاويل
الاية الاولى فاوجب في المعاهد بالمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى في عامريين
وكانا معاهدين قتلا بدية حرين مسلمين وفي ذلك بيان ان الدية لم تكن وجبت بالتي عن القتل
اذ هو في الذراري والنساء قائم ولم يجب لكونها بالعهد فاذا كان على الاتفاق في الدين والنهي
فرق بينهما بالعهد فيلي ذلك امر المسلمين على الاتفاق في الدين والتي يفرق بينهما عكان العهد الاخر
والتاويل الثاني شرط الايمان في قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فلولا ان الذكر يقتضي
القتيل من العدو لم يكن يحتاج الى ذكر المؤمن وقد سبق بيان المقصود في ابتداء الاية في النهي
والتشبيه جميعا فاذا لم يذكر في اهل الميثاق فصار مقترنا على ما يتضمنه وايد ذلك الذي هو وصفه
ان ذكر النوعين يدل على التفريق اذ ليس على حق الاقتصار بالمعنى ولا على حق الابلاغ في البيان وجميع
الكل يخرج على ذلك ان النوعين في حق الحكمة لذلك صار الى حق التفريق ثم ان الظاهر قد يقتضي الخطاب
بامرين احدهما في حق هتك الحرمة والاخر في حق المؤمن من غير تفريق في وزن الملفوظ وكان البيان
للواجد وهي دية المؤمن فيصير كان البيان في الاية ومعلوم انه لو كان لكان يأخذ الكل الا ان يجيء
التفريق على ما ذكر من امر الصيام وحق التوبة وان ذكر الاحاد في حق بيان ما يتضمن كذلك في الكل الدية
على حق واحد معا استوى امر الكفارة فيهما لم يخل البيان التام او بيان الكفاية فيلي ذلك الاول
وايد ذلك وجهان احدهما ان الدية بمثلها كانت في الجاهلية فاقرت على ذلك في الاسلام وكذلك
حق القسامة وكانت كذلك في اهل الكفر عند الامان فيلي ذلك اليوم او يلزم الذي غرب حتى يظهر
ولكن الله اعلم لم يخرج في الامر ابيانه لانه كان على معروف وايد ذلك جميع الامور المنقسمة
من نحو الحدود بين العبيد والاحرار في التفريق والديات بين الذكور والاناث انه يجب ذلك
الانقسام في اهل الكفر فيلي ذلك حق الجملة والنصف والثاني خبر ابن عباس في العامريين وعلى
ذلك جاء عن عمر وعلي بما روي عن عمر انه في الوقت الذي بلغت قيمة الابل اربعة الاف وسنذكر
ذلك ثم الاصل ان البدل حق التلف والاسلام والكفر امران يرجعان الى الدين والمذاهب لا الى

لا يكون الزيادة والنقصان من الابدال لا نفسهم لانه لا يصير جعلت الدية لكن بالشرع فهو يعرف
التفريق والجمع فالدية تثبت للتفريق والمعنى في كل نفس من المنافع وانما هي في غيرها لا من الجمع حتى
يجيء على التفريق والاصل ان البدل امر يرجع الى منافع تقع للمجني عليه مكان ما ذهب منه او
لغيره فيما يدخل عليهم من النقصان بفوت نفسه ثم كل امر يحصل للمنافع فا لنظر فيها الى قدر المنافع
عند اهلها واهل الذمة احق بالزيادة لتعجيل المنفعة لهم في الدنيا اذ لا حظ لهم في الاخرة وقد
زعم الشافعي ان العبد لو بيع على انه كافر فوجده مسلما انه عيب يرده فيصير الاسلام عيبا
في قيمته فلا يجوز ان يكون الحر منهم اقل قيمة من الحر منا وهو محل الدين على ما ذكرت لقد اذا كان
القول به منه شنيعا لا يجوز ان يحتج به لنفوه في موضع التنبيه وقوله يلزمه كقوله فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فحاجهم بالذي عندهم فيلي ذلك يحاج بالذي عنده ولا قوة الا بالله
وقد حاج بنفي الالهية عما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وان كان وجوده ما استحق لا يوجب القول
به ثم القتل على اقسام ثلاثة عمد وهو ينقسم قسمين احدهما ان يتعمد نفس القتيل والثاني
ان يتعمد دينه فيقتل لاجل دينه وخطأ وهو ايضا على قسمين احدهما ان يقع باحد الجنابة عن غير
قصد والثاني ان يقع له على قصد ولكن على ظن لزوم الدين قد استوجب القتل به وبين الخطأ
والعمد قتل اخر يسمى خطأ العمد او شبه العمد ما لم يبين حكمه في منصوص القرآن ولا هو مما لا يحتمل
معرفة حقيقته بالعيان لانه ليس في العين جناية تقع من حيث الوقوع الاعمد او خطأ فصار ذلك
معروفا وحكمه بالشرع ولعله ان يشرع في حقيقة الخطأ والعمد شرعا واحدا على ما عليه امر شرعه
في جميع الامور وقد جاء الخبر فيه والاتفاق للصحابة على ايجاب الدية في ذلك وليس في ذلك ذكر
الكفارة فلما ثبت العاقلة ما الذي هو خطأ في الحكم فيقيس عليه امر الكفارة مع ما كان لذلك اوجه
تفرد احدها انه لم يقرن ما هو لنفسه كفارة وهو القصاص وقد رفع ذلك في شبه العمد والدية
تلزم العاقلة فلا بد من وضع كفارة في ذلك كالذي ذكر في الخطأ فيه والثاني انه ذكر في الكفارة توبة
من الله والتوبة من الله تخرج على اوجه ثلاثة على التوفيق لفعله او على التجاوز لما كان من الزلة او
على جعل ذلك الفعل منه توبة عن زلته واي هذه الوجوه الثلاثة كان ففي ذلك معنى حق وصف
التوبة فيكون في ذلك بما قد يتوجه الى عمد يلحق وصفا لزلة او امر يجوز الكلفة به فيقع العدول
عنه اذ قال ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم فان جعل في التوبة لنوع
وجه فيه جناح فيدخل في ذلك قتل فيه جناح ويكون له حكم الخطأ ببينة الخبر والثالث اتفاق اهل
الفتوى على القول به وايضا ان الذي يقع الخطأ فيه لدينه فقد تعمد قتله واوجبت عليه
الكفارة فقد وجدت كفارة مع تعمد فيما لا بدل لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب فيه البدل فهو
لوجوب الكفارة احق واما العمد الذي فيه القصاص ومنه اوجه ثلاثة احدها ان الله تعالى
بين ما فيه من الحق على نحو ما بين في الخطأ وانما يجب طلب العلم بالحكم فيما لم يبين بنصوص من النوازل
التي يعلم ان الله تعالى فيها حكما اذ لم ينص عليه فقد جعله مبينا بالتضمن لا بالتصريح فاذا بين سقطت
الحاجة وبطل الاجتهاد والتعرف به وعلى مثل ذلك يجاب لقتل الصيد عمدا ان الحكم فيه لم يبين بالنص
فهو متروك للتضمين والثاني ان الكفارة في حق الزجر عنه والتكفير لفعله وفي التسيف ذلك والزيادة
فيه فلذلك لم يضر الله غيره ثم معلوم ان الكفارة انما جعلت بجامعة الابتلاء حتى يصوم شهرين
وفيما فيه القصاص لا مهلة له يستوجب به بقاء النفس ليقوم بالكفارة فلذلك لم تجب والثالث
الاتفاق ان الذي يعيش لا يلزمه الكفارة لمن وجب له حكم العمد ان يجب عليه الكفارة ولو اوجبنا

الكفارة على القاتل جعلناها حقا لله من حيث النفس لا من حيث حق الجناية له يجب وذلك
المعنى في نفس القاتل والقتيل سواء فيكون ذلك في القتيل أخذا الذي لم يقع القصاص والذي ليس
له القصاص لكن لما الكفارة فتلزمه فإذا لم يجب بأن إنما تجب لحال في النفس والجناية فلم تجب
فيما عدا تلك الحالة والأصل أنها لم تجعل للحظر ولا لتنبيل الحرمة إذ قد يوجد قتل نفس
محظورة ولم تجعل فيها الكفارة نحو الذراري والنساء من أهل الشرك بل لو كان ذلك كان الخطأ
من العبد ما يجعل له الكفارة ثبتت أنها لم تجعل لذلك ومن نفس تعيين ذلك تبطل والله أعلم
وقوله فتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم لا يجزي إلا من صام وصلى وعن ابن عباس
قال الرقبة المؤمنة كل مولود ولد في الإسلام صغيرا كان أو كبيرا والأشبه أن يجزي مثل الصغير
من المسلمين لأنهم أجمعوا أن على قاتل الصغير من المؤمنين مثل ما كان على قاتل الكبير منهم فيجب
أن يجزي الصغير من المؤمنين على ما يجزي عنه الكبير منهم إذ كان حكم الصغير من المؤمنين حكم
الكبير منهم ومما يدل على ذلك أيضا أن حكم الصغير من المؤمنين في ميراثه وتزويجه وطلاق الرجل
الزوجة الصغيرة حكم الكبير فهم مؤمنون في الحكم وإن كانوا صغارا ولكن لسنا نذكر من
أصحابنا رواية منصوصة في جوازه والقياس ما ذكرنا والله أعلم وقوله فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين وصف الله تعالى الشهرين بالتتابع ووصف الرقبة بالإيمان فهو والله أعلم
يحتمل أن يكون على التغليظ والتشديد لما يجوز أن يجاوز جرم حكم الخطأ جرم غيره من الأشياء
نحو أن يقتله سيفا أو سوطا ونحوه قاصدا له ولا شك أن جرمه أعظم من جرم غيره من الأفعال
التي توجب الكفارة من الأيمان والظهار وغيره فغلظ فيه ما لم يغلظ في غيره بالإيمان في الرقبة
والتتابع في الصيام وهذا كما يقولون أن ضرب التعزير أشد من ضرب حد الزنا وحد شرب الخمر
وغيره لأن جرم فعل التعزير ربما يبلغ جرم الزنا أو يجاوز ومنها أن يخنق آخر مرة أو مرتين
لا شك أن حرمته أعظم من حرمة من قذف آخر أو شرب قطرة من خمر فغلظ فيه وشدد لما ذكرنا
فعلى ذلك شرط الإيمان في العتاق في كفارة القتل والتتابع في الصوم تغليظا وتشديدا والمعنى
الذي ذكرنا أو سوى أن يقتله قتل شبه العمد أيضا عمدا القصد خطأ الحكم ألا يرى أنه غلظ في الدية في
شبه العمد ولم يغلظ في غيره وروي في خبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قتيل السوط
والعصا فيه الدية مغلظة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله كل شيء خطأ إلا السيف
والحديد ولكل خطأ أرش ذكر الله تعالى قتل الخطأ والعمد فبين حكمهما ولم يذكر غيرهما في كتابه
لكنا عرفنا قتل شبه العمد والحكم فيه بما روينا من خبر ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحديث النعمان عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال ألا إن قتيل خطأ العمد قتيل السوط
والعصا ففيه الدية مغلظة ثلاثون جذعة وثلاثون حقة وأربعون ما بين ثنية إلى بازل
عامها كلها خلفة واختلف الصحابة رضي الله عنهم روي عن عمر ما ذكرنا من الخبر المرفوع أثلاثا وعن
علي قريبا منه أثلاثا وعن أبي موسى الأشعري والمغيرة ما روينا من الخبر المرفوع أثلاثا وعن
ابن مسعود في شبه العمد أرباعا خمسة وعشرين حقة وخمسة وعشرين جذعة وخمسة وعشرين
بنات لبون وخمسة وعشرين بنات مخاض ثم لا يحتمل أن تكون الصحابة قالوا ذلك رأيا من
أنفسهم لأن هذا باب ما لا يوقف إلا بالسمع والخبر من الله تعالى فيجعل كأنهم جميعا سمعوا ذلك
من رسول الله ثم لا يحتمل أن يكونوا سمعوا ذلك من رسول الله في وقت واحد فدل أنه في وقتين
مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر الأول منهما من الآخر فأوجبنا الأخف باليقين ولم يوجب

الأغلظ بالشك وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله حيث قال في شبه العمد إنها أرباع وأما محمد رحمه
الله فإنه ذهب إلى ظاهر الخبر المرفوع بالإثلاث ثم اختلف أصحابنا فيمن رمى آخر في بحر فغرق فمات
قال أبو حنيفة رحمه الله لا يقتل به وقال فيمن أحرق آخر بالنار يقتل به وكان يفرق بينهما في وجهين
أحدهما أن يقول الرامي في الماء حسبت أنه يحسن أن يسبح وذلك موجود في كثير من الناس فصار ذلك
شبهة يزول بها القصاص عن الرامي وأما الذي رمى صاحبه في النار ليس له أن يدعي بمثل تلك
الشبهة لذلك لم يزل عنه القصاص والثاني أن النار جارحة ألا يرى أنها تستعمل في موضع السلاح
ويحارب بها وهي من أشد السلاح وليس كذلك الماء لذلك افترقا ثم القول في مبلغ الدية من الإبل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ودى رجلا مائة من الإبل وروي أن الكتاب الذي كتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول في النفس مائة من الإبل وما روينا من خبر ابن عمر
قال خطب النبي عليه السلام فقال ألا إن قتيل خطأ العمد فيه الدية مغلظة مائة من الإبل
ثم القول في أسنان الإبل في الدية ما روي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دية
الخطأ أخماس وكذلك روي عن عبد الله بالأخماس وعن عمر كذلك وعن علي بن أبي طالب في الخطأ
أرباعا وكان أبو حنيفة يذهب إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى ما روي عن عمر وعبد الله
وجعل دية الخطأ أخماسا من الإبل وفي شبه العمد أرباعا لما ذكرنا ومحمد يذهب إلى ما روي عن علي
بالأرباع في الخطأ وفي شبه العمد بالإثلاث بالخبر المرفوع والوجه فيه ما ذكرنا ثم المسألة في
مبلغ الدية من الورق روي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدية اثني
عشر ألفا وعن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفا وروي عن عبيدة
السلماني قال وضع عمر بن الخطاب الديات فوضع على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق
عشرة آلاف درهم وعلى أهل الإبل مائة من الإبل وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي
شاة وعلى أهل الحلل مائتي حلة ثم روي عن عمر أنه قال قوموا الإبل فقوموها أوقية ثم غلت الإبل
فقال قوموا فقومت أوقية ونصفا ثم غلت حتى قومت عشرة آلاف درهم فلو علم عمر أن النبي
عليه السلام قضى بالدراهم لم يحتج إلى أن يقوم الإبل ومحال أن يخفى على عمر وغيره من الصحابة
سنة النبي حتى يضطروا إلى تقويم الإبل فدل أن الخبر في اثني عشر غير ثابت ثم الاختلاف أن الدية
من الدنانير ألف [illegible] فوجب أن تكون الدية من الورق عشرة آلاف لأنه روي عن عمر رضي الله عنه
أنه جعل قيمة كل دينار عشرة وروي أنه كتب إلى أمراء الأجناد أن تؤخذ الجزية من أهل الورق أربعون
درهما ومن أهل الذهب أربعة دنانير وعن علي رضي الله عنه أنه قال لا تقطع اليد إلا في دينار
أو عشرة دراهم دل ما ذكرنا من قول الصحابة أن قيمة كل دينار عشرة دراهم فلما أجمعوا أن
الدية من الذهب ألف دينار وجب أن يكون من الورق عشرة آلاف ألا يرى أن يؤخذ في الزكاة
من مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين دينارا نصف دينار دل على أن الدية عشرة آلاف
ثم يحتمل الخبر إن ثبت أن الدية اثني عشر ألفا وزن ستة لأن الدية كان أصلها الإبل فقومت
الإبل دراهم فبلغت اثني عشر ألفا من وزن ستة ثم ردت الأوزان إلى وزن سبعة فكانت
اثني عشر ألفا بكسر وزن سبعة عشرة آلاف لأن اليسير لا يعرف منصوصا وإنما يعرف بالاجتهاد
وقد تزداد وتنتقص ويكون بين القيمتين الشيء اليسير فتركوا ذلك الكسر لما وصفنا ولأنه لم يكن
في الدية في أصلها كسر وهذا أوجه محمل فأخذ أصحابنا بآخر التقدير لأن الأوزان استقرت على
وزن سبعة وبطل وزن ستة ولا شك أن وزن سبعة هي الآخرة لاستقرارها في الناس على ذلك

والله التوفيق وقوله لمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قد ذكرنا معنى التتابع في ذلك وفي قوله
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين عند الجميع من جميع من ذكر من القائلين في هذه الآية ثم قوله
توبة من الله قال بعض أهل العلم بذلك ندامة من الله وقد يندم الرجل على فعل فعله خطأ لكن عندنا
على حقيقة التوبة لأن الفعل فعل ما أثم وإن كان خطأ ولأنه يجوز أن يكلف الإنسان ونهي في
كان الخطأ لما لا يتأمل في ذلك ولا ينظر فيلا يترك التأمل في ذلك وإن لم ينظر فتكون التوبة على
الحقيقة لما ذكرنا وفي قوله أيضا توبة من الله تدبيرا لوجه في ذلك وقال بعض أهل التأويل
التوبة في الحقيقة الندامة على الأمر وكل من يتولد من فعله قتل أحد فهو يندم على ذلك الفعل
الذي حدث منه الذي ذكره يحزن عليه فيكون على هذا التفسير معنى التوبة من الله لقاء ذلك
الحزن في قلبه أو رجوعه بالتشفع إلى الله بالإعتاق أو الصيام والله أعلم وقوله وكان الله
عليما حكيما لمن قتل خطأ ولم يقصد من تعمده أو عليما بما حكم من الدية والكفارة أو عليما بأجل
الحكم حكيما في قضائه وحكمه حيث وضع كل شيء موضعه والله أعلم به وقوله وكان الله عليما
حكيما يخرج ذلك عند ذكر هذه الآية وشبه ذلك بذاته على أوجه أحدها أنه عليم بالذي عليه
خرج حقيقة فعل ذلك القاتل من القصد وغير القصد وهو حكيم بما حكم عليا الذي ذكر بظاهر
أحوال القتيل وإن لم يعرف حقيقة الأمر في ذلك إذ الذي له حكم العمد والخطأ لا يظهر لغيره والثاني
وكان الله لم يزل عليما بالذي يكون من عباده وبالذي به المصالح بينهم محكمة بما فيه المصالح فما علم
من وقوع الجنايات والثالث يبين أنه لا عن جهل يقع الخلاف لأمره ولما يرضى به من خلقه ولا
عن خطأ في التدبير إذ علم بالذي يكون من الخلق لا عن جهل بهم خرج أمره وهو حكيم في التدبير إذ
لا يلحقه الخطأ في تدبيره الخلائق على ما يكون منهم من الفساد والشر إذ يحتمله من غيره يلي الخطأ
والجهل لما في ذلك ممن يقع به والله يتعالى عن هذا وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها الآية قيل في بعض القصة أن رجلا قتل أخا عمدا فلما علم أنه يقتل به ارتد عن الإسلام
ولحق بدار الحرب فنزل الوعيد له وهذا والله أعلم كقوله والذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
كافرون كانوا يمنعون الزكاة لما كان عندهم أن الزكاة تنقص المال وتمحق وبما ذا شاء كقوله لم
نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى كونوا الصلاة
والزكاة لما يلحقهم بذلك مؤن واشتغال فتشغلهم ذلك كله عما تهوى أنفسهم فأكلوا ولذا لأنهم لو أن
صلوا وأدوا الزكاة يكون ذلك صلاة وزكاة إذ كانوا يكذبون بيوم الدين فيلي ذلك قاتل النفس
عمدا إذا علم أنه مقتول به ترك دينه فصار من أهل النار خالدا مخلدا أبدا ويحتمل قوله ومن يقتل
مؤمنا متعمدا لدينه يقتله عمدا غير غالط فيه ولا جاهل بل عالم بذلك وإنما قتله لدينه قاصد
ومن كان هذه صفته فقد كفر ووجب له هذا الوعيد الذي ذكره في كتابه إلا أن يجدد إيمانا
فإن الله يقبل إيمانه وتوبته وإن شاء يكون ذلك جزاؤه ولله الإفضال عليه بالعفو والتجاوز
إذ ذلك جزاؤه إذا لم يكن له حسنات تقابل به فأما إذا كانت له حسنات يقابل به فيبدل
الله بفضله سيئاته حسنات كقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ثم الخلود قيل إذا لا
حين قتل مسلما لدينه قاصدا لنفسه ودينه وقوله قوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى وإنما كتب عليهم إذا كان القتل قتل عمد وأبقى لهم بعد القتل اسم الإيمان ثم قال
فمن عفي له من أخيه شيء فأبقى لهم اسم الأخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة والرحمة في
رحمته حل وعز وبعيد أن يكون له مع هذا خلود في النار فدلت الآية على بقاء اسم الإيمان وفي

رجاء الرحمة وحاشا أن يتصف لقول المعتزلة خلود أصحاب الكبيرة في النار ولأنه قال
فجزاؤه جهنم خالدا فيها ولم يقل يجزيه وله أن يتفضل بالعفو عنه على ما وصفنا وبالله المعونة
والنجاة وروي عن ابن عباس في تأويل الآية ما يؤيد ما قلنا روي عنه أنه قال في قوله فجزاؤه
جهنم قال هي جزاؤه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروي عن أبي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل
الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إني قتلت تسعة وتسعين نفسا بغير حق فهل لي من توبة فقال
لا فقتله ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل فأتاه فقال إني قتلت مائة نفس بغير حق فهل لي
من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناسا يعبدون الله
فاعبده معهم فانطلق حتى إذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فأتاهم ملك فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين أيهما كان أدنى وأقرب فهو له
فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة ألا يرى أنه لما كان كافرا فقتل
مائة نفس فقبلت توبته ولو كان مسلما كانت مظالم المقتولين في عنقه باقية فهذا الحديث يدل
والله أعلم على أن التأويل ما ذكرنا وبالله التوفيق وقوله يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل
الله فتبينوا الآية قيل أن رسول الله بعث سرية إلى دار الحرب فتصعدوا سرية رسول الله
تريدهم فهربوا إذا قام رجل لإسلامه فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من العدو من حرب رسول الله
فالجأ غنيمة إلى ثم قام دونها فسمع التكبير فنشط إليهم وهو يقول لا إله إلا الله فأتاه
رجل منهم فقتله واستاق غنمه وما معه ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه الخبر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه إذا دونما معه وهو يقول لا إله إلا الله فقالوا إنه قال متعوذا
فقال هلا شققتم عن قلبه وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فلقيهم رجل
فسلم عليهم وحياهم بتحية الإسلام فحمل عليه رجل من السرية فقتله فلامه أصحابه وقالوا أتيت
رجلا حيانا بتحية السلام فلما قدموا على رسول الله عليه السلام أخبروه بالذي صنع فقال رسول
الله أقتلته بعد ما قال إني مسلم قال إنما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه فنعلم ذلك
فنزل قوله يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست
مؤمنا فلا ندري كيف ما كانت القصة وذكر فيه الأمر بالتثبت عند الشبهة والنهي عن الإقدام
عندها وهكذا الواجب على المؤمن بالوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر لأن الله أمر
بالتثبت في الأفعال بقوله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا وقال في الخبر
إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أمر بالتثبت في الأخبار عند الشبهة كما أمر في الأفعال لتبينه
ولا تقف ما ليس لك به علم وفي الآية دليل فساد قول المعتزلة لأنه لما هم أن يقولوا إني مؤمن
لست مؤمنا وهم يقولون صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وهو يقولها لمن هو على القتل إني مسلم فإذا
نهي أن يقولوا ليس بمؤمن أمرهم أن يقولوا هو مؤمن فيقال لهم أنتم أعلم أم الله على ما قيل ولا يكون
وقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا قيل الغنيمة فعند الله مغانم كثيرة هذا يحتمل وجهين يحتمل
قوله فعند الله مغانم كثيرة أي أجر عظيم وجزاء كبير ويحتمل فعند الله مغانم كثيرة يعطيها لكم
في غير هذا كقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الآية وقوله كذلك كنتم من قبل فمن الله
عليكم اختلف فيه قيل كذلك كنتم من قبل ضلالا كفارا فمن الله عليكم بالإسلام والهجرة وهداكم

به وقيل كذلك كنتم من قبل تستخفون بايمانكم في المشركين وتكتمونه فمن الله عليكم باظهار الاسلام وابتدا آيه
وكذلك كنتم من قبل تامنون في قومكم من المومنين بلا اله الا الله ولا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم
بالهجرة وعن ابن عباس قال كذلك كنتم من قبل كفارا فمنا تلوه على الدنيا وعرضها **قوله** فتبينوا اعاد
الى الاول واكد لتثبت عند الشبهة الا ترى انه روي في الجنيانه قولي المومن وقاف وذان وقاف
يثبت عند الشبهة وذان يرد الاعمال فيها ان افضلها **قوله** لا يستوي القاعدون من المومنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم قال الحسن كان هذا في الوقت الذي
كان الجهاد تطوعا لانه لو كان فرضا لكان لا معنى لقوله لا يستوي كذا من كان احدهما غير مستوى بل احدهما
فرض عليه والاخر لا قيل لهذا الذي ذكرت لا يدل على ان الجهاد ليس بفرض في ذلك الوقت الا ترى
انه قال افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فجمع بين متضادين ثم قال لا يستوي فعلى
ذلك ومن اوفى **قوله** غير اولي الضرر استثنى اهل الضرر جملة في هذه الاية وبين امرهم وما
اراد منهم من فرض الجهاد في اية اخرى وهو قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وهذا اجمع عليه اهل العلم وانا لو الا الحرج
ممن كان في مثل حال هولاء الذين وصفهم انتقد عذرهم في تخلفهم عن الجهاد وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال لما ذكر الله فضيلة المجاهدين على القاعدين وخيرهم في الجهاد بقوله لا يستوي القاعدون من
المومنين الاية اتاه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله ذكر الله فضيلة المجاهدين على
القاعدين وحالنا ما ترى ونحن نشتهي الجهاد فهل من رخصة فنزلت غير اولي الضرر فجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين
لزمانتهم فعلى ذلك اكثر اهل التفسير وقال الكلبي في الضرر مصدر الضرير والمضرور وهو الضرير
الاعمى فيا ... بصره فهو ضرير ومضرور اذا عمي **قوله** وكلا وعد الله الحسنى القاعد والمجاهد
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما قيل هذا الفضل للمجاهد على القاعد الذي تعذر
لا لعذر ولانه جعل فضيلته عليه بدرجة وفي الثاني جعل فضيلته عليه بدرجات لكن قوله درجة
ودرجات عندنا واحد الا ترى انه قال وللرجال عليهن درجة ليس هو في واحد ولكنه اشياء
والذي قعد لعذر يستوي في الاجر مع الذي خرج اذا كان يتمنى ان يخرج ان قدر لانه لو لم يكن
كذلك لكان لا معنى للاستثناء وفي الاية دلالة ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط عن الباقين بقيام
بعضهم وان كان الخطاب يعمهم في ذلك وهو قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفرض الخروج لطلب العلم فرض كفاية اذا خرج بعضهم لطلبه
سقط عن الباقين ذلك فعلى ذلك فرض الجهاد وان كان ذلك خلاف ما عاتب الله تعالى عليه
الثلاثة الذين خلفوا في سورة براءة لانا ولئك تخلفوا عن رسول الله وقد قال الله تعالى ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
فانما عاتبوا ولئك لتخلفهم عن رسول الله **قوله** ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم عن
ابن عباس قال نزلت الاية في قوم من المنافقين خرجوا مع المشركين الى بدر فلما التقى المسلمون
والمشركون ابصروا قلة المسلمين وهم مع المشركين على المومنين فقال غر هولاء دينهم واظهروا
النفاق فقتلوا او عامتهم ضربت الملائكة وجوههم وادبارهم فقالت لهم الملائكة فيم كنتم
قالوا كنا مستضعفين في الارض وقيل انما نزلت في نفر اسلموا بمكة مع النبي عليه السلام ثم

اقاموا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين الى القتال فلما راوا قلة المومنين شكوا في النبي فقالوا
غر هولاء دينهم فقتلوا فقالت الملائكة فيم كنتم قالوا كذا وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم
يهاجروا وكانت الهجرة يومئذ مفروضة فكفروا بترك الهجرة وهو كقوله والذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فلا ندري كيف كان سبب القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة
بعد ان نعرف ما اصابهم ما ذا اصابهم **قوله** قالوا فيم كنتم قالوا كنا هذا يتوجه وجوها احدها
مع من كنتم مع محمد كنتم واصحابه او مع اعدائهم والثاني فيم كنتم اي في دين من كنتم في دين محمد او في
دين اعدائه والثالث قالوا يعني يقولون اي يقولون لهم في الاخرة فيم كنتم قالوا كنا كذا وقولهم
كنا مستضعفين في الارض هذا ليس جوابا لقوله فيم كنتم جوابه ان يقال كنا في كذا لكنهم على الاضمار
قالوا لهم ما الذي منعكم عن الخروج والهجرة الى محمد قالوا عند ذلك كنا مستضعفين في الارض
اعتذروا انا كانوا مستضعفين في الارض وظاهر هذا ان منعنا عن الخروج الى الهجرة او قال
المشركون بيننا وبين اظهار الاسلام فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني المدينة واسعة
امنة لكم من العدو وتخرجوا اليها فتقلبوا بين اظهرهم فقد اذا الله اعلم كانوا اعتذروا في التخلف
عن ذلك لما كانوا يتقلبون بين اظهر الكفرة ويتعيشون فيهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فقطعوا اعليهم ويحتمل وجها اخر وهو انهم ان منعوكم عن الاسلام ظاهرا ادخلوا ابنيكم وبين الجهال
الشتم تعتدون على اديان الاسلام بحيث لا يعلمون هم بذلك فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا
اخبر ان لا عذر لهم في ذلك وفي قوله فيم كنتم دلالة احياء الموتى في القبر والسوال لجنه عما عملوا
في الدنيا والله اعلم **قوله** الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الاية بين الله اهل
العذر في ذلك حيث قال لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال ابن عباس كنت انا وامي
من المستضعفين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى من الله واجب كانه يقول فاولئك يعفو الله عنهم
قوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قيل المراغم المذهب والملجا
وسعة في الرزق اي يجد في الارض وفي غير الارض التي هو بها ما ذكر وقيل المراغم المتزحزح اي
يجد متزحزحا عما يكره ورخاء وعن ابن عباس قال المراغم التحول من ارض الى ارض والسعة في الرزق
وقيل من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى وقيل المراغم المهرب وقيل لما نزلت هذه
الاية سمعها رجل وهو شيخ كبير وقيل انه مريض فقال والله ما انا ممن استثنى الله واني لاجد
حيلة والله لا ابيت الليلة بمكة فخرجوا به يحملونه حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت بها
فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك
فما نزل فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
اي وجب اجره وقيل انه لما سمع الرجل ان الملائكة ضربت وجوه اولئك وادبارهم وتعدا دنت
الموت فقال اخرجوني فاحتمل بينه وبين النبي فلما انتهى الى عقبة توفي بها فانزل الله هذه الاية
والله اعلم بذلك وفي قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان دلالة ان اسلام
الولدان اذا عقلوا اسلامهم اسلام وكفرهم كفر لانه عز وجل استثناهم وعذرهم في ترك
الهجرة فلو لم يكن اسلامهم اسلاما ولا كفرهم كفرا لكان دخولهم هنالك وخروجهم منها سواء ولا
معنى للاستثناء في ذلك اذ لم يكن عليهم خروج والله اعلم **قوله** واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم الاية اباح الله القصر من الصلاة اذا ضرب في الارض
اذا خاف ان يفتنه الكفار ولم يبين القصر فيما اذا يحتمل القصر في الركعات على ما قال

اصحابنا ان يحمل التقصير في الركوع والسجود والقيام بالايماء كقوله فان خفتم فرجالا او ركبانا
وحق للخائف الصلاة بالايماء ويحمل القصر في الاعداد على ذلك ايضا مباح عند الخوف ثم تاول
قوم ان الصلاة كانت ركعتين فزيدت في صلاة الحضر واقرت في صلاة السفر وخص في القصر من
ركعتي السفر في حال الخوف وقالوا صلاة الخوف ركعة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال
فرض الله تعالى صلاة الحضر اربعا وصلاة السفر ركعتين وصلاة الخوف ركعة على لسان نبيكم
وكذلك روي عن جابر بن عبد الله قال صلاة الخوف ركعة ركعة وقال اخرون انما يحتمل الذي
قصر الصلاة من اربع اذا كان الخوف فردها الى ركعتين رخصة وقالوا ثم ان رسول الله احتمل ان
الله تصدق علينا ان نقصر في حال الامن ثبت بالسنة ان التقصير بغير الخوف جائز كما اجازه الله
في حال الخوف والتقصير في قول هولاء ان يرد الاربع الى ركعتين والتقصير في قول الاولين ان يرد
الركعتان في حال الخوف الى ركعة وقال غيرهم القصر انما كان في حال الخوف كما قال الله تعالى فاما
الامن فان الناس اذا اتموا ركعتين فليس ذلك قصر وذلك تمام لقول عمر حيث قال صلاة السفر
ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وروي ان رجلا سال عمر عن قوله ليس عليكم جناح ان تقصروا
الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس اليوم فقال عمر عجبت مما عجبت
منه فسالت رسول الله فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل ان يكون قوله
صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر يريد به ان النبي لما قال صدقة تصدق الله بها عليكم صار
الفرض ركعتين وارتفع القصر وصارت الركعتان تماما غير قصر كما انهما الفرض بعد الصدقة
التي تصدق الله بها علينا فكل واحد من الخبرين موافق لصاحبه الخبر خبر عمر مع ما روي عن
ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة الى مكة لا يخاف الا الله يصلي
ركعتين وهذا يؤيد حديث عمر رضي الله عنه صدقة تصدق الله بها عليكم لان النبي عليه السلام
كان لا يصلي في امن اكثر من ركعتين مع شرط الله الخوف الا وقد رفع الله شرط الخوف عن الامن
وقال قوم ان التقصير في السفر والحضر هو الاتمام واحتجوا بقول الله تعالى فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاة فان رفع الحرج عن المقصر ولو كان التقصير حتما لكان قال وعليكم
جناح ان لا تقصروا من الصلاة لكن لا حرج ليس كما توهموا وذلك انا قد ذكرنا ان التقصير في القصر
انما هو في حال الخوف واما حال الامن فلا نص فيما يوجب القصر وانما كان القصر من الصلاة في حال
الامن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم وبتصيير في شرع
ومحال ان يتصدق الله بالركعتين علينا ولا نقبل فرضها فاقام نائب موضع الصدقة او لكان
الامر على ما ذكر وهذا عندنا خطير قول عمران صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم
لان الله اعلم جعل الصدقة من الله بذلك منزلة الفرض في الركعتين بعد الركعتين فبقيت الركعتان
تماما اذ كانتا فرضا للمسافر مع ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر اسفارا كثيرة
فلم يرو عنه احد انه اتم الصلاة في شيء من الاحوال في سفره وكل روي انه كان يصلي ركعتين
ركعتين فلو كانت الفريضة اربعا فالقصر رخصة لاتم في وقت وقصر في وقت اخر وكان
الافطار في السفر لما كان رخصة بغير حتم افطر النبي عليه السلام في اوقات وصام في اوقات
فدل ذلك ان فرض المسافر ركعتان غير قصر وروي عن ابن عمر قال صليت مع رسول الله بمنى
ركعتين ومع ابي بكر ركعتين ومع عمر ركعتين ومع عثمان صدرا من خلافته ثم صلى اربعا
فهي اربعا يحتمل ان يكون عزم على المقام وكذلك روي عن الزهري قال بلغني انه انما صلى

ان الزهري

اربعا لانه اذا اجمع ان يقيم بعد الحج وعن عمران ابن حصين قال حججت مع النبي عليه السلام فكان يصلي
ركعتين حتى يرجع الى المدينة واقام بمكة ثماني عشرة لا يصلي الا ركعتين وقال لاهل مكة صلوا اربعا
فانا قوم سفر وخالف بعض اهل العلم هذا الحديث لاتفقد يقولون اذا اقام ببلد في غير حرب اربعا
يتم بعد ذلك واذا لم يكن عزم على المقام بذلك البلد وروي عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال صلاة المسافر ركعتان حتى يؤوب الى اهله او يموت وروي عن ابي عمران سئل عن الصلاة في
في السفر قال ركعتان ركعتان من خالف السنة كفر واستدل قوم بقوله تعالى اذا ضربتم في الارض فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان القصر رخصة والفضل في اتمام الصلاة اذ لا جناح يستعمل
في موضع التخفيف لا في موضع الامر على نحو القضاء وبقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا
حرف لا يستعمل في موضع الامر والايجاب والله اعلم وسلم قوم ظاهر هذا المعنى في الاية ورد والي
التقصير الى قصر للخوف يلحق عند الضرب في الارض واذا كان على وجهين احدهما في بيان المراد في قوله
فان خفتم فرجالا او ركبانا انه ليس على تمام المعروف من الصلاة لكن على الغير على الحد الذي بينها في
الخوف من امر القبلة او ترك القيام من الركوع والسجود الى الايماء والسجود والله اعلم والثاني
في قوله واذا كنت فيهم الاية والثانية ركعة في احوال لهو لا نفراد عنه وهو احوال الشعور معلوم
ان ذلك في حق قصر الاقتداء فكانه قال لا جناح عليكم في الاقتداء به وان قصرتم في الاقتداء عن
تمام حقه من الجماعة وكذلك اصابته الكل الافضل فبين ان ارتفاع ذلك لا يمكنكم الاقتداء او لا يمكنكم
نصب امام اخر لتنوة واجمع الصلاة في الجماعة وايد الوجهين قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
الى قوله ود الذين كفروا لو تغفلون وصلاة السفر على ما عليه ليس للخوف وايد ذلك حال الناس
على عمر رضي الله عنه حين سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله
بها عليكم فاقبلوا صدقته بعين حكم حكم الله عليكم في ان لم يفرض عليكم في السفر غير ركعتين
وكذا اجمع المذكور عن الله من العفو فهو في الاسقاط وايد ذلك ما كان يقول عمر بعد ذلك صلاة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم فعلم ان ذلك ليس في حال قرآنه لكن في ابتداء الشرع
ذلك المروي بان الصلاة كانت في الاصل ركعتين فزيدت في الحضر واقرت في السفر والى هذين
التاويلين يتوجه قول اصحابنا وقد يحتمل الاية قصر الشعور قوله ليس عليكم جناح يرجع الى
وجهين احدهما الى ترك الركعتين والاتمام في السفر بعد الخروج وليس كما يرى الاعداد نحو الحيض
اذا ام يتم الله يلزم الاعادة المتروك والاثام وكذلك فانما صوم في السفر اذا ترك انه فيه
والثاني ليس عليكم جناح في السفر ان كان ذلك اختيارا منكم لترك صلاة الحضر وليس عليكم
ما على المقيم من الجناح لو لم يتم فارجع الجناح الى ذلك فيما لا من القصر وان خرج مخرج الخبر
او قد يكون خبرا في الخروج امرا في الحقيقة نحو قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الايات
وهو ذلك كقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما انه لما صار لا جناح واجبا الى ما كان ثم من
الاشياء او الفعل ثم حق لا امر يا لطواف وان كان في مخرج الخبر وصار من اللوازم دليل ذلك
الامر المتواتر في الاية والظاهر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسفار ولا يحتمل
ان يكون فضيلة يضيع عن الجميع والله اعلم وقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة
الاية اختلف اهل العلم في صلاة الخوف قال بعض اهل العلم يجعل الامام القوم طائفتين
يصلي بالطائفة ركعة وتقوم الطائفة الاخرى مصافة العدو ثم انصرفوا بعد ركعة فيقومون
ويصلون الركعة الثانية وحدانا ثم يسلمون ويقومون بازاء العدو وتخرج الطائفة

التي كانت مصاف العدو فيصلي بهم الامام الركعة الثانية ثم يسلم بهم الامام فيقومون ويقضون
الركعة الاولى وحدانا ويقولون لانه ليس في الاية اتيان الطائفة الاولى وعودها الى الامام
لذلك لا يفعل وقالوا ايضا بان القيام قبل الفراغ من الصلاة مصاف العدو اطمع واجرى من
القيام قبل الفراغ منها قبل ان القيام مصاف العدو وهو في الصلاة اطمع واجرى من القيام
في غير الصلاة واما اصحابنا فانهم ذهبوا الى ما روي من الاخبار روي عن ابن عمر قال صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة
العدو ثم انصرفوا فقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم النبي
ركعة ثم سلم النبي ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وعن عبد الله قال صلى بنا رسول الله صلاة
الخوف فقاموا صفين فقام صف خلفه وصف مستقبل العدو فصلى رسول الله عليه السلام
بالصف الذي يلونه ركعة ثم قاموا فذهبوا وقاموا مقام اولئك واستقبل هؤلاء العدو
وجاء اولئك فقاموا مقامهم فصلى بهم رسول الله ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم
ركعة ثم سلموا فذهبوا فقاموا مقام اولئك مستقبلين العدو وجاء اولئك الى مقامهم فصلوا
لانفسهم ركعة ركعة ثم سلموا وروي ابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان عن النبي صلى
الله عليه وسلم نحو ذلك فاتفق على هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الجماعة
من الصحابة ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة كلهم يقولون ان النبي
عليه السلام صلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهوا العدو ثم صلى بالطائفة
الاخرى ركعة وان واحدا منهم لم يقض بقية صلاته حتى فرغ النبي من صلاته كلها فصلى
المؤتمون ما بقي عليهم من صلاتهم وهذا نظير ما عليه المسلمون جميعا فيما سبقهم الامام لا يقضونه
حتى يفرغ الامام من صلاته ثم يقضون ما فاتهم وان الاخبار التي جاءت بخلاف ذلك يحتمل ان
تكون في الوقت الذي كانوا يقضون الفائتة قبل فراغ الامام من صلاته ثم نسخ ذلك بما
توارث الامة القضاء بعد الفراغ والله اعلم وقوله وليأخذوا اسلحتهم اختلف فيه قيل
هم الطائفة التي بازاء العدو يأخذون السلاح ليكون اهيب للحرب والقتال وقيل هم
الطائفة الذين يصلون يأخذون السلاح حتى اذا استقبلهم العدو والحرب يقدرون على
ذلك وقيل اذا وقع بينهم الحرب فلهم تأخير الصلاة الى وقت انقطاع الحرب بينهم قال
الحسن فيصلي الامام بكل طائفة تمام الصلاة لانه ذكر في الخبر انه كان يصلي بكل طائفة بسجدة
والسجدة هي اسم التمام وهذا جائز في اللغة لكن عندنا ما ذكرنا من الاخبار عن الصحابة عن عمر
وابن عباس وغيره حيث قالوا صلاة السفر ركعتان وصلاة الفطر والاضحى ركعتان وصلاة
الخوف ركعة تمام غير قصر وما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالصف الاول ولم يسجد
معه الصف الثاني فلما رفع النبي راسه من السجدتين سجدها اهل الصف الثاني فهذا يدل
على ان الامر ما وصفنا وان اذا كان العدو مواجهة القبلة فالامام بالخيار ان شاء جعل القوم
صفين صفا امامه بازاء العدو وصفا معه يصلي بهم كذا روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه فعل بالمسلمين روي جابر بن عبد الله ان النبي صلى بهم والعدو في القبلة فصلى
بطائفة ركعة وجاءت الاخرى فصلى بهم اخرى وان شاء جعل القوم كلهم خلفه صفين فيصلي
بهم فاذا انتهوا الى السجود سجد الصف الاول والصف الثاني يحرسون العدو فلما فرغ هؤلاء
من السجود سجد الاخرون ثم كذلك يفعل بهم في الثانية وهذا ايضا روي انه فعل فيختار

ايما شاء قوله وليكونوا من ورائكم اي ليكونوا مصاف العدو يحرسونكم من العدو و
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يحتمل قوله حذرهم اي يأخذون ما يستترون به ويحرسون العدو
من نحو الترس والدرع ونحوه وقوله واسلحتهم ما يقاتل به من السلاح ويحارب ويحتمل ما يتحصن
به من الحصن من نحو الجبال وغيره وفيه الامر بتعلم آداب الحرب والقتال واخذ الاهبة والا
للعدو دون ان يكلوا الامر الى ذلك بعد لكن يكلون الامر الى ما وعد الله لهم من النصر بقوله وما
النصر الا من عند الله وبقوله وخذوا حذركم وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله
فانفروا ثبات او انفروا جميعا وغيره من الايات فيها الدلالة على تعلم آداب الحرب واخذ الاهبة
فيه حيث امرهم عز وجل بمجاهدة العدو في غير آي من القرآن وقوله ود الذين كفروا لو
تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم الاية هذا يعلم بالطبع ان كل احد يطلب الفرصة على عدوه والغفلة
منه هذا امر معروف في طبائع الخلق وقوله عن اسلحتكم ما يحارب به ويقاتل وقوله وامتعتكم
يحتمل امتعتكم ما يخرج به العدو ويتنزه به اي يطلبون الغفلة عن الاسلحة والامتعة
ويحتمل الامتعة ان يريد بها غيرها من الثياب وغيرها وقوله ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم الاية دلالة ان الله لم يرد بقوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم بذلها للقتل حيث رخص لهم وضع الاسلحة واخذ الحذر عندما بلوا
بالمطر او المرض لانه لو كان المراد بشرا الانفس منهم بذلها للقتل لكان لا يدفع ذلك عند
ما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا المرض وخوف الهلاك لا يدفع ذلك في الاحوال كلها اذا كان
الامر بذلك امرا بالقتل والهلاك الا ترى ان من وجب عليه الرجم لم يرفع عنه بالمرض الرجم لانه
فيه لم يجر هلاكه فلما دفع عنهم القتال في حال المرض وفي الحال التي يخاف الهلاك دل انه
لم يرد بشرا الانفس بذلها للقتل ولكن اراد والله اعلم اظهار دين الله ونصره وبذلها الا
ترى انه قال في آية اخرى فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما جعل الثواب والاجر عند الغلبة
على عدوه مثل ما جعل عند القتل ولو كان الامر بذلك امرا بالقتل خاصة لا يستوجب الاجر والثواب
بغيره ودل انه ما ذكرنا الا ترى انه قال فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا جعل الوعد للقاتل
ما جعل للمقتول هذا كله يدل ان الامر بذلك ليس على القتل وقوله وخذوا حذركم قد ذكرنا
ان الامر باخذ الحذر يحتمل وجهين احدهما فيه الامر بتعلم آداب الحرب واسباب القتال وان
يكلوا الامر الى ذلك خاصة لكن الى ما وعد لهم من النصر والظفر على عدوهم بعد اخذ الاهبة
الا ترى انه قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية وقال وليأخذوا اسلحتهم الاية والثاني
يحتمل ان يأمرهم باخذ ما يدفعون به سلاح العدو عن انفسهم ويتوقون به من الترس او الدرع
او البنيان والله اعلم وقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا اي اعد لهم من العذاب
ما يهانون به نصروا او غلبوا واعد لكم من الثواب ما تسرون به وتعزون به نصرتم
او غلبتم مالكم لا تنالون وقوله فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم قيل يحتمل وجهين يحتمل اذا قضيتم الصلاة اي فرغتم منها فاذكروا على كل حال تستعينون
به بالنصر على عدوكم كقوله اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا امر بالثبات عند
لقاء العدو وذكر الله استعانة منه على عدوهم فيكون ذلك الاول ويحتمل ان يكون معناه
اذا اردتم ان تقضوا الصلاة فاذكروا الله كثيرا اي في حال كنتم في حال القيام والركوع
والسجود كقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة معناه والله اعلم اذا كنت فيهم واردت

عداد

اذ تيتم لهوا الصلاة فانما كذا قيل الاول والله اعلم وقوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة
هذا والله اعلم مقابل قوله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الى
ختم الاية وقد ذكرنا ان القصر يحتمل وجوها يحتمل القصر للضرب في الارض وهو القصر في عدد
الركعات ويحتمل القصر للمرض والخوف فهو قصر الايماء ونحن ناخذ بذلك كله على اختلاف
الاحوال فعلى ذلك قوله فاذا اطمأننتم يحتمل الوجوه التي ذكرنا اي اذا اطمأننتم صرتم اصحاء فصلوا
كما صلاة الاصحاء ويحتمل فاذا اطمأننتم امنتم من الخوف فصلوا كذا او يحتمل ايضا فاذا اطمأننتم
اذا رجعتم واقمتم فصلوا صلاة المقيمين اربعا فهذا والله اعلم على ما ذكرنا معنا بل قوله واذا
ضربتم في الارض الاية وقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مفروضا وهو
قول ابن عباس وقيل كتابا موقوتا اي لها وقت كوقت الحج وهو قول ابن مسعود وقيل كتابا
موقوتا اي محدودا وفيه نقول لهذه الكلمة نقول انها مفروضة موقتة محدودة على ما قيل
والله اعلم والاية ترد على من يقول بان على الكافر الصلاة لانه اخبر انها كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا وهم يقولون على الكافرين والمؤمنين كتبها كتبت على المؤمنين فلا على الكافرين
فهو لا هذا والله اعلم معنى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فعلها على المؤمنين
كتابا موقوتا ثم يحتمل قوله كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي لم تزل هي كانت كتابا موقوتا على
الامم السالفة لان هذه الامة خصت بها كقول ابراهيم رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي
وكقول عيسى واوصاني بالصلاة والزكاة وكقول موسى واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة
ويحتمل قوله كانت اي صارت على المؤمنين كتابا موقوتا نشهد ان لم يكن وكل ذلك يحتمل ولكن لا نشهد
على الله انه اراد كذا او كذا لك في قوله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من
الصلاة وقوله فاذا اطمأننتم يتاول فيه ويعمل بالوجوه كلها على اختلاف الاحوال لاحتماله الوجوه
التي ذكرنا فلا نقطع القول فيه ولا نشهد على الله انه اراد كذا وهكذا السبيل في جميع المجتهدات
ان نعمل بها ولا نشهد على الله انه اراد ذا او ذا امر بذا او بالله التوفيق وذكر الله تعالى ما يبين فرض
الصلاة ووجوبها في غير موضع من كتابه منها الاية التي ذكرنا هاهنا ومنها قوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة
وقوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ولم تدل هذه الايات على
كيفية الصلاة وعددها انما دلت على وجوبها ولزوم فرضها وكانت آيات اخر على عددها
وجمل اوقاتها قال الله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا ففيه ثلاثة اوقات ذكر فيهن ثلاث صلوات وروي عن مجاهد عن ابن
عباس قال سألته عن قول الله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس قال اذا زالت الشمس عن
بطن السماء لصلاة الظهر الى غسق الليل قال بدو صلاة المغرب وعن ابن عمر قال لدلوك
الشمس قال دلوكها زيغها بعد نصف النهار وهو وقت الظهر وعن ابن عباس قال دلوكها
زوالها وعن عبد الله قال لدلوك الشمس قال غروبها فقد روي عن ابن مسعود وابن
عباس قال دلوك الشمس غروبها فاي ذلك ما كان وبايهما كان دلوك الشمس فقد اوجب فيه
صلاة وصلاة عند غسق الليل وصلاة عند الفجر فهذه ثلاث صلوات قال الله تعالى
اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل فاحد طرفي النهار يجب به الصلاة الفجر وقد ذكر
في هذه الاية والطرف الاخر قبل غروب الشمس فهذه رابعة وهي العصر وروي عن الحسن

ان الصلوات الخمس مجموعة في هذه الاية اقم الصلاة طرفي النهار قال صلاة الفجر والطرف
الاخر الظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء فاي ذلك ما كان ففيه صلاة العصر
مذكورة في هذه الاية وعن ابن عباس قال جمعت هذه الصلاة مواقيت الصلاة فسبحان الله
حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وعن
ابن عباس ايضا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال الصلاة المكتوبة دلت
هذه الايات والله اعلم ان الله تعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة خمس صلوات وبين رسول
الله كيف فرضت الصلاة ومتى فرضت وروي عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن اتى بهن لم يضيع من حقهن شيئا
استخفافا بحقهن فان له عند الله عهدا ان يدخله الجنة ومن لم ياتي بهن فليس له عند الله عهد
ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وعن ابن [illegible] عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
حيث بعث معاذا الى اليمن قال انك تاتي قوما اهل الكتاب فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله
واني رسول الله فان هم اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة
وعلى ذلك اتفاق الامة لا خلاف بينهم الا ان قوما زعموا ان النبي عليه السلام اوجب بعد ذلك
الوتر بقوله ان الله زادكم صلاة الا وهي الوتر وليس في الكتاب ذكر ولا دليل وجوبه فتركنا
الكلام فيها لكن ابا حنيفة سلك فيها مسلك المكتوبة احيانا وقوله ولا تهنوا في ابتغاء
القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون في الاية دلالة
فرضية الجهاد لانه اخبر انهم يالمون ويتوجعون بما يصيبهم من الجراحات كما تالمون انتم وتتوجعون
بها فلو كان نفلا لكان يرفع عنهم الجهاد عند الالم والتوجع على ما يرفع سائر النوافل عند الالم
والتوجع فدل انه فرض لكنه فرض كفاية وفرض الكفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين وقد ذكرنا
فيما تقدم الوجه فيه وقوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم فمعناه والله اعلم اي لا تعجزوا ولا تضعفوا في الحكم ان
تقعدوا في ابتغائهم فانهم يالمون كما تالمون ولا تضعفون انتم وترجون في ذلك العاقبة من الثواب
الجزيل ما لا يرجون ثم هم لا يضعفون فكيف تضعفون انتم في ذلك وكل امر لا عاقبة له فهو عبث
وليس لامرهم عاقبة فهو عبث ولامركم عاقبة محمودة فانتم اولى في ذلك وذلك قوله ولا تهنوا
في ابتغاء القوم على تاكيد فرضية الجهاد واذن بالدفع والتحلف عن ذلك على ما فيه من الالم وخوف
هلاك النفس في ذلك ثم يحتمل ما يخف حمله بحمل المكروه على الطبع له وقد يحتمل له مشقة
الاتعاب في النفس من عواقب تنقطع وتزول فكيف فيما لا انقطاع له من رجاء الثواب فذلك
التام والله اعلم وقوله وكان الله عليما حكيما اي عن علم بما تالمون امركم بذلك لا عن جهل
وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قوله بالحق يتوجه وجوها
بحق الله عليكم انزل اليك الكتاب ويحتمل بحق بعض على بعض انزل اليك الكتاب لتحكم بين الناس
ويحتمل قوله بالحق اي بالحكمة يمتحنهم بها اذ في عقل كل احد ذلك وان الكل في التدبير وان
فيه خروج عن الحكمة او ان يتأول بالحق اي بالثواب لكونه العاقبة وقوله بالحق اي بالحق الذي
لله او لبعض على بعض او لامر كانت وهو النعت لسيدنا محمد ويزيد وا وبالذي يجد عليه فاعله
ان الحق حقيقة لكل ما يحمد عليه فاعله والباطل ما يذم وقد يحتمل بالعدل والصدق على الاشراك
التغيير والتبديل والله الموفق وقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل ان في الاية دلالة
جواز الاجتهاد لانه قال لتحكم بين الناس بما اراك الله دل قوله بما اراك الله ان ثمة معنى يدرك

بالنظر وانا قيل لانه لو كان يحكم بالكل بالكتاب لكان لا معنى لقوله بما اراك الله ولكن قوله لتحكم بين الناس بالكتاب وان انه تحكم بما يريه الله بالتدبر فيه والتامل لكن اجتهاده كالنص لانه لا يخطئه لانه اخبر انه يريه ذلك فلا يحتمل ان يريه غير الصواب واما غيره من المجتهدين فيجوز ان يكون صوابا ويجوز ان يكون خطأ لانه لا يكون الذي اراه الشيطان هو الذي اراه ذلك فيكون خطأ فلا يجوز ان يشهد عليه بالصواب ما لم يظهر واما اجتهاده صلى الله عليه وسلم فهو كله يكون صوابا لان الله هو الذي اراه ذلك فنشهد انه صواب وقوله ولا تكن للخائنين خصيما قال اكثر اهل التفسير انه هو ان يتوي سارقا تمال له طعمة ويصدقه في قوله فنزل قوله ولا تكن للخائنين خصيما فلو لم يتولوا ذلك كان اوفق واحسن فان كان سارقا لو انه لك لما يظهر منه الخيانة عنه اذ ذكر في القصة انه وجد السرقة في دار غير فلين كان ذلك انما كان لما ذكرنا واما النهي عن ان يكون للخائنين خصيما نهي وان كان بيانا لا يكون لما عصمه الله كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وان كان عصمه من ان يكون منهم والعصمة انما تنفع اذا كان ثمة امر ونهي فاما اذا لم يكن ثمة لا امر ولا نهي فلا معنى للعصمة والله التوفيق وقوله واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما وقوله واستغفر ليس هو قول الناس نستغفر الله نستغفر الله ولكن كانه قال كونوا على الحال التي تكون اعمالكم مكفرة للذنوب الا ترى الى قول هود لقومه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الاية وقال نوح لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية لم يريدوا ان يقولوا نستغفر الله مرة واحسب ولكن ارادوا ان يكونوا على الحال التي تكون اعمالهم مكفرة لذنوبهم لانه لو قالوا ايلسا الف مرة نستغفر الله لكان لا ينفعهم ذلك فيكون قوله واستغفروا الله ان الله كان غفورا رحيما وحقيقة الاستغفار وجهان احدهما الانتهاء عما اوجب التعرض لتوله اذ ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك معنى قول من ذكر والثاني طلب الستر بالمغفرة والتجاوز وقوله ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم الاية هو ما ذكرنا ان العصمة لا تنفع اذا لم يكن امر ونهي وقوله يختانون انفسهم لا احد يقصد يقصد خيانة نفسه ولكن لما يرجع في العاقبة ضرر الخيانة الى انفسهم صاروا كانهم اختانوا انفسهم كقوله وما يخدعون الا انفسهم لا احد يقصد يقصد خداع نفسه لكن لما رجع في العاقبة حاصل الخداع اليهم صاروا كانهم خدعوا انفسهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يحتمل وجهين يحتمل يستخفون من الناس اي يحتشمون من الناس ان يعلموا بحيلهم ولا يحتشمون من الله على علم منهم انه لا يخفى عليه شيء ويحتمل يستخفون من الناس اي يستترون من الناس وكذلك روي في حرف حفصة ولا يستترون من الله ولكن الله يطلع الناس على ما يسرون وهو معهم اي لا يخفى عليه شيء وقوله يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله على وجهين احدهما على نفي الغفلة وانباتها انه لهم ذلك في الاخفاء من الناس وليس لهم في الاخفاء عن الله والثاني على تلك المسالة فيلزم باطلاع الله تعالى عليهم وتركهم مراقبة الله في الامور واجتهادهم في ذلك عن الخلق والله اعلم وقوله اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعن ابن عباس قال اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يقول الرجل والبريئة اليهودي بالسرقة وقيل يهيئون اي يزينون القول فيما بينهم فيقولون به النبي فيقول له كن اذ كنا للذين نفوا عن صاحبهم الخيانة والتهمة ومن طعمة على ما قيل في القصة انه سرق درعا وجعلها في دار يهودي وقيل انه خبأها في دار يهودي فلما طلب منه حلف بالله انه ما سرق وقيل التبييت هو التقدير

بالليل وقد ذكرنا في قوله بيت طائفة منهم الاية وقوله وكان الله بما يعملون محيطا هو على الوعيد اي عن علم منهم يفعلون هذا الا عن غفلة كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون لكنه يؤخره الى يوم وعلى علم منه ذلك وعلى الاعلام ان الله لم يزل عالما بما يكون منهم وعلى ذلك امتحنهم وبالله التوفيق وقوله ها انتم هؤلاء جادلتم ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا قيل يعني اصحاب طعمة اي لو خاصمتم عنهم يا هؤلاء في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة اي لا احد يخاصم عنه يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا يخاصم عنه يوم القيامة وقيل كفيلا اي في الدفع عنهم كقوله الذين يجادلون في ايات الله اي في دفعها وارادة ان يدحضوا بها الباطل وقيل رقيبا وقيل كفيلا والوكيل هو القائم بحفظ الامور والقاضي للحوائج والمفزع للعلل وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله اي من عمل سوءا فقد ظلم نفسه ومن ظلم نفسه فقد عمل سوءا ويحتمل ما قال ابن عباس من يعمل سوءا الى الناس او يظلم نفسه فيما بينه وبين الله ثم روي عن عبد الله بن مسعود قال ارجى اية في القرآن هذه قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية وروي عنه ايضا قال اربع ايات من كتاب الله احب الي من حمر النعم وسود ها قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الى اخره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية وعن علقمة والاسود قالا قال عبد الله ان في كتاب الله لايتين ما اصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى اخر الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله وقوله ايضا ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل كل واحد منهما الاخر كرر على التاكيد فيما جرى له الذكر ويحتمل التفريق ان يكون سوءا الى الناس وخطيئة اليهم او يظلم نفسه بما يأثم فيما بينه وبين الله وقوله ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه لان حاصله يرجع اليه فكانه كسب على نفسه وقوله ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل ان يكون قوله ومن يكسب خطيئة او اثما واحدا الخطيئة هي الاثم والاثم هو الخطيئة وقيل ومن يكسب خطيئة سرقة الدرع او اثما يقول بيمينه الكاذبة انه لم يسرقها وانما سرقها فلان اليهودي وقوله ثم يرم به بريئا قيل لما طلب في داره رماها في دار اليهودي ثم حلف بالله وذكر انه لم يسرقها وقوله فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يقول كذبا على اخر ما لم يفعل والبهتان هو ان يبهت الرجل الرجل كذبا بما لم يفعل واثما مبينا بيمينه الكاذبة والله اعلم وقوله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك قال اكثر اهل التأويل نزلت الاية في شان طعمة الذي سرق درع جار له بالذي سبق ذكره وقالوا لولا فضل الله عليك ورحمته لقد همت قوم طعمة ان يضلوك اي يخطئوك وليس هو الاضلال في الدين ولكن ان كان ما قالوا فهو تخطئة الحكم ويحتمل قوله ان يضلوك اي يجهلوك في حكم السرقة ويجوز ان يكون جاهلا في سرقته لما لم يتبين انه سرق وكان يصدقه في الحكم انه لم يسرق لانه انما كان يعلم الاشياء بالوحي ثم اعلم انه قد سرق ويحتمل ان تكون الاية في الكفار كلهم لان الكفرة والمنافقين لم يزل كانوا يريدون ان يضلوا رسول الله عن الهدى ويصرفوا عنه كقوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وكقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ثم يحتمل قوله ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث عصمك بالنبوة والا لاضلوك عن سبيل الهدى وهو كقوله ولولا ان ثبتناك اي بالعصمة لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا

والثاني ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث أعلمك بالحكم في ذلك وبصّرك به بالوحي ومنعك
عن تصديق ذلك الخائن أن تثبت ما قالوا أو الا لهمّوا أن يخطئوك ويجهّلوك فيه ثم في الآية
نقض قول المعتزلة لأنه منّ على رسوله أنه عصمه وهم يقولون كان عليه أن يعصمه وهو كان
يستحق ذلك قبله فلو كان عليه ذلك لم يكن للامتنان عليه بذلك معنى إذ فعل ما كان عليه أن يفعل
على زعمهم ومن فعل فعلا عليه ذلك لم يقل إنه متفضل ولكن على الذين كما قالوا وبالله التوفيق
والعصمة وقوله أيضا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك يخرج
على وجهين أحدهما يكفيهم عما همّوا والثاني بعصمته عما أرادوا فيه أن يظفروا وأمنه لقد أن أظهروا
ما طلبوا وقوله يضلوك يجهّلوك الحكم بالتلبيس وأنواع التمويه يرجع ذلك إلى ما ذكر
والثاني أن يكون بالإضلال عن السبيل ما يحيل به العرب عن الحق وهذا هو الذي لم يزل أعداء
الله يقصدون رسول الله وجميع أهل الخير كلهم بوجهين يتوجه كل وجهين إلى وجهين أحدهما
على ما هو الاشتباه من الوحي والإمامة وكذا في كفهم من بالعتاب والأسباب الظاهرة ومنع
باللطف والخفية وسمى ذلك فضله ورحمته ليعرف أنه ذلك فضله لا حقا قبله إذ النبي يزل
الحقوق فيدّى الفضل آيل وقوله وما يضلون إلا أنفسهم لا أحد يقصد قصد إضلال نفسه
لكن لما رجع حاصل ذلك الإضلال إليهم فكأنهم أضلوا أنفسهم وقوله وما يضرونك من
شيء أمّن رسوله عن ضرر أولئك كقوله والله يعصمك من الناس وقوله وأنزل الله عليك الكتاب
والحكمة قد ذكرنا في غير موضع وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم من الحلال والحرام والأحكام كلها
وغير ذلك كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان هو كذلك كان وقوله وكان فضل الله
عليك عظيما فيما علمك من الأحكام وعصمك بالنبوة والرسالة وصرف عنك ضرر الأعداء والله
أعلم وقوله لا خير في كثير من نجواهم اختلف في النجوى قيل النجوى القوم كقوله وإذ هم نجوى
أي رجال وقيل النجوى هو الإسرار كقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الآية ثم استثنى إلا من أمر بصدقة
أو معروف الآية فإن كان التأويل في النجوى هو فعل النجوى خاصة فكأنه قال لا خير في كثير منهم نجواهم
إلا الأمر بالصدقة والأمر بالمعروف أو الإصلاح بين الناس وإن كان تأويل النجوى هو القوم
فكأنه قال والله أعلم لا خير في كثير منهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وكان
هذا أقرب ومعنى استثناء من الكثير فيما يرجع إلى القوم فكأنه قال لا خير في كثير منهم إلا من يرجع أمره
إلى ما ذكر فيصير إلى خير فقد يحتمل أن قوما منهم يرجع نجواهم إلى خير وهو أقلهم ومن الفعل على أن
الفعل ربما يكون فعل خير وإن كانوا أهل النفاق والكفر لكن بين أنه غير مقبول إلا أن يبتغى به مرضاة
الله وذلك لا يكون إلا أن يؤمنوا والله أعلم وقوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قيل لما تجلّت خيانته لرسول الله صلى الله عليه وسلم استحيى
أن يقيم بالمدينة فارتد ولحق بمكة كافرا فنزل قوله ومن يشاقق الرسول يقول يخالف الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وعن ابن عباس من بعد ما تبين له الهدى يقول
من بعد ما كان قد تبين له الإسلام وأسلم وقال لما أبان أمر طعمة وعلم أنه سرق الدرع أنزل
الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما قيل له يا طعمة إن رسول الله قاطعك فخرج
هاربا إلى مكة وقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني دين المؤمنين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
ويسلك غير سبيل المؤمنين وقوله نوله ما تولى أي نتركه وما تولى من عبادة الشيطان وقيل
ندعه وما اختار من الدين غير دين المؤمنين ونصله جهنم أي ندخله جهنم في الآخرة وقيل قوله

قوله نوله ما تولى أي نوله في الآخرة ما تولى في الدنيا وساءت مصيرا تقول بئس المصير صار
إليه وقوله نوله ما تولى أنه تولى الشيطان فجعله الله وليا كقوله ومن يتخذ الشيطان وليا
وغير ذلك ويكون يخذله فيما اختار ويكون بجزاء توليه ويكون بخلق توليه منه وجودا
باطلا لا ملكا له والله أعلم وقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء في الآية دليل أن لا يصير بكل ذنب مشركا على ما قالت الخوارج لما قسّم الكتاب ولا يحتمل
إضمار التوبة لأن الشرك قد يغفر بالتوبة فبطل قولهم وفيه بطلان قول من يبطل المغفرة
في الكبائر بلا توبة لأن الله تعالى جعل لمشيئته مشيئة المغفرة وذلك فيما في الحكمة دفع شفعه
فلزم الذي ذكرنا الفريقين جميعا ثم الذي ينقض قول الخوارج الذين يكفّرون بارتكاب الصغائر
ما ابتلي بها الأنبياء والأولياء وما يكفر صاحبه يسقط النبوة والولاية ومن كان وصف إيمانه
بالأنبياء هذا فهو كان وبهم على المعتزلة في ذلك أن الله وصف الأنبياء بالدعاء له تضرعا وخفية
وخوفا وطمعا وبكائهم على ما كان منهم من الزلات وتضرعهم إليه حتى أجيبوا في دعائهم ولو لم
يكن غفرانهم بحيث يحتمل التعذيب عليها في الحكمة لكان في ذلك تعدي الحد والوصف بالجور والتعوذ
به وذلك أعظم من الزلات فهذا ينقض قول المعتزلة في إثبات المغفرة في الصغائر وإخراج
فعل التعذيب عن الحكمة وقول الخوارج بإزالة اسم الإيمان بها ولا صحة إلا بالله ثم قوله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يحتمل الشرك في الاعتقاد وهو أن يشرك غيره في ربوبيته
وألوهيته ويحتمل أن يشرك غيره في عبادته الأخرى أنه قال عز وجل إنما إلهكم إله واحد ثم قال تعالى
في آخره ولا يشرك بعبادة ربه أحدا فجعل الإشراك في الألوهية والربوبية والإشراك في العبادة
واحدا كله يحتمل فيه وبالله التوفيق ثم قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يحتمل ما قالت المعتزلة
أنه وعد المغفرة لمن شاء ثم بين ذلك في الصغائر بقوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وقد ثبت الوعيد في الكبائر على التحقيق لم يزل بالذي ذكر احتماله وقيل قوله
لمن يشاء كناية عن الأنفس المغفورات لا عن الآثام والإجرام التي تغفر لمن يحرصن التخصيص إلى
الآثام بالآية الحكمي بها عن الأنفس لأنه لم يقل ما شاء ولكن قال عز وجل لمن يشاء فذلك كناية عن
الأنفس وفي آيات الوعيد تحقيق في الأنفس جاءهم وفيما جاء على ما قيل لا صرف في ذلك فلو أولى
فإنه قال لمن يشاء والصغائر عندهم مغفورة بالحكمة لا بالوعد والآية في التعريف والله أعلم
وقوله عز وجل إن يدعون من دونه إلا إناثا عن الحسن قال الإناث الأموات التي لا أرواح
وكذلك روي عن ابن عباس وقيل قوله إلا إناثا هو الملائكة لأنهم يقولون الملائكة بنات الله في
السماء يعبدونها فإنهم إنما عبدوا الإناث عندهم وفي زعمهم وقيل إناثا من الوثن وكذلك روي
في حرف عائشة رضي الله عنها كانت تقرأ إن تدعون من دونه إلا أوثانا ودعوا الصنم يسمى إناثا لما صوروها
بصورة الإناث وحلّوها وقلّدوها قلائد وزيّنوها بزينتهم ثم يعبدونها وهالك طلبا كان
في الأصل فيسمى بذلك وقيل يسمى إناثا لأنهم كانوا يسمون ما يعبدون من الأصنام والأوثان اللات
والعزى ومناة فأسماؤهن أسماء إناث والله أعلم وقوله عز وجل وإن يدعون إلا شيطانا
مريدا أخبر عز وجل أنهم كانوا يتبرؤون من الشيطان ويلعنونه فأخبر بعبادتهم الأصنام والأوثان
يعبدون الشيطان لأن الشيطان هو الذي يدعوهم إلى عبادتهم الأصنام فكأنهم عبدوه
ألا ترى أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم قال يا أبت لا تعبد الشيطان جعل عبادة الصنم عبادة
الشيطان حيث قال له لا تعبد الشيطان فدل أن عبادتهم الأوثان عبادة للشيطان وبالله

العصمة وقوله مريدا قال ابن عباس المريد هو المارق وقوله لعنه الله اللعنة هو الابعاد
من رحمة الله فسمي ملعونا لانه مبعد من رحمة الله مطرود منها وقوله وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا انه لعنه الله وان قطع القول فيه لاتخذن من كذا انقطعا فهو موصول في الحقيقة
الا ترى انه قال تعالى في اية اخرى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه دل ان ما قاله قاله ظنا لكنه
خرج مقطوعا محققا ولا قوة الا بالله وقوله نصيبا مفروضا اي مبينا معلوما والنصيب
المفروض هو ما ذكر ولاضلنهم الى اخر ما ذكر مفروضا اي مبينا من يطيعه ومن لا يطيعه وقوله
عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم الاية قيل هذا الاخبار عن الله تعالى لعباده عن صنيع اللعين
ليكونوا على حذر منه ثم قوله ولاضلنهم ليس على حقيقة الاضلال لانه لا يقدر ان يضل احدا
لكنه يدعو الى الضلال ويزين عليهم طريقه ويلبس عليهم طريق الهدى فذلك معنى اضافة الاضلال
اليه والا لم يملك اضلال احد في الحقيقة كقوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم الاية ثم اذا اضلوا به غايته الى ذلك وتزيين عليهم عبادة بعضهم عند ذلك حتى يتمنوا
اشياء كقولهم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه الاية وقوله لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم ونحو ذلك من الاماني وذلك مما يمنيهم
الشيطان لعنة الله عليه وعن ابن عباس ولاضلنهم يعني عن الدين ولامنينهم ان يصيبوا خيرا
لا محالة ليأمنوا او في حرف ابن مسعود ولاعدنهم ولامنينهم ولاحرمن عليهم الانعام ولامرنهم
فليبدلن خلقك ولامرنهم فليبتكن وقوله فليبتكن اذان الانعام فجعلوها نحرا للاوثان والاصنام
التي كانوا يعبدونها وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله يحتمل هذا وجهين سوى ما قال اهل
التاويل احدهما ان الله تعالى خلق هذا الخلق ليأمرهم بالتوحيد وليجعلوا عبادتهم له لا يعبدون
دون الله غيره كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم الاية فهو دعاؤهم
ان يجعلوا عبادتهم لغير الله وهو ما قيل في قوله عز وجل فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله ذلك الدين القيم قيل لدين الله فيكون ذلك يحتمل قوله فليغيرن خلق الله اي عن الذي كان
خلقهم اياهم له لكن والله اعلم والثاني انه عز وجل خلق الانعام والبهائم لمنافعهم وسخرها لهم
فهم حرموها على انفسهم وجعلوها للاوثان والاصنام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام
مستعملين فيها التي خلقها لهم عن انفسهم وذلك تغيير ما خلق الله لهم والله اعلم واما
اهل التاويل فانهم قالوا غير الذي ذكرنا قال بعضهم قوله فليغيرن خلق الله يعني الاخصاء
وهو قول ابن عباس وقال اخرون هو دين الله وروي عن ابن عباس انه قال ايضا دين
الله وقيل هو ما جاء من النهي عن الواشرة والناحصة والمتفلجة والواصلة والواشمة
ولا يحتمل ان يكون خطوبا له يومئذ انه اراد تغيير خلق الله ما قالوا من الاخصاء او المثلة
والواشرة والناحصة لانه انما قال ذلك يوم طلب من ربه النظرة الى يوم البعث ولا
يحتمل ان يكون له علم ان لا يحل هذا او نهى عن مثله اذ قد يجوز ان ترد الشريعة في مثله
لذلك بعد والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي يطيعه
ويجيبه الى ما دعاه ويعبده دون الله فقد خسر خسرانا مبينا في الدنيا والاخرة اما
في الدنيا فذهاب المنافع عنهم التي جعلوها للاصنام والاوثان وفي الاخرة العقوبة و
قوله يعدهم ويمنيهم اي يعدهم فقرا او اتباعه ويمنيهم هو ما ذكرنا من الاماني وقضاء الشهوات
في الدنيا وما يعدهم الشيطان الا غرورا والغرور هو ان يري شيئا يظهر خلافه اولئك

مأواهم

مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا الاية ظاهرة قيل مفرا وقيل ملجأ وقوله عز وجل
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قد ذكرنا هذا فيما تقدم ان الايمان هو التصديق والاعمال الصالحات غير التصديق وقوله
عز وجل وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا انا قيل هذا ان الله اعلم انبياءك انكم ممن تقبلون
الاخبار والقول من الناس فيقول لا احد اصدق قولا من الله ولا انجز وعدا منه كيف لا تقبلون
قوله وخبره انه يبعث وجنته وناره وتكذبون قول ابليس ان لا جنة ولا نار ولا بعث وقوله
عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به اخبر عز وجل ان الامر ليس
بالاماني ولكن الى الله عز وجل فهو والله اعلم يحتمل ان يكون في المنزلة والقرب عند الله لانهم
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغير ذلك من الاماني
واهل التاويل يذهبون الى غير هذا قالوا ان كل فريق منهم كانوا يقولون ان ديننا خير من
دينكم ونحن افضل منكم فانزل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وذلك بعيد وقوله
من يعمل سوءا يجز به اختلف فيه قال بعضهم قوله من يعمل سوءا يعني شركا يجز به يدل على
ذلك قوله عز وجل ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وذلك وصف الكافر انه لا يكون
له ولي يتولى حفظه ولا نصير ينصره الا ترى انه قال ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ذكر الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون انهم يدخلون الجنة
فهذا ايضا يدل ان قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اراد به الشرك وقال اخرون قوله عز
وجل من يعمل سوءا يجز به اي كل سوء يدخل فيه المسلم والكافر الا ترى انه روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذا وكل شيء عملناه جزينا
به قال غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن الست تنصب الست تمرض الست يصيبك
الاذى فهذا ما تجزون به يجزى به المؤمن في الدنيا والكافر في الاخرة فان كان التاويل هذا
فقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا هو في الكافر اي لا يجد له وليا ولا نصيرا اذا لم
يرجع عن كفره ومات عليه واما اذا رجع عن ذلك وتاب ومات على الايمان فانه يجد له وليا
ونصيرا ينصره الله تعالى وبالله التوفيق وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن في الاية دليل ان الاعمال الصالحات غير الايمان لانه قال تعالى ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن ولو كان ايمانا فيصير كانه قال ومن يعمل الايمان وهو مؤمن فدل ما ذكرنا
انها غير الايمان وفيه دلالة ايضا ان الاعمال الصالحة انما تنفع اذا كان ثم ايمان لانه شرط
فيه الايمان بقوله تعالى وهو مؤمن دل ان الاعمال الصالحة لا تنفع اذا لم يكن ثم ايمان ولا
قوة الا بالله وقوله ولا يظلمون نقيرا قد ذكرناه وقوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وهو محسن الاية يحتمل وجهين يحتمل من احسن دينا من المسلمين ممن يعمل جميع عمله
موافقا لدينه ممن لم يعمل بذلك اي عمل بجميع عمله موافقا لدينه احسن دينا من الذي لم يعمل شيئا
كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو وزن ايمان ابي بكر الصديق بايمان جميع
امتي لرجح ايمانه وقال صلى الله عليه وسلم قوي في دينه ضعيف في بدنه الا يرى انه خرج لمقاتلة
اهل الردة وحده وذلك لقوته في الدين وصلابته فيه لا لزيادة الايمان ولا لنقصان ايمان في غيره
والله اعلم والثاني مقابله سائر الاديان اي ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ممن لم يسلم وجهه
لله الى اخر ما ذكر والله اعلم ثم قوله اسلم وجهه لله قال الحسن قال اسلم جميع جهة امره الى الله اي

جميع ما يعمل انما يعمل لله لا يعمل لغير الله وقيل اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لله ولا يجعل لاحد
فيها شركا كقوله ورجلا سلما لرجل الاية اي سلم نفسه له والله اعلم وقوله عز وجل وهو
محسن يحتمل وجهين يحتمل قوله وهو محسن تحقيق ما يعمل ان جميع ما يعمل لله فيه ويحتمل قوله
وهو محسن من الاحسان وهو ان يزيد العمل على المفروض عليه ويؤدي المفروض عليه ويزيد على
ذلك ايضا وقوله عز وجل واتبع ملة ابراهيم حنيفا الملة قيل هي الدين وقيل الملة السنة
وكان السنة اقرب لان دين الانبياء صلى الله عليهم وسلم كلهم واحد لا يختلف دين ابراهيم
عليه السلام ودين غيره من الانبياء واما السنن والشرائع فيجوز ان تختلف الا يرى انه روي
في الخبر ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعضها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل السنة تفسير الملة فالملة بالسنة اشبه ثم خص ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان
سننه كانت توافق سنن نبينا صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله تعالى حنيفا قيل مخلصا
وقيل سمي حنيفا اي مائلا الى الحق ولذلك سمي الاحنف احنفا لميل احد قدميه الى الاخرى والله اعلم
وقوله عز وجل واتخذ الله ابراهيم خليلا ذكر في بعض الاخبار ان الله عز وجل اوحى الى ابراهيم
صلى الله عليه وسلم اني اتخذت خليلا في الارض فقال يا رب من هو فاوحى الله تعالى اليه لم
لم تسال عنه قال حتى احبه او اتخذه خليلا كما اتخذته خليلا او كلام نحو هذا فقال انت
يا ابراهيم واصل الخلة المنزلة والرفعة والكرامة يقول واتخذ الله ابراهيم خليلا اي جعل
له عنده منزلة وكرامة لم يجعل مثله لاحد من الخلائق لما ابتلاه الله ببلايا وامتحنه بمحن
لم يبتل احد بمثلها فصبر عليها من ذلك ما القي في النار فصبر ولم يستعن باحد سواه وما ابتلي
بذبح ولده فاضجعه وما امر ان يترك اهله وولده الطفل في جبال مكة لا ماء هناك ولا زرع
ولا نبات ففعل ومن ذلك امر المناجزة مما يكثر ذلك فجاز تخصيصه بالخلة لذلك والله اعلم
وجائز ان يكون ذلك كرامة اكرمه الله بها لان اهل الاديان كلهم ينتسبون اليه ويدعون
انهم على دينه وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم قيل
خص من هذا بالوجهين اللذين ذكرتهما في الخلة وقيل انما اتخذه خليلا لانه كان يعطي ولا ياخذ
وكان يحب الضيف وكان لا ياكل وحده وان بقي طويلا والله اعلم بذلك واصل الخلة ما ذكرنا
من الكرامة والمنزلة لان من يحب آخر يبره ويكرمه ومن لا يحبه يهاديه ويظهر له الجفا ولا
قوة الا بالله واختلف في المعنى الذي وصف ابراهيم بالخلة انه خليل الله قيل بما تحقق نفسه
في بذل كل لذة من لذات الدنيا لله وله تبوأ في سكانا تيان الاضياف وابناء السبيل وكان
لا ياكل وحده وكان صنيع عادته التقديم بكل ما يهيئ له عند نزول الاضياف عليه والابتداء
بذلك قبل الاكل ايثار الطعام بالاضياف مع عظيم منزلته ايد ذلك امر الملائكة الذين جاؤوه
بالبشارة والله اعلم وقيل انما امتحنه الله بامور فصبر عليها نحو ما القي في النار وذبح
الولد والهجرة من بيته وتبذل الاهل والولد بحيث لا ضرع ولا زرع ولا ماء وغير ذلك
مما اكرمه الله تعالى بالثناء وجد الله الحق عليه بوفاء ما امتحن واتمام ما ابتلي من قوله وابراهيم
الذي وفى وقوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وحاج نمرود وجميع قومه وحاجهم
حيث يعبدون غيره ففعلهم واقام حجة التوحيد عند ذلك من وجوه المحن وقيل لحاجته كان بعد البيت
الذي جعله الله قياما للناس ومثابة للخلق وامنا لهم ومنسكا ففطر شانه فيها بالخلق
اليه كالحجة في امر الدين وعلى ذلك اكرمه الله تعالى بميل القلوب اليه والهما والتدين بدينه

جميع

جميع اصناف اهل الاديان والله اعلم وقيل انما هو لله خصا يضي اهل الخيرة من الرسل واولي
العزم منهم اختصهم بانما عرفن في الفضايل والكرامات نحو القول بكليم الله وروح الله وذبيح الله
وحبيب الله فكل ذلك كان لابراهيم خصوصية في الاشرف فسماه الله خليلا فنقول نحن وبالله التوفيق
ونحن نعلم بان الله تعالى لا يسميه بالذي ذكر عبثا باطلا ولكنه سماه به تعظيما لقدره واظهارا
لكرامته وبيانا لمنزلته عنده لما شاء من الوجوه التي لعلها لم يطلع عليها من الخلق ولا يحتمل ان
يدرك ذلك الا بالوحي فحقق ذلك علينا تعظيمه ومعرفته بالذي اختصه الله واصطفاه دون
تكلفنا المعنى الذي له كان ذلك مع ما لا وجه ولا معنى صار حقيق ذلك واكرم به الا معنى اكرمه الله
واكرمه بفضل الله ورحمته فلله ان يبتديه بالخلة ثم يكرمه بانواع الكرامات التي هي اثار الخلة
وان يكرمه بانواع الكرامات التي ليس فيها مع كرامات الخلة ويصلح وبه المنى في ذلك والفضل
وعلينا الحمد لله والشكر بما اكرمنا من معرفة كرام خلقه وجعل في قلوبنا مودتهم تقدحهم ضاد وابفضل
الله ورحمته احب الينا من اشتق الخلق بنا سبيل من النبيين ولا قوة الا بالله ثم ليس للنصارى ادعاء
النبوة لله من حيث الكرامة على الاعتبار بالخلة لان الله سبحانه عظم امر الاولاد وجعله
كالشرك ولا كذلك امر الخلة ولان امر الاولاد حقيقة المجانسة والخلة حقيقة الموافقة ثم اصل
الاولاد الشهوة والحاجة والخلة الطاعة والتعظيم مما يرجع احد الوجهين الى شهوة الولد
وحاجته والاخر الى التعظيم يكون من ذلك العبد تبجيله والطاعة له والخضوع ثم الاصل ان
المعنى الذي تقتضيه الخلة ادى يظفر كل بالطاعة وان كان الاسم له في حق النيابة نحو قوله
ان الله يحب التوابين الاية وقوله فاتبعوني يحببكم الله والمحبة قريبة من الخلة ومحال ان يحق
معنى الاولاد والنبوة بشيء من الطاعة لذلك اختلف الامران والله اعلم وقوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض تاويل هذه الاية والله اعلم انه وان اكرمهم واعظم منزلتهم عنده
واعلاها فانهم لم ينفوا عن عبادته ولم يخرجوا انفسهم من ان يكونوا عبيدا بل كلما ازداد
لهم عند الله والله اعلم منزلة وقدرا كانوا اخضع له واطوع كقوله تعالى بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وفي موضع آخر لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
الاية وقوله عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا اي احاط بكل شيء علمه وهو يخرج على الوعيد
اي عن علم منه خلقهم لا عن جهل بضلالهم كملوك الارض وبالله التوفيق وقوله عز وجل
ايضا وكان الله بكل شيء محيطا او بصيرا او عليما او نحو ذلك يخرج على التوعيد والتخويف ليكونوا
مراقبين له حذرين كمن يعلم ان الامور عليه رقيب والله اعلم ويخرج على الثناء انه امر من
يكتب الاعمال لا للخفاء عليه لكن بها اذ لا يمتحن لحاجة به ولكن لمصلحة العباد فيمتحن عبادا فامتحن
اولئك الكتبة بما يكونون ابدا مستيقنين ناظرين لا يغفلون عن ذلك لطاعة منهم لله والثاني ان يكون
العلم بمن يكتب عليه كل امر فيما جل عليه والبشر اذكر له واشد في التنبيه لنجري حكم الله في
ذلك اذ امر المحنة موضوع على المصلحة وذلك ابلغ في الوجود والله اعلم ويخرج على ان الله تعالى
كان بذلك محيطا ليعلموا انهم لا يتركون سدى بل يحصي عليهم للجزاء والله اعلم وجملة ذلك ان
الله تعالى قال كان كذا ليعلم انه لا عن جهل خلق الخلق وبعث الرسل وانشا الايات ما عليه امر الخلق
انظر كيف يعاملون من ذكرت وذلك خارج على حد الحكمة وان كان لا يبرهون في بعث عليه السلام
الى من يكذبهم ولا يعاقبه الاعداء على ما به قهر الاولياء ولا الامر والنهي لمن يعلم انه لا يأتمر ولا ينتهي
كبير حكمة وربما كان ذلك من الله تعالى خارج على حد الحكمة اذ ذلك كله من الخلق يقع لحاجة او لمنفعة ترجع

اليتيم فاذا انتفى خروج الفعل من الحكمة فانما الله سبحانه وتعالى يمتحن ويبعث الرسل لحاجة بالمبعوث
اليهم ولا بالممتحنين ولمنافع ترجع اليهم فيكون ذلك منه كعذاب من لا يتبلغها فنفسه بيض وجهها
بمحض لا ان يرجع اليه ذلك من ان ذلك المعنى الذي له خروج الفعل من الخلق عن حد الحكمة فيلزم
الترك بموافقة الحكمة والمصلحة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل
الله يفتيكم فيهن الاية ذكر الاستفتاء في النساء ولم يبين فيه بيان ما وقع به السؤال اذ قد
يجوز ان يكون في الجواب بيان المراد في السؤال وان لم يكن في السؤال بيان نحو قوله تعالى
ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض دل الامر باعتزال عن النساء
في المحيض على ان السؤال عن المحيض انما كان عن الاعتزال وان لم يكن في السؤال بيان المراد
وكذلك قوله تعالى ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم الاية دل قوله
وان تخالطوهم على ان السؤال انما كان عن مخالطة اليتامى وكقوله يسئلونك عن الخمر والميسر
قل فيهما اثم كبير دل قوله قل فيهما اثم كبير على ان السؤال عن الخمر والميسر ما ذكر في الجواب
من الاثم وان لم يكن في السؤال بيان ذلك ثم قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ليس
في السؤال ولا في الجواب بيان ما وقع به السؤال فيحتمل ان يكون السؤال في امورهن جميعا
في الميراث وغير ذلك من الحقوق ثم ذكر واحدا واحدا كقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك وكقوله وللنساء نصيب مما اكتسبن وللرجال نصيب
الاية هذا في الميراث واما في الحقوق فقال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
ويحتمل غيرها من الحقوق سوى حقوق النكاح فترك البيان في الجواب لما ذكر واحدا واحدا في
غيرها من الاي اذ الجواب خرج مخرج العموم انه يفعل بقوله عز وجل يفتيكم ويترك فعل هذا والله
اعلم ويحتمل غير هذا وهو ان يترك البيان في السؤال والجواب لنوازل يعرفها اهلها
لم يحتج الى بيان ما وقع به السؤال لمعرفة اهلها ويحتمل ما قاله اهل التاويل وهو انهم
كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد انما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال والذين
يحرزون الغنايم فلما بين عز وجل للنساء والصغار نصيب في الاموال وفرض لهم حقها سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن
وكذلك روي عن ابن عباس وذكر القصة هكذا والله اعلم ويحتمل ان يكون السؤال وقع عن
يتامى النساء الاتي انه قال عز وجل وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان الاية قيل كانت اليتيمة في حجر
الرجل ذات مال يرغب عن ان يتزوجها لدمامتها ويمنعها عن الازواج رغبة في مالها وهكذا
روي عن عائشة رضي الله عنها وعلى ذلك يخرج قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء الاية وقوله والمستضعفين من الولدان هذا والله اعلم كانه معطوف على قوله يستفتو[نك]
في النساء والمستضعفين من الولدان على ما ذكرنا من الميراث والحقوق وان تقوموا لليتامى بالقسط
في ايفاء حقوقهم واداء ما لهم عليكم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما فيجزيكم به او كان
به عليما من يفعل الخير ومن لا يفعل الخير والله اعلم وعن الحسن في قوله وترغبون ان تنكحوهن
اي ترغبون عن نكاحهن وعن ابن سيرين وترغبون في نكاحهن وقول الحسن يرغب عن نكاحها
ورغبة في مالها وعلى ذلك يخرج قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط الاية وقوله تعالى وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى الاية وفي قوله وترغبون ان تنكحوهن دلالة ان للولي ان يزوج اليتيمة

الصغيرة لانه لو لم يكن ذلك له لم يكن للعتاب على ترك تزويجهن من غيرهم معنى فان قيل اسم
اليتيم يقع على الصغيرة والكبيرة جميعا فلعل المراد من اليتيمة الكبيرة ههنا قيل كذلك غير ان
الغالب يقع على الصغار منهن والله اعلم وفيه دلالة ان النكاح قد يقوم بالواحد لانه قال
عز وجل وترغبون ان تنكحوهن فلو لم يكن له ان يتزوجها لم يكن لهذا العتاب معنى دل انه له
ان ينكح وقوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها نشوزا قيل خافت اي علمت من بعلها
نشوزا وقيل الخوف ههنا خوف لا علم فمن قال بالخوف فهو محمول على ان يظهر لها منه جفاء بغضها
لدمامتها او لكبرها ويبغي صحبتها لترضى بالفراق عنه ليتزوج غيرها ومن الخوف حقيقة وكذلك روي
عن ابن عباس انه قال ان سودة بنت زمعة خشيت ان يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت
يومها لعائشة فانزل الله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الاية ثم قال
فهذا الصلح الذي امر الله فجعل الخوف ههنا خشية وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت هي
المراة تكون عند الرجل دميمة ولا يحبها زوجها فتقول لا تطلقني وانت في حل من شاني وقيل
خافت من بعلها نشوزا اي علمت والسبيل هو ان يكون للرجل امراتان احديهما كبيرة او دميمة والاخرى
شابة يميل قلبه الى الشابة منهما ويكره صحبة الكبيرة منهما ويستثقل المقام معها والكون
فتقول له لا تفارقني واجعل ايامي لضرتي وليصلح الحال على ان يكون عند الشابة اكثر من عند الكبيرة
وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هي المراة تكون عند الرجل دميمة ولا يحبها فتقول
لا تطلقني وانت في حل من شاني فالخوف هو ما يظهر لها من نشوزه قبل تزوج اخرى بالعلام والعلم
هو ما يظهر من ترك منها حقه ايامها وتنفر صحبته معها وعلى هذين الوجهين روي عن الصحابة عن
بعضهم يكون عند الرجل امراتان احديهما كبيرة والاخرى شابة فيوثر الشابة على الكبيرة فيجري
بينهما صلح على ان يمسكها ولا يفارقها على الرضا منها بابطال حقها او بعضه وهو ما روينا من خبر ابن
عباس ان سودة جعلت ايامها لعائشة خشية ان يفارقها وكذلك روي عن عمر وروي عن علي
انه اتاه رجل يستفتيه في امراة خافت من بعلها نشوزا قال هي المراة تكون عند الرجل فتنبو
عيناه من دمامتها او كبرها او فقرها او سوء خلقها فتكره فراقه فان وضعت له من مهرها شيئا
حل له وان جعلت من ايامها شيئا لغيرها فلا حرج وذكر هذه الاحاديث التي ذكرنا على ان الرجل اذا
كان له نسوة ان يسوي بينهن فيقيم عند كل واحدة يوما الا ان يصطلحا على غير ذلك والصلح خير
كما قال جل وعز وبين قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية ان على الرجل ان يعدل
بين نسائه في قسمة الايام ان لا يخلي احديهن من الوطء والله اعلم ولا يكون وطيه كله لغيرها
وتكون الاخرى كالمعلقة التي ليست بايم ولا ذات زوج لكنها اذا رضيت بابطال حقها او بعض
حقها فانه لا حرج على الزوج في ذلك فانه اعلم وقوله عز وجل فلا جناح عليهما ان يصالحا
بينهما صلحا يحتمل ان يكون رفع الحرج عن الزوج خاصة وان كان الفعل منهما اذ ليس للمراة
في ترك حقها حرج وكذلك قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ليس على المراة جناح في الافتداء
لانها تفتدي بما لها ولها ان تملك على ما لها من شاءت فكانه قال عز وجل فلا جناح عليه في اخذ
ما افتدت او في ابطال حقها اذا رضيت ويحتمل ان يكون على ما ذكر وهو ان لا حرج على المراة
المقام معه وان استثقل الزوج ذلك ويكره صحبتها والله اعلم وقوله عز وجل واحضرت
الانفس الشح عن ابن عباس قال شحت المراة بنصيبها من زوجها ان تدعه للاخرى وشح الرجل
بنصيبه من الاخرى وقيل الشح الحرص وهو ان يحرص كل على حقه وكان الشح والحرص واحدا

وان كان احدهما في المنع والاخر في القلب لان ما يحمل محمله في الحرص فالحرص محمله على المنع
وكل واحد منهما يكون سبب الاخر والله اعلم وقوله وان تحسنوا وتتقوا اي ان تنكحوهن اكثر
حقهن وتتقوا اي ان لا تحبسوا من حقهن شيئا ويحتمل وان تحسنوا اي حقهن والتسوية بينهن
وتتقوا الجور والميل وتفضيل بعضهن على بعض ويحتمل وان تحسنوا في اتباع ما امركم الله
من طاعته وتتقوا ما نهاكم الله من معاصيه وقوله عز وجل فان الله كان بما تعملون خبيرا
على الترغيب والوعيد وقد ذكرنا معناه في غير موضع وقوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم عن ابن عباس في قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في الجماع
الحق ان تستوي في قلوبكم الحب ولو حرصتم على العدل لا تقدرون عليه في ذلك فلا تميلوا كل
الميل الى التي تحب في النفقة والقسم فتذروا الثانية التي تعجبك وتدع الاخرى بغير قسم ولا
نفقة وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه كان اللهم انا تقلبي فلا املك ذلك ارجو ان اعدل
فيما سوى ذلك والعدل ههنا التسوية الا ترى انه قال في اية اخرى وهم بربهم يعدلون ليس
هو ضد الجور لكن التسوية يسوون بين ربهم وبين الاصنام في العبادة وعن عبيدة قال
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم في الحب وروي عن ابي قلابة ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك انت ولا املك واصل ذلك ان في كل ما كان المرء مدفوعا مضطرا فانه غير مكلف في ذلك
وفي كل ما كان باختياره ومنه وايثار غيره عليه فانه مكلف في ذلك والحب مما يدفع المرء فيه ويضطر
ولا صنع له فيه لم يكلف التسوية فيهما يكون مدفوعا فيه مضطرا لانه لا يملك التسوية وعلى
هذا يخرج قولنا ان الكافر مكلف بالايمان في حال الكفر لشغله به فاختياره فعل الكفر ليس كالمضطر
وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاستطاعة تكون على ضربين استطاعة احوال واسباب واستطاعة
افعال والاستطاعة التي هي استطاعة الاحوال والاسباب من نحو الصحة والسلامة وغيرها
تتقدم الفعل ومعه وتتقدم واما استطاعة الافعال فانها لا تكون الا مع الفعل وبالله التوفيق وقوله
عز وجل فلا تميلوا كل الميل في النفقة والقسمة معناه لا يحملنكم شدة الحب والميل الى ان
تتركوا الانفاق عليها فاتباع الحق من حق النفس وقوله عز وجل فتذروها كالمعلقة ليست بايم
ولا ذات بعل ليست هي بايم فتتكلف هي مؤنتها كما تتكلف الايم ولا ذات بعل فيحمل البعل مؤنتها وفي
حرف ابي بن كعب فتذروها كالمسجونة ومعنى ما ذكرنا لا ينفق هو عليها ولا يخليها لتتزوج زوجا
آخر فهي كالمحبوسة وقوله عز وجل وان تصلحوا وتتقوا هو ما ذكرنا في قوله عز وجل وان تحسنوا
وتتقوا وقوله عز وجل فان الله كان غفورا رحيما هذا ينقض قول من يقول انه لم يكن رحيما ثم صار
رحيما لانه اخبر انه كان رحيما وهو يقول صار رحيما وبالله العصمة ثم المسئلة بان المراة اذا جعلت
ايامها لضرتها كان لها ان ترجع وتنقض ذلك لانها جعلت لها ما لم يجب بعد ولم يلزم فكان كمن ابرأ
آخر عن حق لم يجب بعد فان ابراءه باطل له ان يعود اليه فياخذه به اذا وجب فقيل ذلك هذا
والله اعلم وقوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته اي الزوجان اذا تفرقا ثم تعذر
الزوج في التسوية بينهن يغني الله كلا من سعته المراة بزوج اخر والرجل بامراة ويحتمل
كلا من سعته ان كل واحد منهما وان كان غنيا بالاخر في حال النكاح فان الله قادر على ان يغني كل واحد
منهما بعد الافتراق كما كان يرزق قبل الافتراق وفيه دليل قطع طمع الارتزاق من غير الله وان
كان ان يجعل غيره سببا في ذلك لانه قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله ليعلم كلا ان غناه لم يكن

بالاخر

بالاخر ولكن وعد لهما الغنا وكذلك في قوله وانكحوا الايامى منكم الى قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
دليل قطع طمع الارتزاق بعضهم من بعض في النكاح لما وعد لهم الغنا اذا كانوا فقراء وفيه دليل وقوع الفرقة
بينهما بالمراة بالمكني من الكلام لما ذكرنا فيه وان كان الزوج هو المنفرد بالفراق لما اضاف اليهما
بقوله وان يتفرقا وكذلك قوله فارقوهن وسرحوهن والله اعلم وفيه دليل لزوم النفقة في العدة
لانه ذكر الافتراق والفراق انما يكون بانقضاء العدة ثم اضاف غنا كل واحد منهما بالاخر قبل الفراق
وذلك انه للزوجة غنا بالزوج ما دامت بالعدة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله واسعا
حكيما قيل واسعا جوادا وقيل واسعا يوسع على كل منهم رزقه حكيما حكم على الزوج امساكا بمعروف او تسريحا
باحسان وقيل حكيما حيث حكم في تفريقهما واصل الحكيم ان يضع كل شيء موضعه وقوله ولله ما في السموات
وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله الاية وصينا الخلق
كلهم ان اتقوا الله ثم قوله عز وجل وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم قيل وصينا امرنا
وقيل وصينا فرضنا على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقوله ان اتقوا الله
قيل اي امرناهم ان يوحدوا الله ويتقوا الشرك وقال مقاتل ان اتقوا الله اي وحدوا الله وقيل
قوله ان اتقوا الله اي اطيعوه فيما امركم ولا تعصوه فيما نهاكم عنه ويحتمل ان اتقوا الله اي اتقوا عذاب الله
ونقمته ولا تعبدوا غيره دونه وان تكفروا او لم تتقوا فيما امركم الله ونهاكم فان لله ما في السموات
وما في الارض ذكر هذا على اثر قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
ليعلموا انه لم يأمرهم بذلك لحاجة له في عبادتهم او لمنفعة نفسه اذ من له ملك ما في السموات
وما في الارض لا يحتاج الى آخر ينتفع به ولكن ليعلموا انه انما امرهم بذلك لحاجتهم في ذلك ولمنفعة
انفسهم الا ترى انه قال عز وجل وكان الله غنيا حميدا غنيا عن عبادتكم له ولها عنكم اياه وحميدا في
سلطانه ويكون غنيا عن خلقه في الازل حميدا في فعله وذلك الحمد في الفعل يخرج على انعام الفعل
او على احكامه او على اصابته في خلقه والانعام عليهم وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في
الارض هو ما ذكرنا من غناه عن عبادة خلقه ولما عنهم له ان يشا يذهبكم ويات باخرين وقوله
والله اعلم اي من له ما في السموات وما في الارض يقدر ان يذهبكم ويات باخرين اخر
منكم واحرى والموع لله منكم لكنه لا يفعل لانه غني عن عبادتكم ولها عنكم لم يخلقكم لابتداء
لحاجته في عبادتكم او لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم ومنافعكم والله اعلم ثم يحتمل قوله عز وجل
ان يشا يذهبكم ويات باخرين في قوم خاص كما كان في الامم الخالية من الاهلاك عند المعاندة
والمكابرة ويحتمل في الكل ان يشا يذهبكم ان يهلككم الكل ويات باخرين والله اعلم وقوله
عز وجل وكان الله على ذلك قديرا اي كان الله على الاهلاك والابدال غير عاجز ولا قوة الا بالله وقوله
عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال بعض اهل التاويل
من كان يريد بعمله الذي يعمله عرض الدنيا ولا يريد به الله اتاه الله ما احب من عرض الدنيا
او دفع عنه ما احب في الدنيا فليس له في الاخرة من ثواب لانه عمل لغير الله هو كقوله عز وجل
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا
ثواب الاخرة اتاه الله من عرض الدنيا ما احب ودفع عنه ما احب وجزاه في الاخرة الجنة بعمله
في الدنيا والله اعلم ويحتمل الاية غير هذا وجوها لكنها اشبه من هذا احدها انهم كانوا
يتخذون من دون الله الهة يعبدونها طلبا للرياسة والعز والشرف كقوله عز وجل واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فاخبر ان العز والشرف ليس واكن ذلك عند الله عز

الدنيا والاخرة وان الذين كفروا كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا فاخبر انه لبئس عبادتكم هذه الاوثان دون الله لكم زلفى ولا
ثواب ولكن اعبدوا الله فعنده ثواب الدنيا والاخرة وان كان يحتمل ان يكونوا عبدوا هذه الاصنام
لمنافع يأملون في الدنيا والسعة في الدنيا كقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية فعلى ذلك قوله عز وجل من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة ولا عند من تطلبون والله اعلم ويحتمل ان تكون الاية
في اهل المراءاة والنفاق الذين يراءون باعمالهم الصالحة في الدنيا ثواب الدنيا لا غير والله اعلم
و **قوله** عز وجل وكان الله سميعا لما تقولون بصيرا بما تريدون وتعملون وهو وعيد و **قوله** عز
وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية عن ابن عباس قال
كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على ما كانت من قريب او بعيد ولو على نفسه فاذن بها وكذلك قال
عامة اهل التاويل قوله قوامين قوالين لله ولكن يكون في كل عمل وكل قول يلزم ان يقوم لله ويجعل
الشهادة له فاذا فعل هكذا لا يمنعه عن القيام بها قرب احد ولا بعده ولا ما يحصل على نفسه او
والديه وكذلك قال الله عز وجل في اية اخرى واقيموا الشهادة لله فاذا اخلصها لله عز وجل لم
يجعلها للمخلوق امكن له القيام بها وان كان على نفسه او من ذكرتم ما يمنع القيام بها يختلف اما
على نفسه لنفع يطمع او لدفع ضر ويدفع بذلك واما على الوالدين بالاحتشام يحتشم منهما فيمتنع
عن اداء ما عليه واما القرابة فطلب الغنا لهم ودفع الفقر عنهم فاخبر انه اولى بهما فلا يمنعك غنا
احد منهم ولا فقره القيام بها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تاويل هذه الاية و **قوله**
عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا قيل فيه بوجهين قيل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وتميلوا الى غير
الله وقيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا ويحتمل فلا تتبعوا الهوى لان تعدلوا عن الحق
من الغضب بالعدول و **قوله** عز وجل وان تلووا او تعرضوا اختلف فيه قيل تلووا بجاه واحد من
الولاية يقول كونوا عاملين لله وقائلين له مؤدين الشهادة وان كنتم والين ذلك وقيل فتلووا
بها اوبين من التحريف يقول لا تتبعوا الهوى ولا تحرفوا الشهادة ولا تعرضوا عنها وتكتموها وفي
حرف حفصة ان تكونوا غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وعن قتادة فالله اولى بهما يقول الله اولى
بغنيكم وفقيركم فلا يمنعك غنا غني ان تشهد عليه بحق علمته ولا مرثية لفقير ان تشهد عليه
بحق علمته وفي حرف حفصة وان تتولوا او تعرضوا عن الهوى الولاية التي ذكرنا وقيل والتلوا من التحريف
والطلب للابطال وفي حرف ابن مسعود فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا بين الناس وهو من العدل على ما ذكرنا
وقال بعضهم هو من الضرب والعدل عن الحق و **قوله** عز وجل فان الله كان بما تعملون خبيرا يخرج على
الوعيد على كل ما ذكر من منع الشهادة والقيام بها وتحريف ما لزمتم وبالله العصمة ويتصل
ذلك ما روي عن رسول الله عليه السلام انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على
من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤديه عفوا ولا يلجئه الى سلطان
ولا الى خصومة ليقطع بها حقه وايما رجل خاصم الى فقضيت له على اخيه بحق ليس هو له عليه فلا
ياخذنه فانما اقطع له قطعة من جهنم وروي في خبر اخر يا ابن ادم اقم الشهادة ولو على نفسك
او على الوالدين او على ذي قرابتك او شرف قومك فانما الشهادة لله وليست للناس ان الله رضي بالعدل
والانصاف لنفسه والعدل ميزان الله في الارض يرد على المظلوم من الظالم وعلى الضعيف من الشديد
وعلى المحق من المبطل بالحق يصدق الله الصادق ويكذب الله الكاذب ويرد المعتدي ويوبخه وبالعدل

اصلح الله الناس و **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله يحتمل قوله امنوا بالله
ورسوله وجوها يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الوقت امنوا في الاوقات التي تاتي ويحتمل يا ايها الذين
امنوا امنوا اي اثبتوا عليه ويحتمل يا ايها الذين امنوا بالسنتهم امنوا بقلوبكم كقوله امنا بافواههم ولم
تؤمن قلوبهم ويحتمل يا ايها الذين امنوا عند رؤية الباس والعذاب امنوا في الحقيقة كقوله فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده ويحتمل وجها اخر يا ايها الذين امنوا ببعض الرسل امنوا بالرسل كلهم كما
امن المؤمنون كقوله لا نفرق بين احد منهم وهم كانوا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كقوله نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويحتمل يا ايها الذين امنوا بمحمد قبل ان يبعث امنوا به اذا بعث لانهم كانوا يؤمنون به
قبل ان يبعث فلما بعث تركوا الايمان به كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به امنوا بالله ورسوله يعني محمدا والكتاب الذي نزل على رسوله اي امنوا بالكتاب
الذي نزل على رسوله وهو محمد والكتاب الذي انزل من قبل اي امنوا ايضا بالكتب السماوية التي تركها
الله ثم الايمان ثم الايمان بالله حقيقة ايمان بجميع الرسل والكتب لان كل نبي كان يدعو الى الايمان بجميع
ذلك وكذلك في كل كتاب من الكتب السماوية دعا الى الايمان بجملتهم الا ترى ان الكفر بواحد منهم كفر
بالله وبجميع الرسل والكتب وما ذكر وبالله العصمة و **قوله** ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر يحتمل هذا وجهين يحتمل ومن يكفر بجميع ما ذكر فقد ضل ضلالا بعيدا وهو على التاكيد
ويحتمل ومن يكفر بالله او ملائكته او كتبه او رسله او اليوم الاخر فقد كان ما ذكر لان الكفر بواحد من
ذلك كفر بالكل حتى لو انكر اية من ايات الله كفر بالله وبالكتب والرسل كلها والله الموفق و **قوله** ان
الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله عن ابن عباس قال نزلت الاية
في الذين قال الله في سورة ال عمران كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وقيل انها نزلت في الذين امنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم امنوا بعزير ثم كفروا بعده ثم امنوا
بعيسى وبالانجيل ثم كفروا من بعده ثم ازدادوا كفرا بمحمد وبالقران وهو الاول وقيل غير هذا لكن
ليس بنا الى انهم نزلت حاجة ولكن فيه دليل انها في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ولا يتوبون
لانه قال لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اخبر انه لا يغفر لهم وهو كقوله ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم لما علم الله انهم لا يتوبون والا لو امنوا وتابوا قبلت توبتهم
فعلى ذلك الاول لما علم انهم لا يتوبون ويموتون على ذلك اخبر انه لا يغفر لهم وفيه دليل ان تقبل
توبة المرتد اذا تاب ليس كما قال بعض الناس انه لا يقبل توبة المرتد لانه اثبت لهم الايمان بعد
الكفر والارتداد بقوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا لكذا ندل انه اذا تاب يقبل منه وقال اصحابنا
يستتاب المرتد ثلاثا فان اسلم والا قتل وروي عن علي ابن ابي طالب قال يستتاب المرتد ثلاثا
ثم تلا هذه الاية وعن ابن عمر كذلك وعن عمر انه قدم عليه رجل من الجيش فقال هل حدث كم حدث
فقال ان رجلا من المسلمين ارتد ولحق بالمشركين فاخذناه قال ما صنعتم به قالوا قتلناه قال
هلا ادخلتموه بيتا واغلقتم عليه بابا واطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه ثلاثا فان تاب
والا قتلتموه ثم قال اللهم اني لم اشهد ولم امر ولم ارض حين بلغني وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا
ارتد ثلاثا ثم تاب في كل مرة فانه يحبس في الثالثة اذا تاب حتى يظهر منه خشوع التوبة وذلك
اثر الغالب على توبته فان ظهر ذلك فحينئذ يخلي سبيله لما يحتمل ان تكون توبته فرارا من القتل فيحبس
حتى يظهر حقيقة توبته لانه اظهر الفسق والفاسق يحبس حتى يظهر خشوع التوبة و **قوله** لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لا يحتمل ان يكون اراد بقوله ولا ليهديهم سبيلا البيان على ما قاله

قوم لانه قد تولى لهم البيان لكنهم تعالوا وان لم يهتدوا فقد كان ثم معنى منه سوى البيان لم يعطهم
لما علم انهم لا يهتدون ابدا وهو التوفيق فهذا يرد على من لا يجعل الهدى الا بيانا اذ قد بين لهم ذلك
وقوله بشر المنافقين يكون البشارة المطلقة المرسلة لا تكون الا بالخير خاصة واما اذا كانت مبينة
مفسرة فانها تجوز في الشر كقوله بشر المنافقين بان لهم كذا وكذلك قوله فبشرهم بعذاب اليم
وفي القرآن كثير مما ذكرها في الشر الا مفسرة مقيدة وقوله بشر المنافقين يدل هذا على ان الاية الاولى
في اهل النفاق والمراءاة على ما ذكرنا من التاويل لانه لم يسبق فيما تقدم ذكرهم سوى قوله آمنوا
بالله ورسوله ويحتمل في الابتداء وايضا فيما يعنى ذكر تقدم وذلك جائز في القرآن كثير ثم نعت المنافقين
فقال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ثم يحتمل قوله يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين قولا وفعلا اما القول كقولهم انا معكم انما نحن مستهزئون ونحوه من الايات واما الفعل
فكانوا يمنعون المؤمنين ان ينفروا وهو كقوله وان منكم لمن ليبطئن وكقوله ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم وقوله فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين كانوا يمنعون اصحاب رسول الله والمؤمنين
عن ان ينفروا وهم ويقولون لهم فقد كانوا يرون من انفسهم الموافقة للمؤمنين في الظاهر كانهم
في الحقيقة معهم فهذا والله اعلم تاويل قوله يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله
ايبتغون عندهم العزة قيل قوله ايبتغون على طرح الالف والقائه اي يبتغون بذلك من عندهم
العزة ثم يحتمل قوله ايبتغون عندهم العزة وجهين يحتمل العزة المنعة والنصر وكانوا
يطلبون بذلك النصرة والقدرة عند الكافرين ويحتمل ليتعززوا بذلك والاصل ان حرف
الاستفهام كله من الله له حق الايجاب على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام اذ الله عالم لا يخفى
عليه شيء فيستفهم جل عن ذلك وقوله فان العزة لله جميعا اي النصرة والقدرة كله لله فمن
عنده يكون وبه يتعزز في الدنيا والاخرة ليس من عند اوليك الذين يطلبون منهم وقوله وقد
نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال بعضهم قوله وقد نزل
هو ما ذكرنا في سورة الانعام وهو قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره ثم قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء لانه نهاهم عز وجل عن
القعود معهم اذا خاضوا في طعن القرآن وايات الله فاخبر انه ليس لهم من حسابهم من شيء اذا
قعدوا ثم قال في هذه الاية فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم نهاهم
عز وجل عن القعود معهم واخبر انهم اذا فعلوا ذلك يكونون معهم فهو والله اعلم على النسخ نسخ
هذا الاول ويحتمل قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء في المشركين لم يلحقهم من العقوبة
والمأثم لانهم لا يقدرون على منع المشركين عن الاستهزاء بايات الله والطعن فيها ويقدرون على
منع المنافقين عن ذلك فلحقهم في العقوبة فيما يقدرون على منعهم فلم يمنعوا ودفع عنهم ذلك
فيما لا يقدرون على دفعه وفيه دلالة ان من ابتلي بمنكر وله قدرة التغيير على اهله فلم يغير ان ياثم
في ذلك واما اذا لم يكن له قدرة التغيير عليهم فلم يغير فهو لكن ان قام معهم شاركهم ايضا في العقوبة
فالواجب على كل من ابتلي بذلك وله قدرة التغيير عليهم فعل اي ينكر عليهم ويغيره والا فارقهم
والا لحقه ما لحقهم في العقوبة والله اعلم وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا لانهم كانوا معهم في السر في الحقيقة وان كانوا يظهرون للمؤمنين الموافقة
باللسان فهذا يدل على ان الحقائق في الثواب هو ما يسر المرء ويضمر ليس ما يظهر لان المنافقين
كانوا مع المؤمنين في الظاهر في جميع الاحكام في الانكحة والعقود كلها والجهاد والايمان لهم

باللسان لكنهم اذا اضمروا خلاف ما اظهروا لم ينفعهم ذلك دل ان الحقائق في الثواب ما يسر
ويضمر والله اعلم وقوله عز وجل الذين يتربصون بكم يحتمل وجهين يحتمل يتربصون الغنيمة
والنصر فان كان الفتح للمؤمنين قالوا الم نكن معكم في الايمان والاحكام ليطلبوا الغنيمة
والاشتراك فيها كقوله اشحة على الخير الاية واذا كانت الدبرة على المؤمنين للكافرين يقولون
الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله قد يعلم
الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية كانوا بين المسلمين يخبرون لهم
عورات المسلمين ويطلعونهم على مستور المؤمنين فذلك منهم على المؤمنين واستحواذهم عليهم
والله اعلم ويحتمل يتربصون بكم يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه عندهم بانه لا يدوم
ذلك بل ينقطع عن قريب والله اعلم ويحتمل يتربصون ما ذكر من قوله وتربصتم وارتبتم ثم خرج
تاويله في قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ثم خرج ذلك بقوله
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر الاية فهم انهم يتربصون بهم الانقلاب
الاخر ورجوعه الى اعداء الله فمتى ظهرت لهم العواقب اظهروا الذي له كان دينهم في الحقيقة انه
كان لسعة الدنيا ونعيمها كقوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن الاية وقوله ومن الناس من يعبد الله
على حرف الاية وقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يحتمل هذا ايضا وجهين يحتمل
لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجج في الدنيا اي ليس للكافرين الحجة على المؤمنين في الدين
من شيء الا انه يموه عليه ويتعلق به فيحتج المؤمن في اقامة الحجة عليه ودفع تمويهاته ولا ليس للكافر
حجة يغلبها على المؤمن في الدنيا ويحتمل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الاخرة على دفع
شهاداتهم التي شهدوا عليهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون عليهم كقوله لتكونوا شهداء على
الناس ثم لا سبيل لهم على دفع شهادتهم التي شهدوا عليهم وردها والله اعلم وايضا ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة او في الشهادة او عند الله في الخصومة وانما دعوا الى
كتبهم اذا احتجوا الله فيما دعاهم الى الايمان بالكتب والرسل او في القتل يرجع امره الى العواقب
والله اعلم وقوله الم نستحوذ عليكم الاستحواذ الغلبة وقيل الاستيلاء وقال بعضهم الم نخبركم
بعورة محمد واصحابه ونطلعكم على سرهم ونكتب به اليكم وعن ابن عباس رضي الله عنه الم
نحط من وراءكم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه الم نستحوذ عليكم ومنعناكم من المؤمنين قال
الكسائي هذا في كلام العرب كثير ظاهر ومعنى الم نستحوذ اما استحوذنا ومنعناكم وهو طريف
واصل الاستحواذ الغلبة والقهر وهو ما ذكرنا انهم يخبرون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقولون ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة ويحكم بينهم
والله اعلم هو ان ينزل المؤمنين الجنة والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا في الحجة على ما ذكرنا وكذلك روي عن ابن عباس قال حجة وقيل ظهورا عليهم لكن الاول
اشبه ويحتمل ما ذكرنا من الشهادة انه جعل يوم القيامة للمؤمنين الشهادة عليهم ولم يجعل لهم
الى دفعها وردها عن انفسهم سبيلا والله اعلم وقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم يحتمل قوله يخادعون الله اي يخادعون اولياء الله او دينه فاضيف اليه فهو جائز في
القرآن كثير كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا دين الله او اولياءه ينصركم وقد ذكرنا
هذا في صدر الكتاب وقوله وهو خادعهم اي يجزيهم جزاء خداعهم المؤمنين فسمي خداعا
وان لم يكن في الحقيقة خداعا لانه جزاء الخداع وهو كما سمي جزاء السيئة سيئة وان لم تكن

الثانية في الحقيقة سيئة وكذلك سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء فعلى
ذلك سمي هذا خداعا لانه جزاء الخداع واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه على
ما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في جهة الخداع عن ابن عباس قال يعطي المنافقين مع المؤمنين
نورا كما يعطي المؤمنين فاذا انتهوا الى الصراط طفي نورهم ويبقى نور المؤمنين يمضون
بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فيناديهم الملائكة ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لا يستطيعون الرجوع فذلك قوله وهو خادعهم وكذلك قال
الحسن ثم قال فتلك خديعة الله اياهم وقال اخرون يفتح لهم باب من ابواب الجنة فاذا
راوا ذلك قصدوا ذلك الباب فلما دنوا منه اغلق دونهم فذلك الخداع والله اعلم ويحتمل
وجها اخر وهو انهم شاركوا المؤمنين في هذه الدنيا وفيما فيها من التمتع والتقلب فيها فظنوا
انهم يشاركونهم في منافع الاخرة والتمتع بها فيحرمون ذلك فذلك الخديعة والله اعلم و
قوله وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس الاية جعل الله عز وجل للمنافق اعلاما
في قوله وفعله يعلم بها المنافق اما في القول فما قال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله وان
منكم لمن ليبطئن وقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية واما
في الفعل وهو قوله واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
وقوله ولا يأتون البأس الا قليلا اي القتال وقوله فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم الاية ومثله كثير في القرآن مما جعل ذلك علامة لهم وهو كقوله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم الاية وكقوله واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الاية يراءون في
جميع افعالهم الناس دون حرب خشية يراءون الناس والله يعلم ما في قلوبهم ولا يذكرون الله الا
قليلا عن الحسن في قوله لا يذكرون الله الا قليلا قال انما والله لو كان القليل منهم لله لقبله ولكن
ذلك القليل رياء وقيل لو كان ذلك القليل لله يريد به وجه الله لقبله فكان كثيرا ولكن
لا يقبله منهم وقد يتكلم بالقليل واليسير على ارادة النفي من الاصل والله اعلم وذكر
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الصلاة حيث يراه الناس
واساءها حيث خلا فتلك استهانة يستهين بها ربه وروي في علامة المنافق اخبار روى
ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان للمنافق علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة
وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول لا يقربون المساجد الا هجرا ولا ياتون الصلاة الا دبرا وعن
عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا اؤتمن خان وروي ثلاث وروي عن عبد الله
قال اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر ثم قرأ
الايات ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية وعن وهب قال من خصال المنافق
ان يحب الحمد ويكره الذم وقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء قال
اكثر اهل التاويل ليسوا بمسلمين مخلصين ولا مشركين مصرحين وهو ايضا قول قتادة وقال
مقاتل ليسوا مع اليهود فيظهرون ولايتهم لهم ولا هم مع المؤمنين في التصديق مع الولاية
ويحتمل غير هذا وهو انه لم يظهر لكل واحد من الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم
بل ظهر منهم الخلاف عند كل فريق لانهم كانوا اصحاب طمع عند انفسهم يكونون حيث راوا
السعة معهم فلا الى هؤلاء في حقيقة الدين عند انفسهم ولا الى هؤلاء فذلك والله اعلم تاويله

وقوله من يضلل الله فلن تجد له سبيلا قيل حجة على ما قيل في الاول وقيل فلن تجد له
سبيلا يعني هدى وطريق المستقيم والله اعلم وعن الحسن ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
ما دام كافرا فاذا تاب ورجع عن ذلك فله السبيل وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين عن ابن عباس قال نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكا
فرين اولياء من دون المؤمنين مما اظهر الله تعالى للمؤمنين باقرارهم بالايمان علانية وتوليهم الكافرين
سرا او انهم قال سموا مؤمنين لما كانوا ينتسبون الى المؤمنين فمنعوا عن ذلك وقيل نزلت في المؤمنين
نهاهم ان يتخذوا المنافقين اولياء بما اظهروا الايمان علانية وامرهم ان يتخذوا المؤمنين اولياء
ثم وجه النهي في الولاية واتخاذهم اولياء يكون من وجوه يحتمل النهي عن ولايتهم ولاية الدين
اي لا تتبعوا دينهم ولا تصدقوهم ولا تامنوهم في الدين فانهم يريدون ان يصرفوكم عن دينكم
كقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم الاية ويحتمل النهي عن اتخاذهم
اولياء في امر الدنيا كقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الاية
نهى المؤمنين عز وجل ان يجعلوا المنافقين موضع سرهم في امورهم بالحرب وغيره ويحتمل
في كل امر اي لا تتصلوا وتوهموا ولا تجالسوهم ولا تامنوهم وقوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا اي اتجعلون لله عليكم سلطانا مبينا قيل عذرا مبينا وقيل حجة بينة يحتج بها
عليكم والله اعلم وقوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا فهو والله اعلم الارادة
وهي صفة كل فاعل في الحقيقة وحرف الاستفهام من الله ايجاب فكأنه قال قد جعلتم لله في ذلك عليكم
حجة بينة بفعلها الكل ان ذلك يكون وهو اتخاذ الكافرين اولياء دون المؤمنين حجة ظاهرة
في لزوم المقت وجائز ان تكون الاضافة الى الله ترجع الى اولياء الله يخرج الامر بعض انبياء الله في القول
بجاء وعد الله وكان ذلك منهم حجة بينة عليهم لاولياء الله انهم لا يتخذون الشيطان اولياء
وعبادة غير الله ولا تتخذوه ولا تؤمن الا بالله وقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
الدرك بالجزم والفتح لغتان وهما واحد يقال للجنة درجات وغرفات وللنار دركات
بعضها اسفل من بعض وقيل كلما كان اسفل كان العذاب فيها اشد الا ترى انه اخبر عنهم بقوله
وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من
الاسفلين فقوله ليكونا من الاسفلين منهم في الدركات اشد عذابا الجرمين لقولهم نجعلهما تحت اقدامنا
معنى ذلك ان كل ما كان اسفل من الدركات كان فيه العذاب اشد والله اعلم وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر عبد المطلب وهشام بن المغيرة فقال هما من ادنى اهل النار عذابا
وهما في ضحضاح من النار خالدين فيها وادنى اهل النار عذابا في رجليه نعلان من نار يغلي بهما
دماغه وعن ابن مسعود قال الادراك توابيت من حديد تصمت عليهم في اسفل النار وقيل
ان العذاب في النار واحد في الظاهر وهو مختلف في الحقيقة وايد ذلك قوله تعالى وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لكن بعضهم لا يشعر بعذاب غيرهم كقوله قالت اخراهم لاولاهم
ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف فسألوا ان يجعل لهم
ضعفا من العذاب جزاء ما اضلوا فاخبر ان لكل ضعفا من الاية ثم تخصيص المنافقين في الدرك
الاسفل من النار دون سائر الكفرة وجوه ثلاثة احدها انهم كانوا يطعنون في اخبار وصفة
المؤمنين ويشككونهم في دينهم ويتكلفون اخراجهم من الايمان وكان كذلك دابهم وعادتهم
فاستوجبوا بذلك ذلك العذاب جزاء ما سعوا في افسادهم والله اعلم ويحتمل ان يكون

الضحضاح الماء القريب القعر

وذلك لهم لانهم كانوا عونا للكفرة وظلايا لهم يخبرون بذلك من اخبارهم وسرائرهم
ويطلعون على عورة القوم بذلك سعيهم في امر دينهم ودنياهم بالنفاق كقوله الم نستحوذ عليكم
الاية ويحتمل وجها اخر وهو انهم لم يكونوا في الاحوال كلها الذين يثبتون عليه في حال
الرخاء والضيق ولكن كانوا مع السعة والرخاء حيث كان ولا كذلك سائر الكفرة بل كانوا في
حال الرخاء والشدة على دين واحد يعبدون الاصنام واولئك مع المؤمنين في حال اذا كانت
السعة معهم ومع الكافرين في حال اذا كانت السعة معهم لا يقرون على شيء واحد مترددين بين ذلك
كما قال جل وعز مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والكفرة عبدوا الاصنام عبدوا رجاء
التقرب الى الله وامن الله لهم بذلك ليكونوا لهم شفعاء عند الله واهل النفاق لم يكونوا
يتعبدون غيره لطمع لهم ومن معه شيئا لهم فلذلك ازداد عذابهم على عذاب غيرهم ولما
هم جمعوا الى الكفر بالله المخادعة والتغرير واغراء الاعداء واستهزاءهم لما قد اشتركوا
الفرق كلهم في اللذات وفي طلب الشهوات فصار ايهم ما استحق كل منهم من العقوبة وبما
بذلك شاركوا في كل المعاصي وسبيلها اعطاء لانفسهم الشهوات مع ما منهم تقرير صفة المؤمنين
والتلبيس عليهم ولا قوة الا بالله وقوله الا الذين تابوا واصلحوا عن ابن عباس قال تابوا
من النفاق واصلحوا اعمالهم واعتصموا بالله يقول وتمسكوا بالله وقيل الا الذين تابوا واخلصوا
دينهم لله فاولئك مع المؤمنين يقول من المؤمنين اي صاروا كسائر المسلمين وفي حرف ابن مسعود
وابي الا الذين تابوا ثم امنوا بالله والرسول والكتاب الذي انزل اليه من ربه وما انزل
الى النبيين من قبل ثم اخلصوا دينهم لله واعتصموا به اولئك مع المؤمنين وسوف يؤت
الله المؤمنين اجرا عظيما وعن ابن عباس واخلصوا دينهم لله قال لم يتوا وان كانت سرائرهم
كعلانيتهم او افضل وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم تاويله والله اعلم ان ليس
لله عز وجل حاجة في تعذيبه اياكم ان صدقتم وامنتم ولكن الحكمة توجب تعذيب من كذبه واذ
ليس له حاجة في تعذيبكم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا في قوم فرطوا في التكذيب ومعاندة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فظنوا انهم وان امنوا به وصدقوه لم ينفعهم لما كان منهم من التفريط
في التكذيب والتمادي في المعاندة فاخبر عز وجل انه لا يعذبهم ان امنوا به بما كان منهم من التكذيب
والاعتقاد كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم فيما بين الخلق يكون على الجزاء
والمكافاة كقوله من لم يشكر الناس لم يشكر الله واما فيما بينهم وبين ربهم فهو على غير الجزاء والمكافاة
اذ ليس في وسعهم القيام باداء شكر اصغر نعمة انعمها عليهم فكيف وهم عند الله ليس يخرج الامر على
ما به امر المكافاة ولكنه يخرج على وجه معرفة النعم انها منه والثناء على معرفة التقصير
والاعتراف بالعجز عن اداء شكرها والثناء ان لا يستعملها الا في طاعة ربه وقوله وكان الله شاكرا
عليما يقبل الايمان بعد الجحود والتكذيب اذا تاب وقيل شاكرا اي يقبل القليل من العمل اذا
كان له خالصا ليس كملوك الارض لا يقبلون اليسير من الاشياء وقيل شاكرا يقبل اليسير من
العمل ويعطي الجزيل من الثواب وذلك هو الوصف في الغاية من الكرم والله اعلم وفي حرف
ابن مسعود ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا لاعمالكم الحسنة عليما بها وهو ما ذكرنا
والله اعلم وقوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اختلف في تاويله وتلاوته
قال بعضهم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فانه لا باس ان يدعو اذا كان مظلوما وقال
اخرون الجهر بالسوء من القول هو الشتم اخبر انه لا يحب ذلك لاحد من الناس ثم استثنى الا من ظلم

واعتدي عليه فانه رد عليه مثل ذلك فلا حرج عليه وكذلك قال ابن عباس قال الجهر
بالسوء من القول ان يشتم الرجل المسلم في وجهه الا ان يشتمه فيرد كما قال وذلك قول الله الا
من ظلم وان يعفو فهو افضل وقرا بعضهم الا من ظلم بالنصب فهو يحتمل الا من ظلم فان له الجهر
بالسوء من القول فانه لم يكن له ذلك وهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فانهم
وان لم تكن حجة عليكم فانهم يحتجون عليكم بمثل ذلك الظالم وان لم يكن له الجهر بالسوء من القول
فانه يفعل ذلك والله اعلم ومن قرا الا من ظلم بالرفع فتاويله ما ذكرنا والله اعلم انه لا يبيح لاحد
الجهر بالسوء من القول الا المظلوم فانه يباح له ان يدعو على ظالمه وينتصر منه والثاني ما قيل
من شتم اخر فانه لا يباح له ولا يؤذن ان يرد عليه مثله وينتصر منه وقيل نزلت الاية
في ابي بكر شتمه رجل بمكة فسكت عنه ما شاء الله ثم انتصر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وتركه
وعن الحسن قال قال رسول الله عليه السلام المستبان ما قالا فهو على البادي حتى يعتدي المظلوم
وقال الا لا تسبوا فان كنتم فاعلين لا محالة فليقل الرجل من صاحبه فليقل انك لجبان وانك
لبخيل واصل هذا الاستثناء ان الاول وان لم يكن من نوع ما استثني فهو جزاؤه وجزاء الشيء يسمى
باسمه كما سمى الله عز وجل السيئة سيئة بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى جزاء الاعتداء
اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك استثنى الا من ظلم وان لم يكن من نوعه
لانه جزاء الظلم والاعتداء والله اعلم وقيل ان الاية نزلت في الضيف ينزل بالرجل فلا
يضيفه ولا يحسن اليه فجعل له ان ياخذه بلسانه والى هذا يذهب اكثر المتاولين لكنه بعيد
وفي قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم دليل على انه ليس في اباحة الشيء في حال
يوجب حظره في حال اخرى لانه نهى عن الجهر بالسوء من القول ثم لم يدل ذلك على انه لا ينهى عن ذلك
في غير حال الجهر وقوله وكان الله سميعا بجهر السوء عليما به ثم قال ان تبدوا خيرا او
تخفوه او تعفوا عن سوء يحتمل والله اعلم ان العفو والسماح خير عند الله من الانتصار ويحتمل
هذا وجهين يحتمل ان يكون على الترغيب رغبهم عز وجل بالعفو عن السوء والمظلمة فكما انه يعفو
عن خلقه ويتجاوز عنهم مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظالمكم ايضا وان قدرتم على
الانتصار والانتقام منهم فيكون لكم بذلك عند الله الثواب ويحتمل ان يامرهم بالعفو
عن مظالمهم ليعفو عز وجل عن مظالمهم التي فيما بينهم وبينه وتعفوا على ذلك يخرج قوله فان
الله كان عفوا قديرا والله اعلم فان الله اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو صاحبكم المسيء
اليكم وقال بعضهم الله اجدر واحرى ان يعفو عنك اذا عفوت عن اخيك في الدنيا وهو على
ذلك اقدر وقوله ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
يحتمل وجهين يحتمل قوله ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
فيكون قوله يكفرون بالله في الدهرية لانهم يكفرون بالله ولا يؤمنون به ويقولون بقدم
العالم لم يزل كذلك فهم وقوله ورسله يكون في الذين يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل كلهم وقوله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الذين كفروا ببعض الرسل وامنوا ببعض الرسل ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ثم اخبر عز وجل منهم جميعا مع اختلاف مذاهبهم انهم كفار وحقق
لهم الكفر بقوله اولئك هم الكافرون حقا ويحتمل ان يكون فيمن امن ببعض الرسل وكفر ببعض
فيكون الكفر ببعض الرسل كفرا بالله وبجميع رسله وبجميع كتبه لان كل واحد من الرسل يدعو
الخلق كلهم الى الايمان بالله والايمان بجميع الرسل والكتب واذا كفر بواحد منهم كفر بالله وبالرسل

حقاً والله اعلم وقوله اولئك هم الكافرون حقاً يحتمل وجهين يحتمل اولئك هم الكافرون
الذين حق عليهم الكفر بالله والثاني يكفرون ببعض الرسل الكفر والذي كفروا ببعض الرسل فقد حق
عليهم الكفر بالله تعالى لان الكفر بواحد من الرسل كفر بالله وبالرسل جميعاً وقوله واعتدنا
للكافرين عذاباً مهيناً يهانون فيه وقوله ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً اي ويتخذون
غير ذلك سبيلاً على طرح الزائد ثم ان اي يتخذون بين ذلك اي بين الايمان ببعض الرسل والكفر
ببعض الرسل دينا ذلك لا ينفعهم الكفر والبعض الرسل ثم نعت المؤمنين فقال والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل وقالوا آمنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابراهيم الى آخر ما ذكر في الآية ولا دلالة نقض قول المعتزلة لانهم لا يسمون
صاحب الكبيرة مؤمناً ومؤمن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد من رسله فدخل في قوله اولئك
سوف نؤتيهم اجورهم يؤتيهم اجورهم وهم يقولون لا يؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيماً
اخبر انه لم يزل غفوراً رحيماً وهم يقولون لم يكن غفوراً رحيماً ولكن صار غفوراً رحيماً بالتوبة
السيئة وقوله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء قيل في احد التاويلين كان
يريد كل احد منهم ان يأتي الى كل رجل منهم بكتاب ان محمداً رسول الله وهو كقوله بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفاً منشرة كلا وكقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقيل سألوا
ان يأتيهم بكتاب جملة مثل التورية مثل قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما انزلت التورية
على موسى جملة واحدة لانهم يقولون ان هذا القرآن من اختراع محمد واختلاقه لانه لو كان من الله
نزل جملة كما نزلت التورية جملة غير متفرقة فاخبر فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا
جهرة وقد سألوا محمداً مثل سؤال اولئك موسى وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا يعزي
عز وجل رسوله ويصبره على اذاهم يقول والله اعلم انهم سألوا الآيات على رسالته فاتى بها
فلم يؤمنوا فخبر ان سؤالهم سؤال تعنت لا سؤال استرشاد لان سؤالهم لو كان سؤال استرشاد
لكانوا اذا اتوا بها قبلوها ولذلك اخذهم العذاب بقوله فاخذتهم الصاعقة بظلمهم لانهم كانوا
يسألون سؤال تعنت لا سؤال رشد وفي الآية دلالة ان احدكم لا يلزمه التبليغ على شهوة السائل
وارادته ولكن يلزمه ان يأتي بما هو دليل في نبيه ودينه ولانه ايضاً ان المجوس ليسوا من اهل
الكتاب لانه لما قال يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء لم يخطر بباب احد
انه اراد المجوس بقوله اهل الكتاب والله اعلم فبطل قول من قال بانهم من اهل الكتاب والله
اعلم وقوله فاخذتهم الصاعقة بظلمهم والصاعقة هي العذاب الذي فيه الهلاك وقد
ذكرنا فيما تقدم وانما اخذهم العذاب بكفرهم بموسى بعد ما اتاهم موسى صلى الله عليه وسلم بآيات
الرسالة لا بسؤالهم الرؤية لانه لو كان ما اخذهم العذاب انما اخذ بسؤال الرؤية لكان
موسى بذلك اولى حيث قال رب ارني انظر اليك فدل ان العذاب انما اخذهم بتعنتهم وتكذيبهم
بعد ظهور الآيات لهم انه رسول وذلك قوله ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات يخبر نبيه
صلى الله عليه وسلم عن شدة تعنتهم في تكذيب الرسل وكثرة تمردهم وسفههم ليصبر على اذى
قومه ولا يظن انه اول مكذب من الرسل وقوله وآتينا موسى سلطاناً مبيناً قيل السلطان
المبين يحتمل الآيات التي اتاهم ما يعقل كل احد انه لم يأت به الا كان برهانه وحجته اذ هي كانت
خارجة عن الامر المعتاد بين الخلق من نحو اليد البيضاء والعصا وفرق البحر وغير ذلك و
قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم حين لم يقبلوا التورية فعند ذلك قبلوا ثم اخذ عليهم

الميثاق

الميثاق بين لك وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت يقول لا تعملوا في السبت عملاً من الدنيا تفرغوا فيه للعبادة وفي حرف حفصة
وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وقال ابو معاذ وبقراءة لا تعدّوا في السبت يعني لا تشدوا بقيد
احد السابقين وان شئت تعتدوا ولا تعدوا التاء في الدال وقوله واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً هو
ما ذكر قال ابن عباس من ارسل الله اليه رسولاً فالواجب فقد وجب في نفسه ميثاقاً غليظاً
وقال مقاتل الميثاق الغليظ هو اقرارهم بما عهد الله اليهم في التورية وقوله فبما نقضهم ميثاقهم
وكفرهم بآيات الله قال الكسائي ما ههنا صلة يقول فبنقضهم ميثاقهم وفي حرف ابن مسعود
وكفرهم بآيات الله من بعد ما تبينت وقال مقاتل فبنقضهم اقرارهم بما في التورية وبكفرهم
بآيات الله يعني بالانجيل والقرآن وهم اليهود وقوله وقتلهم الانبياء بغير حق يحتمل على حقيقة
القتل ويحتمل على القصد والهم في ذلك وقد هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة
وعن ابن عباس قال كانوا يقتلون الانبياء واما الرسل فكانوا معصومين لم يقتل رسول قط
الا ترى انه قال انا لننصر رسلنا وقال عز وجل انهم لهم المنصورون وقوله وقولهم قلوبنا
غلف قيل فيه بوجهين احدهما انهم قالوا قلوبنا اوعية للعلم لا تسمع شيئاً الا حفظته فالقرآن
في هذا الوجه غلف والثاني قالوا قلوبنا في اكنة مما تقول لا نعقل ما تقول فاقتراؤه في هذا
الوجه غلف فيه ثم قال بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل ان يكون هذا جواباً ورداً على قولهم
ان قلوبنا اوعية للعلم لا تسمع شيئاً الا وعته اخبر عز وجل انه طبع على قلوبهم بكفرهم
فلا يفقهون شيئاً والله اعلم وقوله وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً قال ابن عباس قذفوها
بالزنا وهو قولهم لقد جئت شيئاً فريا وقيل قوله وكفرهم ان كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن وقولهم على مريم ما قالوا لقد جئت شيئاً فريا وقولهم انا قتلنا المسيح قيل سمي
مسيحاً لان جبريل صلى الله عليه وسلم مسحه بالبركة فهو كالممسوح الفعيل بمعنى المفعول وذلك
جائز في اللغة وقيل المسيح بمعنى ماسح لانه كان يمسح المريض والابرص والاكمه فيبرأ فسمي
لذلك مسيحاً وذلك جائز الفعيل بمعنى فاعل والله اعلم وقوله انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله الآية تتعلق الناس بهذه الآية من وجهين احدهما في جواز الغلط والخطاء
في المشاهدات والمعاينات والثاني في احتمال المتواتر من الاخبار الغلط والكذب وذلك
انه قيل في القصة ان اليهود طلبت عيسى ليقتلوه فحاصروه في بيت ومعه نفر من اصحابه
الحواريين فادركهم المساء فباتوا يحرسون فاوحى الله الى عيسى اني متوفيك ورافعك الي فاخبر
اصحابه وقال ايكم يحب ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويجعله الله يوم القيمة معي في درجتي فقال
رجل منهم انا يا رسول الله فالقى الله تعالى عليه شبهه ورفع عيسى صلى الله عليه وسلم فلما اصبح القوم
اخذوا الذي القى الله عليه شبهه فقتلوه وصلبوه وقيل انه القى شبهه على رجل من اليهود وقيل
فيه انه صلى الله عليه وسلم لما هموا بقتله التجأ الى بيت فدخل فاذا جاؤا في طلبه فدخل رجل
منهم البيت ليقتله فابطأ عليهم فظنوا انه قاتله فلما خرج وقد القي شبهه عليه فقتلوه وقالوا
لما قتلوا ذلك الرجل وعندهم انه عيسى لما كان به شبهه ثم لم يكن ذلك عيسى ما يمنع ان يكون
ما يشاهد ويعاين انه في الحقيقة على غير ذلك كما شاهدوا ذلك الشخص وعاينوا وعندهم انه
عيسى ثم لم يكن والله اعلم ثم الخبر ايضاً قد تواتر فيهم بقتل عيسى فكان كذباً فما يمنع ايضاً ان
الاخبار المتواترة يجوز ان تخرج كذباً وغلطاً قيل اما الخبر فقيل انما انتشر عن ستة او سبعة

على ما ذكر في القصة وإن الخبر الذي كان انتشاره بين الكل التقدم من العدد من أخبار الآحاد
عندنا وأما قوله ولكن شبه لهم تجوز أن يكون ذلك التشبيه تشبيه خرافة قتل من ألقي
الشبه على غيره وقتله حقيقة وذلك أنه ذكر في بعض القصة أنهم لما طلبوه في ذلك البيت
فلم يجدوه ولم يكن غاب أحد منهم فقالوا قتلناه لا تظهر لنا أنه دخل البيت ثم دخلوا
هم على أثره فلم يجدوه وكان ذلك أنبائهم عظيم آيات رسالته فلم يحبوا أن يقولوا ذلك
فقالوا قتلناه كذبا فذلك تشبيه منهم لهم والله أعلم فإن احتمل هذا لم يكن ما قالوا من تخطئة
النبي لهم ذلك فلو كان ما قال أهل التأويل من إلقاء شبهه عليه فذلك من آيات رسالته إذ أراد
الله أن يكون آية له فإنه تقد غيبته عنهم وفي حال إقامته بينهم والله أعلم وقوله وإن
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قتل عيسى أو لم يقتل وقيل لفي شك منه في عيسى أي على الشك
يقولون إنه ابن الله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن أي لكنهم لهم بذلك إلا اتباع الظن
الأول منهم بظنهم في غير يقين وما قتلوه يقينا أي ما قتلوا ظنهم يقينا بل رفعه الله وقيل وما
قتلوه يقينا أي يقينا ما قتلوه بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا أي منيعا عن أذاهم حين حال
بينهم وبين عيسى أن يقتلوه ويصلبوه إليه حكيما حكم أن يرفعه الله حيا وعن ابن عباس وكان الله
عزيزا حكيما أن رسله يكونون معصومين وهو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز
وقوله عز وجل أيضا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم وقوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه قال
بعضهم قوله قبل موته أي قبل موت عيسى إذا نزل من السماء آمنوا به أجمعون وبه يقول
الحسن وقال الكلبي إن الله إذا أنزل عيسى عند خروج الدجال فيقتل الدجال يؤمن به
بقية أهل الكتاب فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا أسلم وقال بعضهم إلا ليؤمنن به قبل
موته أي قبل موت الكتابي لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى قيل وإن ضرب بالسيف قال وإن
ضرب بالسيف وقال هي في حرف أبي إلا ليؤمنن به قبل موتهم لكن لا يؤمن وقيل إن كان هذا أي
فهو في رؤسائهم الذين كانت لهم رياسة فلم يؤمنوا حذرا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع
التي كانت لهم فلما حضرهم الموت أيقنوا بذهاب ذلك عنهم فعند ذلك يؤمنون وهو والله
أعلم كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت
الآن لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كقوله لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل لأنه
إيمان دفع العذاب واضطرار كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية فكان
إيمانهم إيمان دفع العذاب عن أنفسهم لا إيمان حقيقة لأنه لو كان إيمان حقيقة لقبل ولكن
إيمان دفع كقوله عن فرعون حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو
إسرائيل فلم يقبل ذلك منه لأنه إيمان دفع العذاب وإيمان اضطرار لا إيمان حقيقة فعلى ذلك
الأول وبالله التوفيق وقيل في حرف ابن مسعود وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به
قبل موتهم وفي حرف حفصة وإن كان أهل الكتاب لما ليؤمنن به قبل موته وقيل ليؤمنن
به قيل بالله وقيل بعيسى وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن عيسى صلى الله عليه وسلم
إذا نزل يدعو الناس إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
قيل الله يكون عليهم شهيدا بأنه قد بلغ رسالة ربه إليهم وأقر على نفسه بالعبودة وقيل الشهيد
الحافظ وقيل في يوم القيمة يكون عيسى عليهم شهيدا وقيل يكون محمد عليهم شهيدا وهذا كله

يحتمل

يحتمل والله أعلم بما أراد وقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت
لهم لولا آية أخرى سوى هذه لا صرفنا قوله تعالى حرمنا عليهم طيبات على المنع دون
حقيقة التحريم لا يقولها أهل كفر فلا ينبئا لون ما يأتينا ولون منا المحرم والمحلل ولا يمتنعون عن
التناول من ذلك فإذا كان ما ذكرنا صح أن يصرف تأويل الآية إلى المنع كقوله وحرمنا
عليه المراضع من قبل فليس هو على التحريم ولكن على المنع أي منعناه فلم يأخذ من ثدي المراضع
دون ثدي أمه فعلى ذلك يجب أن يكون الأول ثم المنع لهم يكون من وجهين أحدهما منع من
جهة منع الإنزال لقلة الأمطار والقحط كما في يوسف عليه السلام وسني مكة على ما كان
لهم من القحط والثاني منع من جهة الخلق أن لا يعطوا أشياء لا بيعا ولا شراء ولا هبة ولكن في
آية أخرى بيان أن قوله حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم أنه على التحريم ليس على المنع وهو قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو
الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم أخبر الله ذلك جزاء بغيهم فدل ما ذكرنا في الآية
أن ذلك على حقيقة التحريم لما يحتمل أن يكون لا يحتمل تأويله ما ذكر في الآية ولكن كانوا يأتونا ولون
ارتكابا على غير الاستحلال لحرمة ذلك عليهم وفي قوله حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم دلالة لأصحابنا
في قولهم إن من قد أقر أن هذا الشيء لفلان اشتريته منه أنه له ولا يؤخذ منه والأولى أن يأخذ
قوله هذا الشيء لفلان اشتريته منه أنه إذا اشتراه منه لا يكون لفلان فيكون ذلك منه إقرارا
له لكنه على الإيجاب كأنه قال هذا الشيء كان لفلان اشتريته منه وكذلك قوله حرمنا عليهم طيبات
أحلت لهم أي كانت أحلت لهم وكذلك في حرف ابن مسعود وحرف ابن عباس حرمنا عليهم طيبات
كانت أحلت لهم وقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا أي بصدهم الناس عن سبيل الله كثيرا يحتمل
هذا وجهين يحتمل أنهم صدوا وأمروا فيستحلون ويستتبعون عن سبيل الله كانوا يدعون على
الباطل وعلى غير سبيل الله فذلك الصد محتمل ويحتمل أنهم كانوا يصدون عن سبيل الله بالقتال
والحرب وقوله وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه دل أن الربوا لم يزل محرما على الأمم كلها كما
حرم على هذه الأمة وقوله وأكلهم أموال الناس بالباطل يحتمل هذا وجهين أكل أموالهم
بالباطل من الرشوة كقوله وأكلهم السحت قيل هو الرشوة وقيل ما كانوا يأكلون من أموال
الأتباع والسفلة بتحريفهم التورية لهم وهو قول ابن عباس وقوله وأعتدنا للكافرين
منهم عذابا أليما الآية ظاهرة وقوله لكن الراسخون في العلم استثنى الراسخين منهم والرسوخ هو
ثبات الشيء في القلب يقال رسخ العلم في القلب ورسخ الإيمان في القلب وقوله لكن الراسخون
في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة وروي عن
عائشة أنها قالت هذا خطأ من الكاتب هو المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة وكذلك في
حرف ابن مسعود والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة وقال الكسائي وجه قراءتنا يؤمنون
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة يقول يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك ويؤمنون بإقامة الصلاة كما قال في سورة البقرة ولكن البر من آمن بالله يعني
ولكن البر الإيمان بالله وقال بعضهم قوله يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين
الصلاة يعني الرسل وفي حرف حفصة لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك المقيمين الصلاة المؤتين الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر سنؤتيهم أجرا
عظيما وكذلك في حرف أبي المقيمين الصلاة بالنصب وقوله إنا أوحينا إليك كما أوحينا

الي نوح والنبيين من بعده قيل فيه بوجوه قيل قوله كما اوحينا الي نوح الكاف صلة زايدة
ومعناه انا اوحينا اليك ما اوحينا الي نوح ومن ذكر من بعده اي لا تخلف ما نزل اليك وما انزل
الي غيرك من الرسل وهو كقوله وانه لفي زبر الاولين وان هذا لفي الصحف الاولي وقيل انا
اوحينا اليك من الحجج والايات كما اوحينا الي نوح ومن ذكر من الحجج والايات علي صدق ما ادعوا
اي قد اعطاك من الحجج والايات ما يدل علي رسالتك ونبوتك كما اعطي اولئك من الحجج والايات علي
صدق ما ادعوا من الرسالة والنبوة ثم لم يومنوا وقيل ان اليهود قالوا ان محمدا لو كان رسولا
لكان يوتي كتابا جملة كما اوتي موسي كتابا جملة من غير وحي فانزل الله تعالي انا اوحينا اليك كما
اوحينا الي نوح والنبيين من بعده وهما من غيرانه اوتي كل منهم كتابا جملة كما اوتي موسي ثم كان
اولئك رسلا فعلي ذلك محمد صلي الله عليه وسلم رسول وان لم يوت كتابا كما اوتي موسي وليس ان
ينزل ذلك بل من شاء كتابا جملة مرة ومن شاء يوحي اليه بالتفاريق والله اعلم بذلك و قوله
واوحينا الي ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ومن ذكر يحتمل ذكر ابراهيم ومن ذكر من
اولاده بعد قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبيين من بعده علي التخصيص لابراهيم
ومن ذكر لانه ذكر النبيين بعد نوح ثم خص هولاء بالذكر تفضيلا وتخصيصا لهم ويحتمل
ان يكون قوله والنبيين من بعده الرسل الذين كانوا بعد نوح قبل ابراهيم ثم ابتدا الكلام فقال
واوحينا الي ابراهيم ومن ذكر في حرف حفصة انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح وكما اوحينا
الي الرسل من بعدهم وكما اوحينا الي ابراهيم فهذا يدل علي ما ذكرنا من ابتداء الذكر لهم والله اعلم
والاية ترد علي القرامطة مذهبهم لانهم يقولون ان الرسل سبعة في كل زمان لانه ذكر في الاية
اكثر من عشرة فظهر كذبهم وكذب وتخاليطهم التي يقولونها من الشيطان ووحيه في قلوبهم و قوله
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ذكر في بعض القصة ان اليهود قالوا ان
موسي لم يذكر فيمن ذكر من الانبياء فانزل الله ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل هو لا عكة في الانعام
وفي غيرها لانه قيل ان هذه السورة مدنية ثم في قوله ورسلا لم نقصصهم عليك دلايل من وجوه
احدها ان معرفة الرسل باجمعهم واحدا فواحدا ليس من شرط الايمان بعد ان يومن بهم جميعا
لانه اخبر عز وجل ان من الرسل من لم يقصصهم عليه ولو كان معرفتهم من شرط الايمان لقصهم عليه
جميعا لا يحتمل غير ذلك دل انه ليس ذلك من شرط الايمان والله اعلم والثاني ان الايمان ليس
من المعرفة ولكنه التصديق لانه لم يوخذ عليه معرفة الرسل واخذ بتصديقهم والايمان بهم
جملة و قوله وكلم الله موسي تكليما اختلف فيه قال بعضهم خلق الله كلاما وصوتا واسمع كيف
في مسامعه وقال اخرون كتب له كتابا فكلمه بذلك فذلك معني قوله وكلم الله موسي تكليما
لان كلمه بكلامه ولا ندري كيف كان سوي انا نعلم انه احدث صوتا لم يكن فاسمع موسي ذلك كيف
شاء وما شاء ومتي شاء لان كلامه الذي هو موصوف به في الازل لا يوصف بالحروف ولا بالهجاء
ولا بالصوت ولا بشي مما يوصف به كلام الخلق بحال وما يقال هذا كلام الله انما يقال علي الموافقة
والمجاز كقوله حتي يسمع كلام الله ولا سبيل له الي ان يسمع كلام الله الذي هو موصوف به في
الازل ولكنه علي الموافقة والمجاز يقال ذلك و قوله وكلم الله موسي تكليما يخرج هذا
والله اعلم مخرج التخصيص له اذ ما من رسول الا وقد كان له خصوصية لم تكن تلك لغيره فهذه
خصوصية لموسي صلي الله عليه وسلم اذ كلمه من غير ان كان ثم سفيرا او رسول وكان لسائر الرسل
وحيا يوحي اليهم اي بدليل برسول والله اعلم و قوله وكلم الله موسي تكليما دل المصدر علي تحقيق

الكلام اذ المصادر مما يوكد حقايق ما له المصادر وفي موضع التفهيم وابين ذلك الامر المشهور
من تسمية موسي كليم الله وما جري علي السن الخلق من القول بان الله كلم موسي فثبت انه كان
له فيما كلمه خصوصية لم يشترك فيه غيره من الرسل وعلي حق الوحي وانزال الكتب له شركا
في ذلك من الرسل فثبت ان لما وصف به موسي خصوصية بان به غيره علي ما ذكر من خصوصية
كثير من الرسل بآيات او نعوت او جعلت لهم التفضيل بها وان كان جل ما يحمل تلك الخصوص
قد يتوجه الي ما قد يشترك في ذلك جملة الرسل فيصل ذلك امر تكليم موسي صلي الله عليه وسلم
و قوله رسلا مبشرين ومنذرين اخبر انه بعث الرسل بالبشارة في العاقبة لمن اطاعه والانذار
لمن عصاه فهذه السبيل ان كل امر لا عاقبة له فهو عبث ليس من الحكمة وان الذي دعا الرسل الخلق
اليه انما دعوا الا امرا له عاقبة اذ في عقل كل احد ان كل امر لا عاقبة له ليس بحكمة فهذا والله اعلم معني
قوله رسلا مبشرين ومنذرين لمن اطاع الله بالجنة ومنذرين لمن عصاه بالنار و قوله لئلا يكون
للناس علي الله حجة يحتمل هذا وجهين يحتمل لئلا يكون للناس علي الله الاحتجاج بانه لم يرسل الرسل
الينا وان لم يكن لهم في الحقيقة عند الله عز وجل ذلك فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك من قبل ان نذل ونخزي ويحتمل قوله لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل حقيقة الحجة لكن
ذلك انما يكون في العبادات والشرايع التي سبيل معرفتها السمع لا العقل واما الدين فان سبيل
لزومه العقل فلا يكون لهم في ذلك علي الله حجة اذ في خلقه كل احد من الله دليل ما لو تامل وتفكر
فيها لدلته علي وحدانيته وعلي وحدانيته وربوبيته لكن بعث الرسل لتقطع الاحتجاج لهم عنه
وان لم تكن لهم الحجة وان كان علي حقيقة الحجة في العبادات والشرايع فبعث الرسل لقطع
الحجة لهم والله اعلم و قوله وكان الله عزيزا حكيما اي لا يعجزه شي عن اعزاز من اراد وان يعزه
ولا علي اذلال من اراد واذلاله حكيما يعرف وضع كل شي موضعه وقد ذكرنا تاويله في غير موضع وا
قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون قيل فيه بوجهين قيل
يشهد الله يوم القيمة والملائكة يشهدون ايضا ان القرآن الذي نزل اليك انما انزل من عند الله
لا كما يقولون انما يعلمه بشر وما هذا الا افك مفتري ان هذا الا اختلاق كما قالوا وقيل قوله لكن
الله يشهد بما انزل اليك اي يبين بالايات والحجج التي يعجز الخلايق عن اتيان مثلها وتلزمهم الاقرار
بانه انما انزل من عند الله والله اعلم و قوله انزله بعلمه يحتمل وجهين يحتمل انزله بالايات
والحجج ما يعلم انها ايات لربوبيته والحجج الشاهدة ويحتمل انزله بعلمه اي انزله علي علم منه بمن يقبل
ومن لا يقبل ليس كما يبعث ملوك الارض بعضهم الي بعض رسلا وهدايا لا يعلمون قبولها ولا ردها
ولا علم لهم بمن يقبلها وبمن يردها ولو كان لهم بذلك علم ما ارسلوا الرسل ولا بعثوا الهدايا
واذا علموا انهم لا يقبلونه فاخبر عز وجل انه علي علم منه انزل بمن يقبل ومن يرد والله اعلم و
قوله وكفي بالله شهيدا اي شاهدا علي ما ذكرنا من شهادته يوم القيمة علي احداثه ويبين
انه انزله ويحتمل قوله شهيدا اي حسيبا اي كفي بالله حسيبا بالايات والحجج وعن ابن عباس قال
لما انزل الله لكن الله يشهد سالوا من اهل العلم منهم الي قوله لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل الاية قالت
لو كان من يشهد لك ان ما تقول حق فانزل الله تعالي لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفي بالله شهيدا وانزل قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الاية و قوله
ان الذين كفروا اي كفروا بايات الله وصدوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي تاهوا
تاهوا وتحيروا تحيرا طويلا ويحتمل قد ضلوا ضلالا بعيدا اي هلكوا هلاكا لا نجاة لهم وقد ذكرنا

عن ذا فيما تقدم في غير موضع وقوله إن الذين كفروا وظلموا أي كفروا بآيات الله وحججه وظلموا
وظلموا أمر الله وتركوه ويحتمل قوله وظلموا حيث جعلوا أنفسهم لغير الله وجعلوا العبادة لمن
دونه وهو إنما خلقهم ليجعلوا عبادتهم له فقد وضعوا أنفسهم في غير موضعها لذلك وصفهم
بالظلم لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ويحتمل ظلموا أنفسهم وإن كانوا لا يقصدون ظلم أنفسهم
فإن حاصل ذلك يرجع إلى أنفسهم فكأنهم ظلموا أنفسهم والله أعلم وقوله لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم كأنه على الإضمار بأن لا يهديهم في الآخرة طريقا إلا طريق
جهنم ويحتمل ما قال أهل التأويل قالوا لا يهديهم طريق الإسلام إلا طريق جهنم طريق الكفر
والشرك هما طريقا جهنم في الدنيا والإسلام هو طريق الجنة في الدنيا وهذه الآية والآية الأولى
في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا ويموتون على ذلك حيث أخبر أنه لا يغفر لهم ولا يهديهم
خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ظاهر وقوله يا أيها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم يحتمل قوله بالحق من ربكم بالحق الذي لله عليكم ويحتمل بالحق من ربكم بالحق الذي
لبعضكم على بعض قد جاء الرسول من الله ببيان ذلك كله ويحتمل قد جاءكم الرسول بالحق من
ربكم الحق الذي هو ضد الباطل ونقيضه وفرق بينهما وإن كان مشتبها عليكم فآمنوا ولم تكابروا
فآمنوا خيرا لكم لأن الذي كان يمنعهم عن الإيمان بالله حب الرياسة وخوف زوال المنافع التي
كانت لهم فقال آمنوا خيرا لكم لأن ذلك لكم في الدنيا والآخرة دائم لا يزول وذلك خير لكم
من الذي يكون في وقت ثم يزول عنكم عن سريع وقوله فإن تكفروا فإن لله ما في السموات
وما في الأرض يخبر الله أن ما يأمر خلقه وينهاهم ليس يأمر وينهى لحاجة له أو لمنفعة وذلك
يأمر وينهى لحاجة الخلق ومنافعهم إذ من له ما في السموات وما في الأرض وملكهما لا تقع له
الحاجة ولا منفعة وهو غني بذاته وقوله وكان الله عليما حكيما عليما عن علم بأحوالكم خلقكم
لا عن جهل ولا عليما بما به صلاحكم ولكن حكيما حيث وضع كل شيء موضعه ويحتمل قوله وإن
تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وجها آخر وهو أن تكفروا فيقدر أن يخلق خلقا آخر يعبدونه
ويطيعونه إذ له ما في السموات وما في الأرض والله أعلم وقوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم والغلو في الدين هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وكذلك الاعتداء هو المجاوزة
عن الحد الذي في الفعل وفي النطق جميعا وقال بعضهم تفسيرا لغلوهم ما ذكر ولا تقولوا على
الله إلا الحق فالقول على الله بما لا يليق غلو وقيل لا تغلوا أي لا تعمقوا في دينكم ولا تشددوا
فيه لكن ذلك على الافتراء على الله والقول بما لا يحل ولا يليق وقوله ولا تقولوا على الله إلا
الحق أي الصدق وعن ابن عباس لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق يقول لا تقولوا
لله ولد ولا صاحبة وفي حرف حفصة ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة إنما هو إله واحد وقوله
إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الخطاب بقوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم في حقيقة
المعنى للخلق كلهم لأن الخلائق كان لا يغلوا في دينهم ولكن في الظاهر في أهل الكتاب والمقصود
منه النصارى دون غيرهم من أهل الكتاب حتى يعلم أن الغني في تخرج عموم اللفظ دليل
عموم المراد ولا في تخرج خصوصه دليل خصوصه ولكن قد يراد بعموم اللفظ الخصوص وبخصوص
اللفظ العموم فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم المراد وبخصوص اللفظ خصوصه
ثم افترقت النصارى على ثلاث فرق في عيسى صلى الله عليه وسلم فقد اتفقوا كلهم على أنه ابن مريم
قال بعضهم هو الله ومنهم من يقول هو ابنه لا ابن ومنهم من يقول هو ثالث ثلاثة الرب والمسيح

وأمه فأكذبهم الله في قولهم وأخبر أنه رسول الله بن مريم ولو كان هو إلها لكانت أمه أحق
أن تكون إلها لأن أمه كانت قبل عيسى ومن كان قبل أحق بذلك ممن يكون من بعد ولأن من
اتخذ الولد إنما يتخذ من جوهره لا يتخذ من غير جوهره فلو كان ممن يجوز أن يتخذ ولدا لم يتخذ
من جوهر البشر كقوله لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من لدنا الآية وقوله وكلمته ألقاها إلى
مريم وروح منه قال بعضهم كلمته إذ قال له كن فكان مثل الخلائق كلهم في هذا كعيسى لأن
كل الخلائق إنما كانوا بقوله كن فكان فليس لعيسى في ذلك خصوصية ولكنه أضافه إليه لأنه سمي كلمة الله لما
ألقاها إلى مريم ولا ندري أي كلمة كانت وإنما خلقه بكلمة التي ألقاها إليها فنسب ذلك كما خلق
آدم من تراب فنسب إليه وحواء خلقها من ضلع آدم فنسبها إليه وسائر الخلائق خلقهم من النطفة
فنسبهم إليها فعلى ذلك عيسى لما خلقه بكلمة ألقاها إليها نسب إليه لكن في آدم وغيره من الخلائق
ذكر لهم التغيير من حال إلى حال ولم يذكر ذلك في عيسى فيحتمل أن يكون له الخصوصية بذلك
والله أعلم وقوله وروح منه كقولنا فنفخنا فيه من روحنا فسمي لذلك روحا ويحتمل لما به كان
يحيي الموتى ألا ترى أنه سمي القرآن روحا وهو قوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا سماه روحا
لما به يحيى القلوب كما يحيى الأبدان بالأرواح وقيل وروح منه أي إحياء الله وجعله روحا
وقيل وروح منه أي رسول منه وقيل وروح منه أي أمر منه وقوله فآمنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلاثة لأن الرسل كلهم لم يدعوكم إلى الذي أنتم عليه أنه ثالث ثلاثة إنما دعاكم
الرسل أنه الله إله واحد لا شريك له ولا ولد انتهوا خيرا لكم بما ذكرنا بالآية الأولى وقوله
ولا تقولوا ثلاثة بالرفع أي لا تقولوا هو ثالث ثلاثة وقوله سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات
وما في الأرض نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بأن له ولدا ثم أخبر أن له ما في السموات وما في
الأرض وإنما يتخذ الولد لأحد خصال ثلاث إما لحاجة تمسه فيدفعها به عن نفسه أو لوحشة
تصيبه فيستأنس به أو لخوف غلبة العدو فيستنصر به ويتقوى أو لما يخاف الهلاك فيتخذ
الولد ليرث ملكه فإذا كان الله سبحانه يتعالى عن أن تمسه حاجة أو تصيبه وحشة أو هلكه
وزوال يتعالى عن أن يتخذ ولدا وهو عبده وكفى بالله وكيلا حافظا وقيل شهيدا وقيل
الوكيل هو القائم في الأمور كلها والله أعلم وقوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون يحتج أناس في هذه الآية قال الحسن فيه دليل تفضيل الملائكة على
البشر لأنه قال عز وجل لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون لأن الثاني
يخرج مخرج التأكيد للأول وإنما يذكر ما به يؤكد إذا كان أفضل منه وأرفع لا يكون التأكيد
بمثله ولا بما دونه كما يقال لا يقدر أن يحمل هذه الخشبة واحد ولا عشرة ولا يحمل هذا الحمل
واحد ولا عدد فهو على التأكيد يقال فعلى ذلك الأول يخرج ذكر الملائكة على أثر ذكر المسيح على
التأكيد وإنما يقع التأكيد بما هو أكبر لا بما دونه والثاني أن لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون وقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقالوا لا يستوي حال من يعصي بحال
من لا يعصي وحال من لا يفتر عن عبادته طرفة عين مع حال من يرتكب المناهي والثالث ما قال الله
في الحكاية عن إبليس حيث قال لآدم وحواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو
تكونا من الخالدين لو لم يكن للملائكة فضل عندهم ومنزلة ليس ذلك للبشر لم يكن إبليس بالذي
يغرهما بذكر الملك والوعد لهما أنهما يصيران ملكين ولا كان آدم وحواء بالذي يغتران بذلك
ولأن الملك أفضل من البشر والرابع أن الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ما استغفروا أحدا إلا بدؤوا

بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم من المومنين كقول نوح صلى الله عليه وسلم رب اغفر لي ولوالدي
الاية وكقول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين وما امر عز وجل نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال واستغفر لذنبك الاية وقال ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما امر بذلك وما فعلوا ذلك الا لما يحتمل ذلك فيهم والملائكة
لم يستغفروا لانفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمومنين من البشر كقوله فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم الى هذا ذهب بعض الناس بتفضيل الملائكة على البشر
وقال اخرون بتفضيل البشر على الملائكة ولا يجب ان يتكلم في تفضيل البشر على الاطلاق
على الملائكة لانهم يتفاوتون بالعبادة وبكل شيء الا ان يتكلم في تفضيل اهل الفضل من البشر
والحسن وحسنهم ذلك على الملائكة فذلك يحتمل ان يتكلم فيه ويذهب من قال بتفضيل من
ذكرنا من البشر على الملائكة الى انه ليس في قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون على ان الملائكة كلهم افضل منهم لانه انما ذكر المقربون لم يذكر الملائكة مطلقا
فيجوز ان يكون لمن ذكر فضل على البشر وكلامنا في تفضيل الجوهر على الجوهر ولان البشر ركب فيهم
من الشهوات والاماني التي تدعوهم الى ما فيه الخلاف لله والمعصية له وجعل لهم اعداء امروا
بالمجاهدة معهم من انفسهم والشياطين الذين سلطوا عليهم ولا كذلك الملائكة فمن حفظ
نفسه وصانها واخلصها من بين الاعداء وقمع ما ركب فيهم من الشهوات والحاجات الداعية
الى الخلاف لله والمعصية له كان افضل ممن لا يشغله شيء من ذلك والله اعلم وما ذكر من
اغترار ادم وحوا بقول ابليس الا ان تكونا ملكين لا يحتمل ان يكون ادم لما خلقه من جوهر البشر
واخبر انه جاعله خليفة في الارض انه تناول ما نهي عنه ليصير من جوهر الملائكة ولكنه والله
اعلم راى ان الملائكة لما طبعوا على حب العبادة لله ولم يركب فيهم من الشهوات والحاجات التي
تشغل المرء عن العبادة لله وانها عونه احب ان يطبع بطبعهم ليقوم بعبادة الله كما قاموا هم
والله اعلم والتكلم في مثل هذا افضل ذلك الى الله والنهي والتحيز والانفصال تم تاويل قوله
والله اعلم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وذلك ان الكفرة كانوا
يعبدون الملائكة دون الله ويعبدون المسيح دونه فاخبر ان اولئك الذين تعبدونهم انهم لم
يستنكفوا عن عبادتي فكيف تستنكفون انتم وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا هذا والله اعلم على الاضمار كانه قال ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر ومن لم يستنكف عن عبادته ولم يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ثم بين جزاء من لم يستنكف
عن عبادته ومن لم يستكبر ومن استنكف واستكبر فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم الاية واما الذين استنكفوا واستكبروا الاية والا لم يكن في الذين استنكفوا
مومن بل كانوا كلهم كفارا لان الاستنكاف والاستكبار عن عبادته والاستنكاف والاستكبار
واحد في الحقيقة وقال الكسائي وانما جمع بينهما لاختلاف اللفظين وهذا من حسن كلام العرب
كقول العرب كيف حالك وبالك والبال والحال واحد ومثله في القران والشعر كثير لكن
الاستنكاف والانفة لا تستعمل الا لله تعالى والاستكبار يضاف من هذا المعنى مختلف
واما في الحقيقة فهما واحد والله اعلم وقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم والبرهان
هو الحجة توضح وتظهر الحق من الباطل وقيل بيان من ربكم وكلها واحد وقال بعضهم هو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اخرون هو القران فايهما كان فهو حجة وبيان يلزم الحق ويبين من لم

فيما بعد وقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا يبصر به الحق من الباطل وبه يعرف وهو القران
سماه نورا لما به يبصر الحق وان لم يكن هو بنفسه نورا كالنهار سماه مبصرا لما به يبصر وان لم
يكن هو كذلك وقال قتادة نورا مبينا وهو هذا القران فيه بيانه ونوره وهداه وعصمة
لمن اعتصم به وقوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به حمل الاعتصام به على ما به
ينال رحمته وفضله والاعتصام هو ان يلجأ اليه في كل الامور ويتوكل لا يلتجا الى من
دونه والله اعلم وقوله ويهديهم اليه صراطا مستقيما كانه والله اعلم على التقديم
والتاخير فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ويهديهم اليه صراطا مستقيما فسيدخلهم
في رحمة منه يعني الجنة وفضل كثير لقوله فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة ذكر الاستفتاء ولم يذكر فيما استفتوا لكن في الجواب بيان ان الاستفتاء فيم
كان وقال قل الله يفتيكم في الكلالة والكلالة ما ذكر ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها
نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال جابر في نزلت الاية وروي عن عمر انه قال ما سالت النبي صلى
الله عليه وسلم عن شيء اكثر مما سالته عن الكلالة ثم طعن في صدري باصبعه فقال لا يكفيك اية
الصيف التي في اخر سورة النساء وفيه دلالة ان قد يترك بيان ما يدرك بالاجتهاد والنظر ولا
يبين ليجتهد ويدرك بالنظر لان عمر سال غير مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبينه واحاله
الى الاية التي فيها ذكر ما سال عنه لينظر ويجتهد ليدرك وفيه دليل جواز تاخير البيان لان عمر
ساله غير مرة ولم يبينه حتى امره بالنظر في الاية وعمر لم يكن عرف قبل ذلك فدل على جواز
تاخير البيان وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد
وكذلك قال عمر وقال اني لاستحيي من الله ان اخالف ابا بكر وسئل ابن عباس
عن الكلالة فقال من لا والد له ولا ولد وروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعودني وابو بكر معه فوجدني قد اغمي علي فصب وضوءه علي فافقت فقلت
يا رسول الله كيف اصنع في مالي وكان لي تسع اخوات فلم يجبني حتى نزل قوله تعالى يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى اخر ما ذكر
قال جابر في نزلت الاية فقال بعض الناس اذا مات الرجل وترك ابنة واختا فلا شيء للاخت
لان الله تعالى قال ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك والابنة ولد
فالميراث للاخت وللاخ مع الابنة لا يجعل لها فيقال ان الله عز وجل جعل للابنة النصف
اذا لم يكن معها ابن يعصبها وان كانت واحدة فلها النصف فاذا مات وترك ابنة واختا
فللابنة النصف وذلك النصف الباقي اذا لم يسقط للاخت لان الابنة لا تحرز كل الميراث
وقد جعل الله ميراثها اذا لم يكن معها ولد ذكر النصف ولا يرد الى الابنة فيجب ان يكون احق
بذلك النصف الباقي لما جاء في بعض الاخبار ان الاخوات مع البنات عصبة لذلك كانت الاخت
اولى بذلك النصف الباقي والله اعلم وقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
ذكر للاثنتين الثلثين ولم يذكر ما للثلاث نصا عند بعضهم وذكر في الابنة الواحدة النصف
فيما اول السورة بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولم يذكر ما للبنتين ولكن ذكر الثلاث
نصا عند بعضهم بقوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فترك بيان الحظ في الابنتين
لبيانه في الاختين وترك بيان الاخوات لبيانه في البنات ففيه دليل القياس حيث
اكتفي ببيان البعض عن الاخر وقوله وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ

الانثيين وقد قوله اخوة يعني اخًا واختًا لان اسم الاخوة يجمع الاناث والذكور جميعًا لانه ذكر اخوة ثم
فسّر الرجال والنساء وهو دليل لنا في قوله فان كان له اخوة فلامه السدس انهم يحجبون الام عن
الثلث ذكورًا كانوا او اناثًا والله اعلم. قوله يبين الله لكم ان تضلوا قيل ان لا تضلوا قال
الكسائي العرب تقول للرجل اطعمتك ان تجوع واعطيتك ان تفتقر يعني ان لا تجوع ولا تفتقر
وفي القرآن كثير مثل هذا ثم قوله يبين الله لكم ان لا تضلوا قيل ان لا تضلوا في قسمة المواريث
وقيل ان لا تخطئوا وقيل ان لا تختلطوا وهو واحد والله بكل شيء عليم وعنده وبالله الحول والقوة

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
اجمع اهل التاويل على ان العقود ههنا هي العهود ثم العهود على قسمين عهود فيما بين الخلق امر الله
عز وجل بوفائها وعهود فيما بينهم وبين ربهم وهي المواثيق التي اخذ عليهم من نحو النذر التي الزمها الله
عليهم والنذور التي يلتزمون هم ابتداء وغير ذلك امر عز وجل بوفائها واما العهود التي فيما بينهم
من نحو الايمان وغيرها امر بوفاء ذلك اذا لم يكن فيها معصية الرب كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها امر هاهنا بوفاء الايمان ونهى عن تركها ونقضها ثم جاء في الخبر انه قال من حلف على يمين فرأى
غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر يمينه امر فيما فيه معصية بنقضها وامر بوفاء ما لم
يكن فيه معصية ونهى عن نقضها بقوله ولا تنقضوا الاية وعن ابن عباس قال اوفوا بالعقود وهي
العهود وهو ما احل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله وهو ما ذكرنا وقيل ان العقود التي امر الله
بوفائها هي العهود التي اخذ الله على اهل الكتاب ان يؤمنوا بمحمد ويأخذوا اثره ويعملوا بما جاء به
وهو كقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم
وكقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة
واتيتم الزكاة وامنتم برسلي فالخطاب لهم على هذا التأويل لانهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث فلما
بعث كفروا به. وقوله احلت لكم بهيمة الانعام قال بعضهم هي الوحوش وهو قول الفراء الا يرى
انه قال غير محلي الصيد وانتم حرم وقال الحسن هي الابل والبقر والغنم وقال غيره البهيمة
كل مركوب لكن عندنا ما كل ماكول من النعم والوحش والصيد وغيره وان لم يذكر دليله ما استثنى الا
ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم من
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة الاية غير محلي الصيد وانتم حرم
دل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد فيه كالمذكور وان لم يذكر لانه استثنى الصيد منفردا لانه انما
يستثني الشيء من الشيء اذا كان فيه فكذا اما اذا لم يكن فلا معنى للاستثناء فاذا استثنى الصيد دل
الاستثناء على ان الصيد فيه وان لم يذكر ودل قوله واذا حللتم فاصطادوا على ان النهي كان عن
الاصطياد في حال الاحرام لا عن اكله لان للمحرم ان يأكل صيدًا اصطاده حلال ودل قوله غير محلي الصيد
على ان الصيد قد دخل في قوله احلت لكم بهيمة الانعام على ما ذكرنا فيما تقدم ان البيان في الجواب قد
يكون في السؤال وان لم يكن مذكورًا في السؤال فمعنى ذلك يدل ان الثنيا من الصيد على كونه فيه
والله اعلم ويحتمل بهيمة الانعام الثمانية الازواج التي ذكرها في سورة الانعام من الضأن اثنين
ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر والاية تدل على ان الذي احل من البهائم الانعام منها ثمانية ودل
عليه قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ثم قال والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة فصل بين الانعام وبين الخيل والبغال والحمير خلقها للركوب والانعام للاكل
وقوله الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد

الا ما يتلى عليكم يحتمل ما يتلى على الوحي ما يتلى عليكم من بعد ما ذكر على اثره حرمت عليكم الميتة والدم الى
اخره ويحتمل الا ما يتلى عليكم وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود الا ما يتلى عليكم ههنا في سورة الانعام قل
لا اجد فيما اوحي الي محرمًا الى اخره. وقوله ان الله يحكم ما يريد هذا ان الله اعلم اي له الخلق
يحكم بما شاء من التحريم والتحليل فيهم ثناء على ما شاء ليس لاحد ان يحكم عليه وهذا ينقض قول المعتزلة
لانهم يقولون لم يرد طاعة كل احد ولو اراد ذلك لكان لانه اخبر انه يحكم ما يريد ولا جائر انه يريد
ولا يحكم فدل انه لم يرد لانه لو اراد لكان وبالله العصمة. وقوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر
الله عن ابن عباس قال كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر
وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام
يعني لا تستحلوا قتالا فيه ولا الهدي ولا القلائد الاية وقال غيره قوله لا تحلوا شعائر الله
يعني المناسك لا تستحلوا ترك شعائر الله والشعائر هي المناسك الا ترى ان الله تعالى سمى كل نسك
من الحج شعائر الله كقوله ان الصفا والمروة من شعائر الله وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله كل هذا من شعائر الله وهي معالم الله في الحج وقيل شعائر الله فرائض الله كانه قال لا تستحلوا
ترك ما فرض الله عليكم وقال الحسن شعائر الله قال دين الله وهو واحد وقيل في قوله حبل الله
الكعبة البيت الحرام حتى يبلغ الهدي محله والقلائد فكان حاجزًا جعله الله بين الناس في الجاهلية فكان
الرجل لو جر جريرة وارتكب كبيرة ثم لجا الى حرم الله تعالى لم يتناول ولم يطلب ولو لقي قاتل ابيه
في الاشهر الحرم لم يتعرض له وكان الرجل لو لقي الهدي مقلدًا وهو ياكل العصب من الجوع لم يتعرض
له ولم يقربه اذا اراد البيت تقلد قلادة من شعر فحرمته ومنعته من الناس حتى ياتي اهله
حاجزًا جعله الله بين الناس في الجاهلية امانًا لهم والله اعلم ويحتمل قوله لا تحلوا شعائر
الله اي لا تستحلوا ما اشعر الله حرمته وهو من الاعلام ويحتمل ان يكون اذا ذبح مشاعر
الحرام الذي ذكرنا وقال لا تحلوا الحرام ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد وهذه امور
كانت من قبل فنسخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وعن الشعبي قال لم ينسخ من المائدة
غير هذه الاية نسخها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وقالت عائشة انها اخر ما نزل فما وجدتم
فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه. وقوله ولا الشهر الحرام وهو كقوله يسألونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وقد ذكرنا ان الله عز وجل اطلق الحرم في الشهر الحرام
بعد ما كان محظورًا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واما قوله ولا الهدي ولا القلائد
وهو ما ذكرنا من صنيعهم في الجاهلية فيما ذكرنا وفيه دليل لقول اصحابنا حيث قالوا ان الغنم لا تقلد
والابل والبقر تقلد لانه ذكر الهدي والقلائد فدل ان من الهدي ما يقلد ومنه ما لا يقلد ولا امين
البيت الحرام اي قاصدين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قيل ان المشركين كانوا
يقصدون البيت الحرام يلتمسون فضل الله ورضوانه بما يصلح لهم دنياهم كقوله فمن الناس
من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وقد يجوز ان يكونوا التمسوا عند
انفسهم رضوان الله امر الله المؤمنين بالكف عنهم وان كانوا قد غلطوا في توجيه العبادة
وجعلوها لغير الله كقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله واذا
حللتم فاصطادوا وهذا على ان النهي في قوله غير محلي الصيد في اخذ الصيد والاصطياد في الاحرام
لا الاكل وهو اباحة ما حظر عليهم بالاحرام وان كان ظاهره امرا ومعناه فاذا حللتم لكم ان تصطادوا

وأصله أن كل أمر خرج على أثر محظور فهو أمر إباحة والإطلاق لكن المحظور المحرم لا أمر إلزام وإيجاب
من نحو قوله إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ثم قال فإذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله فهو إطلاق المحظور المتقدم ونحوه
لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ثم قال ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا والأمر
الإطلاق والإباحة لما حظر عليهم ومثله كثير في القرآن مما يكثر ذكره وفي حرف ابن مسعود في قوله ولا آمين
البيت الحرام ولا تأتوا وكذلك في حرفه فأتوا صعيدا طيبا وقيل في قوله يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا أن حجهم يتقبل منهم حتى يبطلوا النهي أنه رسوله عن قتالهم وقال بعضهم إن الآية نزلت في رجل
من أهل اليمامة يقال له شريح وذلك أنه أتى المدينة فدخل على النبي فقال أنت محمد النبي فقال
نعم فقال إلى ما تدعو فقال أدعو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال شريح يا محمد هذا
شرط شديد وإن لي أمراء خلفي أرجع إليهم فأعرض عليهم ما اشترطت علي وأستأمرهم في ذلك
فإن أقبلوا أقبلت وإن أدبروا أدبرت لكنت منهم ثم انصرف خارجا من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خرج من عندي بعقبي غادر
ولقد دخل علي بوجه كافر وما الرجل بمسلم قال فمر شريح بسرح لأهل المدينة فساقها معه
فلما كان من العام الثاني قدم شريح إلى مكة ومعه تجارة عظيمة في حجاج وكانت العرب في
الجاهلية يغير بعضهم على بعض فإذا كان أشهر الحرم أمن الناس كلهم بعضهم بعضا ممن إذا أراد
بيتا قلد بعيره من الشعر أو الوبر فيأمن بذلك الهدي حيث ما ذهب فلما سمع أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخروج شريح وقد وجه إلى مكة فأرادوا أن يغيروا على شريح فيأخذوا أمتعتهم
ويقتلوهم كما أغار شريح على سرح المدينة قبل ذلك فاستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت الآية فيهم لا تحلوا شعائر الله إلى آخره فلا أدري كيف كانت القصة والشيء بنا إلى معرفة
القصة حاجة إلا القدر الذي ذكر الله في ذلك وقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم
عن المسجد الحرام أن تعتدوا وقال في موضع آخر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا الآية وقال في آية أخرى يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا الآية
ذكر في بعضها الاعتداء ونهى عنه وهو المجاوزة عن الحد الذي حد له وذكر في بعضها العدل
وأمر به ونهى عن الظلم والجور ثم ذكر الأسباب التي تحملهم وتبعثهم على الاعتداء والظلم وتمنع
القيام بالشهادة والعدل ثلاثة أحدها ما ذكر عز وجل من البغض والعداوة بقوله ولا يجرمنكم
شنآن قوم أن تعتدوا أو قال على أن لا تعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا أمرهم بالقيام بالشهادة وأخبر أن لا تمنعكم
الولاية والقرب القيام بالشهادة أو طمع في غنى أو خوف فقر هذه الوجوه التي ذكرنا تمنع الناس
القيام بالشهادة وتبعثهم على الجور والاعتداء فنهاهم عز وجل أن يحملهم بغض قوم أو عداوة
أحد على الجور والاعتداء أو تمنعهم الشفقة والقرب أو طمع غني أو خوف فقير القيام
بالشهادة وما عليهم من الحق وأمرهم أن يجعلوه كله لله بقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
فإذا كان كله لله قدروا أن يعدلوا في الحكم وترك مجاوزة الحد الذي حد له وقدروا على القيام بالشها
وما ذكرنا يمنع شيء من ذلك القيام به من نحو ما ذكر من البغض والعداوة والقرب والشفقة
أو طمع الغنى وخوف الفقر إذا جعل الحكم لله عدل فيه ومنعه عن الجور فيه والاعتداء وكذلك

الشهادة إذا جعلها لله قام بها وأداها ولو على نفسه أو ما ذكر لم يمنعه شيء عن القيام به وقوله
وتعاونوا على البر والتقوى قالوا البر هو اسم لكل خير والتقوى هو ترك كل شر والانتهاء عن كل شر
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان إلا أنه ذكر بإزاء البر الإثم وبإزاء التقوى العدوان أن يعتدوا
يبين أن البر اسم لكل خير والتقوى هو الانتهاء عن كل شر ويجوز أن يكون ما ذكر في الآية الأولى
وأمر به وهو قوله لا تحلوا شعائر الله إلى قوله البيت الحرام نزل عادتهم على ما يأتون به من
ذلك فإنهم إلى البر يقصدون عند أنفسهم وإن لم يكن فعلهم برا فعبادتهم غير الله وإنما أمروا
بعبادتهم وترك التعرض لهم أن تثبت ما ذكر في القصة إذا أحرموا أو قلدوا أو قصدوا البيت
الحرام في الوقت الذي جاز أن يعاهدوا فيه كما يجوز لنا معاهدة أهل الكتاب على أن لا نعرض
لكنائسهم وبيعهم وإن كانوا يعصون الله فيها لا شركه يدينون بذلك ويقصدون به البر عند
أنفسهم فلما أمروا بنقض عهود مشركي العرب أمر بمنعهم من دخول المسجد وأن يقتلوا حيث
وجدوا وإلى هذا المعنى ذهب أصحابنا والله أعلم في فرقهم بين شهادة أهل الذمة على أمثالهم
وشهادة فساق المسلمين لأن أهل الذمة متدينون بكفرهم والفساق غير متدينين بفسقهم وكذلك
فرقهم بين ما يغلب عليه المشركون من أموال المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق من أموال
المسلمين وكذلك سبيل الدماء التي يصيبها المحاربون من أهل البغي من أهل العدل لا تشبه ما يصيبها
الفساق منها لأن أهل البغي متدينون بدين خلفا مخالف في الحكم من الفسق بالذنب فيه الأمر أنه يجوز أن
يطلق لهم فيما قدره من أهل الكتاب الصلاة في كنائسهم وإن كان ذلك عندنا معصية حرام ولا
يجوز أن يطلق المعصية لفساق المسلمين بحال وقوله واتقوا الله أي نقمة الله وعذابه في
ترك ما أمركم به وارتكاب ما نهاكم عنه إن الله شديد العقاب قال ابن عباس في قوله
ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أي لا يحملنكم بغض قوم لصدهم إياكم عن
البيت الحرام حتى تمنعوا منهم أن تعتدوا فتقتلوهم وتأخذوا أموالهم وقال وتعاونوا على البر
والتقوى البر ما أمرت به والتقوى اتقاء ما نهيت عنه وقال والعدوان هو المجاوزة
عن حد الله الذي حده لعباده وقوله ولا يجرمنكم قال بعضهم لا يؤثمنكم بغض قوم أن تعتدوا وأهل
الحجاز من لا يحملنكم وفيه لغتان يجرمنكم ويجرمنكم بضمها يجرمنكم وهو ما ذكرنا وقوله
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به هو على الإضمار والله أعلم كأنه
قال حرم عليكم أكل الميتة والدم وأكل لحم الخنزير إلى آخر ما ذكر إلا أنه قال يجوز الانتفاع
بصوف الميتة وعصبها ودل أنه على الإضمار أكل وأما الانتفاع بجلدها لا يجوز إلا بعد
الدباغ لأن الجلد مما يشوى مع اللحم فيؤكل فهو حرام كاللحم إلا أنه يبيع ثم الآية وقيل الأشياء
من وجهين أحدهما إباحة التناول من جوهر أصلي بحرمة الخنزير والدم لم يحله بسبب ولا بغير
سبب وأصلي يحل الآخر بسبب ويحرم بسبب والثاني أصلي بسبب حل ينفر الطباع عنه
لأن كل ذي روح يتألم بالذبح واستخراج الروح منه وجعل طبيعة كل واحد مما ينفر عنه لم يأت لحم
به لتطيب أنفسهم بذلك ثم حل ما يخرج من الأرض كله حلالا بلا سبب يكتسبون إلا ما لا يؤدي
على التناول منه إلى خوف الهلاك لأنه موات لا تنفر الطباع عنه ثم جعل أسباب الحل أسبابا
يكتسبون مما يحل في استخراج ذلك الدم المحرم منه حل أكله وإذا لم يحل في استخراج ذلك
الدم فهلك فيه أنفسه لأنه تلف فيه كما هو محرم فاستخراج ذلك الدم مما يطيب ذلك
ويمنع من الفساد الذي في طول الوقت والذي هلك فيه الدم يفسد في قليل الوقت وقوله وما

٤٥٢

اهل لغير الله به قال الكسائي ما اهل لغير الله به اي ذكر وسمي عليه غير اسم الله مشتقة من
استهلال الصبي وهو اهل الهلال واهل المهل بالحج اذا لبى قال قتادة كان اهل الجاهلية
يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها والكافر في الحقيقة يهل لغير الله لانه لا يعرف الله حقيقة
لكنه اجيز ذبائح الكتابي لانه يسمي عليه اسم الله والموقوذة كانوا يضربونها بالعصي حتى اذا ماتت
اكلوها والمتردية كانت تتردى في بئر او من جبل فتموت والنطيحة كان الكبشان ينتطحان
فيموت احدهما فياكلونه وما اكل السبع الا ما ذكيتم كان اهل الجاهلية اذا اكل السبع شيئا من
هذا او اكل منه اكلوا ما بقي فقال الله الا ما ذكيتم ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال
والمنخنقة والموقوذة فما ادركت من هذا كله يتحرك له الذنب او يطرف له العين فاذبح واذكر
اسم الله عليه فهو حلال وروي عن علي رضي الله عنه قال اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت
ذنبها فهي ذكية وكذلك روي عن ابي الزبير انه سمع عبيد بن عمير يقول كذلك ذكاة وروي
موقوفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك هذه لو انها علوا ذا خنقها او اوقذها يغمى عليها
فاذا ذبحت تحركت ذنبها او طرفت عينها او ركضت برجلها اماتت فاستدل بذلك على حياتها
وليس هذا الكتاب بنزع الذئب او السبع ما في بطنها وصار بحال لا تعامل بمثلها فان تحركت
او طرفت بعينها فانها لا تؤكل والاصل ان كل ما لو قطع العروق فتركت فماتت فكونه ميتة فاذا ادرك
في تلك الحال فذكاه كانت ذكية وكل ما لو صار بحال لو ماتت كانت ذكية فاذا ادركه في تلك
الحال فذكاه كانت ميتة والمتردية الممتنعة عن الذبح في المذبح اذا ذبح في غير المذبح يجوز
اكله وروي عن رافع بن خديج قال اصبنا ابلا وغنما فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل اوابد كاوابد الوحش فما كان غلبكم شيء منها
فاصنعوا به هكذا وعن ابن عباس انه قال في البعير يتردى في البئر اذا لم يقدر على نحره فهو
بمنزلة الصيد ينحره من حيث ادرك وسئل علي بن ابي طالب عن بعير تردى في بئر فصار اعلاه
اسفله فقال قطعوه اعضاء فكلوه وعن ابن عمر كذلك روي انه سئل رسول الله فقيل
هل تكون الذكاة الا في الحلق واللبة فقال اما انها لو طعنت في فخذها اجزى عنك واذا
ذبح بغير السكين من نحو المروة والقصبة مما يقطع يجوز روي ان عدي بن حاتم قال يا رسول الله
ارسل كلبي فياخذ الصيد وليس معي ما اذكيه به فاذبحه بالمروة او القصبة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امر الدم بما شئت واذكر اسم الله عليه وكذلك روي عن علي وروي
ان رجلا اشاط دم جزور بجدل فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا انهرت الدم فكل
وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذبح بكل ما افرى الاوداج واهراق
الدم ما خلا السن والظفر والى هذا ذهب اصحابنا في ذلك ويرون كل ما انهر الدم من حجر
او مروة او نحو ذلك مذكى ويؤكل ويحملون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا السن والظفر
على انهما اذا كانا غير منزوعين لان ذلك خنق وليس بذبح ويفسر ذلك قول ابن عباس حيث
قال ان ذلك خنق وفي الخبر بيان لانه قال كلما انهر الدم وافرى الاوداج ما خلا السن والظفر
فانهما مدى الحبشة وهم انما كانوا يذبحون بسن او ظفر غير منزوعة والله اعلم قوله
وما ذبح على النصب اي للنصب قيل كانوا يذبحون للاوثان والاصنام التي يعبدونها يتقربون
بذلك اليها كما كان اهل الاسلام يتقربون بالذبائح يذبحونها الى الله فحرم الله عز وجل ما كانوا
يذبحون للنصب وما اهل لغير الله به لما ذكرنا ان الامر به خرج مخرج قبول النعمة والشكر

٤٥٤

له فيما اعد الله عليهم من عظيم النعم فاذا اهلوا به لغير وجه الله لم يقبلوا نعمه ووجهوا الشكر الى
غيره نحو ما لذلك والله اعلم قوله وان تستقسموا بالازلام قيل انها من العرب وكعاب
فارس التي يتقامرون بها وقال قيل الازلام هي القداح كانوا يستقسمون بها الامور فكان الرجل اذا اراد
سفرا اخذ قدحا فقال هذا يامره بالخروج فان هو خرج فهو مصيب في سفره خيرا وياخذ قدحا
اخر فيقول هذا يامره بالمكث فان هو خرج فليس بمصيب خيرا في سفره واخذ بينهما فنهى الله
عن ذلك وانبأ ان ذلك فسق بقوله ذلكم فسق وعن الحسن قال كانوا يعمدون الى قداح يكتبون
على احدهما امرني وعلى الاخر نهاني ثم يجيلونها اذا ارادوا السفر فان خرج عليه امرني مضى في وجهه
وان خرج الذي عليه نهاني لم يخرج قال ابو بكر الكتاب ان في النهي عن العمل بالازلام دليل النهي عن العمل
بالنجوم فانما نهى عن العمل بقول المنجمين وفيه ايضا عن العمل بقول المنجمة لانهم يقولون عنى
ما يقوله اولئك ويعملون به لكن المنجمة يقولون ان نجم كذا يامر كذا او نجم كذا ينهى عن كذا
على ما كان يفعل اولئك ويجوز ان يكون الله عز وجل جعل في النجوم اعلاما ودلالات يدركونها ويستخرجون
اشياء يحتمل ذلك ويكون على ما يستخرج اهل الاجتهاد بالاجتهاد اشياء من معاني النصوص واحكاما
لم تذكر في النصوص فعلى ذلك المنجمة يجوز ان يستخرجوا الخبايا من النجوم بدلائل ومعان تكون في
النجوم ولا عيب عليهم في ذلك ولا لائمة انما اللائمة عليهم فيما يحكمون على الله ويشهدون عليه قال
العتبي الازلام القداح واحدها زلم وزلم والاستقسام بها ان يضرب فاخذ الاستقسام من
القسم وهو النصيب قال ابو عوسجة استقسمتا اي ضربت بالقداح قال كانه من القسم
وقال ابو عبيد انما سمي استقساما لانهم كانوا يطلبون قسم الرزق وطلب الحوائج بها فكانوا
يتفاءلون بها ان يقسم لهم والله اعلم قوله ذلكم فسق يحتمل قوله فسق الى العمل بالازلام وانها
على الله انه امر بذلك فسق وعلى هذا من يستجيز العمل بالقرعة لانه يقول يقرع لمن خرجت قرعته
يحكم له فانما يحكم له بامر القرعة كان القرعة تامره بالحكم لهذا لهذا او تنهاه عن الحكم لهذا لهذا
فهو بالازلام والقداح التي نهى الله عن العمل بذلك اشبه وبها اشكل من غيره ويحتمل قوله
ذلكم فسق اي اثم وكلما ذكر من المحرمات من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
وما ذبح على النصب وما ذكر في اول السورة من الاصطياد في الاحرام والقتل دل منه ذلك
كله فسق وهو قول ابن عباس وقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم انهم كانوا يطمعون
دخول كافة اهل الاسلام في دينهم وعودهم اليهم فايأسهم الله تعالى عن ذلك فقال اليوم يئس
الذين كفروا من ترككم دين الاسلام فلا تخشوهم واخشون آمنهم عن ذلك وقوله اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي قال ابو عبيد كان دينهم الى ذلك اليوم ناقصا فحينئذ كمل دينهم فعلى
زعمه ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي عن الخلق اي دين ناقص ومن مات من اصحاب رسول الله
من المهاجرين والانصار ماتوا على دين ناقص ويحشرون يوم القيامة على دين ناقص واي قول
اوحش من هذا او اشنع وقال اخرون من اصحابه كان الدين كاملا الى ذلك الوقت فلما
بعث الله بالفرائض وافترض عليهم صار الدين ناقصا الى ان يؤدوا الفرائض وما افترض
عليهم فعند ذلك يكمل فهذا القول ايضا في الحكمة الوحشة والسماجة والقبح مثل الاول
ويقال لابي عبيد قولا ايضا بانه لم يكن رضي لهم بالاسلام دينا قبل ذلك فبعد ذلك رضي والاكمل
في تاويل الاية وجوه احدها اليوم اكملت لكم دينكم اي برسول وبعثته اكملت لكم دينكم
وبه اتممت عليكم نعمتي ويحتمل قوله اليوم اكملت لكم دينكم اي اليوم اظهرت لكم دينكم

ولم يكن قبل ذلك ظاهراً حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نُصرت بالرعب مسيرة
شهرين وقال ألا لا يحجن بعد العام مشرك وذلك لظهوره وغلبة أهل الإسلام عليهم وإن لم يكن
هذا قبل ذلك ويحتمل قوله اليوم أكملت لكم دينكم لما أمنهم من العدو والعفو وأي دين وبيكة وإياك
أو بيك عن رجوعهم إلى دين الكفرة وأي نعمة أتم وأكمل من الأمن من العدو ويقول الرجل اليوم تم
ملكي وكمل إذا هلك عدوه لأمنه من عدوه وإن كان لم يوصف ملكه قبل ذلك بالنقصان فعلى ذلك
هذا والله أعلم وقيل اليوم أكملت لكم دينكم أي أمور دينكم بما أمروا وأباحوه وشرائع لم يكونوا أمروا
بها قبل ذلك وهذا كما يروى وقوله ورضيت لكم الإسلام ديناً أي أكرمتكم بالدين المرضي وهو الإسلام
كقوله ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم وقوله فمن اضطر في مخمصة قيل المخمصة
المجاعة وقال أبو عوسجة رجل خميص أي جائع وقال غيره هو من ضيق البطن وهو واحد لأنه
من الجوع ما يضيق البطن وقوله غير متجانف لإثم قال بعضهم غير متجانف لإثم أي غير متعمد
لإثم وهو قول ابن عباس وقال الكلبي غير متمايل غير متمايل والجنف الميل وكذلك قال
القتبي وقال أبو عوسجة أيضاً الجنف الميل ثم قوله غير متجانف لإثم يحتمل وجهين قيل غير مستحل
أكل الميتة في حال الاضطرار وحرم عليه التناول من الصيد وغيره وقيل غير متلذذ ولا
متشهي بتناول على التكره منه لا على التلذذ والشهوة وقيل أيضاً أنه لا يتناول إلا في حال
الاضطرار كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد وقوله غير باغ ولا عاد تفسير قوله اضطر فعلى
ذلك هذا والله أعلم وقوله فإن الله غفور رحيم أي من رحمته أن أحل لكم التناول من المحرم
ورخص لكم إذ لم يترككم تموتون جوعاً كقوله ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية وقوله
يسألونك ماذا أحل لهم ليس في السؤال بيان ثم كان سؤالهم ولكن في الجواب
بيان المراد من سؤالهم فقال قل أحل لكم الطيبات وقوله أحل لكم الطيبات قال بعضهم
الطيبات هي المحللات لكنه بعيد لأنه كأنه قال قل أحل لكم المحللات على هذا التأويل لكنه
يحتمل وجهين غير هذا أحدهما أن أحل لكم بأسباب تطيب به أنفسكم من نحو الذبح والطبخ
والخبز وغيره لم يحل لكم ما تكره به أنفسكم التناول كالميتة والله أعلم ويحتمل وجهاً آخر وهو
أن أحل لكم ما تستطيب به طباعكم لا ما تكره طباعكم وتنفر عنه والله أعلم وقوله وما علمتم من
الجوارح كأنهم سألوا النبي عليه السلام عما يحل من الجوارح فذكر ذلك لهم مع ما ذكر في بعض القصة
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل الكلاب فأتاه أناس فقالوا ماذا أحل لنا من هذه الأمة
التي أمرت بقتلها فنزل قوله يسألونك ماذا أحل لهم الآية وقيل سمي جوارحاً لما يكتسب
بها والجوارح هي الكواسب قال الله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات قيل
اكتسبوا وجرح كسب وقال أبو عبيد سميت جوارحاً لأنها كواسب وهو ما ذكرنا من الكسب
يقال فلان جارح أهله أي كاسبهم وقال غيره سميت جوارح لأنها تجرح وهو من الجراحة
فإذا لم يجرح لم يحل صيده واحتج محمد بهذا المعنى في صيد الكلب إذا قتل ولم يجرح في مسئلة
من كتاب الزيادات ومما يدل على صحة ذلك ما روي عن رسول الله عليه السلام أن عدي
ابن حاتم قال سألت رسول الله عن المعراض فقال ما أصبت بعرضه فلا تأكل فهو وقيذ
وما أصبت بحده فكل وقوله مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله قال بعضهم مكلبين هن
الكلاب يكالبن الصيد وقال القتبي المكلبين أصحاب الكلاب وكذلك قال الفراء
والكسائي المكلبون هم أصحاب الكلاب والكلب الكلب المعلم وقوله تعلمونهن قال

الحسن قال الحسن تعض ونحن نقول كلب مضراة على طلب الصيد وهما سبيان الصيد وإن
أكل منه الكلب قبل قولهما يقع تأويل الاضطرار أو ذبيحة والتناول وإن أكل منه وقالا يؤدبونه
ليمسكن الصيد لكم وهو عندنا على حقيقة التعليم معلم ليمسكن الصيد لهذا وقوله مما علمكم
الله يتوجه وجهين أحدهما ما علمكم الله أي مما جعل في بنيتكم بحيث أمكن تعليمهن ولم يجعل غيركم
من الخلائق محتملاً لذلك ولا أهلاً ويحتمل قوله مما علمكم الله أن قال لكم علموهن كذا وافعلوا كذا
فكيف ما كان ففيه دليل جعل العلم شرطاً فيه ثم تخصيص الكلاب بالذكر دون غيرها من الأشياء
وإن كانت وغيرها سواء إذا علمت لخبث الكلاب وصحا لطبها أن أمر حلي جاء النهي عن اقتنائها
وجاء الأمر بقتلها فيه وقت لم يجئ مثله في سائر السباع ليعلم أن ما كتب هو ما لا يمنع خبثها إذا كن
معلمين يحتمل التناول فيتعين ما لم يجئ فيه ذلك أحرى وقوله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا
اسم الله عليه إنما أباح أكل ما أمسك علينا ولم يبح ما أمسك على نفسه لأن الكلب وغيره من
السباع من طباعهم إذا أخذوا صيداً يأكلونه لا تنتهيهم ولا يصبرون على أن لا يتناولوا منه
فإذا أخذ الصيد ولم يتناول منه دل أنه إنما أمسك لصاحبه وإذا تناول منه لم يمكن
لصاحبه لأن الناس لا يدري أنه أمسكه لصاحبه أو أمسكه لنفسه لحدث آخر لما شبع وعلى
ذلك جاءت الأخبار روي عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب
والبزاة فهل يحل لنا منها فقال يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا
مما أمسكن عليكم مما علمتم من كلب أو باز وذكرت اسم الله عليه قلت وإن قتل قال إذا قتل ولم
يأكله فإنما أمسك عليك وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه فقلت يا رسول الله أرأيت إن
خالطت كلابنا كلاباً أخرى قال إذا خالط كلبك كلاباً فلا تأكل فإنك إنما ذكرت اسم الله على كلبك
ولم تذكره على كلب غيرك عن ابن عباس قال إذا أكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه أيضاً
قال إذا أكل الكلب من الصيد فلا تأكل وإذا أكل الصقر فكل لأن الكلب تستطيع أن تضربه
والصقر لا وعن علي قال إذا أكل الكلب فلا تأكل وإن ضربه وقد ذكرنا من الأخبار ما يدل على أن
الكلب إذا كان غير معلم لم يؤكل صيده من خبر عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله إنا قوم نتصيد بهذه
الكلاب فقال إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما أمسكن عليك وإن
قتلن إلا أن يأكل الكلب فإن أكل فلا تأكل وعلى هذا يخرج قولنا أنه إذا أكل من دمه يؤكل لأنه لو
أمسكه علينا كنا لا نأكله وذلك من غاية تعليمه لأنه ترك لنا الخبيث وأمسك الطيب على
صاحبه ولو كان صيد الكلب إذا أكل منه حلالاً لكان المعلم وغير المعلم سواء وكان ما أمسك على
نفسه وعلى صاحبه سواء لأن كل الكلاب تطلب الصيد إذا أرسلت عليه وتمسكه حتى يموت
ويأكل منه إلا المعلم فما معنى تخصيص الله المعلم منها والممسك على صاحبه لو كان الأمر على ما قال
مخالفنا وقد روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال إن علم الكلب حتى صار لا يأكل من صيده ثم أكل
من صيد يصيده لم يجز أن يؤكل من صيده الأول إذا كان باقياً ومذهبه عندنا والله أعلم
أن صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلماً وإن أمسك في أول ما يرسل فلم يأكل فإذا أمسك مراراً ثم
أكل وترك أكله على أن امتناعه عن الأكل لم يكن لأنه معلم إذ قد يمسك غير المعلم للشبع ولو كان
معلماً ما أكله فاستدل بأكله في الرابعة على أن امتناعه في الثالثة كان على غير حقيقة
تعليم وهذا عنده فإنه صيد يترتب بعضه من بعض فأما إذا كان امتناعه ثم ترك إرساله حتى
يجوز أن ينسى منها ما تعلم ثم أرسل فأكل فليس فيها رواية عنه ويجوز أن يقال يؤكل ما بقي

من صيده الاول ويفرق بين المسألتين بان الثاني قد يفني والاول يبعد من النسيان لتقارب
ما بين الصيدين فلا وجه الا ان يحمل على منتهكم المسلمين في صيده المتقدم وقد ذكرنا فيما تقدم
ان الصقر والبازي من الجوارح واستدللنا على ذلك بما اوضحناه فدل ذلك على ان صيد
ما ليس عمل من المكلبين لا يؤكل الا ان يدرك ذكوته ثم يكون تعليم البازي والصقر باجابته صاحبه
ورجوعه اليه وتعليم الكلاب ترك الاكل منه لان البازي ونحوه مستوحش عن الناس فنفور طبعه
منهم فدل انه الف الناس واجابة اصحابهم على التعلم وان الاكل منه لا يحتمل ان يكون بالتناول
منه يخرج عن حد التعليم لانه انما يعلم بالاكل عن الصيد واما الكلب فانه يالف الناس ولا يستوحش
ومن طبعه الاكل اذا اخذ الصيد فدل امساكه عن التناول منه على انه معلم وقد روي عن علي وابن
عباس ما يدل على تاييد ما ذكرنا قالا اذا اكل الصقر فكل وان اكل الكلب فلا تاكل وعن سلمان كذلك
و قوله واتقوا الله ان الله سريع الحساب يحتمل قوله اتقوا الله فلا تستحلوا ما لم يذكر
اسم الله عليه فانها ميتة ويحتمل اتقوا الله في ترك ما امر ونهى كله ان الله سريع الحساب يحتمل
السرعة كناية عن الشدة سريع الحساب شديد العقاب و قوله اليوم احل لكم الطيبات
يحتمل قوله اليوم حرف افتتاح يفتتح به الكلام لا اشارة الى وقت مخصوص على ما ذكرنا في
قوله اليوم اكملت لكم دينكم وقد يتكلم باليوم لا على اشارة وقت مشار اليه وسمى الله اعلم
ما حرم عليهم من الثمانية الازواج التي ذكرها في سورة الانعام من قوله ثمانية ازواج من
الضان اثنين الى اخر ما ذكر شركاؤهم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الاية وما حرموا هو على انفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغيرها
من المحرمات التي كانت فاحل الله لهم ذلك فقال اليوم احل لكم الطيبات وكانت محرمة عليهم قبل
ذلك لكن اهل التاويل صرفوا الاية الى الذبائح يصرفوا الى ما ذكرنا وقد ذكرنا المعنى الذي به
صارت الذبائح طيبات فيما تقدم و قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم
عن ابن عباس قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم اي هذا اجمل
اهل التاويل فان قيل اليس جعل ذبائحنا محللة لهم وذبائحهم محللة لنا ثم تحل ذبائحنا لهم ولنا فهم
كيف لا تحل ذبائحهم وذبائح غيرهم وهو ذبائح المجوس قيل حل الذبائح شرعي وليس للمجوس كتاب
امنوا به فتحل ذبائحهم واما اهل الكتاب فانهم امنوا بما في الكتاب حله وحرمته لذلك افترقا
والله اعلم والاية على قول اصحاب العموم توجب حل جميع طعام اهل الكتاب لنا وحل جميع
طعامنا لهم لانه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم فيلي تولهم لكل واحد
من الفريقين ان يتناول طعام الفريق الاخر ولا يخرج عموم اللفظ لا يوجب الحكم عما شاء
اللفظ والله اعلم و قوله والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب اختلف فيه قال بعضهم المحصنات الحرائر وقال اخرون اراد به العفائف
محصنين غير زانيات كقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة نهي عن نكاح الزانيات ورغب
في نكاح العفائف وهذا اشبه من الاول لانه قال في اخر الاية محصنين غير مسافحين ولا
متخذي اخدان دل هذا على انه اراد بالمحصنات العفائف منهم لا الحرائر ودلت الاية على
حل نكاح الحرائر من الكتابيات وعلى ذلك اتفاق اهل العلم لكن يكره ذلك روي عن ابن عمر انه
كره تزوجهن لكن هذا عندنا على غير تحريم منه في تزوجهن ولكن رأى تزويج المسلمات افضل واحق
لما ذكرنا المسلمين فيها وروي عن عمر كراهة ذلك وذلك لان حذيفة تزوج يهودية فكتب

اليه عمر يامره بطلاقها ويحتج بذلك فتنة للمسلمات ونساء ايضا على سبيل التحريم ولكن لما ذكر من
الفتنة فتنة المسلمات فاصحابنا يكرهون ايضا تزوج المملوكات ولا يحرمونه واختلف اهل العلم في
تزوج امائهم فقال قوم قول الله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب على الحرائر وقال اخرون
على العفائف وقد ذكرنا ان صرف التاويل الى العفائف اشبه بدلالة قوله محصنين غير مسافحين
ولا متخذي اخدان معلوم كانت المحصنات ههنا هن الحرائر لم يكن فيه حظر نكاح اماء الكتابيات
لانه اباحة نكاح الحرائر من الكتابيات وليس في اباحة شيء ما الحظر غيره وقد ذكرنا الوجه
في ذلك فيما تقدم واما المجوسية فليست عندنا من اهل الكتاب والدليل على ذلك قول الله تعالى وهذا
كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا فاخبر الله تعالى ان اهل الكتاب طائفتين فلا يجوز ان يجعلوا ثلاث طوائف وذلك خلاف
ما دل عليه القرآن الا ترى ان رجلا لو قال انما لي عليك يا فلان درهمان لم يكن له ان يدعي عليه
اكثر من ذلك ولو قال انما لقيتك يوم رجلين وتدليهن ثلاثة كان كاذبا لان قوله انما لقيتك يوم
رجلين كقوله لقيتك يوم رجلين ولا يجوز مثل هذا في اخبار الله لانه الصادق في خبره عز وجل
فان قيل هذا اخبر حكاه الله عز وجل عن المشركين وقد يجوز ان يكونوا غلطوا في الحكي الله عنهم ما قالوا
قيل له لم يحك الله هذا القول عن المشركين ولكن قطع بالقرآن عذرهم فقال انزل الكتاب
لئلا يقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين فقطع الكلام الله
واحتجاجه على المشركين وليس حكاية عنهم ومن الدليل على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب
ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس بين القبر والمنبر ما ادري كيف اصنع
بالمجوس وليسوا باهل الكتاب فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله عليه السلام
يقول سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب صح عمر بانهم ليسوا اهل كتاب ولم ينكر عبد الرحمن ذلك
عليه ولا احد من الصحابة فلو كانوا اهل الكتاب لقالوا هم اهل الكتاب ولم قيل سنوا بهم
سنة اهل الكتاب وكذلك روي عن الحسن بن محمد قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مجوس هجر فقال ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان اسلمتم فلكم ما لنا
وعليكم ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير اكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم الى هذا ذهب اصحابنا في
ان المجوس ليسوا باهل كتاب وقرأ ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وقال
ابن عباس يؤكل وقرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم والاية الاولى تدل على انهم اهل كتاب لان الله
عز وجل لم يجعلهم منهم بقوله ومنهم اميون تحكمهم حكمهم اذا اخبر الله تعالى انهم منهم ومما يدل على ذلك
ايضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يتخلجن في صدرك طعام ضارعت
فيه النصرانية لانه عم بنو التصاري فدخل فيه عن يهود ومجوس لا يقرون ولو ابدينهم وكل من دان بدين
قوم فهو منهم ومن الدليل على ان العرب اذا دانوا بدين اهل الكتاب فهم من اهل الكتاب ان العجم
لما اسلموا صار حكمهم حكم عرب اهل الاسلام فان ارتد احد منهم وسال ان يؤخذ منه الجزية كما
تؤخذ في الابتداء في المجوس لم يجب الى ذلك وقيل له اما ان تسلم واما ان تقتل فهو بمنزلة عربي
مسلم لو ارتد عن الاسلام فلما كان حكم العجمي اذا دان بدين النبي صلى الله عليه وسلم حكم العرب
وجب ان يكون حكم العربي اذا دان بدين العجم من اهل الكتاب ان يجعل حكمه حكمهم وبالله التوفيق
و قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن ذكر ايتاء اجورهن
وقد يحللن لنا اذا لم نؤت اجورهن ودل ان ذكر الحكم في حال لا يوجب حظره في حال اخرى

هو دليل لنا في جواز نكاح الاماء من اهل الكتاب وان ذكر في الاية المحصنات وقوله ومن يكفر
بالايمان فقد حبط عمله الاية اي ومن يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به اي الله لانه
لا يكفر بالايمان ولكن يؤمن به وهو كقوله حتى ياتيك اليقين اي الموقن به فعلى ذلك الاول
معناه ومن يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
وبالله العصمة والهداية وقوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق لو حملت الاية على ظاهرها لكان لا سبيل الى اداء شيء مما فرض الله عليه من
الصلاة لانه كلما قام الى الصلاة يلزمه الوضوء فلا يزال يبقى فيه لكنها على الاضمار كانه قال اذا
قمتم الى الصلاة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم وان ظاهر الاية يوجب ما ذكرنا لكن الحدث
مضمر فيه ومن الناس من يوجب الوضوء لكل صلاة بظاهر هذه الاية وقد جاء عن الصحابة الفعل بذلك
روي عن ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم انهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم نحو ذلك وروي ان علي بن ابي طالب صلى الظهر ثم قعد في الرحبة فلما حضرت العصر دعا
بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه وذراعيه ورجليه وشرب فضله وقال هكذا رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل وقال هذا وضوء من لم يحدث وروي عن عبيد بن عمير انه كان
يتوضا لكل صلاة وتاول هذه الاية وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضا لكل صلاة
فلما كان يوم فتح مكة صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر يا رسول الله انك فعلت
شيئا لم تكن تفعله فقال اني عمدا فعلته يا عمر وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم في كل صلاة بالوضوء ومع كل وضوء بالسواك وكل ما ورد
من الاخبار بالوضوء لكل صلاة هو على الفضل عندنا والاستحباب لا على الحتم الا ترى انه روي
انه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد وقال اني عمدا فعلته دل ذلك ما ذكرنا وقد يحتمل تاويل
الاية معنى اخر ما روي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراق بماء
نكلمه فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى ياتي اهله فيتوضا وضوءه للصلاة فثقل ذلك علينا في
ذلك حتى نزلت اية الرخصة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فهذا يدل ان معنى الاية على
الاضمار اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم وروي في تاويل الاية اذا
قمتم من المضجع الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقد روينا الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن الصحابة بايجاب الوضوء من النوم فكان ذلك شاهدا لهذا التاويل روي عن ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ينام ثم يصلي الصبح ولا يتوضا فسئل عن ذلك فقال
اني لست كاحد منكم انه تنام عيناي ولا ينام قلبي ولو احدثت لعلمت وروي عن صفوان بن
عسال قال اذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يامرنا ان لا ننزع خفافنا اذا ادخلناهما
طاهرتين ولا نخلعهما من غائط ولا بول ولا نوم الا من جنابة فهذه الاحاديث توجب الوضوء
من النوم مجملا وجاء حديث اخر مفصلا بايجاب الوضوء اذا نام مضطجعا روي عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام قائما وضوء حتى يضطجع فاذا اضطجع استرخت
مفاصله فهذا يفسر الاخبار التي جاءت مجملة وقد جاءت الاخبار انه اذا نام في الصلاة قائما
او قاعدا او ساجدا فلا وضوء عليه يدل ذلك على ان النوم في الصلاة ليس بحدث وروي عن
ابن عمر قال لا يجب الوضوء حتى يضع جنبه وينام فهذا يؤيد ما قلنا مع ما اجمع اهل العلم
في ان الوضوء ليس بواجب على من قام الى الصلاة وهو غير محدث فكان التاويل ما ذكرنا وقوله

فاغسلوا وجوهكم الخطاب من الله عز وجل بغسل الوجه ما يعرف اهله الوجه فلا تكلف فيه
والتحديد انه من كذا الى كذا فمفصل مكلف والامر بالغسل يرجع الى ما ظهر وعرف اهله انه وجه
وكذلك الامر بمسح الراس يرجع الى ما عرف اهله انه راس وليس كالاذنين لان معرفة الاذنين انهما
من الراس شيء لانهما لا تعرفان انهما من الراس الا بالسمع وكذلك الامر بغسل اليد وغسل الرجل
يقع على ما يعرف الناس وعرف الناس اليد الى الابط والرجل الى الركبة فخرج ذكر المرافق في غسل
الايدي على اخراج ما وراء المرافق وكذلك ذكر الكعب في الكعب لاخراج ما وراء الكعب لان اسم
اليد على الاطلاق يقع من اطراف الاصابع الى الابط وقوله وارجلكم الى الكعبين قرؤوا بالنصب
وقرؤوه بالخفض قال بعضهم من قرا بالنصب فهو يرجع الى الغسل نسقا على الوجه وبالخفض
يرجع الى المسح مسح الخفاف نسقا على مسح الراس لكن هذا ابعد لانه تناقض لا يجوز ان يكون مرة
بالغسل والمسح جميعا ومعنى الخفض لقرب جواره بقوله وامسحوا برؤوسكم وقد يجوز ذلك نحو قوله
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون من قرا بالخفض انما قال لقرب الجوار
بالخفض فعلى ذلك الاول ثم الحكمة في الامر بغسل هذه الاعضاء ليذكرهم تطهير باطنهم والمعنى
في غسل هذه الاعضاء الظاهرة والله اعلم لمعنيين احدهما شكرا لما بها يتناول ويقبض واما
الرجل لما بها يمشي وبها يصل اليه والوجه لانه يجمع الحواس التي بها يعرف عظيم نعم الله عز وجل
من نحو البصر والسمع وغيرها من الحواس التي بها يكون التلذذ والتشهي او امر بذلك تكفيرا
لما ارتكب بهذه الحواس من الاجرام لانه بها يرتكب جل الاثام وبها يوصل اليها من المشي والقبض
وغير ذلك وقوله وان كنتم جنبا فاطهروا وقيل اغتسلوا ياخذ الجنابة الظواهر من البدن
والبواطن والحدث لا ياخذ الا الظواهر من الاطراف لان السبب الذي يوجب الجنابة لا يكون
الا باستعمال جميع ما فيه من القوة الا ترى انه به يضعف اذا اكثره وبتركه يتقوى فعلى ذلك اخذ
جميع البدن ظاهره وباطنه واما الحدث فان سببه يكون بظواهر هذه الاطراف من نحو الاكل
والشرب والحدث ليس باستعمال لكل البدن والله اعلم وقوله وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء الاية ذكر المرض والسفر والمجيء من الغائط والملامسة ثم
الحكم لم يتعلق باعيان المرض ولا باعيان السفر ولكن باعيان الغائط ولكن كان متعلقا لمعنى فيه
فيه دلالة جواز القياس لانه ذكر الغائط والمجيء منه والغائط هو المكان الذي تقضى فيه
الحاجات والمراد منه المعنى وهو قضاء الحاجات فهذا اصل لنا ان النص اذا ورد لمعنى يوجد
ذلك المعنى في غيره وجب ذلك الحكم في ذلك الغير فاذا عدم الماء في المكان الذي يعدم فيه وان لم
يكن سفر يجوز التيمم فيه وكذلك اذا خاف التلف من الماء جاز له التيمم وان لم يكن مريضا لانه
ليس اباح ذلك للمريض باعيان المرض ولا باعيان السفر ولكن لمعنى فيه وقوله او لامستم النساء قد
ذكرنا فيما تقدم ان الملامسة هو الجماع كذلك روي عن علي وابن عباس وقال ابن عباس الملامسة
والمباشرة والافضاء والرفث والغشيان كله جماع ولكن الله كريم يكني وقوله فتيمموا
صعيدا طيبا جعل الطهارة بالماء والتراب لان بهما معاش الخلق وبهما قوامهم لا بد ان حتى جعل
جميع اغذية الخلق وجل مصالحهم منهما فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات بهما والله اعلم
ثم الحكمة في وجوب الطهارة وجهان احدهما ما ذكرنا انه يذكرهم طهارة الباطن والثاني
تكفير لما ارتكبوا بهذه الجوارح من الاجرام او شكرا لما انعم عليهم من المنافع التي جعل لهم
فيها من القبض والبسط والتناول والاخذ والمشي وغير ذلك مما ذكرنا ثم الحكمة في جعل الطهارة

في طواف البدن للتزيين والتنظيف لانه يقدم على الملك الجبار ويقوم بين يديه ويناجيه ومن اتى ملكا من ملوك الارض يتكلف التنظيف والتزيين ثم يدخل عليه فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال عبد الله بن مسعود وعمر رضي الله عنهما الملامسة ما دون الجماع وقالا ان الجنب لا يتيمم وان لم يجد الماء شهرا وانما قالا انه لا يتيمم لما قالا ان اللمس ما دون الجماع فلم يدخل الجنب في هذه الاية واوجبوا عليه الغسل بقوله وان كنتم جنبا فاطهروا وحملا قول الله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا على مرور الجنب في المسجد ولم يحمله على انه يصلي اذا كان مسافرا ولم يجد الماء بالتيمم فهذا الذي منع عبد الله ان يطلق للجنب ان يصلي بالتيمم على حال فاما علي وابن عباس فانهما حملا اللمس الذي ذكره الله في هذه الاية جماعا وقالا كنى الله عن الجماع بالمسيس والغشيان والمباشرة وحملا قول الله الا عابري سبيل حتى تغتسلوا على المسافر الذي لم يجد الماء وهو جنب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذن للجنب من الجماع ان يتيمم اذا لم يجد الماء فكان ذلك حجة على من منع الجنب من التيمم ثم قول الشافعي قول ثالث خارج عن قول الصحابة والسلف جميعا لانه يزعم ان اللمس هو الجماع وما دونه فذلك ابتداع في الاية قولا وتفسيرا خالف فيه ما روي في تفسيرها عن الصحابة جملة والسلف لذلك كان مخطئا فيه لما ذكرنا واصله ان الله تعالى ذكر الوضوء وامر به في الاية وهو قوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الاية ولم يذكر الحدث وامر بالاغتسال من الجنابة وهو قوله وان كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر من اي جنابة ثم ذكر الحدث في قوله او جاء احد منكم من الغائط فعلى ذلك قوله او لامستم النساء كان بيانا لما تقدم من الامر بالاغتسال من الجنابة والله اعلم وقوله فتيمموا صعيدا طيبا قيل اقصدوا صعيدا والصعيد هو وجه الارض وقوله طيبا قال بعضهم الطيب ما ينبت من الزرع وغيره وقال اخرون الطيب ههنا هو الطاهر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلاة تيممت وصليت فجعل الارض جملة مسجدا وطهورا فكان قوله طهورا تفسيرا لقوله طيبا والله اعلم وقوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم قد ذكرنا فيما تقدم ان التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يحتمل هذا وجهين يحتمل ما يريد ان يضيق عليكم لياً مركم بحمل الماء الى حيث ما كنتم في الاسفار وغيره ولكن جعل لكم التيمم ورخص لكم ان تودوا ما فرض عليكم به ولم يكلفكم حمل الماء في الاسفار وغيره والله اعلم ووجه اخر ما اراد الله بما تعبدكم من انواع العبادات ان يجعل عليكم من حرج ولكن اراد ما ذكر وقوله ولكن يريد ليطهركم يحتمل يريد ليطهركم به بالتوحيد والايمان به وبالرسل جميعا ويحتمل قوله يريد ليطهركم من الذنوب والاثام التي ارتكبوها كقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل التطهير من الاحداث والجنابات كما قال اهل التاويل وقوله وليتم نعمته عليكم تمام ما ذكرنا من التوحيد والايمان والهداية لدينه والتكفير لما ارتكبوا ويجوز ان يكون هذا في قوم علم الله انهم يموتون على الايمان حيث اخبر انه يتم نعمته عليهم وقوله واذكروا نعمة الله عليكم اي اشكروا والله اعلم بشكركم ما انعم عليكم من انواع النعم وميثاقه الذي واثقكم به يحتمل الميثاق ميثاق الخلقة وشهادتها انها اذ خلقه كل احد تشهد على وحدانيته وربوبيته ويحتمل الميثاق

الذي ذكر ميثاق قول وقالوا وقبلوا ما دعوا اليه وقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا قال بعضهم اجبنا دعوتك واطعنا امرك وقال اخرون سمعنا قولك واطعنا امرك وقوله واتقوا الله في ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم ان الله عليم بذات الصدور وهو على الوعيد وقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية يحتمل ان تكون الاية في الشهادة نفسها كانه قال ان قوموا بشهادة الله واحفظوا الشهادة له فاذا فعلتم ذلك لا يمنعكم بغض احد وعداوته ولا رضا احد ولا ميله الى ان تقوموا بالشهادة لله والحكم له بحكم للعدو كما بحكم للولي وتقوم في الشهادة للعدو كما تقوم للولي والله اعلم ويحتمل ان يكون في بيان الحق والحجج وتعليم الاحكام والشرائع كانه يقول والله اعلم قوموا في بيان الحجج والحق وتعليم الاحكام لله لا يمنعكم بغض قوم ولا رضاهم على ان لا تبينوا الحق لهم ولا تعلموا الحجج والاحكام لهم وعن ابن عباس قال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنان قوم اي بغض قوم على ان لا تعدلوا فيهم فانما العدل لله في الرضا والسخط اعدلوا اي قولوا الحق وقولوا العدل بالحق فانه اقرب للتقوى وقوله اعدلوا هو اقرب للتقوى اي اعدلوا هو التقوى كقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين اي رحمة الله للمحسنين لان العدل ليس الا التقوى واتقوا الله في ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله خبير بما تعملون وتضمرون من العدل والجور خرج على الوعيد وقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات قال بعضهم هذه الاية صلة ما تقدم في قوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الى اخر ما ذكر فاذا فعلوا وقاموا في الشهادة والعدل في الحكم كان لهم ما ذكر من الوعد والله اعلم ولكن يحتمل هي على الابتداء والله اعلم كانه قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وعدا ثم بين ما في ذلك الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم يستر على ذنوبهم ويتجاوز عنها واجر عظيم الجنة قال ابن عباس لهم مغفرة في الدنيا لذنوبهم واجر عظيم في الاخرة الجنة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قيل كفروا بايات الله وكذبوا باياته يعني محمدا والقرآن اولئك اصحاب الجحيم وقيل كفروا بتوحيد الله وكذبوا باياتنا بالقرآن بانه ليس من الله وهما واحد وهذا يدل ان الاية على الابتداء خرج ليس على الصلة على ما قالوا وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم يحتمل ان تكون هذه المنة التي ذكر الله في هذه الاية من كف ايدي الاعداء عنهم بعد ما بسطوا اليهم ايديهم في جملة المؤمنين لان المؤمنين كانوا في ابتداء الامر مختفين فيما بين الكفرة لا يقدرون على اظهار الاسلام واعلانه وقد هموا بقتل المؤمنين غير مرة وفيما كف ايديهم عنهم منة عظيمة علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين ويحتمل ان يكون في قوم خاص قد احاطوا بهم وبسطوا ايديهم اليهم وهموا بقتلهم فكف الله عز وجل بفضله ايديهم عنهم وانقذهم من ايديهم ثم اختلف فيه عن ابن عباس قال هم بنو قريظة ان يبسطوا اليهم ايديهم بالقتل فكف الله ايديهم عنهم بالمنع وقيل نزلت في اليهود دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا لهم في النخل واصحابه وراء الجدار واستعانهم في مغرم دية غرمها فقام من عندهم فائتمروا بينهم بقتله فخرج يمشي القهقرى معترضا ينظر من خيفتهم ثم دعا اصحابه رجلا رجلا حتى تناهوا اليه فلا ندري كيف ما كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة بعد ان نعرف منة الله تعالى

فاخبره جبريل عليه السلام بذلك

التي من عليها بكف الاعداء عنهم وتشكروا له على ذلك وفي هذه الاية دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما كان منهم من غير ان شهد ذلك ليعلم انه بالله علم وقوله وعلى
الله فليتوكل المؤمنون اي على الله يتكل المؤمن في كل امر وبه يثق وقوله ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذا والله اعلم تعليم من الله تعالى هذه الامة وانبائه
انه قد اخذ العهود والمواثيق على الامم السالفة كما اخذ منكم لانه ذكر انه قد اخذ من هؤلاء
الميثاق بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به الاية ثم اعلمهم بما وعد لهم من
الثواب ان وفوا بتلك العهود والمواثيق التي اخذت عليهم وعما اوعد لهم من العقاب ان نقضوا
العهود التي اخذ عليهم ليكونوا على حذر من نقضها وليقيموا على وفائها او ان يقال انه انما ذكر ما اخذ
على اولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك اية من ايات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اخبار عن الامم السالفة وهو لم يشهدها ولا حضرها ليعلموا انه انما علم ذلك بالله ثم يحتمل
تلك العهود والمواثيق التي اخذت عليهم ما ذكر على اثرها وبينها وهو قوله وقال الله اني معكم
لئن اقمتم الصلاة الى قوله اجرا ما ذكر ويحتمل ما قال ابن عباس ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
في التورية ان لا تشركوا به شيئا وبالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واحلال ما احل الله
وتحريم ما حرم الله وحفظ مواريثهم وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يعني ملكا
وهم الذين بعثهم موسى الى بيت المقدس ليعلموا له علمها ويحتمل ان يكونوا اختاروا من نسبهم اولئك
فسألوا موسى ان يجعلهم عليهم قدوة يقتدون بهم ويعلمونهم الدين والاحكام ويأخذ عليهم المواثيق
والعهود فيكون ما اخذ على اولئك من المواثيق والعهود عليهم والله اعلم ثم اختلف في النقيب
قال بعضهم النقيب هو الملك وهو قول ابن عباس وقال ابو عوسجة النقيب هو المنظور
اليه والمصدر وعن رأيه وهو من وجوه القوم وجمعه النقباء مثل العرفاء وقال ابو
عبيد النقيب الامير والضامن على القوم وقال الكسائي والفراء يقال منه نقبت عليه انقب
نقابة وهو فوق العريف يقال من العريف عرفت عليهم عرافة وهؤلاء النقباء والعرفاء
وان كان واحد منهم منكب وهو كالعون يكون مع العريف وقال القتبي النقيب الكفيل
على القوم والنقابة والنكابة شبيهة بالعرافة وقوله وقال الله اني معكم قال بعضهم
قال للنقباء اني معكم في النصر والدفع عنكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة الى آخر ما ذكر وهو
قول ابن عباس ويحتمل ان يكون هذا الوعد لكل من قام بوفاء ذلك النقباء وغير النقباء وما ذكر
من الوعيد في الاية التي هي على اثرها على كل من نقض العهد النقيب وغير النقيب ثم قوله
لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة يحتمل وجهين يحتمل انه اراد بالصلاة الخضوع له والثناء
وبالزكاة تزكية النفس وتطهيرها وذلك في العقل على كل احد القيام به في كل وقت ويحتمل
ان يكون اراد بالصلاة والزكاة الصلاة المعروفة المعهودة والزكاة المعروفة ففيه دليل
وجوب الصلاة والزكاة على الامم السالفة وقوله وامنتم برسلي يحتمل ان تؤمنوا
برسلي جميعا ولا تفرقوا بينهم ان تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر
ببعض وعزرتموهم قال القتبي وابو عوسجة وعزرتموهم اي عظمتموهم والتعزير
التعظيم وقال بعضهم نصرتموهم وعن ابن عباس قال وعزرتموهم اعنتموهم وقيل يعني
الاعانة واقرضتم الله قرضا حسنا اي صادقا من كل انفسكم ابتغيتم بها وجه الله وقال
بعضهم واقرضتم الله قرضا حسنا اي محتسبا طيبة بها نفسه ويحتمل قوله واقرضتم الله

في ...

قرضا حسنا اي اجعلوا عند الله لانفسكم ايادي ومحاسنا تستوجبون بذلك الثواب الجزيل
ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وعد لهم تكفير ما ارتكبوا من
المآثم ثم اذا قاموا بوفاء ما اخذ الله عليهم من المواثيق وقوله فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل
سواء السبيل قال بعضهم فمن كفر بعد ذلك اي بعد المواثيق والعهود التي اخذ عليهم ويحتمل
قوله فمن كفر بعد ذلك اي من كفر فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ قصد السبيل وقوله
فبما نقضهم اي فبنقضهم قيل ما زائدة فبنقضهم ميثاقهم لعناهم يحتمل لعناهم اي جعلناهم
والملعون هو المطرود عن كل خير ويحتمل لعناهم اي دعونا عليهم باللعن وجعلنا قلوبهم قاسية
خاشع منها الرحمة والرأفة اذا نقضوا العهود وتركوا امر الله لان الله تعالى اخبر انه جعل في
قلوب الذين اتبعوا امر الله واطاعوا رسوله الرأفة والرحمة بقوله وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة ورحمة فاذا نزع الرحمة من قلوبهم صارت قسية يابسة وقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه يحتمل ان يكونوا يغيرون تأويله ويقولون هذا امر عند الله ويحتمل التحريف
تحريف التلاوة والمتلو ومحوه ويكتبون غيره ونسوا حظا مما ذكروا به قيل ضيعوا كتاب الله
بين اظهرهم ونقضوا عهده الذي عهد اليهم وتركوا امره وقوله مما ذكروا به اي وعظوا به
وقيل تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تزال
تطلع على خائنة منهم اخبار عن تمردهم في المعاندة وكونهم في الخيانة والا من حرم ايمانهم ثم
استثنى فقال الا قليلا منهم وهم الذين اسلموا منهم وقوله فاعف عنهم واصفح ولا تكافئهم
لما آذوك ثم قال بعضهم هو منسوخ باية القتال في سورة براءة وهو قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله الاية ويحتمل فاعف عنهم واصفح الى ان تؤمر بالقتال والله اعلم وقوله ومن الذين
قالوا انا نصارى عن الحسن قال قالوا النصارى كونوا انصار الله فقالوا بل نكون نصارى
لذلك قوله انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ما من احد يعقل الا وقد اخذ الله
عز وجل عليه العهد والميثاق فقد اخذ الميثاق على المؤمنين بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به الاية واخذ الميثاق على اليهود بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الاية واخبر
ايضا انه قد اخذ الميثاق على النصارى في هذه الاية بقوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم وقد تقدم ذكر الميثاق ومعناه في غير موضع وقوله فنسوا حظا مما ذكروا به يحتمل
هذا وجهين يحتمل اي تركوا حظهم مما امروا به من التوحيد بالله والايمان بالرسل كلهم والتمسك
بكتاب الله والوفاء بالعهود التي عهد اليهم فتركوا ذلك كله وضيعوه ويحتمل نسوا حظا مما ذكروا
به اي لم يحفظوا ما وعظوا به وقوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قيل
اغرينا القينا بينهم العداوة والبغضاء وقال الحسن من حكم الله ان يلقي بينهم العداوة والبغضاء
وان يجعل قلوبهم قاسية ومن حكمه ان يكون بين المسلمين رأفة ورحمة وقال بعض المعتزلة
قوله اغرينا بينهم العداوة والبغضاء اي خذلناهم وتركناهم ولكن هذا الكلام منهم احتيال وفرار
عما يلزمهم من سوء القول وقبيحه فيقال لهم اذا قلتم جعلتم خذلانا وان شئتم تركا اجعلوا ما شئتم
ولكن هل كان من الله في ذلك صنع اذا اضاف ذلك لنفسه ولا صنع له في ذلك وذلك الحرف
على غير اثبات الفعل فيه او شيء حرف فاذ لا يجوز ان يضيف ذلك الى نفسه ولا فعل له في ذلك ولا
صنع فدل ان له فيه صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك منهم وكذلك فما اضاف الى نفسه من جعل
الرأفة والرحمة في قلوب المؤمنين فلو لم يكن له في ذلك صنع لكان لا يضيف ذلك الى نفسه وذلك

المرف حرف الجذب والمنع بدلالة الله لدينه صنفا صنفا ان خلق الرأفة والرحمة في قلوب المؤمنين
وخلق القساوة والعداوة في قلوب اولئك الكفرة وبالله التوفيق وفي الآية دلالة اثبات
رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه القى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
واخبر انه لا تزال تطلع على خائنة منهم وكان كما قال يطلع عليهم منهم انه لا يطلع على قلوبهم من الخيانة
والعداوة وغير ذلك من الامور فدل انه بالله علم ذلك وقوله وسوف ينبئهم الله بما
كانوا يصنعون في الدنيا وهو قول ابن عباس وقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية قال عز وجل قد جاءكم رسولنا ولم يقل فلان بن فلان
ليعلم ان الرسل صلى الله عليهم وسلم ليسوا يعرفون بالاسامي والانساب ولكن انما يعرفون بالآيات
المعجزة والبراهين النيرة وفيه دليل ان من آمن بالرسل كلهم ولم يعرف اسماءهم انه يكون
مؤمنا ولم يؤخذ علينا معرفة اسامي الرسل انما اخذ علينا الايمان بهم جملة الا ترى ان الله عز
وجل لم يذكر في الكتاب الانبياء والرسل جميعا واحدا فواحدا ولا ذكر اسماءهم وانما ذكر بعضا
منهم الا ترى ان من لم يعرف اسماءهم لم يكن مؤمنا هذا بعيد وفيه دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه قال يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وهم اذا كتموا ذلك واخفوه
اعمى الاوعية لم يخبروا احدا الا هم كتموا ذلك واخفوه حتى يبلغوا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا كان رسول الله اختلف الى احد منهم او نظر في كتابهم قط ليعلم ما كتموا انما بين لهم
ما قد كتموا واخفوا من الناس دل ذلك لهم انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير اختلف في تاويله وقرائته قال بعضهم نبين
بالنون ونعفو عن كثير اي الله يبين لهم كثيرا مما يخفون ويعفو الله تعالى عن كثير اذا امنوا
ورجعوا عما كانوا يخفون ويكتمون وقال آخرون يبين لهم كثيرا اي جميع ما كانوا يخفون ويعفو
عن جميع ذلك واما عندنا فقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير بالياء
اي رسول الله يبين لهم كثيرا او يعفو عن كثير على قدر ما اذن له البيان لهم لان الرسل انما يأتون
بالبراهين والحجج على قدر ما اذن لهم لا بكل ما تقدم من الآيات الا ترى ان سحرة فرعون لما اتوا
حبالهم وعصيهم فصارت حيات لم يلق موسى عصاه حتى اذن الله له في ذلك وهو قوله وجاءوا
بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون انما اتى بالآية بعدما اذن
له بذلك فعلى ذلك قوله يبين لكم كثيرا انما يبين على قدر ما اذن له بالبيان والحجة والله اعلم
وقوله مما كنتم تخفون من الكتاب يحتمل مما كنتم تخفون من الكتاب من الشرائع والاحكام
ويحتمل كتموا ما في الكتاب من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقوله قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين عن الحسن النور والكتاب واحد وكذلك ما قال في قوله الكتاب والحكمة
هما واحد وقال غيره النور هو محمد والكتاب هو القرآن سماه نورا لما يوضح ويبين كل شيء على
ما هو عليه حقيقة وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل الله نور السموات والارض الآية اي به يتضح
كل شيء على ما هو عليه في الحقيقة وبالله التوفيق وقوله يهدي به الله من اتبع رضوانه يحتمل
قوله يهدي به الله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالقرآن اي به يهدي الله من اتبع
رضوانه يحتمل رضاه وقوله سبل السلام السلام قيل هو الله كقوله السلام المؤمن المهيمن
اي به يهدي سبل السلام سمي سبلا لان سبيل الله وان كان كثيرا في الظاهر فهو في الحقيقة
واحد وسمى سبل الشيطان سبيلا وقال ولا تتبعوا السبل الآية لان سبله متفرقة مختلفة

ليست ترجع الى واحد واما سبل الله وان كانت سبلا في الظاهر فهي ترجع الى واحد وهو
الهدى والطريق المستقيم وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم كفروا كفر
مكابرة ومعاندة لا كفر شبهة وجهل لانهم اقروا انه ابن مريم ثم يقولون انه اله فاذا كان هو
ابن مريم فالله اكبر منه لما يبعد ان يكون من هو اصغر منه الها لمن هو اكبر منه وربا والاجر
الكفر قد يكون بوجوه ذلك ان الشرك كان انما يقل مما ذكرنا انهم كفروا كفر معاندة ومكابرة مع اقرارهم
انه ابن مريم حيث جعلوا الاصغر اله الاكبر وربا له وقوله قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا اي لا احد يملك من دون الله شيئا ان اراد
اهلاك المسيح وامه الآية اي لو كان الها كما تقولون لكان يملك دفع الاهلاك عن نفسه وعن
امه ومن عبده في الارض وقيل فمن يملك ان يمنع من الله شيئا من عذابه ان اراد ان يهلك
المسيح بعذاب وامه ومن في الارض جميعا بعذاب او بموت وهما واحد ثم عظم نفسه عن
قولهم ونزهها حين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فقال ولله ملك السموات والارض اي
كلهم عبيده واماؤه يخلق ما يشاء من بشر وغير بشر والله على كل شيء قدير اي قادر على خلق الخلق
من بشر ومن غير بشر والله اعلم وقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه يحتمل
ان يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعا ولكن كان من احد الفريقين هذا ومن الفريق الآخر
غيره وكان كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى كان هذا القول
كان كل فريق ينفي دخول الفريق الآخر الجنة لان قالوا جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى يحتمل ان كان من النصارى نحن ابناء الله واحباؤه لما ذكر في بعض القصة ان
عيسى صلى الله عليه وسلم قال لقومه ادعوكم الى ابي وابيكم الذي في السماء فقالوا عند
ذلك نحن ابناء الله وكان من اليهود نحن احباء الله ويحتمل ان يكون هذا القول كان منهما
جميعا قال كل واحد من الفريقين نحن ابناء الله واحباؤه وقيل انهم قالوا ذلك في المنزلة والقدر
عند الله تعالى اي لهم عند الله من المنزلة والقدر ما للاولاد عند والدهم ومنزلته
عنده ولا يعذبنا فقال قل يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم ان كان ما تقولون حقا فلم يعذبكم حيث
جعل منكم القردة والخنازير ولا احد من الخلق يحتمل قلبه ان يكون ولده او صديقه قردا
او خنزيرا او يقال لا احد يحتمل قلبه تعذيب ولده وحبيبه بذنب يعذبه بالنار وقد اقررتم
انكم تعذبون في الآخرة قدر ما عبدتم اياما وذكر العجل ثم قال بل انتم بشر ممن خلق اي من اتخذ ولدا
وجب ان يتخذ من شكله ومن جنسه فالله تعالى انا خلقكم من بشر كغيركم من الخلق وانتم خلق له
وهم في ذلك سواء فكيف خصصتم انفسكم بذلك وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم دليل ان من رفع احدا من الرسل فوق قدره في الكفر كمن حط عن قدره ومرتبته
وقوله يغفر لمن يشاء اي لمن تاب واسلم ويعذب من يشاء من دام على الكفر ومات عليه
وقوله ولله ملك السموات وما بينهما اي كلهم عبيده واماؤه وخلقه ينزه نفسه عن
قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا احد يتخذ عبده ولدا او حبيبا فانتم اذا اقررتم انكم عبيده كيف
ادعيتم البنوة والمحبة والله اعلم وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
لانهم قالوا ذلك فيما بينهم ثم اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليعلموا انه انما عرف ذلك
بالله وقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم يحتمل قوله يبين لكم ما كنتم تكتمون من
نعته وصفته وتحرفون كقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ويحتمل

يبين لكم ما عليكم وعليكم من الاحكام والشرايع ويحتمل يبين لكم ما كان عليه الانبياء والرسل و
قوله على فترة من الرسل قيل على انقطاع من الرسل من لدن اسرائيل الى عيسى لانه قيل انه كان
رسول على اثر رسول لم يكن بين رسولين انقطاع فاخبر عز وجل انه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
على حين فترة من الرسل وقيل على فترة من الرسل ليس على انقطاع بينهم ولكن على ضعف امور الرسل
ودروس آثارهم وموت من اتبعهم رسالاتهم فتغيرت واخبر والله اعلم انما بعث الرسول
عند ما درس اثار الرسل وضعف ووقع فيما بينهم اختلاف للضعف ليبين لهم ما ذكر ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير اي لا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فيقطع احتجاجهم بذلك وان لم يكن لهم في
الحقيقة احتجاج وهو كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكقوله ان لا تقولوا على الله
الا الحق بشير بالجنة ونذير بالنار لمن عصاه فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير يحتمل
على كل شيء قدير من بعث الرسل على فترة منهم واحياء ما درس من اثار الرسل وما ضعف من رسومهم
والله اعلم وقوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم يحتمل قوله اذكروا
نعمة الله عليكم ما ذكرت من بعث الرسل والانبياء على فترة منهم ويحتمل ما ذكر على اثره وهو قوله
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين كانه يقول اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم من جعل الانبياء فيكم ولم يكن ذلك لاحد من الخلق وجعلكم ملوكا تنتصرون من
الاعداء لان الملوك في بني اسرائيل هم الذين كانوا يتولون القتال وامر الحرب مع الاعداء
كقوله ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فاخبر انه جعل فيهم الانبياء فيعلمون امور الدنيا والاخرة
ولا يحتاج غيرهم الى معرفة ذلك وانما يعرفون ذلك بهم وجعل فيهم ملوكا ينتصرون من الاعداء
ويقهرونهم فيعيشون ويتشرفون في الدنيا والاخرة وقوله واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
يحتمل ما ذكر من جعل الانبياء والملوك فيهم ويحتمل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى وغيره
من النعم وقيل في قوله وجعلكم ملوكا اي جعلكم بحيث تملكون انفسكم وكنتم قبل ذلك يستعبدكم
فرعون ويتخذكم خولا لنفسه والله اعلم وقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم قيل قوله كتب الله لكم اي كتب الله عليكم قتال اهل تلك الارض ليسلموا او هو كقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعني الكفر فعلى ذلك قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
قتال اهلها ليسلموا والله اعلم وقوله لكم اي عليكم وهذا جائز في اللغة كقوله وان
اسأتم فلها اي فعليها وقيل قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم اي كتب الله لكم
فتحها ان اطعتم امر الله فيما امركم به وانتهيتم عما نهاكم عنه واجبتم رسوله الى ما دعاكم اليه
اي اذا فعلتم ذلك يفتح الله تلك الارض والله اعلم وقوله الارض المقدسة قيل هي الشام
وقيل غيرها ثم سماها مرة مقدسة وهي مباركة وهو كقوله الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله ثم يحتمل قوله باركنا حوله لكثرة الثمار والفواكه وسعة عيشها وكثرة ريعها ويحتمل ان
سماها مباركة لما كانت معدن العباد والزهاد ومنزهة عن الشرك وجميع الفواحش
والمناكير والله اعلم وقوله ولا ترتدوا على ادباركم هذا والله اعلم كناية عن الرجوع عن
الدين وهو كقوله ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما صار ذلك كناية عن الرجوع
عن الدين والله اعلم لما ذكرنا في احد انه كتب عليهم قتال اهل تلك الارض فتركوا
امر الله وطاعته ويحتمل ان وعد الله لهم فتح تلك الارض فلم يصدقوا رسوله فيما اخبر عن
الله من الفتح لهم فكفروا بذلك وقوله فتنقلبوا خاسرين يحتمل ان يكون ذلك لهم

في الاخرة ويحتمل في الدنيا ويحتمل قوله ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا الى ما
ذكرت لكم من دخولها وقوله قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون يحتمل ان يكون هذا والله اعلم لما راوا فرعون مع قوته
وكثرة جنوده مع ادعائه ما ادعى من الربوبية لنفسه لعنة الله عليه وعلى اهله لم يقدر على منع
تلك الارض وعجز عن غلبة اهلها وقهرهم وجعلهم تحت يديه راوا هؤلاء انهم لا يقدرون
على ذلك مع ضعفهم في انفسهم وقلة عددهم وقصور اسبابهم لذلك امتنعوا عن الدخول
فيها الا ان يخرج من فيها من الجبارين عنها خوفا منهم على انفسهم لكن موسى صلى الله عليه وسلم
كان وعد لهم الفتح والنصر مع ضعفهم وقلة عددهم اذا دخلوا فيها وقوله قال
رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون
اختلف في الرجلين اللذين قالا ذلك لهم قال قائلون كان ذانك الرجلان من اولئك الذين
بعثهم موسى صلى الله عليه وسلم الى اهل تلك الارض وامرهم بالدخول فيها ودخلا ممن انعم الله
عليهما من تصديق ما وعد لهم موسى من الفتح والنصر فقالا فاذا دخلتموه فانكم غالبون صدقوا
موسى بما وعد لهم من النصر وقال قائلون كان ذانك الرجلان اللذان قالا ذلك لهم من اهل
تلك الارض لانهم اذا اسمعوا ان موسى يقصد نحوهم خافوا من ذلك فذلك معنى قوله من الذين
يخافون انعم الله عليهما بالاسلام فقالا ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لما
علموا من خوف اهلها من موسى ومن معه ورعبهم وقوله وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي مصدقين بوعد موسى لكم بالفتح لكم والنصر ويحتمل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مسلمين فان كل من
توكل على الله ووثق به نصره الله وجعله غالبا على عدوه والله اعلم وقوله ادخلوا عليهم
الباب كان المراد من الباب ليس نفس الباب ولكن جهة من الجهات التي يكون الدخول
عليهم من تلك الجهة ادنى واهون كانه قال ادخلوا عليهم جهة كذا والله اعلم وقوله قالوا
يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها من تعرض لرسول من الرسل بمثل ما تعرض هؤلاء لموسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها يكفر لان موسى صلى الله عليه وسلم قد وعدهم النصر والفتح
اذا دخلوها فقالوا انا لن ندخلها ابدا لم يصدقوا موسى فيما وعد لهم من الفتح والنصر ومن
كذب رسولا من الرسل بشيء يخبر فهو كافر وقوله فاذهب انت وربك فقاتلا الاية دلت
قوله فاذهب انت وربك فقاتلا على ان الامر بالدخول فيها امر بالقتال مع الاعداء حتى قالوا
ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وان المكتوب عليهم القتال منهم لا غير قالوا فاذهب
انت وربك فقاتلا والله اعلم ثم قيل في قوله فاذهب انت وربك فقاتلا بوجهين قيل اذهب
انت وربك فقاتل وحدك ليعينك ربك وينصرك لانك تقول ان الله قد وعدك فتحها والنصر
عليهم فانا وجدنا الجماعة فيه سواء اذا كان الله ناصرك ومعينك والثاني اذهب انت واخوك
بربك فقاتلا لانهما كانا جميعا مامورين بتبليغ الرسالة لانهما اذا قاتلا انما قاتلا بربهما ويجوز
الاضافة اليه والنسبة لما كان يغلب به كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى هو المباشر للقتل والرمي في الحقيقة لكنه اضيف
اليه لما بنصره ومعونته قتلوا ورموا فعلى ذلك الاول والله اعلم اضيف اليه لما بمعونته
ونصره يقاتلون وقوله انا هاهنا قاعدون اي ليس نريد به القعود نفسه ولكن
والله اعلم انا هاهنا منتظرون وقوله قال رب اني لا املك الا نفسي واخي [illegible]

يحتمل اني لا املك في الاجابة والطاعة لك الا نفسي واخي واملك اخي ايضا لما عرفت بالعصمة
التي اعطيت له انه يجيبني ويطيعني في ذلك وانما هو لا فاني لا املك اجابتهم ولا طاعتهم فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين ويحتمل اني لا املك الا نفسي واخي لا يملك ايضا الا نفسه على
الاضمار لانهما كانا جميعا رسولين مامورين بتبليغ الرسالة بقوله فقولا انا رسولا الاية وقوله
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال قايلون انما طلب موسى الفرق بينه وبين الذين ابوا
الدخول فيها وقالوا لن ندخلها ابدا وقال قايلون انما طلب الفرقة بينهم وبين الجبابرة الذين
كانوا في الارض التي امروا بالدخول فيها وامروا بالقتال معهم والله اعلم وقوله قال فانها محرمة
عليهم اربعين سنة الاية قوله محرمة عليهم من الحرمان والمنع هو والله اعلم ليس على التحريم كقوله
وحرمنا عليه المراضع ليس هو من التحريم الذي هو تحريم حكم ولكن من المنع والحرمان فعلى ذلك
الاول والله اعلم وقال قايلون محرمة عليهم ابدا لم يدخلوها حتى ماتوا لكن دخل اولادهم اولاد
فلما ماتوا هم دخل اولادهم لانهم قالوا لن ندخلها ابدا وقال قايلون قوله محرمة عليهم اي
التوبة محرمة عليهم لم يتوبوا ابدا والله اعلم وقوله اربعين سنة يتيهون في الارض فالمدة
ههنا للتيه والله اعلم لا للتوبة محرمة عليهم ثم اختلف في التيه قال قايلون لم يكن موسى وهارون
معهم في التيه لان ذلك لهم من الله كان عقوبة ولا يحتمل ان يكون الله عز وجل يعذب رسوله
بذنب قومه لانه لم يعذب قوما بتكذيب الرسول قط الا من بعد ما اخرج الرسول من بين اظهرهم
فعلى ذلك لا يحتمل ان يكون موسى يعذب بعصيان قومه والله اعلم وقال اخرون كان موسى
معهم في تلك الارض معهما فيها ولكن الحيرة والتيه كانت لقومه قيل كانوا يرتحلون ثم ينزلون
من حيث اصبحوا اربعين سنة وكان ما ذاهب الحجر الذي كان مع موسى فكان اذا نزل موسى ضربه بعصا
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين ولم يكن حل بموسى مما كان حل بقومه قليل ولا كثير
انما اجروا بالمقام فيها فاقام من غير ان كان به حيرة وقوله واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ
قربا قربانا فتقبل قربان احدهما ولم يتقبل قربان الاخر وان نسبهما الى آدم لان كل البشر ولد
آدم ينسب اليه كقوله يا بني آدم افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ليس يريد به ولد آدم لصلبه
ولكن البشر كله فعلى ذلك الاول والله اعلم واما ابن عباس والكلبي وغيرهما من اهل التاويل
فانهم قالوا انهما كانا ابني آدم لصلبه احدهما يسمى قابيل والاخر هابيل وكان لكل واحد
منهما اخت ولدت معه في بطن واحد وكانت احديهما جميلة والاخرى ذميمة فاراد كل واحد
منهما نكاح الجميلة منهما فتنازعا في ذلك فقال احدهما لصاحبه تعال حتى نقرب قربانا فان
تقبل قربانك فانت احق بها وان تقبل قرباني فانا احق بها فقربا قربانهما فتقبل قربان هابيل ولم
يتقبل قربان قابيل فحسده فهم ان يقتله فذلك قوله اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم
يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ولكن لا ندري كيف وفيما كانت
القصة وكانا ابني آدم لصلبه او لم يكونا وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة في هذا
الى معرفة ما فيه من الحكمة والعلم بعلم ذلك يطلب به فهو والله اعلم انما ذكر عز وجل فيما تقدم من
قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا وقال في اية اخرى يبين لكم على فترة
من الرسل فكان هذا نبا ابني آدم كان في كتبهم فامر عز وجل رسوله ان يتلو عليهم ذلك
على ما كان ويبين لهم ما في كتبهم لانه قال قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل ليعلموا انه انما علم ذلك بالله لا باحد من البشر لانه انما

بعث عند دروس اثار الرسل وانقطاع العلوم نبين لهم واحدا بعد واحد فيه دليل اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وسورة المائدة كان اكثرها نزلت في مخاطبة اهل الكتاب لانه
يقول في غير موضع يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويقول
لكم على فترة من الرسل يدعوهم الى الايمان بالرسل وسورة الانعام في مخاطبة اهل
الشرك لان فيها دعاء الى التوحيد وقوله واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق يحتمل وجهين يحتمل بالحق
على ما كان ويحتمل بالحق المعلوم المعروف على ما كان ليعلموا انه بالله علمه وانه علمه منه وفي
وقوله انما يتقبل الله من المتقين هذا يحتمل وجهين يحتمل انما يتقبل الله قربان من اتقى
الشرك لا يتقبل قربان من لم يتق والى هذا يذهب الحسن وقال كانا رجلين من بني اسرائيل
احدهما مؤمن والاخر منافق فتنازعا في شيء فقربا ليعلم المحق منهما فتقبل من المؤمن ولم
يتقبل من الاخر وقال ابو بكر الاصم كانا رجلين مسلمين لان الكافر لا يقرب القربان لكن احدهما
كان اتقى من صاحبه فتقبل قربانه والاخر لا فلم يتقبل قربانه والتقوى شرط في قبول القرابين وغيرها
من القرب كقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين وقوله والكافر لا يتقرب القربان تعالى
قد يتقرب لما يدعي من الدين ان الذي هو عليه حق ليظهر المحق منهم لانه يرى انفسهم على ذلك من هو
احق بالرسالة من محمد عليه السلام بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وغير ذلك ابا الحبل قالوها وبالله التوفيق وقوله لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك قال بعض الناس ان الواجب علينا ان نفعل مثل فعل هابيل وانه لا ينبغي لمن
اراد احد قتله ان يقتله ولكن يمتنع عن ذلك على ما امتنع احد ابني آدم حيث قال له لاقتلنك
فقال له الاخر ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك واحتجوا في ذلك باخبار رويت وروي عن
ابي موسى الاشعري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفيهما فقتل
احدهما صاحبه فهما في النار فقيل يا رسول الله ارايت المقتول فقال انه اراد ان يقتل صاحبه
وعن سعد بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان تكون عبد الله
ولا تقتل احدا من اهل القبلة فافعل وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابني آدم ضربا لهذه الامة مثلا فخذوا بالخير منهما وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف بك يا ابا ذر اذا كانت بالمدينة قتل تغمر حجارة قال قلت البس سلاحي
قال شاركت القوم اذا قال قلت كيف اصنع يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك
شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك تبوء باثمك واثمه فيحتجون بمثل هذه الاخبار وقال
اخرون له ان يقاتل اذا لم يتعظ صاحبه بالله واراد قتله وهو في سعة من قتل من يريد ان
يبتديه بالقتل استدلالا بما امر الله تعالى بقتال اهل البغي كقوله فان بغت احديهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فصار الحكم في ابنا ما امر به القوم من قتال البغاة
لان الله قال عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا على ان قتال المشركين كان محظورا في اول
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك باوقات وقالوا فيخبر منك ان يكون الوقت الذي
ذكره النبي فيه الاية كان قتال المشركين وتجريد السيف فيه محظورا فاذن الله في قتالهم
وقتال اهل البغي فصار الحكم في ابنا ما امر الله من قتال البغاة والمشركين والله اعلم
واما ما احتجوا به من الاخبار التي رويت من قتال المسلمين واشباهها فان ذلك والله اعلم
في طلب الدنيا وقتال الفتنة التي لا امام فيها يستحق الامامة لحمية او امر جاهلية او

عصبية فيما على خطأ فالصواب في مثله ما ذكرنا من الاخبار وانما اذا كان للناس امام هدى يعتقد
عقده والبيعة فخرجت عليه خارجة ظالمة فقتالهم واجب كما قاتل علي رضي الله عنه ومن
حارب معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل البغي والخوارج فاما قتال الخوارج فهو
كالاجماع لان جميع الطوائف قد حاربوهم وروي في ذلك آثار كثيرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى هذا يذهب من راى قتال من نصر قتله وقوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
ان ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك الذي عملته قبل قتلي قال القتبي باثمي ان تقتلني واثمك ما اضمر
في نفسك من الحسد والعداوة وقال الحسن ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك يعني الكفر الذي كان
عليه لانه يقول كان احدهما كافرا فقتل صاحبه فيرجع بالكفر والله اعلم وقوله اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك يجوز ان يكون بالارادة على غير تحقيق الفعل كقول القائل اريد ان اسقط
من السطح ومن لا يريد سقوطه منه وكقوله فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه والجدار
لا فعل له فاذا جاز اضافة الارادة الى من لا فعل يكون منه دل انه لا ينبني على حقيقة الفعل ولكن
على ما يقع انه يكون كذلك ويؤول امره الى ذلك او اراد ان يبوء باثمه لما علم منه انه يقتله
لا محالة ويعصي ربه اراد ان يبوء باثمه وذلك جائز والله اعلم وقوله فطوعت له نفسه
قتل اخيه قال القتبي اي شايعته وانقادت له وقال ابو عوسجة فطوعت له نفسه اي امرته
وزينت له وقال مجاهد فشجعته واعانته وكله يرجع الى واحد وقوله فاصبح من
الخاسرين وقال في اية اخرى فاصبح من النادمين يحتمل وجهين يحتمل اصبح نادما لان الندامة
توبة وذلك ان من اذنب ذنبا فندم عليه كان ذلك منه توبة فان لم تكن توبة فتاويل قوله
اصبح يصبح في الاخرة من النادمين وهو كقوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله اي يقول في الاخرة لا ان قال له في الدنيا ذلك فقوله اصبح
من النادمين اي يصبح من النادمين في الاخرة والله اعلم ويصبح من الخاسرين وقوله
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه استدل من قال بان
القصة كانت في بني آدم لصلبه بقوله فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه لان القصة لو كانت في بني اسرائيل لم يكن يجهل دفن الميت اذ قد راى ذلك غير
مرة وعاينه فدل انه كان في اول ميت جهل استتاره وقال من قال انهما كانا رجلين من بني
اسرائيل انه قد يجوز ان يخفى على المرء شيء علمه قبل ذلك وعاينه اذا اشتد به الحزن ونزل
به الهول كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقد كان لهم علم بذلك
لكن ذهب عنهم والله اعلم لشدة هول ذلك اليوم وخوفه فيكون كذلك الاول يجوز خفاء دفن الموتى
عليهما لشدة الهول والله اعلم ثم اختلف فيما اخبر عن بحث الغراب في الارض قال الحسن
كان الغراب يحثو التراب على ذلك الميت ليرى ذلك القاتل وقال اخر كان يحثي التراب على غراب
آخر على ما ذكر في القصة ان غرابا قتل آخر ثم جعل يحثي التراب عليه لانه ذكر السوءة وليس للغراب
سوءة والسوءة العورة لكنه ليريه كيف يواري سوءة اخيه لم يذكر السوءة في الغراب
انما ذكرها في اخيه والجثة يريه ان كيف يواري سوءته والله اعلم وقوله قال
يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي اي اعجزت في الحيلة ان اكون مثل
هذا الغراب فاواري سوءة اخي وقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا الاية يحتمل وجوها يحتمل قوله من قتل نفسا

بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا اي من استحل قتل نفس حرم الله قتلها بغير حق فكانما استحل قتل
الناس جميعا لانه يكفر باستحلاله قتل نفس محرم قتلها فكان كاستحلال قتل الناس جميعا لان من كفر
باية من كتاب الله يصير كافرا بالكل فعلى ذلك الاول اذا استحل قتل نفس محرمة يصير كانه استحل
قتل الانفس كلها ويحتمل ان يكون هذا في اول قتيل قتل لم يكن قبل ذلك احد قتل فقتل هذا القتيل لاجل
الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا فكان ذلك منه سنة استن الناس به فهو كما روي في
الخبر ان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من
وزرهم شيئا فيشترك هذا القاتل في وزر كل قتيل قتل الى يوم القيامة بغير حق ويحتمل الاية
وجها آخر وهو ما قيل ان يجب عليه من القتل مثل ما انه لو قتل الناس جميعا ومن احياها اعطاه
من الاجر مثل ما لو انه احيا الناس جميعا اذا احياها فلم يقتلها وعفا عنها وعن ابن عباس قال
من اجل ابني آدم حين قتل اخاه كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس بلا نفس فوجب عليها
القصاص او فساد في الارض يقول الشرك في الارض فكانما قتل الناس جميعا يقول ليعذب بقتلها كما
انه لو قتل الناس جميعا لعذب ومن شاء قتل الاول وعن عبد الله بن عمرو قال من اجل ذلك الاية قال لم يكن
يؤخذ في بني اسرائيل الدية انما كان قصاصا بقصاص يقول من قتل نفسا او افسد في الارض جزاؤه كانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فعفى عنه ويحتمل قوله ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي
من استنقذ احدا من مهلكة فكانما استنقذ الناس جميعا في الاخرة وقيل ومن احياها بالعفو اجر
في احيائها كما يؤجر من احيا الناس جميعا او على الناس ان يعفوا عنه ذلك فاذا عفا عنها فكانما عفا عن
الناس جميعا قال الحسن ومن احياها في الاجر اعاده الله من يستطيع ان يحييها انما اخبر اجرها
ولكنه اريد تعظيما وجه آخر انه يلزم الناس جميعا دفع ذلك عن نفسه وتعظيمه له وان احياها
او سعى في قتلها بالفساد فكانما سعى بذلك على الناس كانه يقيل ذلك من احياها فكانما سعى في احيا
الناس جميعا والله اعلم وقوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك
في الارض لمسرفون في الاية تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب الكفرة اياه وانه
ليس باول مكذب في الحق بل كانت الرسل من قبل يكذبون فيما ياتون من الايات والحجج والبينات
وقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الاية قال
بعضهم الاية نزلت في اهل الكفر وفيها الحكم فيهم وهو قول الحسن وابي بكر الاصم وقالا لان الله
عز وجل ذكر محاربة الله ورسوله وذكر السعي في الارض بالفساد وكل كافر قد حارب الله ورسوله
وسعى في الارض بالفساد فللامام ان يقتلهم باي انواع القتل شاء ما دام الحرب فيما بينهم قائما
فاذا اثخنوا في الارض بترك ذلك فلهم علم ان شاء واما المسلم اذا قطع الطريق فانه لا يقال
انه حارب الله ورسوله فدل انها نزلت في اهل الكفر للكفر لا لقطع الطريق وقال آخرون
نزلت في المشركين اذا قطعوا الطريق فاما المسلمون اذا قطعوا الطريق فانما هو سارق
تقطع ايديهم فقط وقال بعضهم نزلت الاية بالحكم في المشركين اذا قطعوا الطريق واخافوه
لكن يجري ذلك الحكم في المسلمين اذا قطعوا الطريق على الناس والظاهر ما روي عن ابن عباس
قال وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي فجاء اناس يريدون
الاسلام فقطع عليهم الطريق فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد فيهم ان من قتل
واخذ المال صلب ومن قتل ولم ياخذ المال قتل ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده
ورجله من خلاف ومن جاء مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك وفي حديث ابن عباس على

ان الآية نزلت في المرتد وعين ممن المحاربين وروي عن انس قال ان اناسا من عكل او عرينة اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه الجهد فبعث بهم الى لقاح وراعيا وقال لهم اشربوا البانها
وابوالها فلما ان صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل وارتدوا
عن الاسلام فبعث في آثارهم فبعث بهم بعدما ترجل النهار فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمر
اعينهم وقطع السنتهم وتركوا بالمكان حتى ماتوا فانزلت الآية وروي عن علي ما يخالف هذا وروي
عن حارثة بن بدر انه خرج محاربا لله ورسوله وسعى في الارض فسادا ثم تاب من قبل ان يقدر
عليه فكتب علي بن ابي طالب الى عامله بالبصرة ان حارثة قد تاب قبل ان يقدر عليه فلا تعرض
له الا بخير الا ترى ان حارثة قد اطلق فيه انه حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا
فهذا يدل على ان الحكم الذي اجري على قطاع الطريق الكفرة يجري ذلك الحكم في المسلمين اذا كان
منهم ما كان من المشركين من قطع الطريق على الناس واخافته عليهم وقد يتوهم ان الآية نزلت في
اهل الحرب وقد اتيح لنا قتل من ظفرنا به منهم كيف شئنا وان لم يفسدوا في الارض ولم يقطعوا
الطريق وهذا يدل ان الآية نزلت بالحكم في اهل الكفر واهل الاسلام جميعا اذا سعوا في الارض
بالفساد ومن الدليل على ذلك ان الله تعالى قال الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم والمجمعوا
ان الكافر اذا قتل مسلما واظهر في الارض فسادا ثم قدرنا عليه واسرناه ثم اسلم انه يزول
عنه القتل والقطع والصلب فدل ذلك على ان الآية نزلت بالحكم في المسلمين لانه لا يختلف
حكمه اذا تابوا من قبل ان نقدر عليهم او بعد قدرتنا عليهم ولم يتنزل حينئذ يستوي حكمه في الحالين
جميعا اذا تابوا بعد القدرة فالحكم ثابت عليهم فاما الذي روي عن النبي عليه السلام من فعله
بالعرنيين فانهم كانوا اسلموا ثم ارتدوا واحتج من ذكرنا قوله من المتأخرين بان الآية نزلت
فيهم بحديث انس من فعله بالعرنيين وقد روي عن بعض المتقدمين ان الآية نزلت نسخ قتل العرنيين
منهم ابن سيرين وغيره فالواجب على من ادعى ان الآية نزلت في العرنيين ان يبين دعواه وكان
اصحابنا يذهبون الى ما روي عن ابن عباس ويرون ان يؤخذ المحارب اذا تاب قبل ان يقدر
عليه بما اصاب من دم ومال على سبيل القصاص ولا يصلب ولا يقطع يده ورجله فيما
اصاب من مال فكانهم ذهبوا الى ان يزال الحد الذي لله على المحارب بتوبته قبل ان يقدر عليه
ومن ما كان الى الامام اقامته ولا امر للولي فيه واما الحقوق التي هي للعباد فان التوبة
لا تؤثر في ابطالها ولكل ذي حق ان يأخذ بحقه لا حق للامام لان الحق صار للولي دون الامام وفي
قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم دلالة على ان السارق اذا رد السرقة قبل ان
يقدر عليه ان لا قطع عليه وكذلك روي عن بعض المتقدمين انهم قالوا ليس على تائب قطع وان
ودل قوله ويسعون في الارض فسادا على ان السارق في المصر ليلا او نهارا لا يكون محاربا
وانما هو سارق تقطع يده دون رجله لانه ذكر السعي في الارض بالفساد والسارق في المصر
لا يقال سعى في الارض الا ترى الى قوله واذا ضربتم في الارض لم يرد العرب في المصر ولكن
اذا سافر ودليل ذلك الاول واما الكلام في القتل والصلب والقطع فروي عن ابن
عباس قال اذا حارب وقتل واخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف وصلب فان
قتل ولم يأخذ المال قتل وان اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف وتأول
الآية الذين يحاربون الله ورسوله على ان الواجب على المحارب من العقوبة له على
قدر جنايته ويزاد في عقوبته بقدر زيادته في جرمه وتأول غيره الآية على انها نزلت في

المحارب الذي يصيب المال والنفس واذا اصاب الامرين كان للامام ان يقتله كيف شاء
ان شاء قتله بالسيف قتلا وان شاء قطع يده ورجله ثم يتركه حتى يموت وان شاء صلبه حيا
وان ابطأ عليه الموت طعن بالرماح حتى يموت والى هذا كان يذهب ابو حنيفة رحمه الله واما
ابو يوسف ومحمد رحمهما الله فقالا اذا صلب لم يقطع يده ورجله لانه لا يجوز ان يجمع عليه الامرين
وانما جعل الله له احدهما بظاهر قوله ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف فجعلا
عقوبته مختلفة على قدر جنايته فان قيل لما معنى التخيير فيه قيل معناه والله اعلم ان يقتل بالسيف
او يقتل بالصلب ويقتل بقطع اليد والرجل واصله ان حرف التخيير اذا كان في متفق الاسباب
يخرج مخرج التخيير من نحو التخيير في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة الاذى لان سبب
وجوبه واحد واذا كان في مختلف الاسباب فيخرج مخرج بيان الحكم لكل في نفسه كقوله
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا لا يحتمل التخيير ولكنه على بيان الحكم
لكل في نفسه لان سبب وجوبه مختلف فتأويله اما ان تعذب من ظلم وتتخذ الحسنى فيمن آمن
بالله الا ترى انه قال اما من ظلم فسوف نعذبه واما من آمن فله جزاء الحسنى وقول من جعل
الحكم فيمن جمع القتل وقطع الطريق اقرب الى ان قيل والله اعلم ممن لم يجمع الآية لانه قال
عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية فيمن حارب وافسد في الارض فقد اتى بالامرين
جميعا لان محاربته ان يقتل وافساده في الارض بقطع الطريق فاذا اجمع هو بين الامرين يجمع بين
عقوبتين واصله ان امر قطاع الطريق محمول على فضل تغليظ فجاز ان يجمع بين ما ذكرنا والله اعلم
وقوله او ينفوا من الارض وذلك لهم خزي قال بعضهم وينفوا من الارض على اسقاط الالف
ويكون في القتل والصلب نفيه اذا قتل واخذ المال وقال بعضهم نفيه ان يطلب فلا يقدر
عليه وعن الحسن قال يطلب حتى يخرج من ارض الاسلام وذلك الى الامام واصله ما ذكرنا انه اذا
قدر عليه وقد قتل واخذ المال يقتل وفي القتل نفيه واذا لم يقتل ولم ياخذ المال حبسوا اذا قدر
عليه وفي الحبس نفيه وان لم يقدر عليه يطلب حتى يخرج عن الطريق والله اعلم وقول
ابي عبيد حين قال انه يصلب قبل القتل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة
فيقال له المثلة يراد بها على ما قال محمد بن الحسن رحمه الله ولان الصلب جعل عقوبة
والميت لا يعاقب ولو جاز ان يصلب بعد القتل لجاز لغيره ان يقول تقطع يده ورجله
بعد القتل فذلك بعيد قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم قد ذكرنا فيما تقدم
ان قطاع الطريق اذا تابوا قبل ان يقدر عليهم سقط عنهم الحدود التي هي لله تعالى لا يؤاخذون بها
وليس كغيرها من الحدود التي تلزمهم في غير المحاربة ان التوبة لا تعمل في اسقاطها لوجهين احدهما
ان التوبة من غير المحارب لا تظهر حقيقته فادام لم تظهر لم تعمل في اسقاط ما وجب وفي المحارب
تظهر لانه في يدي نفسه اذا ترك المحاربة والسعي في الارض بالفساد وظهرت منه التوبة
فلو ربما اخذه ولي شاكرا الحدود لا يظهر منه ترك ما كان يرتكب لذلك افترقا والثاني انه لو لم
يقبل منه ذلك لتمادى في السعي في الارض بالفساد فيما لحق المسلمين من الضرر لكنهما لو اخذوا
هو بذلك فاستحسنوا قبول ذلك منهم ودرء ما وجب عليهم من الحدود التي هي لله تعالى
واما الحقوق التي هي للعباد فذلك الى الاولياء ان شاؤوا اخذوهم بذلك وان شاؤوا تركوا
والله اعلم وانما نزلت من جاءنا مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك معناه اذا جاء تائبا لان
الحدود جعلت زواجر والاسلام يزيد في الزجر والتغليظ فلا يجوز ما كان سببا للتغليظ

٤٧٥

شيئا لاستغنائه ولأن المعنى منه من جاء منهما تائبا والله أعلم. وقوله: يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله وابتغوا إليه الوسيلة، يحتمل أن تكون الآية صلة لما مضى من الآيات من ذكر قوله إذ قربا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، أخبر أنه إنما يتقرب
بقربان المتقي، وقال: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية، ثم قال: اتقوا الله وابتغوا
إليه الوسيلة، ابتغوا تتقربوا إليه عن معاصيه التوبة، فالوسيلة والوصيلة القربة
وكذلك الزلفة، يقال: توسل إليّ بكذا أي تقرب، ومن قوله القربى وقوله وأزلفت الجنة للمتقين
أي قربت. وقوله: وجاهدوا في سبيله، الآية يحتمل هذا وجهين: أحدهما جاهدوا أنفسكم في منعها
عن معاصيه إلى طاعته، وهو كقوله: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، ويحتمل أن جاهدوا أعداء
أنفسكم وأعداء الكفرة أعداء الله في نصرة دينه وبالله التوفيق. وقوله: إن الذين كفروا لو أن لهم
ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم، كان الذي
يمنعهم عن الإسلام والإيمان بالله والدخول فيه قضاء شهواتهم وطلب العز والشرف بالأموال
فأخبر لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به في صرف العذاب عن
أنفسهم ما تقبل منهم ولا ينفعهم ذلك، يذكر هذا والله أعلم ليصرفوا أنفسهم عن معاصي الله والخلاف
له بالذي يطلبون من الأموال والشهوات وأخبر أنه لو كان لهم ما في الأرض ومثله معه
لافتدوا به العذاب يوم القيامة ما نفعهم ذلك وما تقبل منهم، والحكمة في ذكر هذا والله أعلم ليعلموا
أن الآخرة ليست بدار يتقبل فيها الرشى كما تتقبل في الدنيا. وقوله: ولهم عذاب أليم، دل هذا
على أن من العذاب ما لا ألم فيه من نحو الحبس والقيد فأخبر أن عذاب الآخرة أليم كله ليس كعذاب
الدنيا منه ما يكون أليما ومنه ما لا يكون. وقوله: يريدون أن يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها، الآية يحتمل قوله يريدون أن يخرجوا منها أي يطلبون ويتمنون الخروج منها
من غير عمل الخروج نفسه، ويحتمل قوله يريدون أن يخرجوا منها ولكن يردون ويعادون إليها كما هم
كقوله: كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، أي يجتهدون في الخروج منها أعيدوا فيها، فيه
دليل أنهم يعملون عمل الخروج ولكن يردون فيها ويعادون فيها. وقوله: والسارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما، الآية عامة في السراق خاصة في السرقة لأنه يدخل جميع أهل الخطاب في ذلك
وإن كان يجوز أن يدرأ الحد عن بعض السراق إذا سرقوا عن محارمهم أو ممن له تأويل الملك
في ماله أو شبهة التناول منه لأنه إذا سرق ممن ليس له ذلك أن قليلا لا يملك الشبهة
قطع، فذلك أنه عام في السراق، وعلى هذا يخرج قول ابن عباس حيث سئل عن قوله والسارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما أخاص هو أم عام؟ فقال: لا بل عام، يعني عام في السراق الأحرى
أنه قال في خبر آخر حيث سئل عن ذلك فقال: ما كان من الرجال والنساء يقطع. وأما قولنا إنها
خاص في السرقة لأنه لا يحتمل قلب أحد قطع اليد في التبن والحشيش الذي إذا أخذ
وكان الخطاب بذلك من الله عز وجل رجع إلى سرقة دون سرقة لا إلى كل ما يقع عليه اسم
السرقة، وكذلك الخطاب بقطع اليد رجع إلى بعض اليد وهو الكف وإن كان اسم اليد يقع من
الأصابع إلى الإبطين، لأن من قطع اختلافهم اتفقوا على أن اليد لا تقطع من الإبط ولا من
المرفق لكنهم اختلفوا فيما دون ذلك، فيقول بعضهم تقطع الأصابع دون الكف، وعندنا
أنه تقطع الأصابع دون الكف لأنه بها يبطش ويأخذ، فيخرج الخطاب بالقطع عاما والمراد
منه رجع إلى بعض اليد دون بعض، وكذلك قوله فاقطعوا أيديهما يخرج الخطاب بالقطع عاما

٤٧٦

ليس فيه بيان من يقع القطع ما المراد منه ورجع إلى الولاة. فهذا كله يدل على أن ليس يخرج عموم
اللفظ دليل عموم المراد ولا يخرج خصوص اللفظ دليل خصوصه بل يعرف ذلك كله بدليل يقوم
العموم بدليل العموم والخصوص بدليل الخصوص، فهذا ينقض قول من يقول إنه على الخصوص والعموم
حتى يقوم دليل الخصوص والله أعلم. فإن قيل لنا: أي شيء الحكمة في إقامة الحد في السرقة على غاية
ما يكتسب السرقة وهو اليد ولم يقم الحد في سائر الحدود فيما به كان اكتسابها من نحو القصاص والزنا
وغيره أنه إذا قتل آخر لم تقطع يده وإنما كان اكتساب القتل، وكذلك الزنا لم يقم الحد على ما به
كان الزنا بل أقيم على غير ما به كان ذلك الفعل، وفي السرقة أقيم على ما به كان ذلك خاصة؟ قيل
والله أعلم يحتمل: أما القصاص ففي الاستيفاء من الحق أو الخوف الزيادة في الاستيفاء على الحق
لأنه إذا قتل لو قطعت يده فبقيت له النفس وقد تلفت نفس الآخر فكان في ذلك تقصير في استيفاء
الحق، وفي الزنا لو أقيم على الذي به كان اكتسب بالفعل لخيف تلف نفسه به فكان في ذلك
استيفاء الزيادة على الحق. وأما السرقة فإنه أمكن استيفاء الحق مما به كان اكتسابها على غير تعدٍ
يقع في الاستيفاء ولا خوف الزيادة في الاستيفاء، لذلك كان ما ذكر والله أعلم. فإن قيل: ما الحكمة
في قطع يد قيمتها ألوف بسرقة عشرة وذلك مما لا يماثله في الظاهر وقد أخبر أن لا يجزى إلا
مثلها، كيف جزي هذا أضعافا؟ قيل: لهذا أجوبة: أحدها أن جزاء الدنيا محنة يمتحن بها
المرء، والله أن يمتحن عباده بأنواع المحن ابتداء على غير جعل ذلك جزاء لكسب يكتسب، فله الامتحان
بأنواع المحن على غير جعلها جزاء لشيء كان له الامتحان بأن يجعل ما شاء من أنواع جزاء، فلذلك
حبة، وبالله العصمة والنجاة. والثاني أن ليس القطع في السرقة جزاء ما أخذ من المال ولكنه
جزاء ما هتك من الحرمة، ألا ترى أنه قال جزاء بما كسبا ولم يقل جزاء بما أخذ من الأموال، فيجوز
أن يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وإن قصر علم البشر عن ذلك لأن مقادير العقوبات
إنما يعرف من يعرف مقادير الإجرام، وليس أحد من الخلائق يحتمل علمه مبلغ مقادير الإجرام
فإذا لم يحتمل علمهم مبلغ مقاديرها لم يحتمل معرفة مقادير عقوباتها، فإذا كان كذلك فحق القول
فيه الاتباع والتسليم. تعبدنا العلم في الاتباع أن الله لا يجزي بالسيئة إلا مثلها وبالله التوفيق
ثم الكلام فيه قطع اليمين فأذوي في حرف ابن مسعود فاقطعوا أيمانهما، وعن علي قال: إذا سرق
الرجل قطعت يده اليمنى، وعلى ذلك اتفاق الأمة. ثم المسألة في مقدار ما السرقة وليس في الآية
ذكر مقدارها، واختلف أهل العلم في ذلك فقال بعضهم تقطع في ربع دينار فصاعدا، وقال
أصحابنا لا تقطع اليد إلا في عشرة دراهم فصاعدا أو دينار، وقد روي من الأخبار ما احتج
به كل فريق منهم، روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا
وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا. وعن عروة
ابن الزبير يقول: كانت عائشة تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تقطع
اليد إلا في المجن أو في ثمنه، وتزعمون أن قيمة المجن أربعة دراهم، فذلك قول عائشة أن النبي عليه
السلام كان لا يقطع اليد إلا في ثمن المجن، وقولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد
إلا في ربع دينار إن ثمن المجن كان عندها ربع دينار أو لا يكون كذلك، وعلى ذلك ما روي عن
ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم، في الخبر أنه قطع
في مجن، وأما التقويم فإنما هو من عند عبد الله. وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم
قطع في مجن، فقيل: يا أبا حمزة كم كانت قيمته؟ قال: خمسة دراهم، هذا يدل على أن التقويم

شرح وسليمان بن حماد

كان من ابن مكان ذلك كتقويم ابن عمر وعائشة وليس في التقويم حجة في واحد من المقومين بمخالفة كل واحد منهم صاحبه وانما قوموه من قبل انفسهم فاما ان كان في مجلسين مختلفين فهو على التناسخ واما ان كان في مجلس واحد في وقتين مختلفين فان كان في وقتين مختلفين ايكن لمخالفتنا فيه حجة لما يحتمل الزيادة والنقصان على اختلاف الاوقات وان كان في مجلسين مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر فلا يتقدم على القطع بالشك ثم الاخبار التي تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال دخلت على سعيد بن المسيب فقلت له ان اصحابك عروة ومحمد بن مسلم وفلان رجل اخر يقولون ثمن المجن خمسة دراهم او ثلاثة فقال اما هذا فقد مضت السنة فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن ابن عباس قال ثمن المجن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقطع اليد الا في ثمن المجن وهو يومئذ يساوي عشرة دراهم فلما اختلف المقومون في قيمة المجن رجعنا الى ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة دراهم وان كان مرسلا اذ لا معارضة ويؤيده هذا ما روي عن نجباء الصحابة من نحو عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وروي ان عمر اتي بسارق فامر بقطعه فقال عثمان ان سرقته لا تساوي عشرة دراهم فامر بها فقومت ثمانية دراهم فلم يقطعه وعن ابن مسعود قال لا تقطع يد السارق في اقل من عشرة دراهم وعن علي رضي الله عنه قال لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم وروي عن عائشة قالت لم تكن اليد تقطع على عهد رسول الله في الشيء التافه فاخذ اصحابنا بهذه الاخبار ولم يروا القطع بدون العشرة لانهم مع اختلافهم اتفقوا على ان اليد تقطع في سرقة عشرة دراهم واختلفوا في وجوب القطع فيما دون العشرة وهو حد يندرئ بالاشكال والله اعلم **قوله** جزاء بما كسبا نكالا من الله يحتمل قوله نكالا من الله اي عظة وزجرا من الله لغيره لان من عاين اخر قطعت يده في سرقة اتعظ به وزجره ذلك عن الاقدام عليه والله اعلم **وقوله** فمن تاب من بعد ظلمه واصلح الاية يحتمل تاب من بعد ظلمه واصلح اي تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال شركه فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وعد له المغفرة والرحمة اذا تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال الشرك حتى لم يؤاخذ بشيء مما كان يرتكبه في حال الشرك ويتعاطاه اذا اسلم الا يرى انه قال ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم في حال الاسلام اذا ارتكب حدودا وتعاطاه ثم تاب اخذ بها لو جنى احدهما ان الكافر لو اخذ فيدنا ما اسلم بما كان ارتكب في حال الكفر وتعاطاه فذلك عفو عن الاسلام ويرجو فاذا كان كذلك فكان فيه اقامة ذلك والاخذ بها من الفساد اكثر من الصلاح واما المسلم اذا لم يؤخذ بما ارتكب وتعاطى بعد التوبة يدخل في ذلك من الفساد ما يخشى وذلك انه كلما اراد ان يقام عليه الحد تاب فيسقط ذلك عنه ثم عاد ثانيا ثم تاب ثانيا والى ما لا يتناهى فيهلك في الارض بكل الفساد ويخرج عن الحقيقة فصار لذلك اخذه بعد التوبة والكافر لا والله اعلم والثاني ان الكافر ما يرتكب ويتعاطى في حال الكفر انما يرتكبه تدينا يدين به فاذا رجع عن ذلك الدين ودان بدين اخر ما يكون ذلك حال ما في دينه الذي تمسك به ترك ما كان يرتكب في دينه الاول تدينا فيظهر ذلك منه فلم يؤخذ عليه لما يظهر منه ترك ما تعاطى قبل ذلك واما المسلم فليس يتعاطى ما يتعاطى تدينا يدين به ولكنه يتعاطاه شهوة وذلك مما لا يظهر منه التوبة حقيقة لذلك

اختلفنا والله اعلم وفيه دليل جواز تاخير البيان لانه قال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء ولا يحتمل ان يتبين له جميع شرائط السرقة التي يجب فيها القطع وقت نزول الخطاب السمع لذلك انه انما يبين لنبيه عند الحاجة عند السؤال والبحث عنها والله اعلم وكان جميع ما ذكر من العقوبات انما نزلت في اهل الكفر لا في هؤلاء الذين كانوا يخافون وذلك دون المسلمين وترك عامة العبادات في المسلمين لا في الكفار هم الذين يرغبون فيها من ذلك قوله الذين يحاربون الله ورسوله الاية وما ذكر في ابني ادم وقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية وذكر عن ابن عباس انه قال نزلت في طعمة بن ابيرق حين سرق درع جاره فنزلت الاية وعلى ذلك قالت عامة اهل التاويل ثم صار ذلك الحكم في المسلمين اذا ارتكبوا ذلك الاجرام وفيه دليل جواز القياس والله اعلم **قوله** الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وعلى اثر قوله الذين يحاربون الله ورسوله الاية ان له ملك السموات والارض وله ان يعذب من يشاء بعد التوبة وقبل التوبة ويغفر لمن يشاء ولا تقيد بتعبد التوبة وذلك رد على ان المحارب اذا تاب قبل ان يقدر عليه لم يؤخذ عليه الحد الذي وجب في حال المحاربة والسارق اذا تاب قبل ان يقدر عليه اخذ به اخبر ان له ان يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وفيه نقض على المعتزلة لانهم يقولون الصغيرة مغفورة ليس له ان يعذب عليها والكبيرة تخلد صاحبها في النار ليس له ان يغفر عنه فلو كان على ما قالوا لذهب معنى التخيير بقوله يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء لانهما عما لما عليه ان يغفر وكذلك ما عذب عذب لما عليه ان يعذب فيذهب غاية التخيير وقد اخبر انه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء **قوله** يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية يحتمل وجوها احدها ان لا يحزنك كفر من كفر منهم ليس على النهي عن ذلك ولكن ان لا يحمل على نفسه بكفرهم ما يمنعه من القيام بامره كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات مما يشتد به الحزن بكفرهم لشدة رغبته في اسلامهم ويحتمل قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا يحزنك مكرهم ونكثهم ايانك فان الله ناصرك ومظفرك ويظفرك عليهم ويحتمل لا يحزنك صنع هؤلاء الكفرة وسوء صنيعهم فانك لا تواخذ بصنيعهم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وفي قوله يا ايها الرسول دلالة تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء والرسل لانه عز وجل في جميع ما خاطب رسول الله عليه السلام انما قال يا ايها الرسول ويا ايها النبي ولم يخاطب باسمه وخاطب سائر الانبياء انما خاطبهم باسمائهم يا موسى ويا ابراهيم ويا نوح وجميع من خاطب منهم او ذكر انما ذكر باسمائهم **وقوله** من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قال قالوا امنا بافواههم ولم يقل امنوا بافواههم ليعلم ان الاقرار ليس هو من شرط الايمان انما الايمان هو تصديق القلب لكن يعبر به اللسان عن قلبه الا يرى انه قال ولم تؤمن قلوبهم والايمان هو التصديق في اللغة لان ضده التكذيب فيجب ان يكون ضد التكذيب التصديق والتصديق يكون بالقلب حيث قال ولم تؤمن قلوبهم لكن اللسان يعبر عن ضميره فهو ترجمان القلب فيما بين الخلق فهذه الاية ايضا على ان الايمان ليس هو المعرفة لان الايمان لو كان معرفة لكان يجب ان يكون ضده جهلا فلما كان ضد الايمان تكذيبا وجب ان يكون ضد التكذيب التصديق والايمان في اللغة

سواء ولان المعرفة قد تقع في القلب على غير اكتساب بفعل وثمرة والتصديق لا يكون الا باكتساب
ترك مضادته ومنها التكذيب لذلك قلنا ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه تصديق ثم اختلف
في قوله قال بعضهم هم المنافقون قال الذين كانوا يظهرون الايمان باللسان وقلوبهم
كافرة وقال اخرون هم اليهود والمنافقون الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
وهو قول ابن عباس ومن الذين هادوا سماعون للكذب هذا يدل ان قوله من الذين قالوا امنا
بافواههم في المنافقين وقوله سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحتمل سماعون الى
النبي صلى الله عليه وسلم خبره سماعون لقوم اخرين لم ياتوك خبره بالكذب ومعناه والله اعلم
انهم كانوا يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما يقول لهم ثم ياتون الذين لم ياتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونهم خلاف خبره وغير ما سمعوا منه وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول ان في التورية كذا من الاحكام والشرايع فاذا سمع هولا منه ذلك
اتوا اولئك الذين لم ياتوا رسول الله فيقولون انه كاذب وليس في التورية ما يقول هو ونحو ذا
وقيل انهم كانوا الطلايع الكفرة وعيونا لهم فاذا اتى لهم منهم خبر يخبرون ضعفة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما اتاهم نحو قوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يجبنونهم
لئلا يغزوهم والله اعلم وقوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل التحريف وجهين يحتمل
تبديل الكتابة من الاصل كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويحتمل
تغيير المعنى في العبارة على غير تبديل الكتاب يغيرون على السفلة والذين لا يعرفون غير ما فهموا
منه وقوله يقولون ان اوتيتم هذا يعنون به اما حرفوه وغيروه فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية في رجل وامراة من اليهود زنيا وكان
حكم الله في التورية في الزنا الرجم وكانوا يرجمون الوضيع منهم اذا زنى ولا يرجمون الشريف وكانا
في شرف وموضع وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما وفي كتابهم الرجم وكانوا ارادوا ان
يرفع الرجم من بينهم وان يكون حدهم الجلد فذلك قوله وان اوتيتم هذا يعنون الجلد فخذوه
وان لم تؤتوه فاحذروا وكتبوا بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا عن ذلك فقالوا
يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما وهل تجد فيهما الرجم فيما انزل الله عليك
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضايي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل
بالرجم وقال له ان ابوا ان ياخذوا به فاسال لهم عن رجل منهم يقال له ابن صوريا وصفته له
فاجعله بينك وبينهم فقال لهم رسول الله نعم اجد فيما انزل الله علي ان الزانية والزاني
اذا احصنا وفجرا فان عليهما الرجم فنفروا عن ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتعرفون رجلا شابا صفته كذا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا هو
اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم ابن صوريا
فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم قد رضينا به اذا رضيت قال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاني انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى هل تجدون في كتابكم
الذي اتاكم به موسى الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني ولولا خشية ان
تحرقني النار ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ففي هذا وجوه من الدلايل احدها انه سالهم عما
كتموا من الاحكام والحقوق التي بينهم وبين الله تعالى ليظهر خيانتهم وكذبهم فيما كتموا من نعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وصفته ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله وفيه اثبات رسالته والثاني انهم طلبوا
منه الرخصة والتخفيف في الحد لانهم عرفوا انه رسول لكنهم كابروا في الانكار بعد ما عرفوا انه
رسول الله حقا وفيه دلالة جواز شهادة بعضهم على بعض لانه قبل شهادة ابن صوريا عليهم حيث شهد
بالرجم وقال بعضهم قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه الاية انها
نزلت في قتيل قتل عمدا بين قبيلتين بني قريظة والنضير وكان القتيل من بني قريظة وكانت بنو
النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية واذا قتل بنو قريظة
من بني النضير لم يرضوا الا بالقود تعززا عليهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فارادوا ان يرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم فقال رجل من المنافقين
ان قتيلكم قتيل عمدا وانا اخشى عليكم القود فان كان محمد امركم بالدية فقبل منكم فاعطوا والا
تكونوا منه على حذر فاخبر الله تعالى نبيه بما قالوا فقال يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم
تؤتوه فاحذروا فلا ندري فيم كانت القصة وفيه من الدلايل ما ذكرنا من اثبات الرسالة
والنبوة والله اعلم وقوله ومن يرد الله فتنته قيل من يرد الله عذابه واهلاكه فلن يملك
احد دفع ذلك العذاب عنه وقيل الفتنة المحنة اي من يرد الله ان يمتحن بالرجم او القتل فلن
يملك له احد دفع ذلك عنه وقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قالت المعتزلة
قوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم تاويله يحتمل وجهين يحتمل لم يرد الله اي لم يطهر الله
قلوبهم والثاني لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بالشرك والكفر وذلك بعيد لانه كيف يطهر بالكفر
وبالكفر يتنجس لكن الوجه عندنا في قوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم اذ علم منهم انهم يختارون ما اختاروا ويريدون ما ارادوا واما ما اراد وما كان علم منهم
انهم يريدون ويختارون وكذلك قوله ومن يرد الله فتنته يريد فتنة من علم انه يريدها
ويختارها فانما يريد ما اراد هو ويختار وظاهر الاية على المعتزلة لانه قال لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم وهم يقولون اراد ان يطهر قلوبهم وذلك ظاهر الخلاف بين وبالله العصمة و
لهم في الدنيا خزي الخزي في الدنيا يحتمل القتل ويحتمل العذاب والجزية ولهم في الاخرة
عذاب عظيم وقوله سماعون للكذب يحتمل وجهين يحتمل سماعون اي مستمعون الى
رسول الله ليعرفوا به فيكذبوا عليه ويحتمل قوله سماعون للكذب اي قابلون لما القي اليهم من
الكذب كانوا يقبلون لما القي اليهم من الكذب والله اعلم وقوله اكالون للسحت قال بعضهم كل
حرام هو سحت فان كان السحت اسم كل حرام فذلك يقرر جميع الكفرة او اكثرهم وقال اخرون
السحت هو الرشوة في الحكم فان كان السحت هذا فذلك يرجع الى رؤسايهم الذين يحكمون فيما
بينهم وياخذون على ذلك رشوة وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم اختلف فيه قالت
بعضهم هو على التخيير اذا رفعوا الى الامام ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ولم يحكم لكنه
منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم اذا جاؤا ونهى ان يتبع
اهواءهم في ترك الحكم بينهم اتباع هواهم وقال وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم قالوا هو منسوخ بهذه الاية واحكن الجمع بينهم وهو ان قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم
في قوم من اهل الحرب دخلوا دار الاسلام بامان فرفعوا الى الامام امرهم فالامام بالخيار انشاء
ردهم الى مامنهم ونقض عليهم امانهم ولم يحكم بينهم وان شاء تركهم على الامان وحكم
بينهم فذلك معنى التخيير والله اعلم واما قوله فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم

فذلك في اهل الذمة الراضين بحكمنا اذا رفعوا الى الحاكم يجب ان يحكم بينهم ولا يرد عليهم ما طلبوا
منه من اجراء الحكم عليهم لانه ليس له فسخ ما اعطيناهم من العهود والمواثيق وهم قد رضوا بحكمنا فلا بد
له من الحكم بينهم والله اعلم وقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا يحتمل هذا وجهين يحتمل
ان يقع الاعراض عنهم موقع الجناية ويقدرون ذلك جفاء فاعلمه عز وجل انهم لا يضرونه بلحقه ضرر منهم
ويحتمل قوله فلن يضروك شيئا اي ليس عليك من ضرر وما هو من تبعة فانما ضرر ذلك عليهم وهو
كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء الاية وقوله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل كقوله كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله وكقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل الاية ان الله يحب المقسطين اي العادلين
في الحكم وقوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجب نبيه من شدة سفههم
وتعنتهم بتركهم الحكم بالذي صدقوا انه حق وطلب حكمه مما كذبوا لانهم صدقوا التوراة وما فيها من الحكم
وكذبوا بما انزل على محمد يقول والله اعلم انهم اذا لم يعملوا بالذي صدقوا كيف يعملون بالذي كذبوا
وذلك تعجيب منه اياه لشدة السفه والتعنت وقوله فيها حكم الله اي حكم الله الذي تنازعوا
فيه وهو الرجم او القصاص او ما كان والله اعلم وقوله ثم يتولون من بعد ذلك يحتمل
وجهين يحتمل يتولون من بعد ما تحكم بينهم عما حكمت ويحتمل يتولون من بعد ما عرفوا من الحكم عليهم
بما في التوراة وقوله وما اولئك بالمؤمنين اخبر انهم ليسوا بمؤمنين ثم سماهم كافرين
في اخر الاية بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ولم يجعل درجة ثالثة ففيه ابطال
قول من جعل درجة ثالثة بين الايمان والكفر وهو قول المعتزلة وقوله انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور هدى من الضلالة ونور من العمى هدى لمن اهتدى به ونورا لمن
استنار به من العمى وقوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا اختلف فيه قال
بعضهم الاية على التقديم والتاخير يقول يحكم بها النبيون والربانيون والاحبار الذين
اسلموا اي من الاحبار من قد اسلم اخبار النبيين والاحبار والذين اسلموا يحكمون بما في التوراة
للذين هادوا اي على الذين هادوا للذين بمعنى على الذين هادوا او هذا جائز في اللغة كقوله
وان اساتم فلها اي فعليها وقيل يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي اسلموا انفسهم وانقادوا لله
وخضعوا له حكموا بما فيها وانظروا على انفسهم الهلاك للذين هادوا ان اطاعوا الله وقبلوا
ما فيها من الحكم فعند ذلك يحكمون لهم وقوله بما استحفظوا من كتاب الله هو طلب الحفظ اي بما
حملوا عليهم الحفظ وكانوا عليه شهداء اي شهداء على ما في التوراة من الحكم ويحتمل شهداء على
حكم رسول الله الذي حكم عليهم انه كذلك في التوراة وقوله فلا تخشوا الناس فيما تحكم عليهم
واخشون امر رسوله صلى الله عليه وسلم شيئا هودا نكتمهم وامران تخشوه بكمية شيء هودا اذا
ثم اختلف في الاحبار والربانيين قال بعضهم الربانيون علماء اليهود والاحبار علماء النصارى
وهما واحد سموا باسمين مختلفين وقيل قوله فلا تخشوا الناس واخشون انما خاطب علماءهم
اي لا تخشوا الناس ان تخبروهم بالحكم الذي في التوراة واخشون ولا تشتروا باياتي
ثمنا قليلا لهم مخرج الخطاب لهذا على التاويل الثاني ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون هكذا من جحد الحكم بما انزل الله ولم يره حقا فهو كافر وذكر في القصة ان الاية نزلت
في قتيل كان بين بني قريظة وبني النضير ان بني النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يرضوا الا بالقود
والاخر اذا قتلت احدا منهم كانوا لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية فنزل وكتبنا عليهم

فيها ان النفس بالنفس الاية وقوله كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
الى اخره اخبر الله انه كان كتب على اهل التوراة النفس بالنفس وقد كتب علينا ايضا قتل
النفس بالنفس بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى كانه قال كتب عليكم القصاص في النفس
بالنفس كما كتبت وانما القصاص فيما دون النفس فانه لم يبين في الاية التي اخبر انه كتب
علينا القصاص في النفس ثم يحتمل ان يكون قوله والعين بالعين والانف بالانف الى اخره ذكر وجهين
يحتمل ان يكون اخبارا عما كان مكتوبا عليهم من القصاص فيما دون النفس كالنفس لانه
قرئ في بعض القراءات بالنصب نسقا على الاول ويحتمل على الابتداء على غير اخبار منه ولكن على
الايجاب ابتداء والذي يدل على ذلك قوله فمن تصدق به فهو كفارة له لا يحتمل ان يكون هذا
في الخبر لان ذلك ترغيب في العفو في الحادث من الوقت دل انه ليس على الاخبار ولكن على
الابتداء الا ترى اكثر القراء قرأوا بالرفع على قوله النفس بالنفس فانه بالنصب ثم ذكر العين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن ولم يذكر اليد والرجل وذلك يحتمل وجهين احدهما لما يحتمل
ان يكون القصاص في اليد ظاهرا فيستدل بوجوبه فيما هو اخفى على وجوبه فيما هو اظهر منه
لان المنفعة بالعين والانف والسمع ليس لا صاحبه وقد يجوز ان ينتفع غيره بيده او برجله
والثاني ان يكون وجوب القصاص في اليد في قوله والجروح قصاص ثم تخصيص الاسنان
بوجوب القصاص دون غيرها من العظام لان الاسنان بادية ظاهرة يقع عليها البصر فيقدر
على الاقتصاص واما غيرها من العظام مما لا يقع عليها البصر ولا يقدر على الاقتصاص الا
بعد كسر لحم وقطع لحم لذلك خصت الاسنان بالاقتصاص دون سائر العظام والله اعلم ثم
فيه دليل وجوب القصاص في العضو الذي لا منفعة فيه سوى البهاء بذهاب البهاء لانه ذكر
الانف والاذن وليس في الانف والاذن الا ذهاب البهاء فاوجب في ذهاب البهاء القصاص
كما اوجب في ذهاب المنفعة وعلى هذا يخرج قولنا في وجوب الدية في ذهاب البهاء على الكمال
كوجوبها في ذهاب المنفعة على الكمال على ان اهل العلم يجمعون ان القصاص واجب بين الرجال
الاحرار في العين والانف والاذن والسن والجروح التي ليس فيها كسر عظم اذا اتى على شيء من
ذلك عمدا بحديدة فيه وانما القصاص بين الرجال والنساء والعبيد والاحرار فيما دون
النفس فاهل العلم اختلفوا فيه وكان اصحابنا لا يرون القصاص بينهم في ذلك ويرون القصاص
في الانفس ويفرقون بينهما والفرق بينهما ان الجماعة لو قتلوا رجلا قتلوا به ولو قطع جماعة يد
رجل لم تقطع ايديهم فالتفاضل في الانفس غير معتبر فيه ويعتبر به فيما دون النفس وقد ذكر
هذه المسالة فيما تقدم ذكرا كافيا وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له اختلف فيه قال
بعضهم هو صاحب الدم كفارة لما كان ارتكبه هو وعلى ذلك روي عن رسول الله قال من تصدق
بدم فما دونه كان له كفارة من يوم ولد الى يوم تصدق وقال بعضهم قوله فمن تصدق به
فهو كفارة له يعني كفارة للقاتل اذا عفا الولي وهو قول ابن عباس وعن مجاهد هو كفارة
للجارح واجر المتصدق على الله والاول كانه اقرب واشبه والله اعلم وقوله ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الظالمون هذا اذا ترك الحكم بما انزل الله جحودا منه فهو ما ذكر كافر وقوله
وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم قوله وقفينا اي اتبعنا على اثارهم وهو من القفا وهو
اثارهم يحتمل وجهين يحتمل على اثار الرسل ويحتمل على اثار الذين انزل فيهم التوراة وقوله
مصدقا لما بين يديه من التوراة اخبر انه كان مصدقا لما بين يديه من التوراة فقد ايد

ان الانبياء صلى الله عليهم وسلم كان يصدق بعضهم بعضا فيما انزل عليهم من الكتب تأخر او
تقدم وقوله وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور من الضلالة لمن تمسك به ونور من العمى لمن
استنار به ومصدقا لما بين يديه من التوراة فهذا يدل ان الكتب كانت مصدقة بعضها
بعضا على بعد اوقات النزول يدل انه من عند واحد نزل جل الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا وقوله وموعظة للمتقين يحتمل موعظة للمؤمنين لان المؤمن هو الذي يتعظ به واما
غير المؤمن فلا يتعظ به ويحتمل قوله وموعظة للمتقين الذين اتقوا المعاصي كما في قوله فمن تصدق
به فهو كفارة له وذلك قوله فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان القصاص للعبد خاصة حيث
رغبه في العفو عنه والترك له ليس كالحدود التي هي لله تعالى لانه لم يذكر في الحدود العفو
ولا التصدق به وذكر في القصاص والجراحات دل ان ذلك للعبد له تركه وتغايرا الحدود
لله ليس لاحد ابطاله والله اعلم وقوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون ذكر في موضع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي موضع
الظالمون وفي موضع الفاسقون فامكن ان يكون كله واحدا ان من لم يحكم بما انزل الله جحودا منه
له واستخفافا فهو كافر ظالم فاسق ويحتمل ان يكون ما ذكر من الكفر بترك الحكم بما انزل الله اذا
ترك الحكم به جحودا منه وانكارا وما ذكر من الظلم والفسق ذلك في المسلمين لانه قال وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف الى آخر ما ذكر من الحد ثم قال فمن
تصدق به فهو كفارة له ثم قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون تركوا الحكم بما
انزل الله اتباعا لهواهم لا جحودا فقد ظلموا انفسهم لان الظلم هو وضع الشيء غير موضعه
والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه اي خرج ثم يجيء ان يكون هذا في باب الجهل به
والعلم جميعا لانه اذا لم يحكم بما انزل الله فقد وضع الشيء غير موضعه وخرج عن امر ربه
لكن هذا في القول يقبح ان يقال هؤلاء لهم فاسقون وهو ما يفعل انما يفعل عن جهل به جحودا ان يقال
فعله فعل ظلم وفسق واما في القول فهو قبيح لما ذكرنا وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
من الاحكام اي حكم كان فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وانزلنا اليك الكتاب بالحق قوله بالحق
قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله مصدقا لما بين يديه قد ذكرناه ايضا وقوله
ومهيمنا عليه عن ابن عباس قال مؤتمنا عليه والكسائي قال المهيمن الشهيد وقيل الرقيب
على الشيء قال هيمن فلان على هذا الامر فهو مهيمن اذا كان كالحافظ له والرقيب عليه وعن
الحسن قال مهيمنا عليه مصدقا لهذه الكتب وامينا عليها والقتبي قال امينا عليه وابو
عوسجة قال مسلطا عليه وقيل منتشرا ينتشر التغيير وقال ابو بكر الكيساني قوله مهيمنا
هي كلمة ماخوذة من كتبهم غير معربة ماخوذة من لسان العرب وفيه اثبات رسالته صلى الله
عليه وسلم وتاويله هو شاهد وحافظ على غيره من الكتب ومصدقا لها انها من عند الله
نزلت سوى ما غيروا فيها وحرفوه ليميز المغير منها والمحرف من غير المغير والمحرف قال
ابن عباس ومهيمنا عليه يعني القرآن شاهد على الكتب كلها وقوله فاحكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق يحتمل قوله فاحكم بينهم بما انزل الله من الرجم في الزاني الثيب
على ما ذكر في بعض القصة انهم رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني والزانية منهم
فطلبوا منه الجلد وكان في كتبهم الرجم ولا تتبع اهواءهم فانهم يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
وان لم تؤتوه فاحذروا او ان يقال احكم بينهم بما انزل الله من القتل لانه ذكر في بعض القصة ان

قريظة كانوا يرون لانفسهم فضيلة على بني النضير وكانوا اذا قتلوا منهم احدا لم يعطوهم القود
ولكن يعطوهم الدية واذا قتلوا هم احدا منهم لم يرضوا الا بالقود فامر الله ان يحكم بينهم بما
انزل الله وهو القتل ولا تتبع اهواءهم في تركهم القود واعطائهم الدية والله اعلم بالقصة
انه كيف كانت وليس بنا الى معرفة القصة وماهيتها حاجة بعد ان نعرف ما اودع فيه واودع من
المعاني وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فان قيل كيف نهاه عن اتباع هواهم وقد
اخبر انه جعل لكل شرعة ومنهاجا وقد يجوز ان يكون ما هو هواهم شريعة لهم قيل يحتمل النهي عن
اتباع هواهم لما يجوز ان هواهم والحكم بشريعة قد نسخ الحكم بها لما اعتادوا العمل بها فالعمل
بالمعتاد من الحكم ليس بهوى او ذلك او كان ما نسخ احق فهو من ذلك نهاه عن اتباع هواهم
لانه العمل بالمنسوخ والعمل بالمنسوخ حرام او ان كان هوى او في بعض على غير ما شرع وفي بعض
ما شرع فانما نهى عن اتباع هواهم بما لم يشرع والله اعلم وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وليس في نسخ شريعة بشريعة خروج عن الحكمة من عرف النسخ لان النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت
ليس على ما نعتت اليهود من البداء والرجوع عما كان وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم ما فيه مقنع
بحمد الله تعالى ومنه وقوله شرعة قال ابن عباس الشرعة هي السبيل وهي الشريعة وجمعها
شرائع وبها سميت شرائع الاسلام وكل شيء شرعت فيه فهو شريعة وقال المنهاج السنة
وقيل الشرعة السنة والمنهاج السبيل يعني الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك فيه الا المعاند
والمكابر فانه يترك السلوك فيه مكابرة بجحود وجل والله اعلم انه يترك الناس حيارى بل بين
لهم الطريق الواضح فيسلكون فيه بل بين لهم ما يتضح لهم انه نهاية ولينقطع لهم العذر والحجاج
وان لم يكن لهم حجاج وبالله التوفيق وقوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اختلف فيه
قيل لو شاء الله لجعلكم جميعا على شريعة واحدة لا ننسخ بشريعة اخرى لكن نسخ شريعة بشريعة
اخرى ليتصل امتحان ولله ان يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما شاء وقيل لو شاء الله لجعلكم
امة واحدة اي على دين واحد وهو دين الاسلام لم يجعل كافرا ولا مشركا ولكن امتحنكم بأديان مختلفة
على ما تختارون وتؤثرون ثم اختلف في المشيئة قالت المعتزلة هي مشيئة الجبر والقسر وقال
اصحابنا المشيئة مشيئة الاختيار وقد ذكرناها في غير موضع وقوله فاستبقوا الخيرات
قيل سابقوا يا امة محمد الامم كلها بالخيرات ويحتمل قوله فاستبقوا الخيرات اي سابقوا الى ما به
تستوجبون المغفرة كقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم واصل قوله فاستبقوا الخيرات اي اعملوا
الخيرات كقوله اعملوا صالحا الاية وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم نهى
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتبع اهواءهم على العلم انه لا يتبع اهواءهم والوجه فيه ما ذكرنا
ان العصمة لا تمنع النهي بل تؤيد وقد ذكرنا فيما تقدم ويحتمل ان يرجع النهي الى غيره زجرا والنهي
والامر لغير المخاطب به على ما ذكرنا من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا خاطبوا من هو اجل عندهم
واعظم قدرا وارفع منزلة ليعلم ذلك هذا وقوله ولا تتبع اهواءهم فيما غيروا او بدلوا هذا
يحتمل ويحتمل ولا تتبع اهواءهم فيما طلبوا منك من الجلد مكان الرجم او الدية مكان القصاص لما ان
بني النضير لا تسبهم من الفضل على بني قريظة والله اعلم وقوله واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك قوله ان يفتنوك اي يصدوك عن الحكم ببعض ما انزل الله اليك والفتنة
هي المحنة وهي تتوجه الى وجوه وقد ذكرنا الوجوه فيه فيما تقدم وقوله فان تولوا فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قوله تولوا اعرضوا عن الحكم الذي تحكم بما انزل الله فاعلم انما

يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم فقد اختلف فيه قال بعضهم انما يعذبهم الله ببعض ذنوبهم
لا يعذبهم بجميع ذنوبهم وقال آخرون عذاب الدنيا عذاب ببعض الذنوب ليس هو عذاب
بكل الذنوب لانه لا يدوم واما في الآخرة فانهم يعذبون بجميع ذنوبهم لان عذاب الآخرة
دائم فهو عذاب بجميع الذنوب وعذاب الدنيا زائل فهو عذاب ببعض الذنوب والله اعلم و
قوله أفحكم الجاهلية يبغون قال بعضهم هذا صلة قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
وان لم تؤتوه فاحذروا فقال أفحكم الجاهلية يبغون وقال آخرون روي عن ابن عباس رضي
الله عنه يقول تحكمهم في الجاهلية يبغون عندك يا محمد في القرآن يعني في النضير و قوله
ومن احسن من الله حكما اي لا احد احسن من الله حكما على اقرار هؤلاء ان الله احكم لا حكم الا بالعدل
و قوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض يحتمل
قوله لا تتخذوا هؤلاء اولياء وجوها يحتمل لا تتخذوا اولياء في الدين اي لا تدينوا بدينهم فانكم اذا
دنتم بدينهم صرتم اولياء لهم ويحتمل لا تتخذوا هؤلاء اولياء في النصر والمعونة لانهم اذا اتخذتموهم
اولياء في النصر والمعونة صاروا اعداء لكم لانهم اذا استنصروا الكفار على المسلمين واعانوهم
[illegible] كفروا او هو كقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية نهاهم ان يتخذوا اولياء
موضع سرهم [illegible] ذلك الاول والله اعلم والثالث لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء في المكتسب والدنيا فانهم اذا فعلوا ذلك لا بد من ان يميلوا اليهم ويصدقوا [illegible]
وايهم في شيء من ذلك مما ينقصهم وتجرح شهادتهم فيه [illegible] يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا
والله اعلم وفي الآية دلالة ان الكفر كله ملة واحدة وان اختلف مذاهبهم ونحلهم فانه لو اوجب
ان يرث بعضهم بعضا كقوله بعضهم اولياء بعض كما ان اهل الاسلام يرث بعضهم بعضا وان اختلف
مذاهبهم الا ترى انه قال المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الآية وليس ذلك بداخل في
قول رسول الله لا يتوارث اهل ملتين لما عليه الامة ان الكفر كلهم ملة واحدة ولكن احدا منهم لا يرث
المسلم ولا يرثهم المسلم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين فالاسلام ملة وملة
حق والكفر ملة ملة باطل ولانهم لا يرثونا وما روي لا نرث اهل الكتاب ولا يرثونا الا ان يرث
الرجل عبده او امته [illegible] فاما يرث عبده او امته ليس بميراث
انما هو ملك كان [illegible] قبل موته [illegible] وروي عنه عليه السلام لا يرث المسلم
الكافر ولا الكافر المسلم و قوله ومن يتولهم منكم فانه منهم يحتمل قوله ومن يتولهم منكم فانه منهم
الوجوه التي ذكرنا الولاية في الدين والولاية في النصر والمعونة فانهم اذا فعلوا ذلك صاروا
منهم في حكم الدنيا والآخرة او الولاية في المكتسب والدنيا فيصيرون منهم في حكم الدنيا والله اعلم
فان قيل اليس يرث المسلم المرتد وقد قال ومن يتولهم منكم فانه منهم اخبر ان من تولاهم من المسلمين
صار منهم ونحن لا نرث اليهود والنصارى كيف ورث من صار منهم من المسلمين قيل معنى قوله
فانه منهم في الدين والكفر لا في الحكم والحقوق لان المرتد الى النصرانية ليس بمتروك على دينه
لم يكن من اهل تلك الملة وانما الملة ما يقار عليها اهلها الا ترى ان المرتد لا يرث النصراني
ان كانوا اقرباء فلو كانت النصرانية له ملة ورثه اهلها لانا نعلم ان النصارى يرث بعضهم بعضا
فلما لم يرثوه دل ذلك على انه ليس من ملتهم وان حكمه في الميراث حكم الملة التي يجبر على الرجوع اليها
وعلى ذلك جاءت الآثار عن الصحابة روي عن علي انه اتي برجل ارتد عن الاسلام فعرض عليه
الاسلام فابى فضرب عنقه وجعل ميراثه لورثته المسلمين وعن عبد الله بن مسعود كذلك

وروي عن زيد بن ثابت مثله و قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قد ذكرناه فيما
تقدم و قوله فترى الذين في قلوبهم مرض [illegible] كقوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض
اي ريبة ولتعرفنهم في لحن القول وهو وصف المنافقين يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين خوفا منهم وفي السر مع الكفرة لانهم كانوا اهل ريب وشك
ولا دين لهم يميلون الى من له الغلبة منهم والامن وكانوا على شك من امر محمد صلى الله عليه وسلم
[illegible] يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لعل محمدا لا ينصر ولا يتم امره فاشتغلوا [illegible]
للكفر والعنت للاسلام واهله ويظهرون الموافقة للمؤمنين لما كانوا [illegible] رسول الله
بعد النصر والظفر للمسلمين لكن ذلك لا يتحقق عندهم كانوا كما قال الله مذبذبين بين
ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الآية وكانوا يتربصون النصر والظفر فيميلون الى جهة
كان النصر والظفر فيقولون للمؤمنين ان كان الظفر لهم الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
فيقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين و قوله فعسى الله ان يأتي بالفتح او بالنصر
نصر محمد صلى الله عليه وسلم والظفر له على اعدائه وفتح البلدان والامصار له واظهار دينه
دين الاسلام على ما روي انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وعلى ما فتح له البلدان كلها
و قوله او امر من عنده قيل عذاب اولئك الكفرة وعذابهم في الدنيا فيصبحوا على ما اسروا
في انفسهم نادمين عند العذاب والهلاك او يندمون في الآخرة لما اصابهم من العذاب بما اسروا
في انفسهم في الدنيا من المودة لهم والعداوة للمؤمنين والله اعلم وفي قوله يقولون نخشى ان
تصيبنا دائرة دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يحتمل ان يقولوا نخشى
ان تصيبنا دائرة من حيث يسمع اهل الاسلام ذلك منهم دل ذلك انه انما عرف ذلك بالله
وكذلك بما اخبر عن الوعد بالنصر له والظفر كان على ما اخبر ووعد دل انه خبر عن الله تعالى
و قوله ويقول الذين آمنوا بعضهم لبعض لما ظهر نفاق اهل النفاق وقتلوا اذا افتضحوا [illegible]
حلفوا بين ايديهم [illegible] قال المؤمنون عند ذلك اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وقد كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويحلفون على ذلك
ويظهرون الخلاف لهم والعداوة والمودة للكفرة كقوله يحلفون بالله ما قالوا وقوله يحلفون لكم
لترضوا عنهم ونحو ذلك فذلك معنى قوله اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم والله
اعلم و قوله حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اي حبطت اعمالهم التي عملوها قبل اسرار
ما اسروا في انفسهم اذا اسروا ذلك فاصبحوا اي صاروا خاسرين بعد الافتضاح حيث ذهبت
منافعهم التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم ويحتمل قوله حبطت اعمالهم التي عملوها [illegible]
مراءاة للناس و قوله فاصبحوا خاسرين اي يصيرون في الآخرة من الخاسرين لانهم لم ينتفعوا
باعمالهم التي عملوها في الدنيا في الآخرة و قوله يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه الآية
قوله من يرتد منكم عن دينه او قوله من يرتد منكم وان كان حرف توحيد [illegible] فان المراد منه
الجماعة الا ترى انه قال فسوف يأت الله بقوم دل هذا على ان المراد منه الجماعة والعصابة
ولان الواحد والاثنين اذا ارتد عن الاسلام يؤخذ ويحبس ويقتل ان ابى الاسلام والجماعة اذا
ارتدوا عن الاسلام احتيج الى نصب الحرب والقتال على ما نصب ابو بكر الحرب مع اهل الردة
وفي الآية دلالة امامة ابي بكر الصديق لان العرب لما ارتدت بعد رسول الله حاربهم فكان هو
ومن قام بحربهم ممن احب الله واحبه الله وعن الحسن فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه

هو قال والله ابو بكر واصحابه وقوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس
شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يدل على امامة ابي بكر لانه
كان الداعي الى حرب اهل الردة فان قيل يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعاهم
قيل له قال الله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا واحتمال ان يدعوهم ليطيعوا
وقد قال الله تعالى انهم لن يخرجوا معه ابدا فان قيل قد يجوز ان يكون عمر هو الذي دعاهم
قيل له فان كان فامامة عمر ثابتة بدليل الاية واذا صحت امامته صحت امامة ابي بكر لانه
المختار له والمستخلف فان قيل قد يجوز ان يكون علي هو الذي دعاهم الى محاربة من حارب
قيل له قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وهذه صفة من حارب من مشركي العرب الذين
لا يقبل منهم الجزية وعلي رضي الله عنه انما حارب اهل البغي وهم مسلمون ولم يحارب احدا
بعد النبي من اهل الردة غير ابي بكر فكانت الاية دليلا على صحة امامته وقوله فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه فسوف كقوله عسى والعسى من الله واجب اخبر انه ياتي بقوم يحبهم
لبذلهم انفسهم في مجاهدة اعداء الله وتركهم في الله لومة لائم فذلك لحبهم لله لانه لا احد يبذل
نفسه للهلاك وترك لومة لائم الا لمن يحب الله واحبهم الله لما اثنى عليهم بقوله يجاهدون في
سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وحبهم لله لما بذلوا انفسهم في مجاهدة اعدائه وتركهم لومة
لائم وفيه دلالة اثبات امامة ابي بكر لانه عز وجل اثنى عليهم بخروجهم في سبيل الله ومجاهدة
اعدائه فلو كان غاصبا ذلك على علي او كان غير محق لذلك لم يكن الله ليثني عليه بذلك لانه كان
اخذا ما ليس له اخذه ومضيعا حقا لغيره ومن كان هذا سبيله لم يكن يستوجب كل الثنا
من الله تعالى فهذا ينقض على الروافض قولهم وما روي من كنت مولاه فعلي مولاه وغيره
من الاخبار وذلك في الوقت الذي طلب علي الخلافة وحارب عليها لانه لا يحتمل ان يبطل
الله له الخلافة في زمن ابي بكر ويرى الحق لنفسه ثم يترك طلبها لانه كان مضيعا حق الله عليه
فدل سكوته وترك طلبه على ان الحق ليس له ولكن كان لابي بكر والله اعلم وقوله اذلة على
المؤمنين اي للمؤمنين اي ذو ود ورحمة واذا انه للمؤمنين اعزة على الكافرين اي شاقة شديد
على الكافرين وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية بذلك وصفهم عز
وجل وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشا اختلف فيه قال بعضهم ذلك الجهاد في سبيل
الله اي في طاعة الله فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل ذلك الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا
الاية قال بعض اهل التاويل قوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا هو صلة قوله
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وقوله لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء هو صلة
ما تقدم نهى المؤمنين ان يتخذوا الذين اوتوا الكتاب والذين لم يؤتوا الكتاب اولياء في غير
اي من القران واخبر ان الله ورسوله هو ولي الذين امنوا والمؤمنون ايضا بعضهم اولياء
بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فاذا كان الله عز وجل ورسوله
والذين امنوا اولياء لمن امن لم ينبغ ان يتخذوا الكفار اولياء وذكر في بعض القصة ان
عبد الله بن سلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اظهروا لنا العداوة من اجل اسلامنا
وحلفوا ان لا يكلمونا ولا يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم وانا لا نجد متحدثا دون هذا المسجد

فنزلت الاية فقالوا قد رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم اختلف في نزوله قال
بعضهم نزلت في شان علي رضي الله عنه تصدق بخاتمه وهو في الركوع ويقولون خرج النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا هو بمسكين فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل اعطاك احد
شيئا قال نعم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال خاتم فضة قال من اعطاك قال
ذلك الرجل القايم يعني عليا قال له النبي على اي حال اعطاكه قال اعطانيه وهو راكع فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قاله واثنى عليه فاحتج الروافض بهذه الاية على تفضيل علي بن
ابي طالب على ابي بكر واثبات الخلافة له دون غيره ويقولون نزلت في شانه لما روي عن
ابي جعفر قال تصدق علي بن ابي طالب بخاتمه وهو راكع فنزلت الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون فان ذهب ان الاية نزلت في شانه والنبي فما دلالة اثبات الخلافة
له في زمن ابي بكر لانا قد ذكرنا في الاية الاولى ما يدل على اثبات الامامة له في الوقت الذي
كان هو اماما ونحن لا نجعل لعلي الخلافة له في الوقت الذي لم ينصبه فيه الخلافة لانه
روي عنه انه قال ان ابا بكر هو خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او كلام نحو
هذا وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو وليتم ابا بكر لوجدتموه قويا في دينه ضعيفا
في بدنه وان وليتم عمر لوجدتموه قويا في دينه وبدنه وان وليتم عليا لوجدتموه هاديا
مهديا هو منه اذ فيه دل للحق على ما كان من علي وغاية الصحابة من تسليم الامر الى ابي بكر
وتفويضهم اليه من غير منازعة ظهرت من علي في ذلك فلو كان الحق له في ذلك الوقت لظهرت
منه المنازعة على ما ظهرت في الوقت الذي كان له فقاتلوا الا ان عليا لم يكن له انصار في
الوقت الذي ظهرت المنازعة منه وطلب كان له انصار قيل لا يحتمل ان يكون الحق له فيما
ثم لا يطلب لما لم يكن له انصار الا يرى ان ابا بكر مع ضعفه في بدنه خرج وحده لحرب اهل
الردة حتى لما رآه خرج وحده حينئذ تبعوه فابو بكر لم يترك طلب الحق لعدم الانصار مع ضعفه
في بدنه فعلي مع قوته وشدته وفضل علمه بامر الحرب حتى لم يبارزه احد من الاعداء الا غلبه
واهلكه فكيف نتوهم فيه ترك طلب الحق لفقد الانصار له والاعوان في ذلك هذا العزي
لا يتوهم في اضعف اصحاب رسول الله فضلا ان يتوهم في علي فدل ترك طلب ذلك منه على
انه تركه لما راى الحق له والله اعلم واحتجوا بما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي وهارون كان خليفة موسى
فما انكرتم ايضا ان عليا كان خليفة لرسول الله قيل لهذا جوابان احدهما ان قوله انت مني
بمنزلة هارون من موسى يحتمل ان يكون في الاخوة التي كانت اخاه رسول الله والنبي في ابنا
الاخوة اثبات الخلافة له والثاني انه كانت له الخلافة في الوقت الذي كان هو والنبي
في الخبر فبطل الخلافة له في الاوقات كلها هكذا الجواب فيما روي عنه من كنت مولاه فعلي
مولاه والله اعلم وان كان الحديث الذي روي عن ابي جعفر صحيحا ففي الاية معنيان
احدهما فضيلة علي وقد كان كثيرا ما يسال مشكلا خفيا والاخر ان العمل اليسير في
الصلاة لا يفسدها وقد روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلع نعله في الصلاة
وانه مس لحيته وانه اشار بيده وغير ذلك من العمل اليسير فعله في صلاته فيقاس كل عمل يسير
على ما دل عليه الخبر على جواز الصلاة وفيه وجه اخر وهو ان الصدقة التطوع تسمى
زكاة لان صدقة علي رضي الله عنه بالخاتم لم تكن صدقة مفروضة بل كانت تطوعا فسماها

الله وزكاة وان كانت تطوعا الا يرى انه قال في اية اخرى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه
الله فسماها زكاة وان كانت تطوعا كما تسمي صلاة النفل والتطوع صلاة وصوم
التطوع والفرض صياما فبطل ذلك وهذا ان ظاهر الاية في جملة المؤمنين للنبي عليه اولى بها
من غيره فان كان فيه ترك ظاهر ما ذكرناه والله اعلم وقوله ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون فانما هو هذا الوصف اي ابي بكر كان اقرب لانه كان هو
الغالب على اهل الردة من اول ما وقع بينهم الى اخره وعلى انما صار الا ارتد فيما جرى حين
حارب الخوارج والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا الى اخره يحتمل النهي عن اتخاذ اولئك اولياء وجوهها يحتمل النهي قبل ان
يتخذوا اولياء يتخذوا ويحتمل النهي بعدما اتخذوا اولياء لا في الدين ولكن في بعض المكا
ويحتمل ان يكون النهي للمنافقين انه لا يكون لوامع اولئك على المؤمنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
والحزب هو العون والنصير في اللغة قال الكسائي تقول العرب فلان حزبي اي ناصري
وعوني وقوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا يخبر نبيه صلى الله عليه
وسلم غاية سفههم بصنيعهم اذا نودي للصلاة لانه ذكر في القصة انهم اذا سمعوا المنادي
يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا احرق الكاذب وقالوا والله ما نعلم
اهل دين من هذه الاديان اقل حظا في الدنيا والاخرة منهم يعنون محمدا واصحابه فدخلت خادمهم
ليلة من الليالي بنار وهو نائم واهله نيام فسقطت شرارة فاحترقت البيت واحترق هو
واهله وقوله ذلك بانهم قوم لا يعقلون نفى عنهم العقل لما لم ينتفعوا بما عقلوا وان
كانوا يعقلون وعلى ذلك يخرج قوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير لما لم
ينتفعوا بما سمعوا به وعقلوا وكذلك قوله صم بكم عمي الاية انما نفى ذلك وان كانوا يبصرون و
ويسمعون لكن نفى عنهم لما لم ينتفعوا بما ابصروا وسمعوا والسان كمن لم يشاهد ذلك في الاصل
والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو انه شدة بغضهم وحسدهم لمحمد صلى الله عليه وسلم منعهم عن
فهم ما خوطبوا به وحال بينهم وبين معرفة ذلك كانوا كمن ليس لهم ذلك واشباه وقوله
قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية قيل هل تنقمون منا هل تطعنون علينا وهو قول
ابن عباس وقيل وهل تعيبون علينا وقال ابو عوسجة هل تنقمون منا اي تنكرون منا
وهو يرجع الى واحد والنقم هو العيب والنقمة والانتقام هو الانتصار ومعناه هل
تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل اي كيف تطعنون علينا
وتعيبون وانتم ممن قد دعوتم الى الايمان بالله والايمان بما انزل في الكتب وانتم ممن قد
اوتيتم الكتاب وفي كتابكم الايمان بالله والايمان بالكتب كلها فكيف تنكرون الايمان بالكتب
كله وتعيبون علينا ولا تعيبوا على انفسكم وان اكثركم فاسقون خارج عن امر الله وعما امركم كتابكم
ودعاكم اليه ونهاكم عما انتم فيه وما انزل الينا وهو القران وهو يصدق ما قبله من الكتب
وما انزل من قبل من الكتب المتقدمة من التوراة والزبور والانجيل وهي تصدق القران
بعضها يصدق بعضا فكيف تنكرون الايمان به وقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله هل
تنقمون منا الا ان امنا بالله وعلى اثر قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا
الاية وذلك انهم كانوا يستهزئون بالمؤمنين ويضحكون منهم ويطعنون في دينهم ويعيبون

عليهم فقال على اثر ذلك ان قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك اي مما المؤمنون عليه مثوبة عند الله
قالوا من قال الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير الاية فمن كان هذا
وصفه فهو شر مما عليه المؤمنون وقد كان فيهم جميع ذلك مما غضب الله عليهم ولعنهم اي حول جوهرهم
الى اقبح جواهر في الطبع واوحشها وهي القردة والخنازير بسوء صنيعهم او يكون ذلك على اثر قول
قالوا انا ذكر في بعض القصة والله ما نعلم من اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم لا يعنون المؤمنين
لانهم كانوا يدعون ان الاخرة والدنيا لهم وليس لهم لا دنيا ولا اخرة قال الله تعالى قل يا محمد هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي ثوابا عند الله فقالوا من هم قال من لعنه الله وغضب
عليه والملعون هو المطرود عن الخيرات وجعل من حول جوهره الى جوهر القردة والخنازير ومواقع جوهر
في الطبع والعقل واوحشه ومن عبد الطاغوت يعني الشيطان اولئك شر مكانا في الدنيا لما حول
جوهرهم الى اقبح جوهر في الارض من الذين لم يحول جوهرهم الى ذلك اذ لم يروا احدا من المؤمنين
حول جوهره الى جوهر من ذكر وقد راوا كثيرا من اوائلهم قد حولوا من جوهرهم الى هذه الجواهر
المستقبحة في الطبع الموحشة او يكون على الاضافة على اثر امر كان ونحن لم نعلم به فنزل عند ذلك
وعن الحسن قال قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك الذين لعنهم الله والذين غضب عليهم والذين
عبدوا الطاغوت والذين جعل منهم القردة والخنازير ومنهم من جعل قردة ومنهم من ابقي على
جوهره الذي كان اولئك شر مكانا في الدنيا والاخرة واضل عن سواء السبيل اي اخطا طريقا
ودينا والله اعلم بالقصة وقوله واذا جاءوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
قيل ان الاية في اليهود وقيل انها في المنافقين وهي في المنافقين اشبه ذكر انهم كانوا يدخلون
على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون الموافقة ويخبرونه انهم يجدون نعته وصفته في كتبهم
ويضمرون الخلاف له في السر وهذا … تعالى عند ذلك وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
اخبر عز وجل بنيته انهم دخلوا بالكفر … ذلك استهزاء وعلى ذلك خرجوا ففيه دلالة
اثبات رسالة رسول الله لانه اخبر عما اضمروا ليعلموا انه انما علم ذلك بالذي يعلم الغيب مع علمهم
انه لا يعلم الا الله والله اعلم بما كانوا يكتمون ويعرفون من الكفر والعز وقوله وترى كثيرا
منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت الاية يحتمل ان يكون قوله وترى كثيرا منهم
من ملوكهم وعوامهم يسارعون في الاثم والعدوان اي في قول الكفر والعدوان هو المجاوزة
عن الحد الذي حد لهم ويسارعون ايضا في اكل السحت والسحت قيل هو كل محرم وقيل هو
الرشوة في الحكم ومن هم من انه قال الرشوة هي الكفر واما السحت هو ان يرفع حاجة اخيه الى
السلطان فيأكل عنده وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ثم قال على اثر ذلك لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون عاتب الله عز وجل الربانيين
والاحبار عن تركهم نهي اولئك عن صنيعهم واشركهم في الاثم شرعا سواء ليعلموا ان القابل
بالاثم والمعصية والراضي به والتارك النهي عن ذلك سواء وفيه دلالة ان تارك النهي عن
المنكر يلحقه من الاثم ما يلحق الفاعل به والربانيون والاحبار قد ذكرنا فيما تقدم وقوله
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم قال الحسن قول اليهود يد الله مغلولة اي …
محبوسة ممنوعة عن تعذيبنا لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقوله غلت ايديهم في الاخرة
بالسلاسل الى اعناقهم وقوله بل يداه مبسوطتان بالمغفرة والتعذيب يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وقال ابن عباس قولهم يد الله مغلولة لا يعنون بذلك ان يده موثقة

مغلولة بحقيقة اليد والغل ذلك ولكن وصفوه بالبخل وقالوا امسك ما عنده تعالى الله
عن ذلك وقال آخرون ان الله تبارك وتعالى قد كان بسط على اليهود الرزق فكانت من اخصب
الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله في محمد وكفروا به وبدلوا نعمة الله كفرا بالنبوة كف الله عنهم
بعض الذي كان بسط عليهم من السعة في الرزق فعند ذلك قالوا يد الله مغلولة لم يقولوا
يده مغلولة الى عنقه ولكن ممسكة عنهم الرزق فلا يبسط ما كان يبسط وهو كقوله ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط نهي عن البخل في الانفاق لا انه اراد حقيقة غل اليد
الى عنقه تعالى ذلك قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل ووصف به لا حقيقة الغل وبالتعاظم
وتاب بل قوله غلت ايديهم على هذا التأويل في ايديهم هي الممسكة عن الانفاق وهم الموصوفون
بالبخل والشح بل يداه مبسوطتان اي نعمه مبسوطة يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء وفي
حرف ابي مسعود بل يداه بسطان قال ابو بكر اياك وجه مبسوط ووجه بسطتم لا يحتمل ان يفهم
من اضافة اليد الى الله ما يفهم من الخلق لما وجد اضافة اليد الى من لا يحتمل ان يكون له اليد من
ذلك قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يفهم من القرآن اليد كما يفهم من الخلق فعلى
ذلك لا يجوز ان يفهم من اضافة اليد الى الله تعالى كما فهم من الخلق الا يرى انه قال ذلك بما كسبت
يداك وبما كسبت ايديكم لم يفهم منه اليد نفسه وكذلك قوله ذلك بما قدمت ايديكم لكن اضيف
ذلك الى اليد لما باليد يتقدم ويعطي ويكتسب الا يرى انه قال لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
والمعلومات لم يفهم من اليد اليد نفسه ولكن اضيف ذلك اليه لما ذكرنا والله اعلم و **قوله**
ولعنوا بما قالوا قيل عذبوا بما قالوا يد الله مغلولة واللعن في اللغة هو الطرد كانه قال
طردوا من رحمة الله وايسوا عنها حتى لا ينالوها ابدا بقولهم الذي قالوا وقيل فيه اخبار انهم
يموتون على ذلك ولا يؤمنون فماتوا على ذلك فذلك دليل رسالته والله اعلم و **قوله** وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك قيل فيه بوجهين قيل يزيد ما انزل اليك من القرآن كثيرا منهم
يعني اليهود طغيانا وكفرا وقيل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك من البيان عما كتموا من
نعته وصفته التي كانت في كتابهم وما حرفوا وما حرفوا فيه وغيروه من الاحكام فذلك مما
زادهم طغيانا وكفرا قيل طغيانا اي تماديا بالمعصية وكفرا بالقرآن وقيل الطغيان هو العدوان
وهو المجاوزة عن الحد الذي حد فان قيل ما معنى اضافة زيادة الطغيان الى القرآن والقرآن
لا يزيد طغيانا ولا كفرا قيل اضافة الافعال الى الاشياء تكون لوجوه ثلاثة منها ما يضاف
لحقيقة الفعل لها ومنها ما يضاف للاسباب ومنها ما يضاف لمكان ما به يكون الفعل وههنا
اضيف ذلك الى القرآن لما كان فيهم من الطغيان والكفر لمكان ما انزل اليهم بالكفر الذي كان
فيهم وهو كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس والهن لا يضللن احدا في الحقيقة ولكن لما ضلوا
بهن ضلالا اضيف اليهن وكقوله عز وجل وغرتهم الحياة الدنيا والحياة الدنيا لا تغر احدا
ولكن لما كانت لها حواس لمكان ما ابدت من الزينة لغرت و **قوله** والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة اختلف فيه قال بعضهم القينا بينهم بين اليهود والنصارى
اي لا يحب اليهودي نصرانيا ولا النصراني يهوديا وقال آخرون بينهم اي بين اليهود لان
اليهود على مذاهب مختلفة واهواء متشتتة منهم من يقول عزير ابن الله ومنهم من يذهب
مذهب التشبيه هم على اهواء مختلفة فبينهم عداوة وبغضاء على ما ذكرنا للاختلاف الواقع
بينهم ثم معنى ما اضاف من القاء العداوة بينهم الى نفسه لا يخلو اما ان يكون له في فعل العداوة

فعل

فعل اوان يكون له في سبب العداوة ولا يجوز ان يكون له في فعل العداوة صنع لانه فعلهم ولا في
سبب العداوة ايضا لان سببه الاختلاف والاختلاف فعلهم ايضا فاذا بطل ان يكون له في
واحد من هذين صنع دل ان له ذلك من الوجه الآخر وهو ان خلق فعل العداوة وسبب العداوة
منهم وبالله التوفيق والعصمة فان قيل ذكر هاهنا انه القى بينهم العداوة والبغضاء وذكر في آية
اخرى ان بعضهم اولياء بعض بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض
كيف نجمع بينهما قيل بعضهم اولياء بعض في اصل الدين وهو الكفر وبينهم عداوة للاختلاف في الاهواء
والمذاهب والله اعلم وفي الآية دلالة الاثبات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اخبر انه
التي بينهم العداوة والبغضاء لو كانوا على مذهب واحد ولم يكن بينهم اختلاف وعداوة لكان ذلك
عليه اشد وفي المقام منهم اصعب لكن من عليه بالاختلاف فيما بينهم لما جعل الاختلاف والتنازع سبب
الفشل كقوله ولا تنازعوا فتفشلوا الآية و **قوله** كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله يحتمل وجهين
يحتمل كلما ارادوا مكر رسول الله واجمعوا امرهم على قتل اطلع الله نبيه على ذلك حتى لم ينفذوا
على مكره والثاني كلما انتصبوا للحرب مع رسول الله واجمعوا عليه فرق الله شملهم وجعلهم بحيث
لا يجتمعون على ذلك والله اعلم و **قوله** ويسعون في الارض فسادا يحتمل وجهين ايضا يحتمل السعي
بالفساد على حقيقة المشي على الاقدام وهو ما كانوا يسعون في نصب الحرب مع المؤمنين والاتصال
بغيرهم من الكفرة والاستعانة بهم فذلك هو السعي في الارض بالفساد والثاني ما كتموا من نعت
رسول الله وصفته وحرفوا ما في كتبهم من اعلام نبوته وآيات رسالته ودعوا الناس الى غير ما نزل
فيه وذلك سعي في الارض بالفساد وبالله التوفيق و **قوله** والله لا يحب المفسدين لانه لا يحب
الفساد ولا يرضى به و **قوله** ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم عامل الله عز وجل خلقه معاملة اكرم الاكرمين حيث وعد لهم المغفرة وتكفير ما ارتكبوا
في حال الكفر وقرنهم في ايمانهم من التبع الوحش لو آمنوا واتقوا الذي قالوا انما هو كما قال
الله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وذلك والله اعلم انه لما تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن
جميع ما كان منه ويندم على ذلك ويتمنى ان يكون ما كان منه في تلك الحال من الشر خيرا فهو كقوله
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لانهم يندمون على تلك السيئات التي كانت منهم ويتمنون
ان يكون الذي كان منهم في تلك الحال خيرا لا شرا والله اعلم و **قوله** ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم يحتمل هذا وجهين يحتمل ولو انهم عملوا بما في التوراة والانجيل
وبما انزل اليهم من القرآن لاكلوا من كذا بما ذكر ويحتمل ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
على ما انزل ورجعوا عما حرفوا فيها وغيروه وكتموه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
وما فيها من الاحكام لكان لهم ما ذكر وهو والله اعلم وذلك انهم كانوا يخافون الضيق اذا اسلموا
وهو قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فاخبر عز وجل انهم لو آمنوا واتقوا
الشرك لوسع عليهم العيش و **قوله** لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ليس على حقيقة الاكل
ولكن يخرج على المبالغة في الوصف والذكر كما يقال فلان من قرنه راسه الى قدمه في نعمة ليس على
حقيقة ما وصف ولكن على المبالغة في الوصف بالسعة ويحتمل ان يكون على حقيقة الاكل اما
ما يخرج من تحت الارجل فهو ما يخرج من الارض من المأكول والمشروب ومن فوقهم من الثمار
والفواكه تخرج من الاشجار ويحتمل ما ذكر من فوقهم وهو الجبال ومن تحت ارجلهم الارض وجائز
ان يكون لهم نزل الجبل والسهل جميعا وقيل لاكلوا من فوقهم اي ارسل الله عليهم مدرارا ومن

تحت ارجلهم تخرج الارض بركتها وتنبت لهم الثمر وقال قتادة لاعطتهم الارض بركتها والسماء بركتها والله اعلم وقوله منهم امة مقتصدة قيل فيه بوجهين قيل امة مقتصدة من اسلم منهم وقيل منهم امة مقتصدة على كتاب الله لم يحرفوه ولا غيروه ولا كتموا شيئا ولا سعوا في الارض بالفساد على ما عمل اكثرهم من التحريف والتغيير والله اعلم وقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته هذا والله اعلم وذلك ان اهل الكفر كانوا على طبقات ثلاث منهم من يقول لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه وقوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ومنهم من كان يخوفه ويكيد به ليقتلوه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية ومنهم من كان يعرض عليه النساء والاموال ليترك ذلك وان لا يذكر آلهتهم ويترك دينه الذي هو عليه كانوا على الوجوه التي ذكرنا فامر الله عز وجل ان يقوم على تبليغ رسالته وان لا يمنعه ما يخشى من مكرهم وكيدهم على قتله لان المرء قد يمتنع عن القيام بما عليه اذا خشي هلاكه او لطلب مودة ووصلة او يمتنع عن القيام لما عليه اذا كذب في القول ولحقه اذى لذلك فامر الله عز وجل نبيه بتبليغ ما انزل اليه وان خشي على نفسه الهلاك او التكذيب في القول والاذى وترك طلب الموالاة اي لا يمنعك شيء من ذلك عن تبليغ ما انزل اليك او ان يكون الامر بتبليغ الرسالة في حادث الوقت ان بلغ ما انزل اليك في حادث الوقت كما بلغت في الماضي من الوقت او ان يكون الامر بتبليغ ما انزل اليه امر بتبليغ البيان اي بلغ ما انزل اليك من البيان كما بلغت تنزيلا وهو كقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اخبر انه ارسل الرسل على لسان قومهم ليبينوا لهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي وان لم تبلغ ما انزل اليك لما تخشى من الهلاك والمكر بك كان كان لم تبلغ الرسالة واشار ان يعذر نبيه في ترك تبليغ الرسالة اليهم وان خاف على نفسه الهلاك لئن كان اكره على الكفر ابيح له ان يتكلم بظاهر الكفر بعد ان يكون قلبه مطمئنا بالايمان اذا خاف الهلاك على نفسه ولم يبح له ترك تبليغ الرسالة وان خشي على نفسه الهلاك ذلك والله اعلم ان تبليغ الرسالة تعلق باللسان دون القلب والايمان تعلقه بالقلب دون اللسان فاذا اكره على الكفر ابيح له ان يتكلم به بعد ان يكون القلب على ما له مطمئنا بالايمان واما الرسالة فلا سبيل له ان يبلغها الا باللسان لذلك لم يبح له تركها وان خاف الهلاك وهذا ايدك لقولنا في الكره بالطلاق والعتاق فانه اذا تكلم به عمل لان تعلقهما باللسان دون القلب فالاكراه لا يمنع نفاذ ما تعلق باللسان دون القلب كالرسالة التي ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله وان لم تفعل اي لم تبلغ الرسالة في حادث الوقت كان لم تبلغ فيما مضى او ان لم تبلغ البيان كما بلغت التنزيل فما بلغت الرسالة والله اعلم وقوله والله يعصمك من الناس فيه دليل اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه عصمه من الناس فكان كما قال فدل انه علم ذلك بالله وكذلك في قوله تعالى فكيدون جميعا ثم لا تنظرون كان يقول بين ظهراني الكفرة كيدوني جميعا ثم لم يلحقه من كيدهم شيء دلت انه كان ذلك بالله تعالى وعن عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس فلما نزل قوله والله يعصمك من الناس قال انصرفوا الي فان الله عصمني من الناس فلا تحرسوني ويحتمل قوله بلغ ما انزل اليك من ربك اي بلغ ما انزل اليك من الآيات والحجج والبراهين التي جعلها الله اعلاما لرسالتك واثارات لنبوتك لتلزمهم الحجة بذلك والله اعلم وقوله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل لا يبتدا الكلام بمثل

هذا الا عن قول او دعوى تسبق وليس في الآية بيان ما كان منهم فيشبه ان يكون الذي كان منهم هو ادعوا انهم على دين الله وعلى ولايته او ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه او ما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى او نحو ذلك من امانيهم ودعاويهم التي ادعوا لانفسهم فقال لرسوله قل لهم لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم قال الحسن قوله حتى تقيموا التوراة والانجيل اي حتى تقيموا ما قد حرفتم وغيرتم من التوراة والانجيل وتبينوا وتعملوا بما انزل وتؤمنوا به وقال غيره حتى تقيموا التوراة والانجيل بالشهادة والتصديق لما فيهما وعن ابن عباس قال حتى تقيموا التوراة حتى تعملوا بما في التوراة والانجيل من صفة محمد ونعته ونبوته وتبينونه للناس ولا تكتمونه وهو وما ذكرنا واحد وما انزل اليكم من ربكم من كتب انبيائكم وحتى تقيموا ايضا ما انزل من الكتب كتب الرسل اجمع لان الايمان ببعض الرسل وببعض الكتب والكفر ببعض لا ينفع حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا قد ذكرنا هذا وقال بعضهم قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك القرآن في امر الرجم والقصاص طغيانا وكفرا وقال بعضهم لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل هو ما امر الله نبيه ان يبلغ ما انزل عليه بقوله بلغ ما انزل اليك وقوله فلا تأس على القوم الكافرين اي لا تحزن على كفرهم كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ان الذين آمنوا قال ابن عباس هم الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم وقال بعضهم هم الذين آمنوا ببعض الرسل لم يتمسكوا باليهودية ولا بالنصرانية والذين هادوا والصابئون والنصارى قد ذكر فيما تقدم من هم وقوله من آمن بالله واليوم الآخر تاويل الآية والله اعلم انهم وان اختلفوا في ديانتهم وتفرقت مذاهبهم لو آمنوا بالله وما ذكر فلا خوف عليهم عما كان منهم في حال كفرهم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولا هم يحزنون على فوت ما عملوا اي لا يحزنون لفوت ذلك والله اعلم وقوله لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل قد اخذ الله عز وجل الميثاق على جميع البشر وخصهم به دون غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم ما يعرف كل بشر اذا رآه الخلقة يدل على وحدانية ربه كقوله انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ثم خص بني اسرائيل من البشر بفضل الميثاق لما ارسل اليهم الرسل منهم ونحو قوله وارسلنا اليهم رسلا كما هم قد قبلوا تلك المواثيق كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة الى آخره وكقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم كان من اتبع لهم عهد ومنهم لتبه عهد فاخبر انهم اذا دفعوا بعهدهم يوف بعهدهم وقوله كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وفي الآية دلالة انهم كانوا لم يكونوا يقتلون الرسل باجمعهم لما احدثوا من اتباع هواهم وان الرسل وان اختلفت اوقات مجيئهم فانهم انما يدعون باجمعهم الى دين واحد وقوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون منهم من كذبهم ومنهم من قتل لكن القتل ان كان في بعض الانبياء غير الرسل لانه قال انا لننصر رسلنا اخبر انه ينصر رسله ولا ينصر في القتل نصر ويحتمل قوله فريقا يقتلون اي قربوا لقصد قتلهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة ولم يبين ما الفتنة التي حسبوا ان لا تكون فاهل التاويل اختلفوا فيها قال تاويله الفتنة المحنة التي فيها الشدة حسبوا ان لا يبتليهم الله بامتحانهم على خلاف هواهم بل جاءهم الرسل يمتحنوا على خلاف ما احدثوا من هوى انفسهم وقال بعضهم قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة اي هلاك وعذاب بتكذيبهم الرسل وقتلهم

فعذر قتلهم وقال ابن عباس ان لا يكون شرك وقيل وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسبوا ان لا
يبتلوا بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الانبياء بالبلاء والقحط فعموا عن الهدى فلم يبصروه وصموا عن
الهدى فلم يسمعوه لما لم ينتفعوا به ثم تاب الله عليهم ورفع عنهم البلاء فلم يتوبوا بعد رفع البلاء
ويحتمل ان يكون قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا ما ذكر
في اية اخرى وهو قوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا
كبيرا الى قوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم الاية تابوا مرة ثم رجعوا ثم تابوا فذلك قوله فعموا
وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا الاية وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
يحتمل قوله لقد كفر الذين قالوا اي كفروا بعيسى لان عيسى كان يتبرأ من قولهم انه ابن الله بقوله يا بني
اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم الاية وبقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه وبقوله اني عبد الله آتاني
الكتاب الاية اخبر انه عبد الله ليس هو الها ولا ابنه تعالى الله عن ذلك والثاني كفروا بقولهم
لانهم علموا انه ابن مريم وسموه ابن مريم ثم قالوا هو الله او ابن الله فاذا كان ابن مريم اني يكون
له الوهية فاذا كانت امه لم تستحق الالوهية وهي اقدم منه كيف يكون لمن تولد منها لكن
لسفههم قالوا ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله انه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة ومأواه النار اذا حرم عليه الجنة صار مأواه النار وقيل سمي مسيحا قال
الحسن سمي ذلك لانه ممسوح بالبركات وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح بالعين وقيل المسيح بمعنى
الماسح وذلك جائز الفعيل بمعنى الفاعل وهو ما كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ ويمسح
الموتى فيحيون ومثل ذلك فسمي بذلك والله اعلم والفعيل بمعنى المفعول جائز ايضا نحو جريح
ومجروح وقتيل ومقتول هذا كله جائز في اللغة وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة قوله كفروا بقولهم علموا انه الله فكيف يكون ثالث ثلاثة وهو الله فاذا كان هو الله
فلا يكون هناك ثان ولا ثالث وذلك تناقض في العقل والثاني انهم لم يروا غير الله خلق
السموات والارض ولا اولادا احدا خلقهم سوى الله كيف سموا دونه الها ولم يخلق ما ذكرنا
انما خلق ذلك الله الذي لا اله غيره وذلك قوله وما من اله الا اله واحد اي يعلمون انه لا اله
الا اله واحد لكنهم يتعنتون ويكابرون في ذلك وقوله وان لم ينتهوا عما يقولون عما تقدم
ذكره ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم وقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه عن
مقالتهم الشرك فان فعلوا فان الله غفور رحيم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبالله العصمة
وقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول في الاية دلالة المحاجة مع الفريقين كانهم كانوا
فريقين احد الفريقين كانوا ينكرون انه رسول والفريق الاخر يدعون له الربوبية والالوهية
فقال انه ابن مريم وابن مريم لا يحتمل ان يكون الها والثاني اخبر انه رسول قد خلت من قبله
الرسل اي قد خلت من قبل عيسى رسل مع ايات وبراهين لم ينل احد من الامم السالفة انهم
كانوا الهة فكيف قلتم انتم بان عيسى اله وان كان معه ايات وبراهين لرسالته وقوله وامه
صديقة قيل مطهرة من الاثم اركانها صالحة وقيل صديقة شبه النبيين وذلك ان جبريل
لما اتاها وقال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا صدقته كتصديق الانبياء والرسل
الملائكة واما سائر الخلائق انما يصدقون الملائكة باخبار الرسل اياهم وهي انما صدقت جبريل
باخباره انه ملك وانه رسول لذلك سميت صديقة والله اعلم وقيل كل مؤمن صديق
كقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقوله كانا ياكلان الطعام

فيه الاحتجاج عليهم من وجهين احدهما ان الجوع قد كان يغلبهما ويحوجهما الى ان يدفعا
ذلك عن انفسهما ومن غلبه الجوع وقهره كيف يصلح ان يكون ربا او الها والثاني انهما اذا
احتاجا الى الطعام لا بد من ان يدفعهما ذلك الى ازالة الاذى عن انفسهما ودفعه والقيام
في اخبث الاماكن واقبحها فمن دفع الى ذلك لا يكون الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله
انظر كيف نبين لهم الايات والايات ما ذكر من وجوه المحاجة عليهم احدها انه ابن مريم
ومن كان ابن اخر لا يكون الها والثاني انه رسول وقد كان قبله رسل مع ايات وبراهين لم
يدع احد لهم الالوهية والربوبية والثالث انه كان ياكل الطعام ومن كان ياكل الطعام
تحت غلبة اخر وقهره لا يكون الها والرابع من اكل الطعام احتاج ان يدفع عن نفسه الاذى
ويقوم في اخبث مكان ومن كان هذا امره لم يكن ربا وليس في القرآن والله اعلم اية اكثر ولا
ابين احتجاجا على النصارى واولئك ولا اقطع لقولهم من هذه الاية للمعاني التي وصفنا وقوله
ثم انظر انى يؤفكون اي من اين يكذبون قال ابو عبيدة يؤفكون يصرفون ويخادعون
عن الحق كل من صرفته عن شيء فقد افكته وسميت المؤتفكات لانها افكت عنها القطر وقوله
يؤفك عنه من افك وقال ابن عباس وذلك افكهم وما كانوا يفترون قال اضلهم فاذا
اضلهم فقد صرفهم عن الهدى قال ابو عوسجة الافك عندي الصرف عن الحق وفي الاصل
الافك الكذب وقال القتبي يؤفكون يصرفون عن الحق ويعدلون وقيل اي يكونون يخدعون
بالكذب وقوله قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ان خالفتموه ولا نفعا ان
اطعتموه ويحتمل قوله ما لا يملك لكم ضرا ان كان اراد بكم نفعا ولا نفعا ان حل بكم الضر اي
لا يملكون دفعه عنكم وقوله والله هو السميع لمقالتكم عيسى انه الله وعبادتكم غير
الله ويحتمل السميع المجيب لدعائكم العليم بنياتكم والله اعلم وقوله قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق خاطب الله عز وجل بالنهي عن الغلو في الدين اهل الكتاب لم يخاطب اهل
الشرك في ذلك فيما خاطب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
وذلك ان اهل الكتاب ادعوا انهم على دين الانبياء والرسل كانوا من قبل نهاهم الله عز
وجل عن الغلو في الدين والغلو هو المجاوزة عن الحد الذي حد والافراط فيه والتعمق فكانه
والله اعلم قال لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه بنسبة الالوهية والربوبية الى
غير الله والعبادة له واما اهل الشرك فانهم يعبدون ما يستحسنون ويتركون ما يستقبحون
ليس لهم دين يدينون به واما هؤلاء فانهم يدعون انهم على دين الانبياء والرسل لذلك خرج
الخطاب لهم بذلك والله اعلم وقوله ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني الرؤساء
منكم والله اعلم واضلوا اتباعهم وضلوا عن قصد طريق الهدى وقوله لعن الذين كفروا من
بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قال بعضهم لعنوا بكل لسان لعنوا على عهد موسى في
التوراة وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الانجيل وعلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم
في القرآن وهو قول ابن عباس وقيل مسخوا بدعائهم بما اعتدوا فصاروا قردة وخنازير
قال ابن عباس القردة والخنازير من قبل الذين مسخوا وقال الحسن انقطع ذلك النسل
واهل اللعن هو القردة كانهم طردوا عن رحمة الله ويحتمل تخصيص اللعن على لسان داود و
لان داود كان به غلظة وخشونة وهو الذي كان اتخذ الاسلحة والات الحرب وعيسى
كان به لين ورفق ليعلم ان اللعن الذي كان منهما كان لاعتدائهم الحدود حدود الله وعصيانهم

ربهم وكانوا مستوجبين لذلك تحيين ولذلك استجيب دعاؤهم عليهم باللعن وقوله كانوا
لا يتناهون عن منكر ذكر في بعض القصة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله لما وقعت
بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون قال فجلس رسول الله عليه السلام وكان متكيا فقال لا والذي نفسي بيده حتى
تأطروهم أطرا قال ابو عبيد تعطفوهم عطفا وقال غيره حتى تكسروهم كسرا وقوله
ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قيل قوله ترى كثيرا منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا
يعني اليهود يتولون الذين كفروا ويعادون رسول الله واصحابه وقيل ترى كثيرا منهم يعني
من اليهود يتولون الذين كفروا من مشركي العرب وغيرهم كانوا يظاهرون على رسول الله
والمؤمنين ويعادونهم عليهم وقد كان من الفريقين جميعا ذلك ويحتمل وجها آخر قوله ترى كثيرا
منهم من هؤلاء الذين شهد لهم رسول الله يتولون الذين كفروا يعني اصلا فهم ورؤساءهم كقوله
لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا الاية تولي هؤلاء
اولئك واتبعوا اهواءهم وقوله لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم اي ما قدمت
لهم انفسهم سخط الله عليهم وقوله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني المنافقين في احد التاويل
وفي التاويل الاخر اليهود اي لو صدق هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وصدقوا ما انزل
اليه من القرآن ما اتخذوا اولئك اولياء ثم يحتمل قوله ما اتخذوهم اولياء في الدين او في النصر
والمعونة والنصرة ولكن كثيرا منهم فاسقون وقوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين اشركوا يحتمل الاية وجوها يحتمل ان يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين
آمنوا قوما مخصوصين منهم ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله واصحابه فهم اشد
عداوة لهم ويحتمل اليهود جملة فهو والله اعلم على ما كان منهم من قتل الانبياء وتكذيبهم اياهم
ونصب القتال والحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما كان منهم من قول
الوحش في الله سبحانه ما لم يسبقهم احد بمثل ذلك ما وصفوا الله عز وجل بالبخل والفقر وهو
قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك من القول
وذلك لشدة تعنتهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم فعلى ذلك كل من دعاهم الى دين الله فهو
له اشد عداوة واقسى قلبا واما النصارى فلم يكن منهم ما كان من اليهود من قتل
الانبياء ونصب الحرب والقتال معهم ولم يروا في مذهبهم القتال ولا الحرب ولا كان
منهم من القول الوحش ما كان من اليهود بل كان فيهم اللين والرفق حتى حملهم ذلك على القول
في عيسى ما قالوا وذلك منهم له تعظيم فوق القدر الذي جعل الله له حتى رفعوه من قدر العبودية
الى قدر الربوبية لذلك كفروا والا كانوا يؤمنون بالكتب والانبياء من قبل الا يرى انه قال
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اخبر ان منهم قسيسين ورهبانا والرهبان هم العباد
وقيل القسيسين الصديقون ولم يكن من اليهود رهبان ولا قسيس لذلك كان النصارى اقرب
مودة والين قلبا من اليهود والله اعلم فان كان ذلك في قوم مخصوصين فشابهم وهو
ما ذكر في القصة ان بني قريظة والنضير كانوا يعاونون ويظاهرون مشركي العرب على قتال
رسول الله ويأمرون نفر من كعب لظاهروا واعانوا المنافقين يوم بلي ولا كتب قط على من قد آمن
بالانبياء والكتب جميعا وذلك لسفههم وشدة تعنتهم حتى قاتلهم رسول الله واجلاهم

من بلادهم الى اذرعات مرة وكان ذلك من قوم بقرب رسول الله والمؤمنين وهم ما كان من
يهود المدينة حيث بايعوا اهل مكة على قتال رسول الله وكانوا عيونا لهم عليهم وطلايع ولم
يذكر في قصة من القصص انه كان من النصارى شيء من ذلك كان اقرب مودة للمؤمنين والله
اعلم وما قاله بعض اهل التاويل بان من اسلم منهم كان اقرب مودة للمؤمنين من اليهود فخارج
هذا الكلام لان المؤمن اقرب مودة للمؤمنين من الكافر وذلك كلام لا يفيد معنى وقوله
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع سرورا على انفسهم مما ظفروا وانما
كانوا يستمعون من نعته صلى الله عليه وسلم وصفته ويطمعون لخروجه وقد يهل السرور وهذا
الهمل اذا اشتد به وفرح القلب فاضت عيناه سرورا ويحتمل قوله ترى اعينهم تفيض من الدمع
حزنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد ما بلغهم ما بلغ هؤلاء من اعلام النبوة وآيات الرسالة اشفاقا
عليهم انه كيف لم يؤمنوا كقوله ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون فقد
فاضت اعينهم حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون والله اعلم وقوله يقولون ربنا آمنا فاكتبنا
مع الشاهدين قيل مع الانبياء والرسل وقيل مع اصحاب محمد ونحوه واحد ثم ذكر في القصة
انها نزلت في النجاشي واصحابه وقيل نزلت في اربعين رجلا من مسلمي اهل الانجيل بعضهم
قدموا من ارض الحبشة وبعضهم قدموا من ارض الشام فسمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا ما اشبه هذا بما يحدث من حديث عيسى فبكوا وصدقوا فنزلت الاية فيهم فلا
ندري كيف كانت القصة وفيم نزلت اذ ليس في الاية بيانه وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة
سوى ما فيه من شدة رغبتهم في القرآن وسرورهم على ذلك وقوله وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق يحتمل الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل القرآن ويحتمل كلاهما وقوله
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين قال الحسن قوله نطمع اي نعلم ان يدخلنا ربنا الجنة
اذا آمنا بالله وما جاءنا من الحق وقيل نطمع هو الطمع والرجاء اي نطمع ونرجو ان يدخلنا ربنا
في دين قوم صالحين والصالحين يحتمل ما ذكرنا من الانبياء والرسل ويحتمل اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله فاثابهم الله بما قالوا الثناء الحسن في الدنيا حيث ذكرهم في القرآن
فيذكرون الى يوم القيامة ويثنى عليهم وفي الآخرة الجنة ونعيمها وذلك جزاء المحسنين المحسن
كانه هو الذي يتقي المعاصي ويأتي بالخيرات والحسنات جميعا يعمل على حنيفا والمتقي هو الذي
يتقي المعاصي والمكاره خاصة وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
قال بعضهم الجحيم هو اسم معظم النار وقال غيرهم هو اسم من اسماء النار وكذلك
السعير وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وهم يحرمون ذلك وقال
جل وعز قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم لا رزق ابين تحريم ما احل
الله لنا من الطيبات وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث ثم يلزمهم ان يحرموا على انفسهم
التناول من الخبز والماء وهما من اطيب الطيبات الا يرى ان المرء قد يعمل ويبقى زمانا بغيرهما
من الطيبات اذا اكثر ذلك ولا يعمل البتة من الخبز والماء ودل انهما من اطيب الطيبات الا ان
يمتنعوا من التناول من غيرهما ايثارا منهم غيرهم على انفسهم لما يلحق القوم من المؤن في غيرهما
من الطيبات ولا يلحق في الخبز والماء لانهما موجودان يجدهما كل احد ولا يجد غيرهما من الطيبات
الا من تحمل مؤنة عظيمة فان كان تركهم التناول منها لهذا الوجه فانه لا بأس وتعبد فان الله
تعالى جعل الاطعمة والاشربة والفواكه للبشر في الوقت والحال التي تطيب انفسهم

فهاذ قيل لانه لم يحل لهم في اول الخمر وجا بين الارض والنخيل انما احل لهم فيعد نضجها وينعها
واتخاذها خبزا وبلوغها في الطيب نهايته وجعل للبهايم ذلك في اول ما يخرج فاذا كان البشر خصوا
بذلك لم يجب ان يحرم ذلك ويبطل ذلك التخصيص والتفضيل والله اعلم فان قيل انما لم يتناول
منها لما يعجز عن شكر الله لذلك فيقتصر على ما يقيم الرمق منه قيل له يجب ان لا يتزوج من النساء
الا ادونهن جمالا واكبرهن سنا لانها تصرفه عن العبادة فان لم يكن في تجويز العجايز والقباح وترك
الشواب الحسان زهادة فليس في اكل خبز الشعير وترك المحوذ والجيد زهادة ولكن لما كان
ان يدخله الرغبة في طيب الطعام في شبهة مكسبه فواجب عليه ان لا يدخل في ذلك المكسب ويتنزه
تنزه عنه ويقتصر على الثوب الذي لا بد له منه وقيل الاية نزلت في اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد وسالم وهولاء
حرموا على انفسهم الطعام والنساء وهموا ان يقطعوا مذاكيرهم وان يلبسوا المسوح ويدخلوا
الصوامع فيترهبوا فيها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى منزل عثمان فلم يجدهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لامراة عثمان احق ما بلغني عن عثمان واصحابه قالت ما هو يا رسول
الله فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالذي بلغه فكرهت ان تكذب النبي صلى الله عليه وسلم
او تبدي على زوجها فقالت ان كان عثمان اخبرك فقد صدقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قولي لزوجك اذا جاء انه ليس منا من لم يستن بسنتنا ويأكل ذبيحتنا فلما رجع عثمان واصحابه
اخبرته امراته بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والله لقد بلغ النبي امرنا فما
اعجبه فذروا الذي كره فانزل الله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية فلا ندري كيف
كانت القصة ولكن فيه بيان ما ذكرنا والله اعلم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يحتمل
ان يكون الحلال هو الطيب والطيب هو الحلال سماهما باسمين وهما واحد ويحتمل ان يكون
قوله كلوا مما رزقكم الله حلالا بالشريعة والذي طيبا بالطبيعة لان الحل والحرمة معرفتهما
بالشريعة والطيب ما يستطيب به الطبايع وفي الاية انه قد يرزق ما هو خبيث ليس بطيب
لانه لو لم يرد لم يكن لشرط الحلال والطيب معنى والله اعلم وقوله واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مومنين في الاية دلالة ان الخطاب للمؤمنين لانه قال واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مومنين ونحو هذا انما هو مومنين مطلقا وقت
انه يجوز ان يستثنى واتقوا الله ولا تحرموا ما احل الله لكم الذي انتم به مؤمنون انه لا تحلوا ولا تحرموا
الا هو وليس الى من دونه تحليل وتحريم مسئلة اختلف الناس في تاويل اللغو ذكرت في
قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان الى قوله لعلكم
تشكرون مما الناس بحاجة الى معرفة حقيقة ما في كل حرف منها انه لم يزل يتنازع اهل الفقه
في احكامه مما يعلم ان حق البيان في الخطاب لا يبلغ ما ينقطع موضع التنازع فيه ولا يحث يبلغ
حقيقته كل سامع وان في شرط المحن بالاشباه التي يمتحن بها الذي ما الفكر فيها والبحث عنها
والسؤال عنها الذين خصوا بفهمها بسؤالهم من ذوي الابانة عنها او مما بلغهم بما سبق لهم العلم
بها في معرفة ذلك ببيان ما خفي من معنى الذي فرع سمعه او بغيره ذلك مما فيه دليل ذلك اذ
لا تجوز المحنة بالذي لا يحتمل الوسع الوصول اليه ولا في جملة ما به اشتحن ايضاح ذلك
لما يوجب الامر بفعل ما هو عنه ممنوع وذلك بعيد بل يكون البيان التشفي على وجوه البيان
العقلي ان من المعارف ما يكون بالحواس ومنها ما بقاء يوصل اليها اما بالتعلم او بالاستدلال

فتلك حق السمعي والله اعلم من ذلك قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم انه عز وجل ذكر يمينا
لا يؤاخذ بها في موضعين من غير ان ذكر انها اي يمين هي والايات لا يؤاخذ فيها والحاجة لازمة
اذ ذلك في موضع الامتنان منه جل وعلا في العفو عن امر كان له المواخذة وحق على السامع معرفة
منة الله تعالى ليشكره عليها ثم معلوم ان اليمين لو كانت بالطلاق والعتاق كان صاحب ذلك
يؤاخذ بها بما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ان ثلاثا جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والعتاق والنكاح واللاعب لا يقصد وامر بمعناه كان لا يلزمان بلا شرط يصير به الموقع لغوا فاذا
ما في رفع المواخذة في اليمين ان يرفع عنه اليمين وهما يجبان دونها فيتعقب من غير ان كان في الاية
ذكر التفصيل ولكن يجب معرفة حقيقة ذلك بالذي يتبين من الخبر والنظر معا لا يعرف في ذلك
خلافا وهذا يوضح ان العفو فيما كانت الايمان بالله تعالى فعلى ذلك ما نسق على ما لا يؤاخذ من المواخذة
وذلك يمنع من احتج بايجاب الكفارة على الحالف بالقرب من حيث كان ذلك منه يمينا والله اوجب
في اليمين كفارة وانما ذلك في اليمين لانه في اليمين بالقرب ثم كانت اليمين بالقرب لو كانت على مخرج
اليمين بالله لم يجب فيها شيء نحو ان يقول بالعتق لا افعل كذا او بالصلاة او بالصيام ولو قال بالله
يجب ثبت ان وجوب ذلك وصيرورته يمينا كان بحق النذور ونذا امر الله ورسوله في النذور
بالوفاء فكذلك اليمين بها ومما يبين ذلك انه لو قال ان فعل كذا فعليه قتل فلان او اتلاف ماله
انه لا يلزمه شيء ثبت ان ما لزم لزم بحق لزوم ذلك في النذور وحق ذلك الوفاء لا غير معها جاء
الخبر بالامر بالحلف بالله والنهي عن الحلف بغيره والنذور لا بد ان يكون بغيره ثبت ان وجوب ذلك
بحق النذور فلذلك يجب لو فاته والله اعلم ثم الاصل في ذلك ان الحلف بغير الله يكون على قسمين
قسم ان لا يجب فيه شيء وقسم انه لو وجب لوجب المسمى نحو الطلاق والعتاق فيما يجب فلما
كان في الحلف بالقرب في الذمة وهو حلف بغير الله تعالى يجب به شيء يجب ان يكون الواجب في
ذلك ما اوجب والله اعلم ثم اختلف في معنى اللغو فقال قوم هو الاثم كقوله لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما وقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ثم اختلف من قال لغو على قولين احدهما
انه لا يؤاخذ بالاثم في ايمانكم التي لم تنعقد وهي التي جرت على اللسان وبمثل ذلك روي عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت هو قول الرجل لا والله ما كان كذا وجه قال ابو بكر الكيسان في
تفسيره والى ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دل ان الاول بما يجري على اللسان
دون ما يقصده قلبه والله اعلم والثاني انه لا يؤاخذ بترك المحافظة فيما كان في المحافظة ماثم
دليله صلة ذلك قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية فكانهم تحرجوا عن ترك المحافظة
فيما سبقت منهم الايمان قبل النهي بقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فنزل قوله لا يؤاخذكم
الله باللغو في نقض ايمانكم اذا كان حفظها ماثما وذلك نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير وليكفر يمينه فعلى ذلك
قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولا يحتمل ان يؤخذ بالعقد وهو معظم ربه ولكن
بالمحافظة ما عقدتم الايمان اذا كانت المحافظة اثما وهذا الوجه يكون فيه قوله واحفظوا ايمانكم والله
اعلم والى هذا ذهب سعيد بن جبير في تاويل الاية وقال قايلون اللغو هو الشيء الذي لا حقيقة
له نحو اللعب وعلى ذلك والغوا فيه القول لم يقصدوا تحقيق امر يظهر وجهه ولكن قصدوا
التلبيس بما ينطق به ما كان وكذا قيل لا يسمعون فيها لغوا ابدا لجلالة كل ما يسمع فيها فهو حق
وحكمة ثم رجع تاويله الى وجهين احدهما فيما يجري على اللسان من غير عقد القلب على ما مر

بمن تعيده والثاني ان يكون الحلف بما لا حقيقة له على ظن ان حقيقته ما حلف عليه الحالف
كما حلف وكذلك روي عن ابن عباس والحسن في تاويل الاية ثم لو كانت الاية على التاويل
الاول لكانت في دفع الماثم خاصة وهو التاويل الذي ذكره سعيد بن جبير واما الكفارة
فهي لازمة على ما ذكرنا في الخبر المرفوع في ذلك وبما هي واجبة للحنث في اليمين ولترك الوفاء
بالعقد والمعنى في الامرين موجود لذلك لزمت الكفارة في الوجهين جميعا معا لا بد من الالزام
فيما اخطاء او تعمد من حيث لم يكن استثناها لانهما صاحبه وذلك يبين ان ذلك المحلف في
عقد اليمين او لما يخرج الفعل مخرج الاستحقاق او انو بل فعله بعقد واذا كان المحلف قد عصم عن
ذلك الوجه فامر بتكفير ذلك وذلك المعنى موجود في الوجهين لذلك لزمت الكفارة في الامرين
والله اعلم ولو كانت على التاويل الثاني انه على احد وجهيها دليل لا يمكن انه لا يؤاخذ بالماثم
ولا بالكفارة جميعا والذي يبين ان هذا التاويل انه ذكر في المؤاخذة في الابتداء احدهما بكسب
القلوب ولكنها تعمدها والمؤاخذة به يكون بالماثم لا بالحقوق والكفارات اذ لا يؤاخذ في شيء
بكسب القلب خاصة لكفارة او حقا يوجب وان كان قد يؤاخذ لذلك عند افعال الجوارح
فاما له خاصة فلا وقد يكون به الطاعة والمعصية وعلى ذلك قوله ليس عليكم جناح فيما اخطاتم
به ولكن ما تعمدت قلوبكم واذا ثبت ان ذلك في الماثم فلا يؤاخذ ثم لا ماثم فيما ذكر من عقد اليمين
في العقد اذ هو يخرج مخرج التعظيم لله وقد وردت عقود الايمان عن الرسل فثبت ان المؤاخذة
فيها بالكفارة فلا يؤاخذ بها في اللغو ايضا وايد ذلك ان الله تعالى ذكرها لا يؤاخذ مرتين وذكر
المؤاخذة كذلك فلو كانت المؤاخذة بواحد لكان الذكر الواحد كافيا فثبت انه بامرين مختلفين
فيلي ذلك امر اللغو والله اعلم معناه انه قد بين في اية المائدة كيفية المؤاخذة ولم يبين في
كسب القلب فيجب ان يكون اللغو ما جرى به بيان المؤاخذة احق منه مما لم يجر به فثبت انه
في مانع المؤاخذة بالكفارة ولو كان على ما يقوله سعيد لكانت تجب الكفارة بما سلف بيانه
لذلك قلنا انه اخص بالاية والله اعلم ثم اذا ثبت ان اللغو مما لا يجب فيه الكفارة يحتمل
ان يكون لم يجب من حيث لم يبعض الله به ويحتمل ان يكون لم يجب لان يمينه كانت على ما كان
الحنث بوقعه او قبله فيمنع صحة اليمين وان الحلق لها لا اثر اذا كانت الاسماء مطلقة لما
قد من العقود وصحت وانما يختلف لها الاحكام والمقاصد منها فان كان لما لم يبعض الله يجب
ان يكون في كل حنث يوم به لا يجب به الكفارة فاذا حرمت السنة بايجابها على الامر بالحنث
وقد يجب ايضا فيما كان فعل الحنث على حال خطاء او نوم او جنون او فعل غير الحالف فتم
الحنث به على تمكن ان يأثم بفعله اذ قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ثبت انها
لا لانه لم يبعض الله ولكن للوجه الذي ذكرت والله اعلم ثم كان ذلك المعنى قائما في اليمين
الذي تعمد عليه الكذب وهو ما قبل اليمين الغموس يجب ان لا يلزمه كفارة اليمين انما يلزمه كفارة
فعل الجزاء والمخالفة والله اعلم وايد هذا الاصل وهما ان احدهما استواء الامرين في اليمين
المعقودة على الحادث فيما مضى من الحنث فيها او الحانث ان يستويا في اليمين على الماضي في
الوجهين جميعا فاذا لم يجب الكفارة في احد الوجهين لم يجب في الاخرة والله اعلم والثاني
ما روي عن نبي الرحمة في شان اللعان بعد الفراغ منه ان احدكما لكاذب فهل منكما تائب
ومعلوم ان خاصمهما لو كانت تجب فيه الكفارة الى البيان عنها اكثر من حاجتهما الى بيان كذب
احدهما ثم له وهو التوبة اذ ذلك يعرفه كل عقيه وحكيم بلا سمع والكفارة لا تعرف الا بالسمع

ثبت انها غير واجبة وكذلك الاخبار التي وردت في الخصمين ان قضى لاحد بما حقي ذكر فيه
الوعيد الشديد ثم امرهما بالتسليم بينهما او تحلل كل واحد منهما الاخر فلا يحتمل ان يكون فيه
كفارة ولا يبين وكذلك على في الموضع الذي امر بالحنث اذ قد تشتبه على بعض من ليس له
روية وقد قال اصحابنا واجمع المسلمون على ان لا يجب فيه الكفارة فنقول من يوجبها ابتداء شرع
ونصب حكم لله تعالى على الخلق وهو لم يشرك في حكمه احدا ثم الاصل في ذلك ان الاسباب التي ترفع
العقود وتوجب الحرمات اذا تاخرت العقود واسباب الحل تنفي على اختلافها مستحقة على منع ابتدائها
اذا قارنتها فعلى ذلك امر سبب الحنث فلذلك بطل اليمين والكفارة هي كفارة اليمين فلا يجب فيما
لا يمين يجب فيها وليس ذلك كالقول بمس السماء وغير ذلك لان اليمين في هذا على ما يكون بسبب
الحنث لم يتردد فيها فصحت وكذلك اختلف الامران وهذه المسئلة توضح حال وجهين للشافعي في
قوله ان الكفارة تجب للحنث وههنا لا حنث لما لم يصح العقد لحنث فيه ويكون الحنث ايضا
ثبتا لعقد ولم يكن معها كان النص بالكفارة في اليمين المعقودة التي يامر فيها بالحفظ وبحال الامر
بالحفظ في هذه اليمين وانما يجب الحفظ عما ان يحلف به والله اعلم وحال ابي عبيد حيث يوجب
الكفارة بعقد اليمين وعنده اليمين الغموس يمين لا يجب فيها الكفارة فقد ابان ان الكفارة
تجب للذي يرد في اليمين لا لنفسها والله اعلم ثم احتج قوم بوجوب الكفارة بعقد اليمين
بقوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ثم قال فكفارته اي عقدهم كفارة ما عقدتم الايمان
بما فيها الاضافة ولم يسبق غير ذكر العقد يضاف اليه وكقوله ذلك كفارة ايمانكم اضيف الى
اليمين وعلى ذلك تسمية المؤمنين كفارة اليمين مع ما فيه وجهان من العبر احدهما ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ان ابي بحمزة الطعنة اقسم لامثلن بكم من قريش فنزل
النهي عن الوفاء بذلك فكفر عن يمينه ومعلوم انه لا يحنث في يمينه الا في الوقت الذي لا يحتمل
بر مثله في حياته ثبت انها كانت لليمين وكذا ما جاء من حلف على يمين الى ان قال وليكفر يمينه
انما امر بتكفير يمينه والله اعلم والثاني ذكر ابو عبيد ان الله اذ نهى عن الوعد الا باستثناء بقوله
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فذلك النهي في اليمين اوكد واشد ممن حلف بلا
ثنيا عصى الله فيلزمه الكفارة والاصل عندنا ان الكفارة تجب للحنث في اليمين فهي كفارة
والكفارات انما تكون للسيئات كقوله يكفر عنكم سيئاتكم وغيره ذلك من الايات ومن البعيد في
العقل طلب تكفير الحسنات بل الحسنات تكفير السيئات والحنث في التحقيق اسم للماثم ثم سمي
الذنب فيه لانه كان عاهد الله ان لا يفعل كذا فيفعله يخرج مخرج نقض العهد فيه فياثم لا بالعهد
ولذلك قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وفي
الجملة امر الله ان يوفوا بعهده لا ان ينقضوا عهده وقد جعلت اليمين عهده وامر بالوفاء به فنقضه
يوجب الحلف في وعده وانتقض العهد فيه ياثم الحالف لا بالحلف فلذا يجب الكفارة ولو كان
لليمين كفارة لكان الحنث احق ان يوجب الكفارة ثم لا يجوز ان يكون من حلف ان يطيع الله يكون
به عاصيا ثبت ان الكفارة لو كانت تجب لليمين على المعصية لتصير تلك معصية فيجب ثم حق
كفارة مثلها الحنث فيها وعلى ذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه ان من حلف على شيء فرأى غيره
خيرا منه فانما كفارته ان ياتي الذي هو خير كذلك تكون كفارة اليمين لو احتملت ذلك جميع
انواع الكفارات ان ما احتمل دفع الحقيقة والرجوع عنه جعلت كفارته بالتوبة عنه
ونقض ما قد فعل وما لا يحتمل فلا يعتبر ذلك فلو كان لليمين كفارة لكانت توبة ونحن لا نجيز ذا ذا

أو جعل الله عليه الرجوع ثبت ان ذلك للحنث والله اعلم ثم الدليل على انه لا يحتمل ايجاب
الكفارة لعقد اليمين اوجه احدها ان العقد يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل وجعله
مفزعا اليه ومامنا للخلق عنه ولذلك جعلت الايمان لدفع التهم وتحقيق الامر للخلق عن
الحالفين والذي ذلك اوجه احدها ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حلفتم
فاحلفوا بالله وقال لا تحلفوا بابائكم ولا بالطواغيت فهذا الحلف بغيره بما فيه تعظيم ذلك
ورفع قدره والقران لا تجعلوا لاحد ذلك الند والا لله سبحانه والثاني قوله واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولا يجوز ان ينهى عن الرجوع عن المعصية
ويومر بالوفاء بها والثالث الامر الظاهر عن نبي الرحمة لحلفه وقسمه في غير موضع ومما ذكر
في قصة يعقوب واولاده وامر ابراهيم في شان الاصنام وامر ايوب لم يجز ان يكونوا عصاة
بفعلهم وذلك يلي عن جزاءه ومن عقوبات الحالف عاص بما ترك الثنيا ومن ذكرنا من الانبياء
قد تركوا الثنيا وليس ذلك كالوعد لانه الى نفسه يضيف الفعل ومن يفعله تحت مشية
الله وفي اليمين بالله يستغيث واليه يرجع فلذلك اختلف الامران والله اعلم والدليل
على انها لم تجب باليمين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها
فليات الذي هو خير وليكفر يمينه او قال فليكفر يمينه وليات الذي هو خير ولو كانت
الكفارة واجبة باليمين لكان لا وجه للامر بالذي يأتي وهي واجبة ويقول من حلف على يمين
فليكفر يمينه فاذ لم يقل ولكن قال فيما كان ثم حنث ثبت انها له تجب والله اعلم ودليل اخر
اتفاق القول انه اذا كان مع اليمين بر فلا كفارة عليه واذا كان معها حنث تجب فلو كانت تجب
لليمين لكانت هي عند الوفاء اوجب فالكفارة فيه تكون اوجب فاذ لم يكن عليه اذا بر ثبت
انها بالحنث وجبت والله اعلم وايضا ما اجمع ان من حلف ان لا يقرب امراته بشيء لا يلزمه لو حنث
فيه لم يلزم فيه حكم الايلاء فلو كانت الكفارة تجب باليمين لكان الحالف به عند الفراغ عن يمينه
صار بحيث لا يلزمه من بعد شيء فيجب ان يسقط حق الايلاء فاذ بقي عليه حكمه جاء بذلك كتاب
وجرت به السنة ثبت ان القول بوجوبها قول لا يجوز والله اعلم ثم اذا ثبت هذا رجع
تاويل الاية الى وجهين احدهما قوله ولكن يواخذكم بمحافظة ما عقدتم من الايمان كقوله ولا
تنقضوا الايمان بعد توكيدها فان تركتم ذلك فكفارته كذا والثاني ان يكون على اضمار حيث
يواخذكم بحنثكم فيما عقدتم فذلك غير ممنوع في حق الكفارات كقوله فان احصرتم الاية وقوله
فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه الاية لا على الوجوب للعذر ولكن باستعمال الرخصة
فيه اذ لا يكون العذر سبب الايجاب فمثله في الاول لا يكون تعظيم الرب سبب ايجاب
الكفارة فيصير الحنث فيه مضمرا والله اعلم والاضافة الى الايمان على ارادة الحنث فيها
كاضافة كفارة الفطر الى الصيام والدم الى الحج والسجود الى السهو وان كانت الكفارات
ليست لما اضيفت اليه اية ذلك بما ذكرت والله اعلم وتكفير رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه قد عصم عن المعصية وفي الوفاء بذلك معصية اذ نهي عنه ويمينه كانت قبل النهي فصار
ايسا عن البر بذلك وبذلك يكون الحنث لا بعدم امكان الوفاء لكن غيره اذ لا يومن منه
العصيان فذلك وقت اياسه عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد عصم عن ذلك
فوقت اياسه وقت النهي ولا قوة الا بالله ثم قوله اطعام عشرة مساكين في متعارف اللغة
على التقريب لياكلوا لا على التمليك وكذلك الامر المتعارف بين الخلق فيما يقصد تبعيضهم

الى

الى تبعيض الاطعام والذي ذلك قوله من اوسط ما تطعمون اهليكم ولا يعرف التمليك في الطعام
للاهل ولا يخطر ببال احد ذلك وقد عرفهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان علمه عند كل
احد معلوما اذ قل انسان الا يعلم ان يكون له اهل لا حب اوله اهل فلا يحتمل ان يظن باحد الجهل به حتى
يشك فيكون ذلك الزام الغرض مع رفع وهذا الجهل به عن العقول ثم لا يعرف بها والله اعلم
والذي يوضح هذا من طريق العبرة انه ذكر في ذلك اطعام عشرة مساكين والمسكنة هي الحاجة
وحاجة المسكين الى الطعام معلوم انما تكون الى اكله دون ملكه وجهات حاجات الاملاك
مما يعتري المساكين وغيرهم مع ما تقدر ذلك بالكفاية والشبع وحق ذلك في التقريب للتطعم
لا في التمليك عليه ولكن يجوز التمليك بما به التمكين لذلك صحب بذلك الجواز بكل ما فيه تمكين
ذلك بها او ما كان اذ جواز التمليك بحق التمكين لا بحق التصريح ما كان في تمليك الثمن الوصول الى
ما يختار هو على الوجه الذي يختار الاغتذاء فان ذلك اقرب الى قضاء حاجته ولو كان الامر على
تمليك الماكول خاصة لكان الثمن عادة التقريب اليهم بتمليك احق ان يجوز لوجهين احدهما انه اقرب
الى دفع الجوع وشدة المسكنة من تمليك بر لا يصل اليه الا بتكلف تحمل المؤنة وطول المدة والثاني
ان الكفارة جعلت بما ينفر عنه الطبع ليذيقه الم الاخراج من الملك والبذل فيكفر ما اعطى
نفسه من الشهوة التي لم يؤذن له فيها وكذلك جعل الحسنات المكفرة للسيئات ثم كان دعاء
المساكين وجمعهم على الطعام والخدمة لهم في القيام بما فيه الاختيار اليهم اشد على الطبع من التصدق
عليهم فيجب ان يكون اقرب للتكفير وفي ذلك يجوز بذل الثمن لما فيه تحمل المكروه على الطبع
كهو في الاطعام فيجوز معا اذ جعل ذلك حقا للمساكين يخرج من عليه بالتسليم اليهم عن طوع
منهم ويجوز مثله من الابدال في جميع الحقوق فمثله عن الكفارات والله اعلم على ان الله تعالى
قال فما استيسر من الهدي ويجوز فيه غير ذلك النوع وكذلك في كل الصدقات والله اعلم ثم
جعل ذلك اكلتين لوجهين احدهما التنزل بالطعام المساكين ثم اباحه بذهاب دفع المسكنة والمسكين
هو الخاضع فاحق من يستحق اسمه السائل لانه يخضع للمسؤول بالسؤال وقد روي عن نبي الله صلى
الله عليه وسلم انه قال في يوم الفطر اغنوهم عن المسالة في مثل هذا اليوم ثم كان اقل
ما اجزي فيه نصف صاع من حنطة فيلي ذلك صدقة المسكين ومثل ذلك اذا الحصر بكفي مرتين
وكذلك روي عن رسول الله في كفارة المتاذي ثلاثة اصوع بين ستة مساكين فمثل ستة ارطال
المسكين فيما اريد الاطعام القدر ذلك فمثله ما نحن فيه وذلك تقدير الاكلتين وبه قال
عمر وعلي والثاني انه قال من اوسط ما تطعمون اهليكم والاوسط في الاحد والثلاثة
يرجع ذلك الى اوجه ثلاثة احدها الى الاوسط من صفات الماكول والثاني الى الوسط
من مقدار الاكل والثالث الى الوسط من احوال الاكل فالاول نحو الاجود والادنى وبين
ذلك والثاني نحو الشبع والنقص وبين ذلك والثالث نحو مرة وثلاث مرات في يوم واحد
وبين ذلك فاذ لم يثبت في خبر ما اليه رجع المراد فحق الاحتياط ان يكون الوسط من الكل
فيخرج بما فرض عليه فلذلك وجبت الاكلتان مع ما كان لا يعرف حقيقة الواسط من الانواع
والمقادير لما لا منتهى لطرفيه وتقديره حقيقة عند الاكثر والاقل من الوقت فهو احق ان يعتبر
والله اعلم ثم كان الامر في الظاهر بالاطعام واجمع على رجوع الامر الى الحب واذ لم يذكر فهو
الله اعلم يحتمل ان يكون انتزع حده من حكم الكتاب من وجهين احدهما ان الاية اذا كانت
على ما يوكل ويطعم كان فيما عليه العرف ان لا احد يقرب الى اخر ما يطعمه فيقتصر على اقل

ما ينبغي إنفاقه وقد يتصدق بالقليل في الوقت فلذلك في الأمر به تحديد إذ كان مما يعرف
فيه التحديد ولذلك لم يذكر في التقييد حرفا مما ذكر في قصة المتأذي بالنبي في شعرها
ولا له الحد في لفظ الإطعام دلالة إذ فيه عرف وعلى هذا الأمر ما جاء من البيان في
الصدقات ولم يذكر في الإطعام الملكان النوازل وعلى هذا يجب أن يجوز الإطعام أيضا
وإن لم يكن فيه تمليك والله أعلم والثاني قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم ومعلوم أن كل شيء
له وسط فهو ذو حدود وأطراف على أنه ذو أن إطعام الأهل فيه الإشباع لا محالة فلذلك
وجب القول بالحد والله أعلم وإذا ثبت التقدير فيه بحق الخطاب يجب وصل ذلك به ليعرف
حقيقة المقصود والله أعلم فنقول كأنه قال إطعام عشرة مساكين إذ طعام عشرة في العرف
عبارة عن قدر طعامهم وإطعام عشرة عبارة عن فعل الإطعام وقد ثبت أنها ارتفقا جميعا
وكانا ذكرا مرصوفين ولو توهمنا ذلك لم يكن بحق حفظ العدد بل بحق حفظ مقدار ذلك العدد
من الصيام كان مدفوعا إلى الواحد أو أكثر والله أعلم لذلك أجاز أصحابنا جمع الكل في مسكين
واحد عشرة أيام ولم يجيزوا في يوم واحد إذ حق الأمر على أن يغدي ويعشي وإن كان بحق
الدفع لا بد حق الإطعام فيصير طعاما كان ذلك قدر طعام مسكين فيزول عنه المسكنة لكن
الإطعام فيه لا يجوز إذ صح كان حق ما ذكرت الجواز فيتساوى. فلعل ما يعترض فيمنع لا لأنه خارج
عن أن يراد له على ذلك وذلك كخروج بعض المساكين بعلل عن الدفع إليهم لا لأنه لو أجيز كان كالخلاف
للذكر فيلزم الأول والله أعلم وقيل آخر ما لم يجري ذكر عشرة لا لأن يجعل العشرة شرطا أنه
معلوم بالمعنى الذي له جعل الدفع إليهم أو الإطعام لهم سببا للجواز إذ أن ذلك ثبت بحيث
تحمل المكروه على التطبع وكف الهوى عن هتلها وإذاقة النفس مرارة الدفع لله جل ثناؤه
بكثير ما أتبعها هواها أو وصلها إلى مناها فيما خالف الله في فعله حيث لم يف بالعهد الذي
عاهد الله أو ألزم نفسه عنده أو منع عن الوفاء فيخرج فعله بخروج ما نقض العهد وخلف الوعد
بالله وذلك المعنى في البذل لا في مراعاة العدد ولا في أن كان حقا لهم قبل الدفع بل باختيار
الدفع إليهم جعلهم محققين فيه بماله إيثارا على غيرهم والخروج عن ذلك بالعتق والصيام الذي
لا يعود إليهم نفعه ولكن الكفارة إذا جعلت مما يغدي ويعشي ونحو ذلك إذا أريد الخروج به
منه لمسكين واحد يحتاج إلى تجديد الأيام ومرور الأوقات وفي ذلك خوف تتابع الذنوب عليه
ولعله بعجلة المنية فيبقى ذنبه غير مكفر فجعل الله له التفريق في المساكين تيسيرا عليه وتمكينا
من الخروج الذي يمكنه لا تفوت معنى ما له التكفير فلذلك يجوز على ما ذكرت وهذا الوجه
يوجب منع الجواز في يوم واحد والله أعلم ويقال فإنه متى أطعم مسكينا بقي عليه خطاب
إطعام تسعة وذلك لو ابتدأ الخطاب بتسعة مما يتضمن الخطاب فكذلك إذ كان نعدد
إسقاط الواحد من الخطاب والله أعلم ثم لو كان العدد شرطا لكان بوجود معنى العدد
في الواحد إسقاطه إذ ذلك في موضع التكفير والتطهير وكل ذلك يتعلق بالمعاني مما ذكرنا
من الأعداد نحو الغسل من الأحداث والجنابة والأنجاس فمثله الكفارة وبعد فإنه معلوم
أن لكل مسكين قدرا من الطعام ثم كان القدر الواحد بتفرق الأملاك عليه يستوجب حق
قدر الشرع فلي ذلك المسكين الواحد بما يتفرق عليه المسكنة كل يوم وتجدد الحاجة يصير
كعدد المساكين وذلك أيضا شبيه بما روي من الاستنجاء بثلاثة أحجار على استحقاق كل
حرف من ذلك حتى حجر على حدة من حيث كان غير مستنجى به فكذا أما يحتج به إذ له كل يوم من قوت

مسكين

مسكين آخر من حيث حدثت له حاجة لم تدفع بالإطعام الأول والله أعلم وليس كالأعداد في
الشهادة لما جعل الأعداد فيها بما يلحق الواحد تهمة أو له به منفعة التصديق أو نوع عبادة
في منع الحكم والقضاء وتسليم الأمر لغيره من الحجة وفيه هذا معنى التكفير وقد بينا ذلك كمعنى
التطهير في الذي وصفنا على أن الشهادة في اليوم الثاني إعادة للأولى والإطعام هو تجديد
الدفع والواحد قد يقوم في الشهادات مقام ما به إذ كان لكل حق التحديد والله أعلم ثم قوله
عشرة مساكين من غير ذكر القريب والبعيد أو المؤمن والكافر أو الصغير والكبير أو قدر
المسكنة أو العلم الذي به يعرف ومعلوم أن لكل جهة مما بينا حد بالناس إلى معرفته حاجة
وللناس في كل جهة تنازع والاجتهاد في الوقوف على الحقيقة على الاتفاق على أنه لم يحصل الأمر
على الأمر خاصة وإن الذي مر في حد التقييد فيما ذكر فيه المسكين والتقييد قام مقام المسكين هاهنا
في الجواز ليعلم أن المعنى فيه مقصود يجب طلبه والبحث عنه والله أعلم ثم أجمع أن الفقير
الذي يكفيه قدر التتمة لقوة الكبير لم يعتبر في حق الإطعام الأمر حيث لم يملك إذا اجتمع على
أقل المقدار منه والمثبت يكفي عشرة مثله ثبت أنه لا إلى مثله رجع الخطاب وأين ذلك قوله من
أوسط ما تطعمون أهليكم أن مثله لا يبلغ أقل ما يطعم الأهل على أنه لو أريد بالأهل الزوجة
لكان مثلها لا يطعمها الزوج فثبت أن المراد راجع إلى الخصوص والله أعلم والأصل في ذلك
ما يتبين من تمام التطبع بدفع مثله وإن يوم يبذل التطبع إلى أن ضاع مثله بل لا يحتمل إهماله
وبعد فإن مثله لا يطعم فثبت أن الأمر راجع إلى حد والله أعلم وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين
والولد أنه لا يجوز لأن الطبع يأبى تمسكن هؤلاء لا يهابه دفع المسكنة عنهم بل جعل الله تعالى
التطابع بين هؤلاء بحيث لا يحتمل نزول البلاء والشدة بهم وبحيث يجتهد كل بدفع الضر عنهم
على مثل الدفع عن نفسه وبذل المال لصون عرضهم حتى لقد يتهم من لم يتعاهد منهم ذلك ويلام
أعظم اللوم ولذا كان كذلك لم يتضمن هذا الأمر إذ هؤلاء لا يعدون بذلك بحق الطبيعة
لا بأمر وقد بينا وجه الكفارة أنها في مخالفة التطبع والله أعلم وعلى ذلك ما روي عن
عن الذي أمر بتفريق زكاته فأعطى ابنه فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا فلان لك ما نويت وقال للآخر لك ما أخذت ولو كان يجوز اختيار مثله لكان وكذا حيث
ما صار إليه وآثر ثم قد روي عن رسول الله أنه قال أنت ومالك لأبيك فلا يحتمل مع هذا
الجواز بالاختيار ويصير ما يدفع إلى ابنه كأنه له وما يدفع إلى أبيه كأنه لنفسه دفع فلذلك
لم يجز والأصل في هذا أن الزكوات إنما حقوق جعلها الله تعالى في الأموال لو جعل أحدها
بما ابتدأ الله عبده بالنعم وخصهم بإعطاء ما اشتهت أنفسهم ومالت إليه طباعهم فما
سنتأداه شكر ذلك بالذي جعل في طباعهم النفار عنه وفي أنفسهم الالتزام به من الإخراج عن
الملك ومعونة من لم يكرمهم به ولا نفر عليهم به والثاني أن يكونوا قد نقوا أنما بما أعطوا
أنفسهم مناها ووصلوا طباعهم إلى هواها فيما لوجه الذي أذن له في ذلك من هو له في
الحقيقة وهو الذي اختصهم فيفرض عليهم الخروج بما فعلوا من الوجه الذي في التطبع
النفار عنه وفي النفس الإكراه ليذيقوا أنفسهم بذل ما أعطوها من اللذة المرارة
لمن هو من المستحق بالمحل الذي يجد به هذا فهو متقابل ما له أكرم وجه أقرب ومن لا يجد
به هذا فليس له بمقابل ذلك فلم يف بحق الشكر ولا بحق التكفير فلم يخرج مما عليه من الفرض وإذ
كان الله يكرمه وجوده بحيث يرجى منه العفو منه والقبول منه والله أعلم وعلى ذلك عندنا

امر الزوجين اذ يوجد بينهما في البذل شهوة وميل الطبيعة ويكون التناكح بمثل على ما ذكر
من التناكح لاربعة اوجه احدها لمالها وما كذلك الموجود في الطباع والله اعلم وعلى
هذا المعنى يخرج امر الشهادة اذ هي موضوعة على دفع التهم عن المدعين فاذا رجعت منافعهم
الى حججهم تمكنت فيهم ذلك فلم يقبل وجملة ذلك ان الشهادة ودفع الزكوات والكفارات
بحق الامانات وهي بحيث لا تسع للامناء الانتفاع بها فكل وجه فيه انتفاع المؤتمن فانما له
الانتفاع به بالاجماع في العرف او بما في الطبع ايثار نفسه فكان له فيه ما جوز ان لم يجعل امينا
فلا تثبت له الامانة فيه والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة
له والله اعلم ثم الدفع الى الكفار اذا ابينا من ان يجوز جميع ذلك من حيث كان المعنى الذي له
يجب في الدفع اليهم او بحد من ثقل الطبع والهوى النفس وعلى ذلك اجزت عندنا الكفارات
وايد ذلك قوله ان تبدوا الصدقات الى قوله ويكفر عنكم من سيئاتكم صير الصدقات مكفرة
لما ذكر ثم يدل على ذلك ما قال اهل التفسير في قوله ليس عليك هداهم الاية ان ذلك في
التصدق على اهل الكفر اي لا يمنعك ذلك وكان على اثر الوعد بالتكفير بالصدقة فامكن ان
يكون امره في ذلك مع ما كانت الكفارات خصت بشرط المسكنة وتبيح في المسلم دفع السؤال
وان كان في الكفرة فجاز الدفع اليهم وجملة ذلك انه ذلك بما اختار من اعطاء النفس شهوتها
فيما لم يؤذن له فيكون كفارتها بالكف عن شهوتها فيما كان محل البذل بالذي كان ليسعه
منع ذلك وذلك المعنى موجود في ذلك على ان التصدق عليهم بعض ما يرغبهم في الاسلام لم يجز
المنع والله اعلم واما الزكوات فهي مخصوصة بما جاء من اضافة الدفع الى من يؤخذ من غنيهم
ولما بين اهلها وجعل عليها سعاة ليتخيروا المواضع وامر الكفارات جعل الى اربابها
والخروج عنها في تحري اهلها مع ما كانت الزكوات وجبت بلا كسب بحق الشكر وحق الشكر
الانفاق في الطاعة ثم كان الانفاق على من يتطوع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة
وعلى الكافر لا فيتصور عن شرط التمام لا في معنى الشكر والكفارة في حق اعطاء النفس الشهوة
فيمنعها باخراج ما بها شهوتها المنع وذلك المعنى موجود في الكافر على التمام لذلك اختلفا
ويعمل فان الزكوات تجب بلا ايجاب وقد قطع الله الحق الذي ذلك سبيله مثربتين لحلفى
الملك بحق المواريث والكفارات تجب بما اكتسبوا وبين الغريقين في الحقوق المكتسبة
اشتراك ولا قوة الا بالله والاصل في ذلك ان الزكوات اوجبت في الاموال حقا للفقراء
ثم هي تخرج الى من اوجبت لهم فما لم يعلم من اوجبت له لم يخرج على مثل حقوق المواريث للقرابة
وغير ذلك والكفارات ليست بواجبة في الاموال تخرج بل يسقط الى وقت الدفع والقيام
بالتكفير فان كانت له اموال دفعها منها والا ليست عليه فصارت الحقوق كانها بالدفع
تتم اذ لو تم وقت الوجوب له الغنى عن الفقر لكان الامر لا يختلف واذا كان كذلك وله
ابتداء التصدق عليهم بحق التطوع والنذور وغيرهما يجوز فيهم والزكوات اذا الدفع منها
تسليم الى من كان له الحق احتيج في ذلك الى ... ذلك والله اعلم وصدقة الفطر بحق الطهارة
الشرور ودفع السؤال كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغنوهم عن المسئلة
في مثل هذا اليوم لا بحق ما كان جعل في ماله يخرج منه بل بحق المعونة وذلك لا ذكر في العقول
لكل سائل وبخاصة في الدفع اليهم ليستمتعوا هم بما فيه سرور اهل الاسلام والله اعلم
وايضا ان الزكوات اوجبت في الابتداء حقا للفقراء اذ الله سبحانه وتعالى اخرج ارزاق

الخلق اخلاقا لبعضهم والزمهم تحمل كفاية من ترعايلهم واغنى تلك الاموال اذ لم يخلق ابتدا
الخلق لهم الجملة واذا كان تحمل الزكوات في الابتداء وجعل لاهلها بها الغنى واهل الكفر ابوا
قبول الدين الذي ذلك حق جعل للمحتاجين في اموال الاغنياء فلم يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق
بل لو كان كان في اموال اغنيا معشرهم ولاهل الاسلام اذ ذلك الحق في اموال اغنيائهم ذكر ذلك
من عليهم الحق فلوله مالدين لاهله لم يدخل في ذلك غيرهم ثم كانت الكفارات والنذور ونحوها
ليست بمجعولة بالدين لحق الفقراء وانما هي واجبة بما على من لزمهم ليتقربوا بها الى ربهم ويكفروا
بها مما جنوا على مذهبهم وقد جعل ذلك في جملة الصدقات وفي انواع العبادات التي لا عبادة
فيها لمنافع الخلق فثبت انها لم تجب لهم وانما الشرط عليهم فيها ما يكون عبادة وقربة الى
الله تعالى وقد جعل الله في الدفع الى مساكينهم قربة وعبادة فجازت وعلى هذا يخرج قولنا
في العتق على ان قولنا بجميع المخالفين لنا في هذا اولى لان مذهبهم اعتماد العموم الا في قدر
ما يمنعهم عن ذلك والعموم يجمع الرق لكلهم باسم المساكين والتحرير للرقبة ولا دليل
لهم على الخصوص لا ضرب من القياس ومن مذهبه ان اخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب
خصوص ذلك فكذا يلزمهم ان لا يخصوا الوجود والتخصيص في غيره اذ ذلك انهم على انهم
اجمعوا ان لا بتاس ما التبس فيه ذكر التتابع على المذكور فمثله امر الايمان وجملته انه قد يجوز في
العتق مع قيام كثير من العيوب التي لا تحتمل التغير فعيب الدين الذي يمكنه احق وكذلك من قول
الجميع ان العجز بالمرض عن المكاسب لا يمنع اذ هو قد يزول فالذي لا يجزيه ويمكنه اختياره
احق ان يجوز والله اعلم ثم الاصل ان الله في الكفارة التي جعل الايمان فيها شرطا ذكر العتق في
ذلك في قتل ثلاث فرق وذكر في كل مرة تحرير رقبة مؤمنة لم يدع ذكر ذلك في شيء منها للذكر في نوع
من ذلك على قرب ما بين اولئك الاسباب فلو كان يحتمل الاقتصار على بيان الكفاية دون المبالغة
او يجب ذلك في النظر لكان يذكر مرة كفاية على نحو الصوم فيه فاذ لم يكتف على نعتا ولا بالمعنى
بان ان ذلك نوع ما لم يؤذن فيه تعليق الحكم بالمعنى بل لو كان ما ذكرنا فيه لكان يوجد في القتل
معان لا توجد في غير ذلك فلا يجوز قياس غيره عليه والله اعلم فان قال قائل اذ ما لسانه
من عمل شبهة فلا يجزي الا مثلها ثم قد جعل شبهة الظهار والقتل عتق رقبة وبالصيام صوم
شهرين متتابعين فكيف جعل مثل شبهة الحنث بالعتق عتق رقبة وبالصيام ثلاثة ايام
فلو كان ثلاثة مثل العتق فاذا زاد في الظهار والقتل في الجزاء نقول وبالله التوفيق
لذلك اجوبة ثلاثة ان الجزاء في الدنيا هو مما يجوز به المحنة ابتداء لا على الجزاء فعلى ذلك
يجوز فيه الزيادة بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو كما قال عز وجل ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفي الاخرة لا يكون بحق ابتداء المحنة انما
ذلك بحق الجزاء ومن عز وجل حكيم عدل لا يزيد على ما توجبه الحكمة ويجوز التجاوز بما هو عفو
كريم فلذلك اختلف الامران والثاني ان يقال حق جزاء كل ما فيه العتق صيام شهرين متتابعين
وبه العفو فيه عامل الحانث فرضي منه بصوم ثلاثة ايام لما علم عز وجل في ذلك من المصالح
والله اعلم والثالث ان يكون حق الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر وكذلك في القتل والظهار
وفيهما حق العتق كذلك وفي اليمين دون ذلك ثم ما لا يحتمل التجزية على حق كل شيء لا يتجزى
ان جزا منه متى وجب لا يجب كله فعلى ذلك العتق والله اعلم ثم نقول وظاهر هذا اشتهب
لابي يوسف ومحمد انه متى اوجب جزا منه عتق كله اذ لا يحتمل التجزية ودليله امر الكفارات

٥٠٩

والله اعلم ومذهب ابي حنيفة انه يحتمل ان يكون هذا لما لا يحتمل العتق التجزي ويحتمل
ان يكون لما لا يحتمل حقوق العتق التجزئة وان كان العتق في نفسه محتملا فيجب عرض ذكر
على ما فيه بيانه فوجدنا الامر بالتحرير حيث كان مذكورا برقبة ولو كان لا يحتمل من حيث
التحرير التجزئة لكان ذكرا لتحرير كافيا عن ذكر الرقبة فان ذكره في كل ما امر بانه ذكره
ليتم بالاعتاق لانه ثم بلا ذكر نعلي ذلك امر الطلاق لم يذكر فيها معنى رقبتها لما لا يحتمل والله
اعلم تبعض ذلك ثم كانت الحقوق ترجع الى الانتفاع او قول او منفعة او نحو ذلك لا يحتمل
نعود من المعتق منه دون غيره ثبت ان ذلك اذا كان كذلك فهو لما لا يحتمل حقوقه الكمل
او في ترك الاكمال من نوع ما اوجب والله اعلم ثم قد يجوز اعتاق الجزء من حيث كان
الملك والحرية باخذ الفيء والمنافع تتصل الى المباشرة والمباشرة لا يحتمل التجزي في
التوزيع والملك فيه جملة يحتمل لذلك اختلفا وعلى ذلك امر الطلاق لا يملك ثم في التفصل انما
حقيقة المباشرة والانتفاع وذلك لا يحتمل الجزء المطلق منها اوجب دون غيره فلذلك الكمل
والله اعلم و **قوله** يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس
الاية عن ابن عباس قال الميسر القمار وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا هذه الكعاب
الموسومة التي يزجر زجرا فانها من الميسر وعن ابن مسعود مثله وعن ابي موسى قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وعن ابن عمر رضي الله عنه
قال الميسر القمار وعن علي رضي الله عنه قال لان اخذ جمرتين من نار فاقلبهما في يدي احب الي
من ان اقلب كعبتي نرد وعن علي رضي الله عنه قال الشطرنج من ميسر الاعاجم وعن مجاهد
وسعيد بن جبير والشعبي وهؤلاء السلف قالوا الميسر القمار كله حتى الجوز الذي يلعب به
الصبيان وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط في
الاسلام وقيل الوراط القمار وقيل الجلب هو ان يجلب وراء الفرس حتى يدنو او يحرك
وراءه الشيء يستحث به السبق والجنب هو الذي يجنب مع الفرس الذي يسابق فرس
اخر حتى اذا دنا تحول راكبه الى الفرس المجنوب فاخذ السبق واجمع اهل العلم على ان القمار حرام
وان الرهان على المخاطرة مثل القمار وما روي عن ابي بكر انه خاطر اهل مكة في غلبة الروم
فارس فقال النبي صلى الله عليه وسلم زد في الخطر وابعد في الاجل فكان ذلك والنبي صلى
الله عليه وسلم بمكة في الوقت الذي لم ينفذ حكمه فاما في دار الاسلام فلا خلاف في ان ذلك لا يجوز
الا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والابل اذا كان الاخذ واحدا ان سبق اخذ
وان سبق لم يدفع شيئا وكذلك ان كان السبق بين الرجلين ايهما سبق اخذ ودخل بينهما فرس ان
سبق اخذ وان سبق لم يغرم صاحبه شيئا فهو جائز ويسمى الداخل بينهما المحلل فاما الرخصة
فيه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا في خف او حافر
او نصال هذا الذي وصفنا كله من الميسر والانصاب هي الاحجار والاوثان التي كانوا ينصبونها
ويعبدونها ويذبحون لها واما الازلام فالقداح التي كانوا يستقسمون بها في امورهم ويستعملونها
فيه دليل بطلان الحكم بالقرعة لان الاستقسام بالقداح هو ان كانوا يجعلون الثمن على الذي
خرج سهمه اخيرا ويتصدقون بما اشتروا على الفقراء ففيه ايجاب الثمن على الغير فيجعلون
الامر الى من ليس له تمييز فهو يبنوا على ذلك فيلي ذلك الحكم بالقرعة تسليم الى من ليس له تمييز
بين المحق وغير المحق فيلحق هذا اما لحق او لذلك ثم اخبر ان ذلك كله رجس من عمل الشيطان

ودليل

٥١٠

دليل على انه في الحقيقة عمل الشيطان لان الشيطان لا يفعل هذا حقيقة لكن سبب ذلك انه لما
يدعوهم الى ذلك ويزين لهم وكذلك قول موسى صلى الله عليه وسلم هذا من عمل الشيطان انه
كذا وكذلك قوله فاخرجهما مما كانا فيه وهو لعنة الله عليه لم يتولى اخراجهما ولكن كان سبب
الاخراج والازلال وهو الدعاء الى ذلك والتزيين لهم فنسب ذلك اليه والله اعلم و **قوله**
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر هو في الظاهر لم يجتمعوا
على العداوة والبغضاء بل يكون اجتماعهم على الالفة والمودة على ذلك يجمعهم في الابتداء لكن لما
شربوا واخذ منهم الشراب وقع بينهم العداوة والبغضاء فكان قصده الى جمعهم في الابتداء
على المحبة والمودة ما ظهر منه في العاقبة من ايقاع العداوة بينهم وتفريق جمعهم ومن كثرته يدعوهم
الى عذاب السعير ولو دعاهم الى عذاب السعير لكانوا لا يجيبونه لكن دعاهم الى العمل الذي
يوجب لهم عذاب السعير فعلى ذلك هو يدعوهم الى الاجتماع في الخمر والميسر الى ما يوجب
ويقع بينهم العداوة والبغضاء فيه ان الاعمال ينظر فيها العواقب كما روي الاعمال بالخواتيم
وفي الاية دليل تحريم الخمر لانه قال رجس من عمل الشيطان والرجس حرام كقوله فانه رجس او
فسقا وما يدعو اليه الشيطان ايضا حرام وكذلك قوله قل فيهما اثم كبير والحلال المباح لا اثم
فيه ولا يسمى رجسا وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قام يخطب الناس فقال
يا ايها الناس ان الله يعرض في الخمر فلعله سينزل فيها ثم قال يا اهل المدينة
ان الله قد انزل تحريم الخمر فمن كتب هذه الاية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبيعها قال
فسكبوها في طرق المدينة وعن عمر رضي الله عنه قال لما انزل تحريم الخمر قال عمر اللهم بين
لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر فقرئت عليه فقال
عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في النساء لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
فكان منادي رسول الله اذا اقام الى الصلاة قال لا يقرب الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت
عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الاية التي في المائدة انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ فهل انتم منتهون قال
انتهينا انتهينا وعن انس بن مالك قال كنت ساقي القوم نبيذا من تمر وزبيب وبسر خلطنا
جميعا فبينا نحن كذلك والقوم يشربون اذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال ما تصنعون
والله لقد انزل تحريم الخمر فاهرقنا الباطية وكفأناها ثم خرجنا فوجدنا رسول الله قائما على
المنبر يقرأ هذه الاية ويكررها انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى
قوله فهل انتم منتهون فالخليطان حرام فاجمع اهل العلم على ان الخمر حرام قليلها وكثيرها
وان عصير العنب اذا غلا واشتد فصار مسكرا خمرا واختلفوا فيما سوى ذلك من الاشربة
فكان ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله يقول لان ما كان من الاشربة نيا متخذا من النخلة
والعنب فهو حرام كنبيذ البسر والتمر والزبيب اذا اسكر كثيره فهو حرام عندهما وعلى
ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخمر من هاتين الشجرتين من النخلة والعنب
ومعنى التخصيص لهما لان شرابهم كان منهما ولا يتخذ منهما الا المسكر خاصة واما ما اتخذ
من غير النخلة والعنب فلا يحرم وان كان نيا الا المسكر منه لان غيرهما من الاشربة قد
يتخذ لا للسكر وان كان في مكان لا يتخذ الا للسكر فهو مكروه قليله وكثيره كالمتخذ من النخلة
والعنب وكانا يقولان ما كان من الاشربة مطبوخا فهو حلال وان قل طبخه الا العصير

فانه لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكانا يفرقان بين العصير وغيره بان العصير
لم يبق فيه شيء من غيره وان ترك بحاله غلا فاسكر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثه او نصفه فهو يغلي
ويسكر فلم تخرجه الطبخ من حد الاول اذ كان يسكر قبل ان يطبخ وهو الآن يسكر بنفسه اذ لم يخالطه
شيء غيره من ماء او ما يتخذ منه الانبذة ان ينبذ فيه تمر او زبيب ثم يشتد ولم يسكر حتى يلقى عليه الماء ويخالط
بها غيره فحينئذ يسكر فهي مثل العصير اذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه الا ان يبقى وهو لم يسكر حتى
يلقى عليه الماء فحينئذ يسكر فاذا صار العصير في حال ان بقي مدة لم يغل بنفسه حتى يلقى عليه غيره
كان بمنزلة الزبيب والتمر اذا القي عليهما الماء فنظيرها في ذلك ما روي عن عمر في الطلاء انه
لا يحل حتى يذهب ثلثاه فيذهب عنه سلطانه يقول اذا كان يغلي بنفسه من غير ان يصب عليه
الماء فيه سلطانه فاذا صار لا يغلي بنفسه ومن ان يطبخ حتى يذهب ثلثاه فقد ذهب عنه
سلطانه وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ابا عبيدة ومعاذ بن جبل وابا طلحة كانوا
يشربون من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وقد وصفنا فرق ابي حنيفة وابي يوسف بين
المطبوخ وبين المثلث والمنصف من العصير فاما فرقهم بين المطبوخ مما يتخذ من النخلة
والعنب والني منه فهو ان الخمر التي لا خلاف في تحريمها هي العصير التي تصير خمرا فكل ما كان نيا
من الشجرتين اللتين سماهما النبي صلى الله عليه وسلم فهو حرام اذا اسكر فاذا كان مطبوخا فقد عمل
فيه عمل خرج به من حد الخمر فانه قيل يجب ان يقاس ذلك على الني لانه يسكر وفيه صفات الخمر قيل
الخمر حرمت لعينها لما لا يتخذ الا للسكر ولا يقاس عليها غيرها وانما يقاس على ما حرم وحل لعلة
دون ما حرم بعينه واما غيره من الانبذة فانما يحرم منه المسكر والذي يدل عليه في الخبر ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابا يقال
له البتع فما نشرب منه وما ندع قال اشربوا ولا تسكروا وعن ابن عباس قال حرمت الخمر
بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب وعن علي قال فما اسكر من النبيذ ثمانين وفي قليلها
وكثيرها ثمانين فدل قول علي فيما اسكر من النبيذ ثمانين معناه في السكر ثمانون وذلك يدل ان
قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان السكر منه حرام وعن عمر انه اتي بسكران فقال
يا امير المومنين انما نشرب من نبيذ كان الذي في الاداوة فقال عمر لست اضربك على النبيذ
انما اضربك على السكر فهذه الاخبار التي ذكرنا دلت على تحريمها لانه اذا اسكر صده عن ذكر الله
وعن الصلاة **وقوله** واطيعوا الله واطيعوا الرسول في تحريم الخمر والميسر والانصاب والا
زلام وغيره واحذروا معصيتهما وخلافهما فان توليتم عن طاعتهما فيما حرم عليكم وحذركم عنه
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين في تحريم ذلك والله اعلم **وقوله** ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر قبل تحريمها اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم
وامنوا اي صدقوا بتحريمها ثم اتقوا شربها وامنوا في حادث الوقت ثم اتقوا واحسنوا وذكر
في بعض القصة انه لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
فنزل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية لكن هذا لا يحتمل ان
يكون كما ذكر لانهم شربوا الخمر في وقت كان شربها مباحا ولم يشربوا بعد تحريمها لكن هذا ان
كان قالوا قالوا اي نصيبهم فنزل اي ليس عليكم جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد ان اتقيتم شربها
بعد نزول حرمتها والله اعلم وقال بعضهم ان المراد في الاية تكرار في قوله اذا ما اتقوا وامنوا
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين لكن لا وجه فيه ما ذكرنا لبني على التكرار والله اعلم

وقوله يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد وليس فيه بيان انه ابتلي بالامر فيه او بالنهي
لكن بيانه في اية اخرى ان الابتلاء انما كان بالنهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا
دل هذا على ان المحرم كان منهيا عن الاصطياد وان الابتلاء الذي ذكر في الاية كان بالنهي عن
الاصطياد والله اعلم ثم اختلف في الاية قال بعضهم النهي شيء من الصيد لاهل الحرام الا يرى
انه روي في الخبر قال لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها فكان الابتلاء بالنهي عن
الصيد لاهل الحرم لما اخبر انه لا ينفر صيدها واما المحرم فانما نهي عن الاصطياد بقوله واذا
حللتم فاصطادوا وبقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال اخرون الابتلاء بالنهي عن الاصطياد
للمحرمين وفي قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهي عن قتله وههنا كان نهي عن اخذه بقوله تناله
ايديكم وقوله بشيء من الصيد اي في بعض الصيد دون بعض لان المحرم لم ينه عن اخذ صيد البحر
وانما نهي عن اخذ صيد البر بقوله احل لكم صيد البحر قال الله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما فذلك معنى قوله بشيء من الصيد والله اعلم ويحتمل على التقديم والتاخير كانه قال
ليبلونكم الله بشيء تناله ايديكم ورماحكم من الصيد والله اعلم ثم اختلف في قوله تناله ايديكم
قال بعضهم ما تناله الايدي هو البيض وعلى هذا يخرج قولنا ان المحرم منهي عن اخذ البيض
فان اخذ بيضا فان عليه الجزاء والذي يدل على ذلك ما روى ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيض النعام صيام يوم او اطعام مسكين وعن كعب بن عجرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نعام اصابه محرم بقيمته وعن ابن عباس عليه قيمته او ثمنه
وعن ابن مسعود مثله وقال بعضهم تناله ايديكم هو صيد الصغار وهي الفراخ التي لا تطير
فيوخذ بالايدي اخذا وقوله ورماحكم قال بعضهم ما رميت وطعنت وقيل في قوله تناله
ايديكم ما يوخذ بغير سلاح ورماحكم ما يوخذ بالسلاح من نحو النبل والرماح وغيرهما من السلاح
وفي الاية دلالة ان المحرم قد نهي عن اخذ الصيد وكذلك في قوله واذا حللتم فاصطادوا
والاصطياد هو الاخذ لا القتل وانما النهي عن القتل في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
وقوله ليعلم الله من يخافه بالغيب ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا او ان يقال ليعلم ما قد علم
غائبا عن الخلق شاهدا كقوله عالم الغيب والشهادة الاية **وقوله** من يخافه بالغيب
اختلف فيه قال بعضهم يخافه بالغيب بغيب الناس اي يخافه وان لم يكن يحضره احد وقال
اخرون يخاف العذاب بالاخبار وان لم يشهده ويصدق والله اعلم **وقوله** فمن اعتدى
بعد ذلك اي من استحل قتل الصيد بعد ما ورد النهي والتحريم فله عذاب اليم والثاني من
اعتدى على الصيد بعد النهي على غير استحلال فله عذاب اليم ان شاء عذب وان شاء عفى
واذا عذب كان عذابه اليما **وقوله** يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي
وانتم محرمون الاية في ظاهرها عامة على قتل الصيد كله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رخص في اشياء واذن في قتلها فقال خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم في الحرم
الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وعن عايشة رضي الله عنها قال
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم الحداة والغراب
والفارة والعقرب والكلب العقور وفي بعض الاخبار والذيب فيحتمل ان يكون الكلب
العقور الذيب وروي عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم
فقال الحية والعقرب والفويسقة ويرمي الغراب والحداة والكلب العقور والسبع

الفأرة والكلب العقور الذي أمر المحرم بقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الأسد والنمر والذئب
وما كان من السباع لا يؤذي مثل الضبع والثعلب والهر وما أشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم
فإن هو قتل شيئا منهن فداه وإن قتل شيئا من الطير سوى ما ذكر في الخبر فعليه جزاؤه وفي بعض الأخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل المحرم الفأرة فإنها توهن السقاء وقال بعض الناس
ما قتل المحرم من السباع التي لا يؤكل لحمها فلا فدية عليه فكان تاركا لظاهر الآية وهو قوله لا تقتلوا
الصيد وأنتم حرم فإن احتج بحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمحرم في قتل خمس من
الدواب وذلك مما لا يؤكل لحمه قيل أباح النبي صلى الله عليه وسلم قتل الخمس لعلة أنه لا يؤكل لحمها
فإن قال هو قيل ما الدليل على ذلك فإن قال لأنها لا تؤكل فكل ما لا يؤكل من الصيد فقتله مباح
فيقال له هو لك لا يؤكل ليس بعلة لأن ذلك لا يزول ولا يتغير والعلة هي التي تحدث في وقت
وتزول في وقت ولو كان قول القائل لا يؤكل علة فيما لا يؤكل كان قوله يؤكل علة فيما يؤكل وكان
النفي علة لنفيها وهذا بين الخطأ وإذا لم يكن تحريم أكل الخمسة التي أذن النبي صلى الله عليه
وسلم في قتلها للمحرم علة في إطلاق قتلها كان القياس عليها فيما لا يحل أكله مخطئا لأن القياس
إنما يكون على العلل وما لا علة فيه لا يجوز القياس عليه وعندنا أن هذه الخمسة المسماة تبتدئ
المحرم وغيره بالأذى وإن لم يبتدئها المحرم وما في معنى ذلك مما لا يؤكل لحمه لا يكاد يبتدئ بالأذى
حتى يبتدئها الإنسان بحيث يعرض له وبيان ذلك أن الحدأة ربما أغارت على اللحم يراه في
يدي الرجل والغراب يسقط على دبر الدواب فيفسده والعقرب تقصد من تلدغه وتتبع
حسه والكلب العقور لا يكاد يهرب من الناس كما يهرب السباع سواه فأما الضبع والخنزير
والكلب والذئب وأشباهها فإنها تهرب من بني آدم ولا تكاد تؤذيهم حتى يبدأها بالأذى
جعلنا العلة فيما رخص النبي صلى الله عليه وسلم للمحرم في قتله ما يعرف من قصدها لأذى المحرم
وإن لم يؤذها المحرم إذ كان ذلك معروفا منها معلوما أنه أكثر شأنها فلم يكن في سائر الطير المحرم
والسباع هذه العلة وكان المعروف منها أنها لا تبتدئ بالأذى لم يجز أن تشبه بالخمسة المسماة
في الخبر فإذا ابتدأ منها مبتدئ المحرم بالأذى كان حينئذ مثل الخمسة يجاز له قتلها بغير
فدية وبعد فإن الذي لا يؤكل لحمه يسمى صيدا وإن الصياد يصيدونه فكان داخلا
تحت عموم الخطاب ومخالفنا تارك لأصله في العموم لأنه خص الآية بغير دليل ومن أصله
أن الآية على العموم لا يخص إلا بدليل وأصحابنا يجعلونه الصيد كله محظورا أكل أو لم يؤكل إلا
ما عدا منها فإن قتله قبل أن يعدو عليه لزمه الفداء وذهبوا في ذلك إلى ما روي في الخبر عن أبي
سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتل المحرم كذا وكذا والسبع العادي
فالعادي ما يعدو على المحرم إلى ما روي عن علي بن أبي طالب وغيره مما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه جعل على المحرم في قتل ضبعا جزاءه وكذلك روي عن عمر وابن عباس وابن
عمر وهي مما يؤكل وعن جابر قال سئل النبي عليه السلام عن الضبع فقال هو صيد وفيه كبش
وعن عمر كذلك وابن عباس وابن عمر كذلك وقوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم اختلف في الآية في تأويلها على وجهين فأحدهما من حمل الآية على ظاهرها فلم يوجب
في الخطأ كفارة عن ابن عباس قال إذا أصاب المحرم الصيد خطأ فليس عليه شيء وكذلك
روي عن عطاء وسالم والقاسم الفقهاء قالوا الآخر عليه مثل قول ابن عباس والقول الثاني
ما قاله أكثر أهل التأويل قالوا قوله ومن قتله منكم متعمدا لقتله ناسيا لإحرامه فذلك الذي

يحكم عليه ومن المكفر وإن قتله متعمدا لقتله ذاكرا لإحرامه لم يحكم عليه وكذلك روي عن
الحسن أنه قال متعمدا لصيده ناسيا لإحرامه وقال ومن عاد فينتقم الله منه متعمدا
للصيد وذاكرا لإحرامه فكالفقهاء ذهبوا إلى أن المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو ذاكر لإحرامه
أحسنوا الظن به وعندنا أن الإحرام مما لا يجوز أن يخفى على المحرم وينساه لأن للإحرام أعلاما
تذكره تلك الأعلام الحال التي هو فيها وعندنا أن ما لا يجوز أن ينسى ويخفى على المرء لم يعذر
صاحبه في نسيانه وعندنا أن على قاتل الصيد الكفارة عمدا قتله أو خطأ وليس يخلو الأمر
من أن تكون أوجبت الكفارة على المتعمد للقتل ذاكرا لإحرامه فإن كان وجب أن يكفر من قتله
عامدا للقتل ناسيا لإحرامه فإن الذي يقتله عامدا للقتل ذاكرا لإحرامه أولى بالكفارة لأن ذنبه
أعظم وجرمه أكبر فإن قيل إنكم لا توجبون الكفارة على قاتل النفس عمدا فما منع أن يكون قتل
الصيد مثل ذلك وإن كان حرمته أعظم كما قيل إن قاتل النفس عمدا وإن كنا لم نوجب عليه
الكفارة فقد أوجبنا عليه القصاص وهو أغلظ من الكفارة وقاتل الصيد عمدا لقتله ذاكرا
لإحرامه لو أزلنا عنه الكفارة فلا شيء عليه سواها لذلك اختلفا ثم نقول إنا عرفنا الحكم
في قتل الصيد عمدا بالكتاب والحكم في قتل الصيد في الخطأ إنما يعرف بغيره وليس في ذكر
الحكم وبيانه في حال دليل نفيه في حال أخرى ودلنا على هذا أشياء قد ذكرناها فيما تقدم في غير
موضع كرهنا إعادتها في هذا الموضع ثم تخصيص ذكر الكفارة في قتل العمد يحتمل وجوها أحدها
أن الكفارة في قتل النفس إنما ذكرت في قتل الخطأ ولم تذكر في قتل العمد ليعلم أنها إذا أوجبت
في العمد فهي في الخطأ أوجب والثاني أن الكفارة إنما وجبت بجنايته على صيد آمن به في الحرم
وكل ذي أمانة إذا أتلف الأمانة لزمه الغرم عمدا كان إتلافه أو خطأ فعلى ذلك هذا
والله أعلم والثالث أن ذكر التخيير في حال الضرورة فذكره في غير حال الضرورة على
أن ذلك كالمذكور في حال الضرورة وقوله فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل
منكم اختلف أهل العلم فيما يجب من المثل فقال قوم في الظبي شاة وفي النعامة وفي حمار الوحش
بقرة وأشباه ذلك وقال آخرون المثل قيمة الصيد يقومه عدلان فيخرجان قيمته دراهم
فيشتري بتلك الدراهم شاة أو يجعله طعاما فيتصدق به على كل مسكين نصف صاع أو
يصوم عن كل نصف صاع يوما وقال غيرهم إن بلغ دما ذبح شاة وإن لم يبلغ دما تصدق
به وأما قولنا إن المثل هو القيمة لا المثل في الرأي العين ذهبنا في ذلك إلى وجوه أحدها
أن المحرم لو أصاب صيدا في هذا الوقت حكم بجزائه حكمان فلو كان مثل الظبي شاة في كل الدهور
والأوقات كان ما جعله ما تقدم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من الحكم في ذلك
كافيا لا يحتاج إلى حكم غيرهم فدل اجماعهم على أن حكم الحكمين باق على أن المثل غير مؤقت
بل هو مختلف على قدر الأزمنة والمواضع والأوقات وإذا جعلنا المثل قيمة كانت الحاجة
إلى الحكمين قائمة وإذا جعلناه هديا فلا حاجة إليهما وأيضا ولا يجوز أن يبطل أمر الحكمين
وقد ذكره الله تعالى في كتابه والثاني ما أجمعوا عليه أن ما لا مثل له في الأنعام من الصيد
إذا أصابه المحرم فعليه قيمته فإذا كان المثل في بعض الصيد قيمته فهو في كل الصيد قيمته
وكذلك روي عن ابن عباس وغيره من السلف الفقهاء لذلك فإن قيل ما لا مثل له من
النعم لا يمكن فيه إلا القيمة فيل له فيجعل ذلك مثلا فإن قال بل قيل فقد صارت القيمة
مثلا في بعض الصيد فما منع أن يكون مثلا في كل الصيد فإن قال المثل هو الهدي فيما له

مثل فاما ما لا مثل له من الهدايا فليس الواجب فيه بمثل انما ذلك قيمة ولم يجب ذلك بنص
الكتاب وانما وجب بنقل الكتاب المثل من الهدي فاما ما لا مثل له فانما وجب قيمته بالاجماع
قيل له حدثنا عن قول الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم هل دخل في عموم الآية الفرخ ونحوه
فيكون منهيا عن قتله فان قال نعم قيل فاذا دخل الفرخ في عموم النهي عن قتل الصيد فهو
ايضا داخل في عموم قوله ومن قتله منكم متعمدا الآية فان قال لا يدخل الفرخ في عموم قوله
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم قيل له قد قال الله تعالى ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم
ورماحكم فروي ان ذلك في البيض والفراخ فان لم يجعل الفراخ ولا شيئا منها داخلا في الآية
فما معنى الآية ونحن لا ننال بايدينا من الصيد الا ضعافه وما يعجز عن الطيران والعدو ومنه
فالآية توجب ان الصيد كله قد دخل في عمومها ما قلت قيمته وما كثرت وذلك يوجب ان
يكون الواجب من قيمة الفرخ والعصفور مثلا والله اعلم ولان النعامة لا مثل لها من
النعم فمن اوجب فيها بدنة فقد اوجب فيها ما ليس بمثل لها ولا نظير ومن اوجب فيها
قيمتها فقد اوجب مثلا لها فهو موافق للنص عندنا والله اعلم وكذلك الموجب في الحمامة
شاة لا تشبه الصيد المقتول في عينه ولا في صفته ولا في جنسه فهو غير موجب المثل
بل الموجب فيه القيمة اقرب الى ايجاب المثل فيه والله اعلم فان قيل كيف يسمى قيمة الشيء
مثلا وليست من جنسه وانما المثل ما كان من جنسه قيل قد ذكرنا ان قيمة ما لا مثل له
من النعم تسمى مثلا ولان الله تعالى قال او عدل ذلك صياما واذا جاز ان يسمى الصيام
عدلا للطعام جاز ان يسمى القيمة عدلا للصيد وانما صار الصيام عدلا للطعام بالتقويم
والمثل والعدل في المعنى متقارب والله اعلم ولان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل
منكم ولو كان المراد من المثل المنظور في رأي العين لم يكن لشرط ذوي عدل فيه معنى لان
المثل في رأي العين يعرفه كل احد ببصر فيه او لم يكن فدل ما شرط من نظر ذوي عدل
ما يخفى فيه ويخفى لا ما ظهر والله اعلم و **قوله** يحكم به ذوا عدل منكم تأويله ما ذكرنا ينظر
الى رجلين عدلين لهما بصر ومعرفة في ذلك فيقومانه ثم يشتري بها هديا ان شاء اهدى
وان لم يبلغ هديا قومت الدراهم طعاما فان لم يجد صام مكان كل نصف صاع يوما وروي
عن ابن عباس كذلك والحسن وابراهيم والقاسم والسلف جملة وعندنا انه مخير بين هذه
الاشياء الثلاثة يفعل اي هذه الثلاثة شاء لان الله تعالى قال في المحصر ولا تحلقوا رؤوسكم
حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة
او نسك ولا خلاف بينهم في ان لصاحب الفدية في حلق الرأس ان يفعل اي هذه الثلاثة شاء
فالواجب ان يكون في جزاء الصيد مثله لان الخطاب خرج على حرف التخيير وكل خطاب
خرج على حرف التخيير وكان سبب وجوبه واحدا فهو على التخيير نحو كفارة اليمين وما ذكرنا
في رفع الاذى عن رأسه والله اعلم و **قوله** هديا بالغ الكعبة شرط بلوغ الكعبة
وهو لا يبلغ نفس الكعبة فدل ان المراد بلوغه قرب الكعبة وعلى هذا يخرج قولهم
فيمن حلف ان لا يمر على باب فلان فمر بقرب بابه حنث استدلالا بقوله هديا بالغ الكعبة
لم يرد به بلوغه عين الكعبة ولكن قربها او مكانها فكذلك هذا والله اعلم وكان محمد
بن الحسن يقول يحكم عليه بمثل من النعم حيث كان وابو حنيفة رحمه الله يقول يحكم عليه
بقيمة الصيد في الموضع الذي اصابه فيه واختلافهما في هذا يرجع الى ما اختلفا فيه من

المثل عينا او قيمة وقد روي عن عمر وعبد الرحمن وغيرهما انهم حكموا في الظبي شاة ولم
يسألوا عن الموضع الذي اصيب فيه فذلك تركهم السؤال عن ذلك ان المواضع كلها كانت
عندهم سواء والفقراء اجروه مجرى الكفارات دون القيم لا يعتد لواجد ذلك مجرى ضمان
القيم لتلف انواع اماكن الجنايات اذ كان الصيد يختلف قيمته ولا يستوي في ذلك الاماكن
كلها فهذا ابو يزيد قول محمد ومن وافقه واما عند ابي حنيفة رحمه الله ان المهلك للمحرم في الصيد
وكل من اتلف هلك اخر وجني على مال احد وانما ينظر الى قيمته في المكان الذي اتلفه فعلى ذلك
النظر في الصيد الى المكان الذي اصابه لا بمثل ... في جزاء الصيد ابن يذبح عندهم هو
جميعا لا يجوز ان يذبح الا بمكة لانه لو جاز ان يذبح في غير الحرم حيث شاء لانتفت فائدة قوله هديا
بالغ الكعبة وليس في ذلك بينهم خلاف واما الاطعام والصيام فان الله عز وجل لم يذكر فيهما
موضعا ولا جعل لهما مكانا فله ان يطعم وان يصوم حيث شاء فان قيل ان الهدي يذبح في الحرم
لمنفعة اهل الحرم به ويتصدق به عليهم فعلى ذلك الاطعام يجب ان يطعم اهل الحرم لانه
جعل لمنفعة لهم قيل له لا خلاف بينهم انه لو ذبح الهدي في غير الحرم وتصدق به على اهل الحرم
انه لا يجوز ذلك انه لا لما ذكر ولكن لما الهدايا لا تذبح الا بمكة الا ترى انه لو قال لله تعالى عليه ان
يهدي ليس له ان يذبح الا بمكة ولو قال عليه الاطعام او الصدقة له ان يتصدق حيث شاء
دل ان الهدي مخصوص ذبحه بمكة لا يجوز في غيره واما الصدقة فانها تجوز في الاماكن كلها
لذلك افترقا والله اعلم و **قوله** ليذوق وبال امره اي ليذوق شدة امره واثمه كما قال
لذوقه وقيل جزاء ذنبه وهو الكفارة و **قوله** عفا الله عما سلف اذا تاب ورجع عما استحل
من قتل الصيد وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف و **قوله** ومن عاد فينتقم الله منه
اي من عاد الى استحلال قتل الصيد في الحرم فينتقم الله منه في النار ويحتمل من عاد الى قتل
الصيد فينتقم الله منه بالكفارة و **قوله** والله عزيز ذو انتقام اي لا يعجزه شيء وقيل
عزيز اي كل عز عنده عزه وذو غنى اي كل غني عنده غنا مفتقر ونحوه والله اعلم و **قوله**
احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما اخبر الله
ان صيد البحر وطعامه حلال للمحرم ثم اختلف اهل التأويل في تأويله قال بعضهم صيده
ما صيد وطعامه ما قذف في البحر كذلك روي عن عمر انه قال صيده ما صيد وطعامه
ما قذف وعن ابي بكر وابن عباس قالا طعامه ما قذف وقال بعضهم صيده ما اخذ طريا
وطعامه مليحه و **قوله** متاعا لكم اي منفعة لكم اي للحاضر وللسيارة اي للمسافر وعن
بعضهم صيده ما صدت طريا وطعامه ما تزودت في سفرك مليحا ثم يجيء على قول اصحاب
الظواهر ان يكون كل صيد البحر وطعامه حلالا مباحا بظاهر الآية قوله احل لكم صيد البحر
وطعامه الآية وكذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الطهور ماؤه والحل ميتته
انه لم يخص جهة دون ميتة ولا طعاما دون طعام غير ان المراد عندنا راجع الى السمك خاصة
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والسمك
دل الخبر ان المراد من الآية والخبر راجع الى السمك والله اعلم و **قوله** وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما عن ابن عباس قال مبهمة لا يحل لك ان تصيده ولا ان تأكله وروي عن
علي وهو محرم انه دعي الى طعام فقرب اليه يعاقيب وحجل فلما راى ذلك علي قام وقام
معه ناس فقيل لصاحب الطعام ما قام هذا او من معه الا كراهية لطعامك فارسل

٥١٧

اليه فجاءه فقال انا كرهت من هذا انما اشترنا ولا امرنا ولا صدنا قال علي وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما ثم انطلق وعن عثمان مثله او قريبا منه واما عندنا فانه يحل للمحرم ان ياكل
لحم الصيد اذا لم يصده هو ولا صيد له لما روي عن ابي قتادة انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كان ببعض الطريق بمكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى حمارا وحشيا فاستوى
على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه سوطا فابوا فسالهم رمحه فابوا فاخذه ثم اشتد على الحمار
فقتله فاكل منه بعض اصحابه وابى بعضهم فلما ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن
ذلك فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله وقال هل معكم من لحمه شيء وفي خبر اخر عن جابر بن عبد الله
قال عقر ابو قتادة حمارا وحشيا ونحن محرمون وهو حلال فاكلنا منه ومعنا رسول الله وفي
خبر اخر عن ابي قتادة قال اني اصبت حمارا وحشيا فقلت يا رسول الله اني اصبت حمارا وحشيا
وعندي منه فقال للقوم كلوا وهم محرمون وفي بعض الاخبار عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد
لكم رخص النبي صلى الله عليه وسلم في اكل لحم الصيد للمحرم اذا لم يصده ولم يصد له وبذلك
اخذ اصحابنا وفي الاية دليل للثواب وهو قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما معناه والله اعلم اصطياده الا ترى ان صيدا ما لا يوكل لحمه محظور
فدل ذلك على ان الاية نزلت في الاصطياد لا في اكل لحمه لان لحم الصيد قد خرج من ان يصاد
فيحرم عليه لانه ليس كالبيض لان البيض قد يصير صيدا واللحم ليس كذلك ولان المحرم
لو اتلف البيض غرم قيمتها ولو اتلف لحم الصيد لم يضمن شيئا فلزمته الغرامة منع عن
اكله وما لم يلزمه لا ولانه لو حرم على المحرم التناول من لحم صيد صاده حلال لوجب ان يحرم على
اهل مكة التناول منه اذ هم اهل حرم الله وذلك بعيد فاخذ اصحابنا بما روينا من الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي قتادة وغيره وبما دل عليه ظاهر الكتاب
وهو قول عمر وعثمان وغيره فان قيل روي عن ابن عباس عن زيد ابن ارقم ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد وفي خبر اخر عن زيد بن ارقم قال اهدي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عضو من لحم صيد فرده وقال انا حرم لا ناكله وروي في خبر اخر انه سئل النبي
عليه السلام عن محرم اهدي له صيد قال لا ناكل منه لكن هذا الحديث يجوز ان يحمل على ان كان
صيد لعله ان يكون صيد من اجله واذا صيد من اجله لم يحل له اكله ودليله من خبر عثمان
ما امرت بصيده ولا صيد من اجلي وخبر جابر عن رسول الله حيث قال لحم صيد البر حلال
لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم ثم اختلفوا في معرفة صيد البر من البحر قال
بعضهم ما كان يعيش في البر والبحر فلا يصيده وما كان حياته في الماء فذاك البحري وقال
اخرون اكثر ما يكون حين يخرج وقال غيرهم صيد البر هو الذي ان اخذه الصائد حيا فمات
في يده لم يحل ولا يحل الا اذا ادرك ذكاته بالذكاة فكل ما كانت هذه صفته فهو صيد البر
وان كان يعيش في الماء وما كان اصطياده اذا اخذه حيا وهو يعيش في الماء فمات في يده اكله
فذلك صيد البحر وذلك السمك وفي ذلك وجه اخر وهو ان كل ما القاه البحر وقذفه فمات
يحل لنا اكله فذلك طعامه وان لم يحل اكله فليس بطعامه فما كان طعامه اذا القاه
فمات فهو اذا صيد البحر وما لا يحل اكله اذا القاه فليس بصيد البحر اذا صيد لان الله
اباح صيد البحر وطعامه فما ليس بطعامه اذا القاه فمات فليس بصيد اذا اخذ حيا والله

٥١٨

اعلم وقوله فاتقوا الله في استحلال قتل الصيد في الحرم او اتقوا الله في اخذ الصيد في حال
الاحرام بعد النهي او اتقوا الله في كل ما لا يحل الذي اليه تحشرون فتجزون باعمالكم ان خيرا فخير
وان شرا فشر ويحتمل قوله اليه تحشرون اي الى حكمه تصيرون وكذلك له الحكم واليه ترجعون
والله اعلم جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الاية اختلف فيه قال بعضهم قوله قياما
للناس اي ثباتا للناس وقد وانما لان الله تعالى جعلها موضعا لاقامة العبادات من خوارج
الطواف والصلاة واراقة الدماء والهدايا وغير ذلك من العبادات ثم ان تلك العبادات
جعلها ثابتة دائمة لا تبدل ولا تنسخ ابدا فتلك معنى القيام للناس والله اعلم وقال
بعضهم قياما معنى قواما اي جعلها قواما لهم في معاشهم ومعادهم لانه جعلها مامنا لهم وملجا
حتى ان من ارتكب كبيرة او اجترم جريمة لم يتعرض له بشيء من ذلك ولا يتناول منه وكانوا اذا اجتمعوا
هذا يا مكة لم يتعرضوا له وان كانت حاجتهم اليه شديدة ونحو هذا كثير مما يطول ذكره
وجعل فيها عبادات ومقصدا لما لم يجعل في غيرها من البقاع من قضاء المناسك وغيرها
وكذلك الشهر الحرام كان جعله مامنا لهم اذا دخلوا فيه يامنون من كل خوف كان بهم وجعل
في الهدايا والقلائد منفعة لاهلها فكان في ذلك قواما لهم في معاشهم ومعادهم وعن سعيد
ابن جبير قال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس شدة لدينهم وقوله ذلك لتعلموا
ان ذلك الامن وما ذكرنا من جعل الكعبة قواما لهم في معاشهم ومعادهم لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض اي على علم جعل هكذا لا انه يكون انه يكون وقال بعضهم
قوله ذلك اي ما سبق ذكره من تحريف الكتب وتغييره وتبديل نعته صلى الله عليه وسلم وصفته
اي على علم منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل بصنيعكم لما لا يضره كفر كافر ولا ينفعه
ايمان مومن بل حاصل ضرر الكفر يرجع الى الكافر وحاصل نفع الايمان يرجع الى المومن وقوله
واعلموا ان الله شديد العقاب اي اعلموا انه شديد العقاب لمن عصاه وخالف امره
على ما علمتم انه عن علم منه كان جميع ما كان وان الله غفور رحيم واعلموا ايضا ان الله غفور
رحيم لمن تاب واناب اليه وشديد العقاب لان من العقوبات ما ليس بشديد وخاصة
عقوبة الاخرة انه يعاقب بالنار وما من عقوبة الا وقد يحتمل شيء منها سوى عقوبة النار
فانه لا يحتمله احد ولان عقوبات الدنيا وعذابها على الانقضاء وعذاب الاخرة لا انقضاء
له ولا فناء لذلك وصف بالشدة والله اعلم وقوله ما على الرسول الا البلاغ فيه وجهان
احدهما وعلى من يقول ان الموعظة لا تنفع ولا تنجع فيه اذا لم يكن الواعظ مستعملا لما يعظ
غيره اذ ليس احد من الخلق اشد اتباعا لامر الرسل صلى الله عليهم وسلم ثم لا ينفع مواعظهم وذكرهم
قومهم ولا تنجع فيهم لشومهم ولشقوتهم والثاني انه ليس على الرسل الا البلاغ ولا ضرر
عليهم بترك القوم اجابتهم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا
وما على الرسول الا البلاغ المبين وقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما تبدون من
العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه بنصب الحرب والقتال معهم وما يكتمون من المكر
له والقصد بقتله كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله الاية كانوا يمكرونه ويقصدون قصد اهلاكه لكن الله عز وجل اطلع رسوله على
مكرهم واخبر انه يعصمه من الناس وقال كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون
في الارض فسادا وقوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الاية

يحتمل وجهين احدهما خرج عن سؤال قد سبق منهم عن كثرة الاموال لما رأوا اولئك كانوا
يستكثرون ويجمعون من حيث يحل ولا يحل فمالت انفسهم الى ذلك ورغبت فقال لا يستوي
الخبيث والطيب كانه قال ان القليل من الطيب خير من الكثير من الخبيث والله اعلم والثاني
انهم رغبوا في عبادة اولئك من الترهب والاعتزال عن الناس لدفع اذى انفسهم عنهم وكثرة
ما كانوا يبتلون من الشدائد والمشقة فرغبوا في ذلك وهموا على ذلك على ما ذكر في القصة عن
بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم هموا ان يترهبوا ويعتزلوا من الناس فقال
قل لا يستوي الخبيث والطيب ان العمل القليل مع اصل طيب خير من الكثير مع خبث الاصل
وقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب فيه دلالة ان الله لا يخاطب احدا
الا من كمل عقله وتم وبالله العصمة وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد
لكم تسؤكم يحتمل ان يكون النهي عن السؤال عن اشياء خرج عن اسئلة كانت منهم لم يكن لهم
حاجة اليها فنهوا عن ذلك الى ان يقع لهم الحاجة فعند ذلك يسألون كما نقرر ما لوه عن البيان
والايضاح لهم قبل ان يحتاجوا اليه الا ترى انه قال وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم الاية ويحتمل ان يكون خرج النهي عن السؤال ابتداء على غير تقدم سؤال كان منهم ولكن
نهوا عن السؤال عنها ثم يحتمل النهي عنه ان كان منهم على ابتداء سؤال كان من اهل النفاق فيما لون
سؤال تعنت لا سؤال استرشاد فيسألون عنه آيات بعد ما ظهرت لهم وثبت عندهم الحجج
وعرفوا انه رسول الله فان كان النهي للمؤمنين فهو ما ذكرنا من سؤال البيان قبل وقوع الحاجة
اليه وقيل نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وقال احدهم من ابي
وقال آخر اين انا قال انت في النار وانت ابن فلان ونحو ذلك من الاسئلة فنهوا عن ذلك
وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله لو قلت نعم
صار فرضا فاذا صار فرضا وتركتم وان تركتم جحدتم واذا جحدتم كفرتم لان من جحد فرضا
ما فرضه الله كفر او كلام نحو هذا ولا يجب ان يفسر هذه الآية كان في كذا اذ ليس في كتاب الله
بيان يقوي ان فيه النهي عن سؤال ما لا يحتاج اليه وعن ابن عباس قال لا تسألوا عن
اشياء قد عفا الله عنها ان تبد لكم تسؤكم اي تظهر لكم تسؤكم اي امرتم العمل بها والله اعلم
بذلك وقوله قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين هذه الآية دلالة على ان النهي عن السؤال
في الاول لاحد شيئين اما ان سألوا الايات عنه بعد ما ظهرت وثبتت لهم رسالته فلما
اتى بها كفروا بها الا ترى انه قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقد كانت
الامم السالفة يسألون من الرسل الايات بعد ظهورها عندهم ويحتمل ما ذكرنا من قولهم
اين نحن ولمن آبائي ومن انا ونحوه فلما ان اخبرهم بذلك كفروا به والله اعلم وقوله
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام اي ما جعل الله قربانا مما جعلوا هم
لانهم كانوا يجعلون ما ذكر من البحيرة والسائبة وما ذكر قربانا يتقربون بذلك الى
الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها دون الله فقال ما جعل الله من ذلك شيئا مما
جعلتم انتم من البحيرة والسائبة فيقول لم ما جعل الله من بحيرة وما ذكر اي ما امر بذلك
ولا اذن لهم فيه ثم حرم اهل الجاهلية هذه الاشياء منها ما حرموه على نسائهم دون رجالهم
ومنها ما حرموه على الرجال والنساء ومنها ما جعلوه لالهتهم ثم قيل البحيرة ما كانوا
يجدعون اذنها ويدعونها لالهتهم والسائبة ما كانوا يسيبونها والوصيلة ما كانت

الناقة اذا ولدت ذكرا وانثى في بطن قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوها تركوها لالهتهم قال
ابو عبيد البحيرة اذا انتجت خمسة ابطن فقطعت اذنها وتركت والسائبة اذا ولدت خمسة ابطن
سيبت فلا ترد عن حوض ولا علف والوصيلة من الغنم اذا ولدت عناقين تركا واذا ولدت عناقا
وجديا قالوا وصلت العناق الجدي وتركا واذا انتجت ذبح والحامي اذا انتجت الى عشرة من ولده
قيل حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء وقال مجاهد والحام اذا ضرب الجمل من ولد البحيرة فهو
الحامي والحامي اسم والسائبة من الغنم على نحو ذلك الا انها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة
اولاد كانت على هيئتها فاذا ولدت السابع ذكرا او ذكرين نحر فاكله رجالهم دون نسائهم وان
اتامت بذكر وانثى فهي وصيلة يترك ذبح الذكر بالانثى وان كانتا اثنتين تركتا وقال القتبي
البحيرة الناقة اذا انتجت خمسة ابطن والخامس ذكر نحروه فاكله الرجال والنساء وان كانت
الخامسة انثى شقوا اذنها وكان حراما على النساء لحمها ولبنها فاذا ماتت حلت للنساء والسائبة
البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرضه او بلغه منزله ان يفعل ذلك
والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل
منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبح
لمكانها وكان لحمها حراما على النساء ولبن الانثى حراما على النساء الا ان يموت منها شيء فيأكله
الرجال والنساء والحامي الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا
حمى ظهره ولا يركب ولا يمنع من كلإ ولا ماء كانوا يحرمون الانتفاع بما ذكرنا ويقولون ان الله
حرم ذلك علينا وهو ما ذكر في آية اخرى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الآية يحرمون اشياء على انفسهم ويضيفون تحريمها الى
الله ثم سفه احلامهم بقوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام
الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين لم يكن تحريمهم هذه الاشياء بالسمع ولكن رأيا
منهم وتحكما فاحتج الله عليهم على ذلك الوجه ليظهر فساد قولهم من الوجه الذي ادعوا فقال
قل آلذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا الذكرين فقد كان من الذكر ما لم يحرموا فان قالوا الانثى
فقد كان من الانثى ولم يكن فيها تحريم ففيه دليل ان الحكم اذا كان بعلة يجب وجوب ذلك الحكم
ما كانت تلك العلة قائمة والله اعلم وقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا الآية كانها نزلت في مشركي العرب وكانوا اهل
تقليد لا يؤمنون بالرسل ولا يقرون بهم انما يقلدون آباءهم في عبادة الاوثان والاصنام
فاذا ما دعاهم رسول الله الى ما انزل الله اليه او دعاهم احد الى ذلك قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ونحو ذلك يقلدون آباءهم في
ذلك فقال الله عز وجل أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي تتبعون آباءكم
وتقتدون بهم وان كنتم تعلمون ان آباءكم لا يعلمون شيئا في امر الدين ولا يهتدون وكذلك
قوله قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم تتبعون آباءكم وتقتدون بهم وان
جئتكم باهدى مما كان عليه آباؤكم لتسفههم في احلامهم في تقليدهم آباءهم وان ظهر عندهم
انهم على ضلال وباطل وقوله يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
ظن بعض الناس ان الآية رخصة لترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعة في ترك ذلك وليس
فيه رفع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن فيه ان ليس علينا فيما يرده ولا يقبل من الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر شيء ومن كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية لتبين به رخصة ترك تبليغ الرسالة اليهم
ورفعه عنهم ولكن اخبار ان ليس عليه فيما يرده وتركه القبول شيء كقوله ان عليك الا البلاغ
فعلى ذلك الاول والله اعلم ويحتمل ان يكون في الاية دليل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لانه قال لا يضركم من ضل بترك قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا اهتديتم انتم بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر بل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وبذلك وصف الله هذه
الامة بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر
فليس منا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي وقد حفزه النفس
فتوضا ثم خرج الى المسجد فسمعت من وراء الحجاب فصعد المنبر ثم قال ايها الناس ان الله
يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسالوني فلا اعطيكم وتستغيثوا
فلا اغيثكم وتستنصروني فلا انصركم وعن ابي بكر رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم
تقرؤون هذه الاية واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا
منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب ويقول لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم الاية ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب مع الكفرة بالقتال
والحرب ومع المومنين باليد واللسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب في زمن لم
يدخل في ذلك فساد ويصير الامر به والنهي عنه منكرا فاذا خشوا ذلك يرخص لهم الترك
والا لا وعن عبد الله بن مسعود قال قولوها ما لم يكن دونها السيف والسوط فاذا
كان دونها السيف والسوط فعليكم انفسكم وقوله الى الله مرجعكم جميعا الذي يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر والذي يرد عليه المعروف والنهي عن المنكر فينبئكم بما كنتم تعملون خرج على
الوعيد والتحذير وقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم الاية اختلف فيه قال قتادة قال رجل مات
بقرية من الارض وترك تركة واوصى وصية واشهد على وصيته رجلين فان اتهما في شهادتهما
استحلفا بعد صلاة العصر وكان يقال عندها يصير الايمان فان عثر اي اطلع منهما على خيانة
على انهما كتما او كذبا وشهد رجلان اعدل منهما بخلاف ما قالا اجيزت شهادتهما وابطلت
شهادة الاولين اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين او اخران من غيركم من اهل الكتاب
اذا كان ببلد لا يجد غيرهم وعن الحسن قال اثنان ذوا عدل منكم اي من عشيرتكم او
اخران من غير عشيرتكم فيقول ان الحق على المسلم اذا اراد ان يوصي ان يشهد الوصاية
الى اهل عشيرته وكذلك يشهد على ذلك من اهل عشيرته لان اهل عشيرته احفظ لذلك
واحوط واكثر عناية واقوم للشهادة ولا كذلك الاجنبيان فان قال قايل خاطب الله عز
وجل المومنين جملة بقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الاية فكيف يحتمل ان يكون قوله
او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وكيف لا تصرف قوله او اخران من غيركم من غير
دينكم فيقول سبحان الله ما اعظم هذا القول برد شهادة موحد مخلص دينه لله لفسق
يرتكبه ويامر بقبول شهادة كافر كاذب قايل لله بالولد والشريك هذا ما لا احتمال فيه وقال
ايضا تحبسونهما من بعد الصلاة وهم كانوا يستهزئون بالصلاة اذا نودي لها بقوله

٥٢١

اي حركه وازعجه

واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا دل انه لا يحتمل ما ذكر واو عن سعيد بن
جبير في قوله او اخران من غيركم قال اذا حضر المسلم الموت في السفر فلم يجد مسلمين فاوصى
الى اهل الكتاب فان جاءا بتركته فاتهموا احلف هولاء ان متاعه كذا وكذا واخذوه وبعض
الناس يجيزون شهادة النصارى واليهود في السفر في الوصية بظاهر الاية وقال
مجاهد او اخران من غيركم من غير ملتكم وعن عامر الشعبي قال شهد نصرانيان على وصية
مسلم مات عندهم فارتاب اهل الوصية فاتوا بهما الى ابي موسى الاشعري فاستحلفهما بعد
صلاة العصر بالله ما اشترينا به ثمنا قليلا ولا كتمنا شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم قال
ابو موسى والله ان هذه لقضية ما قضي بها منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اليوم فقد بين الشعبي ان ابا موسى انما استحلفهما فيما اتهما به من تركة الميت وهذه يمين
واجبة عند المسلمين جميعا ولم يحلفهما على ان ما شهدا به كما ذكر من ان
شهادتهما تصح بيمينهما وعن عبد الله بن مسعود قال خرج رجل من المسلمين فمر بقرية فمرض ومعه
رجلان من المسلمين فدفع اليهما ماله ثم قال ادعوا الى من اشهده على ما قبضتماه فلم يجدا
احدا من المسلمين في تلك القرية فدعوا اناسا من اليهود والنصارى واشهدهم على ما دفع
اليهما ثم ان المسلمين قدما الى اهله فدفعا ماله الى اهله فقال الورثة لقد كان معه
من المال اكثر مما اتيتما به فاستحلفوهما بالله ما دفع اليهما غير هذا ثم قدم اناس من اليهود
والنصارى فسالهم اهل الميت فاخبروهم انه هلك بقريتهم وترك كذا وكذا من المال
فعلم اهل المتوفى انه قد عثر واطلع ان المسلمين قد استحقا اثما فانطلقوا الى ابن مسعود
فاخبروه بالذي كان من امرهم فقال ابن مسعود ما من كتاب الله من شيء الا قد جاء على
الدلالة الا هذه الاية فالان حين جاء تاويلها فامر المسلمين ان يحلفا بالله لا نشتري
به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم امر اليهود والنصارى
ان يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا وكذا ولشهادتنا احق من شهادة هذين المسلمين
وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ثم امر اهل الميت ان يحلفوا بالله ان ما شهدت به
اليهود والنصارى حق وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان فان ثبت هذا عن ابن مسعود
فهو خلاف ما روي عن رسول الله عليه السلام انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم
دما قوم واموالهم لكن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو ايضا غير موافق
لظاهر الاية فلا نراه ثبت هذا عن عبد الله بن مسعود وعن ابن عباس قال كان رجل يقال
له تميم الداري وعدي بن بداء يختلفان الى مكة في التجارة فخرج رجل من بني سهم فتوفي بارض
ليس بها مسلم فاوصى اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا جاما من فضة فاستحلفهما رسول
الله ما كتمتما ولا اطلعتما ثم عرف الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فقام رجلان
من اولياء السهمي فحلفا بالله ان هذا الجام للسهمي ولشهادتنا احق من شهادتهما فاخذوا الجام
وفيهم نزلت هذه الاية وفي هذا الحديث ان اليمين وجبت على المدعى عليهم كما ادعى عليهم الورثة
انهم تركوا بعض تركة الميت وفيه ان الاناء لما ظهر ادعى تميم وصاحبه انهما اشترياه من الميت فكانا
مدعيين وحلف الورثة على دعواهم دعوى صاحبه وهذا ان كان موافقا لسائر الاحكام والسنن
فان كان الامر كما ذكر في هذا فليس في الاية نسخ ولا بها الاحكام الظاهرة وليس يجوز عندنا
ان يحلف الشاهدين اذا كانا عدلين مع شهادتهما لان ظاهر الاية يوجب اليمين على العدلين

٥٢٢

منا ومن غيرنا فلما لم يجز ان يحلف الشهود المسلمين في الوصية التي يشهدون لها وانما يحلفون
على شيء ان ادعوا انفسهم حبسوه سواء كان سبيل الكفار كذلك واذا كانت الاية نزلت في قصة تميم
وصاحبه وكانا نصرانيين فان ذلك يدل على ان شهادة بعضهم على بعض جايزة لان الله تعالى
قال اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم يعني الاية على هذا التاويل والله اعلم ان يكون
الميت خلف تركته عند ذميين على ما ذكر في القصة وقالا ترك في ايدينا كذا وكذا وادعى
الورثة اكثر من ذلك فاستحلف المدعى قبلهم وقوله تحبسونهما على هذا التاويل هو
المدعى عليهما وقوله فان عثر على انهما استحقا اثما بريب والله اعلم ان يشهد عليهما شاهدا
منا او منهم بجحداء اندتن تركة الميت فقد استحقا الورثة فاذا قال المدعى قبلهما اشتريناه
من الميت فعلى الورثة ان يحلفوا فقد والله اعلم معنى قوله فاخران يقومان مقامهما لان
الورثة صاروا مدعى عليهم فصاروا في هذه الحال في وجوب اليمين عليهم مقام الاولين لما
كانت الدعوى عليهم فهذا والله اعلم اقرب الوجوه في تاويل الاية واشبهها ومن اشتاء
الله معنى ما روي عن ابن عباس وان لم يذكر تفسيره قوله من غيركم ومن والله اعلم على غير ديننا
لانه ذكر المومنين جملة واصحابنا لا يجيزون شهادة اهل الكفر في الوصية لمسلم لا في ضرورة
ولا في غيرها لانهم مع اختلافهم اتفقوا في ان شهادة الكفار لا تجوز على غير الوصية في
حال ضرورة ولا في غيرها فقستها وتهم في الوصية على المسلمين مثل ذلك واما ان يكون
تاويل الاية شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم في بيان
ما يجوز من شهادة ذوي العدل منا في الحضر والسفر في الوصية وفي غير الوصية كقوله
واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم الاية هذا في السفر
والحضر وفي الدين وغير الدين سواء فعلى ذلك الاول ثم ابتدا الحكم في غيره فقال او
اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة
فان قيل فما معنى قوله ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها قيل في ذلك بيان ان المؤتمن
اذا ادعيت عليه الخيانة وقال هو رددت ما كان في يدي فانه لا يصدق الا بعد ان يحلف
فاذا علم انه لا يقبل قوله الا باليمين كان اجرى ان يقول صدقا من ان يحلف على كذب او يتوخى
من الاثم في اليمين ببين خيانته فان قيل ما معنى قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان
بالله ان ارتبتم قيل يحتمل ان يكون على زيادة التغليظ في اليمين وللحاكم ان يغلظ في اليمين
على الخصم اذا اتهمه بالكذب من هذا الوجه ان يحضر عنده جماعة اذا سال الخصم ذلك او ذكر بعد
الصلاة لما كان ذلك الوقت هو وقت جلوس الحاكم بعد صلاة الفجر او بعد صلاة العصر لا على
التغليظ وان كانت الاية نزلت فيما ذكر ابن عباس في نصرانيين فقد يجوز ان يكون الله
امر بذلك تغليظا عليهما وهما تميم وصاحبه اذ كانوا يعظمون وقت غروب الشمس وما
قرب من ذلك ووقت طلوعها لانه وقت عبادتهم اياها والله اعلم وقوله فان عثر على
انهما استحقا اثما قال بعضهم فان اطلع منهما على خيانة انهما كذبا وكتما فاخران يشهدان على خيانة
ما شهدا عليه اجيزت شهادة الاخرين وابطلت شهادة الاولين قال القتبي فان عثر اي ظهر
وقال ابو عوسجة قوله فان عثر اي علم واطلع عليه يقال عثرت على فلان وعلى ما يفعل
فلان اي علمت به واطلعت عليه اعثر عثرا وكذلك اعثرنا عليهم في سورة الكهف من هذا
اي اطلعنا عليهم واعلمناهم بمكانهم ويقال اعثرت فلانا على سر فلان اي اعلمته ثم وعظ الله

المومنين

المومنين وحذرهم ان يفعلوا مثل ذلك فقال واتقوا الله واسمعوا اي اتعظوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين ما داموا في فسقهم او قال ذلك لقوم علم الله منهم انهم لا يرجعون عن ذلك
ابدا وقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا قال اهل التاويل
انما يقولون ذلك لفزعهم من هول ذلك اليوم وشدته فتطير قلوبهم وتذهل افيدتهم فيقولون
لا علم لنا انك انت علام الغيوب فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قاله اهل التاويل
لكان لا يهيا لهم الاجابة وقد قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ولكنه لا لما ذكروا ولكن
لوجهين اخرين والله اعلم احدهما ان سالهم عن حقيقة اجابة قومهم لهم بالضماير اي لم تطلعنا
على علم الضماير وانت علام الغيوب فانت اعلم بذلك والثاني ان احدثوا امورا بعد موتهم من ذات
انفسهم فنسبوا ذلك الى الرسل كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الى قوله ما قلت لهم الا
ما امرتني به كذلك قالوا لا علم لنا اي عيسى صلى الله عليه وسلم ما ادعوا اي بذلك فيقول لهم ماذا
اجبتم فقالوا لا علم لنا فيما ادعوا علينا من الامور التي احدثوها انك انت علام الغيوب بانا لم
نقل لهم ولم ندعهم الى ما ادعوا من الامور فعلى هذين الوجهين يخرج تاويل الاية والله اعلم ومثل
هذا السوال لهم لما اخبر في اية اخرى انه يسال لهم كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن
المرسلين يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عن اجابتهم لهم ليقطع احتجاجهم
وان لم يكن لهم الحجاج وقوله اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اما
نعمه عليه ما ذكر على اثره اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا الى قوله اني
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت الاية شهد في حال طفوليته بوحدانية
الله وربوبيته واخلاص عبوديته له وذلك من اعظم نعم الله عليه واجل منته ومما ذكر ايضا
واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني الاية
الى اخر ما ذكر من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وكف بني اسرائيل عنه عند مجيء الايات
ومن كقوله والله يعصمك من الناس فهذه اعظم النعم عليه ومما ذكر ايضا في بعض القصة
ان ثبت ان عيسى لما دفع الى الكتاب جعل المعلم يقول له باسم فيقول هو باسم الله واذا قال
المعلم باسم الله فيقول هو الرحمن واذا قال هو الرحمن يقول هو الرحيم فيترك المعلم كيف اعلم من
هو اعلم مني ونحو هذا كثيرا مما يكثر ويطول ذكرها واما ما انعم الله على والدته هو ما ذكر في قوله
فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا الاية ومما ذكر في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين طهرها عن جميع ما يبلى به بنات ادم فذلك من اعظم النعم
واجل المنن ثم امر عيسى بشكر ما انعم عليه وعلى والدته حيث قال اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
وفي ذكر النعم شكرها وامر ايضا بشكر ما انعم على والدته ليعلم ان على المرء شكر ما انعم على
والدته كما يلزم شكر ما انعم على نفسه وقوله اذ ايدتك بروح القدس اختلف فيه قال
بعضهم بروحه المبارك الذي اعطي في حال طفوليته به كان يدعو الناس الى توحيد الله وعبادته
له وقيل ان روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص
بدعائه وقال اهل التاويل الروح هو جبريل والقدس هو الله كقوله نزل به الروح الامين
اي جبريل وقوله واذ علمتك الكتاب والحكمة قال الحسن الكتاب الخط والحكمة واجلة

الكتاب هو الحكمة والحكمة هي الكتاب لان جميع كتب الله كان حكمة وقال غيرهم الكتاب ما يكتب
من العلم والحكمة هي ما ينبغي للانسان من العلم على غير تعلم وقال بعضهم الكتاب هو ما حفظ والحكمة
هي الفقه وهو واحد وقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وقوله واذ تخلق
من الطين اي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير كان من عيسى التصوير والتقدير والا كان
التخليق من الله في الحقيقة لانه هو المنفرد به دون الخلق غير انه اجرى ذلك على يدي عيسى
ليكون له اية لصدقه ونبوته وعلى ذلك الايات التي ياتي بها الرسل ليست الرسل باتون بها في
الحقيقة بل كان الله هو الاتي بها والمنشئ تلك الايات حقيقة لكنه يجريها على ايدي الرسل ليكون ايات
صدقهم ودلالات رسالتهم فاما ان ياتي الرسل بالايات والحجج من عند انفسهم فلا وقوله تخلق
ذكر التخليق لما تسمي العرب تصوير الشيء وتقديره تخليقا فعلى ذلك خرج الخطاب وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم وقوله وتبرئ الاكمه قيل الاكمه الذي يولد اعمى واما الاعمى هو الذي
يذهب بصره بعد ما كان بصيرا وقيل الاكمه هو الذي لا حدقة له ونحو ما ذكرنا والله اعلم
وقوله واذ اوحيت الى الحواريين والحواريون قيل هم خواصه وكذلك اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هم حواريه وقد ذكرنا هذا في سورة ال عمران الاختلاف
فيه ثم قوله اوحيت الى الحواريين يحتمل الوحي اليهم وجهين احدهما انه اوحى الى رسوله عيسى
فنسب ذلك اليهم واضيف لان الوحي الى عيسى كالوحي اليهم كقوله قولوا امنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم وما انزل علينا وما انزل على كذا انما انزل الى رسول الله كالمنزل الينا فعلى
ذلك الوحي الى عيسى هو كالوحي اليهم والثاني اوحى اليهم وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل
الاية وقوله واوحينا الى ام موسى ونحوه انه وحي الهام وقذف لا وحي ارسال والقذف في
القلب من غير تكلف ولا كسب وهو الاخطار بالقلب على السرعة ان امنوا بي وبرسولي
والخطر يكون من الله تعالى ويكون من الشيطان لكن ما يكون من الله تعالى يكون خيرا يتبين
ذلك في اخره وقوله قالوا امنا واشهد باننا مسلمون يحتمل وجهين يحتمل ان قالوا لعيسى
واشهد انت عند ذلك باننا مسلمون ويحتمل ان سالوا ان تجعلهم من الشاهدين كقوله امنا
فاكتبنا مع الشاهدين وقوله اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء اختلف فيه قيل ان قوما من الحواريين سالوا الحواريين ان
يسالوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى يسال ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء لان الحواريين
قد قلنا انهم كانوا خواص عيسى فكان كمن به حاجة الى بعض الملوك فانه انما يرفع اولا الى خواصه
لانهم الذين يتولون رفعها الى الملك فعلى ذلك رفعوا حاجتهم الى الحواريين فيسالوا هم نبي الله
عيسى ليسال ربه وقال اخرون لم يسالوا انهم ذلك ولكن الحواريين هم الذين سالوا عيسى
ان يسال ربه حتى ينزل عليهم مائدة لكن سؤالهم ذلك يحتمل وجهين يحتمل سالوا ذلك لما
ارادوا ان يشاهدوا الاية ولم يكونوا شاهدوا قبل ذلك فاحبوا ان يشاهدوها وان كانوا
قد اخبروا به وصدقوه من قبل ليزداد لهم بذلك طمانينة ويقينا وهو كقول ابراهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي لما يحتمل ان نفسه كانت تحدث
وتنازع في ذلك واحب ان يعاين ذلك ويشاهده ليزداد له طمانينة ويقينا فعلى ذلك اوليك
كان انفسهم تحدث وتنازع في مشاهدة الايات فاحبوا ان يريهم بذلك ليزداد لهم طمانينة
ويقينا وصلابة في التصديق والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون عيسى يخبرهم ان لهم كرامة

ومنزلة

ومنزلة عند الله فاحبوا ان يعرفوا منزلتهم عند الله وكرامتهم والثاني سالوا ذلك ليعرفوا
منزلة عيسى عند الله وكرامته هل يجيب ربه دعاءه اذا سال ربه والله اعلم وان كان
السؤال من قوم الحواريين فهو لما بدت لهم من الحاجة اليها لا نعلم ذلك الا بالخبر الصادق وقوله
هل يستطيع ربك يقرا بالتاء والياء جميعا فمن قرا بالتاء ذهب في التاويل الى انه اضمارا
كانهم قالوا هل تستطيع ان تسال ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ومن قرا بالياء قال
هل يستطيع ربك اي هل يجيب ربك دعاءك اذا دعوته ان ينزل علينا مائدة من السماء قال
الفراء قد يكون مثل هذا السؤال على غير الجهل من السائل بالمسؤول لانه يجوز ان يقال في
الكلام هل يستطيع فلان ان يقوم في حاجتنا في امرنا على علم منه انه يستطيع ولكنه بمعنى
هل يفعل ام لا وذلك جائز في العربية الا ان القراءة من قرا بالتاء وهو ابن عباس
وعائشة هل تستطيع ربك على علم منهم ان عيسى يستطيع السؤال لربه لكنهم قالوا ذلك لما
ذكرنا وذلك جائز في اللغة ويجوز ان يراد بالاستطاعة الارادة يقول الرجل لاخر لا استطيع
ان انظر الى فلان وهو يقدر النظر لكنه يريد بذلك لا اريد ان انظر اليه فعلى ذلك قوله
هل يستطيع ربك هل ياذن لك ربك بالسؤال في ذلك والله اعلم وقوله اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين اي اتقوا الله لا تسالوا اشياء لم ياذن لكم في ذلك ان كنتم مؤمنين و
قوله قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا يدل ان القوم ما سالوا ذلك لما كانت تحدث
انفسهم وتنازع في مشاهدة الايات ومعاينتها وان كانوا صدقوا عيسى فيما يقول لهم ويخبر
عن الله كالمعنى الذي ذكرنا في ابراهيم والله اعلم وقوله ونعلم ان قد صدقتنا اختلف
في تلاوته وفي تاويله قال بعضهم بالنصب نعلم في القراءة الظاهرة المشهورة
ومعناه وان نعلم ما قد صدقتنا والثاني ان العلم بالشيء من جهة الخبر مما يعترض الوساوس
والشبه فطلبوا اية من جهة الحس والعيان ليكون ذلك ادفع لما يعترض من الشبه
والوساوس وقوله ونكون عليها من الشاهدين اي نكون عليها لمن انكرها من الشاهدين
انها نزلت وقوله قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا
عيدا لاولنا واخرنا اي طعاما واية قال بعضهم قوله تكون لنا عيدا اي نجتمع ذلك
يوم العيد لاجتماع الخلق ثم قيل نزلت يوم الاحد فجعلوا ذلك اليوم يوم عيدهم ثم
اختلف في نزول المائدة قال الحسن لم تنزل المائدة لانه سال ان تكون لنا عيدا لاولنا
واخرنا ونحن من اخرهم فلم يكن لنا ما ذكر والثاني قال اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم
فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقد كفر منهم ثم لم يخبر انه عذبهم عذابا
لم يعذب احدا من العالمين وقال بعضهم ليس فيه دلالة انها لم تنزل لانه يجوز ان يكون
قوله تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا ما لم يات النسخ فكان لهم ذلك الى ان بعث محمد صلى
الله عليه وسلم فنسخ ذلك بيوم الجمعة وقالوا قوله فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من
العالمين ذكر في بعض القصة ان من كفر منهم بعد ذلك مسخهم خنازير وذلك تعذيب لم
يعذب احدا من العالمين ويحتمل قوله فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين
في الاخرة والله اعلم بذلك كله وقوله واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يحتمل هذا القول اوجها ثلاثة احدها ان كان
هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى بين اظهرهم ليكون ذلك اية وحجة لمن تبعه

علي من زاغ عن طريقه وضل عن سبيل الهدي لانه تبرأ ان يكون قال لهم ذلك ويحتمل ان
يكون قال ذلك له وقت رفعه الي السماء فترد عنده اذ قومه يقولون ذلك القول بعد
مفارقته قومه وقيل انه يقول ذلك له يوم القيمة ويكون قال بمعني يقول كقوله وقال
الذين كفروا والخزنة جهنم وكقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا اي
يقولون وذلك جائز قال بمعني يقول وذلك في القرآن كثير والنصاري هم عيسي وامه الهين
قول متناقض لانهم سموها ام عيسي فاذا اثبتت لها الامومة بطل ان تكون الها وكذلك عيسي
اذا ظهر انه كان ابنا لها بطل ان يكون الها لانه لا يكون ابن غيره الها لكنهم قوم سفهاء يقولون
ذلك عن سفه قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي لا ينبغي لي ان اقول ما ليس
ذلك بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تكلم في النفس علي
وجهين احدهما يراد وما يضمره الحي علي ارادة الذات فان كان الله تعالي عن ان يوصف بالذات
كما يوصف الخلق دل انه انما يراد بذلك غيره وهو ان يقال دل انه انما يراد بذلك غيره
وهو ان يقال تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او يقول تعلم ما كان مني ولا اطلع علي غيبك
انك انت علام الغيوب اي انك انت علام ما غاب عن الخلق وقوله ما قلت لهم الا ما امرتني
به اي ما دعوتهم الا الي ما امرتني به اذ ادعوهم اليه من التوحيد والعبادة لك وقوله
وكنت عليهم شهيدا اي شاهدا عليهم هذا يدل علي ان ذلك القول كان منه وقت رفعه الي
السماء او يكون يوم القيمة ويقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي كنت عليهم حفيظا
ما كنت بين اظهرهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم اي الحفيظ عليهم وانت علي كل شيء
شهيد بما امرتهم من التوحيد والعبادة لك وشاهدا عليهم بما قالوا من البهتان وذكر في
بعض القصة لما قال الله تعالي لعيسي ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
قيل فارعدت مفاصله وخشي ان يكون قد قالها فقال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الاية وذكر ايضا متكلمان يتكلمان يوم القيمة نبي الله عيسي بن
مريم صلي الله عليه وسلم وعدو الله ابليس لعنه الله فاما كلام عيسي فيقول الله ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقال عيسي بن مريم سبحانك ما يكون لي ان
اقول ما ليس لي بحق الي قوله انك انت العزيز الحكيم واما كلام اللعين فيقول ما كان لي عليكم
من سلطان الاية وقوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم اختلف فيه عن الحسن قال يقول ذلك في الاخرة ان تعذبهم ان تعذب من مات علي
ما كان منه من القول الوحش في الله وان تغفر لهم اي وان تغفر لمن اكرمته بالاسلام
والهدي فانك انت العزيز الحكيم لان منهم من قد امن بعد هذا القول الوحش في الله
وقال اخرون هذا القول كان من عيسي في الدنيا ان تعذبهم يقول ان تعذب من مات علي
الكفر الذي كان منهم فانهم عبادك وان تغفر من اكرمته له الهدي فانك انت العزيز الحكيم
اي انت العزيز وهم عبادك اذلاء وفي حرف ابن مسعود فانك انت الغفور الرحيم هو
ظاهر لانه ذكر انه غفور علي اثر المغفرة وروي في الخبر ان نبي الله عليه السلام كان
احيا ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم به قام
وبه سجد وبه قعد فهو والله اعلم علي التشفع والتضرع اليه كانه قال ان اخذتهم فمن
الذي ينصرهم ويدفع ذلك عنهم دونك وهم عبادك اذلاء وان اكرمتهم فمن الذي يمنعك

من اكرامهم وانت في ان تعذبهم تملك سلطانا عليهم ولست انت في تعذيبك اياهم جائرا
لانهم عبادك لان الجور مجاوزة عن الحد الذي له الي الحد الذي ليس له وقوله
قال الله هذا قيل قال بمعني يقول الله يوم القيمة يوم ينفع الصادقين صدقهم اي يوم
ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا وينفع صدق الصادق ايضا في الدنيا لانه اذا عرف
بالصدق قبل قوله وان لم يظهر صدقه في قوله ثم اختلف في الصادقين من هم قال
بعضهم هم المؤمنون جملة اي يومئذ ينفع ايمان المؤمنين وتوحيد الموحدين في الدنيا كقوله
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال بعضهم الصادقون هم الانبياء
وقوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار قد ذكرنا فيما تقدم خالدين فيها ابدا والخالدين
والابد واحد لكنه يذكر علي التاكيد وقوله رضي الله عنهم بسعيهم في الدنيا ورضوا
عنه في بالثواب لسعيهم ويحتمل رضوا عنه بما وفقهم علي سعيهم المحمود في الدنيا ذلك
الفوز العظيم لانه ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفوت فهو الفوز العظيم ليس
كفوز الدنيا لانه لا يذهب عنه خوف الهلاك ولا خوف الفوت وقوله لله ملك
السموات والارض وما بينهن هذا اخرج علي اثر قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله انه كيف يتخذ اربابا وولدا وله ملك السموات والارض وملك
ما بينهن من الخلق كلهم عبيده واماؤه وهو علي كل شيء قدير لا يعجزه شيء

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خاتم النبيين
وعلي اله وصحبه الطيبين الطاهرين وقد تم هذا
الجلد المبارك علي يدي افقر العباد واحوجهم الي رحمة
ربه عبد القادر بن عبد الرحمن الدوشري بالقسطنطينية
في اواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع
وتسعين وتسعماية غفر الله لكاتبه
ولوالديه ولمن طالع فيه ولمن يدعو
له بالحشر مع المؤمنين والمومنات
والحمد لله وحده
امين

كقوله فاقض ما انت قاض ويكون بيان الغاية ويكون الامر ويكون غير ما ذكرنا ثم قوله قضى اجلا
يحتمل هذا الكل سوى الامر ثم قوله قضى اجلا قيل من الموت واجل مسمى يوم القيمة اطلعنا على احد
الاجلين وهو الموت لانا نرى من يموت ونعاين ولم يطلعنا على الاخر وهو وقت قيام القيمة وقيل
قضى اجلا اجل الدنيا من خلقكم الى ان تموت واجل مسمى عنده يوم القيمة وقوله ثم انتم تمترون
اي تشكون وتكذبون بعد هذا الكل وقوله وهو الله في السموات وفي الارض هذا او الله اعلم
صلة قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر انه خالق السموات والارض فاذا كان خالقهما
لم يشركه احد في خلقهما كان الذي في السموات والذي في الارض لم يشركه احد في الوهيته ولا في
ربوبيته ويحتمل قوله وهو الله في السموات وفي الارض اي اله تدبير ما في السموات وما في
الارض وحفظه اليه لانه هو المتفرد بخلق ذلك كله فاليه حفظ ذلك وتدبيره وقوله يعلم
سركم وجهركم اختلف فيه قيل يعلم سركم ما تضمرون في القلوب وجهركم ما تنطقون ويعلم
ما تكسبون من الافعال التي عملت جوارح اخبر انه يعلم ذلك كله ليعلموا ان ذلك كله يحصيها ليحاسبهم
على ذلك كقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اخبر انه يحاسبهم على ما ابدوه وما
اخفوه فيعلم ذلك الاول فيه اخبار ان ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم في ذلك ليكونوا على
حذر من ذلك وخوف وقيل يعلم سركم ما خلق فيهم من الاسرار من نحو السمع والبصر وغيرهما لان
البشر لا يعرفون ماهية هذه الاشياء وكيفيتها ولا يرون ذلك كما يرون غيرها من الاشياء ولا يعرفون
حقايقها اخبر انه يعلم ذلك وانتم لا تعلمون وقوله وجهركم اي الظواهر منكم ويعلم ما تكسبون
من الافعال والاقوال وقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين يحتمل ما تاتيهم
من اية من ايات توحيده او من ايات اثبات رسالة محمد ونبوته ويحتمل في اثبات البعث والنشور
بعد الموت لما اخبر انه خلقهم من طين فاذا ماتوا صاروا ترابا فاذا كان بدو انشائهم من طين
فاذا عادوا اليه يقدر على انشائهم ثانيا اذ ليس انشاء الثاني باعسر من الاول ثم يحتمل الايات
ايات القرآن ويحتمل الايات ما كان ياتي بها رسول الله من الايات سوى ايات القرآن ثم اخبر
عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاذا اعرضوا
عنها لم ينتفعوا بها ليعلم انه انما ينتفع بالايات من تاملها ونظر فيها لا من اعرض عنها ثم سورة
الانعام انما نزلت في محاجة اهل الشرك ولو لم يكن القرآن معجزا كانت سورة الانعام معجزة لانها
نزلت في محاجة اهل الشرك في اثبات التوحيد والالوهية لله والبعث فكيف يكون وقد جعل
الله القرآن اية معجزة اعجز البشر عن اتيان مثله ولم يكن يومئذ يعرف التوحيد والبعث لانهم كانوا
كلهم كانوا عبدة الاوثان والاصنام لا يحتمل ان يكون رسول الله الف ذلك وانشاء ذات نفسه
ليعلم انه انما عرف ذلك بالله وفيه دلالة اثبات المحاجة في التوحيد والمناظرة فيه لان اكثرها
نزلت في محاجة اهل الشرك وهم كانوا اهل شرك وينكرون البعث والرسالة فنزلت اكثرها في
محاجتهم في التوحيد واثبات البعث والرسالة وفيه انه اذا ثبت فساد قول احد الخصمين
ثبت صحة قول الاخر لان ابراهيم لما قال هذا ربي لم يكن يحتج للموقف فلما افل قال لا احب
الافلين اثبت فساد عبادة من يعبد الافل بالافول وقوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يحتمل
الحق الايات التي كان ياتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايات التوحيد وايات البعث
ويحتمل القرآن ولو لم يكن لرسول الله اية كانت نفسه اية عظيمة من اول نشائه الى اخر عمره
لانه عصم حتى لم يات منه ما يستقبح ويستقبح فظن ذلك ان ذلك انما كان لما جعله اية في نفسه

وموضعا لرسالته وعلى ذلك يخرج اجابة اي لكل نبي اول دعوة دعاه الى ذلك لما كان ذا اي
منه ايات فلما دعاه اجابه في ذلك مع ما كان معه ايات عظيمة واعلام عجيبة وقوله
فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به يستهزؤن معناه والله اعلم اي ياتيهم وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين
وان كان انا هو انباء ما نزل بالمستهزئين ولكن معناه ما ذكرنا اي ينزل بهم ويحل ما نزل وحل
بالمستهزئين ويحتمل وجها اخر قوله فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به يستهزؤن وهو العذاب لان
الرسل كانوا يوعدونهم ان ينزل بهم العذاب بتكذيبهم الرسل فهم لذلك يستهزؤن بهم كقوله عجل
لنا قطنا وكقوله ويستعجلونك بالعذاب وغير ذلك وكقوله اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاخبر انه ينزل بهم ذلك كما نزل
باولئك وقوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن قال الحسن الم يروا الم يعتبروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن وقال ابو بكر الكيساني الم يروا قد راوا انا اهلكنا من قبلهم من قرن وهو واحد
قد راوا اثار الذين اهلكوا بتكذيبهم الرسل وتعنتهم ومكابرتهم لكنهم لم يعتبروا بذلك وقوله
مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم قال بعضهم اعطيناهم من الخير والسعة والاموال ما لم نمكن لكم
يا اهل مكة اي لم نعطكم ثم اذا كذبوا الرسل اهلكهم الله وعاقبهم بانواع العقوبة ويحتمل
مكناهم في الارض من القوة والشدة كقوله وقالوا من اشد منا قوة ثم مع شدة قوتهم اهلكوا
اذ كذبوا الرسل ويحتمل وجها اخر مكناهم في الارض اي في قلوب الخلق من نفاذ القول
وخضوع الناس لهم لانهم كانوا ملوكا وسلاطين الارض من نحو نمرود وفرعون وعاد ومثلهم
كانوا كذلك اهلكوا اذ كذبوا الرسل وانتم يا هؤلاء لم يكن لكم شيء من ذلك افلا تهلكون اذا كذبتم
الرسل وانما حملهم على تكذيب الرسل والله اعلم لما كانوا ذوي منعة وقوة فلم يروا الخضوع لمن دونهم
في ذلك لما راوا الامر بالخضوع لمن دونهم في ذلك جحودا عن حكمة وانما اخذوا ذلك من ابليس
اللعين حيث قال عند امره بالسجود لادم قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فعلى
ذلك هؤلاء الكفرة راوا الامر بالخضوع لمحمد جحدوا امره حتى قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وقوله وارسلنا السماء عليهم مدرارا قال القتبي مدرارا بالمطر يعني غزيرا
مرة ودائما وقال ابو عوسجة اي درت عليهم السماء بالمطر اي كثر ودام وتتابع واحدا بعد
واحد في وقت الحاجة وجعلنا الانهار تجري من تحتهم يخبر عن سعته اولئك وما انعم عليهم من كثرة
الامطار والانهار ما لم يكن ذلك لهؤلاء ثم مع ما كان اعطاهم ذلك اهلكهم اذ كذبوا الرسل
فان قيل ذكر اهلاك اولئك وخوف هؤلاء بذلك بتكذيبهم الرسل وقد اهلك الرسل والاولياء
من قبل قيل لان اهلاك اولئك اهلاك عقوبة وتعذيب لانه كان اهلكهم هلاك استئصال
واستيعاب خارجا من الطبع واهلك اولئك الرسل والاولياء لا اهلاك عقوبة خارجا من
الطبع لذلك كان ما ذكر وقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم يخبر بشدة تعنتهم
انهم وان اوتوا ما سالوا من الايات لم يؤمنوا به لانهم كانوا سالوا رسول الله ان ينزل كتابا
فيه ما يقرؤنه كقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكقوله لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة ونحوه من الايات فقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس اي في صحيفة مكتوبة
يعلمون انه لم يكتب في الارض ولمسوه بايديهم وعاينوه لم يؤمنوا به ولا صدقوه وقالوا ان هذا
الا سحر مبين يصبر رسول الله انهم لا يؤمنون ويخبر بشدة تعنتهم انهم لا يؤمنون وان جئت
بكل اية اذ قد اتاهم من الايات ما ان تاملوا ذلك لم يتعنتوا لدلتهم على ذلك لكنهم اعرضوا عنها ولم

يتاملوا فيها لتعنتهم وشدة مكابرتهم والله اعلم وقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك
ان مشركي العرب كانوا لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتب ولا كانوا امنوا برسول ولا كتاب فقالوا
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا ونحوه من السؤال فثبتنا لولا انزل ملك ثم يحتمل سؤالهم
انزال الملك لما لم يكونوا راوا الرسل يكونون من البشر وانما راوا الرسل ان كانوا يكونون ملكا
فقالوا لولا انزل علينا الملائكة ويحتمل ان يكون سؤالهم انزال الملك سؤال عناد وتعنت
لا سؤال طلب الرسول من الملائكة فقال ولو انزلنا ملكا على ما سالوا لقضي الامر اي ان
الملك اذا نزل على اثر سؤال العناد والتعنت ينزل بالعذاب والهلاك فهذا ايبين ان
سؤالهم سؤال تعنت وعناد وقوله لقضي الامر ثم لا ينظرون اي انهم كانوا انبيا لو ان
انزال الملك اية لصدقه عليه السلام فقال ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون اي
يهلكون لان الايات اذا انزلت على اثر سؤال القوم ثم خالفوا تلك الايات وكذبوها انزل
بهم العذاب والهلاك وان جاءت الايات على غير سؤال فكذبوها يمهلون ولا يعذبون
عند تكذيبهم اياها والله اعلم وقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قيل ادميا بشرا
يحتمل هذا وجوها اي لو بعثنا الرسول ملكا لجعلناه على صورة البشر لانه لو كان على صورة
الملائكة لصعقوا ودهشوا لانه ليس في وسع البشر رؤية الملك على صورته الا ترى ان
جبريل عليه السلام اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل على صورته ولكن كان
ينزل على صورة البشر حتى ذكر انه كان ينزل عليه على صورة دحية الكلبي وانه متى رآه على صورته اشفق
وتغير حاله فاذا راوا ذلك في وجهه قالوا انه محموم فقال لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ويكون
فيه ما في رسول الله من اللبس به وذلك انه لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لانهم لا يعرفون صدقه
فيحتاجون الى الدلائل والايات تدلهم على انه ملك وعلى صدقه فذلك لا يعرف الا بالبشر لانهم
لا يعرفونه ولا يصدقونه وقوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون قالوا لا يجوز اضافة اللبس
الى الله تعالى الا على المجازاة اللبس كالاستهزاء والمكر والخداع ويحتمل قوله وللبسنا عليهم
ما يلبسون اي لو جعلناه ملكا للبسنا عليهم ما لبسوا اولئك على ضعفهم حيث قالوا ما هذا
الا بشر مثلكم وما انتم الا بشر مثلنا وغير ذلك من الكلام لكننا لا نفعل حتى لا يكون ذلك لبسا
اذ ليس في وسعهم النظر الى الملك ولو جعلناه ذلك ملكا لكان ذلك لبسا فقال لنا ملكا في
قوله لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم تقولوا انه قد انزل عليه الملك وهو
اخبر لو انزل عليه الملك لقضي الامر ولم يقض الامر فيه لايات لكم انما اخبر ذلك من نفسه
لان الله انزل عليه ذلك قيل انهم انما سالوا ان ينزل عليهم الملك وانما يذكر في الاية السؤال
ما ذكر في اية اخرى كقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او سالوا لولا ان تاتيهم الملائكة
وتاتيه قالوا كيف يختص هو باتيان الملائكة دوننا وهو كواحد منا كقوله لوما تاتينا بالملائكة
ان كنت من الصادقين وهذا جائز ان يكون اسولة لم تذكر ويكون في الجواب بيان ذلك على
ما ذكرنا من قبل في غير موضع وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزؤن يصبر رسوله على تكذيب قومه ليعلم انه ليس هو اول مكذب ولكن قد
كذب الرسل الذين من قبلك ويخبره انه يحل هؤلاء بتكذيبك كما حل اولئك بتكذيبهم الرسل و
وقوله فحاق قال ابو عوسجة اي رجع فحاق يحيق حيقا اي رجع عليهم وقال الكيسائي فحاق
بهم اي حاط ونزل وقوله قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على

الامر بالسير في الارض والنظر على الاعتبار والتفكر فيما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل لانه
لانه عز وجل اراهم آيات عقلية وسمعية فلم ينفعهم ذلك فاراد ان يريهم آيات حسية
بمشاهدة ذلك عن التكذيب والعناد **وقوله** قل لمن ما في السموات والارض قل لله الآية
يحتمل وجهين احدهما ان يخرج البيان لهم انه له لانه على الامر لانه لو كان على الامر لكان
يذكر سؤاله لهم ثم يذكر ان سألهم لا يحتمل انه لا يجيزوه ذلك فلما لم يذكر سؤاله لهم عن ذلك
ولا يحتمل ان يامره بالسؤال ثم لا يسأل او يسأل هو ولا يجيزوه فدل انه على البيان خرج
لا على الامر والثاني على امر سبق كقوله قل لمن ما في السموات وما في الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون سيقولون لله وكقوله قل من بيده ملكوت كل شيء الى قوله سيقولون لله وقوله قل من رب
السموات والارض ونحوه كان على امر سبق لسؤالهم عز وجل حتى قالوا الله كقوله ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله ذلك فسخر منه اياهم حتى قالوا الله وفي حرف ابن مسعود
وابي بن كعب قل لمن ما في السموات والارض قل لله هذا ايدل على انه كان على امر سبق وقال
بعضهم قل لمن ما في السموات والارض قل لله اي سلهم فان اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم
انت لله وقال قائلون فان سألوك لمن ما في السموات والارض قل لله **وقوله** كتب على
نفسه الرحمة قال الحسن كتب على نفسه الرحمة للتوابين المشتكين ان يدخلهم الجنة لا احد يدخل
الجنة بعمله انما يدخلون الجنة برحمته وعلى ذلك جاء الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقيل
كتب على نفسه الرحمة ان يجمعهم الى يوم القيامة اي من رحمته ان يجمعهم الى يوم القيامة حيث
جعل للولي عذابا وللولي ثوابا اي من رحمته ان يجمعهم جميعا لينتقم لعدوه ويثيب لوليه وقيل
من رحمته ان جعل لهذا الجميع فاوعد العاصي العذاب ووعد المطيع الثواب ليمتنع العاصي
ذلك عن عصيانه ويرغب المطيع في طاعته وذلك من رحمته وقال قائلون كتب على نفسه
الرحمة لامة محمد ان لا يعذبهم عند التكذيب ولا يستأصلهم كما عذب غيرهم من الامم واستأصلهم
عند التكذيب فالتاخير الذي اخرهم الى يوم القيامة من الرحمة التي كتب على
نفسه **وقوله** ليجمعنكم الى يوم القيامة قيل الى صلة ومعناه ليجمعنكم يوم القيامة وقيل
الى يوم القيامة اي ليوم القيامة كقوله ليوم لا ريب فيه وقال قائلون قوله ليجمعنكم في
القبور الى يوم القيامة ثم يجمعكم يوم القيامة والقرون السالفة **وقوله** لا ريب فيه
اي لا ريب في الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف ان خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث
والاحياء بعد الموت للثواب والعقاب ليس بحكمة **وقوله** الذين خسروا انفسهم قد
ذكرناه **وقوله** وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم في الآية والله اعلم انباء
ان الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما مقهورين مغلوبين اذ لم يكن لاحد من الجبابرة
والفراعنة الامتناع عنهما ولا صرف احدهما الى الآخر بل يدركانهم شاؤوا او ابوا وسلطانهما
جار عليهم ليعلموا ان لغيرهما فيهما تدبيرا وان قهرهما الخلق وسلطانهما كان بسلطان من له التدبير
والعلم فخرجا بانهما على سنن واحد ومجرى واحد يدل على ان منشئهما واحد ومدبرهما عليم
حكيم وقال بعض اهل التاويل ما سكن في الليل والنهار ما استقر في الليل والنهار من الدواب
والطير في البر والبحر فمنها ما يستقر نهارا وينتشر ليلا ومنها ما يستقر بالليل وينتشر
بالنهار وعن ابن عباس قال وله ما سكن في الليل والنهار وذلك ان كفار اهل مكة اتوا رسول الله

وقالوا

وقالوا يا محمد انا قد علمنا ما يحملك على هذا الذي تدعونا اليه الا الحاجة ونحن نجعلك في
اموالنا حتى تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزلت وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع لمقالتهم العليم بهم لكن التاويل من ابن عباس لا نعرفه لكن الوجه فيه ما ذكرنا ان الخلق كله تحت
قهرهما وسلطانهما وفيهما وجوه من الحكمة احدها بعض ما ذكرنا ليدل ان مدبرهما واحد وفيه
نقض قول الفلاسفة لانهم يقولون الظلمة كثافة متعادة والنور دقيق دراك وفيهما
ما ذكر من المنافع كقوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وغيره من المنافع
وقوله وهو السميع لمن دعاه العليم بمصالح الخلق وحاجتهم **وقوله** قل اغير الله
اتخذ وليا وفي حرف ابن مسعود ربا كان هذا صلة قوله قل لمن ما في السموات والارض قل
لله فاذا اقررتم ان ذلك كله لله فكيف تتخذون له شركاء تعبدون غير الله وهو فاطر السموات
والارض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما كيف تصرفون العبادة الى غير الله **وقوله** وهو يطعم ولا
يطعم قال اهل التاويل هو يرزق ولا يرزق ليس كمن له عبيد في الشاهد يرزق بعضهم
بعضا الموالي من العبيد والعبيد من السادات ينتفع بعضهم من بعض فاما الله سبحانه خلق
الخلق لا لمنفعة نفسه لانه غني بذاته والخلق فقراء اليه كقوله انتم الفقراء الى الله
والله هو الغني الحميد **وقوله** قل اني امرت ان اكون اول من اسلم قال الحسن اول من
اسلم من قومه واهله اي امرت ان اكون اول من اسلم اي امرت ان اسلم واخضع انا اولا
ثم امركم بذلك واحتج بعض الناس بظاهر هذه الآية ان الاسلام لا يلزم الا بالامر
والدعاء اليه وقالوا ان من مات قبل ان يؤمر به وقبل ان يدعى اليه فانه لا شيء عليه وعلى
ذلك من مات في وقت الفترة وانقطاع الرسل والوحي لانه قال اني امرت ان اكون اول
من اسلم اخبر انه امر بذلك ولو لم يؤمر لكان لا يلزمه لكن الوجه في الآية ما ذكرنا اي امرت
ان اسلم واخضع او لا اشرك او امر غيري فاذا كان التاويل هذا بطل ان يكون في ذلك حجة لهم
وقوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قال ابن عباس قل يا محمد لكفار اهل
مكة اني اخاف اي اعلم ان عصيت ربي فعبدت غيره عذاب يوم عظيم هذا التاويل
صحيح ان كان ما ذكر من سؤالهم رسول الله وعرضهم المال عليه ليعود ويرجع الى دينهم
فيخرج هذا على الجواب لهم وقال بعضهم قوله اني اخاف ان عصيت ربي على الخوف لكن
لقائل ان يقول كيف عذاب يوم عظيم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكيف
قال ان عصيت وقد اخبر انه عصمه وغفر له قيل يحتمل ان تكون المغفرة له على شرط
الخوف غفر له ليخاف عذابه **وقوله** من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال بعض
المعتزلة الرحمة ههنا الجنة لان الله جعل لمن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ظلمات
الآخرة وادرك احديهما النار وسماها سخطه والاخرى الجنة وسماها رحمة وانما حملهم على
هذا انهم لا يصفون الله بالرحمة في الازل فعلى قولهم يكون قول رسول الله الا ان يتغمدني
الله برحمته اي يثيبني الجنة ولكن سميت الجنة رحمة عندنا لما برحمته يدخلون الجنة
لا بما عملوا لما روينا عن رسول الله حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى قول المعتزلة لا يكون الله بالملائكة رحيما
لانه لا جنة لهم ولا ثواب وكذا لوجه فيه ما ذكرنا انما سميت رحمة لما برحمته يدخل فيها
وعلى هذا يخرج ما سمي المطر رحمة لما برحمته ينزل وكذلك كل ما سمي رحمة في الشاهد يخرج على

ما ذكرناه والله اعلم ثم قوله من يصرف عنه يومئذ قل من يصرف عنه العذاب يومئذ
فقد رحمه وكذلك روي في حرف حفصة من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه وفي حرف
ابن مسعود من يصرف عنه شر ذلك اليوم فقد رحمه ويحتمل ان يكون قوله من يصرف عنه يومئذ
فقد رحمه صلة قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وكذلك روي عن ابن
عباس قال في قوله قل اني اخاف قال لكفار اهل مكة حين دعوه الى دينهم على ما ذكر في بعض القصة
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وقوله وذلك الفوز
المبين وذلك الصرف يعني صرف العذاب الفوز المبين وانما ذكره والله اعلم فوزا مبينا لانه
فوز دايم لا زوال له وليس كفوز هذه الدنيا يكون في وقت ثم يزول عن قريب وكذلك فوز
الاخرة وقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فيه اخبار ان
ما يصيب العبد من الضر والخير انما يصيب به ثم الضر المذكور في الاية لا يخلو من ان يراد سقم
النفس وضيق العيش او شدة وبلاء يكون من العباد ولا يخلو من هذه الاوجه الثلاثة فاذا
كان كذلك فذلك اضافة ذلك الى الله تعالى في ان له فيه فعلا وهو الخلق يفعل ذلك منهم فهو
على كل شيء قدير من كشف الضر له والصرف عنه واصابة الخير لا يملك ذلك غيره وقوله وهو
القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير في هذه الاية والاية الاولى ذكر اصل التوحيد لانه اخبر
ان ما يصيب العباد من الضر والشدة لا كاشف له لذلك الا هو ولا يدفع ذلك عنهم ولا يرفع
الا الله وان ما يصيبهم من الخير انما يصيب ذلك الله واخبر انه على كل شيء قدير وفي قوله
وهو القاهر فوق عباده اخبار انه قاهر قهر الخلق عن نفاذه وله سلطان عليهم والخلق كلا
تحت سلطانه وفي قوله فوق عباده اخبار بالعلوية والعظمة وبالتعالي عن اشباه الخلق
وهو الحكيم يضع كل شيء موضعه الخبير بما يسرون وما يعلنون اخبار ان لا يخفى عليه شيء
وانه يملك وضع كل شيء موضعه وان ما يصيبهم من الضر والشدة انما يكون به لا يملك احد
صرفه وان من احد احدا في التعاهد او نفع احد احدا انما يكون ذلك بالله في الحقيقة
وفي هذه الاحرف اخبار عن اصل التوحيد وما يحتاج اليه لما ذكرنا من الوصف له بالقدرة
والقهر والوصف له بالعلو والعظمة والتعالي عن اشباه الخلق والوصف له بالحكمة
في جميع افعاله والعلم بكل ما كان ويكون وقوله قل اي شيء اكبر شهادة كانت في الاية
اضمار والله اعلم ان قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة فيقولون الله لانهم كانوا يقرون انه خالق
السموات والارض وانه اعظم من كل شيء لكن يشركون غيره في عبادته ويقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ولا كانوا يقرون بالعظمة له والجلال فاذا سئلوا اي شيء اكبر
شهادة فيقولون الله ويحتمل ايضا ان يقول لنبيه انهم اذا سالوا اي شيء اكبر شهادة قل الله
فانك اذا قلت لهم ذلك يقولون هم ايضا وقوله قل الله شهيد بيني وبينكم في كل اختلاف
بيننا وبينكم في التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه ويحتمل قل الله شهيد بيني وبينكم في كل
حجة وبرهان اتاها الرسول بهم وفي قوله قل اي شيء دلالة انه يقال له شيء لانه لو لم
يجز ان يقال له شيء لم يستثن الشيء منه وكذلك في قوله ليس كمثله شيء انه شيء لان لا شيء في
الشاهد انما يقال انا للتصغير فلا يجوز في الغايب النفي ولا التصغير ودل انه انما
يراد بالشيء الاثبات لا غير وبالله العصمة وذكر في بعض القصة في قوله قل اي شيء اكبر شهادة
ان رؤساء مكة اتوا رسول الله فقالوا يا محمد اما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا

يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة ولا نعت فارنا من يشهد لك انك رسول الله كما تزعم فقال الله يا محمد قل لهم
اي شيء اكبر شهادة يقول اعظم شهادة يعني البرهان بحجة وبرهان وكل نبي بحجة وبرهان
فان اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم الله اكبر شهادة من خلقه اي رسوله والله شهيد بيني
وبينكم في كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد واثبات الرسالة والبعث وكل شيء وذكر في هذه
القصة انهم لما قالوا من يشهد ان الله ارسلك رسولا قالوا فهلا انزل اليك ملك فقال الله
لنبيه قل لهم يا محمد الله شهيد بيني وبينكم اني رسول وانه اوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن
بلغ القرآن من الجن والانس فهو نذير لهم قال لهم ايتكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
قالوا نعم نشهد فقال الله لنبيه قل لهم لا اشهد بما شهدتم ولكن اشهد انما هو اله واحد
وانني بريء مما تشركون وقوله واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ كانه قال اوحي
الي هذا القرآن الذي تعرفون انه من عند الله لانه قال لهم فاتوا بسورة من مثله فعجزوا
عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله انهم عرفوا انه جاء من عند الله وقوله
لانذركم به ومن بلغ لا ينذر بالقرآن ولكن ينذر بما في القرآن لان فيه انباء ما حل
باشياعهم بتكذيبهم الرسل وما حل بهم من العذاب في الاخرة بتكذيبهم الرسل والا ظاهر
القرآن ليس مما ينذر به وقوله ومن بلغ كانه قال واوحي الي هذا القرآن لانذركم به
وانذر من بلغ القرآن صار رسول الله نذيرا ببلوغ القرآن الى من بلغه فاذا انذر به لمن
بلغه وان كان هو في اقصى الدنيا يصير هو نذيرا الى اقصى الزمان في كل زمان وهو والله
اعلم كقوله ولكل قوم هاد ورسول الله هاد لقومه الى يوم القيامة وفي الاية دلالة ان
البشارة والنذارة يكونان ببعث آخر بشيرا او نذيرا وهو دليل لقول اصحابنا ان من حلف ان
عنده من عبيدي بشرني بكذا فهو حر فبشره بكتاب او برسول يكون بشارة وقوله انكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى هذا في الظاهر استفهام ولكنه في الحقيقة ايجاب انكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى بعد ما ظهر عندكم ايات وحدانيته وحجج ربوبيته لما
عرفتم انه خالقكم وخالق السموات والارض به تعيشون وبه تحيون وبه تموتون فما الحجة
لكم هذا اشركتم مع الله الهة اخرى وليس ذلك لكم مما تشركون في عبادته والوهيته
وانا لا اشهد وانما اشهد انه اله واحد وانني بريء مما تشركون في الوهيته وربوبيته
وقوله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قيل نزلت سورة الانعام في
محاجة اهل الشرك الا ايات نزلت في محاجة اهل الكتاب احديها هذه وجايز ان يكون
اهل الشرك يعرفون انه رسول كما يعرفون ابناءهم ويكون الكتاب هو القرآن هاهنا لما تبع
اسماعهم هذا القرآن وامروا ان ياتوا بمثله فعجزوا عنه وبما كانوا يختلفون الى اهل
الكتاب ويسالونهم عن نعته وصفته ويخبرونهم يعرف اهل الشرك انه رسول كما عرف
اهل الكتاب بوجود نعته وصفته في كتابهم وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لعبد الله
ابن سلام ان الله قد انزل على نبيه بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
فكيف يا عبد الله المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني
اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد مني لابني فقال كيف ذلك فقال
انا اشهد انه رسول الله حق من الله ولا ادري ما صنع النساء او ما احدثت النساء وقد

٥٤٦

نعته في كتابنا فقال له حمد صدقت واصبت وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
قال اهل التاويل لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لكن هذا في الحقيقة كانه سؤال
واستفهام كانه قال من اظلم من الظالمين قال من افترى على الله كذبا فيما لمن نقل هذا اقال
فلان او من قال هذا اقال فلان فهو والله اعلم في السؤال والاستفهام ثم قيل الذين
افتروا على الله كذبا ان معه شريكا كقولهم ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى وقوله او كذب باياته
قيل محمد وقيل القرآن انه ليس من الله انه لا يفلح الظالمون قال بعضهم انه لا يفلح الظالم
بظلمه لكن عندنا قوله انه لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم او نقول لا يفلح الظالمون اذا
ختموا وماتوا على الظلم والكفر وقوله ويوم نحشرهم جميعا المطيع والعاصي والكافر
والمؤمن ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ذكرها هنا شركاؤكم اضاف
ذلك اليهم لانهم كانوا من حلفهم وجوهرهم ينفقون كما ينفقون هم وذكر في اية اخرى شركائي
الذين كنتم تزعمون انهم شركائي وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
قال الحسن الاية نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يكذبون في الدنيا فيما بينهم فظنوا
ان سيروج كذبهم في الاخرة كما كان يروج في الدنيا وسماهم مشركين لانهم كانوا مشركين لانهم
كانوا اشركوا اي استرقوا لنا والله ربنا ما كنا مشركين وقال غيره من اهل التاويل الاية
نزلت في اهل الشرك من العرب وذلك انهم كانوا يشركون مع الله الهة وكانوا ينكرون
البعث بعد الموت وينكرون الرسالة فلما عاينوا ذلك انكروا ان يكونوا اشركوا غيره في
الوهيته وربوبيته وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي لم يكن افتتانهم في الدنيا بافترائهم
على الله الكذب واشراك غيره معه وتكذيبهم ايات الله الا ان قالوا في الاخرة والله ربنا
ما كنا مشركين وذكر في القصة ان المشركين في الاخرة لما راوا كيف يتجاوز الله عن اهل
التوحيد فقال بعضهم لبعض اذا سئلنا فقولوا انا كنا موحدين فلما جمعهم الله وشركاءهم
فقال اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا بانهم معي شريك ثم لم تكن فتنتهم قالت
اهل التاويل معذرتهم وحجتهم الا الكذب حين سئلوا فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتبرؤوا
من ذلك ثم قال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون من
الشرك في الدنيا قيل لما انكروا ان يكونوا مشركين في الدنيا ختم الله على السنتهم وشهدت
الجوارح عليهم بالشرك وقيل انظر كيف كذبوا على انفسهم تقول كيف صار وبال كذبهم عليهم
وضل عنهم قيل واشتغل عنهم ما كانوا يفترون يقول يكذبون واصله انه يذكر بتبعة تبعة
نفعتهم وسفههم انهم كيف يكذبون عند معاينة العذاب فاذا كانوا بما في منه وبعد
كانوا اشد تكذيبا واكثر تعنتا لانهم يطلبون الرد الى الدنيا بقولهم فيشفعوا لنا او نرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله ومنهم
من يستمع اليك كانوا يستمعون اليه ليجادلوه على ما ذكر حتى اذا جاءوك يجادلونك وقال
هذا انهم كانوا يستمعون اليه ليجادلوه ويخاصموه وقيل في بعض الحكايات ان
الناس كانوا ثلاث فرق في اخبار الرسل والانبياء صلى الله عليهم وسلم منهم من يستمع للحفظ
والاستكثار ومنهم من يستمع لياخذ عليهم سقطاتهم وما يجري على لسانهم من الخطا ومنهم
من يستمع لياخذ الحق منه ويترك الباقي وذلك هو الا كانوا يستمعون اليه ليخاصموه في
ذلك ويجادلوه ليعرف قومهم انهم يستمعون اليه ويعرفون ما يقول ليصدوا بذلك اتباعهم

والثاني

٥٤٧

والثاني انهم يستمعون ويحاجون في ذلك ليعرفوا انهم اهل حجاج وعلم ليصدوهم عنه
ثم يحتمل ان يكونوا اهل نفاق لانهم كانوا يراءون ويظهرون الموافقة لرسول الله ويضمرون
الخلاف له ويحتمل ان يكونوا اهل الشرك ايضا وشاءهم ليستمعوا اليه ويجادلوه فيما
بينهم يستمعون اليه وقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا اخبر انه جعل
على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقرا وقال صم بكم عمي يعني ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وانهم يكونوا
في الحقيقة صما ولا بكما ولا ما ذكر لما لم ينتفعوا بما انشأ فيهم من السمع والبصر والعقل نفي
عنهم ذلك ثم قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة لا يخلو اضافة ذلك الى نفسه من ان يكون خلق منهم
فعل الكفر او خلق الظلمة التي في قلوبهم يعني ظلمة الكفر لان ظلمة الكفر تستر وتغطي كل شيء
ونور الايمان ينير منه كل شيء فاضافة الفعل اليه لا تخلو من احد هذين الوجهين اما لخلق فعل
الكفر منهم فيه ولا له خلق افعالهم واما لخلق ظلمة الكفر في قلوبهم وفيه رد قول المعتزلة
لانكارهم خلق فعل العباد وقوله وفي اذانهم وقرا وقيل الوقر هو الثقل في السمع يقال
وقرت اذنه توقر وقرا فهي موقورة واما الوقر فهو الحمل وقال ابو عوسجة الوقر الصدع
في العظم ايضا وقوله وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يحتمل كل اية اية وحدانيته
وربوبيته وقدرته على البعث واية رسالته ونبوته ويحتمل كل اية سالوا ان ياتيهم
بقول وان اتيت بكل اية سالوك لا يؤمنون بك بعد ذلك ابدا كقولهم لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا ونحو ذلك مما سالوا من الايات يقول انك وان جئت بما سالوك من
الايات لا يؤمنون بك ولا يصدقونك يقول ان هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا الا
اساطير الاولين قيل احاديث الاولين والاسطورة الكتاب يقولون ذلك تعنتا منهم لانهم
كانوا يعرفون انه حق وانه ليس بكلام البشر لانهم عجزوا عن اتيان مثله ولو كان هو مفترى على
ما قالوا لقدروا هم على ان ياتوا بمثله حيث قيل لهم فاتوا بسورة مثله فعلموا بعجزهم عن
اتيان مثله انه ليس من كلام البشر وانه سماوي وقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه
ينهون الناس عن طريقته ومتابعته وينأون عنه اي يتباعدون عنه ينهون غيرهم عن اتباعه
ويتباعدون هم ويحتمل ما ذكر في القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب يدعو
الى الاسلام اجتمعت قريش عنده ليريدوا بالنبي سوءا فقال ابو طالب وانشد فيه

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

كان ينهى الناس عن اذى محمد ويتباعد هو عنه فلا يتبعه في دينه فنزل هذا وقوله
ان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اي لا يشعرون انهم بذلك يسعون في هلاك انفسهم
وقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا قال الحسن قال ترى اذ وقفوا على النار
وفي حرف ابن مسعود ولو ترى اذ عرضوا على ربهم ولا ما روي عن ابن مسعود وقفوا عرضوا
على النار ولا يجوز ان يحمل قوله اذ وقفوا على النار اي عند النار او في النار على مكان
عنده او مكان فيه وذلك جائز في اللغة ولكن ما روي عن ابن مسعود اغنانا عن ذلك ثم

يحتمل والله اعلم ان يكون هذا صلة قوله ان هذا الا اساطير الاولين كانه يقول ولو ترى يا محمد اذ
وقفوا على سعير النار لرحمتهم لما كان منهم من القول فيك ان هذا الا سحر مبين ان هذا الا اساطير
الاولين وهكذا الواجب على كل احد ان يرحم عدوه اذا كان عاقبته النار ولا يتحدث بها وان لا يطلب
الانتقام منه بما كان منه بمكانه او ان يبال ولو ترى اذ وقفوا على النار من الذل والخضوع
لرحمتهم بما كان منهم من التكبر والاستكبار في الدنيا وهو كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم الاية اخبر عن ذلهم وخضوعهم في الاخرة بما كان منهم في الدنيا من الاستكبار والاستنكاف
فيلي ذلك يخبر نبيه عما يصيبهم من الذل بتكبرهم في الدنيا والله اعلم وقوله فقالوا يا ليتنا
نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين تمنوا عند معاينتهم العذاب العود الى والرد
الى الدنيا فرنيه ويلاه احدهما انهم عرفوا انما اصابهم انما اصابهم بتكذيبهم الايات
وتركهم الايمان حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا والثاني ان الايمان هو التصديق
المفرد لا غير لانهم انما فزعوا عند معاينتهم العذاب تمنوا الرد والعود الى الدنيا الى الايمان
ان يكونوا من المومنين لم يفزعوا الى شيء اخر من الخيرات دل ان الايمان هو التصديق المفرد
لا غير وانه ضد التكذيب والتكذيب هو فرد فعلى التصديق و**قوله** بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل قيل فيه بوجوه قال بعضهم قوله ومنهم من يستمع اليك انما نزلت في المنافقين
يدل على ذلك قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وهو سمة اهل النفاق انهم كانوا يظهرون
الموافقة للمومنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة لهم ويحتمل قوله بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل وما هم كانوا عرفوا في الدنيا انه رسوله وان ما نزل عليه من الله وعرفوا انه
النبي حتى كتموا اخفوا ذلك على اتباعهم وستروه ثم ظهر ما كانوا يخفون على اتباعهم وقيل قوله
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وذلك انهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين و**قوله**
ولو ترى اذ وقفوا على النار يحتمل قوله وقفوا على النار اي حبسوا اذ الوقف حبس والنار لا يوقف
عليها بل يكون فيها كما قال عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش ويحتمل الوقف عندها قبل الدخول في حال الحساب للمسايلة كقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم الاية ولو ترى اي لو ترى ذلهم وخضوعهم كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم وترك جواب لو وقد يترك جواب لو لما يعلم بما لا يحتمل او لما لا ذكر كقوله لولا اذ سمعتموه
ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا يعني ظننتم او على ما ذكر في موضع اخر نحو قوله ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم انما يجب الوقف
ذلك فنقل معناه لو ترى ذلهم بعد استكبارهم لرحمتهم على ما هم عليه وذلها ان عليك الا البلاغ
لا ذا هموا لا شفقت عليهم ويحتمل قوله ولو ترى ما ينزل بهم من نقمة الله وتحل بهم
من عذابه لعلمت ان القوة لله جميعا وانه بحلمه ورحمته يملي لهم ويستدرجهم كقوله ولو ترى
الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا الاية ويحتمل ان يكون جوابه فيما ذكر من تمنيهم
العود وندامتهم على ما سلف منهم وشدة تلهفهم على صنيعهم لرايت ذلك امرا كافيا وجزاء
بالغا لما يكون او يكون ما ينزل بهم اعظم عندك مما تلقى منهم وقد يخرج الخطاب لرسول الله على
تضمن تنبيه كل مميز وتذكير كل متامل والله اعلم و**قوله** يا ليتنا نرد قيل الى الدنيا وقيل
الى المحنة من حيث لا يحتمل كون الدنيا بعد كون الاخرة لكن هذا التكلف بتحقيق مرادهم فهم ظاهر
سفههم ولعله يلتبس عندهم هذا التمييز او يقولون شيئا كما قالوا كذبا بقوله والله لا كذبوا

و**قوله** بايات ربنا قال الحسن بدين ربنا وقال قوم حجج ربنا فيكون في الاية اعتراف انهم على
التعنت كذبوا اي الاول لا على الجهل وان كان ثم ايات عاندوها وهادموها وقد سبق من الله الخبر
عنهم بما فيه العناد منهم كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك
يدل على تعنتهم في القول ليتخلصوا عما ابتلوا بجميع ما يحتمل وسعهم لا ان ذلك كذلك في تلويحهم
لذلك والله اعلم قال الله وانهم لكاذبون في قوله ولا نكذب بايات ربنا ونكون من
المومنين انهم قد عرفوا ان الايمان هو التصديق لوجهين احدهما انهم جعلوا الايمان مقابل التكذيب
فيعلم انه التصديق والثاني انهم ذكروا الايات والايات تكذب بها او يصدق لا ان
يعمل ويعبد فان الذي في حد امكان الايمان بما فات هو التصديق اذ الغير لو توهم الا انه لم يكن يوجد
لاجل ما سبق من الترك والتصديق لو امر بهن لما سبق من التكذيب على انه اجمع ان لا يومر من
امن بقضاء شيء مما فات بتثبت انهم ارادوا به التصديق وفيه استدلال لذلك حتى عرفه اهله وغيره
اهله معرفة واحدة والله اعلم و**قوله** بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قيل فيه بوجوه قال
بعضهم قوله يخرج على وجوه احدها على ان الاية في اهل النفاق ظهر ما قد امن وامر الكفر وانه
ان تكون الاية في رؤساء الكفرة اهلها بالبعث وبان الرسل تكون من البشر وان لا شريك
لله فبدا الاتباع ما كانوا قالوا لهم لبسا يخفون في الدنيا ويحتمل وبدا لهم من صنيعهم ما قد امنوه
وامروه في انفسهم ظنوا انه لا يطلع على ذلك احد وذلك في قوله يوم تبلى السرائر وقوله وحصل
ما في الصدور وغير ذلك ويحتمل ما كانوا يخفون من الخلق او بدا لهم ذلك بالجزاء و**قوله**
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اخبر الله عن علمه بما تقدم وذكره
في ذلك الوقت انما كان في علمه ان يكون وان كان من حكمه ان لا يعودوا في ذلك ان الاية لا تنقطر
صاحبها ولا قوة الا بالله وقال قوم ان الخلود بلزوم في النار بما هو في علم الله انهم يلزمون
ما هم عليه لو مكثوا للابد وقال قوم انه لم يجز لزوم العذاب بما يعلم الله من العباد من احد لم
يمتحن بلا محنة ولا خلاف فيلي ذلك امر الخلاف لكن الاية في كل خاص منهم وهو الذين عندوا وعندوا
الحق بعد الوضوح على ما ذكر في كثير من الكفرة انهم لا يومنون ابدا ثم امهلهم على ذلك وهذا يبين
ان ليس يمنع الاعادة لما يعودون له لو كان يحتاج الحكمة الاعادة اذ قد امهل وابقى على العلم
بذلك فيلي ذلك الاعادة لكنه اخبر عن تعنتهم شرط منه الحجة له ان الله لو علم انهم يومنون
لردهم الى ذلك اذ بين انهم لا يومنون فيثبت لو ان هذا اذ ليس لله قبض روح يعلم انه لو لم
يقبضه يومن يوما من الدهر وقد بينا نحن ان ذلك لا يوجب وان كان اذ ليس في علم الله ان
يعودوا الى ذلك بما قد يترك في الدنيا من يعلم انه يلزم الكفر ويبقى عن المهالك من يعلم انه
يعود ثم قد يترك من لا يعود الى الكفر على وجوه مما به النجاة عنه والله اعلم ويقال فان الله
قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض يبين انه لم يبسط لئلا يبغوا وقال
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ثم قد جعل لكثير ممن ضل بعد فوقهم
نحو النواعنة وكثير منهم وقد بغوا في الارض اذ لو لم يكن البسط لبغى عون لم يكن ليدعي الالهية
لكن الاول طريق الفضل يفضل به والثاني في طريق العدل وما يجوز في الحكمة فيلي ذلك الامهال
يبين لك ما كان الله يامر بقتل من لعلك يومن لو امهل بما ندب الى القتال ولا يحتمل ان يامر
في قتل من ليس له قبض روحه وقد يبقى من به يهلك وبعضه ان تقبض كثيرا منهم بما يضل به لو
ابقى كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا والله اعلم وطلب الخوارج بهذه الاية ان كل من

يرتكب كبيرة يظهر منه كذبه فيها وعداته لا يبقى اذ الله تعالى هو كذبة بما في علمه انهم يعودون الى ذلك فاذا اقترن عند ناس احد ذكوب ما كان عهده واسنانه انه يرتكب يظهر به كذبه وذلك خطاء لانه لو كان كذلك لكان الصغاير والكباير واحدا ومن كذب في امر الصغاير في العهد او الكفر ومن ارتكب لم يقض كذلك فعلى ذلك الكباير لكن الاية تخرج على وجوه احدها انها في قوم ارادوا بذلك دفع العذاب لا ان عزموا على ما ذكروا وليله نفيتهم بقوله والله ربنا ما كنا مشركين والثاني انه ذكر كذبهم انطق الله جوارحهم فشهدت عليهم ما كتموا من الشرك فتمنوا عند ذلك العود والرد ويحتمل بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من نعت محمد وصفته في الدنيا وكتموه والله اعلم وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون يتعلق بظاهر هذه الاية الخوارج والمعتزلة اما المعتزلة فانهم قالوا انهم لما طلبوا الرد ولم يردهم لما علم انه لو ردهم لعادوا الى التكذيب ثانيا ولو علم منهم انهم لا يعودون لكان يردهم فذلك انه انما لم يردهم لما علم منهم انهم يعودون الى ما كانوا من قبل فيستدلون بظاهر هذه الاية على ان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح لهم في الدين وقالوا لو علم منهم الايمان لكان لا يجوز له ان لا يردهم ومن قولهم انه اذا علم من كافر انه يؤمن في آخر عمره لم يجز له ان يميته وغير ذلك من المحاليل والاباطيل وقالت الخوارج اخبر انه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه وسماهم بالقول كاذبين بما في علمه انهم لا يفعلون بما يقولون فعلى ذلك كل صاحب كبيرة اذا كان في اعتقاده الذي اظهره انه لا يأتي بها فاذا اتى بها يصير فيما اعتقده ان لا يأتي بها كاذبا ولذلك يجعلون اصحاب الكباير كذبة في القول الاول انهم لا يأتون بها وعلى ذلك كانت المبايعة بقوله يبايعنك على ان لا يشركن بالله الاية فاذا سرقن صرن كاذبات في البيعة كما جعل من ذكر كاذبا في الوعد اذا اخلف وعلى ذلك يجعلونه كافرا وقوله وانهم لكاذبون يحتمل لكاذبون اي فيكذبون لو ردوا او انهم كاذبون في قولهم ونكون من المؤمنين اي يعرضون انهم لا يؤمنون كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يقولون انك رسول الله لكنهم لما امنوا واخلاف ذلك في قلوبهم سماهم كاذبين فعلى ذلك هؤلاء لما امنوا في انفسهم التكذيب وان ردوا انهم كاذبون في ذلك وقوله ولو ردوا اي الى الدنيا ولكن ولو ردوا الى المحنة ثانيا لعادوا الى ما نهوا عنه والثاني انه ذكر كذبهم بما اعتادوا العناد وظهر منهم الجحود في القديم فلذلك سماهم كذبة كما سمي اهل النار كفرة بما كان من كفرهم قبل ان يصيروا اليها فعلى ذلك هذا والثالث ان يكون على الخبر عن عاقبتهم انهم يصيرون كاذبين لو ردوا وعرض عليهم ذلك وبعث لهم الرسل بالايات لا ان يكذبوا في ذلك الوعد وقوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله ان هي يحتمل هي الحياة الدنيا ويحتمل هي الدنيا ثم هذا القول يحتمل ان يكون من الدهرية لا نهم يكذبون البعث والحياة بعد الموت ويقولون ان هذا الخلق كالنبات ينبت ثم يبلى ثم يخلق لكن الخلق يموت ويصير ترابا ثم يحيون في الدنيا كقوله نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ويحتمل ان هذا القول كان من مشركي العرب لما لم يروا الا الدهر ولم يشاهدوا غيره فظنوا انه ليس يهلكهم الا ذلك الدهر الذي يدور الدنيا عليه فان كان ذلك منهم فانما كان ذلك من كبرائهم ورؤسائهم على علم منهم بذلك اي بالبعث يلبسون ذلك على السفلة والاتباع ليكونوا الخدا اتباعا لهم والدنيا لا انهم لو علموا الاتباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتباعهم لما

يشتغلون بالاستعداد لذلك والعمل له ففي ذلك ترك اتباعهم وطاعتهم وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وكقوله وما ذبح على النصب اي النصب واصله ما روي في حرف ابن مسعود ولو ترى اذ وقفوا اذ عرضوا على ربهم وقوله قال اليس هذا بالحق يحتمل قوله اليس هذا بالحق اي البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون ان الله باطل ويحتمل بما كانوا اوعدوا العذاب انهم لم يؤمنوا انكذبوا بذلك فقال اليس ما اوعدتم في الدنيا حق فاقروا انه لو قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا وقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يحتمل قوله كذبوا بلقاء الله اي كذبوا البعث وعد الله ووعيده في الدنيا وعلى هذا يخرج قوله من كان يرجوا لقاء الله اي يرجوا لقاء وعد الله ووعيده خبر وامن الاخرة فيكذبهم ذلك في الدنيا وعلى ذلك يخرج ما روي في الخبر من احب لقاء الله احب الله لقاءه ما عند الله له ومن كره لقاء الله اي كره لقاء ما وعد له واصله من احب الرجوع الى الله احب الله رجوعه ومن كره الرجوع اليه كره الله رجوعه اليه والمحبة لله اختيار امره وطاعته وعلى ذلك ما روي في الخبر عن رسول الله قال الدنيا جنة الكافر يلعب فيها غير منعض في اماتها وسجن المؤمن وراحته بالموت واصله انها سجن المؤمن لان المؤمن يمنعه دينه من قضاء شهواته لما يخاف هلاكه وتحمله عما ينقضه الى الهلاك والكافر لا يمنعه شيء من ذلك عما يريد من قضاء شهواته في الدنيا فيكون له كالجنة وللمؤمن كالسجن على ما ذكرنا ويحتمل قوله وجها آخر وهو ان الكافر عند الموت يعاين مكانه وما اوعد له في النار فيصير عند ذلك الدنيا كالجنة له ويكره الرجوع والمؤمن يعاين موضعه في الجنة فيصير كالسجن له وقوله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قيل سميت القيامة ساعة لنزعها الثبت كالدنيا لان في الدنيا تتغير فيها على المرء الاحوال يكون نطفة ثم يصير علقة ثم مضغة ثم يصير خلقا آخر ثم انشأنا ثم يكون طفلا ثم رجلا يتغير عليه الاحوال واما القيامة فانها لا تتغير على تغير الاحوال فسميت الساعة لنزعها بهم وقيل سميت القيامة الساعة لانها تتغير في ساعة ومن كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقيل سميت الساعة وقوله وقوله بغتة اي فجاءة وقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قيل التفريط هو التضييع فيحتمل قوله ما فرطنا فيها اي ما ضيعنا في الدنيا من المحاسن والطاعات ويحتمل ما ضيعنا في الاخرة من الثواب والجزاء الجزيل بكفرهم في الدنيا وقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هو والله اعلم على التمثيل ليس على التحقيق وهو يحتمل وجهين يحتمل انه اخبر انهم يحملون اوزارهم على ظهورهم بما لزمتهم الاوزار والآثام لم ينفكوا عنها قط ووصفهم بالحمل على الظهر ومن كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه لا يكون طايره في عنقه لكن لما لزم ذلك صار كانه في عنقه والثاني انما ذكر الظهر لما بالظهر يحمل ما يحمل فكان كقوله فبما كسبت ايديكم وبما قدمت ايديكم لان الكفر لا يكتسب بالايدي ولا يقدم بها لكن اكتساب الشيء وتقديمه لما كان باليد ذكر الاكتساب اليد وتقديمه وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم انهم لما تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر لان الذي ينبذ وراء الظهر هو الذي لا يعبأ به ولا يكترث اليه ويحتمل وجها آخر ما ذكر في بعض القصة انه ياتيه عمله الخبيث على صورة قبيحة فيقول له كنت احملك في الدنيا باللذات والشهوات فانت اليوم تحملني فيركب ظهره فذلك قوله

وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وقوله وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو يحتمل ان يكون هذا صلة قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي الحياة الدنيا للدنيا خاصة لان العمل اذا لم يكن لعاقبة يتأمل فهو عبث كبان يبني بناء لا لعاقبة يتأمل ويقصد بينائه فهو لعب وعبث فعلى ذلك الحياة الدنيا لا لدار اخرى يتأمل ويرجى به الثواب والعقاب ليس بحكمة وانما هو لعب ولهو وعلى ذلك يخرج قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا اخبر ان خلقه اياهم اذا لم يكن للرجوع اليه فهو عبث فعلى ذلك الحياة الدنيا اذا لم يكن هناك بعث بعد الموت للثواب والعقاب فهو لعب ولهو واللهو ما يقصد به قضاء الشهوة خاصة لا يقصد به العاقبة واللعب هو الذي لا حقيقة له ولا مقصد وقوله وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون اي الدار الاخرة خير للذين يتقون الشرك والفواحش كلها من الحياة الدنيا لكم واصله ان الحياة الدنيا على ما عند اولئك الكفرة لعب ولهو لان عندهم ان لا بعث ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان عندهم هكذا فيصير لعبا ولهوا لانه يحصل انشاء لا عاقبة له فيكون كبناء البناء الذي ذكرنا اذا كان عاقبة غير مقصودة فهو لا انتفاع به وقوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون هذا والله اعلم اخبار منه نبيه انه عن علم منه بتكذيبهم اياك بعثك اليهم رسولا وامرك بتبليغ الرسالة اليهم وكان عالما بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم اياك ذلك بعثك اليهم رسولا مع علم منه بذلك لتبلغهم بذكر هذا والله اعلم ليعلم رسوله ان لا عذر له في ترك تبليغ الرسالة وان كذبوه في تبليغها ثم الذي يحمله على الحزن يحتمل وجوها يحتمل يحزنه افتراؤهم وكذبهم على الله او كان يحزن لتكذيب اقربائه وعشيرته اياه فاذا كذبته عشيرته انتهى الخبر الى الابعدين فيكذبونه فيحزن لذلك او يحزن حزن طبع لان طبع كل احد ينفر عن التكذيب او كان يحزن اشفاقا عليهم بما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياه وهذا هو الاشبه كقوله لعلك باخع نفسك الاية وكقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله فانهم لا يكذبونك اختلف في تلاوته قرا بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد والتثقيل فمن قرا بالتخفيف لا يكذبونك اي لا يجدونك كاذبا قط ومن قرا بالتثقيل لا يكذبونك اي لا ينسبونك الى الكذب ولا يكذبونك في نفسك ويحتمل قوله لا يكذبونك في السر ولكن يقولون ذلك في العلانية والتكذيب هو ان يقال انك كاذب ولكن الظالمين اي عادة الظالمين التكذيب بايات الله والظالمين يحتمل وجهين احدها الظالمين على نعم الله عادتهم التكذيب بايات الله او الظالمين على انفسهم لانهم وضعوها في غير موضعها وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يخبر نبيه ويصبره على تكذيبهم اياه واذاهم بتبليغ الرسالة يقول لست انت باول مكذب من الرسل كذبت اخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة فصبروا على ما كذبوا واوذوا ولم يتركوا تبليغ الرسالة مع تكذيبهم اياهم فعلى ذلك لا عذر لك في ترك تبليغ الرسالة وان كذبوك في التبليغ ويؤذوك ومما ذكرنا انه يخبره انه بعثك رسولا على علم منه بكل الذي كان منهم من التكذيب والاذى وقوله فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا اخبر الله انه نصر رسله ثم يحتمل ذلك النصر وجوها احدها نصرهم اي اظهر حججه وبراهينه حتى علموا جميعا انها حجج وبراهين وانهم رسل الله لكنهم تعاندوا وكابروا ويحتمل النصر لهم بما جعل آخر امرهم لهم وان كان قد اصابهم

شدائد في تبليغ الامر ونصرهم لما استاصل قومهم واهلكهم بتكذيبهم الرسل في استيصال القوم واهلاكه اياهم وابقاء الرسل نصرهم وكذلك قوله انا لننصر رسلنا وقوله انهم لهم المنصورون يخرج على الوجوه التي ذكرنا وقوله ولا مبدل لكلمات الله هو ما ذكرنا من النصر لهم واستيصال قومهم وما اوعدهم من العذاب فذلك كما شاء به ويحتمل قوله كلمات الله حججه وبراهينه كقوله ويحق الله الحق بكلماته اي بحججه واياته وكقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي لحجج ربي وقوله ولقد جاءك من نبا المرسلين يحتمل هو ما ذكرنا من اهلاك القوم وابقاء الرسل قد جاءك ذلك النبأ ويحتمل قوله ولقد جاءك من نبا المرسلين من تكذيب قومهم واذاهم اياهم فان كان هذا ففيه تصبير رسول الله وقوله وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشق عليه كفر قومه واعراضهم عن الايمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك اشفاقا عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين ونحو ذلك من الايات يشفق عليهم بتركهم الايمان لما يعذبون ابدا في النار ويحتمل ذلك قوله وان كان كبر عليك اعراضهم او كان يكبر عليه ويثقل اعراضهم لما كانوا يطلبون منه الايات حتى اذا جاءهم بها لا يؤمنون من نحو ما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك من الايات التي سالوها فطمع رسول الله في ايمانهم اذا جاءهم بما سالوا من الايات فكان الله عالما بانهم وان جاءتهم ايات لم يؤمنوا وانما يسالون سؤال تعنت لا سؤال طلب ايات لتدلهم على الهدى فقال عند ذلك فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء او ان يكون قوله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء او ان يكون قوله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض نفيا عن الحزن عليهم اي لا تحزن عليهم كل هذا الحزن بما ينزل بهم وقد تعلم صنيعهم وسوء معاملتهم ايات الله وكذلك روي في القصة عن ابن عباس ان نفرا من قريش قالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تاتي قومها بالايات فان اتيتنا امنا بك وصدقناك فابى الله ان ياتيهم بما قالوا فاعرضوا عنه فكبر ذلك عليه وشق فانزل الله فان استطعت يقول قدرت ان تبتغي يقول ان تطلب نفقا في الارض يقول سربا في الارض كنفق اليربوع نافذا او محرجا فتواري فيه منهم او سلما في السماء يقول سببا الى صعود السماء فتاتيهم باية التي سالوكها فافعل قال القتبي النفق في الارض المدخل وهو السرب والسلم في السماء المصعد وقال ابو عوسجة النفق الغار والانفاق الغيران والغار واحد وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال الحسن اي لو شاء الله لقهرهم على الهدى واكرههم كما فعل بالملائكة اذ من قوله ان الملائكة مجبورون مقهورون على ذلك ثم هو يفضل الملائكة على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لاحد من البشر فلو كانت الملائكة مجبورين مقهورين على ذلك لم يكن في ذلك لهم كبير منقبة ففي قوله اضطراب واما تاويله عندنا ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لجعلهم جميعا بحيث اختاروا الهدى واثروه على غيره ولكن لما علم منهم انهم يختارون الكفر على الهدى لم يشا ان يجمعهم على ذلك وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ان لا يكون الهدى في حال القهر والجبر وانما يكون في حال الاختيار وقوله فلا تكونن من الجاهلين يحتمل وجوها يحتمل فلا تكونن من الجاهلين فيما قضاه الله وحكمه ويحتمل لا تكونن من الجاهلين من اختيارهم

وتفضله اي من احسانه وفضله بجعل لهم الهدى و يحتمل لا تكونن من الجاهلين انه يومن
بك بعضهم ويكفر بعضهم لا يومن قال ابو بكر النيسابوري في قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو
شاء ابتلاهم بدون ما ابتلاهم به لسهل عليهم فيجيبون باجمعهم او يقول لو شاء الله لوفقهم جميعا
للهدى فيهتدون وهو قولنا لكن لم يشأ لما ذكرنا انه لم يوفقهم لما علم منهم انهم يختارون الكفر
وقوله فلا تكونن من الجاهلين بان الله قادر لو شاء لجعلهم جميعا مهتدين ثم معلوم ان رسول الله كان
معصوما لا يجوز ان يقال انه يكون من الجاهلين او من المشركين على ما ذكر ولكن ذكر هذا والله اعلم
ليعلم ان العصمة لا ترفع الامر والنهي والامتحان بل تزيد لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله
انما يستجيب الذين يسمعون معناه والله اعلم انما يستجيب الذين ينتفعون بما يسمعون والا كانوا
يسمعون جميعا لكن لوجه فيه ما ذكرنا انه انما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وهو كقوله انما
تنذر من اتبع الذكر كان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن انتفع بالانذار من
اتبع الذكر ولم ينتفع من لم يتبع وهو ما ذكر عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المومنين اخبر ان الذكرى
تنفع المومنين ولا تنفع غيرهم وقوله والموتى يبعثهم الله اختلف فيه قال بعضهم والموتى يبعثهم
الله على الابتدا اي يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقال قائلون اراد بالموتى الكفار سمى الكافر ميتا
والمومن حيا في غير موضع من القرآن كقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس كمن مثله في الظلمات ليس والله اعلم ان جعل لكل بشر سمعين وبصرين وحياتين سمع
ابدي في الاخرة وبصر ابدي في الاخرة وكذلك جعل لكل احد حياتين حياة ابدية في الاخرة وحياة
منقضية وهي حياة الدنيا وكذلك سمع ابدي وهو سمع الاخرة وسمع ودعة لها انقضاء وهو
سمع الدنيا ثم نفى السمع والبصر والحياة عمن لم يدرك بهذا السمع والبصر والحياة التي جعل
له في الدنيا ولم يبصر سمع الابدية وبصر الابدية والحياة الابدية لانه انما جعل له هذا في
الدنيا ليدركوا بهذا ذلك وكذلك العقول التي ركبت في البشر انما ركبت ليدركوا بها ويبصروا
ذلك الابدي والا لو كان تركيب هذه العقول في البشر لهذه الدنيا خاصة لا للعواقب تامل
للجزاء والعقاب فان البهايم تدرك بالطبع ذلك القدر وتعرف ما يوذي ويبقى وما يصلح لها وما
لا يصلح فدل ان تركيب العقول فيمن ركب انما ركب لما لا يدرك هذا اذ يدرك ذلك المقدار بالطبع
من لم يركب فيه وهو البهايم التي ذكرنا وان السمع والبصر والحياة قد جعل في الدنيا لمعاشهم ومعادهم
وكذلك جعل لهم اللسان لينطق بحوايجهم في الدنيا ويعرف بعضهم من بعض حاجته وكذلك السمع
والبصر ليعرف بعضهم من بعض حاجته في الدنيا ويدرك به الازلي فاذا لم ينتفعوا بذلك ازال
عنهم ذلك وسماهم العمي والصم والبكم الازلي انه قال صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بذلك الابدي
انه اذا لم يدرك الازلي والابدي من ذلك سماه اعمى حيث قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
والحياة حياتان حياة مكتسبة وهي الحياة التي تكتسب بالهدى والطاعات وحياة منشاة وهي
حياة الاجساد فالكافر له حياة الجسد وليس له حياة مكتسبة واما المومن فله حياتان جميعا
المكتسبة والمنشاة فسمى كلا بالاسماء التي اكتسبها فالمومن اكتسب بها الطيبة فسمى بذلك
والكافر اكتسب بها الخبيثة فسمى بذلك وقوله وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل
ان الله قادر على ان ينزل اية هؤلاء قوم همتهم العناد والمكابرة والا قد كان انزل عليه ايات
عقليات وسمعيات وحسيات فاما الايات العقليات هي ما ذكر قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية واما الايات السمعيات هي ما انباهم

عن اشيا كانت غايبة عنه من غير ان كان له اختلاف الى من يعلمها ويخبرها عنها هي ما يتعلق قواما
كثيرة من بلقيس قليل من قصعة وما قطع مسيرة شهرين بليلة واحدة ونطق العنا والذي شوي له وحنين
المنبر وغير ذلك من الاشياء مما يكثر ذكرها لكنهم عاندوا وكانت همتهم العناد وقوله قل ان الله قادر
على ان ينزل اية اي ما سالوك ولكن اكثرهم لا يعلمون يحتمل وجهين يحتمل ان اكثرهم لا يعلمون انه اذا انزل
اية على اثر السؤال لا ينزل عليهم العذاب واشباهه اذا عاندوا ويحتمل قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ينزل الاية الا عند الحاجة اليها ويحتمل ان لا ينبا لو نزلت الاية ليعلموا ولكن نبا لو ليستعنتوا
او اذا انزل عليه اية على اثر السؤال فلم يقبلوها ولم يومنوا بها اهلكهم على ما ذكرنا من سنته في
الاولين كقوله وعذابا هذه الاية الى يوم القيمة وقوله وما من دابة في الارض ولا طاير
يطير بجناحيه الا امم امثالكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قل ان الله قادر على ان ينزل اية
لانه ذكر دابة والدابة كل ما يدب على وجه الارض من ذي الروح وذكر الطاير وهو اسم
كل ما يطير في الهوا لما كان قادرا على خلق هذه الجواهر المختلفة وسوق رزق كل منهم اليهم لقادر
على ان ينزل اية لا تضطرهم جميعا الى القبول لها والاقرار بها ولكنه لا ينزل لما ليست لهم
الحاجة اليها والايات لا تنزل الا عند وقوع الحاجة بهم اليها وعلى هذا يخرج قوله ولكن
اكثرهم لا يعلمون من الناس من استدل بهذه الاية على ان البهايم والطير ممتحنات حيث قال
الا امم امثالكم ثم قال وان من امة الا خلا فيها نذير ثم اختلف في قوله الا امم امثالكم عن ابي هريرة
قال في قوله الا امم امثالكم اي الا يحشرون يوم القيمة كما تحشرون ثم يقتص البهايم بعضها
من بعض ثم يقال لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا كالبهايم وعن ابن عباس
قال وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم اي يفقه بعضها من بعض
كما يفقه بعضكم من بعض والامم امثالكم في معرفة ما يوذي ويبقى ويحتمل الا امم امثالكم في الكثرة
والعدد والخلق والصنوف تعرف بالاسامي كما تعرفون انتم واصله ان ما ذكر من الدواب
والطير امم امثالكم سخرها لكم لم يكن منها ما يكون منكم من العناد والخلاف والتكذيب للرسل
والخروج عليهم بل خاضعين لكم مذللين تنتفعون بها ويحتمل قوله الا امم امثالكم في حق معرفة
وحدانيته والوهيته او حق الطاعة لله كقوله وان من شي الا يسبح بحمده وقوله ما فرطنا في
الكتاب من شي اختلف فيه قال بعضهم ما فرطنا اي ما تركنا شيا الا وقد ذكرنا اصله في القرآن
وعن ابن عباس قال ما تركنا شيا الا قد كتبناه في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل ما فرطنا
ما ضيعنا في الكتاب ما قد يقع لكم الحاجة اليه او منفعة الا قد بيناه لكم في القرآن ثم الى ربهم
يحشرون قيل الطير والبهايم يحشرون مع الخلق وقيل الى ربهم يحشرون يعني بني آدم وقوله
والذين كذبوا باياتنا قال الحسن باياتنا ديننا وقال غيره كذبوا باياتنا بحججنا ووحدانيته
والوهيته وحجج الرسالة والنبوة ويحتمل ايات البعث كذبوا بها لكنه وقد ذكرنا هذا في غير
موضع وقوله صم وبكم هو ما ذكرنا انه نفى عنهم السمع واللسان والبصر لما لم ينتفعوا بالسمع
ومنفعة البصر ومنفعة اللسان ولا يجوز ان يجعل لهم السمع والبصر واللسان ثم لا يعلمهم ما يسمعون
بالسمع وما ينطقون باللسان وذلك انه يحتاج الى رسول فيسمعون ويستمعون اليه وينطقون
ما عليهم فاذا لم يفعلوا صاروا كما ذكرهم بكم عمي لما لم ينتفعوا به ولم يروا النعمة التي جعل لهم
فيما ذكر او نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما ذكرنا ان السمع والبصر والحياة على ضربين
مكتسب ومنشا فنفى عنهم السمع المكتسب والبصر المكتسب والحياة المكتسبة وقوله

في الظلمات يحتمل وجهين يحتمل ظلمات الجهل والكفر والثاني هم في ظلمات يعني ظلمات السمع
والبصر والقلب وهو في ظلمتين جميعا في ظلمة الجهل والكفر وظلمة السمع والبصر كقوله ظلمات
بعضها فوق بعض والمؤمن في النور كقوله نور على نور وقوله من يشا الله يضلله ومن يشا
يجعله على صراط مستقيم وصف عز وجل نفسه بالقدرة وجعلهم جميعا مستقلين في مشيته واخبر
انه شا لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى لمن قال انه شا للكل الهدى لم يهتدوا او شاء للكل
الضلال فهو خلاف ما ذكره عز وجل لانه اخبر انه شا الضلال لمن ضل وشا الهدى لمن اهتدى
واضله انه اذا علم من الكافر انه يختار الكفر شا ان يضل وخلق فعل الكفر منه وكذلك اذا علم
من المؤمن انه يختار الايمان والاهتداء شا ان يهتدي وخلق فعل الاهتداء منه وقوله قل
ارايتكم ان اتاكم عذاب الله الذي وعدكم في الدنيا انه يأتيكم او اتتكم الساعة لانه كان وعد لهم
ان يأتيكم العذاب وكان ينذرهم الساعة فقال ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم
الساعة اغير الله تدعون في دفع ذلك وكشفه عنكم ان كنتم صادقين ان معه شركاء والهة
اوان كنتم صادقين ان ما تعبدون شفعاؤكم عند الله او يقربكم عبادتكم اياها الى الله وقوله
اغير الله تدعون يحتمل حقيقة الدعا عند نزول البلا ويحتمل العبادة اي اغير الله تعبدون
على رجاء الشفاعة لكم وقد رايتم انها لم تشفع لكم عند نزول البلايا ثم اخبر انهم لا يدعون غير
الله في دفع ذلك وكشفه عنهم واخبر انهم الى الله يتضرعون في دفع ذلك عنهم وهو ما ذكر عز
وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه وكقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ذكر هذا والله اعلم انكم
اذا مسكم الشدايد والبلايا لا تتضرعون الى الذين تشركون في عبادته والوهيته كيف اشركتم
او لكن في ربوبيته في غير الشدايد والبلايا وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون بالله
من الالهة فلا تدعونهم ان يكشفوا عنكم وقوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباسا
والضرا اختلف فيه قال بعضهم الباسا الشدايد التي تصيبهم من العدو والضرا ما يحل
بهم من البلا والفقر والشدايد وقال بعضهم الباسا هو ما يحل بهم من الفقر والقحط والشدة
وعن ابن عباس قال فاخذناهم بالباسا الزمانة والخوف والضرا البلا والجوع لعلهم يتضرعون
اي ابتلاهم لهذا او امتحنهم لعلهم يتضرعون ويرجعون عما هم عليه وقوله فلولا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا يذكر في ظاهر هذا انه تداركهم البلا والشدة ولم يتضرعوا ولكن قست
قلوبهم ويذكر في غيره من الايات انه اذا اصابهم البلا والشدايد تضرعوا ورجعوا عما كانوا
عليه وهو كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله فاذا ركبوا في الفلك
وغيرهما فظاهر الايات لكن يحتمل هذا وجوها ان هذا كان في قوم والاول كان في قوم اخرين
وذلك ان الكفرة كانوا على احوال ومنازل منهم من كان من حالة اذا اصابه خير اطمان به
واذا زال عنه وتحول تغير وهو كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية ومنهم من
يتضرع ويلين قلبه اذا اصابته الشدة والبلا وعند السعة والنعمة قاسي القلب معاندا
وهو كقوله دعوا الله مخلصين له الدين الى اخر الاية وكقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من
تدعون الا اياه ومنهم من كان ينكر عند الرحمة والنعمة وعند الشدة والبلا كفورا ايسا
كقوله ولين اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ومنهم من كان
لا يخضع ولا يتضرع في الاحوال كلها لا عند الشدة والبلا ولا عند الرخا والنعمة ويتركون

ان مثل هذا يصيب غيرنا وقد كان اصاب اباءنا وكانوا اهل الخير والصلاح وهو كقوله وقالوا
قد مس اباءنا الضرا والسرا كانوا على احوال مختلفة ومنازل متفرقة فيشبه ان يكون
قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم في القوم الذين لم يتضرعوا عند اصابتهم
الشدايد والبلايا ويحتمل ان يكونوا تضرعوا عند حلول الشدايد فاذا انقطع ذلك وارتفع
عادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويشبه ان يكون قوله
لعلهم يتضرعون وقوله دعوا الله مخلصين له الدين فيما بينهم وبين ربهم وهذا فيما بينهم
وبين الرسل لان الرسل كانوا يدعونهم الى ان يقروا برسالتهم ويصدقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون
فيكبروا عليهم ولا يقروا له ويتضرعوا اليه تكبرا عليهم ولم يكبروا على الله ويحتمل ان يكون قوله
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا في الامم السالفة اخبار عنهم انهم لم يتضرعوا ويحتمل قوله ايضا
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وجهين احدهما انهم لم يتضرعوا اذ جاءهم باس الله ولكن عاندوا
وثبتوا على ما كانوا عليه والثاني تضرعوا عند نزول باسه لكن اذا ذهب ذلك وزال عادوا
الى ما كانوا فيه كانه قال فلولا لزموا التضرع اذ جاءهم باسنا وقوله وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون اي زين لهم صنيعهم الذي صنعوا ويقولون ان هذا كان يصيب
اهل الخير ويصيب اباءنا وهم كانوا اهل خير وصلاح او زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
من الشرك والتكذيب ويقولون لهؤلاء الذي انتم عليه حق وقوله فلما نسوا ما ذكروا به
يحتمل ابتدا ترك اي تركوا الاجابة الى ما دعوا وتركوا ما امروا به ويحتمل نسوا ما ذكروا به
من الشدايد والبلايا فتحنا عليهم ابواب كل شي يحتمل وجهين يحتمل ابواب كل شي مما يحتاجون
اليه حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ويحتمل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا
به يعني بالامم الخالية حيث ما دعاهم الرسل فكذبوهم فتحنا عليهم اي انزلنا عليهم ابواب كل شي
من انواع الخير بعد الضر والشدة الذي كان نزل بهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون اختلف فيه قال بعضهم الايس من كل خير قال القتبي ابلس اي ايس المتحير
بدنه وقال ابو عوسجة المبلس هو الحزين المغتم الايس من الرحمة وغيرها من الخير
وقال الفراء المبلس هو المنقطع الحجة وقيل لذلك سمي ابليس لعنه الله ابليس لما
ايس من رحمة الله وقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا قيل استوصل القوم الذين ظلموا
بالهلاك جميعا والظلم هاهنا هو الشرك وقيل قطع دابر القوم الذين ظلموا اي اصلهم
وقيل دابر القوم اي اخرهم وكلهم واحد وذلك انه اذا اهلك اخرهم وقطعوا فقد
استوصلوا ويشبه ان يكون قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي قطع افتخارهم وتكبرهم
الذي كانوا يفتخرون به ويتكبرون وقوله والحمد لله رب العالمين الحمد في هذا الموضع
على اثر ذلك الهلاك يخرج على وجوه والا الحمد انما يخرج على اثر ذكر الكرامة والنعمة لكن
هاهنا وان كان نقمة واهلاكا يكون للاوليا كرامة ونعمة لان هلاك العدو من اعظم
الكرامة والنعمة من الله فاذا كان في ذلك نصر للاعداء والانتقام فيكون خيرا للاوليا وكرامة
وما من شي يكون شرا لاحد الا ويجوز ان يكون في ذلك خير لاخر فيكون الحمد في الحاصل في الخير
والنعمة والثاني انه يجوز ان يكون في الهلاك نفسه الحمد اذا كان الهلاك بالحق لانه هلاك
بحق اذ لله ان يهلكهم ولم يكن الهلاك على الظلم خارجا عن الحكمة فيحمد عز وجل في كل فعل الحكمة
والثالث يقول والحمد لله رب العالمين على ايجار وحججه في هلاكهم وقوله قل ارايتم ان اخذ

الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اختلف فيه قال بعضهم يراد باخذ
السمع والبصر والختم على القلوب اخذ منافع هذه الاشياء اي قد اخذ منافع سمعكم ومنافع
بصركم ومنافع عقولكم من اله غير الله يأتيكم به اي يأتيكم بمنافع سمعكم وبصركم وعقولكم فاذا
كانت الاصنام والاوثان التي تعبدون من دون الله وتشركون في الوهيته وربوبيته لا يملكون
رد ذلك المنافع التي اخذ الله عنكم فكيف تعبدونها وتشركون في الوهيته وقيل يراد باخذ السمع
والبصر وما ذكر اخذ اعينها وانفسها اي لو اخذ سمعكم وبصركم وعقولكم لا يملكن ما تعبدون
رد هذه الاشياء الى ما كانت لا يملكون رد السمع الى ما كان ولا رد البصر والعقل الذي كان
الى ما كان فكيف تعبدون دونه وتشركون في الوهيته تسفه احلامهم لما يعلمون ان ما يعبدون
ويجعلون لهم الالوهية لا يملكون نفعا ولا ضرا فمع ما يعرفون ذلك منهم يجعلون لهم الهة
معه وقوله انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم الايات في خطاهم في عبادة هؤلاء
واشراكهم في الوهيته ثم هم يصدفون اي يعرضون عن تلك الايات وقوله قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون معناه والله اعلم انهم
يعلمون ان العذاب لا ياتي ولا ياخذ الا الظالم ثم مع علمهم انهم ظلمة لعبادتهم غير الله مع
علمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا فيسالون العذاب بقوله سال سائل بعذاب واقع وقوله يستعجلو
بالعذاب وقوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
اخبر انه لم يرسل الرسل الا مع البشارة لاهل الطاعة والنذارة لاهل معصيته وفيه ان الرسل
ليس اليهم الامر والنهي انما اليهم ابلاغ الامر والنهي ثم بين البشارة فقال فمن امن واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا خوف عليهم لما ليس لذلك موت ولا زوال ليس كثواب الدنيا
ونعيمها انه على شرف الموت والزوال ولا هم يحزنون لانه سرور لا يشوبه حزن ليس كسرور
الدنيا يكون مشوبا بالحزن والخوف والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون
هذه هي النذارة وقوله يمسهم العذاب ذكر المس والله اعلم لما لا يفارقهم العذاب
ولا يزول عنهم والفسق في هذه المواضع الكفر والشرك وما ذكر من الظلم هو ظلم شرك
وكفر وقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب لم يحتمل ما قال ابن عباس
حيث قال الكفرة لرسول الله لم ينزل الله عليك كنزا تستغني به فانك محتاج ولا جعل
لك جنة تاكل منها فتشبع من الطعام فانك تجوع فنزل عند ذلك هذا لا يحتمل ان يقولوا له ذلك
فنزل لهم اني لا اقول لكم اني ملك وليس عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب فان كان من السؤال
شيء من ذلك فانما يكون على سؤال سالوا لا تعنتهم كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ونحو ذلك من الاسئلة
التي سالوه لا تعنتهم فنزل عند ذلك ما ذكر فهذا الذي يحتمل فيقول لهم لانه ليس عندي
خزائن الله فاجعل لكم هذا ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي والثاني
جائز ان يكون انبيا وعدهم بالعذاب وخوفهم فسالوا العذاب استهزاء وتكذيبا فقالوا لو متى
يكون كقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال عند ذلك قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ومفاتيحه انزل عليكم العذاب متى شئت ولا اعلم الغيب متى
وقت نزول العذاب عليكم ولا اقول لكم اني ملك نزلت من السماء بالعذاب انما انا بشر
مثلكم ما اتبع الا ما يوحى الي هذا محتمل جائز ان يكون على اثر ذلك نزلت ويحتمل وجها اخر وهو

ان يخبر ابتداء اني لا اقول لكم عندي خزائن الله لاني لو قلت عندي خزائن الله وانا اعلم
الغيب واني ملك كان ذلك اشد ابا غالي وارعب واكثر لطاعتي لكن نقول انما انا بشر
مثلكم يوحى الي ما اتبع الا ما يوحى الي لتعلموا اني صادق في قولي ومحق فيما ادعوكم اليه وقوله
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك يعلم بالاحاطة ان هذا
ونحوه يخرج على الجواب لاسئلة كانت منهم لرسول الله لكن لسنا نعلم ما كانت تلك الاسئلة
التي كانت من اوليك حتى كان هذا جوابا لهم فلا نفسر ولكن نتقي مخافة الشهادة على الله ويحتمل
ان يكون جوابا لما ذكر في اية اخرى وهو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون
لك جنة من نخيل وعنب فقال عند ذلك لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب جواب
لسؤال وقت الساعة او وقت نزول العذاب وقوله ولا اقول لكم اني ملك جواب لقولهم
او ترقى في السماء فقال عند ذلك لا اقول اني اعلم الغيب حتى اعلم وقت نزول العذاب وقيام
الساعة ولا اقول اني ملك حتى ارقى في السماء وقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا
تتفكرون اي تعرفون انتم انه لا يستوي الاعمى اي من عمي بصره والبصير اي من لم يعم بصره
كيف لا تعرفون انه لا يستوي من عمي عن الايات ومن لم يعم عنها او نقول اذا لم يستو الاعمى
والبصير كيف يستوي من يتعامى عن الحق ومن لم يتعام افلا تتفكرون انهما لا يستويان وقوله
افلا تتفكرون في ايات الله وما ذكركم او نقول افلا تتفكرون في وعظكم الله وقوله وانذر
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اختلف فيه قال بعضهم
هو صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب الاية ايا من الكفرة عما سالوا
من الاشياء رسول الله ثم امر بالانذار الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وهم المؤمنون
اي يعلمون انهم محشورون الى ربهم وانه ليس لهم يدفع عنهم ما يحل بهم ولا شفيع فيما
لهم ما لم يفرطوا وجائز ان يكون تخصيص الامر بالانذار المؤمنين لما كان الانذار ينفعهم
ولا ينفع غيرهم وليس فيه لا ينذر غيرهم وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب ليس فيه انه لا ينذر من لم يتبع الذكر ولا خشي الرحمن ولكن انباء انه انما ينفع هؤلاء
كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر ان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع اولئك
ينذر المؤمنين من اتبع ومن لم يتبع ومن نفع ومن لم ينفع ويكون قوله ليس لهم ولي ولا شفيع
ليس لاوليك اولياء ولا شفعاء لا كما يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه اخبر انه ليس لهم ولي ولا شفيع دونه وقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يذكر في بعض القصة ان رجالا من اصحاب رسول
الله كانوا يستبقون الى مجلس رسول الله فيجلسون قريبا منه فيجي اشراف القوم وسادتهم
وقد اخذ اوليك المجلس فيجلس هؤلاء ناحية فقالوا نحن نجي فنجلس ناحية فذكروا ذلك
لرسول الله فقالوا انا سادات قومك واشرافهم فلو ادنيتنا منك المجلس فهم ان يفعل
ذلك فانزل الله هذه الاية يعاتب نبيه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
الاية والى هذا الاسقاط يذهب عامة اهل التاويل لكنه بعيد ينسبون رسول الله الى
اوحش فعل والجفاء ما لو كان فيه اسقاط نبوته ورسالته اذ لا يحتمل ان يكون صلى الله
عليه وسلم يقرب اعداءه ويبعد اولياءه عن مجلسه ويقعد الاولياء عند الاشتغال شغله فعلا
ان يفعله رسول الله المصطفى ونحو بهذا له شيء من ذلك [illegible] ما يجد الكفرة فيه مطعنا

٥٥٠

مطعنا يقولون يدعوا الناس الى التوحيد والايمان به والاتباع له فان فعلوا ذلك واجابوه
طرده هؤلاء فقعد بمجلسهم هذا المعنى مدفوع في عقل كل عاقل ولكن ان كان لجائز ان يكون منهم
طلب ذلك طلبوا منه ان يدني مجلسهم ويقعده ويبعد اولئك هذا المحتمل واما ان يهم ان يفعل ذلك
او يخطر بباله شيء من ذلك فلا يحتمل وجائز ان يكون هذا من الله ابتداء تاديب وتعليم يعلم رسوله
صحبة اصحابه ومعاملته معهم كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
ونهى ان يمد عينه الى ما متع اولئك كقوله ولا تمدن عينيك الاية ويخبره عن عظيم قدرهم
عند الله وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي والخطر بل العصمة تزيد في النهي والزجر والحجر
ان ليس عليه من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فانما عليك البلاغ وعليهم الاجابة
وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم و**قوله** يدعون ربهم بالغداة والعشي يشبه
ان يكونوا يجتمعون الى رسول الله في كل غداة وعشاء فيستمعون منه ثم يتفرقون على
ما عليه امر الناس من الاجتماع في كل غداة وعشاء عند الفقهاء واهل العلم وجائز ان يكون
ذكر الغداة والعشي كناية عن الليل كله وعن النهار جملة كقوله والضحى والليل اذا سجى ليس
يريد بالضحى الضحوة خاصة ولكن النهار كله الا ترى انه قال والليل اذا سجى ذكر الليل وانه
كان الضحى كناية عن النهار جملة فعلى ذلك الغداة والعشي يجوز ان يكون كناية عن الليل والنهار
جملة والله اعلم وجائز ان يكون اصحاب الحرف والمكاسب لا يتفرغون للاجتماع الى رسول
الله والاستماع منه في عامة النهار ولكن يجتمعون اليه ويستمعون منه بالغداة والعشي
فكان ذكر الغداة والعشي لذلك او لما ذكرنا وجائز ان يكون المراد بذكر الغداة والعشي صلاة
الغداة وصلاة العشاء يقول لا تطرد من يشهد هاتين الصلاتين وانما كان يشهدهما اهل الايمان
واما اهل النفاق فانهم كانوا لا يشهدون هاتين الصلاتين ويحتمل ما ذكرنا و**قوله** فتطردهم
فتكون من الظالمين الظلم على وجوه ظلم كفر وظلم شرك وظلم يكون بذنب وهو ان يمنع
احدا حقه او ياخذ منه حقا بغير حق فهو كله ظلم والظلم هاهنا والله اعلم فيشبه ان يكون
هو وضع الحكمة في غير اهلها لانه لو كان منه ما ذكر من طرد واولئك واولئك لم يكونوا
اهلا للحكمة ويجوز ان يوصف واضع الحكمة في غير موضعها بالظلم على ما روي في الخبر ان من وضع
الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها عن اهلها فقد ظلمهم و**قوله** وكذلك فتنا بعضهم
ببعض وقوله وكذلك لا يتكلم الا على امر سبق منه والله اعلم يحتمل ان يقولوا لما قالوا يا محمد
ارضيت بهؤلاء الاعبد من قومك اتحبنا نكون تبعا لهؤلاء ونحن سادة القوم واشرافهم
فقال عند ذلك وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما فضلتكم على هؤلاء في امر الدنيا فلذلك هؤلاء
فضلتهم عليكم في امر الدين ويكونون هم المقربين الى رسول الله والمدنين مجلسهم اليه وانتم اتباعهم
في امر الدين وان كانوا هم اتباعكم في امر الدنيا وكذلك امتحان بعضهم ببعض يحتمل وجوها
اخر وهو ان يقال كما كان له امتحان كل في نفسه ابتداء محنة كقوله ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية
فعلى ذلك له ان يمتحن بعضكم ببعض واشد المحن ان يامر المتبوع ومن يرى لنفسه فضلا بالخضوع
للتابع ومن هو دونه عنده فيشتد ذلك عليه ويتعذر لما كانوا يرون لانفسهم الفضل والمنزلة
في امر الدنيا فظنوا الفضل كذلك يكونون في امر الدين وعلى ذلك يخرج ما امتحن ابليس بالسجود
لادم واي لنفسه فضلا عليه فقال انا خير منه ولم ير الخضوع لمن دونه عدلا وحكمة فعصى

٥٥١

ما صار فعلى ذلك هؤلاء لم يروا اولئك الضعفة ان يكونوا متبوعين عدلا وحكمة وظنوا انهم
لما كانوا مفضلين في امر الدنيا وكان لهؤلاء اليهم حاجة يكونون في امر الدين كذلك ويقولون لو
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ونحوه من الكلام و**قوله** ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
قال بعضهم هو موصول بالاول بقوله فتنا بعضهم ببعض ليقولوا يقول الكافر قول الكفر
والمؤمن قول الايمان ثم ابتدا فقال اهؤلاء اي يقول الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
وقال بعضهم قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ليس بموصول من قوله ليقولوا ولكن موصول
به ليقولوا يعني الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ثم يحتمل قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
بالحفظ والفهم اي فهم هؤلاء سنة ولا نفهم نحن وانما في اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالتقرب
والادنا في المجلس وجعلهم متبوعين من بيننا فيما كانوا اتباعا لنا فقال عند ذلك اليس
الله باعلم بالشاكرين اي عرف هؤلاء نعمة الله وعرفوا شكر نعمه اليه وانتم وجهتم شكر نعمه
الى غيره فعبدتم ما عرفتم انه هو المنعم عليكم والمسدي اليكم و**قوله** واذا جاءك الذين لا
يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم هذا الخطاب على ان النهي عن الطرد ليس بالابعاد خاصة في
المجلس ولكن في كل شيء في بشاشة الوجه واللطف في الكلام وفي كل شيء لانه قال فقل سلام عليكم
و**قوله** كتب ربكم على نفسه الرحمة قال بعضهم كتب ربكم على نفسه الرحمة اي لم يأخذهم
في اول ما وقعوا في المعصية ولكن امهلهم الى وقت جعل لهم المخرج من ذلك بالتوبة وعلى
ذلك ما روي عن ابن عباس انه قال فتح الله للعبد التوبة الى ان ياتيه الموت و**قوله**
انه من عمل منكم سوءا بجهالة قرئ بكسر الالف انه وقرئ بالنصب انه فمن خفض حمله على
الابتداء من قوله انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اي كل
من عمل سوءا بجهالة ثم تاب من بعد ذلك واصلح انه يغفر له ما كان منه ومن قراها بالنصب
عطفه على قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح
فانه غفور رحيم لذلك وجائز ان يكون قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي كتب على خلقه الرحمة
ان يرحم بعضهم بعضا وجائز ما ذكرنا انه كتب على نفسه الرحمة اي اوجب ان يرحم ويغفر لمن
تاب و**قوله** من عمل منكم سوءا بجهالة جائز ان يكون الاية في الكافر اذا تاب يغفر الله له
ما كان منه في حال الكفر والشرك كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم الاية وقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجائز ان يكون في
المؤمنين فيكون عمله بجهالة وان لم يكن يعمله بجهل لان الفعل فعل الجهل وان كان يعلم لم يكن على
الجهل وكذلك ما ذكر من النسيان والخطا في الفعل لان فعله فعل ناس وفعل مخطئ وان لم
يفعله الفاعل على النسيان والخطا والا لو كان على حقيقة الخطا والنسيان لكان لا يؤاخذ
به كقوله وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به لكن الوجه ما ذكرنا ان الفعل فعل نسيان وخطاء
وان لم يكن ناسيا ولا مخطئا فيه فعلى ذلك الفعل فعل جهل وان لم يكن جاهلا والفعل فعل جهل
وان لم يكن بالجهل والمؤمن جميع ما يتعاطى من المعاصي يكون بجهالة لانه انما يعمل السوء اما لغلبة
شهوة او للاعتماد على كرم ربه بالعفو عنه والصفح عن ذلك او يعمل السوء على نية التوبة
والعزم عليها في اخره على هذه الوجوه الثلاثة يقع المؤمن في المعصية واما على التعمد فلا
يعمل و**قوله** وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قرئ بالياء والتاء جميعا فمن قراه
بالتاء نصب السبيل يجعل الخطاب لرسول الله اي لتعرف سبيل المجرمين ومن قراه بالياء رفع

اقتيل كانه قال نفصل الايات اي نبين الايات ليتبين سبيل المجرمين وقرا بعضهم على اسقاط
الواو ليستبين سبيل ثم يحتمل قوله نفصل الايات وجهين احدهما اي نبين الايات ما يعرف السامعون
انها ايات من عند الله غير مخترعة من عند الخلق ولا مفتراة فلا يستبين سبيل المجرمين من سبيل المهتدين
والثاني نفصل الايات اي نبين من الايات ما بالخلق حاجة اليه اي معرفتها والثالث نبين من
الايات ما نبين بين المختلفين اي بين سبيل المجرمين وبين سبيل المهتدين ولتستبين سبيل المجرمين من
تاويل ما ذكرنا ان من قراءة بالتا حمله على خطاب رسول الله اي نبين من الايات لتعرف سبيل
المجرمين بالنصب ومن قراه بالياء ونبين من الايات ليتبين سبيل المجرمين من سبيل غير المجرمين
والله اعلم وقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله معناه والله اعلم اني نهيت
بما اكرمت من العقل واللب ان اعبد الذين تعبدون من دون الله او يقول اني نهيت بما اكرمت
من الوحي والرسالة ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواكم قد ضللت اذا وما
انا من المهتدين ثم اخبر ان ما يعبدون هو من دون الله انما يعبدون اتباعا لهوى انفسهم
وان ما يعبد هو ليس يتبع هوى نفسه ولكن انما يتبع الحجة والسمع وما يستحسنه العقل الا
يرى انه قال قل اني على بينة من ربي اي على حجة من ربي يخبر ان ما يعبد هو انما يعبد اتباعا
للحجة والعقل وما يعبدون اتباعا لهوى انفسهم وما يتبع بالهوى يجوز ان يترك اتباعه ويتبع
غيره لما يهوى نفسه هذا ولا يهوى الاول واما ما يتبع بالحجة والسمع وما يحسنه العقل فانه
لا يجوز ان يترك اتباعه ويتبع غيره وفيه تعريض سفههم لانه قال قل لا اتبع اهواكم
قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي لو اتبعت هواكم لضللت اذا وانتم اذا اتبعتم اهواكم
لعبادتكم غير الله ضلال ولستم من المهتدين فهو تعريض لتسفيه لهم والعنت منه وقوله
قل اني على بينة من ربي وكذبتم قيل على بيان من ربي وحجة وقيل على دين من ربي وقوله وكذبتم
به اي بالقران وقيل العذاب اي بما اوعدتكم ويحتمل كذبتم ما وعدتكم وقوله ما عندي
ما تستعجلون به من العذاب ثم هذا ايدل على ان قوله قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا
اعلم الغيب ان المراد بالخزاين العذاب اي ليس عندي ذلك انما ذلك الى الله وعنده ذلك
وهو قوله ان الحكم الا لله اي ما الحكم والقضاء الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين اختلف
في تلاوته وتاويله قرا بعضهم بالضاد واخرون بالصاد فمن قرا بالصاد يقص يقول يبين
الحق لان القصص هو البيان وقال وهو خير الفاصلين اي خير المبينين ومن قرا بالضاد
يقول يقضي يحكم ثم اختلف فيه قال بعضهم اي يقضي بالحق وكذلك روي في حرف ابن مسعود
انه قرا يقضي بالحق وقيل فيه اضمار اي يقضي ويحكم وحكمه الحق وهو خير الفاصلين اي الحاكمين
والفصل والقضاء واحد لانه بالقضاء يفصل والله اعلم وقوله قل لو ان عندي ما تستعجلون
به لقضي الامر بيني وبينكم عن ابن عباس رضي الله عنه لو ان عندي ما تستعجلون من العذاب لقضي
الامر بيني وبينكم لاهلكتكم وقيل لقضي الامر بيني وبينكم اي لعجلته لكم بالقضاء ما سالتم الخير
عن رحمة الله وحلمه اي لو كان بيدي لارسلت عليكم لكن الله بفضله ورحمته يوخر ذلك عنكم
ثم فيه نقض على المعتزلة في قولهم بان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح في الدين لانه قال
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم ثم لا يحتمل ان تاخير العذاب والهلاك
خير لهم واصلح ثم هو اهلكهم ويكون عظة لغيرهم وزجرا لهم ثم ان الله اخر ذلك العذاب عنهم
وان كان فيه شر لهم فدل ان الله قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك باصلح له في الدين وقوله والله

اعلم بالظالمين اي عليم بمن الظالم منا ومن كانوا الظلمة وقوله وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو هذا والله اعلم يحتمل ان يكون صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزاين الله
ولا اعلم الغيب وصلة قوله ما عندي ما تستعجلون به كانوا يطلبون منه صلى الله عليه
وسلم وقتا لو انه اشياء من التوسيع في الرزق وغير ذلك مما كان لهم من الكرامة والمنزلة
والشفقة وكان يوعدهم بالعذاب ويخوفهم بالهلاك فيستعجلون ذلك منه ويطلبون منه
ما وعد لهم فقال وعنده مفاتح الغيب ليس ذلك عندي لا يعلم ذلك الا هو ومفاتح من المفتح
ليس من المفتاح يكون جمعه مفاتيح والمفتح يقال في النصر والمعونة يقال فتح الله عليه
بلدة كذا اي نصره وجعله غالبا عليهم ويقال فيما يحدثه ويستفيد منه يقال فتح فلان على فلان
باب كذا اي علمه علم ذلك وقوله مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اي من عنده يستفاد ذلك
ومنه يكون ومن نصر اخر انما ينصر به ومن علم اخر علما انما يعلمه به ومن وسع على اخر رزقا
رزقا انما يوسعه بالله كل هذا ايشبه ان يخرج تاويل الاية وقوله ويعلم ما في البر والبحر
هذا يحتمل وجهين احدهما يعلم ما في البر والبحر اي يعلم ما في البر والبحر من الدواب وما يكون فيها من
ذي الروح كثرتها وعددها وصغيرها وكبيرها لا يخفى عليه شي والثاني يعلم ما في البر والبحر اي يعلم
رزق كل ما في البحر والبر ويعلم كا جنسه ثم يسوق الى كل من ذلك رزقه يخبر هذا والله اعلم ليعلموا
انه القاصر للخلق لكل منهم رزقه يسوق اليه رزقه من غير تكلف ولا تكلف كما يسوق ارزاق ما في
البر والبحر من غير طلب ولا تكلف كما يسوق ارزاق لا يضيق قلوبهم لذلك فما بالكم تضيق قلوبكم
على ذلك وقد ضمن ذلك لكم كما ضمن لاوليك وان ان يعلم ما في البر والبحر من اختلاط الاقطاب
بعضها ببعض ومن دخول بعض في بعض يخرج هذا على الوعيد انه لما كان عالما بهذا كله يعلم
باعمالكم ومقاصدكم فان قيل هذا الذي ذكر كله في الظاهر دعوى فما الدليل على انه كذلك قيل
اتساق التدبير في كل شي واثاره فيه يدل على انه كان بتدبير واحد لان اثار التدبير في كل شي
واتساقه على سنن واحد ظاهر بادية فذلك يدل على ما ذكر وقوله ولا رطب ولا يابس
الا في كتاب مبين ويحتمل الكتاب ههنا التقدير والحكم اختلف فيه قال بعضهم قوله الا في كتاب
مبين اي محفوظ كله عنده يقول الرجل لاخر عملك كله عندي مكتوب يريد الحفظ اي محفوظ
عندي وذلك جايز في الكلام وقيل الكتاب ههنا هو اللوح المحفوظ ابت كله مبين فيه وقال
الحسن رحمه الله ان الله يخرج كتابا في كل ليلة القدر ويدفع الى الملايكة وفيه مكتوب كل ما يكون
في تلك السنة ليحفظوا على ما يكون او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله وهو الذي يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال بعض اهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا
تقبض عند النوم ثم ترد اليها سوى روح الحياة فانها لا تقبض لانه يكون اعمى بصيرا مستكملا ناظرا
ويكون اعمى شيئا ويكون اخرس فصيحا بصيرا فثبت ان لكل حاسة من حواس النفس روحا على حدة
تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم واما الروح الذي به يحيى النفس فانه لا يقبض ذلك
منه الا عند انقضاء اجله وهو الموت وقالت الفلاسفة الحواس هي التي تدرك صور الاشياء
بطبيعتها وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فيه دلالة ان ليس في ذكر
الحكم في حال او تخصيص الشي في حال دلالة سقوطه لك في حال اخرى لانه قال ويعلم ما جرحتم
بالنهار فيه دلالة انه ليس في ذكر الحكم في حال او تخصيص الشي في حال ليس فيه انه لا يعلم ما جرحتم
بالليل بل يعلم ما يكون منا بالليل والنهار جميعا وليس فيه انه لا يتوفانا بالنهار وانه لا يخرج بالليل

لكنه ذكر الجرح بالنهار والوفاة بالليل لما ان الغالب ان يكون مما يحصل ان يكون بالنهار فعلى ذكر
الاول ثم فيه دلالة ان النائم غير مخاطب في حال نومه حيث ذكر الوعيد فيما يجرحون بالنهار ولم
يذكر بالليل و **قوله** ويعلم ما جرحتم بالنهار قال بعضهم جرحتم اي اثمتم بالنهار وقيل يعلم ما كسبتم
بالنهار و **قوله** ثم يبعثكم فيه فيستدل بقوله يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم فيه على الاحياء بعد الموت
لانه يذهب ارواح هذه الحواس ثم يردها اليها من غير ان بقي لها اثر فكيف تنكرون البعث بعد
الموت وان لم يبق من اثر الحياة شيء ثم القول في الجمع بين المتفرق مما الخلق يفعل ذلك ويقدر عليه
نحو ما يجمع من التراب المتفرق فيجعله طينا ويجمع البناء من مكان ويضعه في مكان اخر وغير
ذلك من جمع بعضه الى بعض وتركيب بعض على بعض فيدل ان الاعجوبة في ردّ ما ذهب كله حتى
لم يبق له اثر لا في جمع ما تفرق والله اعلم و **قوله** ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم ويرد اليكم ارواح
الحواس ليقضى اجل مسمى اي منتهى الاجل الموت ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون خرج هذا على
الوعيد لما ذكرنا ليكونوا على حذر و **قوله** ويعلم ما جرحتم بالنهار و **قوله** وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر يعلم كلما يغيب عن الخلق ولا يخفى عليه شيء لانه عالم بذاته ولا
يحجبه شيء ليس كمن يعلم بغيره فيحول بينه وبين العلم بالاشياء الحجب والاستار فاما الله سبحانه
عالم بذاته لا يعزب عنه شيء ولا يكون له حجاب عن شيء و **قوله** وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة فيه جميع ما يحتاج اهل التوحيد في التوحيد لانه اخبر انه قاهر لخلقه وهم مقهورون
ومن البعيد ان يشبه القاهر المقهور بشيء او يشبه المقهور القاهر بوجه او يكون المقهور شريك
القاهر في معنى لانه لو كان شيء من ذلك لم يكن قاهرا من جميع الوجوه ولا كان الخلق مقهورا في الوجوه
كلها فاذا كان الله قاهرا بذاته الخلق كله حتى كان اثار قهره فيهم ظاهرة واعلام سلطانه فيهم بادية
دل على تعاليه عن الاشباه والاضداد وذاته كما وصف ليس كمثله شيء و **قوله** وهو القاهر
فوق عباده يكون على وجهين احدهما وهو القاهر وهو فوق عباده والثاني على التقديم والتاخير
وهو فوق عباده القاهر ويحتمل قوله فوق عباده بالنصر لهم والمعونة والدفع عنهم كقوله يد الله
فوق ايديهم اي بالنصر والمعونة والغلبة والرفعة والجلال ونفاذ السلطان والربوبية و **قوله**
ويرسل عليكم حفظة اخبر انه القاهر فوق عباده وانه ارسل عليهم الحفظة ليعلموا ان ارسال الحفظة
عليهم لا لحاجة له في ذلك لما اخبر انه قاهر فوق عباده ولو كان ذلك لحاجة له لم يكن قاهرا لان كل من
دفعت له حاجة صار مقهورا تحت قهر آخر فالله يتعالى عن ان تمسه حاجة او يصيبه شيء مما يصيب
الخلق بل انما ارسلهم عليهم لحاجة الخلق اما امتحانا منه للحفظة على محافظة اعمال العباد والكتابة
عليهم من غير ان يقع له في ذلك حاجة يمتحنهم على ذلك ولله ان يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن وان
اكرمهم ووصفهم بالبقاء عن الاحوال كلها بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وغير ذلك من الآيات والثاني يرسلهم عليهم على محافظة اعمالهم والكتاب عليهم ليكونوا على حذر
في ذلك العمل وانظر فيه واحفظ له مما لم يكن عليه ذلك وان كان يعلم كل شيء لان الله عالم الغيب لا يخفى
عليه شيء عالم بما كان منهم وما يكون انه كيف يكون ومتى يكون ثم اختلف في الحفظة هنا قال بعضهم
هم الذين قال الله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون يكتبون اعمالهم ويحفظون عليهم وقال
اخرون هم الذين يحفظون انفس الخلق ويعدون عليهم الى وقت انقضاء آجالهم ثم يقبض منه الروح
ويموت الا ترى انه قال على اثره حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون دل ان الحفظة
هاهنا هم الذين يحفظون الانفس والعدد عليهم الى وقت الموت والله اعلم ثم روي قوله حتى اذا

جاء احدكم الموت توفته رسلنا ولا ان خلق افعال العباد لانه ذكر مجيء الموت وتوفي الرسل وقال
خلق الموت والحياة ومجيء الموت هو بتوفي الرسل وتوفي الرسل هو مجيء الموت ثم اخبر انه خلق الموت ولا
انه خلق توفيهم فاحتال بعض المعتزلة في هذا وقال ان الملك هو الذي ينزع الروح ويجمعه في ثم ان
الله يتلفه ويهلكه فلان كان ما قال فاذن لا يموت بتوفي الرسل ابدا لانهم اذا ترعوا وجمعوا في موضع
يزداد حياة الموضع الذي جمعوا فيه لانه اجتمع كل روح النفس في ذلك الموضع فاذا لم يكن ذلك دل ان
ذلك خيال والوجه فيه ما ذكرنا من انه لا لا هو ظاهر بحمد الله يعرفه كل عاقل يتامل فيه ولم يعاند
وبالله التوفيق ثم اختلف في قوله توفته رسلنا قال بعضهم هو ذلك الموت وحده وانما خرج الكلام
مخرج العموم بقوله ارسلنا والمراد منه الخصوص الا ترى انه قال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت
الذي وكل بكم اخبر انه هو الموكل والمسلط على ذلك وقال اخرون يتوفاه اعوان ذلك الموت ثم
يقبضه ملك الموت ويتوفاه وقال اخرون يكون معه ملائكة تقبض الانفس وسواه ملك الموت
لكن ذلك لا ندري انه كيف هو وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة ولكن الى معرفة ما ذكرنا وقوله وهم لا
يفرطون فيه اخبار عن شدة طاعة الملائكة وبهم وان الرافة لا تاخذهم فيما فيه تاخير امر الله وتفريطه
لان من دخل على من في النزع اخذته من الرافة ما لو ملك حياته لبذل له واخبر عز وجل انهم لا يفرطون
فيما امروا به ولا يوخرونه لتعظيمهم امر الله وشدة طاعتهم له وعلى ذلك وصفهم غلاظ شداد
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون و **قوله** ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ذكر الرد الى الله
وانه مولاهم الحق وان كانوا في الاحوال كلها مردودين الى الله وكان مولاهم الحق في الدنيا والآخرة
وكذلك **قوله** وبرزوا لله جميعا وكذلك قوله لمن الملك اليوم لله كان الملك له في الدنيا والآخرة
وكانوا بارزين له جميعا في الاوقات كلها لما كانوا اصحاب الشكوك نادتع ذلك عنهم وخلص ردهم
وردهم الى الله خالصا لا شك فيه وكذلك كان الملك له في الدنيا والآخرة وهي الايام كلها لكن نازع
غيره في الملك في الدنيا ولا احد ينازعه في ذلك اليوم في الملك فقال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وعلى ذلك قوله مولاهم الحق كان مولاهم الحق في الاوقات كلها والاحوال ولكن عند ذلك
يظهر لهم انه كان مولاهم الحق و **قوله** ثم ردوا الى الله يحتمل ردوا الى ما وعدهم واوعد و
قوله الا له الحكم يحتمل قوله الا له الحكم في تاخير الموت والحياة وقبض الارواح وتوفي الانفس
ويحتمل له الحكم في التعذيب في النار والثواب والعقاب ليس يدفع ذلك عنهم دافع سواه ولا ينازعه
احد في الحكم وهو اسرع الحاسبين عن الحسن قال هو سريع العقاب لانه انما يحاسب ليعذب كما روي
من نوقش الحساب عذب وهو اسرع الحاسبين لانه يحاسب لا يحاسب عن حفظ ولا تذكر ولا يشغله
شيء عن شيء فانما يحاسب عن حفظ وتذكر ويشغل فهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله شيء و قوله
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ليس هذا على الامرية ولكن على المحاجة كقوله قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من قبل ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على الاعتبار بالذين
الذين كانوا من قبل والنظر في اثارهم واعلامهم انهم كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وماذا اصابهم بذلك
فعلى ذلك هذا انه الامر بالمحاجة معهم في الهتهم انه من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الهتكم التي تعبدون
من دون الله وتشركونها في الوهيته وربوبيته او الله الذي خلقكم فتحرجكم حتى قالوا الله هو الذي
خلقكم فتحرجهم حتى قالوا انما الذي ينجينا من ذلك فقال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب فاذا كان هو
الذي ينجيكم من هذا لا الهتكم التي تعبدونها فكذلك هو الذي ينجيكم من كل كرب ومن كل شدة ويحتمل

قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي لا احد ينجيكم من ظلمات البر والبحر كقوله ومن اظلم اي
لا احد اظلم ممن تخافون على انفسكم الهلاك كما تخافون على انفسكم فلا احد سواه ينجيكم من ذلك ومن كل
كرب قال ابو بكر الباقلاني هو ... في الدنيا انه هو الذي ينجيهم من ذلك كله وهو الذي يعطي لهم
ما اعطوا فقامت عليهم الحجة ولم يعرفوا الله هو الذي ينجيهم في الاخرة ويهلكهم وهو هكذا اعرفوا الله
في الدنيا ولم يعرفوه في الاخرة ثم اختلف في ظلمات البر والبحر قال بعضهم الظلمات هي الشدة والافة
والكروب التي تصيبهم بالسلوك في البر والبحر وقال اخرون الظلمات هي الظلمات لان اشغال
البحار والمفاوز انما تقطع بالعلامات والاهتداء فاذا اظلم السماء بقوا متحيرين لا يعرفون الى اي ناحية
يسلكون ومن اي طريق ياخذون وعند ذلك يدعون الله تضرعا وخفية قال الحسن التضرع هو
ما يرفع به الصوت والخفية هو ما يدعى سرا وهو من الاخفاء وفي حرف ابن مسعود يدعونه تضرعا
وخيفة وهو من الخوف قال الكلبي في خفض وسكون وتضرع الى الله وقوله لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين قال ابو بكر لنكونن من الشاكرين اي لا نوجه الشكر الى غيرك والشكر
ههنا هو التوحيد اي لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الموحدين لكن من نعبد لا انهم كانوا يوحدون
الله في ذلك الوقت لكنهم اذا نجوا من ذلك اشركوا غيره في الوهيته الا ترى انه قال قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون وقوله ثم انتم تشركون تنبيه عليكم ان الاصنام التي تعبدون لا تملك
لكم الشفاعة ولا الزلفى الى الله فيذكر سفههم في عبادتهم الاوثان على علم منهم انها لا تشفع لهم
ولا تملك دفع شيء عنهم وقوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او
يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض اختلف في نزول الاية فيمن نزلت قال بعضهم نزلت في مشركي
العرب وهو قول ابي بكر الاصم لانها نزلت على اثر ايات نزلت في اهل الشرك من ذلك قوله قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك وقوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
الاية وقوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة الى قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق هذه
الايات كلها نزلت في اهل الشرك هذه وكذلك نزلت فيهم لانها ذكرت على اثرها ولان سورة الانعام
نزل اكثرها في محاجة اهل الشرك الا ايات منها نزلت في اهل الكتاب وسورة المائدة نزل اكثرها في
محاجة اهل الكتاب لانه يذكر فيها قل يا اهل الكتاب ومنهم من يقول نزلت في اهل الاسلام وهو قول ابي بن
كعب وقال هن اربع فجاء منهن ثنتان بعد وفاة النبي عليه السلام البسهم شيعا واذاق بعضهم باس بعض
انما لبس الشيع هي الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض هو السيف والقتل هذا ان قد كانا في
المسلمين وبقي ثنتان لا بد واقعتان ومنهم من يقول كان ثنتان في المشركين من اهل الكتاب وثنتان
في اهل الاسلام وهو قول الحسن قال قد ظهرت في اهل الاسلام الاهواء المختلفة والقتل والفتن واما
اللتان في اهل الشرك من اهل الكتاب هو الخسف في الارض والحجارة من السماء ثم اختلف في قوله
عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض عن ابن عباس قال عذابا من
فوقكم اي من امرائكم او من تحت ارجلكم اي من سفلتكم لان الفتن ونحوها انما تهيج من الامراء الجائرة
ومن اتباعهم فقوله او يلبسكم شيعا قال الاهواء المختلفة وقوله ويذيق بعضكم باس بعض ان
يسلط عليهم بعضا بالقتل والعذاب ومن قال بان الاية نزلت في اهل الشرك يقول كان في اشياعهم
ذلك كله اما العذاب من فوق هو الحصب بالحجارة كما فعل بقوم لوط ومن تحت ارجلهم هو الخسف
كما فعل بقارون ومن معه وقوله او يلبسكم شيعا يقول فرقا واحزابا وكانت اليهود والنصارى
فرقا مختلفة اليهود فرقا والنصارى كذلك كقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء وقوله فاغرينا

بينهم وقوله ويذيق بعضكم باس بعض هو الحرب والقتال وقول الحسن ما ذكرنا انه ظهر في اهل الاسلام
الاهواء المختلفة وظهر الحرب والقتل واما الخسف والحصب فلم يظهر بعد في اهل الشرك ويحتمل
قوله عذابا من فوقكم السماء وارسالها عليهم لانهم قد اقروا انه هو رفع السماء فمن قدر على رفع شيء يقدر على
ارسالها به وقوله او من تحت ارجلكم لانهم عرفوا انه بسط الارض ومن ملك بسط شيء ملك طيه
ويخسف بهم وقوله انظر كيف نصرف الايات قيل اي نردد الايات ليعلم كل امر وجرم او نبين
كيف نصرف الايات ليعلم كل حقيقتها وحقيقتها الا من الله ... لعلهم يفقهون يحتمل وجوها يحتمل
ليفقهوا وذلك يرجع الى المؤمنين خاصة والثاني لعلهم يفقهون اي لزمهم ان يفقهوا وقد الزمهم الكل
ان يفقهوا لكن من لم يفقه انما لم يفقه لانه لم ينظر اليه نظرا لاستحقاقه والثالث نصرف الايات
اي نصرف الرسل ونبلغها اليهم على رجاء ان يفقهوا لكن يفقهوا ان نظروا فيها وتاملوها وذكر لعل
لان منهم من فقه ومنهم من لم يفقه وكذب به قومك يحتمل القران ويحتمل ما ذكر من الايات ويحتمل
الايمان به والتوحيد وهو الحق ثم قوله وكذب به قومك وهم احق ان يصدقوك بما جئت به وانباهم
لانك نشات بين اظهرهم فلم يوخذ عليك كذب قط ولا ادعيت ان تختلف الى احد يعلمك فهم احق
ان يصدقوك بما جئت به وانباتهم والله اعلم وقوله قل لست عليكم بوكيل قال عامة اهل
التاويل الوكيل الحفيظ والوكيل هو القائم في الامر اي لست بقائم عليكم لاكرهكم على التوحيد
والايمان شئتم او ابيتم ولست بحافظ على اعمالكم انما علي التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله
لكل نبا مستقر قال بعضهم لكل نبا حقيقة وقيل لكل خبر غاية ينتهي اليه ويحتمل ان يكون
صلة قوله لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر اي لست عليكم بوكيل لكن لكل نبا مستقر في اعمالكم
اموالكم واشياءكم واديكم كقوله لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر ويحتمل قوله وكذب به
قومك اي بما اتاهم وعدوا وان وعد الله اعلم وفي قوله او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
دلالة نقض قول المعتزلة لانا نعلم ان الخلق حقيقة الفعل في القتل والحرب والاهواء المختلفة
ثم اضاف ذلك الى نفسه دل ان له صنعا في افعالهم وليس كما تقول المعتزلة انه لا صنع له في ذلك
وكذلك ما ذكر من اضافة تلبيس الشيع اليه ولو لم يكن لانهم يقولون هم مختلفون وقد اخبر
انه هو يجعلهم شيعا وذلك ظاهر النقض عليهم لانه اخبر انه يذيق بعضهم باس بعض وهم يقولون
هو لا يذيق ولكن ذلك القاتل او الضارب او المعذب هو يذيقهم دون رب العالمين وكذلك قوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وهم يقولون هو لا يعذبهم ولكن الخلق يعذبونهم وكذلك قوله ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وهم يقولون هو لا يملك تعذيبهم بايديهم وذلك رد لظاهر
الاية وتركها جانبا وقوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره يشبه ان يكون قوله يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم ان يكون اي يكفرون بها ويستهزءون بها
كما قال في سورة النساء وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها
فيكون خوضهم في الايات الكفر بها والاستهزاء بها ويكون قوله فاعرض عنهم اي لا تقعد معهم كما قال
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقوله فاعرض عنهم يحتمل النهي عن القعود
معهم على ما ذكرنا من قوله فلا تقعدوا معهم ويحتمل الاعراض الصفح عنهم وترك المجازاة لهم وبهم
كقوله فاصفح عنهم وقل سلام وكقوله فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه الامر
بالتبليغ فينهى عن القعود معهم ويومر بالتبليغ وقوله واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد
الذكرى مع القوم الظالمين معناه والله اعلم ان الشيطان اذا انساك القعود معهم فلا تقعد بعد

ذكر الذكرى وهي التي تبدو منا انسانا للشيطان اي لا يكن بالمحل الذي يجد الشيطان اليك سبيلا في
ذلك وقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قيل فيه بالرخصة الجلوس معهم وهو كقوله
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ثم نسخ ذلك بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكان
النهي عن مجالستهم ليس الجلوس نفسه ولكن ما ذكرنا من خوضهم في ايات الله بالاستهزاء بها والكفر بها
هو الذي كان يحملهم على ذلك ليس ان لا يجوز ان يجالسوهم وكذلك ما نهانا ان نسبهم ليس ان لا يجوز لنا
ان نسبهم ولكن لما كان سببا لهم هو الذي يحملهم على سب الله ولكن ذكرى لعلهم يتقون يحتمل النهي
عن القعود معهم وجهين احدهما لان القعود معهم لما كان اهل النفاق يجالسونهم ويستهزئون
بالايات ويكفرون بها فنهي هؤلاء عن ذلك ليرتدع اهل النفاق عن مجالستهم والثاني انه نهى المؤمنين
عن مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم حياء منهم لانهم لو امتنعوا عن مجالستهم فيمنعهم ذلك عن الاستهزاء
بها والكفر بها لما كانوا يرغبون في مجالسة المؤمنين فيذكرون عنده فيامن عنهم فيتقون الخوض
والاستهزاء ولما يخافون ان يحرموا الناس بترك مجالستهم المؤمنين فيحملهم ذلك على الكف عن
الاستهزاء بالايات وبرسول الله وقوله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي ذر الذين
اتخذوا اللعب واللهو ادينا على التقديم والتاخير والثاني اتخذوا اللعب واللهو دينهم حتى لا ينبغي دعوا
اللعب واللهو لان الدين انما يتخذ للابد فعلى ذلك اتخذوا اللعب واللهو للابد كالدين
ثم يخرج على وجوه احدها اتخذوا دينهم عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم
ومن عبد هذا وصنعه واتخذ فذلك فهو عابث لاعب والثاني اتخذوا دينهم ما هوته انفسهم
ودعتهم الدنيا طبعا اليه ومن اتخذ دينه بهوى نفسه وما دعته نفسه اليه فهو عابث لاعب
والثالث صار دينهم لعبا وعبثا لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ومن لم يقصد بدينه الذي
دان به عاقبة فهو عابث مبطل كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير عدم الرجوع اليه عبثا
وقوله وغرتهم الحياة الدنيا اي شغلهم ما اختاروا من الحياة الدنيا والميل اليها عن النظر
في الايات والبراهين والحجج او ان يكون قوله وغرتهم اي اغتروا بالحياة الدنيا اضاف التغرير
الى الحياة الدنيا اغتروا وقوله وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت قيل وذكر به قبل ان تبسل
نفس بما كسبت وانما يذكرهم لهذا لان لا يقولوا غدا انا كنا عن هذا غافلين واصل الابسال
الاهلاك او الاسلام للجناية والهلاك ثم اختلف في قوله ان تبسل نفس بما كسبت عن ابن عباس
قال ان تفتضح نفس بما كسبت وقيل تبسل تؤخذ وتحبس وهو قول قتادة وكذلك قال في قوله
ابسلوا اي كسبوا اي حبسوا بما كسبوا وعن ابن عباس ابسلوا اي فضحوا على ما قال في تبسل
وعن الحسن تبسل تسلم وعن مجاهد كذلك قال ابو عوسجة تبسل نفس اي تسلم وذلك ان الرجل
يجني جناية فيسلم اي اهل الجناية وقال القتبي تبسل اي تسلم للهلكة وعن الكسائي تبسل تجزى
نفس بما كسبت وقال الفراء تبسل ترهن واصل الابسال هو الاسلام ما ذكر على اثره وهو قوله
ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع كما يكون بعضهم شفيعا لبعض في الدنيا دعوا انا لهم انصار
في دفع المضار والمظالم عنهم وجر المنافع اليهم واما في الاخرة فان كل نفس تسلم بما كسبت لا شفيع
لها ولا ولي كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وكقوله وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة وغير
ذلك من الايات تسلم كل نفس الى كسبها لا شفيع لها ولا ولي وقوله وذكر به يحتمل بالقرآن
والايات ويحتمل به اي بالله اي عظ به ان تهلك نفس بما كسبت وقوله وان تعدل

كل عدل لا يؤخذ منها اختلف فيه قال بعضهم العدل الفداء يقول وان تفدي كل الفداء لتخلص
مما حل بها لا يؤخذ منها ولا يقبل منها ذلك وقال الحسن العدل كل عمل البر والخير اي وان
عملت كل عمل البر والخير من الفداء والتوبة لا يقبل منها ذلك لان دار الاخرة ليست بدار
العمل لا يقبل فيها الرشى كما يقبل في الدنيا واخبر انه لا يكون شفعاء يشفعون لهم ولا اولياء ينصرونهم
ليس كالدنيا لان من اصابه في هذه الدنيا شيء او حل به عذاب او غرامة فانما يدفع باحدى هذه
الخلال الثلاث اما شفعاء يشفعونه او باولياء ينصرونه او بالرشى فاخبر ان الاخرة ليست
بدار تقبل فيها الرشى فتدفع ما حل بهم او اولياء ينصرونهم في دفع ذلك عنهم او شفعاء يشفعون لهم فان
قيل ما معنى ذكر العدل والفداء وليس عنده ما يفدي ولا يترك وما ذكر من العمل قيل معناه
والله اعلم اي لو مكن لهم من الفداء ما يفدون في دفع ذلك عن انفسهم ومكن لهم من العمل ما لو عملوا
لم يقبل ذلك منهم وقوله اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا قد ذكرنا الاختلاف في الابسال
واصله الاسلام يسلمون لما اكتسبوا لا يكون لهم شفعاء ولا اولياء ولا يقبل منهم الرشى وقوله
لهم شراب من حميم قيل الحميم هو ما قد انتهى حره يغلي ما في البطن اذا وصل اليه فيشبه انه
يكون لهم من الشراب ما ذكر لما نعموا في الدنيا من الشراب المحرم فكان لهم في الاخرة الحميم
مكان ذلك وكذلك العذاب الاليم لما اعطوا انفسهم في الدنيا من الشهوات واللذات جزاء ذلك
وقوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون اولئك
الكفرة دعوا رسول الله او المؤمنين الى عبادة الاصنام التي كانوا يعبدونها فقال عند ذلك
انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا بعد ما عبدنا الله الذي يملك نفعنا وضرنا او كان
اهل الكفر يدعون اهل الاسلام الى عبادة الاوثان التي كانوا يعبدونها اما طمعا منهم بتبديلهم
ليرجعوا الى عبادة الاوثان عن عبادة الله او تحريشا منهم لهم فقال قل يا محمد اندعوا من دون
الله ما لا يملك نفعنا ان عبدناه ولا يملك ضرنا ان تركنا عبادته بعد ما عبدنا الذي يملك نفعنا
ان عبدناه ويملك ضرنا ان تركنا عبادته وعن ابن عباس قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا هذا مثل ضربه الله للاصنام التي عبد دون الله ومن يدعو اليها وللدعاة
الذين يدعون الى الله والى عبادته كمثل رجل ضل عن الطريق تائها ضالا اذا ناداه مناد يا فلان
ابن فلان هلم الى الطريق وله اصحاب يدعونه يا فلان هلم الى الطريق وقوله ونرد على
اعقابنا في الكفر والشرك بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران
يقول مثلهم ان كفروا بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين
واستهوته في الارض واصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق قال
فلم ياتهم فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد هو الذي يدعوهم الى الطريق وهو الهدى
ويحتمل ان يكون المثل الذي ضربه من وجه آخر وهو ان مثل هؤلاء كمثل من كان في تيه المفاوز
والبر اي ضل الطريق فيه فذهب به الغيلان حيث او تقوده في الهلكة وهو الذي تقدم ذكره
ويشبه ان يكون قوله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى
الهدى انه ما من احد من مشرك وهو ممن الا وله اصحاب يدعونه اما المؤمن فله اصحاب
من الملائكة يدعونه الى الهدى والكافر له شياطين يدعونه الى الشرك هذا اشبه ان يحمل
عليه لكن اهل التاويل حملوا على ما ذكرنا قال قتادة هذه خصومة علمها الله محمدا يخاصم بها
اهل الشرك لان سورة الانعام نزل اكثرها في محاجة اهل الشرك قال ابن عباس استهوته

٥٦٠

أضلته وقال ابن عباس أي ذهبت به استهوته واهوته واحدا أي دعته إلى الهلكة
وقيل أضلته وقوله ونرد على أعقابنا أي نرجع عن الإيمان إلى الشرك بعد إذ هدانا الله و
قوله قل إن هدى الله هو الهدى قيل بيان الله هو البيان وقيل إن دين الله هو الهدى
وهو الدين وقوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين قيل هذا صلة قوله قل أندعوا من دون الله ما لا
ينفعنا ولا يضرنا وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وقال بعضهم ليس
على الصلة ولكن على الابتداء أمرنا لنسلم لرب العالمين وقيل لهم أقيموا الصلاة واتقوه وهو
الذي إليه تحشرون قد ذكرناه وقوله وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق قيل قوله
بالحق أي خلق السموات والأرض بالحق لم يخلقهما باطلا كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما
بينهما باطلا قيل لم يخلقهما باطلا ولكن خلقهما بالحق وهو يحتمل وجوها قيل خلقهما للعاقبة لأن كل
أمر لا عاقبة له يكون باطلا ليس بحق فأما خلق السموات والأرض وما بينهما للعاقبة وذلك لأمر
عظيم كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قوله بالحق أي خلقهما ليمتحن فيهما
والمحنة سبيل لم يخلقهما لغير شيء وقيل بالحق أي خلقهما بالحكمة من نظر فيهما وتدبر لدله
على أن لهما خالقا ومدبرا دله على أن مدبرهما ومنشئهما واحد فإذا كان كذلك كان خلقهما
بالحق بالحكمة والعلم وقوله كن فيكون قد ذكرنا أن قوله كن هو أوجز كلام في لسان العرب
يعبر به يفهم منه لا أن كان من الله كاف أو نون لكنه ذكره الله أعلم ليعرفوا أن ليس على الله في
الإحياء والإنشاء بعد الموت مؤونة كما لم يكن على الخلق في الكلمة بكن مؤونة ولا يصعب عليهم
ذلك فعلى ذلك ليس على الله في البعث بعد الموت مؤونة ولا صعوبة وإن أتى في ذكر هذا السرعة
نفاذ المشيئة كقوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أخبر أن خلقهم وبعثهم ليس إلا كخلق نفس
واحدة وبعث نفس واحدة وكقوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب يخبر بسرعة نفاذ
الساعة وبعثهم وذلك أن الرجل قد يلمح البصر وهو لا يشعر به فعلى ذلك القيامة تقوم وهم
لا يشعرون والثالث يذكر هذا أن الله أعلم أن البعث بعد الموت والإحياء إعادة وإعادة
الشيء عندكم أهون من ابتداء إنشاء وعلى ذلك يخرج قوله وهو أهون عليه أي هو أهون عليه
عندكم وقوله قوله الحق يحتمل قوله الحق أي البعث بعد الموت حق على ما أخبر ويحتمل قوله
الحق أي ذلك القول منه حق يكون كما ذكر وقوله وله الملك ملك ذلك اليوم كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ لله وذكر هذا وإن الله أعلم لما في الدنيا يدعي
أحد في ملك ذلك اليوم وقد نازعه الجبابرة في الملك في الدنيا وإن لم يكن لهم ملك ولا
الوهية ويحتمل قوله وله الملك أي ملك جميع الملوك له في الحقيقة كقوله مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وقوله يوم ينفخ في الصور قال بعضهم النفخ هو الروح والروح من
الريح والريح إنما تدخل بالنفخ فنفخنا فيه من روحنا وقال بعضهم لا يكون هنالك في الحقيقة
نفخ ولكن يذكر لسرعة نفاذ الساعة لأن الرجل قد يتنفس وهو لا يشعر به فذكر هذا لسرعة
نفاذ الساعة لأنه ليس شيء أسرع جريانا ونفاذا من الريح وقال بعضهم هو على حقيقة النفخ
وهو ما ذكرنا وقوله في الصور قال بعضهم في صور الخلق وقال بعضهم الصور قرن ينفخ
فيه إسرافيل فلا ندري كيف هو وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى أن فيه ما ذكرنا من
سرعة نفاذ البعث وقوله عالم الغيب أي يعلم ما يغيب الخلق بعضهم من بعض والشهادة ما
يشهد بعضهم بعضا ويحتمل عالم الغيب أي يعلم ما يكون أنه إذا كان كيف كان ويعلم وقت كونه

٥٦١

والشهادة ما كان وشوهد يخبر أنه لا يغيب عنه شيء ولا يعزب منه وهو الحكيم في خلق السموات
والأرض وخلق ما فيهما والحكيم في بعثهم هو الواضع الشيء موضعه الخبير بكل شيء وقوله وإذ
قال إبراهيم لأبيه آزر قيل آزر هو اسم أبي إبراهيم والحسن يقرأه آزر بالرفع وجعله اسم
أبيه وقال آخرون هو اسم صنم فهو على التقديم والتأخير كأنه قال لذا قال إبراهيم لأبيه
أتتخذ آزر أصناما آلهة وقوله أتتخذ استفهاما عما يعبد من الأصنام دون الله لأن مثل
هذا إنما يقال على التعظيم من الفعل وقال أبو بكر الكيسان في قوله آزر قيل هو اسم عيب عندهم
كأنه قال يا ضال أتتخذ أصناما آلهة كقول الرجل لآخر يا ضال وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة
كان اسم أبيه أو اسم صنم وفي الآية دلالة أن أباه كان من رؤساء قومه بقوله إني أراك وقومك
في ضلال مبين وفيه دلالة أن لا بأس للرجل أن يشتم أباه لمكان دينه لأن إبراهيم سماه ضالا
وفي الآية دلالة أن الإيمان والتوحيد يلزم أهل الفترة في حال الفترة لأن إبراهيم سماهم ضلالا
وهو لم يكن في ذلك الوقت رسولا إنما بعث رسولا من بعد والله أعلم وقوله إني أراك وقومك
في ضلال مبين أي ضلالا لا شك فيه ولا شبهة وهو ما ذكر في آية أخرى حيث عبد ما ذكر حيث قال
يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا هذا الضلال المبين وقوله وكذلك
نري إبراهيم ذكر كذلك والله أعلم على معنى كما أريناك ملكوت السموات والأرض والآيات
كذلك كما أرينا إبراهيم ونري بمعنى أرينا وذلك جائز في اللغة وكذلك لا يذكر إلا على تقدم شيء لكن
الوجه فيه ما ذكرنا كما أريناك من الآيات والحجج والبراهين كذلك كما أرينا إبراهيم وقوله
ملكوت السموات والأرض اختلف فيه قال بعضهم سلطان السموات والأرض وقيل الشمس
والقمر والكواكب وقيل فرجت له السموات السبع حتى نظر إلى ما تحت العرش وما فيهن وكذلك
فرجت له الأرضون حتى رأى ما فيهن وقيل ملكوت السموات والأرض حين إبراهيم صلوات الله عليه
من الجبابرة في سرب فجعل الله أصابعه رزقا فإذا مص إصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا
فلما خرج أراه الله الشمس والقمر فكان ذلك ملكوت السموات وملكوت الأرض الجبال
والبحار والأشجار وقيل نظر إلى ملك الله فيها حتى نظر إلى مكانه من الجنة وفتحت له الأرضون
حتى نظر إلى أسفل الأرضين فذلك قوله وآتيناه أجره في الدنيا قال أري مكانه في الجنة وقيل
أجره الثناء الحسن وقال أبو عوسجة ملكوت السموات والأرض من الملك وكذلك قال
أبو عبيدة وهو كجبروت ورحموت ورهبوت فكذلك ملكوت وأصله ما ذكر من الآيات
والعجائب وقوله وليكون من الموقنين الإيقان بالشيء هو العلم بالشيء حقيقة بعد الاستدلال
والنظر فيه والتدبر ولذلك لا يوصف الله باليقين ولا يجوز به أن يقال الموقن لما ذكرنا هو
العلم الذي يعقبه الاستدلال وذلك منفي عنه وقوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات
والأرض وليكون من الموقنين وقيل في قوله وكذلك نري إبراهيم إنه كما أريناك ملكوت ما ذكر
فنقول نري بمعنى أريناه وقوله وكذلك له وجهان أحدهما أنه كما أريناك ما أيقنت به أن
الربوبية لله وأنه هو الواحد لا شريك له من الآيات والأدلة أريناه أيضا ما ذكر حتى أيقن
هو والله أعلم على التسوية بين الأسباب الدالة على الوحدانية لله والربوبية في المعنى
وإن كانت لا عيان مختلفة وعلى أن طريق المعرفة الاستدلال بما أنشأ الله من الدلالة لا السمع
والحس وإن كان في صحة السمع تأكيده والثاني أن يكون وكذلك يريه على ما أظهر من الحجج على
قومه وهو كقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وأعطاه ما أراه وأشعر قلبه

بالحج الى ان قومه مما انطلق لقاعد وجل لسانه ليلزم حجة خلقه والله الموفق. وملكوت
السموات والارض الملك في الحقيقة من الوجه الذي يكون اية للايقان ودليلا للاحاطة
بالحق ثم اختلف في وجه ذلك فمنهم من قال هو ما اري بصره اعني بصر الوجه نحو الذي ذكر من
فتح السماء حتى رأى ما فيها من العجائب والايات الى العرش او حيث قدروا الارض حتى رأى
ما فيها من انواع الخلق الى الثرى او حيث بلغ ومنهم من قال رفع الى السماء حتى كانت الارض
من فيها له راي العين وكان له صلوات الله عليه مثل هذا في الامور نحو امر النار والهجرة
الى حيث لا ضرع ولا زرع وما جعل رزقه في اصابعه وامر بلوغ صوته في قوله واذن
في الناس بالحج ان كان على ما سمع منه والله اعلم ومنهم من قال هو ما اري بصر قلبه
من وجوه العبر وانواع الادلة عند التامل في خلق الله بالفكر من غير ان كان في الخلق تغير
على الاحوال التي كانت عليه ومن احق من يكون له في الذي كان كفاية عن حدوث احوال تدل
اذ حجج الله مستدل بها في قومه من الوجه الذي جعل لجميع الخلق لا من جهة خصوص ايات تثبت
ان ذلك كان له لهذا الوجه ثم هو يخرج على وجوه منها ما رأى من تسخير الشمس والقمر والنجوم
وقطعها في كل يوم وليلة اطراف السماء والارض جميعا وسيرها تحت الارض الى ان تعود
الى محل مطلعه تسير كل ذلك مما فوق الارض الى السماء واستواء احوال ذلك على ما عليه حد في
كل عام وشهر لا يزداد ولا ينتقص ولا يتقدم ولا يتاخر مع عظمها بما فيها من المنافع لانواع
دواب الارض والطير جميعا ما يوجب كل متامل ان مثل هذا لا يحتمل الطباع الا ان يكون له
مدبر حكيم جبله ذلك الطبع وسواه على ما شاء من الحد وان لا سبق الامر على التدبير والحكمة
الا ان يكون مدبر ذلك بحيث لا يحتاج الى معين ولا يجوز ان يكون له فيه منازع ثم هو بذاته
عليم بكل شيء وما في الارض من تدبير الليل والنهار بينهما قبل ابدا او جيران يتعاوران بما فيهما
من الجبابرة والفراعنة حتى لو اجتمع جميع اهل الارض على زيادة في واحد او نقصان او
تقديم او تاخير لما لهم من الحاجة او بما فيهم من القوة والقدرة مع معونة الجمع لهم في
ذلك لم يتهيا لهم ولا بلغ تو تم لاحد من احتمال ذلك حتى يصير عنده دليل كل كان الآخر لم
يكن فقطع عنه الغوث انهم كانه لو بقيا دونهم فقطع ما ادرع اهل الارض بهما من المنافع
وعليهم فبقاء انواع متضادة ولهما سلطان على اعمادهم على ما فيهما من اثر التسخير والتذليل
الذي كل متهود بالاحراد اطاع سلطانه وبلغ حده ولينفي واحد منهما امتناع عن قهر الاخر
وان كان هو الظاهر القوي جريا جميعا على حد احد وسنن واحد لا على ذلك على ما دل
عليه الاول مع ما فيهما من اثر العبث امر الظاهر الا يحتمل ان جعله الا حكمة مع ما بنك
والله اعلم ثم النور والظلمة والحر والبرد نحو ذلك الذي ينبسط بساعة جميع اطراف السماء
والارض بجز واحد كل شيء ويبدي آخر عن كل شيء ويحيط الثالث بكل شيء ثم يتعلق منافع
الاهل بها على اختلافها بالسماء والارض على تباعد ما بينهما وبالسهل والجبل والبر
والبحر على تضاد معانيهما وعلى ذلك جميع الامور وكان صلوات الله عليه بما اري من
الحين وغيره من الموقنين ان لا اله الا الله وحده اليه نفسه وان كل شيء نسب اليها الالوهية
محال ان يكون فيه او له امكان ذلك ولا قوة الا بالله وقوله فلما جن عليه الليل الى قوله
وما انا من المشركين تكلفوا في تاويل الاية على اوجه ثلاثة فمنهم من حمل الامر على ما عليه
الظاهر انه غير عارف بربه حق المعرفة الى ان عرف من الوجه الذي بان له عند النواع

من اخبرنا نسب اليها الربوبية انه لا يعرف من جهة ذلكنا الحواس ود تو عنها عليه ولكن من جهة
الايات والدلائل العقل فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الاية لكن اهل هذا القول
اختلفوا على اوجه ثلاثة احدها ما روي في التفسير انه ولد في السرب ولم يكن نظر الى شيء من
خلق السماء فنظر من باب السرب في اول الليل فرأى الزهرة بضوءها وتلالؤها وكان في
في علمه ان له ربا وانه يري فلم ير اضوء منها ولا انور فقال هذا ربي فكانه وله علامات الرب
دائم لا يزول فقال لا احب ... ليس هذا برب كقوله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
اي ليس لنا وقول عيسى حيث قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما قلت ذلك
لكن اهل هذا التفسير حملوا الافول على غيبوبته بنفسه وهو عندنا على غيبوبته في سلطان
الشمس وقهر سلطان القمر لما طلع سلطانها لم يجد عنده ان الرب لا يقهر وان سلطانه لا يزول
وعلى ذلك امر القمر والشمس بظلمة الليل وفي ذلك انه لو كان عنده اية لا ريب لانكر في تلك الوجه
ان يكون ربه ثم اقربه وانكر الافول والزوال وهذا ينقض قول من يصف بالزوال
والانتقال من حال الى حال ومشهورة يقول كان هذا في وقت منه لم يكن جرى عليه القلم
جمع الخلق يقول في خلق السماء والارض ونحو ذلك وينسبون ذلك الى الله وعلى ذلك امر
جميع اهل الشرك كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله قل لمن
الارض الى قوله ما اتخذ الله من ولد ليشر وا هو عبد والاصنام وسموها الهة فتاملها
فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر علم ان مثلها لا يحتمل ان يكون يخلق ما ذكرت
وان الذي ذلك يفعله فعلى عظيم يجب طلب معرفته من الخلق بما كان ينفع الملائكة الى
السماء ونزول الغيث منها ونحو النور والظلمة وكل انواع البركات وغيرها منها نصرف
تدبير الطلب الذي نسب اليه الخلق فلما تأول ما اخذ في التامل والنظر لم يقع بصره
على احسن وابهى من الذي ذكر فظن ذلك ثم لما قهر وقد كان علم بان خالق من ذكر لا يجوز
ان يقهر لمن ذلك علم انه ليس هو وقال لمن قهر ذلك الى ان قهر الليل ضوء الشمس وصارت
بحيث لا يجري له السلطان او وراى في الكل اثار التسخير والتذليل ولم ير فيها اعلام من
الامر والخلق فعلم ان الرب لا يدرك من هذا الوجه ولا يعرف من جهة الحواس فرجع الى
ما سمع من ان خلق السموات والارض فوجه نفسه اليه بالعبودية واعترف له بالربوبية
بما في الخلق من اثار ذلك وفي القول من تسمية من له الخلق ربا والها فامن به وذلك كان
اول احوال احتماله علم الاستدلال وبلوغه المبلغ الذي من بلغه يجري عليه الخطاب ولا
قوة الا بالله ومنهم من قال انه كان بالغا قد جرى عليه القلم وقد كان رأى ما ذكر غير مرة لكن
الله لما اراد ان يهديه الهمه ذلك والقى في نفسه فانتبه انتباه الانسان بشيء كان عنه غافلا
من قبل فرأى كوكبا احمر يطلع عند غروب الشمس نزاعه الى ان افل فازداد من الله قربة
وعلم ان ربه لا يزول ولا يتغير فنزع اليه وقال لا احب الافلين وكذا ذكر في القمر والشمس
الى ان عرفه الله فتبرا مما كانوا يشركون ووجهه بالتوحيد والعبادة اليه والى هذا
التاويل ذهب الحسن والى الاول روي عن ابن عباس والثالث قال به جماعة اهل
الكلام وهو ان نبوة الى الله او بجملة رجلا بالغا جرى عليه القلم وهو كان عن الله بعيد
الغفلة حتى يتوهم في معنى نجم او قمر او شمس مع ما يرى فيها الظهور والافول بعد ان لم تكن
والافول بعد الوجود ثم اثار التسخير والعجز عن التدبير عما هو في جنده وبلاء ومن له نظر

في ذاته وصفاته وسلطانه ولا يرى في شيء منها له لم اوله معنى يدل على رجوع التدبير اليه فيتحقق به
القول بذلك والله اعلمه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم وقيل سليم عما لشرك لم يتدنس بشيء
وقال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وما يذكرونه انما اتاه على نفسه اذ هو في الغفلة
عنها والجهل بمن له الآيات ثم يبكت قومه وقد قال ايضا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض ومعلوم ان ذلك على ما بينته او ذلك بقدر في كلاهما ولكن على ما بينت من الوجهين
وفيها حقيقة ذلك وليس في قوله وليكون من الموقنين دلالة الشك في الابتداء او الجهل في
الحال التي يحتمل العلم به حيا به عند جل ولكن على انه على ذلك الوجه يكون الاتقان بما لا يقع
عليه الحواس ولا يوجب علمه الضرورات انما هو الاستدلال بالاثار او تلقي الاخبار ولا
قوة الا بالله وذلك كقوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها لاعن وضع كان وقوله
يخرجهم من الظلمات الى النور لا ان كانوا من قبل في الظلمات وقول يوسف اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله لا عن كون فيها وهكذا امر الايمان ان يكون العبد في كل وقت مؤمنا بالله
وان لا اله غيره لاعن شك فيما تقدمه من الوقت او الجهل فمثله امر ابراهيم والوجه الثاني
مما تكلم في التاويل ان يكون ابراهيم كان مؤمنا في ذلك الوقت عارفا بربه حق المعرفة
ولكنه كلم قومه كلام مستدرج باظهار المتابعة لهم على هواهم ليكونوا به اوثق واليه
اميل وذلك ابلغ في الحجاج والطف في المكيدة فيبين لهم من اراد من غير جهة التنقص
والعناد فبدا بتعظيم ما عظموه اذ هم قوم كانوا يعظمون النجوم ويأمرون احمر
والنمرود بولادة من يهلك على يده ويزول ملكه وهذا كما ذكر انه نظر في النجوم في
ما يسها وعنها لا انه نظر اليها تبركا الذي ذكر لا من حيث علم النجوم ولكن من حيث علمه
انه يموت ومن يموت يسقم لكن اراد الموافقة في العمل الذي لهم في ذلك الباب دعوى
فكذلك ما نحن فيه على ذلك امر البدء الذي كان يعبده قوم عظمته الحوادث الذي ارسل
اليهم حتى اطاقوا اليه وصدوا عن تدبيره وتبلوا بعبادته وكاد يحيط بهم عذاب الى دعاء
الله ليكشف لهم اذ لمثله يعبد حتى ايقنوا انه غاية الى الله تكشف عنهم فامنوا به فمثله
الاول والى هذا التاويل يذهب المتنبي لكنه ذكر انهم كانوا اصحاب نجوم وكهانة ومن
ذلك قوله لا يعبد النجم ولا يراه وذا لكن الخبر الموافقة بتسمية النجم ربا ثم النقض عليه
بالافول ولكن على ذلك لو كان فاما كان في قوم يعبدون النجوم والشمس والقمر فالزمهم بالافول
اذ فيه تغير وغلبة سلطان على سلطان وهذا الوجه يجوز ان يظهر على اعتقاد معنى في نفسه
مستقيم كالمكره على عبادة صليب بقصد فيقصد عبادة الله بنحوه والمكره على شتم محمد فيقصد
قصد محمد آخر بتصوره في وهمه ونحو ذلك فهو على ما قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
ان كانوا ينطقون على جعل ان كانوا ينطقون شرطا في نفسه في قوله بل فعله كبيرهم هذا
والله اعلم وقيل في الاستدراج من غير هذا الوجه على التسليم لهم اهل كهانة ونجوم
ومنه انه لما ذا هم يعبدون الاصنام والاوثان دعاهم من طريق المقابلة اذ هم قالوا لو الهم
ذلك بما داوا من حسن ذلك في ابصر بما قد زين بانواع الزين وحلي بانواع الحلي فاذا
انه يعبدوا النجم كما ذكر وان الذي ذكر احسن واعظم نورا وضياء اذ هو بجوهره ونفسه
كذلك وما كانوا يعبدون بما فعلوا به وجعلوه كذلك ليكره اليهم عبادتهم الاصنام
وليستنقذهم عما اعتادوه بالمعنى الذي ذكرت فزال بهم فساد ما قالوا اليه وقبلوا منه قبل

ان يتوبخ لك في قلوبهم ويطمئن اليه ذلك انه ظهر بما اظهر من فساد ان يكون الذي
بذلك الوصف من التغير او ملكه على شرف الزوال او يصير بحيث يقرب في قلوبهم عبادة
من لا يبقيهم ونه وقت العبادة فيلزمهم على ذلك عبادة المستحق لها او ان تقول اذا كانت النجوم
وما ذكر مع ضياءها ونورها وكثرة منافع الخلق بها لم يصلح لها الالوهية عند جميع
بالافول والتغير فالذي كانوا يعبدون على ما نحو هو كانوا نحتا لنبرادا لا يسمع ولا
يبصر ولا ينفع احوانه لا يكون له الربوبية وان لا يوجه اليه العبودة والله اعلم فهذا
النوع من الاستدراج فيما لو ظهر لهم لم يكونوا يتخذوا من النجوم اربابا يعبدونها وكذلك
الذي ذكره القتبي سوا التاويل الثالث بالاية تخرج مخرج الانكار والاستهزاء ويكون في ذلك
معنى الاستدراج اذ هو الالزام من حيث لا يشعر به او نقض اسباب الشبه ورجعة فيدرجه
في حلول المقت ولزوم المقصود فيما طوى لكن الابتداء بالكشف عن الاسباب ثم قيل في
هذا باوجه احدها انهم كانوا يعبدون النجوم وما ذكر ويدعون الى ذلك الاولاد والصبيان
وابراهيم منهم فيما كانوا يدعونه اليه فقال لما راى النجم هذا الذي تعبدون وتدعون
الى عبادته تدعوني الى هذا ربي الذي تدعونني الى عبادته فلما رآه طالعا سا تحا غايبا انتبت
عنده انه تحير فقال لا احب عبادته لكن وان يكون في خاص نفسه متفكرا في الذي دعوه
اليه ليعرف دفع قولهم من الوجه الذي يعرف ذلك في القلوب اذا قابلهم به وقد يكون في ملا
منهم يظهر لهم قوله هذا ربي على ما تدعونني اليه ليلزمهم ما بان له فساد الربوبية فيكون
استدراجا ايضا لانه الزمهم بعد ظهور الوفاق منه لهم وقد يكون ذكر هذا الذي تدعونني
فيه انه ربي سترا وتظهر بعد باظهار الموافقة فيتبين لهم ذلك بما الزمهم ان الابتداء لم
يكن على المسامحة اذ ذلك الذي به الزمهم كان كذلك عنده في الابتداء وعندهم جميعا
والثاني ان يكون قوله هذا ربي على مقابل هذا فلان الذي تخبروني عنه بمعنى هذا
هو على انكار انه ليس بالمحل الذي اخبرتموني عنه او على الاستفهام ليقرره عنه واي الوجهين
كان فقد هذا ابعد والتهييج المتعقب ان الاول كان على الهزء بهم والانكار او الاستفهام وذلك
كقوله خلقوا كخلقه على انهم لم يخلقوا كخلقه بوضح قوله قل الله خالق كل شيء وفي الاول لا احب
الافلين ويجوز ان يكون هذا امر في قوله هذا ربي اي رب هذا ربي الى اخر ما ذكر ثم رجع
اليه عند التعريف عندهم انه لا تليق الربوبية بالذي ظنوا انه شاهدهم عليه ثم قد تبينا
انه لم يكن على انه لم يكن كان في ذلك الوقت مع ما قد ثبتت عصمة الرسل عن الكبائر فكيف
يبتلون بالكفر والله يقول الله اعلم حيث يجعل رسالته وكل متمكن فيه الكفر شرك
امنا له فلا وجه لتخصيص الاهل بشرحلة وذلك ان الله سبحانه لو اراد ان يبين حقيقة
الحال لو كانت بنا الى معرفة حقيقة ذلك من المراد والوقت والوجه حاجة في امر
الدين لكان يبين ذلك او يرد في ذلك عن رسوله صلى الله عليه وسلم لكن الحال حقيقة ذلك
اذ هو علم الشهادة عما ليس لنا وعلينا بالوصول عمل نكلف ولا نكلف الشهادة بوقت القول
وما يتمكن فيه تحققه ان يتامل وجه الحكمة في ذكر القصة وما فيها من الحجة في امر الدين فهو
والله اعلم يخرج على وجوه احدها على جعل ذلك حجة لرسالة رسوله اذ هو من انباء الغيب ومن
الله تعالى بحكمة ولم يكن ثم من يعلم ذلك ولا فارق قومه واختلف الى من عنده علم الانبياء
بتواريخهم كتب الانبياء ولا كان رسول الله ممن يخط بيمينه او يقف على المكتوب ولا انه

علمه بالله سبحانه مع ما كان في القصة من حجج التوحيد ودفع عبادة الاصنام وشعبة اهل
ذلك لم يحتمل ان يكون تعليم مثل ذلك من الدافعين لذلك المدعين على ابراهيم اليهودية
والنصرانية وبعد فان كتبهم بغير لسانه وفي العبارة بلسانه توهم الاختلاف والتغيير
فلا يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الانكار والدفع والثاني استعطاف قوم رسول الله
اذ هم من ذرية ابراهيم بما يدعوهم الى دين ابائهم مع ما كانوا هم اصحاب تقليد وحفظ
انساب الاباء والزمهم القول في ابائهم بما لا مدفع لهم القول بغير الذي قلدوا اذ ابراهيم
عند جميع المشركين امام يؤتم به احق من كل اب مع ما كان كل من ثم لو دعي على دينه من كونه ا
محفوظا في الخلق ومن خالفهم فهو محجوج لاشتهار ذكره جميعا فكان في ذلك اعظم الدليل
ان هؤلاء من الانبياء احق في التقليد من الذين اتبعوه وعلى ذلك اتفاق اهل الكتاب على
موالاة ابراهيم من غير ان تهيا لهم دفع ما اثبت رسول الله من توحيده ولا ما قرر عندهم
من دينه بشي يجدونه خلافا لذلك في كتبهم والثالث ان ابراهيم عرف معرفة الرب من
جهة خلقه ودان بدينه من جهة النظر في الايات والبحث عنها دون ان قلد اباه او
قومه ليعرف سبيل طلب الحق ووجه اتباعه ليكون ذلك تذكرة لجميع ذريته والرابع
انه ذكر الخبر عن احواله بمخرج لظاهره يوهم المكروه وله وجه الصرف الى ما فيه نفار
عنه للطبع ولا تاتي للعقل فيمتحن عبادة القول فيه والوقف في امره والخامس ليعلم
ان المحاجة في الدين على قدر ما تحتمله العقول لا زيادة اذ بها اخذ ابراهيم قومه واظهر
دين ربه فيبطل بذلك قول كثير من المتكلمين الذين يكرهون المناظرة في الدين ويرون
ذلك تقليد الاستاذين وظواهر ما جا به الاثار في اتباع امثالها تناقض عند العقلا
ولا قوة الا بالله والسادس بان المناظرة تكون بوجهين نصب الدلالة على تثبيت القول
وابطال الفساد بما يمكن فيه من العيب وهو ذكر ما ادعوا من الربوبية فيمن ذكر عما في
ذلك من اثار التدبير لغيره وكذلك قال في الاصنام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا وقال وما لي لا اعبد الذي فطرني وقال في موضع اخر الذي خلقني
الى اخر ما اخبر منه ابطل قولهم بالمعنى الذي بضده احتج في اثبات فيه وجائز في كل ضرب
اخر الذي خلقني وذلك ان يقول لهم ما الدليل على ما تدعون لما تذكرون من الربوبية والسابع
جواز التسليم باظهار الموافقة وان كان الحكم بحقيقة ذلك منكورا له واجبا اذا كان
في المساعدة بذلك في الظاهر نيل الفرصة والظفر بالبغية اذ على ذلك خرج مناظرته
قومه وعلى ذلك ترك ما احتج به في قوله ربي الذي يحيي ويميت اذ قال لخصمه انا احيي
واميت واتى له على حجة هي اوضح من ذلك واقهر للعقل والزم في الطبع فقال فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب والثامن ان يعلم ان الله لم يهمل القوم في شي من
الازمنة دون الحجة لهذا ادلة الحق يظفرون بها لو تاملوا ولا الزم خلقه في زمان
من الازمان بشي لو بحث عنه لا يوقف عليه ولا يتبين له ولذلك اظهر الحجج واثار
البينات ليعلم ان الله جعل اوامره كلها تابعة لبيان الادلة وان البراهين ليستطيع بها غادر من يابى
نفسه العناد وبه والتاسع ان يعلم انه لا احد يقوم بالحجاج ولا ينطق بحسن البيان
الا بعطية الله وامتنانه عليه بما ينطق به لسانه وتوفيقه للقيام به بقوله وتلك
حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه ثم العاقبة ان يكون بفضله ينال الدرجات في امر

دينه ويرتقي الى منازل الفضل والشرف بمشيئته كما قال نرفع درجات من نشاء
والله يرفع من يشا الرفع كان والله اعلم وقد قال بعض اصحاب الامامية في تاويل الاية انهم
اخذوه من شرح علي ان تاويل الكوكب الماذون والقمر اللاحق والشمس الامام
بمعنى انه قال لما ذون هذا ارتقى عن به رب التربية ربا والله اعلم وقوله فلما افل
اي غاب عنده وغاب عنه وقال لا احب هذا ثم ظهر اللاحق مشركه تلك بالامام شغر
نزعه نحو الثاني بالقبول من الرسول اذ التالي عندهم هو الذي فطن ما ذكر فلما جاوز
درجة المتم وسوا الامام وصار الى درجة الرسالة وهو التالي من التالي بالحيا
والمصور للمكر ايع عندهم فالزموا بهذا عبادة ارباب وان الارتفاع من درجة الى
درجة باولئك وذلك امر مناقض على المتاول لانه لما زعم ان عند الماذون صار الى
اللاحق والماذون كان به ماذونا فلم يكن الثاني بما يصير اليه احد من الاول اذ كان
به صار ماذونا ولو كان ثم درجة اخرى فاما ان يكون ينال تلك في الوقت الذي يلقى
الماذون ذلك الى غيره او لا فان كان لا ينال فلا اشفه من الماذون حيث امتنع عما يقبله الى
الدرجة الثانية ويقع غيره او ينال معه فاذا صار هو معه في درجة المتم فكيف قال
لا احب ومواثر الذي ذلك وصفه ثم كيف قال لا احب وذهاب ما به اخذ تحققه عن الاخذ
من الاخر اوكيف صار ربه بل اذ ربيته طلبا باه بقرامر ربوبيته واثر ربا اخر ما ذا عاقبة
شكره سعى ربه في شانه كفرانه به وكذلك درجة درجة حتى يكفر بالتالي شر بالعقل ثم
يصير الى رب العالمين ومن الترتب في الابتداء والانتهاء لا رب لاحد سواه جل عن الشركاء اذ
اليه حاصل الامور ومصير الخلق ولو كان بكل من حدا ينتقل اخر لكانت تلك الحدود تكون ابدا
اخرها فيكون الاول نوالي او نطقا ويبطل الادلات والماذونون والائمة جميعا وقد كرم
الله علينا عن هذا الخيال وعصمنا عن هذا الوسواس والحمد لله وحاجه قومه ذكر محاجة
قومه ولم يبين فيم حاجوه لكن في الجواب بيان ان المحاجة فيم كانت وهو قوله قال اتحاجوني
في الله ثم يحتمل المحاجة في الله في توحيد الله ودينه ويحتمل في اتباع امر الله وطاعته وذكر في
بعض القصة عن ابن عباس قال وحاجه قومه في الهتهم وخوفوه بها وقالوا انا نخاف لهنها
وانت تشتمها ولا تعبدها ان تخبلك وتفسدك وذلك محتمل وهو كقول قوم هود لهود
ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال لهم ابراهيم اما تخافون انتم منها قالوا كيف
نخاف ونحن نعبدها قال لانكم تسوون بين الصغير والكبير والذكر والانثى اما تخافون الكبير
اذا سويتموه بالصغير وما تخافون الذكر اذا سويتموه بالانثى ويحتمل المحاجة هو بالله
بترك عبادة الهتهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله فخوفوا ابراهيم بالله بترك عبادتهم لما كان عندهم ان عبادتهم اياها
تقربهم الى الله زلفى وترك العبادة لها يسخطه تعالى فقد هدان ولا اخاف ما تشركون به
ويحتمل قوله وقد هدان ما ذكرنا في قوله اتحاجوني في الله وقد هداني الدين والتوحيد
وهداني طاعته والاتباع لامره فقال كيف اخافه وقد هداني وقوله الا ان يشا ربي
شيئا هذا يحتمل وجهين يحتمل لا اخاف الا ان عصيته في شي فعند ذلك اخاف واما
اذ هداني ربي فاني لا اخاف بتركي عبادتهم والثاني الا ان يشا ربي ان يبتليني ربي بشي
من المعصية فعند ذلك اكون في مشيته ان شا عذبني وان شا لم يعذبني وقوله وسع ربي

كل شيء علما اي علم ذلك كله عنده فيصيب اوا طعنت و **قوله** وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون
انكم اشركتم بالله عن ابن عباس وكيف اخاف ما اشركتم به من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم
بالله من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا يقول عذرا او كتابا به
فاي الفريقين احق بالامن اي اهل دينين انا وانتم احق بالامن ان كنتم تعلمون انا اعبد الها واحدا
وانتم تعبدون الهة شتى وقيل انهم كانوا يخوفونه بترك عبادة الهتهم واشراكه اياها في عبادة
الله فقال وكيف اخاف ما اشركتم انتم بالله من الالهة ولا تخافون انتم بما اشركتم بالله غيره ما لم
ينزل به عليكم سلطانا اي حجة بان معه شريكا شركات اي الفريقين احق بالامن انا او انتم من
عبد الها واحدا احق ام من عبد الهة شتى صغارا وكبارا ذكورا واناثا او ان يقال له كيف اخاف
الهتكم التي تعبدون من دون الله بتركي عبادتها وهي لا تملك ضرا ان تركت ذلك ولا نفعا
اذا انا فعلت ذلك ولا تخافون انتم بترككم عبادة الهي وهو يملك الضر ان تركتم عبادته
والنفع ان عبدتموه فاي الفريقين احق بالامن من عبد الها يملك الضر والنفع او من عبد الها
لا يملك ذلك فقيل رد عليه قومه فقال الذين امنوا برب واحد يملك الضر والنفع ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم قيل لم يخلطوا تصديقهم وايمانهم بشرك ولم يعبدوا غيره دونه
اولئك لهم الامن وهم مهتدون من الضلالة والشرك قيل الظلم هنا الشرك روي عن ابن
مسعود قال لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا
يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لاصحابه
ما تقولون في هاتين الايتين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم فقالوا الذين قالوا ربنا الله شرا استقاموا ثم عملوا له واستقاموا على امره والذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يذنبوا فقال لقد حملتموها على امر شديد الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم بشرك والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا عليها فلم يعدلوا عنها بشرك
ولا غيره فان ثبت هذه الاخبار فهو ما ذكر فيها ان الظلم هو الشرك والا احتمل الظلم ما دون
الشرك لان من لم يظلم ولم يذنب فهو امن من الله ومن ارتكب ذنبا او ظلما فله الخوف وهو في
مشية الله ان شاء عذبه وان شاء عفر له وعفا عنه و **قوله** وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه الاية تنقض قول من يقول بان ابراهيم كان غير مؤمن في ذلك الوقت ولا عارف بربه
لانه اخبر انه اتاه حجته على قومه ولو كان هو على ما قالوا لكانت الحجة التي اتاه عليه فلما اخبر
انه اتاه حجته على قومه دل انه ليس على ما قالوا لكن كان عارفا بربه مخلصا له على ما سبق
ذكره فان قال قايل ان الحجة التي اخبر انه اتاها ابراهيم على قومه هو قوله وحاجه قومه قال
اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الى اخر ما ذكرنا قيل ان هذه ليست بحجة
انما هو تقرير التوحيد والدين الا ترى انه قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا
الاية والمحاجة ما ذكر في قوله لا احب الافلين وقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين وغيرها من الايات التي فيها ذكر توحيد الرب جل وعز
والوهيته وفنا الهتهم من ذلك قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقوله لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله هل يسمعونكم اذ تدعون الى قوله واذا مرضت
فهو يشفين وفيه دليل نقض قول المعتزلة لانه قال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم والاية هو الاعطاء

والنجوم والشمس والقمر وما ذكر قد كانت دل ان الذي اتى ابراهيم هو محاجته قومه بما ذكرنا
واحتجاجه عليهم بذلك ودل ان له في محاجة ابراهيم قومه صنعا حيث اضاف الى نفسه وهو ان خلق
محاجته قومه وبالله العصمة و **قوله** وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه الذين كانوا يعبدون
الاصنام والاوثان وهو ما بين سفههم في عبادتهم الاصنام حيث قال في بعض الاي وعلى بن داود حين
قال انا احيي وامبت الى اخر الاية و **قوله** نرفع درجات من نشاء وفيه ايضا دلالة نقض قول
المعتزلة لانهم يقولون ان الله قد شاء لكل احد ان يبلغ المبلغ الذي اذا بلغ ذلك يصلح للنبوة والرسالة
لكنهم شاؤا ان لا يبلغوا ذلك المبلغ فجعلوا المشية في ذلك الى انفسهم دون الله والله اخبر انه
يرفع درجات من يشاء وهم يقولون لا يقدر ان يرفع بل هم يملكون ان يرفعوا درجات انفسهم فدلت
الاية على ان من نال درجة او فضيلة انما نال بفضل الله ومنته ثم قوله نرفع درجات يحتمل الدرجات
وجوها يحتمل النبوة ويحتمل الدرجات في الاخرة ان يرفع لهم ويحتمل الذكر والشرف في الدنيا لما يذكرون
في الملا من الخلق و **قوله** ان ربك حكيم عليم اي حكيم في خلق الخلايق خلق خلقا يدل على وحدانيته
ويدل على انه مدبر ليس بمتطبع في خلقهم ثم عليم بما لهم وعليهم من مصالح الخلق وبما يصلح لهم وبما
لا يصلح والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير و **قوله** ووهبنا له اسحاق ويعقوب يحتمل
ما ذكرنا من رفع الدرجات ما ذكر من هبة هؤلاء وفيه دليل ان ما يكون له من الفضل في هبة اولاد
يكون ذلك في اولاد الاولاد و **قوله** كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل والهداية هداتان اصابة
الحق وهداية العمل بالحق وهي هنا اثنا بيان فهذه الهداية مما يشترك فيها المسلم والكافر جميعا واما
هداية اصابة الحق فهي خاصة للرسل والانبياء والمسلمين جميعا والهداية ها هنا هي اصابة الحق
لا العمل بالحق لانهم اشتركوا جميعا في العلم بالحق الكافر والمسلم ومن ذريته داود قيل ذرية ابراهيم
وقيل ذرية نوح كانوا جميعا من ذرية نوح ابراهيم ومن ذكر من الرسل و **قوله** وكذلك نجزي المحسنين
بالذكر والشرف والثناء الحسن الى يوم القيامة كما جزى هؤلاء الرسل بالذكر والشرف والثناء الحسن
في ملا الناس ويحتمل ان يذكر في ملا الملايكة كما ذكروا في ملا الخلق في الارض ويحتمل وكذلك نجزي
المحسنين في الاخرة بالثواب ورفع الدرجات والجزاء الجزيل ثم ذكر في فريق انه كذلك نجزي المحسنين
وذكر في فريق اخر كل من الصالحين وذكر في فريق وكلا فضلنا على العالمين وهذا والله اعلم ليس على
تخصيص كل فريق بما ذكر من الذكر ولكن على الجمع انهم محسنون صالحون مفضلون على العالمين ثم
يحتمل التفضيل لهم بالنبوة انهم فضلوا على العالمين بالنبوة ويحتمل انهم كانوا مفضلين على العالمين
بالاحسان والصلاح لو لم يكن لهم رسالة ولا نبوة ثم يحتمل انه سماهم محسنين باختيارهم الحال
التي كانوا اهلا للرسالة والنبوة فان كان هذا لهم الرسل خاصة ويحتمل محسنين باختيارهم
الهداية واصابة الحق فان كان هذا فهو مما يشترك الانبياء واهل الاسلام فيه و **قوله** ومن
ابائهم وذرياتهم واخوانهم اما اباؤهم من تقدمهم وذرياتهم من تاخر عنهم واخوانهم الذين يقارنونهم
وقيل وذرياتهم محمد وقيل المؤمنين من تقدمهم و **قوله** واجتبيناهم يحتمل اجتبيناهم بالنبوة
والرسالة وهديناهم الى صراط مستقيم فذلك لهم خاصة ويحتمل اجتبيناهم بالتوحيد ودين
الاسلام فذلك بين الانبياء والمؤمنين جميعا لانه اجتباهم بذلك جميعا ويحتمل اجتباهم بما ذكر من
رفع الدرجات والفضايل ويكون صلة قوله نرفع درجات من نشاء وذلك ايضا بين الرسل
والمؤمنين والله اعلم بذلك وفي قوله ومن ابائهم وذرياتهم الاية دلالة ان من اباءهم وذرياتهم من لم
يجتبهم بقوله من اذ من هو حرف التبعيض و **قوله** ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده

أي ذلك الهدى الذي هدي هؤلاء فبهداهم اقتده وفي الآية دلالة نقض قول المعتزلة لأنهم
يقولون إن الله قد شاء أن يهدي الخلائق كلهم لكنهم لم يهتدوا وعلى قولهم لم يكن من الله إلى الرسل
والأنبياء من الهداية والفضل إلا كان ذلك إلى جميع الكفرة فلا تكون خصوصيته الفائدة على قولهم
لأنه ذكر أنه يهدي من يشاء وهم يقولون شاء أن يهدي الكل لكنهم لم يهتدوا فإن كان كما ذكروا لم
يكن لقوله من يشاء فائدة ودل أنه من الخلائق من لم يشأ أن يهديهم إذا علم منهم أنهم لا يهتدون
ولا يختارون الهدى وبالله التوفيق وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون هذا إنباء عن
الحكم فيهم لو أشركوا لا أنهم يشركون لأن الله قد عصمهم واختارهم لرسالته واختصهم لنبوته
فلا يحتمل أن يشركوا لكن ذكر هذا ليعلموا أن حكمه واحد فيمن أشرك في الله بعيدا وضيعا كان أو
شريفا وقوله حبط عنهم ما كانوا يعملون من الحسنات والخيرات التي كانت قبل الإشراك
وقوله أولئك الذين آتيناهم الكتاب قيل الكتب التي أعطى الرسل والحكم قيل العلم والفقه
والفهم وقيل الأحكام التي أعطاهم والنبوة هي أنباء الغيب وقد ذكرنا هذا وقوله فإن يكفر
بها هؤلاء قيل هي كناية عن أنباء الغيب والنبوة التي ذكر وقيل هي كناية عن الكتب التي أنزلها
على الرسل وقيل هي كناية عن الآيات والحجج التي أعطى رسوله وقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اختلف فيه قال بعضهم فإن يكفر بها يعني أهل مكة فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين وهو قول ابن عباس وقيل
فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني من عده من الرسل والأنبياء وقيل
فإن يكفر بها هؤلاء يعني أهل قرابتك وأهل ضلتك فقد وكلنا بها قوما من غير أهل قرابتك ليسوا
بها بكافرين وقيل فإن يكفر بها هؤلاء لا يعني أهل زمانك فقد وكلنا بها قوما من تقدمهم من آبائهم
وأجدادهم ليسوا بها بكافرين وقيل فإن يكفر بها هؤلاء يعني أهل الأرض فقد وكلنا بها قوما
يعني أهل السماء ليسوا بها بكافرين وقال الحسن فإن يكفر بها هؤلاء يعني أمتك فقد وكل الله بها
النبيين والصالحين من الأمم الخالية ليسوا بها بكافرين والله أعلم بذلك سوى ما ذكرنا وقوله
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يحتمل فبهداهم الذي هدوا هم أئمتهم اهتد أنت وأمتك
ويحتمل فبهداهم الذي هدوا هم اهتدوا به أمره عز وجل بالاقتداء بإخوانه الذين مضوا من
الرسل والهدى هو اسم ما يهتدى به ليس هو اسم الأفعال لأنه ليس لتارك الصلاة والزكاة
والصيام فعال إنما يتأولون ذلك لمن ذاق بعضه الهدى أمر رسوله أن يقتدي بهم بذلك وذلك
يدل على أن الأنبياء والرسل كانوا على دين واحد وأن الدين لا يحتمل النسخ والتغيير ألا ترى إلى
أنه قال في آية أخرى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا أخبر أنه شرع لنا الدين الذي شرع نوحا
وذلك يدل أن الدين واحد لا يحتمل النسخ وأما الشرائع فهي مختلفة لأنها تحتمل النسخ وتحتمل
الأمر بالاقتداء بعد ما ذكر قل لا أسألكم عليه أجرا أي اقتد بمن تقدم من الرسل ولا تأخذ على تبليغ
الرسالة أجرا كما لم يأخذوا هم وفي قوله قل لا أسألكم عليه أجرا دليل نقض قول من يجيز أخذ الأجر
على تعليم القرآن والعلم ورواية الحديث وغير ذلك من العبادات وكذلك قوله أم تسألهم
أجرا فهم من مغرم مثقلون كأنه والله أعلم يجعل لهم العذر في ترك الإجابة له بما يلحقهم من ثقل
الأجر والغرم والله أعلم وفيه أيضا دلالة نقض مذهب القرامطة لأنهم يعرضون مذهبهم على
الناس ولا يأخذون منهم إلا بالمواثيق والجعل في ذلك وإنما أخذ المواثيق من الرسل على تبليغ الرسالة
إلى قومهم وأمروا بتأليف قلوب الخلق وفي أخذ الجعل منهم نفور قلوبهم ولهذا عصم عن ذلك

وقوله إن هو إلا ذكرى للعالمين أي ما هذا القرآن إلا ذكرى أي عظة وزجر للعالمين وقوله
وما قدروا الله حق قدره قيل نزلت سورة الأنعام في محاجة أهل الشرك إلا آيات نزلت في محاجة
أهل الكتاب إحداها هذه وما قدروا الله حق قدره الآية وذكر في موضع آخر ما قدروا الله حق قدره
إن الله لقوي عزيز وقال في آية أخرى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا الآية ثم قال بعض
أهل التأويل ما عرفوا الله حق معرفته وقال غيرهم ما عظموا الله حق عظمته وذكروا أن هؤلاء
لم يعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته ومن يقدر أن يعظم الله حق عظمته أو أن يعرف
حق معرفته أو من يقدر أن يعبد الله حق عبادته وكذلك روي في الخبر أن الملائكة يقولون يوم
القيامة يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك مع ما أخبر عنهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون فهم مع هذا كله يقولون ما
عبدناك حق عبادتك ومن يقدر أن يعرفه حق معرفته أو يعظمه حق عظمته ولكن تأويلهم والله
أعلم أي ما عرفوا الله حق المعرفة التي تعرف بالاستدلال ولا عظموه حق عظمته التي يعظم
بالاستدلال هذا تأويلهم وإلا لا أحد يعرف الله حق معرفته ولا عظمه حق عظمته حقيقة و
يخرج على وجهين أحدهما ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوا حق تقواه مما أهلوا به ولما أطاقوه وما جرى
الأمر بذلك وإنما يجري التكليف بقدر الطاقة والوسع وإلا لا يقدر أحد أن يعظموه حق
عظمته ولا اتقى حق تقواه لكن ما ذكرنا مما جرت به التكليف والثاني ما قدروا الله حق قدره ولا
حق تقاته على القدر الذي يعلمون لأنفسهم أي لو اجتهدوا في تقويه وعظمته القدر الذي لو كان
ذلك العمل لهم فيجتهدون ويبلغ جهدهم في ذلك فذلك ما اتقوا وقوله إذ قالوا ما أنزل الله
على بشر من شيء لو كان هؤلاء في الحقيقة أهل الكتاب ما أنكروا الرسل ولا الكتب لأن أهل الكتاب
يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وإن كانوا يكفرون ببعض لكن هؤلاء أنكروا الرسل لما كانوا
أهل نفاق ويكون من اليهود أهل نفاق كما يكون من أهل الإسلام كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون
الخلاف لهم والموالاة لأهل الشرك ويظاهرون عليهم كما كان يكون مثل ذلك من منافقي أهل الإسلام
كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله ويضمرون الخلاف له ويظاهرون المشركين عليه فأطلع
الله رسوله على نفاقهم ليعلم قومهم خلافهم وإن ما كان من تحريف الأحكام وتغييرها وكتمان نعت محمد
وصفته إنما كان من هؤلاء وذكر في بعض القصة أنها نزلت في شأن مالك بن الصيف وكان من
أحبار اليهود وكان سمينا فدخل على رسول الله يوما فقال له رسول الله هل تجد في التوراة
أن الله يبغض كل حبر سمين فغضب فقال له النبي فأنت حبر سمين فضحك الله فقال ما أنزل
الله على بشر من شيء أنكر الرسل والكتب جميعا فأكذبه الله وأظهر نفاقه عند قومه فقال قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا قيل
تجعلونه قراطيس يعني صحفا ثم كتبتموه في الصحف ثم تنكرون أنه ما أنزل الله على بشر من شيء
أي فالذي كتبتموه إن لم ينزل الله على بشر من شيء تبدونها وتخفون كثيرا تقولون ليس في
الصحف ما يبشر فيه صفة رسول الله ونعته وتخفون ما فيه صفته ونعته وتغيرون وقيل
تبدونها أي تظهرون قراءتها وتخفون كثيرا مما فيه نعته أو ما فيه من الأحكام التي لا تستطيب بها أنفسهم
من أمر الرجم والقصاص وغير ذلك وقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس سمى عز وجل جميع كتبه نورا وهدى ونورا من الظلمات أي يرفع الشبهات ويجليها
وهدى من الضلالات أي بيانا ودليلا من الحيرة والهلاك وبالله العصمة والنجاة وقوله

وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد الاية في المسلمين يقول علمتم ما لم تعلموا ولا اباؤكم
وقال الحسن الاية في الكفرة اي علمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من تحريف وتبديل الكتاب
وتغييرهم اياه وقيل وعلمتم ما في التورية ما لم تعلموا انتم ولم يعلمه اباؤكم ثم قال ثم ذرهم
قال بعضهم قوله قل الله ثم ذرهم هو صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا قل
يا محمد الله انزله على موسى وقيل صلة قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال قل يا محمد
الله علمكم ويحتمل ان يكون عز وجل يخبرهم حتى قالوا ذلك فكان ذلك حجة عليهم وقوله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون هذا يحتمل وجهين يحتمل ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم كقوله فاعرض
عنهم واصفح والثاني انه قد اقام عليهم الحجج وظهرت عندهم البراهين لكنهم كابروا وعاندوا
فامره ان يذرهم لا يقيم عليهم الايات والحجج بعد ذلك ولكن يدعوهم الى التوحيد لا يذر دعاءهم
الى التوحيد ولكن يذرهم ولا يقيم عليهم الحجج وقوله في خوضهم اي في باطلهم وتكذيبهم يعمهون
وقوله وهذا كتاب انزلناه مبارك قيل القرآن انزلناه مبارك سماه مرة مباركا ومرة
نورا ومرة هدى ورحمة ومرة شفاء ومجيدا وكريما وحكيما وليس يوصف هو في الحقيقة بنور ولا
مبارك ولا رحمة ولا هدى ولا شفاء ولا مجيد ولا كريم ولا حكيم لانه صفة ولا يكون للصفة
صفة يوصف بها لكن كان هو في الحقيقة نورا ورحمة وهدى او ما ذكر لكان يكون لكل احد
نورا وما ذكر فلما ذكر انه عمي على بعض واخبر انه يزداد به رجسا الى رجسهم دل
انه ليس هو في الحقيقة كذلك لانه لو كان كذلك لكان لكل احد لكن سماه بهذه الاسماء سماه
نورا لما يصير نورا للمسترشدين ويصير شفاء ورحمة للمتبعين لسمعوا الله الذي يحل في الدين
وسماه روحا لما يحيى به الدين وسماه حكيما لما يصير من عرف بواطنه واتبعه حكيما وكذلك
سماه مجيدا كريما لما يدعو الخلق الى المجد والكرم فمن اتبعه تخلق باخلاق حميدة فيصير مجيدا
كريما وسماه مباركا لما به ينال كل بركة والبركة اسم لكل بر وخير والثاني اسم
لكل ما ينمو ويزيد في الحادث لمن اتبعه نال به كل بر وخير وكل ثمرة ونما في الحادث هذا
وجه الوصف بما ذكر وقوله مصدق الذي بين يديه من الكتب لانه كان يدعو الخلق
الى ما كان يدعو سائر الكتب التي انزلها على الرسل من توحيد الله والنهي عن الاشراك غيره
في الالوهية والربوبية ويدعو الى كل عدل واحسان وينهى عن كل فاحشة ومنكر وكذلك
سائر الكتب دعت الخلق الى ما دعا هذا لم يخالف بعضهم بعضا بعضها لبعض لذلك قال مصدق الذي
بين يديه والله اعلم وقوله ولتنذر ام القرى ومن حولها قيل ام القرى مكة وسميت
ام القرى لوجهين احدهما لانها متقدمة ومنها دحيت الارض على ما ذكر اهل التاويل والثاني
سميت ام القرى لانها مقصد الخلق في الحج وفيها تقضى المناسك واليها يقصدون ويؤمون
واليها يتوجهون في الصلوات وهي مقصد اهل القرى وقوله ولتنذر ام القرى اي
اهل ام القرى وقوله والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به فان قيل اخبر ان من امن بالبعث
يؤمن بهذا الكتاب واهل الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون به قطعا قيل يحتمل هذا وجوها
احدها ان يكون هذا في قوم مخصوصين اذا امنوا بالبعث امنوا به كقوله ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون هذا في قوم مخصوصين لانه قد امن كثير منهم بالانذار فيكون ذلك الاول
والثاني قوله والذين يؤمنون بالاخرة بالعلم والحجج امنوا بالقرآن لان القرآن جاء بتاييد حجج
البعث وتاكيده فلا يجوز ان يؤمنوا بما يؤيده القرآن ولا يؤمنوا بالقرآن والثالث يحتمل ان

يكون اخبارا عن اوائلهم الذين كانوا مؤمنين بالبعث بالايات والحجج واعتبروا فيه فلما جاء امنوا
به وامكن ان تكون الاية في المؤمنين اخبر انهم امنوا بالاخرة وامنوا بالقرآن الا يرى انه قال
وهم على صلاتهم يحافظون ويحتمل ان الذين يؤمنون بالاخرة يحق لهم ان يؤمنوا بالقرآن لانه
به يتزودون للاخرة ويحتمل ما ذكرنا من الوجوه وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هذا
في الظاهر استفهام وسؤال لم يذكر له جواب لكن اهل التاويل فسروا انهم قالوا لا احد اظلم
ممن افترى على الله كذبا ولا جواب له ليس هو تفسيره لكن ترك ذكر الجواب لمعرفة اهل الخطاب
وقد يترك الجواب لمعرفة اهله به وقوله ومن اظلم اكثرهم قد ظلموا وكلهم قد ظلموا لكن
كانه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله لانه يتقلب في نعم الله يكفرها ويتعاطى واخبرنا
انه افحش ظلما واوحش كذبا وقوله او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء في الاية دلالة اثبات
الرسالة لانه جمع الرسالة في الافتراء على الله والكذب كمدعي الرسالة لنفسه وليست له
الرسالة سواء كلاهما مفتريان على الله كذبا وكذلك من ادعى انه ينزل مثل ما انزل الله او من ادعى
انه لم ينزل الله شيئا وهو في الافتراء على الله كالذي ادعى انه ينزل مثل ما انزل الله لان في
المدعي في ذلك سواء شرعا فيلي ذلك يكون نافي … ومثبته في الحاجة الى الحجة والدليل
صدق والله اعلم وذكر اهل التاويل ان قوله اوحي الي ولم يوح اليه شيء نزلت في مسيلمة الكذاب
ونزل قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب
المصحف هذا الحاجة [illegible] وغير صحيح من ادعى وافترى على الله كذبا سواء في الوعيد وقوله
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ادعى بعضهم الفرية يقولون بمثل ما قال الله انكارا منهم له كقوله
واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقوله ولو ترى اذ الظالمون في
غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم عن ابن عباس قال قوله في غمرات
الموت نزعات الموت وسكراته وغشياته والملائكة باسطوا ايديهم يقول ملك الموت واعوانه
الذين معه من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب باسطوا ايديهم يقول ضاربوا ايديهم انفسهم
يقولون لها اخرجي يعني الارواح وفي قوله اخرجوا انفسكم اليوم وهو عند الموت وكذلك يقول
قتادة وقال الحسن ذلك في النار في الاخرة ضرب الوجوه والادبار وقوله في غمرات الموت
اي كثرة العذاب وشدته يقال للشيء الكثير الغمر كقوله ياتيه الموت من كل مكان اي اسباب
الموت ولو كان هنالك موت يموت لشدة العذاب وقوله باسطوا ايديهم بضرب الوجوه
والادبار اخرجوا انفسكم على حقيقة الخروج منها كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها والاول ليس على حقيقة الخروج ولكن كما يقال عند نزول الشدائد اخرج نفسك
وقال مجاهد هذا في القتال يضرب الملائكة وجوههم وادبارهم يعني الاستاه ولكنه يكون
وهو كقول ابن عباس وقتادة عند الموت قال ابو عوسجة غمرات الموت وسكراته وشدائده
والغمرة هو الماء الكثير والغمر العداوة والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الدسم
والغمر القدح الصغير من الخشب وغمرة الحرب وسطها وقوله اليوم تجزون عذاب
الهون قيل عذاب الهون لان … فيه ولا رحمة اي الشديد بما كنتم تقولون على الله غير الحق
بان معه شريكا وولدا وكنتم عن اياته تستكبرون انه لم ينزل شيئا ولم يوح اليه شيء وانما
اوحي الي وغير ذلك من الافتراء الذي ذكر بالله العصمة وقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة يحتمل هذا والله اعلم وجوها اي اعدناكم وبعثناكم فرادى بلا سبب ولا ناصر كما خلقناكم

وحيدا كما اول مرة بلا ناصر ولا معين والثاني اعيدكم وابعثكم فرادى بلا اعوان لكم ولا شفعآ
يشفعون لكم يعين بعضكم بعضا كما خلقناكم في الابتدا فرادى لم يكن لكم شفعآ ولا اعوان
وقيل بعثكم ويعيدكم بلا مال ولا شيء من الدنيا وتبعة كما خلقكم في الابتدا ولم يكن لكم مال ولا
شيء من الدنيا وتبعة وجايز ان يكون قوله ولقد جئتمونا فرادى ليس معكم ما تفتخرون به من الخدم
والاموال والقرابات التي افتخرتم في الدنيا كما خلقناكم اول مرة وليس معكم ما تفتخرون به
كما خلقناكم اول مرة وجايز ان يكون قوله كما خلقناكم اول مرة منفصلا من قوله ولقد جئتمونا فرادى
لكن جواب سؤال ان كيف يبعثون فقال اي تبعثون كما خلقناكم اول مرة وقوله وتركتم ما خولناكم
ورآء ظهوركم يحتمل وجهين يحتمل تركتم ورآء ظهوركم لا تلتفتون اليه ولا تنظرون كالمنبوذ ورآ
ورآء ظهوركم انما نظركم الى اعمالكم التي قدمتموها والتي لم تقدموا ما خولناكم ولم تنتفعوا
منه بل تركتم ورآء ظهوركم لا تنتفعون به انما منفعتكم ما قدمتموه وانفقتم منه وقوله خولناكم
قيل اعطيناكم وقيل رزقناكم وقيل ملكناكم هو واحد وقوله وما نرى معكم شفعاكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركآء انهم كانوا يجعلون لله شركآء في عبادته والوهيته ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول هؤلاء الله وما نرى معكم
شفعاكم الذين زعمتم انهم شركاء لله في عبادتكم وزعمتم انهم شفعاؤكم عند الله بل شغلوهم
بانفسهم يخبر عن سفههم وقلة نظرهم لهم وقوله لقد تقطع بينكم قرئ بالرفع والنصب
جميعا من قراه بالرفع يقول لقد تقطع تواصلكم ومن قراه بالنصب يقول لقد تقطع ما كان
منكم من الوصل يخبر عز وجل عن قطع ما كان بينكم من التواصل وتعاون بعضهم بعضا في هذه
الدنيا انهم كانوا اخلاء ويتوادون ويتناصرون بعضهم بعضا يخبر ان ذلك كله ينقطع في الاخرة
ويصير بعضهم اعدآء البعض ويتبرأ بعضهم من بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وكقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكقوله واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء وكقوله سيكفرون بعبادتهم الاية يصير المعبودون اعدآء للعابدين والعابدون
اعدآء للمعبودين وتصير الوصلة والمودة فيما بينهم في هذه الدنيا عداوة والرحم والقرابة الذي
كان بينهم منقطعا حتى يفر بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية وقوله
وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي ذهب عنكم وبطل ما كنتم تزعمون انهم شفعاؤكم عند الله وبالله
العصمة والنجاة وقوله ان الله فالق الحب والنوى قيل فالق الحب والنوى كما قال الله فاطر
السموات والارض وكقوله وهو الذي فطركم اي خلقكم بمنزلة خالق الحب والنوى خص الحب
والنوى بالذكر لما منهما خلق جميع ما في الدنيا من الاشجار والحبوب كقوله خلقكم من نفس واحدة
منه خلق ما في الدنيا من البشر فاضاف ذلك اليه فعلى ذلك لما خلق هذه الاشجار كلها من الحب
والنوى ومنها اخرج اضاف اليهما ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ليس باخبار عن ابتداء انشا
ولكن اخبار عن لطفه والفلق هو الشق يخبر انه يشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها
نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق على انفاذه واخراج مثله من غيره لم يصيبوا ذلك البتة
ما قدروا عليه يخبر عن لطفه وقدرته ان من قدر على هذا لقادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد
اماتتهم وافنائهم وانه لم يشق هذا الا كما قدر على هذا بقدرته انها غير مقدرة بقدرة الخلق
وبقوتهم كل خارجة عن قوتهم لان قوته وقدرته ذاتية ازلية بلا سبب وقوتهم وقدرتهم باسباب
وكذلك ما يشق من الورق والضعيف اللين الشجر والنخل مع شدته وصلابته ما لو اجتمع الخلائق

كلهم على شق ذلك الشجر لكن الورق مع لينه ما قدروا عليه يعرفهم لطفه وقدرته انه لا يعجزه
شيء وفيه ان ذلك فعل واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا اشقه منع الاخر عن ذلك
وفيه انه على تدبير خرج لا جزافا حيث اتسق ذلك في كل عام على قدر واحد وقوله يخرج الميت
من الحي ومخرج الميت من الحي ان الحب والنواة الذي ذكر شيء يخرج منها النبات الاخضر حيا
ثم يميت ذلك ويخرج منه حيا والنواة وفيه دلالة البعث بعد الموت يقول ان الذي قدر على
على اخراج النبات الاخضر الحي من حبة ميتة او نواة ميتة وليس فيها من اثر ذلك الحي شيء لقادر
ان يميتهم ويحييهم بعد الموت وان لم يبق من اثر الحياة شيء وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع
وقوله ذلكم الله فانى تؤفكون اي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله لا الاصنام التي تعبدونها
واشركتم في عبادتكم لله والوهيته اي اي حجة لكم عما ذكر اي لا حجة لكم في صرف الالوهية
عنه الى غيره ولا صرف العبادة الى الاصنام وقوله فانى تؤفكون قيل فانى تصرفون عما ذكر
من دلالات وحدانيته والوهيته وربوبيته والافك هو الصرف في اللغة كقوله قالوا
اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا وقيل تؤفكون تكذبون اي ما الذي حملكم على الكذب والكذب
والصرف واحد في الحقيقة لان الكذب هو صرف قول الحق الى الباطل وهما واحد وقوله
فالق الاصباح هو يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما في قوله فالق الحب والنوى خبر عن ابتداء
خلقه ويحتمل الشق اي يشق النهار من الليل والليل من النهار بعدما تلف كل واحد منهما حتى لم يبق
له اثر وفيه دلالة البعث والاحيا بعد الموت لان الذي قدر على انشاء النهار من الليل والليل
من النهار بعدما تلف وذهب اثره لقادر على انشاء الخلق وبعثهم بعد الموت وذهاب اثارهم
وقوله وجعل الليل سكنا جعل الله الليل سكنا وراحة للخلق والنهار معاشا لهم يعيشون
فيه وجعلهما ايتين من ايات ربوبيته ووحدانيته مسخرين يقلبان الخلائق ويقهرانهم
ويكونون تحت سلطانهما ويجريان على سنن واحد ومجرى واحد دل ان لهما مدبرا حكيما
عليما ولو كانا يجريان بطباعهما لكان يختلف جريانهما ولم يتسق ذلك اتساقهما وجريانهما مجرى واحدا
ان ليس لغيره فيهما تدبيرا وكذلك الشمس والقمر جعلهما مسخرين لمنافع الخلق لنضج الاثمار ومنهما
ولمعرفة عدد الايام والشهور والسنين ويجريان مجرى واحدا ومسلكا واحدا غير مختلف
دل ذلك انهما كانا بتدبير عليم حكيم وفي قوله فالق الاصباح وجعل الليل سكنا دلالة نقض قول
المعتزلة لان الاصباح هو فعل الخلق لانه مصدر اصبح وكذلك السكن هو فعل الخلق ثم اضاف
ذلك كله الى نفسه دل انه خالق افعالهم وقوله والشمس والقمر حسبانا اختلف فيه قال
ابو عبيد هو من الحساب وهو جمع حساب يقال حساب وحسبان مثل شهاب وشهبان وهو
كقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وقيل حسبانا اي جريانا يجريان ويدوران ابدا لا يستريحان دل انهما كانا بغير مسخرين
للخلق لانهما لو كانا بطباعهما لكانا يستريحان وقيل حسبانا اي ضياء كقوله جعل الشمس ضياء
والقمر نورا والله اعلم بذلك وقوله ذلك تقدير العزيز العليم اي ذلك الجريان الذي ذكر وتلك
المنافع التي جعلت فيهما تقدير العزيز العليم قال الحسن العزيز هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز
هو الذي فيه يقهر كل عزيز وقال بعض اهل التاويل العزيز المنيع في سلطانه المنتقم من
اعدائه العليم بمصالح الخلق وبما كان ويكون وبحوائجهم وبعواقب امورهم وقوله وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والمراد منه الظلمات وذكر في قوله قل من ينجيكم

من ظلمات البر والبحر وأراد بالظلمات الشدائد والأهوال أي تنجيهم ألا ترى أنه قال
تدعونه تضرعا وخفية عند الشدائد والأهوال كانوا يدعون ربهم تضرعا وخفية على ما ذكر
ذكرهم هاهنا عظيم سلطانه وقدرته لما يدفع عنهم الشدائد وينجيهم من الأهوال التي تنزل
بهم بما الدافع عنهم ذلك هؤلاء الأصنام التي يعبدونها دون الله ويشركونها في عبادته ويذكر في
قوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر عظيم ما أنعم عليهم بما جعل لهم في السماء نجوما
ليهتدوا بها الطرق والمسالك في البحار والبراري عند اشتباهها عليهم وفيه دليل وحدانية
الرب وتدبيره وحكمته لأنه جعل في السماء أدلة يعتمدون بها ويهتدون على معرفة الطرق
مع بعد ما بينهما من المسافة وليتبين اتصال أسباب الأرض بأسباب السماء وتعلق منافع بعضها
ببعض ليعلموا أنه كان بواحد مدبر عليم حكيم إذ لو كان بعدد أو بواحد لا تدبير له ولا حكمة لم
يحتمل ذلك ولم يتسق ما ذكرنا دل أنه كان بالواحد العليم الحكيم مع علمهم أن الأصنام التي
يعبدونها وأشركوا في عبادته لا يهتدون على ذلك لكنهم يعبدونها ويشركونها في الوهيته
سفها منهم وعنادا وبالله العصمة والتوفيق وفي قوله فالق الحب والنوى وقوله فالق الإصباح
وقوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وغير ذلك من الآيات التي ذكر تذكير نعمه وإحسانه إليهم
فيستأدي بذلك شكره وجعل السبيل له وجائز أن يستدل به على تذكير قدرته وسلطانه أن
من قدر على ما ذكر لا يحتمل أن يعجزه شيء وتذكير تدبيره وعلمه وحكمته على ما ذكرنا من اتساق
الأمور والحال على أمر واحد وقوله قد فصلنا الآيات أي صرفنا كل آية إلى موضعها الذي
تكون أقرب لبلاغتنا لحاجة إليها وقيل قد فصلنا الآيات بينا الآيات لقوم يعلمون أي
لقوم ينتفعون بعلمهم فإذا انتفعوا بها صارت الآيات لهم لأن من انتفع بشيء يصير ذلك
له لذلك ذكر لقوم يعلمون لا غيرهم إذا لم ينتفعوا بها لم تصر آيات لهم وقوله وهو الذي
أنشأكم من نفس واحدة فيه دلالة أنه يبدئ ويعيد من غير شيء لأنه أخبر أنه خلق البشر
كله من نفس واحدة والخلائق كلهم لو اجتمعوا ما احتملتهم الأرض ولم تكن الخلائق بأجمعهم
في تلك النفس الواحدة دل أنه قادر على الابتداء والإعادة لا من شيء إذ لم يكن لتلك النفس التي
خلق الخلائق منها تقدمه شيء وقوله فمستقر ومستودع قال الحسن مستقر في الآخرة
بعمله الذي ختم به إن ختم بعمل الخير بقي أبدا في الخير وإن ختم بشر يبقى أبدا في الشر ومستودع
في أجله ينتقل من وقت إلى وقت ومن حال إلى حال وقيل مستقر في أرحام النساء ومستودع
في أصلاب الرجال وهو قول عامة أهل التأويل وقيل مستقر في القبر ومستودع في
الدنيا ويشبه أن يكون مستقر في حال القيام حتى ينتقل إلى حال أخرى ومستودع لما هو
على شرف الانتقال إلى أخرى وجائز أن يكون قوله فمستقر ومستودع مستقر في الآخرة
بالجزاء لأعمالهم التي عملوا ومستودع في الدنيا ويحتمل مستقر بالليالي ومستودع بالنهار
والأول أبين وأوضح ثم قوله لقوم يعلمون لقوم يفقهون الفقه هو معرفة الشيء بمعناه
الدال على نظيره والعلم ما يعرف بنفسه ولهذا لا يقال لله فقيه ويقال عالم لأنه عالم بالأشياء
بأعيانها وبنظائرها ودلائلها وقوله وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل
شيء يذكرهم عز وجل عظيم منته بما ينزل من السماء من الماء ويخرج به نبات كل شيء كما ذكر هو
من النعم بما جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في الظلمات واشتباه الطرق وما جعل الليل للسكون
والراحة والنهار للمعاش والتقلب وما جعل لهم من الشمس والقمر وجعل لهم بهما من

المنافع من نضج الأثمار والزروع وينعها ومعرفة عدد السنين والحساب والآجال التي
يحلون للعقود وغير ذلك من النعم التي أنعمها عليهم لأن لا يوجهوا شكر هذه النعم إلى غيره ولا يتخذوا
إلها سواه وقد ذكرنا أن سورة الأنعام نزلت أكثرها في محاجة أهل الشرك في إثبات الوحدانية
والألوهية لله وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات البعث بعد الموت لأنهم كانوا ينكرون
ذلك كله وقوله فأخرجنا به نبات كل شيء مما يحتاج الخلق إليه ليعلم أن كل ما يخرج من الأرض
أصله من الماء به ينبت مما يكون غذاء البشر وغذاء الحيوان كلهم والطيور لقوله وجعلنا
من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون يذكرهم عظيم ما جعل لهم في الماء من المنافع على ما أخبر أنه به
يخرج نبات كل شيء وبه حياة كل شيء من الأوقات لما لو نزل من السماء أيام لم ينبت دل أنه إنما
ينبت بتدبير غيره لا بالماء وقوله فأخرجنا منه خضرا قيل به يخرج أول ما يخرج خضرا
يكون ابتداء كل نبات أخضر ثم يتحول إلى لون آخر ومنهم من قال به يبقى بالماء دوم ويبقى أخضر لولا
الماء والأيبس وتغير عن حال ابتدائه يخرج منه حبا متراكبا يخبر عن لطفه وصنعه بما يخرج
من الحب متراكبا بعضه على بعض ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله ليعلموا
أن لغيره في ذلك تدبيرا وصنعا وفيه دلالة أنه قد ينشئ الأشياء من لا شيء ولا سبب وإن كان قد
أنشأ بعضها بأسباب لأن ما خرج من الحبة والنواة نباتا أخضر ولم يكن في الحب نبات ثم أخرج
من ذلك النبات الأخضر حبوبا ولم يكن الحبوب في النبات ليعلموا أنه قادر على إنشاء الأشياء
لا من شيء ولا سبب وفيه نقض قول الدهرية في كمون الأشياء في شيء واحد كما هي لا يحتمل
عشرة آلاف نواة أو حبة في نواة واحدة أو في حبة واحدة أو تكون الشجرة مع طولها وغلظها
وعظمها في نواة أو حبة وقوله ومن النخل أي يخرج من النخل طلعا بالماء وفيه من عظيم
لطفه وتدبيره أن جعل النخيل والأشجار تشرب بعروقها الماء ثم ينتشر ذلك في أصلها
إلى أغصانها ثم يخرج منه وفيه يظهر خفي اللطف عظيم تدبيره ولطفه وقوله قنوان دانية
قيل القنوان العذوق يكون فيها التمر والأثمار وواحدها قنو وقوله دانية قال الحسن دانية
بعضها إلى بعض مجتمعة غير متفرقة على ما يكون من الأعناب والتمر والحبوب قال كان هذا
يستوي في الكل وقال بعضهم دانية قريبة ملتزقة بالأرض ينالها القائم والقاعد جميعا وعن
ابن عباس قنوان دانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض وقوله وجنات من
أعناب أي أخرج بالماء جنات ذكرهما والزيتون والرمان قيل أخرج بالماء أيضا الزيتون
والرمان وقال بعضهم الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أي يشبه ورق الزيتون
في المنظر ورق الرمان وغير متشابه ثمرتها في اللون والطعم لكن هو على الكل على كل
الثمار لا يشبه بعضها بعضا منها ما يشبه ساق هذا ساق آخر والثمار والحبوب مختلف
ومنها ما يشبه في اللون والطعم مختلف ومنها ما يشبه في الطعم واللون مختلف
ليعلموا أن لغيره في ذلك تدبيرا وصنعا لطيفا لم يكن ذلك بالماء لأنه لو كان كذلك بالماء
لكان لا يختلف كل هذا الاختلاف في اللون والطعم والساق والورق دل أنه كان ذلك
بتدبير عليم مدبر حكيم أنشأه على ما أراد بلطفه وقوله انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه
يحتمل الأمر بالنظر وجوها أي يحتمل انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إذ كيف يقلبها
ويحولها من حال إلى حال ومن لون إلى لون وإنه يخرج في ساعة لطيفة ما لو اجتمع
الخلائق على تدبيره ومعرفته أنه كم خرج وأي مقدار خرج لم يقدروا عليه ليعلموا أنه

العذق القنو

قادر على احياء الخلق مرة واحدة وفي انزال المطر من السماء مع تعددها اية عجيبة وحكمة
بالغة وهو انه ينزله واحدا واحدا حتى لا يختلط بعضه ببعض مع كثرة المطر وازدحامه
وبعد السماء وما لو اجتمع الخلائق على حفظ مثله ما قدروا عليه وذلك انه كان بتدبير عليم حكيم
وقوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون قد ذكرنا انها تصير ايات لمن صدق بها وامن
واشارة عائد وكابر عقله ولم يتامل فيما لم ينفعهم ما فيها من عجيب اياته وعظيم حججه وفي
قوله انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه وجهان احدهما من الحكمة ان انظروا الى ثمره اذا اثمر
انه اول ما يخرج يخرج على لون واحد وعلى قدر واحد وعلى طعم واحد ثم تختلف الوانها
وطعمها وتتفاوت اقدارها ليعلموا انه كان بتدبير واحد عليم حكيم قادر على خلق الاشياء
بلا سبب لانه لو كان ذلك بسبب لا بتدبير فيه كان سبب هذا كله واحد فينبغي ان يخرج كله
على شيء واحد دل انه خالق بذاته لا بسبب والثاني ان الله انظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه انه جعل ما يطيب منه للبشر وعلمهم اسبابا يتخذون بها الطيبات من ذلك
من نحو النضج والطبخ ونحوه وجعل لغيرهم من الحيوان كما هو خارج من الارض ليعلموا ان
غيرهم من الحيوان والدواب انما جعلهم لمنافع البشر مسخرين لهم وان البشر هم المقصودون
في خلق الاشياء كلها ولا حول ولا قوة الا بالله وله المنة والفضل قوله وجعلوا لله شركاء
الجن اي قالوا لله شركاء وكذلك قوله ويجعلون لله ما يكرهون البنات اي يقولون لله
البنات او وصفوا الله دليله ما ذكر في اخره سبحانه وتعالى عما يصفون دل هذا ان
قوله وجعلوا لله شركاء اي وصفوه بالشركاء والولد وقوله شركاء الجن قال بعضهم هذا
كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل انهم لم يعبدوا الجن ولا قصدوا قصد عبادة
الشيطان حيث قال يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين لان جميع اهل الكفر
على اختلاف مذاهبهم يبغضون الشيطان ويلعنون عليه ولكن معناه ان الشيطان هو الذي
دعاهم الى عبادة الاصنام والاوثان فاذا عبدوا الاصنام بدعائه فكانهم عبدوه او
بامره ودعائه يعبدونها او ان يكون كما روي في الخبر ان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرني
الشيطان فاذا عبدتموها فكانكم عبدتم الشيطان مثل هذا يحتمل والله اعلم فان قيل
فاذا اضافوا كانهم عبدوا الشيطان ومن ذكر من الجن بدعائهم اياهم الى ذلك وبامرهم بذلك
[illegible] بسبب واضاف لعبادة اليهم كيف لا صار المؤمنون كانهم عبدوا الرسل لانهم
انما عبدوا الله بدعاء الرسل وبامرهم قيل لان الرسل انما دعوهم الى عبادة الله وامروهم
بذلك لان الله امرهم بذلك واما اولئك انما دعوهم الى عبادة من ذكر بدعاء انفسهم
وفي قوله وجعلوا لله شركاء الجن اخبار لاوليائه وتذكير لهم حسن صنيعه الى اعدائه
من الانعام عليهم والاحسان اليهم وقبح صنيع اولئك اليه من وصفهم اياه بالولد والشركاء
ليعاملوهم معاملة الاعداء ومعاملة امثالهم وخلقهم اي يعلمون انه هو خلقهم ثم
يشركون غيره في الوهيته وعبادته لا يوجهون شكر نعمه اليه والثاني قوله وخلقهم اي خلق
هذه الاصنام التي يعبدونها ويعلمون انها مخلوقة مسخرة مذللة مع ما يعلمون هذا يشركونها
في الوهيته وعبادته فكيف يكون المخلوق المسخر شريكا له وقوله وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم هم كانوا فرقا واصنافا منهم من يقول بان عيسى ابنه وهم النصارى ومنهم
من يقول بان عزيرا ابنه وهم اليهود وقالت مشركو العرب الملائكة بنات الله تعالى الله

الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقال ام له البنات ولكم البنون وقال واذا
بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم فاذا انتم انتم من البنات
كيف تنسبون البنات اليه وفي هذه الاية تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذاهم يقول مع كثرة ما
لهم من الله من النعم والمنن يشركون في عبادته غيره فانت اولى ان يكون منك اليهم شيء من ذلك
ان تصبر على اذاهم وقوله بغير علم اي يعلمون هم ان ليس له ولد ولا شريك ولكن كانوا
يكابرون ويحتمل بغير علم على جهل يقولون ذلك وقوله سبحانه وتعالى عما يصفون هو حرف
تعظيم وتنزيه جعلهم فيما بين الخلق به يعظمون وبه ينزهون وبه ينفون كل عيب فهم
نفي ذلك ذكر عنده وصف الكفرة بالولد والشريك والعيوب تنزيها وتبرئة عن كل عيب
وصفوه وتعاليا عن جميع ما قالوا فيه وهو والله اعلم كما يقال معاذ الله تعظيما وتبرئا
عن ذلك وفي قوله سبحانه وتعالى عما يصفون نقض قول المعتزلة ان صفات الله ليس الا
وصف الواصفين فلو لم تكن الا وصف الواصف لا غير لكان لا معنى لذم بعض الواصفين وحمد
بعضهم ثبت ان في ذلك صفة سوى وصف الواصفين وقوله بديع السموات والارض
اي انشاهما بلا احتذاء ولا امتثال بغيره وقوله بديع السموات والارض انى يكون له ولد
هذا يرد على القرامطة قولهم لانهم يقولون خالق ولا يقولون مبدع ويقولون المبدع الذي
هو اول مخلوق خلق منه جميع العالم فلو كان اول خلق خلق مبدعا فما هو مبتدع والابداع هو
احداث شيء لم يسبق له اصل ولا امثال والدليل ان يقال لمن احدث في دينه شيئا مبتدع
لانه احدث فيه شيئا لم يسبق له اصل ولا امثال وقوله بديع السموات والارض انى يكون
له ولد اي من قدر على ابداع السموات والارض لا عن اصل سبق ولا عن مثال تقدم انى
تقع له الحاجة الى الولد والولد في الشاهد انما يتخذ لخصال ثلاث اما للاستنصار على
الاعداء والانتقام منهم واما للوحشة تاخذهم واما لحاجة تمسهم فالله سبحانه يتعالى
عن ذلك كله فانى يتخذ ولدا والثاني انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اي تعرفون
ان الولد لا يكون في الشاهد الا عن صاحبة وليست له صاحبة فانى يكون له ولد وكان
الخطاب كان في قوم ينفون عنه الصاحبة وانما الحاجة الى الصاحبة للشهوات التي
ركبت فيهم والشهوة هي التي تهيج المرء وتحمله على الحاجة وقوله وخلق كل شيء نقض
قول المعتزلة لانه اخبر انه خلق كل شيء وعلى قولهم لم يخلق جزءا من الف جزء من الاشياء لانهم
يقولون ان الله لم يخلق افعال العباد ولا حركاتهم ولا سكونهم ولا قيامهم ولا قعودهم ولا
شيئا من ذلك ثم لا يجوز ان يصرف الاية الى الخصوص وهو يخرج مخرج الامتداح ولو جاز
ان يصرف هذا على شيء دون شيء لجاز لغيرهم ان يصرفوا قوله وهو بكل شيء عليم الى شيء دون
شيء وكذلك قوله خالق كل شيء على قول المعتزلة هو خالق بعض الاشياء ليس هو بخالق
الاشياء كلها على ما اخبر فلو جاز صرفه الى بعض الاشياء دون بعض لجاز انصراف
قوله وهو على كل شيء وكيل الى بعض دون بعض حفظ بعض الاشياء ولم يحفظ الكل فلما
لم يجز هذا لانه خرج مخرج الامتداح فكذلك لا يجوز صرف الاول الى بعض دون بعض
لانه امتداح ولان جاز ان يقال بان العبد هو خالق ذلك جاز ان يقال هو خالق الكل
والقادر عليه فهذا ابين شيء ذل الله المعتزلة عن الشرب في التاويل والزيغ عن
الحق فانه لا حول ولا قوة الا بالله وقوله ذلكم الله ربكم اي ابتدع خلق السموات والارض

وما ذكر من انواع المن والنعم التي انعمها عليهم من نحو ما جعل لهم من النجوم ليهتدوا بها في
الظلمات وما ذكر انه انشأهم من نفس واحدة وما ذكر من انزال الماء من السماء واخراج
ما اخرج به من النبات والثمار والحبوب والاعناب وغير ذلك من عجيب حكمته ذلكم كله
بالله الذي لا اله الا هو هو منشئ ذلك كله فاعبدوه اي اليه وجهوا شكر نعمه ولا توجهوا
الى غيره قال الكسائي بديع السموات والارض وبادع السموات والارض واحد كما يقال
عليم وعالم وبديع وابتدع بمعنى واحد وقال بعضهم هو مثل قوله فاطر السموات والارض
وقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قيل كنى بالابصار عن الخلق كانه قال
لا يدركه الخلق وهو يدرك الخلق وانما كنى بالابصار عن الخلق لما بالابصار تدرك
الاشياء وتحاط بها لذلك كان معنى الكناية والله اعلم وقيل هو حقيقة الابصار لكنه
يبصر القلب لما به تقع المعارف فانه كان تجلو جوهر نفسه دليل اثبات الرؤية لانه نفى
عنه الادراك فلو لم يكن يحتمل الرؤية لم يكن لنفي الادراك معنى لانه لا يدرك ما لا يرى
فدل نفي الادراك على ان هنالك رؤية لكنه لا يدرك ولا يحاط به على ما ذكر ولا يحيطون
به علما ان من الاشياء الظاهرة مما يقع عليها البصر يكون لها حد وفيها خفي من نحو البصر
والسمع واللسان والانف واليد وغير ذلك من الاشياء مما لا يدرك حقيقة ماهيتها
وكيفيتها ولا تقديرها يبصر بالبصر اشياء لا يعرف حقيقة كيفية البصر ولا ماهيته وكذلك
السمع لا يدري انه كيف هو وبه يسمع وكذلك هذا في كل جارحة وحاسة تجد اليد خشونة
الشيء الذي تمسه ولينه لا يعرف ثم تجد ذلك وتعرفه وكذلك الكلام من اللسان والشم
من الانف لا يدرى ما هو وكيف وبم تجد ذلك الرائحة والنتن فاذا كان معارف الخلق
في الاشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يدرك حقيقة ماهيتها ولا يعرف كيفيتها ولا احاط
بها علما فالله سبحانه الذي بحكمته وضع ذلك ولطفه ذلك ابعد عن الادراك واحرى ان
لا يحاط به ولا يدرك وهذا يرد على الجهمية من جهتهم لانهم يصورون ربهم في قلوبهم ويمثلونه
فعلى ذلك يعبدونه لانهم مشبهة واصله ان الله تبارك وتعالى يعرف بالآيات والدلائل
لا بالمحسوسات والمشاهدات وكل شيء سبيل معرفته الآيات والدلائل فهو غير محاط به
ولا مدرك فهو على ما وصف نفسه لا يحيطون به علما ولا تدركه الابصار لان الادراك والاحاطة
انما تقع بالمحسوسات لا بما يعرف بالآيات والدلائل وعلى ذلك جاءت دلائل الرسل به نحو ما قال
موسى حين سأله فرعون فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقال فان الله يأتي بالشمس من المشرق دلالة على الوهيته
ووحدانيته من جهة الآيات والدلائل لا من غيره وعلى ذلك دل الله الخلق على معرفة وحدانيته
وربوبيته بقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل وقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل
شيء الى آخر ما ذكر دلهم على ما يعرفون الوهيته ووحدانيته من جهة الآيات والدلائل لا من
جهة ما يقع به الاحاطة والادراك وبالله الهداية والرشاد وقوله وهو اللطيف الخبير
قيل اللطيف في فعاله الخبير بخلقه وباعمالهم وقيل اللطيف البار الرحيم وقيل اللطيف
هو العليم بخفيات الاشياء والخبير بظواهر الاشياء ثم هو اللطيف العظيم والعظيم
في الشاهد غير اللطيف واللطيف غير العظيم لان العظيم في الشاهد هو الذي به كثافة

واللطيف ما يلطف في نفسه ويرق كل واحد منهما متمانعا من الآخر فيعلم انه لطيف عظيم لا من
الوجوه التي تعرف في الخلق وكذلك قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن هو اول
آخر وظاهر باطن وفي الخلق من كان اولا لم يكن آخرا ومن كان ظاهرا لم يكن باطنا فيعلم انه اول
وآخر وظاهر وباطن لا من الوجه الذي يفهم من الخلق ولكن على ما وصف نفسه وقوله قد
جاءكم بصائر من ربكم قيل بينات من ربكم وقيل البصائر الهدى بصائر في قلوبهم وليست ببصائر
الرؤوس وهو قول عبد الرحمن بن اسلم وقيل بصائر اي بيان وهو واحد وقيل بصائر شواهد اي
قد جاءكم من الله شواهد تدلكم على الوهيته وهو كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل
الانسان من نفسه بصيرة اي شاهد تشهد كل جارحة منه على وحدانية الله والوهيته الا
ترى انه قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا والله اعلم لانهم
كانوا يقلدون آباءهم في عبادة الاوثان والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول قد جاءكم بصائر من ربكم من الآيات والرسل ما لو اتبعتموهم
لكانوا اكبر شفعاء عند الله والثاني قد جاءكم بصائر ما لو تفكروا وتدبروا ونظروا فيها لعرفوا
انها بصائر وحجج من الله لان البشر اشتغلوا بحيث ينظرون في العجب من الانبياء فكانوا على امرين
منهم من نظر وتفكر وعرف انها بصائر لكنه عاند وكابر ولم يعمل بها ومنهم من ترك النظر فيها
فعمي عنها ما لو تفكروا ونظروا فيها لتبين لهم وقوله فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها
اي ابصر الحق والهدى وعمل به فلنفسه عمل ومن ابصر وعمي عنها اي ترك العمل بها فعليها ترك
كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فان قيل ذكر في آية اخرى ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة اخبر ان من هلك هلك عن بينة ومن حيي حيي عن بينة وههنا
يقول فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها ذكر عمي عنها فكيف وجه التوفيق قيل يحتمل قوله عمي بعد
ما تبين له فترك العمل به فعليها وذلك لانه ابصرها وعرف انها من الله لكنه عاندها وكابرها
وقوله وما انا عليكم بحفيظ اي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا الا التبليغ كقوله ما على
الرسول الا البلاغ وقوله وكذلك نصرف الآيات اي نردد ونصرفها في الوجوه التي تنبئ لقوم
يطلبون البيان او يقول نصرف الآيات اي نضع كل آية ونصرفها الى الوجوه التي يكون
بالخلق اليها حاجة وقوله وليقولوا درست فيه لغات درست ودرست ودارست ودرست
قراءات ودارست تعلمت وقيل دارست اهل الكتاب جادلتهم ودرست بالجزم قيل
تقادمت لقد الا اختلاف فيه الاختلاف قول من كان من الكفرة لرسول الله منهم من يقول
انما يعلمه بشر فنوقنا بقيل دارست ومنهم من يقول ان هذا الا اساطير الاولين فقد اتانا تأويل
قوله درست ومنهم من يقول ان هذا الا افك افتراه وهو تأويل حين درست فعلى اختلاف
اقاويلهم خرجت القراءات ثم اختلف في تأويل قوله وليقولوا درست قال بعضهم لئلا يقولوا
درست فهو صلة قوله قد جاءكم بصائر من ربكم لئلا يقولوا درست وقال الحسن قوله وليقولوا
درست اي قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا درست لان من قوله انه بعث الرسل وانزل
الكتب ليكون من الكافر قول كفر ومن المؤمن قول ايمان وقوله وليقولوا درست يخرج
والله اعلم على معنى التعجيب يعجب اصحاب النبي من قبح صنيع الكفرة وسوء معاملتهم رسول
الله وقد جاءهم بصائر من ربهم وبينات وحجج شرهم تبعد هذا كله يستقبلونه بالرد والتكذيب
وهو على ما قلنا ان الله ذكر نعمه عليهم بما انشأ لهم من الانعام والحبات لهم وشاء

٥٨٢

والارض وما فيهن والنخيل وما اخرج عنه وقد علموا ذلك كله ثم جعلوا له تعالى مع معرفتهم هذا شركا الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ولا بينة فهو على التعجيب لهم كيف جعلوا له شركاء وقد علموا ان الذي جعل هذا كله لهم هو الله تعالى ذلك لقد ... الاية لهم كيف تذ... بالرد ... ويتبين لهم صدقه وانه من عند الله بالايات والدلايل وما كان لا يخط كتابا ولا شهد ... يختلف الي من عنده علم ذلك وقوله ولنبينه لقوم يعلمون اي لنبينه يعني القران وقيل البصاير التي ذكر لقوم ينتفعون بعلمهم وقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك فان قيل ما معني قوله من ربك وانما اوحي اليه من ربه ويكفي قوله اتبع ما اوحي اليك ولكن معنا على الاضمار والله اعلم كانه قال للذي اوحي اليه على يدي ... قل اتبع ما اوحي اليك من ربك ثم امر نبيه باتباع ما اوحي اليه من ربه اي اعمل بما اوحي اليك ثم الامر بالعمل يحتمل وجهين يحتمل الامر بالاعتقاد بذلك ويحتمل نفس العمل اي اعمل وتبينه ان يكون الامر بالاتباع ما اوحي اليه ... صدقا في الخبر وعدلا في الحكم كقوله وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام فعلي ذلك امكن ان يكون الامر بالاتباع اتباع ما اوحي اليه صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام ثم على ما امر نبيه باتباع ما اوحي اليه وانزل من ربه امر امته كذلك وهو قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء امرهم باتباع ما انزل اليهم من ربهم ونهاهم عن اتباع من اتخذ من دونه اولياء فعلي ما نهاهم عن اتخاذ اولياء دونه قال في الاية التي امر رسوله باتباع ما اوحي اليه من ربه فقال اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو وقوله لا اله الا هو وقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء واحد لانه امر باتباع ما اوحي اليه من ربه ونهى ان نتبع دونه اولياء لانه اخبر ان لا اله الا هو وقوله واعرض عن المشركين يحتمل امره بالاعراض عن المشركين وجوها يحتمل ان لا تكافيهم على اذاهم ولكن اصبر ويحتمل الامر بالاعراض عنهم الا النهي عن قتالهم كانه نهى عن قتالهم في وقت ويحتمل ان تكون الاية في قوم خاص قال اعرض عنهم فانهم لا يومنون ولا تتم عليهم الايات والحجج لما علم منهم انهم لا يومنون ثم على ما امر نبيه بالاعراض عنهم امر المومنين ايضا بالاعراض عنهم وهو قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله ولو شاء الله ما اشركوا ان المعتزلة المشية ههنا مشية قهر وجبر اي لو شاء الله لا عجزهم ومنعهم عن الشرك على دفع الابتلاء والامتحان واما عندنا المشية مشية الاختيار والطوع على قيام الابتلاء والامتحان ونقول فان مشية الجبر هي خلقة وقد كانوا اجمعنا غير مشركين بالخلقة فلا معنى لتاويلهم الذي قالوا اي المشية ثم لا يحتمل ان يكون قوله ولو شاء الله ما اشركوا مشية قهر وجبر لانه لا يكون في حال الجبر والقهر ايمان ولا كفر انما يكون ذلك في حال الاختيار والطوع لان الجبر والقهر يمنع من ان يكون له فعل حقيقة بل يحول الفعل عنه ويسقط ويثبت للذي جبره وقهره فذلك يبين لك انه ما ذكرنا وبالله الرشاد وفي قوله ولو شاء الله ما اشركوا دلالة ان طريق الاسلام الافضال والانعام ولله ان يختص به من كان اهلا للافضال والانعام باللطايف التي عنده ويحرم بعضا ذلك وله ان يجعل بعضهم اهلا لذلك افضالا لامنه ولا يجعل البعض عدلا منه وقوله وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل اي لم يوخذ عليك حفيظا اعمالهم او لا تسال انت عن صنيعهم انما عليك التبليغ وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله فانما عليه ما حمل

٥٨٣

وعليكم ما حملتم ونحوه وقيل الحفيظ والوكيل واحد وقيل الوكيل هو الكفيل وقد ذكرنا في غير موضع فيما تقدم وقوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم نهانا الله عز وجل عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق فان قيل كيف نهانا عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قاتلونا وقتل المومن بغير حق من المناكير وكذلك امر رسول الله بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وان كانوا يستقبلونه بالتكذيب قيل ان السب لا ولياء مباح بغير فرض وحق والقتال معهم فرض ولكن التبليغ فرض يبلغ اليهم وان كانوا يكذبون ما يبلغهم وكذلك القتال فرض لهم وان كان في ذلك اهلاك انفسنا واصله ان ما خرج الامر به مخرج الاباحة فانه ينهى عما يتولد منه ويحدث وما كان الامر به امر فرض ولزوم لا ينهى عن المتولد منه والحادث ويجوز ان نستدل لهذا الاصل على تاييد مذهب ابي حنيفة رحمه الله في قوله ان من قطع يد آخر بقصاص فمات من ذلك اخذ بالدية واذا قطع اليد بحد لزمه فمات لم يواخذ به لانه ابيح له قطع يده في القصاص لم يفرض عليه وفي الحد يلزم اقامة الحد لله فاذا كان قيامه بفعل ابيح له الفعل ينهى عما يتولد منه ويوخذ به واذا كان قيامه بفعل فرض عليه لم يواخذ بما تولد منه وعلى هذا يخرج قوله في الامر بالختان اذا تولد من ذلك الموت لانه امر باقامة السنة وكذلك الامر بالحجامة لانه يفرض عليه الحجامة في حال اذا خاف عليه الهلاك اذا لم يحتجم واما الامر بالرق وغيره مما سبيله امر اباحة لا امر لزوم له لكن ضمن ما تولد منه فعلى ذلك اصحاب الذي سب الصنم اذا احملهم ذلك على سب الله عز وجل وسب رسوله لا يسبون وان كانوا مستحقين لذلك لانه قد ينهى الرجال ان يعود نفسه السب فعلى ذلك يجوز ان نهوا عن سب الصنم مخافة الاعتياد لذلك فنهوا عن سب الهتهم ثم ذكر في القصة ان اصحاب رسول الله كانوا يسبون الهتهم فيسبون الله عدوا بغير علم وذكر ان رسول الله ذكر الهتهم بسوء فقالوا لتنتهين عن ذلك او لنهجون ربك وعن ابن عباس وذلك حين قال لهم رسول الله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فلما لوا ... لكي ما قالوا فانزل ولا تسبوا الذين يدعون ولكن لا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه ما ذكرنا وقوله عدوا بغير علم قال الكسائي وابو عوسجة عدوا من الاعتداء وهو مجاوزة الحد وقال ابو عمرو عدوا ابا الربيع وقال انما العدو من عدو الرجلين وكذلك قال في يونس عدوا وقيل فلما نزل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ربكم فامسكوا عن سب الهتهم وقوله كذلك زينا لكل امة عملهم قال ابو بكر الكيساني الاصل في قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ان القوم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان رجاء ان تقرب عبادتهم اياها الى الله لانهم كانوا يعبدونها ويتخذونها الهة دون الله فاذا سبوا معبودهم فكانهم سبوا الله عدوا بغير علم اذ العبادة في الحقيقة لله فيرجع سبهم اياها الى الله لذلك كان نهى السب فقال فعلى ذلك يرجع قوله كذلك زينا لكل امة عملهم حتى امتنعوا عن سب الله فذلك الذي زين عليهم وقال الحسن قوله زينا لكل امة عملهم اي زينا عليهم اعمالهم فيما امروا به وفرض ويجب عليهم ان يفعلوا لا فيما لا يومرون ولا يحل لهم ان يفعلوا وكذلك يقول جعفر بن حرب وغيره من المعتزلة انه زين عليهم عملهم الذي فرض عليهم ان يعملوا او يأتوا بها واما ما لا ينبغي ان يقول فلا لقوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الاية

ذكر في الايمان التزيين في الكفر التكريه ويقولون انه اضاف التزيين الى الشيطان بقوله
زين لهم الشيطان اعمالهم وقوله الشيطان سول لهم واملى لهم فما الشيطان يزين لهم المعاصي
والفسوق فلا يحتمل ان يكون الله يزين لهم ما يزين لهم الشيطان فدل انه انما يزين لهم ما يؤمرون
به ويفرض عليهم ولكن يضاف اليه التزيين ما اضيف اليه حرف الاضلال والاغواء والاصل
عندنا فالتزيين على وجهين تزيين يقع العقول وهو تزيين من طريق الايات والبراهين فذلك
لا يحتمل فعل الكفر والضلال ان يكون مزينا من جهة الايات والحجج والثاني تزيين في الطباع
بالشهوات والاماني وفعل كل احد مزين بالشهوة والحاجة التي مكنت فيه ولا شك ان كل كافر
لو سئل عن فعله الكفر والضلال يقول هذا الذي زين لي ولينفي اضافة فعل التزيين الى الله
بالكفر والاثبات من اضافة الاضلال والاغواء وقد ذكرنا معنى اضافة الاضلال والاغواء
اليه في غير موضع فعلى ذلك التزيين ويقولون ايضا ان التزيين تزيينان وعد وثواب
فالكافر متى يؤمن بالوعد في الاخرة والثواب فيها وهو ليس يؤمن بالاخرة فقد ابعد ولا
يحتمل ما قال الكيسان ايضا لانه لا كل الكفرة كانوا يعبدون الاصنام ليقربهم ذلك الى
الله زلفى بل اكثرهم لا يعرفون انهم ظالمون وقد يحتمل اضافة التزيين الى الشيطان على جهة
التمني والتشهي كقوله ولامنينهم واضافته الى الله على القدرة عليها والسلطان او ان يخلق
اعمالهم مزينة عندهم مشتهية فاضافة فعل الضلال والغواية الى الشيطان على الدعاء
اليه والترغيب فيه واضافته الى الله على ان يخلق فعل الضلال منهم وقوله ثم الى ربهم مرجعهم
قد ذكرنا فينبئهم بما كانوا يعملون في جزيل الثواب او في اليم عذاب فهو على الوعيد وقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم قالوا جهد ايمانهم ايمانهم بالله فهذا يخرج على وجوه احدها ان الحنث
في اليمين يخرج مخرج الاستخفاف والتهاون وان كان اخطر لا يقصد قصد الاستخفاف بالله
تعالى وكان في اليمين التعظيم وفي الحنث استخفاف وفي اليمين بالله جهد اليمين ويحتمل وجهين
سوى هذا احدهما ما قيل ان الكفرة كانوا لا يحلفون بالله الا عند العظيم من الامور والجليل
منها كانوا يحلفون بدونه فيسمي اليمين بالله جهد اليمين تعظيما له وتبجيلا والثاني يحتمل انهم
كانوا يحلفون باشياء ويذكرون اليمين بالله ويشددونه كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها وقوله لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قيل الكفر كانوا يقسمون جهد ايمانهم لئن جاءتهم
اية ليؤمنن بها كانوا يسالون رسول الله ايات لئن جاءتهم ليؤمنن بها نحو ما قالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وغير ذلك من الايات فقال قل يا محمد انما الايات عند الله هو الذي يرسلها وينزلها
وانا لا املك انزالها او لا انزلها كقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وغير ذلك من الانباء
انبا منه انه لا يملك انزال ما كانوا يسالونه من الايات ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون اختلف فيه قال الحسن وابو بكر الاصم انه خاطب بقوله وما يشعركم اهل القسم
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها فقال وما يشعركم اي ما يدريكم
انكم تؤمنون اذا جاءتكم اية ثم استانف فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا كان
يقرؤه الحسن بالخفض انها اذا جاءت لا يؤمنون على الاستيناف والابتداء وقال
غيرهم من اهل التاويل الخطاب لاصحاب رسول الله وذلك انهم قالوا لئن جاءتهم الاية
ليؤمنن بها ظنوا انهم لما اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون اذا جاءتهم الاية يفعلون

ذلك ويؤمنون على ما يقولون فقال وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون على طرح لا اي ما يدريكم
انها اذا جاءت يؤمنون ويحتمل فيه وجها اخر على الاضمار كانه قال وما يشعركم فاعلموا انها
اذا جاءت لا يؤمنون على الوقف في قوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال اعلموا انها اذا جاءت
لا يؤمنون وهذا كانه اقرب ويحتمل وجها اخر وهو ان اهل الاسلام قالوا انهم ان جاءتهم اية
لا يؤمنون فقال عند ذلك وما يشعركم خاطب به هؤلاء انها اذا جاءت لا يؤمنون والثاني
انهم قد امنوا انها اذا جاءت فتقلب افئدتهم من بعد وعليه اهل التاويل ان خلق تقلب
افئدتهم وابصارهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي خلق زيغ قلوبهم فكذلك
الاول وقوله ونقلب افئدتهم وابصارهم اي نقلب افئدتهم وابصارهم بالحجج الا
نردها فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال اهل التاويل ونقلب افئدتهم
وابصارهم اي نحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك الاية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم
وبين الايمان اول مرة ويحتمل وجها اخر وهو ان نقلب في افئدتهم وابصارهم ايات وحدانيته
والوهيته فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة ثم تخصيص الافئدة والابصار دون
غيرهم من الجوارح لان القلب والبصر لا يقع الا عليها يشهد كل واحد اية الله والوهيته
وقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قال بعضهم انهم لو ان جاءتهم اية فانهم لا يؤمنون
كما لم يؤمن اوائلهم من الامم الخالية لما سالوا الايات قبلهم فكذلك هؤلاء لا يؤمنون بها
وان جاءتهم الاية بعد السؤال وقال غيرهم قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة اي جاءتهم
ايات قبل هذه على غير سؤال فلم يؤمنوا بها فكذلك ان جاءتهم بالسؤال فلا يؤمنون بها
ويحتمل وجها اخر وهو ان مشركي العرب كانوا يقسمون بالله ان جاءهم نذير يؤمنون به وهو
قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم يعنون والله
اعلم اليهود والنصارى اي لو جاءهم نذير ليكونوا اهدى من اليهود والنصارى فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا يخبر انهم كما لم يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم النذير في الابتداء اذا جاءهم
نذير فكذلك ايضا لا يؤمنون عند سؤالهم الايات وان جاءتهم ايات يخبر بعد انهم ليسالوا
فيما لون الايات سؤال استرشاد ولكن يسالون سؤال عناد ومكابرة وهذا التاويل
كانه اقرب وقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون اذ علم انهم لا يؤمنون تركهم في ضلالتهم
يعمهون ويتحيرون والعمه الحيرة في اللغة وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى قيل هذه الاية صلة قوله واقسموا بالله الى قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
ثم قال ولو اننا نزلنا الاية اخبر انهم وان نزلت اليهم الايات تبدا السؤال منهم الايات
من انزال الملائكة وتكليم الموتى انهم لا يؤمنون لان سؤالهم الايات سؤال تعنت واستهزا
وعناد لا سؤال استرشاد ولانهم قد جاءتهم ايات لو تاملوا فيها لامنوا بها اذ علم منهم
انهم لا يؤمنون وان ما يسالون من الايات سؤال التعنت والعناد جعل لهم حظا لا يعطى الخذلان
من نحو قساوة القلب حتى صارت قلوبهم اقسى من الحجارة ومن نحو البغض والجهالة وغير
ذلك من الحال على ما ذكرنا وهو كقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يخبر عن تعنتهم ومكابرتهم فيه وبين ان الايات لا تضطر اهلها على الايمان لانه قال
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا لانه
لو كانت اية تضطرهم الى الايمان لكانت هذه وهذا يدل على ان معنى قوله ان نشا ننزل

عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أنهم لا يؤمنون بالآية ولكن إذا شاء أن يؤمنوا
لآمنوا ولو كانت الآيات تضطر أهلها إلى الإيمان به لكان لا آية أعظم من القيامة ولا أبين منها ثم
أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقال ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين فقد كذبوا عند معاينتهم القيامة والعذاب فقد أيدك أن عيان الآية لا تضطر أهلها على
الإيمان بما ذكرنا ويدل أن تأويل قوله إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين
أنهم يخضعون إذا شاء أن يخضعوا لا أن الآية تضطرهم على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا و
قوله إلا أن يشاء الله قال الحسن هذه المشيئة مشيئة القدرة أي لو شاء الله أن يجبرهم
حتى يؤمنوا لآمنوا كقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ولو نشاء لمسخناهم ونحوه فهذه المشيئة
مشيئة قدرة لكنا نقول إنه أخبر أنه لو شاء أن يمسخهم لمسخهم فقيل أيضا إنه لو شاء أن يهديهم
لهداهم ولو شاء أن يهتدوا لاهتدوا وكذلك يقول المعتزلة إن المشيئة هاهنا مشيئة القهر والجبر
وقد ذكرنا أنه لا يكون في حال القهر والجبر إيمان فيصير على قولهم إلا أن يشاء الله أن يؤمنوا فآمنوا
فلا يكون إيمانا وقوله وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اختلف في تلاوته وتأويله قال قبلا عيانا
وعن قتادة كذلك قبلا عيانا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وهو
على ما ذكرنا إلا أن يشاء الله أن يؤمنوا فيؤمنوا وعن مجاهد قبلا أي أفواجا قبيلا وفي حرف
أبي عمرو بن العلاء وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يقول جيلا فجيلا وفي حرف أبي قبلا أي قبيلة
قبيلة وقال القتبي قبلا أي جماعة جماعة وقبلا أي أصنافا وقد يقال القبيل الكفيل كقوله
أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أي ضمناء كفلاء قال الكيساني من قرأها قبلا فقد تكون جمع
القبيل مثل الجبيل والجبل وقد يكون القبل أيضا من معنى الإقبال كقوله من قبل ومن دبر
ومن قرأها قبلا أي معاينة وقال أبو عوسجة كل شيء قبلا يقال أنا آتيك قبلا أي كلمة
وقبلا من المقابلة وتأويله ما ذكرنا أنا لو فعلنا هذا كله من إنزال الملائكة إليهم وتكليم
الموتى إياهم وحشرنا عليهم كل شيء قبلا فأخبرهم بالذي يقول محمد أنه حق ما كانوا ليؤمنوا به
إلا أن يشاء الله لهم الإيمان فيؤمنوا وفيه ما ذكرنا من الدليل أن الآيات لا تضطر أهلها إلى
الإيمان بها إلا أن يشاء الله أن يؤمنوا فحينئذ يؤمنون وقوله ولكن أكثرهم يجهلون أي لكن
أكثرهم لا ينتفعون بعلمهم وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا قيل كما جعلنا لكل نبي عدوا
كذلك نجعل لك عدوا ويحتمل أن يكون صلة قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا
به أول مرة كذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم قوله كذلك جعلنا لكل نبي عدوا قال الحسن إن من حكم
الله أن يبعث رسلا وأن كل من اتبع رسله يكون وليا له ومن عصى رسله يكون عدوا له هذا
حكم الله في الخلق وقال جعفر بن حرب والكعبي وغيرهم من المعتزلة إن قوله جعلنا أي خلينا
بينهم وبين ما اختاروا من الكفر والعداوة يقال جعل فلان كذا إذا كان مسلطا على ذلك
وهو يقدر أن يمنعه من ذلك فيصير التأويل على قول المعتزلة أي لم نجعل لكل نبي عدوا
ولكن هم جعلوا أنفسهم أعداء لكل نبي وقلنا نحن إن قوله جعلنا لكل نبي عدوا أي خلقنا لكل
نبي عداوة كل عدو والجعل من الله هو الخلق كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله
وجعلنا الليل والنهار آيتين وقوله جعل لكم الأرض مهادا وكل فعل أضيف إلى الله فهو خلق
منه فعلى ذلك قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو
ولو كان الحكم على ما قال الحسن وما قال أولئك من التخلية لكان يجوز أن يضاف فعل الكفر

وفعل الضلال إلى الله وذلك بعيد والثاني لم يوفق لهم فعل الهداية لما علم منهم أنهم يختارون
فعل العداوة على فعل الولاية وقوله شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف
القول غرورا اختلف فيه قال بعضهم الشياطين كلهم يكونون من الجن ثم إنهم يوجهون إلى الإنس
فيكونون هم الذين يدعون الخلق إلى معصية الله فيكون من الجن وحيا إلى الإنس ومن الإنس إلى
الخلق قولا ودعاء وقال بعضهم يكون من الجن شياطين ومن الإنس شياطين يدعو شياطين
الجن الجن إلى معصية الله وهكذا من دعا آخر إلى معصية والكفر به ويدعو شياطين الإنس
الإنس إلى ذلك يدعو كل فريق نوعه إلى معصية الله وهكذا من دعا آخر إلى معصية الله فهو
شيطان وكذلك كبراء الكفرة ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون أتباعهم ويحملونهم إلى الكفر
والضلال بالله فهم شياطينهم ألا ترى أنه قال وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها
وقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم
عذابا ضعفا من النار وغيره من الآيات فكل من دعا غيره إلى معصية الله والكفر به فهو
شيطان والشيطان هو البعيد من رحمة الله شطن أي تباعد وقيل إن إبليس وكل شياطين
بالإنس يضلونهم ويدعونهم إلى معصية الله ووكل شياطين بالجن يضلونهم وهو تأويل
الأول وقوله يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا يغرون به وقال القتبي زخرف
القول غرورا ما زين به وحسن وموه وقال وأصل الزخرف الذهب يقال زخرفت الشيء
أي حسنته قال أبو عوسجة الوحي أن يحيى بعينه أو بشفته ويشير وقوله ولو شاء ربك
ما فعلوه قال بعضهم لو شاء ربك لخلقهم خلقا لم يركب فيهم الشهوات والحاجات حتى أطاعوه
ولم يعصوا كما خلق الملائكة لم يركب فيهم الشهوات والحاجات والأماني فلم يعصوه وقالت المعتزلة
لو شاء ربك لأجبرهم وقهرهم حتى لا يقدروا على معصية الله والكفر به فآمنوا واهتدوا و[illegible]
وعندنا الحق لو شاء ربك هدايتهم لاهتدوا لكن لما علم منهم أنهم يختارون الضلال على الهدى
شاء أن لا يهديهم وقد ذكرنا تأويله في الآية في غير موضع وقوله فذرهم وما يفترون
هذا خرج على الوعيد لهم كقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وكقوله اعملوا ما شئتم إنه كذا
أي ذرهم وما يختارون فإنك تريهم في العذاب وقوله ولتصغى إليه أفئدة الذين قيل
ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة إلى زخرف القول الذي كان يوحي ويلقي شياطين الإنس
والجن يوحي بعضهم إلى بعض ويموهه لما كان الذي أوحى وألقى بعضهم إلى بعض من زخرف
القول الذي يوافق هواهم وكل من ظفر بما يوافق هواه فإنه يرضى به كقوله إن الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها لأنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة ولا يرجون لقاءه و
كانت همتهم هذه الدنيا ورضوا بها واطمأنوا إليها ويحتمل قوله ولتصغى إليه أي إلى الكتاب
أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة أي لا تميل بقبول منهم له ولكن تميل طلب الطعن فيه وهكذا
كانت همة أولئك الكفرة وعادتهم طلب الطعن فيه والأول أشبه ثم إن كان زخرف القول
الذي أوحى بعضهم إلى بعض من كبرائهم وعظمائهم فقد اشترك تعالى هؤلاء الخلق في الكذب
الذي كان منهم كان من الكبراء الدعاء إلى ذلك ومن الأتباع الرضا والإجابة وكان منهم التزيين
والزخرفة ومن الأتباع القبول والرضا به فقد اشتركوا جميعا في ذلك الكذب والقول
الغرور وقوله وليقترفوا ما هم مقترفون اختلف فيه قال قائلون قوله وليقترفوا
يعني هؤلاء الأتباع ما هم مقترفون أي ليكتسبوا هؤلاء الأتباع من الكذب ما كان أولئك

يكتسبون من الكذب وقيل وليقترفوا اولئك المتبوعين من الكذب بما هم مقترفون لا الاتباع
ما هم مقترفون من القول الغرور والزخرف ثم اختلف في الاقتراف قال بعضهم الاكتساب اكتساب
كل شي وقال قائلون الاقتراف هو مواقعة الذنب والاثم والله اعلم وقوله افغير الله ابتغي حكما
كان اولئك الكفرة دعوا رسول الله الى حكم يحكم بينهم في منازعة وقعت بينهم اما في الرسالة
واما في الكتاب وقال رسول الله افغير الله ابتغي حكما ثم بين فقال وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا يقول كيف ابتغي حكما غير الله وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا ما تعلمون
انه من عند الله نزل ما عجز الخلائق عن اتيان مثله ثم اختلف في قوله مفصلا قيل مفصلا
بالحجج والبراهين ما يعرف كل عاقل لم يكابر عقله انه من عند الله نزل وقيل مفصلا بالامر
والنهي والتحليل والتحريم يقول كيف ابتغي حكما غير ما انزل الله وقد انزل كتابا مفصلا
مبينا فيه ما يحل وما يحرم وما يؤتى وما يتقى فلا حاجة تقع الى غير الله وقيل مفصلا بالوعد
والوعيد وما يكون له عاقبة لان العمل الذي يكون للعاقبة يكون فيه وعد ووعيد وقيل
مفصلا متفرقا اي انزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا جملة فما يقع بمسامع كل احد علم ذلك وما
فانه يقع في الحاجة الى حكم غيره وقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق اختلف فيه قيل الذين اتيناهم الكتاب اي اهل التورية والانجيل يعلمون انه منزل
من ربك بالحق وقيل الذين اتيناهم الكتاب يعني من اعطي هذا الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق بما عجزوا عن اتيان مثله وتاليفه وقوله فلا تكونن من الممترين يحتمل لا تكونن من الممترين
المفترقين [illegible] واما في كتابهم من الاحكام ومن نعتك وصفتك ويحتمل فلا تكونن من الممترين انه
من عند الله نزل مع علمه ان رسوله لا يكون من الممترين ليعلم الخلق انه اذا نهى رسوله عن مثل
هذا فغيره احق وان خاطب من طلب حكم غيره يقول لا تكونن من الممترين انه من عند
الله نزل وقوله وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الانباء والوعد والوعيد وعدلا
في الاحكام تمت انباؤه بالصدق واحكامه بالعدل حتى يعرف كل احد صدق انبائه وعدل
احكامه وقيل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا بالحجج والبراهين لما يعرف كل من تامل فيها
ونظر صدقها وعدلها انها من الله وقوله لا مبدل لكلماته هذا التفسير التمام انها تمت
تماما لا يرد عليها النقص ولا الجور ولا الخلف ليس ككلمات الخلق الخلق انها تبدل وتنقص
وتمنع لما يكون فيها من النقصان والفساد فانها تبدل وتنقص فيعجزون عن وفاء ما وعدوا
ويعتقدون عن ذلك فالله تعالى عن ان يبدل كلماته او يمنع عن وفاء ما وعد واوعد وانبأ
او يجور في حكمه ويجوز ان يستدل بقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لقول اصحابنا حيث
قالوا من قال لامرأته انت طالق اتم الطلاق واعدل الطلاق فانه يقع عليها وافق السنة
ليتبين رجوع ذلك اي التمام اي العدل ولانه اخبر ان تمت كلمته صدقا وعدلا والموافق للسنة
هو الحق وهو العدل ويحتمل لا مبدل لكلماته اي لا مبدل لوعده ووعيده يكون ما وعد
واوعد ويحتمل لا مبدل لحججه وبراهينه وقوله اي التسميع بالتي الشياطين واوحى بعضهم
الى بعض الكلم بانها هؤلاء واجابتهم اياهم وهو اهل التاويل بعض قوله ايخاص من القول
بعضهم يقولون ان قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال اخرون ان رسول الله دعاه اهل الكفر الى عبادة الاوثان ولكن هو [illegible] والله اعلم الى
كل نبا ووعد ووعيد وكل خبر يخبره قوله وان تطع اكثر من في الارض في الاية دلالة ان اكثر

اهل الارض كانوا ضلالا وعبادة الاصنام والاوثان لانه قال اكثر من في الارض وقوله يضلوك
لانهم الى الضلال كانوا يدعونه ثم الخطاب وان كان لرسول الله في الظاهر فهو لكل مؤمن اذ معلوم
ان رسوله لا يطيعهم فيما يدعونه اليه وفيه ان في الارض كان من يعبد الله وكان على دين الانبياء و
الرسل وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ذكر في القصة ان اهل الكفر
دعوا رسول الله الى عبادة الاوثان ويقولون انهم يعبدون في الحقيقة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانهم يعبدون الاوثان ويرتكبون الفواحش ويقولون
الله امرنا بها فاخبر رسوله انك لو اطعت هؤلاء الى ما يدعونك من عبادة هذه الاصنام اضلوك
عن سبيل الله لانهم لا يعبدون هذه الاصنام الا بظنون كقوله ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون
الا الظن وان هم الا يخرصون ما هم الا كذبة يكذبون على الله في قولهم ان ذلك يقربهم الى الله زلفى وقولهم
الله امرنا بها وقوله ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعلم من
يزيغ ويضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ويعلم من يهتدي به وفي قوله ان ربك هو اعلم
من يضل عن سبيله دلالة انه على علم منه بالضلال والتكذيب بعث الرسل اليهم وارسل الكتب
لا عن جهل منه لكن ما بعث ما بعث من الرسل والكتب اليهم حكمة على علم منه بما يكون منهم لانه
انما يبعث لمكان الرسل اليهم ولحاجتهم وقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين
ذكر صرف اهل التاويل الاية الى اهل الكفر وقالوا انما لكم تاكلون ذبائحكم التي ذبحتم ولا تا
كلون ما ذبح الله وذكاه صرفوا الخطاب به الى اهل الشرك والاشبه ان يصرف الخطاب به
الى اهل الاسلام لانه ذكر في اخره ان كنتم باياته مؤمنين ومثل هذه الاية ذكر في اهل الشرك انما
ذكر الخطاب اهل الاسلام كقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله
واليوم الاخر وقوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ونحوه من الايات فعلى ذلك الاشبه
ان يصرف الخطاب بها الى اهل الاسلام كان قوما من اهل الاسلام منعوا انفسهم عن التناول
من هذه الذبائح والتحوم ونهوا عن ذلك من نحو ما روي في القصة ان نفرا من اصحاب
رسول الله هموا ان يخصوا انفسهم ولا يفطروا انفسهم شهواتهم وانه لا ياكلوا شيئا من الطيبات
فنهوا عن ذلك وقيل فيهم نزل قوله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم فيشبه ان
يكون قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فيهم او لما علم ان قوما من المتقشفة والمتزهدة يحرمون
ذلك على انفسهم نهوا عن ذلك فان كان ما قال اهل التاويل فهو والله اعلم كانه قال فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين بما تعلمون ان الخلق والامر له وقد انبا لكم من الايات ما تعلمون
ذلك فكيف تحرمون مما ذكر اسم الله عليه ثم امر باكل ما ذكر اسم الله عليه وعاتب عن تركها لا كل
ما ذكر اسم الله عليه بقوله وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولم يبين بم وباي وجه بالذبح
او بغيره وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولم يبين من اي
وجه لكن الناس تعارفوا الطعام في ذلك اي الذبح فكان الذبح معروفا فيه كانه قال فكلوا مما ذبح بذكر اسم
الله عليه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه ثم لا يحلوا الا فيما تعرفونه وذلك اما ان
عرفوا ذلك بالسماع من رسول الله او عرفوا ذلك بنوازل اذ ليس في الاية بيان ذلك فكيف ما كان
ففيه دلالة نقض قول من يقول بان من عرف نوازل الاحكام او كان عنده دراية فتركه واتبعه
يفسق لانه لم يذكر هاهنا النوازل ولا السماع ولنا انه لا يفسق او كان قوله فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه ذكر لمكان قول الثنوية لانهم يحرمون الذبائح ويقولون ليس من الحكمة ايلام من لا ذنب

لما ذكر لمكان قول من يقول انكم اكلتم ما تذبحون بايديكم ولا تاكلون ما قتل الله فنزله ثم قوله
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق اباح عز
وجل من الانعام ما ذكر اسم الله عليه وحظر ما لم يذكر اسم الله عليه ونهى عن اكله بقوله ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وبقوله وما اهل لغير الله به فجعل المهل لغير الله ميتة حراما وجعل
المذكور اسم الله عليه ذكيا حلالا فذلك ان التسمية شرط في حل الذبيحة لانه لو لم تكن شرطا في
حل الذبيحة لم يكن ما اهل به لغير اسم الله ميتة حراما ولانه سمى ما لم يذكر اسم الله عليه فسقا
والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر ربه اي خرج فذلك ان التسمية شرط فيها
ولهذا انما يحل لنا ذبائح اهل الكتاب اذا سمعناهم يذكرون اسم الله عليه ان كانوا ما يذكرون
في الحقيقة غير الله لانهم لا يعرفون الله حقيقة ولكن اذا ذكروا اسم الله عليه يحل لنا ولا يحل ذبائح
اهل الشرك لان اهل الشرك لا يرون الذبائح وانما يذهبون مذهب الزنادقة والزنادقة
لا يرون الذبائح يقولون لنا انكم تقولون ان ربكم رحيم حكيم وليس من الحكمة والرحمة ان يامر احدا
بذبح آخر وقتله فيأكلون الميتة ولا يرون اكل الذبيحة ويقولون ليس هذا امر من كان موصوفا
بالرحمة او بالحكمة لكنا نقول ان كراهة الذبح والنفور عنه نفور طبع وكراهته كراهة طبع
لا كراهة العقل فما يكرهه الطبع وينفر عنه يجوز ان يباح لما يعقب نفعا في العاقبة نحو ما يباح الا
فتصاد والحجامة والتداوي بادوية كريهة لنفع يعقب وما يثاقل ان كان الطبع يكرهه
وينفر عنه وليس هو مما يقبحه العقل انما لا يجوز ان يباح فعل ويؤمر به مما يقبحه العقل ويكرهه
واما كراهة الطبع ونفوره فانه يجوز ان يباح لما ذكرنا ويرتفع ذلك بالعادة فعلى ذلك الذبيحة
كراهته كراهة الطبع لا كراهة العقل ونفوره والثاني ان هذه الاشياء كلها انما خلق لنا وسخر
لمنافعنا لم تخلق لانفسها فاذا كان كذلك يحل لنا ذبحها والتناول منها بامر الذي انشاها لنا
فضاء ويسخر لنا ونعبد وان من مذهبهم ان العالم انما كان بامتزاج النور والظلمة والروح من
النور الى والجسد من الظلمة في الذبح استخراج الروح وردها الى اصله ادمن قولهم انه يرجع
كل الى اصله في العاقبة على ما كان في الاول واما جواب ما قال اهل الشرك اكلتم ما ذبحتم انتم وتركتم
ذبيحة الله وجهان احدهما ما قال اهل التاويل ان الخالق له وله الحكم عليهم فاحل لهم هذا
وحرم عليهم هذا والثاني تعبدنا بذكر اسمه عليها فصار ذبحها وذكر اسم الله اقامة عبادة تعبدنا
بها وفيما لم يذكر لم يكن عبادة لذلك حل لنا ما كان في ذلك اقامة عبادة ولم يحل لنا ما لم يكن فيها
اقامة عبادة والله اعلم وقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هو في الظاهر امر لكن لا امر
الذي يرجع الى شهوات النفس ولذاتها فانه يخرج على وجهين اما ان يخرج على بيان ما يحل او
النهي عما لا يحل فههنا خرج على بيان ما يحل وتحريم ما لا يحل كانه قال كلوا مما ذكر اسم الله عليه
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم هو صلة قوله وما لكم ان
لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي ما لكم ان لا تاكلوا اكذا وقد بين لكم
ما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما اضطررتم اليه لان اهل الشرك والزنادقة
كانوا لا يرون اكل الذبيحة ويأكلون الميتة والدم فلهذا خرج الخطاب ما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه وقد بين لكم ما حرم عليكم وهو الميتة والدم الا ما اضطررتم اليه قال الحسن له
ان يتناول من الميتة حتى يشبع لانه احل له التناول وعلى قولنا لا يحل له الشبع لانه انما احل عند
الاضطرار وهو غير مضطر الى الشبع ويقول الحسن لو ترك التناول منها حتى هلك لا اثم عليه

يتناول لانه انما احل له رخصة ورحمة وليس على من لم يعمل بالرخص اثم ولكن عندنا انها تحل
في حال الاضطرار فاذا ترك التناول منها حتى هلك صار ملقيا نفسه في التهلكة وقد حرم الله علينا
ان نهلك انفسنا او نلقيها في التهلكة بقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا فرق بين ترك التناول
من الميتة وقد احل له التناول منها حتى مات وبين ترك التناول من غيره من الاطعمة المحللة
او باقي باسباب الاتلاف للنفس فهما سواء ويقول ايضا له ان يتناول عند الاضطرار من مال
غيره بلا بدل واذا ابى صاحبه عن ذلك يقض حتى قتل ذلك بلغ ما بلغ فهذا ابعد لا يجوز
ان يتناول [illegible] مال غيره ولا يلزمه البدل واذا نهاه عن ذلك يلزمه البدل لان من كان له حق
التناول من مال آخر بغير بدل ثم اذا ابى او منع يلزمه البدل وذا انه لم يسلط التناول الا
ببدل وقد ذكرنا هذا وقوله وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم وذلك هذا على ان الكل منهم
لم يكونوا يضلون ولكن البعض هم الائمة منهم والرؤساء لان الاتباع منهم كانوا لا يضلون
الناس انما كانوا يضلون الكبراء منهم والعظماء ان ربك هو اعلم بالمعتدين قد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه اختلف فيه قيل وذروا الاثم بظاهر الجوارح وباطنها
ظاهر الجوارح من نحو اليد والرجل واللسان والعين وباطن الجوارح القلوب والضمائر وقيل
ذروا الاثم في ملاء من الخلق وفي الخلاء منهم وقيل ظاهر الاثم ما ذكرنا وباطنه الزنا قال
ابو بكر الكيساني الزنا لا يحتمل ههنا لان الاية في ذكر ما حل من الاطعمة وما لا يحل ولكن يجوز ان
يبتدا النهي عن الزنا وان كان اول الاية في ذكر الاطعمة ويصير قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه
كانه قال وذروا المآثم كلها ما ظهر منها وما بطن وقوله ان الذين يكسبون الاثم سيجزون
بما كانوا يقترفون لا يتركون وما عملوا ولكن يجزون جزاء ما عملوا من الاثم وهو وعيد وقوله يكسبون
الاثم ويمضون عليه ولا يتوبون ولا يقلعون عنه وهو قول ابن عباس وقال بعضهم هو ما اهل
به لغير الله وقلنا نحن هو ما لم يذكر اسم الله عليه لان الله قد صرح بتحريم الميتة بقوله حرمت
عليكم الميتة والدم وصرح بتحريم ما اهل لغير الله به بقوله وما اهل لغير الله به فاذا كان
الميتة وما اهل لغير الله به نصا صريح تحريم في غير هذا الموضع رجع هذا الخطاب الى تحريم ما لم يذكر
اسم الله عليه وكذلك صرح بتحريم الميتة وما اهل لغير الله به بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الاية فقوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما كان لا يحل بعد ذلك الوقت ثم وجد ما لم يذكر اسم الله عليه
محرما في حادث الوقت وكذلك وجد كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير محرما في حادث
الاوقات كان لا يجد في ذلك الوقت محرما الا ما ذكر ثم وجد اشياء محرمة من بعد وقال
بعضهم من اهل التاويل نزل قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حين قالوا اما ما قتلتم وذبحتم
انتم فتاكلونه وما قتل ربكم فتحرمونه وانتم تعظمون ربكم وهو من زخرف القول الذي يوحي
بعضهم الى بعض وما ذكر وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم لكنا نقول ان ما ذبح
وقتل هو ذبيح بالله وقتيل به ايضا لكن اذن لنا باكل بعضها لذبيحه وحرم اكل بعض ولله ان
يفعل ذلك له ان ياذن في اكل بعض وتحريم اكل بعض على ما اذن لنا في اكل بعض ما خلق الله من
الانعام ولم ياذن في اكل بعض فعلى ذلك فما اذن في اكل بعض ما ذبح به وقتل ولم ياذن في
بعض وهو كله ذبيح بالله وقتيل به وله ذلك والثاني ان الخلق كله له ملكه ولا يقال
لاحد في ملكه لم فعلت كذا ولم تفعل وانما يقال ذلك في غير ملكه كشريك يقول لشريكه
لم تعطي حقي ولم تؤثر على نصيبي فاما ان يقول في ملك ذي ملك في ملكه فلا وانما لم ذكرنا

انه تعبدنا بذكر اسم الله عليه فكان في ذكر اسم الله عليه اقامة عبادة لذلك لم يجز هكذا او
قوله وانه لفسق اخبار بتمام بذكر اسم الله عليه فسق كما اخبر ان الدم ولحم الميتة وما
اهل لغير الله به فسق والفسق هو الخروج عن امر الله والذي ترك التسمية عليه خارج عن
امر الله كالميتة التي ذكرنا فان قال قايل ان قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
تكيف يجوز لكم ان تطلقوا اكل الذبيحة اذا ترك ذكر اسم الله عليه ناسيا فيكل الخطاب بهذا
لم يرجع الى الذبيحة التي ترك ذكر اسم الله عليه ناسيا لان الذبائح الحاصل من عمل القصابين
والصبيان ممن لم يتعود والا انهم ذكر اسم الله حتى يواخذون بها على حين لا ذلك بعد هذا
اصلنا ان من لم يتعود نفسه فيلا يغدو دليل تركه وارتكابه في حال السهو والنسيان كالاكل في
شهر رمضان ناسيا لانه عود نفسه الاكل والشرب فالصوم وهو الكف عما اعتاد فقد ينفي
التناول منه والعود الى العادة على السهو لانه يشتد على الناس حفظ السهو على خلاف العادة
لان الله قال وانه لفسق ولا خلاف في ان من نسي ان يسمي الله على ذبيحته فليس بفاسق وانما
يفسق من تركها عامدا فدل ان الخطاب بالاية راجع الى الذبيحة التي تركت التسمية عمدا فان قيل
اليس يجوز ان يكون قوله وانه لفسق يريد به ان الذي ياكلها اذا لم يسم الله عليها عامدا او
ساهيا فاسق وان كان هذا هو المراد قيل ما في الاية على الكل قيل الدليل على قوله وانه لفسق انما
اي ان الاكل من تلك الذبيحة فسق قول الله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه
الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فكان
الاهلال بالذبيحة لغير الله فسقا لمن فعله موجب ان يكون ترك اسم الله على الذبيحة فسقا
ممن تركه وذلك يوجب ان يكون قول الله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه خاصا في
المتعمد لترك التسمية فان قيل كيف لم تجعلوا تارك التسمية ناسيا كتاركها عامدا كما
قلتم في التكبيرة الاولى في الصلاة ان عمده وسهوه سواء قيل من قبل ان الذبيحة اذا
تعمد صاحبها ترك التسمية عليها انما حرمت بنص القرآن لانه فسق فقلنا متى زال الفسق
عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة لان التحريم اذا وقع لعلة فزالت العلة زال التحريم ولم
نقل ان صلاة التارك للتكبيرة الاولى فسدت صلاته لانه فسق بتركها التكبيرة عامدا فلزمنا
ان نفرق بين سهوها وعمدها بل فسدت صلاته لانه صلى بغير تكبير فالتارك للتكبير عامدا
او ساهيا تارك لها سواء وروي في الخبر ما يؤيد ما قلنا روي عن راشد بن سعد قال قال
رسول الله ذبيحة المسلم حلال سمى او لم يسم ما لم يتعمد وعن ابن عباس في رجل ذبح ونسي ان يذكر
اسم الله قال اسم الله في قلب كل مسلم فليأكل وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
ليجادلوكم اهل التاويل من قرانا ويل هذا الى ان زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض
في الاية الاولى هو مجادلتهم في الذبيحة حيث قالوا ما قتلتم بايديكم فكلوه وما قتل الله
فلا تاكلونه فيقول فتلك مجادلتهم اياهم ويكون مجادلون في هذا وخذ اية الله وفي ابات
الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء حيث قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون فاخبر الله انكم ان اطعتم المشركين اي لو اطعتموهم فيما يجادلونكم ويوحون
اليهم انكم لمشركون وقوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن
مثله في الظلمات ليس بخارج منها يشبه ان يكون المثل الذي ضرب الله للمومن والكافر في
الاية ان من كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل شيئا ثم اخرج من ذلك فابصر

وسمع وعقل كمن ترك في تلك الظلمات ولم يخرج منها لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل يقول
والله اعلم لا يستوي من اخرج من ظلمات البطن بعدما كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم
ثم ابصر وسمع وعقل والذي ترك في تلك الظلمات على الحال التي كان كان لا يبصر ولا يسمع
ولا يعقل شيئا وكذلك لا يستوي من المومن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل خير ويعمله وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس بنوره له اصحاب يدعون الناس الى الهدى والخير والكافر الذي لا يبصر
الحق ولا يسمع ولا يعقل فليس له اصحاب يدعونه الى الهدى والخيرات اي ليس هذا كذلك
الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ويجوز ان يكون المثل الذي ضرب
ان يكون المومن والكافر جميعا جنينين في البطن فكل مومن اكتسب ما به يحيا بذا من العلم والقرآن
والايمان والكافر لم يكتسب من ذلك شيئا فهو كالجنين الذي لا يبصر ولا يسمع الحق ولا يعقل و
يحتمل هذا المثل وجها آخر وهو ان المومن يكتسب في الدنيا الخيرات والاعمال الصالحة فيكون
له نور في الاخرة بالاعمال التي اكتسب في الدنيا ويمشي بنوره وذلك فيما بين الناس في الاخرة واما
الكافر فانه لم يكتسب من ذلك شيئا فيبقى في الظلمات كقوله قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا وقوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس والمعتزلة يقولون جعلوا لانفسهم نورا
يمشون به في الناس وقد اخبر انه هو الذي جعل لهم ذلك النور فذلك تحريف منهم لظاهر
القرآن وكذلك قوله وهو على كل شيء قدير وهم يقولون هو قدير على بعض الاشياء وقال خالق
كل شيء وهم يقولون خالق بعض الاشياء وقال ولو شاء الله ما فعلوه وهم يقولون شاء ان لا يفعلوا
ما فعلوا ولكن فعلوا بغير مشيئة الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء فغير
الذي فعلوا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وهم يقولون لم يجعل لكل نبي عدوا وهم جعلوا انفسهم
اعداء وكذلك قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وهم يقولون جعل الاكابر
فيها ليلا يمكروا فيها وقوله كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اختلف فيه قال بعضهم كما زين
للمومنين عبادة الله كذلك زين للكافرين عبادة غير الله لكن شهوتهم تدعوهم الى العبادة الى غير
الله وهو تاويل المعتزلة وقال قايلون زين لهم الاعمال التي يعملونها ثم اختلف في الذي زينها قال
الحسن زينها الشيطان انما لغيرهم وقال غيره زينها الاكابر على الاصاغر وقال قايلون زينها
الله ولكن ما اضيف الى الشيطان من التزيين والاضلال انما يضاف لما يدعوهم ويختارهم على
ذلك ويوحي اليهم وما يضاف الى الاكابر بالقول والدعاء الى ذلك وما يضاف الى الله من التزيين
والاضلال والازاغة وغير ذلك يضاف لخلق اي خلق منهم فعل الضلال وفعل التزيين وفعل
الزيغ يضاف الى الله خلقا والى الشيطان والاكابر دعاء وتحيات القاه على هذا الخرج جميع
الاضافات والله اعلم وقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي جعل في كل قرية من
اهل الكفر اكابر مجرميها وعظماءها كما جعل في قريتك اكابر مجرميها فيصبر رسوله على ذلك ليعلم
انه ليس بمخصوص هو بهذا دون غيره من الانبياء ثم اختلف في قوله جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها وقد ذكرنا اقاويلهم في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقوله جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها قالت المعتزلة لم يجعل الاكابر فيها ليمكروا فيها ولكن لما وسع الدنيا وبسطها
عليهم مكروا فيها وكذلك قالوا في قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لا يجوز ان يخلقهم
لجهنم لانه خلقهم لجهنم وقالوا هو على الاضمار كانه قال كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليلا يمكروا فيها لكنهم مكروا فيها لما ذكرنا لكن قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها

يكون ادعى والطف للحجة لانه لو كان بعث الرسل الى الاكابر لكان الناس يتبعون الاكابر وان لم يأتوا بالحجج وغيرهم
لا يتبعون الا بالحجج والآيات ومنهم من يقطع قوله ليمكروا فيها عن قوله جعلنا في كل قرية اكابر فيكون
معناه وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ثم قال ليمكروا فيها اي ما جعل ذلك لهم ليمكروا
ومنهم من يقول هو اخبار عما اليه صار امرهم كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا انما التقطوه ليكون لهم قرة عين لكنه لما صار في العاقبة
عدوا لهم اخبر عما اليه امره فعلى ذلك قوله ليمكروا فيها اخبر عما اليه صاروا من المكر وعندنا
لا يحتمل هذا لانه لا يقال انه خلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم انهم لا يكونون لما خلقهم
فذلك ليس بفعل حكيم ان يعمل عملا يعلم انه لا يكون منه نحو من يبني بناء يعلم انه لا يسكن او يقصد قصد
موضع يعلم انه لا يصل اليه فهو بالقصد عابث ليس بحكيم فعلى ذلك الله سبحانه لا يجوز ان يخلقهم
للهدى والعبادة مع علمه انهم لا يكونون لما خلقهم وان خلقهم لذلك وهو لا يعلم انهم يكونون
كذلك فهو جهل بالعواقب فالله يتعالى عن ذلك فدل انه خلقهم ليكونوا على ما علم انهم يكونون ويختارون
ذلك وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا كان عند الله انهم يلتقطونه ليكون لهم عدوا وقوله
وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون اي ما يشعرون ان عاقبة مكرهم ترجع اليهم او ان اتفق بعض
واصله ان الله تعالى جعلهم وخلقهم على ما علم منهم انهم يختارون ويكون منهم ذلك وقوله
واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يخبر عز وجل غاية سفههم وتعنتهم وانهم
عن علم يعاندون ويتكبرون على رسول الله لانهم علموا ان ما نزل على رسول الله آية وانه رسول
حيث قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله وعلموا ان الرسالة لا تجعل الا في المعظم عند الله
والمفضل لديه حيث تمنوا انهم لا يؤمنون حتى يؤتون من الآيات مثل ما اوتي رسل الله ولو لم
يكن كذلك لم يكونوا ليتمنون ايتاء ما اوتوا الرسل وعلموا ان هذا القرآن الذي انزل على محمد
آية وحجة وانه من عند الله نزل حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وعلموا
ايضا ان الرسالة لا تجعل الا في عظماء من البشر وكبرائهم حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وعلموا ايضا ان الرسالة لكنهم ظنوا انها انما تجعل في العظماء الذين هم عند
الخلق عظماء فقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته فبينا قصدت اقاويلهم وحجاجهم بما
ذكرنا من اقرارهم بالرسل والآيات وتفضيلهم على غيرهم من البشر ثم قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته
جملة جواب ما قالوا لولا نزل هذا القرآن على كذا ان يقال انكم عرفتم ان الله عالم قادر فهو اعلم
حيث يجعل رسالته ثم اختلف في قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال بعضهم جعل الرسالة في
اوساط الناس اظهر للحجج وابين من جعلها في اكابر الناس وعظمائهم في الدنياوية لان الناس يحولون
على اتباع الاكابر والاعاظم فلو جعلت الرسالة فيهم لكانت الحجج لا تظهر لانهم جبلوا على اتباعهم
واما اوساط الناس في الدنياوية اذا جعلت فيهم الرسالة تظهرت الحجج والبراهين لانهم لم
يجبلوا على اتباع الاوساط من الناس فكان اتباعهم بالحجج والبراهين وقال بعضهم قوله الله اعلم
حيث يجعل رسالاته اي لا يجعل الرسالة فيمن تضيع وليس هو باهل لها ولا موضعها لانه لو
جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة وقوله سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله
اخبر ان من تكبر على رسول الله وعانده يكون له عند الله صغار ومذلة وعذاب شديد بتضييعهم
الذي ضيعوا وقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل سئل رسول الله عن
هذه الآية فقال نور يقذف فيه قالوا وهل لذلك من علامة قال نعم اذا دخل النور في القلب

انشرح وانفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فلو ثبت هذا عن رسول الله
وكان هذا انشراح الصدر للاسلام فنقبله لانا نؤمن على هذا الوصف الا ان يريد به الاعتقاد
واليقين بما ذكرتم اختلف فيه وقيل في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قال بعض اهل التاويل الارادة صفة فعل كل فاعل
يفعل على الاختيار كانه قال فمن يهد الله يشرح صدره للاسلام ومن يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا وقال فريق من المعتزلة منهم جعفر بن حرب والكعبي وهو لانا ويليه فمن يرد الله ان يهديه
اي من قبل هداية الله في الابتداء شرح الله صدره بعد ذلك بخيرات ثوابا لما قبل من الهداية ومن
ترك قبول هداية الله في الابتداء عاقبه الله بضيق صدره عقوبة له في ترك قبول الهداية
والا فقد اراد الله ان يهدي الخلق كلهم وان يشرح صدورهم للاسلام لكنهم لم يهتدوا وقال
فريق منهم فمن يرد الله ان يهديه طريق الجنة في الآخرة شرح صدره في الدنيا للاسلام ومن
يرد الله ان يضله طريق الجنة في الآخرة جعل صدره في الدنيا ضيقا حرجا فيقال لهم كذلك هو كما
تقولون ثم قلتم انه اراد ان يضلهم ثم يقال لهم تقولون انه اراد ان يهدي الخلق كلهم ويشرح
صدورهم للاسلام ثم تقولون انه اراد ان يضل طريق الجنة في الآخرة فهذا اعظم جور لانه اراد
في الدنيا ان يهديهم ويريد في الآخرة ايضا لهم ان يضلهم عن طريق الجنة لا دينك يعينهم فهذا
جور على قولكم وظاهر الآية يرد قولهم وينقض عليهم مذهبهم لانه قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره كذا جعلهم على صنفين صنفا اراد منهم ان يهديهم
وصنفا اراد ان يضلهم من علم منه انه يختار الهدى ويقبله اراد ان يهديه ويشرح صدره
للاسلام ومن علم منه انه يختار الضلال اراد ان يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا ولا يجوز ان
يريد هو ممن يعلم منه انه يختار الضلال وعداوته الولاية منه لان ذلك من الضعيف من
اراد عداوته وهو يريد ولايته او يريد منه غير الذي علم كونه منه واختياره والمعتزلة يقولون
قد اراد ان يهدي الكل لكنهم ارادوا ان لا يهتدوا فلم يهتدوا وغلبت ارادتهم ارادة الله
تعالى فذلك وحش من القول نعوذ بالله من الزيغ في القول والزيغ عن الحق ولا قوة الا بالله
وقوله ضيقا حرجا قيل الحرج ضيق الضيق وهو شدة الضيق وصف قلب المؤمن بالسعة والفسحة
ووصف قلب الكافر بالضيق والحرج وليس قلب هذا اوسع في العين او اوسع من قلب الآخر لكنه
والله اعلم وصف قلب المؤمن بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة والكافر لم ينتفع بقلبه
فوصفه بالضيق والحرج وهو كما وصف الكافر بالصمم والبكم والخرس لما لم ينتفع بجوارحه
فوصفهم بالضيق لفقد منافع الحواس وكذلك سماه ميتا لما لم ينتفع بحياته وسمى المؤمن حيا لما
انتفع بحياته فعلى ذلك هذا وصف الكافر بضيق الصدر لما لم ينتفع به وقوله كانما يصعد
في السماء قيل كالمتكلف للصعود الى السماء لا يقدر عليه وقيل كانما يصعد في السماء كما
يشق عليه الصعود وروي عن عمر انه قال ما تصعدني شيء ما تصعدني الخطبة اي ما شق علي شيء
ما شق علي الخطبة وقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اختلف في الرجس قيل
الرجس الاثم اي كما جعل قلوبهم ضيقة حرجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الاثم وقيل الرجس اللعن
والغضب اي جعل في قلوبهم اللعن والغضب ودليله قوله قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
وقوله وهذا صراط ربك مستقيما لم يخبر لهذا الدين لكن يحتمل قوله هذا الاسلام الذي سبق

ذكره انه يشرح به صدر المومن وحتمل قوله هذا صراط ربك مستقيما اي الذي يدعى اليه الخلق
وهو التوحيد و **قوله** قد فصلنا الايات اي بيناها وهي دلايل التوحيد وحججه و قد ذكرنا لقوم
يذكرون اي لقوم يتعظون بالمواعظ وحتمل لقوم يتقبلون الدلايل والحجج ولا يكابرون و **قوله**
لهم دار السلام عند ربهم يحتمل السلام اسما لجنة لهم الجنة كقوله والله يدعوا الي دار السلام
وحتمل السلام هو اسم الله اي لهم دار الله كقوله فالله اولي بهما وحتمل قوله وهو وليهم اي
حافظهم وناصرهم وقد ذكرنا فيما تقدم يصّعّد و يصاعد و يصعد كله لغات والمعني
واحد والضيق قال الكسائي الضيق من الضيق في المعاش فاما في الامر فانه الضيق ومنه
قوله ولا تك في ضيق مما يمكرون وقد اما قوله حرجا فيه لغتان حرجا وحرِجا قال ابن قتيبة الحرج الذي
ضاق فلم يجد منفذا وقال ابو عوسجة الحرج الضيق يقال منه حرج يحرج حرجا فهو حرج و
قوله ويوم نحشرهم جميعا يعني من تقدم ذكره من الجن والانس او نحشر الاولين والاخرين
يا معشر الجن هو على الاضمار كانه قال يوم نحشرهم جميعا الجن والانس ثم نقول لهم يا معشر
الجن قد استكثرتم من الانس كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى اي يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الي الله زلفى لكذلك هذا هو على الاضمار و **قوله** قد استكثرتم من الانس قال اهل
التاويل في قوله قد استكثرتم اي قد اضللتم كثيرا من الانس وهم قد استكثروا من الاتباع من
الانس في عبادة غير الله وفي مخالفة امر الله وتوحيده او قد استكثرتم عبادا من الانس وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اختلف فيه قال بعضهم تعاون بعضنا ببعض
في معصية الله ومخالفة امره وهو لا بالدعاء واولئك بالاجابة وقال قايلون ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع بعضنا ببعض بانواع المنافع ما ذكر في بعض القصة ان الرجل من الانس اذا سافر
فادركه المسا بارض القفر خاف فيقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيامن في
ذلك بالتعوذ اي بسيدهم فذلك استمتاع الانس بالجن فذلك قوله وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن الاية واما استمتاع الجن بالانس ما يزداد لهم الذكر والشرف في قومهم
يقولون لقد سودنا الانس ويحتمل استمتاع الجن بالانس ما ذكر ان ثبت انه جعل طعامهم العظام
التي يستعملها الانس ويكون ذلك غذا لهم وعلف دوابهم ارواث دواب الانس وقال
الحسن ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا ان الجن امرت الانس فعملت ذكر جواب الانس لهم
ولم يذكر جواب الجن لهم و **قوله** وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قبل الموت وقبل البعث يوم القيمة
لانهم كانوا ينكرون البعث فاقروا عند ذلك بانا قد بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وكنا كذبناه اقروا بما
كانوا ينكرون وقال الله النار مثويكم اي مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلف فيه قال الحسن
الا ما شاء الله وقد شاء ان يخلدهم في النار وقال غيره الاستثنا من وقت بعثهم الي وقت الخلود
وهو وقت الحساب ووقت الحساب هو وقت استثنا خالدين فيها الا ما شاء الله ما داموا في الحساب
وقيل الاستثناء للمومنين الذين اتبعوهم في فعل المعاصي والجرم ولم يتبعوهم في الاعتقاد وفيه
دليل ادخال المومنين النار بالمعاصي والعقوبة لهم بقدر معصيتهم وفيه دليل اخراجهم منها ان
ثبت و **قوله** الا ما شاء الله يحتمل وجوها ثلاثة احدها ان خلود الاخرة اكثر من خلود الدنيا
لان خلود الدنيا على الانقضاء وخلود الاخرة لا يبقي على الانقضاء والثاني وقع الاستثنا قبل
حلودهم في النار والثالث لمن لم يتبعهم في الكفر و **قوله** ان ربك حكيم عليم اي حكيم ما حكم
ووضع كل شي موضعه عليم بذلك و **قوله** وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

الاية تنقض على المعتزلة قولهم ان الولاية انما تكون بالفعل ثم اضاف الولاية الي نفسه دل
انه من الله في ذلك صنع وهو ان خلق سبب الولاية منهم ثم ذكر ان المومنين بعضهم اوليا بعض
بقوله والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض وذكر ان الكافرين بعضهم اوليا بعض بقوله
لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض و **قوله** يا معشر الجن والانس الم
يأتكم رسل منكم اختلف فيه قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كانت الرسل من الانس لكنه اضاف الي
الفريقين جميعا كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من احدهما وكقوله وجعل القمر
فيهن نورا وانما جعل في واحدة منهن وكقول النابغي سبع قبايل منجد واحد وانما يكون
في واحد منها وقد يضاف الشي الي جماعة والمراد منه واحد فيقول ذلك ما ذكر من اضافة الرسل
الي الانس والجن وقال بعضهم كان من الفريقين جميعا الرسل من الجن جني ومن الانس انسي
لان الجن يستنفرون من الانس وانما يرسل الي الانس رسلا يطيقون ولهم نبث الي كل نوع رسول
من جوهرهم وقال بعضهم كان الرسل من الانس الي الفريقين جميعا وكان من الجن نذير كقوله
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية ذكر النذر منهم ولم يذكر الرسل ومرتبة النذر دون مرتبة
الرسل كمرتبة الانبيا من الرسل ولكن يجوزان يقربا الرسل وان كانوا من الانس على الاظهار لهم لكن
فيما لا يستترون عنهم منع بعث الرسل اليهم من الانس وليس بنا الي معرفة هذا حاجة انما الحاجة
الي معرفة الايات والحجج التي باتيا الرسل وقد عجز الخلايق جميعا عن اتيان مثل هذا القرآن كقوله
قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فقد عجز الجن والانس عن
ان ياتوا بمثل هذا القرآن وان كان الجن اقوى على اشياء من الانس فدل انه اية وقد دل عجز الجن
عن ذلك وان كانوا اقوى على ان عجزهم اعجز الاخري انه انزل هذا القرآن على لسان العرب ثم
عجزوا عن اتيان مثل فدل عجزهم عن ذلك على انه لمعجز له المعجز وجايز ان يكون الرسل وان
كانوا من الانس فان الجن يستمعون من الرسل فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ الي قومهم
من غير ان يعلم الرسل بذلك والله اعلم و **قوله** يقصون عليكم اياتي يحتمل يتلون عليكم اياتي
ويحتمل يقصون عليكم اياتي يبينون لكم اياتي ايات الوحدانية والالوهية وايات البعث الذي
تنكرون وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقا يومكم الذي تلقون ودل قوله وينذرونكم لقاء يومكم
هذا على ان ذلك انما يقال لهم في الاخرة قالوا شهدنا على انفسنا هذا منهم اقرار لما كان منهم
من التكذيب كقوله فاعترفوا بذنبهم اي شهدنا على انفسنا بانا كذبنا الرسل في الدنيا بما قالوا
واخبروا و **قوله** وغرتهم الحياة الدنيا ان للدنيا معنيين ظاهر وباطن فيكون للظاهر عروش
من كان نظره الي الظاهر يغتر وأما باطن ومن نظر الي ذلك الباطن يعظه اما ظاهرها من
تزيينها وزخرفها فانكان من نظر الي ظاهرها فاغتر بها واما باطنها فهو انتقالها من حال الي حال
وزوالها وفناؤها فمن نظر الي ذلك اتعظ به ويعلم معناها ويعرف انه لم يخلق لهذه
ولكن لعاقبة تتأمل ثم اضافة الغرور اليها انه يكون منها مما لو كان ذلك من ذي عقل وذهن
كان ذلك غرورا و **قوله** وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذا اعتراف بما كان منهم وقوله
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يحتمل قوله ذلك ما تقدم من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم
من الانس و **قوله** يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء
يومكم هذا ونحوها من الايات التي ذكر فيها العتاب ويحتمل ذلك اشارة الي الهلاك الذي كان
بالامم الخالية ان لم يكن ليهلك القرى بظلم ظلموا انفسهم اهلاك تعذيب واستيصال

الا قبل تقدم والوعيد لهم في ذلك او سوال الكان منهم بالعذاب ولا يهلك ايضا وهم غافلون
عن الظلم والعصيان لانه لا يسع ولكن يبعث اليهم الرسل لانه تقدم ما ذكرنا لئلا يحتجوا
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين وان لم يكن لهم الاحتجاج بذلك
لما مكن لهم وركب فيهم ما يعرفون ان الله لم يخلقهم ليتركهم سدى ولكن خلقهم لعاقبة لكن سنته قد
مضت في الامم الماضية انه لا يهلك قوما اهلاك تعذيب واستيصال الا بعد ما سبق منه
وعيد وانذار والعلم لهم بالظلم وظهور العناد منهم والمكابرة والسوال بالعذاب سوال
تعنت وذلك منه تفضل ورحمة لانه لا يسع ذلك وقوله ولكل درجات مما عملوا استدل بعض
الناس بظاهر هذه الاية ان الجن لهم ثواب بالطاعات وعقاب بالمعاصي لانه اخبر ان لكل
درجات مما عملوا وانما تقدم ذكر الفريقين جميعا بقوله فيما قبل الانس والجن وقوله ويوم يحشرهم
وقوله يا معشر الجن والانس ذكر ما كان من الفريقين جميعا من المعاصي والجرم فيلي ذلك قوله ولكل
درجات راجع الى الفريقين جميعا لكل درجات منهم ان عملوا خيرا فخير وشرا فشر قال ابو يوسف
ومحمد رحمهما الله واحتجوا لابي حنيفة رحمه الله ان قوله ولكل درجات انما ذكر على اثر ايات كان
الخطاب بها للكفرة دون المومنين فيلي ذلك قوله ولكل درجات مما عملوا يكون لهم هذا الوعيد
خاصة ويكون قوله ولكل درجات اي دركات ومنازل من العذاب والعقاب مما عملوا من
المعاصي والتكذيب للرسل لان الثواب لا يوجبه لهم فضل ومنة والعذاب يوجبه الحكمة
لان في الحكمة ان يعاقب من عصاه وخالف امره واما الثواب فوجوبه الفضل لانه كان من الله
الى الخلق من النعم والاحسان ما لو جهدوا كل جهدهم ما قدروا على ان يؤدوا شكر واحد من ذلك
فيكون طاعتهم شكرا لما انعم عليهم فاذا كان كذلك لا يكون لاعمالهم ثوابا الا بابتداء من الله
كالابتداء بالنعم ان لهم ثوابا وقوله وما ربك بغافل عما يعملون يحتمل وجهين وما ربك بغافل
عن اعمالهم التي يعملونها في معصية الله ولكن يوخر تعذيبهم رحمة منه وهو كقوله ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم الاية والثاني عن علم باعمالهم وسنيهم خلقهم لا عن جهل
لكن خلقهم على علم بذلك لما ان نفعها لهم ومنافعها ترجع اليهم لا اليه وقوله وربك الغني ذو
الرحمة هذا ايضا على المعتزلة في مذهبهم لانهم يقولون انه انما خلق الخلائق لمنافع نفسه لانه ليس
بحكيم من فعل فعلا لا يقصد منفعة نفسه فاخبر عز وجل انه غني بذاته وانما يقصد قصد المنفعة
بفعله لحاجة تقع له او ضرورة تصيبه يقصد بالفعل قصد قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن
نفسه فاما الله سبحانه هو الغني بذاته انما خلق الخلائق لمنافع انفسهم وهو غني عن خلقه
على ما اخبر وقوله وربك الغني يحتمل غني عن تعذيب اولئك الكفرة اي لا لمنفعة له في
تعذيبهم فيدل بفعلهم او لحاجة له ولكن الحكمة توجب ذلك او ان يكون صلة قوله يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم يقول لم يرسل اليكم ولا امتحنكم بالذي امتحنكم لحاجة نفسه او لمنفعة
له اذ هو غني بذاته وقوله ذو الرحمة يحتمل وجهين يحتمل ذو الرحمة فلا يعجل عليهم بالعقوبة
والثاني ذو الرحمة لما خلق الخلائق وجعل لبعض ببعض الانتفاع بعضه والاستمتاع وانما خلقهم
لمنافع انفسهم ويحتمل قوله ذو الرحمة من قبل رحمته وصار اهلا لها فاما من لم يقبل رحمته
فانه ذو انتقام منه وقوله ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء لانه غني بذاته لم
يخلقكم لمنافع نفسه او لحاجته اذ لو شاء اذهبكم واستخلف غيركم ولو كان خلقه الخلق لمنافع نفسه
لكان لا يذهب بهم ويستخلف من بعدهم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم آخرين يخبر عن غناه

عنهم وعن سلطانه وقدرته انه يقدر على اهلاككم واستخلافكم وانشا قوم آخرين كانه
خلق الخلائق من جواهر مختلفة لا بالتوالد لانه بين الاحياء التوالد والتناسل ويستخلف بعضهم
ببعض بالتوالد والتناسل وقوله انما توعدون لات من الوعد والوعيد او ان يكون قوله
انما توعدون لات من النصر لرسوله والمعونة له لات وكاين وما انتم بمعجزين قيل بفائتين ربكم
وقيل وما انتم بفائتين الله باعمالكم الخبيثة حتى لا يجزيكم الله بها وقيل وما انتم بمعجزين اي
لا تعجزون ربكم عن تعذيبكم وعقوبتكم وقوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قيل على جديلتكم وقيل
على منازلكم وجهتكم ولكن تاويله والله اعلم اعملوا على مكانتكم اي على ما انتم عليه ثم يحتمل هذا وجوها
يحتمل اعملوا على مكانتكم اي على ما انتم عليه من امر الدين اني عامل على ما انا عليه من امر الدين كقوله
لكم دينكم ولي دين ويحتمل ان يكون ان هموا ان يمكروا برسول الله فقال امكروا بي اني ماكر بكم
كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ويحتمل
ان يكونوا يطلبون الدوائر والهلاك على رسول الله ويكيدونه كقوله فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون وهذه الكلمة تستعمل في انها المكابرة نهايتها ووجوه المعاندة غايتها بعد الفراغ من الحجج والايات
كقوله لكم دينكم ولي دين وقوله فسوف تعلمون يحتمل قوله فسوف تعلمون من تكون له العاقبة ويحتمل
فسوف تعلمون بالهلاك من كان محقا بالوعيد او سوف تعلمون من المحق منا مما اوعد وخوف وقوله
انه لا يفلح الظالمون يحتمل لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم ويحتمل ان يكون ذلك في قوم مخصوصين
ويحتمل في الاخرة لا يفلح الظالمون وقوله وجعلوا لله الاية يخبر عز وجل عن سفههم من وجوه
احدها انهم كانوا يجعلون لله نصيبا مما كان لله ذلك في الحقيقة مع علمهم ان الله هو الذي انشاهم
تلك الاشياء ومن ذرءها ثم يجعلون لله في ذلك نصيبا فسفههم انهم اذا علموا ان الله هو
الذي ذرأ لهم تلك الاشياء وانشاءها لهم فان الاختيار في جعل ذلك لا اليهم اذا علموا انهم
انما يملكون بجعل الله لهم وغنوا لما لكن علينا حقيقة والثاني ما يبين سفههم ايضا انهم
يجعلون لله في ذلك نصيبا وللاصنام نصيبا من الثمار والحروث وغيرها ثم اذا وقع شيء مما
جعلوا لله شيئا وخالط مما جعلوه لشركائهم تركوه واذا اختلط شيء مما جعلوا لشركائهم
ووقع فيما جعلوه لله اخذوه وردوه على شركائهم وانتفعوا به وتركوا الاخر للاصنام ايثارا
للاصنام عليه واعظاما لها او اذا زكى نصيب الاصنام ونما ولم يزك نصيب الله ولم ينموا
تركوا ذلك للاصنام ويقولون لو شاء الله لازكى نصيبه واذا زكى الذي كانوا يجعلون لله ولا
يزكو نصيب الاصنام اخذوا نصيب الله فقسموه بين المساكين وبين الاصنام
نصفين فسفههم عز وجل في صنيعهم الذي يصنعون ويبين عن جورهم بايثارهم الاصنام
واعظامهم اياها والتفضيل في القسمة والتجزئة مع علمهم ان الله هو الذي ذرأ ذلك
وانشأه لهم وان الاصنام التي اشركوها في امور العبادة لا يملكون من ذلك شيئا
ثم تكذيبهم سفه وجور حيث اشركوا في امور العبادة مع الله احدا لا يستحق بذلك
شيئا ومثل ما جعلوا لله البنات وهم كانوا يانفون عن البنات كقوله واذا بشر احدهم بالانثى
الاية فقال ام له البنات ولكم البنون وقال تلك اذا قسمة ضيزى تانفون انتم عن البنات
وتضيفون اليه فهذا جور وظلم فسفههم في ذلك تفضيل الاصنام في القسمة وايثارهم اياها
على الله واشراكهم مع الله مع علمهم انه كان جميع ذلك بالله وهو انشا لهم جورهم وسفههم ثم اخبر
انهم ساء ما يحكمون اي بئس الحكم حكمهم وقوله وكذلك زين لكثير من المشركين اي كما زين لهم

جعل النصيب للاصنام والتجزية لها وصرف ما خلق الله لهم عنه الى الاصنام كذلك زين
لهم قتل اولادهم وكما زين لهم تحريم ما احل الله لهم من السائبة والوصيلة والحامي كذلك
زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم واصله ان الشفقة التي جعل الله في الخلق للاولاد والرحمة
التي جبلت طباعهم عليها تمنعهم عن قتلهم وخاصة اولادهم الضعفاء والصغار وكذلك
الشهوة التي طبع فيهم تمنعهم عن تحريم ما احل الله لهم لكن ذلك زين لهم شركاؤهم وحسنوا عليهم
تحريم ما احل لهم وقتل اولادهم فاستحسن عليهم الشركاء وزين لهم من تحريم ما احل لهم وقتل اولادهم
غلب على الشفقة التي جعلت فيهم والشهوة التي خلق ومكن فيهم ثم اختلف في الشركاء قال
بعضهم شركاؤهم شياطينهم التي تدعوهم الى ذلك وقيل شركاؤهم كبراؤهم ورؤساؤهم
الذين يستتبعونهم ثم يحتمل قتل الكبراء اولادهم تكبرا منهم وتجبرا لانهم كانوا يانفون عن
اولادهم الاناث وقتل الاتباع مخافة العيلة والفقر وقوله ليردوهم قيل ليهلكوهم
لانهم كانوا يقصدون في التزيين والتحسين الارداء والاهلاك وان كانوا ارادوا في ذلك
الشفقة وكذلك كانوا يقصدون بالتزيين تلبيس الدين عليهم وقوله ولو شاء الله ما فعلوه
يحتمل وجوها قال بعضهم لو شاء الله لاهلكهم قبل ان يفعلوا ذلك وقيل لاعجزهم ومنعهم عن
ذلك كقوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم وقيل ولو شاء الله ما فعلوه اي لو اراد منهم فعلهم
حين فعلوا واصله انه اذا علم منهم انهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين
والتلبيس الذي عليهم شاء ما فعلوا واختاروا وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله فذرهم وما
يفترون اي ذرهم ولا تكافهم بافترائهم على الله ويحتمل ذرهم وما يفترون وان الله يكافيهم
ولا يفوتون ويحتمل ذرهم وما يفترون فان ضرر ذلك الافتراء عليهم ليس علينا ولا عليك والله
اعلم بذلك وقوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قيل هذه
الاية صلة قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا هذا الذي جعلوا للشركاء هو الحجر الذي ذكر في هذه الاية لانهم كانوا لا يستنفعون
بذلك ويحرمونه وهو حجر واصل الحجر المنع وعن ابن عباس قال الحجر ما حرموا من اشياء من
الوصيلة والسائبة والحامي وتحريمهم ما حرموا من اشياء كانوا يحلونه اشياء حرمها الله
ويحرمون اشياء احلها الله في الجاهلية من الحرث والانعام وفي حرف ابي وابن عباس حرج
على تاخير الجيم وتقديم الراء وعن الحسن حجر بنصب الحاء واصل الحجر المنع ممنوع محجور
يقال حجرت عليه اي منعته والحجر ايضا موضع بمكة والاحجار والاستيثار وهو ان
تاخذ الشيء ولا تعطي احدا منه شيئا وقوله لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال بعضهم قوله
الا من نشاء يعني لا يطعمها الا من يشاء الله بزعمهم لانهم كانوا يحرمون اشياء ويأتون اشياء
فواحش فيقولون ان الله امرهم بذلك كقوله في الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها وقال بعضهم قوله الا من نشاء بزعمهم يعني الذين سنوا لهم اي
لا يطعمها الا من نشاء اولئك الذين سنوا لهم ذلك وحرموا ذلك على نسائهم على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان شئت قد ذكرت لكم اول من بدل دين اسمعيل ونحر
البحيرة والسائبة فعلى ذلك اضافوا المشيئة الى اولئك الذين سنوا لهم ذلك وحرموا
على اناثهم واحلوا الذكور منهم وقال بعضهم قوله الا من نشاء هم الاولاد الرجال كانت مضافة
الى الرجال دون النساء وفي ذلك تسفيه احلامهم لانهم كانوا ينكرون الرسالة لمكان

ما يحرمون من الطيبات ثم يتبعون الذي حرم عليهم الطيبات التي احلها الله لهم لانهم يكونون
اتبع للشيطان من البحيرة والسائبة ونحوهما وقوله وانعام حرمت ظهورها هو ما ذكر من البحيرة
والسائبة والوصيلة والحامي وهو الحجر الذي ذكر في هذه الاية يجعلون تلك الاشياء لشركائهم
لا ينتفعون بها وقوله وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه بوجوه قيل لا يذكرون اسم الله عليها
اي لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ليشكروا الله عليها وقيل لا يذكرون اسم الله عليها اي لا يذبحون بلا
كل ولا يذكرون اسم الله عليها ويحتمل لا يذكرون اسم الله عليها وقت الركوب كما يذكر اسم الله عليها وقت
الركوب وهو قوله سبحان الذي سخر لنا هذا الاية لانهم كانوا لا يركبونها ولكن يسيبونها وقيل
لا يحجون عليها والاول كانه اقرب كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها وقوله
افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ان الله امرهم بذلك وهو حرم عليهم وهو احل لهم لكنهم
للافتراء على الله او بما اشركوا شركاءهم في عبادة الله وفي نعمه وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قيل موصلة قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر يحرمون على
النساء ويحلون للرجال يعني اذا ولدوا احياء كانوا ينتفعوا بذلك رجالهم دون نسائهم واذا ولدوا
ميتا اشتركوا فيه الاناث والذكور يذكر في هذا كله سفه اولئك في صنيعهم ويذكر في قوله وهو
الذي انشأ جنات اي اخرج منته ونعمه التي انعم عليهم وقوله سيجزيهم وصفهم اي افتراءهم على
الله وتحريمهم ما احل الله لهم وتحليلهم ما حرم عليهم وقوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها
بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء اجرا لهم قد خسروا بقتلهم الاولاد وتحريم ما احل لهم ورزقهم
قد ضلوا وما كانوا مهتدين وما تبعوا الهداية والرشاد وقوله وهو الذي انشأ جنات معروشات
وغير معروشات ذكر هذا والله اعلم مقابل قوله ما كان منهم من تحريم ما احل الله لهم ورزقهم من
الحرث والزرع والانعام والانتفاع بها فقال انشأ جنات ونباتا تبين من تامل فيها وتفكر عرف
ان منشيها ما لك حكيم مدبر لانه ينبتها ويخرجها من الارض في لحظة ما لو اجتمع الخلائق على تقديرها
ان كيف خرج وكم خرج واي قدر نبت ما قدروا على ذلك كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون ويخرج
من الفرد والثمار في ميزان واحد ما لو جهد واكل الجهد ان يعرفوا الفضل والتفاوت بين الاولى
والثاني ما قدروا او ما وجدوا فيها تفاوتا ويخرج ايضا كل عام من الثمار والاوراق ما يشبه
العام الاول فيدل ذلك كله ان منشيها ومحدثها ما لك حكيم وضع كل شيء موضعه وان ما انشأ انشأه
لحكمة وتدبير فلم ينشئها عبثا فله الحكم والتدبير في الحل والحرمة والقسمة ليس لاحد دونه
حكم ولا له تبين في التحريم والتحليل هذا حرام وهذا حلال وهذا لهذا وهذا لهذا فذلك
الى ما كلها يخرج هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم وقوله هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله وانعام حرمت ظهورها وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه وغير ذلك من الايات التي كان فيها ذكر حكمهم على الله واشراك
انفسهم في حكمه ثم اختلف في قوله معروشات وغير معروشات قيل معروشات مبسوطات
ما ينبت منبسطا على وجه الارض وغير معروشات ما يقوم على ساقه لا ينبسط على الارض
وقيل معروشات ما يتخذ له العريش من نحو الكرم والقرع وغيره وغير معروشات
ما لا يقع الحاجة الى العريش من نحو النخل والاشجار المثمرة وما واحد وقيل على القلب معروشات
ما يقوم على ساقه وغير معروشات ما لا ساق له والله اعلم وتعريشه ما ذكر على اثره والنخل
والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه منها ما يكون متشابها

في اللون مختلفا في الاكل والطعم ومنها ما يكون مختلفا في اللون والمنظر متشابها في الطعم والاكل ليعلموا ان منشئهما واحد وانه حكيم انشاها على حكمة وانه مدبر انشاها عن تدبير لم ينشئها عبثا ومن الناس من يقول ان قوله متشابها في الذي ذكر وهو الرمان والزيتون لان ورقهما متشابه والثمرة مختلفة ومنهم من يقول فيهما وفي غيرهما والله اعلم وقوله كلوا من ثمره اذا اثمر كانه قال كلوا من ثمره اذا اثمر ولا تحرموا خرج على مقابلة ما كان منهم من التحريم اي كلوا منها ولا تحرموا لبعض دون بعض وقوله واتوا حقه يوم حصاده ذكر عز وجل الايتاء مما يحصد بعد ذكر النخل والزرع والزيتون والرمان حبا وغير حب وما يقع في الكيل وما لا يقع مجملا عاما لم يفصل بين قليله وكثيره ففيه دلالة وجوب الصدقة والعشر في قليل ما يخرج الارض وكثيره وكذلك قوله في سورة البقرة ومما اخرجنا لكم من الارض وحديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في كل ما اخرجت الارض العشر او نصف العشر وحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كتب الى اهل اليمن بذلك وما روي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كل ما اخرجت الارض قليله وكثيره العشر وخبر معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فامرني ان اخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وامرني ان اخذ من كل اربعين مسنة ومن كل ثلاثين تبيعا ومن كل ما سقت السماء العشر وما سقي بالدوالي نصف العشر الى هذا كله يذهب ابو حنيفة رحمه الله ويوجب الصدقة في قليل الخارج من الارض وكثيره ثم اختلف اهل التاويل في تاويل الحق الذي ذكره الله في قوله واتوا حقه يوم حصاده قال قوم هي صدقة سوى الزكاة واحتجوا بان الاية مكية وان الزكاة فرضت بالمدينة وهي منسوخة باية الزكاة وقال قوم هي الزكاة فان نسخ انما نسخ تقديرها لم ينسخ الحق لانما لا لفقراء كانوا يتصدقون بالكل فان نسخ انما ينسخ باية الزكاة قدرها الاترى انه قال في اية اخرى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والاسراف في اللغة هو المجاوزة عن الحد الذي حد له كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقيل في قوله ولا تسرفوا اي لا تمنعوا الكل ولكن كلوا بعضه واتوا حقه من بعضه وقيل الاسراف ههنا هو الشرك كانه قال ولا تشركوا الهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والانعام فتحرمونه ولا تنتفعون به والاسراف هو الذي لا ينتفع به احد وما كانوا احلوا لشركائهم لا ينتفعون به هم ولا ينتفع به احد يكون مقابل قوله هذه انعام وحرث حجر الاية واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله يذهبان الى ما روي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمسة اواق صدقة وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة في الزرع ولا في الكرم ولا في النخل الا ما بلغ خمسة اوساق وذلك مائة فرق وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو وابي هريرة عن النبي مثله وما روي موسى بن طلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في الخضروات صدقة وعن عمر مثله وعن علي مثله وكذلك روي عن جماعة السلف انه لا صدقة الا في الحنطة والشعير والحبوب وقال ابو حنيفة رحمة الله عليه معنى ذلك كله لا صدقة توخذ الا فيما بلغ كذا وليس في الخضروات صدقة توخذ واما عليه في نفسه صدقة يؤديها هو فان كان ذلك الحق الذي ذكر في الاية الزكاة فان الاية تدل والله اعلم على ان زكاة الحب والثمار انما تجب فيما بين الجنات المعروشات وغير المعروشات ثم خرج ذلك والله اعلم العنب وغير العنب والثمار كلها وقال والزرع والنخل والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه بجميع ما يخرج الارض

من كل الاصناف التي سبق ذكرها وقال كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده فجعل الحق الواجب فيه يوم يحصد فيجوز ان يكون غنيا عما قبل ذلك فان كان ذلك هذا هو التاويل فهو والله اعلم معنى قوله ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر عفوا عن صدقة ما يوكل منه ما كان في ذلك فايدة لان الثمر يوكل ولا يضيع لغير ذلك الا للوجه الذي ذكرنا ومن الفقر كانوا يحرمون ولا ينتفعون بها فقال عز وجل كلوا وانتفعوا به ولا تضيعوه واذا كان قوله كلوا من ثمره عفوا عن صدقة ما يوكل منه ظهرت فايدة الكلام وهو على هذا التاويل والله اعلم ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث فالربع وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في العرايا صدقة وعن عمر بن الخطاب انه كان يبعث ابا حثمة خارصا للنخل ويقول له اذا وجدت اهل بيت في حايطهم فلا تخرص ما ياكلون وعن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خففوا على الناس في الخرص فان في المال العرية والوصية ولذلك دليل على انه لا صدقة فيما يوكل من الرطب اذا لم يكن فيما ياكلون اسراف وقدر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الثلث او الربع وذلك والله اعلم فيشبه ما دلت عليه الاية على تاويل من جعل الحق زكاة لان الله قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين فاحتمل ان يكون ايضا بمعنى ذلك ولا تسرفوا في الاكل فيجحف ذلك باهل الصدقة ويحتمل ان يكون ذلك نفيا عن الاسراف في جميع الاشياء على ما ذكرنا من قبل واذا صح ان لا صدقة فيما يوكل من الرطب والعنب والثمار بهذه الاخبار وان الصدقة انما تجب فيما يلحقه الحصاد بما يمكن ادخاره فالواجب ان لا يكون في شي من الخضر الذي يوكل رطبه صدقة وان لا يكون الصدقة واجبة الا فيما ييبس منها ويمكن ان يدخر فاما البقول والرطاب والبطيخ والقثاء والخيار والتفاح واشباهها فلا صدقة فيها هذه الجملة تدل لابي يوسف ومحمد الا انا لا نعلم خلافا انه فيما يباع من الرطب صدقة وان كان يوكل كهيئته فهذا يفسد ما احتججنا به لابي يوسف ومحمد ومن وافقهما وتاويل ما روي ان لا صدقة في الخضروات وليس في اقل من خمسة اوسق صدقة توخذ اما عليه في نفسه ان يوديها والله اعلم وجايز ان يكون قوله واتوا حقه يوم حصاده على اديكم خاصة في ذلك لو قال قايل واتوا حقه ولا تصرفوا الى الاصنام التي تصرفون اليها والله اعلم وقوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله هو صلة قوله انشا جنات معروشات وغير معروشات الى اخر ما ذكر وانشا ايضا من الانعام حمولة وفرشا ثم اختلف فيه قال بعضهم الحمولة ما تحمل عليها انشاها للحمل والفرش الصغار منها التي لا تحمل وقيل الحمولة من الابل والبقر والبغال وغيرها من الدواب والفرش هو الغنم والمعز التي توكل وانشاها للحم وتحمل الفرش ما يوخذ من الانعام ويتخذ منه الفرش والبسط وقال الحسن الحمولة ما تحمل عليها وهو خاص والفرش كل شي من انواع المال من الحيوان وغيره يقال افرشه الله له اي جعله له وقال ابن عباس الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل شي يحمل عليه واما الفرش فالغنم وعن ابن عمر قال الحمولة الابل والفرش البقر والغنم قال ابو عوسجة الحمولة ما كبر ليركب والفرش ما يكون للنتاج وقال القتبي الحمولة كبار الابل التي تحمل عليها والفرش صغارها التي لم تدرك ان تحمل عليها وهي ما دون الحقاق والحقاق هي التي تصلح ان تركب اي حق ذلك وقوله كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فوجهه كلوا مما رزقكم الله واجعلوا شكر ذلك اليه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احل الله لكم وجعل ذلك لكم رزقا كقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم

وهذه الشركا فيا وقوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشا بزعمهم وانعام حرمت
ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها وقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا يقول كلوا ما رزقكم الله وكذلك قوله كلوا من ثمره اذا اثمر وانتفعوا به ولا
تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ذلك على انفسكم واعرفوا النعمة التي انعمها عليكم ووجهوا شكر نعمه
اليه ولا توجهوها الى غيره ثم قوله خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل اعمال الشيطان
وقيل دعاء الشيطان وتزيينه وكله واحد واصله ان كل من اجاب آخر الى ما يدعوا اليه وياتمر بامره
بيان فقد اتبع اثره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله انه لكم عدو مبين اي انه فيما يدعوكم الى
تحريم ما احل الله لكم وهو لكم يقصد قصد اهلاككم وتعذيبكم لا قصد منفعة لكم في ذلك
وكل من قصد قصد اهلاك آخر فهو عدو له وهو يخرج على ما ذكرنا من تذكير المنن والنعم التي انعمها
عليهم يقول هو الذي جعل لكم ذلك فلا تصرفوا شكره الى غيره وقوله ثمانية ازواج من الضان
اثنين ومن المعز اثنين اي اخرنا ذكرا اي انشا ايضا ثمانية ازواج على ما ذكر انشا جنات معروشات
وغير معروشات وانشا من الانعام ايضا حمولة وفرشا وانشا ايضا ثمانية ازواج مما عدد
علينا ويحتمل الا يكون قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى آخر ما ذكر هو تفسير
قوله ومن الانعام حمولة وفرشا ويكون قوله ثمانية ازواج التي ذكر في الاية بيان الحمولة والفرش التي
ذكر في الاية الاولى ثم في قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين في الاية تعريف
المحاجة مع الكفرة وتعليمها من الله لانهم كانوا يحرمون اشيا على الاناث ويحلونها للذكور كقوله
وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه
شركا فقال عز وجل قل الذكرين حرم ام الانثيين يعلمنا المحاجة معهم وطلب العلة التي لها
حرم فقال قل الذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا حرم الذكر فيجب ان كل ذكر يحرم من الذكور
ما يحل فينا قضوا في قولهم وان قالوا حرم الانثى فيجب ان كل انثى ايضا تكون محرمة فاذا لم يحرم
كل انثى ظهرت ايضا مناقضتهم لانه لا يجوز ان يجب حرمة شي او حله لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم
والمعنى موجود او حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فان كان كذا فيجب ان كل مشتمل
عليه ارحام الانثيين محرم فاذا لم يحرم ذلك دل ان فيه دلالة ان الحكم اذا اوجب لعلة فذلك الحكم
واجب ما دامت العلة قائمة موجودة وفيه الامر بالمناظرة وقوله نبئوني بعلم ان كنتم صادقين
اي ليس عندهم علم يعلمون ذلك وينبئونه وذكر ههنا نبئوني بعلم ان كنتم صادقين في مقالتكم انه
حرم وقال في الاية التي تليها ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي بتحريمها اي لبئت لكم فهذا لا
على تحريم ما تحرمون لا من جهة كتاب ولا رسول ولا استدلال لان العلوم ثلاثة علم استدلال
وهو علم العقل وعلم المشاهدة والعيان وهو علم الحس وعلم السمع والخبر فلم يجر انه
ليس لهم من هذه العلوم شي اما علم الاستدلال فلا عقل يدل على تحريم ما حرمتم ولا علم
مشاهدة لانكم لم تشاهدوا الله حرم ذلك ولا علم من جهة السمع والخبر لانهم كانوا لا يومنون
بالكتب ولا يصدقون الرسل فيقول لو ان اخبرنا الرسل بتحريم ذلك او وجدنا في الكتب حرمتها
فبهتوا في ذلك وتحيروا وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته لانهم كانوا لا يحرمون
هذه الاشيا ظاهرا فيما بينهم ورسول الله نشا بين اظهرهم منذ كان صبيا الى كبره وعرفوا
انه لم يختلف الى احد عمره ذلك ثم اخبر عن حل ما حرموا ونعما وما صنعوا ليدلهم انه انما
عرف ذلك بالله وفيه علم حل ما حرموا وحرمة ما احلوا لا باحد من الخلايق وقوله فمن اظلم ممن

افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لانه هو الذي انشا هذه الاشيا وانشا لهم
جميع ما يحتاجون اليه ويقضون حوائجهم وبه كان جميع نعمهم التي يتنعمون ويتقلبون فيها فلا احد
اظلم ممن افترى على الله كذبا فيما قال حرم كذا او لم يكن حرم او امر بكذا او لم يكن امر او افترى انه قال
ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا يكما لم يكن احد اصدق منه حديثا فعلى ذلك لا احد اظلم ممن
افترى على الله كذبا تنبيه على انه هو الفاعل لذلك كله وهو المنشي ما ذكر وقوله فمن اظلم في الظاهر
استفهام ولكن في الحقيقة ايجاب لانه لا يحتمل الاستفهام كانه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى
على الله كذبا على الايجاب وقوله ليضل الناس بغير علم لانه يقصد الافترا على الله قصد اضلال
الناس واغوائهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم وقيل
لا يهدي القوم الظالمين علم انهم يختمون بالكفر ويحتمل لا يهديهم اذا كانوا ظالمين عند الله ظلمة
كفرة وان كانوا عند انفسهم عدولا على الحق وقوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه
قوله قل لا اجد يحتمل وجهين احدهما اي لا اجد ما تحرمون انتم فيما اوحي الي وانما لا تحرمون
فانه يحل والثاني لا اجد فيما اوحي الي محرما في وقت ثم وجده في وقت آخر وايما كان فليس فيه دليل
حل سوى ما ذكر في الاية على ما يقوله بشر وقوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه
مثل هذا الخطاب لا يكون الا في معهود او سؤال والاصل هذا الخطاب لا ينتظم على الابتدا فان
كان في معهود فهو يخرج جواب ما كانوا يحرمون من اشيا من الانعام والحرث وما ذكر في الايات
التي تقدم ذكرها وما كانوا يحرمون من البحيرة والوصيلة والسائبة والحامي فقال قل لا اجد
فيما اوحي الي محرما مما تحرمون انتم على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او كان جواب
سؤال في نازلة فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا فيما ذكر في الاية او لم يجده محرما في وقت
الانزال ثم وجده في وقت آخر فيما انه كان لم يكن للبشر علينا في ذلك حجة حيث قال ان الاشيا
كلها محللة مطلقة لهذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا ما ذكر من الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فقال لا يحرم من الحيوان الا ما ذكر ويقول ان النبي الذي جاء عن
رسول الله انه نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير انما هو خبر خاص من اخبار
الاحاد وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب وقد قال لا اجد فيما اوحي الي محرما فان ذلك الخبر
من الاخبار المتواترة لانه عرفه الخاص والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد يوجد
ذلك يباع في اسواق المسلمين فدل انه من المتواتر قال الشيخ رحمه الله عنه وعندنا ان لفظة
التحريم على الاطلاق لا تتناول الا ما تناهت من الحرمة ونحن نقول لا تطلق لفظة التحريم في
الحيوان الا فيما ذكر في الاية من الميتة والدم المسفوح والخنزير ولكن يقال منهي عنه مكروه
ولا يقال محرم مطلقا ويقال لا يوكل ولا يطعم وتبين ان الاية لو كانت في غير الوجهين الذي
ذكرناهما لم يكن فيها دليل حل ما عدا المذكور في الاية لانه قال لا اجد ولم يجد في وقت ثم وجد
في وقت آخر هذه اجابة وفي قوله محرما على طاعم يطعمه دلالة ان الحل يحرم بحق المحرمة لانه امكن
ان يتوى فيوكل لحرمته حرمة اللحم فاذا ذبح خرج من ان يوكل فتطهر تحريج عن قوله على طاعم
يطعمه والله اعلم ثم في قوله محرما على طاعم يطعمه الاية دلالة ان الحرمة التي ذكر في قوله
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية
الى آخر ما ذكر حرمة الاكل والتناول منها لانه لم يبين في تلك الاية ما الذي حرم منها سوى ما ذكر حرمت
نفسر ها هذه الاية قوله محرما على طاعم يطعمه الاكذا دل هذا ان الحرمة في تلك الاية

الاكل والتناول منها وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم ذكر الحل ولم يذكر الحل لماذا اشترط التفسير في هذه الاية للاكل ثم الميتة التي ذكر انها
محرمة ليست هي التي ماتت حتف انفها خاصة الا التي ذكر وما ذبح على النصب وما اهل لغير
الله به وقال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع كل هذا الذي ذكر
لم يمت حتف انفه ولكن باسباب لم يؤكل فصارت ميتة فذلك ان كل مذبوح او مقتول
بسبب لم يؤمر به فهو ميتة لا يحل التناول منها الا في حال الاضطرار وفي قوله او دما مسفوحا
دلالة ان المحرم من الدم هو المسفوح والدم الذي يكون في اللحم ويخالط اللحم ليس بحرام والدم
المسفوح حرام قال ابو عوسجة المسفوح المصبوب تقول سفحت صببت وقال القتبي مسفوحا
اي سائلا وقال ابن عباس المسفوح هو الذي يهراق وقوله او لحم خنزير ذكر اللحم وذكر حرمة
الميتة ليعلم ان الخنزير بجوهره حرام والميتة حرمتها لا بجوهرها لكن لما عرض لذلك قلنا ان
لا باس بالانتفاع بصوف الميتة ووبرها وعظمها ولا يجوز من الخنزير شيء والله اعلم وقوله
فمن اضطر غير باغ ولا عاد قيل غير باغ يستحل في دينه ولا عاد اي ولا متعمدا لم يضطر
اليه فاكله وقد ذكرنا اقاويلهم والاختلاف في تاويله في صدر الكتاب فان ربك غفور لاكله الحرام
في حال الاضطرار رحيم حيث رخص الحرام في موضع الاضطرار وهذا ايضا قد مضى وتكلمنا في
غير موضع وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قيل مثل هذا النعامة والبعير
وقيل كل ذي ظفر مثل الديك والبطة والبعير وكل ما لم يكن منفرج الاصابع والقوائم وقيل
حرمنا كل ذي حافر من نحو حمار الوحش والوز وغيره وقيل حرمنا كل ذي ظفر كل ذي مخلب من
الطير وكل ذي ناب من السباع ومن الدواب كل ذي ظفر منشق مثل الارنب والبعير
واشباههما وهو قول ابن عباس والاشبه ان يكون ما ذكر من تحريم كل ذي ظفر عليهم هو ما يحل
اكله لا ما يحرم وهو ما ذكر بعضهم انه البعير والغنم والبقر ونحوه لانه ذكر في اية اخرى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الا ما حملت ظهورهما قيل شحوم بطونهما ومن الثروب وشحم الكليتين او الحوايا وهي
المباعر والمصارين او الشحم الذي عليهما او ما اختلط بعظم قيل الالية وقيل قوله
الا ما حملت ظهورهما هو سمين اللحم قيل فيه اقاويل مختلفة في هذا وفي الاول في قوله حرمنا
كل ذي ظفر لكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة لان تلك شريعة قد نسخت والعمل بالمنسوخ
حرام فاذا لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان ذا او ذا وانما علينا ان
نعرف ثم كان ذلك التحريم عليهم ولم كان تحريم هذه الاشياء عليهم نعم والله اعلم ما ذكر في قوله
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الاية
اخبر ان ما حرم عليهم من الطيبات بظلمهم للذين ظلموا ولذلك قال الله تعالى ذلك جزيناهم
ببغيهم اخبر ان ذلك جزاء لبغيهم الذي بغوا والثاني انهم كانوا يدعون ويقولون نحن ابناء الله
واحباؤه يقول لو كنتم صادقين في زعمكم انكم ابناء الله واحباؤه لكان لا احد يعاقب ولده
او حبيبه باذى ظلموا لا يحرم عليه الطيبات فاذا كان الله حرم عليكم الطيبات وجزاكم
بتحريم اشياء عقوبة لكم بظلمكم وبغيكم ظهر انكم كذبتم في دعاويكم وافتريتم بذلك على الله وفيه
دليل اثبات رسالة محمد ونبوته لانهم كانوا يحرمون هذه الاشيا فيما بينهم ولا يقولون
انه لظلمة وان ما حرم عليهم حرم بظلم كان منهم ونبي ثم اخبرهم صلى الله عليه ان ما حرم عليهم

من الطيبات انما حرم بظلمهم وبغيهم دل انه انما اخبر بذلك عن الله وبه عرف ذلك فدل
انه اية من ايات نبوته والله اعلم وقوله ذلك جزيناهم ببغيهم اي ذلك التحريم عقوبة ببغيهم
وظلمهم وانا لصادقون اي وانا لصادقون بالانباء ان ذلك كان بظلمهم وبغيهم او وانا لصا
دقون في كل ما اخبرنا وانبانا وقوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة قال الحسن فان
كذبوك فيما تدعوهم اليه وتامرهم به من التصديق والتوحيد له والربوبية فقل ربكم ذو
رحمة واسعة اذا رجعتم عن التكذيب وصدقتم وعرفتم انه واحد لا شريك له يغفر لكم ما كان
منكم في حال الكفر ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت وقوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين كانه على التقديم والتاخير كانه يقول فان كذبوك
فقل لا يرد باسه عن القوم المجرمين ثم قال ربكم ذو رحمة واسعة يبلغ في رحمته العفو اذا ابتم
وقال غيره من اهل التاويل فان كذبوك يا محمد حين انباتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم وبغيهم فقل
ربكم ذو رحمة واسعة لا يهلك احدا وقت ارتكابه المعصية ولا يعذبه كالة ذلك لكن يؤخر
ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اي عذابه اذا نزل بقوم مجرمين بجرمهم والله اعلم وقوله
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء قيل الاية في مشركي
العرب قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم في تحريم ما حرموا من الاشياء واضافوا
ذلك الى الله وهو صلة قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الى اخر ما ذكر الى قوله ام كنتم شهداء اذ
وصاكم الله بهذا فلما لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم فزعوا عند ذلك الى هذا القول لو شاء
الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فيقول الله لنبيه كذلك كذب الذين من قبلهم من الامم
الخالية رسلهم كما كذبك هؤلاء وكانوا يقولون لرسلهم ما قال ذلك هؤلاء لو شاء الله ما اشركنا الى
اخر ما ذكر ثم اختلف في تاويل قوله لو شاء الله ما اشركنا قال الحسن والاصم ان المشيئة هاهنا
الرضا قالوا ان الله رضي بفعلنا وصنيعنا حيث فعل اباؤنا مثل ما فعلنا وصنعوا مثل صنيعنا
فلم يحل الله بينهم وبين ذلك ولا اخذ على ايديهم ولا منعهم عن ذلك فلو لم يرض بذلك عنهم
لكان يحول ذلك عنهم ويمنعهم عنه وانما استدلوا بالرضا من الله والاذن فيما كانوا يخوفون
اياهم الهلاك والعذاب بصنيعهم الذي كانوا صنعوا ثم داوموا على ذلك ولم ياتهم العذاب
فاستدلوا بتاخير نزول العذاب عليهم على ان الله رضي بذلك والله اعلم وبظاهر هذه الاية
للمعتزلة ادنى تعلق لانهم يقولون ان الله قد رد ذلك القول الذي قالوا وعابهم على ذلك القول
بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا واوعدهم على ذلك وعيدا شديدا فلو كان
يجوز اضافة المشيئة الى الله تعالى في ذلك على ما يصنعون انتم لم يكن يرد ذلك عليهم ولا عابهم
على ذلك ولا اوعدهم وعيدا في ذلك دل انه لا يجوز ان ينال ذلك ولا اضافة المشيئة اليه
في ذلك فنقول وبالله التوفيق ان المشيئة هاهنا تحتمل وجوها احدها ما قال الحسن والاصم
من الرضا قالوا ان الله رضي بذلك والثاني الامر والدعاء اي وذلك يقولون ان الله امرهم
بذلك ودعاهم الى ذلك والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على
الحقيقة وهكذا امر المجوس انهم اذا قيل لهم هذا الا تؤمنون وتسلمون يقولون ما قال
هؤلاء لو شاء الله ما امنا ولا اشركنا فهذا العتاب الذي لحقهم والوعيد الذي اوعدهم
انما كان لما قالوا ذلك استهزاء منهم او لما ادعوا من الامر والدعاء على الله وافتروا

عليه او الرضا انه رضي بذلك على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشية في هذا الموضع والله
اعلم لا على ما قاله المعتزلة ومن ما ذكر في اية اخرى ويقول الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج
حيا من كلمة حق لكن قالها ذلك استهزاء وهزوا فلحقه العتاب وقوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا اي هل عندكم من بيان وحجة من الله فتبينوه لنا وتظهروه على زعمكم ان الله امركم بذلك و
دعاكم اليه او تركهم على ذلك لما رضي بذلك دون ان اهلككم ليعذبكم او ليس قد ترك من خالفكم
في ذلك ثم لم يدل تركه اياهم على انه رضي بذلك فقال ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون
في ذلك الا الظن وان هم الا تخرصون اي ما هم الا يخرصون ويكذبون في ذلك ليست لهم حجة
ولا بيان على ما يدعون من الامر والدعاء اي ذلك والترك على ما هو عليه على الرضا به وقوله
قل فلله الحجة البالغة قيل الحجة البالغة اي اذا بلغت كل شبهة ازالتها وكل غافل ونائم نبهته
وايقظته وقيل الحجة البالغة التامة القاهرة الظاهرة على كل شيء الغالبة عليه لم تبلغ شيئا
الا قهرته وغلبته وقال الحسن الحجة البالغة لما لا حجة لا يعذب احدا ولا يعاقبه الا بحجة تلزم
ولا يعاقب بهوى او انتقام او شهوة على ما يعاقب في الشاهد ولا غيره ما من احد من الخلائق
الا ولله عليه الحجة البالغة اما الملك المقرب فان الله جبله على الطاعة فلا يعصيه فما امر الله
عليه وطولا وفضلا فهو مقصر عن شكر نعمة الله عليه واما النبي المرسل والعبد الصالح فلله عليهما
التبليغ والحجة من غير واحد ثم تحتمل الحجة البالغة وجوها احدها هذا القرآن الذي انزله على
رسول الله اية معجزة وحجة بالغة ما عجز الخلائق عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله على انه
اية من ايات الله وحجة من حجج الله ارسلها على نبيه والثاني ان الله جعل في كلية الخلائق والاشياء
ما يشهد ان الخلائق والاشيا كلها له شهادة خلقة وتدل خلقة الاشياء على وحدانيته فهو
حجة بالغة والثالث الرسل وانباؤهم وهو عرة ذلك فدل ذلك على انهم انما خصوا بذلك لما
ان الله جعلهم حججا وايات على وجه الارض فذلك حجة بالغة وبالله العصمة وقال بعضهم فلله
الحجة البالغة في تحريم الاشياء وتحليلها ليس لهؤلاء الذين يحرمون اشياء بهواهم في تحريمهم حجة
انما يحرمون ذلك بهوى انفسهم والله اعلم وقوله فلو شاء لهديكم اجمعين قال الحسن المشية
هاهنا مشية القدرة وقال لو شاء لقهرهم واعجزهم حتى لا يقدروا على معصية قط على ما جعل
الملائكة جبلهم على الطاعة حتى لا يقدروا على معصية قط ثم هو يفضل الملائكة على الرسل والانبياء
والبشر جميعا ويقول هم مجبورون على الطاعة فذلك تناقض في القول لا يجوز من كان مجبورا
مقهورا على الطاعة يفضل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات فيه والحاجات التي تغلب
صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة او يقول فضلهم بالجوهر والاصل فلا يجوز ان يكون لاحد بالجوهر
نفسه فضل على غيره ذلك الجوهر لان الله لم يذكر فضل شيء بالجوهر انما قرونا بالاعمال الصالحة
الطيبة كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة
وغيره وقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه وقوله والعمل الصالح يرفعه ونحوه لم
يفضل احدا بالجوهر على احد ولكن انما فضله بالاعمال الصالحة لذلك قلنا ان قوله يخرج على
التناقض وقد قيل قوله فلو شاء لهديكم اجمعين عندنا ظاهر لو شاء لهديهم جميعا ووفقهم للطاعة
وارشدهم لذلك ومن كفوه لهم ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة الاية فاذا كان الميل الى الكفر لمكان ما جعل لهم من الفضة والزينة فاذا كان ذلك
للمؤمنين امنوا ثم لم يجعل كذلك ودل هذا على ان قولهم لو شاء الله ما اشركنا من الامر والرضا

او ذكروا على الاستهزاء حيث قال فلو شاء لهديكم اجمعين والمعتزلة يقولون المشية هاهنا مشية
قسر وقهر وقد ذكرنا انه لا يكون في حال القهر ايمان وانما يكون في حال الاختيار والمشية مشية
الاختيار ولا تحتمل مشية الخلقة لان كل واحد بشهادة الخلقة مومن فدل ان التاويل ما
ذكرنا وقوله قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا الذي تحرمون انتم من الوصيلة
والسائبة والحامي وما حرموا من الحرث والانعام فان شهدوا ان الله حرمه فلا تشهد معهم
كيف قال هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم دعاهم
الى ان ياتوا بالحجة فاذا اقاموها لا تشهد معهم لكن هذا والله اعلم انهم يعلمون ان التحريم الى
الله ليس الى احد من الخلائق فاذا اقاموها لا تشهد معهم لكن فان شهدوا بانه حرم فلا تشهد معهم
فانهم شهدوا بالباطل ويحتمل ان يكون امره ان ينبئهم شهداء من اهل الكتاب يشهدون لهم
بان الله حرم هذا لانهم لا كانوا اهل شرك وعبدة الاوثان يسالون اهل الكتاب واهل
رسل يشهدون لهم بذلك فان شهدوا فلا تشهد معهم اي لا تشهدون لهم بذلك فلا تشهد ايضا
معهم على الاخبار انهم لا يشهدون وهو كقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم الاية اخبر عن المنافقين انهم قالوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم
لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ثم اخبر عنهم انهم لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم الاية لكنه اخبر انهم لا يقاتلون ولا ينصرونهم لا يوتون الادبار فقيل ذلك
قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون فان شهدوا فلا تشهد معهم لانهم لا يشهدون والله اعلم ويشبه
ان يكون لو احتج بان ياتوا باباهم حتى يشهدوا لانهم كانوا يقولون انا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا
بها وان الله رضي بصنيع ابائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك فيقول لو ان ياتوا ابا وليكن حتى
يكونوا هم الذين يشهدون على ذلك فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ابدا وهو كقوله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فلا يجدون ابدا وقوله ولا تتبع اهواء الذين كذبوا
باياتنا دل ان ما كانوا يحرمون انما يحرمون بهواهم لا بحجة وبرهان والذين لا يومنون بالاخرة
وهم بربهم يعدلون اي يعدلون الاصنام في العبادة والالوهية بربهم وقوله قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم يقول تعالوا اقرا عليكم ما حرم ربكم وابين لكم ما حرم بحجة وبرهان
وان ما حرمتم انتم حرمتم تقليدا منكم لابائكم او حرمتم بهوى انفسكم لا حرمتم بالحجة والبرهان
ثم بين الذي حرم عليهم فقال ان لا تشركوا به شيئا الشرك حرام بالعقل ويلزم كل من عقل
التوحيد ومعرفة الرب لما كان منه من تركيب الصور وتقويمها باحسن صور يرون ويعرفون
انه لم يصورها احد سواه ولا قومها ولا يشركه احد في ذلك وما كان منه اليكم من انواع
الاحسان والايادي فكيف تشركون غيره في الوهيته وربوبيته فذلك حرام بالعقل والسمع
وقوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا يخرج على وجهين احدهما
على الوقف والقطع على قوله ربكم والابتداء من قوله ان لا تشركوا به شيئا كانه لما قال اتل
ما حرم ربكم قالوا اي شيء الذي حرم ربنا علينا فقال ان لا تشركوا به شيئا والوجه الاخر
على الوصل بالاول ولكن على طرح لا فيكون كانه قال حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا وحرف
لا قد تطرح وتزاد في الكلام وقوله وبالوالدين احسانا اي برا بهما فان قيل قال تعالى اتل
ما حرم ربكم عليكم وههنا يامر بالاحسان اليهم ولم يذكر المحرم قيل في الامر بالاحسان اليهما تحريم
ترك الاحسان فكانه قال حرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وفرض عليكم برهما والاحسان

اليهما شرفيه انكم تعرفون بالعقل ان الاحسان اليكم كيف تختارون الاساءة الى الله والاشراك
في عبادته غيره ولا تختارون الاساءة الى الوالدين بل تختارون الاحسان اليهما وقوله
ولا تقتلوا اولادكم من املاق فانهم كانوا يقتلون اولادهم خشية الفقر والفاقة فنهوا عما حرم
عليهم وهذا يدل على ان الحظر حال لا يوجب الاباحة في حال اخرى لانه قال ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق ليس فيه اباحة القتل اذا لم يكن هناك خشية الاملاق لكن ذكر هذا لانهم انما
كانوا يقتلون في تلك الحال والله اعلم وكذلك خرج النهي وقوله نحن نرزقكم واياهم اي على ما تخرج لكم
من الزروع والثمار والنبات فرزقكم من ذلك فعلى ذلك نرزقهم ولاولادكم مما تخرج من الارض
والزروع والثمار فلا تقتلوهم فاذا لم تقتلوا انفسكم خشية الفقر والفاقة كيف تقتلون
اولادكم لذلك فالذي يرزقكم هو الذي يرزق اولادكم وقوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن يحتمل قوله لا تقربوا اي لا توافقوها ويحتمل لا تدنوا منها واجعلوا بينكم
وبين الفواحش والمحرمات حجابا من الحلال وهكذا الحق على المسلم ان لا يدنو من الحرام ويجعل
بينه وبين ذلك حجابا وسترا من الحلال ثم اختلف في قوله لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها
وما بطن قيل الفواحش الزنا ما ظهر منها المخالطة باللسان والمجالسة معهن وما بطن
فعل الزنا نفسه كانوا يجتمعون ويجالسونهن ولكن لا يجامعونهن بين ايدي الناس ثم اذا
خلوا بهن زنوا بهن وقيل كانوا يزنون بالحراير سرا وبالاماء ظاهرا فحرم ذلك عليهم وقيل
ما ظهر منها نكاح الامهات وما بطن هو الزنا وكان نكاح الامهات ظاهرا وهو قول ابن عباس
وسعيد بن جبير رضي الله عنهما وقيل الفواحش المحرمات جملتها فما ظهر منها فيما بينهم وبين الخلق
وما بطن فيما بينهم وبين الله تعالى وقيل ما ظهر منها ما يكون بالجوارح وما بطن ما يكون بالقلب
وعن مجاهد قال ما ظهر منها الجمع بين الاختين وتزوج الرجل امراة ابيه وما بطن منها الزنا
وما حرم ايضا ويحتمل قوله ما ظهر منها ما يرى غيره ويبصر وما بطن ما يكون بالعين والقلب
على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان واليدان تزنيان
وما بطن يكون من العين والقلب لانه لا يعلم غيره انه ناظر والله اعلم بصير كانه ذكر التحريم
في كل جزء من ذلك اي حرم عليكم الشرك وحرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وحرم قتل
الانفس الا بالحق فيصير كانه ذكر التحريم في كل من ذلك وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق قيل بالحق اذا ارتد يقتل به وفي القصاص وفي الزنا اذا كان محصنا وقوله
ذلكم وصاكم به ذلك يعني المحرمات الذي ذكر وصاكم به اختلف فيه قيل وصاكم به فرض عليكم
وقيل وصيكم امركم به وقيل وصاكم به بين لكم المحرم وكله يرجع الى واحد وقوله لعلكم
تعقلون انه لم يحرم الا ما ذكرها ولم يحرم ما حرمتم انتم من الانعام وغيرها ولعلكم تعقلون اي
لكي تنتفعوا بعقولكم او نقول ان ذلكم وصاكم به لتعقلوا الاحرى لعل من الله على الوجوب
او تعقلون على الله بما خاطبكم به وامركم ونهاكم وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
قال ابو بكر الكيسان لا تقربوا مال اليتيم اي لا تاكلوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقال
ثم اختلف في الوجه الذي يحسن قال بعضهم هو ان يعمل له فياكل من ماله اجرا بعمله وقال
اخرون ياكله قرضا وذلك مما اختلفوا فيه وقال غيرهم هو ان ينتفع بدوابه ويستخدم
جواريه ونحو ذلك وما اشبه ذلك مما لا يحتمل تاويل الاية وعندنا ان الاية باحتمال هذا
اذل لما يقع لهم الضرورة في استخدام ما يليه وركوب دوابه والانتفاع بذلك لما

لهم المخالطة باموال اليتامى كقوله وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح
فاذا كان لهم المخالطة لا يمنعون عن الانتفاع بما ذكرنا وقال الحسن ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن اي الا بالوجه الذي جعل له والوجه الذي جعل له هو ان يكون فقيرا او محتاجا يفرض
نفقته في ماله فله ان يقرب ماله وعندهم ان نفقة المحارم تفرض في مال اليتيم اذا كانوا فقرا
فبان ان جعل له التناول في ماله وان كان لا يفرض نفقته في ماله ثم الاية تحتمل وجهين عندنا
احدهما ان لا تقربوا مال اليتيم الا بالحفظ والتعاهد له امر كافل اليتيم ان يحفظ ماله
ويتعاهده والثاني يقرب ماله بطلب الزيادة له والنماء ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله
بان يجوز لكافل اليتيم اذا كان وصيا ان يقرب ماله بيعا اذا كان ذلك خيرا لليتيم ودفع
له الفضل وطلب له الزيادة والنماء وقوله حتى يبلغ اشده قال ابو بكر قوله حتى يبلغ اشده
اي حتى يبلغ الوقت الذي يتولى امره كقوله فان انستم منهم رشدا الاية وقال غيره من
اهل التاويل الاشد ثمانية عشر سنة ويشبه ان يكون الاشد هو الادراك حتى يدرك وقوله
واوفوا الكيل والميزان بالقسط يشبه ان يكون قوله واوفوا الكيل والميزان في اليتامى ايضا
امروا ان يوفوا لهم الكيل والميزان ونهاهم ان لا يوفوا لهم على ما نهاهم عن قربان مالهم الا بالتي
هي احسن وكذلك قوله واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى امكن ان يكون هذا في اليتامى
ايضا اي اذا قلتم قولا لليتامى فاعدلوا في ذلك القول وان كان ذا قربى منكم وقوله وبعهد
الله اوفوا بعهد الله الذي عهد اليكم في اليتامى اوفوا بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله
ولا تاكلوها اسرافا وبدارا وغير ذلك اوفوا ما عهد اليكم فيهم ويحتمل ان يكون قوله واوفوا الكيل
والميزان بالقسط في اليتامى وفي غيرهم في كل الناس وقوله يحتمل وجهين احدهما الذي ترك الايفاء اكتساب
الضرر على الناس ومنع حقوقهم فامر بالايفاء لذلك كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم والثاني
للربا لانه لزم مثله كيلا في الذمة فاذا لم يوف حقه واعطاه دونه صار ذلك الفضل له
ربا وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها يحتمل هذا وجهين يحتمل لا نكلف احدا ما في تكليفنا اياه
تلفه وان كان يجوز له تكليف ما في التكليف تلفه كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم الاية وعلى ما امر بني اسرائيل بقتل انفسهم والثاني لا نكلف احدا ما في
تكليفنا اياه مشقة نحو من يؤمر بشيء لم يجعل له الوصول الى ذلك ابدا ويجوز ان يامر بامر وان
لم يكن سبب ذلك الامر بعد ان يجعل له الوصول الى ذلك السبب نحو من يؤمر بالصلاة وان
لم يكن معه سبب ذلك وهو الطهارة ونحو من يؤمر بالحج بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا هذا يدل على ان من جعل فيه وسعه الوصول الى شيء يجوز ان يكلف على ذلك ويصير
باشتغاله بغيره مضيعا امره وقوله واذا قلتم فاعدلوا قال بعض اهل التاويل هذا في الشهادة
كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
الاية ويحتمل قوله واذا قلتم فاعدلوا كل قول والقول احق ان يحفظ فيه العدالة من الفعل
لانه به يظهر الحكمة من السفه والحق من الباطل ثم اذا في وقوله وبعهد الله اوفوا اي
بعهد الله الذي عهد اليكم في التحليل والتحريم والامر والنهي وغير ذلك ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون ذكر هنا تذكرون وفي الاية الاولى تعقلون وفي الاية الاخيرة تتقون اذا عقلوا
تفكروا واذا تفكروا عرفوا ما يصلح وما لا يصلح ثم اتقوا المحرمات وما لا يصلح او تذكرون
اي تتعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون ما كلفكم او تتقون محارمكم وقوله وان

هذا امر الهي مستقيما فاتبعوه يحتمل وجوها يحتمل وان هذا الذي ذكر في هذه الايات من امره ونهيه وتحليله وتحريمه صراطي مستقيما فاتبعوه على ما قال اهل التاويل انها ايات محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب وهن محرمات على بني ادم كلهم ويحتمل قوله وان هذا صراطي مستقيما الذي دعا اليه الرسل من كل شيء هو صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لان الرسل يدعون الى ما يدعون بالحجج والبراهين ويحتمل قوله هذا صراطي مستقيما اصل الدين ووحدانية الله والاخلاص لا نفس له على غيره اشراك في عبادته والوهيته او ان يكون قوله وان الذي جاء به محمد او الذي ذكر في القرآن والاذكر هذا او لم يشر الى شيء بعينه فيحتمل ما ذكرنا وقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله امر عز وجل باتباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السبل لان غيره من الاديان المختلفة والاهواء المتشتتة لا حجة عليها ولا برهان وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين بحجة وبرهان لا لكثيره من الاديان وان كان يدعي كل من ذلك ان الذي هو عليه دين الله وسبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون المحرمات والمناهي والاحكام التي ذكر في هذه الاية او لعلكم تتقون السبل والاديان المختلفة واصله ان السبيل المطلق سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق كتاب الله وقوله ثم اتينا موسى الكتاب تماما اختلف فيه قال الحسن قوله تماما على الذي احسن اي من احسن صحبته تمت نعمة الله وكرامته عليه في الاخرة وقيل تماما على الذي احسن يعني على المحسنين والمؤمنين وعلى بمعنى للذي احسن وللذي امن ويجوز على في موضع اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقتادة قال لمن احسن في الدنيا اتاه الله تمت عليه كرامة الله في جنته ورضوانه ومن لم يحسن فيما اتاه الله نزع الله ما في يديه ثم اتى الله ولا عذر له وقال ابو بكر الكيساني في قوله ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن اي ثم اتيناكم من الحجج والبيان تماما من موسى وكتابه اي موسى وكتابه مصدق وموافق لما اعطاكم كقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة الاية ويحتمل تمام ما ذكرنا تماما بالنعمة والكرامة ويحتمل تماما بالحجة والبيان وتماما بالحكمة والعلم وقوله على الذي احسن اي للذي احسن وفي حرف ابن مسعود تماما على الذي احسنوا وتفصيلا لكل شيء اي تبيانا لكل شيء وهدى من الضلالات والشبهات ورحمة من العذاب والعقاب لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون اي ليكونوا بلقاء ربهم يؤمنون موسى على الخلق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال تماما على الذي احسن يقول اتم له الكتاب على احسنه على الذي بلغ من رسالته وتفصيل كل شيء بيان كل شيء وهدى له اي تبيانا من الضلالة ورحمة اي نعمة لعلهم بلقاء ربهم اي بالبعث بعد الموت يؤمنون اي ليكونوا مؤمنين بالبعث ومنهم من يقول في قوله ثم اتينا موسى الكتاب انه وان اتى بحرف الترتيب فانه على الاخبار كانه قال ثم ذكرنا اتينا موسى الكتاب تماما معناه وقد اتيناه وقوله وهذا كتاب انزلناه يعني القرآن انزلناه مبارك قال ابو بكر الكيساني البركة هي التي من تمسك بها اوصله الى الخير وعصمه من كل شر وهو المبارك وقال الحسن هو مبارك لمن اخذه واتبعه وعمل به فهو مبارك له ومن يسمى هذا القرآن مباركا لما يبارك فيه لمن اتبعه هو مبارك لمتبعه والعامل به والامر لم يتبعه فليس هو مبارك له بل هو عليه شدة ورجس كقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فهو ما ذكرنا

مبارك

مبارك لمن اتبعه وتمسك به ويسمى مجيدا ايضا وكريما لمن اتبعه يصير مجيدا كريما وكذلك يسمى نورا وروحا لما يحيي به من اتبعه واصل البركة هو ان ينتفع بشيء على غير تبعة فهو البركة وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم لبعض بارك الله لك في كذا اي جعل لك فيه منافع لا تبعة عليك فيه فيكون هذا يجيء ان يكون القرآن مباركا بكثرة القرآن لكن قيل مباركا لانتفاع الناس والعلم به والبركة يحتمل وجهين احدهما اسم لكل خير يكون ابدا على النماء والزيادة والثاني اسم لكل منفعة لا تبعة عليه ولا مؤنة والله اعلم وقوله فاتبعوه واتقوا اي اتبعوا اثاره وما يدعو هو اليه واتقوا اي اتقوا مخالفته لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا من اتبع اوامره وانتهى نواهيه ومحارمه رحم وقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اهل التاويل انزل الكتاب على الطائفتين اليهود والنصارى ومن انزل الكتاب على اليهود والنصارى انما انزل على المثلين لكن المعنى والله اعلم انما انزل الكتاب على طائفتين اي انما ظهر نزول الكتاب عند الخلق بطائفتين من قبلنا سموا يهود ونصارى التوراة والانجيل والا لم يكن وقت نزول التوراة يهود ولا وقت نزول الانجيل نصارى ثم قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب موصلة بقوله وهذا كتاب انزلناه لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ولم ينزل علينا ويجوز ان يعني لا ان تقولوا انما انزل الكتاب كقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وقوله وان كنا عن دراستهم لغافلين اي وقد كنا عن دراستهم لغافلين ويجيء ان يكون عن دراستها لانها وراثة الكتب لكن انسب ان يتم الى اولئك القوم وقوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب هو على ما ذكر لئلا تقولوا لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم انزل الله عز وجل هذا القرآن قطعا لحجاجهم ومنعا لعذرهم وان لم يكن لهم الحجاج والعذر وعلى ذلك يخرج قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لم يكن لهم حجة على الله وان لم ينزل الكتب والرسل ثم يحتمل عذرهم لانه ان يقولوا انما انزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا ونحن لا نعرف لسانهم وكنا عن دراستهم لغافلين ولو كان لهم العذر والاحتجاج لهذا لكان للعجم الاحتجاج والعذر في ترك اتباع القرآن لما لم ينزل بلسان العجم ولم يعرفوا هم لسانهم اعني لسان العرب ثم لم يكن للعجم الاحتجاج بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى معرفته فكذلك لا عذر للعرب في ترك اتباع ما في الكتب التي انزلت بغير لسانهم لما في وسعهم الوصول الى معرفتها والتعلم منهم والاخذ عنهم وهذا ايدلك على ان يجوز التكليف باشياء ليست معهم اسبابها بعد ان جعل لهم سبيل الوصول الى تلك الاسباب والثاني من احتجاجهم انه يقولوا ان اليهود والنصارى قد اختلفت وتفرقت تفرقا لا اجتماع بينهم ابدا فكيف نتبعهم في ذلك فيقال ان هذا ابهم وكتبهم انما تفرقت بهم وبقولهم فقد انزل من الحجج والبيان ما يعرف ذلك الذي تفرق بهم فلا حجة لهم في ذلك وهكذا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقد جاءتهم الايات فلم يؤمنوا بها فيل ذلك قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وقوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وفي الاية دلالة على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانهم لو كانوا اهل كتاب صار اهل الكتاب ثلاث طوائف وقد اخبر انه انما انزل الكتاب على طائفتين وذلك محال فان قيل انما هذا حكاية من الله تعالى عن المشركين ومعناه والله اعلم اي انزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فلم يعزوا ذلك

وذكر انه قطع بانزاله الكتاب حجتهم التي علم انهم كانوا يحتجون بها لو لم ينزله وان لم يكن لهم
في ذلك حجة ولا عذر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله فقد جاءكم بينة من ربكم قيل القرآن
وقيل محمد وهدى اي هدى من الضلالة وكل شبهة ورحمة اي ذلك منه رحمة ونعمة فمن اظلم ممن
كذب بايات الله اي لا احد اظلم ممن كذب بايات الله قيل بايات الله حجج الله وقيل دين الله وقد
ذكرناها في غير موضع وقد ذكرنا ان قوله فمن اظلم حرف استفهام في الظاهر لكن ذلك من الله على
الايجاب كانه قال لا احد اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها وقوله وصدف عنها
اي اعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون يعرضون
ويعدلون الاية ظاهرة وقوله هل ينظرون الا كذا قال اهل التاويل ما ينظرون وحرف هل هو حرف
استفهام وتعجب لكن اهل التاويل قالوا ما ينظرون حملوا على الجواب لانه لم يخرج له جواب لجوابه
فقالوا ما ينظرون كما قالوا في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن كذب هو
جواب لان جوابه لم يخرج لجوابه فقالوا لا احد اظلم لانه سؤال واستفهام لجوابه ما ذكروا فعلى
ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام ثم لم يخرج له الجواب لجوابه لا ينظرون كقوله ما ينظرون الا
صيحة واحدة ثم قوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك
هذا والله اعلم يشبه ان تكون الاية في المعاندين منهم والمتمردين الذين همتهم العناد والتعنت
خرج على اياس رسول الله عن اولئك الكفرة وكان رسول الله حريصا على ايمانهم مشفقا على انفسهم
حتى كادت نفسه تذهب حسرات عليهم حرصا على ايمانهم واشفاقا على انفسهم كقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك الاية ونحوه فايسه الله تعالى عن ايمان اولئك
لئلا يطمع في ايمانهم واسلامهم بعد ذلك ولا يذهب نفسه حسرات عليهم ويتخذهم اعداء ويبغضهم
ويخرج الشفقة التي في قلبه لهم وليذهب عداوتهم ويتبرا منهم كما فعل ابراهيم فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه وكما قال لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
ايسه الله عن ايمان قومه الا من قد آمن ونهاه ان يحزن عليهم كقوله ولا تحزن عليهم الا الوقت الذي
ذكر انهم يؤمنون في ذلك الوقت وهو وقت نزول الملائكة واتيانهم بالعذاب وهو قوله الا ان تاتيهم
الملائكة ثم قال بعضهم تاتيهم الملائكة بقبض الارواح مع اللعن والسخطة فعند ذلك يؤمنون
وقال بعضهم قوله الا ان تاتيهم الملائكة يوم القيامة وهو كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقوله او ياتي ربك على اضمار الامر كانه قال او ياتي امر ربك على ما ذكر
في سورة النحل او ياتي امر ربك ثم الامر فيه عذاب الله كقوله فلما جاء امرنا يعني عذابنا فعلى ذلك
في هذا امر الله عذاب الله والاصل فيما اضيف الى الله في موضع الوعيد لا يراد به الذات ولكن
يراد به نقمته وعذابه كقوله من كان يرجو لقاء الله لا يراد به ذاته ولكن يراد به عذابه ونقمته
او نقول ان كل شيء يراد به تعظيمه يضاف الى الله فيراد به تعظيم ذلك اليوم او تعظيم عذابه
ونقمته وقوله او ياتي بعض ايات ربك يحتمل بعض اياته ما قال عز وجل فلما راوا باسنا قالوا
آمنا بالله وحده وكقوله فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم الاية وكقوله سال سائل بعذاب
واقع الاية ونحوه من الايات يؤمنون عند معاينتهم العذاب ولا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت
ويحتمل ما قال اهل التاويل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال وخروج الدابة وعلى ذلك
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا وابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع

الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم وامر العامة وخويصة
احدكم الموت وامر العامة الساعة اذا قامت وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال التوبة
معروضة حتى تطلع الشمس من مغربها ثم قال مهلا يا بني عليكم عاما فالا خير ثم ونحوه من الاخبار
فان ثبت هذه الاخبار فهي المعتمدة وعن عائشة رضي الله عنها قالت اذا خرج اول الايات طرحت
الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت
من قبل اخبر ان الايمان لا ينفع في ذلك الوقت لانه ليس بايمان اختيار في الحقيقة انما هو ايمان
دفع العذاب والباس عن انفسهم كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وقوله
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اخبر انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى تكذيبهم
الرسل وكفرهم بالله فدل ان ايمانهم في ذلك الوقت ايمان دفع العذاب والباس وايمان خوف وهو
كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين لم ينفعه ايمانه في ذلك الوقت لانه ايمان دفع الهلاك عن نفسه لا ايمان حقيقة
باختيار والثاني انه في ذلك الوقت وقت نزول العذاب لا يقدر ان يستدل بالشاهد على الغائب
ليكون قوله قولا عن معرفة وعلم انما هو قول يقوله بلسانه لا عن معرفة في قلبه فلم ينفعه ايمانه
في ذلك الوقت لما ذكرنا وهو كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن لانه ايمان دفع الباس والعذاب او يقال لم يكن اختيارا حقيقة يكون ايمانه
ايمانا باختيار ولذلك كان ما ذكرنا او ان يكون في طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
ودابة الارض وما ذكر من البلاء والشدة والعذاب ما يضطرهم الى الايمان به فيكون ايمانهم
ايمان اضطرار لا اختيار ويشبه ان تكون الاخبار التي رويت عن النبي عليه السلام ان لا تقبل
التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجال ودابة الارض اي لا يثابون على طاعاتهم
والاخر البعيد انه يدعون الى الايمان والطاعات ثم اذا اتوا بها لم تقبل منهم لكنه يحتمل ما ذكرنا
ان لا يثابون على ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفر وكفران النعم لان جهة وجوب الثواب
افضال واحسان وفي الحكمة ترك الافضال بالثواب في الطاعات اذا كان من الله عز وجل
من النعم ما يكون ذلك شكرا له والعقاب على الكفر مما يوجبه الحكمة لذلك كان ما ذكرنا واحدا
يخرج قول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال لا ثواب للجن على طاعاتهم بل لهم وجه الافضال
ولم يذكر لهم ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفران والاجرام لما ذكرنا من المعنى الذي وصفنا
والله اعلم بذلك وقوله لا ينفع نفسا ايمانها عند معاينة العذاب والباس والايات اذا
لم تكن آمنت من قبل وقوله او كسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع والاول اذا عملت خيرا ولم
تكن آمنت لا ينفعه ذلك ولم ينفعه ايمانه عند معاينة العذاب والايات اذا لم تكن كسبت
قبل ذلك خيرا وقيل قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع
نفسا ايمانها اذا لم يعزم ان لا يرتد ولا يرجع عنه ابدا وقيل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من
قبل اي لا ينفع نفسا ايمانها او كسبت في ايمانها خيرا اي وكسبت في تصديقها التعظيم لله والاجلال
له فعند ذلك ينفع صاحبه لانه لا كل تصديق يكون فيه التعظيم له والاجلال يعني التعظيم والاجلال
اذا لم يكن منه التعظيم له وقيل او كسبت في ايمانها خيرا اي لم تكن عملت في تصديقها خيرا قبل
معاينة الايات وقوله قل انتظروا انا منتظرون هو مخرج على الوعيد اي انتظروا احدى
هذه الثلاث التي ذكرنا فانا منتظرون وهو كقوله قل تربصوا فاني معكم من المتربصين

او انتظروا العذاب فانا منتظرون بكم ذلك وقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
عن عائشة وابي هريرة رضي الله عنهما قال احدهما انهم في الكفرة وقال الاخر في اهل الصلاة
وقيل هم الحرورية وقيل هم اليهود والنصارى ولكن لا ندري من هم وليس بنا الى معرفته من
كان حاجة ثم يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل فارقوا دينهم حقيقة لان جميع اهل الاديان عند انفسهم
انهم يدينون بدين الله لا احد يقول انه يدين بغير دين الله الا ترى انهم قالوا ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ثم وان كانوا عند انفسهم انهم يدينون
بدين الله فهم في الحقيقة فارقوا دينهم ولم يثبتوا على دين الله ويحتمل قوله فارقوا دينهم الذي امروا
به ودعا اليه الرسل والانبياء صلوات الله عليهم فارقوا ذلك الدين ويحتمل فارقوا دينهم الذي
دانوا به في عهد الانبياء والرسل بدين الله ثم فارقوا ذلك الدين والله اعلم كقوله وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكقوله اكفرتم بعد ايمانكم الاية
كانوا مؤمنين به وكانوا شيعا اي صاروا فرقا واحزابا وقوله لست منهم في شيء من الناس
من صرف تاويل قوله لست منهم في شيء اي لست انت من قتالهم في شيء كانه نهاه عن قتالهم
في وقت ثم اذن له بعد ذلك ثم نسخته اية السيف وهذا ابعد ويحتمل لست منهم في
شيء اي لست من دينهم في شيء لان دينهم كان تقليد الاباء وهم ودينك دين بالحجج والبراهين
فلست بدينهم اي من دينهم في شيء ويحتمل لست منهم في شيء اي لا تسال انت عن دينهم ولا تحاسب
على ذلك كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية او يخرج على اياس اولئك الكفرة عن عود رسول
الله الى دينهم كقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله انما امرهم الى الله يحتمل
اي الحكم فيهم الى الله ليس اليك هو الذي يحكم فيهم او ان يكون امرهم الى الله في القتال بحرب او ان
لك بالقتال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون هو وعيد وقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها [illegible] قوله فلا يجزى الا مثلها ايجاب الجزاء في السيئة وفي قوله
فله عشر امثالها ايجاب الجزاء لانه قال فله كذا فيه ايجاب الجزاء واما ايجاب الجزاء في السيئات
بقوله من يعمل سوءا يجز به وغيره من الايات وقد ذكرنا ان ايجاب الجزاء والثواب في الحسنات والجزاء
افضال واحسان لانه قد سبق من الله تعالى الى كل احد من النعم ما يكون منه تلك الخيرات جزاء لما
انعم عليه وشكرا له ولا جزاء للجاري في الامر جهة الافضال والاكرام واما جزاء السيئة فما يوجبه
الحكمة لما خرج الفعل منه مخرج الكفران لما انعم عليه فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء
على ذلك وان الذي يخرج الفعل منه في الخيرات والحسنات على موافقة خلقته وصورته وتقويمه
وتسويته على ما خلقها الله وانشاها وبناها فلم يخرج الفعل منه على خلاف ما هو بني عليه فلم
يستوجب به الجزاء واما السيئات ففي اجرائها على خلاف خلقتها وتقويمها ووضعها الى غير الوجه
الذي كانت خلقتها وتقويمها فاستوجب هلاك العقوبة والجزاء عليها كقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ليس هو على التحديد حتى لا يزاد
عليه ولا ينقص منه انما خرج والله اعلم على التعظيم لذلك والاجلال لانه اخبر في النفقة التي تنفق
في سبيل الله انها تزداد وتنمو الى سبع مائة ولا نحو ذلك يكون له في الحسنة التي جاء بها في التوحيد يبلغ
الى ما ذكر واذا جاء بنفس ذلك التوحيد لا يبلغ ذلك او ينقص عن ذلك ولكنها والله اعلم على التعظيم
له او على التمثيل كقوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض ذكر هذا لما لا شيء عند الخلق
اوسع مما ذكر وكقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ومثله هو على التمثيل خرج لعظيم

ما قالوا

ما قالوا في الله ليس على انها تنشق وتنفطر بل على ذلك الاول انه يخرج لما ذكرنا لا على التحديد له
والوقت ثم قوله من جاء بالحسنة فله كذا ومن جاء بالسيئة فله كذا ذكر المجيء بالحسنة والمجيء بالسيئة
ولم يقل من عمل بالحسنة فله كذا ومن عمل بالسيئة ليعلم ان الثواب في ما ختم به ويقبض عليه فكانه
قال من ختم بالحسنة وقبض عليها فله كذا لانه قد يعمل بالحسنة ثم يفسدها وينقضها
بارتكاب ما ينقضه ويفسده من الشرك وغيره وهو ما روي الاعمال بالخواتيم ثم اختلف
في قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال بعضهم من جاء بالحسنة يعني التوحيد فله عشر
امثالها ومن جاء بالسيئة ضد التوحيد فلا يجزى الا مثلها وقال بعض اهل التاويل من جاء
بالحسنة يعني بالتوحيد فله عشر امثالها لكنه ليس على التحديد لما ذكرنا ولكن على التعظيم له والقدر
عند الله او على التمثيل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها يعني الشرك لا يجزى الا مثلها لكن تخليده
في النار مثل الشرك لان الشرك اعظم السيئات وفي الاية دلالة ان المثل قد يكون من غير نوعه
حيث اوجب في الحسنة من الثواب عشر امثالها ومن السيئة مثلها وليس واحد منهما من نوع
الاصل والعمل الذي يثاب عليه وقيل من جاء بالحسنة في الاخرة بالتوحيد فله عشر امثالها
في الاضعاف ومن جاء بالسيئة في الاخرة يعني الشرك فلا يجزى الا مثلها في العظم لجزاء الشرك
النار ولان الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبة وذلك كقوله جزاء وفاقا اي
وفاقا للعمل وقوله وهم لا يظلمون جميعا لا يزاد على المثل ولا ينقص مما ذكر وقوله قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم قال ابو بكر الكيساني قوله هداني اي دعاني ربي الى صراط مستقيم لكن هذا
بعيد لانه يخرج مخرج ذكر ما من عليه باللطف وليس في الدلالة والبيان ذلك لان الكفرة كانوا فيما عليه
البيان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على الهدى ويبين لهم طريقه ثم اخبر انه لا يهدي
من احب بقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء دل ان ذلك اكرام من الله تعالى
الهداية بالتوفيق له والعصمة باللطف لا الدلالة والبيان وكذلك قوله يمنون عليك ان اسلموا قل
لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم الاية فلو كان على الدلالة والبيان لكان منه ذلك ثم اخبر ان
المنة عليهم لله تعالى لا لرسوله ودل ما ذكرنا ان الهداية نفسها لا الدلالة وقوله دينا قيما
قيل قائما مستقيما لا عوج فيه كقوله ولم يجعل له عوجا قيما والعوج هو الذي فيه الافة فاخبر انه
لا افة فيه ولا عوج وقوله ملة ابراهيم لان اهل الاديان جميعا يدعون ان الذي هم عليه دين ابراهيم
فاخبر ان دين ابراهيم هو الذي عليه رسول الله لا هم وقوله حنيفا قيل مسلما والحنف هو
الميل وهو حنيف اي مائل الى دين الله اخبر انه يدعو الى دين الله تعالى والى الدين الذي كان عليه
اباؤه واجداده واوصى به الانبياء والرسل عليهم السلام وما كان من المشركين تبراه عز وجل من
الشرك وقيل حنيفا خالصا له مخلصا لم يشرك احدا في ربوبيته ولا في عبادته على ما فعل اولئك
الكفرة وفي حرف ابن مسعود وحفصة دينا قيما فطرتكم التي فطرتم عليها ملة ابراهيم حنيفا ويقرا
قيما بالتشديد وقيما بالتخفيف او يخرج قوله انني هداني ربي الى صراط مستقيم على الشكر له والحمد
على ما انعم عليه وافضل له من الاكرام له بالهداية بالطريق المستقيم والمستقيم يحتمل القائم بالحق
والبرهان وكذلك قوله دينا قيما بالحجج والبراهين ودين اولئك دين بهوى انفسهم ولذلك قال
حنيفا وقوله قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم وقوله قل ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين وقوله قل اغير الله ابغي ربا خاطب الله بهذه الايات رسوله والمراد به
الخلق كله لانه لم يكن ما كان يبلي رسول الله من السؤال والدعاء فله ان يقرا ويذكر ما يهدم

الايات ولو كان المراد بالخطاب لهذا رسول الله خاصة لكان لا يقول له قل ولكن يقول له افعل
كذا ولا تفعل كذا وعلى ذلك الخطاب في الشاهد في خطاب بعض بعضا ان لا يقولوا قل فدل انه
على ما ذكرنا وكذلك قوله قل هو الله احد من اخبر بصفات الله فعليه ان يصف له كما في
سورة الاخلاص ورسول الله وغيره من الخلائق سواء في ذلك الخطاب ثم في قوله قل انني
هداني ربي الى صراط مستقيم الاية ذكر منته بما هداه والاشتغال الى شكر ما انعم عليه وفي قوله
قل ان صلاتي ونسكي الامر باخلاص العبادة لله واسلام النفس له في جميع احواله محياه ومماته
وفي قوله قل اغير الله ابغي ربا فيه الدعاء الى وحدانية الله وربوبيته ثم في قوله انني هداني ربي
دلالة رد قول من يستثني في ايمانه لانه امره ان يقول انني هداني ربي الى صراط مستقيم من
غير ان امره بالثنيا ثم ان استثنى فيه لا يخلوا استثناؤه من احد معنيين اما ان يكون للشك فيه
او لكفران ما انعم الله عليه فعلى كل من انعم الله عليه ان يظهر ذلك وان يشكر له على ذلك على
ما امر رسوله بذلك وقوله قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين يخرج على
وجهين احدهما يخرج على الامر بالدعاء لنفسه كانه قال قل اجعل صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين والثاني على المنابذة مع اولئك الكفرة يقول انا اجعل صلاتي وعبادتي
ومحياي ومماتي لله لا اجعل لغيره شركا كما جعلتم انتم لغيره شركا في عبادته وصلاته ونسكه
والله اعلم ثم اختلف في قوله صلاتي قال بعضهم الصلاة المفروضة وقال بعضهم الصلاة
الخضوع والثناء يقول ان خضوعي وثنائي لله والصلاة هي الثناء في اللغة وقوله
ونسكي اختلف فيه قال الحسن نسكي ديني كقوله ولكل امة جعلنا منسكا اي دينا وقيل نسكي
ذبحي لله في الحج والعمرة وغيره وقيل نسكي عبادتي والنسك اسم كل عبادة وعلى ذلك
يسمى كل عابد ناسكا وقوله ومحياي ومماتي لله رب العالمين اي انا حي وميت لله لا اشرك
احدا في عبادتي ونفسي بل كله لله لا شريك له في ذلك ويحتمل ان يكون هذا على التقديم
والتاخير كانه قال قل اني امرت ان اجعل صلاتي ونسكي لله او اني امرت ان ادعو واسال
الله ان اجعل صلاتي ونسكي وعبادتي له لا اشرك غيره فيه وقوله وانا اول المسلمين وانا
اول من خضع واسلم بالذي امرت ان ابلغ لانه امر بتبليغ ما انزل اليه فيقول انا اول من اسلم
بالذي امرت بالتبليغ ويحتمل ان يكون لا على توقيت الاسلام ولكن على سرعة الاجابة والطاعة
له كقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها هو على الوصف بنهاية العظم ليس على ان بعضها
اكبر واعظم وبعضها اصغر ولكن كلها اعظم واكبر فعلى ذلك هذا النعت على وقت الاسلام
ولكن لسرعة الاجابة والطاعة له والله اعلم الاسلام هو جعل النفس وكلية الاشياء
لله سالمة اي انا اول من جعل نفسه لله سالمة وقوله قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء
يحتمل هذا وجهين يحتمل اغير الله ابغي ربا وقد تعلمون ان لا رب سواه ويحتمل اغير الله ابغي
ربا سواه وفي كل احد اثر ربوبيته والوهيته قائم ظاهر وفيما تدعوني اليه اجد اثار العبودية
والربوبية لله فيه فكيف اتخذ ربا سواه وقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها يحتمل وجهين
يحتمل لا تكسب كل نفس من سوء الا عليها اي لا يحمل ذلك عنه في الاخرة وكذلك قوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى وكقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ويحتمل ان يكون قوله ولا
تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس لو تركت وما تختار الا عليها لكن الله بفضله يمنع
بعضها وما تختار على نفسها كقوله يوسف ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اخبر

انما

انما كسبت النفس الا ما عصمها ربي وجائز ان يكون على الاضمار كانه يقول ولا تكسب كل نفس
الا عليها ولها ومثله كثير في القرآن كقوله ليكون للعالمين نذيرا وهو نذير لقوم وبشير لقوم اخرين
نذير في حال وبشير في حال وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون هو على الوعيد
وروي عن النبي عليه السلام انه كان اذا كبر للصلاة اتبع التكبير بهذه الاية ان صلاتي ونسكي
الى اخره وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة كبر ثم
قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي
الى قوله من المسلمين وذكر انه كان يتعوذ بعد ذلك ودعا طويلا وروي عن عائشة وابي سعيد
الخدري انهما قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة رفع يديه حذا منكبيه
ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فكان ابو حنيفة
رحمه الله يختار من ذلك هذا في الفرايض وكذا روي عن عمر رضي الله عنه انه قام الى الصلاة فكبر
ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وكذلك روي عن
ابن مسعود انه كان اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك وكان ابو يوسف يستحب ان يقول هذه الكلمات والكلمات التي رواها علي بن ابي
طالب رضي الله عنه من غير ايجاب لذلك ولا حظر لما سواه وكان ابو حنيفة رحمه الله لا يستحب
ان يزيد في الفرايض على ما روي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله وما روت عايشة رضي الله
عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي عن عمر وعبد الله واما في النوافل فله ان يزيد ما شا
فيها من الثنا والدعوات فيحتمل ان يكون ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه من فعل رسول الله
عليه السلام كان ذلك في النوافل وقوله وهو الذي جعلكم خلايف الارض اختلف فيه قال بعضهم
جعلكم خلايف الارض يعني اصحاب رسول الله جعلهم خلايف من تقدمهم من المكذبين والمصدقين ليعلموا
ما حل بالمكذبين برسول الله ليحذروا التكذيب والخلاف له ويرغبوا في تصديقه والموافقة له
والطاعة فيكون لهم من تقدمهم عبرة في التحذير والترغيب ويكون لهم من تقدمهم تذكرة
وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله انه كيف يجب ان يصحبوه ويقابلوه من الاحسان اليه
والتعظيم له والتصديق ويجتنبوا الاساءة اليه والتكذيب وقال بعضهم قوله جعلكم
خلايف الارض يعني البشر كلهم جعل بعضهم خلايف بعض في الوجود وفي الاحوال في الحياة والموت
والغنا والفقر والصحة والسقم وفي العز والذل وفي كل شيء وفي الصغر والكبر فيكون لهم
لمن في ذلك عبرا ودليلا على معرفة منشيهم وخالقهم لانه لو انشاهم جميعا مع ما لم يعرفوا احوال
انفسهم وتغيرهم من حال الى حال ليعرفوا ان منشئهم واحد لانهم لو كانوا جميعا معا لم يعرفوا
مبادي احوالهم من حال نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم من حال الصغر الى حال الكبر وكذلك
هذا في جميع الاحوال من الغنا والفقر والصحة والسقم ولو كان كله على حالة واحدة لم يعرفوا
ذلك لكن جعل بعضهم خلايف بعض ليدلهم على ما ذكرنا ويحتمل ما قال ابن عباس لقوم صاروا خلف
الجان فالاول يكون في بيان صحبة رسول الله وحسن المعاملة معه والثاني يكون في بيان
وحدانية الرب وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات يحتمل هذا في الاحوال
ويحتمل في الخلقة جعل لبعض فضايل ودرجات على بعض وجعل بعضها فوق بعض درجات
في الدنيا ليكتسبوا لانفسهم في الاخرة الدرجات والفضايل على ما رغبوا في الدنيا في فضايل
الخلقة ودرجات بعضها فوق بعض وينظروا الى الدون من ذلك ليرغبهم ذلك في الكتاب

الدرجات في الآخرة ويفتقر هو عن اكتساب ما يستغنون عنه من الدنيا وقوله ليبلوكم فيما آتاكم
يحتمل ليبلوكم فيما آتاكم من الأحوال المختلفة من الفقر والغناية والسقم والصحة والصغر
والكبر وغير ذلك من الأحوال ويحتمل فيما آتاكم من النعم أي ليبلوكم بالشكر على ما آتيكم من النعم
وقوله إن ربك سريع العقاب قال بعضهم هو إخبار عن سرعة إتيان العذاب لأن كل آت
قريب كأن قد جاء وكقوله أتى أمر الله وقوله اقترب للناس حسابهم واقتربت الساعة ونحوه أنه إذا
كان آتيا لا محالة جعل كأن قد جاء وقال بعضهم ذلك إنباء عن شدة عذابه لمن عصاه وقوله ورفع بعضكم
فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم قيل يبتلي الموسر في حال الغناء والصحيح في حال الصحة
ويبتلي الفقير في حال فقره والمريض في حال مرضه والابتلاء من الله على وجهين إما أمرا بالشكر
على ما أنعم أو صبرا على ما ابتلاه بالشدائد والابتلاء منه هو ما بين السبيلين جميعا سبيل الحق وسبيل
الباطل وبين أن كل سبيل إلى ماذا أفضى لو سلكه أو سلك سبيل الحق أفضاه إلى النعم الباقية
والسرور الدائم وإن سلك سبيل الباطل أفضاه إلى عذاب شديد وحزن دائم ثم خيره بين
هذين وهو معنى الابتلاء وقوله وإنه لغفور رحيم للمؤمنين قد ذكرنا والحمد لله رب العالمين

سورة الأعراف قيل إنها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العليم بخلقه اللطيف لرشد عباده
ضرب لهم الآيات والبيان ليتعلم بحكمته ويتدبروه من الجهالة إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى
ووصى به رسوله أن يدعو عباده إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فبعث محمدا صلى الله عليه
وسلم إلى الناس كافة وأنزل إليه الكتاب تلا فيه ما في الكتب الأولى ليبين لأهل الكتاب والمشركين
أن النبي الأمي العربي لم يعلم ما في كتب الأعجمية إلا من عند الله ليكون ذلك أوضح لهم في الحجة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند العربيين أنه لم يتل كتابا ولا خطه
بيمينه ولا كان عنده من شعرائهم ولا المعروف بالنسابة وعلم أنبائهم وذلك أبلغ في البرهان
فأتاهم على العرب ونزل القرآن فيه وحكم فيه الأحكام وأنزل فيه الحجج بما لبث يعجز عنه
من دون الله ليبين لهم أنه من عند الله فأبت قومه وأبوا أن يستمعوه واستكبروا عليه
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون فأتاهم العليم الخبير من قبل أنفسهم وكبرائهم فأنزل في الكتاب
كلاما افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا ظنوا أنه بديع ابتدع محمد كابتداعهم
البلاغات والأوابد وابتغوا أن يكون محمد يقدر من ذلك على ما لا يقدرون فقد أرادوا الكتاب
ليقفوا صدوده بما يبدو من الكلام فسمعوا كلاما مجيدا ونبأ عظيما وحججا نيرة ومواعظ
شافية فدخل أكثرهم في الإسلام وتفرد عنه رجال معاند متنوك وجاهل مقلد لا ينظر وفيما
أنزل مما سمعوا قوله كهيعص وطسم والمص والمر وما أشبهها فقال
المص ليعطف بها على النظر فيما بعدها ثم ابتدأ فقال كتاب أنزل إليك يقول كتاب من ربك
لتنذر به عباده فلا يكن في صدرك حرج منه يقول فلا يضيقن صدرك عن الذي فرض الله
عليك فيه من البلاغ إلى قومك وعما فرض عليك من البراءة منهم ومما يعبدون من دون الله
لكان الرسول يخاف ما خافت الرسل من بين يديه فقال موسى إني أخاف أن يقتلون وقد كان يعرف
قومه بالتسرع إلى القتل فيما ينوبهم مثل ما يأتيهم به فأمنه الله منهم بقوله والله يعصمك
من الناس وقال في آخر هذه السورة ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون يفهمها عن

الله تعالى فإنها من أعظم آيات الله لرسوله أعلمه أنهم لا يصلون إلى ما يخاف منهم وفي الأثر
أن الله تعالى لما أرسله إلى قومه قال أي رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه مثل خبزة فأمنه
الله تعالى من ذلك فقال فلا يكن في صدرك حرج من البلاغ ولا يضيقن صدرك عما فرض الله
عليك من العبادة والحكم الذي تخالف فيه قومك ثم وصف الكتاب فقال وذكرى للمؤمنين
يقول يتذكرون بما فيه ويتدبرونه فيعلمون به الحق من الباطل ويذكرون به ما فرض الله عليهم
ويحتمل أن تكون هذه الحروف المقطعة خطاب خاطب الله بها رسله يفهمونها لا يفهمها غيرهم
هذا متعارف فيما بين الخلق أن يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم ما ذكرنا فعلى ذلك يحتمل
أن تكون هذه الحروف المقطعة خطابات من الله خاطب بها رسله وهم خواصه يفهمونها ولا
يفهمها غيرهم ثم وجه فهمهم يكون لوجهين يخبرهم فيقول أي إذا نزلت إليكم كذا فاقرأ وفي
من ذلك كذا أو كان إتيانه والمراد منها معروفا بها وقت إنزالها فهموا المراد منها بما أفهمهم
الله وإن أخبروا لم يرد ذلك غيرهم كقوله إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك
الله أو أرى رسله أشياء لم يرد ذلك غيرهم ولا أطلعهم على ذلك فهي من المتشابه على غيرهم وأما
على الرسل فليس من المتشابه وقال الفراء يحتمل أن تكون هذه الحروف المقطعة المتفرقة
التي تهجاها من ا ب ت ث إلى آخرها كأنه قال إن جمعت هذه الحروف المتفرقة فجعلتها
كتابا فأنزلتها من نحو المص والر والمر ذلك الكتاب والمر وحم والله أعلم بما أراد به
ذلك وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب مقدار ما حفظنا وفهمنا من أقاويل أهل العلم في ذلك
وقوله فلا يكن في صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق في الصدر ثم يحتمل ضيق الصدر
وجوها يحتمل ضيق الصدر بما حمل عليه في ذلك من الشدائد والخطرات بتبليغه إلى الكفرة
الذين نشأوا على الكفر والشرك وخاصة الفراعنة والملوك الذين همتهم القتل والإهلاك
لمن اشتغلهم بالخلاف أو أن يوسوس في صدره الشيطان أنه ليس من عند الله أو أن يقول
له إنه سحر أساطير الأولين ثم يحتمل قوله فلا يكن في صدرك حرج منه على النهي أي لا يكون في
صدرك منه حرج أي لا يضيقن صدرك ما حمل عليك وقال بعضهم فلا يكن في صدرك حرج
أي شك أنه من عند الله نزل وقد ذكرنا أن العصمة لا تمنع النهي لأنه بالنهي ما يكون عصمة
ويحتمل لا على النهي ولكن على أن لا تحمل على نفسك ما فيه هلاك كقوله ولا تحزن عليهم ولا
تك في ضيق مما يمكرون وكقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس على النهي ولكن على أنه
لا تحمل على نفسك ما فيه هلاك نفسك لكن ذلك هذا والله أعلم ثم إن الله عز وجل آمنه عما كان
يخاف من أذيتهم بقوله والله يعصمك من الناس وآمنه من وساوس الشيطان على ما روي في
الخبر أنه قيل له ألك شيطان فقال كان ولكن أعانني الله عليه فأسلم آمن عز وجل رسوله عن
ذلك كله لما ذكرنا وقوله لتنذر به يحتمل أنه أمر أن ينذر به الكفرة ويبشر به المؤمنين
كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فعلى ذلك قوله لتنذر به الكفرة وذكرى للمؤمنين
أي بشرى لهم على ما ذكرنا ويكون في الإنذار بشرى لأنه إذا أنذر فقبل الإنذار فهو له بشرى ويحتمل
قوله لتنذر به أي لكل الموافق والمخالف جميعا كقوله نذيرا للعالمين وذكرى للمؤمنين أي
الذي ينتفع به المؤمنون وقوله اتبعوا الآية لا تتبعوا أولياء في التحليل والتحريم
وفي الأمر والنهي لأنه ليس إلى الخلق التحليل والتحريم وقوله اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم
أمر المؤمنين أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم على ما أمر رسوله أن يتبع ما أنزل إليه من ربه

٦٢٧

كقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك ليعلم ان ما انزل الى رسول الله منزل الى المؤمنين جميعا و **قوله** اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكر وما تحلّ وما تحرّم وما يامر وما ينهى ولا تتبعوا من دونه اولياء قيل اباؤنا اي لا تتبعوا من دونه اولياء فيما تحلّون وما تحرّمون وبامرون وينهون اي اغا عليهم اتباع ما حرم عليهم واستحلال ما احل لهم وانما انشا التحليل والتحريم فلا وقال بعض اهل التاويل اولياء اي الاصنام والاوثان ولكن لا يحتمل هٰهنا ولكن ما ذكرنا الكفرة كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحريم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكانوا لا يتخذون اولئك الاحبار اربابا في الحقيقة ولكن كانوا يتبعونهم فيما يحلون ويحرمون ويصدقون انهم فسموا بذلك لفرط اتباعهم اولئك في التحليل والتحريم والله اعلم و **قوله** قليلا ما تذكرون قال اهل التاويل يعني بالقليل المؤمنين ويحتمل قوله قليلا ما تذكرون اي لا تتذكرون انما لان الخطاب جرى به لاولئك الكفرة وجهه من اول الاية و **قوله** وكم من قرية اهلكناها قال اهل التاويل خوّف اهل مكة بتكذيبهم الرسول باهلاكه الامم الخالية بتكذيبهم الرسل يقول وكم من قرية اهلكناها بتكذيبهم الرسل فاحذروا يا اهل مكة تهلكون بتكذيبكم الرسول وان كانوا لا يعرفون هم اهلاك الامم الماضية انه انما اهلكوا بتكذيبهم الرسل عيانا فهم وان كانوا لا يعرفون هم ذلك بانفسهم لما ليس عندهم كتاب لكن يصلون الى علم ذلك بمن عندهم الكتب وهم اهل الكتاب فيلزمهم الحجة كالعجم وان كانوا لا يعرفون الكتاب الذي انزل بلسان العرب فان الحجة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالعرب فعلى ذلك هؤلاء وان لم يكن عندهم علم باهلاك اولئك فتلزمهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل ولم ينظر في كتبهم ولا اختلف اليهم ليعلم ذلك عن ذلك ثم اخبرهم بذلك فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل و **قوله** فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون قال ابو بكر الكيساني البأس هو كل امر معضل شديد من المرض والجرح وغيره ويقول روي عن عمر انه لما طعن قيل له لا باس عليك فقال ان كان في القتل باس فبي ذلك واما غيره من اهل التاويل فقالوا البأس العذاب و باسنا عذابنا و **قوله** بياتا او هم قائلون البيات بالليل والقيلولة بالنهار عند الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن اخبر انه انما ياتيهم عذابه في حال الغفلة او في حال الامن لئلا يكونوا غافلين عن امره ولا يكونوا امنين عن عذابه و **قوله** فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا اي ما كان دعواهم قبل نزول العذاب الا الكفر قالوا نحن على الحق وان غيرهم على الباطل فاذا جاءهم باسنا اعترفوا بظلمهم كقوله الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقال بعضهم فما كان دعواهم حين نزول العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين و **قوله** فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين يذكر في هذه الاية انه يسال هؤلاء جميعا الرسل والمرسلين اليهم وقال في اية اخرى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقال لا يسال عما يفعل وهم يسالون لكن قوله لا يسال عن ذنبه اي لا يسال عما فعل وعن نفس ما ارتكبت كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية لم اذنبت ولما فعلت ذلك ولكن يسال لما ذا فعلت فيسال عن الحجة لم اذنبت ولم فعلت وقد ان يسال في وقت ولا يسال في وقت اخر وقال بعضهم لا يسال عن ذنبه غيره وانما يسال صاحبه وفاعله يخبر والله اعلم ان امر الاخرة على خلاف امر الدنيا لان

٦٢٨

في الدنيا يؤاخذ غيره بذنب اخر كما قيل ان احضار قريبه واما في الاخرة فانه لا يؤاخذ غيره بذنب اخر لكن كان ما ذكرنا او ان يكون قوله لا يسال عما اظهر وابدي ولكن يسال عما اسر واخفى لان الملائكة قد يكتبون ما ابدوه واظهروه كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال عما اسروا على التقرير ولا يسال عن غير ذلك و قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين قال بعض اهل التاويل يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى الامم ويسال قومهم هل بلغ الرسل اليهم الرسالة ويكون سؤال الرسل سؤال شهادة كقوله لتكونوا شهداء على الناس لانه انه قد بلغ الرسالة وقال بعضهم يسال الملائكة عن تبليغ الرسالة الى الانبياء ويسال الانبياء عن تبليغ الملائكة اليهم وامكن ان يكون السؤال للرسل عما اجيبوا وكان سؤال الامم عما اجابوا الرسل كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وكقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين او ان يكون سؤال القوم سؤال التقرير عندهم واقرارا لما كانوا ينكرون تبليغ اليهم كقوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لا غير لانه كان يعلم انه لم يكن قال لهم ذلك لكنه يسال لهم سؤال تقرير ليقرّ وابدا كذلك لئلا يتقولوا هو قال لهم ذلك لافرادهم ان عيسى هو الذي قال لهم ذلك فيكون ذلك الاول و **قوله** فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عن علمهم وصنيعهم ولكن يسالون لما ذكرنا والله اعلم فيشبه ان يكون فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ذكر هذا لما يحتمل ان يظن به الخفاء عليه لما ذكر من المسالة لهم والسؤال ومثل الاستخبار عما يستر ويضمر ليظهر ذلك هذا هو معنى السؤال في الشاهد والاستخبار فاخبر عز وجل بقوله فلنقصن عليهم بعلم على ان سؤاله ليس بسؤال استخبار واستطلاع له ولكن سؤال توبيخ وتقرير او سؤال شهادة وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان للتقرير لا لامر ذا الخفي لا لانها رضي خفي عليه وان كان في الشاهد يكون كذلك او ان يصير ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم فسمي ذلك الامر منه والنهي ابتلاء وامتحانا لما عند الخلق ابتلاء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمي بالذي فيما بينهم والله اعلم و **قوله** والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك كذا قال الحسن يكون ميزانا له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات من ثقل موازينه دخل الجنة ومن خفت موازينه دخل النار وقال غيره من اهل التاويل يريد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها لمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار الى هذا يذهب كثير اهل التاويل ولا يحتمل ما قالوا اما قول الحسن ميزان له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات لا يحتمل لانه قال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون اذا ثقل احدى الكفتين خفت الاخرى واذا خفت احديهما ثقلت الاخرى فكل واحد منهما ممن ثقل موازينه وخفت وقد اخبر في الاية ان من ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم ولا يحتمل ايضا ما قال غيره من اهل التاويل انه اراد بالموازين الحسنات والسيئات لان الاية في المؤمنين والكافرين فلا سيئة ترجح في المؤمن مع ايمانه ولا حسنة ترجح في الكافر مع شركه الا ان يقال المؤمن حسناته وتقابل بسيئاته دون ايمانه وكذلك الكافر تقابل سيئاته بحسناته دون الشرك فذهب

حسناتهم التي كانت لهم في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا فقد عجل لهم جزا حسناتهم التي عملوا
في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا واما المومن فيتجاوز عن سيئاته ويتقبل عنه احسن ما عمل
كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وان يكون ما ذكر من
الميزان هو الكتاب الذي ذكر في اية اخرى بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا واما من اوتي كتابه وراء ظهره الاية وكما قال فاما من اوتي كتابه بيمينه
فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
وقال بعضهم الوزن هو العدل كقوله ونضع الموازين القسط لم يقل نضع الموازين بالقسط
ولكن قال ونضع الموازين القسط والقسط هو العدل فهو اخبار عن العدل انه يعدل
بينهم يومئذ وقال بعضهم الوزن يومئذ الحق اي الجزا يومئذ الحق يجزي للطاعة الحسنة
الثواب وللسيئة عقاب وعذاب فهو حق وقال بعضهم قوله الوزن يومئذ الحق اي الطاعة
حق كل يطيع يومئذ فهو حق ويحتمل ان يكون الوزن الحدود والتقدير كقوله وانبتنا فيها
من كل شي موزون اي محدود مقدر ويدل على ذلك قوله الوزن يومئذ الحق اي الحد يومئذ الحق
لا يزاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التي عملوا في الدنيا والله اعلم بما اراد بالوزن
ثم قال اهل التاويل في قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم اي غبنوا وذلك انه ما من
احد من مومن وكافر الا وله في الجنة والنار منزل واهل يرث المومن المنزل الذي كان
للكافر في الجنة ويرث الكافر المنزل الذي للمومن في النار فذلك الخسران الذي خسروا
لكن هذا لا يحتمل ان يكون الله تعالى يجعل للكافر في الجنة منزلا واهلا مع علمه انه لا يومن
ويختم على كفره ويحتمل الخسران الذي ذكر بانهم خسروا في الدنيا والاخرة لما فات عنهم
النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا الى نعيم الاخرة فذلك هو الخسران المبين في
الدنيا والاخرة وقوله بما كانوا باياتنا يظلمون قال الحسن باياتنا ديننا يكذبون ويكون
باياتنا حججنا يظلمون اي يضعونها في غير موضعها وما ذكر من ظلمهم الايات لان الظلم هو
وضع الشي في غير موضعه ثم المسالة فيمن ارتكب كل ذنب وكبيرة في حال كفره ثم امن
في اخره صار ما كان ارتكب في حال كفره من الكباير مغفورا معفوا عنه غير مواخذ بما
ارتكب ذلك في حال ايمانه وختم على الايمان لم يعمل الايمان في تكفيره وكان مواخذا به
وذلك والله اعلم لوجهين احدهما ان ليس على الكافر نفس افعال الطاعات وانما
عليه قبول تلك الاعمال فاذا اسلم فقد قبلها ولم يكن عليه في ذلك الوقت الا القبول لذلك
لم يواخذ بما كان منه من الاعمال واما المومن فعليه نفس افعال تلك الطاعات وتلك
الاعمال وقد كان منه القبول اخذ بما كان منه التفريط في تلك الاعمال والثاني ان الكافر
اذا اسلم فقد ما ارتكب من الكباير لم يجرح ايمانه ولا ادخل فيه نقصانا فلم يواخذ بما كان
منه لما قدم على ربه بايمان كامل واما المومن اذا ارتكب كباير فقد جرح الايمان
وادخل فيه النقصان بعمله الذي يخالف الايمان ولا يوافقه لذلك افترقا ويشبه
ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه على التمثيل ليس على تحقيق الميزان
والخفة ولكن على الوصف بالعظم لاعمال المومنين وبالخفة والتلاشي لاعمال الكافرين
لان الله عز وجل ضرب لاعمال المومنين المثل بالثبات والطيب ووصفها انها
بالثبات والقرار فيه وضرب لاعمال الكافرين المثل وشبهها بالشي الذي فيه التالف

ووصفها بالبطلان والتلاشي كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء وصف اعمالهم بالطيب والثبات والقرار ووصف اعمال
الكافرين بالخبث والتلاشي والبطلان كقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار وقال في اية اخرى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض ونحوه من الايات وصف اعمال المومنين بالثبات والقرار واعمال
الكفرة بالذهاب والبطلان فعلى ذلك قوله فمن ثقلت موازينه وصف بالعظم والقرار
والثبات ومن خفت موازينه وصف بالبطلان والتلاشي انه لا يكون لهم من الخيرات
شي ينتفعون بها في الاخرة والله اعلم قوله ولقد مكناكم في الارض قال ابو بكر
الكيساني مكناكم اي ملكناكم وجعلنا لكم فيها معايش تتعيشون بها يذكرهم نعمه ومننه
بما ملكهم في الارض وجعل لهم منافع ليشكروا عليها وقال الحسن مكناكم اي جعلناكم مستخلفين
عمن تقدمهم بمكانهم يذكرهم عز وجل ايضا نعمه عليهم بما جعلهم خلفاء الاولين وجعل لهم
معايش وتحولهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بزوال ما عن الاولين ويحتمل ان يكون
يذكرهم بهذا ما جعل لهم مكان القرار وموضع الانتشار والتقلب والتعيش والنشر
لا بد له من ذلك وكله يرجع الى واحد كقوله ام يروا انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا الحرم
مامنا لكم بحيث تامنون فيه وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم
يذكرهم عظيم نعمه ومننه التي جعلها لهم هذا اذا كان الخطاب به اهل مكة وان كان
الخطاب به الناس كافة فيخرج على تذكير النعم لهم حيث جعل الارض لهم بحيث يتقلبون فيها
ويتقلبون فيها وقوله قليلا ما تشكرون يحتمل وجوها وكذلك قوله قليلا ما تذكرون
احدها انهم كانوا يقرون انه خالقهم بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله كانوا يقرون بالوهيته ويصرفون العبادة الى غيره فلذلك قال قليلا
ما تشكرون والثاني ان لا تشكرونه ولا تذكرونه البتة ويحتمل قليلا ما تشكرون اي
المومنين يشكرون ولا يشكر اولئك والمومنون قليل وهم اكثر والرابع اي ليس في وسعهم
القيام بشكر جميع ما انعم عليهم لكثرة نعمه لا يبقى لهم القيام بشكر واحدة فكيف بشكر
الجميع فذلك الشكر قليل وقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن قوله خلقناكم
ثم صورناكم واراد آدم خاصة لانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم اخبر انه امر الملائكة بالسجود لادم بعد الخلق ولو كان المراد منه نحن لكان
السجود بعد خلقنا وقد كان السجود قبل ذلك وقال غيره المراد منه البشر كله لانه
قال ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم اخبر انه امر الملائكة بالسجود لادم ولو كان المراد
لادم بقوله خلقناكم ثم صورناكم خاصة لكان لا يذكر ادم ثانيا فدل انه اراد ذريته
وقال بعضهم خلقناكم من آدم ثم صورناكم في ارحام امهاتكم ويحتمل ما قال الحسن ويحتمل وجها
آخر وهو ان قوله ولقد خلقناكم اي قدرنا كونكم وذلك الاصل من نفس آدم لان الخلق
هو التقدير كما تقول انا خلقته اي قدرته بيقين والله اعلم خلقناكم اي قدرناكم جميعا
من ذلك الاصل والكيان ومنه صورناكم ثم قلنا للملائكة اي وقد قلنا للملائكة اسجدوا

لادم وذلك جائز في اللغة وقد يقول بعض اهل الكلام ان النطفة هي انسان بقوة ثم
تصير انسانا بالفعل ويقول بعضهم هي كيان الانسان فيجوز ان يكون اضافتنا الى ذلك لكون
لما هو كيان واصل لك وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال الحسن ابليس لم
يكن من الملائكة وذلك ان الله عز وجل وصف الملائكة جملة بالطاعة له والخضوع بقوله
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وغير من الايات ولم يكن من ابليس الا كل شر وقال ايضا خلق الملائكة من نور وابليس
من نار على ما ذكره والنار ليست من جوهر النور فدل انه ليس من الملائكة وقال في قوله
فسجدوا الا ابليس مثل هذا السجود انه قال دخل هذه الدار اهل البصرة الا رجل من اهل
الكوفة دل الاستثناء الا ان دخلها كل اهل الكوفة فعلى ذلك يدل استثناء ابليس
على انه كان هنالك امر بالسجود لادم لغير الملائكة ايضا ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة انه كان من الملائكة او من غيره انما علينا ان نعرف انه عدو لنا وقد ذكرنا هذه فيما
تقدم وقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قيل قوله ما منعك ان لا تسجد اي ما منعك
ان تسجد على ما ذكر في اية اخرى والا زايدة وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين فيه علم عدو الله ان المخلوق من النار خير من المخلوق بالطين الا ان يقال بان النار
جعلت لمصالح الاغذية لمن هنا وقع له ذلك انها خير من الطين فيقال ان النار وان جعلت
لاصلاح الاغذية فالطين جعل لوجود الاغذية فالذي جعل لوجود الشي انفع واكبر من
الذي جعل لمصالحه ولعل الاغذية تصلح للاكل بغيرها بالشمس وغيرها وبعد فان الطين
مما يقوم للنار ويطفيها ويبطلها والنار لا تقوم للطين ولا تتلفه فاذا كان كذلك فلا يجوز
ان يقع من هذا الوجه انها افضل واخير من الطين ثم اختلف في الجهة التي كفر عدو الله
ابليس قال بعضهم ان ابليس عدو الله لم ير لله على نفسه طاعة بامره بالسجود لادم لذلك كفر
وقال اخرون انما كفر عدو الله لما لم ير الامر بالخضوع والطاعة من فوقه لمن دونه حكمة
فكفر لما لم ير انه وضع الامر بالسجود موضعه بل راه لعنة الله واضعا امره غير موضعه وقال
بعضهم كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر على ادم لا لمعنى اخر وقيل اول من احدث القياس
وذلك قبيح ابليس لعنة الله وقوله فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها اختلف فيه قال
بعضهم قوله اهبط منها يعني من السماء لانه لعنة الله كان في السماء فامر بالهبوط منها لما
جعل السماء معدنا ومكانا للخاضعين المتواضعين فامر بالهبوط منها الى مكان جعل ذلك
المكان مكان الخاضعين والمتكبرين جميعا وهي الارض اذ الارض معدن الفريقين جميعا وقال
بعضهم الامر بالهبوط منها امر بالخروج من الارض الى جزاير البحور لان الارض هي قرار
اهلها وجزاير البحور ليست بمكان قرار لاحد فيكونون فيها على الخوف ابدا الا ترى انه قال
جعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والبحار ربما لا تميد باهلها وامكن ان يكون الامر بالهبوط
منها امرا بالخروج من الصورة التي كان فيها الى صورة اخرى لا يعرف ابدا ولا يرى عقوبة
له لتركه امر الله وارتكابه نهيه فما يكون لك ان تتكبر فيها اي في تلك الصورة التي
تلك الارض حين لا يقر ابدا ويكون على خوف ابدا وتحتمل في السماء لما ذكرنا وقوله فاخرج
انك من الصاغرين ووجه صغاره انه ما من احد ذكره الا وقد لعنه ودعا عليه بالتعس فذلك
صغاره وامكن ان يكون صغاره لما صيره بحال يغيب عن الابصار ولا يقع عليه البصر او بما

طرده عن رحمة الله وقوله انظرني الى يوم يبعثون اختلف فيه قال بعضهم انظره الى النفخة الاولى
ليلا يذوق الموت فيتصل حياة الدنيا بحياة الاخرة ومن ما ذكر في اية اخرى فانك من المنظرين الى
يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم انظره الى يوم البعث وظاهر ما خرج من الخطاب ان يكون انظره
الى يوم البعث لانه سال ربه ان ينظره الى يوم البعث حيث قال فانظرني الى يوم يبعثون فقال
انك من المنظرين خرج ذلك جوابا لسؤاله وما ذكر من الوقت المعلوم في اية اخرى يحتمل ان يكون هو ذلك
اليوم وقال غيره انظره ولم يبين ذلك الوقت الذي انظره الى ذلك الوقت حتى يكون ابدا على خوف
ووجل الا ترى انه قال فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم لو كان الوقت انظره
معلوما عنده لكان لا يخاف الهلاك بدون ذلك الوقت دل انه كان غير معلوم عنده وقوله
فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال الحسن قوله فبما اغويتني اي بما لعنتني والاغواء
هو اللعن كقوله فانك من المرجومين اي من الملعونين فعلى ذلك قوله اغويتني اي لعنتني وقال
ابو بكر الكيساني اضاف الاغواء الى نفسه لما كان سبب ذلك منه وهو الامر الذي امره بالسجود
لادم والخضوع له ويجوز ان يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب نحو قوله ومنهم من يقول
ائذن لي ولا تفتني سال منه الاذن بالقعود ولا تكلفني بما لا اقوم فتفتنني بذلك وقال انما
اضاف ذلك اليه لما كان منه سبب ذلك الافتتان فعلى ذلك هذا وقال بعض المعتزلة هذا قول
ابليس فبما اغويتني وقوله كذب عدو الله لم يغوه الله فيقال لهم فان كان ابليس عدو الله
كذب في قوله فبما اغويتني فتقولون بان نوحا صلوات الله قد كذب حيث قال ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اضاف الاغواء اليه ودل هذا على
ان ابليس لم يكذب باضافة الاغواء الى الله ولكن عندنا انه اضاف الاغواء الى نفسه لما خلق
منه فعل الغواية والضلال على ما ذكرنا في غير موضع ليس كما قال هؤلاء انه اضيف اليه لمكان
ما كان منه سبب ذلك لانه لو جاز ان يضاف فعل الاغواء اليه بسبب الاغواء لجاز ان
يضاف ذلك الى الرسل والانبياء لانه كان منهم الامر وكذلك لو كان الاغواء هو اللعن
لكان كل لاعن عليه فهو مغو فيه وقال بعضهم اغويتني اي خذلتني والوجه فيه ما ذكرنا انه
خلق منه فعل الغواية والضلال وكذلك من كل كافر خذله لما علم منه انه يختار الغواية
والضلال وقوله لاقعدن لهم صراطك ليس على حقيقة القعود ولكن على المنع عن سلوك
في الطريق واراد على التلبيس عليهم الطريق المستقيم والستر عليهم لان من قعد في الطريق منع الناس
عن السلوك فيه وقوله ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم قال الحسن من بين ايديهم من قبل
الاخرة تكذيبا بالبعث والجنة والنار ومن خلفهم قال من قبل دنياهم يزينها لهم ويشهيها اليهم
وعن ايمانهم قال من قبل الحسنات يثبطهم عنها وعن شمايلهم قال من قبل السيئات يامرهم بها
ويحثهم عليها ويزينها اليهم وعن مجاهد ثم لاتينهم من بين ايديهم قال من حيث يبصرون
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم من حيث لا يبصرون وقيل من بين ايديهم من قبل اخرتهم
فلا خبرهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث على ما ذكر الحسن ومن خلفهم من قبل دنياهم يامرهم
بجمع الاموال فيها لمن بعدهم من ذراريهم واخوف عليهم الضيعة فلا يصلون في اموالهم
رحما ولا يعطون لها حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فان كان لكل قوم ما كانوا يعبدون فان كانوا على
ضلالة زينها لهم وان كانوا على هدى شبهته عليهم حتى اخرجهم منه وعن شمايلهم من قبل
اللذات والشهوات فانه يزينها لهم هذا الذي ذكره اهل التاويل يحتمل ثم ذكر الايمان والخلف

وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يذكر فوق ولا تحت فيحتمل أن يدخل ما فوق وما تحت بذكر أمام واليمين
والشمال والخلف كقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ
نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء دخل ما فوق بذكر ما بين أيديهم ودخل ما تحت بذكر
الخلف فعلى ذلك هذا أيدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر فيصير كأنه قال فيأتيهم من كل وجه ويحتمل
أنه لم يذكر هذا لما أنه لا سلطان له على منع الأرزاق والبركات لأن أرزاق الخلق والبركات بما
ينزل من السماء من المطر وما يخرج من الأرض من النبات فليس له سلطان على منع إنزال المطر وإخراج
النبات من الأرض وله سلطان على غير ذلك أو يكون لما يشغلهم ويشهيهم من قبل بين أيديهم ومن
خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم من اللذات والشهوات لما إذا رأى شيئا أعجبه أتبع النظر إليه
والعدو إنما يقصد واحدا من أمام ومن وراء ومن يمين وشمال ولا كذلك من تحت ولا من فوق أو أن يكون
لما روي عن ابن عباس أنه إذا تلا هذه الآية قال إن الله منعه من أن يأتيهم من فوقهم ولو كان ذلك
لما نجا أحد فأما الفوق تصعد إلى الله ورحمته تنزل عليهم وقال قتادة أتاك إبليس من كل وجه يا ابن
آدم غير أنه لا يستطيع أن يحول بينك وبين رحمة ربك إنما يأتيك الرحمة من فوقك والذي ذكرنا
أشبه على التمثيل أنه يأتيهم من كل جانب أشبه وقوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم
وعن شمائلهم يخرج على وجهين أحدهما ليس على إرادة بين وخلف وأيمان وشمال ولكن على إرادة
الجهات كلها كأنه يقول لآتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن وأهل التأويل من بين أيديهم الآخرة
تكذيبا بها ومن خلفهم الدنيا تزيينا لها عليهم وعن أيمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات وقوله
ولا تجد أكثرهم شاكرين هذا من عدو الله ظن ظنه لا قاله حقيقة لكن الله عز وجل أخبر أنه
صدق ظنه بقوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقوله اخرج منها يحتمل منها من السماء ويحتمل
من الأرض ويحتمل من الصورة التي كان فيها على ما قلنا في قوله اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر
فيها وقيل الجنة وقوله مذؤوما مدحورا قيل مذؤوما ملوما أي مذموم ملوم عند الخلق
جميعا مدحورا قيل منفيا مبعدا من كل خير قال أبو عوسجة مذؤوم ومذموم واحد ومدحورا
مباعدا مطرودا وقوله اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين أخبر
عز وجل أنه يملأ جهنم من إبليس ومن تبعه وأطاعه لا لعينا إنما يتبعونه ويطيعونه في الكفر
والشرك بالله تعلق الخوارج بظاهر هذه الآية قوله لمن تبعك منهم وكل مرتكب معصية تابع
له لذلك استوجب الخلود وقالت المعتزلة كل مرتكب كبيرة بوعيد هذه الآية لأنه تابع له وعندنا
ليس لهم في الآية حجة في تخليد من ذكروا فيها لنا بل لأنه إنما ذكرت على إثر نقض الدين ورد التوحيد
فكأنه قال لمن تبعك في نقض الدين ورد التوحيد لأملأن جهنم منكم أجمعين وقوله ويا آدم
اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما كان أسكنه في موضع من القرار فيه والأمن كقوله
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتقروا فيه وتأمنوا فقوله لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة أسكنهما عز
وجل ليقرا فيها ويأمنا من كل ما ينغصها تلك النعم التي أنعم عليهما لأن الخوف مما ينغص النعم
ويذهب لذتها فلما أسكنهما الجنة أمنهما عن ذلك كله ثم فيه أن أول المحنة والابتلاء من الله
لعباده إنما يكون بالإنعام والإفضال عليهم ثم بالجزاء والتبدل ثم بما ارتكبوا لأنه عز
وجل امتحن آدم أولا بالإفضال والإنعام عليه حيث أسجد ملائكته له وأسكن جنته ووسع
عليه ثم امتحنه بالشدائد وأنواع المشقة جزاء لما ارتكبوا من التناول من الشجرة التي
نهاه عن قربانها ثم ما ذكرنا أن شرط امتحانه عباده في الابتداء يكون بالإفضال والإنعام

ثم بالتبدل والجزاء لقوله في شأنهم الأمر أنه قال وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم أخبر
أن ما يصيبنا هو من كسب أيدينا وموجزا لما كسبنا وفيه وفي غيرها من القصص الذي ذكر دليله
إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لأنه أخبر عما كان من غير أن اختلف إلى أحد ممن يعرف
ذلك ولا نظر في الكتب التي فيها ذكرها دل أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف أهل التأويل
في الجنة التي أسكن الله عز وجل آدم فيها وزوجته قال بعضهم هي الجنة التي يكون فيها أهل الإسلام
إليها في الآخرة وهي التي وعد عز وجل تلك وقال بعضهم هي جنة أنشأها لآدم ليسكن فيها في
السماء ولكن لا ندري ما تلك الجنة وليس لنا إلى معرفة تلك الجنة حاجة إنما الحاجة إلى ما ذكر من
المحن واختلف أيضا في الشجرة التي نهي آدم عن قربانها قال بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة
الحنطة وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل واختلافهم في صدر الكتاب قدر ما حفظناه وذكر كيف اختلفوا
في وسوسة الشيطان لآدم وحواء أنه كيف وسوس إليه ومن أين كان وهذا أيضا قد ذكرناه في
تلك القصة والحسن يقول إنما وسوس إليهما من الدنيا لا أن كان دخل الجنة وقال بعضهم وسوس
إليهما من رأس الجنة ومن جهتها بكلمهما وقوله ولا تقربا هذه الشجرة لم يرد به الدنو منها ولكن
أراد الذوق والأكل منها ألا ترى أنه قال فلما ذاقا الشجرة وذلك أن النهي لم يكن للدنو منها ولكن
للذوق والأكل منها وفيه أن الامتحان من الله مرة يكون بالحل ومرة يكون بالحرمة لأنه أذن له
التناول مما فيها من أنواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها ولكن محنة منه ثم
النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه أحدها نهي تحريم لنفسه ونهي بحق إيثار الغير
عليه ونهي عن التناول منه لداء فيه وآفة ونهي لما يخرج التناول منها بحق الجزاء فلم
يكن تعبد وقت الجزاء له وقوله ما ووري عنهما من سوآتهما وقوله ما ووري أي ستر وغطي
وسوآتهما عورتهما والسوأة العورة في اللغة وفيه أنه يحتال ليكونوا على حذر من شر إبليس
اللعين لئلا يجد فرصة علينا فإنه إنما على عقب نفسه التي أنعمها الله على عباده حيث احتال
كل حيلة حتى أبدى لهما ما ووري وكشف عنهما من العورة وعمل في إخراجهما من النعيم واللذات
وأوقعهما في الشدائد والمشقة وفيه أنه ليس حال عليه أشد من أن يرى أحدا في النعم والسعة
وقوله وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين قد ذكرنا
معنى هذا أيضا في صدر الكتاب وقوله وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين قال الحسن قاسمهما
في وسوسته إياهما إني لكما لمن الناصحين وهذا الذي يقول الحسن يومئ إلى أن آدم قد علم أنه
الشيطان وقال أبو بكر الكيساني إنه قد وقع عند آدم أن الشجرة التي نهاه ربه أن يتناول
منها هي المتصلة على جميع الشجرة فلما وسوس إليه الشيطان وقال له ما قال هل أدلكما على شجرة
الخلد وملك لا يبلى فوافق ظنه قول اللعين وما دعاها إليه ثم اشتغل فنسي ذلك فتناول
على النسيان والنسيان على وجهين نسيان الترك على العمد ونسيان السهو ولا يحتمل أن يكون
آدم ترك ذلك عمدا ولكن على نسيان السهو إلى هذا يذهب أبو بكر الأصم أو كلام نحوه وقرأ بعضهم
قوله إلا أن تكونا ملكين بكسر اللام من الملك ذهب في ذلك إلى ما قال هل أدلكما على شجرة الخلد
وملك لا يبلى وقراءة العامة الظاهرة إلا أن تكونا ملكين بنصب اللام من الملائكة وقد ذكرنا
جهة رغبة آدم في أن يصير ملكا حيث تناول منها في صدر الكتاب على قدر ما حفظناه وقوله
فدلاهما بغرور قال أبو عوسجة فدلاهما بغرور أي غرهما يقال دلاني فلان بحبل غرور
أي أنه زين لك الشيء حتى تركبه وأصل التدلية من الدلو وهو من الدعاء أي دعاهما بغرور

٦٤٠

ودعاؤه اياهما بغرور من قوله هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى **قوله** الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين وقوله بدت لهما سوآتهما فانه قيل كيف خص السوأة بالذكر وجميع
ما في اللباس يغطي كل البدن لا في السوأة خاصة وكذلك قوله يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم ذكر منته فيها انعم علينا من ستر العورة وذلك في العورة وفي غيره من البدن في
دفع البرد والحر وغير ذلك قيل لان كشف العورة مستقبح في الطبع والعقل جميعا واما
كشف غيره من البدن فليس هو مستقبح في الطبع ولا في العقل وربما يبدي المرء غيره من
البدن سوى العورة عند الحاجة ويستر عند غير الحاجة واما العورة فانه لا يبدي الا في
حال الضرورة لذلك كان ما ذكر او نقول ان المقصود من الستر هو ستر العورة والآخر
يلبسه انما هو للتجمل واما هو لدفع البرد والحر والاذى لذلك كان تخصيصه بالذكر والا
المنة والنعمة عظيمة في اللباس غيره من البدن فان قيل ان الله كنى عن الجماع مرة باللمس ومرة
بالغشيان وعن الخلاء بالغائط وهو المكان الذي يقضي فيه الحوائج وكذلك جميع ما لا يستحسن
ذكره مصرحا فانما ذكره بالكناية وههنا ذكر السوءة في العورة قيل السوءة والعورة هما
كناية لانه لم يذكر الفرج ولا الذكر ولا الدبر فهو كناية والثاني في ذكر تخصيص السوءة وذكرها
ان قصد الشيطان انما كان في ابداء عورتهما لا غير الا ترى ان ذلك لم يجعل لغير البشر عورة
تستر ولذلك خص الستر بالقبر اذا مات يقبر لاجل عورته ولا يقبر غيره من الدواب اذا هلك
ولا يستر في حال حياته فخرج ذكر تخصيص السوءة لما ذكرنا ان اللعين قصد بذلك قصد ابداء
عورتهما لا غير الا ترى انه قال ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما كان قصده الى ذلك و
قوله وطفقا يخصفان قال ابو عوسجة طفقا اي اخذا تقول طفقت افعل كذا اي اخذت
والخصف الخياطة في النعل والخف وهو مستعار ههنا وقال مجاهد يخصفان اي
يرقعان كهيئة الثوب وقيل يخصفان يغطيان ثم قوله طفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة اما حياء احدهما من الآخر او حياء من الله تعالى ولهذا نقول انه يكره للرجل في الخلوة ان
يكشف عورته ويبديها وعلى هذا اروي في الخبر قال فالله احق ان يستحيى او حياء احدهما من
الآخر لما بدت لكل واحد منهما عورة صاحبه ولهذا اكره ابو حنيفة رحمه الله ان ينظر الرجل الى
فرج زوجته والمرأة الى فرج زوجها او لما وقع بصر كل واحد منهما على عورته فلذلك يكره ايضا
ان ينظر المرء الى فرجه الا ترى انه قال ليبدي لهما ولم يقل ليبديهما لغيرهما انه لا ينبغي ان
ينظر الى فرج زوجته ولا الزوجة الى فرج زوجها **وقوله** وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة الآية يحتمل قوله وناداهما ربهما وحيا او وحيا لهما على يدي ملك كقوله فنفخنا فيه من
روحنا اضاف الى نفسه لما ينفخ فيه بامره فعلى ذلك هذا او المقام ما الهمهما كقوله واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت وكقوله
واوحى ربك الى النحل ونحوه وانما هو الهام **وقوله** ربنا ظلمنا انفسنا حيث او تعاني الشدائد
وكدا العيش والظلم هو وضع الشيء غير موضعه وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا قال الحسن
هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه بقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال
آدم ما ذكر في الآية وكذلك قال نوح قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم
والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقال ابراهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين
وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا بعضه خرج على الامر وبعضه على

٦٤١

السؤال وكله على الدعاء والسؤال ليس على الامر وان خرج ظاهره مخرج الامر لان الامر ممن هو
دونه لمن فوقه دعاء وسؤال وممن هو فوقه لمن دونه امر لو ان ملكا من الملوك اذا امر
بعض خدمه بامر او بعض رعيته فهو امر واذا امر بعض خدمه او رعيته الامير شيئا فهو
ليس بامر ولكنه سؤال ودعاء فعلى ذلك دعاء الانبياء عليهم السلام ربهم فان قيل ان الرسل سألوا
وطلبوا المغفرة لزلاتهم فلا يخلو اما ان اجيبوا في ذلك او لم يجابوا فان لم يجابوا فيما سألوا فهو
عظيم فان اجيبوا في ذلك والمغفرة في اللغة الستر كيف ذكرت زلاتهم في الملا الى يوم القيامة قيل
لوجوه احدها العذر لما ارتكبوا تلك الزلات عظم ذلك عليهم واشتغلت قلوبهم بذلك لعظم ما ارتكبوا
عندهم لم يخطر ببالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عنهم فعذر ان اجاب الله
بالتجاوز عنهم في ذلك او ان يقال اراد باظهار ذلك واظهارها ايقاظ غيرهم وتنبيههم في ذلك
ليعلموا ان الرسل مع جليل قدرهم وعظيم منزلتهم عند الله لم يحابهم في العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا
فمن دونهم احق في ذلك او ان ذكر ذلك ليعلموا انه ليس يغافل عن ذلك ولا يخفى عليه شيء والله اعلم
بذلك **وقوله** قالا ربنا ظلمنا انفسنا وقال وعصى آدم ربه فغوى وقال فنسي ولم نجد له
عزما فاعلمنا الله عز وجل ان آدم نسي امر ربه فقال قوم من اهل العلم اكل آدم من الشجرة وهو
ناس لنهي الله اياه عن اكلها وكان اكله منها ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وان كان فعل ذلك
ناسيا ثم ان الله تفضل على امة محمد فرفع عنهم في الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال
قوم معنى قوله فنسي اي ترك امر ربه من غير نسيان وقالوا هذا كقول الله نسوا الله فنسيهم ولا ندري
كيف كان ذلك وقال بعض اهل العلم ان الخطأ والنسيان في الاحكام موضوع لهذا الحديث فيقال
لهم فما تقولون في قتل الخطأ هل فيه الدية والكفارة وما تقولون في رجل اتلف متاع رجل او احرقه
ناسيا او مخطئا فان قالوا ذلك لازم عليه فكيف تقولون ان الحديث جاء في الاحكام وانتم توجبون
الضمان وقال بعضهم وجه الحديث عندنا ان الامم قبل امتنا كانت مأخوذة بالخطأ والنسيان
فيما بينهم وبين ربهم فرفع الله تعالى الحرج عن هذه الامة في ذلك تفضلا منه علينا من بين الامم
فاما الغرامات والضمانات في الاحكام التي بين الناس فهي لازمة لهم خطأ فعلوا او عمدا والله اعلم
وفي قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الى آخره دلالة النقض على المعتزلة لانهم يقولون ان الصغائر مغفورة
باجتناب الكبائر ثم من قولهم ان الرسل والانبياء معصومون عن الكبائر وزلة آدم لا شك انها صغيرة
لما ذكرنا ثم قال ان لم يغفر لنا لكان من الخاسرين فآدم لم يكن له ان يعذبه في صغيرة فكانه قال ان جرت
وظلمت علينا لنكونن من الخاسرين وفائدة تقرير آدم وحواء ان يكونا من الملائكة لان الملك
ما ذكر انه لا يفتر عن العبادة ولا يعصي ربه ولا يحتاج الى شيء من المؤنة ومن قرا ملكين لان الملك
يكون نافذ الامر والقول في مملكته وذلك مما رغب فيه او ان يكونا اراد بذلك ليشغلهما عن نهي
ربهما حتى ينسيا ذلك فينسيا ولا عن تلك الشجرة على ما قال وفيما ذكر الخلود لانه ليس شيء
الذ ولا احلى من الحياة والاعجب انه يقال انه لم ينسيا نهي الله اياهما عن التناول منها ولكن
نسي قوله فتكونا من الظالمين لذلك تناولا ولو ذكرا قوله فتكونا من الظالمين ما تناولا والله
اعلم **وقوله** قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال آدم وحواء وابليس
والحية وقال الحسن آدم وحواء ووسوسة الشيطان لا ادري قوله ان الشيطان لم يكن في السماء
انما وسوس آدم وحواء من بعد فالامر بالهبوط لوسوسته ولذلك بقيت في اولاده الى يوم
القيامة وقال بعضهم كل قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين على ان الامر بالهبوط انما

كان من السماء وكانوا في السماء ثم قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو كان الامر بالهبوط لم
يكن معا لان ابليس امر بالهبوط حين ابى السجود وآدم وحوا حين تناولا من الشجرة ثم جمعهم
في الامر بالهبوط ليعلم ان ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر مجموعا وقوله
اهبطوا الانهم منه الهبوط من الاعلى الادنى انه قال في اية اخرى اهبطوا مصرا اي انزلوا
فيه وقوله عدو وهو عدو لنا اما بالكفر واما بما يسعى في هلاكنا كل من يسعى في هلاكنا
فهو عدو لنا ونحن اعداء له وقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قيل الى منتهى اجالكم
وابليس الى النفخة الاولى ويشبه ان يكون هذا اليس على التوقيت ولكن على الدوام والقرار
فيها وقوله قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون قيل الارض تعيشون وفيها تموتون
عند انقضاء اجالكم ومنها تخرجون في العقبة وقوله يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
قال ابن عباس والحسن انزل من السماء القراح من السماء فيتخذ منه اللباس ما يواري عورتهم
ويتخذ منه الطعام والاشياء التي بها قواموا انفسهم ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم لباسا انزل
الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس والاطعمة والاشربة والعلم في ذلك لانه لولا ما انزل
من السماء ذلك الماء والاسباب والعلم بذلك والا ما عرفنا الخلق كيف يتخذ ذلك لباسا
والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة لانه لو لم يعرفوا ذلك الا بوحي من السماء او ان
يكون قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ورياشا اي جعل لكم وانشا لكم وتتخذون
منه اللباس والطعام والشراب ليس على الانزال ولكن على ان جعل لكم ذلك كقوله جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون وقوله جعل لكم اي انشا لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم
وهو ان خلق لنا ذلك وفيه دليل خلق افعال الخلق لانه انما صار لباسا وطعاما وما لا بفعل
من العباد لا انه انزل من السماء هكذا ثم اخبر انه جعل ذلك لنا دل انه خلق فعل الخلق فيه
وقوله وريشا قال بعضهم مالا وقال بعضهم معاشا وقال القتبي الريش والرياش
ما ظهر من اللباس وريش الطائر ما ستر به وقوله ولباس التقوى في حرف ابن مسعود
ولباس التقوى بالرفع على الابتداء اي لباس التقوى خير ومن نصبه ايضا فانما نصبه على الجواب
لما تقدم والاخير فيه الرفع ثم اختلف فيه اهل التاويل قال الحسن لباس التقوى الدين
وقال ابو بكر الاصم القرآن وقيل العفاف وقيل الحياء وقيل الايمان فكله واحد اي كل ما ذكر
من لباس التقوى خير من اللباس الذي ذكر لان الدين والايمان والقرآن والحياء يزجره ويمنعه
عن المعاصي فهو خير لانه لباس في الدنيا والاخرة لان المومن التقي العفيف الحيي لا يبدو له
عورة وان كان عاريا من الثياب وان الفاجر لا يبالي يبدو منه عورته وان كان كاسيا
من الثياب لا يتحفظ في لباسه فلباس التقوى خير وهو كقوله فان خير الزاد التقوى هذا
التاويل للقراءة التي تقرا بالرفع لباس التقوى على الابتداء واما من قراءه بالنصب فهو
رده الى قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ثم انزلنا عليكم ايضا لباسا
تتقون به الحر والبرد والاذى يكون فيه ذكر لباس لستر البدن وفي الاول ذكر لباس
الموادة وقوله ذلك من ايات الله يحتمل قوله ذلك الذي اتخذ منه اللباس والاطعمة
والاشربة من ايات الرسالة لان كل ذلك انما عرف بالدليل بوحي من السماء وهو ما ذكرنا ان
فيه دليل اثبات الرسالة ويحتمل ذلك من ايات الله اي من ايات وحدانية الله وربوبيته لما
جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ذلك ان منشئهما ومدبرهما

واحد لانه لو كان تدبير اثنين ما اتسق تدبيرهما المنافع لاتصالها منافع احدهما بالاخر وقوله
لعلهم يذكرون اي لعلهم يوقنون للتذكير لعلهم يتقون اي لعلهم يتقون للتقوى ولعلهم
يوقنون للشكر لانه حرف شك هذا احسن ان يقال والله اعلم او نقول لكي يلزمهم التذكر والشكر
وقوله يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قال بعضهم خاطب به اهل
مكة في تكذيبهم رسول الله وسخا لفتهم امره اي ان لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم
من دار الامن والسعة وقال بعضهم قوله لا يفتننكم الشيطان اي احذروا عداوته اي
ما يدعوكم اليه فانه يمنع عنكم في الاخرة الكرامة والثواب كما اخرج ابويكم من دار الكرامة
والمنزلة وقال اهل التاويل لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم الشيطان ويغويكم كما
فعل بابويكم اخرجهما من الجنة وقال اخرون قوله لا يفتننكم الشيطان بما تهوى به انفسكم
واماناتكم الى شهوتها وتقاد امانيها كما اخرج ابويكم من الجنة بما هوت به انفسهما واشتهتها
يحذرهم اتباع هوى النفس وشهوتها وتقاد امانيها فان سبب الذي به كان اخراجهما هو هوى النفس
وامانيها وقوله ينزع عنهما لباسهما يحتمل قوله ينزع اي نزع عنهما لباسهما وهذا في القرآن
كثير يفعل بمعنى فعل ويحتمل على الاضمار كانه قال اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
وقد ذكرنا ان المقصود من الستر هو ستر العورة لا غير لان الحيوان ليحتاج اليه اولم يحتج واما غيره
من الستر فانما هو لدفع الاذى من الحر والبرد وللتجمل والمنتفع بالشيء والمشغوف به والمولع
به يقول لا يمنعكم عن دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة وكان قصده بما ذكر من نزع اللباس
وابداء العورة وهو ما ذكر وقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قيل قبيله جنوده
واعوانه حذرنا ابليس واعوانه بما يرونا ولا نراهم فان قيل كيف كلفنا محاربته وهو حيث
لا نراه وهو يرانا ومثله في غيره من الاعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه اولا نقدر القيام
بمحاربته والتحرز في وسعنا القيام بمحاربة من لا نراه قيل انه لم يكلفنا محاربته انفسهم اذ لم يجعل
له السلطان على انفسنا وانشاءنا ومطاعمنا ومشاربنا وملابسنا ولو جعل لهم ذلك لاهلكوا
انفسنا واهلكوا غداءنا انما جعل له السلطان في الوساوس فيما يوسوس في صدورنا وقد
جعل لنا السبيل الى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر نحو قوله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ الاية وقوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا وعلمنا ما به ندفع وساوسه وهمزاته وجعل لنا الوصول الى دفع
وساوسه بالحجج والاسباب جعل لنا فهذا ابدان على ان الله يجوز ان يكلفنا باشياء لم يعطنا اسباب
تلك الاشياء ابدانا جعل في وسعنا الوصول الى تلك الاسباب وان لم يكن وقت التكليف تلك
الاسباب معه نحو الامر بالصلاة وان لم يكن في الطهارة اذ جعل في وسعنا الوصول الى الطهارة
ونحو الامر باداء الزكاة وان لم يكن وقت الامر من يودي اليه كاملا ونحو الامر بالحج وغيره
من العبادات وان كان لا يصل الى اداء ما افترض عليه الا بعد اوقات مع احتمال الشدائد
وهذا يرد ايضا على من يقول ان لا يلزم الاوامر والمناهي من جهلها ولا يكلف الا بعد العلم
بها لانه يتكلف حتى لا يلزمه فرض من فرائض الله وعبادة من عباداته لانه لا يكتسب اسباب
العلم بها فيلا يلزم ذلك فهذا بعيد محال والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يومنون اختلف اهل الاعتزال فيه قال ابو بكر الاصم الجعل من الله
على وجوه احدها التسليط اي اعطينا هم التسبب الذي به صاروا اولياء لهم كما تقول

الأجل الآخر جعلت لك الدار والعبيد والمال، ومن لم يجعل له ذلك ولكن أعطاه مما به
صار ذلك به، وسمي إنما أعطاه سبب ذلك فيضاف ذلك إليه، فعلى ذلك ما أضاف الجعل
إليه لما أعطاه السبب. وقال جعفر بن حرب: الجعل هو التخلية خلى بينهم وبين أوليائهم فأضاف
ذلك إليه بالجعل، كما يقال للرجل جعلت عبدك فتنة لأمن أبى إذا خلى بينه وبين ما يفعله
ولم يأخذ على يده ويمنعه عن ذلك، فعلى ذلك فيما أضاف الجعل إلى نفسه هو أن خلى بينهم وبين ذلك
يعملون ما شاؤوا. وقال الحسن: من حكم الله أن من عصى يكون عدوًا له ومن أطاعه يكون وليا له،
ومن أطاع الشيطان فهو وليه ومن عصاه يكون عدوا له، هذا حكم الله في كل من أطاعه يكون وليا
له ومن عصاه يكون عدوا له. وقال بعضهم من المعتزلة: قوله ﴿جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾
أي وجدناهم كذلك أولياء لهم، ولكن لو جاز إضافة ذلك إلى الله لما ذكر هو لا لجاز إضافة ذلك
إلى الأنبياء، لأنه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم بذلك والحكم على ما قال الحسن، الوجوه
فإذا لم يجز إضافة ذلك إليهم دل أنه قد كان من الله في ذلك صنع لم يكن ذلك من الأنبياء، وهو
أن خلق منهم فعل الولاية لهم لما علم منهم أنهم يختارون ولايتهم ويتولونهم كقوله ﴿إنما سلطانه على
الذين يتولونه﴾ وبالله العصمة والنجاة. وقوله ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ قال ابن عباس: كل معصية
فاحشة، والفاحشة كل ما عظم فيه النهي، فإذا ارتكبوا ذلك فهو فاحشة. وقال مجاهد: فاحشتهم
أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة. وقال غيره من أهل التأويل: الفاحشة هو ما حرموا من الحرث
والأنعام وغيره من نحو السائبة والحامي وغيره، لكن الفاحشة ما ذكرنا أن كل ما عظم النهي فيه
والزجر فهو فاحشة، والفاحشة هو ما عظم فيه الأمر يعرف ذلك بوجهين: أحدهما يحكم ذلك
في العقل، والثاني في السمع يرد فيه. وقوله ﴿والله أمرنا بها﴾ ادعوا في ذلك أمر الله ورضاه
به، ويقولون لو لم يرض بذلك إما من لكان ينكلهم وينتقم منهم، يعنون آباءهم، فاستدلوا بتركهم
وما فعلوا على أن الله قد كان رضي بذلك وأمرهم أن يفعلوا بذلك، فدل تركه إياهم على ذلك أنه
قد أمرهم بذلك ورضي عنهم، كمن يخالف في الشاهد ملكا من الملوك في أمره ونهيه فإنه ينكله
على ذلك وينتقم منه إذا كان قادرا على ذلك، فإذا لم يفعل ذلك به دل ذلك منه على الرضا به،
فعلى ذلك الله لما لم ينتقم منهم ولم ينكلهم دل ذلك على الرضا والأمر به. والثاني كأنهم أخذوا
ذلك من المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا ما شاء الله كان، ظنوا أن ما كان من آبائهم كان بأمر
من الله ورضاه، لم يفصلوا بين المشيئة والأمر، المشيئة الحب والإرادة صفة لكل فاعل
يفعل على الاختيار، نحو أن يقال شاء يفعل كذا أو أراد أمر كذا، ولا يجوز أن يقال أمر نفسه بكذا
أو نهى نفسه عن كذا. وأما قولهم إنه لم ينكل آباءهم ولم ينتقم منهم بما فعلوا، دل أنه رضي بذلك،
فيقال إن فيهم من نكل على خلاف فعلهم، وغير منتقمهم ضد ما نكل أولئك، ثم لم ينكل بهم ذلك،
فقل دل ذلك على الرضا منه بذلك، فإن قلتم بلى فإذن رضي بفعلين متضادين، وإن قلتم لا يكون
دل ذلك في أولئك على الرضا والأمر، والحد فيمن فعلوا بخلاف فعلهم، فهذا تناقض وقد ذكرنا
فيما تقدم والله أعلم. قل لهم يا محمد ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أن
الله أمر بهذا وحرم هذا. وقوله ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ الفحشاء هو ما ذكرنا ما عظم
النهي فيه أو كل ما يشتد فيه النهي ويغلظ أو يكثر هو الفحشاء والفحش. ألا ترى أنه يقال لكل شيء يكثر فحش،
من نحو الكلام وغيره أنه إذا خرج من حده وجاوز يقال فحش، فعلى ذلك الفحشاء ههنا هو
ما جاوز حده في القبح أو جاوز الحد من الكثرة، ثم قد ذكرنا. والافتراء على الله. وقوله

﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ قال بعضهم: بل تقولون على الله ما لا تعلمون أنه أمر بذلك. وقيل
قوله ﴿أتقولون على الله﴾ أي تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون، لأنهم لم يكونوا يؤمنون
بالرسل ولا كان لهم كتاب، فكيف تعلمون أن الله أمركم بذلك، وهو كقوله ﴿قل أتنبئون الله بما
لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾ لا يجوز أن لا يعلم الله، ولكن على النفي، لذلك ليس كما تقولون
وتنبئون، ولكن يعلم خلاف ذلك وضده، ويكون في نفي ذلك إثبات غيره، فعلى ذلك تعلمون أنهم
يقولون على الله ما لا يعلمون، وأصحابنا يعلم هذا، أما الرسل يخبرون عن الله ذلك والكتاب
يجدون فيه مكتوبا فيعلمون، فيسع الشهادة بذلك، وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون
بخبرهم، وليس لهم كتاب أيضا، فيعلمون ذلك، فما بقي إلا وحي الشياطين إليهم كقوله ﴿وإن الشياطين ليوحون
إلى أوليائهم﴾. وقوله ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ والقسط هو العدل في كل شيء في القول والفعل
وغيره، كقوله ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ وكقوله ﴿كونوا قوامين بالقسط﴾. وأصل العدل هو محافظة
الشيء على الحد الذي جعل له، ووضعه موضعه. وقوله ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ اختلف
فيه، قيل أقيموا استووا وجوهكم نحو الكعبة عند كل مسجد، أي في كل مكان تكونون فيه، وهو كقوله
﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة، كقوله ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾. وقيل
أقيموا وجوهكم أي اجعلوا عباداتكم لله، ولا تشركوا فيها غيره، والوجه يكون كناية عن العبادة وهما
واحد. وقيل أقيموا وجوهكم أي دينكم لله، لا تشركوا فيه غيره، كقوله ﴿وادعوه مخلصين له
الدين﴾. ويشبه أن يكون الوجه كناية وعبارة عن الأنفس، كأنه قال أقيموا أنفسكم فيه لا تشركوا
فيها لأحد شيئا، كقوله ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ أي يجعل نفسه لله سالما. وقوله ﴿وادعوه
مخلصين له الدين﴾ يحتمل الدعاء لنفسه، أي ادعوه ربا خالقا وإلها مخلصين له بالوحدانية
والألوهية والربوبية. ويحتمل قوله ﴿ادعوه﴾ أي اعبدوه مخلصين له العبادة ولا تشركوا
غيره فيها. ويحتمل أي دينوا بدينه الذي دعاكم إليه وأمركم به. وقوله ﴿كما بدأكم تعودون﴾
قال قائلون موصلة قوله ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ كأنهم شاهدوا لو لم يعودون
إذا بعثوا، فقال كما بدأكم خلقكم تعودون مثله. ويحتمل أن يكون موصولة قوله ﴿فمنكم كافر ومنكم
مؤمن﴾ تعودون كما كانوا في البداءة كافرا كافرا والمؤمن مؤمنا. وقوله ﴿كما بدأكم تعودون﴾
هو من الدائمة ليس من الابتداء، لأنه لا يجوز أن يقال للصبي كافر أو مؤمن، ولكن إنما الدوام
والمقام فيه إلى وقت الموت، وهو في البداءة، وفي الآخرة الإعادة، وهو كقوله ﴿وهو الذي
يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، وقوله ﴿يبدأ﴾ ليس يريد ابتداء نشوئه، ولكن كونه في الدنيا، فعلى ذلك قوله
﴿كما بدأكم تعودون﴾. والآية تخرج على وجهين: أحدهما أي كما كنتم في الدنيا تعودون في الآخرة كذلك،
المؤمن مؤمن والكافر على كفره. والثاني كما أنشأكم في الدنيا لا من شيء فعلى ذلك يبعثكم لكن لكيف
لا يعجزه شيء. وقوله ﴿فريقا هدى﴾ بما هداهم الله بفضله، ﴿وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ بما اختاروا
من فعل الضلال، فأضلهم الله، كقوله ﴿يضل من يشاء﴾ وقوله ﴿ومن يضلل الله فلا هادي له﴾. وقوله
﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ فيه دلالة لزوم الحجة والدليل في باب الحسبان والظن، إذا كان
بحيث الإدراك والوصول إليه، لأنه قال ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ فيه أنهم عند أنفسهم
مهتدون، ولم يكونوا ثم عوقبوا على ذلك، دل أن الدليل والحجة قد يلزم وإن لم يعرف بعد
أن يكون سبيل الوصول إلى ذلك. وهذا يرد قول من يقول بأن من لم يعلم الله لا يلزم الأمر، لأنه
العلم بها والمعرفة. وقوله ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ يحتمل أن يكون الخطاب

٢٢٦

وإن خرج مخرج الأمر بأخذ الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها لأن الناس يكونون آخذي
الزينة وساترين عوراتهم غير بادين لها فإذا كان كذلك فهو على النهي عن نزع لباسهم وإبداء
عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصة أن أهل الشرك كانوا إذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم
ويقولون لا نطوف في ثياب أتينا الذنب فيها فإن كان التأويل ما قال ابن عباس وهو لا يكون
فيه إضمار كأنه قال خذوا زينتكم عند هذا المسجد كما تأخذون عند كل مسجد سواه والأخرج
تأويل الآية على وجوه أحدها يقول صلوا في كل مسجد ذكر هذا المنكر يريد الصلاة إلا في مسجده
على ما روي أن لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد والثاني يقول صلوا بكل مسجد وبكل مكان كقوله
جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا والثالث يجعل الزينة العبادة نفسها يقول خذوا زينتكم
ويحتمل ما ذكر أهل التأويل كانوا يستعيرون من أهل مكة ثيابا يطوفون فيها فإن لم يجدوا إما
طافوا عراة بادين عوراتهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد أي
لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النهي عن نزع الثياب وإبداء العورة وكذلك قوله
وكلوا واشربوا يخرج على النهي عما حرموا على أنفسهم من أنواع المنافع والنعم التي أحل الله لهم من
تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ومن نحو ما حرموا من الزروع والطعام كقوله
وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها الآية يخرج قوله وكلوا واشربوا
على النهي عما حرموا مما أحل لهم لا على الأمر بالأكل والشرب ولا يدع ذلك بعد أنه يخرج على النهي
لما حرموا كأنه قال لا تحرموا ما تحرمون ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا بها فإن كان على الابتداء
الأمر بأخذ الزينة فهو والله أعلم أمر بأخذ الزينة والتجمل عند كل مسجد والمسجد هو مكان
كل عبادة ونسك على ما يكونون في غير ذلك من الأوقات يتزينون ويتجملون عند اجتماع
الناس فعلى ذلك يكونون في مكان العبادة والنسك أو أن يكون كما في المسجد اجتماع الناس
للعبادة فأمروا بستر عوراتهم في ذلك ويكون قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أي كلوا
واشربوا واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوا وهو نهي عن الكثرة أو ما ذكرنا أنه نهاهم عن التحريم
وترك الانتفاع بها وفي تحريم ما أحل الله وترك الانتفاع به إسراف أنه لا يحب المسرفين
لأنه لا يحب الإسراف وقد ذكرنا أن المفروض من الستر هو ما يستر به العورة وأما غيره
فإنما هو على دفع الأذى والتجمل ألا ترى أنه قال ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وقال
يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم منّ علينا بما أنزل مما يستر به عوراتنا وإن
كانت تلك الجنة في الحل وذلك أيضا يبيح في التجمع أن ينظر أحد إلى عورة آخر وعلى ذلك
جاءت الآثار في الأمر بستر العورة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال احفظ عورتك
إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك فقيل يا رسول الله فإن كان بعضنا في بعض قال إن استطعت
أن لا تظهر عورتك فافعل فقيل فإذا كان أحدنا خاليا فقال الله أحق أن يستحيى منه وعنه
صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ومثله
كثير وفيما ذكرنا كفاية وعلى ذلك يخرج الأمر بالإلباس لستر العورة ألا ترى أنه قال
فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه الآية ليلا يرى عورته لأنه يكون جيفة وقوله
قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال أبو بكر الأصم الزينة ههنا
هو اللباس لأنه ذكر على أثر ذلك اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والطيبات
من الرزق ما حرموا مما أحل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك

٢٢٧

مما كانوا يحرمون الانتفاع به كقوله وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وقال الحسن زينة
الله هو المركب كقوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعل الله ما يركب زينة
للخلق وهم كانوا يحرمون الركوب والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
وقال والطيبات من الرزق ألبانها ولحومها وقال غيره من أهل التأويل زينة الله ههنا النبات
وما يخرج من الأرض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها
لنبلوهم الآية وكقوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت سمى ما أخرج من الأرض
زينة وقوله قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة اختلف فيه قال
الحسن هي يعني الطيبات خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم الكفرة فيها فأما في الدنيا فقد
شاركوهم فالتأويل الأول يخرج على التقديم والتأخير كأنه قال قل هي للذين آمنوا خالصة
يوم القيامة وفي الحياة الدنيا لهم جميعا كقوله قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى
عذاب النار ويحتمل قوله قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا لأنهم لم يحرموا الطيبات
التي أحل الله لهم بل انتفعوا بها وحرم أولئك ولم ينتفعوا بها فكانت هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها للآخرة وكانت لهم خالصة يوم القيامة وإنما كانت لهم
يوم القيامة لما لا يكون لأهل الشرك ذلك لما لم يتزودوا للمعاد وقد كانت لهم في الدنيا
لأنهم حرموها ولم ينتفعوا بها وفي قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات
من الرزق دليل إباحة الزينة والتناول من الطيبات وقد يحتمل أن يكون خرج على النهي
والإنكار على ما كان يفعله أهل الشرك من نحو تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة فقال
قل من حرم ما حرمتم إذا لم يحرمه الله ألا ترى أنه قال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن يقول والله أعلم لم يحرم ما حرمتموه من هذه الأشياء ولكن حرم الفواحش وما
ذكر ثم لم يذكر جوابهم في هذا وإنما يقولون فهو يخرج على وجهين إن قالوا أحرم الله فيقال لهم
من حرم وأنتم قوم لا تؤمنون بالرسل والكتب فإن قالوا حرم فلان فيقال كيف صدقتم فلانا
في تحريم ذلك ولا تصدقون الرسل بما يخبرون عن الله مع ظهور صدقهم بين سفههم في ذلك
وقوله قل من حرم زينة الله كأنه يقول ليس لأحد تحريم ما ذكرنا إنما التحريم إلى الله وإنما
حرم ما ذكر وقد يحتمل ما ذكرنا من ترغيبهم الثياب عند الطواف ويطوفون عراة على ما ذكر
في القصة وإلى هذا يذهب ابن عباس والحسن وقتادة وعامة أهل التأويل وعلى ذلك يخرج
ما روي عن رسول الله عليه السلام حيث قال ألا لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث
وقوله كذلك نفصل الآيات أي نبين الآيات لقوم يعلمون أي لقوم ينتفعون بعلمهم أو
نقول كذلك نفصل الآيات أي كذلك نفصل حكم آية من حكم آية أخرى نفصل هذا من هذا
وهذا من هذا أو قوله قل من حرم زينة الله أنه إذا لم يمنعهم من زينة الله ما يمنعهم من زينة الخلق
لأن زينة الخلق ما يتزينون به ويتجملون لا يجب أن يمنعهم من استوائه استواء الخلق ولا
من تحسينه بحسن الخلق لأن استواء الخلق هو انتقال من حال إلى حال ولا يجوز أن يمنعهم منه
ذلك على ما لم يمنعهم من زينة الله وقوله قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم
والبغي بغير الحق يشبه أن تكون هذه الآية مقابل قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان
والنهي ههنا تحريم فيكون الفحشاء التي ذكر في هذه الآية الفواحش التي ذكر في ذلك وا
والمنكر الذي ذكر ههنا هو الإثم الذي ذكر في ذلك وذكر البغي ههنا وهناك البغي ثمة

الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع والمنكر هو الذي ظهر الانكار فيه على من نكيره
والاثم هو الذي يأثم المرء به والبغي هو من مظالم الناس يظلم بعضهم على بعض وقال
بعضهم الفواحش هي الكباير والاثم هو الصغاير والبغي هو اخذ ما عصم من مال او نفس بعقد
الاسلام على ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فكل ما صار معصوما بالاسلام
من مال او نفس فاخذ ذلك بغي وظلم الا ما ذكر بحقها واصل البغي هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل له وقال اهل التاويل الفواحش هو الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا لكن
الفواحش ما ذكرنا انه ما ظهر قبحه في العقل وفحشه في السمع فهو فاحشة والفواحش هو
ما ذكرنا انه ما قبح في العقل والسمع وفحش فيهما فهي الفاحشة واصل المنكر كل ما لا يعرف كقوله
ابراهيم انكم قوم منكرون والمنكر ما انكره العقل والسمع ايضا وقوله وان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا اي وحرم ايضا ان تشركوا بالله وقوله ما لم ينزل به سلطانا ليس على
انه ينزل سلطانا على الاشراك بحال ولكن على انهم يشركون بالله من غير حجة وسلطان لان اهل
الاسلام هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والايات وهم يدينون بدين لا يظهر بالحجج والايات
ولكن بما هوت به انفسهم واشتهت ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا لانه
يجوز ان يعذر المرء بحال في اجراء كلمة الكفر على لسانه عند الاكراه ولا يصير به كافرا
اذا كان قلبه مطمئنا بالاسلام مشركا به كقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان اي
فتشركون بالله من غير ان ينزل بهم ما اعذر وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي
حرم عليكم ان تقولوا على الله ما لا تعلمون يحتمل وجهين احدهما انكم تعلمون انكم تقولون على
الله ما لا تعلمون هذا على الجملة والاول على الفعل كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم اي تنبئون الله
بما يعلم انه ليس مما تقولون وقوله ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اختلف فيه قال بعضهم لكل امة اجل هو وقت لدخول الرسل اليها اي لا يهلكون
ولا يعذبون لا بعد بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسول فكذبوه وعاندوه اهلكهم ذلك
يهلكون وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى
حتى يبعث في امها رسولا ويحتمل ان لكل امة اجلا لا تهلك قبل بلوغ اجلها لا يستاخرون ولا
يستقدمون فهذا يرد على المعتزلة لانهم يقولون ان من قتل انما هلك قبل بلوغ اجله ويجعلون
القاتل منه مستقدما لاجل ذلك المقتول والله تعالى يقول لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون وقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذا جاء لا
يستاخرون وان لم يجئ لا يستقدمون وقوله يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم قال اهل
التاويل قوله اما ياتينكم رسل منكم اي ان ياتيكم رسل منكم او سوف ياتيكم يقصون عليكم ثم يحتمل
قوله يقصون عليكم اياتي اي هداي كقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا
يشقى وقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فعلى
ذلك قوله يقصون عليكم اياتي هداي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويحتمل
الايات الحجج والبراهين التي تضطر اهلها الى قبولها الا من عاند وكابر فمن اتقى اتقى الشرك
واصلح وامن بالله وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فمن اتقى يحتمل اتقى
ما نهاه الرسل او اتقى المهالك واصلح فيما امر به الرسل او اصلح امره وعمله فلا خوف عليهم في

ذهاب ما اكرمهم به من الامن ولا فوته لان خوف الفوت مما ينغص ولا يحزنون بعاقبه وافاته
بخيرات نعيم الاخرة على خلاف نعيم الدنيا وقوله والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر تاويلها وقد ذكرنا في غير موضع حتى لم ياخذوا على احد منهم وفي
قوله يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم منه على خلقه منن كثيرة ونعمة عظيمة حيث بعث الرسل من
جنس المرسل اليهم احدها ان كل ذي جنس وجوهر متانس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره
من عليهم ببعث الرسل من جنسهم وجوهرهم ليستانس بعضهم ببعض ويالف بعضهم بعضا اذ ذلك
اخذ للقلوب وادعى الى الاتباع والاجابة والثاني بعث الرسل من قومهم الذين نشئوا بين اظهرهم
وعرفوا صدقهم وامانتهم ليعلموا انهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة
قط حتى لم ياخذوا على احد منهم الكذب والثالث ان الرسل لو كانوا من غير جنسهم ومن غير جوهرهم لم
يعرفوا ما اتوا من الايات والبراهين انها ايات وحجج لما يعلمون ان وسعهم لا يبلغ هذا وهو في وسعهم
لا يصل الى ذلك واذا كانوا منهم يعرفون ذلك اذا اتوا بشيء خرج عن وسعهم انها ايات وقوله
والذين كذبوا باياتنا قال الحسن دينا واستكبروا عنها ويحتمل اياتنا حججا فاذا كذبوا بحججه
كذبوا به لانه عز وجل لا يعرف من طريق الحس والعيان ولكن انما يعرف من طريق الحجج والايات
والدلائل فيكون الكذب باياته وحججه كذابا به ويشبه ان يكون الاياته ايات الرسالة
وحججها ويحتمل اياته هنا حججه رسله اي كذبوا برسلنا سمى رسله اياته لان انفس الرسل كانت
ايات للخلق بدلالتهم على وحدانية الله ورسالتهم من اعلام جعلت من انفسهم من صدقهم وامانتهم
واستكبروا عنها اي استكبروا عن النظر فيها والتفكر اولئك اصحاب النار لانهم يصحبون النار
والصحبة الذي يوجب لهم النار ان الذي اختصوا اصحاب النار بذلك كما يقال صاحب الدار وصاحب
الدابة من يصحبها وانما قيل ذلك هو لانهم اصحاب النار لانهم يصحبونها دايما ابدا والله
اعلم وقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله
فمن اظلم انما هو حرف استفهام وسؤال لم يخرج له جواب لكن اهل التاويل عن تاويل ذلك فقالوا
لا احد اظلم ممن يفتري على الله كذبا اجابوا على ما عرفوا من السؤال والاليق قوله لا احد
اظلم تفسير قوله فمن اظلم اي لا احد افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا مع علمه
انه خالقه وانه متقلب في نعمه واحاطت به اياديه واحسانه وقوله فمن اظلم اي لا احد
افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا وقوله افترى على الله كذبا قيل الافتراء هو
اختراع الكذب من نفسه من غير ان سبق له احد في ذلك كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن
واما الكذب قد يكون مما انشاه هو وما قد سبق له احد فسمع منه ثم افتراؤهم على الله انواع
يكون بما قالوا ان الله ولد وقالوا ان له شريكا وصاحبة وما عبدوا غير الله وقالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ويكون ما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ويكون ما حرموا من اشياء على انفسهم فاضافوا ذلك الى
الله ونحو ذلك من الافتراء وقوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف فيه قال الحسن
ان من اطاع الله في امره ونهيه واطاع رسله فقد كتبت له الجنة خالدا فيها ابدا فذلك
نصيبه وحظه من الكتاب قد كتب له ومن عصى الله وخالف رسله كتب له النار خالدا فيها
ابدا فهو نصيبه من الكتاب وقال ابو بكر الكيساني في قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
اي حظهم من الجزاء والعقاب في الاخرة وهو قول القتبي ويحتمل وجهين اخرين غير هذين

احدهما ما حرفوا من الكتب وغيروها ثم اضافوا ذلك ونسبوها الى الله كقوله فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
نصارى ما حرفوا هم وغيروه سنة منهم يعملون بها الى يوم القيمة فينالون هم جزاء ذلك
يوم القيمة والثاني قوله ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والنعمة فيستوفون ذلك
المكتوب لهم ثم يموتون ثم قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم على هذا التاويل جاءتهم الرسل
يقبضون ارواحهم وهو ظاهر وعلى تاويل من حمل ذلك على الجزاء في الاخرة فهو يحمل المتوفي في
النار بالشدة العذاب وان كانوا لا يموتون وهو كقوله ياتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت اي ياتيه اسباب الموت وعلى تاويل من جعل قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
في الدنيا في استيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله حتى على الابتداء وعلى تاويل من يقول
بان ذلك في الاخرة فيجب ان يكون على الصلة والاسقاط فقوله اين ما كنتم تدعون من دون
الله يقول لهم الملائكة في النار وعلى تاويل هؤلاء وعلى تاويل اولئك عند قبض ارواحهم او بعد
قبض ارواحهم وقوله اين ما كنتم تدعون من دون الله اي تعبدون من دون الله وتقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او الاكابر الذي ذكر بقوله
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اين اولئك الذين كنتم تعبدون من دون
الله قالوا ضلوا عنا اي ضلوا عنا وهلكوا اي بطل عبادتنا اي عبدناهم الا ترى انه قال
في اية اخرى أاذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
فان كان قوله اين ما كنتم تدعون من دون الله الكبراء منهم والرؤساء يكون قوله ضلوا عنا
اي شغلوا بانفسهم عنا وان كان الاصنام يكون قوله ضلوا عنا اي بطل ما كنا نطمع من عبادتنا
اياهم وهو قولهم شفعاؤنا عند الله وقوله قال ادخلوا في امم قوله في امم يحتمل مع امم
وذلك جائز في اللغة يقال جاء فلان في جنده قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار
اي المتبوعين والاتباع جميعا معا والعرب تضع حروف الخفض بعضها في موضع بعض
كقوله فادخلي في عبادي قيل مع عبادي ويحتمل في موضع في كان المتبوعين دخلوا النار
قبل الاتباع فيقال لهؤلاء الاتباع ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار
وقيل ان الكفار من الجن يعذبون كما يعذب الكفار من الانس وقوله كلما دخلت امة
لعنت اختها لعن الاتباع المتبوعين لما انهم دعوهم الى ذلك وهم صدوهم عن دين الله كقولهم
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا وكقوله وقال الذين استضعفوا الى اخر ذلك من
الايات ولعن المتبوعون الاتباع لما يزداد لهم العذاب بكثرة الاتباع ويتبرأ بعضهم من بعض
بعضا فيه وقيل ان اهل الكفر وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة واخوات بعضهم
لبعض كالمؤمنين بعضهم اخوة واخوات لبعض وقوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا قال
بعضهم هو من التدارك اي حتى اذا تداركوا وتتابعوا فيها وقيل هو من الدرك لان النار دركات
لا يزال اهل النار يهوون فيها لا قرار لهم في ذلك وفي القرار بعض التسلي والراحة فلا
يزالون يهوون فيها دركا دركا ولذلك سمي هاوية وقيل حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اي اجتمعوا فيها فعند ذلك يتلاوم بعضهم بعضا فان كان على التدارك فهو كقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو للتضييق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا

مقرنين الاية ويجتمعون يلعن بعضهم بعضا وقوله قالت اخراهم لاولاهم يحتمل قوله
اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا من النار ويحتمل قوله اخراهم الذين دخلوا النار اخرا وهم الاتباع لاولاهم
الذين دخلوا النار اولا وهم القادة والمتبوعون ربنا هؤلاء اضلونا يعني القادة والرؤساء
اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار كقوله يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسول ويشبه ان يكون قوله قالت اخراهم لاولاهم ليس على القول بعضهم
لبعض ولكن على الدعاء عليهم واللعن كقوله والعنهم لعنا كبيرا وقوله فاتهم عذابا ضعفا
من النار قال لكل ضعف قال بعضهم لكل ضعف لكل ضعفا لانها لا تزال تزداد وتعظم
ولكن ذكرنا للضعف وذلك للاتباع والمتبوع جميعا وقال بعضهم قوله لكل ضعف اي للمتبوعين
والقادة ضعف فقال لهم ملك او خزنة او من كان ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فيبدأ انه
يقال لهم ذلك وقوله ولكن لا تعلمون في الدنيا ان لكم ضعفا منها وقيل لكل ضعف ولكن
لا تعلمون الحال بان لكل ضعفا من النار وقوله وقالت اولاهم لاخراهم يحتمل اولاهم
الذين شرعوا لهم تلك الدين وسنوا لهم لاخراهم الذين كانوا في اخر الزمان ويحتمل اولاهم الذين
دخلوا اولا لاخراهم الذين دخلوا النار اخرا وهم الاتباع فما كان لكم علينا من فضل قيل
فيه بوجهين يحتمل ما كان لكم علينا من فضل في شيء فقد ضللتم كما ضللنا اي لم يكن لنا عليكم
فضل سلطان ولا كان معنا حجج وايات فقهرناكم عليه اذا دعوناكم الى ذلك فاستجبتم لنا وقد
كان بعث اليكم الرسل مع حجج وايات فلم تجيبوهم وهو كخطبة ابليس حيث قال وقال الشيطان
لما قضي الامر ان الله وعدكم الاية فيقول هؤلاء القادة للاتباع مثل قول الشيطان فحملتهم
وقيل قوله فما كان لكم علينا من فضل يعني تخفيف العذاب اي نحن وانتم في العذاب سواء لا
لكم علينا من تخفيف العذاب في نحن واحد النار وقيل في قوله فما كان لكم علينا من فضل رجع الى
الاخرة والاخر في الدنيا وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب
لايات الله وكذلك جزاء بما كانوا يكسبون ويعملون وقوله ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها هذا احد ذكرنا فيما تقدم وقوله لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم
يعني بابواب السماء ابواب الجنان لان الجنان تكون في السماء فيعني ابواب السماء لما
الجنان فيها الا ترى انه قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يوعد لنا هو الجنة ثم اجري
انها في السماء الا ترى انه قال ولا يدخلون الجنة كانه قال لا تفتح لهم ابواب الجنان ولا
يدخلون الجنة ايضا وقال اخرون ابواب السماء هو ابواب السماء وذلك ان اعمال
المؤمنين ترفع الى السماء وتصعد اليها ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم ترد الى اسفل
السافلين كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال في الكافر ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاذا كانت اعمال المؤمنين وارواحهم
ترفع الى السماء وتصعد اليها واخبر انه لا يفتح لهم ابواب السماء دل لا اعمالهم ولكن
ترد الى السجين ويمكن ان يكون على التمثيل ليس على تحقيق السماء ولكن ذكر السماء لما ان
السماء هي مكان الطيبات من الاشياء وقرارها لا مكان الخبايث والاقذار والارض
هي مكان ذلك واعمال الكفرة خبيثة تكني عن اعمالهم الخبيثة بالارض لما ان الارض
هي معدن الخبائث والانجاس وكني عن اعمال المؤمنين الطيبة بالسماء وهو كما ضرب

مثل الايمان بالشجرة الطيبة الثابتة وفرعها في السماء وضرب مثل الكفر بالشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الارض ليس لها قرار ويحتمل ان يكون قوله وفرعها في السماء على تحقيق السماء ولكن على الوصف بالطيب والقبول فيخرج على ذلك والله اعلم وقوله لا تفتح لهم ابواب السماء لا يستقيم مثله على الابتداء الا على نوازل تسبق حتى يخرج ذلك جوابا لها نحو قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الاية او ان ذكروا اعمال انفسهم انهم يعملون كذا افعالا لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة فان قيل كيف خوفهم بما ذكر من سد الابواب عليهم وجعل النار لهم مهادا وغواشي وهم لا يؤمنون بذلك كله فكيف خوفوا به قيل ان المرء اذا خوف بشيء فانه يخاف ويهاب له ذلك وان لم يتيقن بذلك ولا تحقق عنده ما خوف به حتى يستعد لذلك ويتقي وان كان على شك من ذلك او ظن فعلى ذلك هؤلاء خوفوا بالنار وبالوان العذاب وان كانوا شاكين في ذلك غير مصدقين لما يجوز ان يقع بهم ذلك او ان خوفهم بذلك المؤمنين كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين وكقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين او ان يكون التخويف لمن آمن منهم بالبعث منهم من قد آمن بالبعث والجزاء والثواب وقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط هذا على الاياس انهم لا يدخلون ابدا الجنة كما لا يدخل ما ذكر في سم الخياط وهو لا يدخل ابدا ثم قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال بعضهم حتى يدخل البعير في خرق الابرة وقال ابن عباس حتى يدخل الجمل الذي يشد به السفينة في خرق الابرة وقال ابو عوسجة يعني خرق الابرة او المسلة والجمل الحبل والخياط الابرة او المسلة وقال ابن عباس ليس بالجمل ذي القوائم ولكنه الجمل يعني القلس وقال ابن مسعود هو الجمل ذو القوائم الاربع والله اعلم بما اراد وقوله وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي كل مجرم وقوله لهم من جهنم مهاد قيل الفرش ومن فوقهم غواش هي اللحف والغواشي ما يغشاهم فيه النار تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة اي لا يتقي ما يحيط به من العذاب ونحو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل الاية اخبر ان النار تحيط بهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها قال ابو بكر الكيساني قوله لا نكلف نفسا الا وسعها ليس من جنس ما ذكر من قوله امنوا وعملوا الصالحات ولكنه صلة قوله يا بني ادم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح يقول فيما تقدم ذكره لا نكلف نفسا الا وسعها واما عندنا فانه يستقيم ان يجعل صلة ما تقدم اي لا نكلف نفسا من الاعمال الصالحات الا وسعها بل كلف دون وسعها ودون طاقتها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال الحسن قوله لا نكلف نفسا الا ما يسع ويحل وهو صلة قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا فاخبر انه لا نكلف نفسا الا ما يسع ويحل الا ما يسع ولا يحل وقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قال القتبي الغل الحسد والعداوة وقيل الغل الغش واحد ومنه ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد وقيل الغل الحقد ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغل يعني من قلوب المؤمنين ويجعلهم اخوانا بالايمان كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا الاية اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبهم بالايمان الذي اكرمهم به حتى صاروا اخوانا بعد ما كانوا اعداء وقال الحسن ليس في قلوب اهل الجنة الغل والحسد اذ هما يبهمان ويحزنان انما فيها الحب

وقال بعضهم هذا في الاخرة ينزع الله من قلوبهم الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا ويصيرون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وذكر عن علي رضي الله عنه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وعن ابن عباس قال نزلت في علي وابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار وسلمان وابي ذر رضي الله عنهم ينزع في الاخرة ما كان في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد رسول الله والامر الذي اختلفوا فيه فيدخلون الجنة هذا والله اعلم لان الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال كان وقت نبوته لم يكن يخبث الدين فذلك يرتفع في الاخرة ويزول واما العداوة التي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول ابدا في الدنيا والاخرة لانها عداوة الدين والمذهب فهذا لا يرتفع ابدا ويشبه ان يكون قوله ونزعنا على ابتداء النزع لا على ان كان ثوابه كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات على ابتداء المنع اي لولا اخراجه اياهم من ذلك والا كانوا فيه فعلى ذلك قوله ونزعنا اي لم نجعل في قلوبهم الغل ابتداء ولو تركهم على ما هم عليه لكانوا في ذلك وفيه دلالة ان لله في فعل العباد صنعا لان الغش والغل من فعل العباد ويذمون على ذلك ثم اخبر انه نزع ذلك من قلوبهم وامتنا ذكر منهم الشكر لذلك بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الاية وقد ذم من طلب الحمد على ما لم يفعل فدلت طلب الحمد منهم على ان له فيه صنعا بذلك طلب منهم الحمد والله الموفق وقوله تجري من تحتهم الانهار ذكر هذا والله اعلم لما علم عز وجل من طباع الخلق الرغبة في هذه الانهار الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الابصار فرغبهم في الاخرة بما كانت طباعهم وانفسهم تميل الى ذلك في الدنيا ليرغبوا فيها امره وينتهوا عما نهى وكذلك جميع ما ذكر ما في القرآن من القصور والخيام والجواري والغلمان والاكواب والاباريق وغير ذلك مما رغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك ووعد لهم في الاخرة ترغيبا منه لهم في ذلك والله اعلم وقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي قال الحسن وغيره هدانا دلنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما عندنا ليس هو هداية الدلالة والبيان ولكن الهداية التي اكرمهم الله بها بفضله ولطفه وعونه وتوفيقه اياهم على الهدى لانه خرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان دلالة وبيانا لكان لا معنى لذلك المنة والفضل لان عليه الدلالة والبيان والثاني انه لو كان على الدلالة والبيان لكان ذلك على كل احد على الرسل وغيرهم لان عليهم البيان والدلالة فدل انه ليس على الدلالة والبيان ولكن غيره والثالث انه لا احد عند نفسه انه يزيغ ويضل وقت ما هداه الله ووفقه وقد يكون يجوز ان يكون ذلك في الدلالة والبيان دل انه لم يحتمل ما قالوا وليس من الدلالة والبيان والله الموفق وقال بعض اهل التأويل ان المعتزلة خالفوا الله عما اخبر وخالفوا الرسل عما اخبروا عن الله تعالى وخالفوا اهل الجنة والنار وخالفوا ابليس اما مخالفتهم الله قوله ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ونحوه اما مخالفتهم الرسل قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم الاية وقول اهل النار وقالوا لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس قال رب بما اغويتني والله اعلم باسم المعتزلة وقوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق يحتمل وجوها يحتمل كافرا بالحق اي بالدين الذي هو حق او جاؤا بالاعمال التي من عمل بها كان صوابا ورشدا او كل حق هو صواب ورشد ويحتمل جاءت رسل ربنا

٢٤٤

بالحق اي بالصدق ونحوه بالحق له وجهان احدهما بالحق الذي استحقه الله على عباده والثاني انهم
جاؤا بالذي هو حق في العقول وصواب وقوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها وقوله تلكم
الجنة انما يقال عن غايب وهم فيها لكن تاويله والله اعلم ان تلكم الجنة التي كنتم وعدتم في الدنيا واخبرتم
عنها هذه او ورثتموها بما كنتم تعملون اي او تلكم اعمالكم فيه دلالة ان الايمان من جملة اعمالهم حيث
قال اورثتموها بما كنتم تعملون وانما يورث ذلك بالايمان وسائر الاعمال بل انما تصح بالايمان وذكر
انهم ادخلوا الجنة بما عملوا وان كانوا انما نالوها بفضل الله جزاء وشكرا لقولهم الذي قالوا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وما وعد المؤمنين عز وجل الجنة وما فيها من النعيم
واللذات والشهوات بقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله لذة للشاربين وهذا
الذي وعد المؤمنين ووعد الكفار النار وما فيها من الشدايد وانواع العذاب فاقروا انهم قد
وجدوا ما وعد لهم ربهم وقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ان المراد بالحق الذي ذكر الوعد الذي
وعد تفسيرا الحق الصدق وان كان الموعود فيه ووجدتموه كاينا حاضرا وهو ما ذكرنا في قوله
بل الله كذي فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين اي وجبت لعنة الله على الظالمين الذين
وعدوا في الدنيا وقوله فاذن مؤذن بينهم يحتمل الملك ويحتمل غيره وليس يعرف ذلك الا بالخبر
وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة فان قيل يذكر في الاية نداء اهل الجنة اهل النار واهل النار اهل
الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون الا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في الاخبار من
وصف الجنة وسعتها ما روي ان اقل ما يكون لواحد من الجنة مثل عرض الدنيا وما ذكر ان الحور العين
لو نظرت نظرة الى الدنيا لامتلات الدنيا من ضوءها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها وقد
جاء في وصف النار ان شرارة منها لو وقعت في الدنيا لاحرقته او كلام نحو هذا فاذا كان بعضهم من
بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض لا يتاذى اهل الجنة بالنار ولا ينتفع اهل النار بنعيم الجنة
وكيف يعرف ذلك قيل والله اعلم وذلك ان الله قادر ان يوقع نداء هولاء اسماع اوليك ونداء
اوليك اسماع هولاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل فريق من نداء الفريق الاخر وان يكون الله تعالى
ينقض بنية هذا الخلق ويلبسهم في الاخرة على غير هذه البنية مع ارتفاع الافات والحجب فيسمع
بعضهم من بعض من بعيد الذي ذكر وينظر بعضهم بعضا لان في الدنيا الافات والحجب هي التي تمنع
ذلك فاذا ارتفع ذلك كان ما ذكر والله اعلم او يقرب الجنة من النار والنار من الجنة بحيث يسمع
بعضهم من بعض ما ذكر من النداء او يجعل ذلك في مقامهم بما شاء وكيف شاء كتسبيح الجبال
وخطاب النمل وجوابه وقوله الذين يصدون عن سبيل الله الصد يكون منع غيره ويكون بنفسه
وقوله سبيل الله قيل دين الله قال الحسن سبيل الله دين الله الذي ارتضى لعباده وامرهم بذلك
والى ذلك دعاهم رسله وقوله ويبغونها عوجا اي يبغون الدين الذي فيه عوج ودين
الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالعوج هو التفرق الذي ذكر في
تلك الاية ويمكن ان يكون قوله يبغونها عوجا اي طعنا في دين الله وقد كانوا يبغون طعنا في دين
الله وقوله وبينهما حجاب يشبه ان يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فامكن ان يكون الحجاب المذكور
بينهما هو السور الذي ذكر والله اعلم وقوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
قال بعضهم هم قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم لم يبشروا بالجنة ولا يخافون عقوبته

٢٤٥

ولا ايسوا منها لا يطمعون ولا يرجون دخولها وقال اخرون هم اهل كرامة الله اكرمهم الله بذلك
برفعهم على ذلك لينظروا الى حكم الله في الخلق وعدله فيهم وينظرون الى احسان الله فيمن
يحسن اليه وعدله فيمن يعاقبهم وقيل هم الانبياء والاشبه ان يكونوا الانبياء يكونون على الاعراف
يشهدون على الامم كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقال
قايلون هم الملايكة لكن ملايكة الله لا يسمون رجالا ولم نسمع من ذلك والله اعلم بذلك ثم
اختلف فيه قيل هم اصحاب الاعراف وهو سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل
مرتفع عند العرب اعراف وهو قول القتبي وقال غيره الاعراف هو عرف كعرف الديك
والفرس وسمي ايضا من الارتفاع وقال الحسن هم اصحاب تعريف يعرفون اهل النار عدل
الله فيهم وحكمه وان ما حل بهم من الشدايد وانواع العذاب انما حل بهم بما كان منهم في الدنيا
من صدهم الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل يعرفونهم ان ما نزل بهم انما نزل بعدل
منه ويعرفون اهل الجنة فضل الله واحسانه اليهم ان ما نالوه انما نالوا بفضل منه واحسان
او قوم نصبهم الله لمحاجة اهل النار كقوله ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ونحوه هي
المحاجة التي يحاجون بها اهل النار او انهم هم قوم نصبوا ليحجزوا بين اهل الجنة واهل
النار يردون كلام بعضهم الى بعض ويسمعون مخاطبات بعضهم الى بعض من ذلك قوله ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ونحوه والله
اعلم بهم وقوله يعرفون كلا بسيماهم قيل المؤمن يعرف ببياض في وجهه والكافر بسواد
وجهه ويحتمل ما قال الحسن انهم يعرفوا بالمنازل والاماكن وقوله ونادوا اصحاب
الجنة يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم
باللسان خاصة ولكن في كل كلام سديد وقول حسن وصواب كقوله لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما اي سديدا وصوابا وكذلك قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على ان
يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون لهم قولا صوابا محكما فيكون ذلك الاول وقوله لم يدخلوها
وهم يطمعون اختلف فيه قال عامة اهل التاويل هم اصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة
ويطمعون دخولها وقيل هم كانوا اهل النار يطمعون ان ينالوا منها كقوله ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الى هذا الوقت كانوا يطمعون
دخولها والنيل منها ثم ايسوا بعد ذلك وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون دخولها قبل ان
يدخلوا اهل الجنة الجنة وقبل ان يدخل اهل النار النار وقوله واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار قيل واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف الى اهل النار قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم وقيل واذا صرفت
ابصار اهل الجنة تلقاء اصحاب النار قالوا ذلك وفي حرف ابي واذا قلبت ابصارهم نحو
اصحاب النار عايذا بك ان تجعلنا ربنا مع القوم الظالمين وقوله ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين ان كان ذلك الدعاء من الانبياء او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف فذلك
منهم شهادة المغفرة وكثرة ومعنى التعوذ منهم من النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد
فيخافون لما لقصور كان منهم في شكر انعم او بالطبع يتعوذون لما يتعوذ كل احد وان اي امانا
في البلاء والله اعلم وقوله ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال عامة

اهل التاويل يعرفونهم بسواد الوجوه وزرقة العيون ولكن امكن ان يعرفوا بالاعلام التي
كانت لهم في الدنيا سوى سواد الوجوه لا فيما خاطبوهم به وقوله قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما
كنتم تستكبرون فلولا انهم يعرفونهم بها وكانت لهم في الدنيا لم يكونوا ليخاطبوهم بجمع الاموال
والاستكبار في الدنيا والانباء للفقراء وذلك انما يكون للاغنياء لانهم هم الذين يجمعون
الاموال وهم المستكبرون على الخلق كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
ويشبه ان يخاطب لكل واحد منهم من قد جمع واستكبر وذلك جائز هذا على تاويل من جعل اصحاب
الاعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم وقوله اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
قال عامة اهل التاويل اقسموا اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ولكن يدخلون
النار ثم يقول الملائكة لاهل النار هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويحتمل ان يكون القسم الذي ذكر في الاية كان منهم في الدنيا
قالوا يقسمون انه لا يدخلون هؤلاء الجنة يعنون اصحاب رسول الله عليه السلام كقوله لو كان
خيرا ما سبقونا اليه كانوا يقولون ان الذي هم عليه لو كان خيرا لنالوهم ذلك اذ نالوا هم
كل خير في الدنيا يعنون انفسهم فعلى ذلك ينالون في الاخرة مثله ونحو ذلك من الكلام الذي
يقولون في الدنيا فيقولون لهم في الاخرة هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة وامكن ان
يكون قوله ادخلوا الجنة لاهل الجنة قبل ان يدخلوها وقوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قال الاصم يكون الحزن في فوت كل محبوب والخوف في نيل كل مكروه كقول يعقوب اني
ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند فوت محبوبه والخوف عند نيل
المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب بما يصيبه من المكروه و
قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال
الحسن طلبوا الماء رحمهم الله ولكن مكر منهم وقال ابو بكر طلبوا الماء ليدفعوا عن انفسهم ما اشتد
بهم من الظماء والعطش ثم يقع لهم الحاجة الى الطعام لان الرجل اذا اشتد به العطش والظما
لا يهنيه الاكل ويشبه ان يكون طلب بعضهم الماء وبعضهم الطعام الذي رزقهم الله وهذا
جائز وان لم يذكر كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لم يكن هذا القول
من الفريقين ولكن كان من اليهود الا من كان هودا ومن النصارى او نصارى فعلى ذلك هذا
والله اعلم وقوله ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين
انطعم من لو يشاء الله اطعمه قال لهم المؤمنون في الاخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا
ان الله حرمهما على الكافرين وهذا والله اعلم ليس على التحريم ولكن على المنع لان الكفرة
لا يتعبدون بذلك حراما كان او حلالا ولكن على المنع كقوله وحرمنا عليه المراضع
ليس هو تحريم حرمة اكل ولكن منع ويشبه ان يكون ذلك محرما على المؤمنين اطعام الكافرين من ذلك
وقوله الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا قال الحسن اتخذوا دينهم الذي كلفوا وامروا ان
ياتوا به لهوا ولعبا وجائز ان يكون قوله اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي دينهم الملاهي التي كانوا
يلهون به ويلعبون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اتخذوا دينهم الذي كانوا
به لهوا ولعبا لانهم كانوا ينكرون البعث وفي انكارهم البعث انكار الجزاء بالحسنات والسيئات
وفي الحكمة ايجاب ذلك فمن لم ير ذلك فهو لاه ولاعب واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة
له وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب ولهو وكل من يعمل لعاقبة فهو ليس بلعب ولا لهو وهم

وهم كانوا يعملون لا لعاقبة لذلك كان لهوا ولعبا وقوله وغرتهم الحياة الدنيا قال بعضهم
ان الحياة الدنيا لا تغر احدا ولكن اضيف اليها التغرير لما كانت سببا من اسباب الاغترار
بها فاضيف اليها كقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء [illegible]
الشر الى سببه كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وقال بعضهم اضيف ذلك اليها لما كان منها
من السبب من الهيئة ما لو كان ذلك من ذي العقل والتمييز كان ذلك غرورا منه نحو التزيين
وغيره وجائز اضافة التغرير اليها على ارادة اهلها اي غرهم اهلها وهم القادة والرؤساء
كقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا لا يجوز اضافة النسيان الى الله تعالى لما
ولكن يجوز ان يقال انه يجزيهم جزاء نسيانهم فسمى الثاني باسم الاول والاول يكون نسيانا
نحو قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة ولكن جزاء السيئة لكنه سماها
باسم السيئة لما هي جزاؤها فعلى ذلك هذا او كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني
ليس باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء فسماه باسم الاعتداء لما هو جزاؤه فعلى ذلك سمى
الثاني نسيانا لانه جزاء النسيان وان كان الله لا يجوز ان ينسى او يسهو عن شيء او يغفل ولان
في النسيان تركا وكل منسي متروك فيتركهم في العذاب والهوان كما تركوا امر الله ونهيه
في الدنيا وقال الحسن ان الله لا ينسى شيئا ولا يسهو ولكن الكفرة يكونون عن الكرامة والرحمة
كالشيء المنسي وعن العذاب والهوان لا او كلام نحو هذا وقوله وما كانوا باياتنا يجحدون
قال بعضهم ما هاهنا صلة كانه قال وكانوا باياتنا وقال بعضهم هو على ما ذكر اي يوم ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا وكانوا باياتنا يجحدون وقوله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
يحتمل قوله فصلناه بيناه والتفصيل التبيين ويحتمل قوله فصلناه اي فرقناه في انزاله
لم ينزل جملة واحدة كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس اي فرقناه في الانزال على قدر
النوازل بهم ليعرفوا حكم كل اية نزلت بالنوازل التي وقعت بهم لانه تقع لهم الحاجة الى معرفة
ما في كل اية نزلت عليهم على حدة بل يعرفون ذلك بالنوازل او انزله متفرقا او ان يكون
معرفة ما فيه من الاحكام مما اذا كان متفرقا بالتفاريق اهون واليسر على الطباع من معرفة
ما فيه اذا انزل جملة ثم قوله فصلناه على علم يحتمل وجوها يحتمل فصلناه اي بيناه بالحجج والبراهين
على علم منه ان الخلائق لا يقومون باتيان مثله ليعلم انه من عنده نزل او انزله مفصلا على
علم منه بمن يصدقه ويتبعه ومن يكذبه ولا يتبعه او على علم منه بمصالح الخلق انزاله
اصلح للخلق اي على علم منه بمعاملة القوم اياه انزله لان المنفعة في انزاله للمنزل عليهم لا
للمرسل والمنزل منه والمنفعة لهم وقوله هدى ورحمة لقوم يؤمنون قال ابو بكر
هو هدى للكل وللكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة واما عندنا فهو هدى للمؤمنين وعمى على
الكافرين على ما ذكر هو عليهم عمى خص المؤمنين بالهدى لهم لانهم هم المخصوصون بالانتفاع
به دون اولئك وعلى اولئك عمى ورجس على ما ذكر وصار للمؤمنين حجة على اولئك وقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم هذا للكافرين وقال للمؤمنين فزادتهم ايمانا وقوله هل
ينظرون الا تاويله اي ما ينتظرون الا وقوع ما وعد لهم رسول الله من نزول باس الله
بهم اي لا يؤمنون الا بعد وقوع الباس بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يوم القيامة
ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل والتاويل هو ما يئول اليه الامر ويئول وما يقع بهم
من الباس الموعود لهم وايمانهم ما ذكر من قولهم قد جاءت رسل ربنا بالحق [illegible]

٦٤٨

بهم من باس الله الذي كانت الرسل تعدهم اي ان ما وعدوا من وقوع الباس بهم كان حقا
ويحتمل قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي بالتوحيد اي ان الذي جاءت به الرسل في الدنيا
من التوحيد كان حقا او ان الذي اخبر الرسل عن هذا اليوم كان حقا وقوله فهل لنا من شفعا
فيشفعوا لنا كانه اذا حل بهم ووقع ما اوعدهم الرسول من الباس تمنوا عند ذلك شفعا
الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا كقولهم هولا شفعاونا عند الله او طلبوا الشفعا الا كانوا
يطلبون في الدنيا شفعا اذ ابدا المعروف عظيم فيشفع بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا في
هذه الدنيا بغير ما كان لهم في الدنيا تمنوا في الاخرة ذلك فاذا ايسوا عن ذلك كاييسوا ان
لا شفيع يشفع لهم بعد ذلك قالوا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل لا انهم قالوا ذلك كقوله
يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا الى قوله لعادوا لما نهوا عنه وقال بعضهم لو ردوا الى
الدنيا لعادوا الى ما نهوا عنه وقال اخرون لو ردوا الى المحنة الى الامر التي لصاروا
الى العمل الذي كانوا يعملونه ثم اخبر انهم قد خسروا انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا
وبعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما كانوا يفترون ان هولا شفعاونا
عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحو ذلك من الافترا ولكنه كله قد بطل عنهم
ثم صاروا حيارى وانقطع رجاؤهم وامالهم التي طمعوا قوله قد خسروا انفسهم عن رحمة الله
وقيل بما وعدوا الطاعة قيل اهلكوها قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وذكر ما بينهما في مواضع ولم يذكر في مواضع وذلك واجل في ذلك
على ما جرى التفسير في ذلك بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين الذي صنع ذلك وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها ثم جمع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر فيه وقال في اربعة ايام سوا
للسائلين ليعلم ان ما خلق في يومين ثم قال ثم استوى الى السما الى قوله فقضاهن سبع
سموات في يومين فيصير ستة الايام التي ابتداها في غير ذلك والله اعلم ثم تدبر عز وجل
قول من عبد غيره وعجز كل ذلك عما له يعبد وجعله بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق
بما فيه من اثار التدبير وعليه من دلالة التقدير واستحقاق جميع معاني الخلقة ودخوله تحت
الصنعة وحاجته الى من احتاج اليه كل ما هي التي تبعث على العبادة وتوجب الطاعة والذلة
والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر فالزمهم الفزع الى من يبدلهم الى الرب الحق ويدعهم
الى المعبود المتعالي عن الاشباه والاضداد بما يوجب التشبه المشاكلة وفي وجوب ذلك دليل حاجة
اخذ له شكلا وذلك اية الصنعة ودلالة الحدث وفي تحقيق الضد خوف ذهاب وفساد
فيضمحل الالوهية ويستوجب حق الدخول تحت التقدير والقيام على ما شا من له التدبير جل
الله سبحانه عن توهم ذلك فاكرم من تبعثهم الحاجة الى معرفته ودعت الخلقة الى العلم بمن انعم
عليه واختصه من بين كثير من خلقه بما ركب فيه مما به يدبر امر غيره وبه يعرف ترادف النعم عليه
لمن اكرمه به ليشكره فيما اولاه ويحمده على ما اعطاه ثم بان ظاهرا ذلك على لسان رسوله
الذي عرف خلقه بما نصب من ادلة صدقه وانا من حجج عصمته عن الكذب صدقه فيما يبلغ عن ربه
واصابته فيما يخبر فقال ان ربكم الله اي الذي لا رب لكم سواه ولا لاحد من الخلائق هو الله الذي
لا اله غيره ليوجهوا اليه العبادة في الحقيقة وليودوا اليه شكر ما انعم عليهم وان كانت
نعمه اعظم من ان يجزيها العباد وحقه اجل من ان يقوم به العباد ولولا ان الله سبحانه لم

٦٤٩

يرد من البيان في ربوبيته والدليل على الهيته سوى ما انطق به لسان رسوله تعبدا لايضاح
انه لا ينطق الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان ذلك بيانا تاما لكنه بفضله ورحمته بين الادلة
التي تحقق ذلك وتعلم انه كما اجابه رسوله الا ان في ذلك الحق ويكابر العقل فقال عز وجل الذي
خلق السموات والارض الى اخر ما ذكر من دلالة خلق ما ذكر فيها وذكر من اثار التدبير وعجيب التقدير
الذي به قوام كل ما يحتمل المنافع والمضار واتصال ما بين السما والارض على تباعد بعض
من بعض في المنافع مع جمع الاضداد التي من طبعها التنافر في اصل ما ذكر حتى صار كالاشكال
فيعد ان كانت السموات والارض مشتبهة لا تشعر بما فيها من الحكمة ولا بالذي يحتجه من انه من اي
وجه يقتضي الحاجة ليدل ان مدبرا لكل واحد وانه عليم حكيم وضع كل شي موضعه من تمام التطول
والله الموفق وعلى هذا الوقيل بما قيل بحلول العرش وحمل عرش ربك يومئذ فوقهم ثمانية فيقال
ليبين ان المراد من هذا العرش الاول وجائز ان يكون هذا هو السرير المعروف من نشاه من
النور وما شا ليكرم به اولياه يوم القيمة والاول هو الملك الذي ظهر تمامه وعلوه على
ما بينا ثم لو كان العرش الذي قال عز وجل الرحمن على العرش استوى هو ما فهمه اهل التشبيه
من مكان لم يكن المحدث ليفهم من الاستوا عليه الاستقرار ان يكون فيه مكان يوصف بالكون
فيه وعليه لانه ليس في كون احد في مكان وان جل قدره وعظم خطره رفعة ولا نباهة فيما
يتعارف من امر الملوك والاجلة بل كل منسوب الى مكان من جهة التمكن فيه والقرار منسوب
الى استعانته وحاجته اليه جل الله عن ذلك على انه اما ان يكون مثله او اعظم منه لكان
له عديلا الا لعظمة او دونه ومن استخف الجلوس على مكان لا يطمئن به او يعيض عنه او قد يجوز
ان يزاد فيه فيكون اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالى بل كان ولا مكان فهو على ما كان
فيتعالى عن الاستحالة والتغيير اذ هو اثر الحدث وامارة الكون فبعد ان لم يكن ولا قوة الا
بالله ثم الاصل انه لو كان رتبوا باضافة الله الى العلو عليه تعظيم له وعلى ذلك في كل شي يضاف
الى الله او الله اليه من جهة الخضوع فهو على تعظيم ذلك لا على ان يفهم منه ما يفهم مثله من
الخلائق نحو القول بان المساجد لله وناقة الله وزينة الله وحدود الله ونحو ذلك فاما ان
المشبهة فهمت من اضافة الاستوا على العرش المعنى المكروه على احتمال الاستوا معانيا
سوى الذي ذكروا اذ يقال استوى تم واستوى قصد واستوى علا واستوى استقر
واستوى استولى فاذا معناه يتوجه الى هذه الوجوه لم يحتمل ان يكون احد بعد من ذلك ادم
ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل به ثم الاصل ان الاضافات الى الاشيا يفترق المقصود
بها وان كان في ظاهر المخرج واحد باختلاف من اليه المتصل بالاضافة والاضافة جميعا فيقال
جا الحق وجا فلان وبيت الله وبيت فلان وبيت الله وقيل في الملائكة وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
وقال في الفسقة اولئك اصحاب النار ونحو ذلك لا على الجمع في المعنى فالاستوا الذي يتوجه الى
وجوه احق بذلك والله الموفق ثم قد قيل في قوله ثم استوى على العرش بوجوه احدها ما قال
ابو بكر الاصم هو على التقديم والتاخير كانه قال ان ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق
ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش كقوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها
زوجها بمعنى وقد جعل منها زوجها وعلى هذا المعنى قوله ان ربكم الله الذي استوى على العرش
ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش بما لغبهم التي في الاول كما لم يكن
في قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اذ اصحه الى عند شبهة فيكون وقد استوى خلق العرش

كقوله ثم استوى الى السماء بمعنى ثم خلق السماء او قصد خلقها ونحو ذلك وقال الحسن ثم
استوى على العرش اي استوى عليه امره وصنعه اي لم يختلف عليه صنع العرش وامره وان
جل امر غيره وصنعه كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على استواء الامر في التدبير
والصنع وقال الحسن معناه استولى على العرش كما يقال استوى فلان على بغداد اي
استولى وقال قوم معناه استوى عليه وهو فوق كل شيء في القدرة والعظمة تعظيما له على
غير اختلاف عليه في التحقيق بينه وبين غيره كالذي ذكر بان الامر كله يومئذ لله الواحد
له على التفضيل وتخصيص له في ذاته من حيث ذلك وقال قوم اذ كان العرش فوق
كل شيء في تقدير المعارف فقال هو علاه بمعنى لا يوصف في الخلق ذلك على ما كان ولا خلق ونحن
نقول وبالله التوفيق قد ثبت من طريق التنزيل القول بانه استوى على العرش وقد لزم القول
بانه ليس كمثله شيء وعلى ذلك اتفقنا القول ان لا نعتقد من كلامه بما عرف من كلام الخلق ولا فعله
به ولا علمه ولا ما قيل هو رب كذا او مالك كذا لا يراد به المفهوم من الخلق لكن الوجه الذي يليق
به وما يوجبه حق الربوبية مثله في الاول ثم يلزم تسليم المراد لما عنده اذ لم يبينه لنا
وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره ونعلم فساد القول فيه بالمكان ويفسد بالذي به يحتج بوجوه احدها
ان قوله ثم استوى على العرش اخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف اليه من خلق الخلق
على اختلاف المخرج في القول نحو ان ذكر مرة ابدع ومرة فطر وجعل وانزل وانبت وكتب
ونفخ واعطى وانشا وغير ذلك من الالفاظ حقيقة ذلك انه خلق اذ ذلك معنى فعله في
الحقيقة وعلى ذلك كون فعله وامره في بعض المواضع ثم يجب توجيه كل من ذلك الى
الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا في هدى واضل وزين وانعم واكرم ونحو ذلك
فكذلك في قوله ثم استوى على العرش يجب ان يقابل بذلك بخلق اذ هو اضافة الى فعله فيخرج
على وجهين احدهما ثم خلق العرش ورفعه واعلاه فيبعد ان كان العرش على الماء كقوله ثم
استوى الى السماء وهي دخان وليس ثم تنتقل من حال الى حال اذ لو كان كذلك لكان يصير حيث
ثم ينتقل من خلق الى خلق فيما يخلق فيكون في الوقت الذي يصير الى العرش صائرا الى الثرى
وفي الوقت الذي يحدث خلق ما في الارض وما في السماء منتقلا من ذا الى ذا وذلك تناقض
فاسد وفي ذلك بطلان معنى القول بالاستواء على العرش بل يكون ابدا غير مستو عليه حتى يتوقع
من خلق جميع ما يكون ابدا وذلك متناقض فاسد جل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني
ان يكون قوله ثم استوى على العرش اي الى العرش في خلقه ورفعه واتمامه دليل احتمال على ذلك
ان على من حروف الخفض وقد يوضع بعض موضع بعض كقوله اذا اكتالوا على الناس بمعنى عن الناس
وقوله ادعوا على ربكم بمعنى عند ربكم مع ما قال الله ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل
بمعنى اليه وعلى ذلك ثم استوى على العرش اي الى العرش وهو على الماء كما ذكر رفعه واتمه كما
قال ثم استوى الى السماء وهي دخان خلق ما ذكره الله اعلم والوجه الثاني المذكور في الاية
من السموات وخلق ما ذكر وتسخير الذي وصف ثم لم يتوهم في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف الى
الخلق انه رب كذا او سخر كذا او صنع كذا اسلم ولا توحد فكيف احتمل تلك المشتبهة في قوله
الرحمن على العرش استوى لولا جهله به وتقديره بالذي عليه امر نفسه والله الموفق والثالث
ان الناس في خلق الله الخلق مختلفين فمنهم من جعله الخلق نفسه ودون ان يكون الله بذاته
يحق وصف بسوى اضافة الخلق اليه في ان كان به فعلى ذلك قوله ثم استوى على العرش انما هو

بق
ما ذكر من غير ان كان سبحانه بجهة وصف لم يكن له ومنهم من يراه خالقا بذاته فيكون جميع الخلا
الى الابد بتكوينه الذي يعبر عنه بقوله كن من غير ان كان ثم كاف او نون على كون كل شيء عليه به
من غير تغير عليه ولا زوال عما كان عليه اذ لا شيء غيره فكل معنى لو حقق اوجب تغيرا او زوالا
او قرارا او نحو ذلك فالله يجل عنه ويتعالى اذ ذلك علم الحدث وامارة الغيرية ولا قوة الا
بالله والرابع هو الذي يرى بفعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار
فيمنع اضافته من ذلك وصفه اي مكان دون مكان وحال دون حال بحال فاسد لذلك بطل
القول بالمكان في جميع الاقاويل وايضا الذي ذكرت ما ختم به الاية من قوله تبارك الله رب العالمين
وصف ذاته بالربوبية بالتعالي من جميع معاني المربوبين اذ من حيث التشاكل يوجب خروجه
من ان يكون ربا او الاخر من ان يكون مربوبا فاذ ثبت ان كل شيء من كل جهة مربوبا ثبت سبحانيته
من ذلك الوجه والله الموفق ثم قوله خلق السموات والارض في ستة ايام هو على وجهين احدهما
انها وما بينهما على ما جرى الذكر به في غيره والثاني ان ذكر من وقت ابتداء الكون الى الانتهاء لا على
تحقيق ذلك في كل وقت كما يقال كان كذا في شهر كذا لا على احاطة كلية اجزاء الشهر به فمثله معنى
ستة ايام ومعنى التوقيت ليس على حاجة الى ذلك اذ الوقت داخل فيما خلق لكن على وجوه وان
كان الله سبحانه قادرا على انشاء جميع ما ذكر دفعة وجهان ما ذكرت من معنى الايام لما في مد
الخلق والطول ما عليه بنى الاعمار والثاني على بيان منتهى العالم والثالث على ان خلق كل ذلك
مع علو درجات كثيرة منها وجلالة اقدارها في الاعين حتى لا احد ينظر اليها الا تعظيم وقيل في
يكون منها قادر تدبير العالم وحتى عبد دون الله تعظيما واذ كان في ذلك دلالة خروجه عن الاستحقا
فصيرها الله داخلة تحت الازمنة والمدد ومقرونة بما جعل لها ربك بكل جهة وجعل اخراج شيء
من ذلك او تخليص الجبابرة عن ذلك لما لقيا لهم ليعلم ذلة الخلق وامارات الحدث وعلامة الحاجة
ثم كانت الاوقات مترادفة لا متتابعة لو اسقطت عنها الاولية لبطل الكل ولما جاوز الحساب
بالواحد ولما انتهى الى ما هو بعد لما مضى ليعلم به اولية كل شيء من العالم وحدثه مع ما جعلت الايام
تدور على امر واحد بها يجمع المحتاجين ثم ذكرت فثبت لذلك بانها معروفة امكن قصد كل منها
على الاشارة اليه باسمه المعروف به ليحفظ فيه المواعيد ويعلم به ما يجب من الحقوق ويتطلع والله
اعلم ثم الاصل ان جعلت هذه الدار دار المحنة انما تكون بمختلف الاحوال جعلت الاحوال مختلفة
نحو موت وحياة وصحة وسقم وغنى وفقر في جميع الخلق على كالة فيها الجهل باضدادها وفي
ذلك الجهل باللذات والالام فيجب بذلك اختلاف الاحوال وعلى ذلك جرى امر خلق الخلائق وعلى
ذلك امر الارزاق وغير ذلك فعلى ذلك امر خلق ما ذكر في ايام مختلفة ثم يجمع في البعث مرة وفي
كان من خال اللذة والتعب مرة مع ما كان اختلاف الاحوال اقرب الى الدلالة واوضح في الحجة
فلذلك جعل في هذه الدار الدلام الحجة دار المحنة والكلفة والله الموفق والاصل ان العقول
انشاءات متناهية تقصر عن الاحاطة بكلية الاشياء والاوهام متناقصة عن بلوغ غاية الامور
اذ هن من اجزاء العالم الذي هو بكليته متناه وهن واسباب الادراك التي يدرك بها ادراك
المشاعر التي تعجز عن كنه ما يقع علينا من الظواهر فضلا عما استتر منها ولذلك كان هذا وصف ما
يدرك به مبلغ الحكمة فهي قاصرة عن الاحاطة بالحكمة الموضوعة بين البشر عن تمام الاحاطة
بها او بلوغ حكمة الربوبية من غير اشارة منه فهو يبطل العقل ويحمل عليه ما يعلم بحجره عنه ومعلوم
ان المذكور من الايام في خلق ما ذكر حكمة بالغة وان قصرت العقول عن الاحاطة اذ الذي قدرها

٦٥٢

مما الذي حدا الحكمة واوجب لاهل العقل في ذم الشقه واهله فاذا ثبت ذلك تحقيقا الحكمة
لذلك وانهم لم يبلغها الاعتقاد مما يكرم به والله الموفق وقوله وسخر ما ذكر تلك مسخرات بامره
فيما يرجع الى منافع الخلق وجعل فيهن اية لولا الانبيا انهم لم يكن يصدق به احد ممن يجحد البعث
والرسل ونجوم اذا الخبر عن مسير جوهر واحد في اليوم الواحد مسيرة اكثر من الف سنة وقوله
جواهر معونة من يبعد عنه مقدار خمسماية عام وينضج كل شي وصلاحه به ابعد عن احتمال
القبول من اعادة شي عند الفناء او ارسال الرسل باعلام ما خفي من المصالح والامور واذ ذلك
امر متعال في صنع الخلق متعالي ذلك فيما به تقلب الزمان من الليل والنهار لكن الله سبحانه اظهر
لهم من قدرته وعظم حكمته بما انبسط لهم بعلمها وسعتها ودفع عليها السماء بغير عمد يرى فاقر
كلا من ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وسيرها بالتسخير ما ذكر لحاجة الاهل في تسيير ذلك
ليعلم انه لا يعجزه شي ولا يخفى عليه امر ولا يدخل في تدبيره عوج ولا في خلقه تفاوت وان الذي
اظهر اذا قوبل بالذي وعد يضاعف عليه بوجوه لم يمنع ما كان الذي اظهر هو ابداع على غير احتذاء
والاعادة فالله الموفق ثم من عجيب تدبيره سبحانه في قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا
ان الله تعالى يظهر النور في ابتدا النهار من طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل
ثم ينشر ذلك ويبسطه في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الاقطار والجوانب
في قدر لحظة بصر وطرفة العين مما لو اريد تقدير ذلك بالهندسة وجميع ما في الخلق من
المقادير لما احيط بالذي انبسط ذلك النور والظلام ليعلم ان الله على ما يشاء قدير وانه
لو اراد لخلق جميع ما ذكر في ادق مدة والطف وقت وانه القادر على البعث وجميع ما جاءت
بالخبر عنه الرسل على انه بالذي ذكرت يليق بوجوه كلية الاشياء الشر وجعلها بطرفين
بالتدبير والعلم الذي له بما يوجب ذلك عما يعجز عن توهم مثله جميع الحكما فضلا عن ادراكه ليعلم انه
عليم لا يجهل عزيز لا يعجزه شي حكيم لا تتفاوت صنعه ولا تتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله وقريبا
من ذلك ما جعل في جوهر الانسان من البصر الذي يبصر باول احوال الفتح قدر خمسماية سنة والفكر
الذي يبلغ به من غير ان يزول عن مكانه منتهى مرجع الخلق من الجنة والنار ويبصر به المعاد
والمعاش والعقل الذي يعرف حقايق من غاب عنه وحض ما له صورة وطينة او احدهما وما
ليس له واحد من الامرين على قصور الحواس عن ادراك صورة غير لا طينة له ليعلم ان الذي
قدر على تقدير مثل في جوهر واحد وعلم كيف يضع فيه ليعمل ذلك العمل قادر على كل شي حكيم عليم
وهذا المعنى ما قيل ان الانسان هو العالم الصغير يعني انه لا يوجد فيه لكل امر من الامور للعالم
الكبير فيه مثال ولا قوة الا بالله وقوله بامره قال ابو بكر يحتمل وجهين احدهما انه امره كما
بيان اتاه امر الله اي الموت والعذاب ونحو ذلك على ارادة ذلك الذي نزل به والثاني ان
يطالبهم ويعرفهم بامر توحيد الله والايمان فيه بما فيهن من عجيب الحكمة ودفع التقدير وقال
الحسن بامره الذي يجب كون الاشياء من قوله كن فالقول الاول هو قول من لا يرى خلق الخلق
غير الخلق والثاني قول من يرى كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق ابدا لا بد به
من غير ان كان ثم في الحقيقة كاف ونون لكنه انقص ما يفهم به المراد من الكلام يراد في ذلك
نفي المقصود به عنه وتيسير الامر عليه وذلك يكون في الحقيقة غير الخلق اذا اضيف الى الخلق
انه كان به وكل شي يكون يجري في المتعارف من القول يكون غيره وكذلك قوله الا له الخلق
والامر وللامر فيه وجهان احدهما الاخبار عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عن الامر

٦٥٤

في خلقه بما شاء ولا يرد شي من امره عن الوجه الذي امر والله اعلم وقوله يغشي الليل النهار
يذهب بضوء النهار ظلمة الليل ويذهب ضوء النهار بظلمة الليل اذا جاء هذا اذهب سلطان الاخر
يطلبه حثيثا قيل سريعا وهو ان الله عز وجل يظهر النور في ابتداء النهار في طرف من اطراف السماء
والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الافاق
والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة عين مما لو اريد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير
لما قدروا عليه ليعلم ان الله على ما يشاء قدير وانه لو اراد ان يخلق جميع ما ذكر انه خلق في ستة
ايام لقادر ان يخلق في طرفة عين لكنه خلق في ستة ايام لحكمة في ذلك وقوله يطلبه حثيثا لا يكون
مما ذكر طلب حقيقة لكن ذكر الطلب لما كان بين كل واحد للاخر لو كان ممن يكون له الطلب كان
طلب وهرب من غلبة كل واحد منهما صاحبه وهو ما ذكرنا في قوله وغرتهم الحياة الدنيا انما
انشيت على هيئة وجهة لو كان ذلك ممن يكون بغية التغرير كان غرور وقوله مسخرات بامره
قال بعضهم بامره اي بتكوينه اي انشاها ذكرنا مسخرات لهم وقال بعضهم بامره بنفعهن
البشر الا له الخلق والامر قال بعضهم الامر هاهنا هو التكوين وقيل الا له الخلق
والتدبير في الخلق وقيل له الامر في الخلق وقوله تبارك الله رب العالمين تعالى الله
عما ظهر المشبهة من قوله ثم استوى على العرش وقوله ادعوا ربكم قال بعضهم ادعوا اي
اعبدوا ربكم كقوله ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتدا الدعا
الدعا وفي اخره العبادة فكان الامر بالدعاء امرا بالعبادة وقال بعضهم الدعا هاهنا هو الدعا
وقد جاء ان الدعا مخ العبادة لان العبادة قد تكون بالتقليد والدعا لا يحتمل التقليد ولكن
انما يكون عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة اليه والعجز عن القيام بذلك بنفسه فلذلك بنزع
اليه ربه فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعض اهل التاويل في قوله ادعوا ربكم اي ادعوا
ربكم تضرعا وخفية قيل خضوعا وخفية اخلاصا وقيل تضرعا ظاهرا وخفية سرا واصله ان
تعبدوا ان يكون في كل وقت وكل ساعة او ادعوا ضعفا مخلصين وقوله انه لا يحب المعتدين
قيل المجاوزين الحق بالاشراك بالله وقيل لا يحب الاعتداء في الدعا كان يقول اللهم اجعلني
نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل كذا وموضع كذا وروي عن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول
اللهم اني اسالك الفردوس وكذا اسالك كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار
فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اسالك الفردوس سيكون قوم يعتدون في
الدعاء والطهور ويحتمل الاعتداء في الدعاء هو ان يسال ربه ما ليس باهل له نحو ان يسال
كرامة الانبياء والرسل واهل الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وعن الحسن قال
في قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية علمكم كيف تدعون ربكم قال للعبد الصالح ورضي دعاءه اذ
نادى ربه نداء خفيا وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل البر كله نصف العبادة
والدعاء نصف العبادة ومنهم من احتج بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى الدعاء وقال
يكره للرجل ان يرفع صوته في الدعاء ويروون على ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع
قوما يرفعون اصواتهم في الدعا فقال ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غايبا ولكن [illegible] او
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال بعضهم قوله بعد اصلاحها بعد ما بعث الرسل
باصلاحها من الدعا الى عبادة الله والطاعة ويامرون بالحلال وينهون عن الحرام وقال
بعضهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد ما خلقها طاهرة عن جميع انواع المعاصي

٦٥٤

والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك وفيه لا تفسدوا اصلاحها بعد ما اعطاكم اسبابها تقدرون
على الاصلاح وما به تملكون اصلاحها وجائز ان يكون المراد باصلاح الارض اهلها اي لا تفسدوا
اهلها، ثم قوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها الاية لا توصف بالعتو ولكن اهلها
وقوله وادعوه خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا لما كان في العبادة من التقصير وطمعا في
النجاة وفي القبول لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادته لا تقصير فيه في ذلك وعلى ذلك
روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك ما روي ان الملائكة يقولون يوم القيامة ما
عبدناك حق عبادتك ويجب على كل مؤمن ان يكون في كل فعل الخير خائفا وراجيا الخوف للتقصير
والرجاء للقبول، وقال بعضهم خوفا من عذابه ونقمته وطمعا في جنته، ان رحمة الله قريب
من المحسنين، قال بعض اهل التاويل ان الجنة قريب من المحسنين ويقولون اراد بالقريب
الوقوع فيها والنزول، ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تاويله ان منفعة رحمة
الله قريب من المحسنين، وقال الحسن ان رحمة الله وهي الجنة قريب من الخائفين، وقال بعضهم
ان رحمة الله قريب اي اجابة الله قريب الى من استجاب دعاءه، ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمة
اي منفعة رحمة الله قريب الى من شكر المحسنين يحتمل المحسنين الى انفسهم او المحسنين الى خلقه
او المحسنين الى نعم الله اي احسنوا صحبة نعمه التي هم فيها بشكرها واجتناب الكفران بها او
يريد الموحدين، وقوله وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته يذكرهم عز وجل في هذا
حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها عليهم بالبعث اما حكمته فيما يرسل الرياح والامطار فيسوقها
الى المكان الذي يريد ان يمطر فيه ما لم ياتوا ذلك وشاهدوه ما عرفوا ان كيف يرسل المطر
من السماء وكيف يرسل الريح ويسوق السحاب ففي ذلك تذكير حكمته اياهم، واما نعمه فهو ما يسوق
السحاب بالريح الى المكان الذي فيه حاجة الى المطر فيرسل على ذلك المكان المطر وذلك
من عظيم نعمه عليهم ليعلم ان ذلك كان برحمته لا انهم كانوا مستوجبين لذلك، واما ما ذكر من
قدرته فهو ما ذكر من احياء الارض بعد ما كانت ميتة ليعلم ان الذي قدر على احياء الارض واخراج
النبات والثمر بعد ما كان ميتا لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد موتهم على ما قدر على احياء
الارض بالنبات بعد احياء النخل بالثمار بعد ما علم كل ان لا نبات فيها ولا ثمار فيه فاخرج النبات
منها والثمار من النخل على ما خرج في العام الاول دل ذلك على وحدانيته وقدرته على احياء
الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على ما قدر على ما ذكرنا والله اعلم، وفي قوله بين يدي رحمته
دلالة ان لا يفهم من اليدين الجارحتين على ما يفهم من الخلق كما لم يفهم احد بذكر اليد في المطر الجارحة لانه
لا جارحة له فعلى ذلك لا يفهم من ذكر اليد له الجارحة من قوله بل يداه مبسوطتان وكذلك قوله لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يفهم من قوله لا ياتيه الباطل الجارحة من يديه الجارحة لانه
لا جارحة للقران فعلى ذلك لا يفهم مما ذكر من بين يديه الجارحة ومن فهم ذلك فانما فهم لفساد في
اعتقاده وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء الى السماء لا يفهم منه ما يفهم من
استواء الخلق لانه بريء عن جميع متشابه الخلق ومعانيهم وعموما وصف حيث قال ليس كمثله
شيء، وقوله يرسل الرياح نشرا ونشرا وبشرا، النشر هو من جمع نشور وهو من الاحياء
والنشر من التفرق والنشر ايضا من النشاة، ثم قيل في قوله نشرا ان الله عز وجل هو الذي يفرق
ويسوق ذلك السحاب وقيل الريح هو الذي يرسل ويسوق ذلك السحاب وقيل بالريح هي ترسل

٦٥٥

ويسوق ذلك السحاب و اذا اقلت سحابا ثقالا لا ثقيل اقلت حملت وقيل رفعت الماء وهو واحد
ثقالا لما فيه من الماء، سقناه لبلد ميت اي الى بلد ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد فاخرجنا به من كل
الثمرات كذلك نخرج الموتى بعد ما ماتوا وذهب اثرهم كما اخرج النبات والثمار من الارض والنخل
من بعد ما ماتوا وذهب اثره وذلك النبات وذلك الثمار فعلى ذلك نخرج الموتى بعد ما ذهب
اثرهم، وقوله لعلكم تذكرون وتتفكرون ولا تعرفون قدرته وسلطانه على الاحياء بعد الموت
او تذكرون اي تتعظون وتعتبرون فان الاعادة في عقول الخلق اهون وايسر من الابتداء الانشاء
الاول ان الدهرية والثنوية وهم لا يقدرون انكروا الانشاء لا من شيء واقروا وجود الاشياء وجها
والاعادة فيها لا عن اصل وكان على ما ذكر وهو اهون عليه اي في عقولكم و والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ذكر المثل ولم يذكر المضروب به واهل التاويل
قالوا ضرب المثل للمؤمن والكافر ثم يحتمل ضرب المثل وجوها احدها انه وصف الارض التي يخرج
منها النبات بالطيب ووصف الارض التي لا يخرج منها النبات بالخبث فعلى ذلك المؤمن لما كان
منه من الاعمال من الطاعة لربه والائتمار لامره موصوف هو بالطيب وجعله من جوهر الطيب
والكافر لما يكون منه الاعمال الخبيثة ولا يكون له من الاعمال الصالحة من الطاعة لربه جعلت
كما ان الارض التي يخرج منها النبات الذي ينتفع به موصوف بطيب الاصل والجوهر والتي
لا يخرج منها النبات ولا ينتفع به موصوف بخبث الاصل، ويمكن ان يكون من وجه اخر وهو ان الله
عز وجل جعل هذا القران شفاء وذكرا شفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى في غير موضع من الكتاب
ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا نزل ذلك الماء المبارك في الارض الطيبة
الجوهر خرج منها النبات والانزال ينتفع بها واذا نزل في الارض السبخة الخبيثة الجوهر
لم يخرج لخبث اصلها فعلى ذلك هذا القران هو مبارك وشفاء فينتفع المؤمن بتتبعه ويعمل به
والكافر لا ينتفع ولا يتبعه ولا يعمل به فصار مثل المؤمن الذي ينتفع هذا القران ويتبعه ويعمل بما
فيه كمثل الماء الذي يدخل في الارض فيخرج منه النبات لطيب جوهرها واصلها والكافر بالارض التي
لا يخرج منها النبات لخبث اصلها وجوهرها واصله انه ضرب مثل الذي هو مستحسن بالعقل
بالذي هو مستحسن بالطبع لان ما حسن في الطبع فانما معرفته حسي وما حسن في العقل فانما يعرف
حسنه بالدليل وهو غائب فضرب مثل معرفة حسنه بالعقل وهو غائب بالذي معرفة حسنه
حسي ومشاهدة فالايمان حسنه غائب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه بالحس والمشاهدة
وهو ما ذكر من النبات الذي يخرج من الارض وذلك يدل على طيب اصلها وجوهرها والذي لا يخرج شيئا
هو لخبث جوهرها واصلها فعلى ذلك المؤمن والكافر ثم حسن عمل هذا وطيبه وقبح عمل الاخر
وخبثه انما يظهر في الاخرة وذلك يوجب البعث لانهما جميعا استويا في هذه الدنيا فلا بد ان هنالك
دارا اخرى فيها يظهر الطيب من الخبيث كطيب عمل المؤمن وجميع ما يكون منه حسنا لطيب اصله
وخبث عمل الكافر وقبح ما يكون منه لخبث اصله كالارض التي ذكر، وقوله باذن ربه يحتمل
بعلمه وتكوينه و الا نكدا قال الحسن خبيثا اي لا يخرج الا خبيثا وقال ابو بكر نكدا
اي لا منفعة فيه وقيل الاعسر وقيل القليل وهو واحد كذلك نصرف الايات
لقوم يشكرون اي لقوم ينتفعون بالايات و لقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك الى
قومك لست انت باول رسول كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل وفيه دلالة ان الايمان
يجب بالانبياء والرسل وان لم يعرفهم باسمائهم لان الله عز وجل ذكر الانبياء والرسل باسمائهم

ولم يذكر أسماءهم وذلك أن الإيمان يكون بهم إجمالا وإن لم يعرف أسماءهم وكذلك يصح الإيمان
وإن لم يعرف أسماءهم لأن من الأنبياء من لا يعرف اسمه فيصح الإيمان بجملة الأنبياء وإن لم يعرف
أسماءهم وفي ذلك دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن رسالة نوح وما نزل
به بأنباء عرف ذلك و **قوله** اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قيل قوله اعبدوا الله أي وحدوا
الله واجعلوا العبادة توحيدا لأن العبادة لا تكون ولا تصح إلا بالتوحيد فما لم يخلصها لم يكن
عبادة ويجوز أن تكون العبادة عبادة و **قوله** ما لكم من إله غيره أي ما لكم من إله الحق الذي
ثبتت ألوهيته وربوبيته بالدلائل والبراهين من إله غيره و **قوله** إني أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم قال بعضهم إني أخاف أي إني أعلم أن ينزل عليكم عذاب يوم عظيم إن متم على هذا وقال
بعضهم الخوف هو الخوف وهو خوف إشفاق وذلك يحتمل أن يكون في الوقت الذي كان يطمع
إيمان قومه قبل أن يؤيسه الله عن إيمان قومه بقوله لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وقوله عذاب
يوم عظيم هو يوم عظيم بالحقيقة كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم بالخلق
على ما وصف و **قوله** قال الملأ من قومه هم أشراف قومه ورؤساؤهم كقوله إنا أطعنا سادتنا
وكبراءنا الآية وكانوا هم أضداد الأنبياء والرسل لأنهم كانوا يدعون الناس إلى ما يوحي إليهم
الشياطين والرسل كانوا يدعون إلى ما يوحي إليهم الله وينزل عليهم لذلك قالوا إنا لنراك في ضلال
مبين لأنهم ظنوا أن ما أوحى إليهم الشيطان هو الحق وأن ما يدعون إليه الرسل هو ضلال وباطل
و **قوله** قال يا قوم ليس بي ضلالة أي لست أنا بضال لأنه إذا نفى الضلال عنه نفى أن يكون
ضالا وهو حرف رفق ولين وعلى ذلك أمر الأنبياء والرسل أن يبلغوا قومهم لأن ذلك
أنجع في القلوب وإلى القلوب أقرب ولكني رسول من رب العالمين والعالم هو الخلق كله ويحتمل
قوله إنا لنراك في ضلال مبين أي في خطإ مبين ثم يخرج على وجهين أحدهما نسبوه إلى الخطإ
لما دعاهم إلى خلاف الذي عليه الجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم والثاني نسبوه إلى
الخطإ لأنه ترك دين آبائه وأجداده والله أعلم و **قوله** أبلغكم رسالات ربي رسالة الله التي
أرسل بتبليغها إليكم قبلتم أو رددتم أو عدتم أو وعدتم لا أبالي على أي حال استقبلتموني
أو يقول أبلغكم رسالات ربي رسالته التي أرسلها إلي و **قوله** وأنصح لكم يحتمل قوله أنصح لكم أي
أدعوكم وأمركم إلى ما فيه صلاحكم والفاكر عاقبه فساد وكون النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح
والنهي عما فيه الفساد وكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ألا إن الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولجميع المؤمنين وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الشيخ أبو القسم الحكيم رحمة الله عليه النصيحة هي النهاية من صدق العناية ثم
أخبر أنه يبلغهم رسالات ربي ولم يبين أنها كان كتابا أنزل عليه أو يوحي من غير كتاب يوحي
إليه ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى التصديق له فيما يبلغ إليهم و **قوله** وأعلم من
الله ما لا تعلمون قد آتاه من الله العلم بأشياء ما لم يأت بأولئك مثله وهو كقول إبراهيم لأبيه
يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني ويحتمل قوله وأعلم من الله من العذاب أنه ينزل
بكم ما لا تعلمون أنتم إذا دمتم على ما أنتم عليه و **قوله** أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم أي تعجبون بما
جاءكم ذكر من الله على يدي رجل منكم ما لا أقدر أنا ولا تقدرون أنتم على مثله كانوا يعجبون وينكرون
أن يكون رسول الله من البشر بقولهم ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل
ملائكة ونحو هذا كانوا ينكرون رسالة البشر وما ينبغي لهم أن ينكروا ذلك لأنهم قد كانوا أقروا

تفضيل بعض البشر على بعض وفي وضع الرسالة فيهما عرف الرسل تفضيلهم وذلك قد أقروا
بما بينهم وبين تفضيل بعضهم على بعض إذ له الخلق والأمر وفي ملكه وسلطانه يضع في ملكه
ما شاء من تفضيل بعض على بعض وغيره أو يقول قد عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على يدي رجل منكم ولو
كان مجيء الذكر على من هو من غير جوهركم كان في ذلك لبس واشتباه عليكم و لينذركم عذاب
الله ولتتقوا معاصيه ولعلكم ترحمون إن اتبعتم ما جاءكم إذا كان في قومه من يرجون أن يرحموا و قوله
فكذبوه يعني نوحا فيما دعاهم إلى عبادة الله ووحدانيته ونهاهم عن عبادة غير الله أو كذبوه فيما
أتاهم من آيات نبوته ورسالته و فأنجيناه يعني نوحا والذين معه في الفلك وأغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا إذا كان إهلاك القوم إهلاك تعذيب وعقوبة يجاوز بيانه ويبقيهم إلى
الآجال التي تركه لهم ويكون ذلك نجاة لهم من ذلك العذاب الذي حل بالأعداء و
كذبوا بآياتنا أي بآياتنا التي جعلناه لإثبات رسالته ونبوته ويحتمل كذبوا بآياتنا التي أعطينا
لوحدانية الله وألوهيته إنهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق و وإلى عاد أخاهم هودا أي
أرسلنا هودا إلى عاد وهو على ما ذكر في نوح وهو قوله لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فعلى ذلك قوله وإلى
عاد أخاهم هودا أي إلى عاد أرسلنا هودا ثم يحتمل الأخوة وجوها أربعة أخوة النسب وأخوة المودة
والمحبة وأخوة الدين ثم لم يكن بين هود وقومه أخوة الدين ولا أخوة المودة لكن يحتمل أخوة النسب
لأن البشر على بعد من آدم كلهم أولاده فإذا كانوا كذلك فهو فيما بينهم بعضهم أخوة بعض كأولاد رجل
واحد يكون بعضهم أخوة بعض وأخوة الجوهر على ما ذكرنا يقال هذا أخ هذا إذا كان من جنسه وجوهره
فهذان الوجهان يحتملان والوجهان الآخران لا و قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أي
اعبدوا الله الذي يستحق العبادة وما لكم من إله غيره أي ليس لكم من معبود سواه وهو المعبود في
الحقيقة و أفلا تتقون عبادة غير الله أو أفلا تتقون الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا
أو أن يقول أفلا تتقون عذاب الله ونقمته عليكم بمخالفتكم إياه و قال الملأ الذين كفروا
من قومه قد ذكرنا قوله الملأ من قومه أي أشراف قومه ورؤساؤه إنا لنراك في سفاهة وإنا
لنظنك من الكاذبين ها هنا ظنهم في تكذيبهم الرسول وفي موضع آخر قطعوا في التكذيب وهو قوله
إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين فكان قوله وإنا لنظنك من الكاذبين في ابتداء
ما دعاهم إلى عبادة الله ووحدانيته كانوا على ظن فيه لما كان عندهم صدقه وقالوا مثنا قبل دعائهم
إلى ما دعاهم فلما أن أقام عليهم آيات الرسالة والنبوة وأظهر عندهم عيب ما عبدوا غير
الله وأبطله وتحقق ذلك عندهم عند ذلك قالوا إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له
بمؤمنين ليعلم أنهم عن عناد كذبوا الرسل فقال يا قوم ليس بي سفاهة إن الرسل صلوات
الله عليهم كانوا أمروا أن يعاملوا الخلق بأحسن معاملة وهو على ما أمر رسول الله حيث قال
خذ العفو وأمر بالعرف الآية و ادفع بالتي هي أحسن السيئة ونحوه فعلى ذلك الرسل
الذين كانوا من قبل كانوا مأمورين بذلك لذلك قال لهم هود لما قالوه بالتكذيب والتسفيه
قال ليس بي ما تقولون وتنسبون إليه ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا
لكم ناصح أمين أي أدعوكم إلى وحدانية الله وعبادته والتمسك بالدين الذي به نجاتكم وكل من دعا
آخر إلى ما فيه نجاته فهو ناصح له ويحتمل قوله وأنا لكم ناصح أمين أي كنت ناصحا لكم قبل هذا أمينا
فيكم فكيف تكذبوني وتنسبوني إلى السفه أو إنهم يقولون أبلغكم رسالات ربي حتى تعلمون أو لم تخرجوني
قبلتم مني أو لم تقبلوا أو يقول أبلغكم رسالات ربي فكيف تنسبوني إلى السفه والافتراء على الله

وقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يحتمل قوله اذكروا اذ جعلكم خلفاء وهو ما اخبر
انه جعلكم خلفاء قوم اهلكهم بتكذيبهم الرسول ولم يهلككم فاحذروا انتم هلاككم بتكذيبكم الرسول
كما اهلك اولئك بتكذيبهم الرسول او ان يقال جعلكم خلفاء قوم صدقوا رسولا من البشر وهو نوح
فكيف كذبتموه في دعوى الرسالة لانه بشر ودعاكم الى عبادة الله وحده ابينه هذا انما تقض
والثاني ان اذكروا ان نوحا وهو كان رسولا من البشر فكيف تنكرون ان يكون الرسول من البشر وكان
الرسل جميعا من البشر والثالث ان اذكروا نعم الله التي انعمها عليكم من السعة في المال والقوة في
الانفس وحسن الخلقة والقامة وكان لعاد ذلك كله كقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد الاية هذا في السعة في المال واما في القوة في الانفس والقامة ما ذكر في قوله فترى
القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله كانهم اعجاز نخل منقعر فيه وصف لهم بالقوة
وطول القامة ودل على ذلك فيه بعض اهل التاويل قوله وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة
وقدرة وقال غيره هو الطول العظيم في الجسم ذكر الله عز وجل في عاد انه تعالى ثلاث خصهم بها
من بين غيرهم احدها العظم في النفس كقوله وزادكم في الخلق بسطة والقوة بقوله من اشد منا
قوة والسعة في الاموال بقوله لعاد ارم ذات العماد وفضل بقوله وكانوا مستبصرين وقوله
فاذكروا الاء الله قال بعضهم الالاء نعم في دفع البلايا والنعماء هو في سوق النعم اليه ولكن هما
واحد لانه ما من بلاء يدفع عنه الا وفي ذلك سوق نعمة اجرى اليه ودلالة الله تعالى ذكره في سورة
الرحمن لانه جمع ما ذكر انما ذكر على سوق النعم اليه وقوله فباي الاء ربكما تكذبان حيث قال
الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان الى اخر ما ذكر من السورة وهو ذكر في سوق النعم
لا في دفع البلايا وقوله لعلكم تفلحون اي تفلحون اذ ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها ولم تصرفوا
عبادتكم وشكركم الى غيره او يقول كي يلزمكم الفلاح او حتى تكونوا من اهل الفلاح وقوله قالوا
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا هذا يدل ان رسالته التي يبلغها اليهم في
دعائه اياهم الى عبادة الله وتركهم عبادة من دونه حيث قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد اباؤنا انما جاءهم ليعبدوا الله وحده وجاءهم ليتركوا ما كان يعبد اباؤهم ثم في
فعلهم تناقض لانهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسولا بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما
تاكلون ويشرب مما تشربون لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بالهية الاحجار والخشب ثم تقليدهم
اباءهم في عبادتهم غير الله وفي ابائهم من يعبد الله لا يعبد غيره وهم الذين نجوا مع نوح فكيف لم يقلدوا
من نجا منهم ولم يعبدوا غير الله وقلدوا الذين عبدوا غير الله ففي ذلك تناقض حيث اتبعوا
من هلك منهم بتكذيبهم الرسول وعبادتهم غير الله ولم يتبعوا من نجا منهم ذكر عز وجل سفههم وتناقضهم
في القول في انكارهم الرسول من البشر وذكر سفههم وتناقضهم بالنعت صريحا لا بالتعريض وكذلك
عامة ما ذكر في كتابه من سفههم انما ذكر بالتصريح وقوله فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
انه كان يعدهم العذاب ان لم يصدقوه فيما يدعوهم اليه وترك تقليدهم اباءهم في عبادتهم غير
الله وقوله قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي قد وقع عليكم
العذاب بتكذيبكم هودا وتقليدكم اباءكم في عبادتكم غير الله والغضب وهو العذاب ايضا
وجائز ان يكون الرجس ها هنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة اي قد وقع عليكم وجب
الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اخترتم وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله اللهم

اني اعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وقوله اتجادلونني في اسماء سميتموها وجادلتهم ما قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
ويحتمل في اسماء اي اسماء سميتموها وقوله ما نزل الله بها من سلطان قيل حجة اي لم ينزل لكم حجة في عبادتكم غير الله وقيل السلطان ههنا
عذر اي لم ينزل لكم عذرا في ذلك وقوله فانتظروا اي انتظروا انتم وعد الشيطان اني معكم من المنتظرين وعد الرحمن وقوله ما نزل الله بها
من سلطان اي من حجة في تسميتكم الاصنام التي تعبدونها دون الله وسميتموها الهة وشفعاء وقيل كانهم انما جادلوه في تسميتهم الهة وشفعاء
او انه ليس لهم حجة ولا عذر فيها ولكم عذر لكم ولا في اشراككم غيره في العبادة والالوهية فانتظروا قال لكن انتظروا انتم مواعد الشيطان
اني معكم من المنتظرين لمواعد الله وقوله فانجيناه يعني هودا والذين معه برحمة منا ان من حكم الله اذا اهلك قوما اهلاك تعذيب استاصلهم
ونجى اولياءه ونصرهم فقوله برحمة منا يحتمل قوله برحمة منا برحمته التي سبقت لهم عز وجل ولولا رحمته لما اهتدوا ولكنه رحمهم فهداهم فبرحمته
اهتدوا او يحتمل انما نجاهم من العذاب برحمته والا كان لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب لكنه نجاهم برحمته وفضله والله
اعلم وفيه ان من نجا انما نجا برحمته وفضله وان كان هو نبيا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله
قيل ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا قيل دابر الذين كذبوا اي اواخر الذين
كذبوا باياته اي استاصلهم فلم يبق منهم احد وقيل دابر الذين كذبوا اي اصل الذين كذبوا ولم يبين لنا اياته التي اعطاها هودا وليس لنا الى
معرفة ذلك حاجة سوى ما اخبر انه ما حل بهم من العذاب انما حل بتكذيبهم الرسل فكذلك سنته وحكمه في الامم السالفة وقوله والى ثمود
اخاهم صالحا قد ذكرنا انه صلح قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه كانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله اخاهم قد ذكرنا انه يحتمل
الاخ وجوها اربعة اخ النسب واخ الجوهر والشكل على ما يقال هذا اخو هذا اذا كان من جوهره وشكله واخ المودة والخلة
واخ الدين لم يحتمل ان يكون ما ذكر من اخوة صالح في النسب او في الجوهر على ما ذكرنا في هود ولا يحتمل ان يكون في المودة والدين والما اخ
النسب فانه يحتمل لما ذكرنا ان بني ادم كلهم اخوة وان بعدوا في الحسب لانهم من اولاد ادم وقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره وقد ذكرنا ان الرسل ما جاءهم من عند الله انما بعثوا ليدعوا الخلق الى وحدانية الله والعبادة له وان لا معبود سواه لكي
العبادة من الخلق وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم قيل فيه بوجهين قيل بينة من ربكم ما ذكر من الناقة التي جعلها اية لرسالة صالح وهي
قوله هذه ناقة الله لكم اية وقيل بينة من ربكم ايات ظهرت لهم على لسان صالح وجرت على يديه ما يدل على رسالة صالح ونبوته لكنهم
كابروا تلك الايات في التكذيب وعاندوا وقوله هذه ناقة الله لكم اية وجه تخصيص اضافة تلك الناقة الى الله يحتمل وجوها
وان كانت النوق كلها لله في الحقيقة احدها لما خصت تلك بتذكير عباده نعمه اياهم ووحدانيته فخصها بما خصت المساجد
بالاضافة اليه بقوله وان المساجد لله لما جعلت تلك البقاع لاقامة عبادة الله خصت بالاضافة اليه فخصها لتلك المعاني فكذلك
هذه الناقة خصت بالاضافة اليه لما جعل الله اية من اياته خارجة عن غيرها من النوق في الخلقة في بنيتها في شربها الماء وطعمه واما
في ابتداء انشائها وانشائه اياها وفي اي شيء كان فانها اضيفت اليه لذلك والله اعلم ثم لا يجب ان نتكلف المعنى الذي له جعل الناقة اية
لانه جل وعلا لم يبين لنا المعنى ولو تكلف ذكر ذلك لخشي ان يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية في هذه القصص واخبار
الامم الماضية بما ذكرت في القرآن لتكون اية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلو ذكرت على خلاف ما كان لكان لهم في ذلك مقال ويحتمل
معنى الاضافة اليه وجها اخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم ولا جعل لهم مؤنتها بل اخبر ان ذروها تاكل في ارض الله ولم يجعل
مؤنتها ما يخرج من الارض ليست كسائر النوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم فلما لم يجعل عليهم من المؤنة فيها التخصيص
بالاضافة اليه لما لم يشرك فيما اضطروا اليه في منافعها والله اعلم وقوله فذروها تاكل في ارض الله دلالة ان تلك الناقة كان غذاؤها وعلفها
مثل غذاء سائر النوق وان كانت خارجة عن طباع سائر النوق من جهة الاية ليعلم انها وان كانت اية لرسالة ودلالة لنبوته فهي
كسائر النوق في منع الحاجة لم يخرجها عن حكم الاية فعلى ذلك الرسل وان كانوا سادة واعز من الناس في المطعم والعقل لا يمنع
ذلك من ان يكونوا رسلا والله اعلم بذلك وقوله ولا تمسوها بسوء يحتمل لا تتعرضوا لها قتلا لا قطعا ولا عقرا لما
ليست حيلهم فيأخذكم عذاب اليم وفي موضع اخر فيأخذكم عذاب قريب انما يدل على انه انما اراد بالعذاب الاليم عذاب
الدنيا لا عذاب الاخرة لانه قد يأخذهم عذاب الاخرة بكفرهم فالوعيد بأخذ العذاب لهم عذاب الدنيا والله اعلم وقوله
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد قد ذكرنا تاويله في قصة هود وبوأكم في الارض قيل انزلكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا

وتنحتون الجبال بيوتا يذكرهم عز وجل ما انعم عليهم من سعة المال وبسط الرزق لهم وما خصهم من اتخاذ البيوت من الجبال دون غيرهم من
الناس حتى صولا بسعة الرزق وبسط الاموال وقوم هود بالقوة والبطش لقوله وزادكم في الخلق بسطة وقال في اية اخرى قالوا
من اشد منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين كانه خصهم بفضل القوة والبطش والطول من غيرهم وهؤلاء بسعة الارزاق
لهم وبسط الاموال فاذكروا الاء الله من النعم في الاموال والبسط وبما جعلكم خلفاء من بعد عاد وبما اقدركم على اتخاذ البيوت من الجبال
وابقوكم على مثل احوال غيرهم من الخلائق انما يتنعمون بالجبال على [illegible] واما هم فقد مكن لهم على نحتها واتخاذها بيوتا ولا
تعثوا في الارض مفسدين اي اذكروا النعم ولا تشركوا في عبادتكم غيره وقوله وقال الملأ الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا
ان الملأ من قومهم كبراؤهم وسادتهم استكبروا عليه لما راوا دون انفسهم في امر الدنيا فلم يتبعوه وقوله للذين استضعفوا
لمن امن منهم فيه دلالة ان من المستضعفين من قوم لم يكن من حيث حصل لمن امن منهم وفيه ان اول من اتبع الرسل هم الضعفاء
وكذلك كان اتباع الرسل جميعا الضعفاء وقولهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قول هؤلاء الذين
امنوا بصالح وصدقوه في رسالته لا يخرج في الظاهر جواب ما سالوا لانهم قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه انما سالوهم عن
علمهم برسالته لم يسالوهم عن ايمانهم به فهم انما اجابوا عن غير ما سئلوا في الظاهر لكن يجوز ان يكتفى بالعلم الايمان فكانهم قالوا
لهم اتؤمنون بصالح وتصدقونه لان العلم بالشيء قد يقع بلا صنع والايمان لا يكون الا بصنع منهم فكانهم انما سالوهم عن الايمان
بذلك قالوا انا بما ارسل به مؤمنون والثاني كانهم قالوا بل علمنا انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مؤمنون وفيه دلالة
ان من مكن له من العلم واسباب جعلت له يصل بها الى العلم به ثم يعذر بجهله في ذلك بعد ما اعطي اسباب العلم حيث قالوا اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه اي لا تعلمون وقوله قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان
هو التصديق في اللغة والتكذيب هو ضد ما يكون به التصديق حيث اجابوا بالتكذيب لما امنتم به لقولهم انا بما ارسل
به مؤمنون لو لا لم يعرفوا جميع الطاعات ايمانا على ما عرفه بعض الناس انما عرفوه تصديقا وقوله فعقروا الناقة اضاف
هنا العقر اليهم جميعا وفي موضع اخر اضافه الى الواحد لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وفي سورة والشمس وضحاها كذلك
اضافه الى الواحد اذ انبعث اشقاها لكنه كان مضافا اليهم جميعا يحتمل ان تولى واحد منهم عقرها بمشورتهم جميعا ومعاونتهم
وتدبيرهم وتراضيهم على ذلك فاضيف اليهم لذلك لاجتماعهم على ذلك والى الواحد فيما تولى جرحها ومنعها عن السير فيه دلالة
لمذهب اصحابنا ان قطاع الطريق اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال وان لم يتول بعضهم ذلك يكون جميعا من تولى منهم ومن
لم يتول في حكم قطاع الطريق بعد ان يكون بعضهم عونا لبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل
ولم يتول بعض بعد ان كان عونا او ليكف بهم يقتلون جميعا وعلى ذلك يخرج قول عمر رضه حيث قال لو تمالأ عليه اهل
صنعاء لقتلتهم والاصل [illegible] اذا اجتمعوا لا سبيل للكل ان يتولوا قتله فدل انه على العون والنصر لبعضهم بعضا فيكون
جميعا في القصاص على ما ذكرنا وكذلك جميعا في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول بعد ان كان ذلك العقر بمعونتهم
وتراضيهم على ذلك والله اعلم وقوله وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة انما اخذهم
العذاب لما استعجلوا العذاب وكذبوه فيما يوعدهم العذاب ويعدهم وقوله وعتوا عن امر ربهم العتو هو [illegible]
في التمرد والخلاف لامر في العلم منهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل وقوله فاخذتهم الرجفة قيل الزلزلة وقيل الصيحة وقال
في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وفي اية اخرى فاخذتهم الصعقة والقصة في ذلك كلها واحد فجائز ان يكون ذلك كله
وان اختلف الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجائز ان يكون الصيحة لما صيح بهم صعقوا جميعا فماتوا وهو واحد وقوله
فاصبحوا في دارهم جاثمين قيل ميتين وقيل لازقين بالارض قد ماتوا وذهبوا يقال جثم الطاير اذا لزق بالارض
يقال اجثمته اي الزقته بالارض والجثمة يقال الطاير يشد جناحه ورجليه ثم يوضع بالارض فيرمى بالنبل حتى
يموت يقال جثمت الطاير اي شددت رجليه وجناحيه يقال جثم يجثم جثوما وجثيا اذا فعل ما ذكرنا وقوله فتولى عنهم
اي اعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم ان العذاب نزل بهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم والنصح
ما ذكرنا ان كل من دل اخر على ما به نجاته وسعى على دفع الهلاك والبلاء عنه فهو ناصح له ففي ذلك صالح وغيره من الرسل قد

دلوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك عنهم لكنهم لم يقبلوا النصيحة منهم وقوله ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ذكر
في غير اي من الانبياء دعاهم قومهم الى عبادة الله ووحدانيته على ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح
وشعيب وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك هاهنا ويحتمل ان لم يذكر منه الدعاء الى ما كان من غيره من الانبياء الى توحيد الله وعبادته
قبل النهي عن الفواحش والتعيير عليها معه ما ذكر في اية اخرى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون لانه كان من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم دعا قومهم الى عبادة الله تعالى ووحدانيته اولا
ثم النهي عما ارتكبوا من الفواحش والمعاصي والتعيير عليها وقوله اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين وقوله ما سبقكم
بها من احد يحتمل ان يكون منهم ما كان من سائر الاقوام تقليد الاباء في العبادة لغير الله كقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد اباؤنا وقوله وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون وقوله بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون ونحو ما قالوا ففعل ذلك من
قوم لوط للوط لما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته فاجابوه باجابة الاقوام لانبيائهم من التقليد لابائهم فقال اتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي تعملون انتم اعمالا لم يعملها اباؤكم ولا تقلدون اباءكم في تركها من نحو ما ذكر من اتيان
الفاحشة وقال ما سبقكم بها من احد من العالمين لغيرهم وليس في احلامهم في اتيان ما ياتون من الفاحشة التي لم يسبقهم احد
من العالمين على علم منهم ان ذلك فاحشة الا ترى انهم قالوا انهم اناس يتطهرون ذكر هذا القول منهم على ان ما ياتون من الفواحش
ياتون على علم منهم انها فواحش حيث قالوا انهم اناس يتطهرون ثم قوله فاحشة لما في العقل من فحش قبحه والفاحشة
ما ذكرنا كل قبيح في العقل والشرع لان ما حرم من المحرمات على الخلق واحل المحللات محنة منه لهم على ذلك ثم جعل فيما احل لهم
من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوام هذا العالم لانهم لو تركوا النساء ولم [illegible] ذلك [illegible]
انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تحملهم على التناول مما احل لهم ليدوم هذا العالم لا انه احل
لهم للشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا لاجل ذلك ما ياتون هم هو فاحشة لما ليس اتيانهم اياها الا لنفس قضاء الشهوة اذ ليس في ذلك
دوام العالم [illegible] قبيح في العقل فاحش محرم وان لم يرد فيه النهي والله اعلم وقوله بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار
من الشيء والمجاوزة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما القتر هو التضييق والاسراف
هو الاكثار حيث قال وكان بين ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء فكانه لوط سماهم مسرفين لما اكثروا من ذلك النوع
من الفواحش وجاوزوا الحد والله اعلم ويحتمل قوله قوم مسرفون وجوها ثلاثة احدها ما ذكرنا من الاكثار في الفعل والثاني مسرفون
لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث اعطاهم الازواج فضلا منه ونعمة حيث اخبر من اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
وقوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وغير ذلك من جل وعلا بما جعل لهم من الازواج ثم يمن بذكره على ما انعم عليهم ثم ضيعوها
وجعلوها في غير ما جعل هو لهم فذلك اسراف منهم والثالث لان الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم فهم قد جاوزوه وقوله
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا
كان من قومه اجوبة ليس على انه لم يكن منهم من اول الامر الى اخره الا هذا ولكن لم يكن من جواب قومه وقت ما نهاهم عما ارتكبوا
من الفواحش وعيرهم عليها الا ما ذكر اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون لما نهاهم وعيرهم على ذلك يحتمل ما قال اهل التاويل
يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتحرجون عن ذلك ويعيبون عليهم في ذلك والثاني ما كان جواب قومه لبعضهم الا ان قالوا
اخرجوهم واما للوط كان منهم له اجوبة كقوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا وقال في اخرى فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله هذا فيما بينهم وبين لوط والاول فيما بينهم قال بعضهم لبعض اخرجوهم [illegible]
في المجالس وقوله فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين الغابر الغائب يقال غبرت اي غبت اي كانت من الغائبين عن
لوط واهله وقت العذاب وقيل من الغابرين اي من الباقين في العذاب وقوله وامطرنا عليهم مطرا اختلف فيه قال بعضهم
قلبت قريات لوط وجعل عاليها سافلها على ما ذكر في الاية فجعلنا عاليها سافلها ثم امطر على من كان غاب منهم الحجارة وقال
بعضهم قلبت القريات فامطرت على اهلها كالمطر وقال اخرون قلبت الارض وامطر عليها حجارة من سجيل تسوى الارض [illegible]
كله مع هذا ثم العذاب في الامم لم يات لهم في الدنيا بنفس الكفر ولكن لما كان منهم من استحلال اشياء حرم عليهم ومن قتل

الانبيا والامم والمكابرات التي كانت منهم بعد علمهم انهم علي باطل وعناد وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين هذا الخطاب
جايز انه ليس لرسول الله صلي الله عليه وسلم خاصة ولكن لكل احد امر بالنظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل وعنادهم ليكونوا
علي حذر من صنيعهم لئلا يحل بهم ما حل بهم ويحتمل جايز ان يكون الخطاب لرسوله خاصة فان كان له فكانه امر ان ينظر في عاقبة
المجرمين ليرحمهم ولا يدعو عليهم بالهلاك والعذاب وقوله والي مدين اخاهم شعيبا هو ما ذكرنا فيما تقدم الي ارسلنا شعيبا

٦٦٤

الي مدين رسولا وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم لا خوة انها تكون لوجوه اخو النسب اخوة الجوهر واخو الخلة والمودة
واخوة الدين فلا يحتمل اخو الانبيا اولياء اخو الدين والمودة لكن تحتمل اخوة الجوهر والنسب وقوله قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ايضا ان الرسل انما جاوا وبعثوا بالدعا الي توحيد الله والعبادة له وانه لا معبود يستحق العبادة
سواه وقوله قد جاتكم بينة من ربكم قال بعضهم كانت نفس شعيب بينة وحجة لقومه لكنا لا نعلم ذلك غير انا
نعلم انه كان له ايات وبراهين لكن الله لم يبين لنا ذلك ونفس محمد صلي الله عليه وسلم كانت بينة وحجة باعلام التي جعل
له في نفسه من ذلك الختم الذي كان بين كتفيه والنور الذي كان في وجه من كان هو في صلبه وقت كونه فيه والضوء
الذي روي انه كان وقت ولادته والغمام الذي اظله وقت غيبته عن اهله وحفظه نفسه عن جميع ما كان يتعاطاه
قومه من عبادة الاصنام وتعاطيهم الفواحش فنفسه صلي الله عليه وسلم كان برهانا بذلك لما لم يوخذ عليه كذب قط وقد
كان نشا بين اظهرهم وغير ذلك من الاعلام التي كانت في نفسه ظاهرة لقومه فلو لم يكن له ايات غيرها لكانت واضحة منها
كافية لمن لم يكابر فكيف وقد كان له ايات حسية وعقلية سوي ما ذكرنا ما يبهر المنصفين علي قبولها ويحتمل قوله
قد جاتكم بينة من ربكم اي حجة في الرسالة وعلي توحيد الله وقوله فاوفوا الكيل والميزان وذكر في هود في قصته
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط وليس في قوله فاوفوا الكيل والميزان انهم كانوا لا يوفون ولكن فيما ذكر في
سورة هود ولا تبخسوا الناس اشياءهم ودل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم ان الاشيا كانت لهم وان كان في قبض
البايع او كيله وفي ايديهم ثم يحتمل الامر بايفا الكيل والميزان وجوها احدها لما كانوا اشتاليين بسبب تلك
الامانة التي كانت لهم في قومهم والثاني لئلا يتخذوا الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث لمن لم يروا كانهم منعوا
منهم من الكيل والوزن ربوا لهم فلذلك قوله بالقسط ذكر العدل فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان اذا طابت
انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معني لذكر القسط فيه لان من زاد اخر علي حقه لم يمنع عن ذلك ولم يذم ودل النهي
عن ذلك علي انه للربوا ما منعوا عن ذلك والله اعلم وقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد ان جعلها
لكم صالحة لمعايشكم ومنافعكم فيها او بعدما امر وبين لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم او بعدما ارسل من الرسل ما بهم صلاح
الارض واهلها ذلكم خير لكم قال بعض اهل التاويل قوله ذلكم اي وفا الكيل والميزان خير لكم من النقصان لما ينمو ذلك
الباقي ويزداد فذلك خير لكم من النقصان الذي تنقصون فلا ينمو شيا وهو كقوله بقية الله خير لكم ويحتمل ذلكم خير لكم
ان كنتم مومنين اي منكم في الاخرة خير لكم من نقصان الكيل والميزان في الدنيا والله اعلم وقوله ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون يحتمل ما قال اهل التاويل ان كبرا اهل الشرك ورؤساءهم كانوا يقعدون في الطرق انا سا يقعدون
الذين كانوا ياتون شعيبا للايمان من الافاق والنواحي ويكون قوله من امن به علي هذا التاويل اي من اراد ان
يومن به ويحتمل قوله ولا تقعدوا ليس علي القعود نفسه ولكن علي المنع من اقام الشرايع التي شرع الله لشعيب كقول
ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ليس هو علي القعود نفسه ولكن علي المنع يمنعهم من صراطه المستقيم فعلي ذلك قوله
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يمنعون من امن به عن اقام الشرايع والعبادات التي دعوا الي اقامتها ويوعدون
علي ذلك ويخوفونهم فعلي هذا الذي يكون معني قوله من امن به علي وجود الايمان وعلي الاول ويحتمل ان يكون من
اراد ان يومن به والله اعلم وقوله وتبغونها عوجا قيل تلتمسون لها الزيغ وقيل تبغون هلاكها لكلا
والبطالة وقيل تبغون للسبيل عوجا عن الحق وكلا واحد وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يحتمل وجهين
اذ كنتم قليلا في العدد فكثر عددكم زمن لوط كانهم انما توالدوا من بقية ال لوط ويحتمل اذ كنتم قليلا في الاموال

والعرضة الدنيا فكثركم اي كثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا وقوله وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين امر بالنظر فيما حل
بالامم الخالية بما فسدوا في الارض وتكذيبهم الرسل لان من نظر في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الفساد في الارض
والتكذيب للرسل اذ علم ان ما حل بهم انما حل بهم لما ذكر والله اعلم كانه امر بالنظر في الاسباب التي صار من تقدمهم اهل الفساد
وتدبرهم الهلاك ليزدجروا عن مثل صنيعهم والا كانوا عند انفسهم اهل صلاح لا اهل فساد وقوله وان كان طايفة منكم

٦٦٤

امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا قال ابن عباس كان قوم شعيب قليلا حتي ادرك ذلك شعيب وقومه
اخرون ثم يقول لهم ذلك شعيب وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا يا معشر المومنين حتي
يحكم الله بيننا يقضي عليهم بالهلاك ولم يكن شعيب امر بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طايفة منكم يعني المومنين امنوا بالذي
ارسلت به من العذاب وطايفة يعني الكفار لم يومنوا بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتي يحكم الله بيننا في امر العذاب في
الدنيا وهو خير الحاكمين ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله
زلفي ويقولون الله امرهم بذلك في اشيا يفعلون ويقولون هولاء الذي نحن عليه هو الذي امرنا الله بذلك فيقول لهم
اصبروا حتي يحكم الله بيننا بانه بما لنا امر بالذي في الكفار او الذي نحن عليه وقوله قال الملا الذين استكبروا قد ذكرنا في
غير موضع ان الملا من قومه هم كبراوهم ورؤساوهم وقوله استكبروا اي استكبروا عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم لانهم كانوا
يعتمدون شعيبا فيما بينهم ويزدرونه كقوله لهم انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ثم لم يروا الامر
بالخضوع لمن هو دونهم في امر الدنيا عدلا وهم انما اخذوا من ابليس اللعين واياه قلدوا حيث قال انا خير منه حين امر بالسجود
لادم ولم ير اللعين الامر بالخضوع لادم من الله عدلا فعلي ذلك هولاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلا فاستكبروا
عن ذلك والله اعلم وقوله لنخرجنك يا شعيب قال الحسن لنخرجنك اي لنقتلنك والذين امنوا معك من قريتنا وقال غيره
لنخرجنك الاخراج نفسه اي نخرجك ومن معك من المومنين من قريتنا ان لم تتبع ديننا وقد كان منهم للانبيا المتقين جميعا
التوعد بالقتل والاخراج جميعا كما قالوا لولا رهطك لرجمناك وكقول قوم لوط لوط ولكل ذلك عمل علي الوجه الذي
يظفر بحاجته ويغيظهم به اولا ويصل الي بغيته وسحر الذي ذكر لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وكقول قوم نوح لتكونن
من المرجومين وما اخبر من قول هولاء لرسولهم حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليخرجوك قد كان من القوم الي الانبيا والرسل
المتقين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا فعلي ذلك يحتمل ذلك من قوم شعيب لشعيب ما ذكرنا والله اعلم وكذلك كانوا يقولون
للرسل جميعا حيث قالوا وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم الاية هكذا كانت عادة جميع الكفرة انهم كانوا يخوفون الرسل بالاخراج
مرة وبالقتل ثانيا وقوله او لتعودن في ملتنا يحتمل قوله لتعودن في ملتنا في ما كان عندهم انه علي ذلك وهو كما قالوا
لصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كان عندهم انه كان علي دينهم قبل هذا ففي ذلك يحتمل قوله هولاء او لتعودن من العود الي ما
كان عندهم انه علي ذلك ويحتمل علي ابتدا الدخول في والاخبار كقوله يخرجهم من الظلمات الي النور علي منع الدخول فيها لانهم
كانوا فيها ثم اخرجهم فعلي ذلك الاول والله اعلم وقوله قال اولو كنا كارهين يقول لتعودن في ملتكم وان كنا كارهين اي قد تابي عقولنا
ويكره طباعنا عن الدخول في ملتكم فكيف نعود فيها قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يحتمل قوله
ان عدنا في ملتكم وجوها ثلثة احدها ان ذلك منه اخبار عن قومه لا عن نفسه اي افتروا علي الله كذبا ان عادوا في ملتكم بعد اذ
نجاهم الله منها ولا يجوز لهم ان يعودوا فيها واما هو فانما اجابهم عن نفسه ما ذكر في سورة هود يا قوم اعملوا علي مكانتكم اي عامل
اجاب هو قومه كما اجاب غيره من الرسل قومهم حين اوعدوهم بالقتل والعقوبة كما قال صلي الله عليه وسلم ثم كيدون فلا تنظرون
فكذلك الجوابات التي كانت من الانبيا صلوات الله عليهم لاقوامهم ويحتمل ان يكون علي الابتدا من غير ان كان فيها كقوله رفع
السموات بغير عمد اخبر ان غير ان كانت موضوعة وكقوله يخرجهم من الظلمات الي النور اخراج ابتدا لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم
ويحتمل ما ذكرنا انما اجابهم علي ما عندهم انه كان علي دينهم فاجاب ذلك علي ما عندهم انه علي ذلك والله اعلم وقوله وما يكون
لنا ان نعود فيها اي ما يجوز لنا ان نعود فيها وقول شعيب قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في ملتكم تعريض تسفيه منه اياهم
انكم قد افتريتم علي الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم انتم علي الله كذبا ولكن قال قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في

ملتكم وذلك منه لطف لهم وترفق وقوله الا ان يشا الله ربنا وسع ربنا كل شي علما اختلف في تاويله قال الحسن من حكم الله
عز وجل ان من قبل دينه واطاع رسوله ان يكون وليا له ويسمى مومنا ومن رد دينه وعصى رسوله يتخذه عدوا لله ويكون كافرا
وقال ابو بكر الكيساني قوله الا ان يشا الله ان يتعبدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا يتعبدون به ويشرع لهم ما يحل ويبيح لم يرد
به الدين هم عليه لان هذا لا يحتمل لانه سوالهم كان العود الى ملتهم ففي ذلك خرج الثنيا وقال جعفر بن حرب قوله الا ان
يشا الله الا ان يامرنا الله بما يوئسهم بذلك على الاياس وقطع الرجا اي لا يشا الله البتة ذلك كما يقال كان كذا ان اسودت
السما وكقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وفعلت كذا اما يعلم انه لا يكون ففي ذلك هذا لكن هذا كلام بعيد مما اما قول
الحسن ان من حكم ان من رد دينه وعصى رسوله انه يكون من الكافرين ومن قبل دينه واطاع رسوله يكون من المومنين
فليس فيه سوى ان يقول انه يعلم من كفر به ومن امن به فلا معنى للاستثنا هاهنا لو كان الثنيا ما ذكر واما قول
ابي بكر انه يتعبدهم ويمتحنهم بما يتعبدون به في دينهم وملتهم مما يجوز ان ياذن في ذلك فذلك لا يحتمل لانه ذكر الملة التي
كانوا هم عليها فاليه نرجع الثنيا لا يجوز ان تصرف الثنيا الى غيره واما قول من يقول بالاياس وقطع الطمع عن ذلك فذلك
ايضا بعيد لان الاياس انما يكون فيما يعلم انه لا يكون البتة من نحو ما ذكر من قوله لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في
سم الخياط ونحو واما مثل هذا فانهم لا يعلمون منه الاياس وقطع الرجا بل كانوا ياتون بالفواحش ويقولون
الله امرنا بذلك فاي يقع لهم الاياس بذلك واما عندنا فانه على حقيقة المشية وذلك ان من علم منه انه يختار
فعل الكفر ويوثره على فعل الايمان والطاعة يريد لكنه على ما علم انه يختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك لا يريد
اذ لا يجوز ان يعلم منه غير الذي يكون او ان يشا غير الذي علم انه يكون منه لانه جهل وعجز واصله ان شعيبا خاف ان يبق
منزلة او تقصير يقع منه الضيار لذلك فيشا الله بذلك الزيغ والضلال وكذلك جميع الانبيا خافوا ذلك كقول ابرهيم
حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشا ربي شيا وقول يوسف حيث قال الا ان يشا الله نرفع درجات من نشا
كان خوف الانبيا صلوات الله عليهم اكثر من خوف غيرهم وقوله ربنا وسع ربنا كل شي علما معناه والله اعلم انه لا نعلم الى
ماذا تصير عاقبة امرنا في علم الله وقوله على الله توكلنا قيل على الله اعتمدنا فيما تخوفونا من الاخراج واليه نلجي
في سلطانه وملكه وبه نثق في وعد لما يعدنا من النصر والظفر على الاعدا وقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
قيل قوله افتح اي احكم بيننا وبين قومنا بالحق روي عن ابن عباس رضه قال لم اكن اعلم ما يعني الفتح في الاية
حتى زوجت امراة من بني كذا فوقعت بيننا مخاصمة فقالت لي تعال حتى احاكمك الى فلان فعلمت ان المفاتحة
هي المحاكمة وقوله بالحق قيل هو العذاب الذي كان وعدهم انه ينزل عليهم بتكذيبهم شعيبا وباذاهم اياه لئن
[illegible] له الذي تعلق بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقولون هو الدعا والسوال وان كان لا يحكم الا بالحق
ففي ذلك يقولون في قوله رب احكم بالحق ونحن هكذا لا يقولون في قوله الا ان يشا الله لكن عندنا يخرج قوله احكم
بالحق وافتح بيننا وبين قومنا بالحق على وجوه احدها يقول ربنا افتح بيننا بحكمك وهو الحق والثاني يقول رب احكم
بالحق في حادث الوقت كما حكمت في الوقت الماضي وهو كقوله اهدنا الصراط المستقيم وهو الثبوت والصلاح والثالث
على استعجال العذاب وقوله وقال الملا الذين كفروا من قومه قد ذكرنا ان الملا هم كبراوهم وسادتهم يقولون للاتباع والسفلة
لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون قال ابو بكر الاصم ثم يحتمل قوله انكم اذا لخاسرون وجوها احدها ان شعيبا
كان يحذر قومه بالتطفيف في الكيل والوزن ويامرهم بوفا بهما حقوق الناس بقوله فاوفوا الكيل ولا تكونوا كذا
وقوله ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيقول الكبرا والروسا السفلة لئن اتبعتم
شعيبا في دينه وما يامركم به من وفا الكيل للناس فانكم اذا لخاسرون للارباح والثاني انه كان يحذرهم ويمنعهم عن عبادة
الاصنام والاوثان ويدعوهم الى عبادة الله فيقول في ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام ليقرب عبادتهم الى
الله زلفى ويكون لهم شفعا في الاخرة فقالوا لئن اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم اليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين لا شفعا
لكم في الاخرة والثالث انهم كانوا يوعدون شعيبا بالاخراج بقوله لنخرجنك يا شعيب فقالوا لئن اتبعتم شعيبا وهو

يخرج لا محالة فتخرجون انتم فصرتم من الخاسرين والله اعلم وقوله فاخذتهم الرجفة قيل الصيحة وقيل الزلزلة قيل
اصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح تحتها فلما كانوا تحتها سال عليهم العذاب ورجفت بهم الارض
فهلكوا وهو ما ذكر في اية اخرى عذاب يوم الظلة والله اعلم وقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين قد ذكرنا قوله جاثمين فيما
تقدم وقوله الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين هو والله اعلم مقابل قولهم لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون وجوابهم يقول الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون لا الذين اتبعوهم وقوله كان لم
يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها ولم ينعموا قط وقيل كان لم يقيموا فيها قال القتبي يقال غنينا بمكان كذا وكذا اي اقمنا
ويقال للمنازل مغاني واحدها مغنى ويقال كان لم يغنوا فيها اي كان لم يكونوا فيها قط وهو والله اعلم لما كانوا يستقلون
ثم استقلوا ويستحقرونها حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ونحو ذلك اخبار عن
قطع اثارهم انه لم يبق منهم احد وحزن عليهم او بكى عليهم حتى قال شعيب فكيف اسى على قوم كافرين وجايز ان يكون قول شعيب
حيث قال فكيف اسى على قوم كافرين حين علم انهم يهلكون وينزل بهم العذاب اي لا احزن عليهم ما ذكره قال بعضهم هو
على التقديم والتاخير قال ذلك في الوقت الذي قال ولا تقعدوا بكل صراط يقول كيف احزن على قوم وعلمهم ما ذكر وقوله
فتولى عنهم حين راهم هلكى فقال فكيف اسى على قوم اي كيف احزن على قوم قد كذبوني واختاروا عداوتي وصاروا اعدا
اعدا كيف احزن عليهم باهلاككم وهم اعدائي وقوله يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قد ذكرنا هذا
وقوله وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا لعلهم يضرعون والله اعلم من وجهين احدهما
قوله وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه الا اخذنا اهلها المكذبين له بالباسا ولما ذكر والا لا يحتمل ان يرسل اليهم رسولا
ثم ياخذهم بما ذكر من غير ان كان منهم رد وتكذيب له والثاني وما ارسلنا في قرية اهلكناها من نبي الا اخذنا اهلها قبل
الهلاك بالباسا والضرا لعلهم يضرعون ثم لم ياخذ اسفلها بالهلاك قبل ان نبعث فيهم رسولا الاية وقوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ونحو
ذلك من الايات اخبر انه لا ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان كان له الاهلاك قبل
ان يبعث اليهم الرسول لما ركب فيهم من العقول السليمة ما به يوصل الى فهم كل ما جعل فيهم من اثار وحدانيته واثار ربوبيته
وما جعل لهم من السمع والنطق ما به يوصل الى سمع كل ما غاب والنطق بكل ما يريدون ما لم يجعل ذلك لغيرهم من البهايم وما
انعم عليهم من تصوير احسن الصور ما لم ينعم احد تحويلها الى غير هاتين الصور لكنه لا يهلكهم الا بعد بعث الرسل اليهم لما ان
الخلق في مراتب منهم من يفهم بالعقل لا يحتاج الى معونة السمع وهم الحكما والعلما الذين يدركون الاشيا بالبديهة ومنهم
من لا يدرك الا بالسمع وهم كالصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع وفضل التنبيه ومنهم من لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع
حتى تصيبهم الشدايد والمحن في انفسهم وفي اموالهم وهم كالبهايم الذين لا عقل لهم ولا سمع ولكن يعرفون الشدايد وما
يصيبهم من البلايا ففي ذلك يتبهم عز وجل ويبتليهم بالشدايد والبلايا لعلهم يرجعوا عن ذلك ويعرفوا نعمه والا اهلكهم
بعد ذلك فعند ذلك ينتهون ويتذكرون وذلك قوله فاخذناهم بالباسا والضرا لعلهم يتضرعون وقوله بالباسا والضرا
قد ذكرنا في صدر الكتاب وقوله لعلهم يضرعون اي لكي يكون عليهم التضرع او لكي يلزمهم التضرع والتذكر وقوله ثم بدلنا
مكان السيية الحسنة وعفوا ذكر الاملال وبدل الشدة والجدب خابيد الشدة والخط وما حل بهم من البلايا حتى عفوا قيل جموا
وكثروا اي كشف عنهم ذلك حتى كثروا واعتقد ذلك اهلكهم بغتة لان الهلاك في الشدة والبلا لا يكون اخذا بغتة لان
كل من حل به بلا وشدة يخاف فيه الهلاك فاذا اهلك في تلك الحال لم يكن اخذا بالهلاك بغتة الا ترى انه سمي الموت الذي يكون
المرو فيه من غير مرض حل به موت فجاة والذي يموت بمرض يتقدم الموت لا وان الموت في الوجهين جميعا يحل بحلوله لكنه اذا
لم يتقدمه مرض حصولا يخاف منه واذا كان به مرض خاف به فلم يكن فجاة ففي ذلك اذا احذوا نعمه على الشدة لم يكن اخذا بالبغتة
لما يخافون فيه الهلاك واذا كانوا في سعة ورخا لا يخافون فيوخذون في تلك الحال فذلك اخذ بغتة وقال حتى عفوا
قيل كان اهلك بعضهم وترك بعضا حتى عفوا اي كثروا ان ذلك البعض ونحو الوجه فيه ما ذكرنا ان الباسا والضرا

والشدايد والقحط لم كشفه ذلك عنهم فكفروا نعم الله عليهم والله اعلم وقوله قد مس اباءنا الضراء والسراء قالوا ان اباءنا قد كان
ينزل ذلك بهم ويصيبهم مرة شدة ومرة نعمة فلم يكن ذلك يعقوبه لهم فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدايد والبلايا ليس ذلك بعقوبة
لنا ولكن دوران الدهر وتصرفه على الشدة والبلا مرة ومرة على الخصب والسعة ثم اخذناهم بغتة اخذناهم بغتة بعد قولهم قد مس
اباءنا الضراء والسراء وقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اي لو انهم امنوا بعد ما اصابهم من الشدايد والبلايا لفتحنا عليهم
بركات الاية اي لاعطوا كل خير ينال من السماء والارض والبركة ما ينال من كل خير بلا مونة البركة كل شي ينال بلا تبعة
عليه ولا مونة وذكر هاهنا انه ليفتح عليهم بركات من السماء والارض لو امنوا واتقوا وذكر اذا لم يومنوا ونسوا ما ذكروا به انه
فتح عليهم ابواب كل شي ولم يذكر البركة فيحتمل ذكر البركة بنفسهم ما فتح عليهم من كل شي ليسوءهم وما ذكر فيه من البركة بعد
الايمان لا يلحقهم من ذلك تبعة ولا عقوبة والله اعلم وقوله ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ويحتمل قوله ولكن كذبوا النعم
التي انعم عليهم فاخذناهم بما كانوا يكسبون من التكذيب والله اعلم وقوله افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم
نايمون خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة على الايجاب كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون
الاية هذا في الظاهر خرج مخرج الشك والارتياب ولكن في الحقيقة على الايجاب كانه قال في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا
ان يحيف الله عليهم فعلى ذلك قوله افامن اهل القرى وامن اهل القرى على الايجاب كانه قال قد امن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى الاية ثم اختلف في قوله افامن اهل القرى او امن اهل القرى الى اخر
ما ذكر قال الحسن هذه الايات في الامم السالفة اخبر انهم امنوا نزول باس الله وعذابه بهم لكن ذكر في هذه الامة ليكونوا
على حذر من مثل صنيعهم وقال الاخرون هذه الايات في قريش هذه الامة لا في الامم السالفة يقول امن هولاء ان ياتيهم باسنا كما
اتى اولئك فانهم ان صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الاخرة من العذاب مثل ما نزل باولئك في الدنيا من العذاب
وقوله باسنا بياتا وهم نايمون وضحى وهم يلعبون اخبر ان العذاب انما نزل بهم في حال الغفلة وقت النوم واللعب
لانه وقت الغفلة والسهو وامن ما يكون الانسان انما يكون في حال النوم وانما نزل بهم في وقت الغفلة يذكر هذا والله اعلم
اهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسول الله لئلا يكونوا امنين عن باس الله ابدا في وقت من الاوقات والله اعلم
وقوله افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المكر في الشاهد هو ان ياخذ من عدوه حال غفلة لينتقم
منه وينتصر فاذا كان ما ذكرنا فسمي ما ينزل بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا على تلك الاستعارة فيما بين الخلق
...... بعضهم من بعض فيما يرون ...... فسمي لذلك امتحانا في الامر والنهي لان كانت الخفيات من الخلق
لو ياتي بعضهم وقوله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون فانه يعني المعتزلة لانهم يامنون مكر الله في الصغاير وصب
قالوا الصغاير مغفورة ليس له ان يعذبهم عليها فهم امنون من مكره وياسون من رحمته لقولهم في الكباير انه ليس له ان
يغفرها لهم وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم قد ايسوا من رحمة الله في الكباير وامنوا مكره في الصغاير
فهذا ان الاياتان على المعتزلة وقوله افامنوا مكر الله اي جزاء مكرهم سمى جزاء المكر مكرا كما سمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء
اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرا وان لم يكن الثاني مكرا والله اعلم الا ترى انه لم يجز
ان يسمى مكارا ولو كان على حقيقة المكر يسمى بذلك ولانه جزاء وجايز ان يكون المراد من مكر جزاء مكرهم سمى الجزاء باسم المكر
لانه جزاء كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة وقوله اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
على تاويل من يجعل الاية في الامم السالفة يقول لم يتعظوا او لم يهدوا الصواب هلاك امة بعد امة وقوم بعد قوم وعلى
تاويل من يقول بان الاية في هذه الامة يقول لم يبين للذين ورثوا الارض من بعد هلاك اهلها ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم اي لو نشاء اصبناهم بعذاب بذنوبهم كما اصاب اولئك العذاب بذنوبهم وقوله اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها اي بعد هلاك اهلها وقوله اولم يهد على اسقاط الواو والالف اي لم يهد للذين يرثون الارض
ثم يحتمل وجهين يحتمل قوله لم يهد لهم لو لم يتفكروا ...... ولم يدل لهم تكذيبهم الرسل انهم اذا تركوا التفكر
والنظر فيهم وما نزل بهم يهد لهم والثاني قد هدى لهم لكن لما ذكر عنهم لما لم ينتفعوا به وهو ما نفى عنهم من السمع

٦٦٦

والبصر والعقل لما لم ينتفعوا به ويحتمل على غير اسقاط وكانه قال اولم يهد للذين يرثون الارض اولم يهدهم الرسول فذرية الله في
اهلاك الامم الخالية فعلى ذلك قادر على اهلاك الذين يرثون الارض من بعد اهلها يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا والله اعلم وقوله
اولم يهد لهم وراثة الارض من بعد هلاك اهلها انهم انما اهلكوا حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله وقوله اولم يهد للذين يخرج على
وجهين احدهما قد هداهم وبين لهم ان من تقدمهم انما هلكوا بما اصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد ولكن لم يهتدوا والعناد منهم
والثاني لم يهدهم لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا في التلاوة قرئ باسقاط الواو وقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
فان كانت في الامم السالفة فقوله ان لو نشاء اصبنا قوما بعد قوم بذنوبهم وان كانت في المتاخرين فيكون قوله ان لو نشاء اصبناهم
لا بذنوبهم بما اصاب اولئك بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون والطبع يحتمل الختم اي ونختم على قلوبهم ويحتمل الطبع
ظلمة الكفر اي يتر قلوبهم بظلمة الكفر كقوله وكل شي يتر نسيا وتغشاه فهو طبع فهم لا يسمعون يحتمل وجهين يحتمل لا يسمعون لما
لا ينتفعون به ويحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده قيل اجاب الله لمن حمده اي دعاه وقوله تلك القرى
نقص عليك من انبائها قوله نقص عليك اي نقصنا عليك بما قص عليه من الانبا يخبر رسوله ان القرى التي كانت من قبل
قد سالوا رسلهم الايات فجاوا بها ولم يصدقوها فعلى ذلك هولاء اتيت ما سالوك من الايات لم يومنوا بها ولم يصدقوها
يخبر عن تعنتهم ومكابرتهم وعنادهم والثاني يذكر ان الايات ليس يجب ياتوا بها من الجهة التي يريدون انما يجب ان ياتوا بها من
جهة وقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل وجوها يحتمل الانبا التي اتاهم الرسل اوعدهم من نزول العذاب بهم بالتكذيب
والكفر بها ويحتمل البينات الايات التي تدل على صدق الرسل بما يقولون ويخبرون بعد ما سالوهم الايات لكن ردوها رد
عناد ومكابرة بعد ما عرفوا انها حق وقوله فما كانوا ليومنوا قيل يحتمل قوله فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل اي ما كانوا ليومنوا
لما راوا باسنا بما كذبوا من قبل اي لا ينفعهم ايمانهم عند رويتهم باس الله كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل
ما كانوا ليومنوا بها لما لم يكن لهم الايات اذا اتاهم الايات بما كذبوا من قبل لان تركهم الايمان وتكذيبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم
الايات ولكن التعنت فاخبرانهم وان سالوا الايات انهم لا يومنون والثالث ما كانوا ليومنوا بما اخبرهم الرسول من اتيان
العذاب بهم بما كذبوا من قبل من الانبا وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد يحتمل العهد المذكور وجوها احدها عهد
الخلقة لما في كل احوالهم من الوحدانية لله والالوهية فلم يوفوا بذلك العهد بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله
عليهم على السن الرسل كقوله وقال الله اني معكم لين اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فلم يوفوا بذلك والثالث
ما اعطوهم من انفسهم من العهد كقول فرعون لموسى يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك انا لمهتدون فلم يوفوا بما
اعطوهم من العهود وقوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي وقد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد والله اعلم
وقوله ثم بعثنا من بعدهم موسى يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك قرون كثيرة موسى رسوله باياتنا الى فرعون وملايه
يحتمل قوله باياتنا حججا انه يحتمل حجج وحدانية الله والوهيته ويحتمل ايات رسالته ونبوته على قول الحسن اياتنا دينا وعلى
ذلك بيانا ولنا جميع الايات التي ذكرت في القران وقوله الى فرعون وملايه ان موسى كان مبعوثا اليهم جميعا الى فرعون
والملا والاتباع جميعا لانه كان مبعوثا الى فرعون وملايه خاصة دون الاتباع وكذلك ذكر في مكان اخر الى فرعون
خاصة وهو بعث اليهم جميعا لكن يخرج تخصيص ذكرهم لا العادة والله اعلم ان الذي يانف الانبيا والرسل هم الكبرا
والرؤسا دون الاتباع والسفلة والاتباع هم الذين يصدرون لارا الكبرا ويتبعونهم فيما يدعونهم اليه وعلى ذلك سموا الكبرا
والرؤسا اضداد الرسل والا كان موسى مبعوثا اليهم جميعا الوضيع منهم والرفيع وقوله فظلموا بها قال بعضهم
قوله فظلموا بها اي ظلموا الايات والحجج التي اتى بها موسى فرعون وقومه سمى ظلما لانهم سموا تلك الايات سحرا بعدما
عرفوا انها منزلة من الله فوضعوها في غير موضعها والظلم هو وضع الشي في غير موضعه وقال قايلون قوله فظلموا بها اي
ظلموا انعم الله التي انعم بها عليهم حيث عبدوا غيره فصرفوا شكر تلك النعم الى غير الذي انعم بها عليهم فذلك ظلم شكروا لمن لم ينعم
عليهم وصرفوا عمن انعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا الاتباع بتلك الايات حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستعبدوهم
او ينقولنظلموا بها انفسهم حيث تركوا اتباعها وقوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر لرسول
الله فكان المراد بالخطاب غيره امر كلا بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم لان من نظر في عاقبة ما حل بغيره بمعصيته

٦٦٧

اوفا د بنهم عن شبه وامكن ان يكون الخطاب لرسول الله لو جبر اصحابه لما له بحاصل بهم بعض التسلي لانهم اياه لانت
من قومهم طول اذا اتكل على عرق في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض التسلي في ذلك والثاني يذكرهم وينبههم بحمل بخيل
انهم في العاقبة ليسمعوا عما ارتكبوا من المعاصي لان ذلك ازجر وقوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين فان قيل
كيف قال اني رسول الله وذلك يخرج في الظاهر مخرج الامتداح والتزكية وقد نهينا عن ذلك لانه اجل لجل الذي يوضع الرسالة
فيه وانه اهل لها قيل ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكية له لانه انما يذكر منة الله انه جعله بحيث يوضع فيه الرسالة وجعله
اهلا لها او التزكية والامتداح انما ينفع في موضع حقيقة لا فضل الله وان كان تزكية وامتداح فهو قد امر بذلك فجاز ذلك
بالامر او اراد بذلك تعريفه لما كان من عادة الملوك انهم اذا بعث بعضهم الى بعض رسولا فانهم لا يستقبلون الرسل بالمكروه والشر
بل يعظمون الرسل ويكرمونهم ان كان بينهم معاداة فذكر انه رسول من رب العالمين ليلا يستقبل بالمكروه وقوله من رب العالمين
في العالم هو جوهر الكلام هو قول اهل السنة وقال ابو بكر الاصم رب العالمين اي مليك الخلايق وقوله حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق قال اهل التاويل ان موسى لما قال لفرعون اني رسول من رب العالمين قال له كذبت فعند ذلك قال
له موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق وامكن ان يكون ذلك منه على غير تكذيب القول من فرعون ولكنه قال ذلك لما
حقيق على كل احد اكرمه الله بالرسالة واختاره لها ان لا يقول على الله الا الحق او ان يقول اني رسول من رب العالمين حقيق
بعد ما اكرمني بالرسالة ان لا اقول الله الا الحق وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد ذكرنا انه لا يجب ان
بهذا الاعدان يسبق من فرعون اللعين كلام خرج ذلك الكلام من موسى جوابا لما كان منه وهو ما قال اهل التاويل ان قال له
لما قال اني رسول من رب العالمين اليك كذبت لم يرسلك الينا او كلام نحو هذا فعند ذلك قال حقيق على
ان لا اقول على الله الا الحق اي ما كان ينبغي لي ان اقول على الله الكذب وهو كما قال عيسى سبحانك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق لما قال له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله كان ذلك القول من عيسى بعد ما ادعى قومه
على عيسى انه قال لهم ذلك وكذلك قول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بعد ما قال لهم اهولاء اياكم كانوا يعبدون لما
عند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم خرج ذلك القول منهم جواب ما تقدم فعلى ذلك قول موسى حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق فتاويله لحقوق على ان لا اقول على الله الا الحق ومن قرا بتشديد على فتاويله حق على ان لا
اقول على الله الا الحق وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم يحتمل بينة من ربكم ما يبين وحدانية الله والوهيته ويحتمل بينة
الهاد ما يبين اني رسول رب العالمين غير كاذب في الدعوى وقوله فارسل معي بني اسرائيل اي لا تستعبدهم فانهم
ليسوا بعبيد لك وارسالهم معه وذلك طلب استنقاذهم من العبودة كقوله ان عبدت بني اسرائيل وقوله قال ان
كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين دل قول فرعون ان كنت جئت باية ان موسى اراد بقوله قد جئتكم ببينة من
ربكم الاية ودل قوله ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين انه لعنه الله كان عرف انه ليس باله وعرف
عجز نفسه حيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه اله لكان قال لموسى انا الاله فمن
ارسلك لم يطلب منه الاية وقوله والقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال ابو عوسجة الثعبان الحية الذكر
كل حية تسمى ثعبانا والثعابين جماعة وعن ابن عباس قال الثعبان هي الحية الذكر وقوله مبين اي مبين انه حية
وهو كما ذكر فاذا هي حية تسعى مبين لا يشك احد انها ليست بحية ويحتمل مبين اي مبين ان ذلك التغيير والتحويل
لا يكون الا من الله وقوله ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ذكر نزع يده ولم يذكر ماذا اخرج وماذا كرهي
اية اخرى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اي من غير اذى وافة وقال اهل التاويل من غير
برص ولكن هذا امن غير سوء اي من غير ان تستقبح او تستقذر لان خروج الشي عن خلقته وجوهره مما يستقذر
فاخبر انه لم يكن كذلك فان قيل لنا ما الحكمة في ادخال يده جيبه على ما هي عليه واخراجه اياها بيضاء من غير ان كانت
كذلك قبل ان يدخلها وكذلك صير العصا حية بعد ما طرحها في الارض دون ان تصير حية وهي في يده قيل
ذلك والله اعلم انه انما اراهم اية بعد ما اخرج العصا عن سلطانه وتدبيره ليعلم انها انما صارت حية لا بتدبيره وتغييره
ولكن الله عز وجل وكذلك اليد جعلها اية بعد ما غيبها عن بصره وتدبيره ليعلم انها صارت كذلك لا به ولكن الله عز

وجل والاية التي تخرج من وسع الخلق وتدبيرهم وقوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم وقال في اية اخرى
قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يحتمل ان يكون فرعون قال للملا ان هذا كذلك ثم قال الملا لقومه ان هذا لساحر عليم اراد والله
اعلم تلبيس ما اتى به موسى من الاية على قومه واراد بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره اغراء قومه عليه والسحر عندنا هو من ايات
الرسالة ولو كان ما اتى به موسى سحرا كان ذلك من ايات رسالته ونبوته لانه لا يستفاد الا بعلم من السما وجزئه ذلك لانه ليس من
الحرف والمكاسب التي تكتسب في الخلق لانه لا يعلم الا بالوحي من السما لكنه ليس باية على الاشارة ولو كان ما اتى به سحرا لكان له اية
لانه كان بين اظهرهم لم يروا اختلف اليها حرفا ولا يعرف انه تعلم ذلك من احد فدل ذلك انه من الاية لكنه اخرج ذلك مخرج فلو ا
من السحر لما لا كل احد يعرف انه لم يختلف في ذلك ولا تعلم من احد فاخرج عن وسع السحرة وتدبيرهم ليعرف كل احد انه ايات رسالته
ونبوته لا السحر والله اعلم وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم كان موسى لا يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن والله اعلم كانه قال
فرعون لقومه لو اتبعتم موسى واجتمعوا اليه لم عليه قومكم اليه لاخرجتكم من ارضكم لكن اضاف ذلك الى موسى لما كان هو سبب اخراجهم
والله اعلم او يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل ويتخذ
ونهم ويخدمونهم القبط يريد ان يذهب بذلك كله منكم وجايز ان يكون موسى لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم
ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذي كانوا عليه ولكنه كان يغري قومه عليه وقوله فماذا تامرون دل هذا القول من فرعون
انه كان يعرف انه ليس باله ولا رب لانه لو كان ما يقول انا ربكم الاعلى لكان لا يطلب من قومه الامر والاشارة في ذلك دل ذلك
انه كان يعرف عجزه وضعفه لكنه يكابر ويلبس على قومه ويموه بقوله ان هذا لساحر عليم وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا
الحرف حرف اغرا وتحريش عليه وقوله فماذا تامرون هو حرف تقرب حيث جعل اليهم الامر والاشارة وجعلهم من اهل مشورته
وقوله قالوا ارجه واخاه هذا الحرف لا يقال ابتدا الا ان يكون هنالك تقدم شي فكانه هم بقتله كقوله ذروني اقتل
موسى وليدع ربه فقالوا له ارجه اي اخره واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا كانوا يمنعون فرعون عن
قتله الا ترى انه قال ذروني اقتل موسى لو لم يك منهم منع من قتله لم يكن ليقول لهم ذروني اقتل موسى وقوله قالوا ارجه
واخاه قال القتبي ارجه واخاه مهموز وغير مهموز اي يقول ارجه اي اخره ومنه قوله ترجي من تشا ومنه سميت المرجية وقال ابن عباس
ارجه واخاه ولا تقتلهما وارسل في المداين حاشرين اي ارسل الى المداين الشرط فانه من المداين حاشرين اي يحشرون
عليك السحرة والناس الى هذا ذهب ابن عباس وقوله ياتوك بكل ساحر عليم لا تعلموا حتى ياتوك بكل ساحر عليم
اي لجمع كل انواع السحر منه ليتبين سحره وقوله وجا السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم لمن المقربين في المنزلة والقدر عندي هذا يدل ان همة السحرة ليس الا الدنيا وما ذكر ان يكون للرسل لعجاله وهمة
الانبيا كانت الدين وطلب الاخرة وقوله قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين هذا ليس على القا
هذا وتركه اولكن لا القا لانه لو كان على القا احدهما لكان لا يتبين السحر من الاية لكن القا الاول كانهم قالوا يا
موسى اما ان تلقي اولا او نحن الملقون اول مرة وهو كما ذكر في اية اخرى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى وقوله
موسى القوا كانه امره بذلك بامر ربه قال لهم موسى القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم هذا يدل ان
السحر انما ياخذ الابصار على غير حقيقة له كان وهو كالسراب الذي يرى من بعد كما قال يحسبه الظمان ماء فعلى
ذلك السحر ياخذ الابصار ظاهرا فاذا هو في الحقيقة لا اصل له شي كالخيالة في القلوب لا حقيقة له وكان قصدهم بالسحر
استرهاب الناس وتخويفهم به الا ترى انه ذكر في اية اخرى فاوجس في نفسه خيفة موسى وقد ذكرنا ان ما جاءت الرسل لو كان
سحرا في الحقيقة لكان ذلك حجة لهم في اثبات الرسالة لان قومهم لم يروهم اختلفوا الى ساحر قط فيدل ذلك انهم انما عرفوا
ذلك بالله تعالى وهو كما انبا النبي التي جا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فاوجس في نفسه خيفة موسى يخرج على
وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره كما اخذ اعين الناس والثاني خاف ان سحرهم يمنع او يكف عن رؤية حقيقة ما جا به وقوله
سحروا اعين الناس اي حيروا كقوله مسحورون اي ماخوذا عينكم وقوله واوحينا الى موسى ان الق عصاك فيه ان موسى
كان لا يلقي عصاه الا بعد الامر بالالقا وكذلك قوله اضرب بعصاك الحجر وان اضرب بعصاك البحر فانفلق ونحوه

كان لا يضرب بالعصا ولا يلقي الا بعد الامر بالالقا والضرب ليعلم ان في ذلك امتحان لموسي فيما يامره بالالقا علي الارض
ليصير حية وفيما يامره بالضرب في الحجر والبحر وان الله يمتحن عبده بما شا من انواع المحن والا كان قادرا ان يفلق البحر
علي غير الامر بالضرب بالعصا وكذلك يفجر الحجر وينشق علي غير ضرب بالعصا وكذلك يصير تلك العصا حية بغير ولكنه
امره بذلك كله والله اعلم امتحانا منه اياه وابتلا اذ هي دار محنة وابتلا ان في زمن موسي كان السحر هو الظاهر وكان
الناس وقتيذ يعملون بالسحر فاتي موسي من الايات علي رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك ليعرفوا خروجه عن
وسعهم وان ذلك ليس بسحر ولكن اية سماوية وكذلك ما جا عيسي من الايات جا بنوع ما كان يعمل قومه وهو الطب لكن جا بنوع الطب
ليعلموا انه باسرع فذلك وقوله فاذا هي تلقف ما يافكون قال القتيبي تلقف تلتقم وتلهم اشتقاقه من اللقم والابتلاع
وقوله ما يافكون قيل يكذبون قال الحسن تلقف ما يافكون حبالهم وعصيهم وقيل تلقف ما يافكون ما جاوا به من
الكذب وقوله فوقع الحق قيل اي ظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين احدهما بطل ما كانوا يعملون اي
بطل ما عملوا من السحر والثاني بطل ما كانوا يعملون اي ترك السحرة العمل بالسحر اذ ظهر الحق لهم والله اعلم وقوله فغلبوا
هنالك اي عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا لفرعون في الابتدا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فذكر ههنا انهم
غلبوا عند ظهور الحق لا انهم صاروا مغلوبين وقوله فغلبوا هنالك ليس غلبة القهر والقسر ولكن غلبة بالحجج والبراهين
اي غلبوا بالايات والحجج وقوله وانقلبوا صاغرين قال بعض اهل التاويل رجع السحرة لما غلبوا صاغرين مذلين لكن
تاويله رجع فرعون وقومه الي منازلهم مذلين لا السحرة لان السحرة قد امنوا فلا يحتمل ان يوصفوا بالرجوع صاغرين
مذلين وقد رجعوا بالايمان وقوله والقي السحرة ساجدين اختلف فيه قال بعضهم القي اي امروا بالسجود فسجدوا
وقال اخرون قوله القي اي لسرعة ما سجدوا كانهم القوا والاية علي المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون لله في فعل العباد
صنع وههنا قد اضيف الفعل الي غيرهم بقوله والقي السحرة ساجدين دل ان لله في فعل العبد صنعا وهو ان خلق
فعل السجود فيهم وقال جعفر بن حرب يجوز ان يضاف الفعل الي غيره وان لم يكن لذلك الغير في ذلك الفعل صنع نحو ما قال
في القران هولا ظلموا اولئك وهم لم يخلقوا اولئك في الحقيقة ولا صنع لهم في التخليق ثم اضيف اليهم فعل الناس فيما
ذكر هذا فيقال ان لهم في ذلك صنع وهو انهم اذ لم يستخرجوهم فقد ظلموهم ولهم في ذلك صنع فاضيف اليهم اذ قال
انهم لا يكون تخليق هولا فاما الله سبحانه قادر ان يلقيهم اي يخلق منهم فعل السجود فاضيف الفعل اليه لذلك وقوله
قالوا امنا برب العالمين رب موسي وهرون قال بعض اهل التاويل انهم لما قالوا امنا برب العالمين قال لهم موسي
فرعون اياي تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب موسي وهرون ولكن لا ندري هذا وموسي اول ما جا فرعون دعاه
الي دينه قال له اني رسول من رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه قولهم امنا برب العالمين انهم اياه عنوا بذلك جائز
ان يكون امنا برب العالمين الذي ارسل موسي وهرون رسولا وقوله قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم هذا يدل
علي ان الايمان هو التصديق لا غير لانه لما قالت السحرة امنا برب العالمين قال لهم فرعون امنتم به وهم لم ياتوا بسوي
التصديق دل ان الايمان هو التصديق العزم للعين وقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها هذا
من فرعون نوع من التمويه علي قومه كما قلنا في الابتدا ان هذا لساحر عليم هو من التمويه والتلبيس علي قومه فعلي ذلك
قوله ان هذا لمكر مكرتموه وهو تمويه منه وتلبيس علي قومه لئلا يومنوا كما امن السحرة برب موسي وقوله ان هذا لمكر مكرتموه
اي شي صنعتموه فيما بينكم مع موسي وهو كما قال في اية اخري انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف هذا يحتمل باشد العقوبة والنكال والالم اوعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف اذ ذلك ابلغ
واقل في العقوبة من القطع من جانب والقطع من جانب اشد وانكل من القطع من خلاف اذ القطع من خلاف لا يتم
القيام بعضه الا بغيره ولا يعمل في اتلاف النفس اذ جعل ذلك حدا في بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة
قط دل انه اشد وانكل ويعمل في اهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعمل ذلك انه يحتمل ما قال او ان اختار القطع
من خلاف ليكون مونة الطلب عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد يمكن له الصعود علي الخشب والثاني لان ولسه

[margin:] لعله الطب

[margin:] حـ لا فرق بين هذا القول والقول الاول الذي قوله فيما بعد فيسوق ذلك تكرار

[margin:] حـ لا اول لان يقول لما بهرتهم الاية وعظمت عندهم صوروا في انفسهم وحضرت العالم في انفسهم ليثبتوا انهم علي الباطل وموسي علي الحق فلما امنوا ولا شين في ذلك صار من الايات ما ذكر فكيف الصاغرين فغلبوا واستكبروا

[margin:] حـ تقابل الاول انه يقول ليس قول فرعون اياي تعنون الا جهل برب العالمين قال لفرط عتوه وطغيانه وضلاله المستمر عليه

اعلم وقوله قالوا انا الي ربنا منقلبون وقال في موضع اخر لا ضير هذا والله اعلم يخرج علي وجهين احدهما علي الاقرار منهم بالبعث
والايمان به والثاني وعيد منهم لفرعون لعنه الله حيث اوعدهم بقطع الايدي والارجل والصلب وغير ذلك من العقوبات
فقالوا انا واياك الي ربنا منقلبون فيجزي كلا بما جزا سيجزيك بما وقوله وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما
جاتنا قيل فيه وجهين قيل قوله وما تنقم منا اي وما تعيب علينا وتطعن الا بما كان منا من الايمان بايات ربنا لما جاتنا
وهو ما جاهم من الايات وقيل وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا وكان الحق ذلك وعلينا ان نومن بها
كما امنا نحن وقوله ربنا افرغ علينا صبرا قوله افرغ قيل انزل علينا صبرا وقيل اتمم لنا صبرا وقيل اصبب علينا صبرا وهو كله
واصبغ يحتمل سوالهم الصبر لانهم اذا نزل بهم ما اوعد من العقوبات لم يقدروا علي الصبر علي ذلك فيتركون الايمان
لذلك سالوا ربهم الصبر علي ذلك ليثبتوا في الايمان به وتوفنا مسلمين سالوا ربهم ايضا التوفي علي الاسلام وهكذا كان
دعا الانبيا كما قال يوسف توفني مسلما الاية وكذلك وصي ابرهيم بنيه حيث قال ان الله اصطفي لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب علي كل مسلم مومن ان يتضرع الي الله في كل وقت ويبتهل اليه في كل ساعة لئلا يسلب الايمان
منه لان يكتسبه اذا الانبيا والرسل صلوات الله عليهم مع عصمتهم كانوا يخافون ذلك ليعلم ان العصمة لا تسقط الخوف ولا
تومن الزلات وقوله ربنا افرغ علينا صبرا دلالة علي انهم علموا انهم اذا افرغ عليهم الصبر صبروا اذ لو لم يعلموا ذلك لم يكن
لسوالهم الصبر معني وهذا علي المعتزلة في قولهم انه يفرغ ولا يصبر وانه قد اعطاهم غاية ما يصير في الدين فدل سوالهم ذلك علي
انه لم يعطهم وان عنده مزيد لو اعطي لهم ذلك كان وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض
وقوله ليفسدوا في الارض قال بعضهم في اخراجكم من ارضكم مصر وافسادهم العيش عليكم او ذكر وامن ترك ايانا ويفوت
ويذرك والهتك وقد قري والهتك في حرف ابن كعب وقرا بالهتك جعلها علي العبادة اي يذرك وعبادتك وقرا بالهتك
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقالوا ان فرعون لعنه الله قد كان جعل للقوم الهة يعبدونها ليتقربوا بعبادتهم تلك
الاصنام الي فرعون علي ما كان يعبد اهل الشرك الاصنام دون الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي فقالوا
ويذرك والهتك التي جعلت لهم وقال اخرون ان فرعون كان يعبد الاصنام والاوثان علي عبدتهم وقال غيرهم لا يحتمل
ان يكون هو عبد الاصنام ولكن جعل للقوم الاصنام علي ما ذكرنا الا تري انه قال انا ربكم الاعلي قال سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم قال بعضهم قوله سنقتل ابناءهم يعني رجالهم ونستحيي نساءهم اي نترك نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابنا
ولم يكن منهم اليه صنع انما كان ذلك صنع الرجال وقال بعضهم قد كان فرعون يقتل ابنا بني اسرائيل في العام الذي قيل
له انه يولد مولود يذهب بملكك ويغير دين اهل الارض فلم يزل يقتلهم في ذلك العام الذي قيل له انه يولد مولود الا بنا
ويترك البنات فذلك قوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم والله اعلم وقوله وانا فوقهم قاهرون قيل مسلطون عليهم فان قيل
لنا ما الحكمة في ذكر هذه القصص والانبا انه في القران قيل الوجوه والله اعلم احدها ان فيه دليل اثبات رسالة محمد
صلي الله عليه وسلم ونبوته لان هذه القصص والانبا كانت في كتبهم ثابتة بينة وقد علموا انه كان علي غير كانت كتبهم وعرفوا
انه لم يختلف الي احد ممن يعرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع من احد منهم ثم انبا بها علي ما كانت دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم علم
الغيب والثاني ان البشر جبلوا علي حب السماع الاخبار والاحاديث وحب ذلك في قلوبهم حتي ان واحدا منهم ليقرا احاديث
ويتبعها من ذات نفسه لان يستمعوا في ذلك اليه ويسمعوا منه فذكر لهم هذه الانبا والقصص ليكون استماعهم الي وسماعهم لها
ذلك احسن واوفق اذا اخبر ان ذلك احسن القصص بقوله نحن نقص عليك احسن القصص والثالث ذكرهم هذا ليعلموا ما حل
بهم في العاقبة من الاهلاك والاستيصال وانواع العذاب لتكذيبهم وتكذيبهم الرسل وما عاقبة المفسد منهم والمصلح ليكون
ذلك زجرا لهم عن صنيع مثلهم والرابع ذكر ذلك ليعلموا كيف كانت معاملة الانبيا والرسل اعداهم ومعاملة الاعدا الرسل
ليعاملوا اعداهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسولا فاخبر ان الرسل الذين كانوا من قبل
كانوا كلهم من البشر والسادس انهم كانوا يعبدون من دون الله الاصنام والاوثان ويقولون انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وانا علي اثارهم مقتدون فاخبر ان كان في ابايهم السعدا وهم الانبيا والاشقيا فكيف اقتديتم انتم بالاشقيا منهم

وهلا ابتلاهم بالسداد دون الاشقيا والسابع فيه ان كيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عرفنا الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من يامر به ومن ينهى عنه وايضا ان فيه ذكر الصالحين انهم بعدما امنوا وانقرضوا فصاروا بالذكر كالاحيا قوله
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا يحتمل قوله استعينوا بالله على اداء طاعته وما يتقربون به الى الله ويكون لهم زلفى
لديه ان يقول لهم استعينوا بالله بالنصر لكم والظفر واصبروا على اذاهم والبلاء ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يحتمل
هذا وجهين يحتمل ان يخرج ذلك من موسى مخرج الوعد لهم بالنصر والظفر على الاعدا وجعل لهم الارض من بعد واهلاك
العدو وهو كما وعد في موضع اخر ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين الاية
ويحتمل ان يخرج ذلك منه مخرج التصبير على الرضا بقضا الله ان الارض لله يصيرها لمن يشا فاصبروا انتم على البلايا وارضوا
بقضايه والعاقبة للمتقين فالحسن العاقبة اي الاخرة للمتقين خاصة واما الدنيا فانها بالشركة بين اهل الكفر واهل
الاسلام يكون لهم حالا ولهم واما الاخرة فليست للكفار انما هي للمومنين خاصة وهو ما ذكر في اية اخرى ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية ففي ذلك هذا والله اعلم وقال غيره
والعاقبة للمتقين اي عاقبة الامر بالنصر والظفر للمتقين على اعدايهم وان كان في الدنيا لهم عليهم وقوله قالوا اوذينا
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا يخرج هذا على وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطا النصر والظفر لهم كانهم استبطوا النصر
واهلاك العدو والظفر عليهم فقال لهم موسى عند ذلك عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض والثاني ان يخرج ذلك
منهم مخرج الاعتذار لموسى لما خطر ببال موسى انهم يقولون ان ما اصابهم من البلايا والشدايد انما كان بسببه ولمكانه فقالوا ذلك
لاعتذار منهم له ان قد اصابنا ذلك نحن من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا ليلا يوهم انهم يقولون ذلك او يخطر ببالهم ذلك
والله اعلم وجايز ان يكونوا قالوا ذلك على التعيير له والتوبيخ يقولون لم يزل يصيبنا من الاذى بسببك ولاجلك من قبل ان
تاتينا من الاستخدام ومن بعد ما جيتنا من انواع الضرر وقوله قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وعسى
من الله واجب فوعدهم اهلاك العدو واستخلافهم في الارض وقال بعض اهل التاويل في قوله اوذينا في سببك من قبل
ان تاتينا بالرسالة يعنون بالاذى قتل الابنا واستخدام النسا ومن بعد ما جيتنا بالرسالة من الشدايد التي اصابتهم
بعد لكن الاول اقرب واشبه وقوله فينظر كيف تعملون يحتمل هذا ايضا وجهين احدهما ان جعل لكم الارض ويوسع عليكم الرزق
ليحكم في ذلك ويستعبدكم لانه يجعل لكم ذلك على غير استحقاق تعملون ما شيتم في ذلك والثاني يمتحنكم بالشدايد والبلايا فينظر
كيف تعملون تصبرون على ذلك ام لا ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تشكرون
ربكم فيما انعم عليكم وقوله فينظر كيف اقوالكم من الثواب والجزا وقوله قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا امرهم
بالدعا بطلب المعونة من الله في قضا حوايجهم دينا ودنيا ويحتمل ان يكون على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما
نهى عنه وكذلك لا من البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة من الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار وبالله
التوفيق لا يستقيم ذلك على قول المعتزلة لان الدعا المعونة على ادا ما كلف وقد اعطي اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي
شي مما به ادا ما كلف عند الله وطلب ما اعطي كتمان العطية وكتمان العطية كفران فيصير كان الله امر بكفران نعمه وكتمانها
ويطلب منه تعنتا وهذا ما تستكفرهم لانه لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعط القام اذن وليس عنده فيكون طلبه
استهزا اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازي به في العرف ثم ما كان الذي يطلب اما ان يكون مما ان له
يطيع مع التكليف فيبطل قولهم لا يجوز ان يكلف ومنعه ما به الصلاح في الدين فلا يعطي او ليس له ان لا يعطي فكانه
قال اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا علمه بربه فالاسلام اولى به فنسال الله ما لا يدعو لساجد بالمعوقة والله ولي فضله قلبه
انه لا يزال عند المعونة ولا يزيد عند العصمة وليس عند الله ملك اسعد ما عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقوله ولقد اخذنا
ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات عن ابن مسعود بالسنين قال بالجوع وقيل بالقحط والجدب بالسنين قال بالحوايج ونقص
من الثمرات دون ذلك وقال القتبي السنين الجدب يقال اصابت الناس سنة اي جدب فان قيل ذكر انه اخذ ال
فرعون وكان فيهم بنو اسرايل فما معنى التخصيص قيل يحتمل ان يكون ذلك لهم خاصة دون بني اسرايل وان كان فيهم

على ما ذكر في بعض القصص ان القبط كانوا يشربون الدم وبنوا اسرايل الما او كان الجدب والنقص من الثمرات بين ال
فرعون وبني اسرايل لما انهم كانوا ياكلون الشهوة وبنوا اسرايل الحاجة فمن ياكل لحاجة كان اقل حاجة الى الطعام ممن ياكل
للشهوة فاذا لم يجد واما ياكلون الشهوة كان ذلك اضر بهم الا ترى انه قيل ياكل المومن في معي واحد والكافر في سبعة امعا او جرى
تخصيص ذلك لهم لما ان في معتقد بني اسرايل ان الله يمتحنهم بجميع انواع المحن مرة بالشدة ومرة بالسعة ومن معتقد القبط لا ياتيهم
اليهم ذلك فلم يكن في معتقدهم ذلك ان كانوا جميعا في ذلك وقوله لعلهم يذكرون اي يتعظون ويلزمهم الله واجب قد
اتعظوا لكنهم عاندوا وكابروا والالزمهم الاتعاظ وقوله فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي الخصب والسعة قالوا لنا من
اي هذا ما كنا نعرفه ابدا وما جرينا عليه اوان يقولوا الله من يزعمون انه يعبادته وان تصبهم سيئة مثل الضيق والقحط
يطيروا بموسى وقالوا الشوم هو هذا كما قالت العرب لمحمد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة الى الله لانهم كانوا يعرفون بالله والقبط ايضا يقولون ذلك لما ان فرعون ادعى الالوهية فقال
انا ربكم عند الله فيحتمل ذلك في هذا الا انما طايرهم عند الله ثم يحتمل هذا وجوها قيل جزا تطيرهم عند الله في الاخرة وقيل طايرهم
وشومهم الذي كانوا يتطيرون بموسى كان بتكذيبهم موسى اضافوا ذلك الى ما منع من الايات لانهم بنزول تلك الايات وارسالها عليهم
تطيروا بموسى فتشكلهم الايات بعد تطيرهم وتشاومهم وقال بعضهم قوله انما طايرهم عند الله اي حظهم من عند الله وكذلك قال في قوله
الزمناه طايره وهو كما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم لما كذبوا تلك الايات زادهم ما نزلت من الايات من بعد رجسا الى رجسهم فيلي
ذلك شومهم وطايرهم الذي كان بتكذيبهم موسى وقوله يطيروا بموسى من الطيرة وهو من التشام يقال تشامت بفلان اي قلت
بوجهه ذلك وتطيرت بفلان ايضا مثله ويقال تبركت به اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت واطيرت به وهو الا انما طايرهم اي
شومهم ذلك الذي يخافونه هو من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون انه كان من عند الله كان بتكذيبهم موسى وقوله وقالوا
مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين قال ابو بكر الكيساني تاويله كلما تاتنا به تزعم انه اية تريد ان تسحرنا بها فما نحن
لك بمومنين وقال ابن عباس والحسن وهو ان اي ما تاتنا به من اية تسحرنا بها الاية وقوله مهما يريد وهو قول القتبي ومعناه اي
ما تاتنا وقال الخليل هو في الاصل ما ما احدهما زايدة فطرحت الالف وابدلت مكانها هاء طلب التخفيف وذكر سيبويه
النحوي قوله مهما تاتنا به من اية اي مه اي كانهم قالوا مه اي اسكت كما يقول الرجل لاخر مه اي اسكت ما تاتنا به من اية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين والسحر هو التمويه باخذ الابصار ولا حقيقة له كقوله اني لاظنك يا موسى مسحورا اي متحيرا او قوله
سحروا اعين الناس ثم دل قولهم مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين ان ما قالوا ان هذا ساحر وانه سحر عن علم
بالاية والنبوة لم قالوا ذلك لا عن جهل وغفلة حيث قالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين ذلك منهم
ايس من الايمان به وقبول الايات لانهم اخبروا انهم لا يقبلون الايات ولا يصدقونه في ذلك وقوله فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد الى اخر ما ذكر قال اهل التاويل لما قالوا ذلك ارسل الله بعد السنين ونقص الثمرات الطوفان والايات
التي ذكر ويحتمل ان يكون هذا وان كان موخرا في الذكر فهو مقدم لما قال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخره لعلهم يذكرون اي يتعظون ثم اختلف اهل التاويل في الطوفان قال بعضهم
الما المطر حتى خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وعن عايشة قالت سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطوفان فقال الموت
فان ثبت فهو هو وقيل الطوفان هو انواع العذاب والجراد هو المعروف والقمل قال بعضهم هو بنات الجراد تقع
الدبا وقيل هو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها والضفادع والدم ايات مفصلات قيل منفصلات اي معرفات واحدا
بعد واحد لم يرسل اية الا بعد ذهاب اخرى بعضها على اثر بعض وقيل مفصلات اي بينات واضحات ما علم كل احد انه ليس
من عمل السحر ولكن اية سماوية اذ لو كان سحرا لتكلفوا في دفعه واشتغلوا بالسحر كما اشتغلوا بسحر العصي والحبال فاذ لم
يتكلفوا في ذلك ولم يشتغلوا بدفع ذلك بل فزعوا الى موسى ليكشف ذلك عنهم وعد والهم الايمان به وارسال بني اسرايل
معه دل فزعهم اليه في كشف ذلك عنهم على انهم قد عرفوا انه ليس بسحر ولكنه اية وقد اقروا بانها ليست بسحر وانها
ايات الا انهم فزعوا عند ذلك الى موسى فقالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك

ولنرسلن معك بني اسرايل ووعدوا له الايمان به وبعث بني اسرايل معه ان كشف عنهم الرجز وقوله بما عهد عندك اختلف
فيه قال بعضهم بما عهد عندك بما عهد لك انك متى دعوته اجابك وقيل بما عهد عندك الا منى امنا بك وصدقناك كشف عنا
الرجز فقالوا لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل وقوله ولما وقع عليهم الرجز قيل الرجز الوان
العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وما ذكر قالوا لين كشفت عنا الرجز يحتمل ان
يكون كلما حل بهم نوع من العذاب قالوا ان يكشف عنهم فقالوا لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل
فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك وعادوا الى ما كانوا من قبل ويحتمل ان يكون قولهم لموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت
عنا الرجز لنومنن لك بعد ما حل بهم انواع العذاب عند ذلك قالوا لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك فلما كشف ذلك عنهم
نكثوا عهدهم وهو قولهم لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك وعادوا الى ما كانوا فعند ذلك كان ما ذكر من قوله فانتقمنا
منهم وقوله لنومنن لك بما تدعي بانك رسول ولنرسلن معك بني اسرايل اي ان يكون ليس على نفي الارسال ولكن على ترك
الاستعباد اي لا نستعبدهم بعد هذا لانهم كانوا يستعبدون بني اسرايل وقوله فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه
اذا هم ينكثون قال الحسن قوله كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم الغرق لو اطاعوا ووفوا بالعهد الذي عهد ولكنهم لما نكثوا ذلك
انتقم منهم وهذا الحرف يودي الى مذهب الاعتزال لانهم يقولون ان من قتل او عذب تعذيب اهلاك انما هلك قبل اجله
واجل الموت لكن هذا يصح ممن يجهل العواقب فاما الله سبحانه يتعالى عن ذلك ان يجعل له اجلين احدهما الموت والاخر القتل
ولكن جعل اجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يموت حتف انفه الموت وكذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العمر اي
من علم منه انه يصل رحمه جعل عمره ازيد ممن يعلم انه لا يصل رحمه لا انه يجعل عمره الى وقت ثم اذا وصل رحمه زاد لما ذكرنا ان
ذلك امر من يجهل العواقب واما من يعلم ما كان وما يكون انه لو كان كيف يكون لا وقوله فانتقمنا منهم يحتمل ان يكون قوله
فانتقمنا منهم ما ذكر على اثره من الغرق فاغرقناهم في اليم ويحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب
الذي كان حل بهم ثم كان الاغراق من بعد وقوله بانهم كذبوا باياتنا يحتمل الايات التي جاء بها موسى على وحدانية الله تعالى
وربوبيته وهي حجج او الايات التي تقدم ذكرها من الطوفان والجراد والقمل وما ذكر وقال الحسن ما اتانا دينا وقوله
وكانوا عنها غافلين قيل معرضين مكذبين بها لا انهم كانوا على غفلة وسهو عنها لكنهم اعرضوا عنها معاندين مكابرين كانهم غافلين
عنها وجايز ان يكونوا غافلين عما يحل بهم من العقوبة بتكذيبهم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها هو ما سبق من الوعد لهم بوراثة الارض [illegible] وهو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
وكقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين كان وعدهم الاستخلاف الا ان الله
في الارض عدوهم ثم انجز لهم ذلك واورثهم على ما وعدهم بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون استضعافهم
وقوله مشارق الارض ومغاربها قيل فيه بوجوه قيل مشارق الارض ومغاربها ملك فرعون مصر ونواحيها ما يلي ناحية
الشرق وناحية الغرب وقيل كان في بني اسرايل من بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها من نحو ذي القرنين وداود وسليمان
وقيل مشارق الارض ومغاربها ان فضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها كقوله وفضلناهم على العالمين قيل على
عالمي ذلك الزمان ثم تفضيل اياهم على البرية بالجوهر والخلقة وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع وعلى جوهرهم من
بني ادم بالرسالة والحكمة والملك كقوله وجعلكم ملوكا واتيكم ما لم يوت احدا من العالمين وقوله التي باركنا فيها قيل الارض
الشام وقيل ارض مصر ونواحيها وقيل سماه مباركا لانه مكان الانبيا وقيل باركه لكثرة انزالها وسعتها وقوله
وتمت كلمت ربك الحسنى قيل هي الجنة اي تمت لهم الجنة بما صبروا وقيل تمت كلمت ربك الحسنى بما كان وعدهم انه يهلك عدوهم
ويستخلفهم ثم انجز لهم ذلك الوعد وهو كما قال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ثم ما وعدهم ان يمن عليهم وقوله
بما صبروا يحتمل بما صبروا على اذى فرعون ويحتمل بما صبروا على اداء ما وجب عليهم والله اعلم وقوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه على الوقف على قومه وما كانوا يعرشون
معطوفا على قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وما كانوا يعرشون وهو من الكرم

الذي

الذي يتخذه الملوك وقيل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون اي ما اهلكنا ما كانوا يعرشون قال القتبي يعرشون
اي يبنون والعرش بيوت والعرش سقوف وقال ابو عوسجة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا وقوله يعرشون يعرش
ويعرش يعني يبنون من البيوت والكروم والاشجار وقيل في قوله كانوا يستضعفون يعني بالاستضعاف قتل الابنا واستحيا النسا
[illegible] وقوله وتمت كلمت ربك الحسنى وهي النعمة التي انعم بها على بني اسرايل بما صبروا في البلا حين كلفوا ما لا يطيقون
من استعباد فرعون اياهم والكلمة التي ذكر ما ذكر في القصص من قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وقوله وجاوزنا
ببني اسرايل البحر [illegible] وهم الذين جاوزوا البحر [illegible]
ان [illegible] وهذا ينقض على المعتزلة حيث انكروا خلق افعال العباد [illegible] والعصمة وقوله فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم العكوف هو المقام والدوام وقوله يعكفون على اصنام لهم اي وجدوهم عكفوا على عبادة الاصنام مقيمين على ذلك وقوله قالوا
يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة يشبه ان يكون سوالهم الها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله ولكن لما لم يروا انفسهم
اهلا لعبادة الله وخدمته لما راوا في ان [illegible] لم يخدم الملوك الا الخواص لهم والمقربين اليهم ومن بعد منهم يخدم خواصهم
فعلى ذلك سالوا موسى الها يعبدونه لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله وخدمته ليقربهم عبادة تلك الاصنام الى الله [illegible]
ذلك مخرج التعظيم له والتبجيل له على الكفر وصرف العبادة عن الله [illegible] وكذلك كان عادة العرب انهم كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم
عبادتها الى الله زلفى وكذلك ما ذكر في بعض القصة ان فرعون كان يتخذ لقومه اصناما يعبدونها لتقربهم عبادة تلك الاصنام اليه زلفى
فعلى ذلك سوال [illegible] لموسى اجعل لنا الها والله اعلم او كان سوالهم ذلك لما لم يروا [illegible] يخدم الكافر فتبعه الى ذلك فراوا
ان الله تعالى [illegible] ان يعبد ويخدم [illegible] ويخدمون [illegible] وهم ما راوا [illegible] من النعم وانواع المنافع من الرحمة
والكرامة لذلك كانوا يخدمونهم فاما اهل التوحيد فانهم لا يرون العبادة لغير الله لانه ما من احد وان بعد منزلته وحط الا وان
نعم الله عليه ظاهرة حتى [illegible] حتى لو بذل له جميع حطام الدنيا او اوعد كل انواع العذاب لم يترك الدين الذي هو عليه مما
ترك الله وفي [illegible] موسى صلوات الله عليه [illegible] ان احدهما ان يعلم ان كيف يومر بالمعروف وينهى عن المنكر وكيف يعامل من ركب
الفسق والمنكر يعامل على ما عامل موسى قومه باللين والشفقة وان استقبلوه بالعظيم من الامر والمناكير والثانية
ويحتمل ان يكون سوالهم الها يعبدونه لما ان اهل الكفر قالوا لهم
ان الرسل هم الذين امروهم بعبادة الاصنام كقوله والله امرنا بها فعلى ما قالوا ان الرسل هم الذين امروهم بذلك سالوا موسى
ان يجعل الها لهم كما لهم الهة وقوله ان هولاء متبر ما هم فيه اي ان عبادتهم لهولاء متبر اي مهلكهم ومفسدهم وباطل ما كانوا يعملون
اي باطل ما يعملون لعبادتهم هولاء وقال القتبي التبار الهلاك وقال ابو عوسجة المتبر المدمر يقال تبرت الشي اي افسدته
ويقال رجل متبر اي هالك وقوله قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين يحتمل قوله فضلكم على العالمين بما هداكم ووفقكم
الهداية بما لم يوفق ولم يهد احدا من عالمي زمانكم ويحتمل قوله ابغيكم لعبادته وقد فضلكم بما استنقذكم من استعباد
فرعون وتبعه اياكم وانجاكم منه واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الهكم الحق وقوله اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم [illegible]
اما تستحيون من ربكم ان تسالوا الها تعبدونه دونه وقد فضلكم بما ذكر من انواع النعم التي ذكر والله اعلم ومعنى ذكر في قوله واذ
انجيناكم من ال فرعون الاية يذكرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون واله واهلكهم وقوله يسومونكم قيل يعذبونكم سو
العذاب قتل الابنا واستحيا النسا فذلك قوله يقتلون ابناكم ويستحيون نساكم وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم قيل في ذلكم يعني فيما انجاكم
من ال فرعون بلا من ربكم عظيم يعني نعم من ربكم عظيمة ويقال البلا بالمد هو النعم ويقال البلا مقصور الشدة وقوله وواعدنا
موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر ذكر ههنا ثلثين ليلة ثم ذكر التمام بالعشر وذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة اربعين ليلة
بقوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وهو واحد كان الميعاد له اربعين ليلة لكنه يحتمل ذكر ثلثين ثم عشرا
وجهين احدهما ان ثلثين ليلة كان لامر وعشرا كان لامر اخر فذكر متفرقا لما كان لامرين مختلفين والثاني انه كان في خبر
كان هذا في وقت والاخر في وقت والقصة واحدة والميعاد واحد فذكر التمام بعشر كقوله فمن لم يجد فصيام ثلثة
ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وان كان في وقتين والله اعلم وقوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة قيل تم

في الاصل هكذا بياض

الميعاد الذي وعده اربعين ليلة وقوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي فان قيل ما معنى قول موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي وهو كان معه رسولا الى فرعون مشركا في تبليغ الرسالة الى فرعون كقوله واشركه في امري وقوله انا
رسول رب العالمين وقوله فاتياه فقولا انا رسولا ربك وقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني فاذا
كان هو رسولا كموسى في تبليغ الرسالة كيف احتاج الى ان يقول موسى اخلفني في قومي وهما شريكان في الرسالة قيل يحتمل
هذا وجهين احدهما انهما كانا كرسولين اثنين وفي اثنين امر لم يكن لواحد منهما ان ينفرد به الا بامر الاخر فيه فكانه قال له اخلفني
في قومي بينهم واصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك الى سبيل المفسدين او يحتمل ان يكون موسى كان هو الرسول اذا كان اليه
الكتب وهرون كان ردءا في امر رسالته على ما قال فارسله معي ردا يصدقني والا موسى كان هو المامور به اولا والمبعوث اليهم
وهذا الا ترى انه كان هو المناجي ربه دون هرون وكان هو المعطى الالواح دون هرون كقوله وكتبنا له في الالواح من
كل شيء وهو الذي قال اني انست نارا وهو الذي نودي بالبركة دون هرون وفي ذلك من الايات فاذا كان كذلك استخلفه
في قومه وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا اي بالميعاد الذي وعدناه وكلمه ربه لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام ولا ماهيته
سوى انه كان ما وصفنا اسمعه موسى كيف شاء بما شاء بكلام مخلوق وصوت مخلوق قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني
الاية قال قايلون ان موسى لم يسال ربه الرؤية لنفسه ولكنه سال القوم لسوال القوم له كقوله لن نومن لك حتى نرى الله جهرة
لكن هذا بعيد لانه لو كان سواله اياه لسوال القوم لكان لا يقول رب ارني انظر اليك ولكن يقول ارهم ينظرون اليك او ما
انهم لم يكن لذلك وقال قايلون لم يكن سواله ربه رؤية الرب ولكن سال ربه رؤية الايات والاعلام والادلة التي بها يرى وذلك
جايز سواله الرؤية سوال رؤية الايات والاعلام وذلك ايضا بعيد لانه قد كان اعطاه من الايات والاعلام ما لم يكن له
الخاص الحيز ما من الايات من نحو العصا التي كان يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وما كان من فرق البحر والملا
العصو واليد البيضا وغير ذلك من الايات فاذا بطل ذلك دل انه سال حقيقة الرؤية والقول بها لازم عندنا في الاخرة
وهو من غير ادراك ولا تفسير والدليل على ذلك قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولو كان لا يرى لم يكن لنفي
الادراك حكمة اذ لا يدرك غيره بغير الرؤية فموضع نفي الادراك وغيره من الخلق لا يدرك الا بالرؤية لا معنى له والله الموفق
وايضا قول موسى رب ارني انظر اليك الاية ولو كان لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه ومن جهله لا يحتمل ان يكون
موضعا لرسالته امينا على وحيه وعبده فانه لم ينهه ولا اياسه وبدون ذلك قد نهى نوحا وعاتب ادم وغيره من الرسل ولو
كان لا يجوز لبلغ الكفر ثم قال فان استقر مكانه فسوف تراني فان قيل لما سال القاية بعيهم قيل لا يحتمل الوجه احدها
انه قال لن تراني وقد اراه الاية وايضا ان طلب الايات بجرم يخرج التعنت اذ قد اراه الايات على ما ذكرنا وذلك صنيع الكفرة
انهم لا يزالون يطلبون الايات وان كانت الكفاية قد ثبتت لهم لمثل ذلك وايضا انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني والا
التي يستقر معها الجبل هي دون التي لا يستقر معها ثبت انه لم يرد بذلك الاية وايضا حاج ابرهيم قومه في النجوم وما ذكر
بالافول والغيبة ولم يحاجهم بان لا نحب ربا يرى ولكن حاجهم بان لا نحب ربا يافل اذ هو دليل عدم الدوام ولا قوة الا بالله
وايضا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثم لا يحتمل ذلك الانتظار لوجوه احدها ان الاخرة ليست بوقت الانتظار
انما هي الدنيا وهي دار الوقوع والوجود الاني وقت الفزع وقيل انه في انواع انفسهم ما لم يقع الوقوع والثاني
قوله وجوه يومئذ ناضرة وذلك وقوع الثواب والثالث قوله الى ربها ناظرة والحرف يستعمل في النظر اليه الشيء لا في الانتظار
والرابع ان القول به خرج مخرج البشارة لعظيم نا لهم من النعم والانتظار ليس موضع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم
فقد قيل على الله فيلزم التوقف بالنظر الى الله كما قال على نفي جميع معاني الشبه عن الله سبحانه على مثل ما اضيف اليه من
الكلام والفعل والقدرة والارادة انه يجب الوصف به على نفي جميع معاني الشبه وكذلك القول بالعينة ممن زعم ان الله
تعالى لا يقدر ان يكرم احدا بالرؤية لهو يقدر نفي الرؤية التي نفيهما من الخلق واذا كان القول بالرحمن على العرش
استوى وغير ذلك من الايات لا يجد فيه بالعرض على المفهوم من الخلق بل يحقق ذلك على نفي الشبه فكذا الرؤية وايضا
قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وجاء في خبر انها النظر الى الله وقد يحتمل غير ذلك مما جاء في التفسير لكنه لوله ان القول

بالرؤية كان امرا ظاهرا لم يحتمل صرف ظاهر لم يجيء في الميعاد ويرفع في الخبر والله اعلم وايضا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غير جنازة قال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون وقيل سل لي ربك فقال يتجلى فيتجلى
فلم ينكر على السائل السوال وقد علم السائل ان رؤية القلب اذ هي علم قد علمه وانه لم يسال عن ذلك وقد حذر الله المومنين عن
السوال عن اشيا قد كفوا انهم بعوتسر لا لو عن اشيا التكيف يحتمل ان يكون السوال عن شيء وذلك كفر في الحقيقة عند قوم
ثم لا نهاهم عن ذلك ولا يوبخهم في ذلك بل يليق القول في ذلك ويرى ان ذلك ليس ببديهم ولله الموفق وايضا ان الله وعد ان
يجزي احسن ما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن من التوحيد وارفع قدرا من الايمان به اذ هو المستحق بالعقول لعظيم الثواب
الموعود من جوهر الجنة حسنه حسن الطبع وذكره ونحسن العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء حسن في العقول لا يستحسنه ذو عقل
وجايز ما استحسنه الطبع طبعا الا يتلذذ به كطبع الملايكة ومثله في المستقر به لذلك لزم القول بالرؤية ليكون كرامة تلم في الحلال لم
ما اكرموا به وهو ان يصير لهم المعبود بالغيب شهودا كما صار المطلوب من الثواب حضورا لا قوة الا بالله ولا يحتمل العمل ان كان
يحكم في العلم بالله في الاخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس وذلك علم العيان لا علم الاستدلال وكذلك الايات لا تحقق علم الحق
الذي لا يعتري ذلك دليل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة الاية مع ما ذكر منا اتيانه الكفرة بالتكذيب في الاخرة وانكار
الرسل وقولهم بل بلغوا الا ما امرنا وغير ذلك وبعد فانه اذ لا يجوز ان يصير علم العيان بحق علم الاستدلال لم يجز ان
يصير علم الاستدلال بحق علم العيان فثبت ان الرؤية توجب ذلك وبعد فان في ذلك العلم يستوي الكافر والمومن والبر
بالرؤية خص به المومن ولا قوة الا بالله ولا نقول بالادراك بقوله لا تدركه الابصار نفيا متمدحا بنفي الادراك لا بنفي الرؤية
وهو كقوله ولا يحيطون به علما كان في ذلك نفي العلم ونفي الاحاطة فتبع في حق الادراك وبالله التوفيق وايضا ان الادراك انما
هو الاحاطة بالحدود والله يتعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية وتقصير لما هو اعلى منه على انه واحد في الذات والحدود صفة
المتصل الاجزاء حتى ينتهي مع احالة القول بالحد اذ كان كل ما يحد او بحد فهو على ذلك لا يتغير على ان لكل شيء حدا يدرك بها
نحو الطعم واللون والرائحة والحد وغير ذلك من الحدود وخصية الاشيا جعل الله الاشيا لكل شيء من ذلك وجها يدرك ويحاط به
حتى السمع والالوان فجل الله تعالى انه ليس بذي حدود وجهات من طرق ادراكها بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات
وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا ولا قوة الا بالله وبعد فان القول بالرؤية يتم على وجه لا يعلم حقيقة
كل وصف من ذلك الا بالعلم بذلك الوصف حتى اذا عبر عنه بالرؤية صرف الى ذلك وما لا يعرف له الوصف بدون ذكر الرؤية لزم
التوقف فيما نهاها على تحقيقها واما الادراك انما هو معنى الوقوف على حدود الشيء الا ترى ان الكل في التحقيق يرى لكنه لا
يدرك الا بالضوء والا كان مريبا على ما يرى لوقت نسخ الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا ما يتبين له الحد وكذلك ضوء النهار يرى
لكن من لا يعرف بذاته وكذلك الظلمة لا نظر لها يرى فيدرك ويحاط به وبالحدود يدرك الشيء وان كان يرى لا بها
ولذلك ضرب المثل بالقران لا يعرف من دون سعته ليوقف ويحاط به ويرى بيقين ولا قوة الا بالله والاصل في
القول عندك على قدر ما جا ونفي كل معنى من معاني الخلق وانه ليس لما يجي والله الموفق ثم زعم الكعبي ان الغايب اذا لم يخرج
عن الوجه الذي به يعلم فكذلك لا يرى الا بالوجه التي بها يرى من المباينة بمرئي ولما حل فيه المرئي بالهوا والمقابلة والقبا
الهوا والصغر فعظم الصغر والبعد ولو جازت الرؤية بخلاف هذا لجاز العلم به قال الشيخ رحمه الله عليه وهذا خطا لانه
قدر برؤيته جوهر وقد يعلم ان غير جوهر جسم يرون من الوجه الذي لا يقدر على الاحاطة بجوهر فضلا عن ادراك
بعض نحو الملايكة والجن وغيرهم ما يرونا من حيث لا نراهم والجثة الصغيرة نحو البق ونحو ذلك بما يرى لنا ولو توهم مثل
ذلك البصر لما احتمل الادراك ويرى الملك الذي يكتب جميع افعالنا ويسمع جميع اقوالنا على ما اردنا تقدير ذلك
بما عليه جعلنا لتلزم انكار ذلك كله وذلك عظيم وكذلك ما اكثر من نطق الجلود وغيرها مما لا نتخيل بنا ما امر ان مد
لو صح بعض وبعد فانه في ان الله لا يتصل بين البصرين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما بالاعتبار فالحجر بما لو
قابل اصبحا حالما الاخر على حاله وصح مستنكرا واذا كان كذلك بطل التقدير بالذي ذكره والله الموفق وايضا
انه في ان الله لا يجعل اسباب العلم لا يعلم في العرض والجسم بحر جايز العلم بالغايب خارجا منه فلم الرؤية والثالث

ما ذكرنا من رؤية الضوء والظلمة والنور من غير شيء من تلك الوجوه والرابع انه قد يكون وجود تلك المعاني كلها مع عدم الرؤية
اما لحجاب او لجوهر لما لتحقيق الرؤية في نفي تلك المعاني على ما اوجب القائل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالم اذ وجد
جسم لا كذلك فيجوز وجود ذلك ولا جسم فيتأتى في الرؤية على ان البعد الذي يحجب والدقة يجوز ان يبلغه بصر بشر فصار
ارتفاع الرؤية بالحجاب فاذا ارتفع جاز ولا قوة الا بالله وبعد فان الذي يبطله تصوير رؤية الاجسام ولم يحق بصر بعض
الاجسام والاعراض ان كيف سبيل الرؤية له ويصف ان كل جسم يرى وان كانت الدقة والبعد يحجبان فهو لا ارتفاعهما من
يجزاء يرى ما يرى ملك الموت من اطراف الارض ووسطها ما لو اعتبر ذلك ببصر البشر لما احتمل ادراك فثبت ان الذي قدر
به ليس هو صفة تعريف ما يبصر ولكن بسبب تعريف ما يحجب به البصر فاذا ارتفع رأى مع ما كان المنع به رؤية لذاته عرض والا فهل
جسم يرى فلم لزم انكار الرؤية لما ليس بجسم او لما لا يرى الا بما ذكر ليلزم الاقرار به لان الذي لا يرى لذاته هو العرض والله
فكل جزء يرى ولا قوة الا بالله وعلو رمز بامر الدنيا ولا يحال ذلك كي يسقط المحنة وترتفع الكلفة والدنيا بنيت لهما ثم ذكر في امر موسى
ان ذلك في الاحاطة بالآيات وتقيناف وذلك فما ذلك العلم بالذي بالـ وهو رسول بعث الى بابه نجاة للخلق وذلك له
يكون في المحنة او هو تبليغ الرسالة والدعاء الى العبادة وهو ممتحن بل لا الرؤية بجبل قريب وليس بعظيم محله عند الله او
ان يكون لسؤال من يعلم الخلق جواز ذلك وبالله التوفيق ثم استعمله بانه لم يرى من يعقل انما يرى الجبل والجبل لا يعقل
ليعلم وليراه فيقال له ولو كان تأبيه فالجبل لا يراها ولا يعقل واذا كان كذلك فاله به اذا اصار اندكاكا الجبل وانشقاقه
لان اراد الاية ليندك به وبه هذا اية فذا رى موسى الاية وهو اندكاك الجبل ولم يقل لن تراني وحملته على الاية
وقدرها ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبته لو كان سؤاله على الامر قيل على العادة في الخلق من يحدثه عند الاهوال
بلا حدوث ذنب او لما رأى من جلال الله وعظمته فزع الى التوبة واحداث الايمان به وان لم يكن ما يوجب ذلك وذلك متعارف
في الخلق ويحتمل ان يكون قوله لن تراني وكان يعتقد جواز الرؤية في الدنيا وامثاله وبعد ذلك ما يعلمه في الاطلاق وهم ما
كان صنعه لان بالذي قال لن تراني وان كان في اصل ايمانه واخلاق على اخو احداث الايمان المؤمنين بجمل ويتنزل بجمل اوبعة
تجد وان كان في انياء الحكام والله الموفق وفيها ما قالوا في قوله وجعل يونس ناض الجبل [illegible] والله [illegible] في الكلام
انما اذا كان على امر بعض او يقرن به المقصود اليه صرف عن حقيقته والا لا وذلك نحو قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل والم تر كيف
فعل ربك واصلان من قال رأيت فلانا او نظرت الى فلان لم يحتمل غير ذاته واذا قال رأيته يفعل كذا او يفعل كذا انه له
ربه به رؤيته وذاته فلما قصد موسى وسمع الاية [illegible] عن نصر بن عمرو انه في البصرة فقال له يا اهل البصرة اما ان كان
موسى مشبها واما ان كان رأى ربه لانه لو كان الذي لا يرى فسال لعمري كان جاهلا به مشبها خلقه به فذلك انه يرى ثم الا

الزايدة

الامر تامل الذي ذكر الكعبي عرف انه مشبه لمذهب له لانه لم يذكر المعنى الذي له يجب ان تكون الرؤية بتلك الا اجراه كذلك
وحد وسوق المشبه انه وجد كل فاعل في ان يجدهم وكذا كل عالم فيجب مثله في الغائب ثم ذكر معنى رؤية الجسم ولم يذكر معنى
رؤية غير الجسم حتى يكون له دليل والبعد فان نفي بالدقة والبعد وسماع الاعلان من الله تعالى ثم احتج باستداح انه لا تدركه
الابصار وقال لا يجوز ان يزول فيدل عليه بالقول خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير فلا يجوز ان يزول ثم قد وصف الله
بالرؤية في استعظامه ذكر فثبت ان ذلك طريق لا يؤدي الى ما به الرؤية فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف اذ الكيفية
تكون لذي صورة بل يرى بلا وصف قيام وقعود واتكاء وتعلق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصير وطويل ونور
وظلمة وساكن ومتحرك ومماس ومباين وخارج وداخل ولا معنى يأخذه الوهم او يقدره العقل لتعاليه عن ذلك وقوله
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية قال ابو بكر الاصم تجلى بالاعلام والآيات التي بها يرى لا رؤية الذات وكذلك قال
ارني انظر اليك انما سأل ربه ان يريه الاعلام التي بها يرى لا رؤية الذات وقد بينا فساد ذلك واحالته لما قد اعطاه من
الآيات والاعلام ما لا غنية من غيرها لا يحتاج الى غيرها وقال الحسن ان موسى سأل ربه الرؤية في غير وقت الرؤية وهو يعتقد
بالرؤية يكون في الا في الدنيا وبنيته هذا العالم لا تحتمل ذلك الا ترى انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني اخبر ان
الجبل لا يستقر لكيفية [illegible] لكن بنيته لا تحتمل ذلك فقال لذلك قال موسى اني تبت اليك وانا اول المؤمنين انك ليس

في الدنيا الرؤية الى نحو هذا يذهب الحسن وقد ذكرنا فيه الوجه على قدر ما حضرنا وقال اهل التاويل قوله تجلى ربه للجبل اي ظهر لكن لا
نفهم من ظهوره ما نفهم من ظهور الخلق على ما ذكرنا في قوله استوى على العرش وقوله وجاء ربك وغيرهم من الآيات لا نعقد استواء باستواء الخلق وكذلك
مجيئه فيلي ذلك ظهوره وبالله العصمة وروي ان في التوراة انه جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعير واطلع من جبل فاران وقالوا مجيئه وحيه
الى موسى في طور سيناء وظهر على عيسى في جبل ساعير واطلع على محمد في جبل فاران ثم الى ان كيف اجاز موسى بالسؤال بسؤال شيئه
ارني انظر اليك لكنه يحتمل وجوها احدها على الامر بالسؤال على كل ليعلم انه يرى ويعتقدوا ذلك او على الظن منه لما رأى انه اعطاه
شيئا لا يكون مثله في الدنيا انما يكون في الآخرة من نحو انفجار العيون من الحجر من غير عين يكون لهم في ذلك من صنو الآية واملاء
والواح الموت ومنها العظام من الطعام الذي ينمو ويزداد على قدر قامتهم وطولهم من نحو ما اعطاهم من المن والسلوى في غير موسم
ولا جهد وذلك كله وصف الجنة فلما رأى ذلك ظن ان الرؤية تكون ايضا في الدنيا على ما كانت تلك اشياء لم يكن مثلها لاحد في الدنيا او
لما رأى انه يسمع كلام ربه والحقيقة مسامعه كلامه لا من مكان ولا من قريب ولا من بعيد ولا من اسفل ولا من اعلا ولا من فوق ولا من تحت
لكنه يسمع بانا وكيف بالمطمع فيلي ذلك ظن انه يجوز له ان يسأل ربه الرؤية فيريه بانا وكيف بالمطمع كما يسمع كلامه بالمطمع
لما ذكرنا وقوله قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي سمى الله عز وجل موسى وسائر الانبياء صلوات الله عليهم
باسماء الجوهر موسى وعيسى ونوح وابراهيم واسمعيل واسحاق وسمى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وذلك يدل على تفضيله
وكذلك سمى سائر الامم المتقدمة يا بني اسرائيل ويا بني آدم وسمى امة محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين آمنوا وقال كنتم خير امة ونحو ذلك
يدل ايضا على تفضيل امة محمد على غيرها من الامم وقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي كان مصطفى ومفضلا
بالكلام على الناس كافة الانبياء وغيرهم لان الله تعالى لم يكلم احدا من الرسل الا بسفير سوى موسى فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير ولما
قوله اصطفيتك على الناس برسالاتي على الناس في زمانه واهل خاصة ويحتمل برسالاتي التي بين موسى وبين الله تعالى وهذا ينقض على المعتزلة
قولهم ان الله لا يرسل رسولا الا وهو يستحق الرسالة ولو كان طريقه الاستحقاق لا الافضال والاحسان لم يكن للامتنان معنى دل
ان طريقه الافضال والاحسان لا الاستحقاق والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يكون الله مصطفيا موسى ولا غيره من الانبياء ولكن هم
الذين اصطفوا انفسهم وقوله فخذ ما آتيتك يخرج على وجهين احدهما القبول اي اقبل ما اعطيتك كقوله خذ من اموالهم صدقة
ويحتمل قوله فخذ ما آتيتك اي اعمل بما آتيتك باحسن العمل وكن من الشاكرين التي انعمها عليك من التكليم والرسالة وغيره
من النعم والله الموفق وقوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله وكتبنا له في الالواح وجهين احدهما انما اضاف
ذلك الى نفسه لما تولى كتابتها الملائكة البررة الكرام اضاف تعالى الى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما على ما ذكر في الكتاب في غير موضع من
كقوله فنفخنا فيه من روحنا وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله اخبر ان طاعة الرسول له طاعة ونحو ذلك فكذلك هذا والله
اعلم او اضاف ذلك الى نفسه لما كان ويكون الى يوم القيامة ما يكون من الذي كان منه في الاوقات التي اراد ان يكون فعلى
ذلك كتبه تلك الالواح كانت تحت ذلك اليمن وان كان اضاف بعض تلك الاشياء الى نفسه كقوله جعل لكم الليل والنهار وجعل الشمس
ضياء والقمر نورا وانزل لكم من السماء ماء كذا وخلق لكم كذا وجعل لكم السمع والابصار ونحو ذلك فذلك كله كان تحت قوله كن فكانت
على ما اراد ان تكون في الاوقات التي اراد ان تكون والله اعلم وقوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله من كل شيء
ما يتبع العباد ويحتاج اليه ويحتمل من كل شيء من امره ونهيه وحلاله وحرامه وقوله موعظة قال الموعظة هي التي تحمل القلوب على
القبول والجوارح على العمل وقال بعضهم الموعظة هي التي تنهى عما لا يحل وقال ابو بكر الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية
وترسل العيون الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة قال الشيخ رحمه الله وعندنا الموعظة هي التي تذكر العواقب تحمل على العمل
لها وقوله وتفصيلا لكل شيء قيل تفصيلا لما امر به ونهى عنه وقيل بيانا لكل ما يحتاج اليه وقوله فخذها بقوة اي بجد
بجد قيل فخذ اي اقبل واعمل على ما ذكرنا في قوله فخذ ما آتيتك ويحتمل اعمل بما فيها وقوله بقوة قال اهل التاويل بجد ومواظبة وجد
قوله فخذها بقوة القوة المعروفة وعلى قول المعتزلة لا يكون اخذها بقوة وقد اخبر ان خذها بقوة لانهم يقولون ان القوة تكون قبل
الفعل فربما تعدم لانه لا تبقى وقتين فيكون في الحاصل لو كان قبل الفعل اخذا بغير قوة ولا انها مع الفعل ونقض المعتزلة
قوله فخذها بقوة على ان القوة قد تقدمت لا امر بالاخذ بالذي لا يكون ما ذكر والامر بالاخذ بقوة دل انها تقارن الفعل لا تتقدم

وقوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها يحتمل قوله يأخذوا وجهين احدهما الوجهين التبول او العمل اي مرهم يقبلوا بأحسن القبول
ويحتمل مرهم يعملوا بأحسن ما فيها من الامر والنهي والحلال والحرام ويحتمل قوله بأحسنها اي بأحكمها والمتقن او بأحسن ما عمل به
الأولون او ذي في اخبار الأولين وقوله سأريكم دار الفاسقين قال بعض اهل التأويل قال ذلك لبني اسرائيل سأريكم دار الفاسقين
يعني سنة الفاسقين وهو الهلاك كقوله فقد مضت سنة الأولين وسنته في اهل الفسق والكفر الهلاك وقال ابن عباس
قال سأريكم دار الفاسقين جهنم وامكن ان يكون الخطاب للفسقة سأريكم يا اهل الفسق دار الفاسقين وقوله سأصرف
عن آياتي الآية يخرج هذا على وجهين احدهما سأصرف عن آياتي اي سأصرفهم عن قبولها وتصديقها اذ لم يستقبلوها بالتعظيم لها
بل استهزأوا بها واستخفوا بها على علم منهم انها آيات من الله عز وجل والثاني سأصرف عن وجوه الطعن والقدح فيها والكيد لها ثم ان كل
واحد من هذين الوجهين يتوجه على وجهين قال الحسن ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد يطبع عليه فلا يقبل ولا يصدق
آياته بعد ذلك والثاني انهم كانوا يتعنتون في آياته ويكابرون فيردونها مع علمهم انها آيات من الله عز وجل فاذا تعانتوا صرفهم
عن قبولها وتصديقها وهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي خلق منهم فعل الزيغ وفعل
الانصراف وهكذا الكلام من يختار عداوة الله فانه لا يختار ولايته ولكن يختار له ما اختاره هو واما قوله سأصرف من وجوه الطعن
فيها والقدح وذلك ان الله عز وجل جعل للرسل والانبياء اضدادا من كبراء الكفرة وعظمائهم وكانوا يطعنون في الآيات
ويقدحون فيها فاخبر انه يصرفهم من وجوه الطعن فيها والقدح والكيد لها اي لا يجدون فيها مطعنا ولا متداخلا والثاني قوله سأصرف
عن آياتي الهلاك والاستئصال عليهم اهلكهم المهلكون والآيات هي الباقية ثم اختلف في الآيات قال الحسن آياتي ديني وتأويله
ما ذكرنا انهم اذا بلغوا ذلك الحد صرفهم عنها وقال غيره آياته حججه وبراهينه وقوله الذين يتكبرون في الارض بغير الحق كانوا
يتكبرون على الرسل لما لم يروهم اشكالا لانفسهم واشكالا لا وهكذا كل من يتكبر على آخر انما يتكبر لما لم ير مثلا لنفسه ولا
شكلا او يتكبر لما يرى نفسه سليما من العيوب ويرى في غيره عيبا او يرى لنفسه حقوقا عليه ليتكبر فاذا كان التكبر لهذا فالخلق
كلهم اكفاء بعضهم لبعض لانهم اشكال وامثال وفيهم العيوب والحاجات فليس لاحد التكبر على احد وانما التكبر لله فلا يليق الا لما
لا مثل له ولا شكل تنزه من العيوب كلها والحاجات لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة وقوله بغير الحق اي ليسوا اهلا
باهل التكبر وقوله وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها الآية ان يكون قوله يروا اي وان علموا انها آية لا يؤمنون بها ابدا هذا
في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا اي وان علموا انه سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا ولا يتبعوه مخافة ان تذهب رياستهم ومأكلتهم وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي وان علموا ان ذلك هو سبيل
الغي والباطل يتخذوه سبيلا وقوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يحتمل قوله ذلك الصرف الذي ذكر عن آياته لما كذبوا
الآيات بعد علمهم انها آيات من الله وكانوا عنها غافلين غفلة الاعراض والعناد لا غفلة الجهل والسهو وقوله والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي الذين كذبوا بالآيات والبعث بعد الموت وقوله حبطت اعمالهم هذا يحتمل وجهين يحتمل
انهم كانوا مسلمين من قبل فكذبوا الآيات وكفروا بها فحبطت الاعمال التي كانت لهم في حال الايمان وبطلت ويحتمل حبطت
اعمالهم المعروف الذي كانوا يعملون في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات ونحوها من المعروف والخيرات التي عملوها
حبط ثواب ذلك كله اذ لم يأتوا بالايمان وقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي ما يجزون الا ما كانوا يعملون من
الاستهزاء بالآيات والاستخفاف وقوله واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا وقوله واتخذ قوم موسى كيفية
وصف اتخاذ العجل ما ذكر في سورة طه بقوله فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي الآية
وصف الله عز وجل قوم موسى بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون وبعضهم وصفهم بالفساد وقلة الفهم والضعف في الدين بقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقال بعضهم
انهم اتخذوا العجل الها عبدوه يذكر هذا والله اعلم لما لم يعرفوا نعم الله ولم يتفكروا في آياته وحججه يذكر هذا لنا لننظر
في آياته وحججه ولنتفكر في نعمه ونشكرها ونتدبر في آياته وحججه لنتنبه ولا نصنع مثل ما صنع قوم موسى وقوله
من بعده اي من بعد مفارقة موسى قومه وقوله من حليهم وقال في موضع آخر اوزارا من زينة القوم وكانت تلك

الحلي

الحلي عارية عندهم من قوم فرعون بقوله اوزارا من زينة القوم اضافه الى قوم فرعون واضاف هنا الى قوم موسى بقوله من حليهم
دل ان العارية يجوز ان تنسب الى المستعير وفيه دلالة ان من حلف لا يدخل دار فلان فدخل دارا له عارية عنده يحنث وقوله
عجلا جسدا قال بعضهم صورة كانت صورة عجل ولم يكن عجلا في جوهره وقيل الجسد هو الذي لا تدبير له ولا تمييز ولا بيان لكنه
ذكر به هذا اما لا يحتاج الى هذا او هو قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لكنه كانه قال عجلا جسدا يذكر سفههم انهم
عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبب الذي يعبد به او دعا او اختاروا الالهية من وصفه ما ذكر وقوله له خوار قيل ان
السامري قد اخذ قبضة من اثر الرسول فالقى تلك القبضة في الحلي الذي القوم في النار فصار شبه عجل له خوار وقال بعضهم
صاغ من حليهم عجلا فنفخ فيه من تلك القبضة فخار خوارا وقال بعضهم ان السامري كان سوى ذلك العجل الذي اتخذ بحال حتى
اذا اصابه ريح خار وقال بعضهم كان وضع في دبره الريح فيدخل الريح في دبره ويخرج من فيه فعند ذلك خار والله اعلم وقوله
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وفي سورة طه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ليس فيه انه ان كان يكلمهم او يملك لهم ضرا ونفعا
يجوز ان يعبد ليعلم ان ذكر حظر الحكم في حال لا يوجب اباحة ذلك في حال اخرى وفيه ان امتناع العلة عن اطرادها يوجب نقضها
وان كان اطرادها في الابتداء في معلولاتها لم يدل على صحتها وفي قوله لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ذكر
سفههم لعبادتهم شيئا لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله اتخذوه اي اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين في عبادتهم العجل لانهم وضعوا
العبادة في غير موضعها والالهية في غير موضعها وقوله ولما سقط في ايديهم هذا حرف يستعمله العرب عند وقوع الندم وطولها
وتأويله لما رأوا انهم قد ضلوا اسقط في ايديهم اي ندموا على ما كان منهم وقوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اي لئن لم يرحمنا ربنا
ولم يوفقنا للهداية والعبادة لك ويغفر لنا ما كان منا من العبادة للعجل والتفريط في العصيان لنكونن من الخاسرين ويحتمل قوله
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء اسباب الرحمة والمغفرة كقوله واستغفروا ربكم الآية ويحتمل التجاوز لما كان منهم والعفو وفي قوله
الم يروا انه لا يكلمهم بعد قوله له خوار دلالة ان الكلام هو ما يفهم منه المراد ليست الحروف فقط لانه اخبر ان له خوارا ثم اخبر انه
كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان ذا هجاء وحروف ليس بكلام وذلك يرد على اصحابنا في مسألة اذا حلف ان لا يكلم فلانا ثم خاطبه
بشيء لا يفهم مراده ان ذلك ليس بكلام ولا يحنث وقوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية في الحزن والغضب
كقوله يا اسفا على يوسف هو النهاية في الحزن والاسف في موضع الغضب قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا لكن الغضب
يكون على من دونه والاسف والحزن على من فوقه وقوله غضبان اي على قومه لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله حزينا على
قومه لما يلحقهم بعبادة العجل من العقوبة وهكذا الواجب على من راى المنكر ان يغضب على مرتكب المنكر لمعاينته المنكر
ويأسف عليه لما يلحقه من العقوبة والهلاك رحمة منه له ورأفة ويلزم المنكر ربه لما يحميه عن شيء وكذلك وصف رسوله
بالاسف والحزن لتكذيبهم اياه حتى كادت نفسه تهلك حزنا عليهم حيث قال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات ذكر هذه القصة لنا لنعرف ان كيف نعامل اهل المناكير وقت ارتكابهم المنكر وقوله بئسما
خلفتموني من بعدي يخرج هذا على وجهين احدهما بئسما خلفتموني فيما احدثتم من عبادتكم العجل على عبادة الله والثاني بئسما
خلفتموني في اجابتكم السامري الى ما دعاكم اليه بعد ما اتيتكم آياتي واني رسول الله وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم
وقوله اعجلتم امر ربكم اختلف فيه قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اعجلتم الوعد الحسن الذي
وعدكم ربكم وهو قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وقال آخرون امر ربكم اي عذاب ربكم وغضبه بعبادتكم العجل واتخاذكم الها وقد
سمى الله تعالى الامر في غير موضع من القرآن عذابا كقوله اتى امر الله ونحوه جاء امرنا وقوله والقى الالواح قال اكثر اهل
التأويل القى الالواح اي طرح على الارض غضبا منه فرفع منها كذا وكذا وبقي كذا لكن لا يجوز ان يفهم من قوله القى الالواح
طرحها على الارض لانه قال والقى في الارض رواسي ليس يفهم منه الطرح ولكن انما يفهم منه الوضع فعلى ذلك قوله
والقى الالواح اي وضعها لانه اخذ راسه ولحيته اعني راس اخيه هرون ولا سبيل له الى ان يأخذ راسه ولحيته والالواح
في يديه فوضعها على الارض ثم اخذ راسه ولحيته يجره اليه على ما ذكر في سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا
براسي ولا يسع انه كان اخذ راسه ولحيته جميعا لشدة غضبه على صنيع قومه وفي الآية دلالة ان العمل بالاجتهاد لا [illegible]

قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ولا يحتمل ان يكون موسى ياخذ راسه ولا من امه ثم يقول له هرون لا تاخذ بلحيتي ولا كذا
ولا تفعل كذا وفيه ايضا ان هرون لما قال له لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت انما قال ذلك بالاعتذار حيث قال اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لانه لو كان يقول له بالعتاب او بالامر لم يكن ليعتذر اليه بقوله فلا تشمت بي الاعدا وقوله
واخذ براس اخيه يجره اليه فيه دلالة انه انما اخذ شعر راسه لانه لو كان اخذ راسه لكان لا يحتاج الى ان يجره اليه ولانه كان اخذ
بشعر راسه وكذلك قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وفيه دلالة لاصحابنا انه من مسح شعر راسه ثم ازال الشعر لم يسقط عنه حكم المسح
واذا مسح على لحيته ثم سقطت زال عنه حكمه ولم نعد ذلك لما سمي الشعر راسا وسمي اللحية لحية وسقوطها يسقط حكم المسح وسقوط
شعر الراس لا والله اعلم وقوله ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني هذا صح قول موسى لهرون لما قال له يا
هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري فقال عند ذلك ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
فلا تشمت بي الاعدا ولا تجعلني مع القوم الظالمين وقوله رب اغفر لي ولاخي قال بعضهم انما خص اخاه بسوال المغفرة لانهم
حسبوا قد عبدوا العجل سوى اخيه هرون لذلك خصه بسوال المغفرة وقال بعضهم انما قال ذلك جوابا لما قال هرون فلا
تشمت بي الاعدا الاية ويحتمل ان يكون تخصيص السوال بالمغفرة لما سال ربه ان يجعل هرون له وزيرا بقوله اجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري لما سال ربه ان يشركه في امره ويشد به ازره فلذلك خصه بسوال
المغفرة والله اعلم وقوله وانت ارحم الراحمين لان كل من يرحم دونه انما يرحم برحمته وقوله ان الذين اتخذوا العجل اي
عبدوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا قال بعضهم غضب من ربهم عذاب في الاخرة لمن مات منهم على
ذلك وذلة في الحيوة الدنيا القتل والهلاك في الدنيا وقال بعضهم قوله غضب من ربهم القتل والهلاك وذلة في الحيوة الدنيا
الجزية والاسر والقهر ويحتمل قوله وذلة في الحيوة الدنيا ذكر الذلة بعينهم وثنا السر على كان والصنيع [illegible] في
الدنيا وثنا الحسن بقوله سينالهم غضب من ربهم هذا يحتمل وجهين احدهما اي قد نالهم غضب من ربهم وما ذكر وانما في ان
يكون هذا امر كون في كتبهم ان من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم فان كان هذا جزاءهم في كتبهم فينالهم على
الوعد صحيح والاخر الجزاء قد نالهم وكذلك نجزي المفترين اي كذلك يجزي كل مفتر على الله وقوله والذين عملوا السيات
ثم تابوا من بعدها وامنوا قال اهل التاويل قوله والذين عملوا السيات يعني الذين عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها وامنوا ل
ان ربك من بعدها لغفور رحيم ودلالة كل من عمل السيات اي سيئة كانت اذا تاب عنها وندم عليها وطلب من الله المغفرة غفر له
وقوله ولما سكت عن موسى الغضب الغضب الذي غضب بسبب قومه لعبادتهم العجل ولا يحتمل ما قاله ابو بكر الاصم ان
الغضب عقوبة وشتم لان الغضب معروف لا يجوز ان يتاول ما قال هو وقوله اخذ الالواح يعني الالواح التي وضعها
على الارض وقوله وفي نسختها هدى ورحمة قال بعضهم يعني في نسخ الالواح لما كانت نسخت من اللوح المحفوظ وقال
بعضهم قوله وفي نسختها اي الكتب التي انتسخها بنو اسرائيل من تلك الالواح وقوله هدى ورحمة اي هدى من كل
ضلالة وبيان من كل عمى وشبهة ورحمة من كل سخطة وغضب للذين هم لربهم يرهبون اي الذين يخشون ربهم فيعملون به
وقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال بعضهم قوله لميقاتنا اي لتمام الموعد التي وعده الله
الذي وعده لكن لا ندري ما ذلك الميقات الذي ذكر وقوله واختار موسى قومه قال بعضهم السبعين الذين اختارهم
موسى لم يكونوا مع هرون حين عبد العجل في اثنيتهم فلم ينكروا ولم يغيروا عليهم فاخذتهم الرجفة وقال الحسن انهم جميعا قد
عبدوا العجل الا هرون فالرجفة التي اخذتهم انما اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل ولكنا لا ندري من اولئك السبعين الذين
اختارهم موسى ولا يمكن ان يكون موسى اختار السبعين ليخرجوا معه فيكونوا شهدا له على انزال التورية عليه وكلام ربه
وقيل هم الذين ذكرهم في اصل الجبل فلما جاءهم موسى بالتورية قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وهلكوا لقولهم ذلك وقد ذكرنا انا لا ندري من كانوا وقيل اختارهم موسى ليتوبوا الى الله مما عمل قومهم وقوله
فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال بعض اهل التاويل لو شئت امتهم واياي بقتل
القبطي وقال لو شئت اهلكتهم على نقض الاملاك واياي على القدرة اي تقدر على املاكي ولكن لا تهلكنا

لم يكن ما يستحق ذلك ويشبه ان يكون قوله لو شئت اهلكتهم املاك نفسه واياي وقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يخرج على
وجهين احدهما تقول والله اعلم لكان تهلكنا ابتدا الهلاك والسفهاء بما فعلوا والثاني تقول لو شئت اهلكتهم واياي من قبل
ولم تهلك قومنا الا موسى في قومه واخبرهم انما اهلكوا بسبب كذا لم يصدقه قومه بذلك وكذبوه واتهموه ويقولون انك قتلتهم
على ما ذكر في بعض القصة انه خرج بهرون الى بعض الجبال فمات هرون هنالك فاتهمه قومه بذلك وكذبوه وقالوا انت قتلته فعلى
ذلك جايز ان يكون ههنا خاف ان يتهمه قومه ويكذبوه ولا يصدقوه بما حل بهم والله اعلم وقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يحتمل
هذا وجوها يحتمل ان يراد به التقرير ويحتمل الانكار والرد ويحتمل الايجاب اما الانكار فيكون معناه اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي
لا تفعل ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا ومثل هذا قد يقال يقول الرجل لاخر افتفعل انت كذا الانكار اي لا تفعل فعلى ذلك هذا والله اعلم
ويراد به الايجاب كانه قال ذلك انك تهلكنا بما فعل السفهاء منا وبما هي الا فتنتك ان يكون ذلك امتحانا وابتلا تبتدي اي تمتحن امتحانا
وابتلا لا تعذيبا ويحتمل ان يكون على الاستفهام لكن لم يخرج له الجواب كقوله افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت ومثله ومن اظلم ممن افترى
ونحو ما لم يخرج له جواب فعلى ذلك هذا ويجوز ان يكون اهلاكه اياهم محنة ... كان من بعضهم وان كان بعضهم برا من ذلك
على ما كان من اهل المركز من العصيان وكان القتل والهزيمة بهم محنة منه اياهم كقوله اذ تحسونهم باذنه الاية فعلى ذلك هذا
وقوله ان هي الا فتنتك تضل بها من تشا وتهدي من تشا قال ابو بكر تضل بها اي تنهاهم عنها ما لو فعله ذلك النهي لكن الفعل
فعل الضلال وتهدي من تشا اي تامر امرا ما لو فعله ذلك لاهتدى لكن الفعل فعل الاهتدا لكن حرف من انما يعبر عن الاشخاص
دون الافعال فلو كان على ما ذكر لقال تضل بها ما تشا فلم يقل دل انه ليس على ما ذكر وتاويله عندنا انه يخلق فعل الضلال
ممن يعلم انه يختاره ذلك ويخلق فعل الهدى ممن يعلم انه يختاره ذلك وهو خالق كل شي واصل ذلك ان جميع ما يضاف الى الله من
طريق الافعال على اختلاف الاضافة باختلاف وجوهها حقيقة ذلك من الله خلق ما اضيف اليه من الوصف الذي يحق
وصفه انه خالقه فعلى ذلك قوله تهدي وتضل ويحتمل توفق وتخذل وقوله انت ولينا اي انت اولى بنا وبحيلاتنا
التي سدايتنا او انت ولي نعمتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين وانت خير الراحمين لان كل احد دونه انما يرحم
ويغفر برحمته وقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يحتمل الكتابة الايجاب اي اوجب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الاخرة او الاثبات اي اثبت لنا واعطنا في هذه الدنيا حسنة ويكون كقوله اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقال بعضهم قوله واكتب لنا اي وفق لنا العمل الذي نستوجب به الحسنة في الدنيا والاخرة ويحتمل اكتب لنا في الدنيا
الحسنات ولا تكتب علينا السيات والله اعلم وقوله في هذه الدنيا حسنة تختم بها الدنيا وتنقضي بها والا [illegible] الاولة في هذه
الدنيا حسنة اتيتنا اياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة انما سالوا حسنة ان يختموا اعمالها
ويكون كقوله من جا بالحسنة فله كذا والله اعلم بذلك وقوله انا هدنا اليك قال بعض اهل التاويل قوله هدنا اليك اي
ملنا اليك وقال غيرهم انا هدنا اليك اي تبنا اليك وقيل ولذلك سميت اليهود لقولهم هدنا اي تبنا الى من كان
لو كان كما ذكر كان قوله ما كان ابرهيم يهوديا اي تايبا وذلك بعيد ولكن ان كان لذلك سموا هودا والله اعلم بما كان
ابراهيم يهوديا اي لم يكن ابرهيم على المذهب الذي اليهود عليه وكذلك لم يكن على المذهب الذي ادعت النصارى انه
كان عليه ولكن كان حنيفا مسلما وقوله قال عذابي اصيب به من اشا ورحمتي وسعت كل شي قال الحسن شا ان
يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله وشا من اطاع الله وصدق رسله ان يصيب رحمته ودل قوله عذابي اصيب به
من اشا انه لما شا ان يصيبهم عذابه شا العمل والفعل الذي كان به يصيبهم لان حرف من انما يعبر به عن بني ادم ولو
جاز ان يشا العمل لا ان يصيبهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذا علم منهم انهم لا يومنون ويختارون فعل الضلال على
فعل الهدى شا لهم ما اختاروا وقوله ورحمتي وسعت كل شي ما من احد من مسلم وكافر الا وعليه من اثار رحمته في
هذه الدنيا بها يتعيشون ويتواصلون ويتوادون وبها يتقلبون لكنها للمومنين خاصة في الاخرة لا حظ للكافر فيها وذلك
قوله فساكتبها للذين يتقون معصية الله والكلام للذين يوتون الزكوة وكقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركة

٦٨٤

في الدنيا وللكافر خالصة للذين آمنوا يوم القيامة لا حظ للكافرين فيها وكذلك رحمته نالت كل احد في هذه الدنيا لكنها للذين آمنوا
واتقوا الشرك خاصة في الآخرة ويحتمل قوله والله اعلم واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انهم انما سألوا الرحمة فقال
سأكتبها للذين يتقون معاصي الله ومخالفته والله اعلم وقوله ويؤتون الزكوة يحتمل يؤتون الزكوة المعروفة ويحتمل تزكية
النفس كقوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ومعلوم انه لم يرد به زكوة المال ولكن زكوة النفس بالتوحيد والتقوى
وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا هو ليس الزكوة الا الزكوة المعروفة زكوة المال في
ذلك لا والله اعلم وان كان على الزكوة المعروفة فذلك في قوم ثقل عليهم واشتد اخراج الزكوة من اموالهم كقوله الذين
لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون وقوله والذين هم باياتنا يؤمنون قد ذكرنا في غير موضع ان من آمن باية من آيات الله صدقها
فقد آمن بالله وبرسله ومن كذب باية فقد كذب بالله وخالف رسله لان طريق معرفة الله وقدسه انما هو من طريق الآيات والحجج ليس
من طريق المشاهدات والحواس اذ لذلك كان الايمان بالآيات ايمانا بالله وبرسله والتكذيب بها كفرا بالله وبرسله وقوله
الذين يتبعون الرسول النبي اي يتبعون اثر الرسول في كل سيرته وفي كل امره ونهيه ويطيعونه سماه رسولا ونبيا فقوله
الرسول النبي والرسول كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمأمور به في كل حال والنبي كالمنبي لهم اشياء عند السؤال والاخبار
والرسول هو المأمور بالتبليغ سألوه او لم يسألوا شاءوا او ابوا وكان محمد كلاهما الانباء والتبليغ كقوله بلغ ما انزل اليك
من ربك وقوله ان عليك الا البلاغ وقوله الامي الذي يجدونه مكتوبا الامي ما ذكر في اية اخرى وهو قوله وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية اي يجدونه مكتوبا في التورية انه رسول
نبي وانه امي قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب لئلا يقولوا انك اخذت هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمها
ولا تخطه بيمينك لئلا يقولوا انه من تأليفك ويعلموا انه من عند الله جاء به لا من ذات نفسه وفي قوله يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى آخر ما ذكر دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان
اولئك لو اتوا بالتورية والانجيل فيقولون له نجد ما تذكر في التورية والانجيل دل ذلك منهم على انهم وجدوه كذلك
والله اعلم وقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية انه يأمر بما امر الله به
وينهى عما نهى الله عنه ويحل لهم الطيبات ما احل الله لهم ويحرم عليهم الخبائث ما حرم الله عليهم يجدونه في التورية انه لا
يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء ولا يحل شيئا ولا يحرم الا بامر من الله لكنهم يكتمونه انكارا وعنادا ومكابرة كقوله يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم ويحتمل قوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اي يأمرهم بما هو معروف في العقل وينهاهم
اكلفة هو التوحيد وكذلك ينهاهم عما هو في العقل منكر وهو الكفر وجميع المعاصي ويحل لهم الطيبات اي يحل ما
هو طيب في العقل والطبع ويحرم ما هو خبيث في العقل والطبع جميعا لان من الاشياء ما هو مستخبث في الطبع لم يجعل
غذاء البشر فيه وانما جعل غذاءهم فيما هو مستطاب في الطبع بلغ غايته في الطيب ولذلك جعل غذاء البهائم والانعام
هذا محتمل والله اعلم والثالث يحتمل ان المعروف والطيبات لو تركت العقول والطباع على ما هي
عليه لكانت لا حاجة الى رسول يخبر ان هذا معروف وان هذا طيب او خبيث او منكر ولكن تعرف العقول والطبع
ذلك لكن لا يمنعها من العقول من الشبه فتمنعها عن معرفة ذلك فاحتاجت الى رسول يخبرها من ذلك وقوله ويضع عنهم
اصرهم قيل ما غلظوا على انفسهم من الشدائد وقيل اصرهم شيء من العبادة والعمل وقيل اصرهم عهدهم وقيل اصرهم
اي الثقل الذي كان بنو اسرائيل يلزمون وقال القتبي ويضع عنهم اصرهم اي ذنبهم الذي كانوا يذنبون اي
عقوبة الذنب الذي اذنبوا في الدنيا وقوله والاغلال التي كانت عليهم قال الحسن ان اليهود قالوا يد الله مغلولة
اي محبوسة عن عقوبتنا فقال عز وجل غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اي غلت ايديهم الى اعناقهم في النار جزاء لهم
محمد صلى الله عليه وسلم لما آمنوا به وصدقوه رفع تلك الاغلال التي عليهم عن اعناقهم بطاعتهم رسول الله وقيل الاغلال
التي كانت عليهم الشدائد التي كانت عليهم من نحو ما يحرم عليهم العفو عن الدم والعمد ولا اخذ الدية ولا يجوز غسل
النجاسات الا القطع وغير ذلك من الاشياء التي لم تحل لهم فاحلت لهذه الامة ويحتمل ان يكون الآصار والاغلال التي

كانت

٦٨٥

كانت عليهم من نحو ما حرمت من اشياء بظلم كان منهم وتحريم كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم حرمت تلك الاشياء عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذي كان
منهم اجزاء ووضع عن هؤلاء ذلك لم يحرم ذلك عليهم وفي هذه الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه امي
والامي ما ذكر في قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك كان لا يتلو ولا يخط بيمينه ثم اخبر عما كان في
كتبهم من غير حرف ما في كتبهم او نظر فيها وعرف لسانهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله فالذين آمنوا به اي
صدقوا محمدا وعزروه قيل اعانوه باموالهم ونصروه بايديهم بالسيف وقال الحسن توقروه وعزروه ونصروه انما هو كلام شتى
وهو اعانة وقيل عزروه اطاعوه ونصروه اعانوه وقيل عزروه اي عظموه وقوله واتبعوا النور الذي انزل معه يعني
القرآن سماه نورا لما يبين الاشياء عن حقائقها بالعقول لان النور في الشاهد هو الذي يكشف عن الاشياء سواترها فعلى
ذلك القرآن هو نور لما يرفع الشبه عن القلوب ويكشف عن سواترها وقال بعضهم سمي نورا لما يبين الاشياء ويعرف به ما
غاب وما شهد فيصير الغائب به كالشاهد وقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فيه دلالة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة وكذلك روي انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاحمر والاسود وسائر الانبياء بعثوا
الى اقوام خاصة والى البلدان والقرى المعروفة المعدودة وفيه انه لما خاطبه ان يقول للناس اني رسول الله اليكم انه
لا سبيل له الى ان يخاطب الناس والخلق جميعا فيقول اني رسول الله اليكم جميعا ولكن انما يكون ببعث الرسل اليهم فيبلغ قول
الرسول انه رسول الله اليكم منزلة قوله نفسه اني رسول الله اليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل اليهم كانه هو بلغ ذلك وقال
لم اني رسول الله اليكم اذا ان اسرى وقيل سمع الخلق حتى بلغ بعضهم بعضا رسالته حتى فاخرج وانتشر ذكره في جميع آفاق
الارض شرقا وغربا وذلك من عظيم آيات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من فقال رسول الذي له ملك السموات والارض
لا اله الا هو يحيي ويميت وذكر تخصيص السموات والارض وان كان له ملك الكل لما انهما به في ملك البشر عند البشر او ذكر
هذا لما علموا ان من في السموات والارض له عبيد واماء او ذكر هذا لعلموا ان المدبر فيهما جميعا لواحد حيث اتصل
منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما وقوله لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب سمت كل معبود الها وهم كانوا يعبدون
الاصنام دونه ويسمونها آلهة فنفى الالوهية عمن يعبدونهم دونه واثبتها لواحد انه هو المستحق لاسم الالوهية والعبادة
لا غيره لانه يحيي ويميت ومن يعبدون دونه لا يملكون لا احياء ولا اماتة وذكر والله اعلم الحيوة والموت لانه ليس الذ
واشهى في ان صدر من الحيوة ولا امر ولا اشد من الموت ليرغبوا في الذي رغبهم ويحذروا من الامر الاكره مما رغب عنهم
والله اعلم او ذكر انه هو يحيي ويميت ليدلهم انه فعل واحد لا عدد وقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله
كان صلى الله عليه وسلم هو السابق الى كل خير فعلى ذلك دعى الخلق اليه كقوله وانا اول المؤمنين وانا اول المسلمين فعلى ذلك كان
امر الايمان به بعد ما آمن هو وجائز ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اي آمن رسول الله بالله وكلماته التي كانت في الكتب
المتقدمة فاخبروه على ما في كتبهم ليعرفوا انه انما عرفه بالله تعالى وقوله وكلماته اختلف فيه قال عامة اهل التأويل كلماته
القرآن وذكر في بعض القراءات وكلمته بلا الف فصرفه الى عيسى كانه قال آمنوا بالله وبمحمد وبعيسى ويحتمل ان يكون
قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر والنهي والحكم والاحكام التي امرها وشرعها لنا على ما ذكر في ابرهيم
اذ ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم وقوله واتبعوه لعلكم تهتدون قد ذكرنا الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا وقوله
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق قيل امة يدعون الى سبيل الحق وبه يعدلون اي به يعملون وهو كقوله ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة فعلى ذلك يحتمل الاول على الاضمار الدعاء الى سبيل الحق وقال الحسن يهدون بالحق اي يدلون بالحق وبه
يعدلون فيما بينهم اي الاول اقرب والله اعلم ثم قوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق جائز ان يكون الامة التي ذكر
من قوم موسى كانت في زمنهم يدعون الناس الى الايمان برسول الله او ان يكون لا هي قوم في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقيهم من قوم موسى مؤمنين به يدعون الناس اليه وبه يعدلون وقوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما قال
ابن عباس ما ذكره وقطعناهم في الارض امما اي جماعة وقيل وقطعناهم اي جعلناهم اثني عشر فرقا وكان غرضهم

قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما اي جاوزنا بهم البحر وجعلناهم اثنتي عشرة اسباطا قال ابو عوسجة الاسباط الافخاذ والسبط واحد وقال القتبي الاسباط القبائل واحدها سبط وقيل الاسباط لهم كالقبائل للعرب وقيل الفخذ دون القبيلة وقيل ان اولاد اسحاق تسمى اسباطا واولاد اسمعيل قبايل والفخاذ ولذلك يقال للعرب قبيلة كذا وفخذ كذا ولسنا ندري كيف هو وقيل سبط الرجل ولد ولده على ما روي ان الحسن والحسين سبطا رسول الله وقوله واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يدل قوله اذ استسقاه قومه انهم كانوا في المفاوز لا في البلدان والقرى لانهم لو كانوا في القرى والعمران لاتخذوا من انهار تجري في اوعيون الارض ابتغى له وظللنا عليهم الغمام دل انهم كانوا في المفاوز لانه هناك تقع الحاجة الى الغمام واما في القرى فلا وقوله فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال بعضهم انفجرت على ما ذكر في سورة اخرى وقيل ان معنى الكلمتين لا يعرف الا بالعرب وقوله قد علم كل اناس مشربهم قال بعضهم تعبدهم جل وعز ليعرفه كل منهم مشربه وقال بعضهم لا ولكن ابيلاء يزدحموا في ذلك ليقع في ذلك بينهم التقاتل والاقتتال لانه الاف فهو اشارة او ضلال وقوله وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى فيه ان جميع معونتهم من السما بلا مؤنة ولا تعب على انفسهم وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوى وغيره وما ظلمونا احد لا يقصد بظلمه الله ولكن اذا تعدى واحد حدود الله التي جعل لهم وجاوزها فقد ظلموا انفسهم لما رجع ضرر ذلك التعدي اليهم وهي النعم التي ذكرها لهم جل وعلا انما جعلها لهم في حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوى والعيون والغمام ويدل هذا على ان عقوبات الدنيا قد يشوبها لين ونعمة وكذلك لذات الدنيا قد يمازجها شدائد وهموم فانما تخلص العقوبة والنعم في الاخرة وكذلك العقوبة هنا لا تخلص ولا تفارق اللذات وقوله واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية قال بعض اهل التاويل قوله اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ويمكن ان تكون القرية التي ذكر ههنا هي الارض التي ذكرت في سورة المائدة وهو قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم امرهم بالدخول فيها ونهاهم عن الارتداد على ادبارهم فامرهم بالسكون فيها واباح لهم التناول منها ما شاءوا وقوله وقولوا حطة اي ارجعوا الى السبب الذي يحط الاوزار عنكم قولوا حط عنا كذا وهو قال هود صلى الله عليه استغفروا ربكم اي ائتوا بالسبب الذي به يغفر وهو التوحيد وادخلوا الباب سجدا الاية قد مضى ذكر هذا في السورة التي فيها ذكر البقرة وقوله فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السما بما كانوا يظلمون هذا ايضا ذكرنا فيما مضى سوى انه ذكر ههنا فارسلنا عليهم رجزا وذكر في سورة البقرة فانزلنا والقصة واحدة ليعلم ان اختلاف الالفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والاحكام ولا تغييرها وذكر ههنا بما كانوا يظلمون وذكر هنالك بما كانوا يفسقون والفسق هو الخروج من الامر والظلم هو وضع الشي في غير موضعه وقد كان منهم الامران جميعا الخروج عن امر الله ووضع الشي في غير موضعه الكرم لله عز وجل بهم الله به كرامات من الطاعات لرسولها والخضوع له والتعظيم له حتى لم يخطر ببال احد الخلاف له بعد اتباعه وامن به وما اكرمهم ايضا من الفهم والحكمة والفقه حتى ذكر كانهم من الفقه انبياء وفيهم موسى وغيره من الانبياء لم يكونوا اسلم ذلك لا ترى ان قوم موسى قد قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وقوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال بعض اهل التاويل القرية التي كانت حاضرة البحر ايلة وقال اخرون ايلة ولسنا ندري ما تلك القرية وليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة اذ لا منفعة لنا في معرفتها ولو كانت لنا بها حاجة لبين لنا عز وجل وقوله واسألهم عن القرية التي كانت كذا امره بالسوال ثم كان هو المبين لهم بقوله اذ يعدون في السبت والسوال هو الاستخبار والاخبار انما يلزم المسول دون المستخبر لكن الاستخبار يكون من وجهين احدهما ابتدا اخبار والثاني طلب التصديق فههنا لم يحتمل ابتدا الخبر وهو على طلب التصديق كانه قال الم يكن كذا فيقولون نعم فيصدقونه بما يقول لهم وقال لا يكون لهم امر بالسوال حقيقة ولكن على التمثيل كانه قال لو سألتهم يقولون لك كذا كقوله سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ليس على الامر ان يسالهم ولكن لو سالتهم لكان كذا او ما يوكيدنا فيه ذلك هذا وقوله اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم عن ابن عباس انه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان وقال الحسن حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تاتيهم يوم السبت شرعا بلاء من الله ولا تاتيهم فيما احلت لهم ابتلوا به ولا تاتيهم في غيره شي وقال ابو عوسجة قوله شرعا هي التي قد دنت من الشط والواحد شارع وقوله

لا يسبتون اي لا يدخلون في السبت كما يقال لا يربعون ولا يخمسون اي لا يدخلون فيه ويسبتون اي يدخلون فيه وكذلك يربعون ويخمسون وقال القتبي شرعا اي شوارع او ظاهرة ويعدون اي يتعدون الحق يقال يعدو على فلان اذا ظلمه وقال الكسائي يقرا يسبتون بالرفع ويقرا بالنصب فمن قراها يسبتون بالنصب اراد يسبتوا اي عظموا يقال سبت يسبت سبتا وسبوتا اذا عظم ومن قراها برفع اليا اراد انهم دخلوا في السبت وقال قائلون قوله شرعا اي كثيرة اي اكثرهم الحيتان يوم السبت وهو اليوم الذي حرم فيه عليهم الحيتان وقيل يجوز ذلك وقال بعضهم ابتلاهم الله بتحريم السمك في السبت ليري الخلق المطيع منهم من العاصي وقال قائلون ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في السر ليكون فسقهم وتعديهم ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله ليتولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعد والله اعلم وذلك قوله كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقال قائلون في قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر انما امر ان يسألهم لما عذبهم الله بذنوبهم ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون في السبت اي يعتدون في السبت وقوله شرعا اي شارعة من غير طاعة اي ظاهرات وقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ذكر في القرآن انهم كانوا ثلث فرق فريق عدوا وتركوا امر الله وارتكبوا ما نهوا عنه وفريق نهوا اولئك الذين اعتدوا وانتهكوا حرم الله تعالى وفريق لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الاية وكذلك ذكر عن ابن عباس قال انهم كانوا ثلث فرق فرقة وعظت وفرقة موعوظة وفرقة ثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وسوا ذكرنا انه ذكرهم في الابتدا ثلث فرق وذكر في الاخر فرقتين فرقة هي التي هلكت بالاعتدا وفرقة هي التي نهت ونجت ثم اختلف اهل التاويل في الفرقة الثالثة قال بعضهم كانوا في الفرقة التي هلكت لوجهين احدهما انهم لم ينهوا اولئك الذين اعتدوا وكان فرض النهي عن المنكر والامر بالمعروف فاذا لم ينهوا اولئك هلكوا وتركوا في العذاب كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار وتوعدهم الله في الاية والثاني كانوا معهم لما نهوا الناهين بقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم وقال قائلون كانوا في الناجين قال الحسن لانهم كانوا نهوا اولئك عن الاعتدا والظلم الذي كان منهم وكان قولهم لم تعظون قوما بعدما نهوهم ووعظوهم فلم تعظون ان قالوا لا اولئك لم تعظون قوما بعدما نهوا ووعظوا فقالوا كيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون فانما قالوا ذلك بعدما نهوا وقال قائلون هذا القول منهم نهي لانهم انتهوا بعد شدة نهيهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فنفس هذا القول منهم نهي وزجر عما ارتكبوا حيث اتوا بالنهاية في الوعيد في الهلاك والعذاب الشديد ولكن لسنا نعلم انهم كانوا في الهالكين او في الناجين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة ولو كان لنا حاجة اليه لكان يبين لنا عز وجل ولم يترك ذكره راسا سوى انه بين من نجى منهم بالنهي عن الظلم والعدوان وبين من اهلك وعذب بالظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون وقوله قالوا معذرة الى ربكم قري بالرفع والنصب ايضا معذرة فمن قراها بالرفع اضمر فيه هي كانهم قالوا هي هذه معذرة الى ربكم كقوله سورة انزلناها قيل هذه سورة انزلناها ومن قراها بالنصب قال معذرة اي اعتذارا منهم اليه بهم لعلهم يتقون ما نهوا وقوله فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ولم يعملوا بما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال القتبي شديد وكذلك قال ابو عوسجة وقال بعضهم اي موجع وهو واحد وقال الحسن واخذنا الذين ظلموا بعذاب على الوقف ثم قال بئيس بما كانوا يفسقون وقوله فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابو عوسجة قوله عتوا اي استكبروا ويقال عتا يعتو عتوا وكان العتو هو الذي به في اليبس فلذلك قيل في قوله عتيا يابس لكن سمي من قال ذلك من استكبر اذ قوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال بعضهم حولت صورهم وجوههم صورة القردة وكانت عقولهم على حالها ليعلموا العذاب انه ابتلاهم وما اصابهم بذنبهم حرم الله وقال قائلون حولت طباعهم طباع القردة واما الصورة والجسد على حاله وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله خاسئين قال بعضهم مهين خاسيا الكلب صار خاسيا بعدا يقال خساته وقال ابو عوسجة خاسئين بعدين وكذلك قال في قوله اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها واخسوا فيها يقال اخسات فلانا وخسا اي باعدته فخسا اي تباعد وقيل للخاسي الذليل وفي قوله واذ قالت امة منهم الى اخر ما ذكر من القصة وجهان احدهما دليل اثبات الرسالة والنبوة لانه اخبر على ما كان من غير نظر له في كتبهم ولا اختلاف الى احد ممن له علم في ذلك دل انه انما عرف بالله تعالى والثاني ما في من عواقب الظلم والفسق وما حل بهم بظلمهم وانتهاكهم حرم الله ليكون ذلك فيه زجرا لنا عن ارتكاب

مثله وقوله واذ تاذن ربك قيل تاذن اي قال ربك ليبعثن وقيل امر ربك وقال ابو عوسجة واذ تاذن هو من الاذان اي
اعلم ربك وقوله واذ تاذن ربك الاية قال لنزلت هذه الاية فيكم يعني في شان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الكفرة كانوا
يمنعون من اراد الاسلام واتباع محمد فوعدهم الله ليبعثن عليهم من يقاتلهم ويا خذ منهم الجزية الى يوم القيمة جزاء ما كانوا يمنعون
الناس من اتباعه والاجابة له فيما يدعوا اليه وقال قايلون هو في بني اسرايل وهو ما قال وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين الى قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا اخبر انهم ان عادوا عدنا وا لم يبين ان عادوا عدنا باذا ثم بين
في هذه الاية بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وقال قايلون هذا انما كان في هولاء الذين سبق ذكرهم
في قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس قال ابو بكر الاصم الاية لا تحتمل في هولاء لان من امن منهم لا
يحل ذلك ومن صار منهم قردة لم يبق الى ايضا بعد ما صار واقردة والموعود الله اعلم على الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله ان ربك
لسريع العقاب باخذهم في حال انهم ليس كما يا خذ ملوك الارض خصومهم بعد ما يتقدم اليهم منهم خوف فعند ذلك يا خذهم الغدا
او ان يقال سريع العقاب اي عن سريع يا خذهم معاقبه وقوله لسريع العقاب لمن كفر وكذب فغفور رحيم لمن امن وصدق الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوله وقطعناهم في الارض امما يحتمل متفرقا لهم في وقت بعدما كانوا مجموعين ثم يحتمل الجمع وحين كانوا
مجموعين ثم تفرقوا فصار بعضهم كفارا وبعضهم مومنين او كانوا مجموعين في المكان والمعاش والماوى والمحلة ثم تفرقوا فصاروا
متفرقين في المكان والمعاش ونحوه او كانوا في الدين واحدا صاروا اصحاب اهوا ويحتمل قوله وقطعناهم في الارض امما اي
ام بعد ام وجماعة بعد جماعة بعضهم خلفا البعض على ما ذكر فخلف من بعدهم خلف وقوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان
كان قوله وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فيكون تاويله منهم الصالحون المومنون ومنهم دون ذلك الكفار ويكون
قوله دون ذلك الى غيره كقوله يعبد من دون الله اي غير الله وان كان في المعاش بعضهم دون بعض في المعاش وسع على
بعض المعاش وشدد على بعض وضيق فيكون بعضهم دون بعض في المعاش والرزق او بعضهم دون بعض في الدين بعضهم
على الصلاح وبعضهم اصحاب اهوا والله اعلم وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيات ابتلى بعضهم بالخصب والسعة وبعضهم
بالشدة والضيق ليذكرهم الموعود من الثواب والموعود من العقاب ليرغبهم الموعود في الثواب من الحسنات ويزجرهم
الموعود من العقاب عن السيات لعلهم يرجعون يتوبون ويرجعون عن ذلك وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم
يرجعون فهو يخرج على وجوه احدها بلوناهم بالنعم والخصب والسعة ليعرفوا فضل الله واحسانه فيرجعوا اليه بالشكر والثنا
والسيات اي بالبلايا في الانفس والمصايب والضيق ليعرفوا قدرة الله وسلطانه فيرجعوا اليه بالتضرع والفزع والدعا
والتوبة والثانية معناه اي بلوناهم بالحسنات والسيات ليتقرر عندهم ان بغيرهم املكهم من انفسهم فيرجعوا اليه بتسليم النفس
لامره وحكمه والثالث بلوناهم الحسنات والسيات المومن منهم والكافر حتى اذا راوا الاستوا في الدين وفي الحكمة التفريق
بينهم فيضطر الحكم الى الايمان بالبعث اذ خروجهم من الدنيا على سوا والرابع انه انما جعل النعيم في الدنيا ليعرفوا اللذة
الموعودة في الاخرة وكذلك الشدة فابتلاهم بالامرين جميعا ليستعد والرجوع الى الموعود لهم في الاخرة والله اعلم
وقوله فخلف من بعدهم خلف قال قايلون هو صلة قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والصالحون هم الذين امنوا بالله
وصدقوا رسله وحفظوا حدوده ومحارمه فخلف من بعدهم يعني الصالحين خلف ولم يحفظوا حدوده ومحارمه وقال قايلون هو صلة
ما تقدم من ذكر الانبيا والرسل كانه اخبر انه خلف من بعدهم خلف يعني خلف الرسل والانبيا ورثوا الكتاب وهو كما
ذكر في سورة مريم وهو قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وانما ذكر هذا من بعد ذكر الانبيا
والرسل والله اعلم وقوله ورثوا الكتاب وعلموا ما فيه يا خذون عرض هذا الادنى ان اهل الكتاب كانوا يا خذون
الدنيا على اوجه منهم من كان يا خذها استحلالا كقوله اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وكقوله ان كثيرا من
الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ومنهم من كان يا خذها بالتبديل اعني
تبديل الكتاب كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الاية وقوله
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ومنهم من كان ثنا ولعل على تاول
اهل الاسلام على قدر الحاجة وهذا لا يحتمل الاخذ الا اخذا لا استحلال او التبديل والاخذ بالاستحلال بهذا اقرب كانوا

ياخذون

ياخذون عرض هذا الادنى مستحلين له ويقولون سيغفر لنا يحتمل هذا وجوها يحتمل ما قالوا نحن ابنا الله واحباوه فيغفر لنا كانوا
يستحلون اموال الناس ويا خذونها ثم يقولون سيغفر لنا لانا ابنا الله واحباوه والثاني يحتمل انهم قالوا سيغفر لنا مع علمهم
لا يغفر لهم لما كان في كتابهم ان لا يغفر لهم اذا فعلوا او استحلوا وانهم اذا لم يتوبوا على ما فعلوا قالوا سيغفر لنا وقوله الم يوخذ
عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه يحتمل قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب انهم اذا استحلوا ذلك اضافوا
ذلك الى الله فقالوا والله امرنا بذلك فقال الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اي لا يضيفون الى الله ما
استحلوا او ان يقال اخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابنا الله واحباوه وقال بعضهم قوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق فيما يوجبون على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون عنها قال بعضهم قوله يا خذون
عرض هذا الادنى قال يا خذونه ان كان حلالا او حراما وان ياتهم عرض مثله يا خذوه وقال قوله فخلف من بعدهم خلف هو ورثوا
الكتاب بعد انبيايهم ورثهم الله الكتاب وعهد اليهم في سورة مريم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
يا خذون عرض هذا الادنى وهو ما ذكرنا وقال القتبي الخلف الردي من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من القول
وقوله ودرسوا ما فيه اي قروا ما فيه وعلموه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون اي يتقون الشرك ويتقون
مخالفة الله ومعاصيه افلا يعقلون ما في كتابهم ان ترك مخالفة الله خير في الاخرة ثم اخبر عن المومنين فقال والذين يمسكون
بالكتاب ما فيه من الحلال والحرام واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المحسنين وقوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة قيل
رفعنا الجبل كقوله ورفعنا فوقهم الطور وقيل نتق قطع وقطع وقال بعضهم حرف اخذ من كتبهم فلا ندري كيف وقيل
حرك وهو قول القتبي وقال ابو عبيد كل شي قلعته من موضعه فرميت به ذكر هذا والله اعلم ليصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفه قومه لان
قوم موسى مع كثرة ما عاينوا من الايات التي جرت على يدي موسى وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من استنقاذه اياهم
من استرقاق فرعون واخراجه من بينه وفرق البحر ومجاوزته بهم وتفجيره لهم من الحجر وانزال المن والسلوى لهم لجميع
ما كان لهم من موسى ما ذكرنا لم يقبلوا التورية ولم يقروا به الا بعد رفع الجبل عليهم الارسال فعند ذلك قبلوا ليصبر
رسولنا ليلا يحرج على مخالفة قومه اياه وكثرة سفههم ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع الجبل فوقهم احدهما انهم لما عاينوا ذلك
استوا وقبلوا الكتاب لكن ذلك منهم ايمان دفع اذ ذلك فهو لا يكون في حالة القهر ايمان والثاني صير ذلك اية عظيمة وحجة
واضحة فيخرج نقلوها وحققوا الايمان به ثم تركوا ذلك بعد ذلك ما ذكر في سورة الاولى حيث قال ثم توليتم من بعد ذلك
وقيل الخلف نسبهم في بني اسرايل الخلف السوء هم اليهود ورثوا الكتاب قبل التورية من ابايهم واوايلهم يا خذون عرض هذا
الادنى قالوا رشوة ويقولون سيغفر لنا وكانوا يرتشون ويقولون سيغفر لنا لانهم زعموا انهم ابنا الله واحباوه وان ياتهم
عرض مثله قبل رشوة مثل اخذوها وقوله الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب قالوا العهد اخذ عليهم في التورية ان لا يستحلوا محرما
ولا يقولوا على الله الا الحق في التورية ودرسوا ما فيه وقوله والدار الاخرة خير للذين يتقون استحلال المحارم واكلهم
الحرام وقوله والذين يمسكون بالكتاب قيل التورية ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يستحلون محرما واقاموا الصلوة انا لا
نضيع اجر المصلحين وقوله وظنوا انه واقع بهم اي ايقنوا انهم ان لم يقبلوا اوقع بهم وقوله خذوا ما اتيناكم
بقوة قد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله خذوا ما اتيناكم بقوة يحتمل وجهين احدهما خذوا اي اقبلوا ما فيه والثاني اعملوا بما فيه
رغبة ولا يكون القوة مع الفعل وقوله واذكروا ما فيه قيل اعملوا بما فيه من الحلال والحرام لعلكم تتقون العقوبة
والمعصية تكلم الناس في تاويل وقوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم الاية فمن يقول ذلك عند ما خلق
ادم اخرج من يكون من ذريته مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم قالوا بلى لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول جعلوا بالمبلغ
الذي يجري عليه القلم وهو قول الحسن ومنهم من يقول عرض ذلك على الارواح دون ذلك ومنهم من يقول بلا عرض
انه خلق صنفين فقال هولا للجنة ولا ابالي وهولا للنار ولا ابالي ومنهم من يقول عرض الكل على ما عليه احوالهم واحوالهم
في الدنيا فالله اعلم كيف كانت القصة او كيف يري احوال الفرق الغناية الذرار وكيف قال هولا كذا ولا ابالي هم
اصحابهم على التولي لمالم يقف عليهم في قوله الست بربكم وذرا اياه في تلك الاخبار ما كان الحفظة والخاصة حفظ العوام

واهل الضعف من تبليغه الفهم واعظم في النفس وابعد من الشبه من رواتها وذلك الكشف فنسال الله العصمة مما به الهلاك
والتوفيق للخلاص بما به النجاة لكل سامع ونفع كل شبهة وحيرة فانه لا قوة الا به ومنهم من ذهب في تاويل الايه الي الموقوف من امر
ذرية ادم والاخذ من الاصلاب والاثبات في الارحام على ما كان ويكون الي يوم القيمة على ما قال الله سبحانه فلينظر الانسان
مم خلق الي قوله يخرج من بين الصلب والترائب وقال ان كنتم في ريب من البعث الايه وقال ولقد خلقنا الانسان من
سلالة الايه وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا الايه وغير ذلك مما احتج الله به من اول ما جري به تدبير البشر الي ان ينتهي بها مع
ما يجري من تغيير وسع الخلق ويستتر من عقولهم كيفية مجري ذلك وما عليه تنتقل من حال الي حال في ظرف بين وتحفظ بصر
مع ما فيه من عجيب التدبير وحسن التقويم الذي يكلفنا الخلق تصوير امثله بكل انواع الحيل من الاصول الظاهرة بحيث
يبصر بكل ابصر لكان يعجز عنه فكيف في الظلمات الثلاث مع ما ركب فيه من العقل والسمع والبصر وما جعل في كل ما ان فيه
ومن مماله يسلفه الاوهام فضلا عن الاحاطة بما في ذلك من الحكمة ولذلك قال الله وفي انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك هو
الهدي الي جميع الذرية واشهدهم انفسهم عليهم بتعالي من دبرهم في ذلك انهم على ايقن من ان يكون له كذا اذ يعتذر احد
فيدع فذلك هو معني اشهدهم على انفسهم اي جعلهم على انفسهم شهودا ان يعلموا ان مدبرهم معهم لا رب لهم غيره وانه ليس
كمثله شيء ومن جعل ذلك ذريه يعرف كل ما يري … بمعزل عن تدبيره لنا وجهله باحواله في حال كونه في رحم ابويه بان في
انه لا كان باباته وامهاته … ولكن برب العالمين وذلك المعني هو الذي يمنعهم من القول بالغفلة عن ذلك اذ قد علم كل منهم
لا حال كونهم في الوقت الذي له يذكر احد الذي يبين ان هذا الناس وما لحق من الارض ما دل على سياق الايه من ذلك
قوله واذ اخذ ربك من بني ادم واقاويل من ذكرت في الاخذ من ظهر ادم والثاني قوله من ظهورهم وفي قولهم من ظهر ادم
والثالث قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وفي الثاني ان لا تقولوا فكيف يحذرهم عن القول بذلك الا علم
انهم كذلك ليس احد منهم يذكر ذلك ولا ما يتقرر عنه لو نبه بكل انواع التنبيه والرابع قوله او تقولوا انما اشرك اباونا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم ما في ذلك العرض مما يمنع من هذا القول وايضا انه ذكر في ذلك القول هولا في النار ولا ابالي وفي
القران الجمع بينهم في القول ببلي وذلك عد توحيدا منهم مع ما في القران كنتم امواتا الايه وقال ربنا امتنا اثنتين
وفي اثبات ذلك اثبات الموت والحيوة اكثر من العدد الذي جاء به القران في الكل ولا قوة الا بالله ثم قد يتوجه التاويل
الثاني في قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلي على اوجه فاما ابتدا الايه فهو ذلك عند التحقيق لا ذكر
الاخذ من بني ادم من ظهورهم والماخوذ من بني ادم من ظهورهم هو النطف وهو الماء الدافق الذي يخرج
من بين الصلب والترائب واشهدهم على انفسهم اعلمهم ما هذا انشاهم ونقلهم من حال الي حال الي ان تمت النشاة وظهر
البشرية على اتم كل في ذريته خروج بديه من تدبير والديه وقيام على ما عليه مدان وقرار تدبير من لا يعجزه شي ولا
يخفى عليه امر ليقولوا ان الذي ذكر هذا عن انفسهم الذي رباهم ومكنهم على ما جري فيهم من تدبير له جل ثناوه ولئلا يقولوا
غدا انهم عن هذا غافلين اذ قد عرف ذا كل ذي عقل وعرفانه كان بالله سبحانه لا بوالديه ليحملوا شرك الاباء والامهات
لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم والله اعلم والثاني ان يكون لما اشهدهم على انفسهم على ما راوهم من احوال فرتبهم في الانتقال
في احوال على ان انفسهم كذلك كانت دخل كل من يجوبهم في تلك التدبير ليعلموا ان الله دبرهم على ذلك دبر الكل
فيزول عنهم شبه الكل الكون بغير الرب الذي ليس كمثله شي فيزول عنهم به عذر الغفلة وعلاقة الشبه فكفر الوالدين من
حيث حق التبعية اوسعة التقليد بما يعلم خروج التدبير من الجميع من جهة التدبير لما يعلم لم يكونوا من موضع الاستدلال
بما راوهم هو ودعاهم اليه لما امرهم به الاباء والامهات ثم القول ببلي يكون نطقا ويكون خلقة ويكون جواب العقل
بحق التامل لا لنطق اذ لا احد في هذا التلقين الا وهو يتعلق بالرب والخالق وعلى ذلك قوله ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله والخلقة بما كان من حاجته اليه معهم ولي مدبر على شركه كل في ذلك اخبار الله بالربوبية
ذلك معني في التفاوت عن خلقته وفطرته بما يتقلب على احوال لو تامل الخلائق لرأى … كل حال … ووصف التغير
وتعقب التغيير في كل حال لما اتيا لهم ليعلم ان في الفطرة شهادة التوحيد وهذا معني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه

صلعم انه قال كل مولود يولد على الفطرة اي على حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت بالتوحيد وذلك معني قوله بلي لا
انه قول لسان بل نطق حال كما قال الحكيم كل صامت ناطق لان صمته دليل تدبير اخر فيه ناطق بالبيان من الواحد
العزيز ولا قوة الا بالله وقد يحتمل الاشهاد وان جعلهم شهدا على انفسهم بالعبودية لله وانه ربهم والحاكم عليهم والقاطع على
بالعلم بذلك للتامل فكانه قال والله اعلم وفي الايه دلالة لاثبات خلق لله بفعل الخلق لا بهم الدفق وقد اخبر الله انه اخذ ذلك والله اعلم
فتفضيل على ذا الخرج تاويل السلف قبل العلم وعبدوا ابنه حرا ظنوا ان النبي يخرج عليه فاو لوحوا على ذلك وااريد تسويه ذاك
الايه لا بد من زيادات تلحق بها او تخرج بها والا لا يخرج من ذلك من ان يقول واذ اخذ ربك من بني ادم ان يجعل من صلب كانه
قال واذ اخذ ربك من بني ادم وقد يكون كقوله خلق عليكم من نبيكم وبيده يوخذ من ظهر ادم كما يوخذ ابن كل من ظهر اي
اصل ابن كل من ظهره وذكر ظهورهم لما كان نسل البشر وان كان لو طرح حرف الصلب من المنبه فحفظ في ذكرهم حق التوسل
وان كان حقه الاسقاط كقوله وكاين من قرية عتت الايه وغير ذلك مما يحكي عن اهل العربيه باسمها وعلى ذلك اجري ذكر الفعل
وان لم يكن لما في الفعل الحقيقة فعل فجاء ذلك بهذا فيصير في التحصيل كانه قال واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ثم يكون الماخوذ
الذي عرف عليه بحوله على احد يعقل الخطاب وهو معني قوله الست بربكم فاجاب بالذي ذكروا لهذا الذي فيه القسم الا ان كان
في هذا الوجه سر او كان في الايه ذكر اجابة احد الفريقين او كان بين الجميع اتفاق في هذا الحرف واختلاف في جانب
هذا القسم لما عداه وقد يوجد في هذا القدر ايضا اتفاق ثم قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين على امهال
بعث الرسل وانزال الكتاب بالاخبار عن ذلك ليلا يدعوا الغفلة بما قد كانت منهم عن ذلك بما قطعوا وسهوا ودنا
لهم اعا عذرهم من الغفلة اذ قد قطع عذرهم بغير ذلك من الادله والرسل والله اعلم او لا تقولوا انما اشرك اباونا من قبل
اي بعث الرسل وانزل الكتب لقطع هذا النوع من الشبه على الوجه الذي ذكرت كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الايه
وقوله ان تصيبهم مصيبة الايه وقوله وما كنا معذبين الايه ويكون في التاويل الاول فطم المنع لله ولا وفي الخروج من
تدبير الاباء والامهات لقطع الحجاج بهذين الحرفين وفي الثاني نزول الكتب وارسال الرسل مع ما لكن جعل هذا في التاويلين
جميعا والله اعلم وقوله وكذلك نفصل الايات على وجهين احدهما على البيان ان نبين ما يكشف العمي ويزيل الشبه والثاني ان نفرقها
ونضع كل واحد منها في احق مواضعه واولى ذلك لنقطع العذر ونرفع العلل وقوله ولعلهم يرجعون اذا تاملوا ما هم عليه من الباطل
والله اعلم وقوله افتهلكنا بما فعل المبطلون يخرج على وجهين احدهما ان يكون ذلك الاهلاك ليس هو التعذيب لكنه الاماتة
كقوله ان امرؤ هلك اي لكن لا تميتنا بفعل السفها بما فعل والا لانتقم منهم بما يرجي من التوبة او يجي منهم من لم يسفه والاضافة
الي الكل بوجهين احدهما على ارادة من سفه منهم والثاني على الكل فلا وتستحق مكتوب على جميع البشر على التعذيب والثاني على
التعذيب على معنى لا تفعل ان لذلك كما يقول الرجل انا افعل هذا وانت تفعل هذا على التبري والتبرية وقوله ان هي
الا فتنتك اي تفعل الابتلا لا تعذيبا والثالث ان يكون على الايجاب يجمعهم في ذلك وان كان الذي استحق بعضهم بحق المحنة اذ له
ذلك ابتدا وذلك بخلاف ما احد بالابتلاء وان لم يكن منهم تبعا المعصية وعلى ذلك امر جميع انواع المصايب يجمع فيها اهل الخير
والشر بحق المحنة لا العقوبة وان كان فيها في البعض منهم عقوبة والله اعلم وقوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها قيل
الخلاف في نبا هذا فقال بعضهم كان هذا نبيا فانسلخ بها يعني من النبوة وكفر بها لكن هذا بعيد محال ان يجعل الله الرسالة
من يعلم انه يكفر به او يخون لوصيه وهو يعلم انه ليس باهل لها بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقال بعضهم كان بلعم
ابن باعور اعطاه الله تعالى ايات فكفر بها وانسلخ منها وقيل اعطي الاسم المخزون كان يستجاب له جميع ما يدعو وقال
بعضهم كان امية بن ابي الصلت علم قيل انه امن شعره وكفر قلبه وقال بعضهم نزلت الايه في منافقي اهل الكتاب قد كان
اعطاهم الله ايات فكفروا بها وكذبوها وكل لا ندري فيمن نزلت وهو في جميع مكذبي الايات ليس يجب ان نشير واحدا او
فلانا الي اعطانا فيه ولكن نقصدنا في جميع مكذبي الايات وقوله فانسلخ منها قيل خرج منها قيل نزع منها وقيل كذب بها وكل
واحد منهم يحمل قوله فانسلخ منها اي كانوا قبلوها مرة ثم ردوها من بعد القبول ويحتمل انه لم يقبلوها في الابتدا فخرجوا
منها وكذبوها وقوله فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله لا يتبع الشيطان احدا ولا يرخص له ابدا

ان كان منه الاختيار للضلال والميل اليه حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين انما اتبع الشيطان بعد ما كان
منه الانسلاخ والنزوع وقوله فكان من الغاوين قيل كان في علم الله انه يكون في ذلك الوقت من الغاوين وقيل كان من الغاوين
اي صار من الغاوين اذا انسلخ منها وضح والغاوي الضال وقوله ولو شئنا لرفعناه بها اي قوله لرفعناه بها عصمناه حتى لا
ينسلخ منها ولا يكذب بها اي لو شئنا لوفقناه لها حتى يعمل بها او ان يقال لو شئنا لعصمناه حتى لا يختار ما اختار لكنه اذ علم
منه انه يختار ذلك ويميل اليها ان لا يعصمه ولا يوفقه فكيف ما كان فهو على المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء لرفعه بها وكان له مشيئة
الرفع بها اخبر انه لم يرفعه ولو رفعه بها كان اصلح له في الدين دل انه قد فعل به ما ليس هو باصلح في الدين وهم يقولون ان المشيئة
ههنا مشيئة القهر والقسر ومشيئة الاختيار لكن ما ذكرنا ان الايمان في حال الاضطرار والقهر لا يكون ايمانا فلا معنى لذلك
ولا يكون ذلك نفعا فيبطل قولهم وقوله ولكنه اخلد الى الارض وسمع ذكرنا لا علم منه انه يخلد الى الارض وقيل اخلد لم يعصمه
ولم يرفعه والاخلاد في الارض هو السكون الى الارض وكذلك قال ابو عوسجة الاخلاد في كلامهم السكون الى الشي والركون
اليه وقال ابو عبيد هو اللزوم الشي وفي قوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه دلالة ان الازاغة من الله وترك العصمة
لما يكون من العبد الميل والركون الى خلافه وترك الايتمار له واتباع الهوى قال ونال قوله لو شئنا لرفعناه بها يقول
لو شئنا لرفعناه من ايتاء الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل ولكن نبتلي من نشاء من عبادنا وقوله اخلد الى الارض ذكر
الارض يحتمل ان يكون كناية عن الدنيا كنعتهم ورغبتهم في الحطام الدنيا ويحتمل ان يكون كناية عن الذل والهوان لان كل خير
وبركة انما يطلب من السماء وهم اذا اختاروا ذلك اختاروا الذل والهوان وقال الحسن في قوله فاتبعه الشيطان الاية
قد حال الشيطان بينه وبين ان يصيب الهدى بامانيه وزين له واتبع هواه فمثله كمثل الكلب قال هذا مثل الكافر ابتي
وان كان ايتي نوادا هذا الكلب قد رئيت مثلا صدق الله وليس المثل فاقصص القصص لعلهم يتفكرون فيتدبروا او يتفكروا
في ايات الله التي ضرب واعقلوا الى هذا ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب مثل الذي كذب بالايات بالكلب وهو ان
الكلب من عادته انه يذل ويخضع لكل احد طمعا يطعم انه ينال منه ادنى شي ولا يبالي بما يصيبه من الذل والهوان في ذلك بعد
ان ينال منه شيا فعلى ذلك الكافر والمكذب بالايات لا يبالي ما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب من الدنيا شيا وقيل
انه يكون وجه ضرب المثل بالكلب لان من عادة الكلاب انها اذا ظفرت بجيفة تنكب لها حتى اذا اتيا دنى لها وتدعو له
تكرث اليه ولا تلتفت فعلى ذلك هذا الكافر ينكب لكل جيفة يخضع ولا يلتفت الى ما نودي ودعي اليه وقوله
ان تحمل عليه يلهث اي يخرج لسانه ويتنفس تنفسا شديدا او تتركه يلهث ومعناه والله اعلم ان الكلب اذا اصابه العطش الحر
لهث واذا لم يصبه لهث ايضا فعلى ذلك الكافر يميل الى ذلك ويختار اصابه شي او لم يصبه وكلام نحو هذا وقال قتادة هذا
مثل الكافر ميت الفواد كما ميت فواد الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ضرب الله عز وجل مثل الكافر مرة بالكلب
بالميت ومرة بالاعمى ومرة بالتراب ومرة بالانعام ونحو هذا وذلك طائفة من معانيها ما ذكر وقوله فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون وهو قوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا امر رسوله ليقص انباء الامم ان لو فعل هولا ليكون زجرا وتحذيرا لهولاء
ليعلموا ما حل باولئك بصنيعهم ليحذروا من مثل صنيعهم ويكون عظة وتذكرا للمومنين كما قال وموعظة للمتقين وقوله ساء
مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقد ذكرنا في غير موضع ان اياته قيل دينه وقيل حججه وبراهينه وقوله ساء مثلا اي ساء
مثل الافعال التي ضرب لها مثلا الذي ذكر في القران وقوله من يهد الله فهو المهتد شهد الله تعالى ان من هداه فهو
المهتدي اي من هداه الله في الدنيا فهو المهتدي في الاخرة ومن يضلل في الدنيا فهو الخاسر في الاخرة فلو كان الهدى
البيان والامر والنهي على ما ذكر خصوم لكان الكافر والمومن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر والنهي للكافر على ما كان للمومن فلما
يستدل ان في ذلك من الله زيادة معنى للمومن لم يكن ذلك منه الى الكافر وهو التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر
لاهتدى كما اهتدى المومن ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وعنه على قولهم وكذلك قوله ومن يضلل فاولئك هم
الخاسرون اخبر ان من اضله فقد خسر دل انه كان منه زيادة معنى وهو الخذلان والترك او خلق فعل الضلال منه وليس
على ما يقوله المعتزلة انه قد هداهم جميعا لكن لم يهتدوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله كما قال قل انتم اعلم ام الله فقال الله

الاية في فلان فما يتولون ويزعمون وقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالت المعتزلة لم يخلقهم الله عز وجل لجهنم ولكن
خلقهم وذراهم واعطاهم من القوى ما يكتسبون الجنة غير انهم عملوا اعمالا استوجبوا بها النار فصاروا للنار بما عملوا من الاعمال لا ان
خلقهم لجهنم ثم اختلفوا في تاويل قوله ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال بعضهم ذكر ما اليه آل عاقبة امرهم كقوله فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا انهم لم يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن انما التقطوه ليكون لهم ما ذكر كقوله عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا لهذا التقطوه لكنه صار لهم ما ذكر اخبر بما اليه آل امره فعلى ذلك هذا وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يعني للموت
ولا يبني للخراب وكذا انما عما يؤول اليه عاقبة امره من الموت والخراب الى هذا ذهب عامة المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الاية على
التقديم والتاخير كانه قال ولقد ذرانا كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
اولئك لجهنم واولئك كالانعام لكن هذا بعيد لانه لو جاز هذا في هذا لجاز مثله في جميع القران ان يجعل اول الاية في اخرها واخرها
في اولها فيذهب الى فاسد والماولهم انه اخبار عما آل اليه عاقبة امرهم واستشهادهم بقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم كذا فهو صحيح هذا
لمن يجهل عواقب الامور يخرج ذلك منه على التنبيه والايقاظ لما لم يعرف عاقبة ما يصار اليه الامر فاما الله سبحانه عالم السر والعلانية ولا
يكون في الاوقات التي تكون له يحتمل ذلك وقولهم للناس لدوا للموت وابنوا للخراب فهو انما يذكرون هذا على التنبيه والايقاظ لجهلهم
لعواقب الامور وان كان لا يلدون ولا يلدون للموت والخراب ولا قصدوا له واما التاويل عندنا على ما ذكر في ما من الاية انه خلق
لجهنم كثيرا من الجن والانس لما علم في الازل انهم يختارون فعل الكفر والاعمال الخبيثة التي يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك
في الازل انهم يختارون فعل الكفر والاعمال الخبيثة فذرا بهم على ما علم منهم انهم يختارون ويكونون منهم وكذلك خلق المومنين للجنة
لما علم في الازل انهم يختارون فعل الهدى ويعملون الاعمال الطيبة يستوجبون بها الجنة خلقهم للجنة لان خلقهم للجنة ولكن لما ذكرنا والله اعلم
واما قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده ويطيعه واما من علم انه يكفره ويعصيه فانما
خلقه لما علم انه يكون منه فمن كان علم منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن كان علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه
لا يجوز ان يعلم منه المعصية وفعل الكفر فيخلقه على خلاف ذلك لما يعلم ما ذكرنا والله اعلم او ان يقال قوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون الفريق الذي علم منهم العبادة لا الكل لما قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ولم يقل ذرانا الكل فهو في فريق
الاول في فريق اخر وهذا الان وقيل يرجع الى الخصوص الا ترى ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا فيه او ان يكون قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون اي الا لا كلفهم العبادة وآمرهم بها فان كان هذا فهو على الكل على الكافر والمومن جميعا والله اعلم وقيل
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ما خلقت الجن والانس الا لتشهد خلقتهم على وحدانية الله وصرف العبادة اليه وقد شهد
خلقة كل كافر ومومن على وحدانية الله والوصية وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها الفقه هو معرفة الشي بمعناه الدال على نظيره
او معرفة الشي بمعناه الدال على صنيعه فهولاء الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا الى الاشيا لمعناها وحقائقها انما نظروا الى الاشيا لظواهرها
ذكر ذلك قوله ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا الى ظواهرها لم ينظروا الى معانيها وحقيقتها ليدلهم على تدبير منشيها وحكمته وكذلك
قوله ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام لما كانت للانعام قلوب واعين واذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وان كانوا
يسمعون النداء وينظرون الظواهر الاشيا فعلى ذلك هولا الكفار وان كانوا يسمعون ويبصرون ما ذكرنا بعد انهم لم يفقهوا معانيها
وتدبير مدبرها فهم كالانعام واصله انهم لما لم ينتفعوا بتلك الحواس فيما جعلت لهم وانما جعلت لهم لمعرفة حقائق الاشيا وعواقبها ورجوعها
من المعاني والحكمة فصاروا في الحقيقة كمن لا حواس له اذ لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك الحواس فكانهم صم والله اعلم وما ذكر
ان لهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا انتفاع من لهم تلك كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس يعني الذي جعلت تلك الحواس فهم كالانعام بل
هم اضل لانهم حولهم اذ جهلوا الطريق مع ما استدعوا وعرفوا الحق ولم يلوا اليه فهم اضل من الانعام لما ذكرنا والله اعلم وقوله
بل هم اضل لان بنية الانعام لا تحتمل ذلك وبنيتهم تحتمل اذ جعل لهم عقول تميز وتعرف حكمة مدبرها ومنشيها لكنهم ضيعوها
واولئك كالانعام تشبيه لذلك كان اولئك اضل قال ابن عباس رضي الله عنه قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها لما ختم الله على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
فانهم لم تفقه قلوبهم ولم تبصر اعينهم ولم تسمع اذانهم وقال ثم ضرب لهم مثلا فقال اولئك كالانعام في الاكل ان همتهم ليست الا

الاكل والشرب كهمة الانعام والبهايم ليست همتهم الا الاكل والشرب وقضا الشهوة فهي تسمع النداء ولا تعقل معنى ذلك الكافر
وقوله اولئك كالانعام بل هم اضل لانهم اعطوا سبب فهم ذلك والانعام لا وقوله بل هم اضل لان الانعام
تعرف ربها وتوحده وتذكره لقول الله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده الاية وكقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهولا لا يعرفونه ولا يوحدونه
فهم اضل او اولئك هم اضل لانهم لا يهتدون وان هدوا ودعوا والانعام تهتدي او هم اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم
والانعام لا او هم اضل لانهم لا ينتفع بهم والانعام ينتفع بها وقوله اولئك هم الغافلون عن فهم ما القي اليهم وامروا به او غافلون
عما وعدوا واوعدوا وقوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم قد ظنوا ان في اثبات عدد الاسما ايجاب اثبات عدد
من الذات فاخبر انه ليس في اثبات عدد الاسما اثبات اعداد من الذات اذ قد يسمى الشي الواحد باسما مختلفة ثم لا يوجب ذلك اثبات
عدد ذلك ولا تجزية من نحو ما يسمى الحركة حركة وعرضا وشيا ... ثم لا اوجب ذلك اثبات عدد الحركة او تجزيته وكذلك في جسم ...
فعلى ذلك كله انه ليس في اثبات عدد الاسما اثبات عدد من الذات على ما ذكرنا ويحتمل ان يكون تخرج هذا مقابل قول كان منهم وهو
انهم وصفوا الله بشي لا يحسن ان يوصف به واضافوا اليه اشيا لا يصلح ان تضاف اليه من نحو قولهم يا خالق الخنازير ويا خالق الخبايث
ويا اله القردة ونحوه فاخبر ان ادعوه بالاسما الحسنى التي ثبت عند الخلق انه يسمى به من نحو اعظام نحو يا عالم يا رشيد ونحوه لما
لعظام من النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحوه ويقال يا خالق يا رازق يا الله يا رحمن يا رحيم ...
فقال لا تدعوا بكذا ولكن ادعوا بالاسما التي ثبت عند الخلق تحقيقها وانه يسمى به وهو ما ذكرنا والله اعلم وقد روي عن بعض ...
... ان رجلا دعا في صلاته فقال يا الله ويا رحمن ويا رحيم فقال رجل من المشركين اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون
الها واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى ولله الاسما الحسنى ويحتمل قوله ولله الاسما الحسنى اي له الاسما الحسنى لا
للاصنام التي تعبدونها من نحو ما تسمونها الهة وارباب ... الاسما التي يدعون بها الاصنام ... تدعى الالهة
وقوله وذروا الذين يلحدون في اسمايه ... اي لا تكافيهم بصنيعهم ولا تجازيهم باذاهم اياك فان الله هو المكافي لهم والمجازي بصنيعهم
الا ترى انه قال في اخره سيجزون ما كانوا يعملون وقوله يلحدون في اسمايه قيل الالحاد هو الجور والميل عن الحق والوضع في
غير موضعه وهم سموا الملحدين لما سموا غيره باسمايه او لا شركا غيره في اسمايه او سموا بذلك لما صرفوا شكر نعمه الى غيره وعبدوا دونه
مع علمهم انه لم يكن منهم اليه شي من ذلك انما كان من الله قال ابن عباس الالحاد الميل في جميع القران وقيل الالحاد التكذيب ...
النبي يلحدون اي يجورون عن الحق ويعدلون واصل الجور والميل وقوله سيجزون ما كانوا يعملون قال ... رسول
صلى الله عليه وسلم بالنصرة والظفر على اعدايه في الدنيا وقال قايلون هو حرف وعيد اوعدهم عز وجل باذاهم رسول الله
وقوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق اي يهدون الخلق بالحق الذي عندهم وهو القران والكتب التي عندهم ويحتمل ان
يكون الحق هو رسول الله به يهدون الناس وبه يعدلون وجايز ان يكون قوله يهدون بالحق اي يدعون الخلق الى
سبيل الله على ما ذكر في اية اخرى حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ويحتمل الحق ههنا هو الله كقوله ان الله
هو الحق المبين وقوله وبه يعدلون اي بالحق الذي يهدون يعملون كقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الاية
وقوله والذين كذبوا باياتنا قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال قايلون هو صلة
قوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقال بعضهم في الوعد لرسول الله بالنصرة والظفر على اعدايه والاستدراج
هو الاخذ في حال الغفلة من حيث امن الرجل بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وقال قايلون الاستدراج
المكر لكن يحتمل ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير المعنى الذي يضاف الى الله والجهة التي تضاف الى الله غير الجهة
التي تضاف الى الخلق مذموم والجهة التي تضاف الى الله محمود وكذلك ما اضيف اليه من المكر والخداع والاستهزا ونحوه
ما ذكرنا في اختلاف الجهات والمعنى في الجهة التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق لان الله عز وجل ...
بما يستوجبون ويستحقون بحق الجزا والمكافاة فلا يلحقه في ذلك ذم واما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون ...
والجزا ... في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال كلما جددوا لله معصية جدد لهم نعمة ليستدرجوا ...
ويبطروا ... وقال بعضهم يظهر لهم النعم وينسيهم الشكر وجايز ان يكون ما ذكر من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن

العذاب اي انا اخذهم بايامهم ... بغتة قال ان كيدي متين اي عقوبتي شديد وقوله واملي لهم ان كيدي متين اي كيف
اتم واملهم واكيدهم انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا الاية فيخرج قوله اكيدهم مخرج جزا كيدهم وكذلك قوله ومكروا ومكرنا
مكرا اي جزيناهم جزا مكرهم وكذلك قوله سنستدرجهم اي نجزيهم جزا استدراجهم وكيدهم ويمكن ان يكون قوله سنستدرجهم وقوله
واملي لهم ان كيدي متين اي نفعل بهم ما هو عندهم استدراج وما هو عندهم كيد وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وان لم
يكن من الله مكرا وخداعا كقوله وهو اهون عليه اي على ما الشي عندكم اهون من الابتدا ...
كقوله سنستدرجهم وكيدي متين ونحوه اي نفعل بهم ما هو استدراج وكيد عندكم والله اعلم ...
... المنتفع لنفسهم ولكن ... لمنافع ترجع اليهم حتى ان عملوا انتفعوا انفسهم وان تركوا ضروا انفسهم وقوله متين
قيل شديد اي عقوبتي شديد والمتين هو الحكم القوي وقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان الكفرة كانوا ينسبون رسول
الله الى الجنون احيانا والذي حملهم على ذلك والله اعلم لانهم كانوا اهل العز والشرف في الدنيا وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم
بالمكروه الا احد رجلين رجل ذو قوة ومنعة وله اعوان وانصار او رجل به جنون لانهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شي من الامر فلما راوا
رسول الله خالفهم واستقبلهم بما يكرهون ولم يروا له انصارا ولا اعوانا ظنوا ان الذي يخالفهم المجنون فنسبوه الى الجنون لذلك والله اعلم
ويحتمل ان يكون نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها وهم قد راوا العقلا منهم قد عبدوا
الاصنام ولم يحرموا ذلك فلما حرم ذلك عليهم ظنوا انه انما حرم ذلك لافة فيه فلذلك حملهم بالنسبة الى الجنون والله اعلم ثم عاتبهم بترك التفكر
فيه بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ليتبين لهم انه ليس به جنون وذلك يحتمل وجهين انهم لو تفكروا في رسول الله ما اخبرهم من المرغوب
والمرهوب والمحذور ... ولا تعلم ليعلموا انه رسول وانما اخبر بالله او ان يكون قوله
اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة اي قد تفكروا فيه وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك في قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
الاية بعد تفكروا في ذلك وعرفوا ان مثل ذلك لم يخلق عبثا باطلا كما يقال اولم تفعل كذا اي قد فعلت لكنهم عاندوا ...
ويمكن ان يكون قوله اولم يتفكروا اي في انفسهم وفي اوليك الذين عبدوا من الاصنام والاوثان ليظهر لهم انهم على باطل وسفه
وليتبين لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد ... لان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكر والتدبر لما لحق
... من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا ... التفكر وكان لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك وقوله اولم يتفكروا في صاحبهم
انه ليس به جنون ... ويحتمل اولم يتفكروا في صاحبهم ليعرفوا انه ليس به جنة ... نذير مبين ...
هذه الايات وبراهين انه نذير مبين وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الاية يحتمل هذا في الابتدا ويحتمل في
الفصل الاول وهو انهم اذا تفكروا في ملكوت السموات والارض عرفوا الوحدانية لله وربوبيته لما يرون من اتصال منافع بعضها ببعض
على بعد ما بينهما ... في التدبير ... فعرفوا ان ذلك كله مسخر ... اهل التمييز فاذا عرفوا
ذلك عرفوا انهم يحتاجون الى من يعرفهم ذلك ويعلمهم ما يحتاجون في ذلك ويحتمل على ابتدا الامر بالتفكر في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شي ليدلهم على وحدانية الله وربوبيته وقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كان هذا نزل فيمن عرف
صدقه لكنه عاند في تكذيبه فقال وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يحذرهم ليرجعوا الى تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على
اثم ... وقوله فباي حديث بعده يومنون هذا يتوجه وجهين احدهما انكم ممن تقبلون الاخبار والحديث فاذا لم تقبلوا حديث
رسول الله ولم تصدقوه فباي حديث بعده تقبلون وتصدقون ... والله اعلم والثاني ان يكون قوله
فباي حديث بعده يومنون يعني بعد القران يومنون وهو ما وصف لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية
وقال قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فاذا لم تقبلوا هذا ولم تصدقوه وهو
بالوصف الذي ذكر وانتم ممن تقبلون الحديث فباي حديث تقبلون بعده وجايز ان يكون قوله فباي حديث بعده
يومنون يريد به في الاخرة اذا اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون اي لا حديث بعده يومنون ...
في الدنيا وقوله من يضلل الله فلا هادي له وفي موضع اخر من يهد الله فهو المهتدي ... ولو كان الهداية الامر البيان على
ما قاله قوم لكان ذلك ... وكذلك لو كان الاضلال والازاعة ... الغلبة لكان ذلك يكون ... من اراد الله

ان يهديه اصلح بخزيه وكل من اضله الله سواه بخزيه فذلك خالص مانع كل ما اضاف الله الاضلال الي الخلق ذم وفيما اضاف الهداية
اليه مدح فاضافهما جميعا الي نفسه ولان هنالك زيادة معني ليس ذلك في الاضافة الي الخلق وهو ما ذكرنا في غير موضع اما خلق فعل
الضلال من الكافر وخلق فعل الاهتداء والاهتداء من المومن او كان منه التوفيق والمعونة في الهدى والخذلان في الكفر وهذان
الوجهان اللذان ذكرناهما لا يكونان من الخلق انما يكونان من الله لذلك كان معني الاضافة اليه وانما يكونان من الخلق الدعاء ونحو لا ما
قالت المعتزلة من البيان والامر والنهي والتخلية اذ يكون ذلك من الخلق وباب العصمة وقوله من يضلل الله فلا هادي له اي من
اضله الله بالضلال فلا اصحابك اكرام بالهدى وقوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون والاصل الحقيقة في طغيانهم لذلك تركهم فيه وله
فذلك علي انه لم يتبهم لحاجة نفسه ولا لدفع مضرة نفسه ولكن لحاجة القسم كقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وكقوله ان كيدي
متين وهو حرف الوعيد وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل ايان متى قيامها وقال القتبي ايان مرساها اي متى
ثبوتها قال رسي في الارض اذا ثبت ومرساة الماء ويقال للجبال رواسي لثبوتها ثم اختلف في السؤال عم كان قال بعضهم كان
السؤال عن الفناء فنا الخلق وسالكم لانه قال في اخره لا تاتيكم الا بغتة وهو كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة وذلك
يكون في الدنيا وقال بعضهم كان السؤال عن البعث وقيام الساعة لانكارهم اياها واستعجالهم العذاب كقوله وما يدريك
لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يومنون بها وقولهم ايذا متنا الاية وغير ذلك من الايات يدل علي ان السؤال كان عن الساعة
وليس في قوله لا تاتيكم الا بغتة انه كان عن الفنا اذ كلاهما يكون بغتة فلا يحتمل ان يكون السؤال عن ذلك ثم يحتمل بعد هذا
وجهين احدهما ان كان السؤال من المكذب لانه سوال استهزاء واستعجال لما ذكرنا وان كان من المصدق فهو استعلام
واشفاق ليتاهبوا لها ويستعدوا كقوله والذين امنوا مشفقون منها لما سمعوا من الايات ما يقرب وقوعها كقوله اقتربت
الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وغير ذلك من الايات مع ما سمعوا من رسول الله انا والساعة كهاتين
وفي بعض الاخبار كادت الساعة تسبقني وغير ذلك من الاخبار حملهم ذلك علي السوال عنها ليتاهبوا لها ويستعدوا ثم
اخبر ان ليس لرسول علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يكشفها ويظهر وقتها الا هو وليس كالامور التي تجري علي ايدي
الخلق ويكون لهم فيه تدبير كالملك الذي سلطها علي حفظ المطر والنبات واما الساعة فانه يقوم من غير ان كان لاحد
من الخلائق تدبير فيها او علم ومما وصفها الله عز وجل في امر الساعة والامر البصر او هو اقرب اخبار ان امر الساعة خارج عن تدبير
الخلق بل تقوم بتدبير الله من غير ان يجري علي يدي احد والله اعلم وقوله ثقلت في السموات والارض قيل ثقلت علي اهل
السموات والارض ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ثقلت اي خفيت علي اهل السموات والارض فذكر الثقل لان كل من
خفي عليه شي ثقل عليه فذكر انها ثقيل علمها خفي عليهم وقال قائلون ثقل وقوعها علي اهل السموات والارض لكثرة اهوالها
وشدة وقوعها ويمكن ان يكون قوله ثقلت في السموات والارض علي نفس السموات والارض علي ما ذكر في قوله تكاد السموات
يتفطرن منه الاية وذلك من شدة هولها ويمكن ان كان علي نفس السموات والارض اي لو كانت هي بحيث لو تعرف وتميز
وتهابه من يكون ثقل شي لثقلت وهو ما قلنا في قوله ونحن [illegible] الدنيا لا تعرضها اي ما كان فيها لو كان ممن
يكون منه التغيير لكان تغير ايضا لذلك [illegible] وقوله يسألونك كانك حفي عنها اختلف فيه قال بعضهم قوله كانك
حفي عنها اي كريم مشرف [illegible] فيعلمك عنها وكذلك قيل في قوله انه كان بي حفيا قيل بارا رحيما وقال قائلون
كانك حفي عنها اي عالم بها وقال قتادة كانك حفي بهم كانك تحب ان يسالوك عنها وقال بعضهم هو علي التقديم والتاخير يسالونك
عنها كانك حفي يعني كانك استحفيت عنها السوال حتى علمتها ثم قال قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انها كاينة ويحتمل ولكن اكثر الناس لا يعلمون الساعة فلا تعلم انها متى تكون او لا يعلمون انها عليهم [illegible] وقال
الحسن في قوله ثقلت في السموات والارض اذا جاءت ثقلت علي اهل السموات والارض وكبرت عليهم وقال بعضهم
ثقل ذكرها علي اهل السموات والارض واذا خفي الشي ثقل وقوله كانك حفي عنها ما ذكرنا من التاويل والله اعلم وعليه
قول بعضهم الحفي الخبير العالم وقالوا هو المشرف المكرم البار الذي لا يستحفي منه شي ولا يلبس عليه وقوله
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال بعض اهل التاويل قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الهدى والضلالة وقال قائلون

من انواع [illegible] الخلق ويكون لهم فيه تدبير [illegible]

من اهل التاويل لا املك جر النفع الي نفسي ولا دفع الضر عنها الا ما شاء الله الا ان اقدرني الله علي ذلك فاملك ذلك ويشبه ان
يكون قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ذلك لئلا يتخذوه معبودا او لا ينسبوه الي الله بالذي لا يليق النسبة به كما قالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله لعظيم ما وقع عندهم من جليل هولاء وقدرتهم فقال
لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا ينسبوه الي الله من الوجه الذي نسب ولئلا ظهر منهم العجز والعبادة وهو ما قال عيسى عليه السلام
حيث قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وقال ابن عباس في قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وذلك ان اهل مكة قالوا الا يخبرك ربك
بالرخص بالتجارة المربحة فنتجر فيها ونربح او لا يخبرك بالسنة الجدب والجدوبة او يخبرك بوقت السعة والخصب فقال عند ذلك ولو كنت اعلم
الغيب من جدوبة ان رخص وخصب لاستكثرت من الخير بقول لتهيات لذلك وما مسني السوء الضر والشدة الي هذا ذهب عامة
اهل التاويل وقال وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لو كنت اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من الخير
من العمل الصالح او لو كان يعلم الغيب لاستكثر الاعمال قال بعضهم هذا بعيد ولكن ان قيل والله اعلم انه يحتمل قوله قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا اي لا اعلم لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم لكم الغيب لاستكثرت من الخير عند الله اي لو كنت اعلم لكم ذلك لصدقتموني
وانتم في لاستكثرت من الخير عند الله بايمانكم بالله وتصديقكم اياي او ان يقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت املك لكم ذلك
لاستكثرت من الخير لانكم اذا رايتموني املك لكم نفع ما غاب عنكم لا نسبتم في وصدقتموني فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا
يحمل قوله ولو كنت اعلم الغيب جواب ما تقدم من الكلام والله اعلم وقال بعضهم قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي لا اعلم
الا قدر ما يوحي الي ولو كنت اعلم ذلك لاستكثرت من الخير وذلك وحاصل ان قيل في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من
الخير ما ذكرنا بتصديقكم اياي وايمانكم في اول ذكرنا من الساعة والخصب في الدنيا لا اعلم ولا صاحب احد ذكرنا اي لو كنت املك لكم
نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب لاسلمتم في وصدقتموني فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا وجائز ان يكون
قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لو كنت اعلم من المصدق ومن المكذب فاستكثرت من الخير لانه لا يشتغل
بمن يعلم انه يرد ولا يجيب وانما يشتغل بمن يعلم انه يجيب ولا يكذب فيستكثر اتباعه والمطيعين له وقال بعضهم قوله وما
مسني السوء موصول بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كانوا ينسبونه الي الجنون فقال وما مسني السوء من النسبة الي الجنون
او يقول ما مسني السوء من سوء رد وتكذيب لانه لو علم الذي يجيبه ويصدقه من الذي لا يجيبه ولا يصدقه لم يمسه سوء الرد والاذى
لانه لا يشتغل به بعد ما قام بما الحجج عليهم وقوله ان انا الا نذير وبشير لقوم يومنون وقوله هو الذي خلقكم من
نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا الاية قال عامة اهل التاويل ان ادم وحوى لما اهبطا
تغشى ادم فحملت فاتاها ابليس فقال لها ما هذا الذي في بطنك قالت لا ادري قال لعله بهيمة من هذه البهائم ناقة او شاة
او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها فلما اثقلت اتاها قال كيف تجدينك قالت اني لاخاف ان يكون الذي ذكرت ما استطيع القيام
اذا قعدت الا بجهد قال ارايت ان دعوت الله فجعله انسانا مثلك ومثل ادم اتسمينه بي قالت نعم فانصرف عنها وقالت لادم لقد
اتاني ات فخبرني بكذا واني لاخاف مما ذكر فدعوا الله في ذلك كقوله دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا اي بشرا سويا
لنكونن من الشاكرين فكان هذا دعاءهما قبل ان تلد فلما ولدت اتاها ابليس وقال الا تسميه بي كما وعدتني قالت نعم ما اسمك
قال اسمي الحارث فسمته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتيهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما علي هذا حمل اهل التاويل الاية والي
ادم وحوا صرفوها وذلك وحش من القول قبيح في ادم وحوا فانكر ولو ثبت ما قالوا انهما سميا ولدهما باسمه ونسباه اليه لم يكن في ذلك
اشراك اذ لو كان يا ثم اشراك لكان فيما اضيف العبيد والماليك الي الخلق اشراك في الالوهية ثم التاويل عندنا علي غير ما
نسبوا اليه والله اعلم وهو ان قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من ادم وجعل منها زوجها حوا ان خلق الذكور
كلهم من ادم وخلق الاناث كلهن من حوا كقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اخبر ان الازواج خلقهن من انفس
الازواج فلما اضاف الزوجات الي انفس الازواج واخبر من انفسهم خلقهن كان قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل
منها زوجها ليسكن اليها كل زوج وزوجها فلما تغشاها حملت دعا ادم وحوا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين في جميع
الاولاد والاولاد [illegible] يدعوان الله في ذلك يكون صالحا [illegible] كان يدعوان بهما فيما هذا التاويل يحصل الدعاء [illegible]

في

الذين يولدون الى يوم القيمة لانه اب وام وقد يدعوا لو الدات لاولاد وهما بالصلاح واكثر على هذا يجوز ان يخرج تاويل الايه واما
ما قاله اولئك فهو بعيد محال واساء وقال بعضهم ان العرب كان اذا ولد لهم اولاد ذكور ينسبون الى الاصنام التي يعبدونها ويسمون
الى اتقطها لمنا يقولون ابن اللات وابن العزى وابن المناة ونحو ذلك وكانوا يقتلون البنات وكانوا اذا اصابتهم الشدة يفزعون الى الله
ويتضرعون اليه كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه الايه واذا غشيهم موج
الايه فلما ذهب ذلك عنهم وانجلا عادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاكم الى البر اذا هم يشركون وقوله ثم اذا خوله نعمة منه الايه فاذا كان
من عادة العرب ما ذكرنا كان اذا حملت زوجة احد منهم ونقل ما في بطنها جعلا يدعوان الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ذكرا وسلمت من
الولادة لنكونن من الشاكرين فلما اتيهما صالحا يعني ذكرا جعلا له شركا فيما اتاهما اي جعلا له شركا في الولد الذي ولد لهما وينسبونه
الى الاصنام التي كانوا يعبدونها فذلك قوله جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون والله اعلم بذلك وقال
الحسن الاية في مشركي العرب الا قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فان ذلك في ادم وحوا الا ترى انه قال ايشركون ما لا
يخلق شيا وهم يخلقون دل انه ما ذكرنا وقال ابو بكر الاصم قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهو نفس ادم وجعل منها زوجها
اي خلق كل نفس منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن اليها فعلى هذا الثنا وفي بعض اخر الاية الى غير
ادم وحوا وقال القتبي قوله فمرت به اي استمرت بالحمل وقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ان العرب كانت تعبد الاصنام
تقليدا لابايهم وسلفهم فيذكرهم ان النفس التي خلقتم منها لم تعبد احدا ولم تشرك احدا انما اتبعت ما في العقل حسنا وما في
السمع من الامر فكيف لا تتبعهم ايها النفس التي خلقتم منها وهي لم تتبع الا ما ذكرنا دون ما اتبعتم في الاشراك له اباكم ولو
كانت القصة في ادم عليه السلام يقول لاهل النار وفي ليكان العرب تعلق واقتدا به فيقولون انه اشرك ونحن نشرك به فدل انه ليس على
ما قالوا ولكن على الوجه الذي ذكرنا وفي قوله خلقكم من نفس واحدة دلالة ان ليس لاحد من البشر على اخر فضل من جهة الخلقة
والنسب اذ كلهم انما خلقوا من نفس واحدة وهم اخوة واخوات وان كان لاحد فضل على اخر فانما يكون لاعمال يكتسبها واخلاق
محمودة ومحاسن يختارها واما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض كقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله ايشركون ما
لا يخلق شيا وهم يخلقون يذكرهم سفههم انهم يشركون في عبادته والوهيته من يعلمون انه لم يخلقهم وانما خلقهم الله سبحانه وهم
مخلوقون مقهورون العباد الى عبادة الذي خلقهم سفه وجور وقوله ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون يسفههم ايضا
انه في ان هذا لا يجمع احدا احدا ولا يتركه الاحجار ما لا سبق منه اليه من النعم وطلبا لما في العاقبة من المنفعة وانتم
تعبدون هذه الاصنام ولم يسبق منها اليكم شي ولا لكم رجا يقع في العاقبة فكيف تعبدونها او لا يستطيعون لكم نصرا
يدفعون عنكم الضر ولا انفسهم ينصرون اي ولا من قصدهم بالكسر والاتلاف يملكون دفعه عن انفسهم والله اعلم
وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم يحتمل هذا وجهين يحتمل ان تدعوهم يعني الاصنام الى الهدى لا يتبعوا والا يتبعوكم
اي لا يجيبوكم ولانهم لا يهتدون والثاني وان تدعوهم الى ما بكم اليه من حاجة لا يتبعوكم لا يقضون ولا يملكون ذلك ويحتمل
ان يكون الخطاب للمؤمنين يقول وان تدعوهم اهل مكة الى الهدى لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم وجايز ان يكون يخاطب به اهل
مكة يقول وان تدعوا الاصنام التي تعبدونها الى الهدى لا يملكون اجابتكم يسفههم في عبادتهم من حاله ما وصف
وقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ... ان يكون للبيئة في قوم علم الله انهم لا يومنون ابدا كقوله سوا
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وقال بعضهم قوله وان تدعوهم يعني المشركين الى الهدى لا يتبعوكم فعلى
ذلك يخرج قوله سواء عليكم ادعوتموهم ويحتمل ان يكون قوله سواء عليكم ادعوتموهم في الاصنام والله اعلم وقوله
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اي تعبدون من دون الله وقد كانوا يعبدون من دون
الله اصناما واوثانا ويحتمل تدعون اي تسمونهم من دون الله الهة وقوله عباد امثالكم في الخلقة والدلالة على وحدانية
الله وفي التدبير وانهم لما قال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها الى اخر ما ذكر اي ليس لهم ما ذكر فهم دونهم
في التدبير والمعونة ويحتمل قوله تدعون من دون الله عباد امثالكم الملائكة الذين عبدوهم هم عباد امثالكم فلا
تسمونهم الهة اي لا تعبدوا عبدا امثالكم ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا نظير له او ان كان قوله عباد امثالكم الملائكة

فقوله

فقوله الهم ارجل يمشون بها الاية هو منقطع منصرف الى الاصنام وقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ذكر الدعاء والاجابة
ولم يبين فيماذا يستجيبون لهم ولا يحتمل ان يكون الاستجابة في الشفاعة او في التقرب الى الله او في غيره الا انه يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا ويطمعون
منهم كذا وقوله ان كنتم صادقين انهم الهة على ما تزعمون او ان كنتم صادقين فيما تزعمون ان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى وقوله
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها يسفه عقولهم بعبادتهم الاصنام التي لا
ارجل لهم يمشون بها يهربون من يقصدهم بالسو او يقصدون بهم قصد من اراد الضر بهم والسوء وكذلك يعبدون ما لا ايدي
لهم يبطشون يدفعون عن انفسهم من اراد السو بهم او ياخذون من يقصدهم وكذلك قوله ام لهم اعين يبصرون بها يبصرون من
يقصدهم بالسو ام لهم اذان يسمعون من يشتمهم ويذكرهم بالسو يسفههم في عبادتهم من لا يملك دفع من يقصدهم بالسو اما هربا منه
واما قصدا منه اليه بالسو فاذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدون وهو كقول ابرهيم عليه السلام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيا فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع اليكم او دفع الضر عنكم وقوله قل ادعوا
شركاكم قال بعض اهل التاويل خاطب به كفار مكة بقوله قل ادعوا شركاكم التي تزعمون انها الهة دون الله ويحتمل قوله شركاكم
اي ادعوا من شارككم في عبادة من دونه ثم كيدون ويحتمل ان يكون الخطاب بجميع الكفرة الذين كانوا يعبدون الاصنام
والاوثان من دون الله ... ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبهم ثم كيدون فلا تنظرون فلم يقدر احد
الكيد والضر مع قوتهم وعدتهم بالكثرة والاعوان وضعف رسول الله وقلة اعوانه ولم يجترهم عن ذلك انه كان اية في نفسه
وان الله ينصره وانه قوي على اعدايه وذلك من عظيم اياته لانه لا يكون لمن كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فيما هم
فيه ثم لم يقدر احد منهم الضر به دل انه كان بامر حفظه وكذلك سائر الانبيا صلوات الله عليهم حيث قالوا ... قومهم
من نحو هود ونوح وهود فكيدون جميعا ثم لا تنظرون وقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون الايه وقوله
ان ولي الله الذي نزل الكتاب الايه ذكر هذا على اثر قوله ثم كيدون فلا تنظرون كما ذكر هود اني اشهد الله واشهدوا اني
بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم وكما قال نوح ان كان كبر عليكم مقامي
وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فزعوا الى
الله عز وجل عند وعيد قومهم بالاهلاك وعليه اعتمدوا وبه وثقوا فعلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان وليي الله الذي
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين اي هو وليي يحفظني وهو يتولى حفظ الصالحين اي يتولى صلحا او يتولى ويحفظ
الصالحين مقابل قوله من ذكرنا من الرسل قومهم ثم قولوا ولي الله عز وجل يحتمل حافظي وناصري او وليي تدبيري الله الذي
نزل الكتاب او في امري اولي بي الله الذي نزل الكتاب الذي جرت الخلايق على اتيان مثله وهو يتولى الصالحين
وقوله والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون يذكر سفههم بعبادتهم من عجز عن دفع الضر عن
نفسه فضلا عن ان يدفع ذلك عنهم ويجروا الى انفسهم منفعة ... جهلهم انهم يعبدون من لا يملك نفع ضر ولا ... بقوله
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الهدى هذا يخرج على وجهين احدهما يخاطب
به المومنين بقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا اي لا يجيبوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اي لا ينتفعون به
او لشدة تعنتهم لا يبصرون وجايز ان يكون يقول وان تدعوا الاصنام التي تعبدون الى الهدى لا يسمعوا اي لا يجيبوا
ولا يملكون الاجابة ويحتمل لا يسمعوا حقيقة السمع وتريهم ينظرون اليك على التمثيل اي كانهم ينظرون اليك وهم لا
يبصرون حقيقة وقوله خذ العفو يتوجه وجهين احدهما على حقيقة الاخذ والثاني على العمل بالعفو فان كان على
الاخذ فهو على وجهين يحتمل ان خذ الفضل الذي لا حق فيه وهو القليل من ذلك واليسير والثاني ان خذ ما يفضل
من انفسهم وهو ان يجيبهم ... الى ان ينبل منهم ما اعطوك ولا تلح في الطلب كقوله ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم
تبخلوا الايه اي ان يسالهم اموالهم حملهم ذلك على البخل وان كان على العمل فهو على وجه اي اعف الظلم عن ظالمهم
واعرض عن السفهاء واصفح عنهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعامل الخلق باشياء امره ان يعفو الظلم عن ظالمهم لا
مكافاتهم بظلمهم وامره ان يعرض عن السفهاء والجهال ويحلم عنهم وامره ان يعامل المومنين باللين والرفق ولذلك وصفه بالرحمة

والرافة بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال انزل الله
هذه الاية في اخلاق الناس وعن قتادة خذ العفو وامر بالعرف قال خلق حسن امر الله به نبيه ودعاه اليه في هذه الاية وبعض
اهل التاويل في ذلك صرف تاويل الاية وقال بعضهم هو اخذ الفضل من المال على ما ذكرنا فهو منسوخ باية الزكوة وروي في
حرف ابن مسعود خذ العفو وامر بالمعروف وانه عن المنكر واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة امر بالامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والمعروف هو اسم لكل خير وامر بان ياخذ بالعفو عن الظلم على ما ذكرنا ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان رجل يشتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذيه فدخل على رسول الله فاوسع له وادناه ورحب به قالت فقلت يا رسول الله اليس هذا الذي كان يشتمك
قال يا عائشة ان من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء شرورهم والسنتهم الى مثل هذا دعي رسول الله بالعفو والصفح عن
الظلم وترك المكافاة وقوله وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما تشهد خلقتك وتامرك به اشياء ثلاثة اشياء فيما بينه
وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما ما امر خلقته وتشهد على وحدانية الله
والدلالة على الوهيته والثانية تشهد على نعم الله اليه فيدعوه الى الشكر له فيما انعم عليه واما الواحد الذي يدعو خلقته فيما بينه وبين
الناس وهو ما يرغب نفسه في كل المحاسن ويرغب فيه وينفر نفسه عن كل اذى وسوء فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعامل
الخلق بما يرغب نفسه ونطع في المحاسن وتنفر عنه وترك فيعامل اليهم بحكم ما ترغب نفسه به ونطع ويتنحى عن كل اذى وسوء والله
اعلم وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال بعضهم النزغ هو ادنى افعال المعصية وكذلك عن ابن عباس يقول اذا
اذنبت ذنبا فاستعذ بالله وقال القتبي واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك ويقال نزغ بينهم اذا افسد وقال
ابو عوسجة النزغ التحريك للفساد وقال بعضهم قوله ينزغنك من الشيطان نزغ اي يوسوسك الشيطان بوسوسة فاستعذ بالله
ثم في الاستعاذة وجهان احدهما امره بالفزع الى الله عند ما يوسوسه الشيطان والالتجاء اليه لما راي نفسه عاجزة عن دفع ما
يوسوس اليه ورده ليكون هو الدافع عنه ذلك وهو الراد وقال الخليل اعوذ بالله اي الجا الى الله وكذلك قوله استعيذ بالله
ومعاذ الله معناه اعوذ بالله ومنه العياذ والتعوذ والتعويذ وقال غيره اعوذ بالله اي استتر بالله وقيل اعوذ
بالله اي اتحصن بالله وقيل الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى لدفع ما اعترض له من الشيطان وكله قريب بعضه من بعض
ثم الحكمة في جعل عدوهم من غير جنسهم من حيث لا يرونه ويراهم وجهان احدهما ليكونوا ابدا على التيقظ والانتباه غير
غافلين عنه والثاني ليكونوا ابدا فزعين الى الله ثم متضرعين اليه مبتهلين ليكون هو الحافظ لهم والدافع عنهم شر
وسوسته وفيما امر بالفزع الى الله والاستعاذة به عند نزغ الشيطان نقض على المعتزلة لانهم يقولون قد اعطاهم جميع
ما يدفعون به وساوسه ونزغاته حتى لم يبق عنده شيء يعينهم فيه فقولهم يخرج طلب الاعانة مخرج كتمان النعم او يخرج
الهزؤ به لانه يسال ما يعلم انه ليس ذلك عنده وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وقيل
طيف من الشيطان في قراءة طيف قال اللمم الخطرة التي تغشيك وقال عاما الطائف هو من الطواف وقيل الطيف
الوسوسة وقيل الطيف ما ياتيك من الشيطان وقيل الطائف والطيف سوا وعن ابن عباس اذا مسهم طيف من الشيطان
قال اذا اذنبوا ذنبا تذكروا فاذا هم مبصرون يقول تذكروا ذنوبهم فتابوا منها وكذلك قال في قوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ هو الذنب يرتكبه فان كان على هذا فهو يخرج على النهي عن ذلك وهو كالخطاب التي خاطب بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فلا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين ولا تكونن من الممترين وان كان يعلم انه
لا يكون ذلك ويحتمل ولا يشركه في امر فعل ذلك وهذا الخطاب الذي خاطبه بقوله ينزغنك من الشيطان وان كان
ما ذكر هو ادنى ذنب يرتكبه فهو يخرج ذلك على تعليم امته انهم كيف يفعلون اذا اعترض لهم ذلك والله اعلم وقوله
ان الذين اتقوا اذا مسهم كذا يحتمل قوله اتقوا مكايد الشيطان اذا اصابهم شيء من ذلك تذكروا ذلك فعرفوا انه
نزغ الشيطان فاذا هم مبصرون اي ابصروا انه من الشيطان او ان يقال اي هم من اهل البصر يبصرون عما اتقوا به
انه من الشيطان ويحتمل قوله ان الذين اتقوا المعاصي اذا اصابهم وسوسة من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعض اهل
التاويل قوله ان الذين اتقوا اي اتقوا الشرك لكن لا كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر وقوله اذا مسهم طائف من

الشيطان تذكروا والاية يحتمل وجوها احدها اذا مسهم شيء فابوا ما كان منهم كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية والثاني تذكروا
وجه حيلة دفع وساوسه والثالث تذكروا الاستعاذة والتعوذ الذي امرهم بالاستعاذة عند النزغ وقوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
قال بعض اهل التاويل قوله واخوانهم يعني اخوان الكفار الشياطين يمدونهم في الغي قال في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون عنه
اي لا ينتهون فيه ولا يبصرون كما ابصر الذين اتقوا اذا مسهم حتى ابصروها ويحتمل ان يكون قوله واخوانهم يعني اصحاب الذين اتقوا
وهم شياطينهم من الانس يدعونهم الى دينهم لكنهم لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون اليه اذ يجوز ان يكون لكل مؤمن شيطان
من الانس وشيطان من الجن كقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فيدعو اولا شياطين الجن فيتذكروا
فلم يجيبوهم ثم دعاهم شياطين الانس اليه فلم يجيبوهم والله اعلم وقوله واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ظاهر الاية في
سؤال اهل الكفر رسول الله الايات لانهم كانوا اذا اتى لهم اية استهزءوا بها وتعنتوا واذا لم ياتهم بها سالوا الاية سؤال المستهزئين
المتعنتين واذا لم تاتهم قالوا لولا اجتبيتها لولا ابتدعتها واحدثتها وانشاتها وهلا اتيتها من قبل نفسك فقال قل
انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لا افتعله ولا انشيه من نفسي انما اتبع ما يوحى الي من ربي ويحتمل ان يكون سؤال الاية من
المؤمنين فان كان منهم فهو سؤال الاسترشاد لما يزيدهم بكل اية تنزل عليهم يقينا ورسوخا في دينهم كقوله واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الاية واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الاية وكقوله فاذا انزلت سورة
محكمة الاية فاذا كان السؤال من المؤمنين فهو سؤال الاسترشاد وطلب زيادة الهدى وان كان من الكفار فهو سؤال
الاستهزاء والتعنت ثم اخبر انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر انه بصائر من ربكم قيل بيان اي هذا القران من ربكم
يبصر به من لم يبصر به ولم يكابر عقله كل ما له وكل ما عليه وانه البيان من الحق والباطل وهدى من الضلالة ورحمة لقوم
يؤمنون اي رحمة من العذاب وقوله واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا الاية امر الله تعالى بالاستماع
الى هذا القران والانصات اليه اذا قرئ وان كان في العقل ان من خوطب بخطابات يلزمه الاستماع الى ما يخاطب
وبما فيه فالله سبحانه اذا خاطب بخطاب اولى ان يستمع له مع ما ذكر في غير موضع من القران ايات ما يوجب في العقل
الاستماع اليه كقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك من الايات ولا
سبيل الى ان يعرف انه بصائر وانه هدى وما ذكر الا بالاستماع اليه والتفكر فيه فدل ان الاستماع لازم في العقل من له ادنى
عقل على ما ذكرنا من المخاطبات لكنه ذكر ههنا الاستماع اليه والله اعلم لوجهين احدهما مقابل لما كانوا يقولون لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه امر عز وجل المؤمنين بالاستماع اليه مكان قولهم لا تسمعوا لهذا القران وامر بالانصات مكان
ما يقولون والغوا فيه والثاني يجوز ان يكون امر بالاستماع اليه في الصلوة بلغة قال بعض اهل التاويل انه في الصلوة
وقال بعضهم في حال الخطبة لما يسبق الى وهمهم انه لما اشتغلوا بغيرها من العبادات ولزمهم انواع القرب ان يسقط
عنهم حق الاستماع فامر بالاستماع اليه والانصات له ليعلموا ان حق الاستماع لازم في كل حال ثم الاستماع اليه يكون لتفهم
ما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره والانصات للتعظيم له والتبجيل ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة
ولكن انما يلزم لما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره ليفهموا ما فيه ويقبلوا ويقوموا بوفاء ذلك واما
سائر الاذكار انما صار عبادة لنفسه لذلك لم يلزم الاستماع الى سائر الاذكار ولزم لتلاوة القران ولان القران
كلام الله وكتابه ومن الجفاء والاستخفاف ان يكتب انسان الى اخيه كتابا لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الى كتاب الله
اعظم في الجفاء والاستخفاف ولان القران يجهر وسائر الاذكار لا يجهر فان كانت تجهر فيستمع لها كما يستمع القران والله
اعلم وذكر في بعض القصة ان الاية نزلت في الصلوة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا في صلوته كانوا يقولون
مثل ما قال فنزلت الاية بالنهي عن ذلك والامر بالاستماع اليه والانصات له وذكر انهم كانوا يرفعون اصواتهم في
الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت الاية لذلك فلا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت وقد يحتمل ما ذكر
ايضا ثم ان كانت الاية في الصلوة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الامام لانه امر بالاستماع اليه والانصات له وعلى
ذلك جاءت الاخبار روي عن ابي العالية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قرا اصحابه اجمعون خلفه حتى نزلت

واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا فسكتوا وعن علي بن احران النبي صلى الله عليه وسلم قرا في صلوة الفجر الواقعة وقراها
رجل خلفه فلما فرغ من الصلوة قال من الذي نازعني في سورة فقال رجل انا يا رسول الله فانزل الله واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا ونحو ذلك من الاخبار فقال قوم ان الانصات الذي امر به المؤتم معناه ان لا يجهر بقراءته وليس فيه نهي
عن ان يقرا في نفسه وزعم بعضهم ان القارئ خفيا يسمى ناصتا واستدل بما روي عن ابي هريرة رضه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كبر سكت بين التكبير والقراءة قلت له بابي انت امي ارايت سكاتك بين التكبير والقراءة اخبرني ما تقول
قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب وغير ذلك من الدعوات فقال هذا القائل قد سمى
النبي صلى الله عليه وسلم الداعي لخفيا ساكتا والصامت مثله لكن يجوز ان يسمى صامتا وهو ان يقرا خفيا كما يسمى ساكتا
قال [illegible] هذا القائل في تشبيه الصامت بالساكت لان الاسماء لا تقاس وانما يطلق في كل واحد منهما ما اطلقته
اللغة فيه وهذا بين الغلط ان الله يقول فاستمعوا له وانصتوا فلو كان القارئ خفيا يسمى صامتا لما كان مستمعا
وانما يكون مستمعا صامتا اذا انصت فلم يقرا لمن اطلق له ان يقرا والامام يقرا فلم يستمع ولا انصت ومما يدل على غلط
ايضا ان العلماء جميعا ينهون المؤتم عن القراءة والامام يجهر بالقراءة وانما يامر من يامر بالقراءة خلف الامام ان يقرا
اذا سكت الامام ويامرون الامام ان يقف ساعة اذا فرغ من القراءة حتى يقرا المؤتمون فلو كانوا يحملون القارئ
في نفسه والامام يقرا جهرا صامتا لما امر بتاخير القراءة حتى يفرغ الامام من القراءة فهذا يبين غلط المستدل بحديث
ابي هريرة في استدلاله ومما يدل ان المؤتم منهي عن ان يقرا والامام يجهر ما روي عن ابي هريرة رضه ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى بهم صلوة نظنها الصبح فلما سلم اقبل على الناس وقال هل قرا منكم احد فقال رجل انا فقال
النبي اني اقول ما لي انازع القرآن قال ابو هريرة فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
قوم ان ابا هريرة قال فانتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما جهر فيه فيدل ان ابا هريرة لم ير ذلك عن النبي
ثم هو مما يدل على ان المؤتم لا يقرا جهر الامام او خافت قول النبي صلى الله عليه وسلم ما لي انازع القرآن وقد علمنا
ان المؤتم لم يجهر بقراءته فيتناول له منازعته النبي على انه شغل فلا وجه لقوله ما لي انازع القرآن الا نهيه
المؤتم عن ان يقرا جهر امامه او خافت فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي عن القراءة خلف الامام فيما
جهر فيه او خافت ما روى عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلوته قال ايكم قرا
سبح اسم ربك الاعلى فقال بعض الناس انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم خالجنيها بين عمران بن حصين
ان الرجل خافت بقراءته ودل ان النهي الذي رواه ابو هريرة لم يكن في حال جهر الامام دون مخافتته وان المؤتم
منهي عن القراءة خلف الامام في كل الصلوات وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن القراءة خلف الامام
احاديث كثيرة ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمران بن حصين عنه ام وعن عبد الله قال كنا نقرا
خلف النبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلطتم علي القرآن فان قيل انهم كانوا يجهرون بالقرآن فنهى عن الجهر قيل له
لم يستدل في شيء من الاخبار ان المؤتمين كانوا يقرون جهرا ولو كانوا يقرون جاهرين لادى ذلك الينا كما ادى انهم
كانوا يقرون وفي ذلك وجه اخر انه لم يكن النهي عن الجهر خاصة ولكن للقراءة نفسها ما روي عن ابي وايل قال سالت
عبد الله بن مسعود عن القراءة خلف الامام فقال انصت فان في الصلوة شغلا وسيكفيك ذلك الامام وعن عبد الله
بن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى ورجل خلفه يقرا فنهاه رجل من اصحاب النبي عن القراءة في الصلوة فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
من صلى خلف امام فقراءة الامام له قراءة وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واذا قرا الامام فانصتوا
وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرا فانصتوا
وغير ذلك من الاحاديث واكثر ما يحتج به المخالف لعلمائنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم
يقرا بام القرآن يرويه عبادة بن الصامت قال سفيان هذا عندنا فيمن يصلي وحده فهذا محتمل والاحاديث التي فيها

مفسرة

مفسرة في النهي عن القراءة خلف الامام فان قال قائل يترك المؤتم القراءة فيما يجهر فيه امامه بحديث ابي هريرة ويقرا فيما يخافت بحديث
عبادة بن الصامت ليصح حديث ابي هريرة وحديث عبادة جميعا قيل له فهلا جعلته في المصلي وحده ليصح حديث عبادة
وحديث عمران بن حصين ان حديث عمران بن حصين بنهي عن القراءة خلف الامام فيما خافت وحديث ابي هريرة عن القراءة فيما
جهر فان جعلت حديث ابي هريرة خارجا من عموم حديث عبادة فذلك يوجب ان لا يقرا المؤتم فيما جهر فيه امامه او خافت
ويقال له هل رايت فرضا من فرائض الصلوة يسقط عن المؤتم في حال ويجب عليه في حال فان قال لا قيل فيجب اسقاطك ترك
القراءة عنه في حال الجهر ما وجب عليك ان تسقطها عنه في حال المخافتة وقد احتج بعض اصحابنا في ذلك بان قالوا وجدنا
الرجل اذا جاء الى الامام وهو راكع فكبر ودخل في صلوته ولم يقرا فكل يحكم ان صلوته تجزيه فدل ذلك على ان القراءة غير
فرض عليه فان قال انما اطلق له ذلك للضرورة قيل لو جاء الى الامام وهو ساجد لم يعتد بتلك الركعة والضرورة قائمة
فلو كانت الضرورة تزيل فرضا لازالت الركوع عمن لحق امامه وهو ساجد فهذا لا تزيل فرض القراءة عمن لحق امامه راكعا ولكن
لا يلزمه القراءة خلف الامام فلذلك اجزته صلوته لا للضرورة التي ذكرت والله اعلم وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم
قالوا لا قراءة على من خلف الامام منهم علي وابن مسعود وجابر وسعد وابو سعيد وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت
اما عن علي قال من قرا خلف الامام فقد اخطا الفطرة وعن عبد الله من قرا خلف الامام ملئ فوه ترابا وعن زيد بن ثابت
قال من قرا خلف الامام فلا صلوة له وعن سعد قال وددت ان الذي يقرا خلف الامام في فيه جمرة وعن ابن عمر كان اذا سئل
هل يقرا احد خلف الامام قال اذا صلى احدكم وحده فليقرا وكان ابن عمر لا يقرا خلف الامام وعن ابي سعيد انه سئل عن
القراءة خلف الامام قال يكفيك ذلك الامام وعن ابن عباس ان رجلا سأله اقرا خلف الامام قال لا وبمثل هذه الاحاديث
ذهب اصحابنا وعلى ذلك دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وبالله التوفيق وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال اختلف اهل التاويل في الذكر الذي ذكر في الاية منهم من صرفه الى [illegible] الى
كل ذكر ومنهم من صرفه الى التلاوة فان كان ذكر الغدو والاصال كما يعني الليل والنهار فهو ذكر الله بذكر الله عز
وجل بنعمه واحسانه وذكره بنعمته او يذكر بقدرته وسلطانه وذلك يبعث على الخشوع له والتواضع او يذكر امره ونهيه
ووعده ووعيده وذلك يوجب الاقرار بالتقصير والخوف لعقوبته والرغبة في وعده كانه قال واذكر ربك في حال من الليل
والنهار بما ذكر النعم واحسانه واما الاقرار بالتقصير في امره ونهيه واما الخوف لوعيده واما الرغبة لوعده فكانه قال اذكر ربك
تضرعا متواضعا وخيفة من الخوف وان كان تاويل الغدو والاصال كما يعني الغداة والعشي فهو كما يعني التلاوة وهو
ما سبق من ذكر التلاوة من قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وقوله هذا بصائر من ربكم وهو كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا
تخافت بها وتاويله والله اعلم ولا تجهر بصلوتك في بعض صلوتك ولا تخافت في بعضها او ان يقال لا تجهر جهرا عاليا ولا تخافت
غاية المخافتة ولكن بين ذلك او ان يقول لا تستفتح بالجهر ولا بالمخافتة ولكن اقرا ما فيه فيما ذلك واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال وقرا بعضهم وخفية وهو من الاخفاء حيث قال واذكر ربك في نفسك
واما ظاهر القراءة فهو خيفة وهو من الخوف وقال مجاهد رضي الله ان تذكره في نفسك تضرعا وخيفة وان خلف الامام
تسمع قراءته والاصال قال ابو عبيدة العشيات الواحد اصل واصيل وقوله ولا تكن من الغافلين معلوم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين في حال ولكن على النهي لامته كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين
ونحوه انه لا يكون ما ذكرناه فيها العزم والله اعلم وقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته قالت
المشبهة لو لم يكن بين الله وبين الملائكة قرب الذات للانام والبشر بقوله عند ربك سواء لكان لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك
الجواب ان التاويل عندنا في قوله عند ربك في الطاعة له والخضوع او في الكرامة والمنزلة ليس في القرب للذات ويدل على وصفه عز
وجل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وصفهم بالطاعة له والخضوع فيما ذكر الاول ليس على قرب الذات ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع
الا ترى انه قال واسجد واقترب ليس على انه في الارض يقرب منه اذا سجد واصل ما يضاف الى الله من جر [illegible] الاشياء

يخرج مخرج تعظيم تلك الجزئيات كقوله وان المساجد لله خص المساجد بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها له تعظيما لها وكذلك
قوله الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها له وغير ذلك مما اضاف ذلك الى نفسه من جزئيات الاشيا تعظيما لذلك واجلالا فعلى
ذلك الاول اضافهم الى نفسه اما الطاعة لهم اياه والخضوع واما الاكرام لهم والمنزلة واضافة كلية الاشيا الى الله يخرج مخرج تعليم الخلق
من ذلك قوله له الخلق والامر وقوله وهو على كل شي قدير وقوله خالق كل شي ومن الناس من استدل بتفضيل الملائكة على البشر
بهذه الاية لكنا نقول انه اللطف والفضل عند الله الاطوع له والاخضع والاتقى والاقوم لامره ونهيه على ما ذكر ان اكرمكم عند الله اتقاكم
لا يشير الى ان هولا افضل من هولا وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم وتاويل الاية والله اعلم في قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الاية اي انهم وان لم يكن لهم حاجة الى الماكل والمشرب وانواع الحاجات لا يستكبرون عن عبادته فانتم مع حاجتكم
الى الاكل والشرب وانواع الحوائج احرى واولى ان لا تستكبروا عن عبادته او ان يقول ان الذين تعبدون من الملائكة لا يستكبرون
عن عبادته فانتم احق ان لا تستكبروا عن عبادته لان من الناس من يعبد الملائكة فخرج هذا جواب ذلك والله اعلم وقوله
ويسبحونه التسبيح هو وصف الرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي عن الاشباه والاشكال وصفة الملحدين
والتسبيح هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معاني الخلق وقوله وله يسجدون السجود هو الخضوع في الغاية وليس في الاية
دليل وجوب السجود على من تلا او سمعها انما فيها الاخبار عن الملائكة انهم سجدوا غير مستكبرين وفي ذلك ترغيب في
السجود الا ان النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه انه سجد وسجد معه ومن اثر ... كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا علينا
السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا موضعا يسجد فيه وعن ابن عباس رضه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
سجد في ص وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا القران في غير صلوة فيسجد ونسجد معه
وعن ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه احد الا سجد الا شيخ كبير من قريش
اخذ كفا من حصى فرفعه الى جبهته فلقد رايته قتل كافرا وعن ابن عباس انه ذكر سجود القران اوعدهن في الاعراف
والرعد والنحل وبني اسرائيل ومريم والحج سجدة واحدة والفرقان وطس والم وص وحم تنزيل وقال وليس في المفصل
سجود وعن ابن مسعود قال في السورة يكون في اخرها السجدة مثل الاعراف والنجم ان شئت فاسجد ثم قم فاقرا وان
شئت فاركع وعن ابن مسعود كان يسجد في الاعراف وفي بني اسرائيل والنجم واذا السما انشقت واقرا باسم ربك واحتج
بعض مشايخنا ان السجود على من تلا اية السجدة واجب ما اجمع اهل العلم ان على المصلي اذا تلا الاية فيها السجدة ان
يسجد في صلوته فلو كان السجود تطوعا ما كان لاحد ان يزيد في صلوته ما ليس فيها فدل ذلك على ان السجود واجب في الصلاة
واذا كان في الصلوة واجبا فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا ايضا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا ايات
فسجد فيها فكان السجود بها واجبا كما انه لما صلى صلوة العيدين كانت واجبة

سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
اختلف فيه قال بعضهم الانفال هي الغنائم التي يغنمها المسلمون من اهل الحرب وقال بعضهم الانفال هي النفول
عن حقوق اصحاب الغنائم فان كانت الانفال الغنائم فالسوال يحتمل وجهين ويحتمل انهم سالوا عن حلها وحرمتها لان
الغنائم كانت لا تحل في الابتدا قيل انهم كانوا يغنمونها ويجمعونها في موضع فتجي نار فتحرقها فسالوا عن حلها وحرمتها
فقال الانفال لله والرسول اي الحكم فيها لله يجعلها لمن يشا ويحتمل السوال عن قسمتها وهو ما روي في بعض القصص
انهم كانوا يوم بدر ثلثة اثلاث ثلث في نحر العدو وثلثهم خلفهم ردا لهم وثلث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسونه
فلما فتح الله عليهم اختلفوا في الغنائم فقال الذين كانوا في نحر العدو نحن احق بالغنايم نحن ولينا القتال وقال الذين
كانوا ردا لهم لستم باولى بها منا وكنا لكم ردا وقال الذين اقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لستم باحق بها منا كنا
نحن حرسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا الى رسول الله فنزل يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله
والرسول وقال ابو امامة الباهلي سالت عبادة بن الصامت عن الانفال قال فينا نزلت معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
وساءت فيه اخلاقنا فانتزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه على السوا ... مجاهد وعكرمة لا كانت الانفال لله

والرسول خالصة واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول فكذلك وروي عن ابن عباس رضه قال الانفال المغانم كانت
لرسول الله خالصة ليس لاحد فيها شي ما اصاب سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فسالوا رسول الله
ان يعطيهم منها فقال قل الانفال لله والرسول ليس لكم فيها شي ويحتمل ان تكون الانفال هي نفول الغنائم على ما قال بعضهم وجا في
الاخبار انه منهم من اخذ كبة فقال اعطنيها يا رسول الله واخذ الاخر سيفا وقال اعطنيه وكذلك كانوا يسالون رسول الله ذلك
فقال قل الانفال لله والرسول ويحتمل ان يكون سوالهم عن التنفيل ان ينفلهم الرسول بما وقع في ايديهم او بعد ما انهزم
الكفار وادبر العدو وانما يجوز للامام التنفيل في حال التهاب الحرب وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود قال النفل ما لم يلتق
الزحفان او الصفان فاذا التقيا فهو مغنم وروي عن مصعب بن سعد قال نزلت في اربع ايات ... انه يوم بدر اصبت سيفا
فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبي الله نفلنيه اجعلني كمن لا غنا له فقال النبي صلى الله عليه
ضعه من حيث اخذته فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ثم قال لسعد ... رسول الله فقال اذهب
فخذ سيفك فدل حديث سعد ان النبي لم ينفل قبل الحرب احدا شيا ... لانه لو كان نفلهم لم يمنع سعدا السيف الذي
جا به ويدل على ان النبي لم يامر في الغنيمة بشي حتى نزلت اية النفل فرد الله الامر في الغنيمة الى رسوله فاطلق له رسول الله
رد الامر اليه ويجوز ان يكون النبي لم ينفل احدا قبل الحرب شيا ولكنه كان ينفل بما اتوا به من شا ممن قتل قتيلا فله سلبه يتقدم في
ذلك قول سعد اجعلني كمن لا عمل له وحديث عبادة يخبر ان النبي نفل ما ... من اهل الحرب بلا ان ... فهذا موضع
الاختلاف بين الحديثين والظاهر من ذكر ان النفل قد كان وقع في الغنائم لانه قد سماها انفالا قبل ان يجعلها ... ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان نفلهم اياها قبل الحرب او بعده لم يسم انفالا والله اعلم وفي حديث عبادة ان قوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله
خمسه نزل بعد ذكر النفل وانه الحكم الناسخ الثابت وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك وقد اجمع اهل العلم على ما ذكر عبادة
في الحديث فقالوا جميعا ان الغنيمة تخرج خمسها لمن سماه الذين ذكرهم الله الا ما اختلفوا فيه من سهم ذوي القربى
ثم تقسم الاربعة الاخماس بين اهل القسمة وجعلوا للامام ان ينفل السلب ... فيقول من قتل قتيلا فله سلبه ويحرض بذلك القتال
وينفل السرية تخرج من العسكر شيا بعد الخمس فلما اجمعوا على ان قسم الغنيمة اخماسا نزل به القران وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الغنيمة لم تحل لاحد قبلنا وقد احلت لنا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تحل الغنيمة لقوم سود الروس قبلكم كانت تنزل نار من السما فتاكلها فلما كان يوم بدر اسرع الناس في الغنايم فانزل
الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وكذلك والله اعلم وقوله يسئلونك
عن الانفال يحتمل وجوها اخر ما اصاب لو كنتم من الانفال فقال قل الانفال لله والرسول والثاني ... لو كنتم ... على
استقاطعن وقد كانوا ... الانفال والغنائم والثالث ... لكل من قتل له الذي جعل له والله اعلم وقوله فاتقوا الله
واصلحوا قال اهل التاويل اتقوا الله في اخذ الانفال والتي في غيرها اتقوا معصية الله ومخالفته في امره ونهيه
واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين لما ذكر من عظم منته ونعمه التي انعم عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعدا فالف بين قلوبهم
وذلك من عظيم نعمه عليهم فامرهم باصلاح ذات البين ليكونوا على النعم التي انعمها عليهم مجتمعين غير متفرقين وقوله
واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه ورسوله في ادابه وسننه ان كنتم مومنين او يقول اطيعوا الله
فيما دعاكم اليه ورغبكم فيه ورسوله فيما بين لكم ان كنتم مومنين يعني مصدقين به وقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى اخرها ذكر كمال وصفها يحتمل قوله انما المومنون الذين حققوا ايمانهم بما ذكر من الافعال والثاني انما
المومنون الذين ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الافعال من وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه ليس
كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في ايمانهم كان وصفهم في اية اخرى حيث قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
وكانوا اذا انفقوا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون الله الا قليلا لمراة الناس واما المومنون فهم الذين
يقومون بها وذلك حقيقة فيظهر صدقهم بذلك ووصفهم في اية اخرى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله

ثم المبير تابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة ليس على
نفس العمل كانه قال انما المؤمنون الذين اعتقدوا في ايمانهم ما ذكر من وجل القلوب والخشية عند ارتكاب المعصية والتقصير
عن القيام بما عليه لما يرتكب المؤمن من المعاصي انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب من قريب كقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب يرتكب ذلك اما لغلبة شهوة او يعتقد التوبة من بعد او يرجو رحمة الله وفضله في العفو عن ذلك فيكون
قوله انما المؤمنون الذين اعتقدوا ايمانهم ما ذكر من الافعال وهو كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
هو على الاعتقاد والقبول له انهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلى سبيلهم وان لم يقيموا الصلوة وما ذكر فيها ذلك الاول يحتمل
ذلك والرابع يحتمل قوله انما المؤمنون هم الذين فعلوا هذا واتوا به لك كلهم اجمعوا ان من نقلبه وصدق كان مؤمنا وان
لم يات بشيء من الافعال بحال يكون ثم يخترم ويموت من ساعته يموت مؤمنا فدل انه لم يخرج ذلك على الشرط لما ذكرنا ولكن على احد
الثلثة التي ذكرنا والله اعلم وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يخرج على وجوه احدها يخبر ان المؤمن هو على وصف
ما ذكر او يقول ان المؤمنين الذين ينبغي ان يكونوا ما ذكر او يقولون انا المؤمنون المختارون ما ذكر جل الله تعالى فيما ذكر من
وجل القلب وغيره علامة الذين حققوا الايمان في الظاهر والباطن وبين الذين اظهروا الايمان واضمروا الكفر والخلاف
وكذلك ما ذكر في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا وقوله واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا يحتمل قوله اياته حججه وبراهينه اذا تليت عليهم ذلك يزداد لهم ثباتا وقوة على ما كانوا واما المنافقون
فان الايات التي تنزل كانت تزيدهم رجسا وبعدا واما المؤمنون يزيد لهم ذلك ثباتا وقوة او ذكر الزيادة لان للايمان
حكم التجدد والحدوث في كل وقت وفي كل ساعة فاذا كان له حكم الحدوث والتجدد فهو زيادة على ما كان فان شئت سميتها زيادة
وان شئت سميته ثباتا وقال ابو حنيفة رحمه الله يزيد الايمان بالتفسير على الايمان بالجملة فاذا فسروا لهم وقالوا
فلان رسوله ونبي ازداد بذلك له ايمانا وان كان قد امن به بالجملة وكذلك الايمان بجميع الكتب والامر وان كانوا من في الجملة
انه له الخلق والامر فاذا عرف ذلك الامر ازدادوا ايمانا في ذلك والله اعلم لان من امن بالله وان له الخلق والامر فقد اتى
بحقيقة الايمان فاذا جاء بالتفسير واحدا بعد واحد ازداد له ايمانه بالتفسير على ايمانه بالجملة وقوله وعلى ربهم يتوكلون
اي على ربهم يثقون ويعتمدون في كل امورهم لا يتكلون على غيره انما يتوكلون على الله وليس كالمنافقين ثم انما
يتوكلون على النعم التي اعطوا كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه ونحو ذلك واما المؤمن فانه في جميع احواله يتوكل على الله ومنه يخاف وان كان يصل ذلك اليه ويجري
على يدي غيره فهو في الحقيقة من الله وقوله الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون بحق الله الذي عليهم
وقوله اولئك هم المؤمنون حقا يحتمل وجهين يحتمل اولئك الذين حققوا ايمانهم والثاني اولئك المؤمنون الذين
وعدهم وعدا حقا ووعدهم من الدرجات والمغفرة حق لهم ذلك الوعد والله اعلم لهم درجات عند ربهم قيل
فضائل عند ربهم ومغفرة اي يستر عليهم ذنوبهم التي كانت لهم في الدنيا في الجنة ولا يعيرهم بها لان ذكر ذلك ينغص عليهم نعمهم
التي انعم عليهم ورزق كريم قيل الحسن ورزق يكرم اهله به وقوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق لم يخرج لهذا
الحرف جواب في الظاهر لانه جواب ان يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فيفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا
في جوابه قال بعضهم هو صلة قوله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك كما كرهوا الخروج وجادلوك في قسمة الانفال جادلوك في امر العير
ومنهم من يقول جوابه في امر القتال يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون لذلك كذلك يكلفك القتال
وهم كارهون لذلك ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام يقول كما اخرجكم الله بالخروج للقتال على غير اهبة
منكم في ذلك ولا تقل فعل ذلك بكم في النعاس امنة منه وانزال الماء من السماء والتطهير به وتثبيت الاقدام على
غير علم منكم ولا تدبير ومنهم من يقول قوله كما اخرجك ربك من بيتك على غير ما سبق للقتال ولا مستعدين له كذلك يعليكم

النصر والظفر والله اعلم وقوله بالحق يحتمل وجوها يحتمل بالحق الذي يسلم من الامر بالخروج والقتال ويحتمل بالحق بالوعد الذي
وعد اذ وعدهم النصر والظفر وقال بعض اهل التاويل بالحق اي بالقران ولكن ان كان فهو ما ذكرنا بالامر الذي يامر
القران وقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون يحتمل وجهين يحتمل فريقا من المؤمنين في الظاهر وهم المنافقون كرهوا الخروج
للقتال ويحتمل ان يكون المؤمنون في الحقيقة كرهوا الخروج للقتال لكراهة الطبع لا لكراهة الاختيار لما امروا بالخروج للقتال
وهم غير ناهضين للقتال ولا مستعدين له فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن معهم اسباب القتال لا انهم كرهوا امر الله كراهة
الاختيار وفي هذه الاية دلالة ان الامر قد يكون في الشيء وان لم يعلم وقت الامر في يومه وفيه دليل جواز تاخير البيان لانهم
امروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا وقت الخروج على ما يريدون وقوله يجادلونك في الحق قيل في القتال وقيل قوله في
الحق الذي امرت به ان تسير الى القتال ويحتمل ان يكون قوله في الحق الوعد الذي وعدهم بالنصر والظفر بعد ما تبين لهم يحتمل
قوله بعد ما تبين لهم الوعد الذي وعدهم عز وجل بالنصر وقوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان كانت الاية في
المنافقين فهو ظاهر وهم كذلك وصفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان كان في المؤمنين الذين حققوا الايمان فهو لما كانوا غير مستعدين للقتال
ولا متاهبين له كانوا كارهين لذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقال بعضهم قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي وان فريقا من المؤمنين اجابوا ربهم وان كانوا كارهين للخروج من شدة الخوف وان
كانوا من الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله لهم بالنصر والظفر وامنهم من ذلك الخوف والله اعلم وقوله واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم ذكر في بعض القصص ان عير قريش جاءت من الشام فخرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير
غير متاهبين للحرب وخرجت قريش من مكة تغيث عيرها وهي الطائفة الاخرى وعدهم ان احدى الطائفتين لهم اما
العير واما العسكر انهم ينصرون عليهم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم التي ليس فيها حرب ثم يكون لكم العير وهي ليس
بشوكة واعظم غنيمة كانوا يودون ذلك وقوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم لما لم تكونوا مستعدين للقتال والحرب
وكان بهم ضعف وفي اولئك قوة ومنعة والله اعلم قال الله تعالى ويريد الله ان يحق الحق بكلماته يحتمل والله اعلم يريد ان
يظهر الحق بايات منه من غير وجود الاسباب منهم وهو كما ذكر في قوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين اخبر ان في غلبة اولئك مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم ونقصان اسباب الحرب
من السلاح والعدة وغير ذلك وقوة ابدان اولئك وكثرة عددهم وعدتهم وتاهبهم واستعدادهم لذلك اية عظيمة
فلذلك ان يظهر الحق بالايات ليعلم كل منهم انه انما كان ذلك بالله لا بهم وهو كما قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى اخبر انه كان بالله ذلك لا بهم ويحتمل قوله بكلماته بالوعد الذي وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالنصر والظفر لهم فاراد ان يظهر ذلك ويحققه ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ويحتمل بكلماته بحججه اي يوجب الحق ويظهره بحججه
وبراهينه ويحتمل بكلماته البشارات التي بشر المؤمنين بالنصر لهم والظفر والعدة التي كانت منهم ويحتمل بكلماته كلمات
ملائكته الذين بعثهم لهم مددا يوم بدر على ما ذكر فاضافهم اليه تعظيما لهم واجلالا لهم على ما سمى عيسى روح الله وكلمته
وموسى كليم الله تعظيما لهم واجلالا لما فعل ذلك هذا والله اعلم ويقطع دابر الكافرين يحتمل يقطع اثار الكافرين يقتلون
جميعا ويستاصلون حتى لا يبقى لهم اثر ويحتمل يقطع دابرهم حتى لا ياتيهم مدد وقوله ليحق الحق اي ليظهر الحق
ويوجب بقاء حق كذا اي وجب ويحتمل ليظهر حق الحق ويظهر بطلان الباطل او ان يقال لقوله ليحق الحق ويبطل
الباطل ما ذكرنا يحق الحق ويحيي ويذهب الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل اي ذهب فيظهر ذلك هذا يحيى الحق ويجب
ويذهب الباطل وان كره المشركون فان قيل في قوله كانما يساقون الى الموت وقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم كيف خافوا كل هذا الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف كانما يساقون الى الموت وقد وعدهم النصر والظفر بقوله
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وكيف استغاثوا ربهم في ذلك وقد سبق منه لهم الوعد بالنصر والظفر
وقد يمكن ان تصرف الاية الى المنافقين وهو قوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون غير انه ذكر في بعض القصص

انه لم يكن بعد من نافق بل كانوا كلهم مؤمنين حتى انفتح بذلك من شهد البدر او ان كان في المؤمنين فهو ما ذكرنا من قلة عددهم وضعفهم
وكثرة اوليك وعدتهم كانوا كما وصف والله اعلم لكن الاية تحتمل وجوها احدها امكن ان يكون الوعد لهم بالنصر بين لرسوله ولم
يبين لهم فالقي في قلوبهم الرعب والخوف لما لم يبين لهم الوعد بالنصر او بين لهم وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم الوقت الذي يكون
ذلك الا ترى انهم امروا بالخروج ولا يدرون الى ماذا يومرون والثالث يجوز ايضا ان بين لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك غير انهم
خافوا ذلك وكرهوا خوف الطبع وكراهة النفس لا كراهة الاختيار وجائز الخوف في مثل هذا وكراهة الطبع وان كانوا على اليقين بالنصر
والظفر وتحقيق ذلك لهم والرابع يجوز ان يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرع اليه والاستغاثة منه على ما يكون في الدعوات
يكون بشقاوة بعض ودخوله النار لمعاصي يرتكبها وسعادة اخر ودخوله الجنة بخيرات ياتي بها فيصير من اهلها والخامس جائز
ان يكون ذلك من الله تعالى لهم محنة يمتحنهم بها كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية يحتمل في الاية الوجوه التي ذكرنا
والله اعلم ثم اختلف في قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الاية قال بعضهم هو صلة قوله ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة قالوا وقوله بالف من الملائكة مردفين الفان وقوله بثلاثة الاف من الملائكة منزلين فيكون خمسة الاف مسومين
ومنهم من يقول ثلثة كان في احد اذ ذكر على اثر قصة احد فان كان ما ذكروا فكان قوله بالف من الملائكة مردفين اماني ارداف
الكفرة وهو المتتابع تابع اهل بدر المشركين وهم منهزمون او ان يكون الا ارداف الامداد فيكون الفان وقال بعض اهل
التاويل ان قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم هو رسول الله وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم راى كثرة المشركين يوم بدر
علم انه لا قوة لهم الا بالله فدعا ربه وتضرع اليه ولكن ذلك قولهم عندنا والله اعلم اعني قول المؤمنين الا ترى انه قال اذ
تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بكذا والله اعلم بذلك ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه البشارة
لهم بالنصر والطمانينة لقلوبهم واخبار ان حقيقة النصر انما تكون بالله لا باحد سواه وذلك قوله وما النصر الا من عند الله
ان الله عزيز لا يذل لشيء ولا يعجز حكيم في امره ونهيه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء الا وفيه حكمة وفايدة ما ذكر من بعث مدد
الف ملك وثلثة الاف وما ذكر لطمانينة قلوب اوليك المومنين والا ملك واحد كاف لهم وان كثروا الا ترى انهم لم
يروه فاملاك مثل سهل وقوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر النعاس بعد
شدة خوفهم والنعاس لا يكون ممن اشتد به الخوف ولا يغشيه الا بعد الامن وذكر لطفه ومنته الا من بعد شدة الخوف
ذكر عظيم ما من عليهم من الامن لما ذكر من القا النعاس عليهم والنعاس انما يكون بعد الامن بعدما كان من حالهم
ما ذكر حيث قال كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون وقوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة
ان المشركين سبقوا فاخذوا الماء فبقي المؤمنون في رمل لا تثبت اقدامهم عطشى فوسوس اليهم الشيطان انهم لو كانوا
على حق ما ابتلوا بذلك في رمل لا تثبت اقدامهم عطشى فابدلهم الله مكان الخوف امنا يامنون به وانزل عليهم من
السماء ماء ليطهرهم به ويشربون ويشتد به الرمل وتثبت اقدامهم فذلك قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام قال اهل التاويل
وسوسة الشيطان التي وسوس اليهم وقيل الرجز الاثم ذهب ذلك عنهم كقوله فانه رجس او فسقا وقوله وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر هذا والله اعلم على المبالغة في المنة انه اخبر انه انزل من السماء ماء قصد لهم حتى
وجدوا التطهير انفسهم وابدانهم وذهب عنهم رجز الشيطان ذكر السبب الذي به يذهب الرجز لان الرجز هو العذاب
فذكر الرجز والمراد منه سبب الرجز وقوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام يحتمل حقيقة تثبيت الاقدام
ويحتمل الثبات على ما هم عليه والربط هو الشد الذي يحتمل قوله وليربط على قلوبكم اي يشدها حتى لا يزول احد عما
هو فيه ولا يزيغ عن ذلك وان ابتلاه الله بانواع الشدايد والبلايا ذكر في التوحيد والايمان الربط والتثبيت
نسبه لذلك لنثبت به فوادك وقوله وليربط على قلوبكم وقوله وربطنا على قلوبهم وذكر في الشرك والكفر الطبع
والختم والقفل ونحو ذلك والله اعلم عنى به لهم لما اختاروا ذلك وقوله ويذهب عنكم رجز الشيطان قيل
وسوسة الشيطان وهو ما ذكر في بعض القصة ان المسلمين اصابهم ضعف شديد والقى الشيطان في قلوبهم القنط سهم

وتوهم

ويقول لهم تزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون مجنبين فمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب
المسلمون وتطهروا واذهب عنهم رجز الشيطان ونشف الرمل حين اصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وامد الله
نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة فذلك قوله بالف من الملائكة مردفين ثم قال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا الوحي
وكان يسمى وحيا لسرعة قذفه في القلوب ووقوعه فيها ولذلك سمي والله اعلم وسواس الشيطان وحيا بقوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليايهم اي يقذفون في قلوبهم ويدعون الى اشياء من غير ان علموا ابتداء انه ممن جا ذلك وما سبب ذلك لسرعة قذفه ووقوعه في
القلب وكذلك سمي الالهام وحيا لسرعة ووقوعه في القلب قال تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل هو الالهام اي الهم النحل ان تتخذ
من الجبال بيوتا وقال عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء اخبر انه
ليس له ان يكلمه الا وحيا وهو ما الهمه سمي وحيا لسرعته ووقوعه في القلب قذفه فيه على غير علم منه انه من اين كان وهم كان وفيه دلالة
انه غير هو الذي خطر وذكر في القلوب وقذفه لانه يحدث ذلك بنفسه على غير اخطار احد لا قذفه فان كان ما قذفه خيرا
فهو من الله وان كان شرا فهو من قذف الشيطان وفي هذه دليل ثبوت الملكة والشيطان والله اعلم وقوله اني معكم
قيل اني معكم في النصر والمعونة ودفع العدو عنكم او يقول اني معكم في التوفيق ويحتمل ان يكون قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة
اي اجز والمؤمنين اني معكم لما ذكرنا من النصر والمعونة والدفع وقوله فثبتوا الذين امنوا امر الملائكة ان يثبتوا الذين امنوا
بالنصر لهم والامن بعدما كانوا خايفين في قتال بعد جنين لما اجابوا ربهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم فابدلهم الله مكان الخوف
لهم امنا ومكان الضعف القوة والنصر ومكان الذل العز وابدل المشركين مكان ما لهم من الامن لهم خوفا ومكان العز الذل ومكان القوة
الضعف والفشل فذلك والله اعلم قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله فثبتوا الذين امنوا جايز ان يكون نفس
نزول الملائكة تثبيتهم لانهم سبب تثبيتهم او يثبتهم من غير ان علم المومنون بهم وقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل
بنان قال قايلون قوله فاضربوا فوق الاعناق اذا ظفروا بهم وتمكنوا في ايديهم فعند ذلك تضرب فوق الاعناق
وهو المفصل الذي بين الراس بالضرب لما نهي عن المثلة وفي الضرب في غير ذلك مثلة ويحتمل قوله فاضربوا فوق الاعناق
اي اضربوا الاعناق وما فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان معناه والله اعلم اي اضربوا على ما تيا لكم من الاطراف وغيرها
والمقاتل واضربوا منهم كل بنان في الحرب لانه لا سبيل في الحرب الى ان يضرب ضربا يكون مثلة فكانه قال فاضربوا فوق
الاعناق اذا قدرتم عليهم وتمكنوا في ايديكم واضربوا منهم كل بنان بحيث ما تقدرون والله اعلم وقوله ذلك يعني والله اعلم
ذلك الضرب والقتل بانهم شاقوا الله اي حاربوا الله ورسوله وادت الى الخلاف خالفوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب له في الاخرة وقوله ذلكم اي ذلكم اي العقاب والعذاب قد وقع وان للكافرين عذاب
النار بالخلاف لله ورسوله والمحاربة معهم وقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
كان اول الامر بالقتال وفرضه كان لبذل الانفس للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف هو الجمع والعدد الذي لا يعد
وليس للواحد للقيام لهم الجمع فكان فرض القتال لبذل الانفس للقتل وعلى ذلك يخرج قوله ان يكن عشرون صابرون
يغلبوا مايتين وليس في وسع الواحد القيام لعشرة اذا احيط به ويجوز ان يفرض بذل الانفس للقتال كقوله ولو
انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم اخبر انه لو امر بذلك لم يفعل الا القليل
منهم لجايز الامر بذلك امتحانا منه لهم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله كانما يساقون الى الموت وهو على التحقيق اذا في
ذلك بيان قوت ويحتمل وجها اخر وهو ان الله عز وجل امر بذلك ليكون ايه ويعرف كل احد انه انما قام بالله لا بقوة نفسه
اذ ليس في وسع احد القيام لعشرة او لجماعة يقوم اذا احيط به وقوله على الاية ان كان فيه ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله فلا
تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فية والمتحرف للقتال هو المنتقل من مكان الى
مكان اطيب والمتحيز الى فية هو الملتجي الى فية في جهة العدو اليهم والحرب يقال تحوزت وتحيزت باليا والواو جميعا
وهما لغتان وفيه النهي عن الانهزام والتولي عن العدو الا ما ذكرنا التحرف للقتال والتحيز الى الفية على جهة القصد
اليهم ثم اخبر ان من ولى دبره بسوء ذلك فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبيس المصير قالت المعتزلة ملعا اوعد

التوقف بعزته لـه والمتحيز الي غير الفئة بقوله فقد باء بغضب من الله ان مرتكب الكبيرة يخلد في النار لانه ذكر في اول الاية المومنين وهم
خرج الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ثم اوعدهم الوعيد الذي ما يوعد اهل النار غير اهل الايمان
دل انه يخرج عن الايمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار وقالوا لا يجوز صرف الاية الي اهل النفاق لما ذكر في القصة انه لم
يكن يوم بدر منافق لكن هذا غلط قال الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم وانما قالوا ذلك
يوم بدر كذلك ذكر والله اعلم وقوله الا متحرفا لقتال او متحيزا الي فئة فان كان مستثنى من قوله فقد باء بغضب من الله لم
يكن فيه رخصة التولي ولكن فيه دفع الوعيد الذي ذكر وان كان مستثنى من قوله ومن يولهم يومئذ دبره ففيه رخصة التولي الي
ذكر في الدلالة على انه مستثنى من هذا دون الاول ما جاء عن غير واحد من الصحابة بتولية الدبر الي ما ذكر وكذلك روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا فئة لكل مسلم وبعد فانه لم يكن لاهل الاسلام فئة يوم بدر يتحيزون اليها فدل انها
في المنافقين واهل الكفر والله اعلم ثم يقال يجوز ان يكون ما ذكر من الوعيد لهم في التولية عن الدبر والاعراض
لا لنفس التولية عن الدبر اذ قد ذكر التولية عن الدبر في اية اخرى والعفو عن ذلك وهو قوله تعالى ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاية فان قيل لعل التوبة مضمرة فيه تابوا فعفا عنهم قيل اجاز
ان يجعل التوبة مضمرة فيه جاز ان يضمر في التولية عن الدبر الرد فليس لذلك دفع باضمار التوبة من منع باضمار الرد وفي
الاية معان تدل على الاضمار اضمار ما يوجب الوعيد الذي ذكر والله اعلم احدها ذكر التحيز الي فئة واذا لم يكن لهم فئة
يتحيزون اليها فاذا تحيزوا انما يتحيزون الي العدو وهو الرد الذي ذكرنا والثاني ما ذكر في بعض القصة انه لما اصطف القوم
رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا ومن هرب وولى
الدبر عن مثل تلك الحال لم يول الا قصدا ان لا يعبد فهو كفر والثالث قد وعد لهم النصر والظفر على العدو فمن ولى عن
الدبر لم يول الا التكذيب بالوعد الذي وعد لهم وقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
تاويله بوجوه يحتمل قوله فلم تقتلوهم اي لم تكن جراحاتكم التي اصابتهم مصيبة المقتل ولا عاملة في استخراج الروح وان
كانت قاتلة ولكن الله تعالى صيرها قاتلة مصيبة المقتل عاملة في استخراج الروح لان من الجراحات من اذا اصابت لم تصب
المقتل ولا عملت في استخراج الروح وقوله فلم تقتلوهم الاية يخرج على وجوه احدها ان العبد لا صنع له في القتل واستخراج
الروح منه انما ذلك فعل الله واليه ذلك وهو المالك لذلك لان الضرب والجرح قد يكون ولا موت هنالك وكذلك الرمي
ليس كل من ارسل شيئا من يد مرمي انما يصير رميا بالله ان السهم حتى يصل ويطيع المبلغ الذي يبلغ فكانه لا صنع له في
الرمي الا ترى انه لا يملك رد السهم اذا ارسله ولو كان فعله لملكه رده ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله ان الاستيجار على
القتل باطل والثاني قتلوا بمعونة الله ونصره كما يقول الرجل لاخر انك لم تقتله وانما قتله فلان اي بمعونة فلان
قتله فهذا ذلك الاول وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي ما اصاب رميك المقصد الذي قصدت ولكن
الله بلغ ذلك المقصد الذي قصدت والثاني فلم تقتلوهم اي لم تطمعوا بخروجكم اليهم قتلهم لانهم كانوا بالمحل الذي وصفهم
من الضعف وشدة الخوف والذلة كانما يساقون الي الموت فاذا كانوا بالمحل الذي ذكر فيعرف والله اعلم لم تطمعوا
بخروجكم اليهم وقصدكم اياهم قتلهم لما كان فيكم من الضعف وقوتهم ولكن الله اذلهم والقى في قلوبهم الرعب واكرمكم
حتى قتلتموهم وكذلك قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى لا يطمع الانسان برمي كف من تراب الكثبة باعداد بالكثرة
لعدد رمي حيث بلغ ذلك وغطى ابصارهم واعينهم بذلك الكف من التراب على ما ذكر في القصة انه رمى كفا من تراب فغشي
ابصار المشركين فانهزموا لذلك ويحتمل ان يكون نسبة هذه الافعال الي نفسه واضافتها اليه لما نسب واضاف كل
خير ومعروف الي نفسه من ذلك قوله يمنون عليك ان اسلموا الاية وقوله ولكن الله يهدي من يشاء وقوله اهدنا الصراط
المستقيم الاية وغير ذلك من الايات التي فيها اضافة الافعال التي خلصت له وصفت له فيخرج ذلك نسبة فعلهم الي
نفسه تكرمة وصفاية لهم والله اعلم وقوله وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي نعمة عظيمة حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف
ابدانهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوة ابدانهم وعدتهم وسوى ذكر في هلاك فرعون وقومه انه بلاء من ربكم عظيم نعمة

لعله الثالث

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فيه ذلك هذا والله اعلم وقوله ان الله سميع اي سميع لدعائكم الذي دعوتم ونصر عليكم الذي نصرتم
اليه اوان يقول سميع اي مجيب لدعائكم عليم بنواياكم وافعالكم التي تسرون وتعلنون والله اعلم وقوله ذلكم وان الله
موهن كيد الكافرين قوله ذلكم اي ذلكم الذي كان بهم من القتل والاسر والهزيمة لما اوهن واضعف كيدهم تعالى ويحتمل
ان يكون صلة قوله وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي ذلك الانعام والابلاء الذي من الله اليكم لما اوهن كيدهم وذلك يكون
في جملة المومنين ما من مومن الا ولله اليه بلاء وانعام في كل حال لما اوهن كيد الكافرين وقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح الاستفتاح يحتمل وجوها ثلثة يحتمل الاستكشاف وطلب البيان ويكون طلب النصر والمعونة كقوله وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون ويكون طلب الحكم والقضاء بين الحق والباطل قال افتح بيننا اي احكم به وقضي فيه
يخرج على وجهين على طلب بيان المحق من المبطل وطلب بيان احق الدينين بالنصر والحكم فقد بين اسلم احق الدينين ما ذكر في
القصة ان ابا جهل قال اللهم اقض بيننا وبين محمد فقال اللهم ايانا كان اوصل للرحم وارضى منك فانصره فقبل الله ذلك ونصر
المومنين وهزم المشركين فنزلت هذه الاية وقيل انه دعا اللهم انصر اعز الجندين واكرم الفئتين وخير القبيلتين فكان ما
ذكرنا فقد بين اعز الجندين واحق الدينين واعز الجندين لما هزم المشركين مع قوتهم وعدتهم وكثرة عددهم بفئة ضعيفة ذليلة قليلة
العدد ضعيفة الابدان والاسباب دل انه قد بين لهم الحق من غيره وقيل انهم استفتحوا بالعذاب وكان استفتاحهم ما قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فجاءهم العذاب يوم بدر واجزاهم يوم احد
ان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا الاية والاستفتاح ما ذكرنا قال الحسن الفتح القضاء ولذلك قال قتادة وقال ان
تستفتحوا فقد جاءكم القضاء في يوم بدر لقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاية وقال القتبي قوله ان تستفتحوا اي ان تسالوا
الفتح وهو النصر فقد جاءكم وهو ما ذكرنا وقوله وان تنتهوا فهو خير لكم يحتمل قوله وان تنتهوا عما كنتم فهو خير لكم يغفر لكم
كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل وان تنتهوا عن قتال محمد فهو خير لكم من ان ينتهي محمد عن قتالكم وقوله وان تعودوا
نعد يحتمل وان تعودوا الي قتاله نعد الي ما فعلنا بكم من القتل والقتال والاسر والقهر ويحتمل وان تعودوا نعد الي البيان والكشف
الي ما كنتم قبل البيان من التكذيب والكفر نعد نحن الي الانتقام والتعذيب كقوله وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين
وقوله ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين بالنصر والمعونة فان قيل ذكر انه لن تغني عنكم فئتكم وقد نرى
وقد اغنى كثرتهم وفئتهم يوم احد حيث ذكر ان الهزيمة كانت على المومنين قيل هذا الوجهين احدهما ان عاقبة الامر كانت للمومنين
وان كان في الابتداء كان عليهم فلم يبق منهم ذلك على ما ذكر لانه لو اغناهم ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة والثاني انه لم تكن النكبة
والهزيمة على المومنين الا بالعصيان كان منهم كقوله ولقد صدقكم الله وعده الاية فما اصاب المومنين من النكبات انما كان بسبب
كان منهم الي العدو لذلك كان الجواب ما ذكر والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه
ورسوله في بيانه ونهاه عما اليه وقيل اطيعوا الله في فرائضه ورسوله في سنته واداب ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اياته وحججه ولا
تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي لا تكونوا في الايمان والتوحيد والايات كالذين قالوا سمعنا الايات والحجج
وهم لا يسمعون اي لا ينتفعون بسماعهم او لا يعقلون كالدواب وغيرها قال ابو بكر الاصم قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون استثقالا وبغضا اي لا يستمعون اليها من استثقل شيئا والبغض لم يستمع اليه كقوله لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه وقوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون تاويله والله اعلم ان الذي هو من شر الدواب عند الله
هو الصم الذي لا ينتفع بسمعه والبكم الذي لا ينتفع بلسانه ونطقه لانهم لم ينتفعوا بسمعهم لما جعل لهم السمع ولم ينتفعوا بنطقهم
لما جعل لهم النطق ولم ينتفعوا بعقولهم لما جعل لهم العقل فهم شر الدواب كقوله اولئك كالانعام بل هم اضل كانوا اضل واشر
لان الدواب والانعام انتفعت ببعض الحواس لما جعلت لها من الحواس عرفت ببعض الحواس المهالك والمضار فتوقت عنها
وعرفت الملاذ والمنافع فرغبت فيها وتبعتها فانتفعت الدواب بالحواس التي جعلت لها لما جعلت ولم يجعل لها من الحواس
الا المقدار الذي عرفت ورغبت وانتفعت به وهولا الكفرة لم ينتفعوا بالحواس التي جعلت لهم لما جعلت وانما جعلت لهم ذلك
ليعرفوا المنافع لهم والمهالك في العاقبة فلم يعرفوا ذلك ويعرفوا الاضرار لهم في العاقبة والمهالك فيتوقوا عنها ثم ينتفعوا بجوارحهم

ما جعلت الحواس فالدواب انتفعت بها لذلك كانوا اضل واشر منها وقوله ان شر الدواب الذين اكتسبوا الصمم الدايم والعمي
الدايم وذلك في الاخرة كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله اصنوا فيها ولا تكلمون اي تركوا اكتساب
البصر الدايم والسمع الدايم والكلام الدايم والثاني سماهم صما وبكما وعميا لما لم يكتسبوا ابصار القلب ونطق القلب وسمع القلب
لان منافع الحواس هي التي تكون بالاكتساب ولم يكتسبوا انما لهم الحواس الظاهرة ان شر الدواب التي لم ينتفعوا بالذي ذكر من
الحواس وتركوا انتفاعها والله اعلم وقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قيل نزلت الاية في المرادين الكفر وقال ابن عباس رضه
هم نفر من بني الدار كانوا يسالون رسول الله اية بعد اية وقد اعطاهم ايات قبل ذلك لم يقبلوها فقال لو علم الله فيهم انهم يقبلون
جواب المسايل التي سالوا لاوحي اليهم ولاسمعهم ولكن علم انه وان اسمعهم جواب ما سالوا لا يقبلون وقالت المعتزلة دلت الاية
كان قد اعطاهم جميع ما كان يصنع لكنهم لم يقبلوا لانه قال لو علم فيهم خيرا لاسمعهم فدل انه لم يكن عنده ما يعطي والا لو كان ذلك
عنده ما يشبلون لاسمعهم لكن هذا بعيد لانه لم يقل لو علم الله عنهم خيرا لاسمعهم ولكن قال لو علم الله فيهم خيرا فانفي انه ليس
عندهم خير والوجه فيه ما ذكرنا انه لو علم فيهم خيرا يعملون به لاوحي اليهم واسمعهم لكنه علم انهم لا يقبلون لقوله ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون اي مكذبون جواب ما سالوا تعنتا وتمردا منهم واجرانهم يسالون سوال تعنت وتمرد لا سوال استرشاد
وقوله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بعضهم هذه الاية صلة قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وان فريقا من المومنين لكارهون يقول والله اعلم اجيبوا الله والرسول الى ما يدعوكم وان كانت انفسكم تكره الخروج لذلك لقلة
عددكم وضعف ابدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم وقوله اذا دعاكم لما يحييكم اي دعاكم لما يحييكم بالذكر والشرف والثنا الحسن
في الدنيا والحيوة في الاخرة اللذين الدايمة وان متم وهلكتم فيما يدعوكم اليه يكون لكم في الاخرة حيوة الابد ويحتمل ان تكون الاية
في جملة المومنين اي استجيبوا لله في امره ونواهيه وللرسول فيما يدعوكم اليه وانما كان يدعو الى دار الاخرة كقوله والله يدعو
الى دار السلام ودار الاخرة هي دار الحيوة كقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون كانه قال والله اعلم اجيبوا
لله وللرسول فانما دعاكم الى ما تحيون فيه ليس كالكافر الذي لا يموت فيها ولا يحيي بترك الاجابة وقوله واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه امكن ان يخرج هذا على الاول اي اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يجعل القوي ضعيفا والعزيز ذليلا
والضعيف قويا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والخايف امنا والامن خايفا فاجيبوا للرسول بالخروج للجهاد وان
كنتم تخافون لضعفكم وقوتهم ويحتمل في جملة المومنين ان من اجاب الله والرسول اذا دعاه يجعل قلبه هو الغالب على نفسه
والحايل بينه وبين ما يدعو اليه النفس واذا ترك الاجابة يجعل نفسه هي الحايل بينه وبين ما يدعو اليه قلبه والداعية
الى ذلك وانه اليه تحشرون وقيل استجيبوا لله وللرسول بالطاعة في امر القتال اذا دعاكم الى الحرب لما يحييكم يعني
بالحرب التي اعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف فكان ذلك حيوة واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه يقول يحول بين قلب المومن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
يخرج على وجهين احدهما يستقبل التوبة قبل ان ينزل به الموت يقول اجيبوا الله والرسول قبل ان يحال بين المرء وبين التوبة
بالموت والثاني يحول بين المرء وقلبه بالاعمال التي يكتسبها يعني بعمل الذي يفعل طبع قلبه وختمه ويعني ظلمة تحول
بينه وبين ما يبصر ويدعو اليه والله اعلم وقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة كان بعضهم لا يعنا
هذا بين كانه قال واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي اتقوا فتنة التي تصيب الظلمة منكم خاصة لظلمهم
وهو العذاب كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين فخاطبكم قوله واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا في الاخرة
وهو العذاب وذلك جايز في الكلام نحو ما قرا بعضهم قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون بكسر الالف وطرح لا
انها اذا جاءت يومنون اي انها وان جاءت لا يومنون واما على اثبات لا فانه يحمل وجوها قيل اتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا اي اتقوا ان لا تكون فتنة للذين ظلموا كقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا وربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين لئلا يقولوا لو كانوا على الحق ما غلبوا ولا قهروا ولا انتصروا منهم وقيل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا نهي الاتباع منهم ان لا يبعوا فيها في الظلمة بالفساد ولا يعري بعضهم على بعض فيتبع فيما بينهم الفساد فيكون بعد لا

الاتباع فتنة لا وليكما الظلمة اغرا بعضهم على بعض وذلك معروف فيما بين الخلق في الظلمة يغري الاتباع بعضهم على بعض لذلك فتنة ويحتمل
وجها اخر وهو ان تعطي لجز الاحوال في الخلق من سعة وضيق ورخا وقحط وضيق وغلب العدو على الاوليا ونحو ويدفع
العذاب عن الظلمة بن لم يظلم ما لم يشاركوا الظلمة فاذا شاركوا ولم يحملوا على ايديهم بظلمهم واهل الصلاح والعدل بتركهم
الظلمة واهل الفساد عن الظلم والفساد وتركهم قوة المنع لهم عن ذلك فيتول لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولكن تصيبهم
وتصيبكم فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة احد الظلمة العذاب لترككم اهل العدل ليكما يكونوا فتنة لهم لقوله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض او ان يدفع عن الظلمة البلا والعذاب ما دام اهل العدل يامرونهم بالمعروف وينهون
عن المنكر فاذا تركوا ذلك ولا ينهون عن المنكر نزل بهم البلا فيهم البلا الظالم جزى والفتنة على وجهين فتنة الجزاء جزا
العالم فذلك يا خذا اهل خاصة وفتنة المحنة وذلك في الخلق والله اعلم وقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
تخافون ان يتخطفكم الناس الاية ان اهل الاسلام في ابتدا الامر كانوا قليل العدد مستضعفين مع الكفرة حتى كانوا
يخافون ان يسلب الكفرة ارواحهم وكانوا لا يامنون على انفسهم بالمقام في البلدان لقلة عددهم وضعفهم خوفا على انفسهم واشفاقا
تركوا المقام بالبلدان وخرجوا الى الجبال والغيران فاقاموا فيها واكلوا الحشيش الكلا طعام الانعام خوفا على ابدانهم
واشفاقا على دينهم ثم ان الله عز وجل اواهم وانزلهم في البلدان والامصار وايدهم بنصره على عدوهم ورزقهم الطيبات
طعام البشر بعد ما اكلوا الحشيش طعام البهايم لعلهم يشكرون ليلزمهم الشكر على ذلك ولا يجوز لهم ان لا يشكروا بعد ما اصابوا
ما اصابوا ذكر هذا والله اعلم انا نكون نحن من الاشفاق في الدين مثل ما كانوا حين هربوا منهم واتخذوا الجبال والغيران
مسكنا والحشيش طعاما وتركوا اموالهم دونهم ورضوا بذلك اشفاقا على دينهم وقال عامة اهل التاويل نزلت الاية في اهل بدر
وكانوا قليلي العدد والعدة ضعيف الابدان والعدو كثير العدد قوي الابدان فاشتد عليهم الخروج لذلك كقوله
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الاية فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون اي اذ
كنتم قليلا وفيه دلالة لقول ابي حنيفة رح فيمن قال هذا الشي لفلان اشتريته منه صدق ويصير كانه قال هذا الشي كان لفلان
اشتريته منه ويلغو قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض اي اذ كنتم قليلا وقوله وايدكم بنصره على هذا الذي ذكر
اي بالمدينة ورزقكم من الطيبات الغنايم التي رزقهم واحل لهم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
اماناتكم جعل الله عز وجل هذه الامة وسطا عدلا لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد جعلكم الله
امة عدلا وسطا فلا تخونوا الله فيه كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على انفسكم الاية وقوله ولا يجرمنكم
شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض اخبر انه الزمهم الامانة
اي البشر دون ما ذكر من الخلايق ثم منهم من ضيع تلك الامانة نحو المنافقين والمشركين وخانوا فيها فلحقهم الوعيد بالتضييع وهو
قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات الاية فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد قبلتم امانة الله فلا تضيعوها ولا تخونوا فيها كما
اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وغير ذلك من الايات التي فيها ذكر الامانات نهاهم ان يخونوا فيها فيكونون
كانهم خانوا اماناتهم ويحتمل قوله يا ايها الذين امنوا ان انفسكم واموالكم لله وهي عندكم امانة استحفظكم فيها فلا تستعملوها
في غير ما اذن لكم لان من استحفظ احدا في شي ووضع عنده امانة فاستعمل في غير ما اذن له صار خاينا فيها فانها فعلى ذلك
انفسكم واموالكم لله عندكم امانة استحفظكم فيها فان استعملتم في غير ما اذن لكم فيها خنتم الله والرسول فيها فتخونوا اماناتكم
التي لكم عند الله واذا حفظتم الامانة كقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال بعضهم قوله وتخونوا اماناتكم اي لا تخونوا الله
والرسول ولا تخونوا اماناتكم التي فيما بينكم واصله ان الله عز وجل استخانهم فيما ائتمنهم فخانوا انفسهم وكان جزاءهم فيصيرون فيما خانوا
فيما استخانهم كانوا خانوا انفسهم وخانوا اماناتهم كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدين وخيانة المومنين في اعمالهم فوعد لهم
التوبة عن خيانتهم ووعد اولئك على ما خانوا ابتدا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المومنين والمومنات وقوله وانتم تعلمون ان انفسكم واموالكم ليست لكم انما هي لله عندكم امانة فلا تخونوا فيها وعن ابن عباس رضه قال

764

الامانة الامانة التي ائتمن الله بها العباد يعني الفريضة لقوله لا تخونوا الله اي لا تنقضوا ما ثم اختلف اهل التاويل في نزول الاية
قال بعضهم نزلت في ابي لبابة وذلك ما قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة فسألوا الصلح على
ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات فابى النبي الا ان ينزلوا على حكم سعد فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم فبعثه النبي
اليهم فلما اتاهم قالوا يا ابا لبابة انزل على حكم سعد فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد فاطيعوه وكان ابو لبابة ماله وولده معهم
فخان المسلمين فنزلت الاية في شانه وقال بعضهم نزلت في شان حاطب بن بلتعة فعل ما فعل ابو لبابة وقيل نزلت في شان قوم
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الذين كانوا يعبدون الاوثان والاصنام لكنا لا ندري في شان من نزلت وليس
لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه ما ذكرنا من النهي عن الخيانة في امانة الله والامر بحفظها والله اعلم وقوله واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة اي لم يعطهم الاولاد والاموال للعبث وباطلا وليكون لهم الاموال والاولاد ولكن اعطاهم محنة وابتلاء وكذلك جميع
ما ان في الدنيا من الاشياء انما انشئ فتنة ومحنة كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون وقوله وبلوناهم بالحسنات الاية وغيره من الايات يدل ان جميع ما ان في الدنيا انما انشئ فتنة ومحنة يمتحن بها
البشر كقوله انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة وابتلاء امتحننا به في انواع التاديب والتعليم والحفظ والحقوق التي جعلها
لهم عليه وهو كقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا الاية واوجب في الاموال حقوقا امتحننا باداء تلك الحقوق التي فيها وكذلك
في جميع ما امر الله الخلائق بالعبودية ثم انما امر ونهى لمنفعة الخلائق ودفع الضرر عنهم لا لمنفعة نفسه او ضرر او حاجة يدفع بها
نفسه اذ له ملك ما في السموات والارض وهو العزيز بذاته لا لغيره حاجة يتعالى عن ذلك وقوله وان الله عنده اجر عظيم لمن لم
يخن الله والرسول وعلى الاجر العظيم اذا لم يوابوا فيما امتحنهم الله به وابتلاهم من الاموال والاولاد حيث قال وان الله
عنده اجر عظيم وقوله يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال بعض اهل التاويل ان هذه الاية صلة لما
سبق من الامر بالجهاد ببدر والخروج اليه كانه قال ان تتقوا الله اطعتم الله واجبتم لما دعاكم اليه يجعل لكم فرقانا يحكم
قوله يجعل لكم فرقانا اي يجعل خروجكم اليه وجهادكم اية عظيمة يظهر بها الحق من المبطل كقوله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته وقوله
ليحق الحق ويبطل الباطل اي ليظهر الحق من الباطل وقد كان جعل الله ذلك وبان الحق من الباطل والمحق من المبطل وقيل
قوله فرقانا اي مخرجا في الدين من الشبهات وقيل مخرجا في الدنيا والاخرة ويحتمل فرقانا اي بيانا لما ذكرنا جعل الله تعالى
التقوى مشتملا على كل خير واصلا لكل بر وصيرها مخرجا من كل شبهة ومن كل ضيق وشدة وجعلها سبيلا يوصل به الى كل لذة وسرور
وينال به كل خير وبركة على ما ذكر في غير اي من القران وقوله ويكفر عنكم سيئاتكم التي سبقت ويغفر لكم اي يستر عليكم ذنوبكم
لا يطلع احدا عليها وذلك من اعظم النعم واجل المغفرة الستر وقوله والله ذو الفضل العظيم اي عند الله فضل يعطيكم خيرا
مما تطلبون بالتقوى الذي ذكر وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك من الناس من يقول ان
هذه الاية بمكة وقوله تعالى اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس كانوا ضعفاء اذلاء فيما
بين الكفرة خائفين فيما بينهم فهموا ان يمكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمكر به ما ذكر من القتل والاثبات وهو الحبس
او الاخراج كانهم تشاوروا فيما بينهم واستعمروا ما يفعل بهم تذكر في القصة ان بعضهم اشاروا الى القتل وبعضهم الى
الحبس وبعضهم الى الاخراج فكان منا امرهم وامرهم رجعت الى احد هذه الوجوه اما القتل واما الحبس واما الاخراج ثم
اخرج الله رسوله من بين اظهرهم على الوجه الذي يكون مطيعا لله متعبدا فيها كان خروجه بامر ليكون خروجه على غير
الجهة التي ارادوا واهم به ليسمى خروجه هجرة وليعلموا انه انما علم مكرهم ومكرهم به باعلام الله ليكون اية من ايات نبوته ثم
بعد خروجه من بين اظهرهم ومفارقته اياهم كما كان له من الايات وقت مقامه بين اظهرهم وهو كما كان لعيسى ايات وقت
مقامه بين اظهرهم واية كانت له بالرفع بعد مفارقته قومه فعلى ذلك الاول لو كانوا لم يتوافقوا بما ذكر من القتل
والحبس دون الاخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين اظهرهم وهم قد هموا بالاخراج والله اعلم وفي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك الى اخر ما ذكر تذكير النعم على رسوله واصحابه لانه اواهم الى الامن بعدما كانوا خائفين فيهم واتاهم المدينة
بعدما كانوا في الغيران في الجبال واسكنهم ورزقهم الطيبات طعام البشر بعدما كانوا يتناولون من طعام البهائم والسباع

بذكر

765

بذكر نعمه عليهم واستنقاذه اياهم من بين ظهرانيهم والحيلولة بينه وبين ما قصدوا وهموا بالمكر به والهلاك بقوله ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين فيه من الوحي احتجاجا عليهم اذ هدهم ما ذكرنا انهم تشاوروا فيما بينهم بالمكر لم يطلعوا احدا ثم علم ذلك حتى خرج ليعلموا
ان الله هو الذي اطلعه على ذلك وان في كان ينجوهم الهلاك بمكرهم برسوله فخرج من بينهم من غير ان اصابه ما هموا به فقد اصابهم من
الهلاك الذي كان يجوزهم وحل بهم ما كانوا هموا به وقصدوه فيقال ما ذكر من مكر الله بهم وقوله ويمكر الله والله خير الماكرين قال
بعضهم اراد والله بمكرهم بنصر الله ومواتي يطفئوا هذا النور ليذهب هذا الدين ويدرس ما اتى واراد الله ان يتم منهم نوره ليكونوا
اعوان وحرا لما عند واعظم من ذلك ومن وجه الماكرين وقيل ويمكرون الله ويمكر الله اي اراد واقبح ويمكر الله اراد فعلهم فعلهم جزاء
والله خير الماكرين اي افضل مكرا لانهم على مكرهم وقال بعضهم قوله ويمكرون ويمكر الله اي يجزيهم جزاء مكرهم وقوله واذا تتلى
عليهم اياتنا يحتمل قوله اياتنا ايات القران التي كان يتلو رسول الله ويحتمل اياته حججه وبراهينه التي توجب التوحيد وتصديق الرسل
وقوله قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قالوا ذلك تعنتا اذ كان يقرع اسماعهم قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقوله فاتوا بسورة من مثله الاية فلم يكن يطمع احد منهم ان ياتي بمثله وتكلفوا في ذلك
ولان قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا تعنت وعناد وان هذا الا اساطير الاولين كذلك كان شهد العرب انه اساطير الاولين وقوله
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية يذكر نهاية سفههم وغاية جراتهم على الله وبغضهم
الحق مع علمهم ان الله هو الاله وانه قادر على انزال العذاب ولو السلطان على ابطال الحجارة بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلم يبالوا الهلاك انفسهم لشدة سفههم وجراتهم على الله وبغضهم الحق
وهذا ذكر والله اعلم ليعلم الناس ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من عادية هولاء السفهاء الى دين الله الذين لم يبالوا الهلاك انفسهم
لشدة بغضهم الحق وجراتهم على الله وما يحمل بهم من المؤن العظيم وقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يحتمل قوله وانت فيهم اي
في حال المومنين انه لا يعذب احدا في الدنيا ما دام مومنهم وما دام مومن فيهم بقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي
يومنون وهو لما ذكر انه ارسله رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن رحمته ان لا يعذب احدا من امته في الدنيا انما يوخر
ذلك الى يوم القيامة بقوله انما يوخرهم ليوم كذا وقوله والساعة ادهى وامر ويحتمل ان يكون قوله وانت فيهم في اهل مكة خاصة انه
لا يعذبهم ما دام مومنهم وما دام فيهم احد من المسلمين من الذراري والذراري كقوله ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم
تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الاية اي لا نعذبهم وانت بارهم فيهم اي بين اظهرهم حتى نخرجك من بينهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون اي يصلون وقيل يومنون وكذلك روي عن ابن عباس ولكن يعذبهم بعذاب القتال والجهاد ولا يعذبهم
بعذاب استيصال واهلاك جملة اي بعذاب استيصال على ما هلك سائر الامم فزعم المعتزلة تعلقت بظاهر قوله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون اي يومنون اي لا يعذبهم ما دام يعلم ان فيهم احدا يومن في اخر عمره اذ من قولهم ان لا يجوز من الله ان يهلك احدا
اذا كان في علمه انه يومن في اخر عمره لقولهم في الاصلح انه لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين فعلى ذلك قالوا ظاهر
الاية انه لا يعذبهم وهم يستغفرون اي يومنون لكن لو كان كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم ابدا ويسقط الامر بالقتال
اذ لعل فيهم من يسلم فاذا امر بالجهاد والقتال معهم دل ان ذلك ليس ما توهموا والله اعلم وقال بعضهم في قوله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون اي وهم يدخلون في الاسلام وقيل يسلمون وقال بعضهم وهم يستغفرون لمن بقي بمكة من المسلمين فلما خرجوا
منها قال وما لهم ان لا يعذبهم الله الاية وروي عن ابي موسى الاشعري انه قال كان فيهم امانان احدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والاخر الاستغفار لقوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فذهب امان وهو
رسول الله وبقي امان وهو الاستغفار وعن ابن عباس قال ان جعل في هذه الامة امانين لا يزالون معصومين من قوارع
العذاب ما دام بين اظهرهم فامان قبضه الله اليه وامان بقي فيكم وهو الاستغفار الذي ذكر وروي عن عبد الله بن عمرو ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا في اخر سجوده في صلاة الايات فقال اف اف فقال رب الم تعدني ان لا تعذبهم وانا
فيهم رب الم تعدني ان لا تعذبهم وهم يستغفرون وعن بعضهم امانان انزلهما الله اما احدهما فمضى وهو نبي الله واما الاخر
فابقاه الله بين اظهركم وهو الاستغفار والتوبة وفي انباء نزول السماء ودعائهم بامطار الحجارة عليهم وجعل ذلك كتابا

في الصلوات او صفقة من المكاء والتصدية لهذه الامة المعاملة مع السفه عند ارتكاب المناكير من الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر انهم اذا نادوا نهيهم واستقبلوا بالمكاء والاذى ان لا يترك الامر لهم بالمعروف ولا يوايس من خيرهم اقتداء بالنبي انه
لم يترك دعاهم وامرهم بالمعروف مع شدة سفههم وتمردهم والثاني ليعلم الخلق ان جهاد تلك الامم العباد وان كانوا قد جهلوا اذا كان
التسبيح جائز فلم يترك النظر والتفكر اذ لو علموا حقيقة العلم انه الحق لم يكونوا ليدعوا على انفسهم بالهلاك والثالث يكون فيه بيان
وقوله فما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي ما لهم من عذر في صرف العذاب عنهم اذ قد كان منهم من
انواع ما كان لو كان واحد من ذلك لكانوا يستوجبون العذاب من تكذيبهم الرسول والايات التي ارسلها اليهم وصدهم الناس عن
المسجد الحرام وهو مكان العبادة وسؤالهم بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم اي ليس لهم عذر في صرف العذاب
عن انفسهم الا احتجاجهم على الله انه لم يرسل رسولا لقولهم لولا ارسلت الينا رسولا الاية بل ارسل اليهم الرسول فكذبوه وبعث اليهم
الايات فكذبوها وصدوا الناس عن المسجد الحرام فلا عذر لهم في وجه من الوجوه ان يصرف العذاب عنهم الا ان الله بفضله ورحمته
يصرف العذاب عنهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفار المؤمنين والا فقد كان منهم جميع اسباب العذاب التي يستوجبون بها وقوله
وهم يصدون عن المسجد الحرام اي عن الصلوة فيه ويحتمل ان يكون صدوا الناس عن رسول الله لكنه ذكر المسجد لما كان رسول الله فيه
لئلا يروا رسول الله فيتبعونه وقوله وما كانوا اولياءه اذ لم يكونوا اولياءه ليصرفوا العذاب عن انفسهم بالولاية ويحتمل
قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم ليسوا باوليائه ويحتمل قوله وما كانوا اولياءه انهم كانوا يصدون الناس عن المسجد الحرام لما
ادعوا انهم اولياؤه وانهم ولاة المسجد الحرام منعهم ثم اخبر انهم ليسوا اولياءه انما اولياؤه المتقون الذين اتقوا ما تولاهم اي
اولياؤه الموحدون لا الذين اشركوا بالله في عبادته والوهيته وقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فكيف
حالهم في غير الصلوة وقال بعضهم قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه اذا صلوا في المسجد الحرام قام طائفة من المشركين عن يمين النبي واصحابه يصفرون كما يصفر المكاء وطائفة
تقوم عن يسارهم فيصفقون بايديهم ليخلطوا على النبي واصحابه صلاتهم فنزل قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية ثم اختلف في المكاء والتصدية قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق والتصدية هو طوافهم على الشمال وقال القتبي
المكاء الصفير يقال مكا يمكو وهو مثل ما قيل للطائر مكاء لانه يمكو اي يصفر يعني يصوت والتصدية هو التصفيق يقال صدى
اذا صفق بيديه وقال ابو عوسجة المكاء الصفير والتصدية ضرب من باليدين وهو من الصدى من الصوت وقيل المكاء
صفير كان اهل الجاهلية يلعبون به والتصدية الصد عن سبيل الله ودينه وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال
بعض اهل التاويل ذوقوا العذاب يوم بدر وهو الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر ويحتمل قوله فذوقوا العذاب في
الاخرة بكفرهم في الدنيا وقوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية يذكرهم والله اعلم النعم
التي انعم عليهم من انواع النعم احدها ما ترهم في بقعة حفت تلك البقعة وحفظت على غيرها من البقاع وهي مكان العبادة ثم
صدوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها ومن ذلك بعث الرسول منهم فهم كذبوه وما اعطاهم من الاموال فانفقوها في
الصد وصد الناس عن مكان العبادة واقام العبادة فيه ثم اختلف في معنى الصد قال بعضهم ان كفار قريش استاجروا
لقتال بدر رجالا من قبائل العرب عونا لهم على قتال النبي واصحابه فذلك نفقتهم التي انفقوا فصار ذلك حسرة عليهم لما كانت
الهزيمة عليهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه سئل عن هذه الاية فقال تلك قد خلت ان ناسا في الجاهلية كانوا يعطون اموالهم ناسا
فيما تكون نجاة فاسلموا عليها فعلوا فكانت عليهم حسرة وعن سعيد بن جبير قال نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر
يوم احد اجراء من الاحابيش من كنانة فقاتلهم النبي ويحتمل ان يكون قوله ثم تكون عليهم حسرة يوم القيمة اي النفقة التي
انفقوها تصير عليهم حسرة في الاخرة لما انفقوها في غير حل لصد الناس عن سبيل الله وقوله والذين كفروا الى جهنم يحشرون
اي يجمعون ... يجمعون الى جهنم بكفرهم بالله وقوله ليميز الله الخبيث من الطيب جعل الله تعالى الخبيث مختلطا
بالطيب في الدنيا في سمعهم وبصرهم ونطقهم وجميع جوارحهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم وجميع منافعهم من الغنى والفقر وانواع
المنافع جعل بعضهم ببعض مختلطين في الدنيا على ما ذكرنا لكنه ميز بين الخبيث والطيب في الاخرة باعلام يعرف بذلك

العلامات الخبيث من الطيب من نحو ما ذكر في الطيب قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
وقال في الكافر ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية وغير ذلك من الايات ميز الله تعالى بين الخبيث والطيب
بالاعلام التي ذكرنا في سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم ومأكلهم ومشربهم حتى يعرفوا جميعا بالاعلام ويحتمل ما ذكر من التمييز بين
الخبيث والطيب بالمباهلة التي جرت بين ابي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ابو جهل اللهم انصر من احبنا سبيلا واهدانا
... رحما فاجيب فنصر رسوله واصحابه فميز بين المحق والمبطل ويحتمل ما ذكرنا التمييز في الاخرة كقوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة
وفريق في السعير وقوله ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلهم دركات بعضها اسفل من
بعض كقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويحتمل ان يجعل بعضهم على بعض مقرنين في الاصفاد فيركمه جميعا قيل
يجمعهم جميعا بعضهم على بعض ويحتمل قوله فيركمه جميعا اخبارا عن الضيق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقال القتبي فيركمه
جميعا اي يجعل ركاما بعضه فوق بعض وكذلك قال ابو عوسجة يقال ركمت المتاع اذا جعلت بعضه فوق بعض وقوله فيجعله
في جهنم الجهنم هو المكان الذي يجمع اهل النار فيه للتعذيب وقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ذكر عن
... غاية كرمه وجوده بما وعدهم من المغفرة والتجاوز عما كان منهم من الاشراك في الوهيته وصرف العبادة الى غيره وصد الناس
عن دينه وطاعته ونصب الحروب التي انتصبوا بينهم وبين المؤمنين وغير ذلك من انواع الهلاك فيما كان منهم ووعدهم المغفرة
بالانتهاء من ذلك ليعلم غاية كرمه وجوده والمغفرة تحتمل التجاوز اي يتجاوز عنهم ما كان منهم لا يؤاخذهم بذلك ويحتمل يستر عليهم
معاصيهم التي كانت منهم ولا يذكرون ذلك لانهم اذا ذكروا ذلك ينغص عليهم النعم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه اخبر انهم
ان انتهوا وتابوا غفر لهم ما قد كان منهم وانما كانوا انتهين بالايمان ولم يجعل بين الايمان والكفر منزلة ثالثة وهم يجعلون
بينهما منزلة ثالثة ويقولون اذا ارتكب كبيرة خرج من الايمان ويخلد في النار ابدا ولم يجعله داخلا في الكفر وفيه دليل نقض قول
من يقول بان على الكافر فعل العبادات من نحو الصلوة والزكوة والصيام لانه ذكر الانتهاء والانتهاء عما كان منهم من ترك
العبادات القيام بقضائها واذا ما تركوا فلم يجب عليهم اداء شيء من ذلك لانه لم يكن عليهم في حال كفرهم فعل تلك العبادات انما
عليهم اعتقاد تلك العبادات اذ لو كانت عليهم لكان لا ينتهي عنها قضاء ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها
اذا ذكرها فاستنبط وذلك كفارته وكذلك تاويل قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم ليس على الفعل لكن في حق الاعتقاد اذ لا سبيل الى القيام بفعل ما ذكر الا بعد حول ووقت طويل وفي هذه الاية دلالة
ان ليس بين الشرك والايمان منزلة ثالثة على ما يقوله المعتزلة في صاحب الكبيرة لانه لو كان بين الكفر والايمان منزلة ثالثة لكان يقول
اذا انتهوا عن الكفر ولم ينتهوا عن تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم فدل ما ذكر من المغفرة على ان ليس بينهما منزلة ولكن اذا انتهوا
عن الكفر ودخلوا في الايمان وقوله وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين قال بعضهم وان يعودوا الى الكفر وقتال محمد
ما انتهوا عنه فقد مضى كذا البغي القتال ويحتمل ان يكون قوله يعودوا اي داموا فيه لا ان كانوا خرجوا منه نحو قوله يخرجهم
من الظلمات الى النور كانوا فيه لا ان كانوا خرجوا منه ثم دخلوا فيه غير ذلك ثم يحتمل وجهين بعد هذا احدهما ان يكون حكم التجدد
في كل وقت والثاني ما ذكرنا انه ذكر العود فيه لدوامهم فيه وان لم يخرجوا منه وذلك جائز في اللغة كقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور ابتداء اخراج من غير ان كانوا فيه وكقوله رفع السموات ابتداء رفع لا ان كانت موضوعة فرفعها من بعد فعلى ذلك قوله وان
يعودوا الجهل اي داموا فيه وقوله فقد مضت سنة الاولين يحتمل ما ذكرنا من القتال والثاني سنة الاولين الهلاك
الذي كان وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قيل الفتنة الشرك اي قاتلوهم حتى لا يكون الشرك ويكون الدين كله لله ويحتمل
قوله حتى لا تكون فتنة اي محنة القتال كانه قال قاتلوهم الى الوقت الذي ترتفع الفتنة وهو يوم القيمة وفيه دلالة لزوم
الجهاد الى يوم الدين والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة ويكون الدين كله لله وقوله ويكون الدين كله لله يخرج على وجهين
احدهما يكون من الدين الذي هو الدين كله لله لا نصيب لاحد فيه وهو السبيل الذي كان للشيطان كانه قال ويحتمل الاديان
التي يدان بها دينا واحدا هو دين الله الذي يدعو الخلق اليه وبذلك بعث الرسل وانزل الكتب والله اعلم ويحتمل ويكون الحكم كله لله

كقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك أي في حكم الملك وقوله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير وقوله وإن تولوا فاعلموا
أن الله مولاكم قيل ناصركم وقيل المولى المالك نعم المولى ونعم النصير أي نعم الناصر والمعين ونعم النصير لأنه لا يعجزه شيء وقيل مولاكم
أي أولى بكم وقوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال عامة أهل التأويل إن الغنيمة هي
التي أصاب المسلمون من أموال المشركين بالقتال عنوة والفيء ما يعطون بأيديهم صلحا والغنيمة يأخذ الإمام الخمس منها والباقي
يقسم بينهم والفيء يأخذه الإمام فيضعه في مصالح المسلمين وليس فيه الخمس وقال بعضهم الغنيمة والفيء واحد ثم قوله واعلموا أنما غنمتم
من شيء فأن لله خمسه إلى آخره ذكر الخمس ولم يذكر الأربعة الأخماس لأنها لمن كان للمقاتلة لقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فكانت
الغنيمة كلها لمن غنم بظاهر هذه الآية إلا ما استثنى الله منها في الآية الأولى وهو الخمس وهذا مما اجتمع عليه أهل العلم وعلى ذلك تواترت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته موقوفا ومرفوعا روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المال يعني الغنيمة قال لله خمسه
وأربعة أخماسه لهؤلاء يعني المسلمين وروي أنه قسمها بين المقاتلة يعني الأربعة الأخماس وفي بعض الأخبار أن أبا الدرداء وعبادة
ابن الصامت والحارث بن معاوية كانوا جلوسا فقال أبو الدرداء أيكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى إلى بعير من
المغنم فلما انصرف قال … وبر البعير فقال لا يحل لي من غنائمكم ما يزن هذه إلا الخمس والخمس مردود فيكم وعن … قال
كانت الغنائم تجزأ خمسة أجزاء ثم يسهم عليها فما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس
فأربعة منها لمن قاتل عليها وغير ذلك من الأخبار وعلى ذلك اتفاق الأئمة ومنهم من يقول تقسم على ستة أسهم سهم يجعل في ستر الكعبة
وسهم لرسوله ينتفع به ومنهم من قال تقسم على خمسة سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والأربعة أخماس لمن غنم ومنهم من يقول تقسم
على أربعة أسهم لرسوله والذي ذكر … ثم قوله فأن لله خمسه وللرسول يحتمل إضافة ذلك إلى نفسه وجهين أحدهما لما جعل ذلك
لتمام العبادات وأنواع البر والخير والقرب التي هي لله فيضيف إليه على ما أضيف المساجد إليه لتقربهم وإن المساجد لله وإن
كانت البقاع كلها لله وكذلك ما سمي الكعبة بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله لما جعلها موضعا لتمام العبادات وأنواع القرب
فأضيف إلى الله لذلك فعلى ذلك يحتمل إضافة ذلك السهم إلى الله لما جعله لتمام العبادات والقرب وأنواع البر والله سبحانه أعلم
والثاني إضافة ذلك إليه لخصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان ذلك لرسوله وكان رسول الله في جميع أحواله وأموره لله
خالصا لا يكون لنفسه ولا لأحد من الخلق فعلى ذلك جميع ماله وما كان تحت يديه لم يكن له إنما كان … يصرف ذلك في أنواع القرب
والبر في القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل على حاجتهم والأموات جميعا والقريب منهم والبعيد جميعا ألا ترى أنه قال إنا
معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة وهذا يدل أن ما يترك صدقة لا يورث منه ولو كان له لورث … يورث من بعده
ولأن الشرع لم كان لله خالصا وكذلك جميع أموره لله خالصا ألا ترى أنه روي في الخبر أنه كان يجوع يوما ويشبع يوما ويشبع
يوما ويجوع … وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع فإذا كان كذلك كان إضافة ذلك الخمس إلى الله لخصوصية له وخلوص نفسه وماله
له وإن كان جميع الخلائق وما تحت أيديهم لله حقيقة لكن لهم فيها الانتفاع وقضاء الحوائج والتدبير وأنواع التصرف في ذلك
ومشاركة عزيزة في ذلك لم يخص بالإضافة إليه وإن كان ذلك كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحت يديه
لله لا تدبير له في ذلك ولا شركة له فيه خص بالإضافة ذلك إليه وهذا كما قال لمن الملك يومئذ لله وقال لمن الملك
اليوم لله وقال مالك يوم الدين وقال وبرزوا لله جميعا خص بالذكر ملك ذلك اليوم له والبروز له لما ينقطع يومئذ تدبير جميع
ملوك الأرض ويذهب سلطانهم عنه ويظهر البروز له وإن كان الملك له في الأحوال كلها والأوقات جميعا وكذلك البروز له
والمصير إليه وإن كان ذلك راجعا إليه في كل الأحوال فعلى ذلك … والله أعلم ثم ليس في ظاهر الآية دليل أن المراد
بقوله ولذي القربى قرابة رسول الله بل في ظاهره دلالة أنه أراد به قرابة أهل الإسلام في ذلك لأنه خاطب به الكل بقوله واعلموا
أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى وظاهره أنه أراد به قرابة من خاطب وكان الخطاب لهم جميعا ألا ترى
أنه لم يفهم من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون قرابة رسول الله ولكن قرابة المخاطبين جميعا وكذلك لم يفهم
من قوله إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين قرابة رسول الله بل إلى قرابة المخاطبين به فعلى ذلك الظاهر من قوله
ولذي القربى إلا أن يقال أراد قرابة رسول الله لأنه لا ذكر سواه في ظاهر الآية … وروي أنه قسم الخمس بين بني هاشم

وما روي أنه قال لا يحل لي من هذا المال إلا الخمس والخمس مردود فيكم وما روي أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربى فكتب
إليه كتبت إلي تسألني عن سهم ذوي القربى لمن هو وهو لنا أهل البيت وقد كان عمر دعانا إلى أن ينكح منه أيمنا ويقضي عنه مغرمنا فأبينا
إلا أن يسلمه إلينا فأبى ذلك علينا فدل فعل عمر هذا على أن التأويل في الخمس كان … أن يصل به قرابته ويسد به
حاجتهم إذ كان سبيل الخمس ما ذكرنا لأنه يعني أنه يصرف في وجوه القرب إليه فلو كان الخمس حقا لجميع القرابة أعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم
وما يأخذها الأغنياء من الخمس فيه لا يجري مجرى الصدقة ولا مجرى القرابة فإن تركه لا يعطي منه أغنياءهم بل يصرف إلى فقرائهم على
قدر حاجتهم إذ لم يكن لهم مكاسب سوى ذلك كما يكون لغيرهم من الناس من المكاسب وأنواع الحرف ومما يدل على أن رسول الله أعطى
بعض القرابة دون بعض ما روي عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب
أتيت أنا وعثمان فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله فيهم أرأيت بني المطلب أعطيتهم ومنعتنا
وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام وإنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
أصابعه وقوله فأن لله خمسه وللرسول إلى آخره ذكر فيه أن خمس الغنيمة يصرف في وجوه البر والقرب إلى الله ثم فسر تلك الوجوه فقال وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانت تسمية هذه الأصناف والله أعلم لتعلم أن الخمس يصرف فيهم وذكر من أهلها
دون غيرهم وليس ذلك بإيجاب لكل صنف شيئا منه معلوما ولكن على بيان أنه سبيل الموضع وهو كقوله إنما الصدقات للفقراء والمساكين
الآية حمل أصحابنا ذلك على أن الصدقة لا تجوز إلا لمن كان من أهل هذه الأصناف دون غيرهم ولم يحملوا الأمر على أن لكل صنف منهم
شيئا معلوما محدودا ودل على ذلك … وعلى ذلك روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عمر وعلي وحذيفة وابن عباس وجماعة من السلف أنهم
يكن عندهم قالوا إذا وضعت الصدقة في صنف واحد أجزأك فلو كان لكل صنف الثمن لكان المعطي صنفا واحدا مخالفا
للأمر فعلى ذلك قوله فأن لله خمسه ولذي القربى واليتامى الآية معناه والله أعلم أن الخمس الذي يتقرب به من الغنيمة إلى الله لا يجاوز
الرسول ومن كان من الأصناف التي ذكرها فأيهم دفع ذلك الخمس أجزأه وإذا كان التأويل ما وصفنا لم يكن للرسول أن يحرم أهل
هذه الأصناف أن يعطي منه ولا … ولكن يعطي كل من حضر منهم بقدر نفقته وحاجته وعلى قدر ما يراه الإمام فإذا كان في أحد
أعطوا ما يدفع إلى الإمام من ذلك الخمس من المال كفايتهم وكذلك روي عن ابن عمر أن ابن عباس قال كان عمر يعطينا من الخمس نحوا مما
كان يرى أنه لنا فرغبنا عن ذلك قلنا حق ذوي القربى خمس الخمس فقال عمر إنما جعل الله الخمس لأصناف سماها فأسعدهم به أكثرهم
عددا وأشدهم فاقة فأخذ ذلك ناس وتركه ناس وكذلك فعل عمر ما روي عن ابن عباس قال عرض علينا عمر أن يزوج
من الخمس أيمنا ويقضي منه مغرمنا فأبينا إلا أن يسلمه إلينا فأبى ذلك علينا فدل فعل عمر على أن القرابة يعطون من الخمس قدر
حاجتهم وما يسد به فاقتهم إذ لو كان الخمس حقا لجميع القرابة أعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم ومما يدل أيضا على أن الخمس لو كان حقا لجميع
القرابة غنيهم وفقيرهم لقسم رسول الله بينهم كما قسم الأربعة الأخماس بين المقاتلة ولم يعط منه بعض القرابة وحرم بعضا لما ذكرنا في
جبير بن مطعم ومما يدل أيضا أن ذلك لأهل الحاجة منهم دون الكل ما روي أن الفضل بن عباس وفلانا دخلا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ عند زينب بنت جحش فقالا يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئناك لتؤمرنا
على بعض الصدقات فنؤدي إليك ما يؤدي العمال ونصيب منها ما يصيبون فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه ثانيا حتى جعلت زينب
تلمع إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه ثم قال إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس ادعوا لي محمية وكان على الخمس
ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءاه فقال لمحمية أنكح هذا الغلام ابنتك للفضل فأنكحه وقال لنوفل أنكح هذا الغلام ابنتك
ثم قال لمحمية أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا دل هذا على أن الحق لهم فيه لأهل الحاجة منهم ومما يدل أيضا على ذلك ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس لي من هذا المال إلا الخمس والخمس مردود فيكم لم يخص القرابة بشيء منه كان سبيلهم سبيل أبناء
السبيل يعطى المحتاج منهم كفايته وعلى هذا الأئمة الراشدون ولم يعترض على من ولي الأمر وكان ذلك عندنا مما لا يجوز خلافهم
فيه فإن قيل لو كان قرابة النبي إنما يعطون من الخمس على سبيل الفقر والحاجة فهم على هذا يدخلون في عموم المساكين فما وجه ذكر
إياهم إذا قيل إن الله تبارك وتعالى قال في الصدقات إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية ثم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد فلو لم يسهم في الخمس جاز أن يتوهم قائل أنه لا يجوز أن يعطوا من الخمس وإن كانوا فقراء كما لا

يجوز ان يعطوا من الصدقة اذ كانوا فقراء لكانه بسبب ذكر الله اياهم في الخمس لذلك والله اعلم ثم اختلف اهل العلم بعد وفاة رسول الله
في سهم الرسول وسهم ذوي القربى فقالت طائفة سهم الرسول للخليفة من بعده وسهم ذوي القربى لقرابة الخليفة وقالت طائفة سهم القرابة
لقرابة الرسول وقال الحسن سهم القرابة لقرابة الخليفة وقالت طائفة القرابة قرابة رسول الله وقد كان انه يحتمل ان يكون انما كان لذي قرابته
بحق النصرة ويعطيهم بحق القرابة ما دام حيا ثم قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نورث ما تركنا صدقة فاذا لم يورث عنه
ما قد حازه من سهامه فكيف يورث عنه ما لم يملكه بعد وفاته ولو كان سهم الذي لم يجعله مصروفا عنه كان سهمه الذي قد حازه احرى ان يورث
عنه فاذا لم يورث الذي قد حازه ومع ذلك عنه لا يورث الا حرز الله تعالى وعن عائشة ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما ابو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث
ما تركنا صدقة انما ياكل ال محمد في هذا المال ولست ادع امرا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه الا صنعته
وفي بعض الاخبار قال لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة وعن عمر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينفق منها على اهله سنة ويجعل ما بقي في مال الله وروي ايضا عنه قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله
فكانت له خالصا وكان ينفق منها على اهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح فهذه الاخبار تبين انه لم يورث سهم النبي بعد وفاته
فيدل على انه لا يقدر بعد موت النبي من خمس الغنائم للخليفة شيئا وان ذلك انما كان خصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كالصفي
الذي كان له خاصة دون غيره وكما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكان له ذلك خاصة فليس لاحد بعد النبي صلى الله عليه
وسلم خصوص من الخمس كما ليس له خصوص من الصفي وغيره فكان ذلك له خاصة واذا كان الامر في سهم الرسول كما وصفنا
ولم يستحق من الخمس الذي هو له شيء بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كان من الغنيمة فذلك يدل على ان الخمس ليس له سهم من
السهام خاص مستحق او يكن يعطون منه بقدر فاقتهم ويدل ذلك ايضا على انه لا يجب لكل صنف من هذه الاصناف سهم معلوم
لانا قد روينا سهم النبي من الخمس على سائر السهام لكان جائزا ان يرد عليهم سهم النبي فكذلك يجوز ان يجعل سهم اليتامى والبعض
منهم اذا احضروا وطلبوا ولم يحضر اليتامى لان المعنى في الاية والله اعلم ان لا يعطى الامر كان من اهل هذه الاصناف
واذا اعطى واحدا من اهل هذه الاصناف فقد وضع الحق في موضعه ولم يتعد به ثم الخطاب في قوله واعلموا انما غنمتم
من شيء لا يحتمل كل واحد في نفسه بالخطاب اذ كان الذكر وعرضا من الحقوق قبل الخطاب راجع الى الجماعة الذين غنموا الا ترى ان
العسكر او السرايا اذا دخلوا دار الحرب فتفرقوا فغنم واحد منهم يجب ضم ذلك الى جميع العسكر والسرايا فيخمس ذلك ويخرج
الخمس وانما الخطاب بذلك اسم الجماعة وهي الجماعة التي لهم منعة يتقوون بها على العدو لانه خاطب كل واحد في نفسه فهذا يدل
على ان الواحد والاثنين اذا دخلوا دار الحرب بغير اذن الامام فغنموا غنايم لا تخمس ولكن يسلم الكل له واما الغنيمة
نفسها لا تحتمل ان ترجع الى حد معلوم او مقدار محدود كالزكاة وسائر الحقوق لان الغنيمة شيء يؤخذ من ايدي الكفار وانما
بعضه قدر ما يظفر به ويوجد فلا يحتمل ان يرجع الخطاب به الى قدر دون قدر بل القليل من ذلك والكثير سواء في الصدقة في
ذلك ولا مقدار ليس كالزكاة وعرضها من الحقوق التي جعل فيها حدا او مقدارا للوصف الذي ذكرنا واما المصيبون لها والاخذون
فلم يذكر مقدار من الذين لهم منعة ثم تقدم في قسم السهام بين الرجالة والفرسان وان لم يكن في الاية ذكر ذلك روي
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للرجل سهما وللفرس سهمين ثلاثة اسهم له وللفرس وعن ابن عباس منها
قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للراجل سهما وللفارس ثلاثة اسهم سهما له وسهمين للفرس وعن الزبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الزبير يوم خيبر اربعة اسهم سهم ذوي القربى وسهم له مع المسلمين وسهمين للفرس
وروي ايضا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم له يوم بدر سهما وللفرس سهما وعن علي قال للفارس سهمان وعن
المنذر قال بعث عمر جيشا الى مصر فاصابوا غنائم فقسم للفارس سهمين وللراجل سهما فرضي بذلك عمر فجعل بعض اهل العلم
ما ذكر في هذه الاحاديث من الاسهام للخيل وقول بعض الرواة ثلاثة اسهم للفرس سهمين وقول بعضهم اسهم للفارس سهمين
اختلافا وتضادا وجعلوا فيها الناسخ وقد يجوز ان لا يكون ذلك كذلك وقد يكون زيادة التي زادها النبي صلى الله عليه وسلم
للفرس على سهم ان كان محفوظا ثابتا نفلا نفله الفارس ترغيبا لهم للقتال في اتخاذها وتحريضا كما يجوز ان ينفل

الامام من قتل قتيلا فله سلبه ومن جاء براس كذا فله كذا على وجه ما تحريضا على القتال فيجوز ذلك زيادة سهم لمكان الافراس ترغيبا منه
وتحريضا على اتخاذها فاما ان كثرت الافراس فان سهامها لا تكون اكثر من سهام اصحابها لان الفارس اكثر غناء من فرسه فلم يزد
في هذا فنقص عما سهم ولذا ابو حنيفة رحمه الله يسهم للفارس سهمين وابو يوسف رحمه الله ومحمد يسهمان للفارس سهمين ولصاحبه سهم والحجة
في ذلك قوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فكانت النضير خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكن من حضرها من المسلمين شيء اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وقد تقدمت فلا تخلو الرجالة من السهام لاستحقاقهم في اصحاب
الخيل فاذا لم يزد الخيل في السهام على سهام الرجالة اذا كان الرجالة يستحقون السهم وان حضرها اهل الخيل والي ركوب الخيل
لان الحجة عليه هذا ما ذكر ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحاربوا في النضير فرسانا ولا رجالة ولا احتاجوا الى الحرب لا احتاجوا
الى الخيل من حيث لم يحاربوا عليها لم يستحقوا منها شيئا وانما ذكر الله تعالى على رسوله امرها وانهم لم يحاربوا عليها خيلا ولا ركابا واذا
لم يحاربوا على مدينة فغنموا بالذي مصروف في مصالح المسلمين الجزية في السهام وكانت النضير على ذلك خالصة للنبي ينفقها نفقة سنة
ويصرف سائره الى مصالح المسلمين ومن الدليل على ان النضير الحرب حاربهم النبي واصحابه رجالة جرت في غنايمهم القسمة
ان قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم على مدينة من مدائن الشرك رجالة قسم ما يغنم فيها كما يقسم لو كان معهم فرسان ومن الدليل على ذلك ايضا
ان الرجالة اذا كانوا مع الفرسان في الحرب قسم لهم كما يقسم للفارس خاصة فلو كانت الغنيمة انما تقسم لسبب الخيل ما اعطى الرجالة منها شيئا
اذ لا افراس لهم وذلك يفيد ما ذكرناه في ابي يوسف وقوله ان كنتم امنتم بالله قال بعضهم هو متعلق بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله ثم قال وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم اي وان تولوا عنه وقد استمع استرنا فاعلموا ان الله مولاكم ليس مولى لهم وقالت
طائفة قوله ان كنتم امنتم بالله ليس على الشرط على انه لا يكون غنيمة اذا لم يكونوا مؤمنين ولا يجب العدل في القسمة اذا كانوا غير مؤمنين
ولكن على التنبيه فالا يغتاظ كقوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وكقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ليس
على انه لا يجب ان يذروا اذا لم يكونوا مؤمنين ولا يجب ان يطيعوا اذا لم يكونوا مؤمنين ولكن على ما ذكرنا فيها ذكر الاول والله اعلم
وقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قيل قوله وما انزلنا على عبدنا الملائكة الذين لهم يوم بدر لنصر
المسلمين وانزل عليهم المطر حتى الارض بذلك فاستقرت اقدامهم وثبتت بعد ما كانت الاقدام فيه لا تثبت وشربوا منه
لذروا به ما اصابهم العطش اذ كان المشركون اخذوا الماء وقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر وقوله يوم الفرقان
قيل يوم فرق بين الحق والباطل لانه حصل يوم بدر اية حيث غلب المؤمنون المشركين مع قلة عددهم وضعف ابدانهم وفقد
الاسباب التي بها يحارب ويقاتل وكثرة العدو وقوتهم ووجود اسباب الحرب والقتال ليعلموا انهم غلبوا
بنصرته اياهم فكان ايفرق الحق بينهم والمبطل وقيل هو يوم الفرقان يوم الجمع جمع النبي والمؤمنين وجمع المشركين ويوم
الافتراق افتراق المشركين من المؤمنين كما سمي يوم القيامة يوم الجمع ويوم الفراق نقول يوم يجمعكم ليوم الجمع وقال
في اية اخرى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فهو يوم الجمع في حال ويوم الافتراق في حال اخرى والله اعلم وقوله
اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى قال بعضهم العدوة القصوى شفير الوادي الاقصى والعدوة الدنيا شفير الوادي
الادنى وذلك قال العتبي العدوة الشفير شفير الوادي وقال ابو علي يجمع العدوة ناحية الوادي التي تليهم وقال
الدنيا لانها دنت منك والاخرى لانها استاخرت وقيل في حرف ابن مسعود واذ انتم بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى قال
ابو معاذ العدوة والعدوة لغتان والركب والركبان والركاب والراكبون كلهم وقال في حرف حفصة اذ انتم بالعدوة
القصيا وقال بعضهم اذ انتم معشر المؤمنين بالعدوة الدنيا من دون الوادي على النصف مما يلي المدينة وهم بالعدوة القصوى
من الجانب الاخر مما يلي مكة يعني مشركي مكة وقوله والركب اسفل منكم يعني اصحاب العير على ساحل البحر وعلى الماء وقال قتادة
جمع الله المشركين والمسلمين ببدر على غير ميعاد وهما شفيرا الوادي كان المسلمون باعلاه والمشركون باسفله والركب اسفل منكم
ابو سفيان انطلق بالعير يريد وقيل اذ انتم بادني المدينة وهم اقصى مما يلي مكة على ما ذكرنا وقوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد لو علمتم انكم تخرجون الى الحرب دون العير ما خرجتم الا بميعاد الحرب والقتال لاختلفتم
في الميعاد واما الخروج وان تخرجون ولا تخرجون ومنكم من يؤخر الخروج عن وقت الميعاد ومنكم من لا يخرج

ليقضي ذلك وقوله ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا يحتمل لينجز الله ما كان وعد من الظفر والنصر او ليقضي الله امرا كان في علمه
مفعولا انه احدى الطايفتين لكم كانه قال وعد الله مفعولا اي منجزا ويحتمل القضا ابتدا وخلق اي وذلك ليقضي الله ما
قد علم انه يكون كاينا او ليتم ما قد علم انه يكون والله اعلم وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال بعض اهل
التاويل ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة وحجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على الحق وكان صادقا ويومن من امن على مثل ذلك
وعن ابن عباس قال ليهلك من هلك عن بينة قال ليموت من مات عن بينة ويحيى من حي عن بينة ليقول عن بيان وحجة وهو والله
اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان اتاهم بايات حسية فسموه ساحرا واخبرهم بانبا ماضية التي كانت في كتبهم فقالوا ان
هذا الا اساطير الاولين وقالوا انما يعلمه بشر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفهم في جميع صنيعهم من عبادتهم
الاصنام والاوثان دون الله وكان يخوفهم ويوعدهم باشيا وكان لا يخافهم وهم كانوا رووسا اكابرا لا يخالفهم احد في امورهم
وفيهم الا من كان به جنون فلما راو رسول الله خالفهم في جميع امورهم نسبوه الى الجنون وقالوا ساحر مجنون ومعلم مجنون فاراد الله
ان يجعل له اية عظيمة حتى لا يقدروا بالنسبة الى شي مما كانوا ينسبونه من قبل فوعد لهم الظفر والفتح يوم بدر بعد ما علم اوليك
ضعف المومنين وقلة عددهم ودقة انفسهم وكثرة عدوهم ليكون [?] من حي بعد ذلك عن بينة واية ويموت من مات على مثل
ذلك وان كان لهذه الايات ما لو عاندوا ولا كابروا عقولهم لكانت واضحة لهم كافية فان قيل ما الحكمة في ذكر القصة من
اولها الى اخرها وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا قيل يذكرهم والله اعلم الحال التي كانوا هم عليها من الضعف والقلة والخوف
وفقد اسباب الحرب والقتال وكثرة العدو وقوتهم ووجود اسباب الحرب والقتال ليعلم الخلق ان النصر والغلبة ليس
يكون بالكثرة والقوة والاسباب ولكن بالله عز وجل ليلا يتكلوا الى الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يضعفوا لقلة ولا
يجبنوا ولا يفزعوا لكي يعرفوا ان ما اصابهم من الهزيمة والغلبة انما اصابهم لمعصية كانت منهم او اعجابا بالكثرة واعتمادا
بالقوة والاسباب والله اعلم وقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا اختلف فيه قال بعضهم قوله في منامك في ليلة
المنام منه كان الله يريه صلى الله عليه وسلم المشركين في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه بما راى فقالوا رويا النبي حق القوم
قليل ليس كما بلغنا انهم كثير فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في اعين المومنين تصديقا لرويا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال الحسن قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا اي في عينيك التي تنام بها وهو في اليقظة لانه ذكر انه قال
صلى الله عليه وسلم تنام عيني ولا ينام قلبي وانما اراه اياهم قليلا في العين الذي به ينام وهو عينا الوجه ويدل على ذلك
ما ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحب لي تراهم سبعين فقال اراهم ماية حتى اخذنا
رجلا منهم فسالناه فقال كنا الفا فان كان التاويل هذا الثاني انه اراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي ينام فهو ظاهر
فان كان اراه اياهم في المنام حقيقة فلقايل ان يقول انه في الرسول وحي فكيف اراه اياهم قليلا وهم كثير خلاف ما
هو في الحقيقة قيل يحتمل ان يكون اراه بعضهم لا الكل لو حقيقة ما اراه اياهم فذلك قليل والله اعلم وجايز ان يكون اري
اصحابه اياهم قليلا وان اضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل ما ذكر في اخر حيث قال واذ يريكموهم اذ التقيتم
وذلك كثير في القران يخاطب به رسوله والمراد به قومه الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما
ومعلوم ان نزول هذه الاية بعد وفاة الوالدين وقوله ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم ولتنازعتم في الامر اي اختلفتم
في امر القتال والحرب ولكن الله سلم قيل سلم واتم للمسلمين امرهم في عدوهم فاذلهم ونصرهم عليهم ويحتمل قوله سلم اي اجاب
للمسلمين لما استغاثوا واستنصروه بالنصر والظفر انه عليم بذات الصدور اي عليم بما في قلوب المومنين من الجبن والفشل
وامر عدوهم والله اعلم وقوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم يحتمل قوله واذ يريكموهم
الابطال او الملايكة لا انفسهم انصارا واعوانا اذ كان قد وعد لهم النصر والاعانة بالملايكة فكان العدو مع الملايكة [?]
لان العدو وان كانوا كثيرا لهم فهم مع الملايكة قليل [?] عليهم ما كانوا وقلل هولا في اعين اوليك لانهم كذلك كانوا قليلا
[?] عليها كانوا ولم يروا الملايكة وقال بعض اهل التاويل قلل هولا في اعين هولا وهولا في اعين هولا اذا التقوا ليجتري
بعضهم على بعض وليجتري بعضهم على بعض على القتال والله اعلم وقوله ليقضي الله امرا كان مفعولا هو ما ذكرنا انه لينجز ما كان

وعدهم من النصر والظفر للمومنين والغلبة والهزيمة على اوليك كذلك ذكر في القصة ان قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر في بدر وفيه
وعد لكم كقوله [?] وكان وعد الله مفعولا ويحتمل قوله ليقضي الله اي ليحق الله ويبين ما قد علم انه يكون كاينا او ليفصل بين
الحق والباطل ما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل ليقضي الله امرا كان في علمه مفعولا كاينا بقول ليقضي امرا لا بد كاين
ليعز الاسلام واهله بالنصر ويذل الشرك واهله بالقتل والهزيمة والله اعلم وهو قريب مما ذكرنا والى الله ترجع الامور اي الى الله
يرجع تدبير الامور وتقديرها لا التدبير في ذلك في الدنيا والاخرة وذكر في بعض القصة ان ابا جهل لعنه الله لما التقى المومنين يوم بدر
قال والله لا يعبد الله بعد اليوم فكذبه الله وقتله فقال والى الله ترجع الامور لا الى الخلق والله اعلم وامر بدر من اوله الى اخره كان
اية حجة ونصر كل احد ذلك الا من كابر وعاند عقله وقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا قيل الفية اسم جامع
يحتاز اليها وهو من الفي وهو الرجوع يفيون اليها ويرجعون ذكر ههنا الفية وبين [?] في قوله فلا تولوهم الادبار
وقال ههنا فاثبتوا ليعلم ان في النهي عن توليه الادبار امر بالثبات وفي الامر بالثبات نهي عن توليه الادبار فيكون في النهي عن
الشي امر بضده والامر بالشي نهي عن ضده والله اعلم وقوله واذكروا الله كثيرا قال ابو بكر [?] في قوله اذكروا الله كثيرا اي
اذكروا الله فيما توعدكم من طاعته ووعدكم من نصره ولا تنظروا الى الكثرة فتقنطوا ويحتمل قوله اذكروا الله فيما له من انفسكم واموالكم
اذ ان انفسكم واموالكم له انما اودعها عندكم لوجه تتقربون بها الى الله فاذكروا الله على ذلك وهو ما ذكر قوله ان الله اشترى من
المومنين انفسهم واموالهم الاية ويحتمل اذكروا الله كثيرا في النعم التي انعم عليكم او يقول اذكروا المقام بين يدي رب العالمين
وذلك الذي يمنعكم عن المعاصي والخلاف لامره وبعض ما يرغبكم في طاعته فيكون على هذا التاويل الامر بذكر الاحوال ويحتمل
الامر بذكر الله باللسان وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب لعلكم تفلحون اي تنالون النصر والظفر اذ تفلحون اي تظفرون وقوله
واطيعوا الله ورسوله اطيعوا الله فيما يامركم بالجهاد والثبات مع العدو ورسوله فيما يامركم بالمقام في المكان والثبات وترك
الاختلاف والتنازع في الحرب وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب ولا تنازعوا فتفشلوا اي لا تنازعوا رسول الله
فيما يامركم في امر الحرب وعما ينهيكم [illegible] ولو نازعتم في الحق بعد ما تبين لكم اذا تنازعتم اختلفتم فاذا اختلفتم تفرقتم فاذا
تفرقتم فشلتم وجبنتم فلا تنصرون ولا تظفرون على عدوكم ولا يظفر بكم عدوكم او ان يقال لا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم
تشغلكم التباغض بانفسكم فيبقى الجهاد مع العدو والله اعلم وقوله وتذهب ريحكم قال بعضهم في سبب نصركم وظفركم وقال
بعضهم في سبب [?] ويحتمل ريحكم الريح التي بها تنصرون على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور وهو ما ذكر فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله واصبروا اي اصبروا على الجهاد والقتال مع عدوكم
ان الله مع الصابرين بالنصر لهم والظفر وفي هذه الاية تاديب من الله المومنين وتعليم منه لهم في ذكرنا في امر الحرب و
القتال والمحاربة مع العدو لانه امرهم بالثبات وامرهم بذكر الله ونهاهم عن التنازع والاختلاف وذلك بعض ما يستعان به
في الانتصار على عدوهم وقوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء الناس قوله بطرا اي كفرا بنعم الله كقوله وضرب الله
مثلا قرية كانت امنة مطمينة الاية فعلى ذلك هولا خرجوا من ديارهم كفرا بانعم الله لانهم خرجوا الى قتال محمد وهو من اعظم نعم الله
على خلقه وهم كفروا بنعمة الله حين خرجوا لقتاله وكذلك قال في قوله بطرت معيشتها اي كفرت وقوله بطرا كفرانا وتكبرا
لخروجهم متكبرين كافرين ورياء الناس يحتمل مرااتهم وجهين احدهما مرااتهم في الدين لانهم قالوا اللهم انصر اهدانا سبيلا واوصلنا
رحما واقرانا ضيفا [?] انهم على حق وان المومنين على باطل ويحتمل مرااتهم في امر الدنيا لانهم كانوا اهل ثروة ومال واهل
عدة وقوة خرجوا مراين للناس وقوله ويصدون الناس لانهم كانوا اهل شرف عندهم فخرجوا لمراة الناس ويصدون عن سبيل الله
اي يصدون الناس عن دين الله عز وجل عن [?] الكثرة انهم خرجوا لما ذكر فكان فيه امر للمومنين بالخروج على
ضد ذلك كانه قال اخرجوا انتم شاكرين لنعم الله قال الزهري متواضعين مخلصين له الدين داعين الناس الى دين الله اخرجوا على
ضد ما خرجوا هم وقوله والله بما يعملون محيط اي علم محيط بهم لا يغيب عنه شي ولا يخفى احد عن ملكه ولا يغيب وقوله
والله بما يعملون محيط يخرج على وجهين احدهما والله بما يعملون محيط من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله في الدفع عنه والنصر له
والثاني محيط بما يعملون يجزيهم ويكافيهم ولا يفوت عنه شي في الوعيد والله اعلم وقوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم قال

بعضهم زين لهم الشيطان اعمالهم بالوساوس وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم هذا قد وسوس لهم لما التقى اليوم انكم
اهل حرم الله وسكان بيته وحفاظه فيتول يدفع عنكم نكبة هولا يعني اصحاب محمد كما دفع عنكم فيما كان من قبل وقوله
واني جار لكم قيل مجير لكم مغيث فعلى هذا التاويل كان قوله اني جار لكم كانه يخبر عن الله انه يغيثهم كما اغاثهم من قبل في غير مرة
وقال بعضهم ان الشيطان تمثل بصورة رجل يقال له سراقة بن مالك بن جعشم فاتاهم فقال لا ترجعوا حتى تستاصلوهم
فانكم كثير وعدوكم قليل فيا منعكم ونحو هذا من الكلام وقال صاحب التاويل الاول لا يحتمل هذا لان اهل مكة كانوا جبابرة
واهل قوة وبطش وباس فلا يحتمل ان يصدروا الا راي رجل هو دونهم وهم بالوصف الذي ذكرنا وعلى هذا اهل التاويل
انه تمثل به فلان يكون قوله واني جار لكم ما ذكر في بعض القصص ان ابا جهل واصحابه اعتزلوا واو اشاروا فيما بينهم فاتاهم ابليس
متمثلا بسراقة فانشعوا عنه واستاخروا فلما راى ذلك منهم فقال اني جار لكم وكان جار الحرم فيه وهو الاشبه بما ذكر في اخر
الاية وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه اي رجع مستاخرا مستقبلا وجهه اليهم فقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله والله شديد العقاب اذا عاقب قيل راى جبريل مع الملائكة ينزلون فخاف عنهم فنفيه ولا له انه كان يخاف الهلاك
قبل يوم المعلوم وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم الذين في قلوبهم مرض هم المشركون غر
هولاء دينهم وعن الحسن اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا
منافقين وقال بعض اهل التاويل ان قوما كانوا اسلموا بمكة فاقاموا مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج
كفار مكة الى قتال بدر خرج هولاء معهم فلما عاينوا قلة المومنين وضعفهم شكوا في دينهم وارتابوا وقالوا غر هولاء دينهم
يعنون اصحاب محمد يقول الله ومن يتوكل على الله فيثق بوعده في النصر يوم بدر لقولهم غر هولاء دينهم فان الله عزيز لا
يعجزه شيء وقوله غر هولاء دينهم لانه لم يكن معهم عدة ولا اسباب الحرب من السلاح وغيره فلم يكونوا يقاتلون الا الفوج لهم
وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم فان قيل ما الحكمة لنا في ذكر قول المنافقين في
القران حتى تتلو في الصلوة قيل ذكر والله اعلم لتعرف نحن عظيم خطر الدين وخطر قدره في قلوبهم اعني قلوب المومنين
وذلك انهم بذلوا انفسهم للهلاك وخرجوا لقتال عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم وكثرة اعدايهم وقوتهم رجاء ان يسلم
لهم دينهم يذكرنا لنعرف عظيم محل الدين في قلوبهم ليكون محل الدين في قلوبنا على مثل قدره في قلوبهم وفي قوله اذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم دلالة اثبات رسالة محمد لانهم انما قالوا ذلك سرا فيما بينهم فاطلع
الله رسوله على ذلك ليعلم انه عرف بالله ثم اختلف في قوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم المشركون قالوا المنافقون
والمشركون للمومنين غر هولاء دينهم وقال بعضهم هم قوم اسلموا وقد كانوا ضعفاء في الاسلام والدين فلما خرجوا الى بدر
فراوا ضعف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة اوليك القوم قالوا عند ذلك غر هولاء دينهم وقد ذكر في بعض القصص
ان قوما كانوا اسلموا بمكة ثم اقاموا مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى قتال بدر خرج هولاء معهم فلما
عاينوا قلة المسلمين شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا مع المنافقين غر هولاء دينهم يعنون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الله ومن يتوكل على الله من المومنين فيثق به في النصر يوم بدر لقولهم غر هولاء دينهم وقوله اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون هم المنافقون على ما ذكر في الاية الاولى فان كان على ذلك فيكون على اسقاط الواو
كانه قال يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض الا ان يقال ان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر حقيقة والذين في
قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا الكفر لكنهم ارتابوا وشكوا واعترض شك وارتياب من بعد ما ارادوا انجاز الموعود
وقوله غر هولاء دينهم يخرج على وجهين احدهما قالوا غر الموعود الذي وعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم
والنصر في الدنيا يقولون غر ذلك الموعود الذي كانوا به من الفتوح والنصر الذي وعد لهم والثاني يقولون غر هولاء الموعود
الذي وعد وا في الاخرة من النعيم الدايم والخير الدايم فيكون احدا لنا ويلين بالموعود في الاخرة وهو بالاسلام ويكون
والثاني بالموعود في الدنيا وهو الفتح والنصر الذي ذكرناه وقوله غر هولاء دينهم لما راوا انهم تركوا اباءهم واولادهم
وجميع شهواتهم وبذلوا انفسهم للقتال لسلامة دينهم لذلك قالوا غر هولاء دينهم لما لم يكن خروجهم وبذلهم انفسهم لذلك الا

اشفاقا وخوفا على دينهم او طلبوا لما بذلوا انفسهم جميع الابدية الاخرة فقالوا غر هولاء دينهم والله اعلم وقوله ومن يتوكل على الله
اي اعتمد على الله في حرب بدر على ما ذكر اهل التاويل والتفسير وقوله فان الله عزيز لا يعجزه شيء يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء
بالقتل والهزيمة ومن يتوكل على الله في جميع امره ويكل اليه اموره والله اعلم وقوله عزيز حكيم العزيز في هذا الموضع هو الغالب
حكيم بما امر القتال وقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم قال بعضهم الاية متابع لقوله ولا
تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يقول والله اعلم لو ترى اذ يتوفى الذين كفروا اي يقبض ارواح الذين
كفروا كيف يقبضون ارواحهم وكيف يضربون وجوههم وادبارهم كانه قال والله اعلم لو رايت الحال التي تقبض فيها ارواحهم
وما ينزل لرايت ان ما عملوا من صد الناس عن سبيل الله واستكبارهم على المومنين وخروجهم لقتال اصحاب رسول الله
عملوا ما تقسمه بالمومنين وقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة
يوم بدر لان الاية ذكرت في قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك في كل كافر ان الملائكة يفعلون به ما ذكر كقوله ولو ترى اذ
الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم الاية هذا في كل كافر وقوله يضربون وجوههم وادبارهم ليس على ارادة
حقيقة الوجه والدبر ولكن على ارادة ايصال الالم اليهم بكل ضرب وكل جهة كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ليس على ارادة التحت والفوق ولكن على ارادة احاطة العذاب بهم فعلى ذلك الاول وقال بعضهم يضربون وجوههم في حال
اقبالهم المومنين وادبارهم في حال ادبارهم وانهزامهم منهم وقوله ذلك بما قدمت ايديكم ذكر تقديم اليد وان كان الكفر
من عمل القلب لما باليد يقدم في العرف وقوله ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد وفي الاية دلالة الرد على
الجبر لانهم لا يجعلون للعبيد فعلا لم صنعا يجعلون حقيقة الافعال الله وذلك بما قدمت ايديكم فلو لم يكن لهم صنع
لم يكن لقوله بما قدمت ايديكم معنى وكذلك قوله وان الله ليس بظلام للعبيد في شيء من القتال والاهلاك والتعذيب
في الاخرة لانه مكن لهم ما يكسبون به من النجاة والخروج الدايم فاخبرهم ما ذكر انما كان بما كسبوا واختاروا وقوله
كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله قال بعضهم صنيع هولاء اي صنيع اهل مكة بمحمد كصنيع فرعون وقومه
بموسى يعني في التكذيب والكفر باياته فقال قايلون صنع الله بأهل مكة بالعقوبة والتعذيب كصنيعه بفرعون واله ومن
سبق من الامم من الاهلاك والتعذيب وقد فعل باهل مكة يوم بدر لسوء معاملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل
ذلك بفرعون واله لسوء معاملتهم موسى وكداب قيل كصنيع وقيل كفعل وقيل كاشباه وقيل كعملهم وهو واحد وقوله
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب يقول شديد العقاب اي لا يعجزه شيء ليمنعه عما يريد وقوله ذلك اي
ذلك العذاب والعقاب الذي ذكر بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال قايلون النعم التي
انعم عليهم هم الرسل التي بعثهم اليهم والكتب التي انزلها عليهم لم يكن مغيرا لتلك النعم حتى يغيروا بانفسهم بالتكذيب والرد
وترك القبول وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو
عليهم اياتنا الاية وقال قايلون قوله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ان يصرفوا شكر نعمه الى غير الله
ويعبدوا دونه اي لا يغير النعم التي انعمها عليهم حتى يغيروا بانفسهم يعبدون غير الله ويشكرون غير الذي انعم عليهم فعند ذلك
يغير الله ما بهم من النعم وكذلك قال ابن عباس نعم من النعم ان تولوا عن شكرها غيرها الله عليهم اخذها منهم وان في تحمل النعم
الرغيبة وهو تكذيبهم الرسل وردهم الكتب بعدما اقسموا انهم يكونون اهدى من احدى الامم واختيارهم الشرك والكفر
على الاسلام والتوحيد فاذا فعلوا التغيير ذلك غيرها عليهم وقوله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى
يغيروا ما بانفسهم يخرج على وجهين احدهما النعم الدنيوية لا تتغير تلك عليهم الا بتغيير من قبلهم اما بترك الشكر لها واما بصرفه
الى غير الذي انعم عليهم لو غيرت اما غيرت بيدل فليس ذلك في الحقيقة تغيير وان الله سميع عليم قيل اي سميع لشكر
من يشكره وعليم لزيادة النعم اذا شكر ويحتمل سميع اي مجيب عليم بمصالحهم ويحتمل انه سميع لما اسروا من القول
وجهروا به عليم بما اضمروا من العمل والشر وقوله كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فان قيل
ما معنى تخصيص ذكر ال فرعون من بينهم وما الحكمة في تكرار قوله كداب ال فرعون قيل يحتمل تخصيص ذكر ال فرعون لما

كانوا الذين اهلوا من غيرهم ممن كان قبلهم الا ترى انه قال انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا او ان
يذكر اهل الكتاب انهم لما كانوا ينكرون بعث الرسول من غيرهم ويقولون ان محمدا انما بعث الى الاميين مثل ما قال انا موسى اليكم من
السبط بعث رسولا اليهم فعلى ذلك بهم وان كان انما بعث الى الاميين من غيرهم والله اعلم بذلك واما فائدة التكرار والله اعلم وهو انه
ذكر في الاية الاولى الاخذ بالذنوب والتعذيب ولم يبين ما كان ذلك العذاب وبين في الاية الاخرى ان ذلك العذاب هو
الاهلاك والاستئصال حيث قال فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون الاية ويحتمل قوله فاخذهم الله بذنوبهم في الاخرة
بكفرهم بايات الله في الدنيا ذكر في احدى الايتين العذاب في الاخرة وفي الاية الاخرى في الدنيا ولانه ذكر في الاية الاولى
الكفر بايات الله ولم يبين ذلك وذكر في الاية الاخرى التكذيب باياته تبين ان الكفر باياته هو تكذيبها لان التكذيب انما
يكون في الاخبار وكذلك التصديق وفيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعله مقابله وضده التكذيب وفيه ان
الايمان ليس هو المعرفة لان مقابلها الجهل والجهل بالله ليس هو التكذيب لكن بالمعرفة يكون التصديق وبالجهل يكون التكذيب
وقوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ذكر ههنا ان شر الدواب عند الله الذين لا يؤمنون وذكر
في اية اخرى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون هم شر دواب حيث سمعوا الايات والحق وعقلوا فلم يؤمنوا
بها ولم ينتفعوا بما عقلوا فصاروا في مسامعهم ومحاذرهم كمن لا سمع ولا ان نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بما عقلوا ويحتمل
ان يكون في الاخرة هم الذين يحشرون يوم القيمة صما بكما عميا لما لم ينتفعوا في الدنيا بهذه الحواس كقوله ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما الاية وقوله ان شر الدواب عند الله اي ان شر من الدواب عند الله الذين كفروا انهم
لا يؤمنون وهو كما ذكر في اية اخرى اولئك كالانعام بل هم اضل اخبر ان الذين كفروا بالله وكذبوا باياته اضل من الانعام
وقد ذكرنا فائدة قوله بل هم اضل في موضعه ويحتمل قوله شر الدواب اي شر من يدب على وجه الارض من المتحيرين الذين
كفروا انهم لا يؤمنون ثم يكونون بهذا الوصف اذا اختاروا الكفر وترك الايمان ثم اختلف فيه قال بعضهم نزلت في بني قريظة
عاهدوا رسول الله ثم اعانوا مشركي مكة على رسول الله بالسلاح وغيره فقاتلهم رسول الله وكانوا يقولون نسينا واخطانا
ثم عاهدهم ثانية ثم نقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون نقض العهد ولا يتقون الذكر
وقال بعضهم ذكر قوله ان شر الدواب الى اخر الاية في المراد والعزا عنه من الكفار وكانوا عقلوا ما سمعوا ادرسوا
ولكن تمردوا فلم يؤمنوا به على هذا حمل اهل التاويل تاويل الاية والى ما ذكرنا صرفوا الاحرف الاية الى اهل النفاق
اولى لانهم هم الموصوفون بنقض العهد مرة بعد مرة وقوله فاما تثقفنهم في الحرب قيل تاسرنهم في الحرب وقيل تلقينهم
في الحرب وقيل تجدنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قيل نكل بهم من بعدهم اي اصنع بهم ما ينكلون من بعدهم اي يتعظون
وقيل سمع بهم من خلفهم اي من سواهم الاية نزلت في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكان عادتهم نقض العهد فامر عز وجل
رسوله ان ينكل بهم لئلا يكون ذلك عبرة ومزجرا لمن بعدهم ان لم يكن ذلك زجرا لهم فيكون في تنكيل هؤلاء منهم لغيرهم
ازدجارا لغيرهم ان يفعل بهم لانه ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم ولهذا ما قال ولكم في القصاص حيوة من راى
انه يقتل به امتنع عن قتل اخر فيكون في ذلك حيوة الخلق وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو ونصب الحرب فيما
بينهم زجر لما في الطباع النفار عن القتل فاذا راى انه يقتل بترك الاسلام اجاب الى ذلك اشفاقا على نفسه وخوفا
على قتله فيكون في القتال رحمة وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من العقوبات في النفوس ودون النفس
جعل زواجر ونواهي عن المعاودة الى مثله فعلى ذلك قوله فشرد بهم من خلفهم عظة ومزجرا لمن بعدهم لعلهم يذكرون
لكي يذكروا النكال فلا ينقضوا العهد وكذلك كل مرغوب في الدنيا ومرهوب جعل داعيا ومزجرا عن الموعود في الاخرة
وجعل كل لذيذ وشهي في الدنيا داعيا لما وعد في الاخرة في الجنة وكل كريه وقبيح زاجرا له عن الموعود في الاخرة في
النار على عذاب امر الدنيا والتشريد قال ابو عبيدة معناه من التفرقة اي فرقهم وقال القتبي قوله فشرد بهم من
خلفهم اي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من الاعداء ويقال شرد بهم سمع بهم بلغة
قريش وقيل نكل اي اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة التنكيل التخويف والردع ... والنكال

العذاب وقال القتبي قوله فشرد بهم من خلفهم اي اخفهم بهم وما صنع بهؤلاء وقال ابو عبيدة التشريد في كلامهم التبديد والتفريق
وبعضه قريب من بعض قال ابو عوسجة قوله فشرد بهم اي نكل بهم حتى يخاف من بعدهم والشريد الطريد والشريد ايضا القليل
وقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء قال بعضهم قوله تخافن تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء اي
لا تعمل بهم مثل ما عملوا من الخيانة فتكون انت في الخيانة سواء لانه عندهم انكم معاهدون على عهد بعد عهد لكن انبذ اليهم
العهد ثم ناصب فيما بينهم الحرب وقال بعضهم هو على حقيقة الخوف يقول اذا خفت منهم النقض والخيانة فانبذ اليهم اي
الق اليهم نقضك لتكونوا انت وهم في العلم بالنقض سواء قال ابو عبيدة قوله فانبذ اليهم على سواء اي اظهر لهم نقض العهد وانك مناصب
لهم حتى يعلموا ذلك فيصيروا على ذلك سواء وقال بعضهم سواء اي على امر بين قال ابو عبيدة قال غير واحد من اهل العلم فانبذ اليهم
على سواء اعلمهم انك تريد ان تحاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم فذلك السواء والكلبي السواء العدل وقال فانبذ اليهم على
سواء اي سرا اليهم وقد علموا انك علمت بهم وبعضه قريب من بعض وحاصل التاويل هو التاويلان اللذان ذكرتهما والله اعلم ثم
في اهل العهد ذكر عز وجل في اية اخرى وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر عز وجل باتمام العهد الى المدة اذا لم ينقصونا شيئا ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا اعداءهم
فاذا فعلوا شيئا من ذلك فلنا ان ننقض العهد الذي كان بيننا وبينهم وكذلك ابتداء العهد فيما بيننا وبينهم اذا سالونا ليس
للامام ان يعطي العهد اذا لم يكن في العهد منفعة للمسلمين منفعة ظاهرة وخاف عليهم فعلى ذلك ما دام يرجو في العهد منفعة للمسلمين وخاف عليهم
مراعاة ذلك العهد وحفظه فاذا خاف منهم او اطلع على خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان تلك الخيانة من جملتهم او من له منعة
فله ان يناصبهم الحرب وان لم ينبذ اليهم واذا كان ذلك من بعض على سبيل التلصص والسرقة فليس له ان يحاربهم الا بعد النبذ
اليهم وقوله ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون قال بعضهم لا تحسبن الذين كفروا نجوا وتخلصوا منك يا محمد
من المشركين يوم بدر اي لا اظفرك بهم في غير ذلك من الحروب والمغازي وانهم يفوتون ويعجزون الله من ذلك وقال بعضهم لا
تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون ويفوتون من نقمة الله وعذابه وقرا بعضهم بنصب الالف انهم لا يعجزون فمن قرا بالنصب
طرح لا وجعله صلة وقال لا تحسبن انهم يعجزون واما قراءة العامة فهو بالخفض انهم لا يعجزون على الابتداء فكانه قال انهم لا يعجزون على
الابتداء وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال بعضهم واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ولا تخرجوا الى الحروب
والمغازي كما خرجتم الى بدر بلا سلاح ولا قوة لانه اراد ان يجعل حرب بدر اية ليتبين الحق من المبطل ويميز الحق من الباطل
لذلك امركم بالخروج اليه بلا سلاح ولا عدة واما في سائر الحروب والمغازي فلا تخرجوا اليها الا مستعدين لها وبعد
فانهم انما تركوا الاستعداد طاعة لربهم وفي الاشتغال بالاستعداد ترك الطاعة له وامر عز وجل بالاستعداد لهم ما استطاعوا
من الاسباب لما ان ذلك ارهب للعدو من ترك الاستعداد وان كان عز وجل قادرا ان ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعلها
لانفسهم وهو كقوله لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله فامرهم بالاسباب في الحروب وان كان قادرا على انفاذ ما يريد
في عدوه بلا سبب لكنه امر بالاسباب لما ان جميع امور الدنيا جعلها بالاسباب من نحو الموت والحيوة وجميع الاشياء وان كان
يقدر على ابقاء الخلق جميعا بلا غذاء يجعل لهم والموت بلا مرض وسبب ولكن فعل ما ذكرنا ثم اختلف في قوله من قوة
قال بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقال الا ان
القوة الرمي قال ذلك ثلاثا ويحتمل قوله ما استطعتم من قوة ما تقوون به الحرب لا ما تقوون به وقال بعضهم القوة
السلاح وقال غيره الخيل ويمكن ان تكون جميع اسباب الحرب وفيه دلالة ان القوة التي هي اسباب الفعل يجوز ان
تتقدم الفعل ويكون قوله لو استطعنا لخرجنا معكم اراد استطاعة الاسباب لا استطاعة الفعل والله اعلم وقوله ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم امر برباط الخيل والاعداد للحرب رهبة للعدو واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
اختلف فيه قال بعضهم ترهبون برباط الخيل المشركين وقال واخرين من دونهم اليهود وفارس وقوله الذين كانوا فيما
بينهم يرهب بهؤلاء اليهود وقال بعضهم واخرين من دونهم المنافقين الذين كانوا فيما بينهم لا يعرفونهم كانوا طلائع للمشركين
وعيونا لهم يخبرونهم عن حال المؤمنين يرهب هؤلاء ايضا وقال اخرون قوله واخرين من دونهم هم الشياطين وردوا على ذلك

جزاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشياطين ولكن يجي الشيطان اتانا في داري فرس عتيق ويحتمل ان يكون قوله
واخرين من دونهم الاعدا الذين يكونون من بعد الى يوم القيمة لا تعلمونهم الله يعلمهم فان كان ذلك ففيه دلالة على الجهاد الى
يوم القيمة وقال بعضهم واخرين من دونهم هم الشياطين لا تعلمونهم الله يعلمهم وهو كقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
فان قيل اي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من رباط الخيل والسلاح الذي ذكر قيل يكون لهم رهبة في قمع اوليايهم اذ يكون
لاوليايهم رهبة فنسب ذلك اليهم وذلك كثير في القران وقوله عدو الله وعدوكم سمي عدو الله عدو المومنين ليعلم ان من اعتقد
عداوة الله صار عدو المومنين ومن اعتقد ولاية الله صار وليا للمومنين ومن كان وليا للمومنين يكون وليا لله وقوله
وما تنفقوا من شي في سبيل الله يوف اليكم اجر ان ما انفقتوا في سبيل الله يوفر عليكم ذلك اما الخلف في الدنيا كقوله وما
انفقتم من شي فهو يخلفه واما في الاخرة الثواب وانتم لا تظلمون يحتمل وجهين يحتمل وانتم لا تظلمون فيما امركم بالجهاد في سبيل
الله واتخاذ العدة والانفاق فيه اذ انفسكم واموالكم لله له ان ياخذها منكم والثاني وانتم لا تظلمون في الثواب في الاخرة
اي يعطيكم الثواب في الاخرة او الخلف في الدنيا والله اعلم وقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قري بالنصب للسلم وقري
بالخفض للسلم وقال اهل اللغة من قرا بالنصب للسلم حمل على المصالحة والموادعة ومن قرا بالخفض للسلم جعل ذلك في الاسلام
وقيل والله اعلم اي اذا خضعوا للصلح وطلبوا ذلك فاجنح لهم اي مل اليهم ولا يمنعك عن الصلح منهم ما كان منهم من
نقض العهد على ما ذكر في قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة يقول لا يمنعك عن الصلح اذا طلبوا ذلك
ما كان منهم من النقض ونكث العهود وتوكل على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يطلعك ويكفيك على ذلك
ومنهم من قال قوله وان جنحوا للسلم اي اذا خضعوا وتواضعوا للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم كقوله واخفض جناحك
للمومنين امر بخفض الجناح لهم ذكر ههنا انهم اذا طلبوا الصلح يلزمنا ان نعطيهم واذا لم يطلبوا ذلك لا يحل لنا
ان نطلب منهم الصلح الا ان يضطر الى ذلك وعلى ما ذكر في اية اخرى حيث قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون
نهانا ان ندعوهم الى الصلح ولنا قوة وعدة لقتالهم واما اذا كانوا طلبوا منا ذلك اولا فنجاب لهم الى ذلك ويحتمل
ما ذكرنا اي لا يمنعك لما كان منهم من نقض العهد وقوله فاجنح لها جعل ذكره بالتانيث اي بمعنى المصالحة وقال
بعضهم السلم هو مونث كقول الشاعر السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وكقوله بكر وثان
قيل ما المعنى في قوله قال بالاسلام لقوله فاجنح لها وهو كان يدعو الى الاسلام ولا شك انه كان يقبل منهم الاسلام
قيل يحتمل ان يكون الامر بالقبول امرا بترك المواخذة ما كان منهم في حال نقض العهد لان من قولنا ان ما اصابوا في
حال العهد من الجراحات والاموال يتبعون به ويواخذون اذا اسلموا واذا نقضوا العهد ثم اصابوا شيا من ذلك ثم
اسلموا لم يواخذوا بذلك فيحتمل ان يقول لهم فاجنح لها ولا تواخذهم بما كان منهم في حال نقض العهد وقال الحسن هذا
منسوخ نسخه قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الاية وقال بعضهم نسخها قوله اقتلوا المشركين الاية وقال بعضهم
نسخها قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا ان الامام اذا راى الصلح والموادعة
نظرا للمسلمين اجابهم الى ذلك وصالحهم واذا طلبوا منه الصلح وبالمسلمين قوة للقتال والحرب معهم لم يجبهم الى ذلك
وما ذكروا من نسخ فذلك لا نعرفه والله اعلم وقوله وان يريدوا ان يخدعوك في الصلح ويخونوك فان حسبك الله
اي الكافي الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم وان كان قوله فاجنح لها في الاسلام
فيكون قوله فان حسبك الله اي يطلعك الله على ما في قلوبهم من النفاق اي وان خفت منهم انهم يظهرون لك الاسلام في
الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك عن قبولها الاسلام منهم فان الله يطلعك ذلك ويكفيك على
ذلك والله اعلم وقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين يحتمل قوله بالمومنين بالملايكة الذين انزلهم معونة للمومنين يوم بدر
ويحتمل بالمومنين المومنين الذين كانوا معه فاخبر انه يويده بنصره وبنصر المومنين وكان النصر له بالله في الحقيقة بقوله وما
النصر الا من عند الله فالنصر من الله مرة يكون بالاسباب بالمومنين وبغير ذلك من الاسباب ومرة باللطف منه بلا سبب وقوله
والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال بعضهم الف بين قلوبهم بالدين الذي اجتمعوا عليه

كقوله

كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار اخبر انهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر
فلما اسلموا صاروا اخوانا ولكن عندنا الاسلام يوجب التاليف بين القلوب والاجتماع بينها ولكن يجوز ان لا يوجد التاليف
وان وجد الاسلام ليعلم ان الله هو الذي يولف بينهم بلطفه وفضله لقوله ولكن الله الف بينهم وقد يجوز ان يكون ما ذكر من
تاليف القلوب يكون مرة بالدين ومرة باللطف من الله فاذا كان الخلاف والعداوة بينهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق
ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان للاطماع فهو برفع اللطف من الله انه عزيز حكيم عزيز لا يعجزه شي حكيم في امره وحكمه
وقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين قال بعضهم حسبك الله وحسبك من اتبعك من المومنين اي كفاك
الله النصرة والعون لك وكفاك المومنين ايضا بما ذكرنا وقال بعضهم حسبك الله وحسبك من اتبعك من المومنين اي حسبك
نصر الله وحسبك نصر المومنين وهو على ما ذكر هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والاول اشبه والله اعلم وقوله
يا ايها النبي حرض المومنين على القتال التحريض على القتال يكون بوجهين احدهما ان يعد لهم من المنافع في الدنيا ويطمع لهم ذلك
من نحو ما جاء من التنفيل ان من فعل كذا فله كذا او يعدهم المنافع في الاخرة كقوله ان الله اشترى من المومنين الاية
وما ذكر من الثواب في الاخرة بالنفقة التي تنفقونها في سبيل الله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية
فيما ذكرنا فيه وعد المنافع لهم في الدنيا والاخرة ووعد النصر لهم والثاني يكون التحريض اقرب الحق او ليك ونكبة تصل
اليهم كقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشا جمع الله عز وجل في هذه الاية جميع انواع الحث الذي يكون في
القتال مع العدو من وعد النصر للمومنين عليهم وادخال السرور في صدورهم ونفي الحزن عنهم وتعذيب اولئك بايديهم
ونيل الغزا على العدو بقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول فذلك كله تحريض على القتال وترغيبهم
في الحرب مع العدو والله اعلم وقوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وان يكن منكم ماية يغلبوا الفا من
الذين كفروا الاية اختلف في معنى هذا قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا على الامر كانه
قال ليكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا امر العشرة القيام لماية وقال بعضهم انه على الامر لقوله الان خفف الله عنكم
ولو لم يكن على الامر والعزيمة لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال اخرون هو على الوعد انهم اذا صبروا وثبتوا للعدو غلبوا
عدوهم على ما اخبر كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله ليس على الامر لانه قال ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مايتين اخبر انهم اذا صبروا غلبوهم وهو كذلك والله اعلم اذ ظاهره وعد وخبر والاشبه ان يكون على الامر ليس
على الخبر على ما ذكرنا من قوله الان خفف الله عنكم وقوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله الان
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان قيل ما معنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم ان فيهم ضعفا وقت ما
امر العشرة القيام لماية والعشرين لمايتين قيل امر بذلك وعلم ان فيهم ضعفا وان في ذلك هلاك انفسهم وذلك منه
عدل اذ له الانفس ان شا اهلكها بالموت وان شا بالقتل بقتال العدو والتخفيف منه رحمة وفضل امر الواحد القيام
للعشرة على علم منه بالضعف ابتدا امتحانا منه وله ان يمتحن عباده بما فيه هلاكهم وبما لا وسع لهم فيه وفي الحكمة ذلك اذ له
الانفس له ان يتلفها كيف شا بما شا ويحتمل ذكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا يحتمل ان يكتب
ذلك عليهم والثاني يعلم فيهم الضعف كاينا شاهدا كما علم انه يكون وقد ذكرنا في قوله حتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين
اي يعلم مجاهدا كما علم انه يجاهد فعلى ذلك هذا ثم ذكر العشرة والعشرين يحتمل في التحديد ويحتمل لا على التحديد الا ترى
انه ذكر في الناسخ عددا غير العدد الذي في المنسوخ لانه في المنسوخ ذكر العشرين لمايتين وفي الناسخ ذكر الالف لالفين
بقوله وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فان كان لا على التحديد فيلزم الواحد القيام للاثنين وفي الاول
الواحد لعشرة وعلى ذلك روي عن عمر رضي الله عنه قال اذا لقي الرجل رجلين من الكفار ففر فقد فر وان لقي ثلثة
فاسر فليس بفار ولم يجعل للواحد الفرار من اثنين حيث لم يوجب عليه الفدا وقد جعل له الفرار من ثلثة حيث جعل
عليه الفدا وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذلك ويحتمل في التحديد اذا كمل العدد الذي ذكر لم يسع الفرار ويلزمهم

القيام لهم واذا كانوا دون ذلك لم يلزم وكذلك قال الحسن امر ان الصبر عشرون لمايتين ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر
مايه لالف ان فروا منهم لم يعذروا وقال ثم انزل الله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فامر ان يصبر مايه لمايتين وان
فروا منهم لم يعذروا وان يصبر الالف لالفين ان فروا منهم لم يعذروا فان كان في التحديد فهو ما يتقولون انهم ما لم يكونوا
مثله فانه ليس لهم ان لا يقاتلوا وقوله فان يكن منكم مايه صابره قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله وبكفها عن
جميع ما نهى عنه ولذا فانه فاذا فعل ذلك غلب على العدو وقهر وقال بعضهم الصبر هو ان يوطن نفسه في القتال ثم العدو وحبسها
في ذلك والذكر قيل هو ان يبذل لنفسه وطاعة لله لا يجعل لغيره فيكون الذكر والصبر كالاصل سوا وان كان في العبارة
مختلفين لان الذكر هو بذل النفس وطاعته له والصبر هو الكف والاحتباس على جميع ما امر الله واداما افترض له
بل فاذا اجتمع من عنه يكون بالدلالة ولهذا سمي الصبر ايمانا بقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر هنا
مكان ما ذكر في غيره الايمان بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله والله مع الصابرين في النصر لهم على
عدوهم والغلبة عليهم وقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قال ابو بكر الكيساني عاتب الله رسوله
واصحابه في اخذ الاسارى بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وبالغ في العتاب في اخذ الفدا
من الاسارى بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وذكر انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما استشار
اصحابه في الاسارى فاشار ابو بكر الى اخذ الفدا وعمر الى القتل فقال لو نزل من السما عذاب ما نجا الا عمر عاتبهم بالاخذ
اخذ الاسارى واشد العتاب في اخذ الفدا وامر بالقتل وضرب الرقاب بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان انما امر بضرب الرقاب وضرب البنان وكذلك يخرج قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
في العتاب الى هذا ابو بكر الاصم وعن ابن عباس لم تكن الانبيا صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم اسارى حتى
يثخنوا في الارض وعن سعيد بن جبير قال لا ينبغي ذلك في اسارى المشركين ولا يمن عليهم حتى يثخنوا بالقتل ثم تلا حتى اذا
اثخنتموهم فشدوا الوثاق الى هذا ذهب هولا وقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى يخرج تاويل الاية على وجهين
احدهما يقول ما كان لنبي ان ياخذ من الاسرى الفدا حتى يثخن في الارض اي يغلب حتى اذا اخذ الفدا وسرحهم
بعد ما غلب في الارض يكون رجوعهم الى عز منعتهم وشوكتهم واذا لم يغلب في الارض ثم اخذ الفدا يكون رجوعهم الى منعتهم ذلك
لا يحل والثاني يقول ما كان لنبي ان ياسر الاسارى حتى يغلب في الارض اي حتى يصير الدين كله لله كقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة الاية هذا كان لمن قبله فرخص لرسوله ذلك وقيل في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم بوجوه اصلح ما قال ابو بكر الاصم تاويله لولا كتاب من الله سبق ان لا يعذب المخطيين في عملهم على جهله وامره لا
لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسارى والغنايم عذاب عظيم وقال اخرون قوله لولا كتاب من الله ان احل الغنايم
لهذه الامم والا لمسكم العذاب فيما اخذتم واستحللتم عذاب عظيم وقال بعضهم لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما
عملوا من الاخذ وغيره وانه يتوب عليهم والا لمسكم العذاب بذلك ولا يمكن ان يكون الاول وبالاية في هذا ان هذا كان في اول
فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان دلالة اباحة الاسر وحصته لانه قال فاضربوا فوق الاعناق والضرب
فوق الاعناق هو الابانة من المفصل الذي يبان به الراس وذلك قلما يمكن في القتال ولا يقدر ابانة الراس في
الحرب انما يمكن ذلك بعد ما اخذوا ووقعوا في ايديهم واما ما ذكر من ضرب البنان فهو في الحرب لانه في الحرب انما
يضرب فيما ظهر ووجد السبيل الى ذلك ففيه دلالة وتاويل قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم الاية يحتمل ان يكون
صلتها على ما سبق من قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق الاية
اي لولا كتاب من الله سبق اي لولا من حكم الله ان يجعل لكم الظفر على احدى الطايفتين والا لمسكم العذاب لجدالكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفتكم اياه في الخروج وارادتكم العير او ان يقال لولا من حكم الله ان لا يعذب احدا
ولا يواخذه في الخطا في العمل بالاجتهاد والا لمسكم كذا ويكون قوله اخذتم اي عملتم ثم قال ابن المعتزلة في قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة على ان الله لا يريد ما اراد العباد اذا ارادوا المعاصي لانه اخبر انهم ارادوا عرض

الدنيا وهو يريد الاخرة فهم ارادوا المعصية وهو يريد لهم الاخرة ولكن التاويل عندنا ان قوله تريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة اي تريدون عرض الدنيا والله يريد صنيع الاخرة وعرضها وبعد فانه قد كان الله اراد لهم الاخرة وهو ما هم
ارادوا العير وعرض الدنيا وقد كان ما ارادوا لما اراد وانهم اي اختيارهم على اختيارهم واصله ان الله عز وجل اراد
الاخرة لا سبيل فكان ما اراد واذا ولا يملكه الكفرة التي ركان ما اراد كقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة الاية
ان يكون الارادة هنا المودة والمحبة اي تودون وتحبون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال واذ
يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم كانوا يودون ان القتال لهم بغير ذات الشوكة
حتى يكون لهم الغنايم والارادات التي تضاف الى الله تخرج على وجوه ثلثة احدها الرضا كقوله سيقول الذين اشركوا
لو شا الله ما اشركنا كانوا يستدلون بتركه اياهم وهم على ان الله قد رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة فعل كل فاعل يخرج فعله على غير سهو وغفلة
ولا غلبة يخرج على الاختيار وقال بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار في اسارى يوم بدر اصحابه
فقال له ثم ابو بكر ما ابا بكر ما تقول فيهم فقال يا رسول الله قومك واهلك فاستبقهم واستانهم لعل الله يتوب عليهم وقال عمر
يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم
فيه واضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله فلم يجبهم شيا ثم قام فدخل فقال ناس يقول بقول
ابي بكر وقال ناس يقول بقول عمر وقال ناس يقول بقول عبد الله ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا
ابا بكر كمثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وان مثلك يا ابا بكر كمثل عيسى حيث قال ان
تعذبهم فانهم عبادك وان مثلك يا عمر كمثل موسى حيث قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقال يا عمر مثلك كمثل
نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولا يالي احد منكم الا بفدا او ضربة عنق قال عبد الله الا
سهيل بن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله فما رايتني في يوم اخوف ان يقع علي الحجارة مني في ذلك اليوم
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضا فانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى اخر ما ذكر ثم يحتمل قوله
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قبلكم واما انتم فقد احلت لكم الاسارى والغنيمة ويدل ابن سا ه
ذكر من الاخبار والايات على انه اذا اثخن في الارض جاز له الاسر لانه لو لم يجز ذلك لما لا يجوز قبل الاثخان في
الارض زال فايدة الخصوص وقد بين الله ذلك بقوله حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ثم اختلف اهل العلم في فدا
الاسارى بالمال قال ابن عباس قال كان ذلك يوم بدر والمسلمون يوميذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى
بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل النبي والمومنون بالخيار ان شاوا فادوهم وعن الحسن قال لا يصنع بما
صنع رسول الله باسارى بدر يمن عليه او يفادى وقال بعضهم بخلاف ذلك وقال اصحابنا ان احتاج الامام الى المال فادا بهم وقد
دل ما ذكرنا من الايات والاخبار على جواز الفدا بعد الاثخان فيهم فان لم يكن الى المال محتاجا فليقتلهم لان ذلك انكا
في العدو واشد رهبتهم من المومنين وقال بعضهم فلهم ان يسترقهم لهوكا قالوا اذا كان الاسير من اهل الكتاب او من العجم
فاما عرب عبدة الاوثان فلا يسترقون لانا لا نعلم احدا منهم استرقه النبي صلى الله عليه وسلم لما اسر ولم يبلغنا ان ابا بكر
استرق واحدا من اهل الردة وكيف يجوز استرقاقهم وقد قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون واما الفدا والقتل فقد
ظهر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر وفيما روي من الاستشارة استشارة النبي اصحابه في الاسارى
دل ان العمل بالاجتهاد دنا وعنه في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر يا ابا بكر ويا عمر ان ربي يوحى الي
ان اشاوركما ولولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رايكما فيه انه لا يجوز لاحد ان يخالف ما دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله لولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رايكما ثم ما اخذ من الاسارى من الفدا
لا يدرى على اي وجه اخذ على الترك والرد الى اوطانهم من غير ان تركهم بالجزية اذ من قولهم ان لا يجوز اخذ الجزية منهم

والترك على ذلك وفي الاية دلالة ذلك وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وفي الخبر لا يجتمع دينان في جزيرة العرب الا ان يقال
ان المفاداة التي ذكر كان قبل هذا او هذا كان بعد والله اعلم وقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قال بعضهم قوله حلالا
طيبا واحد كقوله حلالا طيبا وقيل حرام خبيث والطيب اذا احل وخبيث اذا حرم ولكن يحتمل قوله حلالا طيبا حلالا بالشرع
طيبا في الطبع وكذلك الحرام هو حرام بالشرع وخبيث بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرمة من جهة الشرع والطيب والخبث بالطبع
والطيب هو الذي يتلذذ به ولا تبعة فيه لا يخوف التبعة فينغص عليه ويذهب بطيبه ولذته وجائز ما ذكر من الطيب
ههنا لما ان اهل الشرك كانوا ياخذون الاموال ويجمعونها من وجه التحلل باسباب فاسدة فيكرهون المنا ولهذا
اذا غنموا لذلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا وفيه دليل جواز التغلب في البيع الفاسد وطيب
التناول منه وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون باذن ففي ذلك الاول يحتمل ما ذكرنا وفيه دلالة ان اهل
الكفر لا يواخذون بالافعال التي كانت لهم في الكفر ولا ما كانوا تركوا من العبادات لما ليست عليهم انما يواخذون بالاعتقاد
وقوله واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه فلا تعصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع عما فعل وقوله يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم قال عامة اهل التاويل ان الاية نزلت
في العباس بن عبد المطلب واصحابه وكذلك يقول ابن عباس قالوا للنبي امنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله
فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ان يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق لله في قلوبكم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي
ايمانا وتصديقا فيخلف عليكم خيرا مما اصيب عليكم لكنهم جمعوا فيخرج من فعل مثل فعلهم في ذلك سواء يكونون الموعود
الذي ذكر ما يكون له وقوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا وهو الايمان الذي علم انهم اعتقدوا في قلوبهم وقوله يؤتكم خيرا مما اخذ
منكم اي اتاكم خيرا وهو الايمان مما اخذ منكم من المال الذي ذكر في القصة ويجوز ان يكون فعل كقوله اذ يقول
المنافقون اي قال المنافقون وذلك كثير في القران فيكون ذلك كقوله يؤتكم خيرا اي اتاكم خيرا ويحتمل قوله يؤتكم اي يثيبكم
ويعطيكم افضل مما اخذ منكم في الاخرة والله اعلم وقوله ويغفر لكم والله غفور لما كان في الشرك كقوله فان
انتهوا فان الله غفور للذنوب وذو تجاوز رحيم يرحمهم في الاسلام ويحتمل قوله ايضا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا
او اخذتهم بحكم اجزائه يؤتكم خيرا من ذلك في الدنيا من الاموال وغيرها والاثخان قال ابن عباس القتل وقال ابو عبيدة
يثخنوا اي يبيدوا العدو المثخن الذليل وقال ابو عوسجة حتى يثخن في الارض اي يثخن في اهل الارض يكثر القتل والجراحات
يقال اثخنت في القوم اذا اكثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه حتى اثخنه اي ضربه حتى لا يقدر على القيام
والذي ذكر محمد رحمه الله في بعض مسائله انه اذا رمى صيدا بسهم فاصابه حتى اثخنه ثم رمى اخر بسهم فاصابه فانه لا يحل لما انه
صير بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو الضرب الذي وصفنا وثخن يثخن ثخانة فهو ثخين وثخن يثخن ثخونة
اي غلاظ وقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يحتمل ان يكون الاية صلة ما سبق من الايات
نحو قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الاية وهو قوله وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الاية
وغير ذلك واما تخافن من قوم خيانة ونحو ذلك فقال وان يريدوا خيانتك في نقض العهد وغير ذلك من الامانات فقد
خانوا الله من قبل يحتمل قوله فقد خانوا الله من قبل فيما عهدوا ان يوفوا ذلك من ذلك قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فلما انجاهم الله عن ذلك فلم يكونوا من الشاكرين وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين فلما اتاهم الله ذلك فلم يفوا بما عهدوا او غير ذلك من العهود التي عهدوا والامانات التي ائتمنوا فيها فخانوا
الله في ذلك او ما عهد اليهم في امر محمد واظهار نعته وصفته في كتبهم فكتموا ذلك وحرفوه واظهروا خلاف نعته وصفته فذلك
منهم خيانة فيقول انهم قد خانوا الله من قبل فامكن الله منهم فاذا خانوك فيمكنك الله منهم ايضا وقوله فامكن منهم قال بعضهم
امكن منهم اي اسر منهم جراحا منهم وقال بعضهم امكنك حتى اثخنت منهم وقوله وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة
ولكن على وقوع فعل الخيانة كانه قال وان خانوك فقد خانوا الله من قبل لكنه ذكر الارادة لما هي صفة كل فاعل مختار لما لا
يكون الا بفعل الا بارادة وقوله والله عليم بما يسرون ويضمرون من الخيانة ونقض العهود حكيم في امره وحكمه حيث

امكنك منهم وقال بعضهم في قوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل اي ان خانوك بعد اسلامهم بالكفر بك فقد
خانوا الله من قبل اي فقد كفروا بالله قبل هذا يقول ان خانوك امكنك منهم فقتلتهم واسرتهم كما فعلت بهم ببدر والله عليم
بخلقه حكيم في امره وقوله ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله قوله امنوا اي صدقوا بايات
الله وحججه او صدقوا رسوله في جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله وكذبوا بايات
ربهم ذكر ههنا التصديق مكان التكذيب في ذلك وقوله وجاهدوا في الله ردين لله ونصروا باموالهم وانفسهم اي بذلوا
ذلك والذين اووا اي ضموا النبي ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض قال ابن عباس وعامة اهل التاويل الولاية التي ذكرت
في الاية في التوارث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة وكذلك
قالوا في قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء يعني الميراث وروي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض في الدنيا والاخرة والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم
اولياء بعض في الدنيا والاخرة وعن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك وعن المسعودي عن القاسم قال
اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فاخا بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام اخوة يتوارثون بها لانهم هاجروا
وتركوا قراباتهم حتى انزل الله اية المواريث وعن ابن عباس في قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون
حين قدموا المدينة يرث الانصار دون رحمه بالاخوة التي اخا النبي بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون نسخت والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة ويوصي له ولا ميراث وعن الحسن في قوله
تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فكان المسلمون يتوارثون بالهجرة فكان الاعرابي لا يرث المهاجر والمهاجر
لا يرث الاعرابي فحرمهم بذلك على الهجرة حتى كثر المسلمون فانزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية فورث
الاعرابي المهاجر وتوارثوا بالارحام الى هذا يذهب عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان الهجرة كانت مفترضة فزال فرضها
بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عائشة رضي الله عنها قالت انقطعت الهجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية فانما كانت الهجرة الى الله ورسوله والمؤمنون يفرون بدينهم من ان يفتنوا عنه وقد افشى الله الاسلام هذا الذي
ذهب هؤلاء في قوله بعضهم اولياء بعض في التوارث يحتمل ويحتمل غير هذا وهو ان قوله ان الذين امنوا وهاجروا الى
قوله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض اي اولئك بعضهم اولياء بعض في تمام الولاية في التناصر والتعاون
والحقوق والديانة انهم اولياء بعضهم ببعض من الذين امنوا ولم يهاجروا لانهم امنوا وهاجروا اي تركوا منازلهم واهاليهم
وقراباتهم وبلدهم الذي كانوا فيه مقيمين اشفاقا على دينهم واستسلاما لهم ولانفسهم والانصار اووهم وانزلوهم في
منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وتحملوا جميع مؤونتهم ان كان سبق منهم اليهم شيء فصاروا لهم اعوانا وانصارا بعضهم
اولياء بعض في تمام ما ذكرنا من الولاية لهم وولاية الدين وليس لهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التي
تكتسب بالدين وفي قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء دلالة نقض قول المعتزلة لانه جعل على الذين
لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة وفي تركهم الهجرة مرتكبين كبيرة وذلك ان صاحب الكبيرة لا يزول عنه اسم
الايمان وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي اولوا الارحام اذا امنوا وهاجروا بعضهم اولى ببعض من غيرهم
لانهم اذا امنوا وهاجروا ولهم قرابة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولى من غيرهم الذي لا قرابة بينهم ولا رحم اذا اجتمع
فيهم الرحم والمعونة والنصرة والديانة والحقوق اجتمع فيهم اشياء اربعة وفي اولئك ثلاثة فهم اولى بهم من غيرهم هذا على
التاويل الذي ذكرنا والله اعلم وقوله وان استنصروكم في الدين يعني الذين لم يهاجروا يحتمل وجهين يحتمل اذا طلبوا
منكم المعونة والنصر على عدوهم فعليكم النصر والمعونة لهم اذا لم يكن بينكم وبين اولئك ميثاق والثاني اذا علمتم انهم
يحملون على انفسهم من عدوهم ويخافونه فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي اذا استنصروكم بالطلب على قوم بينكم
وبينهم ميثاق فلا تنصروهم وليس عليكم ان تنصروهم وتعينوهم حتى تنبذوا اليهم العهد فيقول ان استنصروكم يا معشر المهاجرين
اخوانكم المؤمنون الذين لم يهاجروا اليكم فانما هم عدوهم من المشركين ومن يغلبونهم لترتدوهم عن الاسلام فانصروهم ثم استثنى

فقال الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول ان استنصروكم يا معشر المهاجرين اخوانكم المؤمنون الذين لم يهاجروا اليكم
فانا ما عدوهم من المشركين فقاتلوهم ليردوهم عن الاسلام فانصروهم ثم استثنى فقال الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول
ان استنصروكم الذين لم يهاجروا الى المدينة على اهل عهدكم فلا تنصروهم والله بما تعملون بصير في المعونة والنصرة ونحوه وقوله
ما لكم من ولايتهم من شيء قرئ بالخفض ولايتهم وبالنصب جميعا ولايتهم اعني بنصب الواو وخفضها وكذلك التي في الكهف هنالك
الولاية لله بالخفض والنصب جميعا الولاية ثم قال بعض اهل الادب الولاية بفتح الواو النصرة والمعونة والولاية بخفض الواو
السلطان اي السلطان لله وقال بعضهم الولاية بالخفض المعونة والنصرة والولاية السلطان وقال اخرون هما سواء وهو النصر
والمعونة والولاية في الامارة والسلطان والولاية في الدين وقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض على قول ابن عباس
وعامة اهل التاويل بعضهم اولى ببعض في التوارث على ما قال في المهاجرين والانصار بعضهم اولى ببعض ويحتمل ما ذكرنا
ان بعضهم اولياء بعض في التناصر والتعاون والعز والحقوق جميعا على ما ذكر في المؤمنين وقوله الا تفعلوه تكن فتنة
في الارض وفساد كبير فيه بوجهين احدهما الا تفعلوه اخوانكم الذين لم يهاجروا اذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم تكون فتنة في
الارض وفساد كبير اي ان لا تكونوا لبعضكم اعوانا وانصارا لبعض على ما كان اهل الكفر بعضهم انصار البعض غلبكم العدو
وقهركم فيكون في ذلك فتنة وفساد ويكون كانه قال قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال بعضهم قوله الا تفعلوه
تكن فتنة ملحقا بقوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي ان استنصركم اخوانكم على قوم بينكم وبينهم عهد فنصرتموهم تكون فتنة
وفساد كبير وقال بعضهم قوله الا تفعلوه فيما امركم به من جعل التوارث فيما بين المؤمنين وجعلتم الميراث والتوارث فيما
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير لان الله عز وجل ذكر المواريث ثم ذكر في اخر الاية تلك حدود الله ومن يطع الله
ورسوله [illegible] وذكر من ترك حدود الله وطاعة رسوله وجعل الميراث في غير ما امر الله عز وجل تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقوله
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اي منعوا رسول الله والمهاجرين ونصروهم اولئك
هم المؤمنون حقا اي المهاجرون والانصار الذين صدقوا اولئك هم المؤمنون حقا لما حققوا ايمانهم باعمالهم لانهم هاجروا
بلادهم واهليهم واموالهم اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله والطاعة في ذلك واولئك الانصار ضموا
اليهم انفسهم وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم التي عملوا
ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون حقا اي صدقا في السر والعلانية ليس كايمان المنافقين يكون في العلانية ولا يكون في
السر كقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن
المنافقين ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون حقا اي اولئك المؤمنون الذين حققوا الايمان به وقوله لهم مغفرة ورزق كريم
اي حسن يكرم اهله به وقوله والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اي من امن بعد هؤلاء وهاجر بعد هجرة اولئك
فانهم يلحقون باولئك في جميع ما ذكر في اولئك الذين هاجروا من قبل في كرمهم والله اعلم ليعمل كل على عمل اولئك من
الهجرة والنصر وبذل الانفس والاموال ويحتمل ذلك للذين على ما بذل اولئك واشفقوا على دينهم وقوله فاولئك منكم واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله معنا ذكرنا ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين
فاذا لم يكن اولوا الارحام فجملة المؤمنين اولى وهو بيت المال فان ام واحد منهم سواه فهو اولى بالميراث وعلى ذلك
يخرج قولهم في العقل انه على ذوي الارحام ما داموا اهلا فاذا لم يكن احد منهم فهو على جملة المؤمنين في بيت المال وقوله
ان الله بكل شيء عليم بالعبد وما يكون منهم وبكل شيء عليم بما يحتاجون وما لا يحتاجون وهو حرف وعيد والله اعلم
وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي بعضهم اولى ببعض في حق التوارث من المؤمنين الذين هاجروا فنسخ هذه
الاية حكم الميراث الذي ذكر في قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء لانه كان جعل التوارث بينهم بحق
الايمان والهجرة ثم نسخ ذلك فجعل الميراث بالرحم حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وكذلك ما ذكر في سورة
الاحزاب حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فاذا لم يبق من الرحم احد
فبعد ذلك يكون لجملة المؤمنين وقوله في كتاب الله في حكم الله او في كتاب الله الذي ذكر في كتاب الله ثم لزومهم الهجرة على الذي

هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الذين هاجروا ثم سوى بينهم في اللزوم وجمع بين المهاجرين والانصار في الشهادة
لهم بالتصديق والايمان حيث قال اولئك هم المؤمنون حقا وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب بها من المال حيث قال اولئك
بعضهم اولياء بعض وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم وجمع بينهم في من الخصال وان قدم ذكر
المهاجرين في غير واحد من الايات لما كانوا مستوين في الاسباب التي استوجبوا ذلك لان من المهاجرين ترك الاوطان والمنازل
والخروج منها والمنافرة عن اهليهم واموالهم وكان من الانصار مقابل ذلك انزالهم في منازلهم واوطانهم وبذل اموالهم وقيام
اهليهم في خدمتهم لذلك كان ما ذكر والله اعلم

سورة براءة قوله عز وجل

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال بعضهم من اهل التاويل ذلك في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد على غير
مدة بينة فامر بنقض العهد المرسل وجعل في الاربعة اشهر التي ذكر في قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر وقال بعضهم هم في قوم كان
لهم عهد دون اربعة اشهر فامر باتمام اربعة اشهر ودليله قوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقال ابو بكر الكيساني الاية في قوم كانت
عادتهم نقض العهد ونكثه كقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة فامر ان يعطي العهد اربعة اشهر التي ذكر في الاية
ثم الحرب بعد ذلك وقال بعضهم لما نزل قوله براءة من الله ورسوله بعث رسول الله عليا الى الموسم ليقراه على الناس فقراه عليهم
براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة اشهر الا الذين عاهدتم من المشركين الى ذكرنا ما حمل هؤلاء كلهم قوله براءة على النقض وعندنا
يحتمل غير هذا وهو ان قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين في امضاء العهود ووفائه والبراءة هي الوفاء والتمام
ليس هي النقض لانه قال الى الذين عاهدتم من المشركين والبراءة اليهم هو الاتمام [illegible] العهد اليهم ولو كان على النقض لقال من الذين
عاهدتم من المشركين فدل انه هو اتمام اعطاء العهد اليهم وامضائه اليهم ويؤيد هذا ما قال بعض اهل الادب ان البراءة هي الامان
يقال كتبت له براءة اي امانا فهذا الذي ذكرنا اشبه [illegible] اهل التاويل وقوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي
سيروا واذهبوا في الارض اربعة اشهر اي في مدة العهد وقوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان المؤمنين وان اعطيتم
العهد في وقت فانكم غير معجزي الله [illegible] ولا فائتين عنكم في تلك المدة وان الله مخزي الكافرين الخزي هو العذاب الفاضح
الذي يفضحهم ويظهر عليهم ويحتمل ان يكون ذلك العذاب والخزي الذي ذكر في الاخرة وقوله واذان من الله ورسوله الى الناس
يوم الحج الاكبر قال القتبي واذان من الله ورسوله اي اعلام ومنه اذان الصلوة هو الاعلام بها اذنتهم ايذانا وكذلك
قال ابو عوسجة وقوله ان الله بريء من المشركين ورسوله دلالة ما قال اهل التاويل من النقض لان قوله براءة من الله ورسوله يكون
في امضاء العهد واتمام الى المدة التي ذكر ويكون ما روي في الخبر وذكر في النقض ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت براءة بعث
ابا بكر على الناس ليقيم للمؤمنين حجهم وبعث معه ببراءة السورة ثم اتبعه علي بن ابي طالب فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي بابي انت وامي انزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني اما ترضى يا ابا بكر انك صاحبي
في الغار وانك اخي في الاسلام وانت ترد علي الحوض يوم القيامة قال بلى يا رسول الله فمضى ابو بكر على الناس ومضى علي بن ابي
طالب بالبراءة فقام على الموسم فقرا على الناس براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة اشهر فانهم يسيحون فيها ثم قوله يوم الحج
الاكبر قال عامة اهل التاويل هو يوم النحر لانه فيه ذكر طواف البيت [illegible] البيت وقال بعضهم هو يوم عرفة لانه هو الذي يوقف
بعرفة ويتم الحج على ما روي في الخبر [illegible] وعن الحسن انه سئل فقيل له ما الحج الاكبر فقال [illegible] المسلمون والمشركون
جميعا اجتمعوا [illegible] وفي ذلك اليوم كان لليهود عيد وللنصارى عيد لم يكن قبله ولا بعده فيه اسم الحج الاكبر [illegible]
ابو بكر [illegible] ويحتمل ان يسمى لما اجتمع عيد النصارى واليهود يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول السخط عليهم واللعنة ولكن جائز
ان يسمى بذلك لاجتماع الخلائق فيه من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يوما عظيما كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب
العالمين وقوله فان تبتم فهو خير لكم اي ان تبتم عما انتم عليه فهو خير لكم لانكم تامنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم
ويكون ذلك الخوف والرعب في قلوب المشركين على ما روي في الخبر انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقوله وان توليتم
عما ذكرنا فاعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه ويحتمل قوله فان تبتم عن نقض العهد فهو خير لكم في
الدنيا والاخرة [illegible] فان تبتم واسلمتم فهو خير لكم في الدنيا والاخرة ثم روي في بعض الاخبار عن علي رضي الله عنه انه سئل باي شيء بعث

قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده اربعة اشهر ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الحرم مشرك بعد سنة وفي بعض الاخبار ولا يحج مشرك بعد عامهم هذا وكذلك قال في الاية فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا ففيه دلالة اثبات رسالة محمد لانه قال في ملا من الناس بالموسم لا يحج مشرك بعد هذا مع كثرتهم او شوكتهم وقوتهم
وقلة المؤمنين وضعفهم ثم لم يجاسر بعد ذلك لهذا احد ان يدخل مكة للحج وغيره دل ان ذلك كان بالله تعالى الله بهم عصمه من الناس
مما استدل بالخبر الذي روي انه بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه ببراءة ثم اتبعه عليا فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدث في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني على ان عليا هو المستحق للخلافة وهو
الاولى بها دون ابي بكر حيث قال لا يبلغ عني الا رجل مني لكن يحتمل انه ولى ذلك عليا لما كان من عادة العرب انهم اذا عاهدوا
عهدا انه لا ينقض فسخ عليهم الا من هو من قومهم فولى ذلك عليا لئلا يكون لهم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد
او ان يقال ولى عليا امر الحرب وهو كان ابصر واقوى بامر الحرب من ابي بكر وولى ابا بكر امر اقامة الحج والمناسك وكان
ابو بكر هو المولى امر العبادات وعلي امر الحروب فالحاجة الى الخلافة لاقامة العبادات او ان يقال ان ابا بكر كان امير الموسم
وعليا كان مناديه فالامير في شاهدنا اجل قدرا واعظم منزلة من المنادي وامر عليا ذلك لما ان ذلك ان كان اقبل واكثر
من غيره من الاذن فيه والله اعلم وقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا قال بعضهم هذا صلة قوله براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الا الذين لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر
باتمام العهد للذين لم ينقضوا المسلمين ولا ظاهروا عليهم احدا واما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فانه لا يتم لهم ولكن
ينقض وكذلك تاولوا قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين النقض ويحتمل ان يكون صلة قوله وبشر
الذين كفروا بعذاب اليم ويكون العذاب الاليم هو القتل والاسر كانه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والاسر الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ثم يحتمل قوله لم ينقصوكم شيئا اي لم يخونوكم شيئا مادمتم
في العهد ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا ولا اطلعوا اعداء المشركين عليكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم كقوله
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء امر بالنبذ اليهم عند خوف الخيانة وامر بالاتمام اذا لم يخونوا ولم يظاهروا
عليهم احدا ويحتمل قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين على ان قوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي
غير معجزي اولياء الله في عذاب الدنيا لانهم جميعا سواء في عذاب الاخرة مشتركين فيه وقوله الى مدتهم قال بعضهم هي القوم
اربعة اشهر بعد يوم النحر لعشر مضين من ربيع الاخر لمن كان له عهد ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم خمسون ليلة وقال
بعضهم الا الذين عاهدتم من المشركين بالحديبية فلم يبرا الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربع ثم لم ينقصوكم في الاشهر
الاربع ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعينوا عليكم احدا من المشركين اي ان لم يفعلوا ذلك فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم وهو الاربعة الاشهر ان الله يحب المتقين الذين اتقوا المعاصي والشرك وقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم قال
بعضهم الاشهر الحرم هي اشهر العهد والامان فاذا انسلخت تلك الاشهر ومضت فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال
بعضهم الاشهر الحرم هي الاشهر التي خلق الله وجعلها حراما كقوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى ان قال
منها اربعة حرم وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم قال بعضهم حيث وجدتموهم وخذوهم في الاماكن
كلها لان حيث انما يترجم عن مكان امر بقتالهم في الاماكن كلها لانه لم يخص مكانا دون مكان وقال اخرون هو في الاماكن
كلها الا مكان الحرم دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام امرهم بقتالهم في الاماكن كلها الا المسجد الحرام ولكن ان يكون انهم يقتلون الان بدخلوا الحرم فاذا دخلوا
الحرم وقد نهوا عن الدخول فيه والحج هنالك على ما روي ان عليا نادى بالموسم الا لا يحجن بعد العام مشرك فاذا دخلوا
يقتلون ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم ايانا فاذا قاتلونا عند المسجد الحرام قتلناهم كقوله ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم والله اعلم وقوله وخذوهم قيل اسروهم وقوله
واحصروهم قيل احبسوهم واقعدوا لهم كل مرصد والمرصد الطريق كانه امر بقوله فاقتلوا المشركين بقتلهم اذا قدروا

عليهم وامكن لهم ذلك والا فيعند الامكان والحبس اذا دخلوا الحصن وحفظ المراصد عند غير الامكان لئلا يغزوا وقيل
ارصدت له اي انتظرت احدا مرصدتي وفي التاويل رصدته اي انتظرته وقال بعضهم قوله كل مرصد اي كل طريق يرصدونكم كانه
امر بذلك ليضيق عليهم الامر ليضجروا وينقادوا وادونه ويلجا النبي عم بحمل الجدار والجهاد من انواع الشباب والاستمرار وما يشتغلون
بلا انه امر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليضيق عليهم ويشتد فينقادوا او ويميلون اليهم بتوسيع عليهم وقوله وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد يحتمل ان يكون قوله وخذوهم واحصروهم اي الجئوهم عليهم الحجج والبراهين ليضطروا الى قبول
ذلك فاذا انكروا ذلك والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
قال بعضهم امر الله في اول الاية بقتل المشركين فقال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم توجب بظاهر الاية ان يقاتل من امن ولم يقم الصلوة ولم يؤت الزكوة لان الله تعالى
انما رفع عنهم القتل بالايمان واقام الصلوة وايتاء الزكوة فاذا لم ياتوا بذلك فالقتل واجب عليهم وكذلك فعل ابو بكر
الصديق لما ارتدت العرب ومنعتهم الزكوة حاربهم حتى اذعنوا باداءها اليه وروي عن انس قال لما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر اتريد ان تقاتل العرب كافة فقال ابو بكر انما قال رسول الله اذا
شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة منعوني دماءهم واموالهم والله لو منعوني
عناقا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قال عمر فلما رايت راي ابي بكر قد شرح عرفت انه الحق وفي
بعض الاخبار قالوا نشهد ان لا اله الا الله ونصلي ولكن لا نزكي فمشى عمر والبدريون الى ابي بكر فقالوا دعهم فانهم اذا
استقر الاسلام في قلوبهم وثبت ادوا فقال والله لو منعوني عقالا مما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه
قيل او قاتل رسول الله على ثلث شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله لا اسال فوقهن ولا اقصر دونهن فقالوا انا نزكي ولكن لا ندفعها اليك فقال
والله حتى اخذها كما اخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعها مواضعها وقال اخرون قوله فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة في قبولهما والاعتقاد بهما دون فعلهما لانه لا يحتمل حبسهم ومنعهم الى ان يحول الحول فيؤخذون باداء
الزكوة دل انه على القبول والاقرار بذلك واستدلوا بما روي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقالوا في بعض الاخبار
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني كذا وفي بعضها حتى يقولوا
لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني كذا ما لعل ذكرنا من الزيادات
والنقصان ان ذلك في قوم مختلفين وانه في القبول لذلك والاعتقاد لا في الفعل نفسه لمن كان لا يقر بشيء من ذلك
فاذا قال لا اله الا الله كان ذلك ايمانا منه في الظاهر ومن كان يقول لا اله الا الله ولا يقول محمد رسول الله فاذا
قال ذلك كان ذلك منه ايمانا ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلوة والزكوة فاذا اقر بذلك كان ذلك منه ايمانا فهو
على الاقرار به والاعتقاد له لا على الفعل الا ترى انه لا يرى ان ياخذوا منهم الزكوة [illegible] وابوا فلو كان الاداء من
شرط الايمان لكانوا غير مؤمنين باخذ [illegible] واختلفت الصحابة والروايات في الحج الاكبر روي عن عبد الله بن الزبير
عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة هل تدرون اي يوم هذا قالوا انه اليوم الحرام يوم الحج الاكبر
قال فان الله قد حرم دماءكم واموالكم عليكم الى يوم القيمة كحرمة يومكم هذا وعن عمر رضه انه سئل عن الحج الاكبر
فقال يوم عرفة وعنه انه وقف عليهم يوم عرفة فقال ان هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وعن ابن الزبير يقول
يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم انه خطب على ناقة حمراء يوم النحر فقال رسول الله
اتدرون اي يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال رايت او قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال اي يوم هذا قالوا هذا يوم النحر
قال فاي بلد هذا قالوا هذا البلد الحرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر حرام قال هذا يوم الحج الاكبر فدماؤكم

واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا اليوم في هذا البلد ثم قال هل بلغت وعن الحارث قال سالت عليا عن الحج الاكبر فقال
يوم النحر وعن المغيرة بن شعبة انه خطب يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج الاكبر وعن ابن عباس قال الحج
الاكبر يوم النحر وفيه قول ثالث ما روي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم والحج الاصغر العمرة وعن ابن عباس
قال العمرة هي الحج الصغرى وسئل عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر فقال الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة فاما حديث عمرو
ابن حزم فهو حكاية عن كتاب وليس فيه بيان عن يوم الحج الاكبر انما ذكر فيه الحج الاصغر ولولا خبر علي وابن عمر لكان ان يقال
يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر لانه يتفق فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز ان يقال هو يوم النحر لانه
فيه يتفق طواف الزيارة وهو فرض ويقضي فيه اكثر مناسك الحج بل يوم النحر اولى ان يكون يوم الحج الاكبر لان الحاج يفعل
في يوم عرفة فرضا من فرائض الحج وهو الوقوف ويقضي في يوم النحر فرضا اخر من فرائضه وهو طواف الزيارة ويقضي مع ذلك
اكثر المناسك فقد استوى هذان اليومان في انه يقضي في كل واحد منهما فرض من فرائض الحج وزاد يوم النحر على يوم
عرفة بما يفعل في يوم النحر من مناسك الحج ولا يفعل في يوم عرفة شيئا من النسك الا الوقوف بعرفة واحتج بعض الناس لقول من
العموم بما رواه عمرو بن حزم ان الحج الاصغر هو العمرة والاكبر هو الحج بما سميت العمرة حجا وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما
تقدم وعن علي وابي مريم ولسراية ابي اوفى انهم قالوا الحج الاكبر يوم النحر وعن عمر وابن عباس انهما قالا يوم عرفة
وقوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الاية فامر بالاية الاولى عند الوجود بالاجارة وفي هذه
بالقتل والاسر وامر في الاولى بتبليغه مأمنه وفي هذه بان يقعد له كل مرصد وحال هذه الاية حال الاولى في راي العين
وبينها لمن في كل وقت نظيره ان يستجير لما ذكر وفي كل حال يرصد له ان يحتال ليرد الى مأمنه وفي ذلك زوال القياس
بما في احدى الايتين في الظاهر فلزم ذلك طلب المعنى الموفق بين الامرين من طريق التامل بالاسباب التي هي
تدل على حق المعاني بالايتين جميعا فقال اصحابنا انه اذا قصد نحو من اهل الاسلام في مظهر اعلام الحرب والا
يدل انه على ذلك يجيء ليس شيء من يتقلب بحاجة ومن يتباعد من ينادي اليه بالاستجارة منهم ولو كان مقبلا نحو
مأمنا كالطالب لاحد عليه اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذين يرصدون له او الذين لهم منعة وقوة به فلا يقبل
قوله وذلك على تسليم الامر للغالب من الاحوال اذ لا وجه لعلم الحقيقة في ذلك وعلى ذلك عامة الامر من اهل الدارين
وما ذكرنا يعني الاية في لزوم ذلك الاعتبار اذ لا وجه له غير هو دليل والله اعلم مراده بقوله وان احد من المشركين استجارك
بعد العلم انه من مأمنه لا يقدر على الاستجارة لبعده من كل من مأمن الاخر ثم لا يكون مأمن الفريقين في صد الدارين
لما كان تحقيق امن كل فريق منها نفيا من الاخر اذ به حق فيه فثبت انه قد يؤذن له الخروج للاستجارة من مأمنه
والدخول في مأمن المسلمين الى ان يبلغوا ما لهم فيتحرى واملاك لا يوجب ذلك الوجود حق الاسر ولا القتل ويجب ان
لو لم يجر ولم يسمع لتعرض لشيء من ذلك ثم قوله وان احد من المشركين استجارك من جزان بها استجارته لماذا يحتمل ان
يكون تركه بيانه لما في الجواب ذلك بقوله حتى يسمع كلام الله وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة انه في
الجواب بيان ما استفتوا ويحتمل ان يكون ذلك لان يسمع كلام الله يعني حجته له في وجه دخل بامان ذلك
قريب لانا امرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فاذا جاز لهم الدخول لحاجات بلا عرض يذهب منهم التضييق فيكون المقصود
بالعهد لما يرون من محاسن الاسلام وحسن رعاية اهل الاسلام ويسمعون حججه ويابه ظهور الحق فيه رجاء ان يجيبوا
فلذلك يوقفون وان كان في ذلك قضاء حاجاتهم وقدر وي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يقاتل حتى يدعو
الى الاسلام فمن قد كان دعاه غير مرة فذلك المعنى عند الامان اولى والله اعلم وقوله حتى يسمع كلام الله
فان وصل ان حقيقة الكلام لا تسمع بالكلام نفسه اذ الذي به يؤدي حروف الكلام بما تقلب الحروف ويؤلف ولا
صوت لم يسمع نحو الاذن والشفة ونحو ذلك وانما يسمع بصوت يخرج من حيث الجارحة التي تحكيه فيسمع كلام او حروف
كلام السامع فاسمع يقع في الصوت الذي به يدرك الكلام ويفهم فصار سمع الكلام في الاصل مجاز الا حقيقة

في ذلك ما قيل من سماع كلام الله ثم هو يخرج على وجوه احدها ان يسمع المعنى الذي جعل له الكلام وهو الامر والنهي والتحريم
والتحليل ونحو ذلك وذلك مما ينسب الى الله فيقال هذا كلام الله لما اليه ينسب ليلى الامر والنهي ونحو ذلك والوجه الثاني
ان يكون الله العزيز ونظر على ما اجري خلقه من مثل ما نسب اليه ما شانه ما يليق بما هو عليه وان كان سموعا من غير على ما نسب النقصان في
الحسبان والكتب الى مولفيها والاقاويل الى الاوائل التي منهم ظهرت وان لم يكن الذي يقوله في الحقيقة قولا وكلاما بما كان
منه البدوء الذي به يتكلم فتلك معنى قوله حتى يسمع كلام الله والثالث يكون ذلك لما الكلام يعرف به ويوصف ان لم كلامه
وبه يرجع الى ذلك ان كان لله تعالى جل عن الوصف للكلام بالحروف والهجاء والابعاض ونحو ذلك فيما كان اليه المرجع وان كان
صفة فيكون يتوهم منه ذلك ولا يتصور فنسبه اليه كما قال الله تعالى خلقكم من نفس واحدة وقال خلقكم من تراب من غير توهم كلية
العالم في ذلك التراب او النفس الواحدة لما اليه مرجع الكل نسب اليه وعلى ذلك امر الكلام وذلك على ما قيل من لقاء الله والمرجع
الى الله والمصير مما لا تدبير لاحد فيه ذكر المصير اليه لان لا ذلك من غيره في اليه في الحقيقة مرجوع لم يكن من قبل فثم لما قيل
كلام الله ثم الله تعالى جل عن التصوير في الاوهام او التقدير في العقول فيما ذكر صفته في ذلك احق واولى اذ تجد صفات
الخلق لا تحد ولا تتصور في الاوهام ولا تتقدر في العقول الا من طريق القول بالحقيقة على ما هي اعيانهم فالله تعالى
المتعالي عن التصور في الاوهام ووصفه بالعلم والكلام ونحو ذلك احق في ابطال توهم ذلك فيه وقال الثلجي يقال كلام
الله على الموافقة له على الحقيقة كما يقال قرات قول فلان وكلام فلان وليس غير كلام المتكلم به فالقائل ان سد وقال
ابو بكر فهذا يدل ان كلام الله يسمع من وجوه فكانه في سبيل مثل ما يقال ليعرف الله من وجوه على تحقيق الوجه فثم كلام
والله اعلم من غير توهم المعنى الذي به يعرف الله عن الله سبحانه كذلك سماع كلامه وفي قوله ثم ابلغه مأمنه دلالة انه لم
يقبل ما سمع وعرض عليه اذ لو قبل لكان يكون مأمنه من الدار لا كلك ولكان يحق على الخروج من دار العهد الحرب ثم معلوم
ان كلام الله هو حجته وان الحجة قد لزمته لو جهز اصحابنا ما ظهر بحبس الكلف من مثل وانتشر الخبر في الافاق على قطع طمع المقاتلين
لرسول الله بالرد الباذلين مهجهم وطرحهم ابديهم في الطاعة نوع فكان ذلك حجة فيه لما منهم والثاني ان جميع ما يلي منه لم
يوجب على ايات الاوثان مما يشهد العقول على تصوراته ثم الخلق عن بلوغ مثل من الحكمة ومحبته ما فيه من الحجة بما الوصول
باخذ من المعنى وما يحدث به من الغائب ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء واذا كان كذلك صار هو
بالرد مظاهرا وحق مثل الزجر والتاديب انه يتعلل لما لم يكن ليحتمل اما نه القبول ولا ان يعارضه بالرد وذلك اعظم
ما فيه الحدود فالحد احق ان لا يقام عليه والله اعلم ثم قوله ابلغه مأمنه يحتمل وجهين احدهما ان يدعو ولا يمنع عن العود
الى مأمنه ليعلم ان حكم تلك الدار لم يزل عنه وانه لا تلزمه الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والثاني ان يكون على حفظه
الى ان يبلغ مأمنه بدفع المكاره عنه وفي ذلك لزوم حق الامان الجميع باجارة بعض وعلى ذلك كل مسلم ثم سماع كلام الله
يخرج على القران وفيه ما ذكرت من الدلالة وعلى سماع اوامر الله ونواهيه في حق الوحي عليه وعلى سماع حجج النبوة وايات
الرسالة او التوحيد من القران والله اعلم وقوله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي ما لهم وعليهم ويحتمل نفي العلم بما لم
ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك تعليم من مع رسول الله من كيفية معاملة الكفرة اذ هم لم يكونوا يعلمون من قبل والله اعلم
ثم قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هو والله اعلم ان كيف يستحقون العهد وكيف يعطى لهم
العهد وهم قد نقضوا العهود التي بينهم وبين ربهم والعهود التي بينهم وبين رسول الله فاما العهود التي بينهم وبين
ربهم هو عهد الخلقة اذ في خلقة كل احد الشهادة على وحدانية الله والوصية والشهادة على الرسالة ومع عهد اليهم
في كتبهم من اهل الكتاب صفة محمد ونعته للخلق نقضوا ذلك كله ونقضوا العهود التي بينهم وبين رسول الله ولم يحفظوا فيقول
والله اعلم كيف يستحقون ان يعطى العهد لهم وقد نقضوا العهد الذي عهد الله اليهم والعهود التي اعطاهم رسول الله
لا يستحقون ذلك الا ان الله عز وجل بفضله واحسانه اذن ان يعطي لهم العهود فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي اذا وفوا
لهم العهد اذا وفوا لكم وان انقضت المدة يقول والله اعلم اذا استقاموا لكم في وقت العهد فاستقيموا لهم في وفائه
وان انقضت المدة وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام استثنى الذين عاهدوا عند المسجد الحرام يحتمل ان

لا يبطل العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ويحتمل قوله الا الذين عاهدتم كما قال ان وحدا انكم فاردوا اليهم ان امر يب
المتقين ان امر من اتقى الشرك والله اعلم وقوله كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يقول
كيف يعطون لهم العهد وكيف يحفظون العهد ولو ظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال بعضهم وكيف لا تقاتلونهم وان
يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الله والذمة العهد وقيل الال القرابة وقيل الال العهد والذمة وكذلك ذكر
في حرف حفصة لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة وقال القتبي الال العهد وقال ويقال القرابة وقال ابو عوسجة الال القرابة وقال
ابو عبيد الال العهد والذمة التذمم وقال ابن عباس الال الله بمنزلة جبريل تفسير عبد الله لما قيل جبريل عبد الله وقيل
الال الحرم يقول كيف تعطونهم العهد وهم وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا العهد ولا يرقبون الحرم فيكم وقد كانوا
يحفظون فيما بينهم القرابة والرحم حتى يعاون بعضهم بعضا ويناصرا اذا دفع بين قراباتهم ورحمهم وبين قوم اخرين وبا غضه
وعداوة وكانوا يرقبون حرم الله حتى لا يقاتلون في الاشهر الحرم وعند المسجد الحرام وكانوا يحفظون العهود فيما بينهم
من قبل ولا يرقبون فيكم ولا يحفظون هذا والله اعلم تاويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقد كانوا يرقبونه من قبل
وقوله يرضونكم بافواههم بانهم يوفون العهد ويحفظونه وتابى قلوبهم الا النقض وقوله واكثرهم فاسقون في نقض
العهد والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر ربه وقوله اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يحتمل الحجج وبراهينه ويحتمل ايات
القران وهو ويحتمل ايات دينه وقوله فصدوا عن سبيله اي صدوا الناس عن متابعة النبي وقيل صدوا الناس عن
دين الله الاسلام انهم ساء ما كانوا يعملون اي بيس ما عملوا اي صدهم الناس عن دين الله الاسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم
بالاطعام وقوله لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة قد ذكرنا واوليك هم المعتدون في نقض العهد والاعتدا هو
المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين قال بعض اهل
التاويل انظروا الى كرم ربكم وجوده قوم قتلوا انبياه واوليا الله وكذبوا رسول الله وهموا بالقتل واخراجه من بين
اظهرهم وطعنوا في دينهم وعملوا ما عملوا من نصب الحروب والقتال فيما بينهم ثم انه وعدلهم بالتوبة والمغفرة والتجاوز
عما كان منهم بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الاخوة والمودة بقوله فاخوانكم في الدين وقال وجعل
بينكم مودة ورحمة وقال اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وغير ذلك من الايات وفيه ان من
كان له على احد ذنب او جفا ثم ذا رجع عن ذلك وتاب لزم ان يتجاوز عنه وان لا يذكر بعد ذلك ما كان منه من
الذنب على ما جعل الله فيما بين هولا الاخوة والمودة اذا تابوا وقال فاخوانكم في الدين فقد كان منهم ما كان ومن حق
الاخوة ان لا يذكر ما كان منهم من المساوي ثم قوله فان تابوا من الشرك ما كان منهم وقوله واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة يحتمل قوله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وجهين يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة زكوة المال وهو ما ذكرنا
فيما تقدم من الاقرار بهما والاعتقاد والقبول لذلك دون فعلهما وفي الكبرا والقان الذي كانوا يانفون عن
الخضوع له وحده ولا يوحدون الزكوة ولا يصدقون لما ظنوا انهم يخلدون في الدنيا اشفاقا على انفسهم ويحتمل ان يكون
المراد من الصلوة والزكوة الخضوع والخشوع لا الصلوة المعروفة والمراد من الزكوة زكوة النفس واصلاحها فان كان
هذا فهو لازم ثم ان وقت كلاهما من وقت الاول على كل احد الخضوع له والخشوع له وهو ان يزكي نفسه ويصلحها وهو كقوله
قد افلح من زكيها وقوله ونفصل الايات لقوم يعلمون اي نبين الايات لقوم يعلمون ينتفعون بعلمهم ويحتمل لقوم
يعلمون اي لقوم اذا نظروا فيها وتدبروا العلموا لا لقوم لا يعلمون وقوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم قوله
ايمانهم العهود نفسها كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ويحتمل قوله وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم ايمانا يحلفون بعد اعطا العهد توكيدا لئلا ينقضوا العهد اذ عادتهم نقض العهد
ونكثه وقوله وطعنوا في دينكم طعنهم في الدين ظاهر وقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ائمة الكفر وتخصيص الامر
بقتال الائمة لما ان الاتباع ابدا يقلدون الائمة ويصدرون عن ارائهم وتدبيرهم فاذا قاتلوا هم اتبع الاتباع
لهم والثاني لنفي الشبهة ان ليس للائمة منهم كاصحاب الصوامع وان كانوا ائمة في العبادة فلا نترك قتالهم كما

بترك قتال اصحاب الصوامع لان اصحاب الصوامع قد اعتزلوا انفسهم عن الناس عن جميع المنافع وحبسوها للعبادة والايمة
ليسوا كذلك والثاني لتخصيص الايمة بالقتال لانهم اذا قتلوهم لم يبق لهم امام في الكفر فيذهب الكفر راسا وهو كقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة وقوله انهم لا ايمان لهم يحتمل لا ايمان لهم اي لا عهد لهم بعد نقضهم العهد اي لا توفوا لهم العهد الذي كان
لهم اذا انقضوا او يحتمل لا ايمان لهم اي لا يعطي لهم العهد ثانيا بعد ما نقضوا العهد لانهم اعتادوا نقض العهد والثاني ذلك
ذلك في قوم علم الله انهم لا يوفون العهد ابدا وفيه لغة اخرى لا ايمان لهم بكسر الالف لا ايمان لهم لا يومنون ابدا فان كان
كذلك وذلك في قوم علم الله انهم لا يومنون ابدا وفي قوله انهم لا ايمان لهم تخرج على وجهين احدهما ان اهل العهد اذا
انقضوا العهد ينقض ذلك فيتركون على النقض ويقاتلون بعد النقض وليس كاهل الذمة اذا انقضوا الذمة لا يتركون
لذلك ولكن يردون الى الذمة ولا تنتقض الذمة فيما بينهم وقال الحسن قوله لا ايمان لهم يقول لا تصديق لهم وقوله
لعلهم ينتهون عن نقض العهد وقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اي كيف لا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم واعيانهم
ما ذكرنا وهو حرف الاغرا على مقاتلة من اعتاد نقض العهود والتحريض عليهم وهموا باخراج الرسول يحتمل قوله وهموا باخراج
الرسول القتل اي هموا بقتله وفي القتل اخراجه او هموا اخراجه من المدينة على ما ذكر في بعض القصص ان اليهود
قالوا للرسول الله ان مكان الانبيا والرسل بيت المقدس لا المدينة فانتقل اليه وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا في انفسهم وفيما بينهم اخراجه وقتله لا انهم اظهروا ذلك ثم اخبرهم بذلك دل انهم
انما علموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله وهم بدوكم اول مرة يحتمل قوله هم بدوكم اول مرة في نقض العهد اي هم
بدوكم بنقض العهد ويحتمل هم بدوكم بالقتال اول مرة والاخراج وقوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اي لا تخشوهم
واخشوا الله فانهم لا يقدرون ان يصلوا اليكم بنكبة الا باقدار الله اياهم فلا تخشوهم واخشوا الله ويحتمل قوله اتخشونهم
فانه قادر على نصرتكم وبهزم عدوكم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين اذ هو القادر على دفعهم عنكم ونصركم عليهم وقوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم الاية وعد الله عز وجل كرامة القتال ونقمة على الخلق ثم المومنين بقتالهم الكفرة
ووعد لهم النصر التعذيب بايديهم والتعذيب بايديهم يحتمل وجهين يحتمل القتل والاهلاك ويحتمل الاسر والسبي
ويخزهم يحتمل ايضا وجهين يحتمل الهزيمة والاذلال ويحتمل قوله ويخزهم في الاخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته الخزي هو العذاب الذي فيه الفضيحة والذلة وفي قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم دلالة نقض قول المعتزلة
لقولهم ان لا قدرة لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم بايديهم ولو كان غير قادر على افعالهم كان يعذبهم بهولا
بايديهم وينصركم عليهم وعدلهم النصر عليهم والظفر وخزي الكفرة ويحتمل ما ذكر ويحتمل ان تصيبون في الاعادي الحسنيين
ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وكذلك في قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او
بايدينا دلالة نقض قولهم ايضا لانه اخبر انه يصيبهم العذاب من عنده او بايدي المومنين لما ذكرنا وقوله ويشف
صدور قوم مومنين يحتمل ان تكون قلوبهم توجعت وتالمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول فوعد لهم شفا صدورهم
وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم يسلمون فيصيرون لهم اخوانا فيدخل فيهم السرور والفرح بما راوا منهم وتالموا فذلك شفا
صدور قلوبهم والثاني يشف صدورهم بالقتل والهزيمة فيقتلون او يذلون ففي ذلك شفا صدورهم لما تالمت وتوجعت
بالتكذيب والكفر بالله والاذية وقوله ويذهب غيظ قلوبهم هذا يحتمل ايضا وجهين يذهب الغيظ الذي كان
في قلوبهم بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بايات الله باسلامهم فيكونون اخوانا او يقتلونهم فيهلكون فيذهب
عنهم الغضب الذي كانوا غضبوا عليهم لما ذكرنا وقوله ويتوب الله على من يشا اي من شا عذب منهم ومن شا
تاب عليه وفي الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون شا ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون فاخبر انه
يعذب بعضا ويتوب على البعض ما شا ان يعذب من الذي شا ان يتوب عليه وشا ان يتوب على غير الذي شا ان
يعذب والله عليم اي عليم بما كان ويكون اي عن علم بما كان منهم خلقهم لا عن جهل انه خلقهم لا لحاجة ليس له نفع نفسه
ورحاجته انما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم حكيم وضع كل شي موضعه ويحتمل عليم بما كان من هولا من التكذيب لرسول الله

والكفر بآياته حكيم اي ما جعل عليهم من القتل والتعذيب والخزي كان وضع الشي موضعه وقوله ام حسبتم ان تتركوا ولما
يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقوله
ايضا ام حسبتم ان تتركوا ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله الم احسب الناس ان يتركوا الآية ونحوه من الآيات
هي في المنافقين الذين اظهروا الايمان باللسان واروا المومنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام والموافقة
لهم فقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الايمان باللسان فلا تبتلون بالقتال جعل الله تعالى القتال مع الكفرة
لله اعلم وامره لمعنيين احدهما تطهير الارض من الكفر كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والثاني
امتحانا فيظهر ليتبين نفاق من اظهر الايمان باللسان مراآة وصدق من اظهر حقيقة ليعرف المحقق المخلص من
المنافق المرائي لان القتال يحول عن ارفع اعلام يظهر به نفاق المنافق لانهم انما كانوا يظهرون الموافقة لهم طمعا
في الدنيا ليسلم لهم المنافع التي كانوا ينتفعون بها ففي الامر بالقتال خوف الهلاك فاذا خافوا الهلاك على انفسهم امتنعوا
عنه كقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الآية خوفا واشفاقا على انفسهم لما ذكرنا انهم
انما كانوا يظهرون الايمان باللسان ليسلم لهم ما طمعوا من المنافع كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية هذا
وصف المنافق واما المومن المحقق للايمان المخلص للاسلام فانه يسلم نفسه لله في جميع احواله وان كان فيه تلف نفسه
لانه لم يكن عبادته لله على حرف ووجه كالمنافق ولكن في الوجوه كلها والاحوال جميعا عبادته تكون لله لا يمنعه خوف
الهلاك عن القتال بل نفسه تسخو له كما ذكرنا والكذب للمنافق وقد ذكرنا ان الاستفهام من الله يكون على
الايجاب والالزام غير قوله ام حسبتم يحتمل وجهين احدهما اي قد حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الموافقة والخلاف
في السر ولا تبتلون وتمتحنون ما يظهر عنكم مما اضمرتم فلا تحسبوا ذلك والثاني ام حسبتم اي لا تحسبوا ان تتركوا على
ذلك ولا تمتحنوا بالجهاد والقتال احد التاويلين يخرج على النهي والثاني على الايجاب عما حسبوا وعما عندهم ثم قوله
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهدا ويعلم ما قد علم انه يكون كائنا لا علم حدث
عليه بذلك اذ هو موصوف بالعلم بما لم يكن في وقت ما يكون على ما يكون فيكون قوله ليعلم المجاهدين منكم وليعلم
الصابرين منكم اي ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهدا ويعلم ما قد علم انه يكون كائنا لانه لا يجوز ان يوصف الله
بالعلم بما ليس يكون انه يعلم كائنا كما لا يجوز ان يوصف انه يعلم من الجالس القيام في حال جلوسه ومن المتحرك السكون
في حال حركته ومن المتكلم السكوت في حال كلامه انما يوصف بالعلم على الحال التي الخلق عليه لا يوصف بالعلم في حال
غير الحال التي هو عليه والله الموفق ويحتمل هذا وجها اخر انما اضاف العلم الى نفسه كان المراد منه اولياءه كقوله
ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله ينصركم او ان تنصروا دينه ينصركم او ان تنصروا رسوله ينصركم فعلى
ذلك قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا اي ليعلم اولياؤه المنافق المرائي والمومن المحقق المخلص وليتبين لهم وكقوله
يخادعون الله اي يخادعون اولياءه اذ الله لا يخادع ولا ينصر اذ هو ناصر كل احد ولا يخفى عليه شي عالم بما يكون
في وقت ما يكون او ان يكون المراد من العلم الذي ذكر المعلوم وذلك جائز في اللغة جار في القرآن كثيرا وقوله
ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة اي لم يجدوا ملجا يلجون اليه دون ما ذكر ولو وجدوا
ذلك لاتخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا كقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون الى
قوله يجمحون اخبر انهم لو وجدوا ملجا يلجون اليه لولوا ولا يظهرون ذلك وقوله وليجة قال بعض اهل
الادب الوليجة البطانة من غير المسلمين واصلها من الولوج وهو ان يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطا
ووداد وجمع الولايج وقال بعضهم الوليجة اصلها من الدخول كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط يقال ايضا فلان
وليجة فلان اي خاصته وقال بعضهم الوليجة الخيانة وقال بعضهم الوليجة ما يلجا اليه وقال بعضهم كل شي ادخلته
في شي ليس منه فهو وليجة وبعضه قريب من بعض والله خبير بما تعملون هو على الوعيد خرج وقوله ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعض اهل التاويل نزلت الآية في العباس بن عبد المطلب

انه اسر يوم بدر فاقبل ناس من المهاجرين والانصار منهم علي بن ابي طالب وغيره فعيروه بالكفر بالله والقتال مع النبي
وقطيعة الرحم فقال انكم تذكرون مساوينا وتذرون محاسننا فقالوا وهل لكم محاسن قال اي والله انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله ردا عليه لكن في اخر الآية ما يدل انه لا يحتمل ان تكون في العباس على ما
قالوا لانه قال اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وفي النار هم خالدون والعباس قد اسلم من بعد فلا يحتمل هذا
الوعيد بعد الاسلام وقال غيرهم من اهل التاويل قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ما كان للمشركين عمار مساجد
الله انما كان بهم خراب مساجد الله لان المساجد انما تعمر بالذكر فيها والصلوة واقام الخيرات كقوله في بيوت اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه الآية وهم لم يعمروها لذكر اسم الله فيها انما عمروها لذكر الاصنام والاوثان فكان بهم خراب
المساجد لا العمارة وقال بعضهم قوله ما كان ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله على ما عندهم لان الذي يمنعهم عن
الايمان بالله حب الدنيا وميلهم اليها فما ينبغي لهم ان يعمروها فينفقوا ويضيعوا اموالهم فيها ولا ينتفعون بها فالذي
منعهم عن التوحيد والايمان بالله حب الدنيا وشهواتهم وميلهم اليها ففي ما عندهم ما ينبغي لهم ان يعمروها وقال
بعضهم قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ما كان في المشركين ان يعمروا مساجد الله لانهم لا ينتفعون
بها في الآخرة لانهم لا يومنون بالآخرة وانما يقصد بعمارة المساجد والانفاق عليها الثواب في الآخرة وهم لا يومنون
بها فتضيع نفقتهم في ذلك اذ لا مقاصد لهم في ذلك فنفعها انما ذلك على المسلمين ويجوز ان يعني به كقوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اساتم فلها اي عليها وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله يحتمل هذا اي ما كان للمشرك عمارة هذا
مساجد الله انما تكون عمارته ممن امن بالله واليوم الآخر لا ممن اشرك بالله وكفر بالآخرة وقوله شاهدين على انفسهم
بالكفر قال بعضهم شاهدين على انفسهم اي على نفس محمد ومن معه سماهم انفسهم لانهم من قراباتهم وارحامهم وقد سمى الله
المتصلين بهم في النسب انفسهم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم فعلى ذلك الاول ويحتمل ما ذكرنا انهم شهدوا
على انفسهم بالكفر عند الضرورة بعد نزول العذاب بهم وعند الهلاك كقوله فلما راوا باسنا الآية ونحو ذلك من الاحوال
التي كانوا يقرون بالكفر ويرجعون عنه عند شهود العلم بالكفر وقال بعضهم قوله شاهدين على انفسهم بالكفر اي انفسهم
تشهد عليهم بالكفر لان خلقتهم تشهد على وحدانية الله وانفسهم تشهد على فعلهم بالكفر وهو كقول الله تعالى بل
الانسان على نفسه بصيرة قيل بل الانسان من نفسه بصيرة اي بين من نفسه والله اعلم وقوله اولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة الى اخر الآية في قوم ماتوا على الكفر وقوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر الوجوه
التي ذكرنا في قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ان لم يكن عليهم في ذلك كلفة على المسلمين اي عليهم عمارة المساجد
وهم تعمر المساجد ولهم ينبغي ان يعمروها واقام الصلوة واتى الزكوة قد ذكرنا فيما تقدم وقوله ولم يخش الا الله
قال بعضهم هو صلة قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين امر ان يخشوا الله ولا يخشوا غيره ثم ذكر هنا
من امن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله وقال بعضهم لم يخش الجبان كانه قال ولم
يعبد الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين والعسى من الله واجب اي كانوا مهتدين وقوله اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر في الآية اضمار فعل او فاعل لكي تصح المقابلة لانه انما يقابل
فعل بفعل او فاعل بفاعل لا يقابل فعل بفاعل ولا فاعل بفعل فهنا ذكر السقاية وعمارة المسجد مقابل من امن بالله
فكانه قال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كايمان من امن بالله واليوم الآخر او ان يقال اجعلتم القائم باصلاح
سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله ليكون مقابلا شخص بشخص او فعل بفعل لانه لا يصح ان يجمع بين الكافر والمومن
فيقال لا يستويان عند الله وان كان الكافر قد اتى بالمحاسن الا ان يقال ان ليس من فعل محاسن في حال كفره
ثم امن بعد كمن امن وفعل محاسن وهو مومن هذا يجوز ان يجمع فيقال لا يستوون عند الله واما الكافر الذي مات على
الكفر وان عمل خيرات والمومن الذي عمل الصالحات ثم مات على ذلك فيجمع فيقال لا يستويان فلا او ان يقابل
بالجهاد الذي ذكر لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف كمن سقى الحاج وعمر المسجد الحرام ولم يبذل نفسه لذلك

لقائل ان يقول لا مانع ان تكون في العباس مع ما قال في
اخر الآية لان قول العباس ما كان انا نعمر ونسقي وكذا
لم يرد به نفسه فقط بل جميع المشركين ممن مات على
الشرك او اسلم بعد فتكون الآية نزلت فيه ردا
على ما زعمه وان المشركين الذين ارادهم بقوله انعمر الخ
من ذكر حبط اعمالهم هباء منثورا ليس ما نووا عليه فكذلك الشرك
وانه لا تنفعهم الا بالايمان لا كما زعمت فيكون الوعيد
لمن مات على الشرك منهم
كذا يفهم من كلامه

فامان يقال لا يستوي الكافر والمؤمن لذلك لكن يحتمل لانه انما يقابل الشي بالشي اذا قرب بعضه من بعض واما عند البعد
منه فلا يقال ولا يقابل وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين ما داموا في ظلمهم وما داموا اختاروا الظلم لا يهديهم
وقت اختيارهم الظلم او لقوم مخصوصين وقد ذكرنا معناه في غير موضع وقوله الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
قوله امنوا اي صدقوا رسول الله في جميع ما يخبر عن الله انه صادق وفي جميع ما دعا اليه وامرهم به ونهاهم عنه انه محق والا
كانوا مؤمنين بالله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله كانوا مؤمنين بالله
لكنهم يكذبون الرسل في رسالتهم اي فارقوا اباءهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ومنازلهم وبلدهم وهاجروا بجميع ما
تحب انفسهم وتهواه وتميل اليه القلوب ما ذكر في الاية التي تتلو هذه الاية وفارقوا ذلك كله اشفاقا على دينهم
ليسلم ما لو اعطوا قبل الاسلام الدنيا وما فيها ادا وعدوا واجل وعيد وخوف ما فارقوا اباءهم واخوانهم وعشايرهم
واولادهم الذين ذكر في الاية ثم اذا اسلموا فارقوهم واجابوا رسول الله في ذلك ابتغاء مرضاة الله وطلب رضوانه
ليعلم عظيم قدر الدين في قلوبهم وخطر مرتبته عندهم ليعلم ان محن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم واشد
من محن اهل زماننا كانت على خلاف عاداتهم وخلاف ما طبعوا له وان الان مطبوع على حب ما ذكرنا مجبول عليهم مع
ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء مرضاة ربهم واما محنتنا فانها على ما سبق من العادة لمن لم يسيروا
وقوله وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي بذلوا لله الذ الاشياء واحبها وهي الاموال والانفس وقوله
اعظم درجة عند الله قال بعض اهل التاويل من صدق بتوحيد الله وهاجر الى المدينة وجاهد العدو باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله من الذي فخر بعمران البيت وسقاية الحاج وهم كفار وكذلك قالوا في قوله اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ولكن الوجه عندنا
في ذلك ومعنى المقابلة اولئك الذين ذكر اعظم درجة عند الله من الذين اسلموا من بعد ولحقوا اولئك وقوله واولئك
هم الفائزون الفوز هو الظفر في اللغة اي اولئك هم الظافرون بنعيم الله وكرامته والناجون من عذاب الله وقوله
يبشرهم ربهم برحمة منه يحتمل قوله يبشرهم ربهم برحمة منه اي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم على عدوهم كقوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم الى اخر ما ذكر كل ذلك انما كان برحمته ويحتمل برحمة منه الثواب لهم
في الاخرة والكرامة وقوله ورضوان اي يبشرهم ايضا برضوانه عنهم راض وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي يبشرهم
بجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم وكرامة خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الله ما سمى الله عظيما فهو عظيم
لا يدرك عظمه وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم في الحقيقة في الدين ومن تولاهم في الحقيقة فهو منهم وهو
ظالم فان كان هذا فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون معنى ويحتمل الولاية
اظهار الموافقة لهم في الظاهر على غير حقيقة لكن اظهر على غير حقيقة ما في حال اضطرار عند خوف الهلاك
وذهاب الدين فيجوز ان يكون قوم اسروا الايمان في انفسهم وكتموه ويظهرون الموافقة لهم في الظاهر اشفاقا
على دينهم خوفا على انفسهم فيباح لهم ذلك لما ذكرنا فلما ان جعل الله الهجرة وجعل المومنين اعادي والانصار
يحوطون ويأوون اليهم لم يعذروا في اظهار الموافقة لهم وان كانوا في السر ليسوا على دينهم لما ذكرنا فهذا يدل
على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه في غير اضطرار يصير كافرا على ما جعل موالاة اولياء الكفرة حقيقة ظلمهم مثلهم اذا
تولاهم في الظاهر وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك وهذا اشبه وهو قوله عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي
انفسهم الاية لم يعذروا في تركهم الهجرة فعلى ذلك هولاء اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل لهم المأوى والانصار
صاروا منهم في الحقيقة كذلك نهانا عن موالاة الكفرة جملة بقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء وقوله لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء هذا النهي لنا في جملة الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء كقوله لا
تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ثم نهانا ان نوالي المتصلين من الاباء والامهات وغيرهم من القرابات لا يتبع

يتبع النسب في موالاة المختصين لهم بخص النهي فيه وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى لا يتناد بينهم موافقة في التوحيد
والكتب فخص النهي في ذلك ثم الولاية التي نهانا عنها تخرج على وجوه احدها المودة والمحبة اي لا تودوهم ولا تحبوهم والثاني
ان لا تتخذوهم موضع بطانتنا وسرنا كقوله لا تتخذوا بطانة الاية والثالث ولاية الطاعة لهم اي لا تطيعوهم كقوله ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الاية وقوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم نهانا ان نحبهم ونودهم ونهانا
ايضا ان نتخذهم موضع سرنا ونفشي اليهم سرنا ونهانا ان نطيعهم فيما يدعوننا اليه ويشيرون والله اعلم لخلاف الذي
بيننا وبينهم في الدين وقوله ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر على الايمان والمحبة هاهنا محبة الاختيار
والايثار وقوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها موفقا بقوله الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم الى اخره وقوله ان كان اباؤكم وابناؤكم وما ذكر اي ان كان هذه
احب اليكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومرضاته واحب من جهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره هو حرف
وعيد اي انتظروا حتى ياتي الله بامره اي بعذابه قال اهل التاويل حتى ياتي بامره في فتح مكة ولا ذكر في قوله ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم على ان المراد من قوله لا تتخذوا اباءكم الاباء والابناء جميعا واخوانكم الاخوان وجميع
المتصلين بهم دليل ما ذكر في اخر حيث قال ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ذكر الابناء والازواج
والعشيرة والله اعلم وقوله واموال اقترفتموها قال بعضهم اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم واموال اقترفتموها اي اموال جعلوها
حلالا وحراما ويقولون الله اذن لنا في ذلك كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ويقولون الله
اذن لنا في ذلك وقوله وتجارة تخشون كسادها كانوا يخشون فواتها وذهابها الى كساد في اليوم تركها اياها وقوله
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصركم في مواضع كثيرة كان فيه فزعكم الى الله تعالى ونصركم يوم حنين ايضا بعد
ما هزمكم العدو بما عجبكم الكثرة بصرفكم الفزع الى الله ونصركم ايضا يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعني الكثرة
يذكرهم عز وجل منته عليهم ويعلم ان النصر والظفر ليس كان انما كان لله لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان بالكثرة والقوة
لكن المسلمين قوة وكثرة ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة عليهم في الابتداء لما عجبهم الكثرة واعتمادهم بها ليعلم ان النصر والظفر
انما يكون بالله لا بالقوة والكثرة لئلا يعتمدوا على الكثرة ولا يتكلوا اليها فان قيل قد امرنا باخذ العدة والقوة ما استطعنا
بقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية فانما امرنا بما يجبنا في نهي الله عن الاعجاب بالكثرة والقوة وكذلك نهانا
عن الاسى بما فاتنا ونهانا ان نفرح بما يوتينا وقد كلفنا الشكر لما اتينا والصبر على ما فات عنا فلو لم نفرح بما اتانا لم يلزمنا
الشكر ولا الصبر فكان معناه والله اعلم انه نهانا ان نفرح بما يوتينا لفضل لانا وتاسى لفوت ما يصيبنا
ويفوتنا انما علينا ان نفرح لفضل الله ومنته التي من علينا وفضله وعلى ذلك نشكر وعلى ذلك الصبر على ما يصيبنا ويفوتنا
لما يحصل لنا لذلك نؤجر على الاخر واجرا عظيما وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا اتانا ذلك يحبنا فضل الله ومنته في ذلك الكثرة
لا الكثرة لنفسها والقوة والله اعلم فان قيل الاعجاب الكثرة ثم بعضهم لا من الكل فكيف هزم الكل وكذلك العصيان
يوم حنين انما كان من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان يتلف الكل ابتداء الا ترى انه امر الواحد القيام لاثنين
ثم في الامر بالجهاد امر على غير فاسح ولانه كذلك في اخر العبادات لانه امر الواحد القيام لاثنين منهم وليس في وسع
احد القيام لاثنين فهو والله اعلم لما ان له ان يكلف قتل انفسهم والقتال الا ترى انه قال ولو انا كتبنا عليهم
الاية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكر ولان ذلك له ان يميتهم ويهلكهم ففي ذلك له
ان يامر بقتل انفسهم فاذا كان له ذلك اذا في وسعهم قتل انفسهم ففي ذلك له ان يكلف الواحد القيام لاثنين
للعدو وان كان في ذلك تلف انفسهم وكذلك امرنا بمجاهدة الشيطان عدونا واخبر انه يرانا ولا نراه نحن بقوله
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو لا نراه وهو يرانا امر صعب شديد لكن الله علمنا اسباب
ما نحارب معه ونجاهده نتغلب وقال في الشياطين فلما تراءت الفئتان وقوله وان ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان
الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية علمنا اسبابا نقاتل بها الشيطان نتغلبه ونقهره وما ذكر

من ذكر لا يثبتهم ولذلك وكذلك قال في العدو الذي تراه من البشر حيث قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
وقال واصبروا ان الله مع الصابرين فقد علمنا اسباب الجهاد وعلمنا الحيل التي يجوز للواحد القيام للاثنين فصاعدا
بالحيل وان لم يكن له الوسع به والتوق نفسه ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره من العبادات انه لا يحتمل ان يجعل الله الجهاد اية من ايات الحق
او الرسالة لتبيع الخلق لان النصر والظفر كان بالله لا بغيره ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم وقوله
وضاقت عليكم الارض بما رحبت هذا في التمثيل يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغ الغاية والنهاية ضاقت عليهم
الارض بما رحبت يقال لمن يكلم الارض في اوهام الخلق وقوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين قال بعضهم السكينة
الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به الاية وقال بعضهم انزل سكينته اي نصرته وقيل وقار وقيل رحمته
وقيل الطمانينة واصله سكنت قلوبهم واطمانت بعد شدة الخوف والحزن باي وجه ما تكون بالملائكة او بغيره واسكن قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه رجوع اصحابه ومفارقتهم اياه وانزل جنودا لم تروها وهم الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتال والهزيمة
وذلك جزاؤهم وفي قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين دلالة نقض قول المعتزلة لانه سماهم مؤمنين بعد ما كان منهم التولي
والتولي اخرجهم من الايمان في ما قالوا وقوله يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا اختلف فيه قال بعضهم النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه وعندنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام النهي عن دخول مكة
نفسه لحج واقامة العبادات دليل وجهين احدهما قوله بعد عامهم هذا ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام احق من العام
في دخول غيره والثاني قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله والثالث قوله الا لا يحج بعد العام مشرك وفي اخر الاية
دلالة ذلك لانه قال وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وخوف العيلة انما يكون لمنعهم عن دخول مكة لانه لو كان النهي
عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك لانهم يحضرون ويدخلون مكة للتجارة فلا خوف عليهم في ذلك وان قال انه ذكر
المسجد الحرام قلنا انهم كانوا يقصدون البيت والحج به فيكون النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه يدل ويحكى في الخبر انه
بعث عليا الى الموسم باربع وامره ان ينادي في الناس ان لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فهو
الى مدته فاذا مضت مدته فان الله بريء من المشركين ورسوله ولا يطوف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك فالنهي الذي
ورد عن دخول المسجد انما هو نهي عن الحج نفسه لان البيت هو الذي يقصد اليه فيه الا يرى انه قال ولله على الناس حج
البيت الاية وقال ثم محلها الى البيت العتيق وقال وليطوفوا بالبيت العتيق ذكر البيت وهو المقصود بالحج في
الاسلام والكفر جميعا ففي ذلك خرج النهي لكنه ذكر المسجد لما ان البيت فيه فاذا كان ما ذكرنا فان شئت فاجعل اخر
الاية تفسير اولها وهو قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وهو ما ذكرنا ان النهي لو كان لدخول المسجد نفسه
دون غيره من البقعة لكان ليس عليهم خوف العيلة لانهم يدخلون مكة ويتجرون فيها ولا يدخلون المسجد وان شئت فاجعل اول
الاية تفسير اخرها وهو قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو ما ذكرنا فاذا كان ما ذكرنا دل ان المشركين لا
يدخلون المسجد الحرام وخبر علي بن ابي طالب ايضا يدل على ذلك فاما من كان من اهل الذمة والعبيد منهم فليسوا والله اعلم
بداخلين في الاية اذا كانوا ممن لا يحج فان قيل فقد روي عن علي رضي الله عنه انه نادى الا لا يدخل الحرم مشرك ولم يذكر الحج قيل له
روي عنه انه قال ناديت ان لا يحج بعد العام مشرك فيكون قوله لا يدخل الحرم مشرك على الحج على ما ذكرنا وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه رخص في دخول المسجد للعبيد والاماء وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان يكون عبدا او امة يحتمل استثناء العبد والامة لان العبد لا يدخلها للحج
ولا لاقامة العبادات انما يدخل لخدمة المولى اذا كان مسلما وفي بعض الاخبار او احدا من اهل الذمة وعن جابر بن عبد الله موقوفا
كذلك او احدا من اهل الذمة وفيه دلالة لقول اصحابنا رحمهم الله انه لا باس للكافر ان يدخل المسجد وقال ارايت لو اراد ان يسمع
كلام الله ليؤمن فيمنع من ذلك وهو مامور بان يسمع ايات ذلك المشرك فيسمع كلام الله فيكون الامر بابلاغ المامن لذلك المشرك الا انه
دل انه لا باس بذلك وقد ذكرنا ان ليس في ظاهر الاية دلالة النهي عن دخول المسجد بل المراد دون دخول المسجد ما ذكرنا من الحج
واقامة العبادات لكن لعلها تدل الى قوله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد وان سبيله

كله هذا السبيل وكذلك قوله ثم محلها الى البيت العتيق والحرم كله محل الا ان النهي في ذلك والله اعلم ما ذكرنا ان لا يدخل المشركون
حجاجا الا ترى انا نعلم ان المشركين لم يزالوا يقيمون في الحرم بعد النداء لم يجلوا عنه وما يدل على ذلك قوله الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم فان كان يعني به موضع العهد فان ذلك العهد يوم الحديبية عند الشجرة فقد صار
ذلك الموضع من المسجد الحرام موضعا لما انه بعيد منه فان كان يعني به القرب [illegible] انهم كانوا يوم نادى علي في ذلك خارج من مكة
ومن اهل مكة قد كانوا اسلموا قبل ذلك فحين توجه النبي صلى الله عليه وسلم الى غزوة المسجد الحرام من كان نازلا اطراف مكة في الحرم وما ولي
وقوله لا يقرب المسجد الحرام مشرك يخرج على وجوه لا تدعوهم يقربوا المسجد الحرام وان تقولوا لهم لا يقربوا المسجد الحرام والثالث
في البلاغة اي اذا قلتم لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك وقوله انما المشركون نجس اي افعال المشركين نجس والعبادات التي ياتون
بها نجس وهو كما ذكر حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان حيث عمل الشيطان رجسا ففي ذلك العبادات
التي يقيمونها نجسة فلذلك نهى عن الحج لهم عن اقامة العبادات لانها نجسة [illegible] من اقام العبادات الحرام ثم اختلف في قوله انما
المشركون نجس قال بعضهم هم نجس الافعال وقال بعضهم هم نجس الاحوال والاشبه ان يكونوا انجس الافعال لان قوله انما المشركون
نجس يخرج مخرج الذم ولا يحتمل ان يذموا ويشتموا بنجاسة الاحوال لانها انما يكتهم ذلك لذم بالكسب وامر الافعال الذميمة ونحو
كقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان اخبر انه عمل الشيطان رجس ونجس ففي ذلك جاز ان يكون قوله
انما المشركون نجس اي نجس الافعال لان ذلك من كسبهم فاستوجبوا المذمة بكسبهم واما الاحوال فلا صنع لهم فيها وقوله وان خفتم
عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قيل خافوا من العيلة لما نفي المشركون من مكة لان معايش اهل مكة انما كانت من الافاق وباهل
الافاق كان سعتهم وتجارتهم ثم ان الله وعدهم السعة والغنى بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال بعضهم دل قوله ان شاء
على انه انما وعدهم الامن في بعض الاوقات وقال بعضهم قوله ان شاء كان من رسول الله كانه امر رسوله ان يخبرهم ان الله يغنيهم ان
شاء وهو ما امر ان يستثني في جميع ما يعد كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يكون قوله فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء هو لا الذين يتوجهونه لانهم حبب اليهم التجارة والمكاسب وما ينالون من الارباح فيحملهم ذلك على الاسلام فيسلمون
فيدخلون فيه يحملهم حب التجارات في الاسلام فيكون لهم بهم غنى كما كان يحملهم حب التجارات والربح من الهجرة بقوله وتجارة تخشون
كسادها فيما ذكرنا الاول وقال بعضهم قوله فسوف يغنيكم الله من فضله الجزية التي ذكرها في الاية التي تلوها منه وقوله
ان الله عليم بما اضمروا من خوف العيلة او عليم بالهم وعليم بما يكون لهم الغنى حكيم في امره وحكمه وفي قوله وان خفتم عيلة دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اضمروا ذلك في انفسهم فاخبرهم رسول الله بذلك دل انهم علموا انه انما عرف
ذلك بالله تعالى وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ذكر اهل الكتاب اليهود والنصارى واخبر
انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله واليوم الاخر في المعنى منه قيل لهم وان
اسلموا في الظاهر بالله واليوم الاخر فانما يؤمنون بالله ولدا كما ذكر على اثره وهو قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله فلا ايمان بالله له ولد ليس بايمان بالله فهم غير مؤمنين وكذلك امنوا بالبعث واليوم الاخر ولكن لم يؤمنوا
بالموعود في الاخرة فلا ايمان باليوم الاخر لغير الموعود فيه ليس بايمان به او ان يقال انهم وان اقروا بما ذكرنا واستوابه
فقد استحلوا اشياء حرمها الله عليهم وحرموا اشياء احلها الله لهم ومنهم من امن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن باية منها او برسول منهم
لم يؤمنوا بالله واليوم الاخر ولا مصدق له بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى اخر الاية
فان قال لنا ملحد انكم تقاتلون الكفرة للكفر ثم اذا اعطوكم شيئا من المال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم اياهم لذلك لا للطمع
في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشيء يبذلونكم وكذلك لو كانت المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء والرجال سواء اذ هم
في الكفر شرعا سواء وقالوا لو كانت المقاتلة معهم لما ذكرنا وهو حكم والامر لكان الناس جميعا في ذلك سواء ولا
يتركون اصلا لشيء من ذلك قيل انا لا نقاتلهم لذلك الذي زعمت [illegible] انا ان نقاتل الكفرة للكفر ولكنا ندعوهم الى الاسلام
فان اجابوا الى ذلك والا قاتلناهم ليضطرهم القتل الى الاسلام انما نقاتلهم لا لشيء سواه فاذا كان في اخذ الجزية
معنى ما ندعوهم الى الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك لعلهم يرغبون في الاسلام اذا رأوا شرائعنا واحكامنا

حـ هذا يبين للذي هو اما لو كانت فيما يعين من ذات [illegible] الاية التي استدل بها [illegible] من البعد [illegible]

لا انا نأمرهم بحرب فيما نأخذ منهم او نطعنها في ذلك واصل المحنة اذ الدار دار المحنة ليست بدار الجزاء اذ المحنة تكون بمختلف الاشياء
لله تعالى قد يمتحنهم بالقتال ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدايد كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية وقوله ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحو ذلك فاذا كان كذلك محنة لا جزاء جاز ذلك وكان ذلك حكمة واما قولهم بانا نقاتل
الرجال ولا نقاتل النساء ولا نسترقهن لانهم اتباع للرجال في جميع الاحوال وخدم لهم فاذا اسلموا الرجال صار مسروقا فيما بينهم
او من في ايدي الرجال يشيلون بهن ما شاؤوا واسلم ما ذكرنا ان القتال محنة ليس بجزاء الكفر اذ الدار دار محنة فلا ان يعني
بعضنا بالقتل وبعضا باخذ المال وبعضا بهذا ولا ذاك ولو كان جزاء السوى بينهم بالتخليد في النار ابدا فان قيل ما الحكمة
في اخذ الجزية من سائر الكفرة اذا كانوا اهل الكتاب او المجوس وترك الاخذ من مشركي العرب قيل لوجوه احدها ان ليس لمشركي
العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك الدين ولا لهم اصل يعتمدون عليه او كتاب يميلون اليه انما هم قوم يقاتلون عن
جبالهم ويتناصرون بهم ولغيرهم من الكفرة دين يدينون به واصل يعتمدون عليه ويحاجون الناس بالحجاج التي لهم فاذا
كان كذلك لم يكن امام الحجج على هؤلاء الزام البراهين ولا كذلك مشركوا العرب اذ لا دين لهم ينتسبون اليه ومذهب يعطون
عنهم اليه بالحجاج ولكن يخرج لذلك افترقا والله اعلم بذلك والثاني انهم تمنوا ان يكون لهم رسول من جنسهم يبعثه
فيما بينهم اليه ونذير يجيبونه حتى اقسموا على ذلك واكدوا القسم في ذلك كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية ولم
يكن لغيرهم من الكفرة ما كان منهم فاذا كان كذلك منهم يقاتلون ابدا حتى يؤمنوا او يموتوا كقوله تقاتلونهم او يسلمون والثالث
لفضل رسول الله اذ كان منهم ومن جنسهم فلا يترك احد في تلك البقعة على غير دينه والثاني ان يكون هو صاحب ... من
مشركي العرب في حد القليل امكن المقاتلة معهم والقيام لهم فلا يرضى منهم الا الاسلام واما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة
وهم كثير اذا اجتمعوا لم يمكن في وسع اهل الاسلام القيام لهم والقتال معهم فيلحق المسلمين في ذلك ضرر بين لذلك كان
ما ذكر وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية قد ذكرنا انهم وان كانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر عند انفسهم
انهم في الحقيقة غير مؤمنين لان شرط ايمانهم الايمان بالرسل جميعا والكتب اجمع انهم قد تركوا الايمان ببعض الرسل وببعض
الكتب ومن كفر برسول من الرسل او بكتاب من الكتب او بحرف منه كان كافرا بالله وقوله ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
يحتمل انهم لا يحرمون تحريف الكتب وكتمان نعت رسول الله والله حرم ذلك عليهم او لا يحرمون عبادة الاوثان والله
ورسوله يحرم ذلك او لا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخمر والخنزير وغيره والله اعلم وقوله ولا يدينون دين الحق
وهو الاسلام لانه دين توجبه العقول وتشهد خلقة الخلائق كلها او ان يقول لا يدينون دين الذي له الحق
انما يدينون بدين الذي لا حق له وهو دين الشيطان وهو ما يدعوهم الى عبادة الاصنام فيجيبونه والله اعلم
وقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون يحتمل قوله يعطوا الجزية اي يقبلوها لا على الاعطاء نفسه على
ما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو على القبول لا على الفعل نفسه ويحتمل نفس الاعطاء
وهو والله اعلم لما جعلت الجزية بحقن الدم فتقدم لتحقن به الدم وقوله عن يد وهم صاغرون قال بعضهم قوله
عن يد اي لا يؤخر قبضها عن وقت قبولها بل توضع يدا بيد وقال بعضهم عن يد اي عن قهر وغلبة وقيل عن يد اي
عن طوع وطيب وقيل عن جماعتهم لكنا لا ندري ما يعنون بالجماعة وقوله صاغرون قيل ذليلون وهو من الذل يقال
صغر الرجل يصغر صغارا فهو صاغر اي ذليل فهو ذليل وقيل صاغرون مذمومون وعن ابن عباس رض يمشون بها
متلببين وما صح الذلة هو الخضوع وهو والله اعلم الذلة التي ذكر الله في قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة انهم اتقوا
فاذا قتلوا اذكى فقد اذعنوا بالذلة والصغار وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية اما اليهود والنصارى
فلا خلاف بين اهل العلم في ان من بذل منهم الجزية اخذت منه واقر على دينه واما المجوس فانه يؤخذ منهم الجزية لما روي
عن عمر رض انه قال لا ادري ما اصنع بالمجوس فانهم ليسوا بعرب ولا من اهل الكتاب قال عبد الرحمن بن عوف
اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وفي بعض الروايات اشهد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر وعن علي ان ابا بكر وعمر اخذا الجزية من المجوس وقال علي بن ابي طالب

انا اعلم الناس بهم كانوا اهل كتاب يقرؤونه واهل علم يدرسونه فنزع ذلك من صدورهم وعن ابي رزين عن ابي موسى قال لولا
اني رايت اصحابي اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها وعن ابي عيينة بن الحرم قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى المنذر
انه قال من استقبل قبلتنا وصلى صلوتنا واكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ومن ابى فعليه
الجزية فهو آمن ومن ابى فعليه الجزية وفي بعض الروايات من استقبل قبلتنا وصلى صلوتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه
ما علينا ومن ترك ذلك فعليه الجزية وعلى ذلك مضت الايمة ولم ينكر واحد من السلف حتى قال قوم ان المجوس انما اخذت
الجزية منهم لانهم اهل كتاب فاحلوا ذبايحهم ونساءهم وذهبوا الى ما روي عن علي وقال اخرون ليسوا من اهل الكتاب وانما
اخذت منهم اتباعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبايحهم وما
روي عن الصحابة والايمة الهدى ثم اختلف في تقدير الجزية روي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بعث
معاذا الى اليمن فقال له خذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وروي عن عمر رض انه بعث عثمان بن حنيف الى السواد
وامره ان يضع على اهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما واربعة وعشرين درهما واثني عشر درهما وفي بعض الروايات
انه ضرب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام واصحابنا
جعلوهم ثلث طبقات اغنياء واوساطا وفقراء يؤخذ من الغني المؤسر ثمانية واربعين درهما ومن الوسط اربعة وعشرين
درهما ومن الفقير المحترف اثني عشر درهما وفي بعض الاخبار اربعين درهما او اربعة دنانير وضيافة ثلاثة ايام وعشرين درهما
ودينار وهو ما ذكرنا ثمانية واربعين بغير الضيافة وبغير المؤنة وما روي من اربعين درهما او اربعة دنانير مع الضيافة
والرزق الذي ذكر في الجزء وهذا من عمر بحضرة المهاجرين والانصار فلم يات عن احد منهم النكير عليه ولا الرد فهو كالاتفاق
منهم على ذلك ثم لا يحتمل ان يكون عمر قدر ذلك التقدير رايا منه لان المقدرات والمحدودات سبيل معرفتها التوقيف
والسمع لا العقل فهو كالمسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي من حديث معاذ حين امره النبي ان ياخذ من
اهل اليمن من كل حالم دينارا فذلك يحتمل ان يكون امره بذلك لما كانوا اهل ضعف وفقر على ما روي عن عمر في الضعفاء من
اهل مصر والشام وليس هو الحد الذي لا يلزم اكثر من ذلك لما ذكرنا ان عمر الزم المياسير اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد
من الصحابة فدل انه علم عليهم وصفناه ثم اختلف في تمييز اصحاب الطبقات بين المؤسر الغني وبين الوسط والفقير قال بعضهم
الفقير من يحترف وليس له مال يجب فيه الزكوة على المسلمين وهم العمال المحترفون لمن كانت له اقل من مايتي درهم فهو
من اهل هذه الطبقة والطبقة الثانية ان يبلغ مال الرجل مايتي درهم فقال بعضهم اذا بلغ ماله اربعة الاف درهم فزاد
عليها صار من اهل الطبقة الثالثة واحتجوا من قول علي بن ابي طالب وابن عمر حيث قالا اربعة الاف فما دونها نفقة
وما فوق ذلك كنز وقد يجوز ان يجعل الطبقة الثانية من ملك مايتي درهم الى عشرة الاف درهم وما زاد على ذلك جعل
من الطبقة الثالثة لحديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية ابي هريرة قال من ترك عشرة الاف درهم
جعلت صفايح يعذب بها يوم القيمة وقال بعضهم ... ثم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله

كذا في الاصل بياض

ولا باليوم الاخر دلالة على ان الجزية انما تؤخذ ممن يجب ان يقاتل ان لم يبذلها والنساء والصبيان لا يقاتلون ولا
يقتلون ان ظهر بهم فلا يجب ان توضع عليهم الجزية بدليل الكتاب اذا كان الله انما امر ان تؤخذ الجزية ممن يقاتل وكذلك
فعل عمر والايمة بعده روي ان عمر رض كتب الى امراء الجيوش ان لا تقاتلوا الا من قاتلكم ولا تقتلوا الصبيان والنساء
ولا تقتلوا الا من جرت عليه المواسي وكتب الى عماله ان تضربوا الجزية ولا تضربوها على النساء والصبيان وفي بعض
الروايات انه كتب الى امراء الاجناد ان لا تاخذوا الجزية الا ممن جرت عليه المواسي قال والجزية اربعون درهما
او اربعة دنانير وفي خبر معاذ دلالة لذلك حيث قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وامرني ان آخذ من
كل حالم دينارا او عدله معافر في معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ ذلك من الرجال دون الصبيان
ودون النساء فان قيل روي عن معاذ قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخذ من كل حالم وحالمة دينارا وفي
بعض الروايات عنه انه قال امرني ان آخذ من كل حالم ذكرا وانثى دينارا فان كان هذا ثابتا محفوظا فهو دليل لما

٧٥٠

يوخذ من نصارى بني تغلب ويكون حكم تا العرب من اهل الكتاب فيما يوخذ منهم خلاف تا العجم منهم او ان يقال انه
غير محفوظ لما عمل الايه بخلافه لان الوفاق قد جرى على ان الجزيه على الثلث ولو كان محفوظا لظهر العمل به او ان يكون
قوله خذ من كل حالم وحالمه دينارا اي خذ منها دينارا ولا تاخذ من كل واحد دينارا كقوله لكل سهو سجدتان لا يلزم
اكثر من ذلك ثم نذكر مسايل تبنى على الايه ذكرها وهي ان الجزيه اذا وجبت فدخلت سنه اخرى قبل ان يوديها اخذت سنه
السنه الثانيه ولم توخذ للسنه الاولى الماضيه ليس كسائر الديون لان مجوسيا لو اسلم بعد مضي السنه لم يطالب بجزيه العام
الماضي فلو كانت كسائر الديون لطولب بها المسلم كما يطالب بمال يكون عليه اذا اسلم او بقي على مجوسيته فلما لم يطالب
دل انها ليست كسائر الديون فان قيل اليس الخراج يطالب به من اخر من سنه الى سنه قيل ليست الجزيه مثل الخراج
لان الخراج يجب على المسلم في ارضه فهو كسائر الديون فان قيل ان المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنه طولب بالجزيه للسنه
الماضيه قيل روي عن عمر انه رفع الجزيه بالاسلام فقال والله ان في الاسلام لمعاذا ان فعل رفع عنها الجزيه وقد روي
في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على مسلم جزيه ومن طالبه بالجزيه بعد الاسلام فقد خالف
الخبر فان قال انما يدل عن المسلم ما كان عليه من الجزيه في حال كفره لانه صار الى حال لا يجوز ان توضع عليه ابتداء قيل
ان الذمي اذا اجتمع عليه جزيه سنتين فصار الى حال لا يجوز ان تلزمه في الابتدا مثلها اكثر من اثني عشر درهما
لفقر لم يجز ان يلزم اكثر منها لانه جعل حكم مستدير الجزيه التي وجبت كاسلام صاحبها حكم الابتدائيه توظيف الجزيه عليه
فوجب ان يجعل حكم مستدير ما اتت عليه سنتان حكم ابتدائه واصله ان الجزيه انما جعلت لحقن الدم فاذا مضى سنه
صار دمه محقونا في السنه الماضيه لم يكن توخذ وقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى اخره تضمنت هذه الايه
احكاما منها الامر بقتال من لم يومن بالله واليوم الاخر وهم يقرون بالامرين لكنه يخرج على وجوه ثلثه احدها
انهم مشبهون تشبيههم الله بخلقه احتمل قلوبهم التعطيل له بالولد اذ الذي شهدوا من الخلايق على ذلك وجدوا
يولد بعض من بعض واذا كان كذلك فهم غير مومنين في الحقيقه بالله الذي هو الحق حتى يومنوا به وان لا يكون
الاحد دون الذي ادعوه والثاني ان الذي جبل على الخلق هو تعظيم رسل الملوك واجلالهم حتى يوجد من بد
الرسل بين ملوك تظهرت بينهم العداوة فلما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المواثيق التي انجزت للخلايق
وشهادة كتبهم به نظار من عرفوا انهم يكذبون بكتبهم وبرسلهم على من صدق بذلك ثبت انهم في الحقيقه يكذبون
جميع الرسل والكتب وان اظهروا الوفاق وان ذلك لا يكون الا لتكذيب منهم بالله فعلى ذلك ايمانهم بالله يكون
ايمانهم بالرسل وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبد قيس انه قال امركم باربع امركم بالايمان
بالله فقال اتدرون ما الايمان بالله تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فلذلك لم يكن ايمانهم بالله
ايمانا حتى يومنوا برسول الله وعلى هذا يحاربون والثالث ان يكون نفى عنهم الايمان بنفي منفعه الايمان عنهم اذ
اقل المنتفع به الايمان برسله والقبول عنهم بالتعظيم فاذا ظهرت منه منفعة تركوا القتال ثم الترك على قبول
الجزيه جائز وان كان الامر قد تقدم بالقتل من غير ان يكون في ذلك دليل ان لاجل ذلك لما قال تعالى كتب
على كل نفس الموت ثم قد يترك ونعلي ما هم عليه من اختلاف الاديان وتفرق الاهوا وان كان لا يدل ذلك على
الامر بما هم عليه والرضا بما اختاروا وانتحلوا في الاول لا يدل على الرضا بكفرهم ولا القتال لاخذ تلك الاموال
منهم ثم الاصل ان القتال لم يجعل ليكون القتل عقوبة للكفر اذ نوع القتل وسببه قد يوجد في الاحياء للكفار
جميعا وهو الموت ثبت انه لم يجعل لذلك ولكن لوجهين ان يضطرهم الى الاجابة لما فيه نجاتهم وبه نيل كرام الابد وكان
ذلك بعد ان الزمهم كل انواع الحجج فلم ينفعهم فقاتلناهم بما كان الذي يمنعهم عن النظر في الحجج حب اللذات والذها
الجموع فقاتلناهم حتى ياسوا عن تلك اللذات لما فيه عن النظر في الحجج والصاد عن الاجابه نزول محنهم وفي قبولهم الجزيه
مثل بعض الذل والصغار الذي تنفر عنه الطباع وبه عوالي ما فيه الزوال فينظروا في الحجج ويقبلوا ما دعوا اليه
فيكون به نجاتهم وزيادة كرامة في الكرامه والثاني ان المحن كلها منقسمة على الحسنات والسيئات والخيرات والشرور

٧٥١

ولذلك جعل بالموت والحيوه وعلى ذلك جميع امور الدنيا هو التقلب في مختلف الاحوال فكل الدعا الى الاسلام يكون مع
محاجة اليد مرة بالانذار مرة بالترك لان جعل شي من ذلك الشي لكن بما على امر المحن ليتذكر به وجود الموعود بالاثار
لنيل امور المحن فعلى هذا امر القتال في قوم والعفو عن قوم والدعا الى الاسلام في قوم والى قبول الذل في قوم على ما
في علم الله من المصالح وعلى ما في حق الحكمه ثم الفرق بين مشركي العرب وغيرهم يخرج على وجوه احدها انهم قد كانوا اقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم فكذبوه ثم اقسموا لئن جاءتهم اية ليومنن بها فجاءتهم ايات
فلم يومنوا فاستوجبوا القتال الى ان يفوا بالوعد الذي سبق والقسم الذي جهدوا به وليس لغيرهم هذا او على قوله
ونقلب افيدتهم وابصارهم الايه فبين الاياس عن ايمانهم الا ان يشا الله فهو يخرج على وجهين احدهما الاياس عن ايمانهم
وقبول الجزيه لئلا يبطلوا اصل شريعه الله فيسمعوا انهم بحجج ويبينوا الخصال المحموده في العقول والاخلاق الكريمه التي جا
بها الرسول فيومنوا وهو الا قد ايس الله عن ايمانهم والاخبار انهم ياسون ابدا فلذلك لم يعط لهم عهد وعلى ذلك ظهر نقضهم
العهود مرة بعد مرة والله اعلم والثاني انه استثنى فيهم ان لا يومنوا بالايات الا ان يشا الله فلعل الله شا ان يكون
ايمانهم بالقتال خاصه فعرض لهم ذلك لئلا ان يومنوا وجاء ان رسول الله بعث منهم ومنهم فاوجبت لهم التفضيل به
ان لا يقبل منهم غير الايمان كالفضيلة النعمه التي فيها بعث رسول الله وروي ان لا يترك في غير المومن تفصيلا ووجه اخر
انهم قوم ليس لهم اس ولا اصل في الدين اليه يرجعون في القايس ومعلوم ان لا قوام في العقول لامر الدين الا بالاصل
كالسياسات كلها والامور فيها القوام من الملك وغيره بل انما كانوا جروا على عاده وتقليد القبايل فلا يرجعون في
الحقيقه الا الى عاده خارجه عن التدبير وغيرهم يرجعون الى مذاهب اسست ما اسس امر الديانات فقد تعلقوا
بضرب من ذلك فتركوا اذا اخضعوا الا رغبوا واذعنوا لهم حق التبع فيتركون رجا ان يتاملوا اذ لكل مذهب نظر وليس
لاولئك سوى العاده وتقليد الاباء دون ذلك وضعفه لا ينظرون فيها الى النظر والله اعلم وايضا ان لاهل المذاهب اصول يكثر
اهلها وفي الاقدام على القتال الى الغايه يفضي بعض الى بعض فيتشاجرون ويخاف على المسلمين بما به رجا التكثير الغنا والكثر
بقل عددهم حتى لم يكونوا يقدرون على المناواة الا بمعونة اهل الكتاب وغيرهم لا يمكن ان يضطروا به الى القتال لهم ما
ليس لهم مذاهب معلومه اذ لا يذكرون في شي من الكتب لهم مذاهب وقد ذكر بحجيج الفريقين فامامرهم على العاده وقد تترك
العادات بما يعرض فيها ما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحرب فيتركونها فاما اهل المذاهب عندهم انهم لزموا بالحجج ولا
يمكن ان يتركوا الا بالحجج وذلك يكون بقبول الذمه والعهد وايضا انه يكون الزام كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه
ما يثبت القول في الاسلام وفي العهد رجا الموصول اليه وليس لمشركي العرب ذلك للعلم بمذهبهم على الحجج او الشبه انما هو
تقليد وعاده والله اعلم **وقوله** وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال في ايه اخرى
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا اخبر ان السموات تكاد ان تنفطر
وتنشق الارض وتخر الجبال لعظم ما قالوا في الله سبحانه من البهتان والفريه على ان له ولدا غير ان الذي ذكر ذلك
فعال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فذكر الايه واخبر والله اعلم انهم قالوا في الله
ما قالوا لوجهين احدهما انه ولا لدا ثبات رسالته لمحمد صلى الله عليه وسلم لان هولا المتاخرين لم يقولوا هذا ولكن انما قال
ذلك اوايلهم لكن كتموا ذلك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوايلهم قالوا ذلك وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك
ليعلموا انه انما علم ذلك بالله والثاني يخبر رسوله سفه اوايلهم ويصبره على سفههم واذاهم والثالث
يخبر انهم مشبهه لانهم نسبوا المخلوق اليه وقالوا ان فلانا ابنه لما راوا منه اشيا خلوا لا انهم عرفوا الله قبل ذلك فهم الخلوق
والا ما قالوا ذلك والا اعتقدوا ما اعتقدوا من الشبه وغير ذلك والله اعلم **وقوله** ذلك قولهم بافواههم اي ذلك
قول قالوه بلا حجه ولا برهان كانت لهم في ذلك او قالوا ذلك بافواههم على غير شبهه اعترضت لهم تحملهم على ذلك **وقوله**
يضاهون قول الذين كفروا من قبل يحتمل هذا ان يكون قد قالوا مثل قول رسول الله او يضاهون قول الذين
كفروا من قبل ان الشرك والكفر وغير ذلك من الكذب والافترا على الله كقوله تشابهت قلوبهم بالكفر وكقوله كذلك

يحيا به الموتى ليس ان يحيي الموتى كلهم احياء كما احيا ذلك القتيل بضرب بعض من البقرة ولكن يحييهم احياء في ذلك
قوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل في الكفر تفرد ويحتمل مضاهاة قول النصارى قول اليهود والمضاهاة المشابهة
والاشتباه وقوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل ان يشبه النصارى بقولهم لعيسى انه ابن الله قول اليهود من قبل
عزير ابن الله فضاهت النصارى في عيسى اليهود قبلهم في عزير وقوله قاتلهم الله انى يؤفكون هذه الكلمة كلمة اللعن
تستعمل عند مناكير القول والفعل من غير حصول المنعم وقوله انى يؤفكون يحتمل من اين يؤفكون ويفترون على الله على
غيره حتى اخترعت اسماء ويحتمل انى يؤفكون اي كيف يؤفكون بلا شبهة تحمل لهم وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
قيل الاحبار هم العلماء والرهبان العباد وقيل الاحبار هم اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى
وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يحتمل ان يكون هذا في الشهوة والاتباع فقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله في العلماء والرهبان فاتخذ الاتباع اولئك اربابا يتبعونهم في جميع ما يدعونهم
اليه ويأمرونهم في جميع اوامرهم ونواهيهم لا انهم عبدوهم ولكن ذكر اربابا لما ذكرنا من اتباعهم وانتظارهم اياهم فيما
يدعونهم اليه ويأمرونهم كقوله يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وقوله لابراهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع يا ابت لا تعبد
الشيطان ولا احد يقصد عبادة الشيطان وطاعته ولكن نسب العبادة اليه لما يجيبونه في كل ما يدعوهم اليه ويأمرهم
به في ذلك هذا ويحتمل ما روي في الخبر انه ثبت انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا لهم اشياء حرمها عليهم فاستحلوها وحرموا
لهم اشياء احلها الله ذلك لهم فحرموها فلذلك قيل اتخذوهم اربابا والله اعلم ويحتمل هذا في الاحبار والرهبان على التمثيل
اي اتخذ ولي الطاعة لهم والاتباع لامرهم كانهم اتخذوهم اربابا لا على التحقيق وهو ما ذكر من عبادتهم الشيطان
لا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن صاروا بالطاعة الشيطان والاتباع لامره كانهم عبدوه واما في المسيح فهو
على التحقيق لانهم قالوا انه اله وقالوا انه ابن الاله فهو حجة في المسيح على التحقيق وفي الاحبار والرهبان على
التمثيل وقوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يحتمل الا يوحدوا الها واحدا هذا الذي لا اله الا هو ويحتمل
اي ما امروا ان يعبدوا المسيح على ما يعبدون من الاصنام والاوثان ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا وقوله
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم قيل نور الله ذكر الله وتوحيده وقيل نور الله القرآن وقيل نور الله دينه
وهو الاسلام فان كان النور هو الذكر والتوحيد فهو والله اعلم لم يكونوا ينفون ذكر الله وتوحيده لكن من الما
كانوا ينفون ذكر الاصنام واياها يذكرون وبحق القرابة والرحم يتناصرون فيما بينهم فلما ان بعث الله رسوله نهاهم
عن ذكر الاصنام وتوحيده وامر بالتناصر بحق الدين ارادوا ان يطفئوا ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القرآن ارادوا
اطفاءه كقولهم هذا الا اساطير الاولين وان هذا الا سحر مبين ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونحوه ارادوا
اطفاءه بنحو ما ذكرنا ما هذا الا مفترى وقولهم انما يعلمه بشر الآية ومن قال نور الله هو الدين فهو كقوله افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال الله نور السموات والارض مثل نوره وفي حرف ابي مثل نور المؤمن
ومثل ارادوا اطفاء هذا النور لتسلم لهم المنافع التي كانت لهم وقوله يريدون ان يطفئوا يحتمل وجهين يريدون
اي يجهدون ان يطفئوه فلا يقدرون على اطفائه ويحتمل يريدون اي يحتالون ان يطفئوه باسباب يتكلفون ويحتالون
وقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره بالحجج والبراهين او بالنشر والاظهار وقد اتمه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم
وقوله ولو كره الكافرون وقد كره الكافرون وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق يحتمل قوله
بالهدى يهدي بين يديه اي بما يكون جميع المحاسن والخيرات محاسن وخيرات لان المحاسن والخيرات لا تقوم الا
به ويستقيم بها بعد ذلك ويحتمل قوله بالهدى وهو القرآن يهديهم ويبين لهم المحاسن من المساوي والحسنات من
السيئات وهو يهدي بين يديه الى ذلك وقوله ودين الحق وهو دين الحق اي الاعمال التي تصير المحاسن محاسن
والخيرات خيرات وهو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق اي ارسله بالهدى وبدين الحق ويحتمل قوله ودين الحق اي
دين الله كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين وقوله ليظهره على الدين كله يحتمل وجوها ليظهر رسوله على اهل

الدين كله بالحجج والآيات فقد اظهره الله على الاديان كلها بالحجج والبراهين حتى لم يتعرض احد في شبهه ذلك فضلا ان
يتعرض في ابطاله ويحتمل ليظهر اهل الدين كله بالقهر والغلبة الا ذلك اشكالات حتى خضعوا له كلهم ولو انهم لم يتبع جرى
الحرم من ترك وله ذلك الا خضع له فصار اهل الكتب ذليلين صاغرين في ايدي المسلمين وان كان المراد من قوله ليظهره على
الدين كله فهو بالحجج والبراهين كلها وان كان اراد به الدين ان يظهره في الاديان كلها فيحتمل ان يكون ان شاء الله
تعالى هو الظاهر على الاديان كلها يوم القيمة وقوله على الدين كله ولم يقل على الاديان كلها فالدين يتناول الاديان كلها
كقوله يا ايها الانسان يدخل فيه كل انسان ويجوز ان يكون اديانا مختلفة فهو واحد لان الكفر كله ملة واحدة وهو دين
الشيطان فسماه بذلك وقوله يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان اما الاحبار والرهبان فقد ذكرنا
وقوله ليأكلون اموال الناس بالباطل لانهم كانوا يأكلون اموالهم بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الآية فهم انما
حرفوا ذلك وبدلوه ليسلم لهم تلك الاموال فذلك كله اكل بالباطل لانهم خافوا ذهاب تلك المنافع والاموال اذا آمنوا فيحتمل
ان يكون انما سماهم اربابا في الآية الاولى لما يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويحتمل ان يكون هذا الصلة
ما قال ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله اي اخذوا اموالهم لصد الناس عن سبيل الله وكنزوها
ولا ينفقونها في سبيل الله انما انفقوها لصد الناس عن سبيله ومن الناس من حمل الآية في منع الزكاة روي في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة ان كل مال ادي الزكاة عنه فهو ليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين
وكل مال لم تؤد الزكاة فهو كنز وان كان على وجه الارض ومن اصحابنا من استدل بهذه على ضم الفضة والذهب بعضها الى
بعض في الزكاة بهذه الآية لانه ذكر كنز الذهب والفضة جميعا ثم الحق الوعيد بترك الانفاق من الفضة بقوله
ولا ينفقونها في سبيل الله فلولا ان الضم واجب يكون المودي من احدهما مودي من الاخر والا لم يكن لذلك معنى ثم
في متعارف الناس انهم يؤدون من الفضة عن الذهب لان الذهب اعز عندهم والفضة دونه ثم ان كانت الآية
في الكفرة فهو في التشبيه كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقوله الذين لا يؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وذلك في التأويل لا في الاداء وقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم الآية يحتمل الله تعذيب الكفرة في الآخرة بالاسباب التي منعتهم من طاعة الله ودعتهم الى خلاف امره
ويجمع بينهما في النار كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم ونحو ذلك فعلى ذلك ما كنزوا ويحمى عليها فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم يعذبهم بها لما منعتهم تلك الاموال عن طاعة الله ودعتهم الى صد الناس عن سبيل الله يجعل عذابهم في الآخرة بها
ويحتمل قوله جباههم كناية عن التقديم الى الآخرة اي لم يقدموها ولم ينفقوها في سبيل الله وقوله جنوبهم انهم
انفقوا مما يحل وبما لا يحل من كل جهة وقوله وظهورهم لما انفقوها في الصد عن سبيل الله ويحتمل ذكر هذا احاطة
العذاب بهم من كل الجهات كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
اي يحيط العذاب بهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وكقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة اي يحيط بهم حتى لا
يقدروا على دفعه عن وجوههم وقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من صاحب ذهب وفضة لا يؤدي حقها الا جعلت له يوم القيمة صفائح ثم احمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه
وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما
من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيمة تطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها ثم ذكر فيه ما ذكر في الابل
قالوا يا رسول الله فصاحب الخيل قال هي لثلث لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر فاما من ربطها عدة في سبيل الله فانه
لو انه طول لها في مرج خصب او في روضة كتب الله له عدد ما اكلت حسنات وعدد ارواثها حسنات ولو انقطع طولها
ذلك فاستنت شرفا او شرفين كتب الله له عدد آثارها حسنات ولو مرت بنهر عجاج لا يريد السقي به فشربت كتب الله له

انهم جعلوا اموالهم اموالا لانفسهم
والنفسهم تحسبا لهم فلم كلالا ربا لهم
وقوله والذين هم

٧٥٤

عدد ما شرب حسنات ومن ارتبطها فخرا ورياء على المسلمين كان له وزرا الى يوم القيمة ومن ارتبطها تعففا وتغنيا ثم لم
ينس حق الله في رقابها وظهورها كانت له سترا من النار يوم القيمة فان ثبت هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففيه دلالة وجوب الزكوة في الخيل وهو حجة لابي حنيفة رحمه الله لانه قال ثم لم ينس حق الله في رقابها والحق الذي في رقابها
هو الزكوة والذي في ظهورها هو الجهاد عليها والله اعلم **وقوله** ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله
من الناس من يقول ان الشهور كانت لتشتبه عليهم واختلطت لكثرة ما كانوا يؤخرونها ويقدمونها حتى لم يكونوا يعرفون
الشهور بعينها كل شهر على حدة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموسم فقال الا ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
الذي هو بين جمادى وشعبان ثم قال لهم اي بلد هو واي شهر هو واي يوم هو قالوا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام
فقال الا هل بلغت قالوا بلى فقال اللهم اشهد وفي بعض الاخبار زيادة فقال وان النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا الاية وقالوا وذلك انهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا
فكان النسيء من الشيطان فوصف رسول الله في هذه الاحاديث الاشهر الحرم وبينها فدل ذلك على ان النبي كان يحرم
القتال فيها على ما كان اهل الجاهلية يحرمونه وهذا وذلك بان لعيب اصحاب النبي اذ كانوا يستحلون القتال في
المحرم ويؤخرونه الى صفر فيحرمون صفر مكان المحرم فعاب الله عليهم تحليل ما حرم من الشهر وجعل زيادة في الكفر وقال
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله اي عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله تعالى وقال فيحلوا ما حرم
الله زين لهم سوء اعمالهم ومنهم من قال ان الله جعل عدة الشهور اثني عشر شهرا بالاهلة على ما عرفته العرب لما وقفوا
على هذه ذلك ولم يوقفه غيرهم وانما يعدون السنة بالايام والعرب تعرفها بالاهلة على ما خلقها الله يوم خلق السموات
والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم قال بعضهم في الاشهر كلها لما جعل هذه الاشهر شهودا عليهم يشهدون بما
يعملون فيها من المعاصي والخيرات وهي تنقضي اجالهم يخبر ان لا تظلموا في هذه الاشهر التي نالتكم بكل خير وبكل نعمة
فانها تنقرض بما تعملون فيها من الخير والشر وقال بعضهم قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في الاربعة الحرم خص الاربعة
وان كان الظلم في الاشهر كلها لا يحل على ما خص مكة بترك الظلم فيه وان كان الظلم حراما في الاماكن كلها كقوله سواء
العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم الاية اي لا تستحلوا فيهن اذ كل ظلم **وقوله** ذلك الدين القيم قيل ذلك
الحساب حساب الاشهر قيم اي صحيح مستقيم على ما خلقه الله وقيل ذلك الحساب هو القضاء العدل **وقوله** في كتاب الله
يحتمل كتاب الله اللوح المحفوظ على ما قيل ويحتمل في كتاب الله اي في حكم الله ذلك وقوله عند الله يحتمل ما
ذكرنا من اللوح المحفوظ ان ذلك عند الله لم يطلع عليه غيره ويحتمل عند الله في علمه على معرفة العرب والله اعلم
وقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يحتمل قوله كافة اي مجتمعين اي قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم
هم مجتمعين ويحتمل كافة اي جماعة ويحتمل كافة الى الابد الى يوم القيمة اي قاتلوهم الى الوقت الذي يقاتلونكم كما قاتلوكم
واعلموا ان الله مع المتقين في النصر والمعونة **وقوله** انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الاية كان من
الاية والاية التي قبلها قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في مشركي العرب وسائر الايات التي قبلها
نحو قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل في اهل الكتاب يخبر ان ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا مردوا دون
الله حيث يتبعونهم في جميع ما يحلون ويحرمون كما ان اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم اولئك عبيدا فلانه قال اولئك
الملوك العرب واحبار اليهود ورهبان النصارى اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا فانتم يا معشر المؤمنين لا
تتخذوا انفسكم اربابا والاتباع عبيدا الا ترى انه قال في الاية التي تتلوها يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الاية في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك
كقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة الاية فيهم ذكر ذلك الوعيد وقال بعضهم الاية في

٧٥٥

المؤمنين امروا ان يغزوا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قيل استثقلتم النفر في سبيل الله واقمتم ويحتمل التثاقل
هو ان يروا من انفسهم الثقل من غزاتهم اقاموا كانهم يتصاممون ويتعامون من غزاتهم كان به الصمم والعمى ولكن لما
يرى من نفسه ذلك وقال بعض اهل الادب قوله اثاقلتم اي تثاقلتم وركنتم الى المقام وذلك في القرآن كثير
كقوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا **وقوله** ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في
الاخرة الا قليل اي ما متعكم في الدنيا قليل عما وعدكم ان يمتعكم في الاخرة او ان يكون متاع الحيوة الدنيا من اولها الى
اخرها تنتهي قليل من متاع الاخرة وكراماتها لان كرامات الدنيا في شرف الزوال وكرامات الاخرة على الدوام
ابدا او ان يقال متاع الحيوة الدنيا قليل من متاع الاخرة لان متاع الدنيا ومنافعها يشوبها الافات والمضرات
ومتاع الاخرة ومنافعها لا يشوبها الافات والمضرات **وقوله** يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا الى اخر
الاية عاتب المؤمنين بالتثاقل بالخروج الى الارض … عن الركون الى الدنيا وقوله انما النسيء زيادة في الكفر
اي لما احدث اولئك الملوك من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله زيادة في كفر اولئك احدثوا ذلك وقت احداثهم **وقوله**
يضل به الذين كفروا يحتمل وجهين يحتمل يضل به الذين كفروا اي يهلك الذين كفروا اي الذين احدثوا ويحتمل يضل
به الذين كفروا اي ما احدث اولئك الملوك انما احدثوا ليضل بها الاتباع يحلونه عاما ويحرمونه عاما على ما ذكر في
القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون فيه الدماء والاموال ويحرمونه عاما فلا يستحلون فيه الدماء والاموال
وقوله ليواطئوا عدة ما حرم الله قيل ليوافقوا عدة ما حرم الله كان عندهم ان التحريم انما كان لعدد الاشهر
لا لشهر لما في الاشهر فحفظوا عدد الاشهر ولم يحفظوا الوقت وذلك تاويل قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما
حرم الله زين لهم سوء اعمالهم اي زين تاخير المحلل وتقديم المحرم والله لا يهدي القوم الكافرين قيل لا يهديهم
وقت اختيارهم الكفر او لا يهديهم في الاخرة طريق الجنة لكفرهم في الدنيا وقد ذكرنا ذلك في غير موضع قال
ابو عوسجة النسيء التاخير يقال انسأت الشهر اي اخرته ويقال انسأ الله في اجلك اي اخر الله وقوله ليواطئوا والمواطأة
ان يطأ واحد مع شهر … وهو التتابع يقال تواطأ القوم على حديث كذا وكذا اي تتابعوا وواطأت فلانا اي
تابعته وقال القتبي النسيء التاخير وكانوا يؤخرون تحريم المحرم منه سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم الى القتال
فيه ثم يردونه الى التحريم في سنة اخرى كانهم يستنسئون ذلك ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما
حرم الله يقول اذا حرموا من الشهور عدد الشهور المحرمة لم يبالوا ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال **وقوله** الا
تنفروا يعذبكم عذابا اليما اي ان لم تنفروا يعذبكم عذابا اليما ان كانت الاية في المنافقين فهو ظاهر وان كانت
في المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا اليما يحل بهم ولم يبين ما ذلك العذاب وقال بعضهم شدد الله الوعيد في
تركهم النفر والخروج في سبيل الله على ما شدد يوم بدر في التولية الدبر بقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال او متحيزا الى فئة الاية عن ابن انه شدد يوم بدر لانه لم يكن الجهاد كان فرارهم فرار نفاق وههنا شدد لعين ذلك الوجه
احدها … تخلف المؤمنين عنه موضع العذر للمنافقين بالتخلف عنه انهم ان تخلفوا للعذر فيحق تخلف … للعذر
والثاني ان ذلك عذر والثاني يكون للكفار موضع الاحتجاج عليهم يقولون انهم يرغبون في الخير ويحثون في ذلك
ثم انهم ينفرون عن ذلك ويرغبون عنه والثالث يكون في تخلفهم الشوكة على المؤمنين اذ يقلون اذا تخلفوا **وقوله**
ويستبدل قوما غيركم قيل يوحي قيل يستبدل الملائكة فينصرون رسول الله على ما استبدل يوم بدر ويوم حنين
ويوم الاحزاب وقيل ويستبدل قوما غيركم على ما استبدلكم باهل مكة فينصرونه وقال بعض من اهل التاويل
يستبدل قوما غيركم اي يبقى قوما غيركم لكن الوجه الاول اشبه الا ترى انه قال في اخره الا تنصروه فقد نصره الله
وقوله ولا تضروه شيئا هو ما ذكرنا اي لا تضروا رسول الله بالتخلف عنه وقال بعضهم لا تضروا الله شيئا والاول
اشبه لما ذكرنا **وقوله** الا تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروا رسول الله فان الله ينصره على ما نصره في
الوقت الذي كان في الغار لم يكن معه احد من البشر الا واحد فان لم تنصروه فان الله ينصره على الكفار ونصره

في الكلام لم يكن معه من البشر احد الا واحد فالتوم لا ينصره وهم من الانصار والاعوان ما لا يحصى وكان ما استنفرهم
رسول الله وامرهم بالخروج الى العدو لم يكن يستنفرهم لحاجة له اذ يعلم ان الله كافيه في نصره ولكن انما كان يستنفرهم
ويامرهم بالخروج لمكان انفسهم ليكتسبوا بذلك قربا ودنوا بما عند الله فيتبين الا ترى انه قال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما
ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا اخبر انهم لم تنفروا ولم تنصروا رسول الله فلا تضروه شيئا اذ الله كافيه في نصره انما امرهم بترك النفر
والخروج لئلا يركنوا الى الدنيا ولا يرضوا بالحياة الدنيا من الاخرة على ما ذكر اوليك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا
وحبهم اياها هو الذي منعهم من اتباع محمد وهو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الاجابة له فيما يدعوهم
اليه فيقول والله اعلم للمؤمنين لا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا بها من الاخرة فيمنعكم ذلك من النفر والخروج الى ما
يامركم رسول الله على ما منع اوليك الكفرة على ما ذكرنا والاصل انه انما استنصرهم لا لحاجة له فيهم اذ هو قادر
ان ينصر رسوله بما شاء لكن طلب منهم النصرة ليكتسبوا بذلك ثوابا لانفسهم وذكرا في الآجل وكذلك ما طلب منهم القرض له
على نعوت لا لحاجة له في ذلك ولكن ليستوجبوا النعم ويصلوا الى الباقية الدائمة وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي اضطروه
الى الخروج حين هموا بقتله حتى خرج من بين اظهرهم وقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار ثاني اثنين اي لم يكن معه
من البشر الا واحد ليعلموا ان النصر لم يكن بجمع البشر انما كان بالله تعالى اذ بالواحد لا يكون النصر والحفظ
من العدو او يذكر فضل ابي بكر وكان هو ثانيه في كل امر وقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن
ابي بكر خوفا على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله ان يصاب وكذلك روي في الخبر انه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله انك ان تصاب يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض وفي بعض الاخبار ان ابا بكر
كان يبكي اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال له ما ذكرنا فقال له يا ابا بكر ما
ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل انهما لما اتيا باب الغار سبق ابو بكر فدخل الغار وكان الغار معروفا بالهوام
فالقمها ابو بكر قدميه فاطال ذلك فقال ان كان فيها شيء بدا بي او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله ان الله معنا
ليس عن الحزن والخوف على رسول الله ولكن على تخفيف الامر عليه وتيسيرا لما هو عليه وقوله فانزل الله
سكينته عليه قيل انزل سكينته على ابي بكر حين قال له رسول الله ما ظنك باثنين الله ثالثهما حين سكن قلب ابي بكر
من الحزن والخوف على رسول الله وقال بعضهم انزل السكينة على رسول الله فهو يخرج على وجهين احدهما انه انزل السكينة
عليه حتى راى جنودا لم يروها حيث قال وايده بجنود لم تروها والثاني انزل السكينة بالحجج والبراهين لكنه
ان كان ما ذكر فهو فيما انزل السكينة عليه في البدء لانه كان رسول الله لا يخاف سوى الله ويعلم انه ينصره وكذلك
روي عن ابن عباس قال فانزل الله سكينته على ابي بكر لان النبي لم تزل السكينة معه وقوله وايده بجنود
لم تروها يحتمل في تلك الغزوة ويحتمل في الغزوات التي نصر بالملائكة يوم بدر وغيره يخبر انه قادر ان ينصره لا بالبشر
ليعلموا انه انما يامرهم بالنفر لا لنصر رسول الله ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب وقوله وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى يحتمل كلمة الذين كفروا وهو ما مكروا برسول الله ونصرة رسوله هي العليا وهو ان هموا بقتله جعل مكرهم
ومكيدتهم واجتماعهم على ذلك هي السفلى وكلمة الله هي العليا اي مكر الله بهم ونصر رسوله هي العليا كقوله
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا اي دينهم الذي يدينون به ومذهبهم الذي ينتحلونه السفلى
اي جعل ذلك السفلى بالحجج وجعل دين محمد العليا بالحجج والبراهين على ما كان ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا السفلى
اي جعل اهل الكلمة الذين كفروا هم السفلى واهل دين الله هم الاعلون كقوله وانتم الاعلون وقوله والله
عزيز لا يعجزه شيء حكيم في امره وقوله انفروا خفافا وثقالا اختلف فيه قيل شبانا وشيوخا وقيل رجالا وركبانا
وقيل نشاطا وغير نشاط وقيل فقراء واغنياء وقيل ذا عيال وغير ذي عيال واصله انفروا مستخفين ومستثقلين
اي انفروا خف عليكم الخروج او ثقل وما ذكر اهل التاويل من الشيوخ والشغل والفقر والمرض لان ذلك الذي
يثقل الخروج والنفر واصله ما ذكرنا انفروا خف عليكم ذلك او ثقل وقوله ذلكم خير لكم في الدنيا والاخرة

[Marginal note: [illegible] ... فانزل الله سكينته على ابي بكر ... [illegible]]

[Marginal note, diagonal: وقوله انفروا خفافا وثقالا ... [illegible]]

اي اعلموا ان ذلك خير لكم من المقام وترك النفير ان كنتم تعلمون وقوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قيل
بعض اهل التاويل لو كان عرضا قريبا اي غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي هينا لاتبعوك في غزوك ولكن بعدت
عليهم الشقة يعني المسير وقيل العرض الدنيا وسفرا قاصدا ليس فيه مشقة واصل قوله لو كان عرضا قريبا اي منافع حاضرة
وسفرا قاصدا اي منافع غايبة والعرض هو المنافع يقول لو كانت لهم منافع حاضرة او منافع غير حاضرة لاتبعوك
في استتباعهم لان عادتهم اتباع المنافع يعني المنافقين كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وهو ما ذكر
ان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله على حرف وهو ما ذكر ان اصابه خير
اطمأن به يعني عادتهم انهم انما يتبعون المنافع والرغبات واما المؤمنون فانهم يعبدون الله في كل حال في حال
السعة وفي حال الضيق ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع او لم تكن اصابتهم شدة او لا لم لا يفارقون
رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل حال وقوله سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا ظهر وسلاح لخرجنا
معكم ولو كان زاد وشيء نشتري ما نحارب به لخرجنا معكم ثم اخبر انهم لو استطاعوا على ذلك وانهم كاذبون انه لا استطاعة لهم
حيث قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقالت المعتزلة في قوله لو استطعنا لخرجنا معكم ان الاستطاعة تتقدم
الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا ما ننفق وما نشتري به السلاح لكنا نقول انه الاستطاعة
على وجهين استطاعة الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال واستطاعة الاسباب والاحوال يجوز ان تتقدمه
وهذه الاستطاعة هي استطاعة الاسباب والاحوال الا ترى انه قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ومثل ذلك في ايم
ان استطاعة الافعال لا تبقى وقتا ثم ان من اخبر انها كانت باقية وقتا دل انه هي استطاعة الاسباب والاحوال
وقوله يهلكون انفسهم قيل يهلكون انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم لا يستطيعون وقيل يهلكون انفسهم بتركهم
الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج كقوله ملعونين الاية ويحتمل يهلكون انفسهم في الاخرة بنفاقهم في الدنيا وقوله
عفا الله عنك لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يحتمل قوله يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين اي يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك اية من ايات النبوة الا لم تاذن لهم بالتخلف او ان لم تاذن لهم
يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون ويفارقونك وان لم تاذن لهم والذين صدقوا لا يفارقونك فيتبين لك هولاء من هولاء
ويظهر صدق هولاء من كذب هولاء وفي قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم دلالة ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اذن
لهم بالتخلف بلا امر وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد دلالة انه لو كان اذن لهم بالتخلف بالامر لم يكن ليعاتبه على الاذن
دل انه انما اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لما ظن انهم انما استاذنوه بالقعود للعذر فان قيل كيف عاتب رسوله بالاذن
لهم بالقعود وقد اجاز انما يحكم بالارادة لقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل يحتمل انه انما عاتبه على ترك الافضل
لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن لان به يتبين الصادق من الكاذب ويكون فيه اية من ايات الرسالة
ويجوز ان يعاتب على ترك الافضل ويحتمل ان يكون قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم تعليم من الله ان كيف يعامل الناس
بعضهم بعضا ليس على العتاب ومن الناس من استدل على تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء صلوات
الله عليهم اجمعين بهذه الاية لانه بدا بذكر العفو وكذلك في جميع ما ذكر من العتاب لم يذكر زلته وذكر في سائر الانبياء الزلات
وقوله لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية اي لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف لغير
عذر انما يستاذنك لعذر انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر بالقعود لغير عذر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون فسخها الاية التي في سورة النور انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا
كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله لكن هذا
لا يحتمل النسخ لان سورة التوبة من اخر ما نزلت لانها انهم اذا كانوا في امر جامع لم يذهبوا الا بعد الاستيذان لانهم
كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين في المجالس واما في الخلوات فلا وقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
ويحتمل ان يكون هذا في غزوة تبوك على ما قاله اهل التاويل امروا بالخروج وهو ان يتاهب للعدو وقوموا الى

لم يخرجوا انفسهم بتوا في ذلك ويحتمل ان يكون في حجيم الغزاة عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يأتيهم الله قط فقالوا لو
استطعنا لخرجنا معكم فاكذبهم الله تعالى انهم كذبوا وانهم اغنيا لكنهم عزموا ان لا يخرجوا ولا يعدوا العدة والله اعلم
وقوله ولكن كره الله انبعاثهم يحتمل قوله كره الله انبعاثهم اي لم يرض بخروجهم وانبعاثهم لتزيين الوجه الذي لهم

٧٥٨

رض عاه ذكرنا قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا في فساد اي لم يرد الله خروجهم لما علم منهم ان خروجهم وانبعاثهم
لا يريدون به الجهاد الا ما ذكرنا من الخبال والفساد وقوله فثبطهم قيل حبسهم اي اذا علم منهم ان خروجهم وانبعاثهم
لم يزدهم الا فسادا حبسهم ويحتمل ان خلق منهم الفعل الذي كان منهم من التخلف والتثاقل فيه دلالة خلق افعال
البشر ويكون في ذلك خلق الفعل وان كان شرا لم يصلح ان يخلق فعل المعصية من العاصي وهو شر له ويكون ذلك حجة
لنا وقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين يحتمل قوله قيل اقعدوا لما استأذنوا رسول الله في القعود اذن لهم في
ذلك على وقت عند انه لم عذر في ذلك وان كان من الله وجعل على التهدد والوعيد ويحتمل ان يكون من الشيطان
وسوس اليهم ان اقعدوا تزيينا منه اياهم بالقعود والتخلف والله اعلم وقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قوله
لو خرجوا فيكم اي لما نوا اخرجوا فيكم الا تزكيا نه قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم دل هذا انهم لم يكونوا خرجوا
ولو كانوا اخرجوا لم يكن تثبيطهم دل انه ما ذكرنا وان الانبعاث هو الخروج وكذلك في حرف ابن مسعود ولكن كره الله
خروجهم والتثبيط الحبس واصل التثبيط التثقيل وقال ابو عوسجة الانبعاث هو القيام والخبال قيل الفساد
والشر وقيل الغي وهو واحد وقوله ما زادوكم الا خبالا يحتمل زيادة الخبال وجوها يحتمل ان يكون عيونا للعدو ويخبرهم
عن عورات المسلمين اذ كانوا يحبسون اهل الاسلام كقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ونحو ذلك وقوله
ولاوضعوا خلالكم قيل هو من الايضاع الابل خلالكم تخلل فيما بينكم وقيل ولا وضعوا خلالكم رواحلهم اي حتى
يدخلوا بينكم حتى لا يصيبهم الاذى كانوا يتسترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شيء من البلاء والشدة وقال القتبي
ولا وضعوا خلالكم من الوضع وهو سرعة المسير وقال ابو عوسجة هو من الايضاع يكون على الابل وهو عندي
من عدو الابل خلالا وضعت البعير وركضت الفرس واجريت الحمار خلالكم بينكم وقيل الخلال القتال وهو ما
ذكرنا انهم يدخلون بينهم النقصان والقتال والفشل وقوله يبغونكم الفتنة قيل يبغون منكم الفتنة وهو
الشرك الذي كانوا هم عليه ويحتمل ما ذكرنا من القتال وادخال الفشل والجبن فيهم والله اعلم وقوله وفيكم
سماعون لهم هذا يحتمل وجهين ايضا يحتمل ان هولاء المنافقين يكونون سماعا لهم وجواسيس عيونا يخبرونهم عن عورات
المسلمين وضعفهم ويحتمل قوله وفيكم من المؤمنين سماعون لهم لانه قيل انه كان في اصحاب النبي اهل المحبة لهم وطاعة
لشرفهم فيهم وعن ابن عباس رض قال يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيقرب
دابته حتى يدخل بينهم ثم يقول ابلغكم ما الخبر بلغني ان العدو اتاكم قد غوروا المياه وفعلوا كذا وشيا وايحتمل
قوله وفيكم سماعون لهم اي فيكم من المنافقين الذين قعدوا ولم يخرجوا يسمعون هولاء المنافقين الذين لم يخرجوا
ايضا ما يكرهون ويقولون الدبرة على المؤمنين ونحو ذلك من الهزيمة وقوله والله عليم بالظالمين اي لا عن جهل
امهلهم في ما هم عليه ولكن اخرهم ليوم كقوله ولا تحسبن الله غافلا الاية وقوله لقد ابتغوا الفتنة من قبل
تحتمل الفتنة الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله وقلبوا لك الامور اي تكلفوا واجتهدوا ليطفئوا هذا النور
واظهار امر الله قيل دين الله الاسلام ويحتمل حجج الله وادلته وهو ما ذكر يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ويحتمل قوله وقلبوا لك الامور ظهرا لبطن ليمكروا برسول الله ويقتلوه كقوله واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقوله وظهر امر الله ما ذكرنا من دين الله وحججه وهم كارهون
لذلك كقوله ليظهره على الدين كله فظهر دين الاسلام وهم كارهون له وقوله ومنهم من يقول ائذن لي فيه
دلالة لا كل المنافقين قالوا انما قال ذلك بعضهم دون بعضهم قالوا هذا وقوله ولا تفتني قيل لا توثمني
وقيل ولا تحرجني وقيل ولا تكفرني والكل واحد تقوله من قال ولا تفتني اي لا تكن سبب فتنتي ومعصيتي

اي لا

اي لا تكن سبب فتنتي ومعصيتي اي لا تامرني بالخروج ولكن ائذن لي بالقعود لانك ان امرتني بالخروج ولم تأمرني بالقعود
والتخلف فقعدت وتخلفت كنت عاصيا تاركا لامرك فكنت انت سبب عصياني وفتنتي والثاني قوله ولا تفتني اي لا
تامرني المشقة والشدة ولكن الدعة والسعة كانوا اعبادا السعة والرخص كان مالوا اليهم كقوله ومن الناس من يعبد الله
على حرف الاية يقول لا تكن سبب اثمي والقلابي ومنهم من قال ان رجلا منهم قال له يقال له الجد بن قيس اني اذا رايت النسا

٧٥٩

لم اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بالي بعينه نزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وهو قول ابن عباس لا يعرف
لا تامرني بالخروج فاني مولع بالنساء اصبر اذا رايتهن ولا ندري كيف كانت القصة لكن الوجه فيه ما ذكرنا انفا وقوله
ولا تفتني اي ولا تعنتني بالمحنة التي فيها الهلاك المشقة فقال الا في الفتنة سقطوا اي الا في المشقة والفتنة والبلاء
والهلاك سقطوا الاية هذا يدل ان اهل النفاق هم كذلك وقوله الا في الفتنة سقطوا اي الا في الشر والاثم
سقطوا على تاويل من تاول قوله ولا تفتني لا تؤثمني ولا تحرجني وعلى تاويل من قال لا تفتني لا تشق علي ولا تامرني
بالمشقة والشدة والضيق يقال لا في الشدة والضيق سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي تحيط
بهم حتى لا يجدون منفذا ولا مخلصا او تحيط بهم من تحت وفوق وامام وخلف ويمين وشمال تحيط بهم حتى تصيب
كل جارحة منهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الاية اخبر انها تحيط بهم وفيه دلالة ان المنافقين هم كفار لانه ذكر
في اول الاية صفة المنافقين ثم اخبر ان جهنم تحيط بالكافرين وقوله ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل قيل ان تصبك حسنة اي الغنيمة والنصر تسوهم ذلك وان تصبك مصيبة النكبة والهزيمة

والظفر على الاعداء

فرحوا بها يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي اخذنا امرنا بالوثيقة والاحتياط حيث لم نخرج معهم حتى لم يصبنا ما
اصابهم ويحتمل ان يكون قوله قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر وكنا مع الكافرين
في السر والباطن هم في الحقيقة وهو ما ذكر من انتظارهم احد امرين في قوله الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح
من الله قالوا الم نكن معكم الاية ويتولوا وهم فرحون يحتمل يتولوا اي تركوا الحزم وهم فرحون وفي الاية دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لانه يعلمهم ان ما يبوحهم كانوا يضمرون ويسرون فيما بينهم ثم اخبرهم ما اسروا
واضمروا دل انه انما علم ذلك بالله وقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب الله لنا اي قضى الله
لنا اي لن يصيبنا الا ما قضى الله لنا وقال بعضهم الا ما كتب الله لنا اي ما جاء به القرآن وهو قوله ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ويحتمل قوله
لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا من الكرامة والمنزلة والنعيم الدائم في الاخرة اي لن يصيبنا الا ذلك وان كنتم انتم
تفرحون بذلك وذلك الذي كتب الله لنا هو مولانا اي ربنا ونحن عبيده يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر اي ما
اكرمنا الله اي ما احل لنا واباح واما القضاء فانه لا يقال فيما يكون لهم وانما يقال فيما يقضي عليهم وامت
الكتاب لهم هو فيما ويجعل لهم ويبيح وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يحتمل

كذا في الاصل

وجهين يحتمل على الخبر اي على الله يتوكل المؤمنون لا يتوكلون على غيره ويحتمل ان يكون على الامر اي على الله توكلوا
ايها المؤمنون وقوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين عن ابن عباس رض قال هل تربصون بنا الا
احدى الحسنيين يعني الشهادة والحياة والرزق الدائم والكرامة كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا الاية ويحتمل الا احدى الحسنيين في الدنيا الغنيمة والظفر يقول هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
اما الحياة الدائمة في الاخرة والرزق الحسن والكرامة واما الغنيمة والنصر في الدنيا هذا تربصون بنا ونحن
نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده العذاب في الاخرة ان تهلكوا او بايدينا اي القتل بايدينا فتربصوا
بنا الشر انا معكم متربصون العذاب بكم هم كانوا لا يتربصون بنا الا الدوائر والهلاك وهو ما ذكر في اية اخرى
حيث قال ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء لانوا لا يتربصون بنا الحسنى ولكن ما ذكرنا من الدوائر لكن ذلك هو ان كان
عند اولئك المنافقين هلاك وهو عند المؤمنين الحسنى في الاخرة وقوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم

قال بعضهم الآية في الجهاد أن المنافقين كانوا يؤمرون بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما أقروا بالإيمان بذلك
ثم منهم من كان يخرج في الجهاد ومنهم من كان يظهر عذرا ويتقعد ومنهم من كان يخرج كارها ويتحرج فنزل قوله قل أنفقوا
طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ومنهم من قال الآية في الزكاة أن الله عز وجل فرض الزكاة في أموال المؤمنين
والمنافقون قد أظهروا الإيمان وكانوا ينفقون ويؤدون الزكاة لكن منهم من كان يؤدي طوعا ومنهم من يؤدي
كرها فقال قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم لأنهم كانوا لا يرون فرضيته وكانوا ينفقون وهم كانوا عند أنفسهم في
الباطن لا يرون أنه قربة ولا ينفقون إلا وهم كارهون ولأنهم كانوا ينفقون جميعا وهم كارهون لذلك في الباطن
ثم بين ما به لن تتقبل نفقاتهم وهو ما ذكر إنكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الآية في
الآية وجهان أحدهما دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر أنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى وهم
في الظاهر كانوا يأتون الصلاة على ما كان يأتي المؤمنون ثم أخبر أنهم يأتونها كسالى دل أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى
وكذلك أخبر أنهم ينفقون وهم كارهون لذلك وكانوا ينفقون في الظاهر مراءاة لموافقتهم ثم أخبر أنهم كانوا كارهين
لذلك في السر دل أنه إنما علم ذلك بالله تعالى والثاني أن لا تقوم قربة ولا تقبل إلا على حقيقة الإيمان الإيمان
شرط قيام هذه العبادات وقبول القرب لأنه أن انتفى إيمان لأنهم كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر دل
أن ما ذكرنا وبالله التوفيق وقوله إنكم كنتم قوما فاسقين أي إنكم كنتم فاسقين ويحتمل قوله كنتم أي صرتم
فاسقين بما أنفقتم وأنتم كارهون إذ هم قد أظهروا الإيمان ثم تركوه ثم كفروا ذلك لأنهم أسروا أنهم كفروا أخبر
أنهم أسروا أنهم كفروا في ذلك الأول وقوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى وكسلى وكسالى فيه لغات ثلاثة
والمعنى واحد وهو أنهم لا يأتون الصلاة إلا متثاقلين لأنهم كانوا لا يرونها قربة وقوله فلا تعجبك أموالهم ولا
أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال بعضهم هو على التقديم والتأخير كأنه قال فلا تعجبك
أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وفي الحياة الدنيا والتعذيب في الدنيا
هو ما فرض عليهم الجهاد وأمروا بالخروج للقتال فكان يشق ذلك عليهم ويشتد فذلك التعذيب لهم وهو ما ذكر في
آية أخرى أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم الآية أو التعذيب في الدنيا هو القتل فيقتلون إن لم يخرجوا وفي
الآية دلالة الرد على المعتزلة لأنهم يقولون لا يعطي أحدا شيئا إلا ما هو أصلح له في الدين ثم قال لرسوله
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ولو كان لم يعطهم الأموال والأولاد إلا للخيرات والصلاح فكأنه قال لا يعجبك
ما أعطيتهم من الخيرات والصلاح فذلك بعيد فدل أنه قد يعطي خلقه ما ليس بأصلح لهم في الدين وكذلك في قوله
أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ثم قال بل لا يشعرون أنه مدهم به لا للخيرات دل أنه
قد يعطي خلقه ما ليس هو أصلح لهم في الدين وفي قوله إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا دلالة الرد عليهم
أيضا لأنه أخبر أنه يعذبهم في الدنيا والآخرة ولا يعذبهم بما لا فعل لهم في ذلك دل أن لهم صنعا في ذلك وأنه
إنما يعذبهم بفعل اكتسبوه وفي قوله إنما يريد الله ليعذبهم بها دلالة أن ليس كل ما يعطيهم إنما يعطيهم ليرحمهم به
ولكن يعطيهم لما علم منهم فمن كان علم منهم أنهم يستعملون ما أعطاهم من الأموال في غير ما فيه صلاحهم أعطاهم
لذلك ومن علم منه أنه يستعمل لنجاته أعطاه ليرحمهم به فإنما أعطى لما علم أنه يكون منهم لأنه لو أعطاهم على غير علم منهم
أنه يكون في إعطائه مخطئا وقوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون قيل تخرج أنفسهم وتهلك خوفا قال أبو عوسجة
يقال خرج نفسه من فيه وقيل تذهب أنفسهم كقوله زهق الباطل أي ذهب وكذلك قال أبو عبيدة زهق أي ذهب
وفي الآية دلالة إثبات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر أن أنفسهم تزهق وهم كافرون فكان كما ذكر
دل أنه علم ذلك بالله تعالى وقوله ويحلفون بالله إنهم لمنكم في الباطن في الدين لأنهم كانوا منهم في الظاهر وقال
وما هم منكم في الباطن في الدين ولكنهم قوم يفرقون أي يخافون القتل فيظهرون الموافقة لهم وقوله لو
يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه قيل لو وجدوا حرزا أو مغارات يعني الغيران في الجبال أو مدخلا

اي

أي سربا في الأرض في الجبال لولوا إليه أي رجعوا إليه وهم يجمحون أي يسرعون وعن ابن عباس قال الملجأ الحرز في الجبال والمغارات
الغيران والمدخل السرب قال أبو عوسجة المغارات مثل الملجأ وهو شيء يتحصنون فيه والمدخل هو موضع يدخلونه أيضا وهم
يجمحون أي يسرعون يقال جمحت الدابة تجمح جماحا فهي جامح وهو من الإسراع وكذلك قال القتبي وقال أبو معاذ الجموح
الراكب رأسه وهواه وقال بعضهم قوله أو مدخلا لو يجدون ناسا يدخلون بينهم لولوا إليه دونكم وأصله أنه لو وجدوا
ما منا يأمنون به لولوا إليه أي لصاروا إليه مسرعين ولا يظهرون لكم الإيمان ولكن ليس لهم ذلك والله أعلم وقوله
ومنهم يعني المنافقين من يلمزك في الصدقات اختلف فيه قال بعضهم يلمزك يزدرك لمكان الصدقات طمعا في أن تعطيهم
الصدقات ويلمزك أي يزدرك ليس لمكان الصدقات أي إنما يزدرونك لمكان الصدقات لتعطيهم لا يزدرونك ولا يأتونك
لمكان الرسالة ورغبة في الدين ولكن لمكان الصدقات فإن أعطوا منها رضوا عنك ويعظمونك وإن لم تعطهم إذا هم
يسخطون لأنهم إنما أتوا رسول الله وعظموه إياه لمكان الصدقة فإذا لم يعطوا منها شيئا سخطوا ومنهم من قال قوله ومنهم
من يلمزك في الصدقات أي يطعن عليك في الصدقات أي في قسمة الصدقات روي عن أبي سعيد الخدري قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما له إذ جاءه رجل يقال له ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال
له النبي ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه فقال النبي دعه فإن
له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم لحسن صلاتهم وصيامهم فيحقر صلاته عند صلاتهم أولئك
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ذكر حديثا طويلا وهو كان من الخوارج وهو الذي قتله علي بن
أبي طالب وقوله ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما آتاهم الله من الرزق ورسوله من الصدقات وقالوا
حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله وقيل ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله من فضله أي من رزقه ورسوله وقالوا حسبنا
الله كان خيرا لهم مما طمعوا في سهم الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك وقال بعضهم رضوا ما آتاهم الله من فضله
مما رزق لهم لكان خيرا لهم مما فعلوا قال بعض أهل ... وقيل ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله من فضله أي من الصدقات
التي كان أعطاهم رسول الله منها وإلى الله راغبون لكان خيرا لهم مما طمعوا في تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسخطوا
عليه والعرب تقرأ يلمزك ويلمزك برفع الميم قال أبو عوسجة اللمز العيب يقال لمزه يلمزه ويلمزه لمزا وقال القتبي يلمزك
أي يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته إذا اغتبته وعبته وكذلك قوله ويل لكل همزة لمزة
وقوله إنما الصدقات للفقراء والمساكين يشبه أن تكون الآية في بيان موضع الصدقة على ما تقدم من الذكر
بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا الآية ما ذكر أن المنافقين كانوا يأتون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويسألونه من الصدقات فإن أعطاهم منها رضوا وإن لم يعطهم طعنوا فيه وعابوا عليه فبين أن الصدقات
ليست لهؤلاء ولكن للفقراء الذين والمساكين من المسلمين وكذلك ما ذكر من الأصناف المكاتبين والغارمين إنما
هو للمسلمين لا لهم ويدل على ذلك ما جاء من الأخبار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وضع صدقات
بأعيانها حملت إليه في صنف واحد وما روي أنه أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى فلانا كذا وروي عن
الصحابة أنهم وضعوا الصدقة في صنف واحد وروي عن حذيفة أنه قال هؤلاء أهلها ففي أي صنف وضعتها
أجزأك وعن ابن عباس أنه قال كذلك وعن عمر أنه كان إذا جمع صدقات الناس المواشي والبقر والغنم نظر ما
كان منها للمنيحة فيعطي لأهل البيت على قدر ما يكفيهم فكان يعطي العشرة شاة للبيت الواحد ويقول عطية
تكفي خير من عطية لا تكفي أو كلام نحو هذا وقد روي عنه أنه سئل عن ذلك فقال والله لأردن عليهم الصدقة حتى
يروح على أحدهم مائة ناقة أو مائة بعير وعن علي بن أبي طالب أنه أتي بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد فهؤلاء
جماعة الصحابة استجازوا وضع الصدقة في صنف واحد ولو كان حق كل صدقة أن تقسم بين هؤلاء الأصناف
الذين ذكر بالسوية على ما قال القوم لكان قال الله عز وجل إنما الصدقات بين الفقراء وبين من سمى
من الأصناف كما يقال الميراث لقرابة فلان أي ليس للأجنبي في ذلك حق وإذا قال الميراث بين قرابة فلان

٧٦٢

كان لهم فيه حقا لان حرف في يقتضي التسوية بجميعهم وقوله لم تنبغي انه لا حق فيه لغيرهم الا ترى انه قال الخلافة
لولد العباس يراد انه لا حظ فيها لغيرهم والسقاية لبني هاشم ونحوه ليس يراد ذلك بينهم بالسوية وانما يراد بذلك ان
لا حق لغيرهم فيه وايضا فانه لو كان في الاية انما الصدقات في الفقراء دينا من ذكرهم لكان لا يجب قسم كل صدقة
في هولاء الاصناف المذكورة في الاية لانه ليس للصدقات انقطاع بل لها مدد اذا دفع صدقة واحدا الى صنف ثم جا
فاذا اتى بصدقة اخرى دفع الى صنف اخر هكذا يجا في الاصناف كلها وايضا فانه لم يذكر عن احد من الايمة انه
تكلف طلب هولاء الاصناف فقسمها بينهم وكذلك لم يذكر عن احد من ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة
في هولاء الذين ذكروا فدل انه خرج على ما ذكرنا لانه لو كان على التسوية كل صدقة بينهم لما جاز ان لا يفعلوا كذلك
ويضيعون حق البعض من هولا وايضا فانه لو تكلف الامام ان يطلق بهولا الثمانية ما قدر على ذلك ولانه لم يخرج
الخطاب على قوم مخصوصين ولان الحق لو كان التسوية بينهم في كل صدقة لكان اذا لم يجد في بلده مكاتبين او واحدا
من هولاء الاصناف لاجل ان يسقط مقدار حصته منه لم يجد عن اربابه فذلك بعيد وقد جا في الخبر انه بعث معاذا الى
اليمن فقال له خذ من اغنيائهم ورده في فقرائهم ويكره اخراج صدقة كل بلد الى غيره من البلدان ثم تحتمل الاية جميع الصدقة
التي يتصدق بها في الفقراء والمساكين من الغني وغيره فتبين ان هولا موضع لذلك كما من نحو قوله واتوا حقه يوم حصاده
وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ويحتمل زكوة المال المفروضة والوجه فيه ما ذكرنا وان قيل
ان الرجل اذا اوصى فقال ثلث مالي لفلان وفلان وفلان اليس هو مقسوم بينهم بالسوية ما منع ان الاولى
مثله قيل له لا يشبه الصدقات الوصايا وذلك ان الوصية وقعت في مال معلوم لا يزيد فيه بعد موت الميت شيا
ولا يتوهم لها مدد والصدقات يزيد بعضها بعضا واذا فني مال جاء مال اخر واذا مضت سنة جاءت سنة اخرى
بمال جديد فاذا دفع الامام صدقة بجميع ما عنده الى الفقراء ثم حضر غارمون فحمل اليه صدقة اخرى ثم جا
ثم ينبغي بذلك احوال الجميع لما لا انقطاع للاموال الى يوم القيمة وكيف تقسم الصدقة على ثمانية اسهم ولا
خلاف في ان العاملين بقدر عمالتهم زاد ذلك على الثمن او نقص عنه فاذا زالت القسمة في احد الاصناف
زالت في الجميع فاعطي كل صنف منهم بقدر حاجته كما اعطي العاملون وكيف يصنع بسهم المولفة قلوبهم وقد
ارتفع ذلك بنسخ وعلى ذلك جا عن بعض الصحابة من نحو ابي بكر وعمر انهم لم يعطوهم شيا اليس يرد ذلك على سائر
السهام فاذا جاز ان يزاد الثمن في وقت جاز ان ينتقصوا منه في وقت وفي قوله والعاملين دلالة ان لا بأس
للائمة والقضاة اخذ الكفاية من بيت المال وكل عامل للمسلمين اخذ كفايته مع رزقه من ذلك اذا فرغ نفسه
لذلك وكفهم عن غيره من المنافع والاعمال ثم اختلف في الفقرا والمساكين قال بعضهم الفقرا هم المهاجرة
كقوله للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والمساكين من الذين لم يهاجروا وقال بعضهم الفقير
الذي به زمانة والمسكين الذي ليست به زمانة وهو محتاج وقال بعضهم الفقراء هم المتعففون الذين لا يجدون
ولا يسألون الناس لقوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف والمساكين هم الذين يسألون وكذلك قال الحسن
وعن عمر قال ليس المسكين الذي لا مال له ولكن المسكين الذي لا يصيب المكسب وعن ابن عباس قال الفقراء فقرا
المسلمين والمساكين الطوافون وهو قريب مما قال الحسن وعن الاصم قال الفقراء الذي لا يسأل وهو ما
ذكرناه والمسكين الذي يسأل اذا احتاج ويمسك اذا استغنى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه
ابو هريرة قال ليس المسكين هذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان
قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس
فهذا الوجه على ظاهره لدفع قول من قال ان المسكين هو الذي لا يسأل الناس لكن يجوز ان يكون معناه
والله اعلم ان الذي يسأل وان كان عندكم مسكينا فان الذي لا يسأل اشد مسكنة منه ولا يحمل على غير ذلك لان الله
قد سمى الذين لا يسألون الناس فقراء ولا يجوز ان يحمل الحديث مخالفا للاية ما امكن ان يكون موافقا لها

قال

٧٦٢

قال الله تعالى يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة فقوله ذا متربة قيل هو الذي لا حائل بينه وبين التراب لفقره فدل
بذلك والله اعلم على ان المسكين هو الشديد الفقر والفقير هو الذي يملك شيا ولم يبلغ في الفقر والضر حال المسكين
ويدل لذلك ما عن عمر ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا مكسب له كانه يقول ان الذي لا مال له وله مكسب هو
فقير والمسكين اشد حالا من الفقير ليس له مال ولا مكسب وان حمل قول ابي هريرة ليس المسكين الذي يسأل ولكن المسكين
الذي لا يفطن به ولا يسأل على ان ذلك الذي لا يفطن به هو اشد مسكنة من الاخر وان كان الاخر مسكينا ايضا كان
موافقا للمعنى الذي ذكرنا لانا قلنا ان المسكين هو الشديد الفقر وقد يكون فقيرا وان لم يبلغ به الضر مبلغ الضعف
الاول وقد يخرج قول من قال ان المسكين الذي يخرج هذا المخرج لان من شان المسلم الفقير ان يتجمل ما كانت له حيلة
ويتعفف فلا يخرج فيسأل الا لحاجة وخروجه يدل على شدة فقره مع تعففه على الزيادة في شدة حاله فكان القولان جميعا يرجعان
الى معنى واحد واذا كان الفقير احسن حالا من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز ان تدفع الصدقة الى من له مال قليل لانه
فقير وانه لم يكن حاله في فقره حال المسكين الذي لا يملك شيا والله اعلم وقوله والعاملين عليها اختلف فيه قال
بعضهم يعطى لهم الثمن وقال بعضهم يعطى لهم قدر عمالتهم وقال بعضهم يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم اما قول من قال
يعطى لهم الثمن لا معنى له لما يجوز ان يبلغ الثمن الوفا وعمالته لا تبلغ عشر عشير ذلك ومن قال يعطى لهم قدر كفايتهم
وكفاية عيالهم فهو والله اعلم اذا حبس نفسه لذلك واستعمله الامام في جميع اعمال المسلمين فاذا كان كذلك يعطى
له من ذلك الكفاية له ولعياله واما اذا تولى شيا من ذلك العمالة في وقت فيعطى له الكفاية تلك والاشبه
عندنا ان يعطى لهم قدر عمالتهم وهكذا الامام اذا استعمل احدا في عمل من اعمال اليتيم فانه يعطى له قدر اجر عمله وقوله
والمولفة قلوبهم قد ذكرنا فيما تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي الرؤسا المنافقين من الصدقات يتألف
به قلوبهم ليسلموا على ما روي انه كان اعطى فلانا مائة من الابل وفلانا كذا وروي انه قسم ذهيبة في اديم مقروظ
بعثها علي من اليمن بين الاقرع بن حابس وبين فلان وفلان والحديث في هذا كثير ان النبي كان يخص به الرؤسا منهم
بالصدقة تقريبا لهم والاسلام في ضعف واهله في قلة واولئك كثير ذو قوة وعدة فاما اليوم فقد كثر اهل الاسلام
وعز الدين وصار اولئك اذلا لا يحتاج الى تقريبهم فقد ارتفع ذلك وذهب اذ قوي المسلمون وكثروا فيقاتلون حتى يسلموا وعلى
ذلك جا الخبر عن ابي بكر وعمر انهما اسقطا ما ذكرنا وروي ان الاقرع بن حابس وعيينة بن فلان جاءوا الى ابي بكر فقالوا يا
خليفة رسول الله ان عندنا ارضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فان رأيت ان تقطعناها فاقطعها اياهما وكتب لهما
عليها كتابا واشهد عمر وليس في القوم فانطلقا الى عمر ليشهداه فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من ايديهما ثم نظر
فيه ثم تفل فيه فمحاه فتذمرا وقالا له مقالة سيئة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل
وان الله قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا جهدكما لا ارعى الله عليكما ان ارعيتما ونحن نذهب الى هذا الحديث لان
ابا بكر لم ينكر على عمر قوله وفعله فصار ذلك وفاقا منه له فكفى بقولهما حجة ولنا في ذلك وجوه من الحجة احدها ان النبي
كان يعطيهم تقويا ومعالجي مداراتهم ومساعدتهم محتاج لما ذكرنا من قلة اهل الاسلام وضعفهم فلما اعز الله الاسلام
واكثر اهله رد الى اهل العهود عهودهم ثم امر بمحاربتهم جميعا والثاني ما قال الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له
اسرى حتى يثخن في الارض فكانت الحالتان في النبي في الاسلام وقوة اهله وعزه والمخالفة بمعنى الاولى في
سن الاشيا لكن ذلك امر المنافقين جائز الرسالة في الحالة الاولى محظورا في الحالة الثانية والله اعلم وفي الاية دلالة
جواز النسخ بالاجتهاد لارتفاع المعنى الذي به كان الحكم ان النسخ قد يكون بوجوه وفيه جواز ابي بكر وعمر دلالة ان
اذن الامام شرط في احيا ارض الموات لانه يملك له بلا اذن لان ذلك لتحليل للذين اتيا ابا بكر فقال الارض
لا كلأ فيه وذلك صوح ارضا الموات وقوله وفي الرقاب اختلف فيه قال بعضهم معناه العتق ويجوز ان يعتق
من الزكوة وقال بعضهم هم المكاتبون يعان دونهم في كتابتهم وقالوا لا يشبه الاعتاق ما يدفع الى المكاتب
ليؤدي فيعتق لان العتق ليس بتمليك وانما هو ابطال ملك وما يدفع الى المكاتب فهو تمليك فلذلك يختلف

وانما يكون الزكوة زكوة اذا زالت عن مالك الى مالك والثاني ان العتق يوجب الولاء للمعتق بحقه فيه باق والذي
يدفع في الزكوة في المكاتب لغيره ولا يرجع اليه بذلك حق ولا يجب فيه ولا نهما مختلفان والثالث وهو ان الله تعالى والغارم
ولو ان رجلا قضى عن غارم دينه بغير امره لم يجز من زكوة ماله وانما يكون زكوة اذا دفعها الى الغارم فيعتق المزكي العبد
بعد ان قضاه في دين الغارم لانه لا يحتاج في واحد منها الى قبول من الغارم والعبد واعطاء المكاتب في الزكاة كدفعه
اياها الى الغارم لانه قد دفعها اليه في كلا الحالين ليحل من قبلها منه من زكوة وقبضها وفي ذلك وجه اخر وذلك انا اشترى
عبدا من رجل لا عتقه فقد صار ثمنه دينا في ذمتي قبل اذا نقد المال فاذا قضيته فانما قضيته عن ذمتي دينا قد لزمني
ولا يجوز ان اقضي من دين في **وقوله** وفي سبيل الله قيل هم الغزاة ويحتمل في سبيل الله اي في طاعة الله ان كل
من سعى في طاعة الله فسبيل الخيرات فانه داخل في ذلك **وقوله** وابن السبيل قيل الضيف ينزل به وقيل هو
المار عليك وان كان غنيا المنقطع عن ماله **وقوله** فريضة من الله يحتمل بيانا من الله واعلاما اهل الصدقة منهم
منهم ويحتمل قوله فريضة اي واجب من الله وفرضا والله عليم حكيم **وقوله** ومنهم الذين يؤذون النبي
اخبرانهم يؤذون النبي ولم يبين بما كانوا يؤذونه فيحتمل يؤذونه الذي تكذيبهم اياه وتركهم الاجابة له
والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل يؤذونه بكلمات يسمعونه وطعن يطعنونه ويعيبون عليه ويقولون هو اذن
قيل الاذن هو الذي يقبل العذر ممن اعتذر اليه ويسمع من كل احد يعتذر اليه ويقبل وكذلك كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقبل العذر ممن اعتذر اليه ويسمع منه سواء كان له عذر او لا عذر له لكرمه وشرفه وحسن خلقه فظنوا وليك
الاراذل انه كان في ذلك معامله معاملة اهل الكرم والشرف والمجد انه انما يعاملهم بتلك المعاملة لسلامة قلبه وصغوه
وقصوره فيهم كانوا اهل كبر وانفة قالوا هو اذن نقول ما شئنا ثم نحلف ونعتذر اليه فيصدقنا ويقبل
عذرنا قال الله تعالى قل يا محمد اذن خير لكم اي الذي يقبل العذر ويسمع خير لكم من الذي لا يقبل ولا يسمع
فكيف تؤذونه وتطعنون وتعيبون عليه ولا تصدقونه ولا تؤمنون به يخبر عن سفههم قال ابو عوسجة الاذن
الذي من قال له شيئا او حدثه صدقه صدقه واستمع منه وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق كل
من قال له شيئا او حدثه حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه فالمنافقون اولئك وقيل يقولون هو
اذن اي يسمع منا ويكتم ولا يكافي من اذاه ولا يجازيه قال الله قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
قال بعضهم يؤمن بالله اي يصدق بالله بما ينزل عليه من اياته ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم فيما بينهم من شهادتهم
وايمانهم على حقوقهم وفروجهم واموالهم ويحتمل قوله يؤمن بالله ويصدقه بما يخبره من سر المنافقين وما يستخفون
منه من المكيدة له والمكر به ويؤمن للمؤمنين بما يخبرونه من قبل اولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه
والايمان بالاخر وما التصديق بجميع ما فيه ولا يبالي لمن جحد وصدقه **وقوله** ويؤمن للمؤمنين فيما يشهدون
في الاخرة لهم بالتبليغ اليهم كقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين او ان يكون قوله ويؤمن للمؤمنين
اي يؤمن بالمؤمنين فيما بينهم بالاخوة في الدين كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين **وقوله** ورحمة للذين امنوا منكم كان هو صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما استنقذهم من الكفر الى الاسلام
ومن الهلاك الى النجاة يشفع لهم في الاخرة بايمانهم في الدنيا والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم في
الاخرة بقيه من الاية الاولى قوله والغارمين جعل الله الغارم موضعا للصدقة وهو الذي عليه الدين
والغرم من اي وجه لحقه وعلى ذلك روي في الخبر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المسلة لا تحل
الا باحدى ثلاث من فقر مدقع او غرم مفظع او لذي دم موجع وفي بعض الاخبار ان الصدقة لا تحل الا
لحمل تحمله رجل عن رجل او رجل اشترى او غارم او غاز في سبيل الله وروي عن الحسن والحسين وابن عمر وابن
جعفر ان رجلا سالهم شيئا فقالوا ان كانت مسالتك في احدى ثلث فقد وجب حقك في فقر مدقع او غرم
مفظع او دم موجع من الاخبار كلها تدل على ان الغارم موضع للصدقة قل دينه او كثر فانه يتقبل في الحكم

او غرم مفظع قيل لا خلاف بينهم في ان من عليه غرم مفظع فله ان ياخذ بقدر دينه من الصدقة فهذا يدل ان الذكر في
في الخبر انما هو لكراهة المسلة لا على التحريم وهكذا نقول ان المسلة لا تحل له اذا كان غرمه غير مفظع ولكن يحل وضعها فيه واخذه
له **مسئله** قوله وفي سبيل الله هو ما ذكرنا انه المنقطع عن ماله جعل الله موضعا للصدقة وان كان غنيا في
مقامه للحاجة التي بدت له وعلى ذلك روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا
في سبيل الله او ابن السبيل او رجل له جار مسكين تصدق عليه فاهدى له وفي بعض الاخبار غير ما ذكرنا قال لا تحل
الصدقة لاغنياء الا لخمس وفيه او فقير تصدق عليه فاهداها الغني وقد يكون الرجل غنيا بان يكون له دار يسكنها ومتاع يتهيأ به
وثياب عزم على الخروج في سفر غزو واحتاج من الات سفره وسلاح يستعمله في غزوة ومركب يغزو عليه وخادم يستعين بخدمته
الى ما لم يكن محتاجا اليه في حال اقامته فيجوز ان يعطى من الصدقة ما يستعين به في حوائجه التي يحدثها لسفره وهو في مقامه
غني عما يملكه لانه غير محتاج الى ما وصفنا وهو في حال سفره غير غني فيحتمل ان يكون معنى قوله لا تحل الصدقة لغني
الا في سبيل الله يعني من كان غنيا في حال مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه لسفره لما احدث له السفر من الحاجة الا ترى
ان الرجل قد يكون له المتاع لا يحتاج اليه او الدابة لا يركبها فاذا صار ذلك ما يتيسر له لم يجز له ان ياخذ من الزكوة
فان عرض له مرض او سفر فاحتاج الى دابة ليركبها انه يخرج من الغنا بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له ان
ياخذ من الصدقة عندنا لانه لا يستغني عما هو له واما الغني من استغنى بما يملكه فكذلك الغارم على العون قد
يحدث له الحاجة الى اكثر مما يملكه وصار ممن يجوز ان يعان وان كان حكم الذي كان به غنيا قبل ذلك لم ينتقض
فهذا والله اعلم يحتمل ولابن السبيل ايضا ما ذكرنا من الخبر ان لا تحل الصدقة لغني الا لابن السبيل ومن ذكر معه
وعلى ذلك اتفق الامة وهو ما قيل المجتاز من ارض الى ارض وعن ابن عباس رضي الله عنه في تاويل قوله الا عابري سبيل
هو المسافر وهو ما ذكرنا انه المنقطع عن ماله وان كان غنيا في مقامه والفقير الذي يجوز ان يعطى من الصدقة
روي عن الحسين بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وجاء في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسال
عبد او قال احد مسالة وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيمة خدوشا او كدوحا في وجهه قيل يا رسول الله وما ذا
يغنيه او ما غناه قال خمسون درهما او حسابها من الذهب وفي بعض الاخبار من سال وله اربعون درهما
فقد الحف وعن علي وعبد الله قالا لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما او عوضها من الذهب وعن عمر كذلك وعن
ابن عباس قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اربعين درهما استكثرا انا قال نعم وفي بعض
الاخبار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وفي بعض الاخبار
ولا لقوي مكتسب وانما جعل قوله لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي خرج على الزجر عن العرض على الصدقة
والمسالة الا ترى ان النبي قال ان الصدقة لا تحل الا في احدى ثلث فقد ذكر احداها او فقر مدقع قد تكون يبيح
لذي المرة السوي ان يقبل الا ترى ان الرجلين اللذين سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ان شئتما اعطيتكما
فلو كان حراما عليهما ما اعطاهما الحرام ولكن ذلك على الزجر عن المسلة وروي عن سلمان انه حمل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صدقة فقال لاصحابه كلوا ولم ياكل هو ولا يتوهم متوهم ان اصحابه كانوا زمنى فهذا يبين ان النبي
انما اراد الزجر عن المسلة والتعرض لها في حال الصرورة لا على التحريم لها وان من اخذها لم ياكل مما يجب
درهم او قيمتها فلم فيما يملكه سدادا من عيش فذلك ما ذكرناه الا ترى انه روي عن الحسن انه قال كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياخذون الصدقة ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمة عشرة الاف درهم فهذا احسن
والتعفف احسن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله وقوله
لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب خير له من ان يسال الناس شيئا اعطوه او منعوه **وقوله** يحلفون بالله لكم ليرضوكم
بالحلف على ذكر بعض اهل التاويل ان الانصار رضي الله عنهم سعوا الى المنافقين فقالوا قد عيرتنا وما تريكم حتي

بني فكانوا يحلفون للانصار والله ما كان شيء من ذلك فاكذبهم الله تعالى يحلفون بالله لكم ما كان الذي بلغكم ليرضوكم
بما حلفوا والله ورسوله احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث اطلع على ما حلفوا وهم كذبة ان كانوا مومنين اي ان
كنتم ليسوا بمصدقين والاشبه ان تكون الاية نزلت في معاتبة جرت بين المومنين والمنافقين باستهزا كان منهم لرسول الله
او الطعن فيه او استهزا بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا على ذلك ليرضوهم فقال الله والله ورسوله احق ان يرضوه
ان كانوا مومنين حقيقة والا ليسوا بمومنين ولعلها قال بعض اهل التاويل ان رجلا من المنافقين قال والله لين كان
ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعه رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فحلف
والتعن ما قال فنزل قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم هذا لو كان ما ذكر لكانوا يحلفون لرسول الله لا يحلفون لهم
دل ان الاية في غير ما ذكر ويذكر عن ابن عباس ان الاية نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله في غزوة
تبوك فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع انهم لا يتخلفون عنه ابدا وكذلك لسائر من اهل التاويل ولكن لو
كان ما قالوا لكانوا يحلفون لرسول الله ويرضونه لا للمومنين دل ان الاشبه ما ذكرنا وفيه وجوه احدها ان فيه
دلالة تحقيق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه حق حيث اطلع على ما اسروا فيما بينهم وكتموا من المكر به والخداع
السر والثانية ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة اليه لما علموا انه يطلع على جميع ما يسرون عنه ويكتمون والثالث
تنبيها للمومنين وتعليما لهم منه بانه اذا وقع لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا ارضا بعضهم لبعض ولكن يتوبون
الى الله ويطلبون به مرضاته وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضا الى رسوله
بقوله احق ان يرضوه ولم يقل احق ان يرضوهما فهو والله اعلم لانهم اذا ارضوا رسوله رضي الله عنهم وكان في ارضا
رسوله ارضاؤه وهو كما ذكر انهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ثم اضاف الحكم الى رسوله لانهم انما دعوا
الى ان يحكم الرسول بينهم وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه لان الخلاف والخيانة كان في حق الله وحق رسوله
لم يكن في حق المومنين لذلك قال والله ورسوله احق ان يرضوه من المومنين ثم ذكر سبحانه الله ورسوله ثم اقتصر
على رضا رسوله لانهم لم يقصدوا قصد مخالفة الله وانما قصدوا قصد مخالفة رسوله او ان يكون ذكر ارضا احدهما
لان في رضى رسوله رضى الرب كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
في الاية دلالة انهم علموا انهم معاندون في صنيعهم وعلموا ان من عاند وكابر في حق فان له نار جهنم وقوله يحادد الله
يحتمل يجانب ولي الله وقيل يحاد اوليا الله وقيل يخالف الله وهو واحد ثم قوله الم يعلموا يخرج على وجهين احدهما انه
قد علموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر لكنهم عاندوا والخلاف والمحادة لهم مع علمهم والثاني على الايجاب
اعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على الايجاب والالزام
وقوله ذلك الخزي العظيم يحتمل وجهين يحتمل الخزي اي الفضيح العظيم في الدنيا ويحتمل ذلك الخزي العظيم في
الاخرة اي نار جهنم خزي عظيم وقوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحتمل قوله
يحذر المنافقون اي الحق عليهم ان يحذروا لما اطلع الله رسوله مرارا ما اسروا وكتموا ويحتمل على الخبر انهم
كانوا يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم لكثرة ما اطلع الله رسوله من سرايرهم وسفههم وقوله
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون فهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد يقول استهزءوا فان الله
مظهر ومبين ما اسررتم وكتمتم من العيب والاستهزا برسوله والطعن فيه وقوله ولين سالتهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب ذكر السوال ولم يبين ما سالهم ولكن في الجواب بيان ان السوال انما كان عن الاستهزا حيث
قال قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون ذكر ان نفرا من المنافقين كانوا اجتمعوا في بعض الطريق
ليمكروا برسول الله ويرجعوا من الغزو ويقتلوه فاطلع الله نبيه على اجتماعهم في ذلك انه لماذا فقال ولين سالتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التاويل ان النبي لما رجع من غزوة تبوك بينا هو يسير اذا هو
برهط يسيرون بين يديه ليضحكون ويستهزءون فاطلع الله رسوله انهم يستهزءون بالله وكتابه ورسوله فقال ولين

سالتهم

سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقيل في غير ذلك وقيل ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض الى قوله سالتهم ما تقولون
فيقولون لك مما يكون فيه الركب اذا ساروا وليس لنا الى معرفة كيفية استهزائهم حاجة ولا ماهية سوى ان فيما ذكرنا
من المنافقين تنبيه للمومنين وتحذيرهم ليحذروا اسرارا لم يظهروا على السنتهم ليعلموا ان الله مطلع على ما يسرون ويضمرون
وقوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون قوله ابالله يحتمل الاضافة الى نفسه اضافة الى انفس المومنين لانه لا
احد يتعمد قصد الاستهزا بالله ولكنهم كانوا يستهزءون برسول الله وبالمومنين فاضاف الى نفسه كقوله يخادعون الله والذين
وقوله ان تنصروا الله الاية فعلى ذلك لا والله كانوا يستهزءون برسول الله وبالمومنين فاضاف ذلك الى نفسه تعظيما لهم والرا
وقوله واياته يحتمل انهم كانوا يستهزءون بالاحكام التي لها ايات فاستهزءوا بتلك الاحكام فاضاف الاستهزا الى الايات
كقوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا لتعتقدوا الاية ولا تعقدوا ايات الله هزوا انهم لم يتخذوا ايات الله هزوا ولكن هزوا بالاحكام
التي لها ايات اضاف الهزو الى اياته ولكن هو استخفافهم من احكامه التي لها ايات كان ذلك استخفافا باياته ولسه
الهم وقوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اي لا تعتذروا فانه لا يقبل اعتذاركم لما اعتذرتم فيما تعتذرون لان بعد
ما علم انه اذن لما ظهر منكم الحلف والكذب في ذلك كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم
قد نبانا الله من اخباركم اخبر انه لا يصدقهم فيما اعتذروا لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم وقوله قد كفرتم بعد ايمانكم يحتمل كفرتم
في الباطن بعد ما اظهرتم باللسان ويحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم حقيقة قد كفروا وابدعوا اشراه وقوله ان نعف عن
طايفة منكم نعذب طايفة قال بعضهم قوله ان نعف عن طايفة وذلك ان من المنافقين قد امن منهم بعد النفاق وتاب
فاخبر انه ان نعف عنهم نعذب الطايفة الذين لم يومنوا ولم يتوبوا وقيل ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة لان من
المنافقين من قد مات على الايمان ومنهم من قد مات على الكفر فوعد العفو عمن مات على الايمان كقوله ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اخبر انه ان شاء تاب عليهم وقوله ان نعف عن طايفة منكم الطايفة التي تتوب لعله
قوله قل ابالله واياته ورسوله يحتمل وجهين احدهما على الايجاب اي يفعلون بالله ورسوله ذلك ويحتمل على التوبيخ
والتوبيخ ابالله تفعلون هذا والله اعلم وقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ذكر في اهل الايمان انه
بعضهم اوليا بعض بقوله والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض وذكر في الكافرين الولاية لبعضهم ببعض بقوله
والذين كفروا بعضهم اوليا بعض وقال في المنافقين بعضهم من بعض فهو والله اعلم ان لاهل الايمان دين
يدينون به ويتناصرون ويدعون الناس اليه واهل الكفر يدينون ايضا بدين ويتناصرون به ويتعاونون بعضهم
بعضا فصار لكل واحد من الفريقين موالاة فيما بينهم موالاة الدين واما المنافقون فانه لا دين لهم يدينون
به ولا مذهب ينتحلونه ولا يتناصر بعضهم بعضا ولا يتعاونون بعضهم ولا يجري بينهم التناصر والتعاون فانما هم
عبيد النعم والسعة والواجب مالت النعم والسعة فلا موالاة بينهم لما ذكرنا وفي قوله المنافقات دلالة ان
من نافق بالتقليد لاخر او كفر بالتقليد لاخر او نافق لا بالتقليد سوا في تسميتها بالاسم والتعذيب في ذلك
والوعيد لان النسا اتباع واهل تقليد الرجال ثم سوى بينهم وبينهن في الاسم والوعيد وقوله يامرون
بالمنكر يحتمل قوله يامرون بالمنكر اي ما ينكره العقول وهو الشرك بالله والخلاف له وينهون عن المعروف اي ينهون
عما تعرف العقول حسنه وهو التوحيد والايمان به ويدخل في ذلك كل خير وحسن وفي المنكر يدخل فيه الشرك وكل
معصية وقوله ويقبضون ايديهم قيل يقبضون ايديهم من الانفاق في سبيل الخير لكن يحتمل ان يكون على القبض
الحقيقي قبض اليد ولكن على كف النفس ومنعها من الاشتغال بالخيرات وخوضهم في جميع الطاعات لكن
ذكر اليد لما بالايدي يعمل وبها يكتسب الخيرات والسيات كقوله ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت
ايديكم وذلك مما لم تقدم الايدي ولا كسبت انما ذلك كسب القلب لكنه لما ذكر اليد لما ذكرنا انه باليد ما يقدم
وبها يقبض ويجوز ان يكون ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة انفاقهم في الجهاد كقوله
ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله نسوا الله فنسيهم قيل جعلوا الله عز وجل كالشي المنسي لا يذكرونه ابدا

فنسيهم اي جعلهم كالمنسيين في الآخرة من رحمته لا ينالونها ويحتمل نسوا الله اي نسوا نعم الله التي انعمها عليهم فلم يشكروها
فنسيهم على المجازاة لذلك وان لم يكن نسيانا كما سمي جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الثاني سيئة فعلى ذلك ذكر النسيان على المجازاة
النسيان وان لم يحتمل النسيان والثالث نسوا الله اي نسوا الموعود والنصح وسؤال التوفيق فنسيهم الله اي لم ينصرهم
ولم يوفقهم وقوله ان المنافقين هم الفاسقون فان قيل اسم النفاق اشر واقبح من اسم الفسق فما ينبغي ذكر الفسق
لهم قيل والله اعلم لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين باللسان فاخبر انهم ليسوا على ما اظهروا والله اعلم او ان يكون
اسم النفاق اشر واقبح عند الناس من اسم الفسق فيحتمل عندهم ان يكون اسم الفسق اكبر في القبح او سماهم
فاسقين لما ان كل اهل الاديان يأنفون عن الفسق والتسمية به او ان يكونوا يعلمون في انفسهم انهم اهل نفاق
ولا يعرفون انهم فسقة واصل الفسق هو الخروج عن امر الله وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
وعدهم نار جهنم كان جهنم هي المكان الذي يعذبون فيه والنار دونها يعذبون خالدين فيها هي حسبهم اي في جهنم جزاء
لسيئاتهم يقول الرجل لآخر حسبك كذا اي كفاك ذلك جزاءك وقوله ولعنهم الله قيل اللعن هو الطرد في اللغة اي
طردهم عن رحمته ولهم عذاب مقيم لا يفارقهم البتة وقوله كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اي هؤلاء المنافقين
والكفرة كالذين من قبلكم ولم يبين كاولئك فيما ذا ولكن يحتمل قوله كالذين من قبلكم اي صرتم الى العذاب كالذين
صاروا من قبلكم وكانوا اشد منكم قوة وبطشا واكثر اموالا واولادا وفي ان هذا لم يدفع العذاب او العقوبة وهذا
ويشير بعضهم بعضا ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن انفسهم فانتم دونهم في القوة وكيف ما ذكر كيف تقدرون
على دفع ذلك هذا قد قيل وقيل كالذين من قبلكم اي صرتم ما اخترتم من الاعمال ما صاروا اولئك ما اختاروا من
الاعمال ومن انواع الخلاف وتكذيب الرسل وتعاطي ما لا يحل فصرتم انتم كما صاروا هم فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل استمتعوا بخلاقهم اي اكلوا اثمار الدنيا بدينهم كما اكل اولئك الدنيا
بدينهم وقيل فاستمتعوا بخلاقهم اي بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا شيئا من الآخرة فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا
ولم تقدموا للآخرة شيئا كما استمتع اولئك اي بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا للآخرة شيئا والخلاق النصيب
كقوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب لهم وقال ابو عوسجة الخلاق الدين وكذلك قال الحسن في قوله
بخلاقهم اي بدينهم وقوله وخضتم كالذي خاضوا اي خضتم انتم في الباطل والتكذيب كالذي خاض اولئك
من الامم الخالية قال ابو عوسجة قوله خضتم اي لعبتم بالذي خاضوا اي لعبوا بالتكذيب اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة فلا ثواب لها في الدنيا والآخرة لانها كانت في غير ايمان فثواب الاعمال انما يكون في الآخرة
بالايمان واولئك هم الخاسرون خسرانا بينا وبطلانا عما لهم في الدين لما لم يقبل واحد من الفريقين من المؤمنين
والكفار دينهم لانهم يرون من انفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع واحد من الفريقين كقوله مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وقوله الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الى آخره يحتمل هذا وجهين
احدهما قوله الم ياتهم اي قد اتاهم خبر الذين من قبلهم وما حل بهم حين انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم في
قتلهم واهلاكهم وهم من جنس انفسكم واشد قوة واكثر من انفسكم وانتم تقلدونهم في ذلك ثم حل بهم ما حل بتكذيبهم
الرسل والخلاف لهم فانتم دونهم في كل شيء واقل منهم في القوة والبطش اولى بذلك ان يصيبكم ويحتمل قوله الم
ياتهم نبأ الذين من قبلهم اي يأتيهم نبأ الذين من قبلهم وما حل بهم كقوله الم تر كيف اي سترى فعلى ذلك هذا
يحتمل هو حرف وعيد يخبر بما حل بأولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم وقوله والمؤتفكات اتتهم رسلهم قالت
اهل التأويل هي قريات لوط مؤتفكات اي منقلبات قال القتبي ائتفكت اي انقلبت وقال ابو عوسجة المؤتفكات
هي من الافك وهو الصرف اي يؤفكون اي يصرفون وقال بعضهم المؤتفكات المكذبات اتتهم رسلهم بالبينات
فكذبوهم فاستهلكوا بهم من الانقلاب كانه اشبه والله اعلم وقوله فما كان الله ليظلمهم بتعذيبه اياهم اي لا
يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك العذاب ولكن هم ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسلهم وردوا ما جاءوا به من البينات

والبراهين وقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله بعضهم اولياء بعض على الايجاب والاخبار
ان الدين الذي اعتقدوا وتمسكوا به يوجب لهم الولاية ويصير بعضهم اولياء بعض كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الاية
وقوله انما المؤمنون اخوة وكون تنازع الدين وولاية ويحتمل قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض على الامر
اي اتخذوا بعضهم اولياء بعض ولا تتخذوا غيرهم اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وكقوله لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء نهى المؤمنين ان يتخذوا اولياء من غيرهم فكأنه امر ان يتخذ المؤمنون بعضهم بعضا اولياء ولا يتخذوا من غيرهم
ثم يحتمل الولاية وجهين ولاية روحانية وهي ولاية في الدين توجب مراعاة حقوق تحدث بالدين الذي جمعهم وحفظها والثاني
ولاية نفسانية وهي الولاية التي تكون في الانفس والاموال من نحو ولاية النكاح والميراث وغيره فهذه الولاية هي الولاية
النفسانية التي كانت بالرحم والنسب فاذا اجتمعوا في دين واحد وجبت تلك الولاية لهم وهي الولاية نفسها وولاية الروحانية
هي المحبة والمودة فيجب مراعاتها بالدين وتعاهده وهذا كما نقول صحة روحانية وصحة جسدانية وصحة الروحانية
هي العلم والادوات تريك اشياء وتعرفها من بعد وصحة الجسدانية هي الروح الذي به يحيى الجسد وبزواله يموت الجسد والله
اعلم وقوله يأمرون بالمعروف يحتمل المعروف الذي توجبه العقول وهو التوحيد لله والايمان به وينهون عن المنكر اي
ينهون عما تنكره العقول وهو الشرك بالله والتكذيب له وهذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فيما بين الكفرة يأمر
المؤمنون بذلك ويدعونهم اليه وينهونهم عن ضد ذلك وان كان فيما بين المؤمنين فهو امر شرع ونهي شرع يأمر بعضهم
بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما لم يجئ به الشرع او يأمر بعضهم بعضا بكل خير وبر وينهى عن كل شر ومعصية ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في كل امر ونهي اولئك سيرحمهم الله وعدهم ان يرحمهم ان الله عزيز حكيم
قيل عزيز يريك آثار عزه في كل شيء حكيم يريك آثار حكمته وتدبيره في كل شيء وقوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن وقوله ورضوان من الله اكبر اي رضا الله عنهم
اكبر من كل ما اعطاهم لان فيه صحة الروح ولذته وما اعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة فهو صحة الجسد ولذته وصحة
الروح ارفع واكبر من صحة الجسد لانه يؤثر زيادة في الجسد كذلك العز والجاه وذكر الحسن في صحة الروح ولذته
اذ ليس فيه زيادة في الجسد انما هو فرح وسرور يحصل فيه واذا اصابه شيء من الذل او سمع مكروها حزن واهتم
من غير ان يألم جسمه او يجد ألما فيه وذلك لما اصاب روحه يصيب جسده واصله ان العمل في الدنيا لطلب
مرضات الله ورضاه اكبر من العمل لطلب ثوابه لان العمل لطلب رضاه امر عليه والعمل لطلب الثواب امر له فالذي قام
باداء ما عليه اعظم درجة واكبر فضلا من الذي قام بعمل ما له لان كل احد يعمل ما له وليس فيه نفع ولا كل احد يعمل الغير لذلك
كان ما ذكر وقوله ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل وقوله يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل الامر بالجهاد للفريقين جميعا جهادا بالسيف ويحتمل مجاهدة بالحجج والبراهين
الفريقين جميعا ويحتمل ايضا الامر بالمجاهدة الكفار بمجاهدتهم بالسيف ويغلظ القول ويشدد على المنافقين ويقيم
عليهم الحدود فان كان على مجاهدة الفريقين بالسيف فهو والله اعلم في المنافقين الذين انفصلوا عن المؤمنين وخرجوا
من بين اظهرهم واظهروا الخلاف لهم ومراتبهم بعد ما اظهروا الموافقة لهم فامثال هؤلاء يجاهدون بالسيف ويقاتلون به
وهو كقوله لئن لم ينته المنافقون الى قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فيجوز ان
تكون الاية في الامر بالجهاد في هؤلاء المنافقين ويحتمل وجها آخر وهو ان المنافقين كانوا يطعنون في رسول الله
ويعيبون عليه فاطلع الله رسوله على ذلك وهم قد علموا ان الله اطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرون ثم يحلفون والله
اعلم جاهدهم اذا اطلعوا الحجج وذكر ذلك سبق بعد ذلك وان كان الامر على المجاهدة بالحجج فهو حجة الله عليهم
فقد كان حاج الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة براءة انما نزلت في محاجة المنافقين ويحتمل الامر بالجهاد في الكفار
خاصة وفي المنافقين تغليظ القول والتشديد واقامة الحدود الذي ذكرنا والتعزير اذا ارتكبوا شيئا مما يجب فيه
الحد والتعزير والله اعلم بذلك لما اقاموا بين اظهر المؤمنين مظهرين لهم الموافقة وقوله ومأواهم جهنم وبئس المصير هذا

في المنافقين الذين ماتوا على النفاق **وقوله** يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال بعض اهل التفسير الاية
نزلت في شان رجل منافق قال يوما والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمع ذلك غلام من عرب ذلك القائل فقال
لئن لم تقل ذلك لاخبرن النبي فجزع فارسل اليه النبي فاتاه فجعل يحلف ما قال ذلك فنزلت الاية فيه يحلفون بالله ما
قالوا الى اخر هذا كانه اشبه لان الاية ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا
القول منه ليس هو كلام كفر انما الكلام ذم نفسه وبعدان في الاية يحلفون بالله لنفي قول جماعة وقيل نزلت في شان عبد الله
ابن ابي قال لاصحابه قول الله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فاخبر النبي بذلك فدعاه فقال له فجعل يحلف بالله ما قاله ولكن يشبه ان يكون الاية ولئن
سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية كانوا يستهزءون بالله وباياته وبرسوله والاستهزاء بذلك كفر اوان قالوا
قول كفر لم يبين الله لنا ذلك فلا نعرف انهم قالوا كذا ما ليس لنا الى معرفة ذلك القول الذي قالوه حاجة **وقوله**
وكفروا بعد اسلامهم يحتمل كفروا بعد ما اسلموا اسلام حقيقة ويحتمل قوله بعد ما اظهروا الاسلام اي رجعوا عما اظهروا من
الاسلام وفي الاية دلالة ان الاسلام والايمان واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وقال في اية اخرى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال في اية اخرى كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا فدل ان الاسلام والايمان واحد **وقوله** وهموا بما لم ينالوا قيل هموا بقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا
به وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم اسروا ما هموا به ثم اخبر عن ذلك وهو غيب دل انه بالله علم ذلك **وقوله** وما نقموا الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله قال بعض اهل التاويل ان الرجل الذي قال ذلك تاب من ذلك فقبل منه ذلك وكان
لا قتيل في الاسلام فوداه رسول الله فاعطاه ديته فاستغنى بذلك وقال ابن عباس وما نقموا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله كان رسول الله يعطي المنافقين من الغنائم والصدقات يقول ما نقموا الا ما اعطاهم رسول الله
من الغنيمة والصدقة وقوله نقموا قال بعض اهل الادب ابو معاذ وغيره نقموا اي طعنوا فيه لغتان نقموا بالخفض
ونقموا بالنصب يقال نقم ينقم ونقم ينقم بكسر القاف فهو والله اعلم يقول طعنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
ذكروه بسوء الا ان اغناهم لانهم لو كانوا اهل نقمة وحاجة ما اجترؤوا على الطعن في رسول الله وما ذكروه بسوء ولكن طعنوا
بما اغناهم الله ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما عاملهم رسول الله معاملة الكرام وتبسط اليهم حتى قالوا انه اذن يقبل
العذر فذلك الذي حملهم على الطعن **وقوله** فان يتوبوا يك خيرا لهم فيه ان المنافق تقبل منه التوبة وان يتولوا
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بما ذكر في الدنيا الامر بالجهاد والقتل والخوف هذا التعذيب في الدنيا
والتعذيب في الاخرة ظاهر **وقوله** وما لهم في الارض من ولي ولا نصير قد ذكرنا هذا في غير موضع **وقوله** ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله لنصدقن قال بعضهم نزلت الاية في ثعلبة بن حاطب سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله
ليرزقه مالا وقال لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ومنهم من قال انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
انه كان له اموال في ارض فقال لئن اتاني تلك الاموال لاصدقن ولاكونن من الصالحين فقدم اتاه الله تلك الاموال
فبخل ومنع ما وعد ومنهم من قال نزلت في المنافقين جملة ليست في شان واحد مخصوص مشار اليه ولكن في المنافقين جملة وكذا
كانت عادتهم انهم اذا وعدوا شيئا اخلفوا ولم يوفوا الوعد ثم يحتمل قوله ومنهم من عاهد الله انه كان منافقا وقت
ما وعد الله لئن اتاه من فضله ليصدقن ويحتمل انه لم يكن منافقا في ذلك الوقت لكنه صار منافقا بالبخل والكذب واعتقاد الخلف
واستحلال الخلف لما وعد منافقا فان كان انما صار منافقا بالبخل واستحلاله فله المنع فيكون قوله فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم اي اعقبهم الدوام على النفاق الى يوم القيمة ببخلهم ومنعهم ما وعدوا فيكون هذا كقوله ومنهم من يلمزك
في الصدقات الاية وفي قوله ومنهم من عاهد الله الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه دلالة ان النذر يلزم اهله
الوفا بما نذروا لانه عاتبهم لما ان تركوا الوفا ويكفرون ان استحلوا نقض ما عهدوا **وقوله** ولنكونن من الصالحين قال
بعضهم من المومنين فهو على تاويل من قال انه كان منافقا وقت ذلك ويحتمل ولنكونن من الصالحين اي من الكريمين وكذلك

ذكر في الخبر ان ثعلبة لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله له مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي
حقه او كلام نحو هذا **وقوله** فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يحتمل تولوا عن وفاء ما وعدوا او تولوا عن طاعة الله
وهم معرضون ايضا عن طاعة الله وهم معرضون لما وعدوا وعهدوا ان يوفوا **وقوله** فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه قال
بعضهم اثابهم نفاقا بما بخلوا به الى يوم القيمة وقال بعضهم اعقبهم الدوام في النفاق بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
ينبغي للمسلم ان يجتنب الكذب والخلف في الوعد فانه سبب النفاق او نوع من النفاق يدل على ذلك ما روي في الخبر اجتنبوا الكذب
فانه باب من النفاق وعليكم بالصدق فانه باب من الايمان وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي بعضها واذا اؤتمن خان فان قيل ان اولاد يعقوب
ائتمنوا فخانوا وحدثوا فكذبوا بقولهم اكله الذئب ووعدوا فاخلفوا افترى انهم نافقوا قيل ما روي ان من اذا حدث كذب
اي كذب في امر الدين واما الكذب في غير امر الدين فانه لا يوجب النفاق وفي الاية دلالة ان لا يغتر بالسؤال الذي على غير
طلب الخير في ذلك من الله ترى ان ثعلبة لما الح على رسول الله في السؤال الذي سال ربه ليرزقه مالا فتصل في عقبه الله
النفاق الى يوم القيمة ولان دلالة يعقوب قد قدموا التوبة والاسلام قبل صنيعهم الذي صنعوا على خوف منهم بما فعلوا
فلم يصروا فتبينوا واصيبوا ان اعتقاد الكذب واستحلال الخلاف لما وعدوا والخلف في الوعد هو الموجب للنفاق فاما ترك
فعل الوفا على غير استحلال منه فلا يوجب ما ذكر والله اعلم **وقوله** الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم يحتمل هذا وجهين ان قد علموا
ان الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله على ما اسروا من الخلاف له وذكرهم السوء رسول الله والثاني الم يعلموا اي
الم يان للذين نافقوا ان يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم فيطلع رسوله على سرهم ونجواهم فاتركوا الطعن في رسول الله وذكر
السوء فيه والخلاف له **وقوله** وان الله علام الغيوب اي علام بالغيوب التي غابت عن الخلق والا ليس شيء يغيب عنه ما غاب
عن الخلق وعالم بغيب كل واحد وعلام الغيوب اي علام بما يكون ابدا في الاوقات التي تكون فيه دلالة انه
لم يزل عالما بالغيب هو عالم انه يكون لا انه يعلم هو كاين دل انه كان لم يزل عالما لما ذكرنا **وقوله** الذين يلمزون
المطوعين من المومنين في الصدقات الاية يشبه ان تكون الاية صلة قوله ومنهم من عاهد الله الى قوله وتولوا ان اهل
النفاق كانوا اهل البخل لا ينفقون الا مراءاة وسمعة فظنوا ان من انفق من المسلمين وتصدق ظنا بانفسهم فقالوا انهم انفقوا
وتصدقوا مراءاة وسمعة ذكر في بعض القصص ان عبد الرحمن بن عوف اتى بنصف ماله في غزوة تبوك يتقرب به الى الله وقال
يا نبي الله هذا نصف مالي اتيتك به وتركت نصفه لعيالي فدعا له نبي الله ان يبارك له فيما اعطى وفيما امسك فلمزه المنافقون
وقالوا ما اعطى الا رياء وسمعة وجاء رجل اخر من فقراء المسلمين بصاع من تمر فنثره في تمر الصدقة فقال له نبي الله خيرا ودعا له
فقال المنافقون ان الله لغني عن صاع هذا فلمزوه فذلك لمزهم فانزل الله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات
والذين لا يجدون الا جهدهم يعني الذي جاء بصاع قال القتبي الذين يلمزون المطوعين اي يعيبون المتطوعين بالصدقة
والذين لا يجدون الا جهدهم اي طاقتهم والجهد الطاقة قال والجهد المشقة وقال ابو عوسجة الجهد اتفاق الرجل من الشيء
القليل يقال جهد الرجل اذا كان من الضعفاء ومن الفقراء يقال جهد في العمل يجهد جهدا فهو اذا بالغ في العمل قال ابو
عبيد الجهد مثل الوسع والجهد الطاقة والجهد الطاقة وكذلك قال ابو معاذ وفي الاية حجة في ان اصحاب الانبياء اثبات رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه معلوم ان ما كان منهم من اللمز لم يكن ظاهرا ولكن كان سرا منهم فاخبرهم رسوله بذلك دل انه
انما عرف ذلك بالله والثاني ان الاعمال التي فيما بين الخلق انما ينظر الى ظواهرها وان كان في الباطن على خلاف الظواهر حيث
عوتبوا بما طعنوا فيهم بالرياء والسمعة ليعلم ان الامر الذي فيما بين الخلق تحمل على ظواهرها ولا ينظر فيها الى غير ظاهرها
والحقيقة هو ما بطن واسر وبه يخلص العمل لله والسر هو ما يسر المرء في نفسه والنجوى هو اجتماع جماعة في النجوة من الارض
اي المرتفع من المكان **وقوله** فيسخرون منهم سخر الله منهم قال بعضهم ان من اعتذر الى اخر فلم يقبل عذره على علم من
المعتذر اليه انه لا عذر له فيما يعتذر اليه وانه كاذب في ذلك فسوف المعتذر اليه ما يعتذر من المعتذر سخرية من
المعتذر اليه الى المعتذر وقوله سخر الله منهم اي يجزيهم جزاء السخرية فسمى جزاءه باسم السخرية وان لم يكن الجزاء سخرية

كما سمي جزا السيئة سيئة وان لم تكن الثانية سيئة وكذلك سمي جزا الاعتدا اعتدا وان لم يكن الثاني اعتدا فعلى ذلك سمي جزا السخرية
سخرية وان لم يكن سخرية ويحتمل قوله سخر الله منهم اي سخر اوليا الله منهم فاضيف اليه وكذلك يحتمل قوله الله يستهزئ بهم اي
يستهزئ بهم اولياوه وهو قوله ادخلوا دياركم فالتمسوا نورا انه ذلك استهزاوهم بهم وذلك جايز في اللغة اضافة الشي الى اخر والمراد
منه غير المضاف اليه **وقوله** استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال بعض اهل التاويل
ان لما مات عبد الله اي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه فاخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال الم امرك الله بهذا قال
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال قد خيرني ربي افعل او لا افعل وفي بعض الروايات
قال لعمر لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر افلا استغفر اكثر من سبعين مرة او كلام نحو هذا فانزل الله عند ذلك
سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا بعيد ان يفهم رسول الله من الاية التخيير وعمر ينهى عن ذلك
ولا يجوز ان يفهم التخيير في ذلك او يخرج ذلك على التحديد او يكون منسوخا بالتي في المنافقين لانه وعيد والوعيد
لا يحتمل النسخ والوجه فيه والله اعلم ان استغفرت لهم فان استغفارك ليس بالذي يرجع فلا يجاب لكنهم قوم كفروا
بالله ورسوله وقد نعلم من حكمي ان لا اغفر من مات على الكفر ويخرج على الاعتذار لرسوله في ذلك والنهي له عن الاستغفار لهم
كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقد علم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله
نهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلع رسوله على كفرهم فدل انه بعد العلم بذلك نهاه وفيه دلالة
نقض قول المعتزلة في قولهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له لانه اخبر انه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله فدل ان من لم يكفر
بالله ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر فدل انه ما ذكرنا ثم طلب المغفرة من الله والشفاعة
لو لم يجز ان لا يكون الا لخواص من الخلق وهم الرسل والانبيا عليهم السلام يكون في ان هذا لا يرفع الى الملوك الا رفع الحاج لغيرهم
الا الخواص لهم ولا يشفعون الا لاهل الشرف عندهم والمنزلة لكن الله تعالى اذن لنا في استغفار غيرنا بقوله والذين
جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقوله سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم يحتمل قوله عليهم اي سوا عندهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استهزا
منهم له حيث قال سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يخرج قولهم فاستغفر لنا مخرج
الاستهزا على هذا التاويل ويحتمل قوله سوا عليهم اي سوا عند الله استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فانه لا يغفر لهم بكفرهم بالله
ورسوله ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة يحتمل ذكر السبعين لان السبعين هو النهاية والغاية في الاستغفار على ما
روي انه كان يستغفر في كل يوم سبعين استغفارا فاخبرك وان انتهيت الغاية فيه لا يغفر لهم ولا ينفعهم ذلك **وقوله**
والله لا يهدي القوم الفاسقين وقت اختيارهم الفسق او لا يهديهم طريق الجنة في الاخرة لفسقهم في الدنيا اذا ماتوا
على ذلك **وقوله** فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الاية جمعوا اعني المنافقين جميع خصال الشر التي فعلوا احدها
ما ذكر من فرحهم بالتخلف عن رسول الله والثاني كراهتهم الجهاد مع رسول الله وبخلهم باموالهم والثالث صدهم الناس
عن الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم لا تنفروا في الحر جمع الله جميع خصال المنافقين في هذه الاية **وقوله**
فرح المخلفون ذكر المخلفون وهم كانوا متخلفين في الحقيقة لكنه يحتمل وجهين مخلفون خلفهم الله لما ذكر ان خروجهم لا
يزيدهم الا خبالا وانهم يبغون الفتنة خلفهم عن ذلك كقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم قيل جبنهم فعلى ذلك هم مخلفون خلفهم الله لما علم ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا واوف واو يحتمل مخلفون خلفهم
اصحاب رسول الله لانهم لو ارادوا ان يخرجوهم كرها لقعدوا على ذلك فهم كالمخلفين من هذا الوجه لما لو ارادوا
اخراجهم اخرجوهم وان كانوا متخلفين في الحقيقة وقوله بمقعدهم خلاف رسول الله اي مخالفة رسول الله وقرئ خلف
رسول الله اي فرحوا بقعودهم بعد خروج رسول الله وقوله بمقعدهم يحتمل القعود اي بقعودهم خلفه ويحتمل المقعد
اي موضع قعودهم وهو منازلهم واوطانهم وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم لبخلهم وذلك منهم الذي في قلوبهم **وقوله**
لا تنفروا في الحر هذا في الظاهر يخرج على اظهار الشفقة للمومنين ولكن لم يكن اراد واذلك انما ارادوا صرفهم عن الخروج في

سبيل الله لكن المومنين لا يمتنعون عن الخروج في سبيل الله اذا قالوا لهم مطلقا لا تنفروا في الحر وهو كقوله الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يجبنون المومنين عن الخروج الى العدو وكانوا يحتالون في منعهم المومنين
عن الخروج في سبيل الله ولو اطلقوا القول في المنع وصرحوا لفهم المومنون ذلك ويظهرون نفاقهم وجايز ان يكون قولهم لا
تنفروا في الحر قالوا ذلك لاتباعهم المومنين كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى **وقوله** قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اي لو كانوا يفقهون ما انزل على رسول الله لعلموا ان نار جهنم اشد حرا من حر الدنيا او لو
كانوا يفقهون انهم لم يخلقوا في الدنيا للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها لمحنتهم ليعلموا ان الموعود في الاخرة اشد مما امتحنوا
في الدنيا والله اعلم **وقوله** فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور والبكا كناية
عن الحزن يقول افرحوا وسروا قليلا لانكم تحزنون في الاخرة طويلا كثيرا او امكن ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا يضحكون
ويستهزءون بالمومنين في الدنيا يقول ضحكوا قليلا لان الدنيا قليل منقطع ويكون كثيرا في الاخرة لانه لا تنقطع جزا بما كانوا يكسبون
وقوله فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك للخروج دل قوله رجعك الله الى طايفة منهم ان ليس كل من تخلف عنه
في ذلك فهو منافق ولا كل المنافقين استمعوا وتخلفوا عنه وقوله فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن
تقاتلوا معي عدوا لانه اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالا واوف ففيه لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة اي جوزيتم بالقعود اول مرة لنفاقهم وقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا اي لا اذن
لكم ان تخرجوا معي ابدا ولا اذن لكم ان تقاتلوا معي عدوا ابدا ويحتمل لن تخرجوا اي وان اذنت لكم بالخروج فلن تخرجوا
ابدا فاقعدوا مع الخالفين قيل هم المتخلفين وهم المنافقون ما ذكر ويحتمل ان اقعدوا مع اصحاب الاعذار وقال
بعضهم هم النسا والزمنى وهو واحد **وقوله** ولا تصل على احد منهم مات ابدا يعني المنافقين ولا تقم على قبره ذكر في
بعض القصة انه لما مات عبد الله بن ابي جا ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي مات واوصانا
ان يكفن في قميصك وان تصلي عليه فخلع النبي قميصه فاعطاه ومشى فصلى وقام على قبره فروي في بعضها لا ادري انه صلى عليه
والبسه قميصه وقيل له تلبس عدو الله قميصك وقال اني لا رجوان يسلم بقميصي من بني الخزرج الف فذكر انه اسلم فيهم
الف رجل من المنافقين وروي انه لم يصل عليه فلا ندري كيف كان الامر بعد ان جا النهي عن الصلوة على المنافقين
بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم فسقة واسم
الكفر افحش وادوم لانهم جمعوا الكفر انواع الفسق ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذي يذهبون اليه انما اعتقدوا
لهواهم لان الفسق ما يجرم كل ذي مذهب ودين وكل يانف عن الفسق ويتبرا منه ولا كذلك الكفر لان كل من امن بالكفر
يصنع واصل الفسق هو الخروج عن الامر ولعلهم **وقوله** ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
قال بعضهم من اهل التاويل انه على التقديم والتاخير كانه قال ولا تعجبك اموالهم واولادهم في الدنيا انما يريد الله ان
يعذبهم بها في الاخرة وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح وقد ذكرنا الوجه الذي يدل على نقض قولهم فيما تقدم ويحتمل قوله
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وهو القتال والحروب التي امروا بها كقوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
وهو التعذيب الذي ذكر لانهم يصيروا مقتولين **وقوله** وتزهق انفسهم قيل تذهب وتهلك وهم كافرون **وقوله**
واذا انزلت سورة ان امنوا بالله ورسوله اي اذا انزلت سورة فيها ان امنوا بالله لانها تنزل سورة بهذا الحرف ولكن
فيها ذكر ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وقوله ان امنوا بالله
بقلوبهم لانهم قد اظهروا الايمان بالسنتهم وان امنوا بالله وهم لم يكونوا مومنين بالله حقيقة **وقوله** استاذنك اولوا
الطول منهم قيل اولوا الطول هم اهل الغنا والسعة وقيل اولوا الطول اهل العقل والشرف الذين كانوا يصدرون
لارايهم وينظرون الى تدبيرهم وقد كان في اهل النفاق اهل السعة والغنا واهل النظر والتدبير **وقوله** وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم لما كانوا يوالون اهل الكفر سرا لكرهوا القتال معهم الاولياء او
كانوا يخلفون ويتقولون الخروج الى القتال لقتالهم وحبهم لانهم كانوا لا يعلمون العواقب فتاملوا ما كانوا يعلمون لنا نفع

حافرة لذلك كانوا يمتنعون عن الخروج الى القتال واما اهل الايمان فانهم انما يعملون للعواقب ولكن كما اهل الكفر انما يقاتلون
اهل الايمان املاغنيمة في العاجلة يقاتلون كنهم كانوا يستاذنون القعود ويكونون مع القاعدين يرون من انفسهم ان لهم العذر
في القعود ثم قوله ذرنا نكن مع القاعدين يحتمل مع القاعدين من الضعفا والمرضى والصبيان حتى اذا انهزم العدو من بعد ما خرج
الرجال منهم الى قتال العدو ويقومون لدفع العدو عن هولا ويكون قولهم ذرنا نكن مع القاعدين من اهل العذر يرون من
انفسهم انهم اهل العذر ولم يكن لهم عذر في ذلك كقوله ان بيوتنا عورة وما هي بعورة الاية فيخ ذلك الاول يحتمل هذا **وقوله**
رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل من النسا لهذا حرف تعيير وتوبيخ اي رضوا بان يكونوا مع النسا دون مشاهد الرجال
وقوله وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ان للايمان نورا يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر عن القلوب ومن
الامور في بادية ظاهرة والكفر ظلمة يستر الظاهر من الامور والبادي منها فتستر تلك الظلمة قلبه فذلك الطبع وقد
ذكرنا الوجه فيه في غير موضع والله اعلم لم لا يفقهون ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة الشي
بمعناه الدال على نظيره من تلك الظلمة ان تعرف الاشيا بمعانيها ونظايرها التي بها الذي ذكرنا **وقوله** لكن الرسول والذين امنوا
معه جاهدوا باموالهم وانفسهم يقول والله اعلم ان الرسول والذين حققوا الايمان والتصديق جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي بذلوا انفسهم واموالهم لنصر دين الله واظهار سبيله ولم يبخلوا كما بخل اهل النفاق في بذل اموالهم وانفسهم في
نصر دينه والمجاهدة مع اعدايه ولم يحققوا الايمان والتصديق ثم اخبر ان للمومنين الذين حققوا الايمان والتصديق
وبذلوا انفسهم واموالهم وجاهدوا في نصر دين الله واظهار سبيله لهم الخيرات قال بعضهم لهم الخيرات الذكر في الدنيا
والثنا الحسن وسلوك الناس طريقتهم وفي الاخرة الثواب والجزا وقيل لهم الخيرات في الاخرة لما بذلوا انفسهم واموالهم
في نصر دينه والمجاهدة مع عدوه وقيل لهم الخيرات الحور العين كقوله فيهن خيرات حسان والله اعلم واوليك هم المفلحون
المفلح هو الذي يظفر بحاجته يقال قد افلح وقد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ليعلم ان العظيم ليس يقع فيما في الغلظ والكثافة ولكن القدر والمنزلة **وقوله**
وجا المعذرون من الاعراب ليوذن لهم قال بعضهم من اهل التاويل المعذرون هم الذين يستاذنون القعود ولا
عذر لهم في ذلك وقال الكلبي المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة وبعضهم قال المعذرون هم المعتذرون
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرا المعذرون بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين كانه ذهب الى ان المعذر هو
الذي له عذر والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له لذلك لعن المعذر قال ابو معاذ واكثر كلام العرب المعذر
الذي له عذر وهو قولهم قد اعذر من انذر وقال ابو عوسجة المعذر بالتشديد الذي لا ياتي امرا انما يريد ان يعذر
ويقال عذرت في الامر اذا لم تبالغ فيه واعذرت في الامر اي بالغت فيه وقال القتبي المعذرون بالتشديد هم
الذين لا يجدون انما يعرضون ما لا يريدون ان يفعلوا يقال عذرت في الامر اذا قصرت واعذرت جدوت ثم قال
بعض اهل التاويل دل هذا على ان اهل النفاق كانوا صنفين صنف كانوا يستاذنون القعود وصنف لم
يستاذنوا ولكن يقعدون لقوله وجا المعذرون من الاعراب ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم دل قوله الذين كفروا منهم له عذاب اليم على ان من اهل النفاق من امن وتاب وان
من تاب يقبل ذلك منه لانه قال سيصيب الذين كفروا منهم ولم يقل سيصيبهم عذاب اليم وقال بعضهم المعذرون
بالتخفيف هم المومنون الذين لهم عذر التخلف اتوا رسول الله ليبنظروا في امرهم الا ترى انه ان كان الخروج لهم
اوفق يخرجون وان كان القعود اوفق يقعدون يدل على ذلك الاية التي تتلوها وهو **قوله** ليس على
الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون الاية فان قيل كيف احتمل ان تكون اية واحدة في
الفريقين مختلفين اذا قري بالتخفيف فهو في الذين لهم عذر واذا قري بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم قيل
تجري على اختلاف القراة كانتين في حالتين وفي وقتين مختلفين ان كان تاويل المعذر بالتشديد هو الذي يعذر
ولا عذر له والمعذر بالتخفيف هو الذي له عذر او كان تاويل احدى القرايتين على ضد الاخرى كان لهم عذر في حال

ولا عذر لهم في حال اخرى والا يحتمل ان تكون القراتان جميعا في وقت واحد وبادي ما جا في الاختلاف الذي ذكرنا
هو كقولهم قالوا ربنا باعد بين اسفارنا وربنا بالرفع باعد بين اسفارنا اصله على الدعا والاخر على الايجاب فهما ايتان
صارت اية واحدة لاختلاف القراة والله اعلم **وقوله** ليس على الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج
لم تذكر المرضى ولا الذين لا يجدون ما ينفقون لكان المفهوم من قوله ليس على الضعفا المرضى والذي لا يجد ما ينفق
وكذلك اذا ذكر المرضى كان في ذكره ما يفهم منه كل ضعيف وكل ما لا يجد ما لا ينفق وفي كل حرف من هذه الحروف ما
يفهم منه معنى الاحرف ما ذكر ولان المراد من ذكر الضعفا الزمنى من نحو الاعمى والاعرج فكان كقوله ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج فتكون الايتان واحدة اعني معناهما واحد وفيه دلالة ان ليس في ذكر عدد من الاشيا حظر
دون غير المذكور في حكم المذكور اذا كان في معناه ولهذا قال اصحاب انه ليس فيما ذكر رسول الله عم في الربوا ابطال
الحكم بالحنطة والزبيب بالذهب والفضة اربوا في ازيد او اخرى ومن لم يدخل فيه ما لم يذكر لما ذكرنا انه لو ذكر الضعفا
لذكر المريض والاعمى والاعرج وجميع من ضعف عن الخروج من انواع الاعذار ثم لم يرد فيما ذكر من العدد وتخصيصه على
انه لا معنى في ذكر غيره فذلك جزا الربوا ثم جعل العجز والعرج والمرض وعدم النفقة وتحو عذرا في ترك الخروج ولم يجعل شدة
الحر وبعد المسافة وتحو عذرا بقوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا والله اعلم ان كل ما لم يحمل في المنع
عن الخروج لشهوة او لطمع يرجون نيلا من التجارة وتحوها لم يكن ذلك عذرا في ترك الخروج اذ شدة الحر وبعد السفر وخوف
العدو ما لا يمنعهم عن الخروج في التجارة فلم يصر ذلك عذرا في التخلف عن الخروج للجهاد واما حال المرض والزمانة وعدم
النفقة يمنعهم ويحجرهم عن الخروج في كل ما يهوون ويشتهون صار ذلك عذرا لهم في التخلف عن الخروج للجهاد والثاني ان كل ما
يقدر على دفعه بالسلاح لم يجعل ذلك عذرا في التخلف فكل ما لا سبيل لهم الى دفعه فهو عذر فالحر وبعد السفر وخوف العدو يجوز ان
يرفع ويغير كان ليس بعذر فذكر ان نار جهنم اشد حرا فاذا ذكر شدة حر جهنم وبعد سفر الاخرة هو الله هان عليهم الخروج وسهل
فاذا تم ذلك علم ان التخلف عن ذلك ليس بعذر والله اعلم **وقوله** اذا نصحوا لله ورسوله قيل لم يخدعوا احدا في دينه ولم
يغشوا في دنياه وقيل اذا نصحوا لله ورسوله اي اطاعوا الله ورسوله في الحضر ولم يتركوا الطاعة **وقوله** ما على المحسنين من سبيل
اي ما على المحسنين من سبيل في تركهم الخروج اذا لم يقدروا على الخروج لما ذكرنا من الزمانة وعدم ما ينفقون **وقوله**
والله غفور رحيم بتركهم الخروج وتخلفهم عن الجهاد مع الاعذار **وقوله** ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان اشق على امتي او قال على المومنين ما تخلفت في كل
سرية بعثتها لانهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا اجد ما احملهم عليه فيشق عليهم مفارقتهم ايانا فلا حرج عليهم في تركهم
الخروج اذا لم يجدوا ما ينفقون ولا ما يحمل عليه ثم قال انما السبيل على الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج **بقوله**
انما السبيل على الذين يستاذنوك وهم اغنيا رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني النسا وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
قد ذكرنا فيما تقدم فطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الاية الاولى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه
هو معرفة الشي بغيره والعلم هو نوع العلم لا بغيره ولذلك يقال لله عالم ولا يجوز ان يقال فقيه فاجزى وجلا انهم لا يعرفوا
الشي ولا بنفسه ما دانهم وعاقبته **وقوله** يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم فيه انه
كما يقول لهم المنافقون اذا رجعوا اليهم ويعلم من الله لرسوله والمومنين ما يقولون لهم وما يجيبون لهم فقال يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اي باظهار ان لا نفقكم من العذر وقوله لا تعتذروا
ليس على النهي ولكن على التوبيخ والتعيير **وقوله** قد نبانا الله من اخباركم يحتمل قوله قد نبانا الله من اخباركم انكم لا تصلحون
ابدا كما قال انهم رجس وماواهم جهنم الاية اخبر انهم رجس وان ماويهم جهنم وقيل قد نبانا الله من اخباركم حين قال
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الى قوله يبغونكم الفتنة وقالوا هذا الذي نبانا الله من اخباركم **وقوله** وسيرى الله
عملكم ورسوله قال بعضهم سيرى الله عملكم ورسوله فيما تستانفون ويحتمل قوله سيرى الله عملكم ورسوله اي سيرى الله
ورسوله عملكم باطلا ويحتمل سيرى الله عملكم اي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله والمومنون يشهدون عليكم بذلك **وقوله** ثم

ترددون إلى عالم الغيب والشهادة قد ذكرنا أنه ليس شيء يغيب عنه أو يكون شيء منه أظهر من شيء ولكن ما يغيب عن الخلق وما
لا يغيب عنه بحل واحد وقوله فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد وقوله سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم
لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم يحتمل قوله لتعرضوا عنهم أي لتتجاوزوا عنهم ولا تكافئوهم فيكون قوله فأعرضوا عنهم لما سألوا المجاوزة
عنهم وترك المكافأة ويحتمل قوله لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم أي لا تعاتبهم ولا تشتغل بهم فإنهم لا يصلحون أبدا وإنهم رجس
ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا منهم ما يظهرون من العذر أخبرهم أن
رضيتم عنهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم فإن الله لا يرضى عنهم لما يعلم أنه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم من العذر والله أعلم
ليس على النهي عن الرضا ولكن لأن إرضاء الخلق بعضهم لبعض إنما يكون بالكلف وما يكون من الظاهر ولكن النهي عن ترك
الموافقة في الباطل وفيه يتحقق رضا الله وقوله الأعراب أشد كفرا ونفاقا يحتمل هذا وجهين يحتمل طائفة من الأعراب
أشد كفرا ونفاقا وعداوة لرسول الله من كفار المدينة ومنافقيها فأيأس عن إيمانهم بقوله فأعرضوا عنهم إنهم رجس
ومأواهم جهنم الآية فلما أويس عن إيمان هؤلاء أقبل نحو طائفة من الأعراب الذين كانوا بقرب المدينة وحواليها أخبر
أنهم أشد كفرا ونفاقا من أهل المدينة ويحتمل أنه أراد بالأعراب الأعراب جملة أنهم أشد أي الكفار منهم وأهل النفاق كفرا ونفاقا
من أهل الأمصار والمدن لوجهين أحدهما أن أهل الأمصار والمدن كانوا يسمعون الآيات والحجج ويخالطون أهل رحمة
ورأفة وأهل سنن وأما الأعراب وأهل البادية كانوا لا يسمعون الآيات والحجج ولا خالطوا أهل رحمة ورأفة فهم أقسى
قلوبا وأضيق صدورا وأهل المدن والأمصار ألين قلوبا وأوسع صدورا لهم أسرع للإجابة وأولئك أبعد وأبطأ
إجابة والثاني أنهم وصفوا بفضل الجهل ما لم يوصف أهل المدن والأمصار بذلك كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمنكم أعرابي وفي بعض الأخبار من بدا جفا وذكر الله أعلم أنهم كانوا لا يدخلون
الأمصار والمدن ليتأدبوا ويتعلموا الآداب فإذا كانوا كذلك فهم أجهل والإيمان هو التصديق والتصديق إنما يكون
بعد العلم لأنه ما لم يعلم لم يصدق فإذا كانوا بالجهل ما وصفنا كانوا أشد إنكارا وتكذيبا من غيرهم وهو ما ذكر وأجدر
أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وصفهم بالجهل وبالجهل يكون التكذيب وبالعلم التصديق وهو ما ذكرنا
وأجدر وأخلق وأحرى واحد وقوله حدود ما أنزل الله على رسوله قال بعضهم هم أقل علما بالسنن وقيل بالفرائض
ويقال الحدود ما بين من طاعة الله ومعصيته والأصل أنهم أهل جهل بجميع الأوامر والنواهي وجميع الآداب والله عليم
حكيم والله عليم أي عليم بما يكون منهم خلقهم حكيم حيث وضع الخلائق بموضع يدل على وحدانية الله والوهيته
لو تدبروا فيه ونظروا وقوله ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما أي كان لا ينفق حسبة وقال بعضهم ينفق
ولا يراه حقا إنما يراه غرما يلحقه وغرما يغرمه والأصل أنهم لو كانوا علموا حقيقة أنهم ما حضرنا بأيديهم لله ليس لهم لم
يعدوا ذلك غرما ولا تبعة ولكن لما لم يروا لله تعالى في أموالهم حقا ولم يعلموا أن أموالهم لله حقيقة لا لهم عدوا
ذلك غرما وتبعة وقوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء قيل الدوائر هو انقلاب الأمر وهو من الدوران
ثم يحتمل قوله يتربص بكم ما قال بعضهم موت محمد وقيل دوائر الزمان وحوادثها عليهم دائرة السوء أي عليهم انقلاب
الأمر وعليهم ما تربصوا على المؤمنين وقوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ليس على حقيقة الإنزال
من موضع ولكن على الخلق وذلك كقوله وأنزل لكم من الأنعام كذا يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا وقوله والله
سميع عليم لما قالوا عليم بما أسروا وأضمروا وقوله ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
ما ينفق قربات عند الله ذكر في الآية أن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ليعلم أن قوله الأعراب
أشد كفرا ونفاقا كان في طائفة منهم لا كل الأعراب لأنه ذكر ههنا أن منهم من قد آمن وذكر أيضا أن منهم
من ينفق ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وذكر في الآية الأولى أن منهم من يتخذ ما ينفق مغرما أي لا يراه
حقا واجبا ولكن غرما يلحقه ومنهم من يرى ذلك حقا لله واجبا في أموالهم يجعلون ذلك قربة لهم عند الله وإنما يكون
يرون غرما لأنهم لا قربة لهم في الآية خوف دخول المؤمنين في وعيد الآية الذين لا يؤدون الزكاة ولا ينفقون

منهم

ودخولهم في النفاق لأنه أخبر أنهم يتخذون ما ينفقون مغرما فمن ترك أداءه إنما يتركه لأنه لا يرى ذلك حقا لأنه لو يرى ذلك حقا واجبا
لأداه على ما أدى غيره من الحقوق أو لو كان مؤمنا بالبعث لأنفق وجعل ذلك قربة له عند الله لأن المؤمن إنما ينفق ويعمل للعاقبة
فإذا ترك ذلك يخاف دخوله في وعيد الآية ويلحق اسم النفاق به وإن كنا لا نشهد عليه بذلك وقوله ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله وصلوات الرسول قال بعضهم جعلوا لما أنفقوا قربات عند الله وصلوات الرسول لأنهم إذا أنفقوا كان الرسول
يدعو لهم بذلك ويستغفر لكان ذلك قربات لهم عند الله ويكون لهم ما أنفقوا قربة عند الله وصلوات الرسول طمأنينة لهم وبراءة
من النفاق لأن الرسول كان لا يدعو لأهل الكفر والنفاق فإذا دعا لهؤلاء وصلى عليهم كان ذلك طمأنينة لقلوبهم وعلامة لهم للبراءة
من النفاق وعلى ذلك يخرج قوله إن صلواتك سكن لهم أي تسكن قلوبهم بما يصلي الرسول وتطمئن بأنهم ليسوا من أهل النفاق
وأنهم برآء من ذلك والله أعلم وقوله ألا إنها قربة لهم ذكر هذا مقابل ما ذكر في الآية الأولى وهو قوله ويتربص بكم الدوائر
عليهم دائرة السوء جزاء هنا أن ما يتربصون بهم من الدوائر عليهم ذلك وههنا أخبر أن ما ينفق المؤمنون ويطلبون بذلك
قربة عند الله أنها قربة لهم وعلى ذلك يخرج قوله سيدخلهم الله في رحمته أي جنته سمى جنته رحمته لما برحمته يدخلون لا استيجابا
لهم منه بذلك بل رحمة وفضلا إن الله غفور لما كان منهم من المساوي والشرك إذا تابوا وآمنوا رحيم حيث لم يؤاخذهم بذلك
وقوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان يحتمل هذا أن يكون مربوطا معطوفا
على قوله سيدخلهم أي سيدخل السابقين الأولين أي أولئك الذين آمنوا من بعد أولئك المهاجرين والأنصار يدخلهم في جنتهم الذين
الأولين ويحتمل أن يكون على الابتداء لا على العطف على الأول ثم اختلف فيه قال بعضهم السابقون الأولون في الإسلام
والنصرة وقال بعضهم الأولون في الهجرة والنصرة والذين اتبعوهم بإحسان أي والذين اتبعوا أولئك في الإسلام على تأويل
من جعل السابق في الإسلام وعلى تأويل من جعل في الهجرة اتبعوهم بإحسان وذكر عن عمر أنه قرأ على طرح الواو والأنصار
الذين اتبعوهم بإحسان يجعلهم فريقين المهاجرين والأنصار ولا يجعل طبقة ثالثة وأما قراءة العامة من القراء فهي على إثبات
الواو وجعل طبقة ثالثة ثم منهم من قال من أهل التأويل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذين بايعوا
بيعة الرضوان وقال بعضهم هم الذين صلوا القبلتين وقال بعضهم السابقون إلى الإسلام الأولون من المهاجرين
والأنصار الذين صلوا القبلتين والذين اتبعوهم بإحسان على دينهم إلى يوم القيامة بإحسان ثم خصوص تسمية أهل المدينة
أنصارا وإن كانوا هم والمهاجرون جميعا نصروا رسول الله كانوا أنصارا لله ولرسوله لأنهم نصروا المهاجرين
حيث آووهم وأنزلوهم في منازلهم ودورهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم لهم وإن كانوا جميعا في النصر لرسول الله شرعا
سواء ثم في الآية دلالة الرد على الروافض لأنهم يجعلون أبا بكر وعمر وهؤلاء رضي الله عنهم ظلمة على الحق بتوليهم من الإمامة
والخلافة ومعلوم أنهم كانوا فيما ذكر عز وجل بقوله من المهاجرين والأنصار ثم أخبر أن الله راض عنهم وأنهم راضون عنه
دل أنهم كانوا على حق وصواب من الأمر دون من وصفهم بالظلم والتعدي هو الظالم والمتعدي واضع الشيء في غير موضعه
وفيه دلالة جواز تقليد الصحابة والاتباع لهم والاقتداء بهم لأنه مدح عز وجل من اتبع المهاجرين والأنصار بقوله
والذين اتبعوهم بإحسان ثم أخبر عن جملتهم أن الله راض عنهم والله أعلم أن التقليد لهم لازم والاقتداء بهم واجب
وإذا أجمعوا أو حدثوا بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه والله أعلم بذلك وقوله وممن حولكم من الأعراب منافقون
ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أخبر أن من حولهم من الأعراب ومن أهل المدينة أيضا منافقون مردوا على النفاق
أي ثبتوا عليه وداموا وقال بعضهم مردوا أي عتوا عليه وبالغوا فيه أخبر أنهم لشدة مكرهم ودهائهم وعتوهم
لا تعلمهم أنت نحن نعلمهم لأنه من المنافقين من كان يعرفهم الرسول في لحن القول كقوله ولتعرفنهم في لحن القول ومنهم من
كان يعرفهم بصلاتهم كقوله وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلفه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الغزو فأخبر عز وجل أن هؤلاء لشدة عتوهم ومكرهم وفضل دهائهم لا تعرف نفاقهم نحن نعرف
نفاقهم ثم أخبر أنه يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبي عن الحسن قال عذابا في الدنيا وعذابا في القبر وقال بعضهم
يعذبهم بالجوع مرتين وقال أبو بكر الأصم قوله سنعذبهم مرتين القتل والسبي قبل الموت والعذاب الآخر يعذبون في

القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ويشبه ان يكون تعذيبه اياهم مرتين حيث اخذوا بالانفاق على المومنين وبينهم وبين الكفر
علاق وامروا ايضا بالقتال مع الكفار وهم اولياؤهم فهذا احد العذابين لانهم امروا بالانفاق على اعدائهم وامروا
ايضا ان يقاتلوا اولياءهم والعذاب الثاني القتل في القتال فان قيل لم يذكر ان منافقا قتل
قيل لم يذكر لعلة انهم كانوا لا يعرفون لقوله لا تعلمهم فاذا لم يعرفوا فيشبه ان كان يقتل بعضهم من المومنين والله اعلم
وقال بعضهم سنعذبهم مرتين عند الموت ضرب الملائكة الوجوه والادبار كقوله يضربون وجوههم وادبارهم وفي القبر
منكر ونكير ثم يردون الى عذاب عظيم يعني النار وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
قال عامة اهل التاويل ان الاية نزلت في ابي لبابة واصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فندموا على ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا فقبل الله توبتهم ووعد لهم المغفرة بقوله عسى الله ان يتوب
عليهم ان الله غفور رحيم وذكر في بعض القصة انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوته تلك جاءوا الذين
تخلفوا عنه باموالهم الى رسول الله فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها فتصدق بها
عنا فكره ان ياخذها فقال لم اومر بذلك فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وهذا الوعد
لكل مسلم ارتكب ذنبا لا يخرجه من الايمان ثم ندم على ذلك وتاب يرجى والله اعلم ان يكون في وعد هذه الاية
لانه ذكر المومنين وما لهم عليه وذكر المنافقين وما لهم عليه ثم ذكر الذين خلطوا اعمالهم الصالحة باعمالهم السيئة ثم ندموا
على ما فعلوا وتابوا وعد لهم قبول التوبة والمغفرة وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اختلف
في هذه الصدقة التي امر الله رسوله باخذها من اموالهم قال بعضهم هي صدقة فريضة ثم اختلف في الاية فريضة
فقال بعضهم فريضة زكوة الاموال وقال بعضهم هي فريضة كفارة الماثم وذلك ان اولئك الذين تخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة تبوك ندموا على تخلفهم فلما رجع رسول الله جاءوا باموالهم فقالوا له تصدق
باموالنا عنا فان اموالنا هي التي خلفتنا عنك فامر الله رسوله ان ياخذ منهم ذلك ويتصدق بها كفارة لما ارتكبوا
ومن قال هي فريضة زكوة المال لما روي عن ابي امامة قال ان ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله فقال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاء فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة اما ترضى ان تكون مثل رسول الله لو سالت الله ان
يسيل علي الجبال ذهبا لسالت ثم اتاه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والله لو اتاني الله مالا لاوتين
كل ذي حق حقه فدعا له فقال اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلث مرات وذكر انه اتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى
ضاقت عليه ازقة المدينة فتنحى بها فكان يشهد الصلوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج اليها ثم ضاقت
عليه مراعي المدينة فتنحى بها فكان يصلي الظهر والعصر مع رسول الله ثم يتبعها ثم تنحى بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله
ثم يتبعها ثم بلغ امره الى ان ترك الجمعة والجماعات فتنحى بها وتلقى الركبان فيسالهم عن الخبر وبما انزل على رسول الله
فانزل الله خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث رسول الله على الصدقة رجلين فكتب لهما فرايض الصدقة وامرهما
ان يصيحا في الناس وياخذا صدقاتهم وان يمرا بثعلبة ورجل من بني سليم فيا خذا صدقتهما فخرجا يصدقان
الناس فمرا بالسليمي فاقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بالصدقة ومرا بثعلبة فاقراه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ادري ما هذه الا الجزية او اخت الجزية فاذا فرغتما فمرا بي حتى ارى
رايي فلما فرغا من الناس مرا به فقال لهما مثل مقالته الاولى وقال انطلقا فاتيا النبي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى هذا ذهب عامة اهل
التاويل انها نزلت في شان ثعلبة ومنهم من قال ما ذكرنا انها نزلت في شان اهل تبوك الذين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال ان الصدقة التي امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم هي صدقة تبرع وتطوع
نحو ما ذكر ان رسول الله كان يحث الناس على الانفاق في غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا وفلان بكذا

فاخذ منهم وفيه نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات ومنهم من قال هو في كل صدقة تطوع قلت الصدقة
او كثرت امر رسوله ان ياخذ من اموالهم ما راى لا ياخذ الكل لان اخذ الكل يحوجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات
ولكن امر ان ياخذ قدر ما يكون طهارة لهم مقدار ما يكفر ما ارتكبوا من الماثم وقوله تطهرهم وتزكيهم بها ان كان صدقة التطوع
فهي تطهر اثامهم وتزكيها فلا ثم حتى يتيسر عليهم اخراج الصدقة واداؤها الى اهلها وان كان صدقة كفارة لمن خلف عن
غزوة تبوك فهي تكفر اثامهم التي لحقتهم بذلك وتزكيهم قيل وتصلحهم وتطهرهم وان كان صدقة تطوع فهي ما يطهر انفسهم ويزكيهم
لما ينفي عنهم البخل ويؤديهم الى الجود والكرم الا ترى انه مدح من اعطى وذم من بخل ومنع بقوله فاما من اعطى الاية واما من بخل
الاية وقوله وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احد بصدقة
دعا له ويستغفر وكان لا يستغفر لاهل النفاق وكانت قلوبهم تسكن وتطمين باستغفار النبي لما علموا بذلك انهم
ليسوا من اهل النفاق هذا محتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان الله امر رسوله ان يستغفر لهم ويصلي عليهم لا يحتمل ان يامر
بذلك فلا يفعل او يفعل فلا يجيب فكانت تسكن قلوبهم وتطمين باستغفار النبي اياهم لما قبلت توبتهم وكفرت سياتهم
والله اعلم والله سميع عليم قد ذكرنا هذا في غيره وفي قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم دلالة ان الصدقة اذا وقعت
في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن اربابها وان لم تقع في ايدي الفقراء ولم تصل اليهم لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان لا تحل له الصدقة ثم اجزاه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية وفيه استدل الجمهور الحسن في الوقف
انه لو اوقف اذا وقف واخرجه من يده وجعل في يدي اخر من لا حق له فيه فكان ذلك جايزا ويكون وقفا صحيحا
ومن الناس من استدل بهذه الاية على ان للامام ان يطالب بزكوات الاموال وكذلك مضت السنة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعث المصدقين الى احياء العرب والبلدان والافاق لاخذ صدقات الانعام والمواشي في مواضعها
وعلى ذلك فعل الايمة من بعده ابو بكر وعمر والايمة الراشدون وظهر العمل بذلك من بعدهم الى هذا الوقت حتى
قال ابو بكر لما امتنعت العرب من اعطاء الزكوة والله لو منعوني عقالا كانوا يودونه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لجاهدتهم عليه فذلك يويد ما ذكرنا من مطالبة الامام اصحاب الانعام والمواشي بزكوة انعامهم ومواشيهم
وقد بين الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية فجعل للعاملين عليها حقا
فلو لم يكن على الامام ان يطالب بصدقات الانعام في اماكنها وكان اداء ذلك الى ارباب الاموال ما كان لذكر
العاملين وجه ولم يبلغنا ان النبي بعث في مطالبة المسلمين بزكوات الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا
يعطون ذلك ومن جاء منهم الى الايمة يقبلون ما يحمل اليهم منه ولا يسالون احدا عن مبلغ ملكه ولا يطالبونه به الا
ما كان من توجيه عمر العشار في الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم التخفيف عمن بعدت داره وشق عليه
ان يحمل صدقته الى الامام فجعل في كل طرف من الاطراف عاشرا لتجار اهل الحرب والذمة وامر ان ياخذ من تجار
المسلمين ما يدفعونه اليه وكان ذلك من عمر تخفيفا على المسلمين لان على الامام مطالبة ارباب الاموال اموال العين
واموال التجارة باداء الزكوة اليه سوى المواشي والانعام فان مطالبة ذلك الى الايمة الا ان ياتي احد منهم الامام
بشيء من ذلك فيقبله منه ولا يتعدى ما جرت به السنة الى غيره والله اعلم وقوله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده يحتمل قوله الم يعلموا اي قد علموا ان الله يقبل توبة من تاب ويحتمل على الامر اي اعلموا ان الله
هو يقبل التوبة ممن تاب وياخذ الصدقات قيل يقبل ويشبه اضافة الاخذ الى نفسه اضافة الى رسوله بقوله
خذ من اموالهم صدقة وذلك كثير في القران وقوله وان الله هو التواب الرحيم قال ابو بكر الاصم التواب
هو صفة العافي وهو اسم للتايب والتواب عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزمه مع
التوبة كفارة اخرى سوى التوبة وان كان ارتكب مساوي وفواحش سوى الشرك والكفر والمسلم اذا ارتكب
مساويا لزم التوبة والكفارة جميعا وذلك لان المسلم لما اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب
ما ذكرنا خرج من الشرايع وادخل نقصانا فيما اعتقد حفظه فاذا ترك حفظ ما ادخل فيه النقصان لزمته الكفارة

يجري في المعتقدات الدينية او دخل فيه واما الكافر فليس في شي من الشرايع انما عليه ان يتوب اولا من الشرك وياتي بالايمان
لانه كافر قاله وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الذين تخلفوا عن
تبوك ثم تابوا وقاموا على ذلك فتاب الله عليهم فقوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون اي ان عدتم الى ما منه
تبتم من التخلف يطلع الله رسوله والمومنين على ذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون الى الذي عالم
الغيب والشهادة وقال بعضهم الاية في المنافقين يقول اعملوا فيما تسرون فان الله يطلع رسوله والمومنين على
نفاقكم فتفتضحون حيث يطلعون على سرايركم وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون الى ما اعددتم عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم جزا ما كنتم تعملون بجزاء ذلك على الوعيد وذكر في بعض الاخبار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازة والمومنون ايضا شهدوها فاثنى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال الملايكة شهدا الله في السما وانتم شهدا الله في الارض فاذا شهدتم وجبت
ثم قرا قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون فان ثبت هذا ففيه دلالة حجية الاجماع لانه قال الملايكة
شهدا الله في السما وانتم شهدا الله في الارض فاذا شهدتم وجبت فاذا شهدوا على شر فهو شر واذا شهدوا على
خير فهو خير فيجب ذلك اذا شهدوا على حكم يلزم العمل به وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ليس على الامر
ان يقول لهم جميعا اعملوا كذا ولكن ان كل من بلغته هذه الاية يتفكر فيها ويتدبر فلا يقدم على عمل لا يستحسنه
ان يكون رسول الله والمومنون يحضرونه اذا اطلعوا عليه وكذلك قوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على الامر بالتفكر والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب وكذلك قوله
قل هو الله احد ليس على الامر ان يقول لهم ذلك ولكن يتفكر كل فيه فيعرف انه واحد وقوله واخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قال بعضهم هو صلة قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر
سيا كانوا موقوفين محبوسين لما يريد دون ما يحكم الله فيهم ايعذبهم او يتوب عليهم قرن قوله واخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيا وقال بعضهم هو صلة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا كانوا اتخذوا مسجدا وكانوا
مرجون لامر الله ثم بين ان اتخاذهم المسجد ضرارا وكفرا وتفريقا وقال بعضهم قوله واخرون مرجون لامر الله قال
هم الثلثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة واخرون مرجون لامر الله اي محبوسون يقال ارجيته اي حبسته وقال القتبي
مرجون لامر الله اي مؤخرون على امره كان هذه الاية نزلت في الذين تخلفوا عنه للركون الى الدنيا مع علمهم انها
هم المومنون والاية التي كانت قبل هذه الاية في المنافقين الذين تخلفوا للركون في الدنيا وكفرا ونفاقا
وقوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين عن ابن عباس رضي الله عنه ان المنافقين اتخذوا
مسجدا فلما فرغوا منه جاوا الى نبي الله وهو يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة
والحاجة والليل المطير وانا نحب يا رسول الله ان تاتينا فتصلي فيه قال رسول الله انا على سفر وحال شغل
ولو قد قدمنا من سفرنا اتيناكم فصلينا لكم فيه ان شا الله فانزل الله على رسوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الاية
اخبر فيه انهم يقصدون ابنا مسجدهم ذلك ما ذكروا انا بنينا لذي العلة والحاجة والليل المطير والاشفاق
على الدين وحفظ الصلوة بالجماعة ولكن يقصدون به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وقوله ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المومنين يكون قوله تفريقا بين المومنين تفسير لقوله ضرارا يقصدون بنا المسجد الذي بنوا ريبة
ان يفرقوا بين المومنين وبين رسول الله حتى اذا جاهم العدو وجدهم متفرقين فيكون ايسر واهون عليهم
في الكسر عليهم والظفر بهم من ان كانوا مجتمعين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر
الفا كلمتهم واحدة وقوله ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم حبل الاعتصام في العز نعمة ونهاهم عن التفرق وهم
كانوا يقصدون قصد التفريق بينهم لما ذكرنا او كانوا يقصدون بذلك ان يفرقوا بين ضعفة من المومنين
وبين رسول الله فيلبسوا عليهم الدين لانهم كانوا اهل لسان وصولة وذلك كله كفر على ما ذكر وفيه دلالة اثبات

رسالة

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم من الضرار والكفر والتفريق بين المومنين فاطلع الله
نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله اي بنوا ذلك المسجد
ارصادا لمن حارب الله ورسوله قال عامة اهل التاويل هو ابو عامر كان راهبا محاربا لرسول الله ثم فر منه فقال
للمنافقين ابنوا مسجدا واستعدوا فاني ذاهب الى قيصر ... فبنوا مسجدا ارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا
عامر قال القتبي ضرارا اي مضارة وارصادا اي ترقبا بالعداوة وقال ابو عوسجة ضرارا اي مضارة وارصادا لمن
حارب الله ورسوله اي توقفا وانتظارا ... لمن حارب الله ورسوله وقوله وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي حلفوا ما اردنا
باتخاذ المسجد الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فيه ما ذكرنا من الدلالة على اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله لا تقم فيه ابدا قيل لا تصل فيه لانهم سالوه ان يصلي فيه وقيل لا تقم اي لا تاته ولا تدخل فيه وهو واحد
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه قال بعضهم هو مسجد قبا وقال بعضهم هو مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم روي عن ابي سعيد الخدري انه قال اختصم او قال اختصما في المسجد الذي اسس على التقوى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا وعن ابي بن كعب قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن المسجد الذي
اسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وظاهر ما ذكر ان يكون مسجد قبا لانه ذكر لما نزل فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور فماذا تصنعون قالوا انا
نغسل عنا اثر الغايط والبول وفي بعض الاخبار قالوا يا رسول الله انا نجد مكتوبا علينا في التوراة الاستنجا بالما
فلا ندعه فقال لا تدعوه وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا يحتمل اي فيه رجال يوثرون التطهر بالايمان
والتوحيد والصلوة فيه وكل مسجد هذا فيه فهو مؤسس على التقوى اي تقوى الشرك والخلاف لامر الله ونهيه
او يقال فيه رجال يحبون اي يوثرون التطهر بالتقوى والاعمال الصالحة على غيرها من الاعمال التي تنجسهم ويحتمل
ما ذكر اهل التاويل من التطهر من الاقذار والانجاس كانه قال فيه رجال يوثرون الابلاغ في التطهير من
الاقذار والانجاس التي تصيبهم وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله اي على الطاعة لله والاخلاص له
ورضوان له وطلب مرضاته خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الذي بني للاختلاف والتفريق بين المومنين
والكفر بالله هذا المثل مقابل مكان بمكان يقول من بنى بنا على قرار من الارض مما يقر به ويستمتع به خير ممن بنى
بنا على المكان الذي لا يقر ويودي الى الهلاك ولا ينتفع به والاول مقابل فعل بفعل وهو قوله والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين كالذي بني لضد ذلك اي ليس بنوا قال لمسجد اسس على التقوى
من اول يوم احق ان تقوم فيه هذا مقابل فعل بفعل يقول الذين بنوا المسجد على الطاعة لله والاخلاص له
وطلب مرضاته والاجتماع فيه خير ام من بنى للكفر بالله والتفريق بين المومنين وضرارا بهم هذا مقابل فعل بفعل
وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار هذا مقابل مكان بمكان
لما ذكرنا وقوله اسس اصل الاس والاسس والتاسيس والاساس واحد وقوله شفا جرف هار وقال ابو عوسجة
شفا جرف قال الشفا الحد والجمع اشفا وجرف ارض يسيل فيها السيل حتى يجوفها والجرفة جمع وقوله هار وقال
الهار الهش الذي ليس بصلب ويقال انهار ينهار اي انهدم ويقال رجل هار اي ضعيف وارض هشة اي رخوة
سريعة الانهدام والهش الرخو وقال القتبي شفا جرف هار اي حرف جرف هار والجرف ما يتجرف بالسيول الاودية
والهار الساقط ومنه يقال تهور البنا اذا سقط وانهار وقال ابو عبيدة على شفا جرف الشفا هو الشفير والجرف
ما تجرف من السيول من الاودية وهار اي هاير وقوله فانهار به في نار جهنم قال بعضهم خسف الله مسجدهم في نار
جهنم وفي حرف ابن مسعود فخر من قواعده في نار جهنم وقال حفرت منه بقعة فرؤي منها دخان ساطع وقال بعضهم
بنيانهم الذي بنوا في نار جهنم ولا ندري كيف هو وما معناه وقوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
قال بعضهم بنوا ريبة اي حسرة وندامة وقال بعضهم ريبة اي شكا مرتابا ومن قال حسرة وندامة لانه على وجه

يحتمل انهم تابوا وندموا على ما صنعوا ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما ارادوا والحق له والله يشهد انهم لكاذبون
ومن قال شكا ونفاقا قال الا ان تقطع قلوبهم اي الى الممات اي هم على الشك والنفاق الى الممات وهو كقوله فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب اذا كانت به تهمة وقوله الا ان تقطع قلوبهم هذا ايضا
يحتمل وجهين احدهما على التمثيل ان الخوف والحزن اذا بلغ غايته يقال فلان منقطع القلب وقوله ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يحتمل قوله اشترى اي استام لان قوله اشترى جزء ولكن يحمل على الاستيام اي
استام ان يبذلوا انفسهم واموالهم له ليجعل لهم الجنة ثم بين فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ويحتمل ان
يكون قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم جزاء عن قوم باعوا انفسهم واموالهم كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضاة الله وقوله يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله الاية فاذا صاروا بايعين انفسهم كان الله عز وجل
مشتريا منهم ثم بين ان كيف باع وكيف اشترى فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اي يقتلون العدو ويقتلون
اي يقتلهم العدو وقد قري الاول بالرفع فيقتلون والثاني بنصب اليا فهو ليس على الحكم ان تقتلوا وتقتلوا ولكن
ان تقتلوا العدو او يقتلكم العدو ايما كان او تقاتلون العدو وان لم تقتلوا كقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله الاية سمى الله الايمان بالله
والمجاهدة في سبيله تجارة ثم قال بان لهم الجنة بحق الوعد لهم وفضلا منه لا بحق البدل ثم قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم ذكر شرى انفسهم واموالهم منهم وانفسهم واموالهم له حقيقة له ان ياخذ منهم انفسهم واموالهم وان
يتلفهم باي وجه شاء لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له في ذلك ولا حق كرما منه وفضلا وجودا ووعدهم على ذلك اجرا
وبدلا وكذلك ما ذكر من القرض له ووعدهم على ذلك له اجرا مضاعفا وكذلك ما وعدهم من الثواب فيما يعملون لانهم
كالعاملين لانفسهم ثم جزاهم بما كانوا يعملون وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ونحوه وان كان في الحقيقة عاملين
لانفسهم لقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية لكن ذكر ما ذكر فضلا منه واكراما اذ هي له في الحقيقة وهو كما قال
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فانما طلب منهم بدل انفسهم واموالهم له او ذكر والله اعلم شرا
ما له في الحقيقة ليعلم الخلق ان كيف يعامل بعضهم بعضا وكذلك قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا عاملهم معاملة
من لا حق له في اموالهم وانفسهم ليعامل الناس بعضهم بعضا في اموالهم وانفسهم كمن لا حق له في ذلك وقوله وعدا عليه
حقا اي وعدا واجبا حقا في التورية والانجيل والقران اي وعد ذلك في التورية والانجيل والقران وفي حرف
ابن مسعود وعدا علينا حقا في التورية والانجيل والفرقان وقوله وعدا عليه حقا في التورية والانجيل ينقض الاية
نقض قول من يقول بان الانجيل نزل على التخفيف والتيسير والتورية بالشدايد وكذلك قوله فامنت طايفة من
بني اسرائيل وكفرت طايفة وذلك يذكر في حكم الانجيل الا ان يقال بان قوله وعدا عليه حقا في التورية والانجيل
اي كان هذا مذكورا في الصحف التي في التورية والانجيل وما ذكر ثم قال ومن اوفى بعهده من الله هذا على ان قوله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية انما هو عهد عهده اليهم حيث قال ومن اوفى بعهده من الله اي لا احد اوفى واصدق بعهده
من الله ونعم الثمن ثمن عهد الذي عهد عليكم والله اعلم وقوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يشبه ان يكون
الاستبشار الذي ذكر وقت الموت ان يقول لهم الملك استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به في الحيوة وهذا يدل ان
البيع يكون بيعا بالبدل وان لم يتلفظ بلفظ البيع وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام لم تتعلق بالالفاظ والاسامي
انما تعلقت بالمعاني فيها فاذا وجد المعاني حكم بها وذلك هو الفوز العظيم الذي ذكر وقوله التائبون العابدون
الحامدون الى اخره قال بعضهم على الصلة بالاول فيما ذكر من الشرى والوعد لهم الجنة اذا كانوا على الوصف الذي
ذكر وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي بن كعب ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم التائبين العابدين الحامدين على الصلة
بالاول الى قوله الحافظون لحدود الله قراها والقايمين على حدود الله انفسهم واموالهم ان لهم الجنة ومنهم
من قال على الابتداء بالرفع التائبون العابدون الحامدون الى اخره ويشبه ان يكون هو الشرا الذي ذكر في

الاية وما وعد لهم ببذلهم انفسهم واموالهم في الجهاد يكون ذلك ايضا في غيره من الطاعات والخيرات من بذل انفسهم فيما ذكر
من العبادات لله والخضوع له وقد ذكر في الاية التي بها تمام منه كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ونحوه وقوله التائبون
يحتمل التائبون من الشرك او من جميع المعاصي العابدون يحتمل الموحدون ويحتمل العابدون جميع انواع العبادات الحامدون
قيل الشاكرون وقيل المثنون على الله فان كان قوله العابدون الموحدون فيكون الحامدون المثنون على الله لان العبادات
كلها شكر وان كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون الشاكرون للنعم التي انعم الله عليهم السايحون قيل
الصايمون وعلى ذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن السايحين فقال هم الصايمون وقال سياحة امتي الصيام
وقال القتبي واصل السايح الذاهب في الارض ومنه يقال ماء سايح اذا ذهب وجرى والسايح في الارض ممتنع من الشهوات
فشبه الصايم به لامساكه في صومه عن المطعم والمشرب وجميع اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون على وجوههم في الارض
ليبتغوا منازل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة الراكعون الساجدون قيل المصلون وقيل الخاضعون له والخاشعون
له وكذلك ذكر في حرف حفصة الامرون بالمعروف يحتمل التوحيد اي امرون الناس بتوحيد الله ويحتمل الامرون لهم بالخيرات
والمعروف كلها والناهون عن المنكر الشرك ويحتمل كل معصية والحافظون لحدود الله قال بعضهم لفرايض الله التي فرض على
عباده وقال بعضهم لسنن الله ولكن هم حافظون جميع احكام الله لا يجاوزون ما حد لهم ولا يفرطون فيها وبشر المؤمنين بان
لهم من الله فضلا كبيرا والله اعلم بذلك وقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين دلت الاية بما ان
نستغفر لمن علم انه من اهل النار لان الله لا يغفر لهم لما علم انه لا يؤمن فيجب على انه لا يغفر لهم نستغفر لهم لحرمات
تنقضه انه اراد الايمان لمن يعلم انه لا يؤمن ابدا لم يجب ان يغفر لمن وجبت له النار فهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان
الله قد اراد لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين قال بعض اهل التاويل
ان رسول الله كان استغفر لعمه ابي طالب وذكر انه دخل على ابي طالب عمه فدعاه الى شهادة ان لا اله الا الله فابى ثم استغفر له
وقال لاستغفرن لك ما لم انه عنه او كلام نحو هذا فنزل قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى الاية قال الحسن لا يحتمل ان يكون رسول من رسل الله يعلم ان الله لا يغفر للكافر في العقل والحكمة ان لا يغفر له
والتعذيب له ابدا وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر له لوجوه احدها ان في ذلك تسوية بين العدو والولي
ومن سوى بين عدوه ووليه فهو ليس بحكيم اذ في الحكمة التمييز بينهما والثاني انه اذا عبد غير الله معه انما يعبد غيره بحجج وتلك
الحجج لا ترتفع ابدا لانه اذا غفر له فيتم عنده انه انما جزي به بما جزي وغفر لعبادته غير الله والثالث لو غفر للكافر
لذهب حكمة الامتحان لان الافعال انما يومر بها للعواقب ثم اما حمدا واما ذما فاذا غفر لاحد بافعاله كان الحق له الذم
ففي ذلك خروج من الحكمة وجايز ان يكون رسول الله يستغفر للمنافقين قبل ان يتبين له انهم منافقون فلما تبين له نفاقهم
كف عن استغفارهم فاما ان يستغفر للكافر على علم منه انه كافر فلا يحتمل على قول بعض اهل التاويل انه استغفر لعمه
ولا حد والديه وقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم وعده اياه الاسلام
فكان استغفاره لابيه على وعد الاسلام فانما كان استغفاره بعد اسلام الا ترى انه قال ربنا وتقبل دعاء
ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين فانما طلب له المغفرة في ذلك اليوم وقد كان وعد له الاسلام لذلك كان استغفر له الا
ترى انه تبرا منه اذا تبين له انه من اهل النار ويحتمل ان يكون استغفار ابرهيم لابيه طلب السبب الذي به يستوجب
المغفرة وهو التوحيد والاسلام وهو كقول هود لقومه ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكقول نوح استغفروا
ربكم انه كان غفارا ليس يامرهم ان يقولوا نستغفر الله ولكن يامرهم بالاسلام ليغفر لهم ويكونوا من اهل المغفرة
فيحتمل ذلك استغفار ابرهيم لابيه وكذلك قوله واغفر لابي انه كان من الضالين اي اعطه السبب الذي به يستوجب
المغفرة وهو التوحيد كانه سوال سوال التوحيد اذ لا يحل طلب المغفرة للكافر وفي الحكمة لا يجوز ان يغفر له فان
قيل فان كان على ما ذكر ثم كيف استثنى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك بعد ما اخبر انه في ابرهيم قدوة
بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم قيل يحتمل انه استثنى الا قول ابرهيم لابيه اي حتى يعلم المعنى من استغفاره لانا

٧٨٤

لانه عرف مراد ابرهيم من استغفاره لابيه وكذلك استغفار النبي صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لقومهم والمتصلين بهم فان كان ذلك الى ان يعلم مرادهم من استغفارهم ﴿وقوله﴾ ان ابرهيم لاواه حليم قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاواه قال الدعاء الخاشع المتضرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الاواه المومن وقيل الاواه الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل الاواه المتاوه حزنا وخوفا وحليم قيل الحليم ضد السفيه وقيل العليم والحليم هو الذي لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه ﴿وقوله﴾ وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اختلف اهل التاويل قال بعضهم الاية في استغفار المومنين للمشركين وقال بعضهم الاية في نسخ الاحكام والشرايع التي تحتمل النسخ فان كان في استغفار المشركين فانه ليس هناك نسخ لانه لم يسبق لهم الامر بالاستغفار ولكن الاباحة لهم في ذلك فكانه قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا بالاستغفار بعد اذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك والله اعلم وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم لمنافق قبل ان يتبين لهم نفاقه لا يجعلهم ضلالا بذلك حتى يبين لهم ذلك فان كان في نسخ الاحكام فكانه والله اعلم قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا جهالا بفعلهم الذي فعلوا بالامر حتى يبين لهم ما يتقون اي حتى يعلموا بالذي يلزمهم الانتها عنه وهو النسخ هذا في الاحكام التي تحتمل النسخ واما الاحكام التي لا تحتمل النسخ فلا والاصل ان كل ما كان في العقل استباح نسخه فانه لا يرد فيه النسخ وكل ما كان في العقل لا استباح في نسخه فانه يجوز ان يرد فيه النسخ ثم الحكم فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ ما حال العامل الذي عملوا به يحرجون ويا ثمون في عملهم بذلك في حال نسخه او يثابون ويوجرون على ذلك فان كان الفعل فعل طاعة وقربة فانه يثاب في فضله ويوجر ولا يحرج فيه وان كان فعلا ليس بفعل قربة وطاعة ولكن فعل حل وحرمة فانه في فعله قبل بلوغ العلم بنسخه لا يحرج في فعل نحو ما روي انهم كانوا يشربون الخمر ثم اتاهم آت فقال الا ان الخمر قد حرمت فصبوها وكفوا عنها ثم في شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر اليهم لا يحرجون واما الفعل الذي هو فعل قربة وطاعة فان لهم القربة في فعلهم وهو الصلوة ونحوها ما روي ان نفرا كانوا يصلون الى بيت المقدس فمر عليهم مار فقال الا ان القبلة قد حولت وهم في الركوع الى الكعبة فتحولوا اليها نحوها فاجزاهم ذلك رسول الله فلم يامرهم بالاعادة لان الفعل فعل قربة وطاعة فالطاعة والقربة موجودة في فعلهم لان الافعال التي فرضت لم تفرض لانفسها انما فرضت للطاعة والقربة بها وانه يوجر على ذلك والله اعلم ﴿وقوله﴾ ان الله بكل شي عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه مصالحهم كان هذا والله اعلم خرج لانكار من انكر النسخ في الشرايع يقول ان الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون وفي الناسخ مصالح لهم وانتم لا تعلمون ويوكد ذلك قوله ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وانتم عبيده وليس للعبيد انكار شي على سيده وانما على العبيد الطاعة لسيده والايتمار له وامره والانتهاء عن نواهيه يحيي ويميت اي كما له ان يميت بعد الحيوة ويحيي بعد الموت فله ان يتعبدهم في حال بعبادة وفي حال بعبادة اخرى ﴿وقوله﴾ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية قال بعض من اهل التاويل تاب الله عليهم لزلات سبقت منهم ولهفوات تقدمت من غير ان كان منهم زلات في هذا يعني غزوة تبوك وهفوات اما التوبة على النبي بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وعلى المهاجرين والانصار ما كان منهم يوم احد ويوم حنين وهو قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وقال بعضهم تاب عليهم لهفوات كانت منهم في غزوة تبوك هموا ان ينصرفوا في غزوة تبوك الانصراف على غير الذي اصابهم فقال تاب عليهم لما هموا بالانصراف في غزوة تبوك الانصراف ويشبه ان تكون التوبة التي ذكر على جهة سوى ما ذكروا وهو انه تاب عليهم اي جدد عليهم التوبة للهفوات التي تقدمت او الثبات عليه من غير ان كان منهم في الحدث شي وذلك يكون لاستحكام التجديد او الثبات عليه فيكون كسوال الهدى وهم على الهدى كقوله اهدنا الصراط المستقيم وقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله اي يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الوقت امنوا في حادث الوقت او اثبتوا على الايمان فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله لقد تاب الله عليهم لقد جدد عليهم التوبة من غير ان كان منهم حدث او ثبتهم على التوبة التي كانت منهم والاشبه انه ذكر التوبة وذلك انهم حيث صبروا على ما اصابهم من الشدايد والجهد كشف الله عنهم اشيا كانت مستورة عندهم وحلاهم اعطيه كانت لا تتجلى لهم من قبل لكن اجلى ذلك لهم وانكشف بهم

الشدايد

٧٨٥

الشدايد التي اصابتهم كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون فاخبر ان على ما اصابهم من المصايب ازداد لهم تعريفا وتجلي الامر والمرجع اليه وكقوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الاية ازداد لهم بما صبروا اشيا وتجلى لهم اشيا لم تكن من قبل فعلى ذلك يحتمل التوبة التي ذكر انهم لما صبروا على ما اصابهم من الشدة والجهد تجلى لهم اشيا كانت مغطاة عنهم والله اعلم وبعيد فانه ذكر من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ولم يذكر انها زاغت وذكر قلوب فريق منهم ولم يذكر قلوب الكل فهو على ذلك ويحتمل ذكر التوبة على النبي في الاشراك لهم مع المومنين من غير ان كان له ذنب لانه اخبر ان ذنبه مغفور بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وهو كالشركة في الاستغفار كقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات امر بالاستغفار لذنبه على الاشراك لهم مع استغفار المومنين اذ اخبر انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر والتوبة من الله تخرج على وجوه احدها التوفيق والتفهيم للتوبة واكرامهم بها كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا والثاني التوبة منه تبولها منهم اي يقبل منهم التوبة كقوله ان الله هو التواب الرحيم والثالث تاب عليهم اي تجاوز عنهم وعفا وصفح عنهم على هذه الوجوه الثلثة يخرج اضافة التوبة الى الله ﴿وقوله﴾ الذين اتبعوه في ساعة العسرة قيل في عسرة النفقة وعسرة الظهر ﴿وقوله﴾ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصة انه قد اصابهم من الجهد والضيق ان الرجلين ليقتسمان التمرة بينهما وكانت التمرة يتداولون بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم يمصها هذا ذكر نحو هذا ولكن لا ندري كيف كان الامر سوى انه اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد ﴿وقوله﴾ وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال بعضهم خلفوا عن التوبة نحو قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار فكانوا يتهمون ويقعدون الله حتى تاب الله عليهم فتابوا وقال بعضهم خلفوا عن رسول الله لما تقدمهم القوم فهم مخلفون يتقدم اولئك وقال قايلون خلفوا خلفهم الله اي خلق فيهم تخلفهم ويشبه ان يكون قوله وعلى الذين خلفوا هم الذين تخلفوا عن رسول الله ثم ندموا على تخلفهم فلحقوا رسول الله وهو ما ذكرنا ﴿وقوله﴾ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم يحتمل هذا على التحقيق ويحتمل ان يكون على التمثيل فالتحقيق وجهان احدهما ضاقت عليهم الارض بما رحبت ما ذكر انهم شدوا انفسهم بالسواري والاسطوانات وابوا بيوتهم التي منعتهم عن الخروج مع رسول الله وتصدقوا بالارضين التي منعتهم عن الخروج وضاقت عليهم الارض لذلك كانت عليهم شيئا يمنعون بها لانه ذكر في القصة ان واحدا من هولاء صاحب ارض منعته عن الخروج فتصدق بها على الفقراء وكان له التوسع بتلك الارض ثم ضاقت عليه والثاني ضاقت عليهم الارض بما رحبت لما صبوا انفسهم من اراضيهم وتركوا منهم بيوتهم واموالهم وما يتلذذون به لذلك ضيق الارض وضاقت عليهم انفسهم لما شدوا انفسهم بالاسطوانات ويحتمل ان يكون على التمثيل وذلك ان الخوف اذا اشتد على الانسان وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار في الارض والتلذذ بها يقال ضاقت عليه الارض بسعتها وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر كان الناس لا يكلمونهم ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يجالسونهم ﴿وقوله﴾ وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه قال بعضهم ظنوا انه لا نجاة من عقوبة الله الا العفو اي ايقنوا انه لا خلاص لهم ولا احتراز من عقابه وقيل ظنوا انه لا نجاة من عذاب الله الا الى رحمته وقيل وظنوا انه لا ملجا من رسول الله الا الى الله لما ذكر انهم سالوا رسول الله التجاوز عن ذلك فلم يجبهم فايقنوا عند ذلك ان المفزع والملجا الى الله الى احد دونه ﴿وقوله﴾ ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة فتابوا ان الله هو التواب الرحيم اي يقبل التوبة اي قابلها ﴿وقوله﴾ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ظاهر الاية انه قد اتهموا بالصدق فامروا بالكون معهم ويشبه ان يكون امر هولاء الذين تخلفوا عن رسول الله بالكون مع المهاجرين والانصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة ان الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين في دين الله فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للامر بالكون معهم وجه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكونوا من الصادقين وهو ظاهر وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يحتمل وجوها احدها يقول اتقوا مخالفة الله في امره ولا تنفسوا وكونوا مع الصادقين وفا ذلك وحفظ او اتقوا الله فيما تركتم ما امركم به من الخروج والجهاد مع رسول الله وغير ذلك من الجهاد او يقول اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما امركم به وكونوا مع الموافقين لا من والله اعلم ﴿وقوله﴾ ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يشبه ان يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة والعهود التي جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يقبلون

والله اعلم ما كان اي لم يكن لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله بعد قبلوا النصرة والمعونة والبيعة
في ذلك هذا يحتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون صلة ما ذكر في اثره وهو قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في
سبيل الله يقول والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وقد جعل لهم بكل ما يصيبهم
في انفسهم من العنا والشدة وفي اموالهم من النقصان وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة او يصيبون من العدو
من القتل والغنيمة الا كتب لهم بذلك عمل صالح اي ما كان ينبغي لهم ان يتخلفوا عنه وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعنا
وما يصيبون من الكفار العمل الصالح والاجر لهم والله اعلم او يقول ما كان لاهل المدينة اذا تخلفوا عن رسول الله ان يتخلفوا عنه
وقوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه يحتمل قوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ولا يرغبوا بالتخلف عن نفسه يقال
فلان بنفسه من اي انا بعيني دعوه اي جاهو من اي هو فيما ذلك هنا ولا يرغبوا اي ما كان لهم ان يرغبوا عن
رسول الله ويحتمل ولا يرغبوا بانفسهم اي لانفسهم عن نفسه وذلك جايز ما ذكرنا وقوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظما اي
عطش ولا نصب قيل العنا والشقة ولا مخمصة في سبيل الله اي مجاعة ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار قال بعضهم
ولا يقفون موقفا وقال بعضهم هو من الوطي والموطي الذي يوطا ولا ينالون من عدو نيلا قيل من قتل
فيهم او اغارة عليهم الا كتب لهم به عمل صالح اي يكتب لهم ما عليهم العمل الصالح مكان ما تخلف منهم مخافة ان يصيبهم ما ذكر
من العنا والشدة يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم هو ما ذكرنا انه يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعنا في انفسهم وفي
اموالهم من النقصان وما ينفقون ليجزيهم احسن ما كانوا يعملون اي يجزيهم لصالح اعمالهم واحسنها ولا يجزيهم لسيئاتهم
وهو كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم اجزاه يتقبل منهم احسن ما عملوا ويكفر عنهم
سيئاتهم فيه ذلك الاول يحتمل انه يجزيهم احسن ما عملوا في الغزو ولا يجزيهم سيئاتهم وقوله وما كان المؤمنون لينفروا
كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين الاية اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان نبي الله
كان اذا خرج للغزو خرجوا جميعا معه فيبقى المدينة خالية عن الرجال فنهى الله عن ذلك فقال وما ينبغي للمؤمنين ان
يغزوا كافة مع رسول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين وقال بعضهم كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا بعث سرية خرجوا جميعا فيبقى هو وحده لا يبقى معه احد ممن يشهد التنزيل فيخبر اولئك اذا رجعوا
وقال اخرون الاية في الوفود وذلك ان الوفود اذا قدموا من الافاق المدينة قد موا مع النح والذراري
جميعا فامروا ان ينفر الرجال منهم دون النح والذراري او من كل قوم نفر ليتفقهوا في الدين ذكر في صدر الاية
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة نهي الكل ان ينفروا وامر في الاية الاخرى بنفر الكل
بقوله انفروا ثبات او انفروا جميعا فهو يخرج على وجهين احدهما امر بالنفر الجميع عند قلة المؤمنين ليكون لهم
الكفاية مع العدو والثاني امر بالنفر الكل عند النفير فيكون احدى الايتين في حال النفير والاخرى الثاني
في غير حال النفير او ما ذكرنا في وقت القلة والكثرة فيقول ان الاية في الذين كانوا يخرجون جميعا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا خرج كانه نهى عن الخروج جملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليهم اليهم وذراريهم لعل العدو
يسبيهم واخرا صلهم فيقول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين اي هلا نفر طايفة منهم
فيخبروا الكفار المقيمين بما انزل الله على رسوله من النصر والمعونة والهزيمة على الكفار الذين قاتلوا رسول الله
فيكون ذلك سبب دعايهم الى الاسلام والى هذا ذهب الحسن والاصم ويقول بعضهم ان هذه الاية نسخت الاية
التي قبلها وهو قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يقول الحسن ان عليهم
ان يخرجوا مع رسول الله اذا خرج فيقول هذا منسوخ بالاية التي تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية
ومنهم من يقول بان الاية في الوفود الذين كانوا اتوا رسول الله المدينة بالنح والذراري فطيف لذلك لما كانوا
يضيقون في اهل المدينة اوطانهم ويغلون اسعارهم ونحو ذلك فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا

في الدين ولينذروا قومهم اي يعلمون الدين واحكامه ثم ليرجعوا الى قومهم فيعلموهم ومن يقول الاية في الذين خرجوا ونفروا
مع السرايا لانهم من خرجوا كل العلم اذ انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يكن معه احد يبلغه اليهم ثم يبلغ بعض
الى من غاب عنه وما في ذلك فيقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اي ليعلموا قومهم
ما نزل على رسول الله وليبلغوا ذلك الى من غاب عنه وقوله من كل فرقة منهم طايفة قيل من كل عصبة ومن كل قبيلة ومن كل حي ففي
الاية دلالة سقوط فرض النفر لتعلم العلم والتفقه في الدين عن الكل اذا قام بعض بذلك يخرجون ويتعلمون ثم يعلمون قومهم
لانه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة الاية وفيه ايضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجماعة اذا قام بعضهم عن بعض وفيه دلالة
لزوم العمل بخبر الاحاد وان احتمل الغلط لان ما ذكرنا الكفاية يحتمل ان يجتمعوا على ذلك كذبا او غلطا ثم الزم قومهم قبول
خبرهم وان احتمل الغلط والكذب بقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والاية تخرج على وجهين احدهما
ان اهل البدو واهل القبايل يختارون من يصلح للتفقه في الدين والتعلم فيبعثونه حتى اذا تفقه وتعلم رجع الى قومهم فيعلمهم
والثاني يامر من يصلح للتفقه بالتخلف عن الجهاد اذا كان بهم غنية ليتفقه عند رسول الله فينذر قومه اذا رجعوا اليه من
غزاتهم وقوله يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال بعضهم الاية قبل ان نزل قوله فاقتلوا
المشركين كافة كان الامر بالقتال بالادنى فالادنى ثم جاء الامر بقتال الكفار عاما وقال بعضهم ان رسول الله كان اذا غزا
انما كان يجاوز كفارا ويتركهم وراءه ويقاتل غيرهم فيكون فيه نكاية للنبوة ليعلم انه لا يبالي بمن يقاتل ولا يخاف من تركهم
وراءه ثم امر الله المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب منهم والادنى فالادنى وان لا يتركوا العدو وراءهم الى هذا
ذهب بعض اهل التاويل ويمكن ان يكون هذا تعليما من الله المؤمنين امر الحرب واسبابه كما علمهم جميع ما يتم لهم
من المكايد والاسباب الحرب في غير اي من القران من ذلك قوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا وقوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الاية وكقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية ونحو ذلك من الايات
او يحتمل ان يكون امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم كسائر العبادات وقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يخرج على وجهين
احدهما ما ذكرنا انه يخرج على تعليم امر القتال من المؤمنين والثاني ابانة دوام الجهاد والقتال مع العدو ابدا لانه كلما
فتح ناحية وقوما صار الذين يقاتلون هولاء الذين يلونهم وقوله وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم وفي حرف ابن
مسعود وابي وليجدوا فيكم غلظة اي شدة ويقرا غلظة برفع الغين ويقرا غلظة بكسرها وهما لغتان ومعناهما
واحد واعلموا ان الله مع المتقين اي من اتقى الخلاف له بالنصر لهم والمعونة على عدوهم وقوله ان الله مع المتقين يخرج
على وجوه احدها ما ذكرنا اذا الخلاف له فيما عليهم من امر الحرب يكون معهم بالنصر والثاني معهم في التوفيق
والهداية والثالث في الجزاء وقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل التاويل
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يقول المنافقون بعضهم لبعض اذا خلوا عن المؤمنين ايكم زادته هذه ايمانا
استهزاء منهم وسخرية فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين
في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي تكذيبا وكفرا الى تكذيبهم الذي كان منهم لان اهل
النفاق والكفر ليسوا اهل ايمان وانصاف فيقبلون الحجج والدلائل اذا قامت عليهم انما همتهم العناد والتكذيب فمرد
الحجج والدلايل فكلما ازدادوا الحجج والبراهين ازدادوا عنادا في التكذيب والرد واما اهل الايمان فان همتهم قبول
الحجج والانصاف فكلما ازداد لهم الحجج والبراهين ازدادوا ايمانا وتصديقا على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايمانا زادتهم
ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قامت لهم من الحجج والبراهين وكذلك ازداد لاهل الكفر والنفاق في الثبات
على العناد في تكذيب الحجج والايات والثاني ازدادوا ايمانا بالتغير على ايمانهم الجمل وان كانوا مصدقين لذلك كله جملة
فاذا انزل لهم نوازل وفرايض ازدادوا بذلك تصديقا وثباتا والاصل انه لولا ما كان منهم من الايمان والتصديق
لكان هذا منهم ابتدا ايمان واحداث تصديق وكذلك لو لم يكن من اهل النفاق ما سبق من العناد لكان ذلك منهم احداث
تكذيب وعناد فاذا كان منهم ما ذكرنا كان ذلك زيادة على ما كان لما ذكرنا وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان

جزاءت ولا اهل النفاق شر ولكن هو واحد وهو ما ذكرنا وقوله فزادتهم ايمانا فزادتهم رجسا الى رجسهم على وجهين احدهما زادت
المؤمنين ايمانا على الذي كان لهم من الايمان والتصديق والثاني ازدادوا لهم حجج وبراهين لما كانت كذلك يزدادوا اهل
النفاق عند ذلك وقوله وهم يستبشرون قيل يفرحون بنزولها ثم اضافة الزيادة الى السورة بقوله فزادتهم ايمانا والوجه
اضيفا اضيف اليها الزيادة على ما اضيف الفوز الى الدنيا وهو لما ذكرنا انه يدوم لهم بهذا التنزيل ما لو كان ذلك
من ذوي الافعال والتمييز كان كذلك عن هوا ان في اضاف التغرير اليها لما بها اغتروا اهلها وكذلك اضافة الزيادة الى
السورة لما بها ازدادوا لهم التكذيب والكفر ازدادوا اهل الايمان بها التصديق فاضيف الزيادة اليها وقال بعضهم هو ما
ذكرنا انها حجج ودلالة فالحجج يزداد لاهل الايمان الايمان بها اذ هم قد اعتقدوا قبول الحجج والدلائل واما اهل النفاق والكفر
فانهم اهل عناد ومكابرة اذ قد اعتقدوا العناد ورد الحجج فكلما ازداد لهم الحجج ازداد لهم عنادا وكفرا وقال ابو بكر الاصم انما
اضيف الزيادة اليها لانها كانت سبب الزيادة وقد تضاف الاشياء الى اسبابها كما تضاف الى حقيقة الافعال ولكن لا يحتمل
ان تكون السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله اولا يرون انهم يفتنون في كل
عام مرة او مرتين قيل يبتلون بالجهاد والغزو فيتخلفون عنه فيظهر بذلك نفاقهم وكفرهم وقيل يبتلون بالشدة والجوع
فيظهر ايضا بذلك نفاقهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على
وجهه وقيل يفتنون في كل عام مرة او مرتين وذلك انهم كانوا اذا خلوا تكلموا بالكفر فيما بينهم ثم اذا اتوا النبي صلى الله
عليه وسلم اخبرهم بما تكلموا به في الخلوة فيفتضحون بذلك فذلك افتتانهم ابتلاؤهم وابتلاء لهم لكان يظهر بما ذكر نفاقهم مرة
في الجهاد وفي سبيل الله ومرة بالشدة والخوف ومرة بما يطلع الله فيه بما يغيرون ويحلون به في الخلاء ويحتمل من الله به الوجوه
الثلاثة الجهاد وغيره والابتلاء بالشدائد والافزاع ويحتمل اظهار الاسرار الذي اسروا في انفسهم والافتضاح مما اخفوا
لكن لو كان بهذا فذلك مما يكثر منهم اعني كتمان النفاق واسرار الخلاف لهم لكن ذكر المرة والمرتين يرجع الى الافتضاح
والاظهار بذلك يحتمل ان يكون في العام مرة او مرتين وقوله ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون في الابتلاء
مرة الافتضاح وظهور النفاق منهم والله اعلم وقوله واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم قال بعضهم الاية صلة قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا
اي كان ينظر بعضهم الى بعض ثم يقولون ما ذكر ومنهم من يقول اذا كانت السورة التي نزلت حجج في اظهار الدين والايمان
يسمعون ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا واذا نزلت في اظهار نفاقهم وافتضاحهم نظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا
ولا يسمعون من السورة اشفاقا لئلا يظهر نفاقهم وقوله صرف الله قلوبهم يحتمل خلق الله منهم الانصراف فيضيف
اليه الصرف ويحتمل ان يكون قوله صرف الله قلوبهم عقوبة اي عاقبهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد ورد الحجج
وترك التفهم والنظر والتأمل في الحجج وتركهم القبول وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من
انفسكم من البشر وهو امتنان منه عليهم حيث بعث الرسول من البشر ولو ان يبعث من غير البشر لكنه بعث من البشر ليعرفوا
الايات التي يأتي بها من التمويهات لانهم يعرفون مبلغ وسع البشر في الاشياء وقدر امكانهم بعلم الاشياء فاذا جاء
بالاشياء التي هي خارجة عن الطباع ووسع البشر في التكلم عرفوا انها الايات لا تمويهات مع ما ان في الف كل ذي
جنس بجنسه وينفر من غير جنسه هذا ظاهر في الخلائق ان كل ذي جنس يألف بجنسه ولا يألف غير جنسه فبعث الرسول
من البشر ومن جنسهم ليألفوا به ويقبلوا منه ما يأتيهم به ويخضعوا الى ما يدعوهم اليه وقال بعضهم رسول من انفسكم اي
من المكان الذي انتم فيه وهو الحرم وقال اخرون من انفسكم اي من ابكم وهو ابيهم موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من
انسابهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه من ابين اظهرهم سليما عن جميع الافات بريا عن جميع المطاعن والعيوب لان المراد اذا
كان مولده ومنشؤه في قبيلة او في مكان لا يعرف له النسب ربما يتمكن فيه الطعن والعيب ويقع الشك في نسبه بجهلهم نسبه
ومولده ومنشأه عليه السلام والصحة والبراءة من العيوب فبعث رسولهم احسابا عليه وسلم لئلا يتمكن فيه ما ذكرنا فيه من
المطاعن ولا يقرفونه بشيء من العيوب والافات التي ذكرنا وقال بعضهم قوله من انفسكم اي من العرب اميا كما هم لا يكتب

يقرا ولا يخط بيمينه على ما وصفه لكن يا النبي الامي الذي يجدونه الاية وقال ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان
العرب كانت تتمنى ان يبعث فيهم رسول بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الاية ذكر نحو الرسول من انفسهم ليكون
ابعد من المطاعن التي طعنوا فيه والافات التي ذكروا فيه وابرأه من العيوب التي قرفوا به من نحو السحر والكهانة والجنون
والافتراء على الله واقرب الى المعرفة بانه رسول لانه لما ياتيهم من الايات والحجج يعرفون انها سماوية لما عرفوا انه لم يتعلم
السحر ولا الكهانة ولم يكذب قط ولا جن قط بما كان نشأ فيما بين اظهرهم وقوله عزيز عليه ما عنتم قيل شديد عليه العنت اي
شيء يأثمكم وهو كذلك القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم اي شديد عليه ما اثمتم وقال ابو عوسجة هو الى الاثم
اقرب وهو يحتمل كل اثم الكفر وغيره حريص عليكم قال بعضهم حريص على ان تسلموا اي يسلم وحريص عليكم الهدى والرشد
بالمؤمنين رؤوف رحيم رحمة الدين والاسلام لا رحمة الطبع قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله بالمؤمنين رؤوف رحيم سماه
بفعله العمل الحسن وبرأفته ورحمته ومركب الاشياء يستحق ذلك الاسم بفعله وانما سماه بذلك لان علا كان سلم يكن على النفقة شيا وكذلك
ما لدواكتسابه فلذلك لم يكن بالمرسل ابن ورحمته وقوله فان تولوا اي لم يجيبوا عن اجابتك ودعائك اياهم الى الايمان
والتوحيد فقل حسبي الله اي يكفيني الله لا اله الا هو ويحتمل قوله فان تولوا عنك بعد والاجابة الطاعة لك والانقياد وهو
ان يكيد ويمكر بك فقل حسبي الله اي كفاني الله لا اله الا هو عليه توكلت اي على وعده في النصر والظفر توكلت اي
اتكلت على وعده وكلت امري اليه ويحتمل قوله فان تولوا عن نصرك ومعونتك على الاعداء فقل حسبي الله في النصر والمعونة
على الاعداء ويكفيني عليهم هذا في هذا الموضع اقرب لانه ذكر على اثر ذكر المنافقين ويحتمل ما ذكرنا من الاعراض عن التوحيد
والاجابة له وقوله وهو رب العرش العظيم قيل هو رب الملك العظيم اي كل ملك عند ملكه صغير ليس كملكه فان كان
العرش هو السرير عليا قاله بعض اهل التاويل وهو ملك لعظيم السرير الذي يكرمهم به الاخيار من الخلائق والابرار منهم
وقد ذكرنا ما قيل فيه فيما تقدم والله اعلم

السورة التي فيها ذكر يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى الر تلك ايات الكتاب الحكيم فقد ذكرنا الوجه في الحروف المقطعات في صدر الكتاب وقوله تلك
ايات الكتاب الحكيم قال بعضهم الحكيم هو الله كانه قال ذلك الكتاب ايات الله وقال بعضهم الحكيم هو صفة القران
والكتاب ثم يحتمل وجهين يحتمل انه سماه حكيما فعيلا بمعنى انه محكم وجائز تسميته المفعول باسم الفعيل نحو قتيل بمعنى المقتول
وجريح بمعنى مجروح ونحو ذلك فهو محكم فيه الحلال والحرام والامر والنهي او محكم ممتنع عن الباطل والكذب وهو كما
وصفه تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية والثاني سماه حكيما لما ان من تامل فيه ونظر فيه نال ووقع فيه
وادرك صار حكيما وهو كما وصفه وسماه مجيدا اي من تامله ونظر فيه صار مجيدا شريفا والحكيم هو المصيب في الحقيقة
ان كان صفة القران او صفة الله فان كان صفة الله فهو حكيم واضع كل شيء موضعه فان كان صفة القران فهو كذلك
ايضا واضع كل شيء موضعه وقوله ايات يحتمل ايات الكتاب المعروف ويحتمل الحجج والبراهين اي حجج الكتاب والبراهين اعلام
وقد تقدم ذكر الايات في غير موضع والله اعلم وقوله اكان للناس عجبا يحتمل وجهين يحتمل ان تعجبوا ان
اوحينا الى رجل منهم ويحتمل يعجبون اذ اوحينا الى رجل منهم على ان شيئان كانوا يعجبون من ثلاث من انزال القران على
رجل منهم يعجز الخلق عن مثله ويعجبون من الوحي الى رجل منهم وارسله رسولا من بين الخلق او من البشر كقولهم
ابعث الله بشرا رسولا وكقولهم اانزل عليه الذكر من بيننا وكانوا يعجبون من البعث كقولهم ائذا متنا وكنا ترابا الاية
ثم يحتمل قوله الى رجل منهم اي من البشر لئلا تعجبوا ان اوحينا الى رجل من البشر فان الايحاء الى من هو من البشر ابلغ
في الحكمة واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة لان البشر يعرفون خروج ما هو خارج عن طوق البشر ووسعهم ولا يعرفون
ذلك من غير جوهرهم وغير جنسهم وبان كل جنس يألف جنسه وكل جوهر بجوهره ولا يألف غير جوهره ولا غير جنسه فاذا كان ما
وصفنا كان بعث الرسل من جنس المبعوث اليهم وجوهرهم ابلغ في الحكمة واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة ويحتمل
قوله ان اوحينا الى رجل منهم اي من الامين اي لا تعجبوا اذ اوحينا الى رجل منهم اي امي فان ذلك ابلغ في التعريف

والحجاج لانه بعث اميا لم يعرف بدراسة الكتب المتقدمة او تلاوة شيء منها ولا على انه اختلف الى احد منهم في تعلم كتبهم
ولا عرف انه كتب شيئا ولا خط خطا قط ثم اخبر عما في كتبهم على موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير لسانه دل انه انما عرف ذلك
بالله تعالى ففي ذلك ابلغ في اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم وقوله ان انذر الناس قال بعضهم الانذار يكون في كل كلام
مرهوب والبشارة في كل محبوب مرغوب وقال بعضهم ان انذر الناس يعني الكفار بالنار وبشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم ثم اختلفوا في قوله قدم صدق عند ربهم قال بعضهم ان لهم اجرا عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال
الصالحة يقدمون عليها وقيل قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم وقيل ان لهم ثواب اعمالهم الصالحة التي
قدموها بين ايديهم قدم صدق اي سلف خير او سلف عمل وعامتهم يذكرون كان اصل من القدم قال ابو عوسجة يقال في الكلام
لفلان عندي قدم صدق ويد صدق اي نعمة قد اسلفها لي وقال القتبي قدم صدق يعني عملا صالحا قدموه وعن
ابن عباس قال سبق لهم السعادة في الذكر الاول ومن قال قدم صدق هو الشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق
اي والقدم ومن قال وعد وثواب اعمالهم اي تقدم لهم وعد حق وصدق وقيل قدم صدق اي ثبتت قدمهم لا تزل عليها
وصف من ثبوت قدم المومنين والقرار فيه وترك لقدم الكافر كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وقوله قال الكافرون
ان هذا لساحر مبين ومن قرا لسحر عنى هذا القران ومن قرا لساحر بالالف عنى به النبي ثم السحر هو الذي يرى في
الظاهر انه حق وهو في الحقيقة باطل لا شيء ثم هو ياخذ الابصار وياخذ العقول فاما الذي ياخذ الابصار وهو ما يرى
الشيء على غير ما هو في الحقيقة والذي ياخذ العقول هو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا وقال فرعون لموسى اني لاظنك يا
موسى مسحورا اي مجنونا لكن هو لا لم يريدوا بقولهم لساحر مبين السحر الذي ياخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذي ياخذ
الابصار يقولون انه وان كان اخذا للابصار في الظاهر فهو لا شيء في الحقيقة ولكن في قولهم ان هذا لساحر مبين
دليل انهم عجزوا عن [illegible] وعرفوا انه حق لكنهم ارادوا التمويه على الناس كقول فرعون لسحرته حيث امنوا برب موسى
انه لكبيركم الذي علمكم السحر اراد ان يموه على الناس والله اعلم وقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ان القوم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون الاحبار والرهبان اربابا من دون الله فيقول ان ربكم
ربكم الذي يستحق العبادة والالوهية هو الذي خلقكم وخلق السموات والارض لا الذي تعبدونه وقوله في ستة ايام
ثم استوى قد تقدم ذكره في صدر الكتاب وقوله يدبر الامر هو ايضا على الاول ان الذي يستحق صرف العبادة
اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذي يدبر الامر في مصالح الخلق في جر المنافع اليهم ودفع المضار عنهم لا الذين لا يملكون
جر المنافع الى انفسهم او دفع المضار عنهم فضلا ان يملكوا جرها الى من يعبدهم او دفع المضار عنهم وقال بعض اهل التاويل
يدبر الامر اي يقضيه والتدبير والقضا واحد وقال بعضهم يدبر يقدر وسوا ذكرنا التدبير والتقدير سوا وقوله
ما من شفيع الا من بعد اذنه الشفيع والمتكلم والعذر عند الذي يشفع اليه لا احد في ان هو يشفع له جر الى خواله
بعد ان يكون الشفيع عند الذي يشفع اليه ذا منزلة وقدر فاذا كان كذلك لم ذلك ايضا لا يشفع الا من بعد ما اذن
له بالشفاعة من باب التوحيد وقوله ذلكم الله ربكم فاعبدوه يقول ذلكم الذي يستحق العبادة هو ربكم الذي خلقكم
وخلق السموات والارض ودبر اموركم فاعبدوه ولا تعبدوا الذي لا يملك شيئا من ذلك افلا تذكرون انه هو المستحق
للعبادة وهو المستوجب للشكر لا الذين تعبدون انتم او ان يقول افلا تذكرون ان الذي خلقكم وخلق السموات
والارض يعذبكم وهو يدبر امور الخلايق في مصالحهم ما يرجع الى مصالحهم في دنياهم ودينهم لا الذي تعبدون والله
اعلم وقوله اليه مرجعكم جميعا اليه مرجع الخلايق كلهم في جميع الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لان
الخلايق كلهم يعلمون يومئذ انهم راجعون اليه كذلك قوله وبرزوا لله جميعا هم بارزون له في الدنيا والاخرة لكنهم
يومئذ يعلمون ويقرون بالبروز له وكذلك الملك يومئذ لله الملك له في الدنيا والاخرة وفي الاوقات جميعا لكنه
خص ذلك اليوم لما لا ينازع في الملك في ذلك اليوم ويقرون بالملك له في ذلك اليوم وفي الدنيا من قد نازع في
ملكه هذا والله اعلم وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وان كان الملك في الدارين جميعا فعلى ذلك المرجع الذي سمي الرجوع

اليه
رجوعا الى المقصود من انشاء البعث فسماه بذلك لما ذكرنا انه لو لم يكن المقصود من انشائه اياهم سوى الاولى والفناء كان
خلقه اياهم عبثا وباطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله وعد الله حقا يحتمل وعد الله حقا
البعث الذي ذكر انه يبدو الخلق ثم يعيده ويحتمل وعد الله حقا من الثواب والعقاب في الاخرة الثواب لمحسن منهم
والعقاب لمسيء وقوله انه يبدو الخلق ثم يعيده اي عرفهم انه هو الذي بداكم والخلق جميعا فلذلك هو يعيدكم
بعد افنائكم اذ بدو الشيء على غير مثال اشد عندكم من اعادته على مثاله كقوله وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه اي اعادة الشيء اهون عندكم من بديه وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط فالقسط العدل
لكن ما يجزيهم انما يجزيهم افضالا واحسانا لا استيجابا واستحقاقا ثم يحتمل قوله بالقسط وجوها احدها انه يجزي المحسن
جزا الاحسان والمسيء جزا الاساة ويفصل بين العدو والولي في الاخرة في الجزاء ويجعل للولي علاما واثرا يعرف به
من العدو اذ لم يفصل في الدنيا بين الاوليا والاعداء في الرزق والطيبات لهم من النعيم ولا جعل علاما يعرف به الولي
من العدو وجعل في الاخرة ذلك حتى يعرف هذا من هذا فهذا العدل الذي ذكر ويشبه ان يكون ذلك ويحتمل القسط
الوزن اي يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع لا في القدر اي يجزي بالحسنة قدرا لا يزيد على ضعف ولكن يجزي
للحسنة جزا الحسنة [illegible] ويحتمل قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل اي يجزي الذين عملوا
بالعدل لم يجوروا ابدا لانه جاز جزا الجزا الذي [illegible] لكن عملوا بالعدل فيه ويشبه ان يكون في تقديم العدل ليجزي
الذين امنوا بالعدل اي لا يعذبهم في النار اذا امنوا ثم الذين عملوا الصالحات يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
والله اعلم بالصواب من ذلك وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي يجزيهم في الاخرة بالقسط في
الدنيا وعدلوا فيكون القسط على هذا التاويل لهم وان كان ما ذكر من القسط راجعا الى الله وصفا له فهو
يخرج على وجوه احدها يجزي كثيرا من المومنين بالعدل يجزي لحسناتهم جزا الاحسان ولسياتهم جزا الاساة فيكون
جزا بالعدل ويجزي كثيرا اخرين بالفضل والاحسان يجزي لحسناتهم جزا الحسنة ويكفر عن سياتهم وهو كقوله اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وقوله ان الله لا يغفر الاية والثاني يجزيهم بالفضل اذ العدل هو وضع الشيء موضعه
الذي هو له والفضل في اصله لا يضع في غير اهله ووضع الفضل في اهل الايمان عدل اذ هم اهل له والله اعلم وهو كقوله
ويوت كل ذي فضل فضله والثالث العدل الذي هو مقابل الاحسان وهو الفضل الا العدل الذي هو ضد الجور
كقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا الاية لا يحتمل ان يقول لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا في العدل الذي
هو ضد الجور في مثل هذا يستطيعون ان يعدلوا بينهن فعلى ذلك قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل الذي
هو مقابل الاحسان وهو الفضل اذ للفضل درجات واصل ان جزا الاخرة كلها افضال واحسان وانعام لا استحقاقا وايجابا
وقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم قيل الحميم هو الشراب الذي انتهى حره غايته وقوله هو الذي جعل الشمس ضيا
والقمر نورا ذكر في الشمس الضيا وفي القمر النور والله اعلم لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويغلب على ظلمة الليل
ويقهرها واما النهار فهو مبصر على ذكر عز وجل والنهار مبصرا جعل فيه النور فلو جعل في الشمس النور خاصة لكان لا
يظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار ويغلبه ويقهره ليظهر المنافع التي جعل فيها ولو كان نورا اشد لم يظهر نورها
من هذا ولم يوصل الى المنافع التي جعلت في الخلق وهو ما ذكر انه مد الظل واجزاه لو شا لجعله ساكنا ولو كان
ساكنا ممتدا على ما جعل بقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل لكان لا يعرف الظل ثم اجزاه جعل الشمس عليه دليلا
ليعرف به الظل فتنسخ الشمس ذلك الظل الممدود وهو شيئا بعد شيء فصارت الشمس بها يعرف الظل وبها يظهر فعلى ذلك
الضيا الذي في الشمس كانه به يعرف نورها من نور النهار وبه يوصل الى منافع الشمس ولو كان نورا لكان لا يعرف ولا يظهر
اذ لا يغلب احدهما صاحبه والله اعلم ولا يعرف ان الشمس من اية النهار ثم جعل اية الشمس غالبة على جميع الايات حتى لا
يبصر النجوم بالنهار اصلا والقمر وان كان يبصر ويرى بخلاف نور الشمس قد يغلبه ويقهره حتى لا يظهر ابدا وقوله
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يشبه ان يكون التقدير الذي ذكر لهما جميعا ويعرف الحساب وعدد السنين

بها جميعا وذلك ذكره في حرف حفصه وقدرها منازل وجايز ان يكون جعل الشمس بالذي يعرف بها اوقات الصلوات والازمنة
من الشتا والصيف لا يعرف ذلك بالقمر وجعل في القمر معرفة الشهور والسنين وفي الشمس معرفة اوقات الصلوات والازمنة
لا يعرف بها الشهور والسنون الا بعد جهد وبالقمر لا يعرف اوقات الصلوات والازمنة جعل الله تعالى في الشمس منفعتين
منفعة التقلب ومعرفة الازمنة ومعرفة نضج الاشيا وينعها وفي القمر منفعتين ايضا احديهما معرفة حساب الايام والشهور
والسنين ومعرفة نضج الاثمار والاشيا وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب ليس ان يعرف بهما هذا ولا يعرف غيرهما بل يعرف
ما ذكر واشيا كثيرة وقوله ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الاصم الكيساني ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما خلق احد ذلك
الا وقد جعل فيه دلالة معرفته وقال قايلون ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفة الرب
له على الخلق وهي شهادة الوحدانية والالوهية وقال بعضهم ما خلق الله ذلك الا لامر الكاين له بعاقبة وهو البعث ويحتمل
قوله ما خلق الله ذلك الا بالحق اي بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ولكن
بحكمة وقوله نفصل الايات لقوم يعلمون قيل نبينه او نضرب لقوم ينتفعون بعلمهم انما ذكر الايات فيما ذكر لقوم
يعقلون ولقوم يتفكرون ولقوم يفقهون الايات التي ينتفعون بها ويعقلون الشي انما يكون للشي الذي ينتفع به
لا للذي لا ينتفع به وقوله ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ان في
اختلاف الليل والنهار اية البعث ودلالة تدبير صانعها اما دلالة البعث ان كل واحد منهما اذا جاء ذهب الاخر
وفني حتى لا يبقى له الاثر ثم يتجددان ويحدثان على ذلك امرهما ويتلف كل واحد منهما صاحبه حتى لا يبقى له اثر فمن
قدر على ما ذكرنا قدر على بعثهم واحيايهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا واما دلالة التدبير هو ظهر جريانهما
على سنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت او نقصان يقع فيهما او زيادة وان كان احدهما يدخل
في الاخر دل ما ذكرنا انهما انما يجريان ويختلفان على سنن واحد وجريان واحد ان فيهما تدبير غير ذاتي وعلم ازلي
وانه واحد اذ لو كان التدبير فيهما لعدد لكانا مختلفين ولا يجريان على قدر واحد من غير تفاوت فيهما او نقصان
او زيادة دل انه واحد وبالله التوفيق وفيه دلالة وحدانية منشيهما وخالقهما لانه اتصل ما بينهما من البعد ما بينهما
من البعد وجعل منافع احدهما متصلا بمنافع الاخر على بعد ما بينهما دل ان منشيهما واحد اذ لو كان فعل عدد لمنع
كل فعل عن الوصول بالاخر على ما هو فعل ملوك الارض وقوله لقوم يتقون مخالفة الله ويتقون جميع الشرور والمساوي
وقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا قال قايلون لا يرجون لقاءنا من الرجا اي لا يرجون ما وعد لهم من الثواب
فلا يعملون فيما يرجى ويطمع من الرغايب وقال بعضهم لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون لقاءنا من خوف الادنى
رجا ولا من رجا الادنى خوف لان الخوف الذي لا رجا فيه هو اياس والرجا الذي لا خوف فيه امن لكن الغالب في
الحسنات والخيرات الرجا وفيه خوف والغالب في السيات والشرور الخوف وفيه ادنى الرجا ومعنى ذكرنا في الشكر
والصبر انهما واحد لان الصبر هو كف النفس عن الشهوات واللذات والشكر هو استعمالها في الخيرات فاذا كفها عن الشهوات
استعملها في الخيرات لذلك قلنا انهما في الحقيقة واحد ولان الشكر هو العمل وكذلك الصبر ايضا غير ان الشكر
في قبول النعم والصبر في قبول البلايا والمصايب والله اعلم بصير كانه قال ان الذين لا يومنون بالاخرة وقوله
ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اي اختاروا المقام فيها وعملوا لها كانهم يقيمون فيها ابدا والذين هم عن اياتنا
غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون من ردهم الايات وكفرهم بها وقوله رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا
بها يحتمل وجهين احدهما سروا بها واثروا ثواب محاسن الدنيا على ثواب الاخرة والثاني رضاهم بالدنيا والطمانينة
بها منعهم عن التفكر والنظر في امر الاخرة وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يحتمل
وجوها يحتمل يهديهم ربهم بايمانهم في الدنيا طريق الجنة في الاخرة وهو معنى ما ذكر في القصة ان المومن اذا
اخرج من القبر يصور له عمله في صورة حسنة والثاني يهديهم ربهم بايمانهم اي يهديهم ربهم بايمانهم فيخبرهم بشدة
هداية ايمانهم ويثبته يهديهم ربهم بايمانهم اي يدعوهم الى الخيرات في الدنيا بايمانهم والله اعلم وهذا على المعتزلة

لانهم يتنعمون من تنعيم صاحب الكبيرة مومنا ومع ايمانه فبلغهم ان يتنعموا اعمالا عمله وان كان معه ايمان فاذا ذكر له الى
مع هذا الذي لهم ان يسمى مومنا لما معه من الايمان وقوله تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم يقول اهل التاويل من تحت
اهل الجنة وقد ذكرنا هذا وقوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال قايلون قوله دعواهم دعوى الايمان اي يدعون
في الاخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا في الدنيا وحدانية الله وتنزيهه وقوله سبحانك اللهم
هو حرف تنزيه وتبرية الرب عن الاشباه وجميع الافات التي وصفته المشبهة الملحدة فهذا يدل ان ما خرج مخرج الدعوى
فانه لا يختلف باختلاف الدهور وقال عامة اهل التاويل هو من الدعا لا من الدعوى يقولون انهم اذا اشتهوا طعاما او
شرابا او تمنوا شيا فيه عند بقوله سبحانك اللهم فيوتون ما تمنوا واشتهوا لكن ذكر ان لا تنقطع اللذات في الجنة ولو كان
ما يقولون لكان فيه انقطاع اللذات والشهوات الا ان تعالى انهم يحيون شهوات وانهم فيما يشتهون وقال الله عز وجل
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ولا نعلم ما اراد به وقوله سبحانك اللهم يخرج على وجهين
احدهما يخبر انه ليس على اهل الجنة من العبادات شي سوى التوحيد وهو كلمة التوحيد والثاني يقولون ذلك لعظيم ما راوا
من النعم ويجيب لما عاينوا والثالث شكرا لما اعطاهم من الوان النعيم واللطف وقوله وتحيتهم فيها سلام قال اهل التاويل
ان الملايكة ياتون بالتحف والهدايا من الله ويسلمون عليهم ويردون السلام على الملايكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فاذا طعموا وفرغوا
قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين وهو قول ابن عباس وغيره من اهل التاويل ويشبه ان يكون قوله وتحيتهم فيها سلام
الكلام الذي لا عيب فيه ولا مطعن اي كلام بعضهم لبعض منزه مسلم من جميع العيوب والمطاعن كقوله لا يسمعون فيها
لغوا الاية وقوله الا قيلا سلاما سلاما وقوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال اهل التاويل يقولون على
اثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك وقال الحسن ان الله رضي عن عباده بان ذكر لما انعم عليهم في الدنيا والاخرة بالحمد لله
رب العالمين ويشبه ان يكون قوله واخر دعواهم اي دعواهم في الاخرة الحمد لله رب العالمين كما كان دعواهم في الدنيا الحمد لله رب
العالمين وقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم كان الاية على الاضمار كانه قال لو يعجل الله
للناس الشر اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضي اليهم اجلهم لانه ليس يذكر في ظاهر الاية استعجالهم الشر
انما يذكر تعجيله ولكن فيه ما ذكر من الاضمار اضمار الاستعجال وهو ما ذكر في غير اي من القران استعجالهم العذاب كقوله
اتى امر الله الاية وقولهم امطر علينا حجارة الاية ونحو ذلك كانوا يستعجلون العذاب استعجال تفرح بقوله لو يعجل لهم
العذاب اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضي اليهم اجلهم بقوله لهلكوا وفنوا اسند [illegible] وقيل في اهل الكفر خاصة
عند استعجالهم العذاب استعجال الفرح دون السوال ويشبه ان يكون هذا في جميع الخلق على غير تصريح سوال ولكن عند ارتكابهم
الشر يقول لو يعجل الله للناس الشر بارتكابهم الشر وبارتكابهم اياه وقت ارتكابهم كما يعجل لهم الخير وقت ارتكابهم
الخير لقضي اليهم اجلهم اي لو عجل لهم جزا شرهم وقت ارتكابهم الشر كما يعجل لهم جزا خيرهم لعاينوا ما ذكر ما يستوجبون بارتكابهم
الشر وقت فعلهم اياه لقضي اليهم اجلهم لكنه لم يعجل له ذلك واخرهم الى المدة التي جعل لهم اجلهم ويحتمل وجها اخر وهو ما يدعو
بعضهم على بعض باللعن والخزي يقول الرجل عند شدة الغضب اللهم العن فلانا اللهم اخزه ونحو ذلك من الدعوات يقول
لو عجل لهم هذا كما يعجل لهم عند دعا بعضهم لبعض بالرحمة والسلامة لقضي اليهم اجلهم لهلكوا وفنوا ويكون ذلك انقضاء اجالهم
يكون هذا على وجوه ثلثة احدها استعجال السوال والفرح الذي ذكرنا والثاني بافعالهم وارتكابهم الشر وقت ارتكابهم والثالث
في الاسباب التي بها يرتكبون ويفعلون وقوله لقضي اليهم اجلهم يحتمل لقضي اجلهم قبل المدة التي جعل لهم والثاني لقضي
اجلهم اي يعجل اجلهم ذلك وفيه دلالة ان لا يملك احد قبل اجله لا يتقدم ولا يتاخر وهو ما ذكر لا يستاخرون عنه ساعة
ولا يستقدمون وقوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمه ان لا يعاقب احدا
من الكفرة في الدنيا لصنيعه الذي صنع وقد يعجل لهم جزاء اخراتهم في الدنيا لما ساق اليهم من انواع النعم ولكن من حكمه
ان يوخر عقوبتهم الى يوم القيمة فذلك تاويل والله اعلم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي يتركهم
يترددون في عماهم وحيرتهم الى الوقت الذي وعد لهم العذاب والله اعلم وقوله واذا مس الانسان الضر دعانا

بجنبه او قاعدا او قايما قال بعض اهل التاويل ان جميع ما ذكر في القران الانسان فالمراد منه الكافر من ذلك قوله يا ايها
الانسان انك كادح وقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر ونحوه لكن هذا لا نعلم انه
اراد به الكافر خاصة لان ما ذكروا ان اهل الايمان يدخلون في ذلك الخطاب اذا كان منهم ما يكون من الكفرة لان من
اهل الايمان من يقبل على الدعاء والتضرع الى الله عند مس الحاجة والشدة فاذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعا
الذي كان دعا وذلك التضرع الذي كان يتضرع اليه فيدخل في ذلك ثم قوله دعانا لجنبه او قاعدا او قايما ليس على
ارادة حقيقة الجنب والقعود والقيام ولكن على الدعاء في كل حال اي يدعو في كل حال لما عرفوا ان الذين كانوا يعبدون
دون الله لا يملكون دفع ما حل بهم من الشدايد والمضار اقبلوا على الله بالتضرع والدعا اليه في كشف ذلك عنهم ثم
اخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعودهم الى الحالة التي كانوا من قبل فقال فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقول
والله اعلم مر كان لم يدعنا قد نسينا في الرخا كان لم يعرفنا واستمر على ترك الدعا في الرخا وقوله كذلك زين للمسرفين ما
كانوا يعملون الاسراف هو العدوان والتعدي عن الحد الذي جعل له وهو وضع الاموال والانفس في الموضع الذي
لا ينتفعون بها في عبادة الاصنام ونحوها والله اعلم وقوله ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا فان قيل قد اهلك
من قد ظلم ومن لم يظلم فما معنى اخبر انه اهلك من الظلمة انا نقول اهلكهم لظلمهم واهلك الصالح منهم لم يظلم قيل انه اهلك
الظلمة اهلاك استيصال وعقوبة واهلك من لم يظلم لا اهلاك عقوبة واستيصال انما هو اهلاك باجالهم التي جعل لهم
ويحتمل قوله ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاتهم رسلهم بالبينات انما اهلك اوليك لسوالهم الذي سالوا
سوال تعنت رسلهم الايات فاذا جاوا بتلك الايات كذبوها فاهلكوا عند ذلك فانتم يا اهل مكة اذا سالتم رسولكم
الايات ثم كذبتموها فيعذبكم كما عذب اوليك اذ من حكم الله هلاكهم على اثر السوال كانه نهى اهل مكة عن سوال الايات
فهذا على اثر الاهلاك اذا لم يقبلوها وقوله وجاتهم رسلهم بالبينات يحتمل البينات التي تبين ما يوتى وما يتقى
وقد ذكرنا في غير موضع وما كانوا ليومنوا يخبر رسوله انهم وان سالوك الايات فاذا اتيت بها فانهم لا يومنون
يعني امثالهم كذلك نجزي القوم المجرمين كل مجرم وقوله ثم جعلناكم خلايف في الارض من بعدهم يحتمل قوله خلايف
اي جعلناكم خلف اهل اوليك الذين لم يهلكهم يخرج هذا مخرج تذكير النعم والاحسان والرحمة يذكرهم انه
لو شاء اهلك الكل فلا يكون هولا خلفا اوليك ولكن بفضله ورحمته ابقاكم ويحتمل قوله جعلناكم خلايف اوليك في
المحنة والعبادة اي جعل عليكم من المحنة والعبادات كما كان على ابايكم من المحنة والعبادة ويشبه ان يكون قوله جعلناكم خلايف
الذين لم يظلموا فكيف لا تتبعونهم لان الذين ظلموا قد اهلكهم فانتم خلايف اوليك الذين لم يظلموا ولم يكذبوا
الرسل فكيف لا تتبعونهم كانهم ادعوا ان اباهم كانوا على ما هم عليه وانهم على مذاهب اباهم يقول جعلناكم خلايف
الذين لم يظلموا اذ الذين ظلموا قد اهلكوا فقد تركتم مذهب ابايكم وجايز ان يكون قوله جعلناكم خلايف في
الارض من بعدهم اي لست انا باول رسول ارسلت اليكم بل لم يزل الله يرسل رسلا في الامم فكان فيهم اتباع
يتبعون رسلهم الى ما يدعونهم اليه ويجيبونهم فاتبعوا انتم يا اهل مكة فيما دعيتم اليه وقوله لننظر كيف
تعملون لم يزل الله عالما بما كان ويكون منهم من المعصية والطاعة ولكن ليعلمهم عصاة ومطيعين لان المعصية
انما تكون بعد ما يكون النهي والطاعة انما تكون بالامر فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما علم انه يكون منكم معصية ويعلمكم
مطيعين كما علم انه يكون منكم الطاعة وقد ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات البينات قد ذكرنا في غير موضع والبينات هي التي تبين انها ايات نزلت من عند الله لم تخترعها احد
من الخلق وقد ذكرنا قوله ايضا قال الذين لا يرجون لقاءنا وقوله ايت بقران غير هذا او بدله يشبه ان يكون
قولهم ايت بقران غير هذا او بدله الاية على ما قال قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي انما اجابهم في
التبديل لان السوال كان سوال تبديل ولكن كانوا سالوا سوال استهزا او تكذيب ثم اختلف اهل التاويل
في التبديل الذي سالوا قال بعضهم سالوا ان يبدله ويجعل مكان اية العذاب اية الرحمة او بدل الاحكام ويحتمل

قوله ايت بقران غير هذا اي بدل الاحكام واترك رسمه ويحتمل ما ذكرنا انهم سالوا ان يتلو مكان اية العذاب اية الرحمة
ومكان ما فيه سب الهتهم مدحها ونحو ذلك والله اعلم ونحن لا نعلم ما اراد بالتبديل تبديل الاحكام او تبديل الرسم والنظم
انما نعلم ذلك بالسماع ثم اجابه الا يقول انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ويومر به فقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
ان اتبع الا ما يوحى الي وقوله اني اخاف ان عصيت ربي ان تركت تبليغ ما امرت بالتبليغ اليكم وهكذا كل من
عرف ربه خاف ان عصاه وخالف امره ونهيه ومن لم يعرف ربه لم يخف ان عصاه وخالف وقوله ايت بقران غير هذا او
بدله سوالهم سوال التعنت والاستهزا لا انهم استفهموا لم لو اتى بغيره وبدله سوى ما في هذا ولو كان لهم هذا السوال جاز ذلك
في كل ما اتى به واحدا بعد واحد فذلك مما لا ينقطع ابدا ولا غاية له ولا نهاية فهو سوال تعنت واستهزا وقوله قل لو شا
الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به يحتمل ما تقدم من قوله حيث قالوا ايت بقران غير هذا او بدله قد ذكرنا ان هذا
يحتمل وجهين يحتمل انهم سالوا ان يبدل الاحكام على ترك رسمه ونظمه ويحتمل قوله ايت بقران غير هذا او بدله اي غير
رسمه ونظمه والاحكام كانهم ادعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اختراع هذا القران من نفسه واختلاقه من عنده
فقال قل لو شا الله ما تلوته عليكم تاويله والله اعلم لو شا الله ان لا يظهره فيكم ولا الزمكم حجته ولا بعثني اليكم
رسولا ما تلوته عليكم ولا ادريكم به اي ولا اعلمكم به ويحتمل قوله ولا ادريكم به ولا اعلمكم ما فيه من الاحكام او يقول لو
شا الله ان لا يوحي الي ولا امرني بالتبليغ ما اوحي الي اليكم ولا بالدعا الى ما امرني ان ادعوكم اليه وفي قوله لو شا الله ما
تلوته عليكم دلالة ان الله اذا شا شيا كان وما لم يشا لم يكن لانه اخبر انه لو شا ما تلوته عليكم فتلوته ليشا ان يتلوه ما تلاه
دل ان ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وذلك يرد على المعتزلة قولهم شا الله ان يومن الخلايق كلهم لكنهم لم يومنوا والله
اعلم وقوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون اي فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم ادع ما ادعي بحال
ولا تلوت ما اتلو افلا تعقلون انه لم اخترع هذا من نفسي ولكن وحي اوحي الي اذ لو كان اختراعا مني لكان ذلك
مني فيما مضى من الوقت وكنت لابثا فيكم فاذ لم يكن مني ذلك فلا تعقلون انه لم اخترع من نفسي يحتمل هذا الكلام
وجوها احدها انهم لما ادعوا عليه الاختراع من عنده قال اني قد لبثت فيكم من قبله اي قبل ان يوحى هذا الي
فلم تروني خططت بيميني ولا اختلفت الى احد في التعلم والدراسة فكيف اخترع من عندي اذ الناس انما
يتعلمون باسباب تتقدم والثاني فقد لبثت عمرا سنين لم تجربوني ولا رايتموني كذبت قط فكيف افتري على الله
تعالى واخترع القران من عند نفسي الا ترى انه قال على اثر هذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم
ممن افترى على الله كذبا والثالث يحتمل قوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم اسمع احدا ادعى البعث ولا اقام
حجة عليه وانا قد ادعيت البعث واقمت على ذلك حججا افلا تعقلون هذا اني لم اخترع من عند نفسي وقوله فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته يشبه ان هذا صلة قوله ايت بقران غير هذا او بدله اي كيف تطلبون مني اتيان
غيره وتبديل الاحكام وقد تعرفون قبح الكذب وفحشه فكيف تكلفونني الافترا على الله وتكذيب اياته ويحتمل ان يكون
صلة ما ادعوا عليه انه افتراه من نفسه يقول انكم لم تعهدوني بكذب قط وقد لبثت فيكم عمرا فكيف تنسبوني الى الكذب
على الله وقد عرفتم قبح الكذب على الله وفحشه ويحتمل على الابتداء ثم قد ذكرنا ان قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
استفهام في الجواب ما قاله اهل التاويل اي لا احد اظلم ولا افحش ممن افترى على الله كذبا الا ان تغيير ما في لوح وقد
ذكرنا هذا في غير موضع او كذب باياته الافترا على الله تكذيب باياته وتكذيب اياته افترا على الله وقوله ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم لو تركوا عبادته ولا ينفعهم ان عبدوه والثاني ما لا
يضرهم اي ما لا يملكون الضر بهم ولا ينفعهم لو تركوا عبادته اي ولا يملكون جر النفع اليهم ليس فيهم في عبادتهم
من لا يملك لهم دفع الضر ولا يملك جر النفع وتركهم عبادة من به يكون جميع منافعهم وغذايهم ومنه يكون كل ضر
وضر والله اعلم وقوله ويقولون هولا شفعاونا عند الله يحتمل هذا القول منهم تقليدا لابايهم كقولهم وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها ظنوا ان اباهم لما تركوا اياهم على ما هم عليه انهم على الحق وان الله قد رضي بذلك ولولا ذلك

لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله والقيام بخدمته وقد يكون مثل هذا في ملوك الارض ان كل احد لا يري نفسه اهلا لخدمة
الملك فيخدم من دونه المتصلين به رجا ان يكون من خدمه شفيعا له عند الملك ففعل ذلك هولاء طمعوا ان عبادتهم هولاء
تقربهم الي الله زلفي ويكونون لهم شفعا عند الله والله اعلم وقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
يقول اتنبئون او تخبرون الله بما لا يعلم اي اتعلمون انه عالم اي اتعلمون من تعلمون انه يعلم ما ذكرتم انتم لا
تعلمون ذلك حق تعلمون انه لو كان كذلك لكان هو اعلم به منكم والثاني ان تقولوا ما لا يعلم اي يعلم انه ليس كما تقولون
كقوله للملائكة اما الله كان ولد لاتبا لا يكون اي ما شا ان لا يكون لا يكون وقوله سبحانه كلمة جليلة جلال الله عما
يجعل عليه من الاشكال والاضداد ومن العيوب والافات وهو في هذا الموضع يتوجه الي وجهين احدهما انهم يعبدون ما ذكر
ويقولون هم شفعاونا عند الله فيقول سبحانه انه يجل لامثال ذلك شفاعة عنده اذ الشفيع انه يكون من له منزلة
وقدر عند من يشفع له والمنزلة تكون للعبيد بما يتعبدهم فيقومون بتوفير ما يحتمل وسعهم من العبادة فاما من لا يحتمل
التعبد فهو بعيد عما ذكر يعني سبحانه اي يجعل الشفاعة لمن ذكر من الانبيا والرسل وهم قد اجترؤوا انها لا تملك
ضرا ولا نفعا في الشفاعة ذلك والثاني ان يكون عما اشركوا في العبادة فسبحانه عن ان يكون له معبود او ند
لا حد جبان بجزو والله اعلم وقوله وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا اختلف فيه قال بعضهم قوله
ما كان الناس الا امة واحدة اي اهل مكة كانوا كلهم اهل شرك عباد الاصنام والاوثان لم يكن فيهم اليهودية ولا
النصرانية ولا شي من اختلاف المذاهب فلما بعث محمد صلي الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من امن به وصدقه واختلف فيه
ومنهم من عاند وكابر في تكذيبه بعد ان عرف انه رسوله ومنهم من شك فيه ومنهم من لم ينظر في امره قط ولا تفكر فيه فصاروا
اربع فرق وقال بعضهم قوله ما كان الناس الا امة واحدة بالفطرة اي كانوا جميعا علي الفطرة وفي فطرة كل احد
الشهادة علي وحدانية الله والوهيته كقوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقوله فطرة الله التي فطر الناس
عليها في خلقة كل احد الشهادة له بالوحدانية له والالوهية فاختلفوا فمنهم من كان علي تلك الفطرة ومنهم من كذب
واختار الكفر وهو ما روي كل مولود يولد علي الفطرة الا ان ابويه يهودانه وينصرانه اخرجاهم علي الفطرة لو تركوا علي
تلك لكن ابويه يغيرانه من الكون عليها وقيل ما كان الناس الا امة واحدة اي كان الخلائق جملة امم كقوله وما من
دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم كانه يعاتب هذه الامة يقول ان الامم مع اختلاف جواهرها
واجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له فانتم ايها الناس امة من تلك الامم فكيف اختلفتم واشركتم غيره في الوهيته
وربوبيته مع ما ركب فيكم من العقول والتمييز بين ما هو حكمة وبين ما هو سفه وقد فضلكم علي غيرها من الامم في
ان ما خلق في السموات وما في الارض لكم وسخر لكم ذلك كلما لم يفعل ذلك بغيرها من الامم ومنهم من قال من اهل التاويل
في قوله ما كان الناس الا امة واحدة من نوح ومن دخل معه في السفينة كانوا علي دين واحد فاختلفوا بعدما خرجوا
ومنهم من قال ادم فاختلفوا اولاده ومنهم من قال من ابراهيم لكنا لا نشهد كيف كان الامر فلا نعلم الا بخبر عن الله تعالي
وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قيل لولا ان من حكمه ان لا يعذب هذه الامة عند تكذيبهم
الايات اذا سالوها والا لاهلكهم كما اهلك الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السوال ولكن اخر تعذيب هذه الامة
الي يوم القيمة والثاني سبقت من ربك ان لا يعاجل هذه الامم عند تكذيبهم الرسل والعناد لهم احدا للاولين في ترك
استيصالهم والاخرين في تاخير العذاب عنهم الي وقت وقوله لقضي بينهم بيان المضطر منهم الي العقوبة وقوله ويقولون
لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله جوابه والله اعلم اذكر لولا كلمة سبقت من ربك ان لا يعذب هذه الامة
بتكذيبهم الايات عند سوالها لا لعذبتم انتم كما عذبت الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السوال وقوله فقل
انما الغيب لله اي انكم تعلمون ان علم الغيب لله وقد انزل من الايات ما يبين ويدل علي رسالتي وقوله فانتظروا
اني معكم من المنتظرين قيل انتظروا هلاكي اني منتظر هلاككم لانهم كانوا يوعدونه الهلاك وقيل انتظروا مواعيد
الشيطان اني منتظر مواعيد الله وهو حق وعيد والله اعلم وقوله واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرا مستهم

اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا وقيل اذقنا الناس يعني اهل مكة اذا اصابهم سعة وفرج ونجاة مما خافوا عادوا الي ما
كانوا من التكذيب وعبادة الاصنام وكان اهل مكة وغيرهم انهم اذا ابتلوا بما يبتليهم من الاصنام والاوثان فزعوا
الي الله ويخلصون له الدين كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقوله واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الاية وقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الاية ونحو ذلك من
الايات مما يكثر عددها كانت عادتهم الفزع الي الله عند اصابتهم الشدايد والبلايا لعلمهم ان الاصنام التي كانوا يعبدون
لا يدفعون عنهم ذلك وقوله اذا لهم مكر في اياتنا المكر في الايات تكذيبها وردها فيشبه ان يكون الاية فيهما جميعا
كان هو من اوله الي اخر الاية فكروا به الا هو انتقلوا عن من كقوله فما زال يكدهم الذين كفروا الاية ويحتمل سائر الايات
واي مكروه في الي كذبوها وردوها قل الله اسرع مكرا المكر الاخذ من حيث لا يعلم وهو يقول الله اسرع اخذا بالمكر
وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تاخذوا رسول الله وهو يعلم بذلك فهو اسرع اخذا لكم ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون انهم الحفظة ويحتمل قوله قل الله اسرع مكرا اي اسرع جزا المكر انتم او اسرع اخذا من حيث لا تعلمون
انتم وقال بعض اهل اللغة المكر بالايات هو الرد والجحود لها وقال بعضهم استهزاؤهم بها واحد والله اعلم وقوله
هو الذي يسيركم في البر والبحر اختلف فيه قال بعضهم قوله هو الذي يسيركم اي هو الذي سخر لكم ما به تسيرون في البر
والبحر وهو الدواب والسفن التي يقطع بها البراري والبحار وهو كقوله لتستووا علي ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر اي سخر لكم البر والبحر
وسهل لكم الخوف والهلاك اي حفظكم فيهما حتي قضيتم فيهما حوائجكم وليس في وسع الخلق حفظ البراري والبحار عما فيهما
من الاهوال فتولي الله بفضله حفظ البرين فيهما حتي قضوا فيهما حوائجهم وهو كقوله وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها الي اخر ما ذكر من انواع المنافع فلولا ان الله سخرهم ذلك وحفظهم فيه والا لم يكن لهم
القيام بذلك وحفظ انفسهم فيه من الاهوال التي فيه يذكرهم نعمه ومننه التي انعمها عليهم ليوجهوا شكر نعمه اليهم ثم قوله
يسيركم في البر والبحر يخلق ويمشي يسيركم في البر والبحر وهو كقوله وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي الاية والتقدير هو
التخليق والمقدر المخلوق ففيه دلالة خلق افعال الخلق لان السير هو فعل الخلق اضافه الي نفسه دل انه شي خلقهم
والله اعلم ويشبه ان يكون قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسه ولكنه اراد تذكير نعمه عليهم في كل حال
وكل وقت لينكروا النعم في كل حال وهو كقوله ظهر الفساد في البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسهما ولكن اراد المكان الذي
فيه المياه والمكان الذي لا مياه فيه اي ظهر الفساد في الاماكن كلها فعلي ذلك الاول يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم
في الاماكن كلها والاحوال جميعا والله اعلم وقوله حتي اذا كنتم في الفلك اي ركبتم الفلك وجرين بهم بريح طيبة
اي يجري بهم السفن بريح طيبة بخلاف السفن ليست تجري في البحار بجريان الما ان ما في الظاهر ولكن الريح هي
التي تجريها وتسيرها وكذلك الامواج التي تكون فيها ليست لشدة جريان الما لكن الريح هي التي تهيج الامواج وترفعها
لا بتقلبها ودفعها قيل فرحوا بها سروا بها ويحتمل فرحوا بها اي بطروا بها واشروا وقوله جاتها ريح عاصف
وجاءهم الموج من كل مكان اخبر ان من الريح ما هي طيبة تجري بها السفن ومنها ما هي عاصف قاصف تكسر وتغرق السفن
ذلك اهل العلم ان الاشيا تصلح تارة وتفسد تارة الا انفسها ولكن يحفظ احد وجهيها ولذلك كانت النار تحرق مرة
وتفسد ومرة تصلح ولكن تحفظ احد وجهيها وكذلك الما مرة يصلح ومرة يفسد وذلك اذا حفظ فيه احد وجهيه وان
لم يحفظ افسد والا لا يحتمل الشي الواحد لنفسه صلاح مرة ويفسد تارة ولكن يحفظ احد وجهيه والله اعلم وقوله وظنوا
انهم احيط بهم قيل ايقنوا انهم مهلكون ولكن لا ايقان بالشي الذي يصيبهم في حوادث الاوقات انما يكون بالخبر
لانه لا يدري لعل يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان ولكن جعل غالب الظن فيه في كثير من الاشيا كالايقان به
الا تري ان الله اباح الميتة في حال الضرورة لغالب الظن اذ قد يحتمل انه لا يهلك بذلك وكذلك ابيح الكفر بالعقل
في جريه كلمة الكفر علي لسانه لغالب الظن والا ليس يعلم بالاحاطة انه يقتل لا محالة لكن جعل لغالب الظن في بعض

المواضع كلهم اليقين والاحاطة فيه ذلك قولهم ايقنوا انهم احيط بهم لغلبة الظن وقوله دعوا الله مخلصين له الدين
انهم لما يئسوا عن الاصنام التي عبدوها في دفع ما حل بهم عنهم فزعوا الى الله واخلصوا الدعا له وقالوا لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين ثم اخبر عن سفههم بعودهم الى ما كانوا من قبل فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وهكذا كانت
عادتهم كانوا يفزعون الى الله عند خوف الهلاك والاياس عن الاصنام التي عبدوها ويخلصون الدعا له في ذلك فاذا كشف ذلك
الكرب عنهم ودفع عادوا الى ما كانوا من قبل والبغي في الارض هو الفساد فيها وقوله انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة
الدنيا يحتمل قوله على انفسكم اي بعضكم على بعض ويحتمل على انفسكم اي حاصل بغيكم يرجع على انفسكم والبغي هو الظلم فان كان
التاويل من قوله انما بغيكم على انفسكم اي حاصل بغيكم يرجع على انفسكم في العاقبة فيكون الوعيد لهم في ذلك بعينه وان كان
التاويل من انفسكم بعضكم على بعض فيكون الوعيد في قوله ثم الينا مرجعكم وقوله ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم
تعملون هذا فيما ذكرنا هو حرف وعيد والله اعلم وقوله انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما فاختلط به
نبات الارض الاية قيل فيه ضرب مثل الحيوة الدنيا بالزرع الذي ذكر بوجوه قال بعضهم قوله انما مثل الحيوة الدنيا
في سرعة فنائها وانقطاعها ووحشتها واهلها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله عن صاحبه
او ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا فيما يسر ويبتهج مثل صاحب الزرع الذي ذكر فيما يسر به وابتهج ثم كان ما ذكر
كان لم تغن بالامس وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا للحيوة الدنيا فيما ينفقون فيها مثل صاحب الزرع الذي ذكر
ينفق عليه لما يامل من المنافع ويطمع منه ثم كان ما ذكر ولو علم في الابتدا ان امر زرعه يؤول ويصير الى ما صار اليه لان لا
ينفق فيه فكذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبة امر نفقته تصير حسرة عليه وندامة ما انفق كما ان صاحب الزرع
الذي ذكر لو بلغ المبلغ الذي ذكر لو علم ان عاقبته كما كان ما انفق عليه او لو علم انه لا ينتفع به ما انفق تلك النفقة
اي لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا يدوم الى اخر ما تكلف لذلك او لو علم انها تزول عنه وتنقطع عن تلك
السرعة ما انفق ذلك وما تكلف الذي تكلف ويحتمل ضرب مثل الحيوة الدنيا بما ذكر من النبات وجهين احدهما يخبر
عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي ذكر انه يسارع الى الزوال والانقطاع لما يصيبه من الافة فعلى
ذلك الدنيا والثاني يخبر عن تغيرها وانقلاب امرها كالنبات الذي يتغير في ادنى علة ووقت وقوله
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت قيل حسنها وازينت وحسنت فانبتت من الوان النبات وقال
ابو عوسجة زخرفها زينتها من النبت وحصيدا اي محصودا كالحصيد الحصاد والحصاد الزرع كان لم تغن اي لم
تعش والمغاني هي المواضع التي يعيش فيها الناس قال وواحد المغاني مغنى وقال القتبي واصل الزخرف
الذهب ثم قيل للنقش والذهب ولكل شي مزين مزخرف وقال كان لم تغن بالامس والمغاني المنازل واحدها مغنى
وقال بعضهم كان لم تغن بالامس اي كان لم تنعم ولم تعمر وقال بعضهم هو من الغنى اي كان لم تكن غنيا بالامس والله
اعلم وقوله وظن اهلها انهم قادرون عليها اي ظن اهل الدنيا فيما ينفقون انهم قادرون على تلك النفقة كما
ظن صاحب الزرع انه قادر على ذلك الزرع وقوله اتاها امرنا قيل عذابنا سمي امرا لانه بامره اتاه وفيه انه لم ياته عن
غفلة وسهو ولكن عن علم وامر عظة لهم وتنبيها الا ترى انه قال كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون كان الايات في
هذا الموضع المواعظ انه فيما ذكر من ضرب مثل الحيوة الدنيا بالنبات والزرع الذي ذكر عظة وتنبيه لمن تفكر فيه
والله اعلم وقوله والله يدعوا الى دار السلام اختلف فيه قيل الجنة والسلام اسم الله اضافها الى نفسه كقوله وان
المساجد لله فاضاف الجنة الى السلام ان كان دار السلام هي الجنة فهو لعظم امرها لان الله قد سمى الجنة في غير
هذه القرب والجنة هي محل اللذة وقضا الشهوة فاضافها الى السلام لما يسلم اهلها من جميع الافات والمساجد
خصت بالاضافة الى الله تعالى لانه انما يتقام فيها القرب وقال بعضهم دار السلام الاسلام ثم يحتمل كل واحد
من ذلك وجهين احدهما كالاسلام دار السلام والجنة كذلك سمي الاسلام دار السلام لانه يامن ويسلم كل من دخل
فيه من جميع الاهوال والافات التي تكون والثاني سمي السلام الدار الاسلام اضاف الى نفسه كقوله افمن شرح الله

صدره للاسلام الاية اجابه على نور من ربه فعلى ذلك اضاف الاسلام اليه ومن قال دار السلام الجنة سمى دار السلام لان
كل من دخل الجنة سلم وامن عن الاهوال كلها والافات جميعا والثاني دار الجنة والسلام اسم اضاف اليه لانها دار اوليائه
وقد تضاف الى الله على ارادة اوليائه ورسله وروي في بعض الاخبار عن ابي قلابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
قيل لي لتنم عينك وليعقل قلبك ولتسمع اذنك فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت اذني ثم قيل لي سيد بنى دارا وجعل
مادبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار
ولم ياكل من المادبة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمادبة الجنة والداعي محمد ان ثبت هذا الخبر
ففيه ان الدار الاسلام على ما قاله بعض اهل التاويل وفي خبر اخر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فقال رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي قال احدهما لصاحبه اضرب له
مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم
جعل فيها مادبة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام
والبيت الجنة وانت يا محمد رسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها فهذا
يدل ايضا انه ثبت ان الدار التي ذكر في الاية هو الاسلام والله اعلم وقوله والله يدعوا الى دار السلام الاية
ذكر الاستثنا في الهداية ولم يذكر في الدعا ليعلم ان الكل من يدعو الى دار السلام يهديه وانما يهدي من يعلم منه اختيار
الهدى والله على المقدر به ثم الهدى على وجوه ثلثة احدها الدعا كقوله ولكل قوم هاد والثاني هو البيان كقوله
هدى ورحمة يعني القران والثالث التوفيق والعصمة اذا وفق اهتدى والهدى هنا التوفيق وقوله
للذين احسنوا الحسنى وزيادة اختلف فيه قال بعضهم للذين احسنوا في الدنيا لهم الحسنى في الاخرة جزا فكان
وهي الجنة سمي الجنة الحسنى لانه جزا الاحسان كما سمي النار السوى كقوله اساوا السوى لانه جزا السو كقوله
هل جزا الاحسان الا الاحسان وزيادة قيل المحبة في قلوب العباد ويحبه كل خلق وهيبته له في قلوب الناس
يهابه كل احد على غير سلطان الحول بيده وقال قايلون قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي مثل تلك الحسنى وزيادة
التضعيف حتى يكون عشر امثالها والله يدل على ذلك قوله والذين كسبوا السيئات جزا سيئة بمثلها وقال
قايلون الزيادة الرؤية رؤية الرب والنظر كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال قايلون
الزيادة هو قوله حسنة تتبع ما يتلو الخلط بالسيئات ليقبل حسناته بفضله وان كانت تكون السيئات قد فاته
منه وذلك طريقة الفضل والاحسان اذ قد سبق من الله تعالى اليه النعم ما لا يقدم القيام على وفا شكرها
طول عمره وقيل في الزيادة ما روي في الخبر ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب فلا ندري ما الزيادة التي
ذكرها وجملته الاية الا بالخبر ان الله تعالى قايلون الحسنى ما يقدر العقول وتدركه وتصورها الاوهام
واما الزيادة هي التي لا تقدرها العقول ولا تدركها ولا تتصورها الاوهام كقوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قيل لا يغشى وجوههم
الغبار والرهج على ما وصف وجوه اهل النار هو قوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة واخبر على ما وصف
وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك والله اعلم انا راينا انهم التي احسنوا الى
الدنيا ولما لم يروا النعم التي كانت لهم من سواه ولم يصرفوا شكرها الى غيره والغبرة والقترة التي ذكر لاهل
النار هي اثار السيئات التي عملوها في الدنيا من عبادتهم غير الله وصرفهم شكر النعم الى غيره ونحو ذلك من صنيعهم
الذي صنعوا في الدنيا والله اعلم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقوله والذين كسبوا السيئات جزا
سيئة بمثلها جزا سيئة بما يوجب الحكمة ان يجزى بمثلها واما جزا الاحسان وما الخير طريق وجوبه الافضال والاحسان
ليس طريق وجوبه الحكمة اذ سبق من الله الى كل احد من النعم ما ليس في وسعه القيام بمكافاة واحدة من عمره
وانخلاء واجتهد كل جهده فضلا ان يستوجب قبل جزا ما كان منه من الخيرات وقوله وترهقهم ذلة ما لهم من الله

ذكرنا من اثار السيات التي عملوها في الدنيا ذلك هو الظلم ما لهم من الله من عاصم وذلك انهم والله اعلم كانوا يعبدون الاصنام
رجاء ان يكونوا شفعا لهم عند الله فاخبر انه ليس لهم من عذاب الله عاصم يمنع ذلك عنهم كقولهم هولا شفعاونا عند الله وقوله
كانما اغشيت وجوههم قيل البست واعطيت قطعا شتى الاه بخفض قطعا قيل القطع بالتثقيل هو جمع القطعة والقطع
بالتخفيف جزو من الليل يقال سرنا بقطع من الليل اي بجزو من الليل وقوله فاسر باهلك بقطع من الليل اي بجزو منه
والله اعلم ثم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد الوجوه في الدنيا لذلك والله اعلم ان
سواد الوجوه على ما يكون في الدنيا لا يبلغ من القبح غايته اذ قد يرغب من كان جنسه ونوعه في ذلك ويحبون ذلك منه
فاذا كانت الرغبة قد تقع لبعضهم في بعض لم يبلغ في القبح نهايته واما ظلمة الليل فان الطباع تنفر عنها ولا تقع الرغبة
فيها بحال لذلك شبهوا واصحاب النار بها والله اعلم ويوم نحشرهم جميعا قال اهل التاويل يعني العابد والمعبود الذي
عبدوا دونه ولكن نحشر الخلايق جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاوكم وقوله مكانكم انتم وشركاوكم
هذا الحرف هو حرف وعيد يقال مكانك انت كذا وان كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل في الكرامات وبر بعضهم بعضا ولكن
انما يعرف ذا من فا بالمنزعات فما تقدم منه يدل انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به الوعيد والله اعلم وقوله فزيلنا
بينهم قيل فرقنا بينهم وميزنا بينهم اي بين العابد والمعبود ثم يحتمل التزييل بينهم وجوها احدها فرقنا بينهم
في الخطاب بما عمل وما صحب والثاني يحتمل فرقنا بينهم لما طمعوا بعبادتهم اياها والشفاعة ان يكونوا لهم شفعا عند الله
ففرق بينهم في الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم فيما صنعوا عنهم ما كانوا يفترون فصارت عبدة الاصنام وهم في النار وقوله
وقال شركاوهم يحتمل قوله شركاوهم سماهم شركاه وان لم يكونوا في الحقيقة شركا لما عندهم انهم شركا كما سمي
الاصنام الهة لما عندهم انها الهة والثاني شركاوهم لما اشركوهم في العبادة فهم شركاوهم والله اعلم وقوله
وقال شركاوهم ما كنتم ايانا تعبدون ينطق الله عز وجل من الاصنام يوم القيمة وان لم يكن في خلقتها النطق
في الدنيا كقوله يومئذ تحدث اخبارها وقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية انطقهم ليشهدوا
عليهم وقوله ما كنتم ايانا تعبدون يحتمل الملائكة ان يكونوا هم الذين انكروا الا ان منهم من يعبد الملائكة انكروا
ان يكونوا اعبدوهم لان العبادة انما تكون عبادة اذا كان من المعبود امر بها وكانت عبادتهم الاصنام
عبادة الشيطان لانه هو الامر لهم بالعبادة للاصنام كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد بقصد
عبادة الشيطان لكنه لما كان الامر لهم بالعبادة للاصنام صار كانهم عبدوه وان لم يقصدوه بها ويحتمل ما ذكر من
الانكار من الاصنام وقوله فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى القاضي والحاكم بيننا وبينكم انا لم نامركم
بعبادتنا وهو العالم بانا كنا عن عبادتكم ايانا لغافلين وقوله هنالك تبلو كل نفس قيل عند ذلك وقيل هو يعد
الى يوم القيمة وقوله تبلوا وتتلوا بالباء والتاء قيل تقرا في الصحف ما كتب من اعمالهم وتبلوا بالباء من الابتلاء يقال
بلوته وابتليته واحد وجزيته واختبرته ايضا وقيل تبلوا تجد وتعلم كل نفس ما قدمت من الاعمال وقيل تجزى كل
نفس بما عملت وقيل تتلوا بالتاء ايضا تتبع كل نفس ما قدمت من الاعمال والله اعلم وقوله وردوا الى الله مولاهم
الحق قيل ملكهم الحق لان غيره من الالهة التي عبدوها قد بطل عنهم وضل في الاخرة ويحتمل وردوا الى الله مولاهم
الحق اي وجد ما تجد كل نفس ما قدمت من اعمالها اوحق ان تقرا كل نفس ما عملت وضل عنهم ما كانوا يفترون من
العبادة للاصنام وقولهم الكفر وقوله وردوا الى الله مولاهم الحق يحتمل وجهين احدهما ردوا الى ما اعد لهم مولاهم
الحق والثاني اي ردوا الى امر مولاهم الحق لا الى امر الاصنام التي كانوا يعبدونها وقوله قل من يرزقكم من
السما والارض امن يملك السمع والابصار الاية يحاجهم يعني اهل مكة في التوحيد والربوبية وكان هذه السورة
نزلت في محاجة اهل مكة في التوحيد لانها مكية وقوله قل من يرزقكم من السما والارض يحتمل وجهين اي من
ينزل لكم الرزق من السما ومن يستخرج لكم الرزق من الارض والثاني من يرزقكم من السما والارض اي من
يدبر الرزق في السما ومن يدبر الرزق في الارض لا احد يملك استنزال الرزق من السما واستخراج الرزق منها

الارض وكذلك لا احد يملك تدبيره في السما والارض سواه ولا احد يملك السمع والبصر ولا احد ايضا يملك اخراج الحي
من الميت ولا اخراج الميت من الحي ولا تدبير الامر لا يعرفون حقيقة ما به السمع والبصر ولا كيفيتهما فكيف يملكون ان
السمع والبصر ونفعهما ولا يملك احد سواه اصلاح ما ذكر اذ انكر ذلك فاقروا له انه لا يملكه احد سوى الله ذلك وهو
قولهم فسيقولون الله فقل افلا تتقون يقول والله اعلم اذا عرفتم واقررتم انه لا يملك ما ذكر سواه وعرفتم ان له الدلالة
والقدرة على ذلك افلا تتقون بوايقه ونقمته او يقول افلا تتقون صرف شكر الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم
من النعم لا من تعبدون دونه او يقول والله اعلم اذا عرفتم ذلك افلا تتقون مخالفته وعصيانه فذلكم الله الذي
يملك تدبير ما بين السما والارض هو الذي له السموات والارض وهو الذي يستحق العبادة والقيام بشكره فاذا اجتمعوا
ذلك جمعهم على اسم الضلال فذلك قوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق اي ذلكم الذي ذكر
بكم بالحجج والبراهين فماذا بعد الحق الذي هو حق بالحجج والبراهين الا الضلال لانه ما لا حجة له ولا برهان فهو ضلال
وقوله فانى تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره او في اي تصرفون عن شكر المنعم الى شكر غير المنعم او يقول ففي تعطون من لا
يملك ما ذكر من يملك والله اعلم وقوله كذلك حقت كلمة ربك حقت وجبت وقيل كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
بالفسق انهم لا يومنون اي لا ينتفعون بايمانهم بعد ذلك وقوله كلمة ربك يحتمل وجهين يحتمل كلمة ربك هو اعيد ربك على
الذين فسقوا انهم لا يومنون فان كان على هذا التاويل في قوم علم الله انهم لا يومنون ويحتمل كلمة ربك حجج ربك وبراهينه
على الذين فسقوا وقوله قل هل من شركايكم من يبدوا الخلق ثم يعيده قال بعض اهل التاويل ثم يعيده البعث بعد
الموت اي لا احد من شركايكم الذين تعبدون يملك بدا الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل البعث
لانهم كانوا لا يقرون بالبعث فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك ولكن قوله ثم يعيده ما سوى البشر لانهم انما ينكرون اعادة
البشر فاما اعادة غيرهم من الاشيا لا ينكرونه نحو اعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات ونحو الاشيا التي ينشا ثم
اي ثم يعيد مثل الليل ليلا مثله والنهار نهارا مثله وكذلك الخلايق يعني ثم يعيد مثله فاذا ثبت في غير البشر ثبت في البشر
ويحتمل الامرين جميعا عندنا البعث واثبات مثله لانه تعليم منه لهم الا ترى انه قال قل الله يبدوا الخلق ثم يعيده
فانى تو فكون قيل تكذبون بتوحيد الله وقد عرفتم انه هو بدا الخلق ثم هو يعيده لا احد يملك ذلك الا ترى انه احتج به
عليهم ما يلزمهم فذلك بقوله كيف يكفرون بالله الاية وقوله قل هل من شركايكم من يهدي الى الحق يحتمل قوله يهدي
الى الحق يدعوا الى الحق فاذا كان هولا الاصنام التي تعبدونها لا يملكون الدعا الى شي فلا يملكون الضر والنفع
ومن الخلايق من له يملك النفع والضر ويملك الدعا الى خير او نفع فهولا دون الخلايق جميعا اذ لا يملكون الدعا فكيف
يملكون النفع والضر بين عز وجل سفههم بعبادتهم هولا الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ويحتمل قوله
من يهدي الى الحق اي يبين ويقيم الدلايل والبراهين على استحقاق العبادة لهم فاذا لم يكونوا الدعا الى العبادة
لهم فكيف يملكون نصب الدلايل والحجج على استحقاق العبادة قل الله يهدي للحق اخبر ان الله هو الذي يهدي للحق
ثم يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا هو يملك الدعا الى الحق ويقيم الدلايل والحجج على دعا اليه وهو يستحق العبادة له والكرو
افمن يهدي الى الحق الذي يبين البراهين والحجج احق ان يتبع امن لا يهدي اي لا يبين ولا يدعو الا ان يهدى
فان قيل ما معنى الاستثنا ديه وان هو كي لا يهتدي قيل يشبه ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا
تعبدون ينطقهم الله عز وجل يوم القيمة فيشهدون عليهم انهم لم يامروهم بالعبادة لهم ولا دعوهم لا شركهم في الوجه
يكون قوله الا ان يهدى لما انه يجعلهم بحيث يهتدون اذا هدوا ويجيبون اذا دعوا فانكم كيف تحكمون بالجهد
وصرف العبادة والشكر الى من لا يملك ذلك وقوله امن لا يهدي الا ان يهدى قال بعضهم الا ان يهدى لا يحتمل
الصنم والوثن الاهتدا وان هدي ولكن المراد منه الاثن وقال بعضهم الا انه يهدي الا انه يحمل الصنم ويوضع
فاما ان يهتدي هو بنفسه فلا لكن يحتمل ما ذكرنا انه اذا اصرهم بحيث يتكلم ومن حيث ما ينطق وان له في النطق احتمل
الاجابة والاهتدا والله اعلم وقوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا قال بعضهم هذا في الاتباع والروسا منهم حيث عبدوا

الاصنام والاوثان وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك من القول
يتعلق بما يتبع اكثرهم في عبادتهم الاصنام بانهم يكونون لهم شفعاء عند الله الا ظنا ظنوه وقال بعضهم هذا في الاتباع
والعوام ليس في الائمة وذلك ان الائمة قد عرفوا البراهين والحجج التي قامت عليهم والايات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكن ما قالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا افك مفترى وان هذا الا اختلاق ونحو ذلك من الكلام اراد والله
ليلبسوا على العوام ويشبهوا عليهم فاتبع العوام الائمة فيما قالوا انه كذا وانه كذا وصدقوهم بذلك وما يتبع اكثرهم الا ظنا
في تلك الاظنان ظنوا او يشبه ان يكون قوله وما يتبع اكثرهم يعني اهل مكة اي ما يتبع اكثر اهل مكة الاوائل الاسلاف في عبادة
الاصنام والاوثان الا ظنا لانهم عبدوا الاصنام ويقولون انا وجدنا اباءنا على امة الاية وآباؤنا كذلك يفعلون ثم
ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي الظن لا يدرك به الحق انما يدرك الحق باليقين ان الله عليم بما يفعلون وهو حرف
وعيد ليكونوا ابدا على حذر وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله قال بعضهم هو صلة قوله قال الذين
لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله فيقول وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله كقوله قل ما يكون لي
ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحى الي وقال بعضهم ان كفار قريش قالوا ان محمدا افترى هذا
القرآن من عند نفسه وتقوله من نفسه فقال ما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ان يضاف الى غيره او يختلق
ولكن تصديق الذي بين يديه اي يصدق هذا القرآن الكتب التي كانت من قبله ولو كان محمد هو الذي افتراه واختلقه
من عند نفسه لكان خرج هو وسائر الكتب المتقدمة مختلفا اذ لم يجد سائر الكتب المتقدمة اذ كانت بغير لسانه
[illegible] ثم خرج هو على القرآن مصدقا وموافقا لتلك الكتب دل انه من عند الله
جاء كقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وقوله ما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله
يخرج على وجهين احدهما ما كان هذا القرآن بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طوق البشر ووسعهم فذلك
لذلك بالذي يحتمل كونه مفترى بجوهره والثاني لما اودع فيه من الحكمة والصدق بين دل كونه من عند الله اذ
كلام من يحتمل السفه والكذب يحتمل الاختلاف وتفصيل الكتاب لا ريب فيه قيل فيه بيان الكتب التي نزلت قبله
وتمام هذا ان كان في اللفظ مختلفا لكونه في الحكمة والصدق بين موافق للاول وقيل وتفصيل الكتب بما
كتب لهم وما عليهم او ان يقال الى الله تفصيل الكتاب ليس الى الله لا ريب فيه انه من عند رب العالمين او ينزل مفصلا
من اللوح المحفوظ وقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله يقول ان كان محمد افتراه من عند نفسه
فاتوا انتم بسورة مثله اذ لسانه ولسانكم واحد فانتم قد عرفتم بالغربة والكذب ومحمد لم يعرف به قط ولا احد عليه
بكذب قط فانتم اولى ان تاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين اختلف فيه قال
بعضهم ادعوا الهتكم التي تعبدونها ليعينوكم على اتيان مثله وقال بعضهم ادعوا من استطعتم اي من انه
مثل لكم ليعينوكم على ذلك ويقولون استعينوا بدراسة الكتب ليعينوكم على مثله ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه
من نفسه فلما تركوا اشتغالهم به دل على انهم قد عرفوا انه ليس بمفترى وانه سماوي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه قال بعضهم ما لم يحفظوا لفظه ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبروا ليعلموا معناه بل كذبوه بالبديهة والذي
انما يعرف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر والتدبر لا بالبديهة فذلك والله اعلم تاويل قوله بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه اي كذبوا على علم منهم انهم كذبة فيما يقولون ويقولون انه مفترى ليس بمنزل ولما ياتهم تاويله
او ولما ياتهم العلم بتاويله اي بتاويل القرآن ومعناه والله اعلم انهم كذبوه من غير ان حفظوا لفظه ووعوا النظم
ولا اتاهم العلم بما فيه واحتج وقيل الثاني قيل يعود كل شيء الى اوليته الامر وقالت [illegible] وقيل اخر كل
فعل هو قصده في اوله وقصد كل شيء في اوله هو اخره فعلا او تحقيقا وقال بعضهم ولما ياتهم تاويله ما وعدهم الله
ان يكون قبل ان يكون وقال ابن عباس تاويل القرآن ما يكون منه في الدنيا وما يكون منه يوم القيمة ومن
العذاب الذي وعد وقال بعضهم تاويله ثوابه وقيل عاقبته وقال الواقدي انه لم ياتهم عاقبة بيان ما وعد الله

في القرآن في الاخرة من الوعيد واصل التاويل هو النظر الى ما يؤول عاقبة الامر وقوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي كذلك
كذب الامم الخالية رسلهم كما كذب كفار مكة رسولهم اي لست انت باول مكذب بل كذب من كان قبلك من اخوانك ليكون له
التسلي عما هو فيه من تكذيبهم اياه وهو وعيد في انه ينزل بهم ما نزل بالمكذبين اذ قاموا على ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب
وان كان ظاهره للرسول صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى قومه يامرهم بالنظر فيما نزل بالامم الخالية وان يتاملوا احوالهم
ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه وقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين للتكذيب اي كيف يعاقبون ويعذبون
وللاية وقوله ومنهم من يؤمن به قيل هذا في اهل مكة ومنهم من لا يؤمن به اي من لم يؤمن به ويحتمل على الوعد فيما يستقبل اي منهم
من اهل مكة من يؤمن بهذا القرآن ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد امن به ومنهم من لم يؤمن به وقال بعضهم
هي في اليهود ليست في اهل مكة وظاهره انه يكون في كفار مكة وعلى ذلك تولى عامة اهل التاويل كانه هذا يخرج على البشارة
انهم منهم من يؤمن به لئلا يقطع ويمنع دعاءهم واخبر ان منهم من لا يؤمن به ليؤيسه حتى لا يشتد حزنه على كفرهم وجائز ان يكون فيه
اي منهم من قد يولد من بعد ويؤمن ومنهم من يولد فلا يؤمن وقوله وربك اعلم بالمفسدين فيه ان يكون معناه اي على
علم بما يكون منهم من الفساد خلقهم وانشاهم وليس عن غفلة وجهل بالفساد ولكن عن علم بذلك لما لا يضره فساد ولا ينفعه
صلاح مصلح انما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون على الوعيد اي عالم بفسادهم فيجزيهم جزاء فسادهم
واساءتهم وقوله وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم تاويله والله اعلم اي ان كذبت فيما اخبرتكم انه جاء من عند الله فعلي
اي فعلي عملي فيما ابلغتكم اي فعلي وزر عملي ولكم عملكم اي فعليكم جرم ما رددتم علي فيما بلغتكم من الله وهو كقوله ام يقولون
افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اي علي جرم ما افتريت ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم ويحتمل
ما قال اهل التاويل لي عملي اي لي ديني ولكم عملكم اي لكم دينكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تاويله والله اعلم
اي انا لا اوافقكم بما دنتم انتم ولا انتم توافقونني بما دنت انا وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية
وكقوله وان تولوا فانما عليه ما حمل الاية وما على الرسول الا البلاغ الاية وكقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية وقوله
ومنهم من يستمعون اليك اخبر ان منهم من يستمع اليه يعني الى رسول الله والى ما يتلو من القرآن لكنه لا يؤمن اخبر انه لا كل مستمع
الى شيء ينتفع بما يستمع او يعقل ما يستمع ويفهم انما ينتفع بالاستماع ويعقل على قدر المقصود لما جاء اليه ومنهم كانوا
يستمعون لما امروا يستمعون لقبول القول منهم والمتابعة ومنهم من كان يستمع اليه ليسمع غيره كقوله سماعون للكذب
سماعون لقوم اخرين ومنهم من كان يسمع ويطيع في ذلك فاذا خرج من عنده غيره وبدله كقوله ويقولون طاعة
فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء به وطلبا للطعن فيه والعيب
كانوا مختلفين في الاستماع ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باسماعهم وعقولهم
وابصارهم وهذه الحواس انتفاع من ليست له هذه الحواس نفى عنهم ذلك اذ هذه الحواس انما جعلت لينتفع بها الا ترى
سدى لا ينتفع بها والثاني كان العقل والسمع والبصر ومنه يكون به مكتسب بالاكتساب ومنه ما يكون غريزة فهم تركوا
اكتساب الفعل الذي جعل مكتسبا فنفي عنهم لما تركوا الاكتساب ذلك يحتمل نفي هذه الحواس لسبب الوجهين اللذين ذكرتهما
والله اعلم ثم نفى عمن لا يسمع العقل حيث قال لا يعقلون ونفى عنهم الاهتداء بالابصار بترك النظر فقال افانت
تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون لانه كان بالبصر يوصل الى اهتداء الطرق والسلوك فيها الا ترى ان البهائم قد تبصر الطرق
وتسلك بها وتنجي بها المهالك ولا تعقل لما ليس لها سمع العقل فلا تعقل لما يسمع القلب يعقل وبظاهر البصر تبصر
الاشياء وقوله ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون يحتمل ان ما حل بهم وليس من عذاب استهلاك
وعقوبة بما فعل بهم فلم يظلمهم لانه يظلم من الله تعالى وقوله ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم
يتعارفون بينهم اذا خرجوا من قبورهم وقال بعضهم من اهل التاويل كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في الدنيا
والاصل كانهم استقلوا طول مقامهم في الدنيا وما انفقوا انهم لما عاينوا من اهوال ذلك اليوم وشدائده او استقلوا
لبثهم ومقامهم لطول مقامهم في الاخرة في العذاب واستقلوا فيه وجهان وهو انه يذكر من شدة هولهم

وغاية جهلهم ان ما يعدهم من الحشر والعذاب الابد كانهم لا يلبثون في الا ساعة من النهار حتى لا يبالون ما يلحقهم من ذلك
وما يستوجبون به من العذاب بما اكتسابهم تلك الاسباب وقوله يتعارفون بينهم اي يعرف بعضهم بعضا على قدر ما
يلعن بعضهم بعضا كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلى قدر ما يتبرأ بعضهم من بعض ثم يفرق بينهم كقوله فزيلنا بينهم اي
فرقنا بينهم وقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي خسروا انما وعدوا في الاخرة من النعيم الدايم بتركهم اياها
اذ قد اعطوا اياها يكتسبون بها في الاخرة فاكتسبوا ما به خسروا ذلك وهو كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على الكسب
ما به يستوجبون النار والثاني خسروا وقوله عز وجل واما نرينك بعض الذي نعدهم او
نتوفينك اما حرف شك وكذلك حرف او اي يكون تاويله والله اعلم على حذف اما واضمار حرف ان كانه يقول ان اريناك
اما نرينك بعض ما نعدهم لا كل ما نعدهم او نتوفينك ولا نرينك شيا او ان يكون قوله ان نرينك بعض ما نعدهم
اي لنرينك بعض ما نعدهم وهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا فعلى هذا التاويل يريه لبعض ما يعدهم ولا يريهم
كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول ان اراه انما يريه بعض ذلك ولا يريه شيا فان قيل حرف اما حرف شك وكذلك
حرف او كيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما كان ويكون وانما يستقيم اضافته الى من يجهل العواقب قيل
جميع حروف الشك الذي اضيف الى الله هو على اليقين والوجوب نحو حرف عسى ولعل ونحو ذلك فعلى ذلك حرف اما
واو وهو لم يزل عالما بما كان ويكون في اوقاته واما حرف الاستفهام والشك يخرج على الايجاب والالزام على ما ذكرنا
في حرف التشبيه او ان يكون رسول الله وعدهم ان يريهم شيا فقال عند ذلك اما نرينك بعض ما نعدهم او نتوفينك
فلا نرينك شيا كانه يقول ليس لك ما وعدتهم انما ذلك الينا كقوله ليس لك من الامر شيء وقوله فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا يحتمل ثم الله شهيد يوم القيمة على ما فعلوا من التكذيب بالايات وردها وهو كقوله
قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران الاية ويحتمل انه عالم بما يفعلون لا يغيب عنه شيء وهو وعيد
كقوله والله بصير بما تعملون وهو بكل شيء عليم ونحوه والله اعلم وقوله ولكل امة رسول اي لكل امة فيما خلا
رسول بعث اليهم لست انا اول رسول بعثت اليكم كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط اي يقضي بين الرسل وبين
الامم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة اليهم والدعا الى دين الله ومن الامم من التكذيب لهم والرد
للايات فقضي بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص ويحتمل قوله قضي بينهم اي يهلك المكذبون
منهم وينجي الرسل ومن صدق منهم كقوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا الاية ويجوز ان يقضي بين المؤمنين
وبين المجيبين والمطيعين يوم القيمة وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وذلك انه لما اوعدهم
العذاب حين قالوا اما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب فقالوا متى هذا العذاب الذي توعدنا هذا
يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب نازل بنا في الدنيا وهو على التاويل الثاني الذي ذكرنا لنرينك بعض ما
وعدناهم فقال قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا املك ايضا جر منفعة اليها يقول لا اقدر على ان ادفع عن
نفسي سوا حية نزلت بي ولا املك على ان اسوق اليها خيرا البتة فاذا لم املكه هذا كيف املك انزال العذاب
عليكم انما ذلك الى الله هو المالك على والقادر على ذلك لا يقدر احد ذلك سواه وذلك كقوله قل انما انا بشر مثلكم
وقوله قل لا املك لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي اذا جاء اجلهم لا يقدرون
على تاخيره ولا يستقدمون اي لا يقدرون على تقديمه ليس على انهم لا يطلبون تاخيره ولا تقديمه قبل العين ذلك
ولكن لا يوخر اذا جاء ولا يقدم قبل اجله وفيه دلالة ان لا يهلك احد قبل انقضاء اجله فهو رد على المعتزلة حيث
قالوا من قتل اخر فانما قتل قبل اجله والله يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدمون
والله الموفق وقوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون يقول والله اعلم اي
منفعة لكم ان اتاكم عذابه لا منفعة لكم في ذلك بل فيه ضرركم فاستعجالكم ما لا منفعة فيه سفه وجهل لبعضهم في سوالهم

العذاب

العذاب وجزئيه قوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ان عذاب الله اذا نزل وجاء وقته لا يملك احد تقديمه ولا تاخيره
ولا يملك احد استقدامه ولا استيخاره لا القدرة والمنزلة لا كما يملك في الدنيا التقديم والتاخير بالشفاعة والفدا وذكر
عجزه في انزال العذاب عليهم في قوله قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا وقوله اثم اذا ما وقع امنتم به الان قيل اي العذاب
اذا نزل بكم امنتم به الان يخبر عنهم انهم اذا نزل بهم العذاب يؤمنون به ثم قيل قوله امنتم به اي بالله وبرسوله كقوله فلما
راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ثم اخبر انه لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب وهو كقوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل قوله امنتم به الان اي العذاب
لانهم يكذبون رسول الله في ما يوعدهم العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيبا فاذا نزل بهم امنوا اي صدقوا
بذلك العذاب يقول امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون استهزاء وتكذيبا انه غير نازل بكم والله اعلم وقوله ثم قيل
للذين ظلموا قيل اشركوا في الوهيته وربوبيته وعبادته غيره ذوقوا عذاب الخلد لانهم خلدوا من نيتهم ذلك ما عبدوا
دخلوا النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اي لا تجزون الا بما كنتم كسبتم في الدنيا وقوله ويستنبئونك اي
يستخبرونك احق هو يحتمل هذا وجهين يحتمل قوله احق هو العذاب الذي كان يوعدهم انه ينزل بهم على ما قال عامة اهل
التاويل فقال قل اي وربي انه لحق اي قل نعم وربي انه لحق انه نازل بكم وما انتم بمعجزين اي بفايتين عنه ولا تعجز
له ويحتمل قوله احق هو ما يدعوهم اليه من التوحيد كقوم ابراهيم اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن الاية فعلى ذلك قولهم احق هو انه حق بقوله قل اي وربي انه لحق وما انتم
بمعجزين عليه فايتين عنه ويحتمل الايات وهذا او القران احق هو قل اي وربي قل نعم انه لحق كقوله ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اخبر انما يامرهم به ويدعوهم اليه ليس
بهزؤ ولا لعب ولكنه حق امر الله تعالى فعلى ذلك قوله احق هو وقوله ويستنبئونك احق هو هذا الحرف يحتمل
ان يكون من ان كان في ذلك طلبوا منه انه حق ليعلموا ومن المعاندين استعجال العذاب الذي كان يوعدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتكذيبا له ومن المتبعين له والمطيعين التصديق له والايمان به كقوله يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها كانوا فرقا ثلثة فرقة قد امنوا به وفرقة قد شكوا فيه وفرقة قد
كذبوه وقوله ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به يخبر انهم يفتدون ويبذلون جميع ما في الارض
لو قدروا عليها عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وان كان الذي منعهم عن الايمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها
وما في قوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقوله واسروا الندامة لما راوا العذاب الندامة لا تكون الا سرا
بالقلب فكانه قال حققوا الندامة في قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالايات والعناد في ردها وقال بعضهم
واسروا الندامة اي اظهروا الندامة وهو مما يستعمل في الاظهار والاخفا كقولك شعب جمع وشعب فرق ونحوه وجد
لانه اذا استر في نفسه لا بد من ان يظهر ذلك في اخره ويخرج ذلك فلذلك سماه اظهارا وقوله وقضي بينهم بالقسط يحتمل
قوله قضي بينهم بالقسط ما يوجب الحكمة لان الحكمة توجب كل كافر نعمة وكل قايل في الله ما لا يليق به او ان يكون تفسيره
قوله بالقسط ما ذكر وهم لا يظلمون ويحتمل قوله بالقسط ما ذكر افرار كان كذلك في الاسم والقسط هو العدل وهم
يومئذ عرفوا انه كان يقضي بالعدل في الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله الا ان لله ما في السموات والارض
اي ان ما في السموات والارض كلهم عبيده وملكه واماء له لا لمن تعبدونه من الاصنام والاوثان فمن عنده من يملك
الدنيا والاخرة اطلبوا ذلك منه لا ممن عنده من لا يملك بيين سفههم في طلبهم الدنيا ممن عندهم يعلمون انه لا يملك
ذلك والله اعلم وقوله الا ان وعد الله حق في كل ما وعد ووعيده انه كاين لا محالة عذابا او رحمة ولكن اكثرهم لا
يعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم فنفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا به ويحتمل قوله لا يعلمون اي لم يكتسبوا سبب
العلم فلم يعلموا فان كان على هذا فيكون نعمة من يشاء وان كان على الوجه الاول فلا عذر لهم في ذلك وقوله
الا ان لله ما في السموات والارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته من خلق السموات والارض

وما بينهما بسلطانه وكما فيهما وشدتهما وعظم خلقهما وان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهمهم فيقدر على ذلك فهو قادر
على احيا الخلق بعد فنائهم والثاني يخرج من الحكمة من تعليق منافع الارض بالسما على بعد ما بينهما والاتصال على الخلق بانواع النعم
التي يكثر الاحصاء ان كل شي منها قد وضع مواضعها فلا يحتمل من هذا وصنيعه الحكمة يخلق شيا عبثا باطلا ولو كانوا الفنا لا
بعده كان يكون خارجا عن الحكمة فيظهر انه ظلمهم لا مراده بهم والله اعلم وقوله هو يحيي ويميت واليه ترجعون اي تعلمون
انه هو محيي الاحيا ومميت الاموات ايضا وهو كقوله وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه
هو محيي الاحيا ومميت الاموات لا يعزب علموا انه هو يحييكم واليه ترجعون الزمهم الحجج اولا بالكاين ثم اخبرهم عما يكون
الحجج التي ذكر وقوله يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وهو هذا القران قال بعضهم الموعظة النهي كقوله يعظكم
الله ان تعودوا لمثله ابدا قيل نهاكم ان تعودوا لمثله ابدا وقال اخرون الموعظة هي التي تدعوا الى كل مرغوب وتزجر عن
كل مرهوب وقال بعضهم هي التي تلين كل قلب قاس وتجلي كل قلب مظلم وفي القران جميع ما ذكرنا فيه النهي وفيه الدعا الى كل
مرغوب والزجر عن كل مرهوب وهو يلين القلوب القاسية ويجلي القلوب المظلمة اذا تاملوا فيه ونظروا وتفكروا تفكر
المسترشد وطالب الحق وتمثل الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون اليابسة وتجلي الصدور المظلمة وقوله
وشفا لما في الصدور ان للدين افات وقد تضره وتتلفه كما ان للابدان افات وامراض تعمل في اتلافها واهلاكها ثم جعل
لافات الابدان وامراضها ادوية تشفي بها الابدان المريضة فعلى ذلك جعل هذا القران شفا لهذا الدين ودوا
يداوي به ويذهب بافات الدين وامراضه كما تعمل الادوية في دفع افات الابدان وامراضها لذلك سماه موعظة وشفا
لما في الصدور والله اعلم وقوله وهدى ورحمة قيل هدى من الضلالة ورحمة من عذابه او يقول وهدى ورحمة هدى اي يدعو
الى كل خير ويهدي ورحمة لمن اتبعه هو هدى ورحمة لمن اتبعه وتمسك به وعمى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه وهو كما ذكر
وهو عليهم عمى وقال فزادتهم ايمانا اي زاد المومنين ايمانا الى ايمانهم وزادتهم رجسا اي زاد الكافرين رجسا الى رجسهم
والله اعلم وقوله قل بفضل الله وبرحمته قال بعضهم فضل الله ورحمته القران وقال فضل الله القران ورحمته
الايمان وفيه انه بانزال القران متفضل اذ لولاه لا يتركه وفيه ان اهل الفترة لو اخذون في حال فترتهم والله اعلم
وقوله فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اي يفرحكم بما ذكر خير مما تجمعون من الدنيا وقال بعضهم قوله قل بفضل الله
وبرحمته انما خاطب المومنين يقول قل للمومنين بفضل الله الاسلام وبرحمته يعني القران فبذلك يعني فبهذا الفضل
والرحمة فليفرحوا يعني المومنين هو خير مما يجمعون يعني مما يجمع الكفار من الاموال من الذهب والفضة وغيره وقوله قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق اضاف انزاله الى السما وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما كانت اسبابها
متعلقة بالسما يكون نضج الانزال وينع العناب واصلاح الاشيا كلها اعني اسباب الارزاق من نحو المطر الذي
به تنبت الارض النبات وبه تخرج جميع انواع الخارج مما يكون فيه غذا البشر والدواب ومن نحو الشمس الذي بها ينضج
الانزال وبها يينع الاعناب وجميع الفواكه ونحو اضاف ذلك الى السما لما ذكرنا وكذلك قوله وفي السما رزقكم وما
توعدون اي اسباب ذلك في السما لا ان عين ذلك في السما ويحتمل قوله ما انزل الله لكم من رزق اي ما خلق الله لكم
وكذلك جميع ما يضاف الى الله انما يضاف اليه بحق الخلق اي خلقه منزلا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ونحو
ذلك اي خلق لكم ما ذكر والله اعلم وقوله فجعلتم منه حراما وحلالا قال بعضهم ما حرموا من البحيرة والسايبة والوصيلة وما
ذكر في سورة الانعام والمائدة وقال بعضهم ما حرموا للالهة التي كانوا يعبدونها اي جعلوها للاصنام وهو ما ذكر
في الانعام وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية ونحو ذلك في الاية والله اعلم وقوله
قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون اي الله اذن لكم في تحريم ما حرمتم وتحليل ما احللتم ام على الله تفترون بل على الله
تفترون وذكر ان هذه السورة نزلت في محاجة اهل مكة وهم لم يكونوا مومنين بالرسل والكتب وانما يوصل الى معرفة
الحلال والحرام بالرسل والكتب والخبر عن الله وهم لم يكونوا مومنين بواحد مما ذكرنا فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم
لا تومنون بما به يعرف الحلال من الحرام فكيف حرمتم ما احل لكم او احللتم ما حرم عليكم يخبرهم سفههم وعنادهم وافتراءهم على الله

فله اجره وان لم يغزوا على الله فيعطي غير اجره والله اعلم وقوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة فان قيل
كيف اوعدوا بيوم القيمة وهم كانوا لا يومنون بالبعث قيل قد الزمهم الحجج بكون البعث بما ظهر من كذبهم وافترائهم على الله
في التحريم والتحليل لكذبهم يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث وبعد فانه قد يوعد المرء بما لا يتيقن به ويتخوف عليه ويحتمل انهم
دعوا المرء فلذلك هذا وبعد فانه قد جعل في عقولهم ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزا بالاعمال اذ ليس من الحكمة خلق الخلق
للفنا خاصة ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول وما ظن الذين يفترون على الله الكذب لو خرج الامر حقا وكان صدقا على ما
اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من امر البعث والجزا بما اكتسبوا وقوله ان الله لذو فضل على الناس هو ذو فضل على جميع
الناس من جهة وسوق ما فيه الى اليهم من الرزق كافرهم ومومنهم وانواع النعم واخر عنهم العذاب الى وقت او لما بعث اليهم الرسل
والكتب من غير ان كان منهم الى الله سابقة منهم يستوجبون بذلك ومنه خصوص فضل على المومنين ليس ذلك على الكافرين ولكن اكثرهم
لا يشكرون لفضله ونعمه عليهم وقوله وما تكون في شان قال بعضهم من اهل التاويل في شان في امر كل وما تتلو منه
من قران بتبليغهم الرسالة وقال بعضهم قوله وما تكون في شي اي في عباده وما تتلو منه من قران تبليغهم الرسالة ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا اي خاطب نبيه بتنبيه منه وايتما المراد منه هو وغيره الاترى انه قال ولا تعملون من عمل عمهم جميعا
في ذلك يخاطبكم في كل امر يكون بينكم وبين ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فانه كان عليكم شهودا ثم قال تعملون انتم وعليكم
الا كنا عليكم شهودا ينبههم ويوقظهم ليكونوا على حذر ابدا متنبهين مستيقظين اذ تفيضون فيه قال بعضهم تفيضون فيه ما تحدثون
فيه وقيل تخوضون فيه وقيل تقولون فيه وقيل تكثرون فيه وكله واحد ثم يحتمل قوله فيه في الحق ويحتمل في الدين ويحتمل في
القران ويحتمل في رسول الله يقول انا شاهد فيما تخوضون وفيما تقولون في رسول الله وفي دينه وفيما يتلو عليكم وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما لا يعزب اي لا يغيب عنه ما في الارض ولا في السما فيما لا امر فيه ولا نهي ولا كلفة
فالذي فيه السوال والامر والنهي والكلفة احرى واولى ان لا يغيب عنه شي وقوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
هو تحذير وتخويف بتمثيل الوعيد بتقرير وتصريح لان الوعيد في جهتين احدهما على التمثيل والاخر على التقرير في عينه وتصريح
وقوله في كتاب مبين قيل ما قلنا ولا اكبر الا في كتاب اي الا في اللوح المحفوظ ويحتمل الا في كتاب مبين في الكتب المنزلة
من السما والله اعلم وقال ابو بكر الاصم في قوله اذ تفيضون فيه اي تنتشرون فيه وتاويله ولا تعملون من عمل تنتشرون فيه
الا كنا عليكم شهودا وقوله الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قالت المعتزلة دلت الاية على ان اصحاب
الكبائر ليسوا بمومنين لانهم لو كانوا مومنين لكانوا اوليا الله واذا كانوا اوليا الله لكان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فاذا كان لا شك ان على اصحاب الكبائر خوف وحزن دل انهم ليسوا بمومنين ولا لهم ولاية الايمان لكن التاويل عندنا والله
اعلم الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على ما يكون لاهل الدنيا في الدنيا من الخوف والحزن لما حل بهم وحزنهم
لعاقبتهم ويبشران لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الجنة وكذا يكونون اذا دخلوا الجنة يامنون من جميع ما يتخوفهم وقال بعضهم
اوليا الله هم اهل التوحيد لذلك البشارة وذلك لوعد لاهل التوحيد في الاستغفار والوفا جميعا لا لاهل الاستغفار
خاصة وقوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة قال بعضهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا الرويا الصالحة وعلى
ذلك روايات الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن هذه الاية ففسر بالرويا الصالحة فان ثبت ذلك فهو
الحق وقال بعضهم لا يحتمل الرويا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكرنا من الخبر فهو ذلك ويشبه ان يكون البشارة التي ذكر
ههنا هي قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول الاية وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند
ربهم وقوله ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وامثال ذلك وقال بعض اهل التاويل لهم البشرى
في الحيوة الدنيا بشرهم الملائكة عند الموت وفي الاخرة الجنة والله اعلم وقوله لا تبديل لكلمات الله يحتمل لا تبديل
لكلمات الله من وعده ووعيده وذلك ما لا تبديل له ولا تحويل ويحتمل لا تبديل لكلمات الله القران لا تبديل لما فيه من الوعد
والوعيد وغيره ويحتمل لا تبديل لما مضى من سنته في الاولين والاخرين من الاهلاك والاستيصال بتكذيبهم الرسل والايات
كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله فقد مضت سنة الاولين ويحتمل قوله لا تبديل لكلمات الله اي لا

لا تبديل للبشرى التي بشر بها الذين تقدم ذكرهم ويحتمل لا تبديل لحجج الله وبراهينه او لا تبديل لوعيد الله ووعده وكلماته وقوله ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك البشرى هو الفوز العظيم او ذلك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هو الفوز العظيم اذ لا خوف عليه وقال بعضهم من اهل التاويل لا خوف عليهم من النار ولا هم يحزنون ان يخرجوا من الجنة ابدا والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولا يحزنك قولهم يحتمل قولهم ما قالوا في الله بما لا يليق به من الولد والشريك يقول لا يحزنك ذلك فان العزة لله جميعا ويحتمل قوله لا يحزنك قولهم الذي قالوا في القران انه سحر وانه مفترى او قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ساحر وانه يفتري على الله كذبا ويشبه ان يكون قوله ولا يحزنك قولهم مكرهم الذي مكروا به وكيدهم الذي كادوا يريد ذلك قوله فان العزة لله جميعا اي ان العزة في المكر والكيد له وهو كقوله وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا اي يكون ينتقم لكم وينصر دينكم وكيدهم على ذلك قوله فان العزة لله جميعا اي ينتقم جميع ما يكرون بك ويكيدون بك والعزة القوة يقول ان القوة لله ينصرك على اعدائك ويدفع عنك كيدهم ومكرهم الذي مكروا بك وهو السميع العليم الذي قالوا العليم بمصالحكم او السميع المجيب للدعاء العليم بما يكون منهم وقوله الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي تعلمون ان من في السموات ومن في الارض كلهم عبيده واماؤه فكيف قلتم ان فلانا ولده وان له شريكا ولا احد منكم يتخذ من عبيده وامائه ولدا ولا شريكا كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية ينفي ذلك هذا او كيف يحتمل ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات والارض واما يتخذ في ان هذا الولد لاحد خصال ثلث اما للاستنصار على عدوه واما لحاجة تمسه واما لوحشة اصابته وهو غني له ملك السموات والارض لا حاجة تمسه فكيف تنسبون الولد اليه والشريك وما قالوا فيه مما لا يليق به وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ايضا عن عناه [illegible] يامرهم وينهاهم ويتعبدهم اي ليس يامر وينهى ويتعبد بانواع العبادات ويمتحنهم بانواع المحن لحاجة له او لمنفعة في ذلك ولكن لمنفعة لهم في ذلك وقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي ما يتبعون فيما يدعون من دون الله من الشركاء بحجة وبراهين او بيان بكتاب او رسول انما يتبعون الظن والحرز وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون في تسمية الشركاء لهم دون الله لانهم كانوا اهل شرك لم يكونوا اهل كتاب ولا امنوا برسول لانهم قد عرفوا انهم مفترون كاذبون في ذلك ما لهم دون الله دليل من ذلك الكتاب او الرسول ولم يكن لهم واحد من ذلك والله اعلم وقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تبصرون فيه وقال في اية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه يعني في الليل ولتبتغوا من فضله يعني في النهار وفيه في موضع الامتنان وتذكير النعم ليتأدى به شكر ما انعم عليه وفيه ان الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير لانهما لو كانا يجريان على غير تدبير ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سنن واحد ولكن يدخل فيهما الزيادة والنقصان ولا يجريان على تقدير واحد وان كان يدخل بعضه في بعض فدل جريانهما على التقدير الواحد انهما يجريان على تدبير مدبر فيهما اذ لو كان على غير تدبير يجريان على الجزاف على الزيادة والنقصان وعلى القلة والكثرة وفيه ايضا ان مدبرهما واحد لانه لو كان مدبرهما عددا لكان اذا غلب احدهما الاخر دام غلبته ولا يصير الغالب مغلوبا او المغلوب غالبا فاذا صار ذلك ما ذكرنا دل ان مدبرهما واحد لا عدد وفيه دلالة البعث بعد الموت لان كل واحد منهما اذا جاء اتلف صاحبه تلفا حتى لا يبقى له اثر ولا شيء منه ثم يكون مثله حتى لا يختلف الذاهب من الحادث والدلالة لمن انكر البعث فدل ان الذي قدر على اتيان الليل وقد ذهب اثره واصله اقدر على البعث ومن قدر على احداث هذه الاشياء فهو قادر على احداث ما ذكرنا من الموت وفيه ان الشيء اذا كان وجوبه لشيئين لم يجب اذا عدم احدهما لانه قال النهار مبصرا وانما يبصر بنور البصر ونور النهار جميعا لانه اذا فات احد النورين لم يبصر شيئا من النور نور البصر او نور النهار لان الحكم اذا وجب بشرطين لا يوجب الا باجتماعهما جميعا والليل يستر وجوه الاشياء لا انه لا يرى نفس الليل وكيف وجوه الاشياء وفي الليل فيما يستر وجوه الاشياء دلالة ان الحكم اذا كان وجوبه بشرطين يحتمل منعه بمنع واحد لانه يستر نور النهار ونور البصر جميعا وفي قوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجوه من الدلالة احدها ما ذكرنا من تذكير النعم يدعوهم به الى الشكر وينهاهم عن الكفران وفيه تذكير القدرة لو شاء ان منه واحد منه والتلف الاخر لمن قدر على هذا لا يعجز عن شيء وفيه دليل السلطان حيث يأخذهم الليل ثم يأتيهم النهار

شاءوا او ابوا وكذلك النهار ياتيهم حتى يكشف عن وجوه الاشياء ويجليها شاءوا او ابوا وفيه دليل التدبير والعلم لما ذكرنا من اتساق جريانهما على سنن واحد ومجرى واحد وفيه دلالة وحدانيته لما بين منافع جعل الليل حيث قال لتسكنوا فيه ايجازا جعل الليل للسكون والراحة فذكر السكون في الليل على انه جعل النهار للسعي وطلب المعيشة الا ترى انه قال في النهار مبصرا اي يبصر فيه ما يبتغون به معاشه ذكر في اية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الاية وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ولم يقل يبصرون وظاهر ما سبق من الذكر يجب ان يقال لقوم يبصرون لانه قال والنهار مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اي يعقلون كقوله ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ويحتمل قوله يسمعون ما ذكر من الايات من اول السورة الى هذا الموضع ايات لقوم يسمعون ينتفعون بسماعهم اي يسمعون اي يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله وقوله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني قال بعضهم ارادوا بقولهم اتخذ الله ولدا صفة الولد كقوله ويجعلون لله البنات وقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فنزه عز وجل نفسه عما قالوا بقوله سبحانه هو الغني انه لم يلد احدا ولا ولد هو من احد وهذا كقوله لم يلد ولم يولد اذ في ان هذا لا يخرج اما ان يكون ولد من اجزاء والدا والخلق كلهم لا يخرج من هذا فاخبر انه لم يلد هو احدا ولا ولد من احد وقوله سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض تعالى الله وبالله لتعلموا ان في ان من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحد وجوه ثلثة اما لحاجة تمسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على اخر ممن يخاف فاذا كان له ملك السموات والارض وملك ما فيهما كلهم عبيده واماؤه فلا حاجة تمسه الى الولد اذ هو الغني وله ملك ما في السموات والارض ومن هذا وصفه فلا يحتاج الى الولد ولانه لا احد في ان منه يحتمل طبعه اتخاذ الولد من عبيده وامائه فاذا كان الله سبحانه الخلائق كلهم عبيده واماؤه كيف احتمل اتخاذ الولد منهم لو جاز وتوهمنا احالة ذلك وفساده ولان الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه كالشريك يكون من شكل الشريك ومن جنسه فكان في نفي الشريك نفي الولد لانه ليس احد كل ذي شكل له ضد ومن له ضد او شكل فانه لا ربوبية له ولا الوهية وقوله ان عندكم من سلطان بهذا قيل ما عندكم من حجة على ما تقولون انه ولد الا انهم كانوا اهل تقليد لابائهم واسلافهم وكانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب والحجج وانما استفادوا ذلك من جهة الرسالة والكتب وهم كانوا ينكرون ذلك وقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون اي تقولون على الله انه اتخذ ما تعلمون انه لم يتخذ قل ان الذين يفترون على الله الكذب بما ذكرنا انهم علموا انه لم يتخذ ولدا لكن قالوا ذلك افتراء على الله لا يفلحون في الاخرة لما طمعوا في الدنيا بعبادتهم دون الله الاصنام بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله لا يفلحون اي لا يظفرون بما طمعوا في الاخرة متاع في الدنيا اي ذلك لهم متاع في الدنيا ليس لهم متاع في الاخرة ثم الينا مرجعهم يخاطب رسوله لم يذكر لم خاطبهم الينا مرجعكم فهو والله اعلم لما اشتد على رسول الله ما افتروا به على الله يقول الينا مرجعهم فنجزيهم جزاء افترائهم وان لم تعجل الى مرجعهم فنذيقهم العذاب الشديد لما طمعوا من الشفاعة عندنا والزلفى والله اعلم وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ نوح اي خبره وحديثه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله قال بعضهم ان كان كبر عليكم طول مقامي فيكم ودعائي اياكم الى عبادة الله والطاعة له وتذكيري اياكم باياته قال بعضهم وتذكيري بعذابه بربكم اجابتي ودعائي ويحتمل قوله ان كان كبر عليكم مقامي بالادعاء من الرسالة وتذكيري بايات الله اي بحجج الله على ما ادعيت من الرسالة وفي قوله واتل عليهم نبأ نوح وجوه احدها اتل نبأ نوح قومه وما ارادوا به من الكيد والمكر به والثاني اذكر عواقب قوم نوح وما حل بهم من سوء معاملتهم رسولهم وان لم تذكرهم عواقب متبعي قومه ومخالفيه وقوله فاجمعوا امركم وشركاءكم قال بعضهم اي اجمعوا انتم وشركاؤكم ثم كيدون ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي اجملوا ما تريدون من الكيد والمكر في ظاهر اي غير ملتبس ولا مشتبه وقال بعضهم قوله فاجمعوا امركم اي اعدوا امركم وادعوا شركاءكم وكذلك روي في حرف ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي اقضوا ما انتم قاضون وقال بعضهم قوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي لا يكبر عليكم امركم وقال الكسائي هو من التغطية والتلبس اي لا تغطوا ولا تلبسوا

اجعلوا كلمتكم ظاهرة واحدة وعن ابن عباس قال لا يكن امركم اغتماما عليكم اي فرجوا عن انفسكم كقوله من كان يظن ان لن
ينصره الله الاية وقوله ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي اعملوا ما تريدون ولا تنظرون وهو كقوله فاقض ما انت قاض
وقال الكلبي هو من الانهاء والابلاغ وهو كقوله وقضينا الى بني اسرائيل الاية وقضينا اليه ذلك الامر اي انهينا
اليه وابلغنا اليه وقال ابو عوسجه ان شيت جعلته ظلمة فلا يبصرون امرهم يعني غمة وان شيت جعلته شكا واشتقاق
الغمة من غم يغم غما اي غطى يغطي تقول غمت راسه اي غطيته ثم اقضوا الي اي افعلوا بي ما اردتم وفي قوله نوح لقومه
فاجمعوا امركم وشركاكم الى قوله ولا تنظرون وقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله سورة لمن قد
ادعوا شركاكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم لانهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين اظهرهم ولم
يكن معهم انصار ولا اعوان ولانهم انما قالوا ذلك اعتمادا على الله واتكالا بمعونته ونصره اياهم وقال بعضهم
في قوله ثم اقضوا الي اي فافرغوا الي يقال فرغ وهو قوله في كل الامم وقال بعضهم ثم اقضوا الي اي امضوا
الي كقوله فراغ الى اهله وفراغ الى الهتهم ونحوه وقوله فان توليتم فما سألتكم من اجر التولي اسم لامرين اسم
للاعراض والادبار كقوله واذا تولى سعى في الارض واسم للاقبال والقبول كقوله ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا الاية ونحوه فهنا يحتمل الامرين جميعا اي فان توليتم اي اقبلتم وقبلتم ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه فما
سألتكم من اجر اي ما اجري الا على الله وان كان في الاعراض فكانه يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسألكم على ذلك
اجرا فيكون لكم عذر في الاعراض والرد كقوله ام تسألهم اجرا الاية اي لم اسألكم في ذلك اجرا فيكون لكم عذر
في الاعراض والرد كقوله ام تسألهم اجرا الاية اي لم اسألكم على ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه غرما حتى يثقل
عليكم ذلك الغرم فيمنعكم ثقل الغرم عن الاجابة ففي هذه الاية وغيرها دلالة منع اخذ الاجر على تعليم القران والعلم
لانه لو جاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم عذر ان لا يبذلوا ذلك ولا يتعلموا شيا من ذلك وفي ذلك سد شرايع الله
واسقاطها والله اعلم وقوله وامرت ان اكون من المسلمين اي مسلما نفسي الى الله اي سالما لا اجعل لاحد سواه
فيها حقا ولا حظا او امرت ان اكون من المخلصين والخاضعين له هو يحتمل ذلك كله وقوله فكذبوه يعني نوحا
كذبه قومه فيما ادعى من الرسالة او ما اتاهم من الايات او ما وعدهم من العذاب بتكذيبهم اياه فنجيناه يعني
نوحا ومن معه في الفلك اي من ركب معه الفلك من المومنين وجعلناهم خلايف يحتمل خلايف خلفا في الارض
يخلف بعضهم بعضا ويحتمل جعلناهم خلايف اي خلف قوم اهلكوا واستوصلوا بالتكذيب واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا يحتمل الايات والحجج والبراهين التي اقامها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل قوله كذبوا باياتنا العذاب الذي
اوعدهم بتكذيبهم اياه فيما وعده وقوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كان انذر الفريقين جميعا المومن
والكافر جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر فاذا كان ما ذكرنا فيكون تاويل فانظر كيف كان عاقبة من اجاب
ومن لم يجب عاقبة من اجاب الثواب وعاقبة من لم يجب العذاب ويحتمل المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار ولم
يجيبوا اي انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والاستيصال ويكون تاويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر
اي انما يقبل الانذار من اتبع الذكر او انما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر واما من لم يتبع الذكر لم ينتفع والله
اعلم وقوله ثم بعثنا من بعده رسلا اي من بعد نوح رسلا الى قومهم اي بعث الى كل قوم رسولا لانه بعث
الرسل جملة الى قومهم ولكن واحدا على اثر واحد فجاوهم بالبينات يحتمل البينات الحجج والبراهين التي اقاموها
على ما ادعوا من الرسالة والنبوة ويحتمل البينات بيان ما عليهم ان ياتوا ويتقوا ويحتمل البينات ما اخبروا
وانباوا قومهم العذاب انه نازل بهم في الدنيا وقوله فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل قال بعضهم
ما كان كفارهم ليومنوا وليصدقوا بالايات والبينات كما لم يصدق بها اوايلهم وقال بعضهم قوله بما كذبوا به
من قبل اي قبل بعث الرسل وفيه دلالة ان اهل الفترة يواخذون بالتكذيب في حال الفترة ويحتمل قوله بما كذبوا
به من قبل اي من قبل اتيان البينات اي ما كانوا ليومنوا بعدما جاوا بالبينات بما كذبوا به من قبل مجي البينات

كذلك نطبع على قلوب المعتدين اي هكذا نطبع على قلوب اهل مكة كما طبعنا في قلوب اوايلهم اذ علم انهم لا يقبلون الايات
ولا يومنون لها والاعتداء هو الظلم من العناد والمجاوزة عن الحد الذي جعل وقوله فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به
من قبل هو يخرج على وجهين احدهما ما كانوا ليومنوا بالبينات اذا جاتهم البينات على السوال وهكذا عادتهم انهم لا
يومنون بالايات اذا اتاهم على السوال والثاني ما كانوا ليومنوا بما كذبوا في علمهم انها ايات وانه رسول والله اعلم
وقوله ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد ما ذكرنا من الرسل موسى وهرون الى فرعون وملايه بعثهما الى الملا وغير
الملا باياتنا يحتمل الوجوه التي ذكرنا فاستكبروا وهذا يدل انهم قد عرفوا ان ما جاءهم الرسل من الايات انها ايات
لكنهم عاندوا وكابروا ولم يخضعوا في قبولها وكانوا قوما مجرمين وقوله فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر
مبين قال بعضهم قوله فلما جاءهم الحق من عندنا اي الحجج والايات من عندنا قالوا ان هذا يعنون الحجج والبراهين
التي جاء بها موسى لسحر مبين يسمون الحجج والبراهين سحرا لما ان السحر عندهم باطل لذلك قالوا للحجج انها سحر وذلك تمويه
منهم يموهون على الناس لئلا يظهر الحق عندهم فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الاسلام والدين كقوله ان
الدين عند الله الاسلام قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون الحجج والايات التي جاء بها للدين لانه جاءهم بالدين وجاءهم
ايضا بالحجج للدين واياته قالوا للحجج الدين والاسلام سحرا فسموا الكل جميعا سحرا او الحجج سحرا وقوله جاءهم الحق من
عندنا اي بامرنا وكذلك قوله ان الدين عند الله الاسلام اي الاسلام هو الدين الذي امر الله به لا انه يفهم للعند
مكان ينتقل من مكان الى مكان ولكن يعني العند ههنا الامر وعلى هذا يخرج قوله ان الذين عند ربك لا
يستكبرون عن عبادته اي الذين بامر ربك يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته لانه لم يفهم من مجي الحق من عنده
مكان ففي ذلك لا يجوز ان يفهم من قوله ان الذين عند ربك المكان او قرب المكان منه ولكن الذي ذكرنا
ان المفهوم من عند الله امره والله اعلم وقوله وقال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا او الحق ما ذكرنا
ولا يفلح الساحرون الافلاح هو الظفر بالحاجة يقول ولا يفلح الساحرون اي لا يظفر الساحر بالحاجة ولا يغلب
لان السحر باطل ولا يغلب الباطل الحق بل الحق هو الغالب والسحر هو المغلوب على ما غلب الحق الذي جاء به موسى
السحر الذي جاء سحرة فرعون او يقال لا يفلح الساحرون في الاخرة بسحرهم في الدنيا ويحتمل قوله ولا يفلح الساحرون
بسحرهم في حال سحرهم كقوله لا يفلح الظالمون ولا يفلح الكافرون اي لا يفلحون بظلمهم في حال ظلمهم واما اذا
تركوا الظلم فقد افلحوا انما يفلح ذلك السحرة اذا تركوا السحر فقد افلحوا والله اعلم وقوله قالوا اجيتنا لتلفتنا قيل
لتصرفنا وتصدنا قال القتبي لفت فلانا عن كذا اذا صرفته والالتفات منه وهو الانصراف وقال ابو
عوسجه لتلفتنا اي تردنا وتصرفنا على ما ذكر القتبي قال يقال لفته يلفته لفتا وقوله عما وجدنا عليه اباءنا
من عبادة الاصنام والاوثان ويحتمل ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة فرعون والطاعة له وتكون لكما الكبرياء في الارض
قال بعض اهل التاويل الكبرياء الملك والسلطان والشرف اي الملك الذي كان لفرعون والسلطان تكون
لكما باتباع الناس لكما لان كل متبوع مطاع معظم مشرف ويحتمل وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الالوهية التي
كان يدعي فرعون لنفسه لكما لانه عندهم ان كل من اطيع واتبع فقد عبد ونصب الها وما نحن لكما بمومنين اي
بمصدقين فيما تدعوننا اليه وما تدعون من الرسالة وقوله وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم هذا من
فرعون ينقض ما ادعى من الالوهية حيث اظهر الحاجة الى غيره ولا يجوز ان يكون المحتاج الها وقوله فلما
جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال لهم موسى ما جيتم به السحر ان الله سيبطله اي
يبطل عمل السحر الذي قصدوا به اي يجعله مغلوبا كقوله ولا يفلح الساحرون اي لا يغلب الساحرون ولا يظفرون
بالحاجة ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي لا يصلح ما افسدوا من اعمالهم فيجعلهم صالحين وقوله ان الله لا يصلح عمل
المفسدين هو ما ذكرنا اي لا يجعلهم باعمالهم الفاسدة صالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة وقال بعضهم لا يصلح
اي لا يرضى بعمل المفسدين وقوله ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ذكر ان يحق الحق والحق حق ولم يحق
لم

الحق ولكنه ذكر في الباطل ليبطل الباطل والباطل باطل وان لم يبطل ولكن يحتمل قوله ليحق الحق ويبطل الباطل اي
ليجعل الحق في الابتداء حقا فيصير حقا ويجعل الباطل في الابتداء باطلا فيكون باطلا اي بابطاله الباطل يكون باطلا وبتحقيقه
الحق يكون حقا وهو كما يقال هداه فاهتدى واضله فضل اي بهدايته اهتدى وباضلاله ضل فعلى ذلك بابطاله
الباطل بطل وبتحقيقه الحق حق والله اعلم وقوله بكلماته يحتمل وجوها يحتمل يحق الحق بكلماته اي برسله اذ بالرسل يظهر
الحق وبهم يظهر بطلان الباطل وهم حجج الله في الارض وبالحجج يظهر الحق وكذلك الباطل ويحتمل ما ذكر اهل التاويل بكلماته
اياته التي انزل عليه بها ظهر حقيقة ما اتى به موسى وبها ظهر بطلان ما اتى به السحرة من السحر ويحتمل كلماته ما وعد
موسى وقومه من العذاب التي وعد من الظفر باعدائهم والنصر عليهم وغير ذلك مما وعد من النعم لهم كقوله اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله عز وجل فما امن لموسى الا ذرية من
قومه يحتمل قوله من قومه من قوم موسى لما قيل ان موسى كان منا ولاد اسرائيل فهم من ذريته من هذا الوجه فيكون
اهل الاستغلال وان لم يكن اليه له ويحتمل الا ذرية من قومه من قوم فرعون فهو نسب اليه لما ذكرنا وقال اهل
التاويل اراد بالذرية القليل منهم اي ما امن منهم الا القليل ولكن لا ندري ذلك لقوله فما امن لموسى الا ذرية
من قومه على خوف من فرعون يحتمل ما امن من امن من قومه الا على خوف من فرعون وملايه اي امنوا وان خافوا من
فرعون وملايه ويحتمل ما ترك من قومه الايمان بموسى من ترك الا على خوف من فرعون ان يفتنهم اي يقتلهم ويعذبهم
فيه دلالة ان الخوف لا يعذر المرء في ترك الايمان حقيقة وان كان يعذر في تركه ظاهرا لان الايمان هو التصديق
والتصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلق يطلع على ذلك لذلك لم يعذر في تركه اتيانه لانه يقدر على اسراره
الا ترى الى قوله وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وبين ربه وان لم يظهر وقوله
وان فرعون لعال في الارض وهو كما قال عز وجل ان فرعون علا في الارض اي تجبر وغلب على اهل الارض وانه
لمن المسرفين وقوله وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فيه دلالة ان
الايمان والاسلام واحد في الحقيقة لانه بدا بالايمان بقوله ان كنتم امنتم بالله وختم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دل
انهما واحد هو اعتقاد ترك تضييع كل حق والاسلام اعتقاد تسليم كل حق وترك تضييعه والله اعلم والاسلام
هو جعل كلية الاشيا لله سالمة والايمان هو التصديق بكلية الاشيا انها من الله له بالربوبية له والالوهية
وقوله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد فرعون وعقوباته
كقوله للسحرة لما امنوا لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف الاية فقال عند ذلك عليه توكلوا في دفع ذلك عنكم فقالوا
على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يحتمل ما قاله
على خوف من فرعون وملايه ان يفتنهم ما قيل اي يقتلهم ويعذبهم والله اعلم هذا يخرج على وجهين احدهما اي لا
تجعل لهم غلبة الظفر والنصر فيظنون انهم على هدى وعلى حق ونحن على ضلال وباطل والثاني لا تجعلنا تحت
ايدي الظلمة فيعذبونا فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة على ما فعل فرعون بالسحرة لما امنوا وقوله ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين فيه ان قوله الظالمين والكافرين واحد والله اعلم وقوله واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة الاية يحتمل وجهين يحتمل قوله ان تبوءا لقومكما اي اتخذا لقومكما
مساجد يصلون فيها واجعلوا بيوتكم اي اجعلوا في بيوتكم التي اتخذتم مساجد قبلة ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا
الامر باتخاذ المساجد ويكون في قوله اجعلوا بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة في المساجد التي امر ببنايها والثاني
قوله ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اي اتخذا لقومكما بمصر مساجد على ما ذكرنا وقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي
اجعلوا في بيوتكم التي تبنونها لانفسكم قبلة تتوجهون اليها ويكون فيه دلالة ان نصب الجماعة واتخاذ المساجد
والقبلة سواء انه مسنونة ليست ببدعة جعلت لنا في شرعنا خاصة ويؤيد ما ذكرنا ان فيه الامر باتخاذ المساجد
وقوله واقيموا الصلوة دل الامر باقام الصلوة على ان الامر بتبوء البيوت امر باتخاذ المساجد واتخاذ
القبلة فيه وان في الظاهر امرا باتخاذ المساجد والاية التي ذكر في اتخاذ المساجد تخرج مخرج الاباحة لنا وبه

قوله

قوله في بيوت اذن الله ان ترفع هو في الظاهر اباحة قيل هو امر في الحقيقة وان كان في الظاهر
اباحة الا ترى انه قال ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها الاية ولا شك ان ذكر اسمه والتسبيح له امر فيه دل انه ما ذكر والله
اعلم واما اهل التاويل فانهم قالوا انهم كانوا يخافون فرعون وملاه فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلي
الكعبة يصلون فيها سرا خوفا من فرعون هذا يحتمل اذا كان قبل هلاك فرعون وقبل ان يستولوا على مصر اذا كان
بعد هلاكه وبعد ما استولوا وملكوا على مصر واهلها فالامر فيه ما ذكرنا امر باتخاذ المساجد ونصب الجماعات فيه واقام
الصلوة فيها وقال بعضهم من اهل التاويل وجهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لانه لا يكون بيتا الا
ويكون له جهة من جهاته الى القبلة فلا معنى له والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل الامر بتبوء البيوت لقومهما بمصر وجعل
البيوت قبلة وجهين احدهما الامر بالانفصال من فرعون وقومه حتى اذا ارادوا الخروج لا يمنعهم قومهم والى ذلك دل ان
يكون المراد عليهم ذلك ان ذلك الانفصال انما كان من جهة القبلة والثاني ما ذكرنا اراد وان يجتمعوا حتى يتبين لهم
الصلوة فيها وكان لا يتهيا لهم في بيوت فرعون وقوله وبشر المؤمنين يحتمل البشارة في الاخرة بالجنة
وانواع النعيم ويحتمل ان يبشرهم بالملك في الدنيا والظفر على فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدايد من
فرعون كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابو
عوسجة قوله ان تبوءا لقومكما تبنيا من التبوية اي سبا لهم موضعا كقوله ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق اي
بينا لهم بها صدق وقوله وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة يحتمل قوله زينة من
انواع ما اتاهم من الاثاث والنبات كقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ونحو ذلك ويحتمل الزينة الزينة
التي كانوا يتزينون بها من المركب والملبس ويتجملون بها من انواع الحلي واموالا كثيرة سوى ذلك وقوله ربنا
ليضلوا عن سبيلك قالت المعتزلة تاويل قوله ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا
ليضلوا عن سبيلك اي اتاهم لئلا يضلوا الناس عن سبيلك ولكن اضلوهم عن سبيله ولو كان هذا كما قالوا لكان
لتسمل كذا او لكن نقلت وتحمل من الكلام وذلك عندنا هو ما ذكر انا اتاهم الاموال لما ذكر ليضلوا عن سبيله لانه اذا علم
منهم انهم يضلون الناس عن سبيله اتاهم ما اتاهم ليضلوا وهو كما ذكرنا في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله
نسارع لهم في الخيرات الاية وامثاله فكذا هذا والله اعلم وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
يحتمل هذا وجهين يحتمل اي اطمس على قلوبهم اموالهم واصله في قلوبهم وقع وغلظ سفره تبعهم ومن يقلدهم عن اتباعهم
وتقليدهم فيكون ذلك امور علينا في استنقاذ الاتباع منهم ودعايهم الى الايمان اعني الاتباع ومن يقلدهم
ويكون ذلك سببا لابعادهم عن اتباعهم وتقليدهم اياهم هذا وجه والثاني قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم اي اصل ذلك به تضطرهم الى الايمان فانهم لم يؤمنوا بالايات التي ارسلتها عليهم من الطوفان والجراد
وما ذكر من البلايا فيكون قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم هذا من طمس الاموال وقع القلوب فيه
والله اعلم وقال بعض اهل التاويل واشدد على قلوبهم واطبع فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق
فعند ذلك يؤمنون واما بعد الايات فلا يجوز الا اذا كان لما هو الا جزموا بانهم لا يؤمنون فيسع له
هذا الدعا واما قبل ان يخبر بذلك فلا يسع له ان يدعو بهذا وهو انما ارسل اليهم ليدعوهم الى الايمان
والطمس قال ابو عوسجة هو الذهاب بها اي اذهبها وقال القتبي قوله ربنا اطمس اي اهلكها وهو من
قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس وقال في الطمس هو المسخ كقوله لطمسنا على اعينهم اي مسخناهم وقال بعضهم
الطمس هو التغيير عن جوهرها دعا موسى بهذا الدعا بالامر لما ايس من ايمانهم وهو كقول نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية فهذا بعد اياسه منهم فعلى ذلك موسى والله اعلم وقوله
قال قد اجيبت دعوتكما قال بعضهم ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن على دعايه فقال عز وجل قد اجيبت
دعوتكما سمي كليهما داعيا ولهذا قال اصحاب الحسن رحمه الله في بعض كتبه ان الامام يدعو في القنوت في الوتر والقوم يؤمنون

وقوله فاستقيما على الرسالة وما امرتكما به ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد صلى الله عليه
وسلم ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون وكقوله ولا تتبع اهواءهم ونحوه وان كان العلم يحيط ان الانبياء صلوات الله
عليهم لا يتبعون سبيل اولئك ولا يتبعون اهواءهم لما عصمهم عز وجل ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا تزيل
النهي والامر بل تزيد حظرا ونهيا والله اعلم وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده هذا
ظاهر وفي قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دلالة خلق افعال العباد لانه اضاف الى نفسه انه جاوزهم وبنو اسرائيل هم الذين
تجاوزوا ودل ذلك انه خالق فعلهم واما قوله حتى اذا ادركه الغرق اي حتى اذا غرق لانه ذكر في بعض القصة ان فرعون لما
انتهى الى ساحل البحر ورأى البحر منفرجا طرقا فقال انما انفرج البحر لي فلما دخل غرق فعند ذلك قال آمنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ثم ايمانه لم يقبل في ذلك الوقت لوجهين احدهما ما يحتمل ان يكون
ايمانه عند روية الباس وخوف الهلاك فهو ايمان دفع الباس لا ايمان حقيقة وهو على ما اخبر عن ايمان الكفرة في الاخرة
لما عاينوا العذاب كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب وكقوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل وانا لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فما عاينوا من العذاب اكبر واشد مما عاين فرعون ثم
اخبر انهم لو ردوا لعادوا الى ما كانوا يعملون لكنهم قالوا ذلك وقت دفع فكذلك ايمان فرعون ايمان دفع الباس
ليس لا ايمان حقيقة واختيار والثاني ان الايمان والاسلام هو تسليم النفس الى الله فاذا امن في وقت خرجت
نفسه من يده لم يجعل النفس الى الله اذ نفسه ليست في يده ولذلك لم يقبل الايمان في ذلك الوقت وقت الاشراف على
الهلاك ويحتمل وجها آخر وهو ان الايمان بالله انما هو يكون بالاستدلال بالآيات والشاهد على الغائب ولم يكن الاستدلال
بالشاهد على الغائب في ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا بالنظر والتفكر وفي ذلك الوقت لم يكن النظر والتفكر لذلك
لم يكن ايمان حقيقة والله اعلم واما قوله فاليوم ننجيك ببدنك قيل فيه بوجهين قيل قوله ننجيك من النجوة اي نلقيك
في النجوة وهو مكان الارتفاع والاشراف ليراه كل احد انه هلك ليظهر لهم انه لم يكن الها على ما ادعى لعنه الله
واما سائر ابدان قومه لم تلق على النجوة ولكن بقيت في البحر والثاني قيل ننجيك اي نخرجك من البحر ولا نتركك
فيه لتكون لمن خلفك آية والثاني ان ننجيك ببدنك ولا ننجيك بنفسك لانه ذكر في القصة انهم لم يؤمنوا وانه
الى النار كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا اخبر انه لم يوصل بروحه الى النار ولكن اخرج بدنه وذهبت
روحه الى النار ما بقي والله اعلم ليرى جسده ويظهر كذبه ولا يشتبه امره عليهم وقوله لتكون لمن
خلفك آية يحتمل وجهين يحتمل لتكون هذه كذا آية لمن يدعي الربوبية والالوهية مثل ما ادعى هو او يحتمل لتكون
لمن خلفك آية اي من بعدك كيف كان عاقبة ملكك كان آية له وقوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
قال بعض اهل التاويل يعني اهل مكة عن آياتنا لغافلون عن هلاك فرعون وقومه لانهم قالوا ما هذا الا افك
مفترى وما هذا الا سحر فيقول هم غافلون عما اصاب اولئك اذ مثل هذا الا مفترى

اي في القصص ويحتمل وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون اي كثيرا منهم كانوا غافلين عما اصابهم والغفلة
تكون على وجهين احدهما على اعراض وعناد بعد العلم به ومعرفته انه حق والثاني لغفلة بترك النظر والتفكر
فكلا الوجهين مذموم وقوله ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق قال عامة اهل التاويل
بوانا انزلنا بني اسرائيل منزل صدق وقال بعضهم بوانا هيأنا لبني اسرائيل مبوأ صدق مهيأ صدق هنا كقوله
واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآية اي تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله بوانا بني اسرائيل
مبوأ صدق اي مكناهم تمكين صدق وهو كقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض الآية يحتمل ما ذكر من التبوئة التمكين الذي ذكر في هذه الآية وقوله
مبوأ صدق قال بعضهم منزل صدق اي كريم وقال منزل الصدق اي حسن ويحتمل وجها آخر احدهما انه وعدهم
ان يمكن لهم في الارض فانجز ذلك الوعد فهو مبوأ صدق اي تمكين صدق حيث انجز ذلك الوعد وصدق الوعد
ما ذكروا اورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الآية والثاني مبوأ صدق اي مبوأ اهل صدق الا ان الم

كانه لم يزل منزل الصدق وعلى هذا يخرج قوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية اي اخرجني مخرج
اهل الصدق وادخلني مدخل اهل الصدق والله اعلم وقوله ورزقناهم من الطيبات قال اهل التاويل يعني
المن والسلوى ويحتمل الطيبات هي التي طابت في الانفس واحل في الشرع مما لا تبعة على اربابها مما لم يعص فيه وقوله فما
اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم اي فما اختلفوا في النبي الا من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل فما اختلفوا في محمد انه
رسول الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه مرسل من عند الله ويحتمل قوله فما اختلفوا في ما هو نبأ رسول الله الا من بعد ما
جاءهم العلم انه رسول الله وقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون الآية ظاهر من الوعيد
الذي ذكرنا وقوله ان ربك يقضي بينهم يحتمل وجهين احدهما الجزاء والثواب والثاني في تبيين المحق من المبطل وقوله
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب اختلف فيه قال بعضهم الخطاب به لرسول الله والمراد منه
غيره وقال بعضهم الخطاب به والمراد جميعا غيره وقال بعضهم الخطاب به والمراد به رسول الله ان كنت في شك مما اخبرتهم وانبا

فان قال الخطاب لرسول الله والمراد به غيره وهو ما ظهر في الناس انهم يخاطبون من هو اعظم قدرا منهم وقدرا ويريد به
غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك فيما انزل اليه قط او يرتاب كقوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الآية
ومعلوم انه في وقت ما خاطب به لم يكن ابواه احياء فدل انه اراد به غيره فكذلك الاول ومثل الخطاب والمراد به من
هو سواه صلى الله عليه وسلم يقول ان الموقنين الكفرة كانوا يتقدمون رسول الله فيلقون شيئا فيخاطب
الذي يتقدم وهذا كان بحضرة الوحدان والجماعة يقول فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب
وقوله انزلنا اليك على هذا التاويل هو منزل اليه اذ كل ما انزل على رسول الله منزل عليه واليه والى كل احد كقوله اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم امرهم باتباع ما انزل اليهم ولان كل منزل على رسول الله منزل عليهم ومثل الخطاب والمراد به
غيره لما لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك في شيء مما انزل اليه ولكنه يريد به التقرير عنده لنقل الكفار ان الذي يلقي
عليه الشيطان فيريد به التقرير عنده او يخاطب به كل شاك كقوله يا ايها الناس ما غرك بربك الكريم وهو يخاطب
انسانا واحدا ولكن المراد به كل انسان مغرور وكل كافر وذلك جائز وفي القرآن كثير ان يخاطب به كل في نفسه ومن
قد خاطب به رسوله واراد هو ايضا وهو كان في الابتداء على غير يقين انه يوحى اليه اولا كقوله وما كنت تتلو
من قبله من كتاب وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقال فان كنت في شك مما نزل اليك فاسال الذين
يقرؤون الكتاب التي اخبرتهم وآباءهم وادعيت انه اوحي اليك ليخبروك على ما اخبرتهم وقوله فاسال
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك قال بعضهم هم الذين يقرؤون الكتاب يعني من آمن منهم وقال بعضهم سل اهل الكتاب
منهم يخبر ذلك لانه مكتوب عندهم كقوله يجدونه مكتوبا عندهم الآية وقوله لقد جاءك الحق من ربك قيل الحق
القرآن جاء من ربك وقيل جاء البيان انه من عند الله وقوله فلا تكونن من الممترين انه كذلك ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا انه يريد بالخطاب غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكون من الشاكين او يكون من الذين كذبوا بآيات الله او يكون من الخاسرين وقوله ان الذين
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هو قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا
يكون في الحكم من يختم به يعني بالكفر فقد حقت كلمة ربك لاملان جهنم او حقت عليهم كلمة ربك ما ذكر في آية اخرى اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب الآية او كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقوله حقت عليهم كلمة ربك اي علم ربك
بانه لهم اي من كان في علمه انه لا يؤمن فلا يؤمن وقت اختيار الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادي له اي من يضلل
الله فلا هادي له وقت اختيار الكفر وكذلك قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختيارهم الظلم ونحو ذلك
قال ولا يلزم الا وهو يرجع الى الكفر به وان في الى وقت من ثبت في علم ربه انه لا يؤمن الى وقت انه لا يؤمن في ذلك الوقت
وقوله ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم بين في الدنيا ايمان دفع العذاب ويحتمل في الدنيا
وقد ذكرناه هذا وقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم الآية

اي لم تكن التوبات عند معاينة الباس ايمانا نافعا الا ايمان قوم يونس فانهم امنوا ايمان حقيقة وعلم الله صدقهم من
ايمانهم فنفعهم ايمانهم فهذا يخرج على وجهين احدهما ان سائر القرى كان ايمانهم عند اتيان العذاب اليهم ووقوعه عليهم فلم
ينفعهم الا قوم يونس كان نزول العذاب بهم على التخيير والتمكين ان قبلوا الايمان وامنوا دفع العذاب عنهم وان لم
يقبلوا نزل بهم والثاني كان ايمان سائر القرى بعدما عاينوا مقامهم في النار فامنوا فيكون ايمانهم ايمان اضطرار
وقوم يونس امنوا قبل ان عاينوا ذلك ويشبه ان يكون قوله فلولا كانت قرية امنت بعد وقوع العذاب والباس
فنفعها ايمانها الا قوم يونس فانهم امنوا اذا عاينوا العذاب قبل ان يقع بهم وايمان فرعون وقومه انما كان بعدما غرقوا
وبعدما خرجت انفسهم من ايديهم فلم يقبل وايمان قوم يونس كان قبل ان يقع العذاب بهم وانفسهم في ايديهم بعد فقبل
وهو ما ذكر عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الاية امنوا بعد ما عاينوا قبل ان يقع بهم وسائر
الامم الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثاله واصله ما ذكرنا انفا وقوله لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي قوله كشفنا عنهم الوعيد بحلول العذاب بهم وعذاب الخزي هو العذاب الفاضح والا الخزي هو العذاب
وقوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا قالت المعتزلة لو شاء ربك لامن من في الارض مشيئة القهر والقسر
لو شاء لاجبرهم وقهرهم جميعا فيؤمنوا والا فقد شاء ان يؤمنوا مشيئة الاختيار لكنهم لم يؤمنوا واستدلوا على ذلك بقوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فيقال لهم ان مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشيئة الجبر والقهر غائبة فاذا جاء
مشيئة الاختيار لم يؤمنوا ولم تنفذ مشيئته فيهم كيف يصدق ما في الغائب عن المشيئة التي هي غائبة انه لو شاء لامنوا
هذا فاسد على قولهم وبعد فان المشيئة لو كانت مشيئة القهر لكانوا مؤمنين بتلك المشيئة وهي خلقه لان ذلك كان فعل من
خلقه لان خلقه كل احد تشهد على وحدانية الله فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة ثم ذكر انه لو شاء لامنوا دل انه لم يرد به
مشيئة القهر ولكن اراد مشيئة الاختيار وتاويل عندنا هو ان عند الله تعالى لطف لو اعطاهم كلهم لامنوا جميعا لكنه علم
انهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنه علم منهم انهم لا يؤمنون شاء ان لا يؤمنوا ثم لا يحتمل ان يتحقق الايمان
بالجبر والقهر لانه عمل القلب والجبر والاكراه مما لا يعمل على القلب انه وان تكلم بكلام الايمان فلا يكون مؤمنا حتى يؤمن بالقلب
فيكون التاويل على قولهم ولو شاء ربك فلا يؤمنوا فهذا تناقض فاسد وبعد فان الايمان لا يكون في حال الاكراه والاجبار
لان الاكراه يزيل الفعل عن المكره كان لا فعل له في الحكم وقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فان
قيل اليس قال الله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون اي حتى يسلمون وذلك اكراه وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله فذلك اكراه فكيف يجمع بين هذا وبين قيل لوجهين احدهما ما ذكر ان هذه السورة مكية وقوله تقاتلونهم او يسلمون مدنية
فيحتمل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكرههم ثم امر بالقتال بالمدينة والحرب والاكراه عليه والثاني
يجوز ان يجمع بين الايتين وهو ان يكون قوله تقاتلونهم او يسلمون اي تقاتلونهم حتى يقبلوا او يتخذوا الاسلام ويتكلموا بكلام
الايمان حتى يحاربوك حتى يقولوا لا اله الا الله والقول بلا اله الا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان في
نفس الامر حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونوا مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب والاكراه مما لا يعمل عليه والله اعلم
وتاويل قوله افانت تكره الناس اي لا تملك ان تكرههم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه ورغبته في ايمانهم
كاد ان يكرههم على الايمان اشفاقا عليهم كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله قيل بمشيئة الله وقيل بعلم الله وقيل بامره وبارادته وهو ما ذكرنا انه لا تؤمن نفس الا بمشيئة الله وارادته
في ذلك ولا يحتمل قوله الا باذن الله سوى المشيئة والارادة لانهم من ما ... بالايمان لم يؤمن فلم يحتمل الامر ولا يحتمل
الله باصله لانه ... ترك الايمان في حال واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون لله عز وجل بعلم من طلقة اختيار عداوته
والخلاف له ثم لم يتولاه لانه يخرج ذلك مخرج العجز له في ان من اختار عداوة احد فلا يجد جبلا رد ولايته
انه انما يحتاج للضعف والعجز فيه وقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قيل الاثم على الذين لا يعقلون
وقيل يجعل العذاب على الذين لا يعقلون اي لا ينتفعون بعقولهم حتى يعقلوا او على الذين لا ينتفعون بعقولهم

وقال بعضهم بانه فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها اي لم تكن قرية امنت فنفعها ايمانها عند نزول العذاب الا قوم
يونس وقال بعضهم فهلا كانت امة اذا رات الباس فكانت مثل قوم يونس فانهم امنوا حين راوا العذاب واصله ما ذكرنا
انه لا يحتمل ان يكون لله تعالى بعلم من خلقه اختيار عداوته والخلاف له ثم لم يتولاه لانه يخرج ذلك مخرج العجز لان في
ان من اختار عداوة احد فلا يجد جبارا ولايته انه انما يحتاج للضعف والعجز فيه والله اعلم وقوله وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله قيل وما كان لنفس في علم الله انها لا تؤمن ان تؤمن اي لا تؤمن نفس في علم الله انها لا تؤمن اما يؤمن
من في علم الله انه يؤمن واما من في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل ما كان لنفس اي لا تؤمن نفس الا بمشيئة الله اذا
انما تؤمن بمشيئة الله ما يفعل انما يفعل بمشيئة الله كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله وقال بعضهم الا باذن الله اي بامر الله
فقد امر اذا امنت انما تؤمن بامره لا تؤمن بامر غيره فالاول اقرب والله اعلم وقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
اي يجعل جزاء الرجس اي جزاء الكفر على الذين لا يعقلون اي الذين لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم وقوله قل انظروا
ماذا في السموات والارض فيه ... والله اعلم اي انظروا الى الاثار ... واحداثها التي في السموات والارض كيف تكون او يقال
انظروا الى اثار ربوبيته والوحدانية في السموات والارض فتوحدوه وتؤمنوا به او يقول انظروا الى اثار سلطانه وقدرته
فتعلموا نعمته وعقابه او انظروا الى اجناس الخلق واتفاقه على تقدير واحد ليدلكم على وحدانيته فكذلك ليس شيء في
السموات والارض يقع عليه البصر الا وفيه دلالة الربوبية حتى طرفة العين ولحظة البصر وقوله وما تغني الايات والنذر
عن قوم لا يؤمنون يحتمل وجوها يحتمل ما تغني الايات والنذر عن قوم صنعتهم المكابرة والعناد انما تغني الايات من نعمته القبول
والاستماع واما من صنعته المكابرة والعناد فلا تغني وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية ويحتمل ما تغني الايات
والنذر لما احض من قوم لا يؤمنون في الدنيا انما تنفع وتغني لقوم يؤمنون فاما من لا يؤمن فلا تغني والثالث وما تغني
الايات والنذر ثم النذر يحتمل الرسل ويحتمل المواعيد التي وعد والاهوال التي نزلت على اوائلهم والله اعلم وقوله
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فهل ينتظرون في نوع من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي الا مثل
ما انتظر الذين خلوا من قبلهم برسلهم من الهلاك فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل ودعائهم عليهم ويحتمل وجها
اخر فهل ينتظرون من نزول العذاب بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب بهم الى هذا فيه بعض اهل التاويل
ويحتمل قوله فهل ينتظرون من تاخيرهم الايمان الى وقت نزول العذاب بهم الا مثل ما اخر اولئك الذين خلوا من قبلهم الايمان
الى وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج على الاياس من ايمانهم اي لا يؤمنون الى ذلك الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم والوجه
الاول على التوبيخ والتعيير بقوله قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين وقوله ثم ننجي رسلنا والذين امنوا
قوله ننجي اي نجينا الرسل والذين امنوا لانه لم يكن بعد رسول ربنا والله اعلم انه وعد ان ينجي الرسل والذين امنوا
كذلك حقا علينا ان ننجي ما وعدنا ان ننجي الرسل والذين امنوا والله اعلم وقوله يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني قوله ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به او كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله اذا شككتم في ديني الذي ادعوكم اليه كنتم شاكين في دينكم الذي انتم عليه فتركتم ديني الذي انا عليه
بالشك ثم تدعوني الى دينكم الذي انتم عليه بالشك فتركهم ذلك اجابتهم بالشك ودعائهم اياه بالشك الى دينهم لان الشك
يوجب التوقف في الاشياء ولا يوجب الدعاء اليه انما يوجب الدعاء اليه بطلان تخيير الشك هذا والله اعلم يحتمل وهو يخرج
على وجهين ايضا احدهما على الاضمار والاخر على المنابذة والاضمار ما ذكرنا ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به وادعوكم اليه
لا الشك فيه هذا وجه الاضمار ووجه المنابذة يقول ان كنتم في شك مما اعبد وادين به فلا اعبد ما تعبدون ... فكذلك
لا اعبد ما تعبدون في الدين ما تدينون به وهو كقوله لكم دينكم ولي دين وقوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والتوفي
هو القابض والنهاية في الافعال ما تعبدون من الاصنام دونه لا يملكون القبض لا توفيكم ولا الاماتة لكم انكم تعبدونها
بذكر سنتهم وطبعهم الى ان الذي يتوفاكم هو المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وقوله وامرت ان اكون من
المؤمنين يشبه ان يكون قوله من المؤمنين من المسلمين كقوله انه من عبادنا المؤمنين وقال انه من عبادنا المؤمنين لعلكم

هذا ويحتمل الايمان نفسه على ما ذكر ان يكون من المشركين او ان كان في شك فنهي ذلك امر ان يكون من المومنين المخلصين له المسلمين انفسهم
والله اعلم وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا اي امرت ان اقيم نفسي بدينه خالصة سالمة لا اشرك فيه غيره ولا اجعل
له ولدا ولا نصيبا او ان يتوجه الي امرت ان اقيم نفسي على ما عليه شهادة خلقتها اذ خلقة كل نفس تشهد على وحدانيته له والوهيته
او يتوجه الي وجه امرك لما ذكرت به وتقيم عليه ولا تكونن من المشركين هذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ان اطعته واجبته ولا يضرك ان تركت اجابته وطاعته وقوله ولا تدع من دون الله يحتمل لا تعبد من دونه ما لا يملك
جر المنفعة ويحتمل الدعاء نفسه اي لا تسم من دون الله الها وقوله فان فعلت فانك اذا من الظالمين هاهنا ذكر الظلم
ان فعل ما ذكر والمراد منه الشرك اذ ذكر في قصة ادم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقد قربا ولم
يكونا مشركين انما كانا عصاة ليعلم ان ليس في الموافقة في الاسم موافقة في الحقايق والمعاني انما تكون الموافقة في
الحقايق في موافقة الاسباب لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
فيه نهي الرجا والطمع الي من دونه اذ اخبر انه لا يوجد ذلك من عند غيره وقوله وان يردك بخير فلا راد
لفضله اخبر انه ان اراد خيرا وفضلا فلا راد لذلك الفضل والخير والايمان من اعظم الخيرات وافضله فاذا اراد لاحد
كان ولا يملك احد دفع ما اراد ولا رده دل انه اذا اراد الايمان لاحد كان مومنا فهو ينقض على المعتزلة حيث قالوا
انه اراد الايمان لكل الخلق كلهم لكنهم لم يومنوا اذ اخبر انه اذا اراد خيرا فلا راد لذلك الفضل وهم يقولون بل يملك
العبد رد ما اراد له ودفعه والله المعصوم وفيه ان ليس لله فعل اعني فعل الخير لانه سماه فضلا والفضل هو فعل
ما ليس عليه وهو المفهوم في الناس ان ما عليهم من الفعل لا يسمون فضلا انما يسمون الفضل ما ليس عليه والله اعلم وقوله
يصيب به من يشا من عباده يصيب به من يشا من الفضل والخير او من الشر وفيه دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال
يصيب به من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم لا يعجل بالعقوبة وقوله يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم
قيل الحق هو محمد وقيل الحق القران الذي انزل عليه ويمكن ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوهم رسول الله
اليه لانه قال يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فيشبه ان يكون الحق هو الدين الذي شكوا فيه اي قد جاكم
ما يزيل عنكم ذلك الشك ان لم تكابروا لما اقام عليهم الحجج والبراهين ويحتمل الحق هاهنا على ما ذكر بعض اهل التاويل وكان
سورة يونس نزل الي اخره ويحتمل الحق القران على ما ذكر بعضهم وهو ما ذكر لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد سماه باسما مختلفة سماه حقا وسماه نورا وشفا ورحمة وهدى وغير ذلك لما ذكر
من تاويله وتكريره وقوله فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي من استدرك
فانما يستوجب ذلك في الدنيا والاخرة ومن ضل فانما يرجع ضرر ضلالته اليه وجنايته عليه اي ما يأمر به ليس
لما يأمر به لمنفعة له او لحاجة نفسه انما يأمر به لمنفعة الخلق ولحاجتهم وقوله وما انا عليكم بوكيل اي
بمسلط قال بعض اهل التاويل هو منسوخ نسخته اية القتال لكنه لا يحتمل لانه وان كان مأمورا بالقتال فهو ليس
بوكيل الله مسلط على حفظ ما لهم انما عليه التبليغ كقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم من شي الاية وقوله واتبع ما يوحى اليك يحتمل القران وغيره من
الوحي غير القران وقوله واصبر حتى يحكم الله اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا يوذونه ويتولعون فيه بالا يليق
به يقول اصبر على اذاهم ولا تعجل العقوبة حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير الحاكمين اي اصبر على
تكذيبهم اياك حتى يحكم الله بينك وبين مكذبيك وهو خير الحاكمين اي اصبر على تبليغ الرسالة والقيام لما امرت والله اعلم

السورة التي فيها ذكر هود عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت قال الحسن
احكمت اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال بعضهم احكمت اياته بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر
والنهي وقال بعضهم احكمت اياته حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يملك احد التبديل ثم فصلت

بينت ما يوتى وما يتقى او بينت ما لهم وما عليهم والله اعلم وقال بعضهم احكمت اياته فلم تنسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل
فصلت اي فرقت في الانزال انزل شيئا فشيئا على قدر النوازل والاسباب لم ينزل جملة لانه لو انزل جملة لاحتاجوا الى ان يعرفوا لكل
سببه وشانه وخصوصه وعمومه فاذا انزل متفرقا في اوقات مختلفة في النوازل والاسباب عرفوا ذلك على غير اعلام ولا بيان والتفصيل
هو اسم التفريق واسم التبيين وذلك يحتمل المعنيين جميعا والله اعلم وقوله احكمت اياته اي احكمت حتى لا يرد عليها النقض والانتقاض
او احكمت حتى لا يملك احد التبديل والتغيير او احكمت عن ان يتم فيه الاختلاف وقال بعضهم احكمت اياته بالفرايض وفصلت
بالثواب والعقاب ثم الايات تحتمل وجوها احدها العبر والثاني الحجج والثالث الاعلام فالاية كل كلمة في القران تكون حجة او
عبرة او علاما لا تخلو عن احدى الوجوه الثلاثة وقوله من لدن حكيم خبير من عند حكيم عليم جات هذه الايات وقوله
الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير اي من الله ينذركم ويخوفكم ويبشركم بشارة من اتبعه وينذر من خالفه وقوله
ان لا تعبدوا الا الله اي لا توحدوا الا الله الذي في شهادة خلقتكم وحدانيته وقوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان كانت
الاية في الكفار فيكون قوله استغفروا ربكم اي اسلموا ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه عن كل معصية وكل ماثم تاتونه وان
كانت في المسلمين فهو ظاهر فيكون قوله استغفروا وتوبوا واحدا وقوله يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم في الدنيا متاعا حسنا تصلون
في الاخرة ذلك التمتع واما الكفار فانهم لا يتمتعون في الاخرة بما تمتعوا في الدنيا لان تمتعهم في الدنيا للدنيا والمومن
ما يتمتع في الدنيا يتمتع للاخرة والتزود لها والله اعلم وقوله ويوت كل ذي فضل فضله يحتمل قوله يوت كل
ذي فضل في الدنيا جزا فضله في الاخرة ويحتمل يوت بعينه اي ما اعطي كل ذي فضل في الدنيا انما اتاه بفضله وقوله ويوت
كل ذي فضل فضله اي ويوت كل ذي فضل في دينه في الدنيا فضله في الاخرة او يقول يعطي كل ذي فضل في الدنيا والاخرة
فضله لان اهل الفضل في الدنيا هم اهل الفضل في الاخرة وان تولوا ولم يسلموا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الايعاد
وقال عظيم في موضع اخر وهذا لما يكبر على الخلق ويعظم ذكر اليوم وقال بعض اهل الفقه في قوله الر كتاب احكمت ثم فصلت
دلالة جواز تاخير البيان لانه قال احكمت اياته ثم فصلت وحرف الثم من حروف الترتيب فيه جواز تاخير البيان والله اعلم وقوله
الى الله مرجعكم اي الى ما اعد لكم مرجعكم من وعد ووعيد وهو على كل شي قدير اي هو على كل ما وعد واوعد قدير وقوله
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه عن عبد الله بن شداد قال كان احدهم اذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى بثوبه وحنا صدره وقال
قتادة كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله وذكره وقال بعضهم نزلت الاية في رجل يقال له الاخنس بن
شريق الثقفي كان يجالس النبي عليه السلام ويظهر له ما يرضيه وكان حسن المنظر حسن الحديث وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يعجبه حديثه ويقربه بمجلسه وكان يضمر خلاف ما يظهر فانزل الله الا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما في صدورهم
ويستترون وهو قول ابن عباس واصل تثنية الصدور هو ان يطوي احد طرفي الصدر الى الطرف الاخر ليكون ما اضمر
واسر واخفى ويشبه ما ذكر من تثني الصدور ان يكون كناية عن ضيق الصدر كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
او عبارة عن الكبر كقوله ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله الاية وكان اصل الميل الى غيره وهو ما قال ابو عوسجة يثنون
صدورهم اي يميلون الى غيره وكذلك قوله ثاني عطفه وقوله ليستخفوا منه قال بعضهم من الله وقال بعضهم منه اي
من رسول الله لكن ان كانت الاية في المنافقين على ما ذكر بعض اهل التاويل فهو الاستسرار والاستتار من رسول الله
لانهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون الخلاف له والعداوة وان كانت الاية في المشركين فهو على الاستسرار والاستتار
من الله لانهم لا يبالون الخلاف لرسول الله واظهار العداوة له وعندهم ان الله لا يطلع على ما يسرون ويضمرون في قلوبهم
فاخبر انه يعلم ما اسروا وما اعلنوا وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يسرون ذلك عنه ويضمرونه
في صدورهم ثم يطلع الله على ذلك بعد تعالى وقوله الا حين يستغشون ثيابهم اي يستترون بها قال الحسن الا حين
يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل وفي اجواف بيوتهم يعلم تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون في اصلابهم يعلمون ان الله هو
الذي ان ستر الصدور والقلوب والثياب هم الذين يحجبون والشيوخ ثم لا يملكون الاستتار باكثر مما ستروا فلان لا يملكوا
الاستتار عما تولى سواه احق وقوله الا حين يستغشون الا انما هو تاكيد الكلام وهو قول عيسى وغيره وقوله

انه عليم بذات الصدور قال اهل التاويل عليم بما في الصدور ولكن يشبه ان قوله عليم بذات الصدور ما يخرج من صدورها
تدبيرا وتمييزا هو البشر وقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قال بعضهم عنى بالدابة الممتحن به وهو البشر واما
غير من الدواب فقد سخر للممتحن به وهو لم يكن اراد كل دابة تدب على وجه الارض من الممتحن به وغيره وقيامه ما من دابة
في الارض جعل قوامها وحياتها بالرزق الا على الله ان شا ذلك الرزق لها بالرزق ما جعل بالسبب وشي ما جعل بغير سبب
وقوله الا على الله رزقها اختلف فيه ايضا قال بعضهم قوله على الله رزقها اي على الله انزال رزقها وخلقه لها الذي به
قوامها وحياتها وهو كقوله وفي السما رزقكم اي سببه ويخلق رزقنا بسبب من السما من المطر وغيره فكذلك قوله على الله
رزقها اي على الله انزال رزقها وخلقه لها وقيل على الله رزقها اي على الله ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها
كقوله وقدر فيها اقواتها الاية عليه تبليغ رزقها وما به معاشها ثم قوله على الله قال بعضهم ما جاءها من الرزق انما جا
من الله اياها [illegible] وعلى الله بمعنى من الله وذلك جائز في اللغة كقوله اكتالوا على الناس اي من الناس وهو قوله
كما سيد ويحتمل قوله على الله رزقها اي على الله وفا ما وعد وقد كان وعد ان يرزقها فعليه وفا وعده وانجازه ويحتمل
وجها اخر وهو انه لما خلقها انه يبقيها الى وقت عليه تبليغ ما به تعيش الى ذلك الوقت والاجل الذي خلقها ليبقيها الى
ذلك وبعضه قريب من بعض وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها
بالنهار في معاشها وقال بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وقال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم
وقال بعضهم المستقر المتقلب في الدنيا والمستودع مثواها في الارض كقوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم في الدنيا
وتحرككم في معاشكم ومثواكم اي قراركم ومثواكم في الارض وقال بعضهم مستقرها في الدنيا ومستودعها في القبر
ويشبه ان يكون هذا اخبارا عن العلم بها في كل حال في حال سكونها وفي حال حركتها لانها لا تخلو اما ان تكون ساكنة
قارة او متحركة اي يعلم [illegible] كلها ويشبه ان تكون صلة ما تقدم وهو قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
الاية يخبر انه اذا لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض وما تغيض به الارحام وما استودع في الاصلاب كيف يخفى
عليه اعمالكم التي عليها العقاب ويكون بها الثواب وفيها الامر والنهي والله اعلم وكل في كتاب مبين اي مبين في كتاب قيل
في اللوح المحفوظ ويحتمل القران وغيره وقوله وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقال
في موضع لم خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وقال في موضع اخر ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وقال فقضاهن سبع سموات في يومين وقال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام يجوز ان يكون جعل
للارض يومين يوما لوجودها ويوما لعدمها وكذلك السما جعل يوما لوجودها ويوما لعدمها كقوله يوم تبدل الارض
غير الارض الاية وكقوله يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب ويوم تشقق السما بالغمام وكذلك ما بينهما جعل يوما
لوجوده ويوما لعدمه فيكون يوم السابع يوم البعث يكون لكل من ذلك يومين يوما لوجوده ويوما لعدمه وقد ذكرنا
فيما في ذلك ما احتمل وجهنا في سورة الاعراف وفي بعض الاية دلالة ان السموات والارض دخلتا تحت الاوقات
بقوله في ستة ايام اذ الايام عند الناس انما هو مضي الاوقات فاذ دخلت تحت الاوقات ليستا بازليتين على ما
يقول بعض الملحدين انهما ازليين كانا كذلك والله اعلم وجائز ان يكون اليوم السابع هو اليوم الذي كان الممتحن فيه
هو المقصود في خلق ما ذكر من الاشيا اعني من الاشيا البشر وقوله وكان عرشه على الما ان كان العرش اسم
الملك والسلطان فهو على ما قال بعضهم على الما وبالما وبه والله اعلم كان اظهر ملكه من الما على بعض عن وذلك جائز
في اللغة لانه بالما ظهر كل شي وبدو كقوله وجعلنا من الما كل شي حي وان كان العرش اسم السرير والكرسي على
ما قال بعض الناس فهو عرش الملك وسرير خلقه ليكرم به اولياءه المتقين بلا [illegible] واكرمه لا على ما يكون لملوك
الارض سرير يستعمل فيهم [illegible] وهو مخلوق من خلقه اضافه اليه كما تضاف الاشيا الى الله لكنه تضاف
الاشيا اليه مرة بالاجمال مرة [illegible] بالاشارة والافراد لكن ما اضاف اليه بالاشارة فهو على تعظيم ذلك الشي
وما اضيف اليه الاشيا بالاجمال الارسال فهو على ذكر عظمته وكبريائه كقوله له ملك السموات والارض وخلق السموات

والارض ونحو هو يخرج على ذكر تعظيم البيت والله [illegible] اعلم وقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق السموات والارض
وما فيهما لم يخلق هذه الاشيا لانفسها انما خلقها للممتحن فيها كقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لان خلقها
لانفسها عبث لانها مخلوقة للفنا خاصة فكل مخلوق للفنا خاصة فهو عبث لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله ولئن قلت
انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت هذا التقول
نفسه انكم مبعوثون من بعد الموت ليس يقولون هذا سحر ولكن اذا احتج انهم مبعوثون من بعد الموت واقام الحجج والبراهين
على البعث حينئذ قالوا للحجج والبراهين ما هذا الا سحر ويحتمل وجها اخر وهو ان يذكر سفههم انهم اعتادوا نسبة كل شي الى السحر
من الاشيا التي لا تحتمل السحر هو الصدق لان السحر انما يكون في تقلب الاشيا واما فيما يخبر عن شي يكون فلا وقوله
ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل الى وقت معلوم وهو البعث ذكر امة والله اعلم لانه وقت ينقضي به اجال الامم
جميعا ليقولن ما يحبسه اي كانوا يقولون ما يحبس عنا العذاب الذي يعدنا لم تزل عادتهم استعجال العذاب استهزاءهم
وقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ذلك العذاب اذا جا لا يملك احد صرفه عنهم كقوله ما لهم من دونه من وال وقوله
ما لهم من الله من واق ونحو وقوله وحاق بهم قيل نزل بهم وقيل حق بهم ما كانوا به يستهزءون وجزا استهزائهم
بالرسول والكتاب وقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم اي لا يصرف عنهم بشفاعة من طمعوا شفاعته كقوله واتخذوا من
دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا اي لا يكون ردا على طمعهم [illegible] العباد بهم وقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون
ونحو ذلك لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم وقوله ولئن اذقنا الانسان منا رحمة قيل سعة في المال
والنعم ثم نزعناها منه انه ليؤوس اياسه [illegible] ذلك عنه [illegible] العود ذلك اليه والقنوط والاياس قد يكون
كفرا كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويحتمل قوله انه ليؤوس في حال ذهاب النعم والكفور في حال
النعم والسعة كفور لما اي نزع ذلك المال والسعة منه جزعا وطلبا نحو كفور وعن ابن عباس قال ولئن اذقنا الانسان
يعني الكافر منا رحمة يقول نعم العافية والسعة في المال ثم نزعناها منه يعني الرحمة انه ليؤوس يعني قنوطا آيس
والقنط من رحمة الله [illegible] وقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الفرح هو الرضا كقوله وفرحوا بالحياة الدنيا اي
رضوا بها وقيل الفرح البطر بطر في حال السعة والرخا كقوله ان الله لا يحب الفرحين والفرح قد يكون كفرا ويكون
الفرح سرورا ولا يكون كفرا والفخور يفتخر على الفقرا بما لا الدنيا اعطي او يفتخر على الانبيا والرسل بالتكذيب وكذلك
كان عادة رؤسائهم انهم كانوا [illegible] فلا [illegible] الرسالة تكون فيمن دونهم في المال والسعة كقولهم لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالا واولادا ونحو ويحتمل قوله ليؤوس في حال الشدة
كفور [illegible] في النعمة في الرخا والسعة وذلك انهم كانوا لا ينظرون في النعم الى من انعم عليهم انما ينظرون الى اعين النعم
وانفسها لذلك حملهم نزع ما اعطوا منهم على الاياس والقنوط واعطاؤها اياهم على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا في ذلك
النعم الى المنعم لم يمنعهم الاياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل بل يصبرون عند النزع من ايديهم ويشكرون
للمنعم اليهم في حال النيل ثم استثنى فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال بعض اهل التاويل الا الذين صبروا على
البلايا والشدائد وعملوا الصالحات يعني الطاعات ويشبه ان يكون قوله الا الذين صبروا اي اسوا على ما ذكر في غير
واحد من الايات الا الذين امنوا وعملوا الصالحات كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا او يكون قوله
الا الذين صبروا عن المعاصي فلم يرتكبوها وعملوا الصالحات اي الطاعات والايمان نفسه هو اعتقاد الانتهاء عن المعاصي
كلها والانقياد بجميع ما يفضل [illegible] واتيان الطاعات جميعا وهكذا يعتقد كل مؤمن انه ينتهي ويتقي كل معصية
وياتي بكل طاعة [illegible] هذا اعتقاد كل مؤمن وحقيقة الوفا [illegible] كذلك كلا وقوله اولئك لهم مغفرة واجر كبير
يشبه ان يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا على الصغاير من الذنوب وانتهوا عن الكباير ويجوز واجر كبير على ما اتوا وعملوا
من الكباير من الطاعات ويحتمل لهم مغفرة الستر في الدنيا ستر عليهم تلك الذنوب في الدنيا فلم يطلع عليها الخلق واجر كبير في ما

اظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس اليهم بعين عظيم بما ظهر منهم من الخيرات وخفي عليهم ما ارتكبوا من المعاصي
هذا التاويل يكون في الدنيا والاول في الاخرة **وقوله** فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية ولئن كان معلوم
انه لا يترك كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وامثاله وان كان معلوم ان رسول الله لا يفعل ذلك
وانما احتمل النهي كما يقول الرجل لاخر لعلك تريد ان تفعل كذا نهيا له عن ذلك والثاني يقال عند القرب الى الفعل والدنو
منه كقوله لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يقال حرف كاد عند الميل اليه والقرب منه طمعا منه في ايمانهم وذلك انما يحمل له الترك
وذكر ما قيل من نحو سب الهتهم وذكر العيب فيها يحمل له ترك سب الهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله لعلك باخع نفسك على
هذين الوجهين على المنع ان لا يحمل على نفسه اشفاقا على انفسهم ان لا يؤمنوا ما يوجب تلفهم والثاني على التخفيف كقوله ولا تحزن
عليهم الاية وقوله فلا تخافي ولا تحزني هو على التخفيف ليس على النهي وفي قوله فلعلك تارك الاية وجه اخر وهو انه يخرج
مخرج البشارة له لما كان يخاف من ضيق صدره واشتغال قلبه عند سوء معاملتهم اياه فيمتنع له فيه تاخير في ابلاغ ما امر
بتبليغه فامنه الله من ذلك وعصمه والوجه الثاني في النهي عن ذلك هو ما يمنع له في الرجاء وذلك ان الاخبار اذا ابتلوا
بالاستقرار قد يؤذن لهم بمفارقتهم وترك الامر بهم فلعله كان يمنع له في مثل الرجاء انه قد يؤذن له في حال من الاحوال تاخير التبليغ
فاياسه من ذلك وكلفه تبليغ ما امر له في جميع احواله وبعض ما يوحى اليك يحتمل ما ذكر اهل التاويل من سب الهتهم وعيبها
وما دعوا اليه **وقوله** وضائق به صدرك بتضييق صدره بما يقولون له استهزاء وكذا الحق ان كل من استهزئ به ان يضيق
صدره او بضيق صدره لما لا يقدر على اتيان ما طلبوا منه من الكنز وانزال الملك وقد وعدوا ان يؤمنوا لو فعل والله
اعلم **وقوله** لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك لان للكنز والملك محلا في قلوب اولئك وقدرا فقالوا لولا انزل عليه
كنز فيعطي فيصدق على ما يدعي وكذلك الملك له محل عظيم عندهم اذا كان معه عظموه وصدقوه **وقوله** انما انت
نذير على اثر قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اي انما انت نذير ليس عليك اتيان ما سألوا انما ذلك كله من الله
تعالى وانما فيما عليك البلاغ ما انزل اليك كقوله ان عليك الا البلاغ والله على كل شيء وكيل اي حفيظ لكل ما
يقولون لك ويتوعدون به او هو الوكيل والحفيظ الا انت كقوله لست عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بوكيل ونحو
والله اعلم **وقوله** ام يقولون افتراه اي قالوا انه افتراه اي يقولون افترى هذا القران من عند نفسه قل يا محمد ان
كان افتريته على ما تقولون فاتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات لانكم اقدر على الافتراء من محمد لانكم تعودتم انفسكم
الكذب والافتراء ومحمد لم تاخذوا عليه بكذب قط ولا ظهر منه افتراء فمن عود نفسه الافتراء والكذب اقدر ممن لم يعرف به
فاتوا بعشر سور مثله وادعوا ايضا شهداءكم من الجن والانس من استطعتم من دون الله يعينونكم على اتيان مثله ان
كنتم صادقين انه افتراه من عنده او يقول فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اي ان محمدا قد جاءكم بسور فيها انباء ما اسررتم
واخفيتم ما لا سبيل الى معرفة ذلك والاطلاع عليه الا من جهة الوحي من السماء والاطلاع لله اياه فاتوا انتم بسورة
مفتراة فيها انباء ما اخفيه واسره وتطلعون انتم على سرائري ما اطلع هو على سرائركم وادعوا من استطعتم ممن
تعبدون من دون الله من الالهة ان كنتم صادقين انه افتراه او يقول انكم مثل لسان محمد فان قدر هو على الافتراء
افترى مثله من عنده فتقدرون انتم على افتراء مثله فاتوا به وادعوا ايضا من ان نزل بكم حتى يعينوكم على ذلك
ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم **وقوله** فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال في موضع اخر فاتوا بسورة
من مثله قال بعضهم بعشر نزل قبل ولم يقدروا على مثله **وقوله** فاتوا بسورة من مثله ادعوا اولا ان ياتوا بعشر
سور فعجزوا عن ذلك عند ذلك قيل لهم ائتوا بسورة من مثله وقوله بعشر سور مثله مفتريات فان قيل كيف ذكر
فاتوا بسور مفتريات قيل معناه ان كان هذا ما يحمل الافتراء على ما تزعمون فاتوا بمثله انتم لانكم اقدر على الافتراء
من محمد فاذا لم تقدروا لم يقدر احد على ذلك **وقوله** فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم تقدروا انتم ولم يجيبوكم
اولئك الى الاعانة على اتيان مثله فاعلموا انما انزل بعلم الله وبامره اتاه ومن عنده نزل ليس بمفترى على ما
تزعمون وان لا اله الا هو لا الوهية لمن تعبدون دونه من الاصنام والاوثان والثاني فان لم يستجيبوا لكم يا

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تقدروا على مثله فاعلموا انتم انه انما انزل بعلم الله ومن عنده ترك على التنبيه والتذكير
لهم وان كانوا علموا انه من عنده نزل كقوله فاعلموا انه لا اله الا الله على التنبيه والتذكير ليس على انه لا يعلم فيما ذلك
الاول **وقوله** فهل انتم مسلمون خاضعون له مخلصون وعلى التاويل الاول على حقيقة الايمان والاسلام والله اعلم
وقوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية اختلف فيه قال بعضهم الاية في اهل الايمان الذين عملوا الصالح
مراءاة للخلق يستوفون اليهم اعمالهم فيها من الذكر فيها والشرف وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباهاة ويجزيهم الله
في الدنيا جزاء تلك الاعمال التي عملوها وبطل ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون لانهم عملوا لغير الله فلا يجزون في الاخرة باعمالهم
لكن في عذابه سبيل ابن عباس انه روي في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ما بال العبد المعروف بالخير يشدد عليه
عند الموت والرجل المعروف بالشر يهون عليه الموت فقال المومن يكون له ذنوب فيجازى بها عند موته فيفضي الى الله
في الاخرة ولا ذنب عليه والكافر يكون له الحسنات فيجازى بها عند الموت فيخفف عنه بها كرب الموت ثم يفضي الى الاخرة وليس
له حسنة او كلام نحو هذا وقال بعضهم الاية في اهل الكفر يعملون اعمالا في الظاهر صالحة نحو التصدق على الفقراء وعمارات
الطرق واتخاذ القناطر والرباطات في الظاهر صالحة فيوفون لهم جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا لا ينقص
منها شيئا فيوسع عليهم الدنيا وجائز ان يكون قوله نوف اليهم اعمالهم اي نجزيه اليهم اعمالهم التي عملوها فلا يقبلونها ويكون
ايضا اعمالهم الرد **وقوله** وهم فيها لا يبخسون اي لا ينتقصون مما قدر لهم من الرزق الى انقضاء مدتهم واجالهم
ثم يكونوا به **وقوله** اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار على هذا التاويل ظاهر ليس لاهل الكفر في الاخرة الا
النار وعلى التاويل الاول الذي قال انها في اهل الايمان اي لا يستوجبون بتلك الاعمال التي عملوها مراءاة الا النار
لانه اذا راءى فيها ما يخلصها لله صنيع امره وكل من ضيع امر الله وفريضته يستوجب التعذيب على ولله العفو وليس في الاية
انه لا محالة يعذبهم بعملهم المراءاة والله اعلم **وقوله** فاعلموا انما انزل بعلم الله فيه دلالة نقض قول الجهمية والمعتزلة
بنفيهم العلم عن الله وفي الاية اثبات العلم له بقوله انزل بعلم الله **وقوله** افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
قوله افمن حرف يقتضي الجواب لكن الجواب لم يخرج في الظاهر فكان جوابه ان يقول فمن كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة
من ربه كما قال في اية اخرى افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى لا يعلم فيها ذلك جواب
قوله افمن كان على بينة من ربه كمن لا يكون على بينة من ربه لكن الجواب عندنا يكون على وجهين يكون بالتصريح مسموعا مذكورا
ومرة بالاشارة ومرة بالكناية على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
الاية يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي لا يكون كذلك ومنهم من يجعل جوابه فيما
تاخر وهو قوله ومن يكفر به من الاحزاب كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يكفر به من الاحزاب اي لا يكون كذلك
وقالوا يجوز تقديم الجواب وتاخيره كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه لم يخرج
لهذا ايضا جواب التصريح ثم اختلفوا في جوابه قال بعضهم جوابه فيما تاخر قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون امن هو قانت وصف الذين يعلمون فكانه قال امن يعلم كمن لا يعلم ومنهم من يجعل جوابه في قوله واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل
تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يقول من جعل لله اندادا او ضل عن سبيله وصار من اصحاب النار كمن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقائما اي لا يستويا وقال مقاتل ليس الذي على بيان من ربه كالذي موعده النار والله اعلم
وجائز ان يكون على طرح الالف فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى الاية يقول لمن
كان على بيان من ربه او كيف يؤمنون به ثم قوله بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال بعضهم دين من ربه اي من كان
على دين من الله ويتلوه شاهد منه اي يتلو لما هو عليه من الدين شاهد منه كمن كان على دين الشيطان ولا شاهد له
على ذلك وقال بعضهم قوله افمن كان على بينة من ربه اي على برهان من ربه وحجة ويتلوه شاهد منه على ذلك كمن لا على
برهان من ربه ولا حجة ولا شاهد له على ذلك ثم قال بعضهم قوله يتلوه شاهد منه جبريل او ملك يتلو عليه القران وقال

بعضهم يتلوه شاهد منه لسانه وقال بعضهم يتلوه شاهد منه هو القرآن ونحن لم نؤول أفمن كان على بينة من ربه يحتمل الكتاب جميع الزبر
آمنوا به ومن قبله كتاب موسى أصحاب التوراة الذين آمنوا أولئك يؤمنون به أي هؤلاء الذين آمنوا بهؤلاء الذين يؤمنون بمحمد
وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة قيل فيه بوجهين قيل ومن قبل القرآن كتاب موسى
جاء به جبريل إلى موسى كما جاء بهذا القرآن إماما يقتدى به ورحمة من العذاب لهم ويحتمل قوله ومن قبله يعني قبل القرآن كتاب
موسى التوراة إماما فيه أنباء هذا القرآن وأنباء محمد أنه رسول كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وقوله
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأمثاله ويحتمل قوله إماما ورحمة وعن ابن عباس قال إماما ورحمة كان كتاب موسى وهو التوراة
إماما يقتدى به وكان رحمة أولئك يؤمنون به قال أصحاب محمد الذين آمنوا به من أهل الكتاب وغيرهم ويحتمل قوله
أولئك يؤمنون به أي مؤمنو أهل التوراة يؤمنون بالقرآن ويعتقدونه كما آمنوا بالتوراة واقتدوا بها وقوله
ومن يكفر به أي بالقرآن من الأحزاب الأحزاب الفرق والأصناف يحتمل من يكفر به أي بالقرآن من الفرق ويحتمل
يكفر به أي بمحمد ويحتمل الدين الذي هو عليه ويدعوهم إليه فالنار موعده إن مات على ذلك وأما إذا أسلم ومات على
الإسلام فلا تكون النار موعده وقوله فلا تك في مرية منه يحتمل قوله الوجوه الثلاثة التي ذكرنا من الدين والقرآن
والنبي يحتمل موعده ويحتمل الخطاب به لما ذكرنا في قوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين فلا
تكونن من الجاهلين وأمثاله فكذلك هذا وقد ذكرنا أن العصمة لا ترفع النهي والأمر بل تزيد بهما لأن بالعصمة
يظهر سواء اختيار الأمر ومخالفة النهي عن المحظور وقوله إنه الحق من ربك يحتمل القرآن ويحتمل الدين الذي عليه
ويدعوهم إليه ويحتمل موعده الحق من ربه ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقوله ومن أظلم ممن افترى على الله
كذبا هو ما ذكرنا أن لا أحد أظلم على نفسه ممن أخذ نفسه من معبوده وشغلها بعبادة من لا يملك له نفعا ولا
ضرا ولا جزاء إن ترك عبادته أو يقول لا أحد أظلم على نفسه ممن ألقى نفسه في عذاب الله ونقمته أبدا
بافترائه على الله وبآيات الله العظيمة والعقوبة وفيه الثاني وبه لا أحد أظلم على نفسه ممن افترى على الله كذبا وفي المعنى لا
أحد أفحش ظلما ممن افترى على الله كذبا بعد معرفته أن جميع ما له من الله تعالى وقوله أولئك يعرضون على ربهم
أي أولئك الذين تعرض أعمالهم على أنفسهم عند ربهم فإن وافقت أعمالهم ما في شهادات خلقتهم أدخلوا الجنة
وإن خالفت أعمالهم شهادات خلقتهم أدخلوا النار وتعرض أعمالهم على أنفسهم عند ربهم لأن الله عز وجل عالم بما كان
منهم من الأعمال والأقوال على ربهم أي عند ربهم كقوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أي عند ربهم وذا ويحتمل
ما ذكرنا يعرضون على ربهم لا لنفسهم لأنهم إنما يأمرون وينهون ويمتحنون لأنفسهم ولمنافع أنفسهم فيكون
عرضهم لهم وأن يكون قوله أولئك يعرضون على ربهم في الدنيا ويقول أولئك يعرضون لأنفسهم
على ربهم من عرضهم كان منه والله أعلم وقوله ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اختلف
فيه قيل الأشهاد الرسل والأنبياء وقال بعضهم الأشهاد الملائكة وقال بعضهم الأشهاد المؤمنون فمن قال
هم الأنبياء والمؤمنون فهو كقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكقوله وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا ومن قال هم الملائكة كقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقوله وإن عليكم
لحافظين كراما كاتبين الآية ونحوه ومعناه والله أعلم أنه تعرض أقوالهم وأعمالهم على أنفسهم فإن أقروا
بها فهو إلى أن ردوا وإن أنكروا يشهد عليهم ما ذكرنا الشهداء فإن أنكروا أيضا لم أقروا حتى تلك الآية فإن
أنكروا ذلك تشهد عليهم جوارحهم كقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم الآية ويحتمل أن يكون
الملائكة نادوا في ملأ الخلق قبل أن يدخلوا النار هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويحتمل ما ذكر من شهادة الذكر
كانوا أشهدوا كلهم بكتابة أعمالهم وأقوالهم يجزون بما كسبوا في الكتب وقوله ألا لعنة الله على الظالمين اللعنة
قال بعضهم هي الطرد من جميع المنافع والإبعاد عن رحمة الله في الدنيا عن دينه وفي الآخرة عن ثوابه وقال
بعضهم اللعنة هي العذاب وقوله الذين يصدون عن سبيل الله يصدون يحتمل وجهين يحتمل أنا عرضوا

هم بأنفسهم عن دين الله ويحتمل صرفوا الناس عن دين الله لكنه يتبين ذلك بالمصدر أنه أراد ذا أو ذا ويقال في الإعراض
نفسه صد يصد صدودا وكقوله يصدون عنك صدودا ويقال في صرف غيره صد يصد صدا وقوله ويبغونها عوجا
قال بعضهم هو بغاة على دين الله الحجة وقال بعضهم يبغون من أن الميل عن دين الله الحق ونحو ذلك هو بغي العوج
عن سبيل غير سبيل الله هو عوج ويحتمل أنه يبغون سبيلا غير سبيل الله وهم بالآخرة هم كافرون في الدنيا وقوله
أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي أولئك لم يكونوا معجزين الله في الدنيا من أن يعذبهم وينتقم منهم إن شاء والثاني
أولئك لم يكونوا ليبقى الله في الآخرة في دفع العذاب عن أنفسهم وجائز أن تكون الآية في الأئمة منهم والجبابرة يخبر
أنهم غير معجزين الله فيما يريد بهم من التعذيب لهم وقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء هم حسبوا أن أولئك
الذين عبدوهم من دون الله يكونون لهم أولياء لأنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى
الله زلفى كانوا يطمعون في شفاعة الأصنام التي كانوا يعبدونها والذين اتبعوهم يكونون لهم أولياء فأخبر أن ليس
لهم أولياء على ما ظنوا وحسبوا بل يكونون لهم أعداء كقوله وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء الآية وأمثاله كثير وكقوله
ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وكقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا أي لم يكن
لهم ما طمعوا وقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا صاروا لهم أعداء على ما ذكر ويحتمل ما كان لهم من دون الله
من أولياء أي لا ينصرهم ولا يمنعهم مما حذروا أولياء كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ونحوه وقوله يضاعف لهم العذاب
هذا يدل على أن قوله الذين يصدون عن سبيل الله في الأئمة الذين صرفوا الناس عن دين الله لأنه أخبر أنه يضاعف
لهم العذاب وهو يحتمل وجهين أحدهما لما ضلوا هم بأنفسهم والآخر لما صرفوا الناس عن دين الله تعالى وقوله ما
كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قالت المعتزلة فيه بوجهين أحدهما أنهم كانوا يسمعون ويبصرون
لكنه قال لا يستطيعون السمع ولا يبصرون استثقالا لأنهم لذلك وهو كما يقول الرجل ما أستطيع أن أنظر إلى
فلان ولا أسمع كلامه وهو ناظر إليه سامع كلامه لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظر إليه وسماع كلامه فعلى ذلك
الأول كانوا يسمعون ويبصرون لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر إليهم فنفاه عنهم لذلك والثاني كانوا لا يستطيعون
السمع أي كانوا كأنهم لا يستطيعون السمع ولا النظر وهو أحق أنهم صم بكم عمي كانوا يتصامون ويتعامون عن الحق
وأما عندنا الجواب لتأويل الأول أنهم كانوا لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون السماع سمع الرحمة
والنظر إليه بعين الرحمة والقبول لهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب
وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمع القلب وبصر القلب كقوله فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور وهذه الاستطاعة عندنا هي استطاعة الفعل لا استطاعة الأحوال إذ جوارحهم كانت سليمة صحيحة فدل
أن الاستطاعة التي بها يكون الفعل لما ذكرنا وفي حرف ابن مسعود يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون
السمع ثم سبيل الكلام من ذلك فتقديره هو قول الله الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون
سمعا إذا سمعوا الوحي تصاموا فيما بهم لم يستطيعوا احتماله ذلك وفي حرف حفصة وما كانوا يستطيعون السمع
بالواو ولما في حرف ابن مسعود ظاهر تأويله أي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا وأبصارا
وإبصارا واضح ما كانوا يستطيعون السمع المكتسب والبصر المكتسب عندنا ما ذكر من السمع والبصر هو المكتسب
والبصر المكتسب والحي المكتسب لأن سمع الآخرة وجوهها مكتسب وصيغة الدنيا والسمع والبصر مخلوقة وقوله
أولئك الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا عبادتهم غير معبودهم الذي كان منه جميع النعم والمنافع
وما كان لهم من الذل والصغار وأما في الآخرة فالعذاب والهوان الدائم بدلا عن النعم الدائمة وضل عنهم
أي بطل عنهم ما كانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الآية وأمثاله وقوله لا جرم أنهم في
الآخرة هم الأخسرون قال أبو عوسجة لا جرم واحدة من الكلام أي حقا إنهم في الآخرة هم الأخسرون وقال
بعضهم لا جرم أي نعم إنهم في الآخرة هم الأخسرون وقال الفراء قوله لا جرم أي لا بد لكن الناس كثروا استعمالهم

فصار في استقرارهم حقا ولا بد في الطمأنينة حقا لانه اذا كان لا بد منه فهو حق و قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة تاويله والله اعلم ان الذين امنوا بالله وبجميع ما انزل على رسوله وعملوا الصالحات وثبتوا
ذلك حتى صاروا الى الله اولئك اصحاب الجنة وهو كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى اي من تاب
من الشرك وامن بالله وعمل صالحا ثم اهتدى اي لزم ذلك حتى صاروا الى الله هكذا في ذلك قوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اي لزموا ذلك كله حتى صاروا الى الله ويحتمل قوله ثم اهتدى سبق الدين اولئك كذا
وقوله واخبتوا الى ربهم اختلف فيه قال بعضهم الاخبات الخشوع والتواضع اي خشعوا وتواضعوا فرقا من ربهم
وقال بعضهم اخبتوا اي اطمانوا على ذلك اولئك كذا وعن ابن عباس اخبتوا اي خافوا من ربهم وقال القتبي
اخبتوا اي تواضعوا لربهم وقال الاخبات التواضع والوقار وقال ابو عوسجة الاخبات التوبة والمخبت التائب
وقال غيرهم الاخبات الانابة واخبتوا اي انابوا الى الله وبعضه قريب من بعض ومن قال الاخبات هو التواضع
والخشوع فمعناه والله اعلم اي تواضعوا وخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه ربهم وندبهم اليه و قوله مثل
الفريقين اي الصنفين اللذين سبق وصفهما وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية فهو وصف احد
الفريقين والاخر قوله افمن كان على بينة من ربه الى اخر ما ذكر فيه وصف المؤمن او يكون وصف الكافر ما ذكر
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون هو وصف احد
الفريقين وهم الكفرة والفريق الاخر ما ذكر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم هذا والله اعلم
الفريقين اللذين ضرب مثلهما بالاعمى والاصم والسميع والبصير ثم وجه ضرب مثل الكافر بالاعمى والاصم والمؤمن
بالبصير والسميع هو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب واصم السمع ما ابصر ما غاب عنه من الموعود ولا سمع ما غاب
عنه من الموعود انما ابصر ظواهر الامور وكذلك انما سمع ظواهر الامور وبادئها لم ينظر الى الغائب من الموعود
ولا سمع ذلك وهو لم يخلق لمعرفة ذلك الظاهر خاصة انما خلق لما وعدوا وعد في الغائب والمؤمن ابصر ذلك
الغائب وسمع ما غاب من الموعود فيقول كما لم يستو عندكم في الظاهر البصير والاعمى والسميع والاصم
لم يستو من كان اعمى القلب بما غاب ببصير القلب بذلك ولم يستو ايضا من اصم القلب من كان سميعا بذلك افلا
تذكرون انهما لا يستويان او يقال افلا تذكرون اي افلا تتعظون بما نزل من القران وتنتهون عما
تنهون والله اعلم وفي قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وجوه
من المسائل احدها ان يقال كيف احتج عليهم وقد ذكر انهم عميان وصم او كالعميان والصم ولا يكلف الاعمى
الابصار والنظر ولا الاصم السماع والثاني يقولون انا سمعا وبصرا ليس بنا صمم ولا عمى بل انتم العميان والصم
والثالث كيف ذكر المثل لهم وهم لا يتفكرون ولا ينظرون في المثل ولا يلتفتون اليه اما جواب الاول فانه
احتج عليهم لانهم تركوا اكتساب بصر الاخرة وكسب سماع الاخرة فنفى عنهم السمع والبصر والحيوة لانه بصر المخلوق
يكتسب بصرا في الدين وسماعا في امر الدين وحيوة الدين فيصير بذلك يكتسب الحيوة الدائمة والبصر الدائم والسمع
الدائم فيكونون في الاخرة بصراء سمعاء احياء كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثاني نفى عنهم
هذه الحواس لانهم لم ينتفعوا بها لان هذه الحواس انما انشئت لهم وخلقت لينتفعوا بها وهو المقصود فيها
فاذا تركوا الانتفاع بها فكانها ليست لهم واما جواب ما قالوا انا سمعاء وبصراء وانتم العميان والصم فيقال لهم
ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك فقد اشتغلوا بالتفكر فيما قرع اسماعهم من الايات والتنظر فيها وانتم لا بل تعاميتم
عنها وتصاممتم فدل تفكرهم وتنظرهم فيها على انهم بصراء احياء وسمعاء وانتم يا اهل الكفر العميان والصم والاموات
والثالث ان هذه الايات انما نزلت في حجاج اهل مكة وهم قد علموا ان اباءهم لم يكونوا احياء والاعلام فلم يكونوا
ما ذكر بصراء ولا احياء ولا سمعاء فصاروا صما عميا اناما امواتا لان احد الفريقين لا محالة على ما ذكرنا وهم
قد استووا في هذه الدنيا في العقل والحكمة فالتفريق بينهما فدل انهم بما ذكرنا ولي واما جواب ذكر المثل لهم على

علم منهم انهم لا يقبلون المثل ولا ينظرون بانه انما ذكر لاهل الاسلام ولان ذكر المثل به ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكر
و قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اخبر انه ارسل الى قومه ولا يفهم منه الارسال من مكان الى مكان وكذلك قوله
لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يكن بجيئه من مكان الى مكان فهذا يدل انه لا يفهم من ذكر المجيء الانتقال من مكان الى مكان
وكذلك الارسال و قوله اني لكم نذير مبين اي نذير لمن عصى بالنار وبعقابه بين الانذار و قوله الا تعبدوا
الا الله تجعلوا عبادتكم الا لمن هو معبود بنفسه خلقكم لان خلقهم يشهد على انه هو المستحق العبادة لا ما تعبدون
من الاصنام والاوثان ويحتمل قوله الا تعبدوا الا الله اي وحدوا الله ولا تصرفوا الالوهية الى غيره والله اعلم و قوله
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم اضاف الالم الى اليوم واليوم ليس بمولم ولكن والله اعلم اضاف اليه لما فيه يولم وهو
كقوله وجعل الليل سكنا والليل لا يسكن ولا يوصف به لكنه يسكن فيه وكذلك قوله والنهار مبصرا والنهار لا يبصر لكنه
يبصر فيه فعلى ذلك قوله يوم اليم لما فيه يكون العذاب الاليم و قوله اني اخاف عليكم اي الخوف في غيره لا يكون
في الحقيقة خوفا وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة رجاء في نفسه يكون في الحقيقة خوفا ورجاء لما يلحقه ضرر في
نفسه ان حل به ذلك ويلحقه نفع فيكون الخوف في نفسه حقيقة خوف والرجاء حقيقة رجاء واما في غيره فلا يلحقه ضرر ان
حل ذلك بغيره ولا ينال منه النفع في الرجاء لكنه يخرج على وجهين احدهما على العلم اي اني اعلم انه ينزل بكم
العذاب كقوله وان خفتم شقاق بينهما اي علمتم وقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله اي فان علمتم ان لا يقيما
حدود الله والثاني يخاف عليهم اشفاقا منه لان الخلق جبلوا على ان يتالم بما يحل بغيره حتى لا يكون في وسع بعضهم ردا
ذلك عنه على هذين الوجهين يخرج الخوف على غيره وفي الخوف رجاء وفي الرجاء خوف لان الخوف اذا لم يكن فيه رجاء فهو
اياس قال عز وجل انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء اذا لم يكن فيه خوف فهو امن قال فلا يامن
مكر الله الا ... و قوله فقال الملا الذين كفروا من قومه قيل اشراف قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وكذلك
قال عامة القوم لرسلهم الذين بعثوا اليهم ما انتم الا بشر مثلنا كان هذا احتجاجهم في رد الرسالات يحتجون على الرسل
فيقولون والله اعلم ان الرسالة انما يكون من عند المرسل وانتم ثم لم يظهر لنا انكم اتيتم من احد في الطعام
والرسول هو الذي ياتي من عند غيره ويكون للرسول خصوصية عند المرسل ولا نرى لكم خصوصية لا في الخلقة ولا في القدر
والمال وغيره فكيف بعثتم الينا رسلا دون ان نبعث نحن اليكم رسلا اذ انتم ونحن في الخلقة سواء وفي الامر الظاهر
سواء ونحو من الكلام احتجوا على رسلهم في رد الرسالة وكذلك كان عامة الكفرة يقولون للرسل اذا الزمتهم الحجج وانتم
عليهم نسبوا الى السحر ونسبوا الرسل انهم بشر مثلهم فجواب هذا كلما ذكر ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده وما قال لهم نوح يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده اي اتاني رحمة من عنده وجعل
في بينة وبرهانا على ما اتاني رحمة من عنده بمثل هذا احتج عليهم وفيه ايضا انكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص بعض
على بعض لما جعلكم ايمة وروساء بامور الدنيا على غيركم فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض بفضل الدين
والرسالة و قوله وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي احتجوا ايضا في رد الرسالة يقولون ان
الاراذل هم اتباع لكل من دعاهم واهل طمع لكل شيء فليس في اتباع الاراذل اياك والضعفاء دلالة ثبوت
رسالتك انهم يتبعون بلا دليل ولا حجة وهم فروع واتباع لغيرهم ولم يتبعك احد من الاصول لكن يقال ان هولاء
الاراذل لما اتبعوا الرسول ولم يتبعوا الاجلة والرؤساء الذين معهم الاموال والدنيا ولم يكن في ايدي الرسل ذلك
ثم تركوا اتباع اولئك وفي ايديهم ما يدعونهم اليه واتبعوا الرسول دل انهم انما اتبعوا الرسل بالحجج والبراهين التي
اقاموها عليهم ونحو والاراذل قيل هم السفلة والضعفاء وقال القتبي اراذلنا شرارنا وبادي الراي اي فيما يظهر
ظاهر الراي من قولك بدا لي ما كان خفيا وقال بعضهم بادي الراي خفيف الراي لا يعرفون حقايق الامور انما
يعرفون ظواهرها لانهم يقولون انما اتبعوك من كان خفيف الراي وباديه لم يتبعوك من يعرف حقايق الاصول
والاصول وقد قرئ بادي الراي بالهمز وقد قرئ بغير همز فمن قرا بالهمز اراد من الابتداء اي في اول الراي وابتدائه

لا ينظر في عواقب الامور ومن قرا بادي بهمزة فهو من البدء اي ظاهر الراي على بادي التفكر والنظر فيه وقوله وما نرى لكم علينا
من فضل يحتمل هذا اي فضلا في الخلقة او في ملك او مال ولا في شي لكن جواب هذا ما سبق وقوله بل نظنكم كاذبين
هكذا كانت عادة الكفرة يردون دلالات الرسل والحجج بالظن لم يرد والحقيقة ظهرت وقوله قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي اي على بيان من ربي او على حجة من ربي فبرهان فيها اتاني من رحمته والرحمة تحتمل النبوة لانهم كانوا ينكرون
رسالته لما انه بشر مثلهم فكيف خص هو بها دونهم وهو مثلهم فيقول واتاني رحمة اي النبوة واتاني ايضا على ذلك بينة
وحجة وتحتمل الرحمة الدين الذي كان يدعوهم اليه والله اعلم وقوله فعميت عليكم قرئ بالتخفيف والتشديد اي لبست
او التبست عليكم حيث اعرضتم عنه ومن قرا بالتشديد عميت عليكم يرجع الى الاتباع والسفلة اي عميت عليهم القادة والرؤسا
منهم ولبست ومن قرا بالتخفيف اي التبست عمي على القادة والرؤسا وقوله انلزمكموها اي انوجبها عليكم وهي التي ذكر
انا اتاها اياه او البينة التي ذكر ايضا او الدين الذي كان يدعوهم اليه اي لا نوجبها عليكم ولا نلزمها وانتم لها كارهون
بلا حجة ولا برهان وانتم لها كارهون اي لا نلزمها انكم بلا حجة شيتم او ابيتم ولكن بحجة وفيه ان الدين لا يقبل بالاكراه وقوله
ويا قوم لا اسالكم عليه الا على تبليغ الرسالة اليكم او على القيام بالحجة على ما ادعي من الرسالة او على الدين الذي يدعوهم اليه
اي لا اسالكم على ذلك اجرا فيما لا توصلون مما ادعوكم اليه والقيم عليكم ليكون لكم الاحتجاج او الاعتذار وكذلك
يخرج قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا تسالهم اجرا على ما تبلغ اليهم وتدعوهم اليه فيمنعكم ثقل ذلك لزوم
اجابتكم اياه في ذلك لا وفي ذكر هذا لانه ما يلحق الانسان من الضرر انما يمنعه من الاذعان بالحق والاقبال اليه
والقيام بوفائه او يمنع ذلك لما لا يتبين له الحق لئلا يكون لهم الاحتجاج والاعتلال عند الله ان لم يكن لهم حجة
وهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ليس على انه اذا سالهم على ذلك اجرا يكون لهم عذر في رد ذلك
وترك الاجابة له اذ كان يكلفهم الاجابة والطاعة له بالمال وبغير المال والثاني يقول لا اسالكم على ما ادعوكم اليه
والبلغكم اياه مالا لاني محتاج وقلة ما في يدي منكم انما ادعوكم اليه رغبة فيما في ايديكم من الاموال ولكن نفعه لكم
انما ادعوكم الى ما ادعوكم اليه لمنفعة انفسكم وقوله ان اجري الا على الله اي ما اجري الا على الله في ذلك ليس عليكم
وقوله وما انا بطارد الذين امنوا فيه دلالة انهم كانوا سالوا رسولهم ان يتخذ لهم مجلسا على حدة ويفرد لهم ذلك
دون الاراذل والضعفا الذين اتبعوه ويطرد الضعفا وهو كقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي الاية وقال اهل التاويل وما انا بطارد الذين امنوا اي ما انا بالذي لا يقبل الا ايمان من الاراذل
والضعفا عندكم لقولهم حيث قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي ظاهر الراي لانهم يقولون
اتبعوك الاراذل ظاهرا واما في الباطن فليسوا على ذلك ولذلك قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن
يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم يعني ما في قلوب السفلة فيتصل وما انا بطارد الذين امنوا ظاهرا الله اعلم
بما في قلوبهم وقوله انهم ملاقوا ربهم يحتمل وجهين اي ملاقوا ربهم فيشكوا الي اليه في ردي ايمانهم ويحاجوني
في ذلك ويطالبوني في طردي اياهم والثاني انهم ملاقوا ربهم بايمانهم ظاهرا ان ايمانهم او باطنا اي في ايمانهم
هم ملاقون ربهم فيجزيهم باعمالهم كقوله ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وقوله ولكني اراكم قوما تجهلون
يحتمل تجهلون ما ادعوكم اليه او تجهلون في قولكم انهم انما امنوا او اتبعوا في ظاهر الحال فاما في السر فلا ا
تجهلون ما الحقيقة في طردهم وقوله ويا قوم من ينصرني من الله اي من يمنعني من عذاب الله ان انا طردتهم
على ما تدعوني اليه او من يمنعني من عذاب الله ان لم اقبل منهم الايمان افلا تذكرون انه لا يسع لي ما تدعوني اليه
من طردهم لا جل ايمانهم او افلا تذكرون فتؤمنون وما روي في حرف ابي بن كعب انلزمكموها من شطر
انفسنا معناه انلزمكموها من انفسنا وانتم قوم معاندون وفي حرف ابن عباس انلزمكموها من شطر انفسنا
اي من تلقا انفسنا اي لا نقدر ان نلزمكم ذلك من تلقا انفسنا وانتم كارهون لذلك وقوله ولا اقول
لكم عندي خزاين الله يخرج على وجوه احدها يقول ليس عندي خزاين الله والسعة فابذل لكم لتؤمنوا رغبة في المال

والسعة والثاني يقول ليس عندي سعة فتعتمد منكم اني ادعوكم الى ما ادعوكم اليه انتفاعا لا رغبة في المال على ما يفعل المتقلون
للرغبة في المال ولكن اتعلموا الي وكلفني في ذلك والثالث يحتمل ما ذكرنا من اسيلة كانت منهم وقوله ولا اقول لكم عندي
خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك هذا القول منه لم يحتمل الوجهين احدهما انه قال ذلك لما طلبوا منه واسيلة كانت
منهم من نحو قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم لهود لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة
وقولهم او يكون لك بيت من زخرف وامثاله كان منهم فيقول لهم ليس ذلك عندي وبيدي انما ذلك عند الله وبيده وكذا العلم
الغيب يحتمل انهم كانوا سالوه ان يخبرهم من امور تستقبلهم قبل ان تستقبلهم ان كان شرا فيبعدوا او يدفعوا ان كان نفعا ف
يستقبلوا الاولياء هموا فيقول لهم ذا غيب وانا لا اعلم الغيب فالعلم في ذلك الى الله ولا اقول اني ملك اعلم اخبار السما
والامور التي فيها انما انا بشر مثلكم وعن ابن عباس قال ولا اقول لكم عندي خزاين الله اي مفاتيح الله في الرزق فهذا كانهم
سالوه ان يبسط فيقول ليس عندي ذلك ويحتمل ان يكون قال لهم الرسول هذا لدفع الشبهة عنهم وذلك ان من الكفار
من اتخذ الرسول الها فعبدوه بعد ما عاينوا انه من البشر ومنهم من قال انه ابن الله ومنهم من قال انه ملك وكانوا يعبدون
الملائكة وكانوا يخبرونهم من اشيا غابت عنهم وظنوا انه انما علم ذلك لانه اله فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم تلك الشبهة ويتبرا
من ذلك ولذلك قال عيسى اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت على ما كان يعلم في نفسه
انه عبد الله ولكن يقول لهم لئلا ينسبوه الى الالوهية والربوبية على ما نسبوا اليه فاقر بالعبودية لله والله اعلم بذلك
وقال بعض اهل التاويل لا اقول لكم عندي خزاين الله اي مفاتيح الله بانه بيدي السفلة دونكم ولا اعلم الغيب
اي ولا اقول ان عندي علم ذلك ان الله يهديهم وهم مومنون في السر وذلك كقوله وما علمي بما كانوا يعملون وقوله الله
اعلم بما في انفسهم من الصدق ولا اقول اني ملك اي انما بشر لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا الى اخر الاية ثم قال ولا
اقول للذين تزدري اعينكم قيل الذين تحتقرهم يعني السفلة والاتباع وقال ابن عباس الذين لم تاتدم اعينكم
لن يؤتيهم الله خيرا يعني ايمانا الله اعلم بما في انفسهم من الصدق اني اذا لمن الظالمين ان لم اقبل منهم او طردتهم الله
اعلم وقوله قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قالوا ذلك لانه قد كان طال عمره وهو بين اظهرهم يدعوهم
الى الايمان فاكثر حجاجه وجدالته اياهم فقالوا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكان
يعدهم العذاب ان لم يومنوا كقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وما كان وعدهم في غير اية من القران ان لم
يجيبوه فقالوا ايتنا بما تعدنا من العذاب فقال انما ياتيكم به الله ان شاء اي ليس الي اتيان ذلك انما ذلك الى الله
ان شا عجل وان شا اخر الى ما بعد الموت وهو كقوله سوف يهديهم الله لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم
وقوله وما انتم بمعجزين اي لا تعجزون الله عن تعذيبكم فيفوتون عنه وقيل وما انتم بمعجزي الله باعمالكم الخبيثة
حتى يجزيكم بها وهو ما صدر والله اعلم وقوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
ان يغويكم تاويله والله اعلم لا ينفعكم دعاي الى ما به نجاتكم ان كان الله يريد ان يغويكم ثم اختلف في وقت ذلك
قال بعضهم لا ينفعكم نصحي عند اتيان العذاب عليكم ان كان من حكم الله ان تكونوا من الغاوين في ذلك الوقت وقال
بعضهم قوله ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم اي لا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يعذبكم في نار
جهنم ويقول الغي العذاب كقوله فسوف يلقون غيا اي عذاب جهنم ونحو ذلك من الكلام واما عندنا فهو على اجراي
كان الله يريد اغوا قوم ابدا فهم في الغواية ابدا واصله ان الله اراد غواية من في علمه انه يختار الغواية واراد ضلال
كل من في علمه انه يختار الضلال لان من في علمه انه يختار الغواية والضلال اختار بعد ادته ولا يجوز ان يريد
هداية من يعلم انه يختار عداوته لان ذلك يكون منه الضعف او يختار المرء ولاية من يختار عداوته
هذا لانه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغواية والضلال ثم اضافة الاغوا والاضلال الى الله
يخرج على وجهين احدهما انه يخلق ذلك الفعل منهم غيا وزيغا وضلالا لا لانه فعلهم فعل غواية وزيغ والثاني
انه خذلهم ولم يوفقهم ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولا سددهم فهذا الوجه ليس فعلا فعل لذم عليه حتى يخرج بالاضافة اليه

ومن لا اضافة الى الخلق يكون على الذم لان فعلهم نفس فعل غواية وضلال فاستوجبوا الذم بها بذلك والاغواء من الخلق هو
الدعا الى ذلك او الامر به فهو منهم يذمون على ذلك وليس من الله تعالى من هذا الوجه ولكن على الوجهين اللذين ذكرنا هما
وفي قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم دلالة تعليق الشرط على الشرط وقوله ام
يقولون افتراه اي بل يقولون انه افتراه من عند نفسه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اختلف فيه قال
بعضهم قال قوم نوح لنوح انه افترى على الله انه رسول اليهم من الله على ما سبق من دعائه قومه الى دين الله فقالوا له
انه افتراه وقال بعضهم هو قول قوم محمد قالوا افترى محمد هذا القرآن من نفسه ليس هو من الله على زعمهم وهو قال
في صدر السورة وهو قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الى اخر ما ذكر فعلى ذلك هذا هو
قوم لرسول الله انه افترى هذا القرآن الذي يقول هو من الله من نفسه فقال قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء
مما تجرمون اي ان افتريته فعلي جرم افترائي وجرائمي وانا بريء مما تجرمون معناه والله اعلم اي لا تواخذون انتم
بجرم افترائي ان افتريته وانا لا اواخذ باجرامكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك
من حسابهم من شيء فعلى ذلك اجرامي ويمكن ان يكون هذا القول لهم لما ايس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم لما ايس
عن ايمانهم وانقطع طمعه ورجاؤه عن اسلامهم قال لهم ذلك ان لا محاجة بيننا وبينكم بعد هذا والله اعلم وقوله
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال بعضهم ان نوحا صلى الله عليه وسلم لم يدع على قومه بالهلاك ما
دام يرجو ويطمع من قومه الايمان فاذا ايس وانقطع رجاؤه وطمعه فحينئذ دعا عليهم بالهلاك كقوله رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا اي اصلا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الايه وعرف اياسه من ايمانهم بقوله واوحي
الى نوح الايه وكذلك سائر الانبيا والرسل لم يؤذن بالدعا على قومهم بالهلاك الخروج من بين اظهرهم ما داموا
يرجون ويطمعون منهم الايمان والاجابة لهم فاذا ايسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك اذن لهم بالدعا
عليهم بالهلاك والخروج من بين اظهرهم وعلى ذلك عوتب يونس بالخروج من بين اظهرهم قبل ان يؤذن له بالخروج من
بينهم وفي قوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن دلالة ان للايمان حكم التجدد والابتدا في كل وقت وكل حال
لانه اجزا الذي قد امن قد يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكرت في الايمان فزادتهم
ايمانا ونحو والله اعلم وقوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قيل لا تحزن بما كانوا يفعلون هو يحتمل وجهين
احدهما لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم اياك ليس على النهي عن الحزن في ذلك بل على دفع الحزن عنه والتسلي بان
الانبيا صلوات الله عليهم كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجلا منهم اعداء كقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم
لعلك باخع نفسك الايه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات واشباهه كان الانبيا اشد الناس حزنا بكفر قومهم بالله
وتكذيبهم اياته واشدهم رغبة في ايمانهم وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم الا ترى ان نوحا دعا عليهم بالهلاك وكذلك
سائر الانبيا ولانه انما كان لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم اياته لا لمكان هلاكهم شفقا عليهم انفسهم والثاني
قوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يحتمل انهم كانوا هموا قتله والمكر به فقال لا تحزن بما كانوا يهمون في هلاكك
فاني اكافيهم قال ابو عوسجة قوله فلا تبتئس هو من الحزن يقال ابتاس يبتئس ابتياسا فهو ذلك كي ايضا
لا تبتئس اي لا تحزن هو من البائس يقال لا تبتئس بهذا الامر وقوله واصنع الفلك باعيننا ووحينا
قال بعض اهل التاويل باعيننا بامرنا ووحينا وقال بعضهم بمنظرنا ومراى منا ولكن عندنا يحتمل وجهين
احدهما قوله باعيننا اي بحفظنا ورعايتنا يقال عين الله عليك اي حفظه عليك ثم لا يفهم من قوله باعيننا
نفس العين على ما لا يفهم من ذلك بما قدمت ايديكم وكسبت ايديكم وان ذكر الايدي لما في ان هذا انما يقدم باليد
ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين لما في العين حفظ والثاني هو ان في قوله باعيننا اي باعلامنا اياك
لانه لولا تعليم الله اياه اتخاذ السفينة وتجرها لم يكن ليعرف ان كيف يتخذ وكيف يتجر انما عرف ذلك بتعليم الله
اياه والله اعلم وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون هذا يحتمل وجهين يحتمل اي لا تشفع الي

في نجاة الذين ظلموا انهم مغرقون في حكم الله والثاني لا تخاطبني في هداية الذين هم في حكم الله انهم مغرقون ظلما اي لا
تسالني ايمان من في علم الله انه لا يؤمن وفيه نهي السؤال عما في علم الله انه لا يكون لانه اذا اخبر انه لا يكون او لا يفعل
فاذا ساله كان كانه يسال له ان يكذب خبره الذي اخبر انه لا يكون وفيه ان من اراد الله ايمان احد امن ومن لم يرد ايمانه لم
يؤمن وقوله ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه الملأ هم الاشراف والرؤساء من قومه سخروا منه هم الذين سخروا
منه قال بعضهم سخريتهم منه ان قالوا صار نجارا بعدما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه قالوا انه يتخذ
الفلك ولم يكن هناك بحر ولا واد ولا مياه جارية اما في البر فلما قالوا يتخذ السفينة ليسيرها في البراري والمفاوز
ونحو من الكلام وقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقال السخرية منهم انه اذا ركبوا الفلك واداهم يغرقون قالوا
كنتم على حق وعلى هدى ونحو من الكلام لكن هذا الاسم ولا حاجة لنا الى معرفة سخريتهم انه كيف كانت سوى ان
فيه انهم سخروا منه ويحتمل قوله فانا نسخر منكم اي نجزيهم جزاء سخريتهم وقوله فسوف تعلمون هو وعيد اي سوف
تعلمون ان حاصل سخريتكم يرجع اليكم كقوله وما يخدعون الايه اي سوف تعلمون اذا اتينا من عرفتم انتم من ياتيه
عذاب يخزيه اي عذاب يفضحهم ويهلكهم وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم اي عذاب يدوم وقال بعضهم عذاب
مقيم هو عذاب الاخرة كقوله اغرقوا فادخلوا نارا وما قيل اهل التاويل ان سفينة نوح كان طولها كذا
وعرضها كذا وقامتها كذا فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك فان صح ذلك انهم قالوا وقولهم كان لها
ثلاثة ابواب وثلاثة اطباق فذلك ايضا الى التعرفه ولا نقطع القول به وقوله حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قوله
جاء امرنا اي جاء وقت امرنا العذاب الذي استعجلوه كقوله فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكذلك كانت
عادة الامم انهم استعجلوا العذاب من رسلهم وسمي العذاب امر الله لانه لا صنع لاحد فيه وكذلك المرض سمي امر الله
لانه لا صنع لاحد فيه كالذي فيه دعي الصيحة امر الله بالامر فيصلي وقوله وفار التنور قال ابو عوسجة فار التنور
يقال فار الماء اي خرج يفور فورا اي غلا كما تغلي القدر وتصديقه قوله وهي تفور تكاد تميز قال فار اي خرج
وظهر واختلف في التنور قال بعضهم التنور هو وجه الارض قالوا اذا رايت الماء خرج ونبع وظهر على وجه الارض
فاركب وقال بعضهم التنور هو التنور الكانون الذي يخبز فيه قالوا اذا رايت الماء نبع من تنورك فاركب قالوا
كان الماء ينزل من السماء وينبع من الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لكن جعل
علامة وقت ركوبه السفينة هو فوج الماء من الارض وينبع منه وقوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
ويحتمل ان يكون له وقت فور الماء من التنور احمل فيها من كل زوج اثنين ويحتمل قوله من كل زوجين اثنين الزوج
هو اسم فرد لذي شفع ليس هو اسم الشفع حتى يقال هذا الاجتماع ذلك ولكن ما ذكرنا انه اسم فرد لذي شفع كان الاناث
صنف وزوج والذكور صنف وزوج فيكون الذكور والاناث زوجين وقوله زوجين اثنين اي من ذكور واناث ثم
يحمل زوجين من ذكي الارواح التي يكون لهم النسل لئلا ينقطع نسلهم ويحمل ذكي الارواح ونحوه والله اعلم وقوله
واهلك الا من سبق عليه القول قال بعضهم قوله واهلك اراد اهله والذين امنوا معه يقول احمل فيها من كل زوجين
اثنين واحمل اهلك ايضا الا من سبق عليه القول اي الا من كان في علم الله انه لا يؤمن او العرب كان في علم الله انه
يهلك وقال بعضهم قوله واهلك اراد اهله خاصة ثم استثنى من سبق عليه القول وهو ابنه فيخرج جميع ومعاني
اهله الا ترى انه ذلك من بعد من امن معه وحقق له ومن امن اي احمل اهلك الذين امنوا معك الا من سبق عليه القول
من اهلك وعن ابنه في الهالكين او يقال الا من سبق عليه القول انه لا يؤمن فهذا يدل ان في اهله من كان ظالما
كافرا حيث استثنى من اهله والله اعلم وقوله وما امن معه الا قليل فيه كرهذا والله اعلم تذكير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم منه وهو التي انتهى عليه ان نوحا مع طول مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعائه قومه الى دين الله ومواعظه
لم يؤمن من قومه الا القليل منهم فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع قلة مكثه وكثرة ما من قومه الكثير يحرضه نعمه
عليه وفيه دلالة رد قول من يقول ان المواعظ انما تنجع في الموعوظ على قدر استحكام الواعظ وليس هكذا لكن

كان الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى بين ذلك وقتين ... فار التنور حتى من كل زوجين اثنين

في قدر فهم الموعوظ اياها وقدر الاقبال اليها لان نوحا كان اشد الناس حرصا على التبليغ والمواعظ واكثرهم دعا ثم لم يؤمن
من قومه الا القليل دل انه ليس لما فهموا ولكن لما ذكرنا واما ما ذكر اهل التفسير انه حمل في السفينة حبات العنب
فاخذ ابليس فلم يعط الا ان اعطي له الشركة فذلك شي لا علم لنا به فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة ان ليس له في ثمار
الاعناب والاشربة نصيب انما يكون له فيما يخرج من العنب وتقدير الثلث والثلثين انما يكون في عصير العنب خاصة
ليس في غيره والله اعلم وقوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها يحتمل قوله بسم الله مجراها انه لما قال
لهم نوح اركبوا فيها قولوا بسم الله مجراها ومرساها وهو كقول الناس بسم الله من اوله على ما يفعل ويذكر في افتتاح كل
امر وكل عمل من ركوب وترود وغيره ويحتمل قوله بسم الله مجراها ومرساها اي باسمه مجراها ومرساها اي به تجري وبه
ترسو وانه ليس كسائر السفن التي باسمها تجري وبهم تقف وهم الذين يتولون ويتكلفون اجراءها ووقوفها
واما سفينة نوح كانت جريتها باسم الله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك والله اعلم وقوله ان ربي لغفور رحيم هو
ظاهر لمن امن به وصدق رسوله بنجيه من الغرق والهلاك وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على ما
ذكرنا انها كانت باسمه تجري وبه ترسو حيث لم يخافوا الغرق مما كان من الامواج واما سائر السفن فان اهلها خافوا من
امواجها لما كانوا هم الذين يتولون ويتكلفون اجراءها ووقوفها والله اعلم وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال
هذا يدل على انها كانت ايضا لان الامواج تمنع من جريان السفينة وسيرها فاذا انها لم تمنع شيئا من جريانها دل
انه اراد ان يبصرهم ايه وقوله ونادى نوح ابنه وكان في معزل يحتمل قوله وكان في معزل اي بمعزل من نوح
او كان بمعزل من السفينة او ما كان وقوله يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يحتمل لا تكن مع الكافرين
لتغرق او لا تكن من الكافرين بنعم الله وقوله سآوي الى جبل اي سانضم الى جبل يعصمني من الماء ظن هلكين
ان هذا الماء كغيره من المياه التي يلتجى الى الجبال فاخبر صلى الله عليه وسلم انه لا مانع اليوم من امر الله اي
من عذاب الله سمى عذابه امر الله لما ذكر امر الله من تكوين لا نهم كانوا يتهاونون في الاحتجاج كقوله انما امرنا لشي
اذا اردناه الاية وهو كما يسمى البعث لقاء الله لانهم كانوا يتهاونون في الاحتجاج على من ينكر البعث فعلى ذلك سمى
عذابه امر الله وهو امر تكوين لانهم كانوا يتهاونون في الاحتجاج على من ينكر العذاب وقوله الا من رحم بهدايته اياه
او الا من سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة وقوله وحال بينهما الموج يحتمل قوله بينهما بين ابنه
وبين نوح ويحتمل بينه وبين السفينة فكان من المغرقين وقوله فكان من المغرقين يحتمل صار من المغرقين ويحتمل
كان في علم الله انه يغرق وهذا يدل على ان قوله في ابليس انه كان من الكافرين انه يخرج على وجهين احدهما انه
كان في علم الله انه يكفر او صار من الكافرين كما ذكر وكان من المغرقين اذ لم يكن من المغرقين في الازل
وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي قال بعضهم عاد كل ماء الى من حيث خرج ما ارسل من السماء عاد
اليها وما خرج من الارض غار في الارض وغاص وقال بعضهم لا ولكن امسك السماء من ارساله وامسكت الارض
من نبعه وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ليس على القول لهم ولكن الله امسكهما من ارساله ونبعه ويحتمل
على القول منه لهم بالطف ما يفهم هذا وغيض الماء اي غار الماء في الارض وقضي الامر بهلاك قوم
نوح ويحتمل على التكوين على ما ذكر واستوت على الجودي اي استقرت على الجودي وهو جبل وقيل بعدا للقوم
الظالمين اي هلاكا ويحتمل بعدا للقوم الظالمين من رحمة الله وقال القتبي مرسيها اي تقف وقوله يعصمني من
الماء اي يمنعني من الماء وقال لا عاصم اليوم من امر الله قال القتبي لا معصوم اليوم من عذاب الله كقوله من
ماء دافق اي مدفوق واصله لا عاصم اي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم منه وقوله
ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق الاية فقال يا نوح انه ليس من اهلك هذا
والله اعلم كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لما انه كان يظهر الموافقة له والا لا يحتمل ان يقول ان
ابني من اهلي ويسال نجاته وقد سبق منه النهي عن سوال النجاة حيث قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون

ولا يحتمل ان يكون يعلم انه على غير دينه ثم يسال له النجاة بعدما نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا فقال انه ليس من اهلك في الباطن
والسر والا لم يجز هذا القول تكذيب رسوله لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان في الظاهر عنده انه على دينه لما كان
يظهر له الموافقة وكان لا يعرف ما يضمر له على الظاهر الذي عنده وكذلك اهل النفاق كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ويضمرون الخلاف له وكانوا لا يعرفون نفاقهم الا بعد اطلاع الله اياه فعلى ذلك نوح كان لا يعرف
ما كان يضمر هو لذلك خرج سواله فقال انه ليس من اهلك الذي وعدت النجاة لهم او ليس من اهلك لانه لم يوافق في دينه ولم
يعد لك فيما اجرت انه عمل غير صالح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا عمل غير صالح بغير تنوين وعن ابن
مسعود انه قرا عمل غير صالح بالتنوين فمن قرا بالنصب عمل غير صالح اي ان ابنك عمل غير صالح ومن قرا عمل يكون معناه
والله اعلم ان سوالك عمل غير صالح وكلا القراءتين يجوز ان يصرف الى ابنه اي انه عمل غير صالح وهو عمل الكفر وعمل غير
صالح اي الذي كان عليه عمل غير صالح والله اعلم وقوله ان ابني من اهلي ثم قال انه ليس من اهلك هذا في الظاهر
يخرج على التكذيب له لكن الوجه فيه انه من اهلك على ما عندك وليس هو من اهلك في الحقيقة من نجاة اهلك وقوله
وان وعدك الحق يحتمل وجهين يحتمل وان وعدك باغراق الظلمة حق وانه لي وان وعدك بنجاة المؤمنين حق وانت
احكم الحاكمين وقوله فلا تسالن ما ليس لك به علم يحتمل هذا نهيا عن سوال لم يؤذن له من بعد لان الانبياء صلوات الله
عليهم كانوا لا يسالون شيئا الا بعد الاذن لهم في السوال وان كان يسع لهم السوال او ان يكون نهيا لما سبق والانبياء كانوا
يعاتبون في اشياء تحل لغيرهم ذلك نحو قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وقد
كان منه الاذن بالقعود والنهي عن الخروج بقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا وغيره وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين
هو كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين واشاله وان كان معلوم انه لا يكون من الجاهلين وهو ما ذكرنا
ان العصمة لا تمنع النهي عن الشي بل النهي تظهر العصمة وقوله قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم اي اعوذ بك
ان اعود الى سوال لا اعلم بالاذن في السوال هذا يحتمل وقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين اي ان لم ترحمني
بالعصمة عن العود الى مثله اكن من الخاسرين هذا يشبه ان يكون ويحتمل ان يكون ذكر هذا لما لا يستوجبون المغفرة والرحمة
الا برحمة الله وفضله على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين هو طلب المغفرة بالكتابة وهو الملجي واكبر
من قوله اللهم اغفر لي لان في قوله والا تغفر لي وترحمني قطع رجا المغفرة من غيره واخبار انه لا يملك احد ذلك سواه وفي قوله اغفر لي
قطع كون ذلك من غيره انما كان ذلك ابلغ من هذا وكذلك سوال ادم وحوا المغفرة حيث قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية هو
سوال بالكتابة انه ابلغ في السوال وقوله قيل يا نوح اهبط قال بعضهم اي انزل من الكهف الى قرار الارض وقال بعضهم
قوله اهبط اي انزل وادم في المقام والمكث في المكان ليس على الهبوط من مكان مرتفع الى مكان منحدر وقوله اهبط بسلام
منا وبركات عليك السلام هو ان يسلم من الشرور والافات والبركة هي نيل كل خير وبر على خير بعضه ثم هما في التحصيل واحد لانه
اذا سلم عن كل شر وافة نال كل خير وبر واذا نال كل خير سلم عن كل شر وانه هما في الحقيقة واحد لكنهما في العبارة مختلف وهو
كالبر والتقوى من العبد البر هو كسب كل خير والتقوى هو اتقا كل شر ومعصيه هما في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد
لانه اذا اتقى كل شر ومعصيه عمل كل خير وبر واذا كسب كل خير وبر اتقى كل شر ومعصيه وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر هو
كف النفس من كل ماثم والشكر هو استعمال النفس في كل طاعة هما ايضا في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا كف
نفسه عن كل ماثم استعملها في الطاعة واذا استعملها في الطاعة كفها عن كل ماثم ومعصيه وعلى ذلك يخرج الاسلام والايمان الاسلام
هو تسليم النفس بخالصه لله لا يجعل لغيره فيها حقا والايمان هو ان يصدق الله بالربوبية بالتفرد في كل شي وهما في الحقيقة
واحد وفي العبارة مختلفان لانه اذا جعل نفسه وكل شي سالما لله اقر بالربوبية له في نفسه في كل شي واذا صدقه واقر له
بالربوبية في نفسه في كل شي جعله لله وكل شي له هو اشبه في العبارة مختلف وفي التحصيل واحد ثم قوله اهبط بسلام
منا يجوز ان يكون جواب قوله والا تغفر لي وترحمني امنه مما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة والثاني السلام لنه

سئ سواك الكس كقوله سلام على نوح في العالمين وقوله وبركات عليك يحتمل ان يكون جواب قوله انزلني منزلا مباركا والبركة
هي اسم لكل خير لا انقطاع له او اسم لكل شي لا تبعة له فيه ثم قوله بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم يحتمل قوله
بعض اهل التاويل ذلك السلام وذكر البركات في الدنيا السلام لما سلموا من الغرق والبركات ما نالوا في الدنيا من الخيرات
والمنافع وعلى قول بعضهم السلام والبركات جميعا في الاخرة ثم جعلهم وجعل المومن والكافر مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها
وجعل منافع الاخرة وبركاتها للمومنين خاصة بقوله والعاقبة للمتقين وبقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق ثم قال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة اشرك المومن والكافر في زينة الدنيا ثم جعلها خالصة
للمومنين يوم القيمة فذلك قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم اخبر انه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب اليم ويمتع المومنين ايضا في
منافع الدنيا انواع المنافع من اخبار العاقبة للمتقين ثم جعل العاقبة للمتقين بازا ما جعل لهم عذابا اليما اعني الكفرة والله اعلم
وقوله وعلى امم ممن معك ولم يجمع نوح امم يومئذ فاكانوا معه ثم الكثرة والله اعلم الامم التي كانوا من بعده
كانه قال وعلى امم يكونون من بعدك فهذا يدل ان دين الانبيا والرسل جميعا دينا واحدا وان اختلفت شرايعهم
ان تلك الامم لم يكونوا اتبعهم مع نوح ولا كانوا معه في العبادات التي كان فيها نوح دل انهم كانوا جميعا على دينه
دعوا احدا وعلى ذلك يخرج دعاه رب اغفر لي ولوالدي لانه دعا بالمغفرة لكل مومن ومومنة يكون من بعده وكذلك
يلحق فيه لا لكافر دعاه ولا تزد الظالمين الا تبارا وقوله تلك من انبا الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اي قصة نوح
من انبا الغيب غابت عنك لم تشهدها ولم تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ان كان المراد من قوله تلك من انبا الغيب قصة نوح
خاصة وانها ما كان يجب ان يقول يعني من انبا الغيب نوحيها اليك لكانه في الاخبار اي من الانبا تلك الانبا التي ذكرت
في كتبهم وان كان المراد منه وغيره اخبار الانبا بغير كانه قال هذه من تلك الانبا ويحتمل قوله تلك من انبا الغيب القصص كلها
قصة نوح وغيره من الانبيا من انبا الغيب غابت عنك لم تشهدها ولا تعلمها انت ولا قومك حتى قومه لان غيره من الاقوام
قد كانوا عرفوا تلك الانبا [illegible] يخبرونه به صدق محمد صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم
على ما اخبر في كتبهم [illegible] فعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى اذ تلك الانبا كانت بغير لسانه ولم يعرف
انه اختلف الى احد منهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله فاصبر يحتمل قوله فاصبر على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم او اصبر
على ما امرت ونهيت او اصبر على ما ابتليت به من قبل كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ونحوه وقوله ان العاقبة للمتقين
يشبه ان يكون قوله للمتقين الذين اتقوا الشرك ويكون الذين اتقوا الشرك والمعاصي كلها والاشبه ان يكون المراد منه اتقا
الشرك لانه ذكر بازا قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وهو في اهل العقد اشبه وقال بعض اهل التاويل في قوله اهبط
بسلام من السفينة بسلام منا [illegible] ومن معه من المومنين من الغرق وبركات عليك وعلى امم ممن معك يعني بالبركة انهم
توالدوا وكثروا بعدما خرجوا من السفينة وعن ابن عباس في قوله وبركات عليك وعلى امم ممن معك ممن سبق له في علم الله
البركات والسعادة من النبيين وغيرهم وقوله والى عاد اخاهم هودا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فيقول ولقد ارسلنا هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله اخاهم الاخوة تكون في وجوه اخوة جنس فيقال هذا اخو هذا
نحو مصراعي الباب يقال لاحدهما هذا اخو هذا وكواحد من زوجي خف وامثاله واخوة النسب واخوة الدين كقوله انما
المومنون اخوة فهو لم يكن اخاهم في الدين فهو يحتمل انه اخوهم في الجنس وفي النسب لان الناس كلهم ينسبون الى ادم فيقال
بنو ادم مع بعد ما بينهم [illegible] فعلى ذلك يكون بعضهم لبعض اخا مع بعد النسب الذي بينهم والله اعلم وقوله قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره [illegible] الذين تعبدون [illegible] لا يستحقون العبادة انما الاله الذي يستحق العبادة هو الله الذي خلقكم
وخلق لكم الاشيا وقوله ان انتم الا مفترون اي ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون هود قال لهم هذا ابتدا اول ما دعاهم
الى التوحيد فانه اول العبارة والاجابة وكذبوه لانهم امروا بلين القول لهم وتذكير النعم عليهم كقوله لموسى وهرون اذهبا
[illegible] فقولا له قولا لينا الاية ولكن كانه قال لهم ذلك بعد ما سبق منهم اليه ودعاهم [illegible] واقام عليهم الحجة
والبراهين فردوها فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة الاية وقوله ان انتم الا مفترون يحتمل في

تسميتهم

تسميتهم الاصنام التي يعبدونها الهة يقول انتم مفترون في ذلك ويحتمل انه سماهم مفترين فيما قالوا لرسلهم هذا كذب يقولون
انتم مفترون فيما تدعون [illegible] او مفترون في انكارهم البعث والرسالة وقوله يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري
الا على الذي فطرني هذا قد ذكرنا في غير موضع يقول لهم والله اعلم اي لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه اجرا فيمنعكم ثقل ذلك الاجر
عن الاجابة فما الذي يمنعكم عن الاجابة [illegible] ما ادعوكم اليه ما ترغبون فيه فكيف يمنعكم عن الاجابة
والنظر فيما ادعوكم اليه افلا تعقلون انه رسول اليكم بايات [illegible] افلا تعقلون ان الايات [illegible] افلا تعقلون
ان الله واحد وانه رب كل شي وخالق كل شي ومنشيه وقوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يحتمل ان يكون قوله
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واحدا ويحتمل على التقديم والتاخير توبوا اليه ثم استغفروا اما كان منكم من المساوي اي ابتلوا الى الله
[illegible] على افعالكم وقوله استغفروا ربكم معلوم ان هودا لم يرد بقوله استغفروا ان يقولوا نستغفر الله ولكن امرهم
ان يطلبوا السبب الذي به يكون المغفرة وهو التوحيد كانه قال وحدوا ربكم ثم توبوا اليه [illegible]
المغفرة [illegible] كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله يرسل السما عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال
بعض اهل التاويل انه قد كان انقطع عنهم المطر وانقطع نسلهم فاخبرهم انكم ان تبتم الى الله واستغفرتم ربكم يرسل السما عليكم مدرارا
الا حتى تناسلوا وتوالدوا ويحتمل قوله ويزدكم قوة الى قوتكم [illegible] لانهم كانوا اهل قوة واهل بطش
حتى انهم قالوا من اشد منا قوة ويحتمل على الابتدا يرسل السما عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم [illegible] ولا تتولوا عما ادعوكم
اليه فتكونوا مجرمين المجرم قال ابو بكر هو الواثب في الاثم [illegible] وقوله قالوا يا هود ما جئتنا ببينة على ما تدعو
اليه [illegible] ان انتم الا مفترون وما نحن بتاركي الهتنا اي ما نحن بتاركي عبادة الهتنا
عن قولك اي بقولك كان لا يدعوهم هود الى ترك عبادة الهتهم بقوله خاصة ولكن قد دعاهم واقام عليهم [illegible] الحجج والبراهين
لكنهم قالوا [illegible] وما نحن لك بمومنين فيما تدعونا اليه وتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا وقوله ان نقول
الا اعتراك بعض الهتنا بسو قيل كان هود يعيب الهتهم ويذكرهم بالعيب فيقولون انه يعتريك من بعض الهتنا بسو
او [illegible] مجنونا او خبل فلا تخاف ان يصيبك [illegible] في شتمها [illegible] الاستثنا اي انما اصابك من
الهتنا وذكر [illegible] قالوا شتمت الهتنا [illegible]
تاويلا والله اعلم انك انما تدعونا الى ما تدعونا اليه [illegible] اصابك الهتنا بسو [illegible]
ان يصيب الهتهم بسو [illegible] على ما كانوا يرجون ويطمعون بعبادتهم اياها [illegible] قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بري مما تشركون به [illegible] تعبدون من الالهة واشهد ايضا انتم [illegible] فكيدوني جميعا انتم والهتكم فيما
تدعون من الهلاك او السو ثم لا تنظرون اي لا تمهلون في ذلك ويحتمل قوله فكيدوني جميعا [illegible] انتم والهتكم
جميعا التي تدعون انها [illegible] ثم لا تنظرون اي لا تمهلون وهذا من ايات النبوة لانه يقول لهم وهو وحيد
[illegible] فلولا انه يتوكل في ذلك على ربه [illegible] من الله والاعتماد عليه والانتصار به [illegible] مثل هذا
[illegible] انه قال ذلك بالله تعالى وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ادعوا شركاكم ثم كيدون الاية وقول
نوح ثم اقضوا الي ولا تنظرون وقول شعيب يا قوم اعملوا على مكانتكم الاية وانما قالوا ذلك [illegible] ولم يكن
معهم انصار ولا اعوان دل انهم انما قالوا ذلك بالله وذلك من ايات النبوة وقوله اني توكلت على الله اي فوضت امري
اليه ووكلت في جميع [illegible] اليه ووثقت به واعتمدت عليه [illegible] من الهلاك او توكلت عليه في دفع ما اوعدتموني
الله ربي وربكم اي كيف تعبدون [illegible] الهتكم التي تعبدون ولا تخافون الذي تعلمون انه معبودي وربكم وهو كما قال ابرهيم وكيف اخاف
ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله الاية وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها يحتمل [illegible] وقوله اخذ
بناصيتها اي في ملكه وسلطانه يقال فلان اخذ بحلقوم فلان وفلان في قبضة فلان ليس انه في قبضته بحقيقة او اخذ
بحلقوم فلان ولكن يراد انه في سلطانه وحكمه وفي قبضته ان ربي على صراط مستقيم اي على الذي امرني [illegible]
[illegible] قوله ان ربي على صراط مستقيم اي ان الذي امرني ربي ودعاني اليه هو صراط مستقيم كقوله ان ربك لبالمرصاد

وقال ابو عبيد الا اعتراك الا اخذتك بسوء اي اخذته وقال القتيبي الا اعتراك الا اصابك يقول الا عراك بعض آلهتنا

بخبال اعتريت اصبت وعروتك وقوله فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يحتمل على الاضمار اي فان تولوا عن

اجابتي فقد ابلغتكم رسالاتي لان قوله تولوا انما هو خبر وقوله ابلغتكم خطاب ويحتمل ان يكونا جميعا في الخطاب

بتولوا فان توليتم عن اجابتي فيما ادعوكم اليه فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وليس علي الا تبليغ الرسالة اليكم

كقوله ما على الرسول الا البلاغ وكقوله ان عليك الا البلاغ يقول انما علي ابلاغ رسالة ربي اليكم ليس علي جرم توليكم من

اجابتي كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وهذا والله اعلم وقوله ويستخلف ربي قوما غيركم فيه وجهان احدهما

الحجة علا هلاككم لانه اخبر انه يستخلف قوما غيركم لانه ما لم يهلككم لا يكون غيركم خلفكم لانهم كانوا يقولون من اشد منا قوة يقول

واسالهم ان قوي ابدانكم وبطشكم لا تحجز ابدا عن اهلاككم وفيه ان ما والسوا هم انه ليس في العالم بل يكون بعدهم قوم خيرهم

واسالهم وقوله ولا تضرونه شيئا اي لا تضرون بتوليكم عن اجابتي وردكم رسالة الله اليكم ليس كملوك الارض اذا تولى

عنهم خدمهم وحشمهم ضرهم ذلك والثاني لا تضرونه كما يضر ملوك الارض بالقتال والحرب بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه

لانه لا منفعة له فيما يطلب بدعوكم حتى يضره منع ذلك اذ ليس يدعوكم الى ما يدعو لحاجة نفسه ولا لمنفعة له انما يامركم ويدعوكم

لحاجة انفسكم والمنفعة لكم ويحتمل ان يكون لا تضرونه شيئا جواب قوله فكيدوني جميعا الاية ان ربي على كل شيء حفيظ لا يخفى

عليه شيء وان لطف فكيف يخفى عليه اعمالكم واحوالكم مع ظهورها وبدوها والمعتزلة ان ربي على كل شيء حفيظ بخزنه على اي

لا يذهب عنه شيء والنبوة والله اعلم وقوله ولما جاء امرنا نجينا هودا قوله جاء امرنا امر تكوين لا امر تبقي الا هو

كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون معلى ذلك هذا هو امر تكوين وقد ذكرناه وقوله نجينا هودا

والذين امنوا معه برحمة منا هذا يدل ان من نجا انما نجا برحمة منه لا بعمله وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته لا على ما يقوله

المعتزلة ان من نجا انما ينجو بعمله لا برحمته ثم يحتمل قوله برحمة منا وجوها يحتمل الرحمة ههنا هودا اي رحمهم به حيث بعث

اليهم رسولا فنجاهم اتبعهم فان كان هذا فيه ان اهل الفترة معاقبون في حال فترتهم لانه اخبر ان من نجا انما نجا بهود فدل

انهم معاقبون قبل بعث الرسل اليهم ويحتمل قوله برحمة منا اي بتوفيق منا اياهم نجا من نجا منهم والثالث ونجيناهم من عذاب

غليظ قال بعضهم نجيناهم من العذاب الذي اهلك هؤلاء ويحتمل ان يكون على الوعد اي ينجيهم في الاخرة من عذاب غليظ

وقوله وتلك عاد جحدوا والاية كذا بتلك اشارة الى ما تقدم عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله الكفر بالآيات كفر بجميع الرسل

والكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله لان كل واحد من الرسل يدعوا الى الايمان بالله وبجميع الرسل والايمان

بواحد منهم ايمان بالله وبجميع الرسل والآيات والكفر بواحد من هذا كفر بالله وبجميع الرسل وانما كان الكفر بالآيات

كفرا بالله لان الله انما يعرف من جهة الآيات والكفر بالآيات كفر به وقوله واتبعوا امر كل جبار عنيد قيل اخبر انهم

اتبعوا امر الجبابرة والطاغين منهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم قيل الجبار هو المتجبر الذي يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم لان

الرؤساء منهم كانوا يتجبرون على الرسل ويتكبرون ثم الاتباع اتبعوا الرؤساء في عملهم قال ابو عوسجة الجبار هو المتجبر

والعنيد هو المعاند المخالف وقال القتيبي العنود والعنيد والمعاند المعارض لك بالخلاف عليك وقال ابو عبيد العنيد

والعنود والمعاند هو الجائر وقوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال بعضهم اللعن هو العذاب اي

اتبعوا في الدنيا وفي الاخرة بالعذاب كقوله الا لعنة الله على الظالمين اي عذاب الله وقوله واتبعوا اي الحقوا وقيل

ان اللعن هو الطرد طردهم عن رحمته لعدم … لا ينالون في الدنيا ولا في الاخرة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد

قوم هود اي الابعاد لهم من رحمته وقوله والى ثمود اخاهم صالحا هو على ما ذكرنا اي ارسلنا الى ثمود اخاهم

صالحا وقوله اخاهم قد ذكرنا ايضا ان الاخ يتجاوز وجوه الاخ في الدين والاخ في الجنس والاخ في النسب

لا يحتمل ان يكون اخاهم في الدين لكنه يحتمل ان يكون اخاهم من الوجهين الاخرين في الجنس والنسب وقوله قال

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان الرسل صلوات الله عليهم اول ما دعوا قومهم انما دعوا الى توحيد الله وجعل

العبادة له لان غيره من العبادات انما يقوم بالتوحيد فكان اول ما دعاهم قومهم اليه من نزل عليه الرسل ودعاهم الدعاء الى

توحيده والعبادة له وقوله هو انشأكم من الارض قال بعضهم اهل التاويل هو انشأكم من الارض بقوله هو خلقكم

من آدم وخلق آدم من الارض لكنه اضاف خلق الخلائق اليه كما اضاف في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآية

اجرانه خلقنا من نفس اي آدم وان لم يكن انفسنا فيه فيجاز ذلك اضافته ايانا الخلق من الارض وان لم نخلق انفسنا منها اي

خلق اصلنا وان … من الارض لما اضاف انشائنا الى ما انشأ اصلنا ويشبه ان يكون قوله هو انشأكم من الارض اي جعل انشاء

كلكم ونمائكم وقوتكم ومعاشكم بالخارج من الارض اذ به نشؤهم ونماؤهم وقوتهم وقوامهم بها وقوله واستعمركم فيها اي جعلكم عمار

الارض تعمرونها لمعاشكم ومعادكم جعل عمارة هذه الارض الى الخلق ثم التدبير فيه يكون لهم … والوام الاستفعال ويرجع

كله الى واحد وقال بعضهم في قوله واستعمركم اي جعل عمركم طويلا وقوله فاستغفروه ثم توبوا اليه هذا قد ذكرناه فيما تقدم في قصة

نوح اي كونوا بحال يغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف كانه قال فان انتهوا عن الكفر يغفر لهم وقوله ان ربي قريب يحتمل

الحقيق او قريب لمن انصار له ايانا له او قريب الى كل من يفزع اليه مجيب لدعا كل داع استجاب له كقوله واذا سالك عبادي عني الآية

وكقوله ادعوني استجب لكم الاية وقوله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا قال بعضهم قوله

قد كنت فينا مرجوا كنت ترحم الضعفاء وتعود المرضى ونحو ذلك هذا الكلام قال … على خلاف ذلك وقال بعضهم كنت فينا مرجوا

كنا نرجوا ان ترجع الى ديننا قبل هذا الذي تدعونا اليه قال … الهشام تذكر … اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اي

ما كنا نعرف ان اباءنا عندك سفهاء من قبل هذا قال … اخلافهم في عبادتهم الاصنام وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب

او كانوا يذكرون هذا الاحتجاج الهم في … دعاهم الى توحيد الله وعبادته اياه فقالوا انا على يقين ان اباءنا قد عبدوا هذه

الاصنام وانا على شك مما تدعونا اليه مريب اي … وكذلك الى هذا الدين قد قبل هذا ولكنا لا نعلم ما كانوا عليه

فيه … قوله قد كنت فينا مرجوا سوى انا نعلم انه كان مرجوا فيهم بالعقل والدين والعلم والبصر ونحوه فكان

مرجوا فيهم بالاشياء التي ذكرنا سوى انهم … بقولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا والله اعلم وقوله قال يا

قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي ان كنت على حجة وبرهان وبيان من ربي فيما ادعوكم الى توحيده وصرف العبادة اليه

والثاني قوله ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي قد كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة يحتمل قوله رحمة اي انا في رسالته …

من ينصرني من الله اي يمنعني من عذاب الله ان عصيته وتابعت الى دينكم اي لا احد ينصرني ان اجبتكم الى ما دعوتموني

اليه اي لا احد ينصرني دون الله لو اجبتكم واطعتكم فيما دعوتموني اليه ثم الذي دعوه اليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة اليهم ودعوته الى

عبادة الاصنام التي يعبدونها وقوله فما تزيدونني غير تخسير قيل فيه بوجهين قيل فما تزيدونني بدعائكم اياي فيما تدعوني

الا خسرانا وقال بعضهم فما تزيدونني بمعصيتكم اياي الا خسارا لانفسكم وقال القتيبي غير تخسير اي غير نقصان وقال ابو عوسجة

غير تخسير هو من الخسران في الحسرة اي الزيادة الخسران وقوله ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله الى

لهم هذا حين سالوا منه الاية فقال هذه ناقة الله لكم اية على صدق صالح فيما ادعى من الرسالة او هذه ناقة الله لكم آية اي حجة اية

التي سالتموها من الرسالة وقوله ناقة الله اضاف اليه لخصوصية كانت فيها غير انا لا نعرف ذلك ليست تلك الخصوصية في غيرها

من النوق لما جعلها اية لرسالته ونبوته خارجة مما عليه النوق وشاهدة لها وكذلك كانت ايات الرسل كانت خارجة عن

وسع البشر وطوقهم ليعلم انها سماوية ثم لا نعرف اية خصوصية كانت لها عظم جسمها وغلظ بدنها حيث قسم الشرب بينهم وبينها

حتى جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولم يقسم … بينها وبينهم بقوله فذروها تأكل في ارض

الله واما ما قاله بعض الناس انها خرجت من صخرة كذا او انها كانت تحلب كل يوم كذا واشياء احوذكرها فانا لا نعرف ذلك

ولا نقطع القول فيه انه كان كذلك سوى انا نعرف ان لها كانت خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها من النوق ولو كانت

لنا الى تلك الخصوصية حاجة لبينها لنا والاصل ما ذكرنا انه اذا اضيف جزئية الاشياء الى الله تعالى فهو على تعظيم ذلك الجزء

المضاف اليه واذا اضيف الكلية الاشياء فهو على ارادة التعظيم له والتبجيل له نحو قوله له ملك السموات والارض وله كل

شيء ونحوه وقوله ولا تمسوها بسوء نهاهم ان يمسوها بسوء ولم يبين ما ذلك السوء فيحتمل ان يكون ذلك عقرها وقتلها …

من ذلك وقال بعض اهل التاويل لا تمسوها بسوء اي لا تعقروها فياخذكم عذاب قريب فلما ان تنكب علي انزال الناقة [عقروها] بلغهم الم
حيث قال فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وما ذكر ايضا ان وجوههم اصفرت في اليوم الاول
ثم احمرت في اليوم الثاني ثم اسودت في اليوم الثالث ثم نزل بهم العذاب في اليوم الرابع فذلك ايضا مما الله اعلم به **وقوله**
عذاب قريب قيل سريعا لا تمهلوا حتى تعذبوا وقوله ذلك وعد من الله غير مكذوب ليس فيه كذب وكان عذابهم انما نزل علي
الرسول الايات لولا ذلك فلما ان جاءهم بها كذبوها فنزل بهم العذاب وهكذا السنة في الامم الخالية انهم اذا سالوا الاية فجاءتهم
فلم يومنوا بها نزل بهم العذاب وهو قوله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها الاية والله اعلم **وقوله** فلما جاء امرنا اي جاء امره كما يقال جاء وعد ربنا اي جاء وعد ربنا لان وعده وامره له
حق ولكن جاء امره ووعده وهو العذاب او نقول جاء اي وقت وقوع ما امر به ووعد وهو العذاب الذي وعد وامر به
والله اعلم نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا بنعمة منا وبفضل منا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** ومن خزي يومئذ
قيل الخزي هو العذاب الذي يفضحهم وقيل كل عذاب فهو خزي اي نجاهم من خزي ذلك اليوم **وقوله** ان ربك هو القوي
العزيز قيل القوي هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي يذل من دونه وقيل القوي هو المنتقم المنتصر لاوليائه من
اعدائه العزيز هو المنيع في ملكه وسلطانه الذي لا يعجزه شيء **وقوله** واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل عذابهم كان صيحة
صاح بهم جبريل وقيل الصيحة الصاعقة وكل عذاب فهو صيحة لكن لا ندري كيف كان او ان يكون عذابهم قدر صيحة لسرعة
وقوعه بهم او يسمى ذلك العذاب صيحة لما انه ما يصيحون فيما بينهم او ما ذكرنا **وقوله** فاصبحوا في ديارهم جاثمين قال
ههنا ديارهم وقال في سورة الاعراف دارهم والقصة واحدة قال بعضهم دارهم قراهم وديارهم منازلهم ولكن معنى
واحد اصبحوا جاثمين في دارهم ومنازلهم سواء وقوله جاثمين قيل خامدين موتى واصل الجاثمين اي منكبين علي وجوههم
يقال جثم الطائر اذا انكب علي وجهه مخافة الصيد وقد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** كان لم يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها
وقيل كان لم يكونوا فيها وقيل كان لم يعمروا فيها واصله انهم صاروا كان لم يكونوا في الدنيا لا يذكرون بعد هلاكهم فصاروا
من حيث لا يذكرون كان لم يكونوا واما الاخيار والابرار فانهم وان ماتوا ابدانهم وصارت كان لم تكن فهي الذكر
كانهم احياء حيث يذكرون بعد موتهم **وقوله** الا ان ثمود كفروا ربهم قيل كفروا نعم ربهم او كفروا بايات ربهم
فذلك كله كفر بالله **وقوله** الا بعدا لثمود اي الا بعدا لثمود من رحمة الله **وقوله** ولقد جاءت رسلنا ابرهيم
بالبشرى اختلفوا في سن البشارة قال بعضهم جاءوهم في بشارة اسحاق ويعقوب فهو قوله فبشرناها باسحاق ومن
وراء اسحاق يعقوب وقال بعضهم جاءوا بشارة اهلاك قوم لوط وانجاء لوط واهله قيل لانه لوطا كان ابن اخي
ابرهيم وكان لوط فزع الي الله بسوء عمل قومه وصنيعهم ودعا بالنجاة منهم وهو قوله اني لعملكم من القالين الاية
حتي ذكر في بعض القصة ان سارة قالت لابرهيم ضم ابن اخيك الي نفسك فان قوما يعذبون كانه عرفت انه لا
يتركهم علي ما هم عليه بسوء عملهم قالوا جاءوا بالبشارتين جميعا بشارة الولد واهلاك قوم لوط ونجاة لوط
واهله الي هذا يذهب بعض اهل التاويل وقوله قالوا سلاما قال سلام هذا يدل ان السلام هو سنة الانبياء والرسل
والملائكة في الدنيا والاخرة ولم تحدث من هذه الامة بل كان سنة الرسل الماضية والامم الخالية وكذلك هو تحية اهل الجنة
لقوله سلام عليكم طبتم وفي هذا دليل علي ما ذكرنا ان انتصاب قوله سلاما وارتفاع الثاني لان الاول تقتضب لوقوع
الفعل عليه كقولك قالوا قولا وان في حكاية لقولهم **وقوله** فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فما لبث اي ما
لبث عندهم حتي اشتغل بتقديم شيء اليهم ولا قد يكون في ذبح العجل وشويه لبث الا ان يكون العجل مشويا فان لم
يكن مشويا فيما ذكرنا انه لم يلبث عندهم في المؤانسة والحديث معهم علي ما يفعل مع الاضياف حتي جاء بما ذكر وفيه ما
ذكرنا من الادب وفيه دلالة ان من نزل به ضيف ان لا يشتغل بالسوال عن احوال الضيف من اين والي اين وما حاجتهم
ولكن يشتغل بالقرى وازاحة حاجتهم لان ابرهيم انما اشتغل بالقرى لم يشتغل بالسوال عن احوالهم ولكن اشتغل بما
ذكرنا فجاء بعجل حنيذ وهذا هو الادب في الضيف الا تري انه لو كان سال عن احوالهم فعرفوا انهم من الملائكة

لكان لا يشتغل بما ذكر اذ عرف انهم من الملائكة والملائكة لا يتناولون شيئا من الطعام **وقوله** بعجل حنيذ قال بعضهم الحنيذ
السمين وهو ما ذكر في موضع اخر فجاء بعجل سمين وقال بعضهم الحنيذ هو المشوي الذي خد في الارض خدا فشوي بالحجارة المحماة
وقال بعضهم الحنيذ هو المشوي الذي يسيل منه الماء وقال ابن عباس هو النضيج الحنيذ النضيج **وقوله** فلما راي ايديهم لا تصل اليه
نكرهم قال بعضهم نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد وهو من الانكار اي لم يعرفهم ظن انهم لصوص لان اللصوص من عادتهم انهم كانوا
اذا ارادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم ياكلوا شيئا عندهم وقيل نكرهم انهم من البشر واوجس منهم خيفة قيل
اضمر منهم خيفة اي خوفا قال بعضهم خاف لما ظن انهم سراق ولصوص حيث لم يتناولوا شيئا مما قدم اليهم وقال بعضهم خيفة
اي وحشة اي اضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما قرب اليهم فعلم انهم ليسوا من البشر لان من الا ابرهيم كان في بيت من البلد ولم
ينزل احد من البشر الا وقد احتاج الي الطعام فلما لم يتناولوا علم انهم ليسوا من البشر فجاءوا الا لامر عظيم لتعذيب قومه فلما كان
خاف لذلك فقالوا لا تخف انا ارسلنا الي قوم لوط وقال في موضع اخر انا ارسلنا الي قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة الاية وقال
ههنا لا تخف انا ارسلنا الي قوم لوط وقال في موضع اخر لا تخف وبشروه بغلام عليم وقال فما خطبكم ايها المرسلون ذكر
ههنا ان قولهم انا ارسلنا علي اثر سؤاله فيما تخاف فيه لا كذلك المعني فيه والله اعلم ان ذلك كان علي اثر سؤال ابرهيم بقوله فما
خطبكم لكن جمع ذلك فيما حكي فيه الحكاية عن قولهم وان كان منفصولا عنه وخرجت الحكاية في موضع اخر علي ما كان في الحقيقة
وذلك مستقيم في كلام العرب والله اعلم **وقوله** وامراته قائمة فضحكت قال بعضهم قائمة علي رؤوس الاضياف لانها كانت
عجوزا ولا باس في مثل ذلك الا تري الي قوله الله والقواعد من النساء الاية وقال بعضهم قائمة من وراء الباب لكن لسنا ندري
اي ذلك كان **وقوله** فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من خوف ابرهيم انهم لصوص وهم كانوا ثلاثة او اربعة ودون عشرة
وكان خدم ابرهيم يبلغ عددهم ثلثمائة علي ما ذكر في القصة فضحكت تعجبا انه كيف يخاف من نفر بعضهم دون عشرة ومعه من
الخدم ما يبلغ عددهم ما ذكرنا وقال بعضهم ضحكت تعجبا مما بشروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكبر وهو كذا وكذا وقالت
اني ان الد وقد كبرت من السن كذا وقال بعضهم ضحكت اي حاضت من قولهم ضحكت الارنب اذا حاضت وهو قول ابن
عباس وعكرمة وقال الفراء ضحكت حاضت لم نسمعه ولا نعرف فيما نرى وقيل من قال انها ضحكت تعجبا مما بشرت بالولد فهو علي
التقديم والتاخير كانه قال فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم
لا نها خافت منهم **وقوله** ومن وراء اسحاق يعقوب ظاهر هذا انها بشرت باسحاق ومن بعده او لا ولد اسحاق فلما ولد يعقوب
ولكن لم يكن يعقوب ولد من ابرهيم انما ولد من اسحاق وهو ولد ابرهيم ابن اسحاق فتاويله من وراء اسحاق حافد
فانما البشارة بالولد والحافد هو كقوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وقال في سورة وامراته قائمة فضحكت
وقال في موضع اخر فاقبلت امراته في صرة فصكت فان كان علي ما قالوا انها كانت قائمة وراء الباب فيكون اقبالها
خروجها الي القوم وان كان قيامها علي رؤوسهم فيكون معني الاقبال هو الاقبال في ضرب وجهها وصكها لكن ذلك من
القدوم لكنه علي الاقبال بفعل ما اخبر انها صكت وجهها والله اعلم **وقوله** قالت يا ويلتي االد وانا عجوز وهذا بعلي
شيخا وقال في موضع اخر فبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال ههنا
يا ويلتي االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب ثم لم تتعجب تعجب من قدرة الله انه قادر علي ان يهب الولد في كل
وقت ولكنها تعجبت لما رات العادة في الناس والرجال انهم اذا بلغوا المبلغ الذي كانا لم يلدوا فتعجبت انها
تلد في الحال التي هي بها او يردان الي حال الشباب فعند ذلك يولد لهما وكلاهما عجيب حيث الخروج علي خلاف
العادة لا حيث قدرة الله وهو كما ذكرنا من قول زكريا اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر وفي
موضع اخر وقد بلغت من الكبر عتيا قوله اني يكون لي غلام في الحالة التي انا عليها او يرد الي الشباب فعند ذلك
قولها االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب **وقوله** قالوا اتعجبين من امر الله قال اهل التاويل
التعجب من قدرة الله هذا لكنه يحتمل وجهين احدهما اي لا تعجبين من امر الله هذا وكذا امثاله
رايت امثال ذلك في اسلافك والثاني وقوله رحمة الله وبركاته عليكم يشبه

بلغ الاصل بالقرا

بلغ الاصل بالقرا

ان يكون هذا اصلا قوله قالوا سلاما لانه معلوم انهم لم يقولوا سلاما فحسب لم يزيدوا على هذا بل زادوا فكانهم قالوا سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته او قالوا سلام الله ورحمته وبركاته عليكم اهل البيت بالنصب كانه قال يا اهل البيت كقوله
صلى الله عليه وسلم حيث قال تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي اي يا اهل بيتي انه حميد مجيد يحتمل
حميد الذي يقبل اليسير من المعروف ويعطي الجزيل كالشكور والمجيد من المجد والشرف وقيل الحميد المحمود والمجيد الماجد
وهو الكريم والله اعلم وقوله فلما ذهب عن ابرهيم الروع قيل الروع هو الفرق والفزع الذي دخل فيه لمجيء الملائكة وجاءته
البشرى في الولد والحافد وفيه بنجاة لوط واهله وهو ما ذكرنا في قوله ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى وقوله يجادلنا
في قوم لوط قال بعض اهل التاويل مجادلته ايانا في قوم لوط ما ذكر في القصة انه قال ارايتم ان كان فيهم من المؤمنين
كذا اتعذبونهم قالوا لا ونحو من الكلام فان ثبت هذا والا لا نعلم ما مجادلته ايانا ويمكن ان تكون مجادلته ايانا في
دفع العذاب عنهم او تاخيره ودليله قوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويحتمل
مجادلته ايانا في استبقاء قوم لوط لشفقته عليهم ورحمته لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يدعوهم اليه لئلا ينزل بهم العذاب
ما اوعدوا فتشفع اليهم لعله ان يبقيهم والله اعلم وقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب قيل الحليم هو الذي
لا يكافي من ظلمه ولا يجازيه به او يحلم عن سفه كل سفيه اواه قيل الاواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المتاوه وهو
الدعاء وهو كثير الدعاء وقيل الاواه التقي الذي لا يفتر لسانه عن ذكر وقيل الاواه الحزين فيما بينه وبين ربه
جمع في هذه الاحرف الثلثة جميع انواع الخير والطاعة ما كان بينه وبين ربه وما كان بينه وبين الخلق حيث ذكر
انه حليم وانه اواه وانه منيب والمنيب قيل المخلص وقيل هو المقبل اليه بقلبه وبدنه وقد ذكرنا هذا في
سورة التوبة وقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا يعني عن المجادلة التي ذكر انه قد جاء امر ربك بالانصراف والرجوع
عنك ويحتمل جاء امر ربك من انزال العذاب بهم وقوله ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم قوله سيء بهم قيل اي ساءه
مجيئهم ومكانهم ودخولهم لصنيع قومه بالغرباء مخافة ان يفضحوهم وضاق بهم ذرعا اي لم يدر كيف يصنع بهم وكيف
يحتال ليدفع عن ضيفه سوء قومه والذرع هو المقدرة والشيء اي ضاق مقدرته وقوته وقال هذا يوم عصيب
قيل عظيم شديد لانه يوم يهتك الاستار ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لانه قال يوم عصيب
عظيم بنفسه لم يظهر له شدته لكنه قاله اجتهادا والله اعلم ثم قوله ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم
ذرعا يحتمل ان يكون قوله سيء بهم وضاق بهم ذرعا لما اخبرته الرسل باهلاك قومه ساءه ذلك وضاق به ذرعا
لذلك ايضا ويحتمل قوله سيء بهم وضاق بهم ذرعا لسوء صنيع قومه باضيافه الحرفان جميعا ينصرفان الى لوط الى
قومه او الملكان اضيافه او يكون احدهما في ضيفه والاخر في الحال ما ينزل بقومه والله اعلم وقوله وجاءه
قومه يهرعون اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرعون اليه اي يهرولون اليه وهو سير بين السعي وبين
المشي بين بين وقال بعضهم يهرعون اليه اي يرعدون اليه من الروع اي فزعين اليه والله اعلم وقوله
ومن قبل كانوا يعملون السيئات هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله من قبل ان بعث لوط رسولا اليهم كانوا يعملون
السيئات ويحتمل قوله من قبل اي من قبل نزول الاضياف بلوط كانوا يعملون السيئات والسيئات تحتمل الشرك
وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها والله اعلم وقوله قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم
اختلف في قوله بناتي قال بعضهم اراد بنات قومه لان الرسل هم كالاباء لهم ولهذا قومهم ينسبون اليهم الا ترى
الى قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي حرف ابن مسعود وهو اب لهم سمى ازواجه
امهاتهم والنبي بالاب فعلى ذلك يحتمل قول لوط هؤلاء بناتي اراد بنات قومه فنسبهن الى نفسه لما ذكرنا انه كالاب
لهم ثم يحتمل معنى جعل النبي لاولاد قومه كالاب وازواجه كالام وجهين احدهما نسبوا اليه للشفقة هو اشفق لهم
من الاب والام او لحق التربية وتعليم الدين كالاب لهم فهو اولى بهم من انفسهم لهذين الوجهين وقال
بعضهم اراد بنات نفسه ثم اختلف فيه قال بعضهم كان ذلك منه تعريض لهم للنكاح يقول هؤلاء بناتي هن اطهر لكم

نكاحا ان كنتم قابلين للايمان ومنهم من قال هو تعريض بما هو زنا عندهم لانه عرض ذلك عند نفسه وهذا كما يقول الرجل لمن
اكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا باس بان يشتم ويقصد بشتمه محمدا اخر يجعل له شتمه وان كان عنده لكي انه يشتم رسول الله
بعد ان اطمان انه في قلبه وكذلك اذا اكره ان يشتم الله له ان يقصد بالشتم شتم الهتهم وان كان عندهم انه يشتم الهه
الذي يعبد فعلى ذلك يحتمل قول لوط هؤلاء بناتي تعريض بما عندهم وان كان عنده انه ليس كذلك يقصد ذلك قال بعض
اهل هذا البريهم قبح الفعل الذي كانوا يقصدون باضيافه لان الزنا كان عندهم محرما فعرض عليهم بناته ليعرفوا
قبح ذلك الفعل حيث احتمل قلبه في بناته ولم يحتمل في اضيافه ليمتنعوا عن ذلك ويحتمل ان يكون قال ذلك وان كانا
كلاهما لا يحلان لكن احدهما ايسر واهون ويجوز الحكم بين شرين يقال هذا اطهر واصلح من هذا وهذا ايسر من
هذا واهون وان كان كلاهما شرين فالزنا وان كان حراما فذلك مما يحل بالنكاح وادبار الرجال لا تحل بحال وقال
بعضهم انهم كانوا يخطبون بناته وكان ابى ان يزوجهن منهم لما لم يكونوا اكفاء له ثم عرض عليهم في ذلك الوقت ليعلموا
قبح ذلك الفعل الذي قصدوا باضيافه او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وقال
في موضع اخر فلا تفضحون في ضيفي ليعلم ان الاخزاء هو الفضيحة هذا يدل ان الخزي هو الذي يفتضح من نزل به وقوله
اليس منكم رجل رشيد قال بعضهم هم ان يزوج بعض بناته من يصدر لرايه فيمنعهم عنهم كانه يقول اليس منكم من
يرشد ويصدر لرايه وقوله اليس منكم رجل رشيد اي اليس منكم رجل يقبل الموعظة ويرشدكم ويعظكم او يقول
اليس اي اليس منكم رجل رشيد على النهي فيمنعهم عما يريدون ويقصدون وقوله لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق على التاويل اللذين ذكرنا مما يكون لحق حق النكاح او حق الاستمتاع وفي بعض التاويلات من حق من حاجة
لو ونحو ذلك يقول عامة اهل التاويل ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة وانك لتعلم ما نريد يعنون الاضياف قال لو
ان لي بكم قوة اي قوة في نفسي او اوي الى ركن شديد قيل عشيرته والركن الشديد عند العرب العشيرة يقول لو ان
لي بكم قوة في نفسي او عشيرة تعينني لغلبتكم فيه دلالة ان من راى اخر على فاحشة له ان يقاتله وقوله ما لنا في بناتك
من حق تاويل والله اعلم انك تعلم انه ليس لنا في بناتك من حق كما ليس لنا في اضيافك من حق فكيف تمنعنا عنهم
وتعرض علينا بناتك فنحن فيما ليس لنا فيه حق سواء والله اعلم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قيل
قالوا ذلك للوط لن يصلوا اليك لما طمسوا اعينهم وهو كقوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر وقال قائلون قالوا ذلك للوط لما اوعدوا لوطا حين طمست اعينهم ان ضيفك سحروا ابصارنا فستعلم غدا
ما تلقى انت واهلك فقالوا عند ذلك لن يصلوا اليك بسوء غدا بما يعملون وقوله لو ان لي بكم قوة او اوي
الى ركن شديد على انهم قد هموا بلوط واوعدوه حتى قال ما قال الا ترى ان الملك قالوا له انهم لن يصلوا اليك
فهذا على ما ذكرنا وقوله فاسر باهلك بقطع من الليل قيل قطع من الليل اخره وهو وقت السحر وقيل هو ثلث
الليل او ربع من اخره وهو واحد والله اعلم وقوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك قيل لا يتخلف احد
منكم الا امراتك فانها تتخلف ويصيبها ما اصابهم وقيل قال بعضهم ولا يلتفت من الالتفات والنظر وقيل
لا يترك احد منكم متاعه تتبعك الا امراتك فانها لا تتبعك فيصيبها ما اصابهم وقوله ولا يلتفت منكم احد الا
امراتك يحتمل النهي عن الالتفات كانه يقول لا يلتفت احد ويحتمل الخبر كانه يقول لا يلتفت منكم احد الا من ذكر
وهو زوجته فذلك علامة لخلاصهم وقوله ان موعدهم الصبح فقالوا اليس الصبح بقريب كان لوط
استبطأ الصبح لعذابهم فقالوا اليس الصبح بقريب هذا من لوط له يحتمل ان يكون قال ذلك وهو بين اظهرهم
ويعلم ان قراه يقلب اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ويمكن قال ذلك والله اعلم بعدما اخرجوا واهله من بين
اظهرهم فعند ذلك قال ما قال واستبطأ وقت نزول العذاب بهم والله اعلم وقوله فلما جاء امرنا يحتمل جاء الامر
بالمراد بامرنا او امره هو جعل عاليها سافلها ثم قال اهل التاويل في قوله جعلنا عاليها سافلها كانت الى الارض
فذلك قوله والمؤتفكة اهوى قيل اهوى بها جبريل من السماء الى الارض ويمكن ان يكون اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض

ادخل جبريل جناحه تحت قريات لوط
ثم رفعها الى السماء ثم قلبها فجعل
اعلاها اسفلها

فيه جعل اعلاها اسفلها علي ما ذكر وارسل الحجارة علي من كان غايبا منها **وقوله** وامطرنا عليها حجارة من سجيل قال بعضهم
امطر الحجارة عليها ثم قلبها جبريل وقال بعضهم امطر عليها الحجارة بعد ما قلبها فسويا وكل احد منهم كان غايبا عن بلده
فاتت حجارة مكتوب عليها اسمه فقتلته حيث كان والله اعلم **وقوله** من سجيل قال السجيل هو اسم المكان الذي منه
رمي الحجر الذي امطره وقال بعضهم هو طين مطبوخ كالاجر وعن ابن عباس رضه قال سنك وكل منضود نضد الحجر
بالطين والصق بعضه ببعض مسومة قيل معلمة مخططة سود الحمرة وقال بعضهم مسومة اي مكتوب عليها اسم صاحبها
وقوله وما هي من الظالمين ببعيد قال بعضهم ما هي من ظلمة قوم لوط ببعيد وقال بعضهم ما هي من ظالمي اهل
مكة وهو اليوم ببعيد اي عذاب الله ليس ببعيد منهم بعيد بهم ان شا ويحتمل قوله وما هي من الظالمين ببعيد اي
تلك القرى والاماكن التي اهلك اهلها ليست ببعيد من مشركي اهل مكة وهو ما ذكر وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
وفيه تذكير منه على هذه الامة حيث لم يجعل عذابهم عذاب استيصال بحيث لا يملكون الفزع عنه والرجوع ولكن
جعل عذابهم الجهاد حتي لو ارادوا الرجوع عنه ملكوا والله اعلم **وقوله** والي مدين اخاهم اي الي مدين ارسلنا اخاهم شعيب
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره سنا قد ذكرنا فيما تقدم ان كل نبي اول ما دعا قومه انما دعا الي
توحيد الله وجعل العبادة له وفي قوله اخاهم شعيبا وما ذكر في غيره من الاخوة دلالة على ان الرسل من قبل كانوا
من البشر من جنس قومهم لا من الملايكة حيث قالوا اخاهم شعيبا ومعلوم انهم لم يكونوا لهم اخوة في الدين وفيه ان
الاخوة لا توجب تفضيل المواخي له لانه ذكر ان الرسل اخوة لتلك الاقوام وهم كفرة وذلك يرد قول الروافض
في تفضيل علي على ابي بكر بالمواخاة التي كانت بين رسول الله وبين علي والخلة توجب التفضيل وقد جاء عنه انه
قال لو اتخذت سوي ربي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا **وقوله** ولا تنقصوا المكيال والميزان ذكر
انهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ولا يوفون الناس حقوقهم فنهاهم عن ذلك فهو والله اعلم لوجهين احدهما
انهم انما نهوا عن ذلك لحق الربوا لان النقصان اذا كان برضا من صاحبه يجوز فعله انه انما نهاهم لحق الربوا
فيما يجري الربوا والثاني فيه ان ببيعه المشتري للبايع وتقلبه فيه قبل قبضه على تمام البيع فيما سمحا غير جايز
والله اعلم **وقوله** اني اريكم بخير قيل في سعة من المال وقيل في رخص من السعر وانما يحمل المرء على النقصان
والظلم على اخذ الشي الضيق والحال فكيف تنقصون انتم في حال السعة ورخص السعر ويقول اني اريكم بخير
في غير هذا فلا تظلموا الناس في هذا ولا تمنعوا حقوقهم واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي يوم يحيط بهم
العذاب ان كانت الاحاطة مضافة الي اليوم فهو يحيط بالكل وان كانت الاحاطة مضافة الي العذاب فهو محيط
بالكفرة خاصة وهو والله اعلم انه ما من جارحة من ظاهره وباطنه الا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها ليس كعذاب
الدنيا يأخذ جزا دون جزء بل يحيط به النهي بتخصيص نقصان الكيل والميزان لا يدل على انه لم يكن فيهم من الماثم
والاجرام سوي ذلك لكنه خص هذا لما كان الظاهر فيهم نقصان الكيل والوزن فذكر ذلك وهو ما خص قوم
لوط بقوله اناتون الذكران من العالمين وانكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها الاية ذكر هذا وخصهم ليس
على انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش غيرها لكن خص هذا لان الظاهر فيهم هذا ففي ذلك نقصان الكيل والميزان
في قوم شعيب والله اعلم **وقوله** ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم في المكيال
والميزان والله اعلم لما كانوا يطففون المكيال وينقصون الميزان رغبة فيما وفيها يجري الربوا لما ذكرنا
وقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيه دلالة ان المشتري يملك المبيع قبل ان يقبضه لانه قال ولا تبخسوا الناس
اشياءهم اضافه الي الناس اشياءهم فلو كان لا يملك لم يكن اشيا الناس انما كان اشيا البايع فاما نقص ماله
ولا تعثوا في الارض مفسدين وهو ما ذكر في موضع اخر ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها **وقوله** بقية الله خير
لكم ان كنتم مومنين قال بعضهم ما ابقي الله لكم من ثوابه في الاخرة خير لكم ان امنتم به واطعتموه مما تجمعون في الدنيا
وقال بعضهم بقية الله خير لكم اي ما جعل الله لكم مما يحل خير لكم مما يحرم عليكم من نقصان الكيل والوزن اذ كنتم

مومنين بالحلال والحلال وقال بعضهم طاعة الله وهو ما امركم به ويدعوكم اليه خير لكم مما تعملون وقال الحسن رزق الله
خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم لكن هذا يرجع الي ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** وما انا عليكم بحفيظ يحتمل ما انا عليكم
بحفيظ اي لست اشهد بياعاتكم واشريتكم حتي اعلم بخسكم الناس المكيال والميزان لكن انما اعرف ذلك بالله وفيه
دلالة اثبات رسالته حيث علم ذلك بالله ويحتمل الثاني وما انا عليكم بحفيظ اي ما بعثت عليكم انما ابلغ اليكم كقوله ما على
الرسول الا البلاغ **وقوله** قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا
قال بعض اهل التاويل صلواتك اي قراتك تامرك بهذا وقال ابن عباس قالوا ذلك له لان شعيبا كان يكثر الصلوة كانه
يخرج على الانكار يقولون اصلواتك تامرك بان تامرنا بترك عبادة ما عبد اباونا وقوله صلواتك وصلواتك يحتمل ان
يكون له صلوات معروفة يفعلها فيقولون اصلواتك التي تفعلها تامرك ان نترك كذا ام صلوة واحدة تكررها فقالوا
ذلك فتخصيص الصلوة من بين غيرها من الطاعات لما لعلها كانت من اظهر طاعاته عندهم فقالوا له هذا ثم يحتمل وجهين
احدهما كانهم قالوا اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل كذا على التسفيه له والتجهيل كمن يوبخ اخر
ويسفهه يقول اعلمك يامرك بكذا او ايمانك يامرك بهذا كقوله قل بيسما يامركم به ايمانكم ونحو من الكلام يخرج على
التسفيه له والتجهيل والثاني يقال ذلك على الانكار يقول الرجل لاخر ايمانك يامرك بذلك او علمك يامرك بهذا
اي لا يامرك بذلك ففي ذلك يحتمل قولهم اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا
اي لا تامرك بهذا هذا اذا كانت الصلوة التي ذكروا مرضية عندهم فان لم تكن مرضية فالتاويل هو الاول **وقوله**
اصلواتك تامرك هذه الاية حببا اليهم تقليد ابايهم في عبادة الاصنام واتباعهم اباءهم والاهوال التي كانت لهم
تمنعهم عن النظر في الحجج والايات لما حبب اليهم ذلك وهكذا جميع الكفرة انما منعهم عن النظر في ايات الله
وان ما لهم فيها احد من الوجوه التي ذكرنا حب اللذات وحب الرياسات والميل الي الشهوات ظنوا انهم لو
اتبعوا رسل الله واجابوهم الي ما دعوهم اليه لذهب عنهم ذلك ثم قوله او ان نفعل في اموالنا ما نشا يحتمل قضا جميع
الشهوات ويحتمل ما ذكر من نقصان المكيال والميزان يقولون اموالنا لنا ليس لغيرها حق نفعل فيها ما نشا وقال
بعضهم قوله او ان نفعل الا القبيح وان نفعل في اموالنا ما نشا **وقوله** انك لانت الحليم الرشيد قال اهل
التاويل قالوا ذلك له استهزا به وسخرية كنوا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال اي انت السفيه حيث سفهت
اباءك في عبادتهم الاصنام الضال حيث تركت ملتهم ومذهبهم وقال بعضهم على النفي والانكار اي ما انت الحليم
الرشيد وينبغي ان يكون على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا راوا على ظلاف
ولا سفاهة قط فقالوا انك لانت الحليم الرشيد اي كنت هكذا فكيف تركت ذلك وهو ما قال قوم صالح لصالح
حيث قالوا قد كنت فينا مرجوا **وقوله** قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي على بيان وحجة من ربي
من ربي على ما ذكرنا فيما تقدم اي تعلمون اني كنت على بيان من ربي وحجة ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه مكان
ما قال اولئك الانبيا والثاني رحمة من عنده اي قال هود فرزقني منه رزقا حسنا التمييز والهدي او النبوة
على ما ذكرنا والاكثر ان يكون الرزق الحسن هو الاموال الحلال الطيبة التي لا تبعة عليه فيها ذلك وما رزق اولئك
عليهم تبعة في ذلك لانهم اكتسبوها من وجه لا يحل **وقوله** وما اريد ان اخالفكم الي ما انهاكم عنه من الناس من
يقول قال لهم ذلك بازاء ما قالوا فيما ذكر في الاعراف لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او
لتعودن في ملتنا يقول ادعوكم الي الايمان بالله والتوحيد له وانهاكم عن الكفر به ثم ارتكب ما انهاكم عنه واترك
ما ادعوكم اليه وقال قتادة لم اكن لانهاكم عن امر واركبه وهو واحد ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي
ما اريد الا الاصلاح لكم ما استطعت وفيه دلالة ان الاستطاعة تكون مع الفعل لانه اما ان تكون اراد
استطاعة الارادة او استطاعة الفعل فكيف ما كان فقد اخبر انه يريد لهم من الصلاح ما استطاع فيه ما
ذكرنا وهو ينقض على المعتزلة مذهبهم لانهم يقولون الاستطاعة تتقدم الفعل وهي لا تبقي وقتين فيصير على

وطمع اراده الصلاح لهم باعدم من الاستطاعة **وقوله** وما توفيقي الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع
والخذلان هو صفة كل عاص وقال بعضهم التوفيق هو ما يوفق بين فعله وقوله في الطاعة والخذلان ما يفرق بين قوله
وفعله في المعصية وقال الحسين النجار التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية وعندنا
التوفيق هو ان يوفق بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفرق بين عمل الخير والاستطاعة او ان نقول
هو ان يوفق بين عمل الشر والاستطاعة وهما واحد **وقوله** عليه توكلت اي عليه اعتمدت في جميع امري واليه توكلت
واليه انيب اي ارجع او يتوكل اليه اقبل بالطاعة **وقوله** ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم
نوح او قوم هود او قوم صالح بالصيحة على ذكر قال بعضهم لا يجرمنكم اي لا يحملنكم شقاقي قيل خلافي ان يصيبكم مثل
ما اصاب اولئك وقال بعضهم قوله لا يجرمنكم لا يكسبنكم عداوتي فقال الكن شقاقي ضراركم لكن كلا يرجع الى
معنى واحد لانه اذا ثبت العداوة ثبت المخالفة والبغض والضرر فكل ما ذكروا فهو واحد واصل الجرم الاثم
والكسب ثم يخرج انذار اياهم بمن هلك على الام على وجهين احدهما ان قوم شعيب قوم لا يؤمنون بالبعث والقيمة
فانذرهم بمن هلك من الامم الا لغفلة انه لو كان يتذرهم بالبعث لكان لا ينجع فيهم لانهم لا يؤمنون به والثاني انذرهم
باولئك لانهم كانوا يقلدون اباهم في عبادة الاوثان ويتبعونهم فيقول انكم تقلدون اباكم وتتبعونهم في عبادة
الاوثان فاتبعوهم ايضا بما بلغوا اليكم من هلاك اولئك بعبادتهم الاوثان وتكذيبهم الرسل فاذا فعلتموهم في
ذلك فهلا تقلدونهم وتتبعونهم في اصابهم بما اصابهم او نقول لهم انكم تقلدون اباكم الذين عبدوا الاوثان
وقد هلكوا فهلا تقلدون من لم يعبدها ونجا وقد ان من هلك منهم بم هلك ومن نجا منهم بم نجا والله اعلم
وقوله وما قوم لوط منكم ببعيد اي ان نسيتم من مضى منهم فلا تنسون ما نزل بقوم لوط وليسوا منكم ببعيد
منكم **وقوله** واستغفروا ربكم اي اطلبوا من ربكم المغفرة اي اطلبوا السبب الذي يقع لكم المغفرة من ربكم وهو
التوحيد ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه ولا تعودوا الى ما كنتم قبل **وقوله** ثم توبوا اليه اي ارجعوا رجوعا
حتى لا تعودوا الى مثل ما سبقكم ابدا ان ربي رحيم يرحم من تاب اليه والله يرحمه ودود يحتمل وجهين احدهما
ودود اي حق ان يود اذ منه كل شي وكل احسان والناس جبلوا على حب من احسن اليهم والثاني ودود وهو توسل
اليه وتقرب **وقوله** قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول قوله ما نفقه يحتمل ما نفهم وما نعقل كثيرا مما
تقول كانهم يقولون ذلك على الاستهزاء والهزؤ به كانهم نسبوه الى الجنون فيقولون لانتهم ما تقول لان
كلامك كلام مجانين ومن سمي عاد النعم كانوا ينسبون الرسل الى الجنون ويحتمل ما نفقه ما نقبل كثيرا مما
تقول فان كان على الفهم فهو كقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهم كانوا فريقين فريق
كانوا يقولون قلوبنا اوعية للعلم كقولهم قلوبنا غلف فان كان ما تقول حقا نفهم ونعقل كما نعقل غيره والفريق
قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر كانوا يصدقون انهم لا يفهمون ولا يفقهون لان قلوبهم
في اكنة وفي اذانهم وقر والفريق الاول يقولون ان قلوبنا اوعية للعلم فلو كان حقا لعقلنا كما نعقل غيره فلولا
كانوا يصرفون العيب الى الرسل واولئك الى انفسهم ففي ذلك قوم شعيب يحتمل ان يكونوا كذلك والله اعلم **وقوله**
وانا لنراك فينا ضعيفا يحتمل هذا وجهين احدهما اي انك لست من كبرائنا واجلتنا انما انت من اوساطنا وعلى
ذلك الانبيا انما بعثوا من اوساط الناس لا من كبرائهم في امر الدنيا فالقوي والعزيز عند اولئك القوم من
عنده الدنيا والمال واما من لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل لانهم لا يعرفون الدين ولا يؤمنون
به لا حق لذلك قالوا ما قالوا والثاني لست انت بذي قوة وبطش في نفسك وقد ذكر انه كان ضعيفا في بصره
ونفسه يحتمل وصفهم بالضعف لهذين الوجهين والله اعلم **وقوله** ولولا رهطك اي قبيلتك وقيل عشيرتك
لرجمناك الرجم يحتمل القتل ويحتمل الطعن والشتم ثم يحتمل قوله لولا رهطك لرجمناك وجهين احدهما لولا رهطك
اي لولا حرمة رهطك والا لرجمناك كانهم كانوا يحترمون لموافقة رهطه اياهم في العبادة اعني عبادة

الاوثان وعلى ما هم عليه والثاني لولا رهطك لرجمناك خوفا منهم لما ذكر انه كان كثير العشيرة والقبيلة كانوا يخافون عشيرته
ان يؤذوه والله اعلم **وقوله** وما انت علينا بعزيز اي ما انت من اجلتنا وكبرائنا انما انت من اوساطنا او ما انت
علينا بعزيز اي ما انت من اجلتنا لان العزيز عندهم من كان عنده المال والدنيا لا يعرفون العزيز غير ذلك
ولم يكن عند شعيب الدنيا لذلك نسبوه الى ما ذكر وانت ذليل عندنا لست بعزيز فيكون هو قوله وانا لنراك فينا
ضعيفا والله اعلم **وقوله** قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله هذا يخرج على وجهين يحتمل يا قوم ارهطي اعظم
حقا عليكم من الله واكثر حرمة حتى تركتم ما اوعدتموني من القتل لحقهم وحرمتهم والثاني قوله يا قوم ارهطي اعز عليكم
اي رهطي اشد خوفا عليكم واكثر نكاية من الله لانا قلنا في قوله ولولا رهطك لرجمناك انه يخرج على وجهين احدهما
على الاحترام لرهطه لموافقتهم اياهم في جميع ما هم عليه والاخر على الخوف والنكاية لقوتهم وكثرتهم
ونصل بطشهم تركوا ما وعدوا لرهطه فقال خوفكم من رهطي اشد واكثر عليكم من الخوف من الله وقد بلغكم
من نكاية الله ونقمته فيما حل بالامم الماضية او حرمة رهطي عندكم وحقهم اعظم من حق الله وحرمته وقد تعلمون احسانه
اليكم وانعامه عليكم **وقوله** واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم واتخذتموه وراءكم ظهريا اي جعلتموه على ظهركم وحملتم
اياه على ظهوركم استخفافا به قال تقول العرب فلان حمل الناس على ظهره اي استخفهم على نفسه ولكن لا ندري
ايقال هذا ام لا فان قيل هذا فهو محتمل ما قال وهو قول ابي بكر الاصم وقال غيره من اهل التاويل واتخذتموه
وراءكم ظهريا اي نبذتم لسالت ظهوركم اي نبذتم حق الله وامره وكتابه الذي انزل اليكم وراء ظهوركم لا تعملون به ولا
تلتفتون اليه وهو كالمنبوذ وراء ظهوركم هذا على التمثيل اي جعلوا امر الله ودينه الذي دعوا اليه كالمنبوذ وراء
ظهورهم لا ينظرون اليه ولا يلتفتون وهو ما ذكر في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم على التمثيل
اي الذي انتم عليه التمثيل كالانقلاب على الاعقاب ان ربي بما تعملون محيط هذا يخرج على وجهين ايضا احدهما ان
ربي بما تعملون من الاعمال الخبيثة محيط فيجزيكم بها او يقول ان ربي بما تعملون من الكيد برسول الله والمكر به محيط
فيرده عليكم **وقوله** ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل هذا يخرج على وجهين احدهما ان تكونوا على دينكم
الذي انتم عليه وانا اكون على ديني كقوله لكم دينكم ولي دين لان قوم شعيب قالوا لشعيب لنخرجنك يا شعيب والذين
امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا فقال لهم عند ذلك وهذا انما يقال عند الاياس عن ايمانهم كقوله
لا حجة بيننا وبينكم ولنا اعمالنا والثاني قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل اي اعملوا في كيدي والمكر بي هلاكي اني عامل
ذلك بكم وهو كما قال غيره من الرسل فكيدون جميعا ثم لا تنظرون او قوله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ونحو
وقوله سوف تعلمون في العاقبة وعيد من يأتيه عذاب يخزيه او سوف تعلمون في العاقبة من يأتيه عذاب
يخزيه نحن او انتم ومن هو كاذب وتعلمون في العاقبة ايضا من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين
يدعي على الفريق الاخر الكذب والافتراء على الله فيقول سوف تعلمون في العاقبة الكاذب منا والمفتري على الله
والصادق عليه وارتقبوا اني معكم رقيب اي ارتقبوا هلاكي وانا ارتقب هلاككم او ارتقبوا لمن العاقبة حمدا
لنا او لكم اني معكم رقيب والله اعلم **وقوله** ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا هذا قد ذكرنا
فيما تقدم **وقوله** واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل الصيحة صيحة جبريل اي هلكوا بالصيحة وقال بعضهم الصيحة
اسم كل عذاب وكذلك الرجفة سمي العذاب باسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة ومرة رجفة **وقوله** فاصبحوا في
ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وهذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم قال بعض اهل التاويل
قوله الا بعدا لمدين في الهلاك كما بعدت ثمود كما اهلكت ثمود لان كل واحد منهما هلك بالصيحة ثم خص ذكر
ثمود من بين الامم وعن ابن عباس قال لم يعذب بعذاب واحد الا قوم شعيب وصالح فاما قوم صالح فاخذتهم
الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم قال رفعت لهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا انه الظلة فيها ريح فلما راوها
اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فلم يعلم العذاب من فوقهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة **وقوله**

الابد الذين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمة ويحتمل الهلاك الذي ذكرنا والله اعلم **وقوله** ولقد ارسلنا موسى
باياتنا وسلطان مبين وهي الحجج فيحتمل قوله باياتنا وسلطان مبين واحد على التكرار فان كانت الايات هي اللوامع
والنواهي والبلوى ويحتمل ان يكون سلطان مبين حجاجه والبراهين على ذلك **وقوله** الى فرعون وملايه قد ذكرنا
ان الملا هو اسم لشيئين اسم الجماعة واسم الاجلة والاشراف وهو كان مبعوثا الى الاشراف من قومه والى الجماعة جميعا
حتى جعله الى فرعون وقومه وان كان مبعوثا الى الكل لما العرف في الملوك انهم انما يخاطبون الكبراء منهم والاشراف
وان كان من المقصود خطاب الكل **وقوله** فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما
ذكر في المؤمن حيث قال ما لكم يا قوم ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فاطاعوا فرعون في قوله
فيقول الله وما امر فرعون برشيد يهدي او يتوقع الامر الذي به فرعون برشيد بل هو ضلال لكن عندنا انهم
اطاعوا فرعون في جميع امره ونهيه في عبادة الاصنام وغيره وهو ما ذكر فاستخف قومه فاطاعوه وقوله وما امر فرعون
برشيد اي ليس بهدي بل كان امره ضلالا حيث كان هو ضالا مضلا **وقوله** يقدم قومه يوم القيمة قال بعضهم
اي صار قدامهم وقال بعضهم يقدم اي يقود قومه الى النار حتى يوردهم النار ويحتمل قوله يقدم قومه اي
يكون اماما لهم يوم القيمة يتبعون اثره كما كان امامهم في الدنيا فاتبعوه كقوله يوم ندعو كل اناس بامامهم
وكقوله وجعلناهم ايمة يدعون الى النار اخبر انهم يكونون ايمة لهم في الاخرة ويشبه ان يكون قوله فاوردهم النار
اي دعاهم في الدنيا وامرهم بما به تورد بهم النار تسمية لا على كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على
عمل اهل النار وقال بعضهم يتبعونه حتى يدخلهم النار **وقوله** وبئس الورد المورود وقال بعضهم بئس المدخل
المدخول والورد الدخول والمورود المدخول سمي الجزاء باسم سببه قال ابن عباس جميع ما ذكر في القران من
الورود هو دخول منه قوله بئس الورد المورود وقوله وان منكم الا واردها وقوله وانتم لها واردون
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال والله ليردنها كل بر وفاجر ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقوله واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة يحتمل اللعنة في الدنيا العذاب الذي ذكر ترك لهم ويحتمل لعن
الخلايق يلعنهم من ذكرهم في الدنيا والاخرة يحتمل الوجهين جميعا تحتمل يعذبون في الاخرة كما عذبوا في الدنيا
ويحتمل لعن الخلايق ايضا من راهم لعنهم واللعن هو الطرد في اللغة طردوا عن رحمة الله ولم يرجعوا في عذاب
الدنيا ولا يرجعون في عذاب الاخرة **وقوله** بئس الرفد المرفود عن ابن عباس بئس الرفد المرفود
يقول لعنة الدنيا والاخرة وقال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الاخرة ولكن
على زعمهم يجيء ان يقال الردف من الترادف وقال بعضهم الرفد العون وهو قول القتبي وقال القتبي
الرفد العطية والمرفود المعطي يقال رفدته اذا اعطيته واعنته كما يقال بئس العطاء المعطى وكذلك قال
ابو عوسجة بئس ما اعطوا واعينوا وبئس المعطى والله اعلم **وقوله** ذلك من انباء القرى نقصه عليك
منها قايم وحصيد قوله ذلك من انباء القرى ذلك ما سبق من ذكر القرى والقرون في من السورة من
انباء الغيب نقصه عليك لتبلغ رسالتك بها ولتكون اية لنبوتك لانك لم تشاهدها ولا اختلفت الى احد
منهم فتعلمت منهم ولا كانت الكتب لك فيقولون نظرت فيها فاخذت انك بها ثم انبات على ما كانت
وقصصت عليهم ليعلم انك انما عرفت بالله فتكون اية لرسالتك وقوله منها قايم وحصيد قال بعض اهل التاويل
منها قايم ترى مكانها ونتظر اليها ومنها حصيد لا ترى لها اثرا ولا مكانا وقال بعضهم قايم اي خاوية على
عروشها وحصيد مستاصل وعن الحسن قال منها قايم وما حصده الله الكبرى اي وما اهلك الله من القرى اكثر
واصل عندنا منها قايم نحو قرى عاد وثمود ومدين اهلك اهلها وبقيت القرى لاهل الاسلام لانه
يقول في قرى عاد فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم الاية ومنها حصيد ما اهلك الله والقرى جميعا نحو
قوم نوح اهلكوا بنيانهم ونحو قريات قوم لوط اهلكت باسرها ايضا حتى لم يبق لها الاسل ولا البنيان

ذلك والله اعلم تاويل قوله منها قايم سكانها وبقي البنيان ومنها حصيد هو ما اهلك البنيان باهلها حتى لم يبق
لها اثر فيه وهي المؤتفكات احدها اية لرسالته لما ذكرنا وعبرة لاهل التقوى وهو ما ذكر في اخره ان في ذلك لاية
لمن خاف عذاب الاخرة اي عبرة لمن خاف عذاب الاخرة وزجرا لاهل الشرك والكفر لانهم يذكرون ما نزل
بالذين من قبلهم من العذاب فيزجرون عن صنيعهم بذلك من الوجوه التي ذكرنا والله اعلم **وقوله** وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم
قوله وما ظلمناهم فيه وجهان احدهم لم نظلمهم لانهم وبنيانهم ملك لله تعالى وكل ذي ملك له ان يهلك ملكه ولا يوصف
بالظلم من اتلف ملكه وهم ظلموا انفسهم اذ انفسهم ليست لهم في الحقيقة وكذلك بنيانهم ومن اتلف ملك غيره فهو ظالم
والثاني ان الظلم هو وضع الشي في غير موضعه يقول ما ظلمناهم بالعذاب اذ هم يستوجبون ذلك بما ارتكبوا فلم
نضع العذاب في غير موضعه بل هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها حيث صرفوا الجزاء لمالكها عبدوا غيره فهو
ظلم هذا التاويل في انفسهم واما البنيان فهو انا جعلها لهم فاذا اهلكوا اهلكنا معهم ما جعلنا لهم انما ابقيناها لهم ما
داموا هم فاما اذا بادوا هم فلا معنى لبقاء البنيان وما ذكر من ظلمهم انفسهم يحتمل وجوها احدها ظلموا انفسهم
بعبادتهم غير الله والثاني ظلموا انفسهم بصدهم الناس وصدهم عن سبيل الله عن عبادة الله وتوجيههم الى عبادة غير الله
والثالث ظلموا انفسهم بسوالهم العذاب **وقوله** فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي لما جاء امر ربك
فيه وجهان احدهما ما اغنت عنهم عبادة الهتهم التي عبدوها ما ارادوا لهم لما جاء امر ربك اي عذاب ربك
كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الاية يخبر ان عبادتهم الاصنام لا تنفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني فما اغنت عنهم انفس الهتهم
في دفع العذاب عنهم في احوج حال اليها لعجزهم في انفسهم وضعفهم كقولهم هولاء شفعاونا عند الله فاذا لم يملكوا
ذلك في وقت الحاجة اليهم فكيف يملكون في غيره من الحال والله اعلم **وقوله** وما زادوهم غير تتبيب
يحتمل ما زاد عبادتهم اياها غير تتبيب او ما زاد الهتهم التي عبدوها غير تتبيب والتتبيب قال عامة اهل التاويل
هو التخسير وقال ابو عوسجة غير تتبيب غير ذو التتبيب التلف وكذلك قال في قوله وما كيد فرعون الا في تباب
اي فساد وقال غيره الا في خسار وقال غيره غير تخسير وكذلك قال في قوله تبت يدا ابي لهب وتب وكذلك
قال في التب قالت الناس تبا لك وقال بعضهم غير تتبيب غير شر وقال التتبيب الشر والتب الشر والخسران وهما
واحد **وقوله** وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اي هكذا ياخذ كفار هذه الامم كما اخذ اولئك اي كما عذبنا
الامم الخالية وهي ظالمة مشركة كافرة كذلك نعذب هذه الامة ان اخذهم هذه الامم وفيه ان اخذه اليم
شديد اي ان اخذه بالعذاب اليم شديد الاخذ نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالالم الا العذاب يوصف
بالالم لكن لما وصف بالالم والشدة دل ان الاخذ هو الاخذ بعذاب والله اعلم **وقوله** ان في ذلك لاية لمن خاف
عذاب الاخرة هو ما ذكرنا انه عبرة لاهل التقوى ولمن خاف عذاب الاخرة **وقوله** ذلك يوم مجموع له الناس حض
الناس بالذكر وان كان اجمع لهم ولغيرهم لان الاية انما تكون لهم او لانهم المقصودون بالحكم بذلك اليوم
والله اعلم قيل يجمع فيه الاولون والاخرون وذلك يوم مشهود قال بعضهم يشهده اهل السما واهل الارض للعرض
والحساب والله اعلم **وقوله** وما نوخره الا لاجل معدود هذا في ما نوخر العذاب عن هذه الامة الا لاجل معدود
ذكر هذا والله اعلم جواب ما استعجلوا من العذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ونحوه
فقال وما نوخر العذاب عنهم الا لاجل معدود الا لوقت موقت اي الا لاجل معدود عند الله ولو كان ما ذكر
ابن عباس انه سبعة الاف فيكون معدودا عند الناس ويكون وقت القيمة معلوما على قوله وقد اخبر الله انه يجليها
لوقتها الا هو **وقوله** يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه اي لا تتكلم نفس بالشفاعة لاحد الا باذنه كقوله لا
يشفعون الا لمن ارتضى او لا تكلم نفس الا من اهوال ذلك اليوم والفزع كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم
طرفهم وافيدتهم هوا وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا او لا تكلم نفس من الاجلة والعظما
لاحد منهم بالشفاعة الا باذنه على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** فمنهم شقي وسعيد فمنهم شقي باعماله

الخبيثة التي اذا افنا[?] عملوا ادخلته الجنة وكل عمل يعمل فيدخله الجنة فهو سعيد به وكل عمل يعمل يدخله النار فهو شقي به
روي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عمر قال لما نزلت هذه الاية فمنهم شقي وسعيد سالت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلام نعمل على شي قد فرغ منه او شي لم يفرغ منه قال بل على شي قد فرغ منه وجرت به الاقلام
يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت هذا فهو يدل لما ذكرنا والله اعلم **وقوله** فاما الذين شقوا ففي النار لما ذكرنا
لهم فيها زفير وشهيق قال بعضهم الزفير هو كثير الحار في الصدر وهو اول النهيق واما الشهيق وهو كشهيق الحمار
في الحلق انما هو ما يخرج من نفسه فهو شهيق وقال بعضهم الزفير هو ما لا يفهم منه شي انما هو كالانين والجزع
من شي يصيبه لا يتبين منه كقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا والشهيق هو ما يرتفع منه الصوت يسمى شهيقا ويحتمل ما
ذكر من الزفير والشهيق انهم يصيرون بعد كثرة دعائهم ونداءهم حتى يكون لهم الزفير والشهيق لا يفهم كصوت
الدواب اذا اصابها الم **وقوله** خالدين فيها ما دامت السموات والارض عن الحسن قال ما دامت السموات والارض
تبدل سما غير هذه السما وارض غير هذه الارض فما دامت تلك السما وتلك الارض لان السما من اجزائها تنشق
وتطوى وتبدل كقوله يوم تنشق السما ويوم نطوي ويوم تبدل ونحوه وقال بعضهم قوله ما دامت السموات
والارض انما هو صلة الكلام كانه قال خالدين فيها الا ما شا ربك وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة وقال بعضهم
يدوم لهم العذاب ابدا ما دامت السموات والارض لاهل الدنيا ما كانوا فيها لانهما انما تفنيان بعد فنا اهلهما
وبعد احيا الاهل والبعث فجزا العذاب يدوم لهم كما يدوم لاهل الدنيا السما والارض وقال بعضهم
خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت سما الجنة وارض الجنة وسما النار وارض النار لكن ذكر هذا
لئلا يتوهم اهل الجنة والنار قبل هلاك سمايها وارضها على ما يتوهم في هلاك اهل الدنيا قبل هلاك
سمايها وارضها وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت الارض ارضا والسما سما
يتكلمون على عهدهم من اوله فنادهم او على الصلة يقول الرجل للاخر لا اكلمك ما دام الليل والنهار اي ابدا
هذا التاويل قوله ما دامت السموات والارض واما قوله الا ما شا ربك قال بعضهم ان ناسا من اهل التوحيد
يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون منها وقد روي في ذلك اثار روي عن ابي سعيد
الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستثنا في الايتين كلتيهما لاهل الجنة يعني الذين
يخرجون من النار من اهل التوحيد الا ما شا ربك يقول لم يشقوا شقا من يخلد في النار وقال في الذين
سعدوا الا ما شا ربك هم اولئك الذين لم ينالوا من السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار وروي
بعضها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اما من يريد الله اخراجه منها فانهم يماتون فيها اماتة وقال في اخر
اخر اما من يريد الله له الخلود فلا يخرجون منها وامثال هذه الاخبار فان ثبت هذا فهو المعتمد وقال
بعضهم قوله الا ما شا ربك انه قد شا لاهل النار الابد والخلود وشا لاهل الجنة عطا غير مجذوذ اي غير
منقطع ويويد هذا التاويل ما ذكر في حرف ابن مسعود وانه ما دامت السموات والارض في الايتين وفي الاية
الاولى الا ما شا ربك وفي الاخرى ما دامت السموات والارض عطا غير مجذوذ وكذلك ذكر في حرف ابن
مسعود وابي انها لم يذكر الثنيا في اهل الجنة واصل هذا ما ذكر ابو عبيد قال الاستثنا الذي هو في اهل
السعادة هو المشكل لانه يقال كيف يستثني وقد وعدهم خلود الابد في الجنة وقال في ذلك اقوالا لا ادري
الى من يسند الا ان لها مخارج في كلام العرب وشواهد في الاثار وانما يتكلم الناس في هذا على معاني العربية
والله اعلم بما اراد قال فاحسن الوجوه في الاستثنا فيما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشي ليفعلنه ثم
يقول ان شا الله وعزمه مضي مع استثنايه انه فاعل لا يريد غيره ومما يقوي هذا المذهب قول الله
تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين فاستثنى وقد علم انهم داخلوه البتة ومنه ما روي في حديث مكة
عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ولا تحل لقطتها الا لمنشد وقال بعضهم استثنى المنشد وهي لا تحل له كالا

تحل لغيره والوجه الثاني ان يكون الا بمعنى سوى فان العرب تفعل ذلك تقول عليك الف درهم من قبل كذا وكذا
الا الالف التي قبل ذلك اي سوى الالف التي قبل ذلك يعني الالف التي قبل ذلك والا الالف التي قبل ذلك فيكون
المعنى على هذا انه وعدهم خلود الابد سوى ما اعد لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي يذكرها لهم ومما يقوي هذا التاويل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية الا ترى ان ههنا من الزيادة ما لم
يطلعهم عليه والوجه الثالث ان يكون الاستثنا من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين البعث والحساب وقد قيل
ما ذكر انه ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الذي ذكر الى ان يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد يقول فلم يغيبوا عن
الجنة الا بقدر اقامتهم في الحساب ومما يقوي هذا المذهب ما قيل في قوله ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون قيل ما
بين الموت والبعث والله اعلم بذلك **وقوله** واما الذين سعدوا فقد اختلف القرا في قراتها قرا الكسائي وحمزة
بضم السين سعدوا واما ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القرا قراوا بفتح السين سعدوا على قياس شقوا قال ابو عوسجة
المعروف سعدوا بفتح السين وانما هو سعدوا بفتح السين وقال ابو عوسجة غير مجذوذ اي غير مقطوع كقوله فجعلهم جذاذا اي
قطاعا وقد ذكرنا قولهم في الزفير والشهيق على قدر حفظنا له **وقوله** فلا تك في مرية مما يعبد هولا ما يعبدون
الا كما يعبد اباوهم من قبل تاويله والله اعلم لا تكن يا محمد في شك بان هولا قد هلكوا في عبادتهم الاصنام والاوثان
الحد الذي بلغ اباوهم في عبادتهم الاصنام فهلكوا اذا هلكوا فانك لحد بلغوا ايضا فقد بلغوا ذلك المبلغ اي بلغ الهلاك
لكن الله برحمته وفضله اخرهم الى وقت او يقال ان هولا قد بلغوا في العبادة لغير الله بعد نزول القران والحجج المبلغ الذي
كان بلغ اباوهم قبل نزول الحجج والبرهان في عبادتهم غير الله او كان فيها قوم قد اظهروا الموافقة لهم وكانوا يعبدون
الاصنام في السر على ما كان يعبد اباوهم من قبل هولا وان اظهروا الموافقة لك فقد بلغ الحينهم في السر مبلغ ابايهم
والله اعلم هذا يحتمل وفيه اصلها اخبار عن قوم خاص انه لا يومن احد منهم لجهل سفه يغير هم والثاني اخبار انه لا يومن
جميع قومك كما لم يومن قوم موسى باجمعهم بل قد امن منهم فريق ولم يومن فريق مثله فكذلك يكون قومك واما لموفوهم
نصيبهم غير منقوص قال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم في الدنيا من الارزاق ما قدر لهم من الشر غير منتقص له
ينقص ما قدر لهم اي لا يهلكون حتى يوفيهم الرزق وقال بعضهم وانا لموفوهم باعمالهم غير منتقص اي لا
ينقصون من اعمالهم شيا ولا يزادون عليها ان كان حسنا فحسن وان كان شرا فشر وهو على الجزا وقال
بعضهم وانا لموفوهم نصيبهم يقول انا نوفر لهم حظهم من العذاب في الاخرة غير منقوص هم ذلك العذاب وقوله وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص ان كان التاويل في قوله فلا تك في مرية مما يعبد هولا ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم
من قبل على الاياس من قوم علم الله منهم انهم لا يومنون فيكون تاويله ما ذكر في اية اخرى من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وان كان الثاني فهو ما ذكر في اية اخرى قوله وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم
الاية **وقوله** ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي اختلف في الكتاب والاختلاف فيه يحتمل
وجوها ثلثة احدها في الايمان به والكفر فمنهم من امن به ومنهم من كفر والثاني اختلفوا فيه في الزيادة والنقصان
والتبديل والتحويل والتحريف كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية وكقوله فويل للذين يكتبون
الكتاب بايديهم الاية وقوله يحرفون الكلم واشباه من الايات والوجه الثالث من الاختلاف اختلفوا في تاويله
وفي معناه بعدما اشتبه عليهم ولا يحتمل الاختلاف في التاويل مما احتمل كتابنا واما التبديل والتحويل والتحريف
والزيادة والنقصان فانه لا يحتمل لما ضمن الله حفظ هذا الكتاب بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعل ميسرا على السن الناس يتلونه حتى من زاد او نقص او بدل حرفا منها
او قدم او اخر عرف ذلك هو والله اعلم لما لا يحتمل احكام هذا نسخها ولا شرايعه تبديلها واما الكتب الاول فانما جعل
حفظها اليهم بقوله بما استحفظوا من كتاب الله هو والله اعلم لما احتمل شرايعها واحكامها نسخها وتبديلها لذلك كان الامر

ماذكرنا وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ذكر هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبر على ما اختلف فيه
قومه في الكتاب الذي نزل عليه يقول قد اختلف فيما انزل على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل عليك **وقوله**
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم بالهلاك اهلاك استيصال واستيعاب وكلمته التي سبقت تحتمل ما كان من حكمه
ان يختم الرسالة بمحمد وان يجعله من خاتم النبيين وان اخر الامم لم تقم الا [illegible] ويحتمل ان يكون كلمته التي ذكر هذا
الذي ذكرنا ويحتمل وجها اخر وهو ان كان من حكمه انهم اذا اختلفوا في الكتاب والدين وصار والبحث لا يهتدون
الى شيء ولا يجدون سبيلا الى الدين ان يبعث رسولا يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى لولا هذا الحكم الذي سبق
والا لقضي بينهم بالهلاك والثالث ما سبق منه ان يؤخر العذاب عن هذه الامة الى وقت والا لقضي بينهم بالهلاك
وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم يحتمل الكلمة التي ذكرنا انها سبقت في قوم موسى وسواه لانهم كلهم بعد الغرق
اهلاك استيصال والتوراة انما انزلت من بعد فقدان من قومه قوم وبعض ما قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وقال بعضهم لفي شك منه يعني من العذاب مريب وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب فيما تقدم **وقوله** وان كلا
لما ليوفينهم قيل لما ههنا صلة يقول والله اعلم وان كلا ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم في الاخرة اذ كان شرا فشر وان
كان حسنا فحسن ومن قرأ لما بالتشديد فتاويله يحتمل وجهين احدهما الا والثاني لما اي لما اجتمع فيه سيئات طرحت
الوضع وادعت احداهما في الاخرى **وقوله** انه بما يعملون خبير وعيد **وقوله** فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا ويحتمل هذه في موضع اخر فلذلك قال واستقم كما امرت قال بعضهم قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك
الاستقامة هو التوحيد اي استقم على التوحيد الى ربك كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الكلمة التي
اقروا على الله به وقال بعضهم في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بالفعل [illegible] رب الله ان قوله ربنا الله اقرار منه له
بالربوبية فيجعل في نفسه جميع امور الربوبية والالوهية له ويجعل في نفسه العبودية له [illegible] الاستقامة
التي ذكر والله اعلم ان يجعل في نفسه جميع امور الربوبية له والالوهية له ويأتي ما يجب ان يؤتى وينتهي عما يجب ان
ينتهي ويتم جميع اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله فاستقم لرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة اليهم وقوله فاستقم
كما امرت يخرج على وجهين احدهما استقم على ما امرت ومن اتبعك ايضا يستقيم على ما امروا والثاني يقول امض الى
ما امرت حرف كما يخرج على سنن الوجهين اللذين ذكرناهما على ما امرت والى ما امرت وقوله ومن تاب معك من الشرك
ادعوهم على ان يستقيموا على ما [illegible] ولا تطغوا قال بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد
الذي جعل له **وقوله** انه بما تعملون بصير هذا وعيد **وقوله** ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال الحسن هو صلة قوله
فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فالحسن جمع بينهما [illegible]
بين الركون الى الظلمة والطغيان في النهي الى ان كانت في اهل الشرك فهي نهيهم [illegible] من الظلم ان كل
من ركن الى الظلمة يطيعهم او يوعصم [illegible] ان يكون [illegible] وعيد [illegible] وما لكم من دون الله من اولياء في دفع
العذاب عنهم او احدا ينفع لهم ثم لا تنصرون لا ناصر لهم دونه ولا مانع والله اعلم وتاويل قوله ولا تركنوا الى
الذين ظلموا في ظلمهم فتمسكم النار اليه وان خرجت يخرج العموم فهي خاصة لانه لا كل ظلم يركن اليه تمسه النار
وكانه انما خاطب به الاتباع يقول لا تركنوا الى الكبرائهم والنار في ظلمهم ودنيا يدعونكم اليه فتمسكم النار وذكر
بعض اهل التاويل نزل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه اهل الشرك الى
ما اباه يقول ولا تميلوا الى اهل الشرك ولا تلحقوا بهم **وقوله** واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
صلاة المغرب ظاهر هذا ان يكون فيه ذكر صلوات ثلث صلاة الفجر في الطرف الاول وصلاة العصر في الطرف
الاخر وزلفا من الليل صلاة المغرب لانه ذكر زلفا من الليل والزلف هي القرب منه لان الزلفى هي القربة والدنو
اليه فيكون قوله وزلفا من الليل اي قريبا من طرفي النهار من الليل هو المغرب فيكون ذكر سائر الصلوات
في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل فذكره لدلوك الشمس هو زوال الشمس وغسق الليل العشاء او في قوله

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون حين تمسون صلاة العصر
وحين تصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العشاء وحين تظهرون صلاة الظهر وليس لصلاة المغرب ذكر في الاية لكنه ذكرت
في قوله وزلفا من الليل وقال بعضهم زلفا من الليل هو ساعات الليل الا ان بعض اهل التاويل صرفوا الى الصلوات
الخمس وكانوا قوله طرفي النهار صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل صلاة المغرب والعشاء وقال الحسن هما زلفتان من
الليل صلاة المغرب وصلاة العشاء وعليه تدل جاءت الاثار في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الحسنات هي الصلوات
الخمس وروي ان رجلا اصاب من امراة كل شيء الا الجماع فندم على ذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري ما رد عليك حتى ياتيني فيك شيء من الله قال فبينما هم كذلك اذ حضرت الصلاة فلما
فرغ من صلاته نزل عليه جبريل بتوبته فقال اقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية صلاة الغداة والظهر والعصر وزلفا من
الليل صلاة المغرب والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات ذلك يعني الصلوات الخمس ذكرى للذاكرين
قال توبة التائبين فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يا رسول الله اخاص له ام عام قال لا بل عام للناس كلهم فان
ثبت هذا فهو الاصل في ذلك وعن عثمان في بعض الاخبار انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس الحسنات يذهبن
السيئات فقالوا فما الباقيات الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات الخطايا واقرءوا ان شئتم ان
الحسنات يذهبن السيئات وعن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس وعن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات والاخبار في هذا كثيرة وقال
بعضهم فيه ذكر اربع صلوات يقول طرفي النهار الفجر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقد جاءت الاثار دلت ان
الحسنات هي خمس صلوات **وقوله** ان الحسنات يذهبن السيئات قال بعضهم فعل الصلوات نفسها [illegible] ذكرنا من
الاخبار ان ثبت وقال بعضهم نفس الصلاة لا تكفر ولكن تذكر ما ارتكب من الذنوب فيندم عليها فتركها فيكفر وهو
كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الا ان اجزاء الصلاة تنهى ولا تنهى الا بعد ان تذكر ذلك فقال بعضهم قوله
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء اي تمنع عن الفحشاء اي ما دام فيها ويحتمل قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الصلوات
وغيرها من الحسنات فيه اخبار ان من الحسنات تكفر شيئا من السيئات والله اعلم **وقوله** ذلك ذكرى للذاكرين فذلك الذي
سبق ذكره ذكرى وعظة للمتعظين **وقوله** واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ظاهر ذكر هذا الكلام ان يقول
فان الله لا يضيع اجر الصابرين لانه ذكر الصبر ثم ذكر اجر لكن يحتمل قوله واصبر على الشرك [illegible] واحسن فان الله لا يضيع
اجر المحسنين بل يجزيهم جزاء احسانهم او يقول اصبر على اداء ما كلفت من الطاعات او تبليغ ما كلفت التبليغ اليهم وتحمل [illegible]
[illegible] على اذاهم ولا تكافئهم فانك اذا لم تكافئهم فقد احسنت اليهم فان الله لا يضيع اجر المحسنين او يقول هو صلة ان الحسنات
والله اعلم قال ابو عوسجة قوله زلفا من الليل ساعات من الليل وقال الزلفة المرحلة والزلفة القربة كقوله وان له عندنا
لزلفى اي القربة وقال ابو عبيدة الزلفة [illegible] **وقوله** فلولا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ظاهر هذا يخرج على المعاتبة او التنبيه والتذكير لانه يقول فلولا كان
من القرون اي لم لا كان كذا [illegible] لكنه يخرج على وجهين احدهما فلولا كان من القرون
من قبلكم اولو بقية اي هلا كان [illegible] ينهون عن الفساد في الارض ومعناه والله اعلم هلا كثر اهل الاسلام
فيهم حتى قدروا على النهي عن الفساد في الارض لانهم اذ كانوا قليلا لم يقدروا على النهي عن الفساد في الارض نحو لوط
[illegible] كانوا عددا قليلا كيف كان يقدر على النهي عن الفساد او المنع من ذلك وكنوح ايضا كان معه نفر يسير عددهم
لم يقدر على منع قومه عن الفساد ونحوه فاذا كان ما ذكرنا فكانه والله اعلم يقول هلا كثر اهل الاسلام واولو البقية
ينهون عن الفساد في الارض والثاني فلولا كان من القرون من قبلكم اي قد كان منهم اولو بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد
في الارض فاستوجبوا [illegible] الا قليلا ممن انجينا منهم وذلك القليل قد نهوا عن الفساد في الارض فنجوا من ذلك حاصل

هذا يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما اصحاب العالم يكن فيهم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض على ما قال بعض اهل
التأويل وان في كان فيهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد الا قليلا منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك والله اعلم وقوله
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه هو يخرج على وجهين يحتمل واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا ما اترفوا فيه من الاموال
الذي وسع عليهم واعطوا الاموال وهم الاجلة والائمة منهم اي اثروا اتباع الائمة والاجلة الذين اترفوا فيه على اتباع الرسل والانبيا
والثاني واتبع الذين ظلموا وهم الاجلة والائمة ما اترفوا فيه اي ما اعطوا من الاموال اي اثروا الدنيا وما فيها على اتباع
الرسل والانبيا احد التأويلين يرجع الى السفلة والاتباع وهو الاول والثاني الى الاجلة والائمة هم اثروا اتباع الدنيا
على اتباع الرسل فيتبعهم الاتباع والسفلة في ذلك والله اعلم وقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون اي ما كان ربك ليهلك القرى اهلاك استيصال وانتقام واهلها كلهم مصلحون او اكثر اهلها مصلحون انما
يهلك القرى اذا كان اهلها كلهم مفسدين او عامة اهلها مفسدون هذا يدل ان الحكم في الدار انما يكون بغلبة اهلها ان
كان اكثر اهلها اهل الاسلام فالحكم حكم الاسلام وان كان عامة اهلها اهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمي اهلها كلهم
بالكفر والفساد اذا كان اكثر اهلها مصلحين الا ترى انه قال يا قوم لوط انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
سمي اهل قرية وان كان فيها لوطا وانهم مصلحون لم يعد لوطا واهله من اهلها وقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي لا يكون
في اهلاكهم ظالما لانه هو يخرج على وجهين احدهما انه لم يكن ظالما لانه اهلك ماله والثاني انه انما يهلكهم بظلم
كان منهم كقوله وما ظلمناهم الاية اي انما يهلكهم بشي اكتسبوه بما كسبوا وظلموا انفسهم وهو كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وقوله ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة قالت المعتزلة هذه المشيئة مشيئة القهر والقسر وذلك مما
يرفع المحنة وترد له المثوبة والعقوبة وكذلك في قوله ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا واما عندنا فلو شا
لجعلهم امة واحدة مشية لا تزول معها المحنة والذي يدل عليه خصال احدها ان الله تعالى قد عرفنا الايمان والدين الذي
يقع به اجتماع لرفع الاختلاف بما ركب فينا من العقول التي بها نعرف حقايق الاشيا ومجازاتها ومحاسن الامور وقبيحها
لمعونة السمع او بالتامل فيما يحس بالامرين جميعا انه لا يكون الا بالاختيار ولا يوصل الى اللب الذي به يدان الله الا لله
او التعليم اذ هو طاعة وتصديق وذلك يكون بما لا يحس وطريقه الاجتهاد وكل ذي اضداد القسر محال ان يعود الكون
لمشاعه وقد عرفنا انه لا يكون سمعا وعقلا فيكون في الحقيقة كانه قال لو شا ان يكون لا يكون على ان ذا
من قبل هذه الدعوى على قولهم وهو سند كل ما بالخلق من ان كان فيها شا انباته من افعال الخلق فلم يكن وهم
يشا لكان عندهم فهو كمن ظهر عجزه بجميع ادلة العجز من ادعى ان له القدرة بها يتهياش فذلك لا يقوم الا بتنصاب
والمنوهم ينبغي انه يقدر على الصعود او من لا يملك امساك مثل ادعى انه يمسك السموات والارض على انه لو كان كذلك ليجي
ان يكون يقدر على فعل الكفر والسفه والكذب اذ من لم يقدر على فعل شي لا يقدر على فعل ضده عندهم ليس ذلك بقدرته
ثم لو كان ذلك كله بلا غير يصير له فعلا فكان يكون في الحقيقة سفيها كذابا ومن كان تلك صفته فهو عاجز ولا حكيم
ومن ربوبيته تحت قدرة غيره او حكمه تحمل المتضادات فهو مسول عما يفعل مطالب بالحجج فانى يكون لمن ذلك وصفه ربوبية
جل عن ذلك والثاني ان الذي يكون بالقسر والقهر يكون امر الخلقة لا امر فعل العبد وذلك في الحقيقة يعد لا للبشر وما
هو له من جهة الخلقة هو موجود لان نفس كل احد بالخلقة مومن وقد شاء الله تلك المشيئة فالقول بلوبنا لا معنى له بل قد ثبت ان لا
ولا قوة الا بالله والثالث انه وعد ان لو شاء ان يجعل كذا الفعل وهو لو فعل لكان يجعل من قد امن منهم في الحقيقة
مومنا في المجاز كافرا في الحقيقة لانهم بهذا يصيرون امة واحدة اذ صار كثير منهم مومنين بالاختيار فيحتمل ان يجعلهم
على غير تلك فيكون محوا عدلا والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل اوله لكل موعود في الحسن طاهرا وكل
متوعد على بالوعيد والدعوى له بما جعل عليه امورا ما وهذا النوع من المشية عندهم والدعوى بما جعل جميع ما فعلنا
لان يكون كذلك فيصير بالدعوى به ادعى لنفسه من القدرة مكذبا بما جعل لنفسه من الادلة ومن تلك وصفه فهو غير حكيم
جل الله عن هذا على ان التامل بما اخبر يجد حقيقته دون ان يحتاج الى دليل يوضح قدرته على ما ادعى على بقا المحنة

سبيلا

سبيلا اسهلا بحمد الله لا يحتاج الى ما ذكروا من التكلف وهو ما قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية ومعلوم
انهم لو كفروا جميعا بما ذكر لكانوا مختارين والى حاجة ابن عزم مضطرين فاذا استقام كونهم على دين الكفر من ذلك لا يحتمل
ان لا يوجبه تحببا على الايمان لو كانوا يقدر على كونهم ان يجعلهم كفارا بالمحنة لا يقدر على ان يجعلهم مومنين لان ذلك وصف
العجز عندهم وان كان لا يكون كذلك عندنا لانه يستقيم القول بالاقدار على احداث شي وبحاله التوقف على جعل مثله قديما
او على احداث جزء اليه لا يحمل الوصف بالقدرة على ابقاء شي منه وعليهم اوضح اذا اجازوا القدرة على كل حركة العبد وسكون
بالاضطرار ولم يجوزوا في ذلك بالاختيار الا ان يقولوا لا يجوز ان يكون العبد غير كامل القدرة وفي القدرة على مضاد
الاشيا والله يجوز الوصف له بالقدرة الناقصة فيكون تعريضا مما جعلوا للعبد قدرة على ما يحمل الرب ويجعله كاذبا فيما يخبر
على بقا الربوبية له والله لا يقدر على مثل ابقا العبد على ابقا العبودة له بالمحنة او لم اقدروا العبد على اهلاك من وعد له
في الابقا ومن يريد ذلك وذلك فضلا ووعده لمن تمكن ان يعطيه كذا في معاند فيقتل ويمنع الرب من انجاز وعده وهن
سلطان بقايه جل الرب عن هذا وذلك في قولهم في الرب الله للنبي وصديق اجلا يركبه بصليح ان قدر الكافر
على قتله قبل مجي ذلك الاجل وابطال جميع ما وعده الايفا بما هو ممنعه من ابقا الحي فيه وله يقدر الله على انجاز ما وعده
وايفايه على ما اراده العبد حاله الا ان يعجز او يبيد او يجعل زمنا والله المستعان ثم الاصل ان كل مريد منتفع فيما
فعله امر الا يكون ذلك وهو لم يك فعل الا لذلك يوجب احد امرين في الحكمة اما جهلا بالعواقب وخطابا بالفعل كمن يفعل
فعلا يحزنه او يلجئه بمكروه لو لا يفعل لم يظهر فاعلا انه عن جهل فعل وعلى الخطا خرج فعله يعد ذلك معنى التحذير
في الخلق والتنبيه بقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب وسرق ليقطع وبارز ليقتل من حيث كان انه في مستقبلا بالاول
ينسب الفعل على ان التحذير انه اليه يؤول امر فعله وعلى ذلك قوله فالتقطه آل فرعون الاية او ان يقال ذلك على انه
كذلك في فعله عند الله وان جهل هو او يوجب السفه في الفعل والعبث اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون او يريد
ما يتيقن انه لا يبلغ واذا كان كذلك فاعطا الله تعالى القدرة ليومنوا وخلقه ليعبدوا واراد انه يفعل ذلك واختار
ذلك الفعل الذي يوجب احد ذينك الوجهين جل الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله تعالى عالم بالعواقب متعال عن العبث
ثبت انه خلق من خلق واعطى ما اعطى لما علم انه يكون وقد علم ما يكون وعلى هذا التقرير يخرج الامر في قوله ولقد
ذرانا لجهنم الاية وقوله وانما نملي لهم الاية وقوله ولا يزالون مختلفين انه خلقهم للذي علم انهم يصيرون اليه
من ضلال او اتفاق وعداوة او ولاية لا يريد غير الذي علم ولا يعلم غير الذي يكون من يعلم ما يكون ولا قوة
الا بالله وقالت المعتزلة في قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اي للرحمة خلقهم فقال بعض متكلمي اصحابنا
ان الرحمة تذكر بالتانيث وهو انما ذكرها بالتذكير حيث قال ولذلك خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم ولانه ليس على ما يقولون
وقال قايلون للاختلاف خلقهم الا من رحم ربك وقال بعضهم هو صلة قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون اي خلقهم لئلا يهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وعندنا ما ذكرنا انه خلقهم للذي علم انه يكون منهم وانهم
يصيرون اليه من الاختلاف او الاتفاق او العداوة او الولاية لا يخلقهم لغير الذي علم انه يكون منهم ولم يريد
ايضا غير ما علم انهم يصيرون اليه ولا يعلم غير ما يكون منهم والله الموفق وتاويل المعتزلة في قوله ولو شا ربك لجعل
الناس امة واحدة انها مشية القهر والقسر فذلك بعيد لانه لا يكون في حال القهر والاضطرار ايمان لان من اكره واضطر
على الايمان حتى امن فانه لا يكون ايمانه ايمانا انما يكون الايمان ايمانا في حال الاختيار اذا امن مختارا محققا فيه فعند
ذلك يكون ايمانه ايمانا دل ان ما قالوه فاسد وقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك قال بعض
اهل العلم كل الذي نقص عليك اي قصصنا عليك من انباء الرسل انباء بعد انبا وثبتنا على اثرها ما نثبت به فوادك قوله
ما نثبت به فوادك يحتمل وجوها احدها نثبت به فوادك لما يحتمل ان نفسه كانت تنازعه وتنافره بان الذي انزل عليه
او ياتيه به ملك كما كان ذلك من ايحا الشيطان والقايه فيه وبما هو مقص عليه من انبا الرسل واخبارهم ليكون له
اية فيه ويبين به ليعلم ان ما انزل عليه وما ياتي به انما هو ملك من الله جا به ليدفع به نوازع نفسه وخطراته اذ لا سبيل

الشيطان الى صدره تلك الانبا ولا بنا وسع الفاوها عليه فيكون له بها طمانينة قلبه وهو كقوله ربهم حيث قال رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى الايه كان تسلى بربه تنازعه في كيفية احيا الموتى فاراه ربه ليريه ذلك ليطمين بذلك
قلبه وان كان يعلم انه يحيي الموتى وانه قادر على ذلك والثاني نقص عليك انبا الرسل واحدا بعد واحد ليثبت به فوادك
ليعلم كيفية معاملتهم قومهم وما ذا لقوا من قومهم وكيف صبروا على اذاهم ليصبر هو على اذاهم ويعامل هو قومه بمثل
معاملتهم ويشبه ان يكون قوله ما نثبت به فوادك انا نبعث نبا بعد نبا لتستطلع وتتفكر في كل نبا وجزء تعرف ما فيه فيكون ذلك اثبت
في قلبه وهو كقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك بانزال الايه والاية بعد واحدة
والسورة بعد سورة وذلك اثبت في فواده من انزاله جملة لانه يزدحم في سامعه وفواده واذا كان بالتفاريق يطرد تفكره فيه
اثبت في قلبه وفواده والله اعلم وقوله وجاءك في هذه الحق قال بعضهم جاءك في هذه اي في هذه الانبا التي قصصنا عليك
جاءك فيها الحق وهو ما ذكرنا وقال بعضهم جاءك في هذه اي في هذه السورة الحق وهو ما ذكر من الانبا نبا بعد نبا وموعظة
وقال بعضهم جاءك في هذه الحق اي في هذه الدنيا الحق يعني الايات والحجج والبراهين لرسالته ودينه وموعظة وذكرى للمومنين
اي جاءك ما تتعظ به في ذلك وتذكر به المومنين والامر موعظة وذكرى للكل وقوله قل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم المكانة
هي المنزلة والقدر يقول اعملوا انتم على مكانتكم ومنزلتكم التي لكم عند الله كانه يخاطب به الاشراف منهم والروسا
انا عاملون على المكانة والمنزلة التي لنا عند الله فينظر اينا اربح نحن او انتم واينا اخسر نحن او انتم وقوله اعملوا على
مكانتكم انا عاملون يخرج على وجهين احدهما على التوبيخ والتخويف عندما بالغ في الحجاج فلم يجبهم ثم فقال عند ذلك كقوله
لكم دينكم ولي دين ونحوه والثاني على الاعجاز عما ارادوا به من المكر والكيد يقول اعملوا ما تريدون وانا عامل وقوله وانتظروا
انتم ما ذلك انا منتظرون بكم ذلك او يقول هذا لما كانوا يوعدونه ويخوفونه من انواع الوعيد فيقول انتظروا
بما ذلك ما تخوفون بنا انا منتظرون بكم ما نخوفكم نحن والله اعلم وقوله ولله غيب السموات والارض قال بعض اهل
التاويل ولله غيب نزول العذاب وغيب ما في الارض كانه خرج جواب ما سالوه من العذاب كقوله ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وكقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقولهم ايتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين فقال ولله غيب السموات والارض اي علم ذلك عند الله وكقوله قل لو ان عندي ما تستعجلون
به لقضي الامر بيني وبينكم وامثاله ويشبه ان يكون جواب ما تحكموا على الله من انزال القران وجعل الرسالة في
غير كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولولا نزل هذا القران جملة واحدة فقال اهم
يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم الايه وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته فيقول تلك قوله ولله غيب السموات والارض
لا الى الخلق والله اعلم بما اراد واليه يرجع الامر كله اليه يرجع امر الخلق كله وتدبيرهم فاعبده اي اعبده في خاص نفسك
وتوكل عليه في تبليغ الرسالة اليهم اي لا يمنعك كيدهم ومكرهم بك من تبليغ الرسالة ولا تخاف منهم فان الله يحفظك
من كيدهم ومكرهم بك كقوله والله يعصمك من الناس وما ربك بغافل عما تعملون هذا يؤيد ما ذكرنا اي ما ربك بغافل
عما يريدون بك من كيدهم ومكرهم بل يعلم ذلك وينصرك وينتقم منهم وهو كقوله لموسى وهارون فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع
قوله وجوابه اياكما وارى ما يفعل اي ابصركما فلا تخافا فانه في ذلك الاول والله سبحانه وتبارك وتعالى اعلم

السورة التي فيها ذكر يوسف النبي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين ذكر
تلك في كلمة اشارة الى شي سبق ذكره ولم يتقدم فيه ذكر شي يشار اليه وذكر ايات ايضا وليس هنا الكتب كم
ايات او شي يكون اليه في الظاهر لكنه يشبه ان يكون قوله تلك يعني هذه ايات ويجوز استعمال تلك مكان هذه
على ما يجوز ذكر ذلك مكان هذا كقوله الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب او ان يكون قوله تلك اشارة الى ما في السما

اإ

اي الذي في السما ايات الكتاب او يقول تلك اشارة الى ما في اللوح المحفوظ او اشارة الى ما في الكتب المتقدمة اي تلك
ايات الكتاب المبين يحتمل المبين انها ايات الرسالة او بين انها من عند الله وقوله ايات الكتاب هذا يشبه ان يخرج
على وجهين احدهما اشارة الى الحروف المقطعة المعجم فقال تلك الحروف المقطعة اذا جمعت كانت ايات الكتاب او ان يكون
الله اراد امرا لا نعلم ما اراد فيقول تلك ايات الكتاب اي تلك الذي اراد هو ايات الكتاب والله اعلم بما اراد وقوله
المبين قيل المبين اي ليبين فيه الحلال والحرام وما يوتى وما يتقى كقوله تبيانا لكل شي وقال بعضهم ليبين بركته
وهداه ورشده او بين فيه الحق من الباطل والعدل من الجور والكتاب هو اسم ما يكتب وسمي قرانا لما يقرا او كتابا
لما كتب اخذ وجمع والقران لما يقرا وقوله انا انزلناه قرانا عربيا قوله انزلناه الهاء كناية عن الكتاب
الذي تقدم ذكره قرانا عربيا انزله بلسان العرب ولا ندري باي لسان كان في اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه انزله بلسان
العرب وهكذا كل كتاب انزل انما انزل بلسان المنزل عليهم ليتيسر لهم فهمه وقوله لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم
وما تاتون وما تتقون او تعقلون ان هذه الانبا التي يخبركم بها محمد من الله تعالى لانها كانت في كتبهم بغير لسانه فاخبر على
ما كانت في كتبهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى او لعلكم تعقلون بان فيه شرفكم لانكم تصيرون متبوعين لما يحتاج الناس
الى معرفة ما فيه ولا يوصل ذلك الا بكم فتكونون متبوعين والناس اتباعا لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم قال اهل التاويل اي فيه شرفكم والله اعلم وقوله نحن نقص عليك احسن القصص قال بعضهم قوله نقص عليك اي
نبين عليك احسن البيان بما اوحينا اليك هذا القران وقال بعضهم نقص عليك اي نخبرك احسن ما في كتبهم من القصص
واحسن ما في كتبهم من الانبا والاحاديث وقوله احسن القصص اصدقه وكذلك قوله الله نزل احسن الحديث كتابا
واحسن الحديث اصدقه هو احسن القصص اي اصدقه واحسن الحديث اصدقه وقوله وان كنت من قبله اي وقد
كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه الانبا وعن قصصهم فهذا يدل ان الايمان بجملة الانبيا والرسل ايمان وان لم يعرف
انفس الانبيا وانفس الرسل واساميهم لانه اخبر انه كان غافلا عن انبائهم وعن قصصهم ولا شك انه كان مومنا
بالله مخلصا وبالله العصمة وقال ابن عباس احسن القصص كلام الرحمن وقال مجاهد الله نزل احسن الحديث كلام
رب العالمين وقوله تلك ايات الكتاب يخرج على وجهين احدهما ان يكون الذين سالوا عنه رسول الله عن قصة يوسف
ومصيرهم بني اسرائيل بمصر وتحولهم من ارض كنعان ثم قال تلك الانبا والقصص التي هي ايات هذه السورة التي هي من
الكتاب المبين او تلك ايات الحجج وبراهين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من انبا الغيب منهم فعلم الانبا انها بالله
سبحانه وقوله اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقوله
اني رايت احد عشر كوكبا ان اخوة يوسف كانوا اعلام وعيون الارض يخرج ليقتدى بهم ويهتدون كما بالنجوم
يقتدى في الارض بها يهتدون الطرق والمسالك وقوله والشمس والقمر حيث خرج على ابيه انه كان بها جميع
منافع الخلق اذ بها صلاح جميع الاغذية في الارض ونضج جميع الفواكه والاثمار وجميع المنافع التي ما بالناس حاجة
اليه ذلك وقوله اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ان الرويا تخرج على عين ما راى وتخرج
على غيره بالمعنى الذي تتصل به لانه راى الكواكب والشمس والقمر فخرج على اخوته وابويه كان المراد بالكواكب والنجوم غير
الكواكب وبالشمس والقمر ذلك المعنى وذكر السجود وخرج على حقيقة السجود حقيقته وكذلك ما اخبر ابراهيم في المنام
ذبح ولده خرج الذبح على حقيقة الذبح وهو ذبح الكبش بدل ابنه وكان المراد منه الكبش فهذا اصل لنا ان الخطاب
يخرج والمراد منه على عين ذلك الخطاب لا غير وقد يخرج على غيره فاذا احتمل ذلك المعنى يجب وجب ذلك الحكم وفيه
جواز الاجتهاد وطلب المعنى في المخاطبات وكذلك ما ظهر في الناس من تعبير الرويا على الاجتهاد يدل على جواز
العمل بالاجتهاد قال بعض اهل التاويل ان يوسف لما قص رؤياه على ابيه بين يدي اخوته قال له هذه من رويا
النهار ليس بشي وقال ليوسف في السر اذا رايت رويا بعد هذا فلا تقصها على اخوتك لكن هذا كذب فلا يجوز
ان يكذب رسول الله نبي الله عليه السلام يعقوب بقوله لرويا النهار ليس بشي ثم يعمل في السر ولا يوسع على غيره

الكذب وهو كذب فان كان هو بالامر وقوله يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك دل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك
اعلى ان ما راى يوسف من السجود الكواكب له وسجود الشمس والقمر انه انما كان راى ذلك في المنام وفيه لما ذكر في احسن
ايضا على ذلك وهو قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل ودل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
ان يعقوب انما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول في قوله فيكيدوا لك كيدا ولم يستثن في ذلك وقد يعلم به احوال
وفيه دلالة ان اخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء حيث قال لا تقصص رؤياك على اخوتك لانهم
كانوا لا يعرفون تاويلها ولا علم تعبيرها لم يكن ليمنعه من ان يقص على اخوته لانه لو قصها او لم يقصها اذا لم يعلموا
سواء وفيه دلالة ان الاخ لا يتهم في اخيه فيكون من الاخ الخيانة الى اخيه والاب والام يتهمان في الابن والولد
يتهم في والديه ولا يكون من بعض الى بعض خيانة في الغالب لان يعقوب نهى ولده يوسف ان يقصها على اخوته
واخبر انهم اذا علموا بذلك كادوا وحسدوا ولم ينهه عن ذلك في ام دل ان الاخ لا يتهم في شهادة اخيه ويتهم الاب والام
في شهادتهما لولدهما وكذلك الولد يتهم في والديه ولهذا قال اصحابنا ان شهادة الوالد لولده لا تقبل وكذلك
شهادة الولد لوالديه واما شهادة الاخ لاخيه تقبل وانما كان كذلك لانه ينتفع الولد بمال الوالدين والوالد بمال
ولده ولا ينتفع الاخ بمال اخيه وكل من انتفع بمال اخر اتهم في شهادته له ولم تقبل شهادته وكل من لم ينتفع به قبلت
والله اعلم وقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة وقال موسى حين قتل ذلك الرجل هذا من عمل
الشيطان بدؤ كل شر يكون من الشيطان يقذف في القلوب ويخطر في الصدور ثم يكون العزيمة على ذلك والفعل
من العبد وهو قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم الاية والطيف والنزغ
هو القذف والوسوسة فاذا ذكر الله ذهب وقيل الكيد والمكر سواء وهو قول ابي عوسجة وقال القتبي الكيد
هو الاحتيال والاغتيال وقيل الكيد هو ان يطلب ايصال الشر على غير علم منه وكذلك المكر وقوله وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل تاويله والله
اعلم اي كما اجتبى ربك ابويك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بانواع الخيرات واتم نعمته عليهم كذلك يجتبيك ربك
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ويحتمل قوله وكذلك يجتبيك ربك اي كما اجتباك ربك بالرؤيا التي اراك
يفعل ذلك بك وقوله ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل تعبير الرؤيا وقال بعضهم علمه تاويل الصحف التي كانت
لابراهيم وغيره وعلمه تاويل تلك الصحف والاحاديث وقوله ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها قال
بعضهم كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق حين اراد ذبح ابنه فجعل مكانه كبشا فعلى ذلك يتم نعمته عليك
ويسجد لك اخوتك وابويك ومن الناس من استدل بهذا ان الذبيح كان اسحاق لانه ذكر اتمام نعمته على ابراهيم
واسحاق ودل قوله وعلى آل يعقوب على انه قد اجتباهم بالنبوة من بعد اعني اولاد يعقوب لان ولدهم من الله
وقد اجزل حقهم ويتم نعمته عليهم كما فعل بابويه ابراهيم واسحاق وكذلك روي عن الحسن انه قال في اخوة يوسف
نبوا بعدما صنعوا بيوسف ما صنعوا وقال بعضهم تاويل الاحاديث العلم والكلام قال وكان يوسف اعبر
الناس وهو قوله تعالى فلما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وقوله ان ربك عليم بما صنع به اخوته او عليم بما
ذكر من الكلام حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين الآية للسائل
اذا كان السائل مسترشدا وكذلك القرآن كله هو حجة وآية للمسترشد واما المتعنت فهو آية عليه ثم يحتمل قوله
آيات للسائلين للذين سألوا واطلع ذكر في بعض القصص ان اليهود سالوا النبي عن امر يوسف ونبائه فاخبرهم
بالحق في ذلك على ما كان فهو آية لهم ان ثبت ذلك ويحتمل قوله آيات للسائلين للسائلين الذين ياتون من بعد
الى آخر الدهر من نبا يوسف كل من سال عن خبره ونبائه فهو آية لهم وصفة نبائه آية يحتمل وجوها احدها انه جعل
قصصه وصفة نبائه آيات من الكتاب ويحتمل ايضا انه جعل انباءه حججا لنبوة رسوله ورسالته لان قصته ونباه كان
في كتبهم بغير لسانه من غير ان جالس احدا منهم ولا تعليم من احد منهم [illegible] في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان دل انه انما

علم

علمه بالله تعالى لانه افصح من كتبهم وهو ما ذكر في القصص ان اليهود كلموا النبي بقرا سورة يوسف فتلوا آيا من علمكها
قال الله علمنيها فعجبوا من قراءته اياها على ما كانت في كتبهم دل انه انما عرفها بالله تعالى ثم يحتمل ان يكون آية لمن سال
من محمد رسالته او هي آية لمن سال عنها والله اعلم وقوله اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة في الآية
دلالة ان لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالعطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا قال
اصحابنا انه لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالهبة او الصدقة عليه اذا لم يقصد بها الحيف على غيره من الاولاد ثم يحتمل
تخصيص يعقوب يوسف واخاه بالحب لما وجد احدهما لما راى فيهما من الضعف في انفسهما والعجز في ابدانهما فازدادت
شفقته لهما وعطفه عليهما لذلك وهذا ما يكون في ابن الخلق او كان ذلك منه لما لصغرهما وهذا ايضا معروف في الناس
ان الصغار من الاولاد يكونون عندهم احب وقلوبهم اليهم اميل وهم اعطف عليهم وارحم من الكبار منهم او خصهما بذلك لفضل خصوا
لله لهما اما من جهة الدين او العلم او غير ذلك امر الله بذلك لذلك من دون غيرهما او لبشارة جعلت بنبوة يوسف فكان يفضله
على سائر اولاده ويرى عليهم لذلك وانما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا بما رايت ظهر منه والا فحقيقة المحبة
لا تعرف وقوله ونحن عصبة قيل العصبة الجماعة وقال بعضهم العصبة من عشرة الى اربعين والعصبة الجماعة ليس جماعة
دون عشرة ولهذا ما قال اصحابنا ان التسعة مع الامام تكون منعة يستوجبون ما تستوجب السرية اذا دخلت دار الحرب فغنمت
غنائم يخمس وقوله ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما قالوا ذلك والله اعلم انا جماعة فنقدر على
دفع من يريد بهم الضرر ويقصد قصد الشر بهم وهم لو كانوا لو انفردوا به نقوم بمعاشه واسبابه فكيف يميل علينا ولكنه
فوقه وقوله ضلالك القديم لم يرد به ضلال الدين ولكن وجها اخر انما قالوا ذلك لما كانت له منافع من اتقيهم لم تكن تلك المنافع
من يوسف واخيه وابدا انما يوثر المرء حب من له منافع من قبله على حب من لا منفعة له منه فهو فيه في ضلال مبين حيث يوثر
حب من لا منفعة له منه على حب من كانت له منه منافع وامثاله والله اعلم وقوله اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه
ابيكم لا يحتمل ان يكونوا اعزموا على قتله ولكن على المشاورة فيما بينهم لنفعل ذا او ذا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك الآية ليس على العزيمة على واحد ولكن على المشورة فيما بينهم يدل على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم انهم ارادوا ان يخلو
وجه ابيهم لهم لا قتله انما ارادوا اغتيابه عنه وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم اي يقبل عليكم ابوكم بوجهه وقال بعضهم
اي يفرغ لكم من الشغل بيوسف وقوله وتكونوا من بعده قوما صالحين قيل صالحين اي تائبين وقال بعضهم تكونوا
صالحين عند ابيكم من بعده وقال بعضهم يصلح امركم وحالكم عند ابيكم بعد ذهاب يوسف وجائز ان تكونوا قوما
صالحين في الآخرة وقالوا انهم تابوا قبل ان يزلوا ويعصوا وقوله قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في
غيابة الجب قال ابو عوسجة يعني في قعر البئر والغيابة ما يغيبه ويواريه والجب البئر والجباب جمع وقال ابو عبيدة الغيابة
كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة وقوله يلتقطه بعض السيارة اي يرفعه بعض السيارة ولذلك يقال للعاثر يلتقط
الكبد ويلتقط اي يرفع ان كنتم فاعلين ان كنتم لا بد فاعلين ان تغيبوه عنه واما ما قال اهل التاويل ان قوله لا تقتلوا
يوسف قاله فلان او فلان فذلك مما لا نعرفه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقال ابو عوسجة السيارة
اهل السير هو مثل المسافرة وهي القافلة يعني العير وقيل الجب الركية التي لم تطو بالحجارة فاذا طويت فليس بجب
وقوله قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف دل قوله ما لك لا تامنا على يوسف على انهم قد طلبوا اخراجه من
ابيهم غير مرة لان مثل هذا الكلام لا يتكلم به ابتداء على غير سابقة شيء من امثاله فدل انه قد استاذنوا في اخراجه غير
مرة وانا له لناصحون الناصح هو الدال على ما به نجاته او الدال على كل خير والله اعلم وقوله ارسله معنا غدا يرتع ويلعب
وانا له لحافظون كان يعقوب صلى الله عليه وسلم خاف على نفس اخيه يوسف الضيعة بتركهم حفظه فامنوه على ذلك
بقوله وانا له لحافظون وخاف عليه الضياع من جهة الجوع بتركهم حفظا وفوات الاكل فامنوه على ذلك بقولهم يرتع
اي ياكل وخاف عليه ان يطلع امر انشق عليه ويشتد فامنوه على ذلك ايضا بقولهم ويلعب لانه ليس في اللعب
ستعد ولا انه [illegible] على الضياع بالوجوه التي ذكرنا فامنوه على تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه

وقوله يرتع ويلعب قال بعضهم يرتع يأكل ويلعب يلهو كأنه خرج جوابا لقوله اني ليحزنني ان تذهبوا به قالوا لئن اكله
على انه يرتع ويلعب على التقديم والتأخير وقال بعضهم يرتع ينشط ويلعب يلهو وقرئ بالنون نرتع ونلعب قال
القتبي نرتع اي نأكل يقال رتعت الابل اذا رعت وارتعتها اذا تركتها ترعى ويقرأ يرتع بكسر العين والمراد منه ان نتحارس
ويرعى بعضنا بعضا اي يحفظ ومنه يقال رعاك الله اي حفظك الله وقوله يرتع ويلعب قالوا اللعب فيما علا وليس
من نحو الاستباق وغيره وعوا ذكروا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا واللعب في مثل هذا الحال وقد
روي ايضا في الخبر انه قال لا يحل اللعب الا في ثلث وفيه معالجة الرجل فرسه او قوسه وملاعبة الرجل امرأته اخبر انه لا يحل
الا في ثلث والله اعلم وقوله اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب قال اني ليحزنني هذا الواقع به والغائب
عنه من النعم التي انعم عليه لانه كان نعم عظيمة لفوات النظر اليه فذكر الحزن على ما فات عنه وذكر الخوف لما خاف
وتوهم فيه وقت يأتي وما سيقع لذلك تفسير قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يحزنون لانه موجود في الحال
الا خوف عليهم اي لا يخافون فوته لان خوف فوت النعم ينغص على صاحبها النعم فامنهم على ذلك بما ذكرنا ان
الحزن يكون بالواقع في الحال والخوف على ما سيقع والله اعلم وقوله واخاف ان يأكله الذئب قال بعض اهل التأويل
كان يعقوب رأى في المنام ان يوسف اخذه الذئب لذلك قال واخاف ان يأكله الذئب لكن هذا لا يحتمل لان
رؤيا الانبياء اكثرها حق وصدق فلا يحتمل ان رأى ذلك ثم يقول اخاف ان يأكله الذئب او يدعه يذهب معهم
لكنه خاف ان يأكله الذئب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز والبراري اذ الخوف على الصبيان في المفاوز
والبراري والضياع عليهم يكون بالذئب اكثر من غيره اخبر انه جائز ان يفترسه سبع من السباع عند غفلتهم
عنه واشتغالهم بما ذكر من الاستباق ولا يحتمل الضياع من الناس يأخذ واحد من بين نفر وقال بعض
اهل التأويل ان قوله واخاف ان يأكله الذئب كناية عن بنيه اي اخاف ان يهلكوه ويضيعوه وقوله قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة او لو اكله انا اذا لخاسرون تأويله والله اعلم لئن اكله الذئب ونحن عصبة جماعة
انا اذا لخاسرون اي كانا نحن حملناه الى الذئب ودفعناه للضياع هذا والله اعلم معنى الخسران الذي ذكروا
ويحتمل لانه لحقهم الخسران اذا اكله الذئب لانه اذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوا فكانهم ضيعوه وقوله فلما
ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب قد ذكرنا وقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون يحتمل قوله اوحينا اليه وحي نبوة او وحي الهام او بشارة من ذلك اي جبرائيل او الملك له والعزم قوله
لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم هو قول يوسف حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف الاية
قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي هذا الذي نبأهم يوسف وهم لا يشعرون منه ذلك ويشبه ان
يكون قوله واوحينا اليه اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ويكون قوله لتنبئنهم بامرهم هذا
وهم لا يشعرون هو ما قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لانه امرهم ان يطلبوه ويتحسسوا
من امره كانه علم انه حي لقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون انه حي الا ترى انه قال اني
لاجد ريح يوسف ولهذا قال لهم الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك تأويل
قوله وهم لا يشعرون ان كانت الاية في يعقوب وان كانت في يوسف فهو ما ذكرنا والله اعلم بذلك وقوله
وجاؤا اباهم عشاء يبكون الاية في الاية دلالة احدها ان من ارتكب صغيرة فانه يخاف عليه التعذيب ولا يصير
كافرا او من ارتكب كبيرة لا يخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف او طرحه في الجب والتغييب
من وجه ابيه واخلائه عنه وذلك لا يخلو منهم اما ان يكون صغيرة او كبيرة فان كانت صغيرة فقد استغفروا
عليها بقولهم قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الاية دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب عليها وان كانت
كبيرة فلم يخرجوا من الايمان حيث صاروا انبياء من بعد فصاروا صالحين حيث قالوا وتكونوا من بعده
قوما صالحين دل ما ذكرنا على نقض قول المعتزلة في صاحب الصغيرة ان لا تعذيب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من

الايمان ونقض قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب كبيرة او صغيرة صار به كافرا مشركا وفيه نقض قول من يقول انه
اذا كذب متعمدا او وعد فاخلف او ائتمن فخان يصير منافقا لان اخوة يوسف ائتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا
ثم لم يصيروا منافقين لانهم قالوا اكله الذئب ولم يأكله وهو كذب وائتمنوا على نواصيهم العقد في ... ووعدوا انهم
يحفظونه ولم يحفظوه فان قيل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من علامات النفاق من اذا حدث كذب
واذا ائتمن خان واذا وعد فاخلف فكيف يوفق بين الاية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل
يشبه ان يكون هذا في قوم خاص من الكفرة ائتمنوا او وعدوا في التورية من نعت محمد تغييره ووعدوا ان يبينوا فخلفوا
وكتموه وحدثوا انهم بينوا فكذبوا او يصير منافقا بما ذكر اذا كان ذلك في امر الدين واما في غيره فانه لا يصير به منافقا
ولا يكون ذلك من اعلام المنافق والله اعلم وقوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين هذا القول منهم لابيهم لخطر
عظيم لانهم قالوا وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولا يحتمل ان يكونوا عنده صدقة ثم يكذبهم يكون نبي من الانبياء
يعلم صدق انسان ثم لا يصدقه هذا ابعد لكن يحتمل قولهم وما انت بمؤمن لنا في هذا ولو كنا صادقين عندك
من قبل في غير هذا او يكون قوله وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا ولا تصدقنا لانك اتهمتنا حيث قال اني ليحزنني ان
تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب فاعترضت له التهمة وليس في الاتهام تكذيب انما فيه الوقف لان من ائتمن
احدا في شيء ثم اتهمه فيه لا يكون في اتهامه اياه تكذيبه فيحتمل ذلك قولهم وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا لما سبقت من
التهمة ولو كنا صادقين في هذا لغير ... يخرج تأويل الاية والا لم يجز ان يكون نبي من الانبياء يكذب من يعلم انه
صادق في وجه وقوله فان قيل في قوله واخاف ان يأكله الذئب كيف خاف ذلك وقد قال ليعقوب وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب الاية انباه انه يجتبيه ويعلمه من تأويل الاحاديث
ويتم نعمته عليه فكيف خاف على اكل الذئب والضياع وذلك لا يحتمل ان يقول له الا بعلم من الله والوحي اليه قيل
يحتمل ان يكون ما ذكر على شرط الحفظ انه يخاف مما ذكر فيكون له ما قال من الاجتباء وتعليم الاحاديث واتمام النعم
عليه او خاف ذلك على ما خافوا جميعا على دوام علم من الدين وان عصموا عما خافوا جميعا حيث قال ابرهيم رب اجعل
هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومعلوم ان ابرهيم لا يعبد الاصنام وقال يوسف توفني
مسلما والحقني بالصالحين واشباه ذلك مما ذكرنا فيخرج من ان العصمة لا تزيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب
مضاداته بل تزيد الخوف على ذلك الاخيار والابرار كان خوفهم واشفاقهم على دينهم اكثر من غيرهم والله اعلم
وقوله ذهبنا نستبق قال بعضهم اي ننتضل الى الصيد وقال ابو عوسجة نستبق من السباق اي
نعدو حتى ننظر ايهم يسبق اي يتقدم من صاحبه ويغلبه في العدو وقال القتبي نستبق اي ننتضل يسبق
بعضنا بعضا في الرمي يقال سابقته فسبقته والله اعلم وقوله وجاؤا على قميصه بدم كذب الدم لا يكون
كذبا ولكنه والله اعلم جاؤا على قميصه بدم قد كذبوا فيه انه دم يوسف وان الذئب اكله ولم يكن وقال الفراء
بدم كذب بدم مكذوب والعرب قد تستعمل المصدر في موضع المفعول ثم قال بل سولت لكم انفسكم اي زينت
لكم انفسكم والتسويل هو التزيين في اللغة وتأويله والله اعلم اي زينت لكم انفسكم ودعتكم الى امر تفعلون
وتفرقون بيني وبين ابني لكنا لا نعلم ما ذلك الامر الذي زينت انفسهم لهم ويشبه ان يكون ذلك قوله يا
بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا والله اعلم وقوله فصبر جميل يحتمل وجهين يحتمل صبرا لا جزع
فيه جميل رضي بما ابتلينا به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع والثاني صبر جميل لكف النفس عن الجزع وجميل
لا مكافأة فيه له ثم بما فعلوا بيوسف كانوا استوجبوا المكافأة فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا
مكافأة فيه والله اعلم وقوله والله المستعان على ما تصفون اي والله استعين على الصبر مما تصفون او نقول
اليه استعين على ما تقولون من الكذب حين تزعمون ان الذئب اكله ونحو وقوله وجاءت سيارة السيارة جماعة
السائرين كالمارة فارسلوا واردهم هو طالب الماء ومستقيه فادلى دلوه اي ارسل دلوه في البئر

وجدوه قال يا بشرى هذا غلام قال بعضهم بشرى هو اسم ذلك الرجل الذي كان مع المدلي الدلو فقال له يا بشرى هذا
غلام كما يقال يا فلان هذا الغلام وقال بعضهم هو من البشارة كأنه قال يا ابشر بهذا الغلام وفي بعض القراءات يا بشراي
على الاضافة الى نفسه فكأنه بشر نفسه اي البشرى لي بهذا الغلام ويشبه ان يكون هذا كله كلام كان هناك لكن لم يبين
لنا ذلك والله اعلم بذلك كقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اخبر انه اقسم لكن لم يبين لنا ذلك ماذا كان القسم وقوله
وأسروه بضاعة قال بعضهم الاسرار هو اسم الاخفاء والاظهار جميعا كقوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب اي اظهروا
الندامة فان كان ما ذكر انه اسم لهما جميعا فكأنه قال اظهروه بضاعة وان كان على حقيقة الاخفاء والاسرار فهو على الاضمار
كأنه قال وأسروا امر ما كان واظهروا البضاعة لئلا يطلب صاحبها في ذلك شركة والله عليم بما يعملون اي عليم بما عمل
اخوة يوسف بيوسف او عليم بما عمل السيارة من الاسرار والاظهار والله اعلم وقوله وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن بخس
دراهم معدودة قال بعضهم البخس هو النقصان اي باعوه بثمن لو بيع مثله بمثله وقال بعضهم البخس الظلم باعوه ظلما واخذوا
ثمنه ظلما لانهم باعوا حرا وبيع الحر حرام واخذ ثمنه ظلما حراما لان ثمن الحر حرام وقال بعضهم ثمن بخس اي دراهم
بهرجة زيف وكانوا فيه من الزاهدين اي كانت السيارة في يوسف من الزاهدين حيث باعوه بثمن الدون والنقصان
بما لا يباع مثله بمثل ذلك الثمن خشية ان يجيئهم طالب لما علموا ان مثل هذا لو كان مملوكا لا يترك هكذا الا يطلب فباعوه
بادنى ثمن يكون لهم لا كما يبيع الرجل ملكه على رغبة منه خشية الطلب والاستنقاذ من ايديهم وقال عامة اهل التأويل
قوله وشروه بثمن اخوة يوسف هم الذين باعوه من السيارة بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
اي لم يعرفوا منزلته ومكانه والاول اشبه وقوله وكانوا فيه من الزاهدين كانوا في شرائه من الزاهدين لما خافوا
ذهاب الثمن ان كان مسروقا وقوله وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه اي مقامه ومنزلته
عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ان صدق التجار انه بضاعة عندهم او نتخذه ولدا ان ظهر انه مسروق وانه حر لما
وقع عندهم ان البضاعة لا تباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه وكذلك مكنا ليوسف في الارض تأويله والله اعلم كما
مكنا ليوسف عند العزيز وامرأته كذلك نمكنه عند اهل الارض ويحتمل ذكر مكنا في الجملة انه كان ممكنا في ذلك
اليوم عند العزيز والملك ويشبه ان يكون قوله مكنا اي كما جعلنا ليوسف مكانا وعزا له عند الناس وفي قلوبهم
مكان ما حط له اخوته ولم يعرفوا مكانه ومنزلته وبعدما كان شبه المملوك عند اولئك والله اعلم وقوله
ولنعلمه من تأويل الاحاديث هذا قد ذكرناه فيما تقدم وقوله والله غالب على امره اي لا راد لقضائه اذا قضى
امرا كان كقوله لا معقب لحكمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال اهل التأويل انه بيع بعشرين درهما ونيف
ذلك مما لا يعلم الا بخبر سوى ان فيه انه بيع بثمن الدون والنقصان بقوله بخس والبخس هو النقصان في كل
شيء اي نقصه كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا وهو ما قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
وقيل البخس الظلم والحرام وقد ذكرنا والله اعلم وقوله ولما بلغ اشده الاشد هو اشتداد كل شيء وتناهيه كل نوع
في الكمال يحتمل اشده انتهاؤه بلوغه او انتهاء شبابه او انتهاء عقله في التمام لا يخلو من هذه الوجوه الثلاثة وقول
اهل التأويل من ثماني عشرة سنة الى اربعين لانه به يتم ويكمل كل نوع من ذلك الى ذلك والله اعلم وقوله
آتيناه حكما وعلما يحتمل قوله حكما الحكم بين الناس والعلم في الحكم ويحتمل قوله حكما اي اعطيناه النبوة وعلما علم
الاحاديث وتأويلها على ما تقدم ذكره او ان يكون اذا اعطاه الحكم اعطاه العلم واذا اعطاه العلم اعطى
الحكم وقوله وكذلك نجزي المحسنين يحتمل الاحسان في الاعمال اي عمل اعمالا حسنة صالحة ويحتمل الاحسان
الى الناس اي احسن اليهم او احسن الى نفسه لا يخلو من هذه الاوجه الثلاثة او ان يكون قوله وكذلك نجزي المحسنين
اي كذلك نجزي من احسن صحبة نعم الله واحسانه مقام شكر نعمه كذلك اي مثل الذي جزى يوسف لا يريد انه
يجزي عين ما جزى يوسف ولكن يجزيه جزاء الاحسان وقوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه دل قوله
في بيتها ان البيت قد يجوز ان يضاف الى المرأة وان كان البيت في الحقيقة لزوجها على ما اضاف بيت زوجها

اليها وقوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة هي الدعوة والطلب راودته اي دعته الى نفسها وقال اهل
التأويل راودته اي ارادته وغلقت الابواب وقالت هيت لك قيل ان هذه كلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست بعربية
ونحن لا نعرف ما ارادت بها لكن اهل التأويل قال بعضهم هلم لك وقال بعضهم تهيأت لك وفي بعض القراءات هيت لك
بالهمز ومعناه ما ذكرنا اي تهيأت لك ويشبه ان يكون قولها هيت لك ها انا لك قال معاذ الله اي اعوذ بالله والجأ اليه
انه ربي احسن مثواي قال اهل التأويل ربي اي سيدي الذي اشتراه احسن مثواي اي اكرم مقامي وهو ما قال
لزوجته اكرمي مثواه هذا يدل ان قوله اكرمي مثواه اي احسني مثواه ولكن يشبه ان يكون اراد بقوله انه ربي احسن
مثواي ربه الذي خلقه وقوله انه لا يفلح الظالمون بظلمهم وقت ظلمهم والمثوى الموضع الذي يثوى فيه والثوى المقام
والثاوي المقيم ومعاذ الله قيل اعوذ بالله والجأ اليه واتحصن به او لا يفلح الظالمون اذا جمعوا بالظلم وماتوا لم
ينقلعوا عنه فقد افلحوا وقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اما ما قال اهل التأويل انها استلقت
له وهم بها اي حل سراويله وامثال هذا من الخرافات فهذا مما لا يحل ان يتكلم فيه شيء من ذلك والدلالة على فساد
ذلك من وجوه احدها قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان منه الارادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها ويبرئ نفسه من
ذلك والثاني قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان شيء مما ذكروا من حل السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء
مصروفا عنه والثالث قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان منه ما ذكروا لقد خانه بالغيب والرابع قولها ما علمنا
عليه من سوء وقولها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه هذا كله يدل ان ما قال اهل التأويل فاسد لا يحل ان يتكلم
بشيء من ذلك وليس في ظاهر الآية شيء مما قاله اهل التأويل الا كذا اذ ليس فيه سوى ان همت به وهم بها ثم تحتمل الآية
وجوها عندنا احدها همت به هم عزم وهم بها هم خطر ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه وهو قول
الحسن والثاني همت به هم الارادة والتمكن منه وهم بها هم دفع لكنه يدخل على قوله لولا ان رأى برهان ربه لو كان
همه بها هم دفع لم يكن لقوله لولا ان رأى برهان ربه معنى لكنه يشبه ان يكون هم بها اي هم قتلها فاذا كان هم بقتلها
فرأى برهان ربه في ذلك انه لا يحل قتلها والثاني كان يهم بها لولا ان رأى برهان ربه على الشرط كان يهم بها لولا ما
رأى من برهان ربه وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم لولا ما كان من تثبيتنا اياك وكذلك يخرج قول
ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اي لو كان هو الذي ينطق لفعل هو ثم اختلف في
قوله لولا ان رأى برهان ربه قال بعض اهل التأويل رأى يعقوب عاضا على شفتيه وقال بعضهم مثل له
يعقوب فصول فرأى عاضا على اصبعه وقال بعضهم رأى برهان ربه قال بعضهم رأى آية من كتاب الله ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية فهذا مما لا يدري واصل البرهان الحجة اي لولا ما رأى من حجة الله والا كان يهم بها
ولكن لا ندري ما تلك الحجة والله اعلم بذلك والبرهان هو الحجة والآية لولا ان رأى حجة ربه وبرهان ربه وآياته
او الرسالة ويشبه الحجة اي النبوة وقوله واستبقا الباب قال بعضهم استبقا الباب استبقت هي لتغلق
الابواب واستبق هو ليخرج ويشبه لكن قوله لتغلق الباب لا يحتمل لان الابواب كانت مغلقة بقوله وغلقت
الابواب ولكن استبقت هي لتحبسه عنده واستبق هو ليخرج ويهرب وقوله وقدت قميصه من دبر لما جرته لتحبسه
وقوله والفيا سيدها لدى الباب اي وجدا سيدها هذا يدل ان قوله ربي احسن مثواي لم يرد به العزيز الذي
اشتراه ولكن العزيز الذي خلقه لانه قال سيدها ولم يقل سيدهما وقوله قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم هذا يدل ان الارادة تكون مع الفعل لانها كانت لا تعلم ارادته ضميره فانما اخبرت
بما عرفت من الميل واظهار الفعل وكذلك قول اخوة يوسف ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكانوا هم لا يعرفون
ما في ضميره من الحب سوى ما ظهر لهم منه من الميل اليه وابداء الشفقة له فهذا يدل على ما ذكرنا من كون الارادة مع الفعل
والله اعلم وقوله قال هي راودتني عن نفسي اي دعتني والمراودة قد ذكرنا انها هي الدعوة كقوله سنراود
عنه اباه اي سندعوه ونطلب فان قيل كيف هتك سترها بقوله هي راودتني عن نفسي قيل ليس فيه هتك الستر عليه؟

بل فيه نفي العيب والطعن عن نفسه فالواجب على المرء ان ينفي العيب وما يشينه عن نفسه على ما فعل يوسف وقوله وشهد
شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان كذا فهو كذا من كذا قال بعض اهل التاويل انه كان
ابن عم لها رجل حليم يقال كذا وقال بعضهم شق القميص من دبر هو ان شهد اشاله لكن هذا لا يعلم من كان
وذكر انه كان صبيا في المهد وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين هذا لان القميص اذا كان قد من قبل فهو
انما ينقد من دفعها اياه عن نفسها واذا كان القميص منقدا من دبرها انما ينقد من جرها اياه الى نفسها لا من
دفعها اياه عن نفسه هذا هو الظاهر في العرف لذلك قال ان هذا ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من كذا وان كان قميصه من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الآية استدل
على انه انما تخرق من جرها اياه لا من دفعها عن نفسها فيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص في الغالب لا يتخرق
من دبر الا عن جر من ورا ولا من قبل الا عن دفع من قدام لذلك دل على ما ذكرنا والله اعلم وان كان يحتمل ان
يكون في الحقيقة على غير ذلك لكن نظر الى الغالب وقال ابو عوسجة قوله وقدت قميصه اي شقت ومن قد ويقد ومقدود
اي مشقوق من دبر اي من خلف ومن قبل اي من قدام وهما ظرفان القبل من قبل المراة وقوله والفيا سيدها
لدا الباب ولم يقل سيدهما فهذا يدل على ما ذكرنا لدى الباب اي عند الباب وهو ظاهر اي وجدا سيدها عند
الباب وفي قوله ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان قميصه قد من دبر فهو من كذا دلايل يستدل بها
لاصحابنا من ذلك قولهم في حانوت فيه لولو واهاب تنازع فيه دباغ ولولوي فانه يقضي باليد لكل واحد منهما
في ذلك للولوي باللولو وللدباغ بالاهاب باليد يستدل بغالب الامر وظاهر اليد عليها ما يقضي عليه بالمراة لم تخرق
القميص من دبر وامثال هذا مما يكثر عددها يقضي بالدلالة الغالب وان كان يجوز في الحقيقة على خلاف
الظاهر وقوله فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يشبه ان يكون كيدها لما راودته
عن نفسه وانه على اظهار ذلك وافترائها عليه فافترت عليه ذلك حيث ابى اجابتها فقالت ما جزاء من اراد باهلك
سوا ذكر القول منها كيدين واصل الكيد والمكر هو الاخذ على الامن والله اعلم وفي الآية دلائل لقول اصحابنا
في المتاع يختلف فيه الزوجان فان كان من متاع الرجال فهو في يد الرجل وان كان من
متاع النساء فهو في يد المراة في قول ابي يوسف ومحمد وقوله يوسف اعرض عن هذا يحتمل قوله اعرض عن هذا
اي عن قولها هي راودتني عن نفسي ويشبه ان يكون قوله اعرض عن هذا عن جميع ما كان بينهما اي استر عليها ولا تهتك
عليها سترها وقوله واستغفري لذنبك قال ليوسف ذلك القايل اعرض عن هذا وقال للمراة استغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين لما ظهر عنده انها هي التي راودته ودعته الى نفسها ثم اختلف في قايل هذا
القول قال بعضهم هو زوجها قال ليوسف اعرض عن هذا ولا تهتك عليها سترها لكنهم قالوا انه كان قليل
الغيرة وقال بعضهم ذلك القايل هو رجل آخر هو ابن عم لها وهذا اشبه وقوله واستغفري لذنبك قال
بعضهم قال هذا لها لانهم وان كانوا يعبدون الاصنام فانما يعبدونها ليقربوهم الى الله زلفى حيث قال
لها استغفري لذنبك وقال بعضهم من اهل التاويل قوله واستغفري لذنبك اي الى زوجك حيث خنتيه
فان كان التاويل هذا انه يكون ان القايل لذلك رجل آخر لا زوجها فان كان التاويل هو الاول فانه يحتمل
كلاهما ايهما كان والله اعلم وقوله وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه يشبه ان يكون استكتمت
سرها عند نسوة في المدينة فافشين سرها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الى الملك او ان لم تكن استكتمت تلك
النسوة فلا بد من ان يعلم ذلك بعض خدمها فالخادم افشى سرها وافشت عند نسوة في المدينة فقلن عند ذلك
تراود فتاها عن نفسه اي تدعو عبدها الى نفسها وقوله قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو حجاب
القلب وغلافه قد شغفها حبا اي بلغ حبها اياه الشغاف ومنه يقال مشغوف والمشغوف قيل المجنون

وهو من الشغف قال الحسن الشغاف يكون قد بطن الحجاب والشغاف يكون مشغوفا به قال ابو عوسجة شغفها حبا
اي دخل الحب في شغاف القلب وهو غطاوه وقال من قرأها شعفها اي ذهب بعقلها اي عشقها لكن هذا قول
اولئك النسوة فلا ندري ما اردن بذلك انما ذكر جزاء من قولهن والله اعلم وقوله انا لنراها في ضلال مبين
حيث خانت زوجها او في ضلال مبين اي في حيرة من حبه والله اعلم وقوله فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن المكر هو
الاخذ في حال الامن وهو الخيانة في ما ائتمن واستكتمن لانها كانها استكتمت سرها وحبها ليوسف من النسوة فافشت
ذلك النسوة في المدينة على ان يعلمن من الناس فافشين عليها ذلك فذلك المكر الذي سمعت والله اعلم الى هذا ذهب
بعض اهل التاويل ويمكن ان تكون المراة لم تفش سرها اليهن لكن بعض خدمها الذي اطلعت على ذلك هي التي افشت
اليهن فافشين من ذلك فلما سمعت ذلك منهن ارسلت اليهن اما لتريهن ودعا اليهن فيه واما استزارة يزرنها واما
قول اهل التاويل ان النسوة كانت امراة الخباز والساقي ولا ندري من هن لذلك لا نعلمه وليس لنا الى ذكره حاجة
وقوله واعتدت لهن متكا قال الحسن متكا طعاما وشرابا ونكاه وقال بعضهم الاترج والترنج وقال بعضهم متكا
وسايد اوطا يتكا عليها وقال ابو عوسجة متكا ممدود اي هيات المجلس وما يتكا عليه ومن قرا متكا مقصور وهو الاترج
وطعام عليها قال الحسن وكذلك قال القتبي قال ويقال الزماورد وقوله واتت كل واحدة منهن سكينا اي اعطت
كل واحدة منهن سكينا ظاهر وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه ههنا كلام انه كيف اطاع يوسف بالخروج على النسوة بقولها
اياه اخرج عليهن مع ذلك مما لا يحل لكنه يخرج على وجه احدها انه انما يكره الدخول عليهن والخلوة بهن واما الخروج عليهن فهو
ليس بمكروه اذ فيه الخروج نهي له انه اذا اخرج اليهن كان يقدر ان يخرج منهن فكانه لما اذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة
ان يخرج من عندهن اذ لم يكن يقدر ان يخرج من البيت عليهن بغير اذن منها فالامر بالخروج عليهن اذا له اذنا بالخروج
من البيت اذ لا سبيل له الى الخروج منه بلا اذن لها فخرج عليهن فرارا من عندهن الى غير من المكان وذلك مما لا يكره
اذا كان مما لا سبيل له الى ما سواه ويشبه ان يكون في الامر بالخروج حسبا اذا خرج ولم تتصل اليهن ولم يعلم يوسف
انها تامره بالخروج على النسا فخرج لكن الله عز وجل اخبر عن مقصودها كان مقصودها من الامر بالخروج على
النسا فخرج لكن الله عز وجل فاخبر عن مقصودها بذلك وقالت اخرج عليهن اي عندهن وذلك جايز في اللغة على مكان
عن كقوله اذا اكتالوا على الناس اي عن الناس وانا لنراكم وفي هذه الآية دلالة ان مشتري يوسف كان
منع يوسف عن ان يخرج الى البلد والسوق عن مخالطة الناس اما اشفاقا عليه لنفسه او لبلاء لئلا يفتتن به الناس او
لئلا يطلع على نفس يوسف لما وقع عنده انه مسروق فكيف ما كان ففيه ان على المرء ان يحفظ ولده او عبده اشفاقا
عليه وقوله فلما راينه اكبرنه اي اكبرنه واعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا بشرا الا ترى انهن قلن حاش لله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم وقوله وقطعن ايديهن قيل حزا بالسكين وقوله وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم حاش لله قال اهل التاويل اي معاذ الله وقال بعضهم حاش لله كلمة تنزيه من القبيح ودل هذا القول
منهن انهن كن يؤمن بالله حيث قلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قولهن ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم كان الملك وان لم يروه حسن عندهم ينسبون كل حسن الى الملائكة والشيطان لعنه الله عندهم قبيح
ينسبوا كل قبيح اليه وقوله بشرا قال بعضهم بشرا بالتنوين اي ما هذا بمشترى وقوله قالت فذلكن الذي
لمتنني فيه بقولكن امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه اي انكن لمتنني فيه اني اراوده عن نفسه وانكن قطعتن
ايديكن اذا رايتن وانكرتن ان يكون هذا بشرا فذلك اعظم وقوله ولقد راودته عن نفسه اي دعوته الى
نفسي فاستعصم قيل امتنع كقوله لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع ويشبه قوله استعصم بالله او بدينه او بنبوته
او بعقله هذا يدل على انه لم يكن منه ما قال اهل التاويل من حل السراويل ونحوه حيث قالت فاستعصم وقوله
ولئن لم يفعل ما آمره قالت ذلك امراة العزيز ليسجنن وليكونا من الصاغرين يشبه ان يكون قولها ليسجنن وليكونا
في السجن من الصاغرين او ليسجنن وليكونا من المذلين الصاغر هو الذليل لانه قال لامراته اكرمي مثواه فكان

بكرما عندكما معطافعلي اي الي ما راودته فقالت ليسجنن وليكونا من الصاغرين اي من الذليلين وقوله رب السجن
احب الي مما يدعونني اليه فيه دلالة انه قد كان منهن من المراودة والدعا ما كان من امراة العزيز من المراودة والدعا
الي نفسه حيث قال السجن احب الي مما يدعونني اليه الا ترى انه قال في موضع اخر ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن
نفسه وانتن قد راودتنه عن نفسه وقوله يوسف رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اي ذلك الذل والصغار احب
الي اي آثر عندي واجزي في الدين مما يدعونني اليه وان كان ما يدعونه اليه تهواه نفسه وتميل اليه وتحبه فاخبر
ان السجن احب اليه اي آثر واجزي في الدين اذ النفس تكره السجن وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عني كيدهن
اصب اليهن واكن من الجاهلين فهذا يدل ان ما قال السجن احب اليه مما يدعونني اليه انما اراد به محبة الاختيار
والايثار في الدين لا محبة النفس واختيارها بل كانت النفس تحب وتهوى ما يدعونه اليه دليله قوله اصب اليهن
واكن من الجاهلين وليس الدعا في قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه كما يقول بعض الناس انه انما وقع في
السجن لانه سال ربه السجن فاستجيب له ذلك ولكن الدعا في قوله والا تصرف عني كيدهن وهو كقول آدم وحوا
ربنا ظلمنا انفسنا الآية ليس الدعا في قوله ربنا ظلمنا انفسنا لانه اخبار عما كان منهم انما الدعا في قوله وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن كذا وكذلك قول نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني في
قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن دلالة ان عند الله لطف لم يكن اعطى يوسف ذلك اذ لو كان اعطاه لكانت
كيدهن وشرهن مصروفا عنه حيث قال والا تصرف عني كيدهن ولو اعطي ذلك لم يكن ليساله ذلك فهذا ينقض
على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله قد اعطى الا قدرة كل طاعة وقوة كل خير والدفع عن كل شر وقوله والا
تصرف عني كيدهن اي لا اصد عليكم كيدهن عني لولم تصرفه انت وكذلك قوله والا تغفر لي وترحمني وهو المعنى
في الدعا من قوله اللهم اغفر لي وارحمني وقوله اصب اليهن قال بعضهم امل اليهن وقال بعضهم قال لولم
تصرف عني كيدهن لاتابعهن وقيل الصبو هو الخروج من الامر يقال لكل من خرج من دينه فقد صبا وبهذا كان
المشركون يسمون النبي صابيا اي خرج مما كان عليه وقال ابو بكر الاصم الاصب هو الامر المحب وقوله واكن
من الجاهلين اي يكون فعلي فعل الجهال لا فعل الحكما والعلما ان لم تصرف عني كيدهن وقوله فاستجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن اي اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن هذا يدل على ان الدعا كان في قوله والا تصرف عني كيدهن
اصب اليهن ليس في قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه انما هو جزاء حيث اخبر انه اجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن وقوله انه هو السميع العليم لكل قول وكلام خفيا كان على الخلق او ظاهرا العليم به لا
يخفى عليه شيء وفي قوله والا تصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن دلالة انه لم يكن يدفع عنه الى ذلك من وجه
كان يخفى عليه ولم يشعر به فالتجا الى الله في صرف ذلك عنه وقوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى
حين ذكر في بعض القصة انها قالت لزوجها ان هذا العبد يوسف قد راودني عن نفسي فابيت عليه فصدقها فحبسه
في السجن وقوله من بعد ما راوا الآيات قال اهل التاويل هو قد القميص من دبر وخمش الوجه ونحوه ولكنه يشبه
ان يكون الآيات التي راوها هي آيات نبوته ورسالته وقال بعضهم حبسوه ليقطعوا عن المراة ما رميت به
وليستظلم ذلك عن الناس ويموت ذلك الخبر ويذهب فيه انهم حبسوه بعد ما راوا آيات عصمته وبراءته مما
اتهموه وانهم ظلمة في حبسه والله اعلم وقوله ودخل معه السجن فتيان قيل عبدين للملك غضب عليهما الملك
قال احدهما اني اراني اعصر خمرا قال بعضهم اي عنبا بلغة عمان ويسمى خمرا باسم سببه وباسم امه وقال
الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا كان احدهما خباز الملك والاخر ساقيه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين
قال بعضهم احسانه في السجن انهم كانوا اذا مرضوا يداوي المريض ويعزي حزينهم ويجتهد في نفسه في العبادة لربه هذا
يحتمل ان كان من اهل السجن ويسلم ويجتهد في العبادة لله في الصلوة له والصوم وانواع العبادات التي
تكون بينه وبين ربه فسماه محسنا لذلك ويشبه ان يكون قالوا انا نراك من المحسنين لما راوا به سيما الخير

وان ان ادعوهم الى توحيد الله والعبادة له وخلعهم عن عبادة الاصنام والاوثان والانتزاع عن ذلك فسماه محسنا
لذلك ويحتمل قوله انا نراك من المحسنين لما راوا احسن الى اهل السجن ويحتمل الاحسان بها العلم اي نراك من العالمين بتعبير
الرؤيا وقوله نبئنا بتاويله اي بتفسيرنا ويقال لان التاويل هو الاخبار عن العواقب لذلك سماه تاويلا ثم خرج
تاويل الذي كان يعصر الخمر على العود الى ما كان فيه من امر السقي للملك وهو كان ساقيه على ذكر في راي انه دام على
امره اوله الى العود الى امره الذي كان فيه والاخر كان خبازا على ما ذكروا فما كان يخبز للناس في رايه انه يحمل
الخبز على راسه وانه ياكل الطير علم انه يخرج من الامر الذي كان فيه وخروجه يكون بهلاكه لانه كان من قبل يخبز للناس
فصار يخبز لغيرهم فاستدل بذلك على خروجه من امره وعلى هلاكه اخبر انه يصلب لانه كان قايما منتصبا فاول على ما كان امره
والله اعلم وقوله لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما هذا والله اعلم كان يتوسل لهم ذلك ليعرفهم
انه من علم ذلك علم ما لا يحتاج اليه فعلم ما يحتاج اليه احرى ان يعلم ذلك وهذا والله اعلم منه احتيال ليرغبهم عما هم فيه
من عبادة الاوثان وعبادتهم مخلوقا وليرغبهم في توحيد الله وصرف العبادة اليه ولهذا قال ذلكما مما علمني ربي هذا اللطف
ما اضاف اليه انه علمه والا التعليم لا يكون الا باختلاف المتعلم اليه وذلك لطف من الله تعالى لكن ... لنبيه
عليهم وقوله لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما تاويل والله اعلم اي لا ياتيكما طعام رايتما
اثاره ذلك في المنام الا انباتكما بتاويل ذلك قبل ان ياتي ذلك وقوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اخبر انه ترك
ملة قوم لا يؤمنون بالله الآية وقوله تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ليس انه كان فيه ثم تركه ولكن تركه ابتدا ما لو لم
يكن تركه كان اقتدا بغيره وهو كقوله رفع السموات ليس انها كانت موضوعة فرفعها ولكن رفعها اول ما خلقها وكذلك
قوله والارض وضعها ليس انها مرفوعة فوضعها اي انها مرفوع وموضوع وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور
ليس انهم كانوا فيها فاخرجهم ولكن عصمهم حتى لم يدخلوا فيها فلذلك الاول والله اعلم وقوله واتبعت ملة ابائي
ابراهيم واسحاق ويعقوب قال في الآية الاولى اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله واخبر انهم كافرون بالله واليوم
الاخر وفيه ان من لم يؤمن بالله واليوم الاخر فهو كافر فهذا ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والايمان
رتبة ثالثة ويوسف اخبر ان من لم يؤمن بالله فهو كافر وهم يقولون صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر
ثم اخبر انه ترك ملة اولئك الذين لا يؤمنون بالله واتبع ملة ابائه ابراهيم ومن ذكر ثم اخبر عن ملة ابائه وهو ما ذكر
ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ففرقهم ملة ابائه ودينهم وهو ملة ترك الاشراك بالله وجعل الالوهية له وصرف العبادة
اليه وفيه ان الملل ليس الا ملتين ملة كفر وملة اسلام واخبر ان من لم يكن في ملة الاسلام كان في ملة الكفر ثم خص
بذكره هولاء ابراهيم واسحاق ويعقوب لان هولاء كانوا مكرمين عند الناس كان كل اهل الدين يدعون انهم على
دين اولئك فاخبر انهم على دين الاسلام والحنيف المخلص ليس على ما زعموا انتم ولهذا قال ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وفي قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله دلالة ان
الكفر كله ملة واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون على اختلاف مذاهبهم وقوله ذلك من فضل الله
علينا وعلى الناس اي ذلك الدين والملة التي انا عليها والاباء من فضل الله علينا وعلى الناس لانه عز وجل فطر
الناس على فطرة يعرفون بها وحدانية الله وربوبيته بعقولهم وركب فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله وما ركب
فيهم من العقول او ذلك الدين والهداية الذي اعطاهم من فضل الله لكن اكثر الناس يتركون ذلك الدين
وذلك الهداية والله اعلم وقوله يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار دعا يوسف لما سيل عن
تاويل الرؤيا دعاهم الى توحيد الله ودلهم عليه فقال ذلكما مما علمني ربي وقال يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار واي عبد لرب واحد وارضى خير ام عبد لعدد وارضا لنفر لانه اذا عبد بعضهم
واجتهد في ارضاهم اسخط الباقين فلا سبيل الى الوصول الى مقصوده والظفر بحاجته اذ لا يقدر على ارضايهم
جميعا وان جهد واما الواحد فانه يقدر على ارضايه اذ الزيادة تكون في عبادته ولمرضاته فيصل الى

الي حاجته والظفر بمقصوده والثاني يخبر ان الواحد القهار يقهر غيره من الارباب ومن تعبدون فهو الواحد القهار
جزمن عباده عودهم ثم تهوريه **وقوله** ما تعبدون من دونه من الاصنام والاوثان الا اسماء سميتموها انتم
واباؤكم ولا يستحقون العباده ولا التسميه بالالوهيه انما المستحق لذلك الذي خلقكم وخلق السموات والارض
ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله على ما تعبدونهم وسميتم انتم واباؤكم الهة من حجة ولا برهان ان الحكم الا لله
اي ما الحكم في الالوهيه والربوبيه والعباده الا لله ليس كما تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم
هولاء شفعاونا عند الله يقول ما الحكم في العباده والالوهيه الا لله او ينطلع الحكم في الخلق الا لله كقوله الا له
الخلق والامر اي له الخلق وله الامر في الخلق وامر ان لا يعبدوا الا اياه حكمه هذا امر ان لا تعبدوا الا اياه
وقوله ذلك الدين القيم اي عباده الله وتوحيده هو الدين القيم لانه دين قام على الحجه والبرهان واما
ساير الاديان فليست بقيمه اذ لا حجه قامت عليها ولا برهان والقيم هو القايم الذي قام بحجه وبرهان وقال
اهل التاويل القيم المستقيم **وقوله** ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل لا يعلمون لما لم يتفكروا فيه ولم ينظروا
فلم يعلموا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا وهذا يدل ان المعرفه تلزم وان جهل اذا امكن له العلم به فلا عذر له
في الجهل اذا امكن العلم به او علموا لكنهم لم ينتفعوا بعلمهم فنفي عنهم العلم لذلك والله اعلم **وقوله** يا صاحبي السجن
اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه هو ما ذكرنا انه تاول رويا الذي عبرها
على الصوره الي ما كان يعمل من قبل لما راى انه كان يعمل عملا كان يعمل من قبل وعبر رويا الخباز بالهلاك لما راى
انه حمل الخبز على الراس والخبز اذا خبز الخباز لا يحمله على راسه فرايه انه قد انتهى امره اذ عمل على خلاف ما كان
يعمل من قبل فتاكل الطير من راسه فعبر انه يصلب وتاكل من راسه لما راى انه حمل الخبز على راسه لما كان يخبز
من قبل للعباد فلما راى انه يحمله عبر انه يهلك فتاكل الطير من راسه **وقوله** قضي الامر الذي فيه تستفتيان
قال بعض اهل التاويل انه لما عبر لهما رويا هما قالا للذي عبر له الصلب والقتل لم نر شيئا انما كنا نلعب فقال لهما
يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ وانتهى لكن هذا لا يعلم الا بالخبر لانه لم يقولا سوى ان فيه انه
عبر رويا هما وكان ما عبر لهما وقد علم ذلك بتعليم من الله اياه لقوله ذلكما مما علمني ربي **وقوله** وقال للذي
ظن انه ناج منهما قال بعضهم ظن الذي صدق يوسف انه يسقي ربه وانه ناج وقال بعضهم قال يوسف للذي
ظن انه ناج منهما يجعل الظن ليوسف فان كان الذي ظن هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن وان
كان الظان هو يوسف فهو علم ويقين اي علم وايقن انه ناج منهما لانه لا يحتمل ان يشك فيما يعبر وقد علم
تاويل الاحاديث بقوله ويعلمك من تاويل الاحاديث وقال ذلكما مما علمني ربي فيحمل على حقيقة الظن من
يوسف اي وقال للذي ناج منهما ظن انه يذكره عند ربه وهو على التقديم والتاخير **وقوله** اذكرني عند
ربك قال بعض اهل التاويل ان يوسف لما فزع الى غير الله وطلب اخراجه من السجن من الملك انساه الله فيه
سنين واقر فيه عقوبه له حيث جاء غير ربه لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون يوسف يفزع الى غير الله
ويدفع قلبه من الله ويشغله بمن دونه لكنه راى والله اعلم ان الله عز وجل جعل سبب نجاته على يديه وانه
لم يجد فيه شيا لما علم انه لم يكن منه سبب يلزمه الحبس في السجن سوى الاعتذار الى الناس والاعتلال لهم
على ما قرفت به زوجته او ليتعظ ذلك الحبس عن الخلق الى الناس ويبعد عنه لومهم فراى انه اذا ذكر
لعله اخرجه من ذلك لما راى انه جعل سبب نجاته على يديه لانه راى ذلك منه ورفع قلبه من الله وهكذا
جعل الله تعالى امور الدنيا كلها باسباب فعلى ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب القدر
من الله نحو ما جعل الانزال والزراعه باسباب يكتسبونها ونحو الاسلحه التي اتخذت للحرب والقتال لم
يكن عدو ذلك وانما يحاربون بالله وبقوته ومن عنده ينصرون وقد امر بذلك كله وبتلك الاسباب فقال
واعدوا لهم ما استطعتم من قوه وليس كل من فعل هذا كان فزع الى غير الله او راى النصر والنجاة من ذلك

الشي والسبب بل راى ذلك كله من الله ومن عنده فعلى ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الى مخلوق مثله وراى
نجاته من عنده لكن للوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله اذكرني عند ربك يحتمل وجهين احدهما اذكرني عند ربك
ليخرجني بان تعلمه وتخبره ان ليس لي جرم اودع به السجن لان تلك المراه هي التي وعدت له السجن فوقع منها هي التي احالت في حبسه فقال
لذلك ما قال والثاني يقول اذكرني بالذي رايت مني ركعت له ودعائي في السجن الى التوحيد حيث قال ارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار **وقوله** فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التاويل انسى الشيطان
يوسف دعاء ربه الذي كان هو وطلبه فلم يدع ربه الذي هو في الحقيقه رب وقال بعضهم قوله فانساه الشيطان
الذي قال له يوسف اذكرني عند ربك ذكر ربه وهذا اشبه والاول بعيد لانه قال في اخره وادكر بعد امه اي
بعد حين انا انبيكم بتاويله فارسلون دل هذا انه انما انسى الشيطان على ذلك الرجل فلم يذكره عنده حينا وقال
بعضهم لم ينسه الشيطان ولكن تركه عمدا لم يذكره عنده لعله يتذكر ما تقدم من المقال فيزداد غضبا عليه فتركه عمدا
الى ان جاء وقته والله اعلم واضاف الانساء الى الشيطان وكذلك قال موسى وما انسانيه الا الشيطان فهو والله اعلم
لان كل شر يكون من الشيطان لانه يخطر بباله ويقذف في قلبه ويوسوس فيكون من العبد الغرييه على ذلك
الفعل فاضيف الى الشيطان والله اعلم سبحانه وتعالى اراد ان يظهر ايه رسالته وحجه نبوته بكونه في السجن ويظهر
براءته في شان تلك المراه بشهاده اولئك النسوان وذلك علم الاحاديث التي ذكر والرويا التي عبرها **وقوله**
فلبث في السجن بضع سنين قال بعضهم خمس سنين وقال بعضهم سبع سنين ونحو ذلك الا انه لا ذكر وليس لنا الى
معرفه ذلك حاجه سوى ان فيه انه لبث فيه حينا وقال ابو بكر الاصم قوله يا صاحبي السجن سماهم اصحاب السجن
لانهم كانوا في السجن كما يقال اصحاب النار واصحاب الجنه ونحوه لكنه لو كان ما ذكر لقال يا صاحبا السجن بالالف
فلما لم يقل هذا دل انه اضافهما الى نفسه كانه قال يا صاحبي في السجن لانهما كانا معه في السجن وقوله قضي الامر الذي
فيه تستفتيان قيل فرغ وقيل انتهى الامر الذي فيه تستفتيان وانتهى كقوله وقضينا الى بني اسرائيل الايه وقوله
قضي الامر الذي فيه تستفتيان كانه بلغ اليهما وحيا اوحي اليه وامره اي هو كاين من غير رجوع كان منهما
على ما يقوله اهل التاويل والله اعلم **وقوله** وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ذكر انه راى في المنام ولكن
ذكر في اخر الرويا دل انه راى في المنام بقوله ان كنتم للرويا تعبرون وفيه ان من الرويا ما هو حق ولها حقيقه
ومنها ما ليس له حقيقه لها لانه قال يا ايها الملا افتوني في روياي ان كنتم للرويا تعبرون قالوا اضغاث احلام
وكان الرويا هي حق ولها حقيقه تاويل وعواقب واضغاث احلام لا حقيقه لها **وقوله** اني ارى سبع بقرات سمان
اما البقرات هي السنون والسمان هي المخصبات الواسعات يأكلهن سبع عجاف العجاف هي المجدبات وسبع سنبلات
خضر السنبلات سنبلات وخضر عبارة عما يحصد واخر يابسات عبارة عما لا يحصد اي لا يكون فيه ما يحصد
فيه دلاله ان في الرويا ما يكون مصرحا مشارا اليه يعلم بالبديهه ومنها ما يكون كنايه مبهما غير مفسر لا يعلم
الا بالنظر فيها والتفكر والتامل لانه قال اري سبع بقرات وسبع هو سبع لا بقرات بل بقرات هي كنايه عن السنين
وسمان كنايه عن الخصب والسعه لا كان على حقيقه الاكل لانه غير ذلك سبع عجاف السبع هو سبع والعجاف الجدب
والشده وسبع سنبلات هي عين السنبلات وخضر هي كنايه عما يحصد ويابسات كنايه عما لا يكون فيه ما يحصد
وفيه ان من الخطاب ما لا يكون مصرحا مبينا مشارا اليه يفهم المراد منه بالبديهه وقت قرع الخطاب السمع
ومنه ما يكون مبهما غير مفسر يعلم وجه منه ما يفهم بالنظر فيه والتفكر والثاني لا يفهم بالبديهه ولا بالنظر
فيه والتفكر الا ببيان يقترن به سوى ذلك على هذا يخرج الخطاب فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم **وقوله**
يا ايها الملا افتوني في روياي ان كنتم للرويا تعبرون خاطب الاشراف من قومه والعلماء بقوله يا ايها الملا على ما
ذكرنا فيما تقدم ان الملا هو اسم للاشراف منهم والروساء وهكذا العاده في الملوك انهم اذا خاطبوا انما
يخاطبون اعقلهم واعظمهم منزله عندهم واكرمهم منهم ودل قوله افتوني في روياي ان كنتم للرويا تعبرون

والسبب فيه ذكرنا انه راى م

انه اخبار اي ذلك في المنام والله اعلم وقوله افتوني في رؤياي الاية كانهم نهاهم ان يتكلفوا التعبير للرؤيا التي
راها اذا لم يكن لهم به علم وكذلك الواجب على كل من سئل عن شيء لا يعلم ان لا يتعلق به ولا يتكلف علما اذا لم يكن له به
علم حيث قال افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله قالوا اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل الاحلام
الكاذبة وقال بعضهم اخلاط احلام مثل اضغاث النبات يجمع فيكون فيه ضروب مختلفة وهو كما قيل في قوله
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اي جماعة من اغصان الشجر وقال بعضهم اضغاث احلام الضغث والاضغاث
ما لا يكون له تاويل ويقال لنوع من الكلا ضغث وهو الحلف شبه البردي دون وقيل انما الضغث والاحلام هما
اسمان لشيء لا معنى له ولا تاويل وهما واحد واصل الاحلام كانه يخرج من وجهين احدهما العقول كقوله ام
تامرهم احلامهم بهذا اي عقولهم ام هم قوم طاغون والثاني من الاحتلام وهو من الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم فيشبه ان يكون يخرج على هذا لان الصبي ما لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم لان الاحتلام هو
هو من لعب الشيطان به فسمي الرؤيا الباطل الكاذبة احلاما لانها من لعب الشيطان به كما سمي احتلام
الصبي حلما لانه اذا بلغ العقل لعب به الشيطان وقوله وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يحتمل قوله وما نحن بعالمين
لما لا تاويل لها كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا تشفع لهم ويحتمل وما
نحن بتاويل الاحلام بعالمين لها تاويل ولكن نحن لا نعلمه والله اعلم وقوله وقال الذي نجا منهما من الهلاك وهو
الساقي الذي ذكر وقوله وادكر بعد امة اي تذكر بعد امة قال الامة هاهنا الحين اي ذكر بعد حين ووقت كقوله
ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت معدود وقال الحسن وادكر بعد امة اي بعد امة من الناس
ويقرا بعد امه قال ابو عوسجة الامه النسيان والسهو اي تذكر بعد نسيان وسهو كقوله فانساه الشيطان ذكر ربه
ويقال منه في الكلام امه يامه امها فهو امه اي نسي والامة من الامم والقرون التي مضت والامة النحو والامم
جمع والامة ايضا الدين والسنة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون اي على دين ويقال
الامة القامة ايضا يقال فلان حسن الامة اي حسن القامة ويقال الامة الغريب فهو يحتمل هاهنا الوجهين اللذين
ذكرناهما اي ذكر بعد حين ووقت او بعد نسيان من قراه بالنصب والله اعلم وقوله انا انبئكم بتاويله معناه
اي انا انبئكم ببيان تاويله الا انه كان بينهم هو نبئه الاثري انه قال فارسلون يوسف فيه اضمار كانه قال
ارسلون الى يوسف دليل في تلاوة الاية انه ارسل اليه وهو الا تيانه اليه ولكن فيه دليل انه ارسل اليه فاتاه
فلما اتاه قال له ايها الصديق قيل الصديق هو كثير الصدق كما يقال شريب وفسيق وسكير اذا اكثر ذلك
منه والصديق هو الذي لم يوجد عليه كذب قط او سماه صديقا لما عرف انه رسول الله ونحو قال في ابرهيم
انه كان صديقا نبيا او يقول انا انبئكم نبأ وبيانا اي انا اتعلم منه فانبئكم نبأ وبيانا وقوله افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فافتاها له وعبرها على ما هو وما قال
تزرعون سبع سنين دابا الى اخر ما ذكر وقوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا
مما تحصنون من التعبير رؤيا الملك للذي ساله وقوله لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون هذا يحتمل
وجوها يحتمل يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة ليس كما قالوا انها اضغاث احلام والثاني يعلمون
فضلك على غيرك من الناس او يعلمون انك تصلح لحاجتهم التي في حال يقظتهم فيرفعونها اليك كما صلحت ما
كان لهم في حال نومهم ثم علمهم الزراع وجمع الطعام والادخار كيف يدخر حتى يبقى الى ذلك الوقت فقال
تزرعون سبع سنين دابا قال بعضهم اي دائبا اي تداومون الزراعة فيها وقال ابو عوسجة دابا من الدؤوب
من الجد والتعب وقال القتبي دابا اي جدا في الزراعة ومتابعة وكل واحد وقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا يتسوس لان ذلك ابقى له من اذا نقي ومن الا قليلا مما تاكلون تنتفعون به اي شيئا اي قدر
ما تاكلون وقوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد قيل مجدبات من القحط ياكلن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم

لهن الا قليلا مما تحصنون قال بعضهم تدخرون وقال بعضهم تحرزون قال ابو عوسجة احصنت اي ادخرت وقوله ثم ياتي من
بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال بعضهم هو من الغيث وهو المطر اي يمطرون وقيل يغاثون بالمطر من الاغاثة والغوث
وقوله وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصر الاعناب والدهن والزيت وغيره انما هو اخبار عن الخصب والسعة وقال
بعضهم يعصرون اي ينجون من قوله من المعصرات يعني الحيا اي يلجاون الى الغيث والعصرة المنجاة وهو قول ابي عبيدة
واما قول غيره من اهل الادب والتاويل فهو من العصر يعني عصر العنب وغيره والله اعلم وقوله وقال الملك ائتوني
به يعني يوسف فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فيه دلالة ان قول
يوسف للرجل اذكرني عند ربك انما طلب بذلك براءة نفسه فيما اتهم به ليس كما قال اهل التاويل لانه لو كان في ذلك
لكان لا يرد الرسول اليه ولكنه خرج والله اعلم وقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن يحتمل هذا وجهين
احدهما انهن علمن كيده بهذا رجعن عن ذلك والثاني ليعلم الملك براءته مما قذف به واتهم ليظهر عنده انه كان بريئا
مما قذف به واتهم وقوله ان ربي بكيدهن عليم انهن كن ثم قال لهن الملك ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
هذا يدل ان الملك قد علم انهن راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل هل راودتن
ام لا ولكنه قطع القول فيه وقوله قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء بدا لهن حتى اقررن انه كان بريئا مما قذفنه واتهمنه
ثم اقرت امراة الملك بعد ذلك لما اقر النسوة فقالت الان حصحص الحق قيل الان تبين الحق وتحقق انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فيه قوله هي راودتني عن نفسي وقوله ما خطبكن ما شانكن وامركن والخطب
الشان وراودتن قد ذكرناه وقوله قلن حاش لله قيل معاذ الله وقيل هي كلمة تنزيه وتبرئة من القبيح وقوله
ما علمنا عليه من سوء قال اهل التاويل الزنا ولكن قوله ما علمنا عليه من سوء هو السوء الذي قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا هو ذلك السوء قالت انه اراد بها فقلن ما علمنا منه ذلك وقوله حصحص الحق قد ذكرناه انه تبين وتحقق
وفي قوله ما علمنا عليه من سوء دلالة ان لم يكن منه ما قاله اهل التاويل من حل السراويل وغيره لانه لو كان منه ذلك لكان
قد علمن منه السوء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قوله ذلك الرد الذي كان منه وتركه الاجابة لرسول الملك
حيث قال ائتوني به ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب في اهله اذا غاب عني رد القول ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وتصديقا القول حيث قوله هي راودتني عن نفسي وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم اني لم اخنه يعني الزوج بالغيب
لكن هذا بعيد انه قد علم يوسف ان الله قد علم انه لم يخنه بالغيب وقول اهل التاويل لما قال يوسف ليعلم اني
لم اخنه بالغيب قال له الملك ولا حين هممت ما هممت فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا محال
نقله وقد ذكرنا التاويل في قوله ولقد همت به وهم بها ما يحل وسع ان يتكلم به وفي ذلك تاويل اهل التاويل
من الوجوه التي ذكرنا ومعنى قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي عصم ربي والله اعلم
انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب لما عصمني الله من ذلك ولو لم يكن عصمني لكنت اخونه ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي اي عصم ربي لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى الشهوات واللذات والهوى فيها
والرغبة والتوقي عن المكروهات والشدايد لا تزكية قال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى واما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى اثبت للنفس الهوى وايثار
الحيوة الدنيا وشهواتها هذا يدل انه قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه هو محبة الاختيار والايثار
في الدين لا محبة اختيار النفس ونفور النفس ابدا يختار ويؤثر ما هو الذ واشهى وتتنفر عن الشدايد والمكروهات
على هذا طبعت وجبلت وقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يجعل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا
الا ان يجعل فعل الكيد والخيانة ضلالا وغواية وقوله وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اي اجعله
لنفسي خالصا او يكون قوله استخلصه لنفسي اصدر لرايه واطيعه امره في هذا يتبع استخلاصه
اياه ولذلك قال مكنا ليوسف الاية لان يجعل لحاجة نفسه خالصا دون الناس لا يشرك غيره فيه ويليه ما

ما ذكر في حرف حفصة انك اليوم لدينا مطاع امين وقوله فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر فيه
انه اتي به ولكن قال فلما كلمه فهذا يدل انه قد اتي به وانه لم يذكر انه اتي به حيث قال فلما كلمه قال انك اليوم
لدينا مكين امين قيل المكين الوجيه وقيل المكين الامين المرضي عندنا والامين على ما استامناك وقوله قال اجعلني
على خزائن الارض سال هذا العمل لانه علم انه ليس في وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام وعلم انه لو ولي غيره الخزائن لم
يعرف انزال الناس منازلهم في التقديم من كيف تقديمه والقيام بحاجة الاحق من غيره وعلم انه اليه يرجع ويتم
حوائج اكثر الناس وبه قوام ابدانهم فانه لا يقوم بذلك كله وعلى يديه يجري ولذلك قال اني حفيظ عليم قال بعضهم
بعضهم حفيظ بما وليت عليم بامر وقيل حفيظ اي حاسب عليم اي بالالسن كلها وقيل حفيظ لما في الارض من غلة
عالم بها وعن ابن عباس حفيظ لما تحت يدي عليم بالناس وقيل حفيظ بصير بتقدير عام بساعات الجوع وقيل
اني حفيظ لما استحفظت عليم بحوائج الناس او عليم بتقديم الاحق وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ
والله اعلم كان انا يوسف مما قرف به واظهرنا براءته منه مكناه في الارض حتى احتاج اهل نواحي مصر واهل الافاق
اليه او ان يقال كما حفظناه وانجيناه مما قصد به اخوته من الهلاك نمكن له في الارض وجائز ان يكون قوله وكذلك
مكنا ليوسف جوابه كما مكنا ليوسف في الارض بعد ما اخرجه على الابواء الغنم كذلك نمكنك في الارض ونووي بعد
ما اخرجك من على ابواهك وقوله يتبوأ منها حيث يشاء اي ينزل منها حيث يشاء ويبني منها حيث يشاء وقوله نصيب
برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا ونعيمها كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ويحتمل برحمتنا
امر الدين من النبوة والعصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون ليس لله ان يختص احدا بالرحمة ولا يصيب من رحمة
الا ناه ون اتان وعلى قولهم لم يكن من الله الى رسول من الرحمة الا وكان الى ابليس مثله وقوله ولا نضيع اجر
المحسنين اي لا نضيع اجر من احسن صحبة الله في الدنيا والاخرة اي نجزيه جزاء احسانه او يقال ولا نضيع اجر من
احسن صحبة نعم الله وقبلها بالشكر وقوله ولاجر الاخرة خير للذين امنوا اي ثواب الاخرة واجرها خير من
ثواب الدنيا واجرها وقوله امنوا صدقوا وكانوا يتقون الشرك اي امنوا صدقوا وكانوا يتقون المعاصي والفواحش
وقوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لما اراد الله ان يبلغ امر يوسف فيما اراد ان يبلغ
جعلهم بحيث لا يعرفونه لذلك قال فعرفهم وهم له منكرون اي لا يعرفونه كقوله قوم منكرون اي غير معروفين عند
ابرهيم والمنكر هو الذي لا يعرف في الشرع ولا في العقل وقوله ولما جهزهم بجهازهم اي اعطى لهم الطعام الذي
طلبوا منه قال ابو عوسجة الجهاز المتاع والجهاز ايضا متاع المرأة التي تجهز به ولا يقال جهاز بخفض الجيم وقال
اهل التاويل ان يوسف قال لهم حين دخلوا عليه انتم عيون بعثكم ملككم تنظرون الى اهل مصر ثم تاتونه بالخبر فقالوا
بكذا وكذا مما لا نعلم انه قد كان قال لهم ذلك ام لا وغير ذلك من الحكايات التي قالوا انه قال لهم كذا وقالوا له
كذا نحن كذا كذا رجلا لنا كذا وكذا ولنا اب كذا شيء هذا لا يكون كلام الانبياء انما هو كلام بعض العوام الغوغاء
والله اعلم وقوله قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل
ان يقول يوسف ابتداء على غير سبب او كلام كان هنالك لكنه لم يذكر الذي كان وحين لا نعرف ما الذي كان
جرى هنالك فيما بينهم فكذلك قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اما اهل التاويل فانهم
قالوا قال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم اي اخر ما ذكر لانه لما قال لهم انكم جئتم عيونا للملك فامر بحبسهم فقالوا
نحن بنو يعقوب النبي وكنا اثني عشر رجلا فذهب منا رجل في الغنم ووجدنا على قميصه دما فاتينا ابانا فقلنا كذا
وقد خلفنا عند ابينا اخا له من امه الذي هلك فعند ذلك قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل
وانا خير المنزلين لكن هذا الذي ذكروا لا يكون سببا ولا جوابا له وقد ذكرنا انه لا يصح هذا الكلام مبتدا
لكنا نعلم بالعقل انه كان هنالك سبب وعلى امر يوسف ان يقول لهم ذلك والا لا يحتمل ان يقول لهم يوسف
لا كيل لكم عندي ولا تقربون وهو كان يعلم ان اباه يعقوب يحتاج الى الطعام ويعرف حاجتهم في ذلك هذا الكلام

الا بسبب كان منهم فامر يوسف بذلك وقوله فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيما يستقبل اي لا تاتوني والله اعلم ويحتمل
قوله الا ترون اني اوفي الكيل وجهين احدهما قال ذلك لهم انه يوفي لهم الكيل لان اهل ذلك المكان كانوا ينقصون
ويخسرون الكيل في الضيق فقال هو الا ترون اني اوفي الكيل ولا اخس والثاني الا ترى اني اوفي الكيل على غير
الحاجة وكان يحمل لغيرهم الطعام على الحاجة لضيق الطعام اني اوفي الكيل على قدر الحاجة وانا خير المنزلين في الانزال
اليكم والتوسيع عليكم لان اهل ذلك المكان لا يحسنون الى النازلين ولا يوسعون لضيق الطعام وكان قوله الا
ترون اني اوفي الكيل هو خرج قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون كانه قال ائتوني باخ لكم من
ابيكم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فعند ذلك قال الا ترون اني اوفي الكيل والله اعلم وقوله
سنراود عنه اباه وانا لفاعلون هذا الكلام في الظاهر ليس هو جواب قول يوسف حيث قال ائتوني باخ لكم
من ابيكم وجوابه ان يقولوا له نأتيك به او لا نأتيك فاما ان يحمل قولهم سنراود عنه اباه وانا لفاعلون جوابا له فلا
يحتمل مع ما ان في قولهم سنراود عنه اضطراب يكون او لا يكون وقولهم وانا لفاعلون على القطع لكن يشبه ان
يخرج على وجهين احدهما على الاضمار سنراود عنه اباه فان اذن له وانا لفاعلون ذلك او على التقديم وان اخرج يكون
جواب قوله ائتوني باخ لكم من ابيكم في قولهم وانا لفاعلون كانه لما قال لهم يوسف ائتوني باخ لكم من ابيكم قالوا انا
لفاعلون ثم قالوا فيما بينهم سنراود عنه اباه على هذين الوجهين يشبه ان يخرج والله اعلم وقوله سنراود عنه اباه قال
ابو عوسجة المراودة الممارسة وهي شبه المخادعة وهي المعالجة وقيل سنراوده اي سنجهد وسنطلب وقوله وقال
لفتيانه ولفتيته الفتية للكثير والفتيان المماليك اجعلوا بضاعتهم في رحالهم قيل اجعلوا دراهمهم في اوعيتهم فيه
دلالة ان الهبة قد تتم وان لم يصرح بها اذا وقع في يدي لمن وهب له وقبضه وان لم يعلم هو بذلك وقت ما جعل له لان
يوسف جعل بضاعتهم في رحالهم هبة لهم منه وهم لم يعلموا بذلك وهو وقت ما جعل لهم ذلك ملكا ليوسف ولهذا قال
اصحابنا ان من وضع ماله في طريق من طرق المسلمين ليكون ذلك لكل من رفعه كان ما فعل والله اعلم وقوله لعلهم
يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون هذا يحتمل وجهين احدهما يرجعون مخافة ان يتهموا بالسرقة لانه
يتهم عندهم ان واحدا منا جعل هذا في متاعنا واوعيتنا سرا انهم فعل يوسف هذا ليرجعوا مخافة ان يتهموا بالسرقة
والثاني ما قال اهل التاويل لما تخوف يوسف ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى فجعل دراهم
في اوعيتهم لكي يرجعوا الينا فلا يحبسهم عنا عدم الدراهم لانهم كانوا اهل ماشية وقوله فلما رجعوا الى ابيهم قالوا
يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل وهي تنف لقوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فارسل
معنا اخانا نكتل بالنون وبالياء يكتل وبالنون اقرب لانهم قالوا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل نحن
لسببه ويكتل هو ان ارسلته وانا له لحافظون لا يحتمل ان يقولوا له هذا من غير سبب كان هنالك من خوف خاف عليه
ابوهم من ناحيتهم وتهمة اتهمهم لانه كان اخرجهم من ابيهم فخاف عليه ان يضيعوه او ان استقبله امر لا يعينونه او امر
كان لم يذكر ولسنا ندري ما ذلك المعنى والله اعلم بذلك قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وفي حرف ابن
مسعود هل تحفظونه الا كما حفظتم اخاه يوسف من قبل في هذا دلالة ان من ظهرت منه تهمة او خيانة في امر يخوف
اتهمهم فيما لم يظهر منه شيء حيث اتهمهم يعقوب في ابن يامين بخيانة كانت منهم في يوسف وان لم يظهر له منهم في اخيه شيء
وهو يجد الصواب ان من ظهر فسقه في شيء او كذب في امر صار مجروح الشهادة في غيره وقوله فالله خير حافظا وحفظا
وهو ارحم الراحمين اي ان ارسلته فانما اعتمد على حفظ الله واليه اكل في حفظه لست اعتمد على حفظكم وهو ارحم
الراحمين اي هو بكل مكروب وملهوف ارحم من كل راحم لان كل من يرحم انما يرحم برحمة نالها منه والله اعلم وقوله
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم هذا قد ذكرنا وقوله قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
ردت الينا وقوله ما نبغي هذا يحتمل ما نبغي سوى الثمن فقد رده الينا دراهمنا ويكون قوله ما نبغي وراءه
اكثر شيء انما نبغي كيل بعير واحد وكيل بعير اخيه لانه قد ردت بضاعتنا وهو من عشرة ابعرة وغيرها لنا

ح
ويمكن ان تتنزل هنا وانا لفاعلون اي المراودة كانهم قالوا لا بد ان نراوده ونتحمل المراودة فان اذن لم جئنا به والا فلا حاجة الى ما ذكر والله اعلم كاتبه

ح
هذا لا يحتمل مع قولهم لابيهم هذه بضاعتنا ردت الينا كما لا يخفى والله اعلم كاتبه

ح
هو يحتمل انهم لما وجدوا ما وقع في اقسامهم انه لابيهم حيا لا يحبسونهم فيه شيء في اخيه فقالوا ذلك فهو لا ينتقل به كما انفقنا باخيه من يحفظ فقال لهم ما قال والله اعلم كاتبه

ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه ذكر ان يوسف كان لا يعطي كل رجل الا حمل بعير واحد ولا يعطي اكثر من ذلك فقالوا ونزداد
كيل بعير به ومن اجل ذلك كيل يسير قال بعضهم ذلك كيل يسير اي سريع لا حبس فيه وقال بعضهم ذلك كيل يسير اي يسير
علينا الكيل ولا يحبس عنا الطعام ولا يشتغل في ذلك بقوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني
به فلا كيل لكم عندي يقول الا ترون فان لم تاته به فلا كيل لنا وتحبسنا عنه والله اعلم ويشبه ان يكون فيه وجه اخر اقرب
مما قالوا وهو ان قوله ذلك كيل يسير اي طلب من كيل بعير يسير له لانه قد ردت اليهم بضاعتهم وهو من كيل عشرة ابعرة
فانما احتاجوا الى من كيل بعير واحد فقالوا المطلب من كيل بعير واحد يسير وتكلفه سهل وهو من كيل بعير ابن يامين
والله اعلم وقوله قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اي حتى تاتوني بمواثيق من الله وعهود منه
لتاتنني به فيه دلالة انه وان قال فالله خير حافظا واعتمد على الله في الحفظ ورأى الحفظ منه لم يرسله معهم الا بالمواثيق
والعهود من الله وهذا امر ظاهر بين الناس انهم وان كان اعتمادهم على الله واليه يتكلون في جميع امورهم في الاموال
والانفس وهم يرون الحفظ فانه ياخذ بعضهم من بعض المواثيق والعهود ففعل ذلك يعقوب انه وان اعتمد على
الله وكلاءته في حفظه وتوكل على الله لم يرسله معهم الا بعدما اخذ منهم العهود والمواثيق لتاتنني به الا ان يحاط
بكم اي الا ان يحكم امر عليكم ويحيط بكم الهلاك جميعا فعند ذلك تكونون معذورين فاما ان يخفى امر فلا
والثاني الا ان يحل امر عظيم يمنعكم عن رده كانه خاف عليه من الملك حيث طلب منهم ان ياتوا به وقوله فلما اتوه
موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اي الله على المواثيق والعهود التي اخذتها منكم شهيدا وقيل الله
حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم وقوله يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال
بعض من اهل التاويل ان يعقوب خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي صور وجمال وهيأة فخشي عليهم العين لذلك امرهم
ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم خشي عليهم البيات والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فخشي منهم اهل البلد
ويتهمونهم بالسرقة فامرهم بالتفرق وهو قول ابن عباس اذا كانوا متفرقين فلا يهابهم اذ يكون الكل وانما
يهلك بعضهم وينجو بعض او لا يدرى ما اراد بهذا وقال بعضهم علم يعقوب انهم لا يهلكون لما راى يوسف من
الرؤيا الذي راى لا ضيه ولكن خاف عليهم ان تصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة او من
سكك متفرقة او من طرق مختلفة او ما قالوا وقوله وما اغني عنكم من الله من شيء اي لا ادفع عنكم من الله من شيء
ان اصابكم بجبا او عين فان قيل لو كان امره اياهم بالتفرق لخوف العين او لخوف اهل البلد منهم السرقة والاتهام
كيف لم يامرهم في المرة الاولى وخوف العين وخوفه ما ذكر ابن عباس انه يخاف منهم اهل البلد اذا راوهم مجتمعين انهم
لصوص وانهم كذا ولكن جائز ان يكون في المرة الاولى لم يخش ذلك لانه قد يقع الاجتماع في امثالهم من الرفقاء
والصحابة فلا يكون في ذلك الخوف الذي ذكروا اذا عادوا في المرة الثانية قد يحتمل ذلك الخوف من العين
وغيره اذ اعلم اهل البلدان ذلك العدد تحت اب واحد وامرهم بالتفرق في الاولى بمجرد استغنى بذلك وامر به
او بمعنى غاب عنا لا نحتاج اليه والله اعلم وقوله وما اغني عنكم من الله من شيء اي لا ادفع عنكم من الله من شيء ان
اصابكم نكبة او عين وان تفرقتم ان الحكم الا لله هذا تفسير قوله وما اغني عنكم من الله من شيء اي لا ادفع عنكم بما
احتال ما قدر الله وقضاه ان يصيبكم لا محالة ويشبه ان الحكم الا لله اي ما الحكم في ذلك الا لله ما في حكمه وقضائه
ان يصيبكم فيصيبكم لا محالة وقوله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امر يخاف المرء ان
ياخذ بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله على ما امر يعقوب بنيه بالحذر في ذلك ثم توكل على الله في ذلك والحذر هو
العادة في الخلق والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد عليه والله اعلم وقوله ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان يدفع عنهم ذلك ما حكم الله عليهم انه يصيبهم
وقوله الا حاجة في نفس يعقوب قضاها الحاجة في النفس احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة كقوله ولا يجدون
في صدورهم حاجة ففي ذلك حاجة يعقوب لا تخلو اما ان كانت رغبة منه في تفرقهم او رهبة في اجتماعهم فقضى ذلك

الحاجة وقوله وانه لذو علم لما علمناه ويشبه ان يكون هذا صلة ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة اي وانه لذو علم لما امرهم بالدخول على التفرق والنهي عن الاجتماع وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه ما اراد بقوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم من السكك المتفرقة ما كان يغني عنهم من قضاء الله شيئا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها يقول بدا لها فتكلم
به وانه لذو علم لما علمناه يقول حافظا لما علمناه وقيل حافظا لما علم به وقيل لذو علم لما علمناه اي عمل بجميع ما علم
وانتفع به ولكن اكثر الناس لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل وانه لذو علم بقصة يوسف من اولها الى اخرها لما اخبرناه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك وجائز ان يكون قوله وانه لذو علم لما علمناه اي ما اصابه من الحزن بذهاب يوسف وما
اصابه من الشدة والنكبة لم يؤثر ذلك في علمه الذي علمناه وان اثر ذلك في نفسه وبدنه اي علمه بما علمناه بعدما اصابه
ما اصابه كهو ما كان قبل ذلك لم يعمل فيه ولم يؤثر ذلك الحزن فيما اظن في قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت به طيرة تطير بها ولكن قد علم او ظن ان يوسف سيلقى اخاه فيقول
اني انا اخوك وقال اكثر اهل التاويل قالوا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي خيفة العين على بنيه لجمالهم وبهائهم وحسن
صورهم او لما يكون لواحد كذا اكثر عددا من البنين فقصدهم بالنكاية عليهم لما ذكرنا او ما اراد بذلك والله
اعلم وقوله ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه هذا يحتمل وجهين يحتمل انهم لما دخلوا البلد الذي فيه دعا يوسف اخاه
وضمه اليه ويحتمل انهم دخلوا جميعا على يوسف فضم اخاه الى نفسه فقال اني انا اخوك قال بعض اهل التاويل لم
يقل انا اخوك بالنسب ولكنه قال انا اخوك مكان اخيك الهالك وقوله فلا تبتئس بما كانوا يعملون
هذا يحتمل وجهين يحتمل لا تبتئس بما كان عمل اخوتك كانه لما دعاه فضمه الى نفسه شكا اليه عن اخوته فقال عند ذلك
فلا تبتئس بما كانوا يعملون ويحتمل قوله فلا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء اي خدمه وعماله كانه اخبر بما كان يريد ان
يكيد بهم من جعل الصاع في رحله فقال له فلا تبتئس بما كانوا يعملون بك لانه لا يجوز ان يجعل اخاه متهما بالسرقة
من غير ان ظهر منه شيء وقد اخبر انا اخوك والله اعلم ولانه اراد ان يعلمه ما يريد ان يكيد بهم ليكون هو على علم
من ذلك وقوله فلما جهزهم بجهازهم هيأ لهم الزاد ولذلك يقال لمتاع المراة جهاز وقوله جعل السقاية
في رحل اخيه السقاية قيل هي الاناء الذي كان يشرب فيه الملك وقيل هو الصاع الذي كان يكال به الطعام
ولكن لا نعلم ما كان ذلك سوى انا نعلم انها كانت ذات ثمن وقيمة الا ترى ان ذلك الرسول قال ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم فلولا انها كانت ذات ثمن وقيمة والا لم يعط لمن جاء به حمل بعير الطعام وكان قيمة الطعام عندهم في
ذلك الوقت ما كان ثم اذن مؤذن اي نادى مناد انكم لسارقون لا يحتمل ان يكون يوسف يامر رسوله ان يقف
لهم انكم لسارقون وقد علم انهم ليسوا بسارقين ولكن قال لهم ذلك المنادي الذي نادى والله اعلم انكم لسارقون من
تلقاء نفسه لانه كان بعض من يتولى كيل الطعام على الناس وامثاله لا يبالي الكذب او قال لهم ذلك قوم كانوا يحضرونهم
ايتها العير انكم لسارقون او ان يكون على الاستفهام والتقرير ان كان لا يحتمل من يوسف واعوانه فلا لانه
كذب وضم يوسف اخاه يحتمل وجهين يحتمل لمكان سؤاله اياهم ان ياتوا به او لمكان فضله ومنزلته ليعلموا ان ما كان
ليوسف واخيه عند ابيهم من فضل المحبة والمنزلة من الله اذ جعل ذلك لهما عندنا لذلك دعي والله اعلم وقوله قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك اي اناء الملك سماه مرة صاعا ومرة سقاية فيحتمل ان
يستعمل في الامرين جميعا في الاستقاء والكيل جميعا قالوا للمنادي ماذا تفقدون قال ابو عوسجة اي ماذا
تفقدون تعدمون اي تعدمه وقال القتبي فلا تبتئس هو من البؤس والسقاية المكيال وقيل مشربة الملك
وصواع الملك وصاع واحد وقوله ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قيل ضمين لذلك الطعام وكفيل به والزعيم
كان ايضا اسم لرئيس من القوم وقوله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين هذا يحتمل
وجهين يحتمل انهم قالوا ذلك لانكم رددتم الينا الدراهم وجعلتم في اوعيتنا ثم رددناها عليكم فكيف نسرق

والف دي في الارض فكيف تتهمونا بهذا والثاني انكم تعلمون انا ابنا النبي والرسول والانبيا لا يكون منهم السرقة ولا الفساد في الارض ومثل هذا لم يظهر في اهل بيتنا قط ولا عرفنا به فكيف تتهمونا بهذا والثالث انكم ترونا صوامين قوامين من سوا فعلا دوابنا فانه لا يتهم بالسرقة او ان يكون قوله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض لما راوهم دخلوا من ابواب متفرقة ولو كانوا سراقا لدخلوا مجتمعين لان عادة السراق الاجتماع لا التفرق ثم قالوا فما جزاوه ان كنتم كاذبين اي ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك منه فما جزاوه قالوا جزاوه من وجد في رحله فهو جزاوه هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فهو جزاوه اي يصير رقيقا مملوكا له لم او يصير مجبوسا عنه والله اعلم **وقوله** فبدا باوعيتهم قبل وعا اخيه ظاهر هذا الكلام ان يكون يوسف هو الذي فتش اوعيتهم وطلب ذلك فيها حيث نسب ذلك اليه بقوله قبل وعا اخيه لكن نسب اليه لما بامره فتش اذا الملوك لا يتولون ذلك بانفسهم وفيه انه قد فصل بينهم وبين ابن يامين حيث سماه اخاه ولم يسم اوليك بقوله فبدا باوعيتهم قبل وعا اخيه وهو يخرج على وجهين احدهما انه قد ذكر لهذا انه اخ حيث قال له اني انا اخوك ولم يذكر لاوليك فسمى هذا اخاه ونسب اليه بالاخوة لما كان ذكر له ولم يسم اوليك لما لم يذكر لهم انه اخوهم والثاني انه لم يكن لهذا اعني لابن يامين لما كان يوسف من صنيعهم ولا شرك هو على الاخوة والصداقة التي كانت بينه وبينه واما اوليك اعني خرجوا من الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من سو صنيعهم وقبح فعالهم فخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة لسبق ما كان منهم اليه وهو كقوله نوح حين قال ان ابني من اهلي يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح نفى ان يكون من اهله لسبق عمل وفعل غير صالح فعلى ذلك الاول يشبه ان يكون على هذا والله اعلم **وقوله** ثم استخرجها من وعا اخيه دل هذا انه قد كان منه اي التفتيش والطلب في وعا اخيه على ما كان في اوعيتهم لم يخرجها على غير تفتيش **وقوله** كذلك كدنا ليوسف هذا يحتمل وجهين يحتمل كذلك كدنا اي صنعنا ليوسف من اول الامر الى اخره ما يكيده ويحتال في امساك اخيه عنده ومنعهم عنه لان يخلولهم وجه ابيهم جزاما طلبوا هم ان يخلولهم وجه ابيهم بتغييب يوسف من ابيه لان اباهم قال حتى توتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما بلغ ذلك الحد تولى عنهم وهو قوله وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف الاية هذا والله اعلم جزا كيدهم الذي كادوا ليوسف ليخلولهم وجه ابيهم ليتولى عنهما بوجهه هذا يشبه ان يكون والثاني كدنا ليوسف اي علمناه ان كيف يفتش اوعيتهم ليلا يتهموا انهم انه عن علم استخرجها من وعا اخيه لا من جهل وظن فعلمه البداية في التفتيش باوعيتهم ليلا يتهم عندهم انه عن علم ويقين يا خذ يشبه والله ان يخرج قوله كذلك كدنا ليوسف على هذين الوجهين او كدنا ليوسف اي امرنا يوسف بالكيد بهم جزاما عملوا المكانه لما اسموا بامساك اخيهم **وقوله** ما كان ليا خذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ذكر ان حكم اخي يوسف وقضاهم فيهم ان من سرق يكون عبدا بسرقته للمسروق منه ويستعبد بسرقته ومن حكم الملك ان يغرم السارق ضعفي ما سرق ويضرب ويودب ثم يخلي عنه ولا نعلم ما حكم الملك في السرقة سوى انه اخبر انه ليس له اخذ اخيه في دين الملك **وقوله** الا ان يشا الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك او يجعل له حق الاخذ وجه وان لم يكن ذلك في حكم او ان يكون قوله الا ان يشا الله على ما كان من ابرهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشا ربي شيا الاية وكان الانبيا صلوات الله عليهم يذكرون الثنيا على حقيقة المشية او يقول الا ان يكون في علم الله شي زلة فاستوجب عند ذلك الكون في دين ذلك الملك فيا خذه منه وكذلك قول ابرهيم حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشا ربي شيا اي لا اخاف ما تشركون به الا ان يكون مني ما استوجب ذلك بزلة فيشا الله ذلك مني **وقوله** نرفع درجات من نشا الدرجات هي الفضايل يرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم في كل شي وفوق كل ذي علم عليم ما من عالم وان لطف علمه وكثر الا قد يكون فوقه من هو الطف علما منه واكثر وا علم في شي او يكون قوله وفوق كل ذي علم عليم وهو الله سبحانه فوق كل ذي علم بعلمهم العلم والله اعلم من يقول انه عالم الا بعلم يحتج بظاهر هذه الاية حيث قال وفوق كل ذي علم عليم اثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه بل قال عليم فكذا قال عليم اثبت العلم ولانه اذا قال وفوق كل العلما عليم يخرج كذلك **وقوله**

ق

ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال بعض اهل التاويل كانت سرقته انه كان صنم من ذهب لجد له اي لام يعبده فسرق ذلك منه ليلا يعبد دون الله ولكن لا نعلم ذلك ونقل انهم كذبوا في قولهم فقد سرق اخ له من قبل وارادوا ان يتبرؤوا منه وينفوا ذلك عن انفسهم ليعلم انه ليس منهم فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة في نفسه لم يظهرها لهم او اسر ما اتهم بالسرقة وجايز ان يكون قولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل خاطبوا به اخاه ابن يامين دون يوسف ان سرقت فقد سرق اخ له من قبل يقولون فيما بينهم وقد ذكر في بعض الحروف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل بالتشديد فان ثبت فالتاويل هو لقولهم وقال بعضهم قوله انتم شر مكانا اي انتم اشر صنعا بيوسف والله اعلم بما تصفون من الكذب انه سرق اخ له من قبل **وقوله** قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه اراه والله اعلم ان يرققوا قلبه بهذا ان له ابا شيخا كبيرا لما يكون قلب الشيخ يولع بالصغير ويلوع عن الرد والكبير لنا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين لما احسن اليهم في الكيل والانزال في المنزل والضيافة والبر في قدر اوعلى بعض **وقوله** قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده قيل هذا قول يوسف لهم اي اعوذ بالله ان ناخذ ونحبس بالسرقة الا من وجدنا متاعنا عنده قيل كيف تعوذ على ترك اخذ واخذ غيره مكانه ولم يكن وجه لحق الاخذ اذ لم يكن سرقوا انما يتعوذ على ترك ما الاثم تركه قيل انه لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه انما تعوذ على اخذ غير من وجد المتاع عنده انا اذا الظالمون عندكم لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده اذ في حكمهم اخذ من سرق بالسرقة والحبس به والله اعلم **وقوله** فلما استياسوا منه في ايسوا من ان يرد اليهم اخوهم خلصوا نجيا قيل خلوا من الناس وخلصوا انهم يتناجون فيما بينهم في امرا خيهم او في الانصراف الى ابيهم او في المقام فيه قال كبيرهم المر تعلموا قال اهل التاويل كبيرهم في العقل لا في السن وهو فلان قال بعضهم وهو يهوذا وقال بعضهم هو شمعون ولكن لا نعلم من كان ذلك اي هذا لهم ولا نحتاج الى معرفة ذلك سوى ان فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم في العقل او كبيرهم في السن الم تعلموا ان اباكم الم تعلموا او الم تروا حرفان يستعملان في امامرين في الامر الذي علم اذكرها وفي موضع التنبيه والتقرير ههنا كانه قال ذلك على التقرير والتنبيه اي قد علمتم ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف هذا يدل ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم هو الا ان يتكم امر تهلكون فيه جميعا ليس كما قال بعض اهل التاويل الا ان يحيي ما يمنعكم من رده اي الا ان تغلبوا فتعجزوا عن رده لانه قد جا ما يمنعهم من رده ثم ابى اكبرهم الرجوع الى ابيه دل ان التاويل ليس هذا ومن يقول ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم الا ان يحيي ما يمنعكم من الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق فلو كان على ما يتهم ويحيطهم لم يكن ليا مرهم بالرجوع الى ابيهم دل انه ما ذكر واما اهل التاويل الاول يقولون ان قوله ارجعوا الى ابيكم ليس على الامر ولكن اذا رجعتم الى ابيكم فقولوا ان ابنك سرق ولذلك يخرج قوله واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها ليس على الامر ولكن لو سالت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا الى ابيكم ليس على الامر ولكن لو رجعتم اليه فقولوا كذا **وقوله** ومن قبل ما فرطتم اي من قبل ما ضيعتم امر ابيكم في يوسف او ضيعتم امر الله وعهده في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي بالمبارحة في الانصراف الى الملك حتى استنقذ اخي واستخلصه منه او يحكم الله لي في الرجوع ايضا او في القتال معه وهو خير الحاكمين او يحكم الله لي باظهار عذرنا وصدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين في اظهار العذر لانه اذا حكم باظهار العذر ظهر ذلك في الخلق جميعا ولا كذلك حكم غيره لان كل من يحكم بحكم يجوز ان يحكم بحكم هو حكم الله فهو خير الحاكمين وكذلك قوله وهو ارحم الراحمين لان من رحم من الخلق انما يرحم برحمة فهو ارحم الراحمين **وقوله** ارجعوا الى ابيكم يحتمل على الامر على ما هو الظاهر ويحتمل ما ذكرنا اي لو رجعتم اليه فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يشبه ان يكون هذا منه تعريضا في تخطيه على كان يوثر عليه من الاولاد اي الذي كنت توثر علينا بالمحبة وميل القلب اليه قد سرق ويشبه ان يكون ليس على التعريض ولكن على الاخبار على ظاهر عندهم من ظاهر الامر وما شهدنا الا بما علمنا باخراج المتاع من وعايه وما كنا للغيب حافظين هذا على التاويل الذي قيل في قوله الا

الا ان يحاط بكم اي يهلككم ويجمعكم اي ما كنتم تعلمون وقت اعطاء العهد والميثاق انه يسرق والا لم نعطك العهد على ذلك وقيل
وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج المتاع من وعائه وانتم انه سرق او لم يسرق او هو وضع الصاع في رحله او غيره وضع
اي ما كنا نعلم في الابتداء انا لا نريد بها اليسير والا لم نخرجه معنا **وقوله** واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها
اي اسأل اهل القرية واسأل العير لانه لا يجوز ان ...علي ما نقول وانا لصادقون على ذلك على ما ظهر لنا من استخراج الاناء من
وعائه والله اعلم **وقوله** قال بل سولت لكم انفسكم امرا فان قيل كيف قال بل سولت لكم انفسكم امرا وصلا اخرجوه من
سوء انفسهم وتزيينها ولم يخالطوا فيما امرهم في امر ابن يامين ولا تركوا شيئا مما امرهم به وليس هذا كالاول الذي قال
لهم في امر يوسف بل سولت لكم انفسكم الآية لانه قد كان منهم خلاف لما امرهم به والسعي على اهلاكه فكان ما ذكر من تسويل
انفسهم وتزيينها في موضع التسويل والتزيين واما ههنا فلم يأت منهم اليه خلاف ولا ترك لامر فكيف قال بل سولت لكم انفسكم
امرا لكن يشبه ان يكون ذلك لانهم لما اتهموا جميعا بالسرقة فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كنا سارقين فقطعوا في القول انهم لم يكونوا سارقين وهو كان فيهم فكيف قطعتم في القول بالسرقة ان ابنك سرق
وما سولت لكم انفسكم من البغض والعداوة من الايثار له وليوسف عليهم والميل اليهما دونهم حيث قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا ونحن عصبة والله اعلم سولت لكم انفسكم ببغضكم وعداوتكم حتى تركتم التفحص عن حاله وامر ان لا
كل من وجد في رحله شيء يكون هو واضع ذلك الشيء بل قد يضع غيره فيه على غير علم منه **وقوله** فصبر جميل قد ذكرناه **وقوله**
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا قال اهل التأويل قال يأتيني بهم جميعا لانهم صاروا ثلاثة يوسف وابن يامين اخوه وهو ذا
الذي ... قد تخلف لسبب حبس يوسف اخاه او يوسف واخوه **وقال بعض اهل التأويل ان جبريل**
اتى يعقوب على احسن صورة فقال له من يوسف اهو في الاحياء ام في الاموات فقال بل هو في الاحياء فقال عند ذلك عسى الله
ان يأتيني بهم جميعا او علم يعقوب ان يوسف في الاحياء وانه غير هالك لما رأى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب
والشمس والقمر علم انه في الاحياء وانه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه وغير ذلك من الدلائل لكنه كان لا يعلم اين هو
فقال ذلك انه هو العليم الحكيم **وقوله** وتولى عنهم اي اعرض عنهم وعاتبهم حين اخبروه ان ابنه سرق وقال يا اسفى
على يوسف قيل يا حزنا على يوسف وقيل يا جزعا وقال القتبي الاسف اشد الحسرة واصله ان الاسف كانه
النهاية في الحزن ان يحزن اذا بلغ غايته ونهايته يقال اسف وهو النهاية في الغضب ايضا كقوله فلما اسفونا
اي لما اغضبونا انتقمنا منهم **وقوله** يا اسفى على يوسف يحتمل ان يكون لا على اظهار القول باللسان ولكن اخبر عما في
ضميره وذلك جائز كقوله انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما في قلوبهم لا ان قالوا ذلك باللسان ويحتمل القول به على غير
قصد منه **وقوله** فهو كظيم الكظم هو كف النفس عن الجزع وترديد الحزن في الجوف على ما يظهر في افعاله والجزع
هو ما يظهر في افعاله والذي يهيج الحزن هو الذي يهيج الغضب الا ان الحزن يكون على من فوقه والغضب على
من تحت يده ... واصلهما واحد يكون الكظيم هو الذي يمسك الحزن في قلبه والغم كانه هو الذي يستر
ويغطي القلب داخل بدوا الغم هو ما يبعث على القصد من الهم به والحزن هو على ما يؤثر التغير في الخلقة ولا يظهر في
الافعال والجزع يظهر في الافعال ولا يغير الخلقة من حالها لذلك عمل في ضعف نفس يعقوب وعمل في اهلاك بعضه
حيث ذهبت عيناه وابيضت من الحزن والكظيم ما ذكرنا هو الذي يردد الحزن في جوفه ولا يظهره ويكفه من الجزع
وقوله قالوا تالله هو يمينهم كان والله وبالله وكذلك قال ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم **وقوله** تفتؤ تذكر
يوسف اي لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره حتى تسلو من حزنه كانهم دعوه الى السلو عن حزنه لانه بالذكر يتجدد الحزن
ويحدث فقالوا له لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل مرضا دنفا واصل الحرض الضعف او
تكون من الهالكين كذلك صار يعقوب ضعيفا في بدنه من الحزن وصار بعض بدنه من الهالكين حيث ابيضت عيناه وذهبت
من الحزن **وقوله** قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قال القتبي الحرض الدنف والبث اشد الحزن لان صاحبه
لا يصبر عليه حتى يبثه اي يشكوه وكذلك روي في الخبر من بث فلم يصبر اي شكى وما ذكر من الشكاية الى الله ليس على اظهار

فيكثر بالبيان ولكن اشكو في القلب وقوله الحزن اشكو بثي اي حاجتي وحزني الى الله ويشبه ان يكون البث والحزن واحدا
ذكر على التكرار وقال بعضهم الحزن الذي قد ذهب عقله من البكاء ويكون من اليأس لكن فيموت والله اعلم **وقوله** واعلم من الله
ما لا تعلمون قال بعض اهل التأويل قوله اعلم من الله من تحقيق رؤيا يوسف فانه كائن ما لا تعلمون انتم وانا ساجد له وقال
ابن عباس واعلم من الله ما لا تعلمون انه حي لم يمت وهو ما ذكر انه كان يعلم من الله ما لا يعلمون هم ويشبه ان يكون قوله اعلم من الله
اي انفعني بعلم ما لا تنتفعون انتم واصله ان اخوة يوسف لو علموا ان امر يوسف يبلغ ما بلغ من الملك والعز ما قصدوا قصد
تغييبه عن والده ولا سعوا فيه فيما سعوا من ... ولكنهم لم يعلموا والله اعلم او علم من الله شيئا لم يبين ما لا يعلمون هم
كقوله ابراهيم **وما ذكر اهل التأويل ان يعقوب قال لملك الموت هل قبضت روح يوسف وان الجزع على الا يحتمل**
ذلك لانه قال حين اخبروه بسرقة فصبر جميل وما ذكروا انه ليس فيه جزع فصلا ان يكون جميلا **وقوله** يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه قال اهل التأويل تحسسوا اطلبوا واستخبروا عنه وعن اخيه لكن في هذا كانه اقرب دون حقوق الحسي
على كانه قال اذهبوا فانظروا اليه والى اخيه لانهم ان لم يكونوا يعلمون ان يوسف اين هو فلقد كانوا يعلمون عن حال اخيه
ان يامين انه اين هو فلو كان على الطلب والتجسس والاستخبار على ما قاله اهل التأويل ان احتمل في يوسف فذلك لا يحتمل في
اخيه اذ هم كانوا يعلمون مكانه واين هو ان كانوا لا يعلمون مكان يوسف وليس هو وهو امرهم ان يتحسسوا عنهما
جميعا فدل والله اعلم انه من وقوع الحس والبصر عليهما لا من التجسس والطلب والله اعلم فكانه علم بالوحي انه هناك واخوه معه
لكنه لم يخبر بنيه انه هناك لما علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فامرهم بذلك من تعريض لا من تصريح
او ان يكون قوله فتحسسوا من يوسف واخيه على الاخبار اي تحسسوا من يوسف واسألوا عنه ومن اخيه لما علم ان اخاه
يكون معه وقال بعض اهل التأويل انما قال لهم هذا لعلمه انه في الاحياء لانه رأى ملك الموت فقال له هل قبضت
روح يوسف فيما قبضت من الارواح قال لا وقال بعضهم رأى في المنام ملك الموت فقال له ما ذكرنا فعند ذلك
قال هذا القول لكننا نقول انه كان عالما بانه في الاحياء ليس ذلك لما رأى من الرؤيا وعرف فعلم انه لا يهلك الا
بعد خروج رؤياه على الصدق والحق لكنه لم يكن يعلم انه اين هو فلما علم من بعد بالوحي من مكانه وحاله فامر
بنيه ان يأتوه فينظروا اليه والى اخيه واصل هذا ان ما حل بيعقوب من موت يوسف وغيبته عنه محنة امتحن بها وابتلاء
ابتلاه به فيبتلى بذلك حتى ... الا ترى ان يوسف لو اراد ان يعلم اباه يعقوب من مكانه وحاله لقدر عليه لانه كان يعلم
مكان ابيه وان كان يعقوب لا يعلم مكان يوسف فلم يعلمه الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم **وقوله** ولا تيأسوا من
روح الله قيل من رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولنا جاء انه لا ييأس من رحمة الله الا القوم
الكافرون لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته فلا ييأس من رحمته واما الكافر فانه لا يعلم رحمة الله
ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته ... من الاياس لما كان عندهم انه هالك حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم
لما قال لهم اني لاجد ريح يوسف وان كان مخيفا بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم او يقولوا ... وان لم يكونوا
آيسين ثم قولهم انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون جزم منه اخبر انه لا ييأس من رحمة الله الا القوم
الكافرون وكذلك ما بشر ابراهيم بالولد حيث قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين نهاه عن القنوط ولم
يقل ان يكون ابراهيم قانطا من ذلك لكنه نهاه ثم اخبر فقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والآية ترد على
المعتزلة قولهم لقولهم ان صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار وانه ليس بكافر وهو ايس على قولهم من روح الله وقد اخبر
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من روح الله وهو ليس بكافر
وقوله فلما دخلوا عليه اي على يوسف قالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لما ان العرب يسمون كل ملك عزيزا او سموه عزيزا
لما كان عند الملك عزيزا القدر له اكرم مثواه او لما كان بالناس اليه حاجة بالطعام الذي في يده وهو كان غنيا عما في
ايديهم والله اعلم **وقوله** مسنا واهلنا الضر قال اهل التأويل اصابنا الشدة والبلاء من الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة قيل دراهم نفاية بهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لانه كان في عزة وتنفق في غيره وقال ابو عوسجة وجئنا

بضاعة مزجاة أي قليلة وكذلك قال القتبي أي قليلة وقال ابن عباس هي الورق الرديئة التي لا تنفق حتى يوضع منها
وقال أبو عبيد الإزجاء في كلام العرب الدفع والسوق وهو كقوله ألم تر أن الله يزجي سحابا أي يسوق ويدفع وقال
بعضهم ناقصة وقال بعضهم جاؤوا بسمن وصوف وقيل جاؤوا بصنوبر وحبة الخضراء وأمثال هذا قالوا ويشبه أن يكون
مزجاة من الترجية كما يقال ترجي يوما بيوم وقوله فأوف لنا الكيل قال بعضهم أوف لنا الكيل بسعر الجياد وما
النقاية ونكيل لنا الطعام بسعر الجياد ولكن قوله فأوف لنا الكيل أي سلم لنا الكيل تاما لأن الله تعالى سمى التسليم على
الوفاء كقوله وأوفوا الكيل والميزان وتصدق علينا بفضل ما بين الثمنين في الوزن وقيل ما بين الكيلين وقال
بعضهم وتصدق علينا أي زد لنا شيئا يكون ذلك صدقة لنا منك لكن يشبه على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة حط الثمن
لأن الصدقة لا تحل للأنبياء ويجوز الحط لهم ويجوز حط من لا يجوز صدقته نحو العبيد المأذون لهم في التجارة يجوز حطه
ولا يجوز صدقته ولذلك يجيء أنه كان يجوز الشراء بدون ثمنه ولا تحل له الصدقة ويحتمل أن يكون قوله مسنا وأهلنا
الضر ذهاب بصر أبيهم مسهم بذلك واشتد الضر وقوله وتصدق علينا أي رد علينا ابن يامين لعل الله يرد بصره عليه
إن الله يجزي المتصدقين قال أهل التأويل إن الله يجزي المتصدقين إن كانوا على دين الإسلام كأنهم ظنوا أنه ليس
على دين الإسلام ولو أنهم ظنوا أنه مسلم لقالوا إن الله يجزيك بالصدقة وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه
هو ظاهر لا يحتاج إلى ذكره وأما ما فعلوا بأخيه قال أهل التأويل هو ما قالوا إنه سرق لكنهم لم يقولوا إلا قدر
ما ظهر عندهم لكن يحتمل هذا لنتول فصل تعيير لكن يشبه أن يكونوا آذوه بأنواع الأذى ولا شك أنهم كانوا يبغضون
يوسف وأخاه حيث قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه قد كانوا علموا
منه ما فعلوا بيوسف لكنه قال هل تذكرون ما فعلتم بيوسف أو أنتم جاهلون بذلك ناسون يقول لهم اذكروا ما
فعلتم بيوسف وتوبوا إلى الله عن ذلك ولا تكونوا جاهلين عن ذلك أو يقول لهم هل عرفتم وتبتم عن ذلك أو أنتم بعد
فيه وقوله إذ أنتم جاهلون قال بعض أهل التأويل إذ أنتم جاهلون أي مذنبون ولكن إذ أنتم جاهلون بقدر يوسف
ومنزلته لأنهم لو علموا قدر يوسف عند الله ومنزلته ما قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ولا خطؤوا أباهم
في حبه إياه حيث قالوا إن أبانا لفي ضلال مبين ولا فعلوا به ما فعلوا والله أعلم قالوا أإنك لأنت يوسف كأنهم
عرفوا أنه يوسف بقول يوسف لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه لما ذكر أخاه معه ولم يعرفوا أنه يوسف
لذلك قالوا والله أعلم قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر يحتمل من يتق معاصيه ويصبر
على بلاياه أو اتقى مناهيه وصبر على أداء أمره أو من اتقى وصبر فقد أحسن أي فهو أنه من يتق الكفر ويصبر
على البلاء فقد أحسن فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ويشبه أن يكون قوله وتصدق علينا أي رده إلى أهلنا
بمعنى ما ذكرنا والله أعلم وقوله قالوا تالله لقد آثرك الله علينا تأسفهم قد اعتادوا في محاوري كلامهم
على جزاء اليمين بذلك هكذا عادة العرب وإلا كان يعلم يوسف أن الله قد آثره عليهم ويشبه أن يكون مخرج القسم
منها على تأكيد معرفتهم فضله ومنزلته أي لم تزل كنت مؤثرا مفضلا علينا وإن كنا لخاطئين أي وقد كنا خاطئين
فيما كان منا إليك من الصنيع أو أن يكون يقول لقد آثرك الله علينا فيما قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا
منا أي لما كان يؤثره عليهم قالوا لو كنت مؤثرا على ما كان أبونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف
لا تثريب عليكم اليوم قال القتبي قوله لا تثريب أي لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وقال بعضهم
لا تثريب عليكم أي لا تنغيص عليكم وقال أهل التثريب لا فرق ويقال ثرب علينا الأمر أي أفسد وقال
أبو عوسجة التثريب الملامة يقول لا لوم عليكم في صنيعكم فقال ابن عباس لا تثريب عليكم أي لا أعيركم بعد
هذا اليوم أبدا ولا أعير عليكم وهذا يحتمل هذين الوجهين أحدهما لا تعيير عليكم ولا ملامة أي ليس عليكم في العقل
تعيير ولا ملام إذا تبتم وأقررتم بالخطأ وهكذا كل من أذنب ذنبا أو ارتكب كبيرة ثم انتزع عنها وتاب منها
لا يعير بها ولا يلام وكذلك قيل في قوله ولا تنابزوا بالألقاب ذكر أنهم كانوا يعيرون أهل الكفر في كفرهم

وبعد ما أسلموا اليهود أن يا بني ويم فيصيغوا بهم مثل صنيعهم بهم في حال كفرهم ولو وجب التعيير والملامة بعد الانتزاع
عنه والتوبة أو يجوز ذلك لكان أصحاب رسول الله معيرين ملامين لأنهم كانوا أهل الكفر في الابتداء فهذا أحد التأويل
في العقل والثاني قوله لا تثريب عليكم لا أجزيكم على ما قال ابن عباس أي لا أذكر ما كان منكم إلى أنهم عن أن يذكر شيئا
مما كان منهم إليه ولذلك قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ذكر أن الشيطان هو الذي فعل ما كان بينه
وبين إخوته وكذلك فعل حيث قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أضاف ذلك إلى الشيطان ولم يضف إلى
إخوته وقوله يغفر الله لكم قطع في القول بالمغفرة لهم حين أقروا بالخطايا وتابوا عما فعلوا وهكذا كل من تاب عن ذنب
ارتكبه ونزع عنه أن يقطع القول فيه بالمغفرة والرحمة وقوله يغفر الله لكم يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة وعلى الإخبار بالوحي
أنه يغفر لهم أو فيغفر لهم أو يقول استغفروا الله الذي كان بينكم وبينه ليغفر لكم وهو أرحم الراحمين لأن كل من يرحم من
الخلائق فإنما يرحم برحمة منه إليه فهو أرحم الراحمين كما قال في قوله خير الحاكمين وأحكم الحاكمين لأن من يحكم من
الخلائق يحكم بحكمه إنما يحكم بحكمه وقوله اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا دل هذا من يوسف
حيث قطع فيه القول أنه يصير بصيرا أنه عن وحي قال هذا لا عن رأي منه واجتهاد إذ قطع القول فيه أنه إذا ألقي على وجهه
يصير بصيرا وقوله يأت بصيرا هذا يخرج على وجهين أحدهما يصير بصيرا على ما ذكرنا والثاني يأتيني بصيرا وقوله وأتوني
بأهلكم أجمعين أراد والله أعلم حيث أمرهم أن يأتوا بأهلهم أجمعين أن يبرهم ويكرمهم حين تابوا عما فعلوا به وأقروا له
بالخطايا منهم وقوله ولما فصلت العير قيل خرجت وفصلت وانفصلت واحد قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف قال
أهل التأويل كان بينهما ثمانين فرسخا يعني بين مصر وبين كنعان مكان يعقوب وقيل مسيرة ثمانية أيام ما بين
الكوفة والبصرة ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك لأنا نعلم أنه كان بينهما مسيرة أيام ثم وجد يعقوب
ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك آية من آيات الله حيث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد
ذلك غيره وذلك من آثار البشارة والسرور الذي يدخل فيه بقدومه قال بعض أهل التأويل ذلك القميص هو من كسوة
الجنة كان الله كساه إبراهيم وكساه إبراهيم إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف لذلك وجد ريحه
لأنه كان من ثياب الجنة فهو وإن ثبت ما قالوا فذلك أيضا حيث وجد هو ذلك ولم يجد غيره وكان هو أيضا لا يجد
ذلك الريح قبل فصول العير وكان مع يوسف احتمل ما قالوا واحتمل أن يكون قميصا من قمصه والله أعلم وقوله لولا
أن تفندون قيل تخرفون وقيل تهرمون وقيل تكذبون وقيل تضعفون وقيل تعجزون وقيل تجهلون وقيل
تسفهون وقيل تحمقون وقيل لولا أن تقولوا ذهب عقلك والمفند معروف عند الناس هو الذي يبلغ في
الكبر غايته كقوله ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وقوله لولا إذا كان على الابتداء فهو على النهي أي لا تفندون
وإذا كان على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها أي لم ينفع وقوله قالوا تالله
هو إذ كونا اثنين اعتادوا في كلامهم على غير إرادة القسم إنك لفي ضلالك القديم قيل في حب يوسف وذكر
القديم كان عندهم أنه هالك لذلك أنكروا عليه وخطؤوه فيما وجد من ريحه وعنده أنه في الأحياء لذلك كان ما ذكروا
والله أعلم وقوله فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا أي رجع بصيرا على ما كان قال أهل التأويل البشير
كان يهوذا وقيل البريد ولا ندري من كان وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى أن المدفوع إليه الثوب كان
واحدا وإن قال في الابتداء اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي وقوله قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله
ما لا تعلمون قال بعض أهل التأويل وذلك أن يعقوب قال لهم قبل ذلك إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
وأعلم من الله ما لا تعلمون أنتم من تصديق رؤيا يوسف وأنه حي وكان يعلم هو من الله أشياء ما لا يعلمون هم وقوله
قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال يعقوب سوف أستغفر لكم ربي طلبوا منه أن يبتهل الاستغفار
فأخرهم ذلك إلى وقت وطلبوا من يوسف العفو وأقروا له بالخطأ والذنب فعفا عنهم وقت سؤالهم العفو لئن
الناس من يقول إنما أخر يعقوب الاستغفار وعجل يوسف لأن قلب الأب يكون ألين وأرق من قلب الشيخ

لذلك كان ما كان لكن هذا ليس بشي انما يكون هذا في عوام الناس فاما الانبيا فلا مع ما قد ادلوا بهم لين
ورقة وخضوعا ومنهم من يقول انما كان كذلك لان وجد يعقوب كان اكثر من وجد يوسف لذلك كان اجابهم يوسف
وقت سوالهم العفو واخر يعقوب الي وقت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله والوجه فيه عندنا والله اعلم انهم انما سالوا
يعقوب وطلبوا منه الاستغفار من ربهم ليكون لهم شفيعا فاخر ذلك الي وقت الاستغفار والشفاعة اذ ليس كل
الاوقات يكون وقتا للاستغفار وطلبوا من يوسف العفو منه فعفا عنهم وقت طلبهم منه العفو لهذا الوجه ويحتمل
ان يخرج معناه والله اعلم ان يكون ليعقوب اخر الاستغفار لان الذنب في ذلك كان بينهم وبين ربهم فاخر الي ان يجي
الاذن من ربه واما الذنب في يوسف فيما بينهم وبين يوسف فعفا عنهم من ساعته وقيل قوله سوف استغفر لكم ربي
اني استغفر ثم او قال سوف استغفر لكم ربي اذا جاء وقته وهو ما قال ابن عباس انه اخر الي وقت السحر وان يكون
اخر الي ان يقدم شيا بين الاستغفار والشفاعة ليكون اسرع الي الاجابة وقوله فلما دخلوا علي يوسف اوى اليه
ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ظاهر هذا ان يوسف كان تلقاهم خارجا من المصر فقال لهم ادخلوا مصر
ان شاء الله امنين ثم لما دخلوا المصر اوى الي نفسه ابويه وضمهما اليه ويشبه ان يكون قال لهم هذا القول وقت
ما قال لهم ايتوني باهلكم اجمعين وادخلوا مصر ان شاء الله امنين ثم لما جاوا ودخلوا المصر ضم اليه ابويه وامرهم
اياهم ان يدخلوا مصر امنين لان المصر كان اهله اهل الكفر فكانهم خافوا الملك الذي كان فيه فذكر لهم الامن لذلك
والله اعلم وذكر الثنيا فيه لانه وعد منه وعد لهم والانبيا صلوات الله عليهم كانوا لا يعدون شيا الا ويستثنون
في اخره كقوله ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وانما ذكر الثنيا في الامن لم يذكره في الدخول لان
الدخول هذا امر وما ذكر من الامن فهو وعد وهو ما ذكرنا انه يستثني في الوعد ولا يستثني في الامر وقوله
ورفع ابويه علي العرش يشبه ان يكون قوله اوى اليه ابويه هو ما ذكر من رفعهما اياهما علي العرش وخص بذكر ابويه
بالرفع علي العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة جميعا لانه لو لم يرفعهم وقد كان عفا عنهم لما اقروا بالخطا
وقال لا تثريب عليكم لكان يتسع عندهم انه قد بقي شي مما كان منهم اليه لكنه خص ابويه بالذكر لشرفهما ويخرج هذا
علي ما يخص الاشراف والاعاظم كقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الي فرعون وملايه ونحو
ذلك ورفع ابويه علي العرش علي ان اتخاذ العرش والجلوس عليه لا باس به اذ لو كان لا يحل او لا يباح ذلك
لكان يوسف لا يتخذ والا كان يعقوب يجلس عليه دل ذلك فيها ان ذلك مباح لا باس به والله اعلم وقوله
وخروا له سجدا قال بعضهم من اهل التاويل كانت تحيتهم يومئذ فيما بينهم السجود ويسجد بعضهم لبعض مكان ما
يسلم بعضنا الي بعض واما اليوم فهو غير مباح وانما التحية في السلام لكن السجود لغير الله ليس يكره لنفس
السجود انما يكره وينهى عنه في السجود وهو العبادة والتذلل لا يحل لاحد ان يجعل العبادة والتذلل لغير الله
واما نفس السجود فانه كالقيام والقعود وغيره من الاحوال يكون فيه المرء والله اعلم ويحتمل قوله وخروا له
سجدا اي خروا لله خاضعين له ذليلين وقال بعضهم وخروا له سجدا اي خروا لله سجدا شكرا له لما جمع بينهم
ورفع ما كان بينهم وهو قول ابن عباس وقوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا
اي حقق تلك الرؤيا التي رايتها من قبل وجعلها صدقا قال راي يوسف رؤيا فخرجت رؤياه بعد حين ووقت
وزمان طويل فهذا يدل ان الخطاب اذا قرع السمع يجوز ان ياتي بيانه من بعد حين وزمان ويجوز ان يكون
مقرونا به وليس في تاخير بيان الخطاب تلبيس ولا تشبيه علي ما قال بعض الناس وقوله وقد احسن بي اذ
اخرجني من السجن ذكر احسانه اليه وسنته ولم يذكر محنته بالتصريح انما ذكرها بالتعريض حيث قال وقد احسن
بي اذ اخرجني من السجن ولم يقل سجنت او حبست وانما له ما كان ابتلاه الله به وقوله وجاء بكم من البدو
قيل من البادية لانهم كانوا اهل بادية اصحاب المواشي وقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وكان النزغ هو الافساد علي ذكر اهل التاويل اي بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي واضاف ذلك

الي الشيطان لما كان قال لهم لا تثريب عليكم حين اقروا له بالفضل والخطايا فعلهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء اللطيف
هو اسم لشيين اسم البر والعطف يقال فلان لطيف اي بار عاطف والثاني يقال لطيف اي عالم باللطف من الاشيا
والصغر كما يعلم بالعظم والجسم او يقال لطيف اي يعلم المستور من الامور الخفية علي الخلق كما يعلم الظاهر منها والبادية
لا يخفى عليه شي يعلم السرائر يقال له عليم ولطيف ليعلم ان ليس يمنعه من علم ما يعلم من عظم الخلق اذ لا يكون في الخلق
ان يكون عظيما لطيفا ويجوز في الله ليعلم ان ما يعلم من هذا غير ما يعلم من الاخر والله اعلم وقوله انه هو العليم الحكيم
اي العليم بما كان ويكون وبما ظهر وما بطن وما يسر وما يعلن وبكل شي او عليم بعواقب الامور وبداياتها الحكيم حكم بعلم
ووضع كل شي موضعه لم يحكم بجهل ولا غفلة ولا سفه في ما يحكم الخلق تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا

تلك ايات في سورة يوسف علي المعتزلة قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن اخبر انه لو لم يصرف
عنه كيدهن مال اليهن وهم يقولون قد صرف عن كل احد السو والكيد لكن لم ينصرف عنه ذلك وكذلك قوله ان النفس
لامارة بالسو الا ما رحم ربي اخبر انه اذا رحم امتنع عن السو والا مر به وهم يقولون انه وان رحم لا يمتنع السو الا
الا مر به وكذلك قوله نصيب برحمتنا من نشاء وهم يقولون ليس له ان يصيب احدا دون احد من رحمته ولا ان يخص
احدا بذلك وقوله رب قد اتيتني من الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من الملك لانه لم يوت كل الملك اذ كان فوقه ملك
اكبر منه لكن لا يصح هذا ذكر من الملك اذ معلوم انه لم يوت لاحد كل ملك الدنيا قال الله تعالى توتي الملك من تشاء ويكون
في وقت واحد ملوك فقال مقاتل من صلة كانه قال رب قد اتيتني الملك لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله رب قد
اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث الي اخر ما ذكر قدم دعاه وسواله ربه ما سال احسانه اليه ومحاسنه
وصنايعه ليكون ذلك وسيلة الي ربه في الاجابة وفي ذلك دلالة نقض قول المعتزلة من وجهين احدهما يقولون ان كل
احد شفيع عند يوسف فلم يذكر ما كان منه اي فعلت كذا او فعل بي كذا ولكن ذكر نعم الله واحسانه اليه والثاني من
قولهم انه لا يوتي احدا ملكا ولا يمنع الا بعد الاستحقاق به ولا يكون من الله الي احد نعمة واحسان الا بعد الاستحقاق
ومن قولهم ان كل احد هو المتعلم لا ان الله يعلم احدا وقد اضاف يوسف التعليم الي الله حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث
وهم يقولون لم يعلم ولكن هو يتعلم وقوله وعلمتني من تاويل الاحاديث قال اهل التاويل تعبير الرويا ولكن الاحاديث
هي الانباء والتاويل هو علم العاقبة وعلم ما يول اليه الامر كانه قال علمتني مستقر الانباء ونهايتها كقوله لكل نبا
مستقر والله اعلم وقوله فاطر السموات والارض كانه علي النداء الدعا ذكر يا فاطر السموات والارض لذلك انتصب
وقوله انت وليي في الدنيا والاخرة يشبه ان يكون تاويل انت وليي في الدنيا والاخرة كما يقال فلان ولي
نعم فلان ويحتمل انت اولى بي في الدنيا والاخرة او انت ربي وسيدي في الدنيا والاخرة وقوله توفني مسلما سال
صلي الله عليه وسلم التوفي علي الاسلام والالحاق بالصالحين وهو والله اعلم وقد كان الله قد
اتاه النهاية في الشرف والمجد في الدنيا دينا ودنيا لان النبوة هي الشرف الذي هو النبوة والرسالة لا نهاية الشرف
في الدنيا الملك فاحب ان يكون له في الاخرة مثله فقال توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم يحتمل سواله ان يلحقه بالصالحين
الصالح ويحتمل انه سال ان يلحقه بالصالحين اباه واجداده وجميع الانبيا والرسل وقوله توفني مسلما والحقني بالصالحين
هو نقض علي المعتزلة ايضا ومن قولهم ليس له ان لا يتوفاه مسلما فيكون في دعائه عابثا علي قولهم والثاني علي قولهم
لا يملك ان يتوفاه مسلما لان من قولهم انه اعطى كل احد ما به يكون مومنا حتى لم يبق عنده شي فمن سال اخر شيا
يعلم انه ليس عنده فهو يهزا به او يكون فيه كتمان النعمة وفي كتمان النعمة كفرانها وقوله ذلك من انباء الغيب ذلك
اي خبر يوسف واخوته وقصصهم التي قصصنا عليك واخبرناك به من انباء الغيب لم تشهدها انت
ولم تحضرها كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فيعلم انك انما علمت وعرفتها بالله وحيا ليدلهم علي
انك رسول الله بذلك والله اعلم وقوله وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون اي ما كنت لديهم ولا حضرتهم
فتدري ان ما كان ليدلهم علي ما ذكرنا من الرسالة وقوله وهم يمكرون بابيهم واخيهم اما مكرهم بابيهم حيث قالوا

يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون اخبروا انهم له ناصحون ثم لم يكن منهم ما ذكروا حيث قالوا ارسله معنا
غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ضمنوا له الحفظ ثم لم يحفظوه مكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال في اللغة والاخذ
في جهة الامن وقد فعلوا هم بابيهم يعقوب واخيهم يوسف وقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي ما اكثر الناس
بمؤمنين ولو حرصت بايمانهم ان يكونوا مؤمنين كقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء كان صلى الله عليه
وسلم بلغ من شفقته ورحمته على الخلق ورغبته في ايمانهم حتى كادت نفسه تهلك في ذلك حيث قال لعلك باخع نفسك الاية
وقوله فلا تذهب نفسك ولا تحزن عليهم كان حرص على ايمانهم بلغ ما ذكر حتى خفف ذلك عليه بهذه الايات وقال
بعض اهل التاويل قوله وما اكثر الناس يعني اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين لهم كذلك كانوا اكثرهم غير مؤمنين واهل
مكة وغيرهم سواء الكل كذلك كانوا وقوله وما تسالهم عليه من اجر اي ما تبلغ اليهم وتدعوهم الى طاعة الله وجعل العبادة
له وتوجيه الشكر اليه لا تسالهم على ذلك اجرا فما الذي يمنعهم عن الاجابة لك فيما تدعوهم والائتمار بامرك وهذا
يدل انه لا يجوز اخذ الاجر على الطاعات والعبادات حيث نفى واخبر انه لا يسالهم على ما يبلغ اليهم اجرا وهو لم يمكنه
تبليغ جميع ما امر بتبليغه بنفسه الى الخلق كافة بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس الاية ولكن بعضهم عن بعض كقوله
الا فليبلغ الشاهد الغايب فاذا لم يجز له اخذ الاجر فيما يبلغ هو لذلك كان لا يجوز لمن يبلغ عنه ايضا الا
يجوز ان ياخذ الاجر عليه فيما يبلغ وفي قوله وما تسالهم عليه من اجر وجهان احدهما انه ليس يسالهم على الذي يبلغه اليهم
ويدعوهم اجرا حتى يمنع بذلك ذلك ويثقل عن الاجابة له والثاني اخبار ان ليس له ان ياخذ وان جمع من الدنيا شيا
كقوله ولا تمدن عينيك الاية ومعلوم انه لا يمد عينيه الى ما لا يحل فيكون النهي عن اخذ المباح وقوله
ان هو الا ذكر للعالمين اي هذا القران الذي يبلغهم ليس الا ذكر وموعظة للعالمين او هو تذكير عظة وذكرى
للعالمين اعني النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اي شرف وذكر لمن اتبعه وقام به وهو ذكر
في اية اخرى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقوله لا يه للعالمين اي منفعته تكون لمن اتبعه فيلي ذكر هذا
وقوله وكاين من اية اي كم من اية في السموات والارض قال بعض اهل التاويل الايات التي في السماء مثل الشمس
والقمر والنجوم والسحاب وامثاله والايات التي في الارض من نحو الجبال والبحار والانهار والمداين ونحوها
لكن السماء نفسها اية والارض نفسها اية وما يخرج منها من النبات اية يمرون عليها وهم عنها معرضون اي هم
عنها معرضون عما جعلت من الايات لانها انما جعلت ايات لوحدانية الله والوهيته فهم عما جعلت من ايات
معرضون وبالله الهداية والعصمة وقال بعضهم في قوله وكاين من اية اي كم من اية دليل وعلامة على وحدانية
الله في خلق السموات والارض وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم ايات السماء ما ذكرنا من نحو الشمس والقمر
والكواكب وايات الارض فمثل اثار الامم التي اهلكوا من قبل نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم
ممن قد اهلكوا يمرون عليها ويرونها فلا يتعظون بهم وهو الوصف فيه ما ذكرنا انهم معرضون عما جعلت تلك الايات
وانما جعلت ايات لوحدانية الله والوهيته او معرضون عن التفكر فيها والنظر اعرضوا معاندة ومكابرة ثم يحتمل
الاعراض وجهين احدهما اعرضوا اي لم ينظروا اليها ولم يتفكروا ليعلموا على وحدانية الله والوهيته فاعرضوا
عنها والثاني نظروا وعرفوا انها ايات لوحدانيته الا انهم اعرضوا عنها مكابرة ومعاندة ليس في السموات ولا في
الارض شيء وان لطف الا وفيه دلالة وحدانية الله واية الوهيته وقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون يحتمل هذا وجهين احدهما في الاعتقاد اي وما يؤمن اكثرهم بالله بانه لا اله الا الله وهم مشركون الاصنام
والاوثان في التسمية وتسميتها الهة كقوله قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا والثاني في الاشراك في الفعل اي وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم عبدوا غيره من الاصنام والاوثان
او ان يكون وما يؤمن اكثرهم بالله على نعمه الا وهم مشركون يشكرون غيره او يتقرب وما يؤمن اكثرهم بالله في النعم
انها من الله الا وهم مشركون في الشكر له وقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة

كهـ

وهم لا يشعرون اي كيف امنوا ان ياتيهم عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وقد سمعوا اتيان العذاب بمن قبلهم وعلموا
وقد جاءهم خبر اتيان الساعة وخافوا منها وانهم لم يعلموا اين تلك حقيقة لما تركوا العمل بها وترك معاندة ومكابرة لما ترك ما لهم
من لطف ومن الايات له التخويف والاعلام وغاشية من عذاب الله قال ابو عوسجة اي مجللة تغشيهم ومنه قوله هل اتيك
حديث الغاشية وهو ما ياتيهم العذاب من فوقهم وقال القتبي غاشية من عذاب الله اي عذاب من عذاب الله وهو كقوله
ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك يحتمل ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وكذلك بقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وان كانت الايات نزلت فيهم لانهم
يمرون بما ذكر من الايات ولا يعتبرون بما ذكر ولذلك يكونون امنين عن غاشية من عذاب الله وقوله قل هذه سبيلي
السبيل يذكر ويؤنث ويحتمل هذه الطاعة او العبادة يحتمل قوله سبيلي هذه التي انا عليها ويحتمل هذه سبيلي التي
ادعوكم الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي ببصيرة العلم والبيان والحجة البينة اي هذه سبيلي التي انا ادعوكم اليها انما
ادعوكم على بصيرة اي على علم وبيان وحجة قطعية وبرهان نير ليس كما يدعوكم اولئك الى عبادة الاصنام دعوة الهوى والشهوة
بغير حجة ولا برهان ومن اتبعني اي ومن اتبعني ايضا فانما يدعوكم ايضا على حجة وبرهان اذ من يجيبني فانما يجيب
على بصيرة وبيان وحجة وسبحان الله وما انا من المشركين قيل كان هذا صلة قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
سبحان الله تنزيه عما قالوا وتبرية عما قالوا في الله مما لا يليق به وما انا من المشركين في الوهيته وربوبيته غيره
او في عبادته والله اعلم وقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم ذكر رجالا والله اعلم اي لم نبعث رسولا من
قبل الا بشرا لم نبعث ملكا ولا جنا فكيف انكرتم رسالة محمد بانه بشر ولم يروا رسولا من قبل ولا سمعوا الا من البشر كقوله
ابعث الله بشرا رسولا وكقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا والله اعلم الا رجالا من البشر لا ملكا ولا جنا
او ذكر رجالا لانه لم يبعث امراة رسولا وقوله يوحي اليهم من اهل القرى اي انما ارسل الرسل من اهل الامصار والمدن
لم يبعثوا من اهل البوادي واهل البراري والقرى انما يريد الامصار على البيان وقال الله تعالى وضرب الله مثلا
قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل في مكة جميع ما ذكر في القران من القرية والقرى
يريد به الامصار والمدن وانما بعث الرسل والانبياء من الامصار ولم يبعثهم من البوادي ومن اهل البراري لوجهين
والله اعلم احدهما لان اهل الامصار والمدن اختلاطها باصناف الناس وامتزاجها بانواع الخلق ويكون لهم تجارب
العقل بالخلق فهم اعلم واعقل وابصر من اهل البادية والبرية اذ اختلاطهم وامتزاجهم انما يكون بالماشية وانواع
البهايم لذلك بعثوا من الامصار دون البادية ويعرفون الرسل يكون لهم اسباب واعلام تتقدم عن وقت
الرسالة تحتاج الى ان يظهر ذلك للخلق ليكون اسرع الى الاجابة لهم وادعى وانقاد الى القبول فاذا كانوا
من اهل البوادي لا يظهر ذلك للخلق والثاني انه يراد من الرسل اظهار ما في الخلق في الافاق والاطراف والامصار
والمدن مثل مكة التي ينتاب الناس اليها في التجارات وانواع الحوائج من الافاق والاطراف فيظهر ذلك فيها
وفي اهل الافاق واما اهل البوادي والبراري ليس بحضرة ولا ينتاب اليها الا القليل من الناس ولا يقضي فيها
الحوائج فلا يظهر في الخلق الرسالة وما يراد بها وقوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم اي الم ينظروا ويتفكروا في من كان من قبلهم من الامم بتكذيبهم الرسل انه كيف كان عاقبتهم
بالتكذيب في الدنيا ليمتنعوا عن تكذيب رسولهم وقوله افلم يسيروا في الارض لا يحتمل ان يخرج على وجهين
احدهما اي قد ساروا ونظروا كيف كان عاقبة المكذبين لكنهم عاندوا ولم يعتبروا والثاني اي سيروا في الارض
وانظروا ولكن ليس على نقل السير في الارض ولكن على السؤال عما نزل باولئك وقوله ولدار الاخرة خير للذين
اتقوا الشرك او ضلال ولله ورسوله افلا تعقلون ان ذلك افضل واخير من لم يتق ذلك والله اعلم وقوله
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا كلاهما قراتان قال بعضهم ايس الرسل من ايمان قومهم
وتصديقهم الرسل ثم يحتمل استياسهم عن ايمانهم لكثرة ما راوا من عنادهم الايات وتعرضهم ردها اليوم عن

ايمانهم اذ كان اياسهم بالخبر عن الله انهم لا يؤمنون كقوله واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن الاية وامثاله وقوله
وظنوا انهم قد كذبوا قال بعضهم ظن الرسل ان اتباعهم الضعفة كذبوهم لكن هذا ان كان من الرسل فهو ظن من الرسل ان
اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم من الشدايد وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر فوقع عند الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم
وان كان من الاعدا فقد استيقن الرسل انهم كذبوهم وروي عن عروة بن الزبير انه سال عايشة رضي الله عنها فقلت ارايت قوله
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قال فقالت بل كذبهم قومهم قال فقلت والله لقد استيقنوا
ان قومهم قد كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عرية لقد استيقنوا بذلك قال فقلت فلعلهم ظنوا ان قد كذبوا قالت معاذ الله
لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها ولكن هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلا واستاخر
عنهم النصر حتى اذا استياست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وقال بعضهم
حتى اذا استياس الرسل عن ايمان قومهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من العذاب انه نازل بهم لما ابطا
عليهم العذاب وقال بعضهم وظنوا انهم اي ظن قومهم ان رسلهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا فان كان الاية في اتباع
الرسل على ما ذكر بعضهم فهو كقوله [illegible] والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب فان كان في غيرهم من المكذبين فقد جاء
الرسل نصر الله وقوله فنجي من نشا من المومنين فهو في ظاهره خبر على المستقبل اي ننجي من نشا من المومنين ويشبه ان يكون
على الخبر في اولئك فان كان على هذا فنجي ان يكون نجينا من نشا منهم واهلكنا من لم نشا منهم لكن يجوز هذا في اللغة ويكون فنجي
الاخرى نجي من نشا وقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اي لا يرد عذابنا اذا انزل عن المجرمين وقوله لقد كان
في قصصهم عبرة لاولي الالباب يحتمل قوله في قصصهم قصص يوسف واخوته وهي عبرة لاولي الالباب ويحتمل قصصهم
قصص الرسل والامم السالفة جميعا عبرة لاولي الالباب والاعتبار انما يكون لاولي الالباب الذين ينتفعون
بلبهم وعقلهم وقوله ما كان حديثا يفترى يحتمل اي ما حدث هو واخوته من القصص واخبار الرسل والامم السالفة
بالذي افترى بل انما اخبر ما كان في الكتب السالفة على غير تعلم منه ولا دراسة كتب ويحتمل ما كان هذا القران
بالذي يقدر ان يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي تصديق الذي نزل على رسول الله الكتب التي كانت
من قبل وتفصيل كل شي اي تفصيل ما للناس حاجة اليه وهدى من الضلالة لمن اهتدى ورحمة للمومنين وفي ذكره
قصص يوسف واخوته على رسول الله دلالة التصبير على قريش يقول ان اخوة يوسف عليه السلام مع موافقتهم
اياه في الدين والنسب والموالاة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر فقومك مع مخالفتهم اياك في الدين احرى ان تصبر على اذاهم

سورة الرعد ذكر انها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى المر تلك ايات الكتاب
يحتمل ان يكون قوله المر كناية عن الاحرف المقطعة المعجمة فيكون قوله تلك ايات الكتاب تفسير المر هذا
هو الظاهر انه في ذكر الحروف المعجمة والمقطعة ان يكون ما ذكر من بعدها على اثرها كان تفسيرها والثاني
يشبه ان يكون قوله المر كناية عن الحجج والبراهين وساير الكتب كانه قال تلك الحجج والبراهين وساير الكتب جعلناها
ايات القران وحججه وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم من اختلف في قوله تلك ايات الكتاب والذي
انزل اليك من ربك قال بعضهم تلك ايات الكتاب التورية والانجيل وساير الكتب المتقدمة وقوله والذي
انزل اليك من ربك هو الحق القران الذي انزل على محمد وقال بعضهم تلك ايات الكتاب هو القران والذي
انزل اليك من ربك ايضا هو القران لكنه اجزاه منزل من ربك الحق وقوله الحق يحتمل هو الحق اي منزل من الله ليس
بتقول اذ قيل انه ليس من الله انما يتقوله محمد من تلقا نفسه ويحتمل الحق اي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
والله اعلم وقوله ولكن اكثر الناس لا يومنون انه من الله او اكثر الناس لا يومنون انه ايات الله وحججه
والله اعلم وقوله الله الذي رفع السموات قوله رفع اي انها لمرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها

في الابتدا مرفوعة وكذلك قوله والارض وضعها للانام وهذا الارض والجبال ارسيها وعن ذلك اي انها مرفوعة بعد ما ل
لا انها كانت مرفوعة فوضعها او كانت منقبضة فبسطها ولكن كذلك كان كذلك وقوله بغير عمد ترونها قال بعضهم بغير عمد لكن لا
ترونها اي ترونها بغير عمد وهي بعمد وقال بعضهم هي بغير عمد على ما اخبر ولكن اللطف والاعجوبة فيها انها بغير عمد لا ترى كاللطف
والاعجوبة فيما يمسكها بغير عمد لانه في ان هذا لم يعرف ولا قدر على رفع سقف في سعة هذا بغير عمد لا ترى لكن ما رفع
انما رفع بغير عمد ترى فاللطف في هذا كاللطف في الاخر وفيه دلالة قدرته على البعث لانه ذكر هذا في ذلك لعلكم بلقا
ربكم توقنون اي من قدر على رفع السماء في سعتها وبعدها بلا عمد لقادر على اعادة الخلق وبعثهم واحيائهم بعد الموت بل رفع
السماء في سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشي بعد فنائه اذ في الشاهد من قد يقدر على اعادة اشيا بعد فنائها
ولا يقدر على رفع سقف في سعته وبعده بغير عمد من ذا الوجه اكبر الايتين والله اعلم وقوله ثم استوى على العرش لما
يفهم من قوله سميع بصير عليم مدبر الحكام وان كان في الشاهد يفهم منه المكان اذا اضيفا الى المخلوق لم يجز ان يفهم من
استوايه ما يفهم من استوا الخلق وبعد فان في الشاهد اذا قيل فلان استولى امر بلده كذا واستوى على امر لم يفهم
منه المكان بل فهم منه نفاذ الامر والسلطان والمشية فعلى ذلك لم يجز ان يفهم من استوايه اذا اضيف اليه المكان واصله
ما ذكرنا فيما تقدم انه لا جزاء انه ليس كمثله شي فهو في كل شي وكل وجه لا يشبه الخلق ذا الخلق في ان هذا لا يشبه بعضهم بعضا
من جميع الجهات انما يشبه بعضهم بعضا من جهة ثم صاروا جميعا اشكالا واشباها بتلك الجهة التي وقعت بينهم الشبه فاذا لم
يشبهه لما انه ليس كمثله شي دل انه انما نفى عنه الجهات التي بها يقع الشبه والمثل فهو يخالف الخلق من جميع الوجوه
وهو مسلم من كونه فيما تقدم اختلف في العرش قال بعضهم العرش هو المحتوون بهم استوى تدبيرا فانما خلقهم من العالم
لانهم هم المقصودون في ان ذلك كله وقال بعضهم العرش البعث به استوى وتم تدبير الخلايق ما لولا البعث
يكون انشاوهم عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل عدم الرجوع اليه انشا الخلق
عبثا وقال بعضهم العرش هو الملك به ثم ما ذكر وقيل [illegible] الملك وقوله يدبر الامر على ما في العقل انه تدبير
مدبر حكيم ومن علم وحكمة ووضع ليس على الجزاف بلا تدبير والله اعلم وقوله يفصل الايات يحتمل يبين الحجج والبراهين ويحتمل
يفصل الايات اي ايات القران انزلها بالتفاريق لا بالجملة لعلكم بلقا ربكم توقنون هو ما ذكرنا ان فيما ذكر من الايات
والتدبير في رفع السما بلا عمد دلالة البعث والاحيا بعد الموت وقوله بلقا ربكم هو كما ذكرنا في قوله اليه مرجعكم
جميعا ونحو ذلك جميعا وامثاله والله اعلم وقوله وهو الذي مد الارض وقال في اية اخرى والارض بعد
ذلك دحاها وقال في موضع اخر والى الارض كيف سطحت والكل واحد وقال الارض فراشا وهذا يذكرهم نعمه
التي انعمها عليهم مد الارض اي بسطها وجعل فيها رواسي ذكر انها بسطت على الماء فكانت تكفو باهلها وتضطرب كما
تكفو السفينة فارساها بالجبال الثقال فاستقرت وثبتت وذكر انها مدت وبسطت على الصوامع ابنيتها بالاكر
من الجبال ولكن لو ما ذكر لكان يجوز ان لا يكون بالجبال ثباتها واستقرارها لان الارض والجبال من طبعها التسفل
والانحدار في الما والهوا وكلما زيد من ذلك النوع كان في التسفل والانحدار الا ان يقال انها كانت اكثر وازيد
فلا يكون بها الثبات والاستقرار بل انما يكون الثبات والاستقرار بشي من طبعه العلو والارتفاع فيمنع ذلك الشي
الذي من طبعه العلو عن التسفل والانحدار الا ان يقال انها كانت لا تتسفل ولا تترسب ولكن تضطرب وتميد
باهلها على ما ذكر عز وجل وجعل في الارض رواسي ان تميد بهم فان كان على هذا فيكون الجبال لثباتها واستقرارها
ومنعها من الاضطراب والميلان او ذكر هذا ليعلم لطفه وتدبيره حيث امسكها بشي من طبعه التسفل والانحدار
وهي في نفسها كذلك ليعلم قدرة الله ولطفه في كل شي والله اعلم من ذلك وقوله مد الارض اي انها ممدودة لا
انها كانت مجموعة في مكان فبسطها على ما ذكر من رفع السما ونحوه وجعل فيها رواسي وانها اجل الله عز وجل الاشيا
اكثرها باسباب تعلمها منه الخلق ليكون ذلك عليهم اعون وان كان جعل الاشيا على باسباب وبغير اسباب
سوا اذ هو قادر بذاته فيذكر هذا اماكن النعم التي انعم عليهم من مد الارض وبسطها واثباتها بالرواسي التي ذكر

وجعل الانهار فيها ليصلوا الى الانتفاع بها ليستاوي به تمكن او يذكر تحقق الاخبار عن قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا يدخل
فيها شي فاجزاوه ظن في الحكم كن انهارا وعظنا ليعرفوا قدرته وقوله وانهارا اي وجعل فيها انهارا اجزاه سعة الارض وبسطها
وجعلها مستقرا ثابتة ليستقروا عليها ثم اجزاه جعل فيها انهارا ليستمتعوا بها من جميع انواع المنافع ثم اجزاه جعل فيها من كل
الثمرات زوجين قال بعض اهل التاويل زوجين اثنين اي لونين وقال بعضهم ذو طعمين لكن يكون فيها الوان الكثير من
لونين احمر وابيض واسود واصفر ونحوه وكذلك الطعم يكون حامض وحلو ومر ونحوه الا ان يقال زوجين اثنين الطيب
والخبيث فلا يكون ثالث واما اللون فانه يكون ذو الوان وذو طعوم وقال بعضهم الذكر والانثى فهذا يصح اذا اراد
بالشجر فمنه ما يثمر ومنه ما لا يثمر فالذي يثمر هو انثى والذي لا يثمر هو ذكر واما على غير هذا فانه لا يصح واصل الزوجين هو
اسم الاشكال والامثال واسم الاضداد ففيه دليل نفي ذلك كله عن الله واصل الزوج هو من له المقابل من الاشكال والاضداد
اجزاه جعل الخلق كله ذا اشكال واضداد نحو الليل والنهار والذكر والانثى فهو في حق المنافع كشي واحد في
حق التسمية كالاشيا وقوله يغشي الليل النهار اي يذهب ظلمة الليل بضوء النهار وضوء النهار بظلمة الليل او يلبس احدهما
الاخر ويغطي الليل بالنهار او يا ظاهر الخلق وبالنهار هو مستور خفي على الخلق والله اعلم وقوله ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون فيما ذكر دلالة البعث والاحيا ودلالة التدبير والعلم والحكمة ودلالة الوحدانية لقوم يتفكرون في
اياته وتخرج للقوم يعاندون في اياته ويكابرونها وقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ذكر ان الايات تكون
الايات لمن بالتفكر والنظر فيها لان تصير ايات بجانبها لا بديهة او يقول ان منفعة الايات تكون لمن تفكر فيها لا لمن
ترك التفكر والنظر والله اعلم وقوله وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب ذكر قوله قطع متجاورات
ان التجاور انما يذكر ويثبت اذا كانت الارض قطعا واما اذا كانت الارض ارضا واحدة فانه لا يقال فيها التجاور
فهذا يبطل قول من يقول ان التجاور انما يذكر في الشركة فتجب الشفعة فيما فيه الشركة واما في غيره فلا يجب وانما
عندنا هو ما ذكر عز وجل انه انما اثبت التجاور في الارض التي صارت قطعا وقوله قطع متجاورات وجنات من اعناب
القطع المتجاورات من الارضون الضواحي التي تصلح للزرع وجنات من اعناب اي جنات متجاورات ايضا
والجنات هي البساتين المحفوفة بالاشجار في الوان الثمار وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قيل صنوان
هو النخلتان في اصل واحد وغير صنوان النخل المتفرق وقيل الصنوان ما كان اصله واحدا وهو متفرق وغير
صنوان التي نبتت وحدها وقيل صنوان هي النخل تخرج فاذا خرجت انشعبت بعد خروج الاصل فهو الصنوان
ولذا قيل عم الرجل صنو ابيه تسقى بما واحد اي يسقى ما ذكر من الزروع والنخيل والثمار والجنان بما واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جوهر الارض كلها واحد وهي قطع متجاورة بعضها ببعض ثم هي
مختلفة في حق الثمار والفواكه وكذلك الاشجار والنخيل كلها من جوهر واحد من جنس واحد والارض في جوهرها
واحد وتسقى كلها بما واحد ثم تخرج مختلفة في الوانها وطعومها وطيبها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم
تكن بنفسها ولا بالاسباب التي جعل لها ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانها لو كانت بانفسها وطباعها
او بالاسباب لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن ما ذكرنا على لون واحد
ولا طعم واحد ولا منظر واحد دل انه كان بتدبير واحد مدبر عليم لطيف وقوله ونفضل بعضها على بعض
في الاكل قيل في الحمل بعضها اكثر حملا من بعض وبعضها يحمل وبعضها لا ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبيث والطعم
واللون والمنظر نفضل بعضها على بعض واصله ان الارض واحد متجاورة متصل بعضها ببعض والما واحد
ايضا ثم خرجت الثمار والفواكه والزروع والاعناب مختلفة متفرقة ليعلم ان ذلك ليس هو عمل الارض ولا عمل
الما ولا عمل الاسباب والطباع ولكن باللطف من الله لانه لو كان بالما او بالارض او بالاسباب او الطباع لكانت
متفقة مستوية ان في ذلك لايات لما ذكرنا من وحدانيته وتدبيره وعلمه وحكمته لقوم يعقلون اي لقوم هم
همتهم العقل والفهم والنظر والتفكر في الايات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم ينتفعون بعقلهم

وعلمه وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض في الاصل طينة واحدة فسطحها الرحمن ثم بطحها فصارت
الارض قطعا متجاورات فينزل عليها الما من السما فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها وتحيا بانهارها وتخرج
هذه سبخها وملحها وخبثها وكلتاهما تسقى بما واحد فلو كان الما ملحا قيل استسبخت هذه من قبل الما كذلك الناس
خلقوا من ادم ثم ينزل عليهم من السما تذكرة واحدة فترق قلوب فتخشع وتخضع وتقسو قلوب فتسهو وتلهو وتجفو
او كلام نحو هذا ثم قال الحسن والله ما جالس القران احد الا قام عنه بزيادة او نقصان ثم تلا قوله وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله وان تعجب فعجب قولهم قال الحسن ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك
في الرسالة فعجب قولهم حيث قالوا ايذا كنا ترابا اينا لفي خلق جديد وقال بعضهم وان تعجب يا محمد مما اوحينا اليك من
القران كقوله في الصافات بل عجبت ويسخرون فعجب قولهم ايضا قولهم يقول ان قولهم اعجب عندك حين قالوا ايذا
كنا ترابا اينا لفي خلق جديد تكذيبا بالبعث والاصل والله اعلم يقول انك ان عجبت من قولهم في تكذيبهم اياك في الدنيا لدعوتهم
رسولا من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحيا بعد الموت اعجب اذ قد راوا وشاهدوا من قدرة الله
واياته ما لو تفكروا وتاملوا ولم يعاندوا عرفوا انه قادر على ذلك كانه وصفهم الله بالعجز وانه لا يقدر على البعث والاحيا
بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة لم يكن سبق منك اليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله
اليهم ما يبين لهم قدرته على ذلك وعلى اكثر منه والاصل والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك ولم يكن
منك اليهم حقيقة الهداية والنعم والايات والحجج وانما كان منك البيان والدعا فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله
على البعث وقولهم في الله سبحانه ما قالوا فيه بعد معرفتهم حقيقة نعمه فذلك كله بالله اليهم والله اعلم وقوله اولئك
الذين كفروا بربهم يشبه ان يكونوا لما كفروا بالبعث كان كفرهم بالبعث كفرا بالله لانهم عرفوه عاجزا حيث قالوا
لا يقدر على بعث الخلق ومن عرف ربه عاجزا فلم يعرف الرب لحقيقة والاله الحقيقة وقوله واولئك الاغلال في
اعناقهم قال بعضهم صار الكفر في اعناقهم اغلالا حيث انكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الاصنام والاوثان
معبودهم يعكفون عليها ويخضعون لها فذلك هو الاغلال في اعناقهم وقال بعضهم قوله واولئك الاغلال في اعناقهم
في الاخرة كقوله خذوه فغلوه الاية واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
الاستعجال يكون على وجهين يكون طلب الفعل ويكون الفعل نفسه كقوله ادعوني استجب لكم قيل اجب لكم وقوله
فليستجيبوا لي اي ليجيبوا لي وقوله ويستعجلونك فان كان في طلب الفعل فهو ما سالوا العذاب رسوله كقوله سال
سايل بعذاب واقع وكقوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما الاية فهو والله اعلم المهالك قبل سوالهم تاخير العذاب وامهالهم وتاخير العذاب عنهم
وامهالهم من الحسنة فاستعجلوا بهذا قبل هذا وان كان الفعل نفسه فقوله يستعجلونك اي يعجلونك بالسيئة اليك
قبل ان يكون منهم اليك حسنة حيث كذبوك في الرسالة واذوك في نفسك ولم يكن منهم اليك احسان من قبل والله
اعلم بذلك وقيل بالسيئة العذاب على ما ذكرنا قبل الحسنة اي قبل العفو وسوالهم السيئة والعذاب بجهل منهم
انه رسول وانه صادق لانهم لو علموا انه رسول وانه صادق فيما يخبر ويوعدهم من العذاب كانوا لا يسالون لانهم
يعلمون ان الله يقدر على ان ينزل عليهم العذاب لكن سالوا ذلك لجهلهم بانه رسول سوال الاستهزا والسخرية فان
كان على هذا سوالهم كان فيه دلالة ان العقوبة والعذاب قد يلزم من جهل الامر اذا كان سبيل العلم به النظر
والتفكر فيه ورسوله جهلوا انه رسول الله لتركهم النظر والتفكر والله اعلم وقوله وقد خلت من قبلهم المثلات
قال بعضهم العقوبات اي قد كان في الامم الخالية العقوبات بسوالهم العذاب والمعاندة في الايات اذا جات
كانه والله اعلم يصبر رسوله على سفههم بسوالهم العذاب والايات المقترحة ثم المعاندة فيها يقول كان في الامم
الماضية من سوال العذاب والايات ثم المعاندة من بعد نزولها فنزلت بهم العقوبات فعلى ذلك هولا وقال بعضهم
المثلات الامثال والاشباه وكذلك ذكر في حرف حفصة وقد خلت من قبلهم الامثال وتاويله والله اعلم اي فقد

خلت من قبلهم المثلات الامثال ما لو اعتبروا بها كان مثلا لهم ولكن لا يعتبرون فيمنعهم من امثال ذلك وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال بعضهم لذو مغفرة لذو ستر على ظلمهم وتاخير العذاب الى وقت كقوله انما يؤخرهم ليوم وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقال بعضهم لذو مغفرة للناس على ظلمهم اذا تابوا وتركوا ظلمهم او يكون قوله لذو مغفرة للمؤمنين على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب لمن لم يتب ومات على الظلم والشرك وقوله وان ربك لشديد العقاب للكفار وعلى التاويل الاول وان ربك لشديد العقاب اذا عاقب وقوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقال في موضع اخر فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقال في اية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر ما ذكر فيحتمل سؤالهم الاية كما ارسل الاول عين تلك الايات التي اتت بها الرسل الاولون وليس عليه ان ياتي بعين تلك الاية انما عليه ان ياتي باية تخرج عن قدرتهم وطباعهم والرسل جميعا لم ياتوا باية واحدة انما جاءوا بايات مختلفات كل جاء باية سوى ما جاء بها الاخر فقال له ليس عليك ذلك انما انت منذر وسالوا الايات سؤال الاعتناد لا سؤال الاسترشاد لانهم وان كانوا في سؤالهم الايات معاندين لانهم قد جاءهم من الايات على اثبات رسالته واظهر ما كفتهم لكنهم كانوا يريدون وقوله انما انت منذر لا تملك اتيان الايات قل انما الايات عند الله وقال لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر الاية او يقول انما انت منذر ليس اليك انزال الايات واختراعها قل انما الايات عند الله وقوله ولكل قوم هاد اي داع يدعو الى توحيد الله ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله ولكل قوم هاد يحتمل لكل وقت هاد ثم اختلفوا انه من ذلك الداعي قال بعضهم الله وقال بعضهم نبي من الانبياء وقال بعضهم داع دليل سوى النبي وقالت الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي لئلا يزيغ عن الحق لكن عندنا معصوما او لم يكن معصوما فان في القران ما يمنع عن الزيغ ويعرف ذلك منه اذا زاغ وضل عن الحق ولكل قوم هاد اي داع معه كما قال وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله الله يعلم ما تحمل كل انثى قيل يعلم انها حملت ذكرا او انثى مستويا او غير مستو سويا فاجبر عن علمه وقدرته انه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء فان قيل هذا دعوى ما الذي يعلمنا انه يعلم ذلك قيل انه قد تدبيره ولطفه يدل على ذلك فيه حيث رباه فيه وانشاه مستويا غير منقوص سليما عن الافات وفي الجوارح كلها على الاستواء لا يكون بعضها اكبر واعظم وبعضها انقص وبعضها اتم نحو العينين تراهما مستويتين لا زيادة في احداهما دون الاخرى بل تستويان على الاستواء وكذلك اليدين والرجلين والاذنين وامثاله فذلك دل على العلم له والتدبير وقوله وما تغيض الارحام وما تزداد اي يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد قال عامة اهل التاويل ما تغيض الارحام ما تنقص عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة الاشهر فكان الحسن يقول الغيضوضة الرحم ان تضع لستة اشهر ولسبعة اشهر او ثمانية واما الزيادة فما زاد على تسعة اشهر وفي حرف ابي الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تضع ويحتمل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وجهين احدهما ما تغيض الارحام اي ما لا تحمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والغيضوضة تكون ذهاب الشيء قال الله تعالى وغيض الماء اي ذهب وما تزداد اي ما تحمل او وما تغيض الارحام فتلد بعد مضي الوقت الذي تلد النساء وما تزداد على الوقت الذي تلد النساء او وما تغيض الارحام وما تزداد في زيادة عدد الاولاد ونقصانهم ما تحمل واحدا او اكثر من واحد ويكون في زيادة قدر نفس الولد ونقصانه لان من الولد ما يصيبه في البطن افة فلا يزال يزداد له نقصان في البطن ومنه ما ينمو ويزداد وامثاله والله اعلم وكل شيء عنده بمقدار بقدر التقدير ليس على الجزاف على ما يكون عند الخلق ولكنه بتقديره وتدبيره عالم الغيب قال بعضهم لا يغيب عنه شيء ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق ويشهد الخلق اي ما يغيب عنهم وما يشهدونه من الحل والصحيح العلم به وقال بعضهم عالم الغيب ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد بعد ولم يكن والشاهد ما قد وجد وكان يعلم ما لم يوجد بعد انه يوجد او لا يوجد واذا وجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي اي وقت يوجد وما وجد شهد يعلم شاهدا موجودا على ما يوجد حيث كيف كان تخرج الاية وانه

اعلم ويعلم ما غاب عنهم مما شهدوا من نحو قوة الطعام في الطعام والقوى التي في الماء وما به البصر والسمع والعقل والروح وكيفيتها هذا كله مما غاب عن الخلق وقوله الكبير المتعال عن جميع ما يحتمل الخلق يقال هذا عظيم القوم وكبيرهم وهذا واحد زمانه لا يعنون عظيم النفس وكبيره او نحو من حيث القدر ولكن من حيث نفاذ الامر له والمشيئة فيهم والعز والسلطان وذل الخلق له والخضوع ففي ذلك لا يخصهم فيما وصف هو به ما بينهم من الخلق من عظم الجسم وكبر النفس وعلى ذلك ما وصف هو بها ما لا يحتمل ذلك في الخلق يقال اول واخر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف ليعلم انه ليس بينهم مما اضيف اليه ووصف هو به ما بينهم مما يضاف الى الخلق اذ من قيل في ان هذا انه عظيم لم يقل انه لطيف ومن قيل انه اول لم يقل انه اخر وكذلك الظاهر والباطن اذا وصف باحدهما انتفى عنه الاخر وذلك مما وصف به الغائب واضيف اليه ليعلم انه لا يشبههم بما يوصف هو به ويضاف اليه ما بينهم مما وصف به الخلق واضيف اليهم والله اعلم وقوله سواء منكم من اسر القول في نفسه في حال الفراغ ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل في ظلمة الليل وسارب بالنهار قيل ظاهر بالنهار وقال بعضهم وسارب بالنهار من يكون في السرب وهو الغار ونحوه وقال بعضهم من هو مستخف بالليل اي ساكن بالليل في مقره وسارب بالنهار اي متصرف متقلب بالنهار في حوائجه ذكر هذا اصله ما تقدم وهو قوله يعلم ما تحمل كل انثى ويعلم ما تغيض الارحام ويعلم ايضا ما تزداد وما ذكر انه عالم الغيب والشهادة يقول ايضا يعلم من اسر القول ومن جهر به ومن كان مستخفيا بالليل او ساربا بالنهار اي يعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من عمل سر من الخلق او عمل بظاهر منهم يذكر هذا والله اعلم ليكونوا على حذر من المعاصي لان من علم ان عليه رقيبا حفيظا يكون احذر واخوف ممن يعلم ان ليس عليه ذلك وقال بعض اهل التاويل سواء منكم عند الله من اسر القول ومن جهر به وسواء منكم من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار اي من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل او هو منتشر بتلك المعصية بالنهار لا يعلن بها فهم ذلك كله عند الله سواء في ذلك تذكيرا من احد ما يذكرهم نعم التي انعمها عليهم من اول حالهم الى اخر ما ينتهون اليه ليتاذوا بذلك شكرهم ليستديموا بذلك تلك النعم ابدا ما كانوا والثاني يذكرهم علمه بجميع احوالهم وافعالهم ليكونوا ابدا على حذر من معاصيه والخلاف له اما علمه بما ذكر انه يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله سواء منكم الاية واما نعمه ما ذكر له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله له معقبات من قال بعضهم هو الامراء والشرط الذين يحفظونه في ظواهر من امر يحتمل انه محفوظ عليه الخفيات من امر حيث قال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية حيث اخبر انه يعلم ذلك ومحفوظ على الظواهر من امره وقال بعضهم له معقبات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمعون فيكم عند صلوة العصر وصلوة الصبح يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسنات من بين يديه والسيات من خلفه الذي عن يمينه وقوله له معقبات يحتمل قوله اي لله معقبات يحفظونه ويحتمل له من كل ذكرها شيء يكون منه قوله يعلم ما تحمل كل انثى وقوله يحفظونه من امر الله يحتمل قوله يحفظونه من امر الله اي يحفظون نفسه من البلايا والنكبات التي تنزل على بني ادم فان كان في حفظ نفسه فقوله من امر الله اي من عذاب الله وبلاياه كقوله حتى اذا جاء امرنا وهو عذابنا ويحتمل قوله يحفظون اعماله بامر الله ثم يحتمل قوله من بين يديه ومن خلفه وجوها يحتمل من بين يديه الحسنات التي يعملها ومن خلفه الشرور والسيات ويحتمل قوله من بين يديه ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما بقي واخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل من بين يديه ما مضى من الوقت وما بقي عليه والله اعلم وقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يشبه ان يكون هذا في النعم التي من رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال اما كان في امر الدين لا يجوز ذلك عليه الا بتغيير يكون منهم كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ويحتمل ان يكون ذلك في النعم الدنيوية من الصحة والسلامة والملك لا يجوز ذلك عليه الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل ان الانبياء قد كانوا ابتلوا بشدائد وبلايا ولا يحتمل ان يكون ذلك منهم البداية في التغيير قيل ابتلاهم لم يكن تلك النعم خراجها

ساليه
ن خلفه

فليس ذلك بتغيير ولكن لما ذكرنا انه ابتدا لهم كان النعم نعم بتحرزهم ثم ما كان من النعم والافعال من الطاعات لها
حق التجدد والحدوث يكون التغيير عليهم حال اختيارهم وتغييرهم على انفسهم واما الافعال التي لها حق البقا يكون
التغيير من الله من بعد وهو من الالام والصحة والسقم والذي لا حق التجدد والحدوث الطاعات والمعاصي وقوله
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون انه لا يريد الا ما هو اصلح لهم في الدين
وقد اخبر انه اذا اراد بهم سوءا فلا مرد له دل هذا انه قد يريد بهم السوء اذا غيروا ما بهم ما انعم الله عليهم اراد ان يغير عليهم
والمعتزلة يقولون يملك الخلق دفع سوء اراد الله بهم واذا اراد الخير يملكون رد ذلك والله يقول فلا راد لفضله
ولا مرد لسوء وقوله وما لهم من دونه من وال اي ليس لهم في دفع العذاب الذي اراد بهم ولي يدفع عنهم او
نصير ينصرهم كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا اي يخوف
ويطمع اي تخافون وتطمعون او قال اهل التأويل خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا لاهل البنيان وطمعا
لاهل الانزال وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه في وقت المنفعة ويخافون ضرره في غير وقت
النفع او يطمعون نفعه ويخافون ضرره او يطمعون نفعه ويخافون نزوله والضرر به في غير وقت النفع ويحتمل
وجها اخر في قوله يريكم البرق خوفا وطمعا اي يريكم خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار
فالنور يطمع النور الموعود في الجنة والنار تخوف النار الموعود في الاخرة لان فيه نارا الا ترى انه اذا اشتد
حيف على من اصابه وقوله وينشئ السحاب الثقال قيل اي يرفع السحاب الثقلا الذي فيه المطر والماء قال
ابو عوسجة وينشئ السحاب الثقال يقال انشات السماء اذا ارتفع الغيم فيها ويسمى الغيم نشا وقوله انشا اي
احدث فيه ويقال انشا الله الخلق اي خلقهم نشا نشا وان رفع وهو من هذا والله اعلم ويسبح الرعد بحمده اختلف
في الرعد والبرق قال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب صوته تسبيح وعلى ذلك روي عن ابن عباس
قال اقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل
بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره
السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر قالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن
الرعد والبرق فقال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقيل الرعد ملك على ما ذكرنا يزجر
السحاب بالتسبيح ويسوقه فاذا شذت سحابة ضمها واذا اشتد غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق وقيل
هي الريح تسوق السحاب فاذا اصطكت السحاب فلم تجد منفذا صوتت فذلك صوتها وقال بعض الفلاسفة انه
اصطكاك الاجرام فيحدث هذا الصوت بمنزلة الحجر يحك الحجر وقال بعضهم من الفلاسفة انما هي ريح تختنق
تحت السحاب فتصدعه فذلك الصوت منه واي شي كان الرعد الملك او الريح او ما كان فالتسبيح يحتمل من كل شي
على ما اخبر الله تعالى التسبيح من كل شي حيث قال وان من شي الا يسبح بحمده فيحتمل تسبيح الخلقة جعل في خلقة كل
شي شهادة وحدانيته وبراءته من كل ما وصفه الملحدون ودلالة الوهيته وربوبيته ويحتمل تسبيح قول جعل في
سر كل شي تسبيحا وتنزيها ما لا يفهمه الخلق وعن ابي سعيد الخدري قال الرعد ملك هذا تسبيحه والبرق صوته
الذي يزجي به السحاب قيل امثال هذا كثير والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انه هول من هول
يهول الخلق ويذكرهم سلطانه وعظمته ولولا انهم اعتادوا ذلك والا لم يتهم انقسم لسماع ذلك وقوله ويسبح
الرعد بحمده اي يذكرهم سلطانه وعظمته فيكون ذلك تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته والملائكة من خيفته
اي تسبح الملائكة من خوفه الرعد يسبح ويذكر الخلق عظمة الله وسلطانه فذلك انك على والملائكة يسبحونه فيما بينهم
وبينهم فلم يذكرهم التسبيح بحمده وذكر في الرعد والملائكة من خيفته اي من خوفه لم الخوف يخرج على
وجهين احدهما خوف عقوبته لانه قد جاء فيه الوعيد اذا زلوا كقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم الاية والثاني هيبة وهيبة له خوف عقوبته لان الله وصفهم بالطاعة له والاستسلام كقوله

لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله يسبحون الاية ويكون ذلك لهم خوف الهيبة لا يزول في
الاخرة وهذا العقوبة يزول وقوله ويرسل الصواعق قيل الصاعقة الصيحة التي فيها موت البعض ويذهب
عقل البعض كقوله فصعق من في السموات ومن في الارض وقيل هو اسم العذاب وقد ذكرنا فيما تقدم ذكره في بعض
الاخبار ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن شي من امر الرب فجاءت صاعقة فاحرقته فذلك قوله ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال وقوله وهم يجادلون في الله اي في توحيد الله لان اهل
الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله والوهيته وقوله وهو شديد المحال قال بعضهم شديد الانتقام والعقوبة
وقيل شديد القوة وقيل شديد الاخذ وقال القتبي المحال الكيد والمكر واصل المحال الحيلة لكن سمي باسم
الاول لانه جزاء الحيلة فيكون كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء والكيد والمكر هو ما ذكرنا انه الاخذ
من حيث الامن من حيث لا يشعرون به وقال ابو عوسجة المحال عندي من المكر وقال ابو عوسجة المعقبات الحفظة
الذين يحفظونه بامر الله ويقال عقبت اي حفظته واما قوله لا معقب لحكمه اي لا راد لحكمه قال ويقال في غير هذا
اعقب فلان فلانا اذا جاء بعد ما هو جاء بعده ويقال عقبت اي رجعت وما اخذ منها من العقب ويقال رجع على عقبيه اي
من حيث جاء وقال القتبي معقبات ملائكة يعقب بعضهم بعضا في الليل والنهار اذا مضى فريق خلف بعده فريق اخر
يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقوله وما لهم من دونه من وال اي ولي مثل قادر وقدير وحافظ وحفيظ وذلك
جائز في اللغة وقوله له دعوة الحق يحتمل وجوها يحتمل اي له عبادة الحق وليس لمن دونه عبادة الحق اي هو المستحق
العبادة ليس من يعبد دونه بالذي يستحق العبادة وعبادة الحق ليس لمن دونه والثاني له دعوة الحق اي له
اجابة دعوة الحق ليس لمن دونه اجابة من دعا بالحق وعلى التأويل الاول الدعوة العبادة وعلى الثاني
الدعوة الاجابة اي له اجابة دعوة من دعا بالحق والله اعلم وهو يملك اجابة دعوة الخلق فاما من عبد دونه
ودعي دونه لا يملك ذلك يدل على ذلك قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي اي والذين
يدعون من دونه لا يملكون الاجابة ولا يملكون ما يأملون من عبادتهم الاصنام فيكون شبه ما ذكر الا كباسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ضرب مثل من يدعون من دون الله كباسط كفيه الى الماء هو والله اعلم
ليس من يدعون من دون الله الا كباسط كفيه الى الماء يدعو الماء لكن لا يجيبه الماء وان دعاه فكذلك من
يدعو الاصنام لا يملكون اجابته والله اعلم بذلك او ان يكون وجه ضرب المثل ان من عبد دون الله او دعا
من دونه ليس الا كباسط كفيه الى الماء وهو على بعد من الماء فكما لا يصل هو الى الماء لا يصل من عبد دون الله الى
ما يأمل ويطمع او يحتمل من وجه اخر وهو ان الماء يغترف اذا انقبض الكف ولا سبيل الى الاغتراف اذا بسطت فكذلك
ذلك من عبد دون الله وقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي دعاؤهم وعبادتهم لا يعقب لهم الا الخسار
في الاخرة حاصله يبطل ذلك كله عنهم لا يصلون الى ما يأملون بالدعاء والعبادة كقوله ضل ما كانوا يدعون من
قبل او يفترون وقوله ولله يسجد من في السموات طوعا وكرها يحتمل قوله يسجد على صيغة الجمع يسجد له المؤمن
والكافر جميعا اما المؤمن فانه يسجد له بالاختيار والطوع ويحتمل ما ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود
فان كان هذا فهو في المختبر خاصة والثاني سجود الخلقة فان كان على هذا فهو في جميع الخلائق جعل الله في
خلقة كل شي دلالة وحدانيته واية الوهيته وربوبيته والثالث سجود الاحوال فهو في المؤمن والكافر جميعا
اما المؤمن فهو يسجد له في كل حال واما الكافر فانه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضيق له ولا يسجد في حال
السعة والرخاء ويشبه ان يكون الكافر يكون سجوده له اختيارا وطوعا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم وان عبدوا الاصنام فيرون السجود والعبادة لله لكن لم
يقبل ذلك منهم لاشراكهم غيره في ذلك وقوله وظلالهم بالغدو والاصال اي يسجد ظلالهم بالغدو والاصال
يتحول ظل كل احد بانتقاله ينتقل حيث تنتقل نفسه ذكر الغدو والاصال لانه بالغدو والعشي يظهر

الظل ويحتمل السجود انه يسجد له اي يخضع له من في السموات والارض طوعا وكرها فان كان على الخضوع فهو في الخلايق كلهم في البشر وغير البشر وذي الروح وغير ذي الروح وظلالهم بالغدو والاصال اي ظلالهم تخضع له ايضا بالغدو والاصال ويحتمل ان يكون المراد من السجود سجود الخلقة فيسجد له خلقة كل احد فان قيل ما معنى الغدو والاصال قيل يحتمل ابدا او ما ليس على المراد الوقت ولكن على الاوقات كلها وقوله قل من رب السموات والارض قل الله امره ان يسألهم من رب السموات والارض ثم امره ان يجيب هو لهم فيقول الله وهو في الظاهر يخرج اكثر ما في هذه الاية دعوى بعض حجاج وهو قوله لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وقوله خلقوا كخلقه لانهم يقرون ان هؤلاء لا يخلقون كخلقه ولا يملكون دفع الضر ولا جر النفع وقوله قل من رب السموات والارض انما امره ان يسألهم من رب السموات والارض ولم يقل من ربكم فانما امرهم ما لا يقاسرون ان يقولوا الاصنام التي يعبدونها هي ارباب السموات والارض فلا بد ان يقولوا الله رب السموات والارض فاذا اقروا بهذا انه رب السموات والارض فقد دخل ما في السموات والارض في ربوبيته اذ السموات والارض انما ظنتها الا بهما فاذا كان رب السموات والارض كان رب ما فيهما وقال بعضهم قل من رب السموات والارض قل الله امره ان يسألهم ثم يبتهم بالاجابة لانه سؤال يتحقق بكل حجة وهم يجيبون له انه رب السموات والارض دليله حرف ابي ولابن مسعود وحفصة حيث قرؤوا من رب السموات والارض قالوا الله يدل انه امره ان يبتهم بالاجابة كما كان يعمل ابو بكر كل حجة وقوله افاتخذتم من دونه اولياء يقول والله اعلم اذا اقررتم انه رب السموات والارض وهو الله فكيف اتخذتم من دونه هذه الاصنام الهة اربابا وعبدتموها او كيف جعلتم من ليس هو رب السموات والارض وليا مع اقراركم بالعبادة له انه ربهما والله اعلم وقوله لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اذ لا يملكون نفعا لانفسهم ولا دفع الضر عنها فكيف يملكون نفع غيره او دفع ضر عن غيره فقررتم انهم لا يملكون ذلك وان الله هو المالك فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا يملك فيخرج تاويله على وجهين احدهما ما يقول له يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتم من دون الله الهة والثاني لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا مع وجود الكمال فيها فكيف تعبدونها على رجاء النفع لكم بقولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير اي تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها انها اعمى لا تبصر شيئا والله هو البصير فكيف تركتم عبادة من يبصر وعبدتم من لا يبصر هل يستوي ذلك اي لا يستوي او يقول انكم تعبدونها الاصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عمي وانتم بصراء فهل رايتم اعمى يشفع لبصير في شيء ما وهل رايتم من لا يبصر يكون دليلا للبصير فاذا لم تروا ذلك فكيف طمعتم من الاصنام ذلك وقال اهل التاويل قل هل يستوي الاعمى والبصير الاعمى الكافر والبصير المؤمن ام هل تستوي الظلمات والنور الظلمات الكفر والنور الايمان ووجه قولهم حيث شبهوا الكفر بالظلمة والايمان بالنور لان الظلمة تحجب وتستر كل شيء والنور يرفع ذلك الحجاب وذلك الستر فالايمان له دلائل وحجج ترفع تلك الحجب والستر فيتضح له كل شيء والكفر ليس له حجج ودلائل ترفع ذلك فهو ظلمة لم يبق له شيئا والايمان نور حيث اضاء له ونور كل شيء له بالدلائل والحجج التي ذكرنا فصار الكافر كالاعمى لا يبصر شيئا لانه في الظلمة والمؤمن كالبصير لانه معه الدلائل والحجج وقوله ام جعلوا لله شركاء اي بل جعلوا لله شركاء في العبادة بعد ما علموا انهم لا يملكون لهم نفعا ان عبدوها ولا ضرا ان تركوا العبادة لها وقوله خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اي خلق هؤلاء الاصنام التي عبدوها واشركوها في الوهيته كخلق الله فتشابه عليهم خلقه من خلق الاصنام اي عرفوا انها لم تخلق شيئا كما خلق الله فكيف اشركوا هذه الاصنام في عبادة الله والوهيته وهم كانهم قد اقروا ان الله هو خالق كل شيء وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله لم يخلق افعال العباد وله بقدر على خلقها فاذا كان الله لم يخلقها انهم خلقوها على زعمهم فيكون يتضح تشابه الخلق عليهم على قولهم فيدل على بطلان قولهم ومذهبهم والله الموفق وقوله قل الله خالق كل شيء في السموات والارض وهو الواحد القهار اي كل شيء دونه تحت قدرته وقهره وسلطانه والاصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة وقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الى اخر ما ذكر من الامثال الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل

فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض قال بعض اهل التاويل هذا مثل ضربه الله لليقين والشك فاحتملت هذه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع معه عمل واما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهو اليقين وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وهو قول ابن عباس وقال بعضهم قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من الزبد واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فضرب المثل للحق والباطل يقول والله اعلم كما اضمحل هذا الزبد الذي ظهر فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء في الارض وقر قرارها فامرعت وربت بركته واخرجت نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي هذا الماء في الارض ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول يبقى خالص هذا الذهب والفضة حين ادخل في النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله او متاع يعني هذا الحديد والصفر الذي ينتفع به فيه منافع يقول كما بقي خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي خالصهما وقال الكلبي قوله انزل من السماء ماء وهو القران فاحتملت القلوب بهواها ذو اليقين على قدر يقينه وذو الشك على قدر شكه فاحتملت الاهواء باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية هي القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل والحق المتاع والحلية كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فالزبد وخبث الحديد وخبث المتاع هو الباطل من اصاب من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيامة لا ينتفع بباطله واما الحلية والماء والمتاع فهو الحق من اصاب شيئا منه انتفع به وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينتفع بالحق اما الحلية فالذهب والفضة واما المتاع فالصفر والحديد والرصاص والنحاس ونحو ليس شيء منها ينتفع به حتى يدخل النار فيخرج صفوه من خبثه وقال الحسين بن واقد هو قوله تعالى ضرب الله مثل الكفر والايمان ومثل الحق والباطل فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها سال الوادي الكبير على قدر كبره والصغير على قدر صغره فاحتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا ثم قال ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع الشبه والحديد والصفر والرصاص زبد مثله اي لهذه زبد مثل لا ينتفع به والحلي والمتاع ايضا زبد مثل زبد السيل اذا ادخل النار وهو خبثه لا ينتفع به والحلي والمتاع مخلص منهما ينتفع به فمثل الاودية مثل القلوب ومثل السيل مثل الاهواء ومثل الماء والحلي والمتاع الذي ينتفع به مثل الحق ومثل زبد الماء وخبث الحلي والمتاع الذي لا ينتفع به مثل الباطل فكما ينتفع بالماء وما خلص من الحلي والمتاع الذي ينتفع به اهله في الدنيا فكذلك الحق ينفع اهله في الاخرة وكما لا ينفع الزبد وخبث الحلي وخبث المتاع اهله في الدنيا فكذلك الباطل لا ينفع اهله في الاخرة كذلك اي هكذا يضرب الله اي يبين الله ما ذكر من مثل الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء قال يعني يابسا فلا ينتفع به واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الارض فيسقون ويزرعون عليه ويستقون به فهذه ثلاثة امثال ضربها الله في مثل واحد يقول هكذا يبين الله الامثال والاشباه للذين استجابوا اي اجابوا لربهم في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى لهم وهي الجنة في الاخرة ضرب الله مثل الايمان والحق ووصفها بالثبات والقرار والطيب بالارض الطيبة مرة وشجرة طيبة ثانيا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة والشجرة الخبيثة ووصفهما بالخبث والذهاب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه الاية وضرب مثل المؤمن مرة بالسميع والبصير ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت ومثل الايمان بالنور والضياء والحياة ونحو هذه الامثال التي ضربها الله عز وجل يخرج كلها مخرج الدعاء في الظاهر ذلك ليبين الحق منها وبيان المحق من المبطل سوى ان في هل يستوي فانه ذا لا يستوي على ما ذكر هل يستوي الطيب والخبيث او البصير والسميع والاصم والاعمى او الميت والحي

او الظلمات والنور وامثاله هذا كله في مستو وكل اهل الاديان وان اختلفت مذاهبهم يقولون كل انا الذي علي هو الحق والباطل
هو الذي عليه غيري ويبقي كل من ذلك التغير الصم وكذا الظلمة ويدعي كونه في النور ونحو ذلك فيه ضرب الامثال التي ضرب بيان
الحق من الباطل والمحق من غيره فقد يعرف بيزها بالدلايل والحجج والبراهين وقد ذكر ذلك الامثال يضرب الله للناس الاية فبالدلايل
والحجج والبراهين يعرف الحق من الباطل والمحق من غير المحق فللايمان والحق دلايل وحجج يعرف ذلك العقلا بالعقول حسنه
وطيبه وما يعقب من ثمرته ويبين قبح الكفر والباطل في العقول والعقلا واستخبائهم الباطل وما يعقب لاهله من الخبث والقبح
والشر وقال القتبي زبدا رابيا اي عاليا على الما ابتغا حلية اي حلي او متاع اي يعني من فلز الارض وجواهرها مثل الرصاص
والحديد ونحو ذلك والذهب والفضه حيث يعلوها اذا اذيبت مثل زبد الما والجفا ما رمي به الوادي الي جنباته يقال اجفات القدر
بزبدها اذا القت زبدها عنها وقال ابو عوسجه رابيا اي مرتفعا فوق ظهر الما واحد ويقال زبدا الما اذا صار له زبد ابتغا
حلية هو من الحلي من الذهب والفضه مما يحلي به فيذهب جفا اي باطلا لا ينتفع به واما الجفا فهو ما طرح الي شاطئ الوادي وقيل
الاكراث لو الاستخفاف به ويقال الجفا هو الغثا ويقال قد اجفا الوادي اذا علاه ذلك ثم جرى به الما قال ابو عوسجه والغثا
عندكم ما حمل السيل من العيدان والبعر وما يشبه ذلك وقال القتبي قوله فيجعله غثا احوي اي يابسا قال ابو عبيدة الجفا الجفو
ويذهب الي ان الزبد يجمد وينضم علي الما من يذهب بابا وقال الفرا يذهب جفا اي يذهب سريعا كما جاء وقال الشيخ رحمه الله
ويشبه ان يكون المثل الذي ضرب بالما هو الدين وهو ان الدين الحق الذي انزل من السما واحد لكن الناس اتخذوا اديانا
متفرقه ومذاهب مختلفه كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فالدين الذي امر به لكم واتباع واحد
وهو كالما الذي انزل من السما واصله واصفاه هو الاصل الحق فمنه اشباه لا يعبا به ولا يكترث فيه ذلك السبل وان يكون
وجه ضرب المثل بالما هو ان الما اذا انزل من السما انزل عذبا طيبا لكن اختلفت الوانه وطعومه باختلاف جواهر الارض بعضه
حرج مالحا اجاجا وبعضه مما لا ينتفع به وبعضه عذب وذلك على اختلاف جواهر الارض والاماكن المنزل من السما كله عذب
طيب فالذي ينتفع به واحد وهو العذب فعلى ذلك الدين الذي ينتفع به واحد والبواقي لا ينتفع به كالمياه المرة والمالحة
او يكون غير هذا ونحن لا نعرفه والله اعلم وقوله كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى اي اجابوا ربهم
فيما دعاهم اليه وانما دعاهم الي الباب الذي يوصلهم دار السلام وهي الجنه بقوله والله يدعو الي دار السلام ويهدي من يشا الي
صراط مستقيم دعاهم الي دار السلام ومكن لهم من الاجابة لدعوة الرسل فمن اجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسنى الذي ذكر
ومن رد دعاه كان له النار ودار الهوان فانما اختار هذا الموعود الذي وعد ان اختار اجابته الي ما دعاه فله النعيم
الدايم الذي وعد ودار السلام وان اختار الرد وترك الاجابه فله ما اوعد من العذاب الدايم والهوان والامثال التي
ذكر انما الذين استجابوا لربهم الحسنى هو مكذا المومنين لانهم هم المنتفعون به وكذلك ما ذكر من القران انه شفا ورحمه
للمومنين واما على اهل الكفر فهو عمى وضلال وكذلك قوله ويشف صدور قوم مومنين واما قلوب اهل الكفر فما ذكر فزادتهم رجسا
الي رجسهم وفي قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وامثاله وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اي ضعفه
معه لافتدوا به يذكر هذا والله اعلم ان الذي كان يمنعهم من الاجابه الي ما دعاهم اليه رغبتهم في سعة الدنيا وميلهم اليها
يتمنون لما يحل بهم من العذاب والشدايد ان يكون لهم ما في الارض جميعا ان يفتدوا به اوليك لهم سو الحساب اي يحاسبون
حسابا يسوءهم لان حسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذي ذكر يحسبه الظمان ما حتى
اذا جاه لم يجده شيا ولم يتجاوز عن سياتهم ومأويهم جهنم وبيس المهاد اي الذي ياوون اليه هو جهنم وبيس المهاد ذلك
اليوم ذلك والله اعلم وقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق اي من يعلم الحق حقا كمن هو يعمى عنه ولا يعلم او من
يعلم الحق انه حق كمن لا يعلم بالدلايل بل هو كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله انما يتذكر اولو الالباب
انما يتذكر بالتذكير اولو الالباب وذووا العقول الذين ينتفعون بعقولهم ولهم نعتهم من نعت الذين يوفون
بعهد الله يحتمل عهد الله عهد خلقة يوفون ما في خلقتهم اذ في خلقه كل احد دلالة وحدانيته وشهادة الوهيته يوفوا ذلك
العهد ويحتمل عهد الله ما جرى على السنة الرسل فقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما ذكر في اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية
السلام

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية ولا ينقضون الميثاق العهد والميثاق واحد وسمي العهد ميثاقا لانه يوثق المرء فيمنعه
عن الاشتغال بغيره والله اعلم وقوله والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل الصلات التي امر بها ان توصل على جهات ومراتب اما
ما بينه وبين المومنين ان لا يحبهم الا ما يحب لنفسه ولا يبغضهم الا ما يبغض من ان يبغض واما فيما بينه وبين محارمه ان يودي حقوق
التي جعل الله لبعضهم على بعض ولا يضيعوا واما فيما بينه وبين الرسل فهو ان من حقهم ان يوصل الايمان بالنبيين جميعا والكتب كلها
هذا والله اعلم الصلات التي امر الله ان يوصل ويخشون ربهم اما في التقصير فيما امر ان يوصل واما في التفريط في ذلك وترك الصلة ويخافون
سو الحساب اي شدة الحساب حين لم يتبعهم حسناتهم ولم يتجاوز عنهم من سياتهم لذلك يسوهم والله اعلم وقوله والذين صبروا
قد ذكرنا فيما تقدم ان الصبر هو كف النفس وحبسها عما تهواه على ما تحب ويثقل عليها قيل لكن وحبسها من الجزع في المصايب وعلى
اداء ما افترض الله عليهم وما امر به او كفها عن المعاصي والتمسك بالطاعات ونحوه من الصبر يكون الصبر على الوجوه الثلثه التي ذكرنا والله اعلم وقوله
ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل ابتغاء رضوان الله ويحتمل ابتغاء وجهه يكون لهم عند الله وهو المنزله والرفعه ولذلك يسمى الرفيع وذو
المنزلة وجيها كقوله وجيها في الدنيا والاخره اي ذو منزله ورفعه في الدنيا والاخره وعلى ذلك يخرج قوله فاينما تولوا فثم وجه الله
اي ثم الجهة التي امر الله ان يتوجه اليها فيها ذلك قوله ابتغاء وجه ربهم اي ابتغاء المنزله والرفعه التي عند ربهم او ابتغاء رضوان
الله ومرضاته والله اعلم وقوله واقاموا الصلوة اي داموا على اقامتها ليس انهم اقاموا مرة ثم تركوها ولكن داوموا على اقامتها
وعلى ادامتها وذلك مثل قوله اقيموا الصلوة اي دوموا الي اخرها ويحتمل قوله واقاموا الصلوة اي جعلوها قايمة ابدا وقوله وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل كل نفقة الصدقه والزكوة وما ينفق على عياله وولده سرا وعلانية اي ينفق في كل وقت سرا من الناس
وعلانية لهم اي ينفق على جهل من الناس وعلى علم منهم ينفقون على كل حال لا يمنعهم حال الناس عن ذلك من الانفاق بعد ان يكون
ابتغاء وجه ربهم وقوله ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون بالحسنة السيئة تحتمل وجهين احدهما يدفعون بالاحسان الي العداوة
التي كانت بينهم كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة الاية والثاني يدرءون الاساءة التي كانت اليهم
بالخير اليهم والمعروف ولا يكافئون بالسيئة السيئة وبالشر الشر ولكن يدفعونه بالخير وقال بعضهم في قوله ويدرءون بالحسنة السيئة اي
اذا سفه عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة اوليك لهم عقبى الدار اي عقبى اوليك الذين عملوا على ما ذكر من وفا العهد والصلات التي
امروا ان يصلوا والصبر على ما امر به والانفاق مما رزقهم الله والاتهام الذي يذكر عقبى الدار التي دعاهم اليها بقوله والله يدعو الي دار
السلام والثاني اوليك لهم عقبى الدار اي عقبى حسناتهم دار الجنة واوليك لهم عقبى هذه الدار الجنة او عاقبتهم دار الجنة ثم نعت
تلك الدار فقال جنات عدن يدخلونها قال اهل التاويل عدن هو بطنان الجنة وهو وسطها وقال بعضهم عدن هو الاقامه
اي جنات يقيمون فيها يقال لعدن اي اقام وقوله ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم فان قيل كيف خص بالذكر الابا
والازواج والذرية وهم قد دخلوا في قوله الذين يوفون بعهد الله وفي قوله يصلون ما امر الله به ان يوصل والذين صبروا ابتغا
وجه ربهم فما معنى تخصيصهم بالذكر هذا يحتمل وجوها احدها انهم اسلموا فاخر هولاي عن قوا كما اسلموا او لم يكن لهم ما ذكر من
الخيرات والحسنات فاجزاهم ولا يدخلونها ايضا ويلحقون بالاوليك اذ لم يبلغوا الدرجة التي بلغ اوليك فاخبر وجل
ان يلحقهم درجة اوليك ويلحقهم بهم كقوله والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الاية يلحق بعضهم الي بعض في
الاخره كما كانوا في الدنيا يلحق كل قريب قريبه في الدنيا فكذلك يلحقه في الاخره وفي قوله ومن صلح من ابايهم ما ذكر دلالة ان الصلاح
يجمع وان قرب منه لا ينفعه حتى يكون في نفسه صلاح حيث قال ومن صلح من ابايهم الي اخر ما ذكر وهو ما قال لنوح انه ليس من
اهلك انه عمل غير صالح دل هذا ان صلاح الوالد او قربه لا يجدي له نفعا في الاخره والله اعلم وقوله والملايكة يدخلون
عليهم من كل باب هذا يحتمل ان يكون لمقامهم ومنازلهم ابواب يدخل عليهم من كل باب ملك والثاني يحتمل ان ياتي كل ملك بتحفه غير
التحفة التي اتى بها الاخر على اختلاف جزاتهم وقدر اعمالهم من كل باب اي من كل نوع من التحف وفيه وجهان احدهما ان الملايكة يكونون
خدم اهل الجنة وفي ذلك تفضيل البشر عليهم او ان يكون على خاص المعاصي لا عامهم اسل الحكم من البشر في الدنيا الخيرهم يجعل الله
بينهم الرفقة والصحبة في الاخره والله اعلم بذلك وقوله سلام عليكم بما صبرتم كقوله تحيتهم فيها سلام وقوله فنعم عقبى الدار
سوما ذكرنا في قوله اوليك لهم عقبى الدار وقوله والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرناه في غير موضع وكذلك النقض

وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض كل حرف من الحروف يقتضي معنى الحرف الاخر اذا نقضوا العهد والميثاق فقد قطعوا ما امر الله به ان يوصل وسعوا في الارض الفساد واذا قطعوا ما امر الله به ان يوصل نقضوا العهد وسعوا في الارض بالفساد الا ان يقال ان نقض العهد يكون بالاعتقاد وذلك يكون بينهم وبين ربهم وكذلك قطع ما امر الله به ان يوصل اذا كان الامر الذي امر به صلة الايمان بالنبيين والكتب جميعا فان كان صلة الارحام فهو فعل والسعي في الارض بالفساد فعل ايضا من زنا او سرقة او قطع الطريق ونحو ذلك من المعاصي ما كان فيه والله اعلم والافساد في الارض يحتمل سعيهم في نفي الايمان به وتصديقه او بغيره من المعاصي او قطع الطريق وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا من وصل الايمان ببعض الرسل بالكل وبعض الكتب ويحتمل صلة الارحام التي فرض عليهم صلتهم فقطعوا ذلك وامرهم ان يعلموا اعمالهم بما اعتقدوا وقوله اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة هي الطرد في اللغة والابعاد فكانهم طردوا وابعدوا عن رحمة الله في الاخرة او طردوا وابعدوا من هداية الله وارشاده في الدنيا ولهم سوء الدار قد ذكرنا انهم دعوا الى دار وحذروا عن دار دعوا الى دار السلام فان اجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر وحذروا عن دار الهوان فان لم يحذروا فلهم دار السوء والهوان او سماها سوء الدار لما يسوء مقامهم فيها او ذكر لاهل النار سوء الدار مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسن المآب وحسن الثواب والحسنى وقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيما عنده ويؤيسهم عما في ايدي الخلق ويقطع رجاءهم عن ذلك لان الذي كان يمنعهم عن الايمان به وحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة هذه الاموال التي كانت في ايديهم ادلتهم بها او لدوام الرياسة والعز والشرف لهم في هذه الدنيا فقالوا اموالنا بسط لذلك القائل لاولئك هو يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق وذكر انه بسط الرزق لمن يشاء من اوليائه واعدائه ويقتر على من يشاء من اعدائه واوليائه ليعلم ان التوسيع في الدنيا والبسط لا يدل على الولاية ولا التقتير والتضييق على العداوة ليس كما يكون من الملوك من يوسع على الاوليا ويبسط ويضيق على الاعداء لان التوسيع في الدنيا والتضييق في المحنة وفي الاخرة بحق الجزاء ويستوي في المحنة الولي والعدو ويجمع بينهما في المحنة ويفرق بينهما في الجزاء وقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا يحتمل قوله فرحوا صلة ما تقدم من قوله الذين ينقضون عهد الله الى قوله ويقطعون ما امر الله ويفرحون بالحيوة الدنيا ثم الفرح يحتمل وجوها يحتمل فرحوا بالحيوة الدنيا اي رضوا بها كقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها او فرحوا سروا بها فان قيل ان المؤمن قد يسر بالحيوة الدنيا قيل يسر ولكن لا يلهيه سروره بها ولا يغفل عن الاخرة واما الكافر فانه لشدة سروره بها وفرحه بها يلهيه عن الاخرة وعن جميع الطاعات وهكذا العرف في الناس انه اذا اشتد بالمرء السرور بالشيء فانه يلهيه عن غيره ويشتغل عنه او يكون قوله فرحوا اي اشروا او بطروا كقوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وهو الاشر والبطر والله اعلم وقوله وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع تاويله والله اعلم اي ما الحيوة الدنيا مع طول تنعمهم بها وتمتعهم في الاخرة الا كمتاع ساعة او كمتاع شيء يسير وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وكقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون مع طول مقامهم فيها من الدنيا عند متاع الاخرة كانهم ما مكثوا فيها الا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وهو ما ذكر في موضع اخر فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الاخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع لا يشوبه اذى ولا حزن ولا خوف ومتاع الدنيا منقطع غير متصل مشوب بالافات والاحزان لذلك كان قليلا عند متاع الاخرة ونعيمها وقال بعض اهل التاويل وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع اي الا لهو وباطل لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه يحتمل سؤالهم الاية انفس الايات التي اتت بها الرسل من قبل قومهم او سالوا ايات سموها كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية او يكون لك بيت من زخرف الى اخر ما ذكر من الايات سالوا عنه او سالوا ايات تضطرهم وتقهرهم على الايمان كقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفيه دلالة انه لو شاء لانزل عليهم ايات لا منوا كلهم بها واستدوا ومنع انه لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم وتوحيدهم وكذلك لو اعطى لكان ذلك سبب كفرهم جميعا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية لكنه لا ينزل الاية على شهواتهم واهوائهم ولكن ينزل ايات تكون عند النظر

وان لم يجبهم بما سالوا وتفكر لاهتدى وآمن بالاختيار ومن لم ينظر فيها ولم يتفكر ضل وهلك بالاختيار ويحتمل قوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية ان اياتهم واستدعاهم ننزل عليهم اية ونحوه وبل قوله على اثر سوالهم الاية قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اي يترك من الايات ما يبتني به الهدى والضلال ويضل المؤمنين والصادر بالاختيار ويكون استدامهم باختيارهم لا بالاضطرار والقهر الاترى انه قال الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهو القران الذي انزله على رسوله فهو وصف القبل المنيب الى ذكر الله يسكن ويطمئن قلوبهم وان لم يأت الذكر به واصل ان الله عز وجل انما استدى من علم انه يختار الاهتداء والايمان واضل من علم انه يختار فعل الضلال والزيغ ونحو ذلك والله اعلم وقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب وتسكن اليه وقال بعضهم يحتمل وجهين في الكلفة في الكيفيات الثانية الكلفة بالله تسكن وتطمئن قلوب الذين امنوا الا من تطمئن بالكلفة بغير الله وقال بعضهم الا بالقران وبما فيه القران من الثواب تسكن وتطمئن قلوب الذين امنوا ويشبه ان يكون قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي تفرح وتستبشر قلوب الذين امنوا بذكر الله الا بذكر الله تستبشر وتفرح قلوب اهل الدنيا بالدنيا لانه ذكر في الكفرة الفرح بالحيوة الدنيا وهو قوله وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وذكر في المؤمنين الاستبشار والفرح بذكر الله وفي اولئك ذكر ان قلوبهم تشمئز بذكر الرحمن وتستبشر بذكر من دونه وهو قوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون فاخبر عز وجل ان قلوب المؤمنين تستبشر وتفرح بذكر الله وقلوب اولئك تستبشر وتفرح بذكر من دونه وقوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله يخرج على وجهين احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله لهم وذكر الله لهم التوفيق والتسديد والعصمة ونحوه والثاني تطمئن قلوبهم بذكرهم الله وذكرهم الله اسماءه ونعوته وعظمته وجلاله ونحوه وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب طوبى قيل خير لهم وغبطة وقيل حسنى لهم ونعم لهم وقيل طوبى لهم اصبت خيرا وقيل هي اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بالهندية وقيل اسم شجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دار امته فان كان هذا وهو اسم شجرة فذلك لا يستقيم الا على ما تقدم مكان اهل الكتاب ادعوها لانفسهم فاخبر انها للذين امنوا لا لهم كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ثم قال عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا الجنة لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن للذي اسلم واخلص وجهه لله فعلى ذلك يشبه ان يكونوا ادعوا طوبى لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين امنوا وان كان في شركها لعرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار ويشبه ان يكونوا قالوا ان كان بعث على ما تقولون وجنة وطوبى فهي لنا كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم طوبى كلمة مدح اثنى بها عليهم وغبطهم بها وقال بعضهم طوبى كرامة اعدها الله لاوليائه وهي مذكورة في الكتب وقوله كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اي كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا وهم يكفرون بالرحمن وقال كل واحد من الرسل ربنا لا اله الا هو عليه توكلت الاية اي كل رسول كان ارسل قبلك كان امره ان يقول لهم كذلك ارسلناك الى قومك رسولا وان كانوا يكفرون بالرحمن فقل انت ما قال اولئك الرسل ربي لا اله الا هو عليه توكلت الاية ثم يحتمل امر من رسوله كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يشبه ان يكون هذا صلة قوله لولا انزل عليه اية من ربه لرسالتك ليعلموا انك انما علمت تلك الانباء بالله تعالى وقوله وهم يكفرون بالرحمن قيل الله اعلم هم يكفرون بالرحمن وفي كل الخلائق اية توحيد الرحمن والوهيته وله في كل الخلائق اية لها لذلك وهم مع ذلك كانوا يكفرون بالرحمن فعلى ذلك يكفرون بايات رسالتك وقال ابو بكر الاصم وهم يكفرون بالرحمن هو صلة قوله لولا انزل عليه اية من ربه وكانوا من اهل التهدد من الكبراء فقال لوجيتهم بقران سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لم يقبلوه وكذلك كان امرهم التكذيب والعناد وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الاية يخبر عز وجل عن عنادهم انهم لا يؤمنون بالله وان عظمت الايات وقوله بل لله الامر جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله اي الله مريد من شاء ان يؤمن يؤمن ومن شاء ان لا يؤمن فلا يؤمن البتة وقال بعضهم قوله وهم يكفرون بالرحمن اي يكفرون باسم الرحمن لانهم قالوا ان محمدا كان يدعونا الى عبادة الله وتوحيده فالساعة يدعونا الى عبادة الرحمن

والوحدانية لذلك عبادة الشيء فقال قل هو ربي لا إله إلا هو أي دعاكم إلى عبادة الرحمن والوحدانية هو دعاكم إلى عبادة الله وهو واحد ليس هو باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي عدد الأسماء لا يوجب عدد الذات إذ يكون لشيء واحد في اللسان أسماء مختلفة فاختلاف الأسماء لا يوجب اختلاف الذات نفيا لشبهتهم وقال بعضهم الرحمن اسم من أسماء الله في الكتب الأولى قالوا اكتب بسم الله أبوا أن يقروا به قالوا وما الرحمن إنا لا نعرفه فنزل وهم يكفرون بالرحمن والله أعلم **وقوله** ولو أن قرآنا سيرت به الجبال إلى آخر ما ذكر قال بعض أهل التأويل تأويله لو أن قرآنا غير هذا سيرت به الجبال من أماكنها أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لفعل هذا القرآن أيضا ذلك ولكن لم تسأل بكتاب من الكتب التي أنزلها على الرسل الذين من قبلك ولكن شيء أعطيته أنبياء من سلفي بل لله الأمر جميعا يقول بل جميع ذلك الأمر كان من الله وليس من قبل القرآن أي لو فعل بالقرآن ذلك كان جميع ذلك من الله **وقوله** بل لله الأمر جميعا إن شاء فعل ما سألتم وإن شاء لم يفعل ويشبه أن يكون غير هذا أقرب أن يكون صلة ما تقدم من سؤالهم الآيات وهو قوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه فيقول لو أن قرآنا الذي نقرأه عليهم لو سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا بك ولما صدقوك على رسالتك على ما لا يؤمنون بالرحمن وكل الخلائق له آية لوحدانيته والوحدانية يخبر عن تعنتهم وتمردهم في تكذيبهم رسول الله ليعلم رسول الله أن سؤالهم الآية سؤال تعنت وتمرد ليس سؤال استرشاد واستهداء وقال بعضهم قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أي لو أن قرآنا عمل ما ذكر لكان هذا القرآن تعظيما لهذا القرآن والتأويل الذي ذكرنا قبل هذا كأنه أقرب والله أعلم **وقوله** أفلم ييأس الذين آمنوا قال بعضهم هو صلة ما تقدم من قولهم وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية يقول والله أعلم أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمان من كان على ما وصف الله وتمام هذا كان المؤمنين سألوا لهم آيات ليؤمنوا لما سألهم آيات من رسول الله فيقول أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء وهو كما قال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها كان المؤمنين سألوا لهم الآيات ليؤمنوا فقال وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أي يؤمنون على طرح لا على هذا التأويل وقال بعضهم أفلم ييأس الذين آمنوا أفلم يتبين للذين آمنوا أنهم لا يؤمنون لكثرة ما رأوا منهم من العناد والمكابرة فسروا الإياس بالعلم واليأس لأن الإياس إذا غلب يعمل عمل العلم كالخوف بالظن ولكن حصل يقينا وعلى الغلبة لأنه إذا غلب يعمل عمل اليقين والعلم وقال بعضهم أفلم ييأس أي أفلم يعلم الذين آمنوا أن الله لو يفعل ذلك لهدى الناس جميعا وقوله أفلم ييأس الذين آمنوا قالت عائشة قوله أفلم ييأس خطأ من الكاتب إنما هو أفلم يتبين للذين آمنوا أن لو يشاء الله فقضاه أي قد تبين للذين آمنوا وقال بعضهم أفلم ييأس أي أفلم يعلم الذين آمنوا أي قد علم الذين آمنوا أن لو يشاء الله إيمان الناس واهتداءهم لآمنوا واهتدوا وقال صاحب هذا التأويل إن هذا جائز في اللغة ييأس بمعنى يعلم وذكر أنه لغة نخع وغيرها والله أعلم وقال بعضهم قوله أفلم ييأس الذين آمنوا مقطوع من قوله أن لو يشاء الله الآية وهذا موصول بما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ثم قال جوابا لما قالوا كأنه قال لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى من علم منه أنه يختار ذلك ويؤمن بي ذلك له ومن علم أنه يختار الهدى بين ذلك له ويكون قوله أفلم ييأس الذين آمنوا مقطوعا للجواب له كأنه قال أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم لكثرة ما رأوا منهم من العناد والتعنت بعد ما رأوا الآيات والحجج كان أهل الإيمان والإسلام سألوا رسول الله الآيات التي سألوا لهم رغبة في إسلامهم وإشفاقا عليهم فيقول والله أعلم الإيمان للذين سألوا الإياس من إيمانهم أي قد آن للذين آمنوا أن ييأسوا منه ولو شاء الله لهدى الناس جميعا **وقوله** أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا صلته قوله وهم يكفرون بالرحمن وأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله **وقوله** ولا يزال الذين كفروا قال بعضهم الذين حاربوا رسول الله تصيبهم بما صنعوا قارعة القارعة هي ما يقرع القلوب ويكسرها ثم قد تكون بعذاب

وقتل وغير من الهزيمة وغيرها ويسبي ذراريهم ويغنم المسلمون أموالهم أو تحل أنت قريبا من دارهم قال بعضهم أو تكون القارعة بجانبهم الذين بقرب منهم ديارهم وقال بعضهم ولا تزال سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل بعضهم أو تنزل هو قريبا منهم حتى يأتي وعد الله وعده يكون بوجهين أحدهما أن يظفر بهم جميعا وأن يورث المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم والثاني يكون وعده فتح مكة كقوله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها الآية إن الله لا يخلف الميعاد ما وعد رسوله من الفتح والنصر وغيره وقوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة يحتمل ما ذكر من إصابة القارعة الجوع والشدائد التي أصابتهم ويحتمل القتل والحروب التي كانت بينهم وبينهم **وقوله** أو تحل قريبا من دارهم تنزل السرايا بقرب من دارهم حتى يأتي وعد الله يحتمل فتح مكة أي تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله من فتح مكة عليك أو أن يكون وعد الله هو البعث والله أعلم **وقوله** ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول وقد استهزئ برسل من قبلك قومهم كما استهزأ بك قومك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على تكذيبهم وقال أبو بكر الأصم ولقد استهزئ برسل من قبلك فيما تقدم من الرسل سألهم قومهم الآيات والعذاب بالهزء ثم يبين بهذا أن ما سألوه من الآية أرادوا الهزء وهو صلة ما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه **وقوله** فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم يقول أمهلتهم في كفرهم وهزئهم هذا ابتلاء منا لتأخير العذاب عنهم لا يؤمنهم **وقوله** ثم أخذتهم وهم آمنون فكيف كان عقاب يقول أهلكت لهم جزاء ما كانوا يهزءون منه وقال بعضهم فكيف كان عقاب الله أي شديد عقابه وهو كقوله وكأين من قرية أمليت لها الآية وقيل كيف رأيت عذابي لهم أهاليسو وجدوه شديدا والثالث فكيف كان عقاب أي أليس ما وعدهم الرسل من العذاب كان حقا وصدقا **وقوله** أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت قال أبو بكر الأصم يقول هذا الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت أصنام شركاؤكم فالقائم هو المدبر الحافظ لكل ما في الخلق ويشبه أن يكون تأويله أفمن هو قائم أي حافظ وعالم على كل نفس بما كسبت أو بالرزق لهم والدفع عنهم كمن هو أعمى من ذلك ليسا بسواء كقوله أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق الآية أو يقول أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن هو عنه قائم عليه ليسا بسواء وقال مقاتل أفمن هو قائم على رزقهم وطعامهم قال وجعلوا لله شركاء أي وصفوا لله شركاء وعبدوها والله أحق أن يعبد من غيره يقول الله أنا القائم على كل نفس أبدانهم وأطعمهم أفأكون أنا وشركاؤكم الذين لا يفعلون ذلك سواء والوجه فيه ما وصفنا أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي برزقهم ويعلم ما تحمل وتكسب ويحفظهم من أنواع البلاء كمن هو أعمى جاهل عاجز عن ذلك أي ليس هذا كذلك وسفههم في إشراكهم الأصنام التي عبدوها في الألوهية والعبادة في الوصف الذي ذكر لكن هو أعمى عاجز عن ذلك أي ليسا بسواء وقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت يحتمل قائم على كل نفس بما كسبت فيما قدرها وقواها أو في الجزاء يجزي على ما كسب وجعلوا لله شركاء في العبادة أو في تسميتهم الآلهة لا يعلمون ما كسب لها ولا يملكون جزاء ما كسبوا أي أيضا سفههم في جعلهم من الأصنام والأوثان شركاء لله في العبادة وتسميتهم آلهة مع علمهم أنهم لا يقدرون ولا يملكون شيئا من ذلك **وقوله** قل سموهم قال بعض أهل التأويل قوله قل سموهم بتلك الأسماء ولو سموهم سموهم بكذب وباطل وقيل وعندنا عن غيره قل سموهم أي لو سميتموها آلهة واتخذتموها معبودا فسموهم أيضا بأسماء سمى الله من نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحو ذلك والله أعلم أو سميتم من الأصنام آلهة وعبدوها وسموهم أيضا خالقا ورازقا ورحمانا ورحيما وهم يعلمون أنها ليست كذلك والله أعلم **وقوله** أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أي أم تنبئونه وهو عالم بما في السموات وبما في الأرض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم في الأرض ما تقولون من الآلهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض أم تنبئونه بما ليس في الأرض شيء مما تقولون وتصفون في السموات والأرض شيء أي يقول أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض وهو عالم بكل شيء أي تقرون بأنه عالم بكل شيء وهو لا يعلم ما تقولون وتسمونه من الشركاء وغيره والثاني أم تنبئونه بما لا يعلم أي ليس في الأرض **وقوله** أم بظاهر من القول قال أهل التأويل بظاهر من القول أي بل بباطل من القول وغرور ويشبه أن يكون بظاهر من العقل

في السموات ولا م

اي بضعيف من القول وخفيف ليسوا الشي الذي لا حقيقة له ولا ثبات ظاهرا بادي الرأي كقوله الا الذين هم اراذلنا بادي
الراي اي ضعيف الراي وخفيفه لا حقيقة له ولا قرار ويحتمل قوله ام بظاهر من القول في الخلق والاسلاف اي لم
ينظر ما يقولون ويصفون اشراككم من الاصنام وتسميتها الهة وعبدها أيكون ام في موضع حقيقة ويقين على
هذا التاويل والله اعلم وقوله بل زين للذين كفروا مكرهم قال بعض اهل التاويل مكرهم قولهم الذي هو من
الكذب والزور انها الهة وانها شركاء الله لكن يشبه ان يكون قوله مكرهم اي مكرهم برسول الله حيث ارادوا الاحتيال ليقتلوه
ليلا يظهر هذا الدين في الارض ويطفئون هذا النور ليدوم عزهم وشرفهم في هذه الدنيا وهو كقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا والمكر هو الاحتيال والاخذ من حيث الامن والله اعلم وقوله وصدوا عن السبيل صدوا لما علموا
من مكرهم واختيارهم ما اختاروا والسبيل المطلق هو سبيل الله والا كان جميع الاديان والمذاهب يسمى سبيلا كقوله
ولا تتبعوا السبل لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق هو سبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله
وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد من اضله الله فلا يملك احد هدايته ومن هداه فلا يملك احد اضلاله وقوله
لهم عذاب في الحيوة الدنيا العذاب لهم في الحيوة الدنيا يحتمل القتل والقتال والخوف والجوع وانواع البلايا
كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الاية وقوله ولعذاب الاخرة اشق
اي اشد وما لهم من الله من واق اي ما لهم من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه وقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون يحتمل وصف الجنة التي وعد المتقون او صفة الجنة التي وعد المتقون ويحتمل اي شبه الجنة التي وعد
المتقون كشبه النار التي وعد الكافرون اي ليسا بشبيهين والاثنين لا تكون من مثل [illegible] ولا شبه لها كقوله
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية يقول والله اعلم ليقول الذي وصفه كذا من النعيم
الدائم كالذي يكون عذابه ووصفه كذا اي لا يكونون مثلي ذلك الاول وقوله تجري من تحتها الانهار اكلها دائم
اي ثمار الجنة دائمة لا تزول ولا تنقطع ليس كثمار الدنيا ونعيمها ليس من نعم من ثمار الدنيا الا وهي تزول وتنقطع
في وقت فاخبر ان ثمار الاخرة وما فيها من النعيم غير زايل ولا منقطع وكذلك عذابها لا يزول وظلها ايضا اخبر ان
ظل الجنة لا يزول ولا ينقطع لا يكون فيها شمس يزول ظلها بزوالها وصف جميع ما فيها بالدوام والمنفعة الظل شي لا
اذى فيه وفيه منافع والشمس فيها اذى ومنافع وكذلك جميع ما يكون من الاشياء في الدنيا يكون فيها منافع
ومضار وانها تزول وتنقطع فاخبر ان ظل الاخرة وما فيها من النعم دايمة باقية غير زايل ولا منقطع ولا مضرة
فيه ليس كنعيم الدنيا وظلها والله اعلم وقوله تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ظاهر هذا
ان يكون الذين اتقوا الشرك لانه ذكر عقبى الكافرين النار وعقبى ما ذكرنا اي تلك الجنة جزاء الذين
اتقوا الشرك وعقبى الكافرين النار اي جزاء الكافرين النار وعقبى سوء للذين اتقوا الجنة وعقبى
اولئك النار وقال بعضهم تلك عقبى الذين اتقوا اي عاقبة اعمالهم وحسناتهم الجنة وعاقبة اعمال الذين كفروا
بتوحيد الله النار وقوله والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يشبه ان تكون الاية صلة قوله
وهم يكفرون بالرحمن فاخبر عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك بذكر الرحمن ثم اختلف
في قوله الذين اتيناهم الكتاب قال بعضهم اصحاب محمد فرحوا بما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم الذين اتيناهم الكتاب اهل التورية يفرحون بما انزل اليك بذكر ههنا انهم يفرحون بما انزل
اليك وينكرون في موضع اخر ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وقال في موضع
اخر الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فمن تلا منهم الكتاب حق تلاوته ولم
يبدله ولم يغيره فهو يؤمن به ويفرح بما انزل على محمد ومن غيره وبدله فهو لم يفرح بما انزل اليه وقوله
والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك والله اعلم كانه قال والذين اتيناهم منافع الكتاب
اولئك يفرحون بما انزل اليك وهو قال في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته الا ان

الكتب لا يؤمنون بما انزل على محمد وقوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه يحتمل اهل الكتاب كانوا ينكرون بعض ما انزل اليه
لا ينكرون كل ما انزل اليه وانما ينكرون نعته وصفته انهم كتموا نعته وصفته التي في كتبهم ويحتمل قوله ومن الاحزاب من
ينكر بعضه مشركي العرب وهم ايضا انكروا بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم يكفرون بالرحمن وفي قوله اجعل الالهة الها
واحدا ونحوه لم ينكروا الكل وقوله قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب كان هذا له على اثر
قوله كانهم كانوا دعوه الى ان يشاركهم في عبادة الاصنام او دعوا ان يكون على ما كانوا هم فقال قل انما امرت
ان اعبد الله وامرت ان لا اشرك به ويحتمل قوله ولا اشرك به قال ذلك من نفسه اليه ادعو ايتوقون الى توحيد الله
ادعو لا غيره ثم اخالفه واعبد غيره واليه مآب اي اليه المرجع وقوله وكذلك انزلناه اي كما اعطيناك اداب واعطيناك
النبوة كذلك انزلنا عليك حكما عربيا قيل حكمة عربية وكانت العرب لا تفهم الحكمة اذا انزلنا ما فيه حكم وتفسير قوله
وكذلك انزلناه حكما عربيا ما ذكر في قوله الر تلك ايات الكتاب الحكيم وهو قوله الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا
سمي القران حكما لانه يحكم انزل وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم هذا انهم كانوا يدعونه الى ان
يشاركهم في بعض ما هم فيه ما لك من الله من ولي ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا واق يقيك العذاب وقوله ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قال بعض اهل التاويل نزل هذا وذلك ان اليهود عيروا رسول الله
وطعنوا بكثرة النساء والاولاد وكان يقول مع وكانت النبوة تشغله عن ذلك فنزل الله ولقد ارسلنا الاية
اي الاستمتاع بالنساء واستكثارهم لم يمنعهم عن الاختصاص بالنبوة والرسالة على ما لم يمنع غيره من الرسل الذين كانوا
من قبل والله اعلم وقوله وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي لا يملكون انزال الايات من انفسهم انما
يتولى الله انزالها اذا شاء ذلك وهو كقول عيسى حيث قال وابرئ الاكمه والابرص الاية في اخبار ما ياتي من الايات
انما ياتيهم باذن الله وبامره لا من نفسه ويحتمل هذا ان يكون جواب ما ذكر اهل التاويل وجواب غير ذلك وهو طعنهم
الرسل بالاكل والشرب والمشي في الاسواق وسؤالهم الايات التي سالوهم وجواب الذي هم الرسل من البشر
يقول لست انت باول رسول طعنت بالطعن به قومك وقد كان لكل رسول طعن قومهم بالطعن به قومك وسالوهم
من الايات ما سال بقومك فلم يكن ذلك لهم عذرا في رد ما ردوا وترك ما تركوا بل نزل بهم العذاب فيلحق بقومك
وقوله لكل اجل كتاب اختلف فيه قال قائلون لكل كتاب اجل وهي الكتب التي انزلت على الرسل يعمل بها الى
وقت ثم ينسخ او يترك العمل بها وقال قائلون هو ما قال لكل اجل كتاب اي لكل ذي اجل اجل الى وقت انقضائه
ليس يراد به الكتابة بالبدو لكن الاثبات كقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت ليس ان كتب فيها ذلك
بالسيد فعلى ذلك قوله لكل اجل كتاب اي اثبات الى وقت ويحتمل قوله لكل كتاب اجل اي لكل ما كتب له الاجل
وجعل له الوقت من العذاب ينزل بالمعاندين والنصر للرسل فانه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتاخر ايضا عن
ذلك الوقت وهو كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة الاية وقوله يمحوا الله ما يشاء ويثبت قال قائلون
قوله يمحوا الله ما يشاء المحو ههنا ان انشاه في الابتداء المحو ليس على ان كان شيئا فمحاه ولكن انشاه هكذا محوا وهو
كقوله فمحونا اية الليل ليس انه كان شيئا كذا ثم محي ولكن انشاه في الابتداء محوا وكقوله رفع السموات ليس
انها كانت موضوعة فرفعها ولكن انشاها مرتفعة كما هي فعلى ذلك هذا ثم يحتمل ذلك الاعمال التي كانت تحفظ في
الاصل من نحو اعمال الصبيان والاعمال التي لا جزاء لها وقال قائلون على احداث محو ثم هو يحتمل وجوها يحتمل
ما ينسخ من الاحكام فهو على محو الحكم به والعمل ليس على محو نفسه ويثبت وهو ما لا ينسخ ولا يترك العمل به والحكم
ويحتمل المحو محو الاحوال وهو ما ينقل ويحول من حال الى حال من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة
الى حال المضغة يحوله وينقله من حال الى حال او نحو ذلك هو المحو ويحتمل المحو ايضا ما يختم به من السعادة
او الشقاء اذا كان كافرا ثم اسلم في اخر عمره محيت الاعمال التي كانت له في حال كفره فابدلت حسنات واذا كان
مسلما ثم ختم بالكفر محيت اعماله التي كانت له من الصالحات فلم ينتفع بها او ان يكون ما ذكر من المحو والاثبات

٩٠٢

هو ما يكتب الحفظة من الاعمال والافعال يمحو منها الاجر الها ولا ثواب ويبقي ما له اجر او ثواب ويترك يكتبها كما
هو او يكون للخلق مقاصد في اعمالهم والحفظة لا يطلعون علي مقاصدهم فيكتبون ما هو في الحقيقة حسنة لقصد
فيه في الظاهر ما عمل او حسنة في الظاهر وهو في الحقيقة سيئة فيغير ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة شرا في الظاهر خيرا
شرا بالقصد وما هو في الحقيقة خير في الظاهر شرا خيرا او ان يكون في كتاب الحفظة لكنه من وجه اخر هو ان الحفظة
يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما في اللوح المحفوظ فيمحي ما كتب الحفظة من الزيادة ويثبت فيه ما كان فيه من النقصان
والله اعلم **وقوله** وعنده ام الكتاب هذا يحتمل عنده الذي يعارض به كتب الملائكة ويحتمل وعنده ام الكتاب الذي
يستنسخ منه الكتب التي انزلت علي الانبياء والرسل وهو في اللوح المحفوظ وفيه دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب
تغييرا المعني لانه لا يدري ان تلك الكتب في اللوح بأي لسان هي ثم انزل منه كل كتاب علي لسان الرسول الذي نزل
عليه وكذلك الملائكة الذين يكتبون اعمال بني ادم لا يحتمل ان يكتبوا بالسان الخلق لانه يظهر لو كانوا يكتبون بل انه ولا
فدل انهم انما يكتبون بلسان انفسهم فهذا كله يدل ان اختلاف الالسن لا يوجب اختلاف المعني **وقوله** واما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كانه صلوات الله وسلامه عليه طمع او سال ان يريه جميع ما
وعد من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال اما نرينك بعض ما وعدناهم وان شئنا نتوفاك ولم نرك فانما عليك
البلاغ اي ليس لك من الامر شي اي ليس اليك هذا انما عليك البلاغ وهو كقوله ليس لك من الامر شي الاية انما عليك
كذا يخرج مخرج العتاب والتوبيخ ليس مخرج الوعد والعهد اذ قوله اذا واو ادا حرف شك ولا يجوز ان يضاف اليه
شك وقوله وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فهذا في الظاهر حرف شك فهو يخرج علي الوعد وعلي النهي
عن سوال كان من رسول الله صلي الله عليه وسلم فان كان علي النهي فكانه نهاه ان يسال انزال العذاب عليهم فيقول ان
شئنا انزلنا وان شئنا لم ننزل وان كان علي الوعد فيقول نريك بعض ما وعدناهم ولا نريك كله والا فظاهره حرف
شك وقوله وعلينا الحساب يحتمل حساب ما وعد وجزاه ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسبهم يوم القيمة والله اعلم
اي لا يمنعكم عملا اسدي او قوله وعلينا الحساب اي الينا الحساب او لنا الحساب وذلك جائز في اللغة **وقوله**
اولم يروا انا قد ذكرنا فيما تقدم انه انما هو حرف تعجب وتنبيه فهو يخرج علي وجهين احدهما علي الجزاء اي قد راوا انا فعلنا
ما ذكر والثاني علي الامر اي رأوا انا فعلنا ما ذكرنا فعلوا ذكر من قوله اولم يسيروا في الارض اي قد ساروا في
الارض او سيروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قال بعضهم هو ما حصل من ارض الكفرة للمسلمين بالفتح عليهم والنصر
علي اوليك والاخراج من سلطانهم او تلك الكفرة وايديهم وادخالها في ايدي المسلمين فذلك النقصان وهو والله اعلم
لما وعد لرسوله ان يريه بعض ما وعد لهم فقال الكفرة عند ذلك ابن وعدك ان يريك فقال عند ذلك اولم يروا انا
ناتي الارض ننقصها اي الم يروا انه جعل بعض ما كان لهم من الارضين للمسلمين فاذا اقدر علي جعل البعض الذي
كان لهم لهو لا القادر ان يجعل الكل لهم فهلا يعتبرون هذا والله اعلم ما اراد بما ذكر من النقصان وقال قايلون
نقصان الارض موت فقهايها وهي يا دفنا يها ووجه هذا هو ان الفقها والعلما هم عمار الارض واهلها
وبهم صلاح الارض فوصف الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما وصف الارض بالفساد وهو قوله ظهر الفساد
في البر والبحر فالارض لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد لفساد اهلها فعلي ذلك
لا تنتقص بنفسها ولكن وصفت بالنقصان لذهاب اهلها وعمارها وعمارها حققها وعلماوها وهو ما تم
يحتمل ذهاب العلما المتقدمين الذين تقدموا رسول الله في الامم السالفة وهم علما اهل الكتاب فيقول
الا يعتبرون باوليك الذين بعثوا وتفانوا من علمايهم فلا بد من رسول يعلمهم الاداب والعلوم ويجدد لهم
ما درس من الرسوم وذهب من الاثار فكيف انكروا رسالته وفي بعث الرسول حدوث العلم وذلك وقت
ضعف العلم وزمانه فان كان اراد العلما المتاخرين وفقهايهم فيخرج ذلك مخرج التعزية له اي تعجب
الا ترى كيف توصف بالنقصان بذهاب العلما والفقها والله اعلم **وقوله** والله يحكم لا معقب لحكمه

والعذاب ... [illegible]

٩٠٢

قيل لا راد لحكمه وحكم يحتمل العذاب الذي حكم علي الكفرة يقول لا راد للعذاب الذي حكم عليهم ويحتمل قوله لا معقب اي لا يتعقب
احد حكمه ولا يعقب احد سلطانه كما يكون في حكم الخلايق يتعقب بعضهم بعضا وكما ذكر في الحفظة معقبات من بين يديه ومن
خلفه يتعقب بعضهم بعضا في الحفظ وفيما سلطوا والله اعلم وهو سريع الحساب هذا قد ذكرنا في غير موضع **وقوله** وقد مكر
الذين من قبلهم اي مكر الذين من قبلهم برسلهم كمكر هولاء برسولهم علي ما ذكر به ثم يحتمل المكر به وجهين احدهما المكر والشبه
مما قتله واهلاكه والثاني المكر والحيلة الذي يدعوا اليه واراد اطفا نور الحق وابطاله وكذلك مكر الذين
من قبلهم برسلهم يخرج علي هذا والله اعلم **وقوله** فلله المكر جميعا هذا ايضا يخرج علي وجهين احدهما يقول فله جزا المكر
جميعا يجزي كل ماكر والثاني اي لله حقيقة المكر باخذهم جميعا بالحق من حيث لا يشعرون فاما هم فانما ياخذون ما ياخذون
لا بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون علي الاخذ من حيث لا يشعر الا قليلا من ذلك فحقيقة المكر الذي هو مكر بالحق في
الحقيقة لله لا لهم ويحتمل قوله فلله المكر جميعا اي لله تدبير الامر جميعا ان شا امضاه وان شا منعه اليه ذلك لا اليهم او لله
حقيقة المكر يغلب مكره مكر اوليك **وقوله** يعلم ما تكسب كل نفس من جزا وشر وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار قيل ان
يكون عقبي الدار معروفا عندهم وهي الجنة فيكون هذا قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري فيقول والله اعلم
سيعلمون لمن عقبي الدار اهي لهم ام هي للمومنين او ان يكون جواب قوله ولين رددت الي ربي لا جدن خيرا منها منقلبا
انهم لما راوا انهم مفضلين في امر الدنيا ووسع عليهم الدنيا ظنوا ان لهم في الاخرة كذلك فقال ذلك جوابا لهم **وقوله**
ويقول الذين كفروا اي قالوا لست مرسلا اي لن يبعثك الله رسولا وهم كانوا يقولون كذلك له فامر ان يقول
قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم اي بيني رسول الله اليكم بالايات التي اتي بها او كان قال لهم ذلك لما بالغ في الحجاج
والبراهين في اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا ذلك فايس من تصديقهم فعند ذلك قال كفي بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب اي يعلم من كان عنده علم الكتاب يعني التورية فيشهد ايضا اني رسول نبي اي يعلم من كان عنده
علم الكتاب اني علي حق واني رسول الله وهو كقوله اولم يكن لهم اية الاية وقوله فسالوا اهل الذكر ومن قرا بالخفض
ومن عنده علم الكتاب فتاويله والله اعلم اي من عند الله جا علم هذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وكذلك روي في بعض الاخبار عن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان يقرا ومن عنده علم الكتاب بالخفض واما القرا
جميعا فانهم يختارون النصب ومن عنده علم الكتاب قال ابو عبيد وقرا بعضهم ومن عنده علم الكتاب بخفض
الميم والدال ورفع العين وقال لكني لا ادري عمن هو وروي عن عبد الله بن سلام انه قال في نزل قل كفي بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب هذا ابو عبيد ان ينكث قول اهل التاويل حيث قالوا ومن عنده علم الكتاب عبد الله
بن سلام واصحابه والله اعلم

سورة ابرهيم عليه السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالي الر كتاب الر كانه من حروف متقطعة
جعلها بالحكم كتابا انزلناه اي جمعناها وانزلناها وجعلناها كتابا اعني تلك الحروف المتقطعة كتابا وانزلناه
اليك بعد ما لم تكن تدري ما الكتاب وهو كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان **وقوله** ولا تخطه
بيمينك لتخرج الناس وما يضاف الاخراج الي الله فانه يكون باعطا الاسباب وحقيقة ما يكون به الافعال وهي
القدرة وما يضاف الاخراج الي الرسل فانه لا يكون الا باعطا الاسباب لانه لا يملك هو سواه اعطا ما به يكون الفعل
من الاسباب يكون بوجهين احدهما الدعا الي ذلك والثاني ما اتي بهم من البيان والحجج علي ذلك فهو الاسباب التي
تملك الرسل اتيانها واما ما به حقيقة الفعل فانه لا يملك الا الله **وقوله** لتخرج الناس من الظلمات الي النور
قيل من الكفر الي الايمان سمي الكفر ظلمات وهو واحد لانه يستر جميع منافذ الجوارح من البصر والسمع واللسان
بصرا لا يبصر او يسمع ما لا يسمع وكذلك النطق يقول ما لا يصلح وكذلك جميع الجوارح والايمان ينفع ويكشف جميع
الحجب والستور ويضي لكل مستور والثاني قوله من الظلمات اي من الشبهات الي الخير اي الي الايمان والهدي
وقوله لتخرج الناس من الظلمات الي النور الاخراج المضاف الي الله والهداية تخرج علي وجوه اربعة احدها يامر

ويدعوهم الى ما ذكر والثانى يكشف ويبين والثالث يرغب ويرهب حتى يرغبوا فى المرغوب ويحذروا المرهوب والرابع
تحقيق ما يكون به الهداية وذلك لا يكون الا بالله وهو التوفيق والعصمة واما الوجوه الثلاثة الاول فانها تكون من كل
رسول لله عليه السلام يامر ويدعو ويرغب ويرهب ويبين ويكشف والله اعلم وقوله الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
كانه قال كتاب انزلناه اليك لتامر الناس بالخروج مما ذكر الى ما ذكر الثانى انزلناه لتخرج به الناس مما ذكر
باذن ربهم قيل بامر ربهم اى تدعوهم بامر ربهم وقال قايلون بعلم ربهم اى انزل هذه الحروف المقطعة بعلمه والثالث يحتمل
بتوفيق ربهم الاذن من الله يحتمل هذه الوجوه التى ذكرنا الامر والعلم والتوفيق وقوله الى صراط العزيز الحميد
العزيز الحميد هو الله اى يدعوهم الى طريق الله الذى من سلكه نجا العزيز الحميد سمى عزيزا لان كل عزيز به يعز او يقال
عزيز لانه عزيز بذاته ليس بعزة كالخلايق او العزيز هو الذى لا يغلب والحميد هو الذى لا يلحقه الذم فى فعله
كالحكيم هو الذى لا يلحقه الخطا فى تدبيره وقال اهل التاويل العزيز المنيع والحميد الذى يقبل اليسير من العباد
وقوله لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض من قرا بالخفض صيره موصولا بالاول وجعلهما واحدا واتبع الخفض
بالخفض ومن قرا بالرفع ابتدا الذى جعله منقطعا عن الاول على حد الابتدا فقال الله الذى له ما فى السموات وما فى
الارض ذكر قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ليعلم انه بما يامر الخلق ويدعوهم الى دينه ويمتحنهم بانواع
المحن لا يفعل ذلك لمنافع له او حاجة فى ذلك بل لحاجة الممتحنين ولمنافعهم وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد
قال قايلون الويل هو الشدة وقيل الويل هو اسم واد فى جهنم وقال الاصم الويل هو نداء كل مكروب وملهوف من شدة البلا
وتوقع المحن كذلك وقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا وصف اولئك الذين ذكر انهم الويل من هم فقال الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اى اثروا واختاروا الحيوة الدنيا على الاخرة اى رضوا بها واطمانوا فيها كقوله ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اختاروا الحيوة الدنيا للدنيا لم يختاروا للاخرة فالدنيا انشيت لا للدنيا ولكن انما
انشيت للاخرة فمن اختارها لا لذلك بها الى الاخرة ضل وزاغ عن الحق وقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على
الاخرة يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة حتى يلهوا عن الاخرة ويسهوا ويغفلوا والا اهل الاسلام ربما يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا انهم يختارون ذلك للاخرة واولئك للدنيا وقوله ويصدون عن سبيل الله يحتمل
يصدون وجهين احدهما يصرفون انفسهم باتباعهم والثانى صرفوا الناس عن سبيل الله الذى من سلكه نجا لكن اماثيلهم ويظهر
ذلك بالمصدر صد يصد صدا اصرف نفسه وصد يصد صدودا والاعراض هو بقية ويبغونها عوجا اى طعنا وعيبا فيه دليل
هذا على ان الاية فى الرؤسا منهم والقادة الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله ويبغون فى دين الله الطعن والعيب
فما وجدوا الى ذلك سبيلا قط وقوله اولئك فى ضلال بعيد الضلال يحتمل وجوها يحتمل الضلال اى سلكوا ضلالا
لا نجاة فيه قط ويحتمل الحيرة والتيه اى تحيروا فيه وتاهوا حتى لا يهتدون ابدا ويحتمل الضلال البطلان اى فى بطلان بعيد
حتى لا يصلحوا ابدا وهو فى قوم علم الله انهم لا يهتدون ابدا ويموتون على الضلال والله اعلم وقوله وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه لو كان غير من الكتب ارسلت بغير لسان الامم لكان هذا الكتاب يجب ان يكون بسبعين لسان
ونحو لانه جعل هذا الكتاب نفسه حجة واية رسالته لانهم يعجزون عن اتيان مثله وهو كان بلسانهم ليعلموا انه من الله جا
اذ لو كان من اختراع الرسول لقدروا هم على اختراع مثله لانهم مثله فاذا عجزوا عن اتيان مثله دل انه
من عند الله [illegible] الخلق لم يحتمل قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وجوها قال قايلون هذا بعد ما
اختلفت الالسن ارسل هذا وفينا ما ابتلاهم الدين كان منهم غير لسان هو له واخبارهم ليعلموا انه انما عرف تلك
الانبا والاخبار التى كانت بغير لسانه بالله وقال بعضهم ارسل بلسان قومه ليكون لهم مقالة كقوله لولا فصلت اياته
الاية والثالث انه اذا كان بلسانهم يكون الفهم اقرب الى القبول منه اذا كان بغيره اذ كل ذى نوع وجنس يكون
بجنسه ونوعه الفه من غير نوعه وجوهره وهو كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اذ ليس فى وسع البشر رؤية الملك
والنظر اليه على هيئته فعلى ذلك كلام يكون بلسانهم اقرب للقبول والفهم عنه وقوله ليبين

لهم قال قايلون ليكون ابين لهم وافهم وقال قايلون ليبين لهم بلغتهم ما اقول سولهم وقوله فيضل الله من يشاء ويهدى
من يشاء اى يضل الله من اثر سبب الضلال ويهدى من اثر سبب الذى به يهتدى بعد ذلك وقال قايلون يضل الله من
يشاء ويهدى من يشاء هذا حكم الله ان يضل المكذبين ويهدى المصدقين لكن الوجه فيه ما ذكرنا من انه يضل من اثر سبب الضلال
ويهدى من يشاء اى من اثر سبب الاهتداء وهو العزيز الحكيم العزيز لان جميع الخلايق مفتقرون اليه اذ لا به يعز من عز او
ان يكون العزيز هو الذى لا يغلب والحكيم هو الذى لا يلحقه الخطا فى الحكم والتدبير او الحكيم لا يبعث الرسل الا ليجمع نفع ولم
يوجد على فعله خطا قط وصف وصنع كل شى من صنعه وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل اياته حججه وبراهينه التى دل
بها على رسالته والوهيته ويحتمل اياته التى يعرفها الى من يبعثهم اليه رسالة ان ثبت تلك اياته حججه وان ثبت سميتها اعلاما والا
والاعلام والحجج كلها واحد تكون اعلام وحدانية الله والوهيته او اعلام رسالته وقال قايلون باياتنا اى بديننا اى ارسلنا موسى
بديننا ليدعوهم اليه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وعلى ذلك بعث جميع الرسل والانبيا بعثوا ليخرجوا قومهم من
الظلمات الى النور وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله وذكرهم بايام الله التذكير هو العظة اى عظهم بايام الله قال
قايلون ايام الله نعم الله فقال [illegible] ان يذكرهم نعم الله التى انعمها عليهم فان لله عليكم اياما من النعم كايام النقم كم من خير قد اعطاكم
الله تعالى بكم وكم من سوء صرفه الله تعالى عنكم وكم من كرب نفسه الله تعالى عنكم وكم من كرب فرجه الله تعالى عنكم فاللهم ربنا لك الحمد
وقال قايلون ايام الله وقايعه اى يذكرهم بوقايع الله فى الامم السالفة كيف اهلكهم لما كذبوا الرسل هذا يحتمل ان يذكرهم نعم الله
التى كانت على المصدقين بتصديقهم وهو ما انجاهم المصدقين من التعذيب والاهلاك باهلاك تعذيب وذكر المكذبين منهم بالوقايع
التى كانت على اولئك بالتكذيب وهو الاهلاك ويشبه ان يكون قوله بايام الله الايام المعروفة نفسها امر ان يذكرهم بها
لان الايام تاتى بالبراقيم تنعى باعمارهم واعمالهم ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وتفنى اعمارهم واجالهم وفيها ما فى بارزاقهم
نعم من الله عليهم وفى ذهاب اعمارهم واجالهم اظهار سلطان الله وقدرته فامر ان يذكرهم بذلك والله اعلم هذا يشبه ان يكون
امر موسى ان يذكر بنى اسرايل ما كان عليهم من فرعون من انواع التعذيب ثم الانجاء بعد [illegible] والله اعلم ذكرهم الايام
الماضية ويتلوها وهذا اشبه واقرب والله اعلم وقوله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور قد ذكرنا ان الصبر هو كف
النفس عن معاصى الله وعن جميع مناهيه والشكر هو الرغبة فى طاعته اخبر ان فيما ذكر ايات لمن كف نفسه عن المعاصى ورغب
فى طاعته لا لمن تطاول على الرسل وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم اليه ليس له شغل هو له عبرة واية ولكن لمن ذكرنا
ويشبه ان يكون الصبار الشكور كناية عن المومن لان كل من امن بالله وعرف احق فقد اكف عن جميع معاصيه والرغبة
فى كل طاعته وان كان يقع احيانا فى معصية فكانه قال ان فى ذلك لايات للمومنين على ما ذكرنا فى غير من الايات من ذلك
قوله ان فى ذلك لاية للمومنين وللموقنين وللمتقين ونحوه والله اعلم وقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ
انجاكم من ال فرعون يشبه ان يكون على الاضمار هو ما ذكر فى اية اخرى اى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم
ملوكا الاية واذكروا ايضا اذ نجاكم من ال فرعون يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب وقال قايلون يكلفونكم سوء
العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم السوم الاذاقة والتعذيب يقال سمتنى كذا اى اذاقنى ومرضنى ويقال سمت
الدابة على الخسف اى عرضته وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم فى سورة البقرة والاعراف
والله اعلم وقوله واذ تاذن ربكم قال بعضهم واذ قال ربكم وقيل اذ اعلم ربكم واخبر والعرب ربما اقامت افعلت
فى معنى تفعلت وتفعلت من ذلك وهذا فى الكلام اوعدت وتوعدت وهو قول الزجاج وحقيقته وعلمكم او كفل ربكم
لين شكرتم لازيدنكم لم يبين لين شكرتم عن كذا او لا بين اى نعم الشكر كان او عن دون نعم وقال شكرتم عبادا وقال لازيدنكم
لم يذكر الزيادة فيما ذا او من اى شى هى فيشبه ان يكون قوله لين شكرتم بالتوحيد اى وحدتم الله فى الدنيا فيما
خلقكم خلقا وركب فيكم ما تتلذذون وتتنعمون فى الدنيا وفيما قويكم من احسن تقويم لازيدنكم النعم الدايم فى الاخرة
نظير على هذا التاويل كانه قال لين اثبتم شاكرين فى الاخرة لازيدنكم النعم الدايمة والى هذا يذهب ابن عباس رضى
قريب منه الا ترى انه قال ولين كفرتم ان عذابى لشديد ولين كفرتم ولم توحدوا واشركتم به وصرفتم شكر تلك النعم

الى غير ان هذا في المزيد ويحتمل ان يكون كل نعمة شكرها يزيد له من نوعها في الدنيا ويديم ذلك له وفي قوله لئن شكرتم لازيدنكم
لطف وفضل لان الشكر هو المجازاة والمكافاة لما سبق من الله تعالى له فكانه في ما انعم لا انهم يستزيدون لانفسهم المزيد بالشكر
الذي ذكر انه ليس بشكر في الحقيقة لكن هذا لطف منه ذكر وهو كما قال الله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا الاية وقال
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وهذه الانفس والاموال في الحقيقة لله ليست لهم فيهم فيما يقرضون يقرضون
لانفسهم وكذلك في الشرا يشترون لانفسهم من مولاهم لكنه ذكر شراه من انفسهم لطفا منه وفضلا فعلى ذلك فيما ذكر من
الشكر لم يطلبون المزيد لانفسهم لطفا منه وان كان ان الشكر في الظاهر موضوع المكافاة لما سبق منه فيما بين الرب والعبد
ليس بمكافاة ولكن سبب المزيد ولكن سمي شكرا لطفا منه وفضلا على ما ذكر التصدق قرضا والله اعلم الا ترى انه قال ان
تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اي غني بذاته ليس يامر ما يامر لحاجة نفسه ولا لمنفعة لكن ما
امتحنكم انما امتحنكم لحاجاتكم ولمنفعتكم ابدانكم وقال بعضهم قوله ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد
اي غني عن عبادة خلقه حميد عند خلقه وهو ما ذكرنا انه ليس يامرهم فيما يامر لمنفعة نفسه او لحاجة نفسه ولكن لمنافع تحصل للخلق
ولحوائج تعود لهم وكذلك نهاهم عما نهى ليس نهي خوف مضرة تلحقه ولكن المضرر تلحقهم ولا فقر توصل اليه عز وجل عن غناه
عما يامر خلقه من طاعته وعبادته ونوجب الشكر اليه والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعل فعله والله اعلم انهم ان يكفروا
وكان علم الله منهم انهم يكفرون فعلم بذلك لا يلحقه في انشائهم مذموم والله اعلم **وقوله** الم ياتكم نبا الذين من قبلكم
قوم نوح الاية ويحتمل ان يكون لاهل الايمان منهم والرسل خاطبهم عز وجل تقبيرا منه لهم وتنبيها على تكذيب الكفرة اياهم
وايذائهم واستهزائهم به فقال الم ياتكم نبا الذين من قبلكم اي قد اتاكم نبا الذين من قبلكم ما فيه مزجركم من سوء
معاملتهم الرسول وصنع ذلك ولقد جاءهم من الانبا ما فيه مزدجر انه ما ذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل والاستهزاء
باتباعهم فيذكرهم هذا لم يهون ذلك عليهم ولتخفف لان من علم ان لغيره شركا فيما يبتلى به وامتحن كان ذلك اهون عليه واخف
من ان يكون هو المخصوص ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل الكفر منهم بقوله الم ياتكم نبا الذين من قبلكم اي قد
اتاكم ما نزل بهم لان الذي انزل ذلك عليهم حي قادر على انزال مثله بكم فيخرج ذلك مخرج التوقيع والتوبيخ والتعيير
والوعيد ليحذروا عن صنيعهم والله اعلم **وقوله** لا يعلمهم الا الله فيه دلالة ان لا يتكلف معرفة الانساب وحفظها
الى ادم شغل ويتكلف لان اجزاء منهم لا يعلمهم الا الله وروي في الخبر انه كان ينسب الى معد ولا ينسب الى اكثر
من ذلك قال انسابكم الاسم قوله لا يعلمهم الا الله وقد اخبر ايضا انه لم يقص عليه خبر الكل بقوله منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك فان العيان يتكلف تعرف ما لم يقص على رسوله والله اعلم **وقوله** جاءتهم رسلهم بالبينات
قيل البينات بينات على وحدانية الله والوهيته ويحتمل الحجج التي اتوا بها الرسل في اثبات الرسالة والنبوة وقال
بعضهم البينات ما يتقون وما ياتون وما يحل عليهم وما يحرم **وقوله** فردوا ايديهم في افواههم يحتمل ان
يكون هذا على التمثيل والكناية عن التكذيب وترك الاجابة لان رد اليد في افواههم يمنعهم من التصديق
كقوله ولا تبسط كفيه الى الماء الاية اذا ترك اجابته وقوله يردكم على اعقابكم وانه لا يشبه ان يكون على تحقيق
جعل الايدي في افواههم لم يخرج على جهة اصحهما ردوا ايديهم في افواههم في افواه الرسل فيقولون انكم كذبة
ويحتمل رد الايدي في افواه انفسهم يصوتون ويستهزءون بهم وباتباعهم كقوله وما كان صلاتهم عند البيت
الاية والذي ذكرنا معناه في موضع فيه الكه هذا احتمل ذلك والله اعلم **وقوله** وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به لا يحتمل قوله بما ارسلتم به التوحيد لانهم ارسلوا بالدعاء الى توحيد الله والعبادة له يدل على ذلك قوله
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب وقول الرسل افي الله شك الاية ويحتمل قوله انا كفرنا بما ارسلتم
به من اثبات الرسالة واقام الحجج عليها وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من التصديق بالرسالة والنبوة مريب هذا
يدل انهم كانوا على شك مما يعبدون من الاوثان والاصنام لانهم لو كان لهم بيان في ذلك وحجة وعالية
لكانوا لا يقولون انا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ولكن كانوا لا يتطمعون فيه التوقف فذلك انهم كانوا

في شك مريب في عبادتهم الاصنام والاوثان التي عبدوها ثم الشك والريب قال بعضهم هما سوا وقال بعضهم الشك هو الشك الموقوف
والريب هو النهاية في الشك والريب قال بعضهم هما سوا وقال بعضهم الشك هو الشك الموقوف والريب هو النهاية في الشك وقال
بعض اهل التاويل في قوله فردوا ايديهم في افواههم اي عضوا على اصابعهم غيظا على ما دعوا وقال بعضهم ردوا عليهم قولهم اد
كذبوهم وهو ما ذكرنا بديا وقال ردوا عليهم بافواههم **وقوله** قالت رسلهم افي الله شك اي افي الوهية الله شك او يحتمل افي الله
شك اي ليس في الوهيته ولا في عبادته شك اذ تقرون انتم انه اله وانه معبود وكذلك اقر اباؤكم انه اله وانه معبود فليس
في الوهيته ولا في عبادته شك انما كان الشك في عبادة من تعبدون دونه من الاوثان والاصنام والوهيتها لان اباءكم
اقروا بالوهية الله وانه معبود حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واقروا انه
خالق السموات والارض وفاطرهم ما يعبدونهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وان الاصنام التي
عبدوها لم تخلق شيا فليس في الله شك عندكم انما الشك فيما تعبدون من دونه او في وحدانية الله او يقول افي الله شك انه
معبود واي ليس في الله شك انه لم يزل معبودا انما الشك في الاصنام التي قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاما
في الله فلا شك انه لم يزل معبودا فاطر السموات والارض لشبهه ان يكون على الاضمار اي افي الله شك وقد تقرون انه فاطر
السموات والارض وتعلمون انه خالقهما ويحتمل ان يكون على الاحتجاج اي افي الله شك وهو فاطر السموات والارض
اي تعلمون انه فاطر السموات والارض وتقرون له انه خالقهما **وقوله** يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم هذا يحتمل وجهين يحتمل
ليغفر لهم ذنوبهم التي كانت منهم في حال الكفر اذا اسلموا وفيه دلالة والله اعلم ان الاثام التي كانت لهم في وقت الكفر ما كان
عليهم ثم وعد لهم المغفرة اذا اسلموا والثاني وعد المغفرة والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والتقول فيه بما ليس
به اذا اسلموا وتابوا عن ذلك اي انكم وان افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذبتم رسله فاذا اسلمتم وتبتم وصدقتم رسله
غفر لكم ذلك كله وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى
جواب ما قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فيقول اذا اسلمتم وتبتم لا تتخطفون ولكن تبلغون الى اجالكم المسماة
ويؤخركم الى اجل مسمى تعلق المعتزلة بظاهر هذه الاية انه للانسان اجلين اجل في حال اذا كان يفعل كذا واجل في
حال اذا فعل كذا لكن جعل الاجلين انما يكون بجهل في العواقب من جهل العواقب فاما الله سبحانه فهو عالم بما كان وما يكون
فلا يحتمل ان يجعل له اجلين وهو عالم بما يكون فانما جعل اجلا بالذي علم انه يكون منه في الوقت الذي جعله والله الموفق
وقوله قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا في قولهم تناقض من وجهين احدهما
انهم تركوا طاعة رسلهم واتباعهم لانهم بشر مثلهم ثم اطاعوا اباءهم واتبعوهم في عبادة الاصنام وهم بشر مثلهم حيث قالوا
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فذلك تناقض في القول والثاني انهم لم يروا الرسل متبوعين لانهم بشر
ثم لا يخلو هم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين او تابعين فان استتبعوا غيرهم دونهم او كانوا اتباعا لغيرهم حيث قالوا انا
وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فذلك تناقض في القول فاتونا بسلطان مبين سالوا الحجج على ما
دعوا اليه من الوهية الله وربوبيته او على ما ادعوا من الرسالة من الله وفي كل شيء دعي عليهم دلالة وحدانية الله
والوهيته لكنهم سالوا ذلك سوال تعنت وعناد وكذلك قد اقاموا الحجج على ما ادعوا من الرسالة لكنهم تعاندوا
وكابروا في رد ذلك فسالوا سوال الاية وحجة تضطرهم وتقهرهم على ذلك او يكون عنتا تيانه هلاكهم فاجابهم
الرسل فقالوا وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ما كان لنا ان ناتيكم باية يكون بها هلاككم
انما ذلك الى الله ان شا فعل وان شا لم يفعل وقوله ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على
من يشا فيه دلالة رد قول الباطنية لانهم ينكرون كون الرسالة في جوهر البشرية ويقولون انما تكون الرسالة
في جوهر الروحانية فهم صلوات الله عليهم وسلامه انما اجابوا قومهم حيث قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا
وقولهم ان نحن الا بشر مثلكم لم يذكروا شيئا من البشرية فدل ان قول الباطنية باطل حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشا من عباده فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يختص احدا بالرسالة الا من كان

منه ما يستحق به الرسالة وهم صلوات الله عليهم لم يذكروا سوى منة الله عليهم ودلالة من عليهم ويختصهم لا بشيء يكون منهم
من الاعمال وبين المنة والفضل منه عليهم **وقوله** وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله معناه ذكرنا الاذن
موضوع الاباحة هو مقابل الحجر لكن الاذن المذكور في القران ليس كله على وجه واحد ولكن يتجه في كل موضع ويحمل
على ما يليق به قوله تعالى فهزموهم باذن الله اي بنصر الله لان الهزيمة موضع النصر يحمل عليه وقال واحيي الموتى
باذن الله اي بان الله السلطان واجراه على ايدينا ويحمل الاذن المذكور في القران على ما يصلح ويليق بما تقدم
ذكره ويحتمل الاذن ههنا الامر اي بامر الله ناتي اي ان امرنا الله به ناتي به **وقوله** وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يشبه ان يكون ذكر هذا على اثر وعيد واذى كان منهم اليهم فقالوا على الله يتكل ويعتمد المؤمنون في دفع وعيدكم
واذاكم وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر اي على الله توكلوا ايها المؤمنون في جميع
ما يوعدكم اهل الكفر وفي جميع اموركم ويحتمل على الاخبار عن صنيع المؤمنين انهم انما يتوكلون على الله ويعتمدون في
جميع امورهم ويرون كل خير وبر لا بالاسباب التي لهم ولا يرون بها واما اهل الكفر فانما يتوكلون ويعتمدون
بالاسباب ويرون كل شيء وخير والله اعلم **وقوله** وما لنا الا نتوكل على الله كان هذا يخرج على اثر جواب
كان منهم لما قال الرسل وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاجابوهم بحرف
فعند ذلك قالت الرسل وما لنا الا نتوكل على الله لكنه لم يذكر ما كان منهم ولكن ذكر جواب الرسل لهم وما لنا الا نتوكل
على الله وقد هدانا سبلنا قال بعضهم وقد بين لنا سلوك سبلنا وعندنا قوله وقد هدانا اي وفق لنا السلوك
في السبل التي علينا ان نسلكها واكرم لنا ذلك اي ما لنا الا نتوكل عليه في النصر والظفر عليكم وقد وفقنا واكرمنا
السلوك في السبل التي علينا سلوكها وذلك اعسر من القيام لله تعدلا النصر بهم وقد اكرمنا ما هو اعسر واعظم
فان ينصرنا اولى والله اعلم **وقوله** ولنصبرن على ما اذيتمونا يحتمل ان يكون هذا قبل ان يومروا بالقيام لهم
والاستنصار منهم امروا بالصبر على اذاهم فقالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا ويشبه ان يكون قوله وما لنا الا نتوكل
على الله انهم قالوا ذلك لما كان اهل الكفر في كثرة وكان اهل الاسلام واتباع الرسل في قلة يستقلون اهل الاسلام
ويعاتبون على ذلك فقالوا عند ذلك وما لنا الا نتوكل على الله في النصر على اعدائنا والغلبة عليهم وقد اكرمنا
بما ذكر **وقوله** وعلى الله فليتوكل المتوكلون كانه يخرج على الامر اي على الله فتوكلوا لا تتوكلوا على غيره
ويشبه ان يكون على الخبر اي لا يتوكل المؤمن الا على الله لا يتوكل على غيره كقوله لرسوله حيث قال اني توكلت
على الله الاية وعن ... وقول المؤمنين على الله توكلنا ربنا افتح بيننا الاية ونحوه **وقوله** وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا الاخراج يحتمل وجوها ثلثة احدها على حقيقة الاخراج من البلد الى غيره
من البلدان والارضين ويحتمل الاخراج الحبس لنخرجنكم اي لنحبسنكم عن الانتفاع بها بالبلد وبما سلم وبما فيه ويحتمل
الاخراج القتل اي نقتلكم وقد كان اهل الكفر يوعدون ويخوفون الرسل واتباعهم بهذه الثلثة كقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية ونحوه ثم في وعيدهم الذي اوعدوا الرسل وعيدها ثلثة حيث تجاسروا اقبال الرسل بمثل
هذا الوعيد مع الرسل ايات وحجج احدها انهم راوا انفسهم سلطين على اوليك قاهرين عليهم وكانوا اهل
كبر وتجبر الا ترى انه قال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد دل هذا انهم كانوا راوا انفسهم كما ذكرنا اهل
تسليط وتجبر والثاني قالوا ذلك لما لم يكن عندهم ما يدفعون حجج الرسل وبراهينهم فهموا قتلهم واخراجهم
ليعجزهم عن دفع ما الزمهم الرسل وهكذا الامر المتعارف بين الخلق ان الخصم لا يقصد اهلاك خصمه ما دام له الوصول
الى الحجاج فاذا عجز عن ذلك فعند ذلك يهم بقتله ويقصد اهلاكه والثالث جواب الرسل اياهم عند التخويف
الجي بالقول الذي ليس هو قاصد منه **وقوله** او لتعودن في ملتنا اهل الدين كقوله لا يتوارث اهل ملتين
وقوله ملة ابرهيم حنيفا اي دين ابرهيم وقوله لتعودن ليس انهم كانوا فيها وتركوها ولكن على ابتداء الدخول فيها
على ما ذكرنا **وقوله** فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وعدهم النصر والظفر عليهم

والتمكين في ارضهم مع قلة عدد اتباع الرسل وضعف ابدانهم ومع كثرة الاعداء وقوة ابدانهم ليعلموا انهم انما قالوا ذلك بوحي من الله
ووعد اياهم لا من حيث انفسهم والله اعلم فكان على ما اخبروا فكان ذلك من ايات رسالتهم وما ينبغي لهم ان يطلبوا من
من الرسل الايات والحجج على ما ادعوا لانهم لم يدعوهم الى طاعة انفسهم او عبادتهم انما دعوهم الى وحدانية الله والوهيته
وجعل الطاعة والعبادة له دون ما عبدوهم من الاصنام وذلك في شهادة خلقتهم وشهادة كل خلقة وان لطف وصغر فلم
يحتجوا الى ان يقيموا البراهين والحجج على ما ادعوا ودعوهم اليه لكنهم كانوا قوما معاندين مكابرين لا يقبلون قولهم
ولا يصدقونهم تعنتا منهم وتكبرا لم ينظروا في خلق الله ليدركوا اثار وحدانيته والوهيته فكلفوا اقامة الحجج والايات
لئلا يكون لهم مقال واحتجاج وان لم يكن لهم الاحتجاج والله اعلم **وقوله** ذلك لمن خاف مقامي الاية قوله ذلك يحتمل وجوها
لانه قد سبق خصال ثلاث ما يحتمل رجوع هذا الحرف الى كل واحد من ذلك احدها قوله ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده فيحتمل قوله ذلك المن والفضل لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا قوله وما لنا الا نتوكل
على الله اي ذلك الهدى والسبل التي هدانا اليها اي ذلك الهدى والهداية لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا
فاوحى اليهم ربهم الاية اي ذلك النصر والظفر بهم والتمكين في الارض لمن خاف مقامي وخاف وعيد قوله ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد قال بعضهم خاف مقامي في الدنيا والاخرة وتاويله والله اعلم اي خاف سلطاني ونقمتي وعذابي في
الدنيا والاخرة اما في الدنيا المنازل بكذبة رسله وانبيائه وخاف وعيده وعذابه في الاخرة حيث وعد انه يحل بهم
بالتكذيب وترك الاجابة وقال بعضهم خاف مقامي في الاخرة وهو كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يخاف ذلك
المقام وخاف ما وعد من العذاب في ان رحمه قوله مقامي حيث اضاف اليه ليس في الاشتباه باقل من قوله استوى
على العرش واقل من قوله وجاء ربك والملك وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الاية وان لم يكف اشتبه هذا على اهل
التشبيه ولم يشتبه قوله مقامي حيث سالوا وانه ذلك ولم يالوا في هذا وهذا ان لم يكن اكثر في الاشتباه فليس باقل
والاصل في هذا وامثاله من قوله اليه المصير اليه مرجعكم واليه ماب ومتاب ذكر هذا وان كان الخلائق جميعا في
الدارين جميعا يكون مصيرهم ومرجعهم اليه لانه جل وعلا لم يخلقهم للمقام في الدنيا والدوام فيها انما خلقهم للزوال
فيها والفنا والمقام في الاخرة والدوام فيها لكن خلقهم في الدنيا ليمتحنهم ويبلوهم فيها ثم يصيرون الى دار
المقام فالاخرة هي المقصودة في خلقهم في الدنيا لا الدنيا فاذا لكان كذلك اضاف المصير اليه لما هو المقصود
في خلقهم وان كانوا في الدنيا والاخرة صائرين اليه غير خارجين عن طوعه ولا فايتين وبالله النجاة ذكر عز وجل
انباء الرسل الماضية واتباعهم وانباء اعدائهم وما عامل بعضهم بعضا وما نزل بالاعداء بما عاملوا رسلهم من العذاب
والاستيصال وانواع البلايا وما اكرم رسله واتباعهم واولياءهم من النصر على اعدائهم والظفر بهم والتمكين في الارض
وصار ذلك كله كتابا حكمة يتلى ليعلم ان كيف يعامل الاعداء والاولياء وليرغب فيما استوجب الاولياء من الكرامات
وليحذروا عن مثل صنيع الاعداء وليعلموا ان كيف عامل الله رسله واولياءه وكيف عامل الرسل ربهم اضاف الرسل
جميع ما نالوا من المعجزات والكرامات الى الله كان لا صنع لهم في ذلك حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن
على من يشاء ذكر قوله ان نحن الا بشر مثلكم ليعلم ان الخبر ليس يكون بالجوهر ولكن بفضل من الله تعالى وبرحمته
وقوله وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا واشاله اضافوا ذلك اليه كانهم لا صنع لهم في ذلك وذكر الله
عز وجل ما اكرم اولياءه ورسله من النصر والتمكين والانزال في الديار كانهم استوجبوا ذلك بفعل كان منهم وهو
قوله ذلك اي ذلك النصر والتمكين وما ذكرنا من الوصف لمن خاف مقامي وخاف وعيد ذكر كانهم استوجبوا ذلك ولا ان
كان ذلك من الله بحق افضاله واحسانه ليعلم معاملة الله رسله واولياءه ومعاملة الرسل والاولياء سيدهم ومولاهم
والله اعلم **وقوله** واستفتحوا يحتمل وجهين احدهما الاستنصار استنصروا الله على اعدائهم كقوله وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون والثاني استفتحوا اي تحاكموا الى الله في النصر لاحق منهم
والاقرب الى الحق كقوله ربنا افتح بيننا وهو التحاكم اليه **وقوله** وخاب كل جبار عنيد هو ما ذكرنا تحاكموا

الى الله فنصر اولياءه واهلك اعداءه على ما ذكرنا بان اجل قال اللهم ربك القوم واياديك الحسنى اي كان احب اليك
واقرب الى الحق فانصر فنصر المومنين واهلك الاعدا وقوله وخاب كل جبار عنيد اي متجبر على رسله واوليايه والعنيد
قيل المعرض المجانب عن الحق والطاعة وقال بعضهم الجبار القاتل على الغضب الضارب على الغضب وهو ما ذكرنا
وقوله من ورايه جهنم اي من وراء عذاب الدنيا لهم جهنم وعذابه قوله من ورايه جهنم الورا قد يستعمل في امام
وخلف اي من امام ما حل بهم جهنم ويحتمل ما ذكرنا اصابهم ما ذكر وقوله ويسقى من ما صديد اي يسقى في جهنم صديدا
مكان ما يسقون في الدنيا وهو الذي يسيل من القروح والجروح جعل الله للكافر في الاخرة مكان ما كان لهم في
الدنيا لباسا وشرابا وطعاما ما كانت تكرهه انفسهم جعل مكان ما يسقون في الدنيا من الماء في النار الصديد والغسلين
والحميم ومكان الطعام في الدنيا في النار الزقوم والضريع ومكان اللباس القطران ونحوه ومكان القرين الصديق
في الدنيا يجعل قرينه الشيطان كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اذ ذلك كلما كان بينهم
من دين الله ويصدهم عن ذكره ليكون جزاءهم من نوع ما كان بينهم في الدنيا عن طاعته ثم قال بعضهم ان الصديد
الذي يسقون هو ان النار تحرجهم وتقرحهم فيسيل من ذلك الصديد فيسقون من ذلك وقال بعضهم لا ولكن يجعل
شرابهم فيها صديدا كشراب اهل الجنة وطعامهم من غير اصل وقوله ويسقى من ما صديد يحتمل يسقى من ما في ظاهره ما وهو في
الحقيقة صديد ويحتمل ان يكون في الحقيقة والظاهر صديدا لكن يشربون رجاء ان يدفع عطشهم وقوله يتجرعه قال
ابو عوسجة التجرع ما يشرب بكرها على ولا يكاد يسيغه يقال استغته اي ادخلته في الحلق يقال اسغته فساغ اي دخل
سهلا من غير ان يوذيه وكذلك قيل في قوله سايغ شرابه اي سهل في الحلق وساغ في حلقه اذا دخل دخولا سهلا لا
يوذيه وقوله ويأتيه الموت من كل مكان قال قايلون يأتيه الغم والهم من كل مكان وكذلك المتعارف في الخلق
اذا اشتد بهم الغم والهم والشدة يقول كانك ميت او تموت غما فقال بعضهم ويأتيه الموت اي اسباب الموت ما لو
كان من قضاء الموت لماتوا لشدة ما يحل بهم ولكن قضاؤه انه لا يموتون فيها وما هو بميت موت حقيقة ميتة تريح
من العذاب وقوله من كل مكان قال بعضهم من كل نواحيه من فوق ومن تحت ومن خلفه ومن قدامه كقوله لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اخبر ان النار تاتيهم وتاخذهم من كل جانب ومن كل
جهة ويحتمل من كل مكان اي من كل سبب من تلك الاسباب التي تاتيهم ما لو كان قضاؤه الموت لماتوا بكل سبب من تلك
الاسباب وقال بعضهم اي ليس من موضع من جسده ومن ساير جوارحه الا الموت ياتيه منه من شدة ما يحل بهم حتى يجدوا
طعم الموت وكربه وقوله ومن ورايه اي ومن وراء ذلك العذاب عذاب غليظ لا ينقطع ولا يفتر وصفه
بالغلظ والشدة لدوامه والاياس عن انقطاعه والله اعلم وقوله مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد وهو
والله اعلم على التقديم والتاخير اي مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح ثم يحتمل اعمالهم الاعمال
التي كانت لهم في حال الايمان ثم كفروا وما احدثوا من الكفر ابطل تلك الاعمال الصالحة في الايمان وهو ما ذكر ومن
يكفر بالايمان فقد حبط عمله او تكون محاسنهم التي كانت لهم في حال الكفر طمعوا ان ينتفعوا بتلك المحاسن في الاخرة
فما انتفعوا بها فصارت كالرماد الذي تذروه الريح الذي لم ينتفع صاحب ذلك الرماد به بعدما عصفت به الريح
ما عملت فيه فكذلك الاعمال الصالحة التي عملوها في حال كفرهم واعمالهم الصالحة التي كانت لهم في حال الايمان ثم
احدثوا الكفر لا ينتفعون بها وقال في اية اخرى اعمالهم كسراب بقيعة فيشبه ان يكون هذا في اعمالهم السيئة
في انفسهم فراوها صالحة حسنة كقوله سوء عمله فرآه حسنا فشبه ما كان في نفسه سيئا بالسراب لانه لا شيء من ذلك
انما يرى شيئا لا فيه فكذلك اعمالهم السيئة في انفسهم فراوها حسنة صالحة وما كان وما شبه بالرماد فهي اعمال صالحة
في انفسها لكن الكفر ابطلها وقوله في يوم عاصف كقوله والنهار مبصرا النهار لا يبصر ولكن يبصر فيه او يبصر
به والعاصف قيل هو القاصف الكاسر الذي يكسر الاشيا او يكون قوله اشتدت به والعاصف والقاصف
حرفان يوديان جميعا معنى واحدا وقوله لا يقدرون مما كسبوا على شيء كالرماد الذي ذكرنا ان صاحبه

لا يقدر به بعدما عملت به الريح وذرته والله اعلم وقوله ذلك هو الضلال البعيد يحتمل ذلك الكفر هو الضلال
البعيد لا نجاة فيه ابدا وذلك الكفر الذي اتوا به بعيد عن الحق والله اعلم وقوله الم تر ان الله خالق السموات
والارض الم تر حرف تنبيه عن عجيب يلطف وعلم به غفل عنه او حرف تنبيه عن عجيب لم يبلغه بعد ولم يعلم به على هذا
الوجه يشبه ان يكون والله اعلم وقوله خالق السموات والارض بالحق قال عامة اهل التاويل بالحق اي للحق وتاويل
قوله والله اعلم للحق اي للكاين لا محالة وهي الاخرة لانه خلق العالم الاول للعالم الثاني والمقصود في هذا العالم هو
العالم الثاني فلو كان خلقهما الثاني لا للاول لانه لو كان للاول دون الثاني يجعل خلقهما للفنا وذلك خارج عن
الحكمة وهو قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال في الحق للحق الذي وجب له عليهم بالامتحان
والا بتلا خلقهما للشهادة له على الوحدانية او يقول خلقهما بالحق اي بالحكمة وقوله ان الله خالق السموات والارض بالحق
الا كان الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم كانه قال قد رايت وعلمت ان الله خالق السموات والارض بالحق
وان كان الخطاب به لغيره منا ذلك يقول اعلموا ان الله خلق السموات والارض بالحق لم يخلقهما عبثا باطلا وقوله
ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال بعض اهل التاويل هذه المخاطبة تخاطب بها اهل مكة يذكر قدرته وسلطانه عليهم
بعد الموت والهلاك يقدر على اذهابكم واهلاككم وليقدر ايضا ان ياتي بغيركم فعلى ذلك يقدر على بعثكم بعدما اماتكم وقوله
وما ذلك على الله بعزيز قال اهل التاويل اي على الله بشديد وعندنا والله اعلم وما ذلك في اذهابكم وفنائكم على الله
بشديد عليه ولا شاق ليس كملوك الارض اذا ذهب شيء من ملكهم يشتد ذلك عليهم فاما الله سبحانه لا يزيد الخلق في
سلطانه ولا في ملكه ولا ينقص فناؤهم وذهابهم منه شيئا كقوله اذلة على المومنين اعزة على الكافرين اي شديد عليهم وهو
ما وصفهم عز وجل اشدا على الكفار رحما بينهم ذكر مكان العز الشدة ومكان الذل هاهنا الرحما وان يكون قوله
وما ذلك على الله بعزيز اي ما بعثكم واحياؤكم بعد الممات على الله بشاق ولا شديد وقوله وبرزوا لله جميعا
قال بعضهم خرجوا الى الله من قبورهم جميعا وقال جميعا لانه لا يغادر احدا الا بعث ويحتمل وجوها اخر سوى
ذلك وهو ان قوله وبرزوا لله اي لامر الله والوعد الذي وعد انهم يبعثون او يريد الحكم لله يحكم في بعضهم وبرزوا
اي ظهروا به وجدوا يكونون به موجودين ظاهرين بعد ان كانوا فانين ذاهبين غايبين اي عندهم في الدنيا
انهم كانوا فانين غايبين عن الله فيومئذ يعلمون انه كان لا يخفى عليه شيء من افعالهم واحوالهم وهو ما ذكرنا في
قوله ليعلم الله من يخافه بالغيب وقوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين واشباهه اي يعلمهم مجاهدين صابرين
كما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين وكقوله عالم الغيب والشهادة يعلمهم شهودا كما علمهم غيبا فعلى ذلك قوله
وبرزوا لله جميعا اي يكونون له ظاهرين موجودين والله اعلم واضافه البروز اليه في الاخرة وان كان بروزهم
له في الدارين جميعا وكذلك ذكر المصير اليه والمرجع اليه والماب ونحو ذلك والله اعلم لما لا ينازع احد في البروز
في ذلك اليوم وقد نازعوه في الدنيا او صار ذلك البروز بالاضافة اليه لما هو المقصود من انشايهم
وخلقهم ليس المقصود في خلقهم وانشايهم الدنيا ولكن الاخرة فخص ذلك بالاضافة اليه والله اعلم وقوله
وبرزوا لله جميعا اي يومئذ يعلمون انه كان لا يخفى عليه شيء وكانهم لم يكونوا يعلمون قبل ذلك وقوله فقال
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قال قايلون قوله فهل
انتم مغنون عنا اي دافعون عنا عذاب الله اذ كنا لكم اتباعا وانتم متبوعين فادفعوا عنا ذلك هذا بعيد
ان يطلبوا منهم دفع العذاب عنهم وقد راوهم في العذاب فلو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوا ولا يعرف منهم
الا ان يكون لهم حيرة وعمى كما كان في الدنيا فلا يعرف ما لو لا كقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى
والاشبه انهم يطلبون عنهم رفع بعض العذاب عنهم وتحمل بعض لان مونة الاتباع في الدنيا تحملها المتبوع فيطلبون
منهم رفع شيء وتحمل بعض ما حل بهم وهو ما ذكر في اية اخرى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار طلبوا منهم
تحمل بعض ما حل بهم وقوله قالوا لو هدانا الله لهديناكم قال بعض اهل العلم ان الكفرة جميعا تابعهم

قيل ان الله تعالى قال هاهنا ويات بخلق جديد كقوله بل هم في لبس من خلق جديد ولا يخفى ما فيه من الحكمة الاية فلا تستعجل عليهم انما نعد لهم عدا وقوله خلقناكم عبثا الاية فتامل ذلك ففيه ما يغنيك عن غيره والله اعلم بالصواب

وسبق منهم العلم بهداية الله من المعتزلة لانهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم علموا ان الله عز وجل لو هداهم لاهتدوا ولكن هداهم
والمعتزلة يقولون قد هدى الله جميع الكفرة وجميع الخلائق فلم يهتدوا وانه لو اراد ان يهدي احدا لم يملك والكفرة حيث
قالوا لو هدانا الله لهديناكم راوا وعلموا ان الله لو هداهم لاهتدوا الا انهم لو لم يهتدوا بهدايته اذا هداهم لم يعتذروا
الى اتباعهم لهديناكم وكذلك قال ابليس رب بما اغويتني اضاف الاغواء اليه وهم يقولون انه لا يغوي احدا فابليس بهذا
اعلم من المعتزلة وقوله لو هدانا الله اي لو رزقنا الله الهدى واكرمنا به لهديناكم ولكن لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا وقال
ابو بكر الاصم تاويل قوله لو هدانا الله لهديناكم لو كان الذي كنا عليه هدى لهديناكم فهذا صرف ظاهر الاية عن وجهه بلا
دليل فلو جاز له هذا لجاز لغيره صرف جميع الايات عن ظواهرها بلا دليل سيما ان الاتباع قد علموا ان الذي كانوا عليه لم يكن
هدى فلا معنى لهذا وقوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال اهل التاويل انهم قالوا فيما بينهم تعالوا حتى
نجزع لعل الله يرحمنا بجزعنا فجزعوا فلم يرحموا ثم قالوا تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا فصبروا فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص لكن لا يحتمل ان يقولوا ذلك بعد الامتحان والاختبار لكن كانهم قالوا ذلك بالذي سمعوا وهو
قوله فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون لما سمعوا ذلك عند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص اي منجا وملجا لا يحتمل ان يقولوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص في اول احوالهم وامورهم
ولكن يحتمل ما ذكر اهل التاويل انهم يقولون ذلك عند الاياس وقوله وقال الشيطان لما قضي الامر قال بعضهم
قضي الامر اي ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقوم ابليس خطيبا في النار فخطب كما ذكر وقال قائلون قضي الامر
اي ميز وبين اهل الجنة من اهل النار قبل ان يدخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة قام خطيبا فخطب لاتباعه كما ذكر
ويحتمل قوله لما قضي الامر اي لما فرغ من الحساب ومن امرهم عند ذلك يخطب ما ذكر هو كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم
منذرين اي لما فرغ من السماع فيعا ذلك هذا وقال بعضهم لما قضي الامر اي لما نزل بهم العذاب ويشبه ان يكون قوله
لما قضي الامر سوى ان الله كان وعدا ان يقوم ابليس خطيبا لم قضي الامر اي انجز ما وعد انه يخطب او ان يكون لاهل
الكفر محاجات ومنازعات فيما بينهم يوم القيمة كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله
فيحلفون له كما يحلفون لكم الاية يكذبون في الاخرة ويكون لهم محاجة على ما كان منهم في الدنيا او يحتجون فيقولون ان ابليس
هو كان غلبنا وقهرنا لانه كان يرانا ونحن لم نكن نراه فالمغلوب المقهور غير ماخوذ بما كان منه فيقطع حجتهم بمثل هذه
الحجج الخطابية ويقولون هو الذي اضلنا فيقوم عند ذلك ابليس خطيبا بينهم وقال وما كان لي عليكم من سلطان
حتى اقهركم واغلبكم الا الدعاء فاستجبتم لي طائعين غير مقهورين ولا مضطرين والله اعلم بذلك وقوله ان الله
وعدكم وعد الحق يشبه ان يكون وعد ما وعد على السن الرسل ان البعث والجنة والنار والحساب والعذاب كائن
لا محالة او جميع ما وعد من مواعيد فذلك كله حق اي كائن لا محالة ووعدتكم يحتمل ما ذكر حيث قال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم وامثاله من عداته كانت كلها اماني وغرورا وكذبا وقوله وما كان لي عليكم من سلطان
يحتمل السلطان وجهين احدهما ما كان لي عليكم من ملكة وقدرة وغلبة اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء فاستجبتم لي طوعا ويحتمل
قوله من سلطان من حجة وبرهان اي لم يكن لي حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه انما كان لي دعاء ووساوس وكان مع
الرسل حجج وبراهين فتركتم اجابتهم واستجبتم لي بلا حجة وبرهان اي لم اقهركم ولم اغلب عليكم لكن هذا لا يصح لانه لو
كان له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا معذورين في بعض ذلك لان المقهور والمغلوب مضطر فالمضطر معذور
ولكن السلطان هو الحجة وقوله فلا تلوموني ولوموا انفسكم ليس هو الا لعنة الله انه لا يلام ولكن مراده ان
ارجعوا الى لائمة انفسكم واشتغلوا بها وان ذلك كان منكم لم يكن مني الا الدعاء وقوله ما انا بمصرخكم وما انتم
بمصرخي قيل ما انا بناصركم وما انتم بناصري وقيل ما انا بمغيثكم وما انتم بمغيثي او قيل ما انا بنافعكم وما انتم
بنافعي ما نزل بي هذا كله واحد وقوله ما انا بمصرخكم اي ما انا بدافع عنكم وانقاذكم وما انتم بمانعي الا ما نحي
والا لو كان لهم ملك ذلك لفعلوا وقوله اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي كفرت بما اشركتموني في عبادة الله

وطاعته اي كنت في ذلك كافرا ويحتمل اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي كفرت بما اشركتموني في عبادة الله وطاعته اي كنت
في ذلك كافرا ويحتمل اني كفرت اي تبرات اليوم مما اشركتموني مع الله في الطاعة والعبادة من قبل اهل النار وبلغني ان رجع الى الله
يتبرا في ذلك اليوم وقت ما قام خطيبا والثاني اي كنت تبرات من ذلك في الدنيا وقت ما اشركتموني ان الظالمين لهم عذاب
اليم وقوله وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات اي اذن لهم الدخول في الجنة وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي الملائكة جنات تجري من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها باذن ربهم الاذن ههنا كانه الرحمة اي خالدين فيها برحمة ربهم
تحيتهم فيها سلام تحية السلام وتحتمل الثنا اي يثنون على ربهم كقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية وقوله تحيتهم فيها
سلام قال بعضهم يسلم بعضهم على بعض ويحيي بعضهم بعضا بالسلام وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير وبر وبركة كما قال لا
يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله الم تر قد ذكرنا ان كلام الم تر حرف تنبيه عن عجب كان بلغه فيقول عنه او تنبيه
عن عجيب لم يبلغه وقال ابو بكر الاصم هي كلمة يفتتح بها العرب عند الحاجة يقول الرجل لاخر الم تر الى ما فعل فلان وهي هذا
يحتمل في غير من المواضع واما في مثل هذا فانه خبر يحتمل وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا قيل بين الله مثلا اظهر كلمة طيبة كشجرة
طيبة قال ابو بكر الكيساني كلمة طيبة هو هذا القران وكلمة خبيثة هي الكتب التي احدثها الناس شبه القران بالشجرة الطيبة وهي
النخلة في ما ذكر انها ثابت او كل شجرة ثمر وشبه الكتب التي احدثها الناس بالشجرة الخبيثة وهي التي لا تثمر وقال انما شبه
القران بالشجرة الطيبة لان الشجرة الطيبة هي باقية الى اخر الدهر ينتفع بها الناس بجميع انواع المنافع لا ينقطع عنها دائم و
دهر فكذلك القران ينتفع به الناس وهو دائم ابدا وقوله اصلها ثابت وفرعها في السماء اصلها ثابت لا قرار فعلى
ذلك القران هو ثابت بالحجج والبراهين والكتب التي احدثها الناس هي باطلة فاسدة لا حجة لها ولا برهان كالشجرة الخبيثة التي هي
غرست لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات وقال بعضهم الكلمة الطيبة هي الايمان والتوحيد شبهها بالشجرة الطيبة وهي التي تثمر
وتنمو وتزكو في علياء وصعودها في قوله تؤتي اكلها كل حين باذن ربها فكذا الايمان والتوحيد لا يزال ينمو لاهله الخيرات
والاعمال الصالحة كالشجرة التي وصفها انها تؤتي اهلها اكلها في كل حين وكل وقت اصلها ثابت بالحجج والبراهين وفرعها
في السماء في كل وقت يرتفع ويصعد العمل الى السماء والخبيثة هي الكفر لانه لا ينفع لاهله شيء اذ لا عاقبة له ولا حجة
معها ولا برهان انما شي اخذوه من شهوة واماني فكان كالشجرة الخبيثة التي لا قرار لها ولا ينتفع لاحد بها فهي لا تبقى ولا تدوم
لذلك قوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ويشبه ان يكون ضرب المثل لغير هذا المعنى وهو انه ذكر جواهر طيبة وجواهر
خبيثة ما يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر ليكون كل جوهر من هذه الجواهر التي تقع عليها الحواس ويقع عليها البصر من
خبيث او طيب دليلا وشاهدا على ما غاب عن الخلق ولا يقع عليها الحواس وهكذا جعل الله تعالى امثال المحسوسات والاشياء الظاهرة
دليلا وشاهدا لما غاب عنهم ولا يقع في الحس ليدرك بالعقل التي ركب فيهم ليرغب الطيب مما يقع عليه الحس والبصر في الموعود الغائب
ويحذر الخبيث المحسوس عما غاب عن وعد وكذلك هذه الالام والامراض والشدائد التي تحل في هذه الدنيا لتزجرهم عن الافعال
التي بها يستوجبون مثلها في الاخرة وكذلك النعم التي في الدنيا واللذات جعلها استداما على النعم الغائبة على هذا يجوز ان تحمل
لانه اراد بالشجرة الطيبة نفسها او بالشجرة الخبيثة الشجرة نفسها ويحتمل ما وصفنا والله اعلم بذلك وقال قائلون ضرب الله
مثل الشجرة الطيبة مثل المؤمن هو في الارض وعمله يصعد الى السماء كل يوم كما تؤتي الشجرة اكلها كل حين كذلك المؤمن يعمل
في ساعات الليل والنهار وقوله كل حين قال قائلون كل عام لانها تثمر في كل عام مرة وقال قائلون ستة اشهر من
وقت طلوعها الى وقت ادراكها وقال قائلون كل غدية وعشية وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال قائلون
شهرين وامثاله ويشبه ان يكون ما ذكرنا انه ليس في وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها في كل وقت وكل ساعة فان قال
لنا ملحد ان الكلمة التي ضرب الله مثلها بالشجرة الطيبة هي كلمتنا ونحن المراد بذلك والكلمة الخبيثة التي ضرب الله مثلها بالشجرة
الخبيثة هي كلمتكم وانتم المراد بها اذ الحق قيل قد سبق لهذا المثال ان الدليل على ان الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة
واخرة وكل امر له عاقبة والنظر في الاخرة هو الحق والذي انتم عليه لا عاقبة له ولا اخرة وفي الحكمة ان كل امر لا عاقبة له
هو باطل والكفر لا عاقبة له والتالي ان الايمان والتوحيد له الحجج والدلائل والكفر ما لا حجة له ولا دليل انما هو خطر

بالاماني والشهوة من تسويل الشيطان وتزيينه لذلك كان ما ذكرنا ويحتمل الكلمة الطيبة ايضا ان تكون الوحي الذي
اوحى الله الى رسوله والكلمة الخبيثة ما اوحى الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الاية فوحي الله
هو ثابت دائم ينتفع به اهله في الدنيا والعاقبة ووحي الشيطان هو باطل مضمحل للعاقبة لهم ولا ينتفع به اهله والله اعلم
بذلك وقوله اجتثت من فوق الارض قال بعضهم استوصلت وقيل انتزعت وقال ابو عوسجة انقلعت من اصلها
يقال جثثت الشيء اجثه جثا اذا اقتلعته من اصله وقوله ما لها من قرار هو ما ذكرنا وقال بعض اهل التاويل
شبه كلمة الشرك بحنظل قطعت فلا اصل لها في الارض ولا فرع في السماء اي لا يصعد له عمل ولا حمل وشبه كلمة الايمان في
ثبوتها وفضلها وبقائها وقرارها في الارض بما ذكر من الشجرة والله اعلم ثم من الناس من احتج بهذا المثل في خلق الايمان
والكفر لقال [illegible] ان الله ضرب مثلا بالمخلوق وهو الشجرة فيما ذكر الايمان ولكن عندنا لا بهذا يجب ان يستدل على خلقه ولكن
لما ثبت ان شبههما واحد لانه لو كان شبههما مختلفا لكان لا يضرب مثل هذا بهذا ولا هذا بهذا فاذا ضرب دل ان شبههما
واحد فاذا ثبت الحكم لاحدهما وصفنا ومن الناس من استدل بهذا انه يزداد وينتقص حيث شبه بالشجرة وهي تزداد وتنتقص
ونحن نقول ليس فيه دلالة ما ذكر لان الشجرة في نفسها ليست بذي حد والايمان ذو حد فما يزداد انما هو في حق
التزيين والتحسين فاما الايمان في نفسه فانه لا يزداد كالشجرة اذا تورقت وخرج ثمارها توصف بالزينة والحسن
فاما نفس الشجرة فلا توصف بالزيادة فعلى ذلك الايمان وقوله ويضرب الله الامثال للناس يحتمل بين الله
الامثال التي تقع عليها الحس ويقع عليها البصر والاشياء الظاهرة لتدلهم على ما استتر وغاب عنهم يدركون بالعقول
ما استتر وخفي بالظاهر والمحسوس لعلهم يتذكرون لعلهم يتعظون وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الكلمة
الطيبة تحتمل التوحيد وفروعها هي الخوف والخشوع والخضوع والرغبة والرهبة واكلها هو الاعمال الصالحة التي
تكون منه والكلمة الخبيثة هي الشرك وفروعها ما يكون منه في الشرك من الفاقة والتمرد والعناد واكلها هو الاعمال
التي تكون منه في الشرك او ان تكون الكلمة الطيبة هي الايمان وفروعها هي الشرائع والاحكام التي تعمل واكلها ما يثاب
عليه في الدنيا والاخرة ابدا والله اعلم وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ذكر مرة بالتثبت ومرة بذكر الزيادة بقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومرة بذكر الابتداء والتجديد بقوله يا
ايها الذين امنوا امنوا بالله وقوله اهدنا الصراط المستقيم فالتجديد والابتداء في حادث الوقت لانه كالافعال
تنقضي تذهب ولا تبقى واما الزيادة يحتمل ان يضم شيئا الى ما كان والثبات على ما كان هكذا اصل في الحقيقة
وقوله ويضل الله الظالمين اضاف الاضلال مرة الى نفسه ومرة الى الشيطان ولا شك ان ما اضيف الى الشيطان
انما اضيف على الذم فاذا كان ما ذكر فتكون الجهة التي اضيف الى الله غير الجهة التي اضيف الى الشيطان الجهة
التي اضيف الى الله هو ان خلق الضلال من الكافر وما اضيف الى الشيطان هو على التزيين والتسويل لتصح الاضافتان
ولو كان على التسمية على ما يقوله المعتزلة ان سماه ضالا لكان كل من سمى اخر ضالا كافرا جاز ان يسمى مضلا فاذا لم
يسم بتسميته ضالا او كافرا مضلا دل انه انما سمى الله نفسه مضلا لتحقيق الفعل له فيه وهو ما ذكرنا ان خلق فعل
الضلال منه والمعتزلة يقولون ان الله هدى الخلق جميعا لكنهم لم يهتدوا وضلوا من غير ان يكون الله اضلهم فنعوذ
بالله من الزيغ بعد الهدى [illegible] وقوله ويفعل الله ما يشاء وعلى قول المعتزلة لا يقدر ان يفعل ما يشاء لانهم
يقولون شاء ايمان جميع البشر ولكنهم لم يؤمنوا وكذلك قال تعالى يريد بهم [illegible] يقولون اراد ايمانهم لكنهم لم يفعلوا
ما اراد ولا يملك [illegible] تعالى لما يريد لما شاء وهم يقولون لم يمكن ان يفعل ما شاء واراد بل العباد يفعلون
ما شاؤوا [illegible] ويلزم خلاف [illegible] القران والله اعلم وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة يشبه ان يكون هذا صلة قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة على تاويل من يقول
ان الكلمة الطيبة هي القران يكون القول الثابت هو القران يقول والله اعلم يثبت الله الذين امنوا في
الحيوة الدنيا حيث تلقوه بالاجابة والقبول والعمل به وفي الاخرة اي بالاخرة والبعث يقرون به ويضل الله

الظالمين حيث تركوا الاجابة له وتلقوه بالرد والمكابرة والعناد ومن يتلقاه الكلمة الطيبة التوحيد والايمان يكون
القول الثابت هو الايمان يثبتهم في الحيوة الدنيا باختيارهم وفي الاخرة قيل في قبورهم يثبتهم للاجابة لمنكر ونكير
ويكلمهم ذلك ويضل الله الظالمين الذين تركوا الاجابة في الحيوة الدنيا وفي القبور حيث تركوا الاجابة في الدنيا ويحتمل
ان يكون قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا هو ما ذكر والله يدعوا الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم ثبت من اجاب الله الى دعائه في الدنيا وفي الاخرة يهديه الطريق الذي به يوصل الى دار السلام
والكافر حيث ترك اجابته الى ما دعاه يضله في الاخرة طريق دار السلام بترك اجابته في الدنيا والله اعلم بذلك وقوله
ويفعل الله ما يشاء في هداية من اختار الاجابة والاهتداء واضلال من اختار ترك الاجابة والغواية وقوله
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اختلف في نزوله قال بعضهم هذه السورة كلها نزلت بمكة الا هذه الاية فانها نزلت
المدينة وقال بعضهم نزلت بمكة كلها فمن يقول نزلت بالمدينة يقول قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم هو يوم بدر
اي حملوهم الى بدر حتى قتلوا لانه لم يكن بمكة بدر انما كان بالمدينة ومن يقول نزلت بمكة يقول دار البوار هي جهنم
على ما نص ظاهر الكتاب وهو الاشبه بظاهر الاية لانه بين تلك الدار فقال جهنم وفي الاية دلالة ان الاية كانت في
عظمائهم وكبرائهم حيث قال واحلوا قومهم الاية ثم اختلف في النعمة التي ذكر انهم بدلوها كفرا فهو يحتمل وجوها احدها
ان الله عز وجل قد انعم عليهم بنعم الدنيا ووسعها عليهم من تلك النعم في انفسهم فجعلوها للاصنام التي عبدوها كما يقول
ولم ينتفعوا الا من نحو البحيرة التي ذكر والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوا للاوثان هو ما ذكر هذا الشرك ثم تلك
تبديل النعم كفرا حيث صرفوا ما انعم عليهم واصل له والثاني ذكر النعمة محمد او القران او الاسلام وهو نعمة كذبوهم وكفروهم
او ان يكونوا بدلوا الشكر الذي عليهم بما انعم عليهم كفرا جعلوها سبب الكفر فلم يشكروا بما انعم عليهم وقوله بدلوا نعمة الله كفرا
حقيقته تخرج على وجهين احدهما بدلوا وصرفوا ما انعم الله عليهم وهو محمد عن انفسهم حتى اخرجهم بدلوا به كفرا والثاني
بدلوا به كفرا بعد ما سالوا انهم [illegible] سالوا به فلم يشكروا واما انعم عليهم وبدلوا الشكر كفرا وقوله واحلوا قومهم دار البوار
اي انزلوا وادخلوا اهلها ان الاية نزلت في الرؤساء والكبراء والاتباع منهم حيث اخبر انهم احلوا قومهم دار البوار وذكر احلوا
على الماضي لانه قد وجد منهم الكتب بالاضلال بدار البوار وذكر في قوله جهنم على الاستئناف بقوله جهنم يصلونها
وبئس القرار لما لم يوجد بعد سيوجد ويجوز ان يستدل بهذا [illegible] هو ان العبد اذا خير بان اعتق نوى
في البيان ان ينظر الى قيمة العبد يوم حكمه لان الحكم جنايته الى الواقع فيه [illegible] لانه لم يوجد
بعد يوم الحكم جنايته [illegible] دار البوار [illegible] وقوله وجعلوا
لله اندادا [illegible] احلوا قومهم دار البوار [illegible] وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قوله
جعلوا لله اندادا في العبادة يعبدون كما يعبد الله او في التسمية يسمونها الهة كما يسمي الله جعلوا اندادا في هذين
الوجهين في تسميتهم حيث جعلوا لما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يدفع ولا يضر [illegible] وامثالا لله على علم منهم ان الله
هو الذي خلقهم ورزقهم وينعم عليهم وهو الذي يدفع عنهم كل بلاء وشدة وجائز ان يكون قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا
عن سبيله هو تفسير ما ذكر من تبديل النعم كفرا وقوله تمتعوا بهذه النعم التي ذكر انهم بدلوها كفرا فان مصيركم
الى النار وهذا في قوم ماتوا على الكفر ويقال قل تمتعوا في الدنيا او تمتعوا بالكفر فان مصيركم الى النار وهذا في
قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وفيه دلالة اثبات الرسالة وقال ابو عوسجة البوار الهلاك والفناء يقال بار
الرجل يبور بورا فهو بائر وقوم بور اي هلكى ويقال بارت السوق وبارت السلعة اذا كسدت ويقال بارت المراة
تبور بوارا اذا كبرت وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من بوار الايم قيل يعني من كساد [illegible] والله
اعلم وقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة يحتمل اتمام الايمان بها كقوله فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو اتمام الايمان به اذ لا يحتمل الخطاب يقيموا اقام الفعل والوفاء في ذلك
حسبهم ابدا ويحتمل اتمام الوفاء والفعل لانه انما خاطب المؤمنين على ما [illegible] وقد سبق منهم الايمان بها فان قيل

كيف يحتمل الامر باقامة الايمان به وقد سماهم مؤمنين قيل فيه وجهان احدهما ما ذكرنا من الايمان فيما يستقبل وهذا جائز بان يامرهم باقامة الايمان بها
في حادث الوقت اذ للايمان حكم التجدد في كل وقت وهو كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله اي امنوا في حادث الوقت
فيما ذكر هذا يحتمل الامر باقامة الايمان وكذلك ما ذكر من اقامة الصلوة في الاية والانفاق يحتمل الصلوة المعروفة
المعهودة والزكوة المعروفة المفروضة والادامة لهما واللزوم بهما ويحتمل التبقية والوفاء بهما وينفقوا مما
رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن الامر بالانفاق ههنا امر بقيام الزكوات المفروضة الا ترى انه ذكر الوعيد في اخره
وقال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ولا يحتمل الوعيد في صدقات التطوع وهو ما ذكر ايضا في اية
اخرى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت ولا يحتمل طلب الرجوع والتاخير الى اجل في النوافل
دل انه اراد به الزكوات المفروضة وقال بعضهم وينفقوا مما رزقناهم سرا في التطوع والعلانية في الفريضة لان
الفريضة لا بد من ان تظهر وتعلن وليس في اداء الفرض رياء والله اعلم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال
يوم لا بيع فيه اي يوم لا يقدر احد ان يبيع نفسه من ربه وفي الدنيا يقدر ان يبيع نفسه من ربه كقوله ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله ان الله اشترى وقوله من قبل ان ياتي يوم لا يقدر احد بيع نفسه
من ربه ويحتمل قوله يوم لا بيع فيه اي لا ينفعه بيع نفسه في ذلك اليوم وان باع كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية فهذا ذلك الاول وقوله ولا خلال هو مصدر خاللت وهو من الخلة
والصداقة ثم هو يحتمل وجهين احدهما ان لا تنفعهم الخلة التي كانت بينهم في الدنيا لان كل خلة كانت في الدنيا
مما ليست لله تصير عداوة في الاخرة كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكقوله اخبر ان الاخلاء الذين كانوا في الدنيا
للدنيا انهم الاعداء لان الخلة التي كانت بينهم لم تنفع اهلها وهو ما ذكر عز وجل ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا وانما اخبر ان الخلة التي كانت بينهم في الدنيا لغير الله فهي تصير عداوة في الاخرة حتى يتبرا بعضهم
من بعض ويلعن بعضهم بعضا والثاني ان يكون لهم شفعاء واخلاء ولكن لا يشفعون كقوله لا يشفعون الا لمن
ارتضى او شفعاؤهم لكن لا تقبل كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين الله الذي خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الى اخر ما ذكر فيه دلالة ان تدبيره محيط بجميع ما في السموات
والارض وعلمه محيط بجميع الخلائق حيث ذكر انه انزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يعني البشر
انه جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل انه عن تدبير واحد وعلم وانه تدبير واحد عليم قدير
ثم ما ذكر من تسخير السموات والارض مع شدة السماء وصلابتها وغلظ الارض وكثافتها وتسخير البحر مع اهواله
وامواجه وتسخير الانهار الجارية وتسخير الشمس والقمر والليل والنهار لمنافع البشر في ذلك كله وجهان احدهما يذكرهم
نعمه لياتمروا ما عليهم من المنافع التي جعل لهم في تسخير هذه الاشياء التي ذكر لهم على جهل من الاشياء انها مسخرات
لغيرهم ليستاديهم بذلك شكرها والثاني يذكر سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وغلظها
واهوالها ومن قدر على تسخير ما ذكر قادر على البعث والاحياء بعد الموت ويحتمل ما ذكر من تسخير الاشياء التي ذكر
انها سخرت الاشياء مسخرة مذللة والثاني سخر لنا اي علمنا من الاسباب والحيل التي يتهيا لنا الانتفاع
بها والتسخير واتاكم من كل ما سالتموه فيه لغتان وتاويلان قال بعضهم واتاكم من كل على التنوين
ما لم تسالوه على الجحد اي اتاكم من غير ان سالتم الاشياء التي ذكر انه سخرها لكم اي اتاكم من غير سوال ولا طلب ولا
واتاكم من كل ما سالتموه وعلم ما تسالون لانه اعطانا اشياء قبل ان نعلم انه يجب ان نسال حيث خلق هذه الاشياء
التي ذكر من قبل ان يخلقنا وقال الحسن من كل ما سالتموه قال ما لم تسالوه وهو ما ذكرناه فان قيل انا نسال
اشياء لم نعطها فما معنى الاية قيل لوجوه احدها ذكر حرف التبعيض وهو قوله من كل ما سالتموه وان اتاكم
علم انه لو سالتموه قبل ان تسالوه وهو على الانتفاع به والثالث واتاكم من كل ما يحق السوال ويليق به على
حسن الوصف تخريج الاية والله اعلم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال بعضهم لا تحصوها اي لا

تشكروها اي لا تقدروا ان تشكروها وقال بعضهم اي لا تقدروا احصاءها وعدها وهكذا ان اقل الناس نعمة لو تكلف احصاء
ما اعطاه الله عليه من حسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبنية وسلامة الجوارح وغير ذلك مما لا سبيل له
الى ذكرها واحصائها الا بعد طول التفكر والنظر وقال بعضهم وان تعدوا نعمة الله لا تحيطوا بكنهها ونهايتها
ان الانسان لظلوم كفار اي ظلوم نفسه حيث صرفها الى غير الجهة التي جعلت وامروا وظلمها في المهالك والقاها في التهلكة
كفار لنعمه حيث صرف شكرها الى غير الذي جعلها له والله اعلم واستدل بعض المعتزلة بقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا
الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ان صاحب الكبيرة يخلد في النار
لانه اوعد بترك الصلوة والزكوة التخليد ابدا وترك الصلوة والزكوة من غير عذر من الكبائر دل انه ما ذكرنا فنقول نحن
وبالله التوفيق ان الاية تحتمل الامر باقام الصلوة وما ذكر من الزكوة والصدقة اقامة الايمان بها على ما ذكرنا من تاويل
بعض اهل التاويل فان كان على هذا اعني اقامة الايمان بها فمن ترك ذلك فهو يخلد ابدا لا شك فيه او يكون من استحل تركها فانه
بالاستحلال يكفر فهو يخلد او يترك لعذر فهو لا يخلد على اتفاق القول فاذا كان ما ذكرنا محتملا دل ان الاية بخصوصهم ثم موضع
تخليد صاحب الكبيرة انما هي بدلالة السمع هذا وليس الا ما في الاية دلالة التخليد لما ذكرنا من احتمال كفرهم دل
انه انما يطلب الدليل من وجه اخر وقال القتبي خلال مصدر خاللت فلانا خلالا ومخالة والاسم الخلة والخلم وهي الصداقة
وقال ابو عوسجة ولا خلال والخلة المخالة يعني المودة دائبين قال الجريان ابدا وهو من الدوب اي التعب
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا اي امنا يامن اهله فيه كما سمي النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن
يبصر فيه ومثله كثير ثم يحتمل قوله اجعل هذا البلد امنا قال بعض اهل التاويل المطلب ابرهيم ان يجعله امنا في الاسلام ولكن
خاصة له على الناس كافة وقد سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم دل انه جعله امنا في الاسلام ولكن خاصة ويحتمل لو كان ما
ذكروا محتملا يضمن بتوله المرئ اولم يروا انا جعلنا حرما امنا الاية وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وغيرها من الايات
اخبر انه جعل تلك البقعة امنا للخلق يامنون فيها ثم يحتمل وجهين احدهما جعلها امنا يجب الله بلا والامتحان الزم
الخلق حفظ تلك البقعة عن سفك الدماء فيها وهتك الحرم وغير ذلك من المعاصي وان كانوا ضيعوا ذلك وعملوا فيها ما
لا يصلح كالمساجد التي بنيت للعبادات واقامة الخيرات الزم اهلها وعلى جميع الخلائق حفظها عن ادخال ما لا يصلح
ولا يحل ثم ان الناس قد ضيعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يليق بها ولا يصلح فيها فكذلك الحرم الذي اخبر انه جعلها امنا والثاني
جعلها امنا بالخلقة من ذا الوجه يجوز ان يقال كيف سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم وهو بالخلقة جعلها امنا قيل يحتمل
هذا بحق العقوبة وان كان بالخلقة امنا الا ترى انه قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية
الطيبات بالخلقة حلال لكنه حرم عليهم ذلك بالظلم الذي كان منهم بحق العقوبة والانتقام فكذلك الحرم جعلها امنا بالخلقة
ثم قتل فيه عقوبة لما كان منهم من المعاصي والله اعلم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يحتمل كيف دعا وطلب
هذه العصمة وقد عصمه بالنبوة والرسالة واختاره لها من ذلك كله قال بعض اهل التاويل انما سال العصمة ولبنيه وذريته
لما علم ان ذريته قد يختلفون في دين الله وتوصيه وهو ذكر نفسه الموقف ان يدعوا الاخرين بنفسه قالت المعتزلة
دعاء ابرهيم وطلبه العصمة ما ذكر يدل انه يجوز ان يدعو بدعوات عامة وان كان قد اعطاه ذلك اذ يعلم انه مغفور قبل
دعاء ابرهيم وغيره من الانبياء يجوز ان تكون عصمتهم كانت مقترنة بما طلبوه وسالوه وتضرعوا اليه اذ معلوم انهم لم يستفيدوا
تلك العصمة بما لهم انفسهم وتركهم اياها لما سبق بل انما اوجب لهم ذلك باجتهادهم في طاعة لله ثم الاية على المعتزلة
من وجهين احدهما ان ابرهيم طلب هذه العصمة عن عبادة الاصنام وهو علم انه يعصمه اذا عصمه ذلك واستوى اذا استعاذه
منهم يقولون لا يعصم ولا يعتصم العبد ويهديه ولا يهدي العبد ويقولون اذا اعطى احدا ذلك خرج الكل
من يديه ولا يملك اعطاء ذلك فعلى قولهم تخرج دعوات الرسل على الاستهزاء او على الكتمان لان من سال من اخر شيئا يعلم
انه ليس ذلك عنده هو او سال الشيء وهو يعلم انه قد اعطاه ذلك فهو كتمان وكان خوف الانبياء والرسل والاكابر من
الخلق اشد واكثر على دينهم والزيغ عنهم على اهلها فلو ان يكونوا عند انفسهم على غير ما هو عند انفسهم كانوا ابدا وجلين

فانيز علي سبب ما هم عليه فكذا الواجب ان يكون الخوف عليه من نقمة الله الشرك فانه دعى له ابو عوسجة اجنبني اي باعدني وجنبني ايضا وقال الفتبي اي جنبني واياهم رب انهن اضللن كثيرا من الناس نسب الاضلال الي الاصنام وان لم يكن لها صنع في الاضلال لانهم بها ضلوا وكانت الاصنام سبب اضلالهم وقد تنسب الاشيا الي الاسباب وان لم يكن للاسباب صنع فيها كما ذكرنا من قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الي رجسهم والسورة لم تزدهم رجسا لكن نسب الرجس اليها لما كانت هي سبب زيادة رجسهم وسواتها لما نزلت يزداد لهم بها تكذيبا وكفرا بها فنسب ذلك اليها فعلى ذلك الاول والثاني نسب الي الاحوال التي كانت بها لو كانت تملك بذوات الارواح لكانت تضل وتغوي من يكون منه الاضلال لانها تزين وتحلي بالاشيا نحو ما نسب الغرور الي الدنيا وان كانت الدنيا لا تغر لانها بهذه الحال لو كانت تلك الاحوال من ذي الروح لكان ذلك تغريرا فعلى ذلك نسبة الاضلال الي الاصنام والله اعلم فمن تبعني فانه مني يحتمل ان يكون مني اي موافقي في الدين او في الولاية وحاصل والله اعلم مني في الدين وفي امر الدين وكذلك معنى ما روي من غش فليس منا اي ليس بموافق لنا او ليس معنا او ليس من ملتنا وكذلك قوله فانه مني اي من ملتي وحاصل من تبعني واجابني فيما دعوته اليه وامرته به فانه مني اي مما انا به وكذلك قوله من غش فليس منا اي ليس مما نحن عليه ومن عصاني فانك غفور رحيم يشبه قوله ومن عصاني ليس عصيان شرك ولكن عصيان ما دون الشرك فانه غفور رحيم او من عصاني فانك غفور اي ساتر عليه الكفر الي وقت معلوم اذ الغفران هو الستر فستر عليه الي اجل كقوله انما يؤخرهم ليوم او يقول ومن عصاني فانك غفور رحيم اي تمكن له من التوبة والاسلام فيسلم فيتوب فتغفر له ما كان منه من العصيان وترحم عليه وقوله ومن عصاني فيما دعوته اليه وامرته به فانك غفور رحيم تمكن له من التوبة والرجوع عما كان منه فتغفر له وترحم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع لا يحتمل ان يكون قال هذا او وصف ما تقدم تلك القصص لانه قال عند بيتك المحرم ولا بيت هنالك دل انه انما دعا بهذه الدعوات ربنا اني اسكنت من ذريتي وما ذكر ربنا واجعلنا مسلمين لك الي اخر ما ذكر بعدما بني البيت وقوله اسكنت من ذريتي دل انه انما اسكن بعض ذريته لم يكن ذريته كلها حيث قال من ذريتي قد امتحنه الله بمحن ثلث لم يمتحن بمثلها احدا من الانبيا احدها امتحنه باسكانه ولده بوادي غير ذي زرع وغير ذي ماء ما لا يحتمل قلب بشر تركه في مثل ذلك المكان ثم دل انه انما فعل بامر من الله تعالى والثاني امتحنه بذبح ولده حتي اذا اشرف علي الهلاك فداه الله تعالى بكبش وامتحنه بالقايه في النار فالقي حتي اذا اشرف علي الهلاك جعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما ففي ذلك كله دلالة رسالته وكانت له هجرتان احداهما الي حيث اسكن ولده والهجرة الثانية الي بيت المقدس قوله وذكر ونجيناه ولوطا الي الارض المقدسة التي باركنا فيها الاية ثم قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع هو دعا بتعريض لا بتصريح والدعا بالتعريض والسوال حالكن يطلبهما واكثر من السوال بالتصريح وهو كدعا ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا الاية فهذا ابلغ في السوال من قوله اغفر لنا وارحمنا ان سئل قد سبيل من دونه ولا يكون فيه ما ذكر فيه من الخسران وقوله من ذريتي يحتمل ان يكون كلهم من صلبه اي اسكنت ذريتي ويحتمل علي التبعيض اي اسكنت بعض ذريتي علي ما ذكر في بعض القصة والقيل اسمعيل واسحاق عند بيتك المحرم يحتمل قوله المحرم وجهين احدهما حرم ان يستحل فيه ما يحل ولا يصلح لكنه من تلك البقعة بالذكر وان كان ذلك لا يحل في غيرها من البقاع لفضل الحرمة التي جعلها الله لها كما خص المساجد بانها لفضلها علي غيرها من الامكنة والبقاع والثاني قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع يقال حرم اي منع كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس ذلك علي التحريم ان لا يحل له المراضع ولكن علي المنع اي منعنا عنه لرده الي امه فعلي ذلك قوله المحرم اي الممنوع عن الخلق به حتي لم يقدر اصحاب الفراعنة والملوك الغلبة عليها وادخالها في منافع انفسهم بل هي ممنوعة عنهم علي ما كان وفيه اية الوحدانية له والالوهية والله اعلم ربنا ليقيموا الصلوة قال بعض اهل التاويل فيه تقديم بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلوة عند بيتك ويحتمل ايضا غير هذا وهو ان يقال اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع اي ليس فيه ما يشغلهم عن

الصلوة لان الزرع وغيره من النعيم يمنع عن اقام الصلوة والعبادة لذا اي اسكنت من ذريتي بواد ليس فيه زرع ليشغلهم عن اقام الصلوة ثم يحتمل الصلوة المصلوة المعروفة ويحتمل الصلوة الدعا والاذكار وغيرها من الدعوات ويحتمل قوله ربنا ليقيموا الصلوة نفسها وغيرها من الطاعات وكذلك قوله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي فاجعل افيدة من الناس يحتمل سواله ربه ان يجعل افيدة الناس تهوي اليهم وجهين احدهما لما اسكن ذريته في مكان لا ماء فيه ولا نبات ولا زرع فمثل هذا المكان يستوحش المقام فيه فسال ربه ان يجعل افيدة الناس تهوي اليهم ليأتوا ذلك المكان فيتخذ منهم تلك الوحشة ويستانسون بهم او ساله ان يجعل افيدة الناس تهوي اليهم ليتعيشوا بما ينقل اليهم من الزاد والاطعمة اذ اسكنهم في مكان لا زرع فيه ولا ما يتعيشون فيه وقد جعل الله بنية هذا البشر انه لا قوام لهم الا بالاغذية والاطعمة فسال ربه ليتعيشوا بما يحمل اليهم وقال اهل التاويل فاجعل افيدة من الناس تهوي اليهم يحج وقالوا لو قال فاجعل افيدة الناس تهوي اليهم ولم يقل من لحج الخلق جميعا الكافر والمومن لكن لا يحتمل عندنا ان يكون سواله للخلق جميعا او يكون قوله واذن في الناس بالحج الخلايق جميعا الكافر والمومن بل يرجع ذلك الي خصوص والله اعلم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون يحتمل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون تلك الثمرات ويحتمل لعلهم يشكرون بما جعل لهم من التعيش بما يحمل اليهم من الاغذية والاطعمة وقوله وارزقهم من الثمرات ليس علي تخصيص الثمرات ولكن سال الثمرات وما به غذاهم وقوامهم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن لا يحتمل ان يكون مثل هذا الدعا ابتدا بل كان والله اعلم عن نازلة دعا اذ يعلم صلوات الله عليه انه كان يعلم ما يخفون وما يعلنون لكن لم يبين ما تلك النازلة واهل التاويل يقولون قال هذا اي تعلم ما نخفي من الحزن والوجد علي اسمعيل وامه حين تركها بواد لا ماء فيه ولا زرع وليقولون وما نعلن وهو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي لكن لا نعلم ذلك والله اعلم وما يخفى علي الله من شي في الارض ولا في السما كان هذا جوابا عن الله واخبارا منه اياه انه لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اي لا يخفى عليه ما له امر فيه ولا نهي ولا جزا فكيف يخفى عليه الاعمال التي عليها الجزا والامر الحمد لله الذي وهب لي علي الكبر اسمعيل واسحاق قال اهل التاويل انه وهب له الولد وهو ابن كذا وامراته ابنة كذا لكن لا نعلم ذلك سوى ما ذكر انه وهب له الولد علي الكبر في وقت الاياس عن الولد حيث بشر بالولد فقال ابشرتموني علي ان مسني الكبر وحيث قالت امراته لما بشرت بالولد الد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا نعلم انه وهب له الولد وهما كانا كبيرين في وقت الاياس من الولد وقوله الحمد لله الذي وهب لي علي الكبر اسمعيل واسحاق يكون حمد علي الامرين جميعا علي الهبة وعلي الولادة في حال الكبر وحال الاياس اذ كل واحد مما يوجب الحمد عليه والثنا ان ربي لسميع الدعا قيل المجيب الدعاء رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي قد سبق من الله الامر باقام الصلوة وهو المقيم لها فدل ان الدعا منه والسوال في ان يجعله مقيم الصلوة علي ان عند الله لطف سوى الامر يعطيه فلذلك وهو التوفيق وعلى قول المعتزلة لقولهم انه قد اعطى كل شي حتى لم يبق عنده ما يعطيه ربنا وتقبل دعاي قال بعضهم تقبل دعاي في اقام الصلوة لنفسه وذريته لكن لا يجب ان يخص دعا من الدعوات التي سال ربه وقد دعا ربه بدعوات كثيرة نحو ما قال اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افيدة من الناس تهوي اليهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وغير ذلك من الدعوات ربنا اغفر لي ولوالدي طلب من ربه المغفرة لوالديه قال الحسن ان امه كانت مسلمة واما ابوه كان كافرا لانه قال واغفر لابي انه كان من الضالين خص والده بالضلال فدل ان امه كانت مسلمة لكن لا نعلم ما حال الام ام كانت مسلمة او كافرة واما ابوه فهو لا شك انه كان كافرا ثم يحتمل دعاوه لوالديه وهما كافران ان كانا كافرين الا علي اضمار الاسلام اي اغفر لهما ان اسلما او ان يكون سوال المغفرة لهما سوال الاسلام نفسه او يكون طلب منه الستر عليهما في الدنيا وان لا يفضحهما ولا يجزيهما لكنه سال المغفرة يوم يقوم الحساب ولا يحتمل طلب الستر الا ان يفصل بين قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وبين قوله وللمومنين فيبتدأ بالمومنين يوم يقوم الحساب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في دعا ابرهيم وسوال المغفرة

لو الدين يكون سوال البيت الذي ليحفانه المعترف من ربهما ويكون ان اصلاحها وهو التوحيد ومعرفة الموجب وهو ما
ذكرنا في امر نوح قومه الاستغفار له وكذلك قول هود حيث قال ويا قوم استغفروا ربكم الاية يوم يقوم الحساب
يحتمل قوله يقوم الحساب بالعدل يقال الرجل لاخراجها اي اعدلها واقام الحساب العدل فيه على ما توجبه الحكمة
لا يزاد ولا ينقص كقوله ونضع الموازين القسط وقال بعضهم يوم يقوم الحساب يوم يحاسبون قيام الحساب هو
المحاسبة نفسه والله اعلم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن كانت له حاجات اخفاها طلب قضاها فقال انك تعلم حاجاتي
اخفيتها او اعلنتها فاقضها لي او ان يكون قوم طعنوا في شي فقال ذلك على التبري من ذلك انه يعلم ما نخفي وما نعلن ولم
يعلم ذلك الذين يطعنون في شي والله اعلم كقول عيسى تعلم ما في نفسي او ان يكون قال ذلك لان اهل الاديان جميعا
كانوا يوالون ابرهيم ويدعون انه على دينهم ولذلك قال ما كان ابرهيم يهوديا الاية براه الله مما ادعى كل فريق ثم منهم
من كان من الفرق يدعون الاسرار عن الله والاخفاء فقال هذا ليعلم الناس ويوصيهم انه لا يخفى عليه شي اخفي
او اعلن ليعرفوا ويوصيهم انه ليس شي يخفى عليه والله اعلم ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال
بعضهم المخاطب بهذا الرسول خاصة على علم منه ان رسول الله كان لا يظن ان الله يغفل عما يعمل الظالمون لكنه خاطب
به كما خاطب في قوله ولا تدع مع الله الها اخر وقوله ولا تكونن من المشركين وامثاله نهاه مع العلم انه لا يفعل ذلك واصل
في هذا ان العصمة لا ترفع المحنة وليس المحنة الا الامر والنهي فلو رفعت العصمة المحنة والامر والنهي لذهبت فايدة العصمة
ولا حاجة تقع اليها فدل ان العصمة تزيد في المعصوم المحنة يحتاج اليها وينتفع بها ويحتمل ان يكون الخطاب به غير كل
فكان نظر بالله الغفلة عن ظلم الظالم وهو كما خاطب بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم انما خاطب به كل غافل بربه
الكريم لا كل انسان فعلى ذلك خاطب بقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون كل ظان بالله الغفلة عن ظلم الظالم
ثم ان الذي حملهم على الظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم حلمه وتاخير العذاب عنهم عن وقت ظلمهم وترك اخذهم بذلك فمنهم
من ادعى الغفلة عن ذلك لما راوا من عادة ملوك الارض ان من ظلم منهم انتقم منه في العاجل وقت يقدر على الانتقام منه
فحمل تاخير الله العذاب منهم والانتقام منهم في الوقت على الغفلة ومنهم من ادعى الرضا بما اختاروا هم من الشرك والكفر
بالله وادعوا الامر بذلك لما لم ياخذهم ولم يستاصلهم بصنيعهم فاستدلوا بذلك رضاه بفعلهم والامر اياهم بذلك فاخبر
سبحانه ان تاخيره العذاب عنهم وامهاله اياهم ليس عن غفلة عنه ولا عن سهو ولا لرضاه به وامره ولكن انما يوخرهم
ليوم ثم وصف ذلك اليوم لشدة هوله وفزعه فقال ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رووسهم لا يرتد
اليهم طرفهم قال بعضهم هذا الكل يرجع الى الطرف والبصر يقول شاخصة ابصارهم مهطعين ناظرين الى اي
الى الداعي مقنعي رووسهم رافعي رووسهم لا يرتد اليهم طرفهم لهول ذلك اليوم هذا الكل يرجع الى الابصار دون
النفس لان الاهطاع والاقناع هو للنظر ولشخوص الابصار ومنهم من صرف قوله تشخص فيه الابصار ولا يرتد
اليهم طرفهم الى البصر وصرف قوله مهطعين مقنعي رووسهم الى الانفس وهو ما ذكر في موضع اخر مهطعين الى
الداعي اي مسرعين اليه الاجابة رجاء التخلص والنجاة عما حل بهم بترك الاجابة والاهطاع قيل هو النظر
الدايم والاقناع هو رفع الرووس مهطعين اي مديمي النظر مقنعي رووسهم اي رافعيها وعلى تاويل بعضهم
مسرعين على ما ذكرنا وقال بعضهم مقنعي رووسهم اي رافعيها ملتزقة الى اعناقهم وقوله ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون وقت خلقه الخلق وان به عما يكون منهم من الظلم اي لا عن غفلة وسهو عن ظلم الظالمين
انشاهم وخلقهم ولكن على علم بما يكون منهم انشاهم وخلقهم لكن انشاهم على علم منه بذلك لان منافع ما يكون منهم وضرره
يرجع اليهم فلم يخرج انشاوه اياهم على علم منه بذلك عن الحكمة والثاني ما ذكرنا ان تاخير العذاب عنهم ليس لغفلة
منه بذلك ولكن لما في اخذهم بالعذاب وقت صنيعهم زوال المحنة لانه يصير العذاب والثواب ثمة حق والله اعلم
وافيدتهم هوا قيل خالية لهول ذلك اليوم اي خالية عن التدبير لان في ان هذا من بلي
بيلايا وشدايد يتدبر ويتفكر في دفع ذلك فيخبر ان افيدتهم هواء هذا اي خالية عن التدبير اذا فيه هم

لا يكون معهم لشدة اهواله وقال بعضهم وافيدتهم هواء اي لا شي فيها ما ينتفعون بها وهكذا الهواء هو كل شي يوصف
بالخلا عن كل شي والله اعلم وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل
قريب يحتمل قوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب قولهم الذي ينذرهم بوعيد ربنا اخرنا الى اجل قريب ويحتمل
وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب الذي يحل بهم لزجرهم عما يتعاطون ان حل بهم العذاب ربنا اخرنا الى اجل قريب قال بعضهم
الى الدنيا والدنيا اجلها قريب لكن هذا لا يحتمل لان الدنيا اولى والاخرة اخرى فلو جاز ان يكون الاخرة اولى فذلك
بعيد لكن طلبوا والله اعلم الرد الى حال الامن ليجيبوا دعاءه لانهم لا تنفعهم اجابتهم في حال الخوف والموت وما حل بهم انما حل
بتركهم الاجابة في حال الامن فطلبوا الرد الى الامن ليجيبوا دعاءه لتنفعهم اجابتهم حيث قالوا نجب دعوتك ونتبع الرسل
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال يبين بما اقسموا في هذه الاية وهو ما بين في اية اخرى واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم قوله ما لكم من زوال قال قائلون ما لكم من زوال من الدنيا اي كنتم تقولون ان
ليس الا الدنيا لا زوال لنا فيها احيا ونموت كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا الاية على ما ذكر من زعمهم
انهم لا يبعثون وقال قائلون قوله ما لكم من زوال جواب لسوالهم ربنا اخرنا الى اجل قريب على الاستيناف ما لكم
من زوال عما انتم فيه من العذاب الى ما تطلبون من الرد والرجوع الى ما كنتم اليه وذلك بعيد وقال بعضهم في قوله وافيدتهم
هوا اي ترتفع قلوبهم حتى صارت في حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها لشدة هول ذلك اليوم وفزعهم
على ما هو على التمثيل والكناية كقولهم اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم الاية لشدة خوفهم وهو على التمثيل اذ لا يحتمل
بلوغ القلوب الحناجر في الدنيا حقيقة اذ لو بلغت لخرجت في الدنيا يحمل الموت فيه دل انه على التمثيل
لشدة خوفهم وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل اي سكنتم في الدنيا في مثل منازلهم ومساكنهم
ورايتم ما نزل بهم اولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم وذلك قوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم من التعذيب والاستيصال
ثم لم تتعظوا بما حل بهم فكذلك اذا رددتم الى حالة الامن لا تتعظون بما حل بكم في هذه الحالة وهو ما قال ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فيما يقولون انهم يجيبون دعوته هذا والله اعلم تاويله وقال بعض اهل التاويل وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم اي عملتم مثل اعمالهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم من الاستيصال بالتكذيب بتكذيبهم الرسل
ثم لم تتعظوا بذلك فلا تتعظون بهذا ايضا اذا رددتم والله اعلم وفي قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الى اخر
ما ذكر دلالة لزوم النظر والاستدلال ولزوم القياس ودلالة لزوم العقوبة وان كان لم يعلم الله بعد ان يكون امكن
العلم به اما دلالة النظر والاستدلال هو قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم فلا تنظرتم ما حل بهم من تكذيبهم
الرسل ولا تتعظتم به ودلالة القياس هو ما خوفهم ان ينزل بهم ما نزل باولئك لانهم اشتركوا في المعنى الذي نزل
باولئك ما نزل وهو تكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم وضربنا لكم الامثال اي ضربنا لكم من الامثال ما لو
تفكرتم فيها وتعقلتم لكان ذلك لكم موعظة وزجرا عن مثل صنيعكم او يقول وضربنا لكم الامثال اي قد بينا لكم الامثال
والاشباه وما يعرفكم لو تاملتم ان اولئك لكم اشباه وامثال وصنيعهم لصنيعكم اشباه وامثال فينزل بكم ما
نزل بهم والله اعلم وقد مكروا مكرهم واحتالوا على اهلاك الرسل وقتلهم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية وكيدهم الذي ذكر في غير اية من القران برسل الله حتى نال الرسل لكيدهم وما جيها ومكروا ايضا بدين الله الذي
اتت به الرسل مكروا واحتالوا على اطفاء ذلك النور فابى الله ذلك عليهم واظهر دينه وابقى نوره الى يوم القيمة
كقوله يريدون ان يطفيوا نور الله كان مكرهم وحيلهم يرجع في احدهما الى قتل الرسل حين هموا وقصدوا
هلاكهم والثاني يرجع الى اطفاء الدين الذي اتت به الرسل والنور الذي دعوا اليه وعند الله مكرهم
يحتمل وعند الله مكرهم الذي مكروا برسل الله او بدينه او وعند الله مكرهم اي عند الله العلم بمكرهم محفوظ ذلك عنده
لا يفوت ولا يذهب عنه شي فيجزيهم بذلك في الاخرة او وعند الله مكرهم اي عند الله الاسباب التي بها مكروا
من عند الله استفادوا وهو النعم التي اعطاهم والاموال التي ملكهم والعقول التي ركب فيهم بما قدروا على المكر

جزاوهم

والاحتيال عند الله ذلك كله والله اعلم — وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اختلف في تلاوته وقراءته وتاويله
قرا بعضهم وان كاد مكرهم بالدال وهو حرف عمر وابن مسعود وابي وابن عباس رضي الله عنهم وقرا بعضهم وان كان مكرهم بالنون
ثم اختلف في قوله وان كان قال الحسن وغيره وان بمعنى ما اي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال قال كان مكرهم اوهن
واضعف من ان يزول منه الجبال وان بمعنى ما كثير في القران كقوله لو اتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اي ما كنا فاعلين
وكقوله ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن الا بشر مثلكم وقد تستعمل ان في موضع قد كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اي
قد كان وعد ربنا لمفعولا فمن حمل على ما فقد استهان بمكرهم واستخف به فقال ان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول
منه الجبال والجبال اوهن واسرع زوالا من رسالة الرسل ودين الله بل رسالة الرسل ودين الله اثبت من الجبال
لان دين الله وسبيله حجج الله وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم في ازالة الجبال لا يعمل في ازالة دين الله ورسالة الرسل
وفيها الحجج والبراهين ومن قال وان كان قد حمل على الاستعظام مكرهم وعلى ذلك من قرا بالدال على الاستعظام
بمكرهم كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا من عظيم ما قالوا
في الله كادت السموات ان تنشق فيما تلك مكرهم جميعا الوجهين ان يتهاون مرة ويستعظم الاخرى يقال ان كلمتهم
من حيث الشرك والكفر عظيم ومن حيث احتيالهم ومكرهم في ازالة ذلك النور واطفائه ضعيف والله سبحانه اعلم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الخطاب به يحتمل ما ذكرنا اي لا تحسبن ان ما تاخر من نزول ما وعد انه
يخلف وعده الذي وعد رسله كالم يك تاخر العذاب عنهم من وقت ظلمهم عن غفلة وسهو ولكن كان وعد الى ذلك الوقت
وخلف الوعد في الشاهد من الخلق انما يكون لوجهين احدهما لما لا يملك انجاز ما وعد والثاني لما يضره الانجاز فالله
تعالى عن ذلك كله — ان الله عزيز ذو انتقام قال بعضهم عزيز لا يعجزه شي وقيل عزيز قاهر يقهر ويذل
الخلق كلهم اذلا دونه وقوله عزيز اي غالب قاهر ذو انتقام لاوليائه من اعدائهم اي غالب الاعداء وقاهرهم وناصر
الاولياء واما ما قال اهل التاويل وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال انه نزل في شان فلان
نمروذ وانه اتخذ تابوتا وربط نسورا على قوائمه ثم ذكروا الى اخره فلا علم لنا الى ذلك واظنه انه كذب فلا نقول
الا القدر الذي ذكر في الاية ولتزول بنصب اللام الاولى ورفع الاخرى على معنى التوكيد ولتزول بكسر الاولى
ونصب الاخرى على الجحد اي ما كانت الجبال لتزول من مكرهم وهو ما ذكرنا والله اعلم — يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات قال الحسن تغير هذه الارض ثم تعاد من ساعته مستوية لا شجر فيها ولا جبال ولا اكام قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال بعضهم تبدل هذه الارض ارضا غيرها بيضا نقية لم يسفك عليها
دم ولم يعمل عليها المعاصي وكذلك السموات ومنهم من يقول لا تبدل عينها ولكن تتغير صفتها وزينتها كما يقول الرجل
لاخر تبدلت يا فلان لا يريد تبدل اصله وعينه ولكن تغير الاخلاق والدين فيحتمل ما ذكر من تبديل الارض والسموات
والاشبه ان يكون على اختلاف الاحوال لانه ذكر في اية يومئذ تحدث اخبارها وقال واذا الارض مدت
وقال يوم تشقق وقال اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
ويوم نسير الجبال وقال ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ذكر مرة مد الارض وذكر مرة انها
تحدث وتحدث بما عمل عليها وذكر في السماء بالتشقق والانفطار وفي الجبال بالسير المر مرة ومرة بالرفع
ومرة اجزائه هباء منثورا وانا لم يعتبر ان يكون هذا كله على اختلاف الاحوال والاوقات اذ يوم
القيمة يوم ممتد فيكون كل ما ذكر على ما قال يومئذ لا يتساءلون وقال في اية واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وقال ولا يتساءلون وقوله بل لمن في السموات والارض فهو والله اعلم على اختلاف الاحوال والاوقات
فيما ذكرنا والله اعلم بذلك تبديل الارض والسموات يحتمل وجهين احدهما تبديل اهلها على ما يذكر الارض
والقرية والمراد بها الاهل كقوله واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وقوله قرية كانت
امنة الاية ونحوه كثير والثاني تبديل نفس الارض ثم يحتمل كل واحد من الوجهين وجهين اما تبديل اهلها سموات

يكونوا مستسلمين خاضعين له في ذلك ولم يكونوا في الدنيا كذلك وان في تبديل اهلها ما ان يكون الاولي في النعم الدائم
والعز الباقية والاعداء في عذاب والوحشة وكانوا في هذه الدنيا جميعا مشتركين الاولياء والاعداء في اللذات
والالام فان كان تبديل نفس الارض فهو يخرج على وجهين ايضا احدهما تبديل زينتها وصفتها والثاني تبديل عينها
وجوهرها وهو ما ذكر ان ارض الجنة تكون من مسك وزعفران ونحو ما روي في الخبر والله اعلم كان قوله يوم تبدل
الارض غير الارض صلة قوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله فقال والله متى يكون ذلك فقال يوم تبدل الارض غير الارض
يخرج جوابا للسوال والله اعلم — وبرزوا لله الواحد القهار وقد ذكرنا تخصيص بروزهم لله يوم القيامة
انه والله اعلم ان هذا العالم الاول والعالم الثاني فالعالم الثاني هو المقصود في ان هذا العالم خص بروزهم
يومئذ له لما هو المقصود في انشائهم وقال القائلون تخصيص البروز له يومئذ لانهم يخرجون من قبورهم بحساب لا
لغرض اخر يحاسبهم فاضاف البروز اليه لما لا يخرجون الا له واما في الدنيا فانما يخرجون لحوائج انفسهم لذلك خرج
التخصيص له والله اعلم وقوله وبرزوا لله يحتمل وجها اخر وهو برزوا مستسلمين خاضعين طائعين ولم يكونوا
في الدنيا كذلك والثاني يبرزون لما وعدوا واوعدوا وكانوا يهزءون بوعده ولوعيده ولما دعوا اليه لما عنوا في
يبرزون له لما لا يملكون حفظ انفسهم وسترها الظاهر له وقوله الواحد القهار الواحد الذي لا شريك له والقهار
يقهر الخلق كلهم ويذلهم الجبابرة والفراعنة او يبرزون له ليجزيهم على ما ذكر تعالى ليجزي الله كل نفس ما كسبت والله
اعلم — وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وذكر من قطرآن قيل القطر هو النحاس
والاني الذي قد انتهى حره كقوله بين حميم ان وقيل الصفر وقال بعضهم من قطرآن اي من نحاس اني اي انتهى حره
به وقال بعضهم هو القطران المعروف الذي يطلى به الابل ذكر هذا لانه اسرع احتراقا واشتعالا وقوله
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى اخره ذكر جعل الله عذاب الكفرة في الاخرة بالاسباب والاشياء
التي كانوا يتفاخرون بها في الدنيا من اللباس والشراب والاصحاب وغيره وهو كان سبب منعهم عن اجابة الرسل
فيما دعوهم اليه فجعل تعذيبهم في الاخرة بذلك النوع من النار تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد
يقرن ويقيد بعضهم ببعض كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية لانه كان يتبعه ويامره بالسوء
وكقوله احشروا الذين ظلموا الاية وكذا اتباع الرؤساء منهم والمتبوعون وقوله سرابيلهم من قطران لما كانوا يتفاخرون
في الدنيا بلباسهم وكذلك كل نوع كانوا يتفاخرون به في الدنيا ومنعهم عن اجابة الرسل وقد ذكرنا هذا فيما
تقدم والاصفاد قيل الاغلال اي قد قرن بعضها الى بعض في الاغلال واحدها صفد وهو قول القتبي وكذلك
قول ابي عوسجة الاصفاد الاغلال قال واحدها صفاد والصفد العطية سرابيلهم قمصهم واحدها سربال من
قطران القطر ما ذكرنا النحاس والاني الذي قد انتهى حره وهو قول القتبي وابي عوسجة ذكر هذه المواعيد
والشدائد وانواع ما يعذبون به في الاخرة وغيرها على السن من قد ظهر صدقهم بالايات والحجج ليحذروا ما اوعدوا
ويرغبوا فيما وعدوا لئلا يكون لهم الاحتجاج يومئذ كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله
ليهلك من هلك عن بينة الاية ونحوه والله اعلم — وتغشى وجوههم النار لان ايديهم مغلولة الى اعناقهم
فلا يقدرون ان يتقوا النار بايديهم ذكر هذا لان في الدنيا من اصابه اذى يتقي عنه بيده فيخبر انهم انما
يتقون ذلك بوجوههم والله اعلم ليجزي الله كل نفس ما كسبت لما ذكرنا يبرزون لله ليجزيهم من خير وشر
ان الله سريع الحساب قال بعضهم كانه قد جاء به والثاني ذكر هذا لان الحساب انما يبطي لما لا يتذكر من له
الحساب لمن يحاسبه في الشاهد لكاسبه فيطول الحساب او لاشتغاله بشي يشغله عنه او يجهل الحساب فاما الله
سبحانه لا يخفى عليه شي ولا يشغله شي عن شي كل محفوظ عنده لذلك سريع الحساب والله اعلم وقوله انما يطول
الحساب في الشاهد لما يحتاج الى التفكر والنظر والتذكر في ذلك فالله سبحانه متعال عن التفكر
والنظر بل كل شيء محفوظ عنده والله اعلم — هذا بلاغ للناس ولينذروا به يحتمل قوله هذا بلاغ

القران موعظة للناس على ما ذكر في صدر السورة كتاب انزلناه اليك الاية هو بلاغ على ما ذكر والله اعلم ولينذروا به اي
بالقران ايضا على ما ذكر وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها وبلاغ قوله
هذا بلاغ ما ذكر من المواعيد وهو قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى اخر ما ذكر اي هذا الذي
ذكر بلاغ يبلغهم لا محالة ولينذروا به ما ذكر وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له بالايات التي اقامها على وحدانيته
والوهيته وليذكر اولوا الالباب اي ذووا العقول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قد ذكرنا فيما تقدم
انه يحتمل ان الحروف المقطعة كناية عن كتب ربه او اياته اقسم بها على ما توجبه الحكمة فجعل كتبا او ايات كتاب
يجيء او يكون كناية عن الانباء والاخبار عن الامم الخالية التي لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الانباء والاخبار
التي جعلها حاكية بالايات ليعلموا ان هذا الكتاب انما نزل من السماء وانه انما علم بالوحي من الله وقد ذكرنا هذا
في غير موضع وقران مبين قال بعضهم مبين فيه ما يؤتى وما يتقى او مبين بين الحق والباطل والله اعلم
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال عامة اهل التاويل انما يودون الاسلام والتوحيد بعدما عذب بالنار
قوم من اهل التوحيد بذنوبهم ثم اخرجوا منها بالشفاعة او بالرحمة فعند ذلك يتمنى اهل الشرك ويودون
الاسلام والتوحيد لكن هذا بعيد ان لا يتمنوا الا في النار بعدما اخرج اولئك وقد اصيبوا الشدايد والبلايا
من قبل ان ياتوا النار وقال الله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الاية اخبر انه
يتمنى عند حلول الموت الاسلام حيث طلب الرجوع الى الدنيا دل انهم يودون الاسلام قبل الوقت الذي
ذكروا او يتمنون الاسلام اذا ما حبسوا او اذا بعث اهل الجنة الى الجنة وبعثوا هم الى النار يتمنون الاسلام
قبل ذلك بمواضع فربما يتمنى الاحاد من الكفرة ويودون لو كانوا مسلمين في احوال واوقات يظهر لهم الحق وقد
بان لهم الحق لكن الذي يمنعهم عن الاسلام فوت شيء من الدنيا وذهاب شيء قد طمعوا فيه وقال الحسن في قوله
الر تلك ايات الكتاب قسم لما ذكر ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يقول اقسم بالحروف المقطعة انهم
يودون الاسلام والله اعلم ذرهم ياكلوا ويتمتعوا هذا ليس على الامر ولكن على الوعيد والتهدد
والابلاغ في الوعيد والتاكيد كقوله اعملوا ما شئتم الاية هو على الوعيد حيث قال انه بما تعملون بصير فعلى
ذلك قوله ذرهم ياكلوا وعيد بقوله فسوف يعلمون ويشبه ان يكون ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم فسوف
يعلمون المحق من المبطل وان المحق والمبطل من انا وهم او سوف يعلمون نصحك اياهم وشفقتك عليهم انك
نصحت لهم واشفقت عليهم الا انهم خانتهم او يعلموا انما سخروا بكم وهزؤوا او قوله ويلههم الامل الامل الطمع اختلف
فيه قال بعضهم شغلهم املهم وامانيهم فقد اصابوا الحق ذلك منعهم عن الاجابة والنظر في الايات والحجج
والثاني تقديرهم امتداد حيواتهم ليبقى لهم الرياسة والشرف ذلك الذي كان منعهم عن الاجابة لهم لله
والانقياد له والنظر في الايات والحجج والثالث يطمعون هلاك النبي ويتمنون ذلك وانقطاع هلاكه وامره
والعود اليهم فذلك الذي كان منعهم وفي حرف حفصة ذرهم يؤمنوا ويلعبوا ويلههم الامل وقوله فذرهم
ياكلوا ويتمتعوا الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ايس رسوله من ايمانهم وهو كقوله وتذرهم في طغيانهم
يعمهون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قال الحسن وما اهلكنا من اهل قرية اهلاك
تعذيب الا وقد ارسلنا اليهم رسلا بكتاب معلوم يتلو ذلك الكتاب المعلوم عليهم فاذا كذبوهم وابوا
من ايمانهم فعند ذلك يكون اهلاك تعذيب وهو ما قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
يتلو عليهم اياتنا فيما ذكر الا ولها قال بعضهم وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم يعني كتاب
فيه اجل معلوم موقت لها على هذا التاويل كانه قد خرج جوابا لقوله كان من اولئك الكفرة من استعجل الله
الاهلاك ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي ما تسبق امة من اجلها الذي جعل الله لها بالاهلاك

وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

وما يستاخرون وهو ما قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ساعة عن الوقت الذي جعل لهم
ولا يستقدمون فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان لمن قتل الخلقة اجلان لم يجيء فيقتل قبل الاجل الذي
جعل له والله يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب بين
انه جاءهم العذاب لولا ما جعل من اجل مسمى قدره عدلا وفضلا ان يبقى ما قدر من البلوغ الى الاجل الذي سمى وعلى قول
المعتزلة يمكنه ما ذكر وعلم انه يجيء ان يقتل قبل انقضاء الاجل وفيما وعده لكنهم وصفوا في الوعد فنعوذ بالله من
السرف في القول والزيغ عن الحق وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القران انك لمجنون قال
الحسن قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فيما تدعي من نزول الذكر هو على الاضمار الذي قال
الحسن والاية في الظاهر متناقض لانهم كانوا لا يقرون بتنزيل الذكر عليه لانهم لو اقروا بنزول الذكر عليه لكان قولهم
متناقضا فاسدا انك لمجنون سموه مجنونا والذي حملهم على تسميتهم اياه مجنونا وجوه احدها انه اظهر الخلاف
لذوي العقول منهم والافهام والدعاء الى غير ما هم فيه قالوا انه ليس يخالف اهل العقول والفهم الا المجنون سموه
فسموه مجنونا والثاني راوه قد اظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والهلاك من اظهر
الخلاف لهم في امر من امورهم الدنيوية فكيف من اظهر الخلاف في الدين فظنوا انه ليس يخاف منهم ولا يخاطر بنفسه
الا المجنون فهو والثالث قالوا ذلك لما راوا انه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا ان ذلك لما
فيه ومن تامل حقيقته فذلك علم ان من قرفه بالجنون فيه هو المجنون لانه حيث قال او لم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة الاية وقال ما انت بنعمة ربك بمجنون اخبر انهم لو تفكروا لعرفوا انه ليس به جنة ولكن عن معاندة ومكابرة
يقولون ذلك وكذلك يسمونه مرة ساحرا فذلك متناقض في القول لانه لا يسمى ساحرا الا الفاضل البصير العالم فذلك
متناقض لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين تاويله والله اعلم يقولون انك تزعم ان الملائكة
ياتونك بالوحي فهلا اظهرت لنا اذا اتوك فنستخبر اليهم املائكة هم على ما تزعم ام شياطين وقال بعضهم لوما تاتينا
بالملائكة فيشهدون انك رسوله وانك ارسلت على ما تدعي من الرسالة فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا
اذا منظرين قال بعضهم انه ليس في وسع البشر رؤية الملائكة على صورهم فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت
لو راوا الملائكة لماتوا لما ليس في وسعهم رؤية الملائكة وهو كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك الاية اخبر انه لو انزل
عليه لماتوا اذ ليس في وسعهم رؤية الملائكة على صورهم ثم اخبر ايضا انه لو جعله ملكا لجعله رجلا ويكون في ذلك
لبس على اولئك وقال بعضهم ما ننزل الملائكة الا بالحق اي الا بالحجج والايات والبراهين على الرسل وعلى من
هو اهل لذلك ليس على كل احد وقال بعضهم الا بالحق اي الا بالعذاب الذي يكون فيه هلاكهم وهكذا ان
الملائكة لا تنزل الا بالعذاب الذي فيه هلاكهم او بالحجج والبراهين والله اعلم انا نحن نزلنا الذكر
يعني القران وانا له لحافظون حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه وكل الحفظ الى نفسه لم يقدر
احد من الطاعنين مع كثرتهم من تنزيل موضع الطعن فيه وذلك يدل انه سماوي وانه محفوظ وقال بعضهم وانا
له لحافظون اي له اي محمد الذكر الذي انزل عليه كقوله والله يعصمك من الناس وكقوله قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي الاية اخبر انه انما يهتدي بما يوحي اليه ربه فعلى ذلك يحفظه بالقران الذي انزل عليه
ويحتمل الذكر النبوة اي انا نحن نزلنا النبوة وانا له اي لرسوله لحافظون لها النبوة والرسالة
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين قيل في ملل الاولين وقيل في فرق الاولين وقيل في جماعات
الاولين وهو واحد وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون يصبر رسوله على استهزائهم اياه واذاهم له
ليعرف والله اعلم ان ذلك ليس بمخصوص بهذا ولكن كل من كان له شركاء واصحاب في ذلك ليخف ذلك عليه ويهون لان
العرف في الخلق ان من كان له شركاء واصحاب في بلاء اصابه او بلية ومصيبة كان ذلك ايسر عليه واهون
من ان يكون مخصوصا به من بين ساير الخلايق والله اعلم كانه نعت الاية صح قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر

فكان لما سمع هذا اشتد عليه وضاق صدره بذلك فعند ذلك قال ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين الى قوله
يعزيه عليه السلام ويصبره به فانما اشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم وكان بلغ نصيحته وشفقته لهم ما
ذكر لعلك باخع نفسك وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك وذكر هذا له لما ان هولا اعني قومه
انما استهزوا به لتقليد الابا بهم واستهزائهم وتلقفوا منهم لا انهم انشاوا ذلك من انفسهم واولئك اعني الاوايل
انما استهزوا برسلهم لا تقليدا لاحد ولكن انشا من ذات انفسهم فمن استهزا باخر تقليدا لمن تقدم واقتدا وتلقفا
كان ذلك ايسر عليه واخف من فعل من ذات نفسه لا تلقين الجاهلين والصبيان ومن بآفة بمثل ذلك ثم الذي
يعاونك بالعقل واما العقلا السالمون فلا فعل ذلك اهون عليه من استهزا اولئك برسلهم والله اعلم
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اختلف فيه قال بعضهم كذلك نسلك التكذيب والاستهزا في قلوب المجرمين لا
يومنون به يقول من حكم الله ان يسلك التكذيب في قلب من اختار التكذيب وكذب به ومن حكمه ان يسلك
التصديق في قلب من صدقه واختاره كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وكقوله وما يضل به الا الفاسقين
وقال بعضهم قوله كذلك نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين بكفرهم كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان
يفقهوه الاية وقوله وجعلنا قلوبهم قاسية ونحوه ويحتمل قوله نسلكه في قلوب المجرمين الحجج والايات ليكون
تكذيبهم وردهم الحجج والايات تكذيبهم تعنتا ومكابرة لا يومنون به وقوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين
اي مثل الذي سلكنا في قلوب المومنين من قبول الايات والحجج والتصديق لها لما علم انهم يختارون ذلك نسلك
في قلوب المجرمين من تكذيب الايات والحجج وردها لما علم منهم الرد والتكذيب لها هذا يحتمل ويحتمل غير هذا
على ما ذكرنا والله اعلم — وقد خلت سنة الاولين يحتمل قوله خلت سنة الاولين بالتكذيب
والرد والمعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج والايات ويحتمل وقد خلت سنة الاولين الهلاك والاستيصال
عند مكابرتهم الحجج ومعاندتهم اياها وقال بعض اهل التاويل كذلك نسلكه اي نجعل على ما ذكرنا الكفر بالقران
في قلوب المجرمين لا يومنون به اي لا يصدقون بالعذاب وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب لرسلهم بالعذاب
بقوله يمضون لسنتهم وقال ابو عوسجة كذلك نسلكه اي ندخله يقال اسلكه الداخل والسلوك الدخول واسلكت
ادخلت والصوابية فقوله كذلك نسلكه وقال اسلك يدك في جيبك اي ادخل — ولو فتحنا عليهم
بابا من السما فظلوا فيه يعرجون يخبر عن سفههم وعنادهم في سوالهم الايات وطلب نزول الملايكة
بقولهم لوما تاتينا بالملايكة ان كنت من الصادقين يقول انه سوالهم الايات وما سالوا متعنتين مكابرين ليسوا
هم مسترشدين لكن اهل الاسلام لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاتهم اية
الاية ثم قال وما يشعركم انها اذا جات لا يومنون وذلك ان المومنين كانوا يطمعون ايمانهم بسوالهم الايات
لعلهم يومنون فاخبر وما يشعركم انها اذا جات لا يومنون فعلى ذلك قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا
فيه يعرجون يخبر انهم بسوالهم نزول الملايكة معاندين مكابرين ليسوا مسترشدين ثم اختلف فيه قال بعضهم
قوله ولو فتحنا عليهم يعني على الملايكة بابا حتى راوا وعاينوا الملايكة ينزلون من السما ويصعدون فلا يومنون
وقالوا انما سكرت ابصارنا قيل حيرت وسدت بل نحن قوم مسحورون اي سحرت اعيننا فلا نرى ذلك
وقال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم بابا اي لهم بابا من السما كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله
فظلوا فيه حتى يعرجون فيه ويعاينون نزول الايات ويشاهدون كل شي لقالوا انما سكرت ابصارنا
يويس رسوله واصحابه عن ايمانهم — لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقولون
ذلك لشدة تعنتهم وسفههم وينكرون معاينة ذلك — ولقد جعلنا في السما بروجا قيل نجوما ويحتمل
البروج المنازل التي ينزل فيها الشمس والقمر والنجوم جعل لكل واحد من ذلك منزلا ينزل في كل ليلة في منزل
على حدة ويحتمل ما ذكر من البروج هي مطالع ما ذكر من الشمس والقمر والنجوم — وزيناها للناظرين قيل

قوله

قوله وزيناها للناظرين ولا ادعف قول من يقول عن النظر الى السما من القرا لانه اخبر انه زينها للناظرين ولا
يجوز ان يزين للناظرين ثم ينهى عن النظر اليها ولانه قد امر بالنظر فيها وقال في اية اخرى هو الذي جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها الاية وقال في موضع اخر ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعل لنا في الشمس والقمر والنجوم
منافع يهتدون بها الطرق في ظلمات الليل وجعلها مصابيح في الظلمات واخبر انه زينها للناظرين لان ما
يبتهج في العين مع المنظر لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيه والنظر اليها
ليعلموا انه تدبير واحد حيث جعل منافع السما متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما وجعل اشيا هي في الظاهر
اشباها وهي في الحقيقة كالاضداد لها ومنها ما هي في الظاهر اضداد وهي كالاشكال نحو النور والظلمة هي
في الظاهر اضداد صارت كالاشكال حيث تخفي النجوم في ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك اهل الارض وهما
في الظاهر اضداد فصارت بما يظهر من منافعها اشكالا وجعله ينتفع بضو النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنجوم
القمر مع ضو الشمس ومنها اشكال فصارت بما يذهب كل واحد بسلطان الاخر كالاضداد ليعلم انه تدبير واحد
حيث صارت الاضداد كالاشكال والاشكال كالاضداد في احتمال المنفعة — وحفظناها يعني السما
من كل شيطان رجيم ذكر ان الشياطين كانوا يصعدون السما فيستمعون من اخبار السما من الملايكة بما يكون في الارض
من غيث وغيره ثم زادوا فيه ما شاوا فيلقون ذلك الى الكهنة فيخبر الكهنة الناس فيقولون الم نخبركم في يوم
كذا وكذا وكان تحقيقا ثم تشغلوا من ذلك مسموعهم عن السما وحفظوا عنهم فجعلوا يسترقون السمع فسلط الله الشهب
عليهم حتى يقذفون وهو قوله ويقذفون من كل جانب دحورا وقوله فاتبعه شهاب ثاقب ونحوه وحفظناها
اي حفظناها من الشيطان الرجيم لما ذكرنا من ذكر انه من القريه والمنصر والبعد عنه والمراد منه اهلها فيما
ذكر هذه الالوان اهل السما باجمعهم اهل ولاية الله واهل طاعته واما اهل الارض فمنهم من الفاسدين الضالين
ثم اهل اولياء الشيطان كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه الاية ويحتمل حفظ السما نفسها بالملايكة وهو
ذكر ويقذفون الاية ويحتمل بالشهب التي تجيء بين القران وقال بعضهم الرجيم اللعين وكذلك ذكر في حرف
ابن مسعود من كل شيطان لعين واللعين في اللغة هو المطرود المبعد وهو على ما ذكرنا — والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وقال في اية اخرى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم يعني الجبال يخبر
ظاهر هذا ان الارض كانت تضطرب وتتكفى باهلها فاثبتها بالجبال والارض طبعها التسفل والانحدار وكذلك
الجبال من طبعها التسفل والانحدار فكيف كان ثباتها في طبع التسفل والسرب الا انه يقال ان طبعها كان
الاضطراب والانكفا فاثبتها بالجبال عن الاضطراب والانكفا او ان يقال من طبعهما ما ذكرنا التسفل
والانحدار الا ان الله بلطفه اثبت ما هو طبعه التسفل بما هو طبعه كذلك ليعلم لطف الله وقدرته وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم — وانبتنا فيها من كل شي موزون قال بعضهم فيها يعني الجبال من كل شي موزون
يعني يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج منها وهذا كانه ليس بصحيح لانه لا
يقال في الذهب والفضة والحديد انه انبتها في الارض كما يقال ذلك للنبات وما ينبت فيها وانما يقال للذهب
والفضة والحديد جعلنا فيها او خلقنا فيها وقال بعضهم وانبتنا فيها يعني في الارض من كل الوان النبات موزون
اي معلوم مقدر بقدر كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم ويحتمل وانبتنا فيها ما يصير موزونا في الاخر من
الزروع وغيرها من الحبوب او ما ذكرنا اي معلوم مقدر والله اعلم ليس في الجرار على ما يكون من فعل اهل
على غير تدبير ولا تقدير ويحتمل قوله من كل شي موزون ما لو اجتمع الخلايق لم يعرفوا قدر ما يزداد ويعوض
النبات في الحظ والاصح وطرفة عين في اول ما يخرج ويبدو من الارض وذلك موزون عنده معلوم قدره
ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلموا انه تدبير واحد حيث لم يختلف ذلك ولم يتفاوت والله اعلم قال ابو عوسجة
فظلوا فيه اي صاروا ويومهم يعرجون يرتفعون ويصعدون وقال غيره ظلوا اي ما لوا سكرت غطيت ابصارنا قيل

لا يبعد ان يكون قوله وانبتنا اي بمعنى خلقنا فيصح قول هذا القايل ومصداقه قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اي خلقكم فيها اذ لا مانع من اطلاق حقيقة الانبات على مثل الذهب والفضة لان كلا منهما برز من التراب وخرج فيقال فيه نبت والله اعلم كاتبه

أي ماتت وقال قوم سكرت أبصارنا أي حبست في السكر تسع إذا تحير وقال يقال أيضا تحيرت فيقال سكر أنه
بعد أي حبس وسكرت الريح تسكر سكرا إذا سكنت ويقال ليلة ساكرة أي ساكن وسكرت الماء أسكره سكرا أي حبسه
والسكر السد والسكر جمع والسكر مصدر والسكر مصدر سكر يسكر سكرا فهو سكران وقوم سكرى وسكارى والسكر الغيظ
والغضب الشديد وقال [...] وقيل وجاءت سكرة الموت بالحق أي شدة وغلبة وقال القتبي سكرت غشيت ومنه يقال سكر النهر
إذا سد فالسكر اسم ما سكرت وسكر الشراب منه إنما هو الغطاء على العقل والعين وقال الحسن سكرت بالتخفيف وسحرت
وقوله بروجا قال اثنا عشر برجا وأصل البرج الحصن والقصر وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق
السمع يقول حفظناها من أن يصل إليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئا إلا استراقا ثم يتبعه شهاب مبين أي كوكب
مضيء وقال أبو عوسجة إلا من استرق السمع يقال استرقت السمع أي تغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون
وهكذا الوهم الحكيم أن الشياطين يسترقون السمع ويخطفون ليمنعوا من ذلك واشتغلوا عن التكلم به حتى لا
يسمعون كلامهم وصفهم والشهاب كوكب وقيل الشهاب خشبة في طرفها نار والشهبان جماعة وقال بعضهم شهاب
مبين لرسول الله كان له خاصة لم يكن قبل والله أعلم وجعلنا لكم فيها معايش أي في الأرض والجبال ومن

وقوله

لستم له برازقين قال الحسن أي جعلنا في الأرض معايشها تعيشون به ولمن خولكم أيضا جعل فيها معايش له
ترزقونها أنتم إنما فكلها على الله هو يرزقهم وإياكم وقال بعضهم ومن لستم له برازقين الوحوش والطير وأما الأنعام
فإنه قد أشركهم البشر في المعايش وكان غير هذا أقرب وأوفق وهو أن أهل مكة كانوا يمنون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولون نحن ربيناه وغذيناه وأنفقنا عليه مدة فقاله ثم نقل فيها كذا فخرج هذا جوابا لهم جعلنا لكم
فيها معايش ومن لستم له برازقين أي محمدا وإن من شيء إلا عندنا خزائنه يحتمل هذا والله أعلم وإن من
شيء يخزن في الخلق إلا عندنا خزائنه إلا عندنا تلك الخزائن أي ما تخزنون من الأشياء فتلك عندنا وفي
خزائننا وما ننزله إلا بقدر معلوم محمل هذا وما ننزله أي ما نعطيه إلا بقدر معلوم أي وإن كان عندكم
تخزنونها وتجمعونها فإن ذلك كله في خزائنه أعطى من شاء وحرم من شاء ويحتمل قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه
الخزائن هي الأمكنة الخفية التي تخزن فيها الأموال بواطن من الأرض يقول والله أعلم وإن من شيء كان في بواطن
الأرض والأمكنة الخفية إلا عندنا تدبير ذلك وعلمه يخبر أن تدبيره وعلمه في الخفية من الأمكنة كهو في الظاهر
لا يخرج شيء من تدبيره وعلمه بل كل ذلك في تدبيره وعلمه وقال الحسن وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي المطر الذي
جعل به صوغ كل شيء ولا يخرج شيء من منافعه فهو خزائن الأشياء كلها وبه قوام كل شيء وقال الآخر أي إنه قال
وما ننزله إلا بقدر معلوم ذكر الإنزال وهو الذي ينزل من السماء لا هذا الذي قاله يحتمل لكن تمام
أن يقال إن الماء خزائنه والخزائن هي الموضع الذي يخزن فيه وفي الماء نوع ومعنى يكون فيه صوغ الخلق ومنافعهم
فيما جعل فيه له في نقل الماء ألا ترى أنه يصيب عروق الشجر فيظهر منافعه في غصونها في أعلاها فثبت أن فيه
قوة سرية ومعنى يكون المنافع بها ونقل الماء والله أعلم بذلك ثم ما ذكر من الخزائن والرياح والماء والمطر
وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم لأنه إنما أنشأ هذه الأشياء وخلقها لهم لا لأنه إنما يتنعم بها فإذا
كان أنشأها لهم فلا يحتمل أن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة فيها يثابون أو
يعاقبون ولذلك قال في آخره وإن ربك هو يحشرهم إلا بقدر معلوم على الآخر ويقال الأول إلا [...]
أي ما نعطيه إلا بقدر معلوم وإن خزنه وجه ويحتمل إلا بقدر معلوم أي بقدر سابق معلوم ذلك أن
كان على هذا فإنه يدل على أن ما يكون ويحدث إنما يكون بقدر سابق لا يكون غير ما سبق تقديره أو بقدر معلوم
محدود أي ليس بجزاف ولكن معلوم محدود والله أعلم وأرسلنا الرياح لواقح قال بعضهم
لواقح حوامل وقال بعضهم هذا لا يصح لو كان على هذا لكان ملاقح وملقحات قال أبو عوسجة لواقح أي تلقح الشجر
أي تنبت ثمرها وهي ملقحة وقال يقال ناقة لاقح أي حامل قد حملت ونوق لواقح ويقال حرب لاقح أي شديدة

وسحاب لاقح الذي فيه ماء أي مطر ورياح لاقح أي ملقح تلقح الشجر أي تنبت ورده وحمله ويقال ملقح ويقال ألقح الرجل
إذا ألقى إبله أي حملت ورجل ملقح واللقوح الناقة التي بها ولد صغير والجمع لقاح وجمع الجمع لقائح واللقح واللواقح
وهي الحوامل من الإبل قال القتبي قال أبو عبيدة لواقح إنما هي ملاقح جمع ملقحة يريد أنها تلقح الشجر وتلقح السحاب
كأنها تنتجه واللواقح التي تنتج الثمار من الأشجار والسحاب وغيره والله أعلم فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه
وما أنتم له بخازنين هو ما ذكرنا في الأول في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما أنتم له بخازنين وعلى تأويل
الحسن هو ما ذكر من الماء والمطر وما أنتم له بخازنين أي جاعلين له مجاري به الذكر من المطر والماء الذي ذكر أنه
أنزل من السماء ويحتمل وما أنتم له أي له بخازنين أي ليست خزائنه في أيديكم ولا بيد أحد ولكن بيد الله وعلى تأويل
الآخر وما أنتم له بخازنين بمدبرين ما خزن في الأرض وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون
أي الباقون بعد فناء الخلق كلهم فيبقى هو ولذلك يسمى من خلف الميت وارثا لأنه يموت ويبقى الوارث وهو باق كذلك
يخرج إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والله أعلم ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال
بعضهم ولقد علمنا المستقدمين من المكذبين منكم ما حل بهم بالتكذيب وقد علمنا المستأخرين من المكذبين منكم وقال
بعضهم ولقد علمنا من كان منهم ومات وقد علمنا المستأخرين من يكون منهم ويولد ولذلك قال وإن ربك هو يحشرهم
من مضى ومن بقي إلى يوم القيمة وقال الحسن ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين في الشر
وقال بعضهم في الصف الأول والآخر لكنه بعيد إنه حكيم عليم الحكيم هو الذي يضع الأشياء
مواضعها والثاني هو الذي جعل الأشياء مواضعها فالأول قد يعرف الخلق وضع الأشياء مواضعها وأما الثاني
فلا يكون ذلك إلا بالله وقوله عليم عليم بمصالح الخلق وما لهم وما عليهم أو عليم بوضع الأشياء مواضعها ولقد
خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون وقال في آية أخرى خلقكم من طين وقال من طين لازب وقال في آية أخرى
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين وقال خلقكم من تراب ذكر مرة الحمأ المسنون وقيل هو الطين الأسود
المتغير ذكر مرة التراب ومرة الطين اللازب وهو الملتزق ومرة من سلالة الطين فيشبه أن يكون على الأحوال واختلاف
الأوقات كان في حال الأول ترابا وفي حال طينا لازبا وفي حال حمأ مسنونا وهو الذي أسود وتغير لطول مكثه
وصلصالا وهو ما انقلب أن يكون خلقا مركب الجوارح فيه والعظام كان على هذه الأحوال الثلاثة على ما أخبر
من تغير أحوال أولاده حيث قال خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ذكر فيها أحوالا لأنه تبارك يخلق
ما وعظ في حال كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة فعلى ذلك يحتمل ما ذكر في آدم من تراب وطين وحمإ ونحوه
إن كان على اختلاف الأحوال على ما ذكرنا أو أن يكون على التشبيه والتمثيل ووجه التمثيل بالطين الذي
ذكر وهو أن الطين الذي يكون كالصلصال والفخار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذي يكون
منه البنيان والأواني والقدور وجميع أنواع المنافع وأما الطين الذي يخبث فإنه لا يتخذ منه شيء مما
ذكرنا ولا يتهيأ اتخاذ شيء من ذلك منه فهذا خلق آدم بالطين الذي يجتمع فيه جميع أنواع المنافع فعلى ذلك جمع في
آدم جميع أنواع المنافع والخير كالطين الطيب ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكر هو حيث أخبر أنه خلق آدم
من تراب وطين لما ذكر وليس في التراب ولا في الطين من أثر البشرية شيء وكذلك ليس في النطفة التي خلق
البشر منها أثر البشرية شيء ليعلم أنه قادر على إنشاء الأشياء من شيء ومن لا شيء إذ ليس فيما ذكر من الطين
والتراب الذي خلق منه أبا البشر من أثر البشرية فيه ولا في النطفة التي خلق منها ولا من أثر البشرية
والآن فيه من اللحم والعظم والشعر ونحوه وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح ونحو كل شيء ليعلم
قدرته وسلطانه على ما خلق لا من شيء وليعرفوا نعمه التي أنعمها عليهم حيث أخبر أنه خلق آدم من طين لازب
وصلصال ما ذكر وذلك وصف الطين الطيب لأن ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ الذي وصف ولا
يصير إلى تلك الحال وإن طال مكثه لأنه لا ينتفع به لا من اتخاذ البنيان والأواني والقدور ولا ينبت

وقال وبدأ خلق الإنسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقال
للملائكة إني خالق بشرا من [...]
الآية وقال ولقد خلقنا الإنسان من سلالة
من طين ... الآية

الروح ايضا يحتمل ما قيل الذي ذكرنا لا علي التحقيق او علي التحقيق علي الاحوال المختلفة فدل انا ما خلقه من
طين خالص اصل فعلي ذلك يحتمل النطفة التي يخلق منها البشر تكون خاصة وهي لا تقصب شيا وهي علي غير الوجه
الذي خرج لانه قال من ما دافق وقال من ما مهين والصلصال قال بعضهم هو التراب اليابس والحما الطين
الاسود والمسنون المتغير المنتن وقال بعضهم الصلصال هو الذي اذا ضربته تصوت ومنه يقال صلصلة
اللجام والفرس اذا كان يصلصل وهو قول ابن عباس وقال القتبي الصلصال الطين اليابس الذي لم
يصبه النار فاذا نقرته صوت فاذا مسته النار فهو فخار والمسنون المتغير الرايح والمسنون ايضا المصبوب
وسننت الشي اذا اصببته صبا سهلا ومن الماء علي وجهك وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة من حما مسنون
الحما التراب الاسود يكون في اسفل البير ومن هذا سمي الحمي لانه يحمي ان يرعي ويقال حميت الحرب والشمس
والسوء حمي اذا اشتد حرهم ومسنون اي مخلوق وقال الحسن المسنون الذي سن عليه خلقه الخلق يعني ولاده
في خلقته اي علي خلقته فلون الخلق واشاله هذا والله اعلم بذلك   والجان خلقناه من قبل من نار السموم
قال بعضهم الجان ابليس وقال بعضهم الجان هو ابو الجن وابليس هو ابو الشياطين سموا شياطينا لتمردهم في
ضلالهم مقتدرين فعلهم الاثر كانه ذكر من الانس والجن شياطينا وهو قوله شياطين الانس والجن وذلك لتمردهم
والجان مقتدرين الجن والله اعلم بذلك والسموم قال بعضهم السموم لهب النار وليس له دخان وهو المارج من
نار والمارج هو المنقطع منها وقال بعضهم من جنس النار كانه اراد لهبها وقال نار السموم الحار التي تقتل
فان كان السموم والمارج ما ذكر بعضهم انه لهب النار من طبعه الارتفاع والعلو فعلي ذلك ما خلق منه طبعه
الارتفاع والعلو وهو الجان الذي ذكر والطين طبعه التسفل والانحدار الي الارض فعلي ذلك ما خلق منه طبعه
الهوي الي الارض والميل اليها والجان قال ابو عوسجة الجن واحد الجان والجمع جان سمي بذلك لاستجنانه وقال
جن الجن الجام والجان الواحد   واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون
فاذا سويته اي اتممته ونفخت فيه من روحي وقال في اية اخري فنفخنا فيه من روحنا لم ينسبه هذا علي الناس
ولم يتوهم من خلقه قوله ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيه من روحنا انه امر نفخ الخلق فما بالهم توهموا من قوله
ثم استوي علي العرش واستوي الي السما ونحو استوا الخلق بل هم انحطوا من فهم نفخ الخلق اكثر من استوايه لانه
امكن صرف الاستوا الي وجوه ولا يمكن صرف النفخ فيه لكنه اشتبه عليهم لانهم اعتقدوا وافضل الله بفعل الخلق
ولا يجب ان يقتدروا الخلق علي ما لم يقتدروا انه قوله حكم الله وحدود الله وعباد الله وخلق الله وامثاله
وهذا جزاء ابليس كلي شي او تلقين من الشيطان وقوله روحي وروحنا اي الروح الذي به حيوة الخلق اي
خلق الذي يكون به حيوة الخلق علي ما ذكرنا   فقعوا له ساجدين يحتمل ان يكون قوله خالق بشرا
مما ذكر جزاه سيفعل وامرهم بالسجود فيكون الامر بالسجود بعد ما خلقه اياه فهذا يدل انه قد يجوز تقدم
الامر عن وقت الفعل والله اعلم   فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس ابي ان يكون مع الساجدين ظاهر
الامر بالسجود والاستثنا الذي ذكر يدل ان ابليس من الملايكة لانهم كان الامر بالسجود منهم وقع الثنيا
وقد ذكرنا اختلافهم واقاويلهم فيما تقدم مقدار ما حفظناه وقيل والاصل ان كل ما خرج مخرج الاستثنا
فيجب ان يسقط اسم ما اجمل نحو قول الرجل لاخر لك علي عشرة الا درهم يسقط الاستثنا اسم ما اجمل من
الاسم حتي نصه وكذلك اذا قال الالف الا خمس واذا لم يسقط ذلك الاسم فلا بد ان يكون الكلام فيه مضمر نحو
قول الرجل رايت علما بلغ كذا الا فلانا يجب ان يضمر فيه حرف الكل حتي يقع علي كل نحو ان يقول رايت
كل علما بلغ كذا الا فلانا فعلي ذلك تخصيص العموم وقال الحسن في قوله من صلصال من حما مسنون قال
الصلصال هو الطين الحر الذي يتصلصل من صلابته ويبوسته والحما الطين والمسنون قال مسنون
خلقته فهو سنة للخلق بعدو من ذريته ان يخلقوا علي خلقته وكقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين

يقول استلها من بين ظهراني الطين لان كل طين خلقه وكذلك قال في نسله وذريته وهو قوله ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ليس من كل ما خلقه والكن استلها من بين ظهرانيها وقال الجان ابليس هو ابو الجن
خلقناه من قبل اي من قبل ادم من نار السموم يقول السموم هو اسم من اسما جهنم ولها اسما كثيرة اجزاه خلقه
من نار السموم اي جهنم والله اعلم   الا ابليس ابي ان يكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من
صلصال من حما مسنون وقال في موضع اخر ابي ابليس ابي واستكبر وقال له يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين
وقال في موضع اخر ما لك الا تسجد اذ امرتك وقال في موضع اخر ما منعك ان تسجد وقال في موضع اخر خلقتني من نار
وخلقته من طين ذكر نسل هذا علي اختلاف الالفاظ ومعلوم ان هذه المخاطبات معه لم تكن معه مرارا ولكن مرة واحدة
قال ابو بكر الاصم ذكر الله قصة ابليس وقصة الانبيا جميعا في مواضع علي اختلاف الالفاظ لانه كذلك كانت
في كتبهم فذكرها علي ما في كتبهم ليعلموا انه بالله اعلم وذلك ان الله ليدلهم علي صدقه وفيه دلالة ان اختلاف
الالفاظ وتغييرها لا يوجب اختلاف الحكم بعد ان لا يغير المعني فهذا يدل ان الخبر اذا ادي معناه علي اختلاف
لفظه فانه يجوز وكذلك لو قرا بلسان الذي انزل فانه يجوز اذا ادي بمعناه والله اعلم   فاخرج منها
فانك رجيم قوله فاخرج منها قال بعضهم اخرج من السما الي الارض وقال بعضهم اخرج من الارض الي جزاير البحر وقال
بعضهم اخرج من الجنة وامثاله او اخرج من صورة الملايكة الي صورة الابالسة وجايز ان يقال اخرج من كذا اي تحول
من مكان كذا الي مكان كذا علي غير حقيقة الخروج ولسنا ندري كيف كان ذلك وقوله رجيم قيل الرجيم الملعون
وقيل الرجيم ما رجم بالكواكب   وان عليك اللعنة الي يوم الدين اللعنة هي الطرد في اللغة والطرد
طرد عن رحمة الله الي يوم الدين حتي لا يهتدي الي دين الله ومعناه ثم يوم كذا العذاب الدايم واللعنة القايمة
قال رب فانظرني الي يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم لعنه اللعين وطرد عن رحمته
الي يوم الدين في لا تدركه الهداية لان الهداية في الدنيا انما تدركه برحمته والرحمة في الاخرة هي العفو عما
لزم ووجب عليه   تكلموا انما الحكمة في خلق الله تعالي ابليس مع علمه ما يكون منه من اذ خلقه والدعا
الي المعاصي والنظار الي يوم الوقت المعلوم وقد علم انه لا يتطوع ليفعل ما علم انه يكون منه فما الحكمة
في خلقه قال بعضهم خلق ابليس واهل المعاصي مع علمه ذلك ليعلم انه لم يخلق لمنافع نفسه ولا لحاجة نفسه وان معاصيه
لا تضره ولا تدخل نقصانا في ملكه فخلقه مع علمه بما يكون منه ليعلم انه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه ولا لحاجته ولكن
لمنافع انفسهم فكان حاجتهم وقال بعضهم خلق الاعدا الا ليا ليعرف الاوليا ليعلموا لياي الاختصاص الذي اختصهم
به ولو كان كلهم اوليا لم يعلموا فضل الله واختصاصه اياهم وكذلك النعم والاحسان لا تعرف بنفس النعم
ونفس الاحسان وانما يعرف بالبلايا والشدايد التي تحل فعلي ذلك الا وليا لو لم يخلق الاعدا لم يعرفوا اختصاصه
لهم وفضائله التي اكرمهم بها وقال بعضهم خلق الاعدا نظرا للاوليا علي ما ذكرنا لكن من وجه اخر
والاصل ان لله جايز ان يشا شيا فيه حكمة وسر لا يبلغه علم الخلق ولا يدركه حكمة البشر علي جعل النعم
الظاهرة فيه حكمة معني لا يبلغ علم الخلق ولا حكمة البشر وكذلك البلايا والشدايد فيه حكمة لا يبلغه علم
الخلق ولا يدركه حكمة البشر علي ما ذكرنا من النعم الظاهرة والشدايد الظاهرة والاصل ان الله تعالي خلق الخلق
علي علم منه انهم يعصونه ويعادون لكن مكن لهم من الاختيار والايثار ما به نجاتهم وهلاكهم اذا اختاروا
ذلك فاذا اختاروا ما به نجاتهم نجوا واذا اختاروا ما به هلاكهم هلكوا فيكون هلاكهم باختيارهم ونجاتهم
باختيارهم والاصل ما ذكرنا في غير موضع ان الله ممتحن الذين ليمتحنهم في خلق ما ذكر من ابليس وغيره
من الاعدا لتتم طرق المحنة وفي ترك خلق ذلك ذهاب المحنة وهي دار الامتحان   فانك من المنظرين
الي يوم الوقت المعلوم قال بعض اهل التاويل الي النفخة الاولي وقيل الي النفخة الثانية ولكن لكنا لا
نعلم ذلك ولكنه تعالي انظره الي الوقت المعلوم ولم يبين له ذلك الوقت ولم يطلعه عليه حيث قال واني جاركم

فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه الآية اخبر انه يرى ما لا يرون وانه يخاف الله ولو كان يبقى له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت فهذا يدل لما ذكرنا والله اعلم رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض

قال الحسن قوله بما اغويتني اي لعنتني وهذا منه احتيال وفرار من مذهب الاعتزال وما يلزمهم في قوله اغويتني يلزم في قوله لعنتني لان اللعن هو الطرد فاذا طرده عن رحمته فقد خذله فالطرد والاغوا والاضلال سوا فيلزم في اللعن ما يلزمهم في الاغوا وقال ابو بكر الاصم الاغوا واللعن من الله شتم لكن هذا بعيد لا يجوز ان يضاف الى الله الشتم انه شتم لان ان تم والسب لا خير فيه ان هو بالشتم مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يضاف الى الله ما به يذم واصلح ان قوله رب بما اغويتني يحتمل انه خلق فعل الغواية منه او اغواه لما علم انه يختار الغواية والضلال وقوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين كانه يقول رب بما اغويتني لازينن لهم في الغواية بما اغويتهم فقد ذكرنا هذا واشباهه فيما تقدم فان قيل قوله اغويتني قول ابليس وهو كاذب بالاضافة اليه قيل لو كان فيما اضاف اليه الاغوا كاذبا بالكذب فيه لرد عليه كالكذب في قوله ورد على انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين حيث قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فلما لم يرد عليه ولم يكذبه فيما اضاف اليه حرف الاغوا دل ان اضافة الاغوا والاضلال حقيقة او ان يكون قوله خلقتني من نار وخلقته من طين انما تكبر به ذكر فضله واحسانه حيث اخبر انه خلقه مما هو افضل واعظم مما خلق ادم فيخرج ذلك منه مخرج الشكر واما قوله اغويتني ليس على ذلك فلا يحتمل ان لا يكذبه ولا يرد عليه قوله اذا كان كاذبا فيه لانه يحتمل شرا اضافه اليه اذا لم يكن منه الاغوا لذلك اختلفا او لو كان قول ابليس لعنه الله كذبا فان في قول نوح عليه السلام حيث قال ان كان الله يريد ان يغويكم وقول موسى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم قوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يحتمل ان يكون منه عزم على ما ذكر دون ان نطق بذلك فاخبر عن وصل منه ما كان عزم من الاغوا حيث بالقول وذلك جائز يخبر عن العزم والقصد بالقول كقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يحتمل ان يكون هذا القول الذي اخبر عنهم قوله نطق لانه لا احد من المتصدقين يقول مثل ذلك عند التصدق لكنه اخبار عما عزموا وقصدوا بالتصدق فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذا من الله اخبارا عما عزم ابليس وقصد على غير التنوه به والقول وهو على ما ذكر والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اخبر انه يعلم ما تواترا به واضمروا ويحتمل ان يكون على التنوه بما ذكر قال ذلك لما قال الله عز وجل وان عليك اللعنة الى يوم الدين لما شهد الله عليه باللعن الى يوم الدين ايس لعنه الله عن الهدى فقال رب بما اغويتني اي لعنتني وشهدت علي بذلك لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين المخلص بخفض اللام هو الذي اظهر له الاعتقاد والعلو والوفا والمخلص بنصب اللام هو الذي اخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه بذلك والمخلص لا يقال الا لعبدان يكون لله ان صنيع ولهم اختصاص وفضائل اختصهم بذلك برحمته وبفضله والمعتزلة يقولون لا يستوجب احد الاختصاص والفضيلة الا بفعل يكون منه لا يستوجب بالله ويقولون ان الله لا يغوي احدا الا ابليس ولا احدا من اتباعه فابليس اعرف بالله من المعتزلة حيث راوا ان الله لا يغوي احدا ولا يختص احدا الا بصنع يكون منه

قال هذا صراط علي مستقيم قال بعضهم قوله علي بمعنى الى اي الى صراط مستقيم يقول هو يرد اليه لا بد او قال بعضهم اي يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج على شيء ويحتمل قوله علي مستقيم اي على بيانه وهو مستقيم كقوله وعلى الله قصد السبيل اي بيان قصد السبيل وقال بعضهم لما قال ابليس لاغوينهم اجمعين قال الله هذا صراط علي مستقيم يقول علي ممر من اغويته وتابعك كقوله ان ربك لبالمرصاد وعده ان طريقك علي والله اعلم

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان اي ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان ويحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان تقهرهم وتضطرهم على ذلك الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك على غير قهر واضطرار اي من كان في علم الله انه يتبعك ويختار الغواية وان لم يكن اغواك اياه فان لك عليه سلطانا وان جهنم لموعدهم اجمعين اي لموعد

ابليس واتباعه لها سبعة ابواب يحتمل الابواب المعروفة ويحتمل الابواب الموارد والجهات التي تكون لها الاتية انه قال لكل باب منهم جزء مقسوم فهذا يدل ان المراد بالابواب الموارد والدركات لا نفس الابواب اذ جزء مقسوم انما يكون الدركات لا يكون للابواب نفسها قال الحسن والاصم لها سبعة ابواب يعني بالابواب الطبقات والدركات لكل باب منهم جزء مقسوم لليهود باب وللنصارى باب وللمجوس باب وللذين اشركوا باب وللمنافقين باب ولاهل الكبائر باب وذكر ايضا بالرقي ادخلوا اهل الكبائر فيها والصابئين والدهرية وعندنا ان خاطر الله به في الكافرين لانه قال ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين والغاوون هم الكافرون وكذلك قوله لاغوينهم فاذا كان كذلك فالسبعة الابواب التي ذكر كلها لاهل الكفر لا يدخل اهل الكبائر فيه ويحتمل باب للتي سماه وهم الذين ينكرون العالم ان عدو الغايب يقرون بشيء وباب للدهرية وهم الذين ينكرون الصانع وباب للثنوية وهم الذين يقولون بالاثنين وباب للذين اشركوا وهم يقولون بالواحد لكن يشركون فيه غيره يعبدون الاصنام والاوثان وباب لليهود وباب للنصارى وباب المنافقين فذلك سبعة ابواب وليس لاهل الكبائر باب مسمى معلوم انما ذلك كله لاهل الكفر

ان المتقين في جنات وعيون ان كان اهل الكبائر في قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الكبائر وان كان اصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الشرك وقوله في جنات اي في بساتين والبساتين هي التي التفت بالاشجار والنخيل والعيون قد تكون جارية في الدنيا وقد تكون غير جارية فاخبر في الاخرى ان عيون الاخرة تكون جارية بقوله فيهما عينان تجريان وعيون قال بعضهم ذكر العيون ليعلم ان مياه الجنة ليست تكون من الثلوج والامطار والعظام على ما يكون في الدنيا ولكن تنبع فيها وقال بعضهم ذكر العيون لانه ينبع في بستان كل واحد عين على حدة لا ياتي بستانه من ملكه ومن بستان اخر على ما يكون في الدنيا ولكن تنبع في جنة كل واحد عين على حدة على ما اراد الله ليس انها تتصل بالارض كما ذكر في قصة بني اسرائيل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ان الله في ذلك الحجر ما يخرج لهم على غير اتصال له بالارض ولكن بلطفه ينشئ فيه ما فيه فلذلك في الجنان التي وعد ويشبه ان يكون ذكر هذا لما تختلف رغائب الناس في الدنيا منهم من يرغب في العين ويتلذذ بالنظر اليها ومنهم من يرغب في النهر الجاري فذكر مرة العيون ومرة الانهار كقوله تجري من تحتها الانهار على ما ذكر من الخيام والقباب والغرف وانواع الفرش والبسط والكيزان والاكواب والكوز والغلمان ونحو ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا منهم من يرغب في نوع لا يرغب في نوع اخر فذكر فيها كل ما يرغبون في الدنيا ليعلمهم ذلك على العمل الذي به يوصل الى ذلك والله اعلم

ادخلوها بسلام امنين قال بعضهم قوله ادخلوها بسلام امنين اي اجعلوا دخولكم فيها بسلام على امرهم في الدنيا ان يجعلوا الدخول في المنازل بالسلام كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية وعلى ما اخبر ان الملائكة يسلمون عليهم كقوله سلام عليكم طبتم وكقوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال بعضهم قوله ادخلوها بسلام امنين اي ادخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه امنين لا يمسهم خوف ولا حزن على ما اخبر الا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال بعضهم

وقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قال بعضهم هو صلة قوله ان المتقين في جنات وعيون اي نزعنا ما في صدورهم من غل الذي كان في الدنيا بالكفر فصاروا اخوانا في الاسلام الذي هداهم الله اليه فكانوا اخوانا ثم قيل لهم ادخلوا الجنة بلا غل وهو كقوله فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها قد نزع من قلوبهم الغل في الدنيا فصاروا اخوانا فدخلوا الجنة وقال بعضهم قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل في الاخرة اذا دخلوا الجنة وتقابلوا وانكشف والعلى سرر فعند ذلك ينزع الغل من قلوبهم والمظالم التي كانت بينهم فان كان هذا هو في اهل الاسلام فعلى ذلك يحتمل ان يكون كل من جفا اخر في الدنيا ان ينجيهما الله ذلك منهم في الجنة لانه ذكر الجفا

ينقص النعم التي فيها وكذلك ما يكون من الرجل ولو من الجفاء العقوق يجوز أن ينسي تلك عليهم وعلى ذلك ما روي
عن علي قال إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر
متقابلين وقوله متقابلين قال بعضهم يجعل الله منازلهم بعضها مقابل بعض فينظر بعضهم إلى بعض ولا يرى بعضهم
قفا بعض وقال بعضهم يا مراسة السرر التي هم عليها جلوس ليكون بعضها مقابل بعض إذا اشتهى بعضهم زيارة بعض
ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل متقابلين يجري اجتماعهم في الآخرة في الشراب وأنواع المطاعم على ما يستمتع في
الدنيا الإخوان بينهم الاجتماع في الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم إلى بعض ففي ذلك أخبار أنه لهم في الآخرة
كذلك اجتماع في الشراب والنظر وأنواع التلذذ والله أعلم لا يمسهم فيها نصب أي عناء ومشقة أخبر أنه لا
عناء عليهم كما يكون في الدنيا لأن في الدنيا من أطال المقام في موضع يمل عن ذلك ويسأم وكذلك إذا أكثر من نوع
الطعام أو الشراب أو الفاكهة يمل عن ذلك ويسأم ويؤذيه ولا يوافقه فأخبر أن أهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم
طعامها وإن أكثروا وما هم منها بمخرجين أخبر أنهم لا يخرجون منها ولا هم يطلبون الخروج منها كقوله لا يبغون
عنها حولا لأنه لا يخاف زوال النعم ينغص على صاحبها تلك النعم وخطرها فأخبر أنهم فيها أبدا وتلك النعم لهم دائمة غير زائلة
عنهم والله أعلم نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم قال بعضهم نبئ عبادي أي أخبرهم أني أنا الغفور الرحيم
لمن استغفرني وتاب عما ارتكب من معاصيه وأن عذابي هو العذاب الأليم لمن عصاني ولم يستغفر ولم يتب إليه
ويحتمل غير هذا وهو أن يقال نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم لئلا ييأسوا من رحمتي ولا يقنطون منها ولكن
يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه ونقمته ونبئهم أيضا أن عذابي هو العذاب الأليم لئلا يكونوا آمنين
أبدا فيكون فيها أمران أن يبشروا وأن ينذروا كأنه قال بشر أوليائي أني أنا الغفور الرحيم لهم وأنذر أعدائي وأن عذابي
شديد أليم لأعدائي وفي قوله نبئ عبادي فيه بشارة وتذكرة أما البشارة فهو قوله أني أنا الغفور الرحيم والنذارة
قوله وأن عذابي هو العذاب الأليم ونبئهم عن ضيف إبراهيم أي نبئ قومك عن ضيف إبراهيم
أي نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والموعظة لأن في ذلك أخبارا بما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسل وهو الإهلاك
ونجاة من صدق الرسل ففيه تمام ما يزجرهم ويعظهم من الترهيب والترغيب فإن فيهم آية لرسالتك ونبوتك
لأنه يخبرهم على ما في كتبهم لم يشهدها وهو يعلم أنه إنما عرف ذلك بالله أو نبئهم فإن ذلك ما يزجرهم عن مثل صنيعهم
وفيه ذكر نعم الله لأنهم جاؤوا بالبشارة بالولد وجاؤوا بإهلاك قوم مجرمين فذلك بالذي يزجرهم عن مثله
والبشارة ترغبهم في مثل صنيع إبراهيم فنبئهم فإن فيه ما ذكرنا وقوله ضيف إبراهيم أن الضيف اسم كل
نازل على آخر طعم عنده أو لم يطعم وكان ترك له الطعام أو لا إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي سلموا على
إبراهيم فرد إبراهيم السلام عليهم وقال أبو بكر الأصم جعل الله أمانا بين الخلق وعطفا فيما بينهم وسببا لإخراج الضغائن
من قلوبهم وقال بعضهم جعل الله السلام تحية بين كل داخل على آخر وقد ذكرنا وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير
وبر وبركة كقوله لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما والله أعلم إنا منكم وجلون أي خائفون قال بعض
أهل التأويل إنما خاف لأنه ظن أنهم لصوص وأهل ريبة لكن هذا لا يحتمل أن يخاف منهم ويظن أنهم لصوص وأهل
ريبة وقد سلموا عليه وأنه ما دخلوا عليه واللصوص وأهل الريبة إذا دخلوا بيتا حرا لا يسلمون عليه لكنه إنما خافهم
إذ رأى أيديهم لا تصل إليه كما قال فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة عند ذلك خافهم فلما
رأى ذلك ظن إبراهيم أنهم ملائكة إنما جاؤوا لأمر عظيم حيث لم يتناولوا ما قرب إليهم ومد أيديهم وبين المكان
الذي يدخل منه مكان يقيم لهم الحاجة إلى الطعام لا توجل أي لا تخف إنا نبشرك بغلام عليم
وقال في آية أخرى فبشرناه بغلام حليم الحليم هو الذي يتجافى عن صاحبه كل أخلاق دنية والعليم هو الذي
يدعو صاحبه إلى كل خلق رفيع ليعلم أنه اجتمع فيه الخصال الرفيعة ونفي عنه كل خلق دني أبشرتموني
على أن مسني الكبر أي أبشرتموني أن يولد لي وأنا على الحال التي أنا عليها أو يرد إلي شبابي وشباب امرأتي

ثم يبشرون على الحال التي أنا عليها وامرأتي أو يرد الشباب إلينا وإلا لا يحتمل أن يخفى عليه قدرة الله حيث الولد في حال
الكبر لكنه لم ير الولد يولد في تلك الحال فاستخبرهم أنه يولد في تلك الحال أو يرد إلى حال أخرى حال الشباب والله سبحانه أعلم
قالوا بشرناك بالحق أي بما هو كائن لا محالة أي وعد كائن لا محالة والواجب على كل من أنعم الله عليه بنعمة أن يشكر
لنعمه لا يستكشف عن الوجه التي أنعم والأحوال التي يكون عليها وفي بشارة الولد بشارتان أحدهما بشارة بالغلام
والثاني بالبقاء والبلوغ إلى وقت العلم حيث قالوا إنا نبشرك بغلام عليم ومرة قال في آية أخرى ويكلم الناس
في المهد وكهلا ففي قوله كهلا دلالة وبشارة إلى أنه يبقى إلى أن يصير كهلا وهو الكامل فلا تكن
من القانطين قد ذكرنا فيما تقدم أن الأنبياء قد نهوا عن أشياء عصموا عنها ما لا يحتمل أن يكون منهم ما نهوا عنه كقوله فلا
تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ومن الظالمين الكافرين وأمثاله وذلك مما لا يتوهم أن لا يمنهم وذلك
لما ذكرنا أن العصمة لا ترفع المحنة لأنها لو رفعت لذهبت فائدة العصمة لأنها إنما يحتاج إليها عند المحنة وأما إذا لم يكن
محنة فلا حاجة تقع إليها ففيه ذلك إبراهيم لم يكن قنط من رحمة ربه سبحانه لا يهب له الولد في حال كبره ولكن ما ذكرنا
أين أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون أخبر أن القنوط من رحمة الله هو ضلال والإياس من رحمته كفر فمن ذلك هم
نضيق رحمته حتى لا يسع في الكبائر والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لقولهم في أصحاب الكبائر ما يقولون
قال فما خطبكم أيها المرسلون قيل فما أمركم وما قصتكم وما شأنكم والخطب الأمر وأن أي شيء أرسلتم قالوا إنا أر
سلنا إلى قوم مجرمين لم يعلم أن يكون أرسلوا لأجل إبراهيم وقال لو هذا لكن كان فيه ما ذكر في آية أخرى إنا مهلكوا
أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين وإنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا بما كانوا يفسقون فقال إبراهيم
إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لم يذكر ههنا على الاختصار فذلك يدل أن الخبر إذا أدى معناه يجوز وإن لم
يؤت باللفظ على ما كان وقوله قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط كان الثنيا هنا تكون عن الأشخاص
وأنفس أهل القرية عن قوله مجرمين لأن آل لوط لم يكونوا مجرمين فلا يحتمل الاستثناء من ذلك إذ لا يكون على حقيقته
الثنيا وإن كان في الخبر استثناء بقوله إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته أخبر أنهم سيكونون ثم استثنى
الكل منهم امرأته من الكل فيه دلالة أن الثنيا ليس برجوع لأنه لو كان رجوعا لكان يوجب الكذب في الخبر لكن
في الثنيا بيان تحصيل المراد مما أجمل في اللفظ وفيه دلالة أيضا أنه يجوز أن يستثنى من الاستثناء لأنه استثنى
امرأته منها لم يبق إلا آل لوط إلا امرأته فحصلت الملائكة من قومه حيث استثنى الملائكة من الأولى وفيه أنه قد يجوز أن
يستثنى من خلاف نوعه لأنه استثنى آل لوط من قومه والمجرم ليس من نوع الصالح ثم استثنى امرأته من الذي
ليست منهم وفيه أيضا أن آل الرجل يكون أتباعه حيث استثنى آله منهم يدخل فيه من تبعه ألا ترى أنه قال آل
فرعون وأراد أتباعه وآل موسى وآل هارون وآل عمران كل يرجع إلى أتباعهم فيدخل في قولهم اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كل من تبعه والله أعلم إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين قال أبو بكر الأصم قدرنا أنها
أي أخبرنا لكن هذا منه احتيال على تقوية مذهب الاعتزال لأنهم ينكرون أن تكون أفعال العبيد بتقدير الله
مخلوقة فنفى ذلك لأنه لو أن أفعالهم مخلوقة لله مقدرة له والأصح أي قدرنا بقاءها من الأصل وقوله لمن الغابرين
أي الباقين قال أبو عوسجة الغابر من الباقون والغابرون الماضون أيضا يقال غبر يغبر غبورا إذا بقي وإذا
مضى أيضا فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون أي إنكم قوم منكرون لا تعرفون بأهل
هذه البلدة وإنما قال لهم هذا لأن قومه إنما يعملون ما يعملون بالغرباء لا يعملون بأهل البلد ألا ترى أنهم
قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف أحدا منهم والله أعلم قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
هذا ليس بجواب لما سبق من قوله إنكم قوم منكرون ولكنه قالوا له ذلك والله أعلم بعدما كان بين لوط وبين
قومه مجادلات ومخاصمات من ذلك قوله إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وغير ذلك من
المخاصمات وقد كان لوط يعدهم العذاب بصنيعهم الذي كانوا يصنعون ولذلك قالوا ائتنا بما تعدنا

ان كنت من الصادقين فعند ذلك قالوا بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اي بما كانوا يجادلون وينازعون او يقولوا
بل جيناك بجزا ما كانوا يمترون ثم استهزاوهم ويحتمل بجادلتهم اياه ويحتمل ما كانوا عليه من الريبة واتيناك بالحق
وانا لصادقون قال بعضهم واتيناك بالحق اي بنجاتك ونجاة اهلك واهلاك قومك وقال بعضهم واتيناك بالحق اي
بالعذاب الذي كنت تعدهم وانا لصادقون بما نقول يحتمل هذا ان لم يكن هذا منهم قولا قالوه لان لوطا يعلم انهم
صادقون فيما يقولون حيث علم انهم ملايكة الله لكن اخبرهم علي ما كانوا عليه علي جهة قول كان منهم والله اعلم
فاسر باهلك بقطع من الليل اي ببعض من الليل وقال بعضهم بسحر علي ما قال نجيناهم بسحر وهو بعض سحر الكان او
غيره واتبع ادبارهم اي سر من ورايهم وهكذا الواجب علي كل والي امير جيش ان يتبع اثرهم ويامر بن يتبع اثرهم
ليلحق بهم من تخلف منهم ويحمل المنقطع منهم ويكون ذلك حفظا لهم ولا يلتفت منكم احد قال بعضهم لا
يلتفت اي لا يتخلف منكم احد وامضوا حيث تومرون وقال في اية اخرى لا يلتفت منكم احد الا امراتك فانها
تخلف عنكم فيصيبها ما اصاب اوليك هذا يدل ان ليس في تقديم الكلام وتاخيره منع ولا في تغيير اللسان ولفظ
جدا ان يودي المعنى خطر لان قصة لوط وغيرها من القصص ذكرت وكررت علي الزيادة والنقصان وعلى اختلاف
الالفاظ واللسان فدل ان اختلاف ذلك لا يوجب تغييرا في المعنى ولا باس بذلك وقال بعضهم في قوله
لا يلتفت منكم احد اي لا ينظر احد وراه فهو والله اعلم لما لعله اذا نظر وراه فرا ما حل بهم من تقليب الارض
وارسالها عليهم لا يحتمل بنيتهم وقلوبهم فيهلكون او يصعقون الا ترى ان موسى مع قوته لم يحتمل اندكاك الجبل
ولكن صعق فصار مدهوشا في ذلك الوقت فهو لا اضعف وما حل بقومهم اشد فنبنيتهم احرى ان لا تحتمل ذلك
والله اعلم وقضينا اليه ذلك الامر قوله قضينا قيل اوحينا اليه كقوله وقضينا الى بني اسرايل
في الكتاب اي اوحينا اليهم فقال بعضهم وقضينا اليه اي انهينا اليه واعلمناه وهو قول الكلبي والقتبي
وقوله ذلك الامر يحتمل قوله ذلك الامر هو ما ذكر ان دابر هولا مقطوع مصبحين هذا الذي اوحي اليه واعلم
ويحتمل قوله وقضينا اليه ذلك الامر اي اوحينا الي لوط ان ذلك الامر الذي يلحقك مقطوع مصبحين ويحتمل
الوحي الي لوط على البشارة ان دابر قومه مقطوع مصبحين اي مقطوع نسلهم فيه اخبار عن قطع نسلهم وفي الخبر
عن قطع نسلهم اخبار عن هلاكهم ان دابر هولا قال بعضهم اصل هولا وقال بعضهم دابر هولا
مقطوع اي مستاصلون مصبحين ليس يريد به حين اصبحوا وحين بدا طلوع الفجر ولكن اراد طلوع الشمس
الا ترى انه قال فاخذتهم الصيحة مشرقين واشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها في الارض فلانه ما ذكرنا
والله اعلم والصيحة يحتمل وجوها احدها ذكر الصيحة لسرعة هلاكهم اي قدر صيحة والثاني اهلكوا بالصيحة
الصياح او لبكا لما اهلكوا او الصيحة اسم لكل عذاب وجا اهل المدينة يستبشرون يحتمل يبشرون
بنزول الاضياف او يبشر بعضهم بعضا لما راوا بهم من حسن الهيبة والمنظر ورفعة اللباس قال ان
هولا ضيفي فلا تفضحون يحتمل هذا وجهين لا تفضحون في ضيفي فانهم انما نزلوا بنا علي امن منا فلا تفضحوني عندهم
وهو ما قال في اية اخرى ولا تخزون في ضيفي ويحتمل لا تفضحوني في الخلق ليقولن ان في اهل بيت لوط
يفعل بالاضياف كذا وانما عرف اهل بيتي عند الخلق بالصلاح والامن فلا تفضحوني في الخلق واتقوا الله
في ضيفكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق قيل هو من الهوان ويشبه ان يكون قوله واتقوا الله ولا تخزون
ان يكون الاخزا هو الفضيحة لكيلا ما ذكر ان هولا ضيفي فلا تفضحون فيكون هذا تفسير ذلك ويحتمل
الهوان وكذلك قيل في قوله ان الخزي اليوم اي الهوان اليوم اولم ننهك عن العالمين هذا
يدل علي انه قد كان سبق النهي عن انزال الاضياف كانهم قد نهوه عن انزال الاضياف لذلك قالوا اولم
ننهك عن العالمين قال ابو بكر الاصم يخرج قولهم اولم ننهك عن العالمين مخرج الاعتذار له لانهم كانوا يعظون
الرسل اعني اقوام الرسل جميعا اذ لم يكن من الرسل اليهم سوى الخلاف في الدين والدعا الى دين الله انهم وان

كذبوا الحجج البينات في الرسل فقد كانوا يعظمونهم الا ترى انه قال لرسوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الاية
والاول اشبه والله اعلم هولا بناتي ان كنتم فاعلين وفي موضع اخر هولا بناتي هن اطهر لكم وقد ذكرنا
ذلك في السورة التي فيها ذكر هو قال بعضهم انما عرض عليهم نكاح نسوتهم لانه كالاب لهم علي ما ذكر ان النبي رسول الله
امهاتهم وقال بعضهم في ذكر البنات انما اراد بهن بناته خاصة يعرض عليهم لانه يجوز ورود الشرع علي اباحة ذلك ولا يجوز حل
ذلك بحال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال الحسن اقسم الله بما شا من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله فاما
اقسم بحياة محمد وقال بعضهم اقسم بحياة محمد ولم يقسم بحياة احد غيره وقال بعضهم قوله لعمرك كلمة تستعملها العرب
في افنايهم علي غير ارادة القسم بحياة احد ومنهم من قال انما ذلك علي التعريض واصله ان الله قد اقسم باشيا اقسم
بالشمس والقمر والليل والنهار واقسم بالجبال والسما ونحوها من الاشيا التي تعظم عند الخلق ورسول الله قد اجل
اذا رسل رحمة للخلق وهو اولي ان يعظم بالقسم به الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن كان رحمة
للعالم كلا اولي ان يعظم من غيره اذ شانهم ما ذكرنا وقال بعضهم لعمرك القسم بحياة الرسول ولكن بدينه
وهو قول الضحاك وقوله انهم لفي سكرتهم يعمهون قال بعضهم السكرة الشدة التي تحل عند الموت شبههم بحيرتهم التي
فيهم بسكرة الموت يعمهون اي يترددون وقال بعضهم في ضلالتهم وكفرهم يعمهون يتحيرون فاخذتهم
الصيحة قد ذكرنا في غير موضع اختلافهم في الصيحة قال بعضهم الصيحة هي العذاب نفسه اي اخذتهم العذاب وقال
بعضهم سمي صيحة لسرعة نزوله بهم واخذه اياهم مشرقين قال بعضهم اشرقت الشمس اذا ارتفعت وانارت
وشرقت اذا بزغت وهو قول الكسائي وقال ابو عوسجة مشرقين اي اذا اشرقوا اي اذا طلعت الشمس عليهم وقد
ذكرنا هذا فجعلنا عاليها سافلها قد ذكرنا في السورة التي فيها ذكر هود ان في ذلك لايات
للمتوسمين قال بعضهم للمتوسمين المتفرسين من الفراسة وروي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو سعيد
قال اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين فان ثبت الخبر وثبت تلاوة
هذه الاية علي اثر ما ذكر فهو هو وقال بعضهم للمتوسمين المعتبرين وقيل المتفكرين وقيل الناظرين ذلك وان اية للمعتبرين
ولكن لم يبينوا انه اي وجه يكون اية لمن ذكر فيحتمل وجوها احدها اية للمتوسمين المعتبرين لرسالته لانه ذكر قصة
ابرهيم ولوط علي ما كان وهو لم يشهدها فذلك دل علي صدقه واية لرسالته والثاني اية لصدق ابرهيم وصدق
لوط لانهم كانوا يخبرون قومهم ان العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد فدل ذلك علي صدق خبر الانبيا في كل ما
يخبرون والثالث في هلاك من اهلك منهم ونجاة من انجي منهم اية لمن ذكر من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن
نجا منهم نجا بالتصديق فيكون لهم اية والرابع قد بقي لهم اثار من هلك منهم اية فيكون هلاكهم اية لمن ذكروا وصل
هذا ان الله ذكر ان في ذلك لايات للمتوسمين اي المومنين المتقين والاعتبار والتفكر للمومنين لانهم هم المنتفعون
قال والمتوسم هو الذي يعمل بعلامه وكذلك المتفرس هو الذي يعمل بعلامة في غيره يتطرق عنه بان هلاكهم
كان فيه خبر عن صنيعه يتعظ به وهو كالمتفقه الذي يعمل بالمعنى والله اعلم وانها لبسبيل مقيم
اي طريق دايم لا يزول يعلم ان في ذلك لاية للمومنين وهو ما ذكرنا ان الاية تكون للمومن والله اعلم ذكر في الاية
الاولى لايات لانه انبا ابرهيم وقصته وقصة قوم لوط ففي تلك ايات لمن ذكر وذكر في هذه الاية لاية
للمومنين لانه ذكر شيا واحدا وهو السبيل وان كان اصحاب الايكة لظالمين اي وقد كان اصحاب
الايكة لظالمين والايكة ذكر انها الغيضة من الشجر وهي ذات اجام وشجر كانوا فيها فبعث اليهم شعيب وهم
في الغيضة وذكر بعض اهل التاويل ان شعيبا بعث الي قومين الي اهل غيضة مرة والي اهل مدين مرة
علي ما ذكر والي مدين اخاهم شعيبا وقال في اية كذب اصحاب ليكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون
وقوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين سمي الله عز وجل الكفرة باسما مختلفة سماهم مرة ظالمين ومرة فاسقين وكافرين
ومشركين واسم الظلم قد يقع فيما دون الكفر والشرك وكذلك اسم الفسق ثم فيما دون الكفر والشرك ثم الكفر

يقبح لاسم الكفر وكذلك الايمان لم يحسن لاسم الايمان اذ ما من مومن الا وهو يكفر باشيا ويومن باشيا قال الله تعالى
فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله المومن يكفر بالطاغوت وبالاصنام التي كانوا اهل الكفر عبدوها وكذلك الكافر يومن
باشيا ويكفر باشيا يومن بالاصنام ويكفر بالله فثبت ان الكفر لاسم الكفر ليس بقبيح وكذلك الايمان لاسم الايمان
ليس بحسن ولكن انما حسن لانه ايمان بالله والكفر انما قبح لانه كفر بالله واما الظلم فهو لاسم الظلم قبيح وكذلك الفسق لاسم
الفسق قبيح فتسميتهم باسمائهم لاسمها قبيح لكن الايمان المطلق هو الايمان بالله والكفر المطلق هو الكفر بالله وان كان يسمي
بدون الله كفروا ايمانا كما ان الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله وان كان اسم الكتاب والدين
يقع على ما دونه   فانتقمنا منهم ذكر الانتقام منهم ولم يذكر بماذا كان الانتقام وقال في اية اخرى
فاخذتهم الرجفة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في اية اخرى فاخذهم عذاب الظلة فيحتمل ان يكون
الرجفة لقوم والصيحة لقوم وعذاب يوم الظلة لقوم منهم وكان كله واحدا فسماها باسماء مختلفة وليس لنا الى
معرفة ذلك الكتاب حاجة سوى ما عرفنا انهم انما اهلكوا او عذبوا بالتكذيب ليكون فيه كفاية لمن بعدهم ليحذروا مثل
صنيعهم والله اعلم وقوله فانتقمنا منهم للرسل كما انتقمنا من قوم لوط للوط بسوء صنيعهم وسوء معاملتهم اياه ففي ذلك
نهي من اهل مكة لمحمد بسوء صنيعهم ومعاملتهم اياه وقد كان ما نزل باصحاب الايكة كفاية مزجر لهم وعظة لا يحتاج
الى ما ذكر ما نزل بقوم لوط   وانهما قال بعضهم يعني قوم لوط وقوم شعيب   لبامام مبين اي طريق
مستبين اي بين هلاكهم   وانها لبسبيل مقيم وانها لبامام مبين واحد اي بين واضح انا لهم من سلك
ذلك الطريق اوقد فقد قرابهم ومساكنهم لاستبان لهم اثار هلاكهم وما حل بهم وقوله لبامام مبين اي طريق يوم ويقصد
بين واضح   ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل اصحاب الحجر هم قوم صالح ثمود
وقالوا الحجر هو اسم واد وقيل هو اسم القرية على شط الوادي نسبوا اليه وقوله كذب اصحاب الحجر المرسلين
قال اهل التاويل يعني بالمرسلين صالحا خاصة لكن ذكر المرسلين لان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعا
ساير الرسل فاذا كذبوه فكان قد كذبوا الرسل جميعا اذ كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا
فاذا كذب واحدا منهم فقد كذب الكل والله اعلم   واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يحتمل الايات
ايات وحدانية الله وحججه ويحتمل جميع الايات ايات الوحدانية وحجج وايات رسالته معرضين اي لم يقبلوها
فاذا لم يقبلوها فقد اعرضوا عنها او اعرضوا عنها اي كذبوها   وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
امنين قيل امنين مما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا
امنين من ذلك وقال بعضهم كانوا امنين من ان يقع عليهم ما نحتوا لحذاقتهم وسوء قالوا وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين على تاويل بعضهم حاذقين   فاخذتهم الصيحة مصبحين يحتمل اخذتهم ظاهرة
بالنهار   فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يحتمل قوله فما اغنى عنهم اي ما كانوا ينحتون لا يغنيهم من
عذاب الله من شي ويحتمل فما اغنى عنهم ما عملوا من عبادة الاصنام والاوثان حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقولهم هولاء شفعاونا عند الله اي لم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله او يقول ما اغنى عنهم ما
نحتوا وانفقوا في الدنيا في دفع عذاب الله عن انفسهم كقوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم الاية
اي وان اعطوا ما ذكر من السمع والبصر ما لا ينتفع اذا لم ينظروا ويتفكروا في ايات الله يجحدونها
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يحتمل بالحق الحق الذي جعل لنفسه على اهلها والحق الذي
لبعض على بعض والحق هو اسم كل محمود مختار من القول والفعل والباطل اسم كل مذموم من القول
والفعل قال بعضهم تاويله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا شهودا لله بالحق مثل الايمان وقوله الا
بالحق اي لم يخلقهما لغير شي ولكن خلقهما للمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها والى هذا ذهب الحسن وقيل خلقهما وما بينهما
لامر كاين اي لعاقبة للثواب والجزاء لم يخلقهم للفنا خاصة ولكن للعاقبة لان خلق الشي للفنا خاصة عبث

وهو ما قال الحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان خلقهم لا للرجوع اليه ولا للعاقبة عبث وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم وجاز ان يكون قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية على الاحتجاج
على اوليك لانكارهم البعث لو جمع اصلهما ما ذكرنا انه لو لم يكن البعث حصل خلقهما وما بينهما للفنا خاصة وخلق الشي
للفنا خاصة عبث باطل كبنا البنا للنقض خاصة لا للعاقبة تقصد عبث والثاني انه يكون في ذلك التسوية بين الاعدا
والاوليا وفي الحكمة التفريق بينهما وما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا اخبر انه لم
يكن ظنهم انه خلقهما باطلا ولكن لما انكروا البعث صار في ظنهم خلقهما باطلا   وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل
قال بعضهم فاصفح الصفح الجميل ولا تكافيهم بما اذوك بالسنتهم وفعلهم وان الساعة لاتية فنكافيهم عنك على اذاهم اياك
وصنيعهم بك وقيل الصفح الجميل هو ما لا تعنيف فيه ولا منة في العرف اي اصفح الصفح ما يوصف فيه بتمام الاخلاق وما لا
تعنيف فيه ولا منة يحتمل الصفح الجميل هو ان يصفح ولا يمن عليهم كانه امر ان يصفح صفحا لا منة فيه وان الساعة لاتية
فتجزى ذات عليهم صفحك الجميل وهم على اذاك والله اعلم   ان ربك هو الخلاق العليم هذا يحتمل وجهين احدهما
انه عليم بما يكون منهم خلقهم من المعصية والخلاف لا لظلمهم من غفلة وجهل بذلك ليعلم انه لم يخلق الخلق لحاجة نفسه ولا لمنفعة
نفسه ولكن خلقهم ليمتحنهم بما امرهم به ونهاهم وليرجع اليه نفعهم وحوايجهم والثاني ان ربك هو الخلاق العليم بمصالحهم
بان الصفح الجميل لهم ذلك اصلح في دينهم من المكافاة والله اعلم   ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم اختلف في قوله سبعا من المثاني قال بعضهم سبعا من المثاني المثاني هو القران كله كقوله الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها مثاني وقيل سمي مثاني لترديد الامثال فيه والعبر والانبا فان كان على هذا فيكون قوله سبعا
من المثاني اي سبعا من القران ثم يحتمل السبع الطوال على ما ذكر بعض اهل التاويل كانه قال اتيناك سبعا من القران
العظيم ويحتمل سبعا يعني فاتحة الكتاب من القران اي اتيناك فاتحة الكتاب من القران وقال قوم يقولون سبع
المثاني فاتحة الكتاب ويروون على ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التورية والانجيل مثل ام القران وهو السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين
العبد ولعبدي ما سال ومنهم من يقول المثاني القران كله بسبب ما ذكرنا من الاية وبما روي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما انزلت في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القران مثلها يعني ام القران وانها
لسبع من المثاني والقران العظيم الذي اعطيت ذكر انها السبع من المثاني فان كان سبع المثاني فاتحة الكتاب فيصير
كانه قال ولقد اتيناك سبعا وهي المثاني وان كان سبعا من المثاني هي السبع الطوال مكان التورية يكون كذا
اي اتيناك سبعا وهو المثاني مروي ايضا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني اعطيت السبع الطوال مكان التورية
والمثاني مكان الانجيل وفضلني ربي بالمفصل ثم ان ثبت ما روي في الخبران سبع المثاني فاتحة الكتاب والا الكف
والامساك عن ذلك اولى لانه لا حاجة بنا الى معرفة ذلك وليس يكون تسميتنا اياها سوى الشهادة وما يخرج مخرج
الشهادة من غير حصول النفع لنا فالكف عنه والامساك اولى ومنهم من يقول هي المفصل ومن قال المثاني فاتحة الكتاب
قال انها تثنى في كل ركعة او انها جعلت مكررة معادة لان كل حرف منها يودي معنى حرف اخر فسمي مثاني بذلك ومن
قال المثاني هو القران كله لما ذكرنا لان امثاله وانباءه وعبره معادة مرددة ومن قال المثاني السبع الطوال فقال
لانه تثنى فيها حدود القران وفرايضه وعامة احكامه والله اعلم وقوله والقران العظيم سماه عظيما وسماه مجيدا وحكيما
وهو اسم الفاعل بلاء الدوله فهو في الحقيقة لمنزله يخرج والله اعلم على وجه يحتمل سماه عظيما مجيدا لما عظم وشرف
وجل لانه عظيم مجيد حكيم اي محكم التفصيل بمعنى مفعول وذلك جائز في اللغة او سماه بذلك لان من تمسك به وعمل
يصير عظيما مجيدا حكيما او سماه عظيما مجيدا حكيما اي جاء من عند عظيم مجيد حكيم واصل الحكيم هو المصيب في وضع
كل شي موضعه والله اعلم   لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم يحتمل المراد بقوله عينيك
نفس العين ثم هو يحتمل وجهين احدهما نهى رسوله ان ينظر الى ما متع اولئك مثل نظرهم له لانهم ظنوا انهم انما متعوا

بين الاموال في الدنيا لحظهم وقدرهم عند الله وعلى ذلك قالوا ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقال
ولئن رجعت الى ربي الايه وهو ظنوا انهم انما متعوا في الدنيا لحظهم وقدرهم عند الله لذلك قالوا ما قالوا والوجه
ان ينظر الى ذلك بعين الذين نظروا هم اليه ولكن بالاعتبار والثاني نهاه ان ينظر الى ذلك نظر الاستكبار والتجبر
على المومنين والاستهزا بهم على ما نظروا هم لانهم باستمتاعهم انواع الملاذ استكبروا على الناس واستهزوا بهم اذ البصر
تدبيم على ما ذكر من غير تكلف فيصير كانه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا به لان ما متعوا به هو ما ذكر ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وقال في اية اخرى لنفتنهم فيه وقوله ولا تمدن عينيك فيما متعوا
فانهم انما متعوا لما ذكر ويحتمل النهي عن مد العين لا العين نفسه ولكن نفسه كانه قال لا تمنين نفسك فيما متعوا هم ولا
ترغبها في ذلك فانه ليس يوسع ذلك لهم لحظهم وقدرهم ولكن ليعلم ان ليس لهم حظ عند الله وقد ضيق اعطي
من افترى عليه وجحد نعمه وفضله وفي الاية تفضيل الفقر على الغنا لانه نهى رسوله ان يمد عينيه الى ما متعوا وعلم
ان رسول الله اذا مد الى ذلك ليس يمد للدنيا ولا للشهوات ولكن ليستعين به في امر جهاد عدوه ويعين به اصحابه في سبيل
الخيرات ثم نهاه مع ذلك عنه دل ان الاخيرة الافضل ما اختاره من الفقر وقصرهم ذات يده والله اعلم
ازواجا منهم اي اصنافا من الاموال والوانا من النعم وقال بعضهم ازواجا منهم اي الاغنيا منهم واشباههم فان كان
تاويله ازواجا منهم هو اصناف الاموال فهو على التقديم والتاخير كانه قال لا تمدن عينيك الى ما متعنا منهم ازواجا
وان كان ازواجا منهم هو اصناف الناس فهو على النظم الذي جرى به التنزيل اي لا تمدن عينيك الى ما متعنا به قوما
منهم وفي هذه لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يعطي احدا شيا
الا ما هو اصلح له في الدين ولو كان ما متع هو الاصلح لهم في الدين لم ينه رسوله عن مد عينيه اليه دل انه قد يعطي ما
ليس باصلح في الدين وكذلك قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
اخبر انه انما يملي لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون يملي لهم ليزدادوا اجرا وكذلك قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم الايه هذه الايات كلها تنقض عليهم قولهم وقد ذكرنا هذا في غير موضع فيما تقدم
ولا تحزن عليهم يحتمل النهي نفسه نهاه ان يحزن عليهم اشفاقا عليهم بل امره ان يغلظ عليهم كقوله جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وعلى هذا يخرج قوله واخفض جناحك للمومنين اي ارفق بهم ولين عليهم واشدد على اولئك
واغلظ عليهم وهو ما وصفهم اشدا على الكفار رحما بينهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين اخبر انهم اهل
شدة على الكفار واهل غلظة رحما بينهم واهل ذلة على المومنين واهل شدة عليهم اي على الكفار وفي ذلك
هذا ويحتمل انه ليس على النهي ولكن على التخفيف والتسلي ورفع الحزن عن نفسه لانه كان يحزن لكفرهم بالله وتركهم
الايمان حتى كادت نفسه تتلف لذلك كقوله لعلك باخع نفسك الايه وقوله فلا تذهب نفسك الايه والله اعلم
ويحتمل ايضا وجها اخر وهو انه كان لا يحزن عليهم ويضيق صدره لما مكروا به وكادوه كقوله ولا تحزن عليهم ولا
تك في ضيق مما يمكرون فانا نكفيهم والله اعلم وقل اني انا النذير المبين يحتمل انا النذير
على معاصيه المبين في طاعته او النذير على العصاة من عذاب الله المبين لاوامره ونواهيه والله اعلم
كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين قال الحسن الكتب كلها قران يعني كتب الله
اقتسموها وجعلوها عضين اي فرقوها بالتحريف والتبديل فما وافقهم اخذوه وما لم يوافقهم غيروه وبدلوه
كقوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا ونحو ذلك اقتسامهم وتعضيتهم في قوله
وكقوله تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ونحوه وقال بعضهم
اقتسامهم هو ان نفرا من قريش كانوا اقتسموا اعقاب مكة ليصدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول طايفة منهم اذا سيلوا عنه هو كاهن وطايفة اخرى هو شاعر ساحر مجنون ونحوه وعضين قولهم
هو سحر شعر كهانة اساطير الاولين افترى على الله كذبا وامثال ما قالوا فذلك اقتسامهم وعضيهم
وتا

بعضهم هو على التقديم اي اتيناك المثاني والقران العظيم انزلناه عليك كما انزلنا التورية والانجيل على اليهود والنصارى
هم المقتسمون كتب الله فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقال ابو عوسجة قال عضين الجزو اي قسمته عضوا عضوا
وقال غيره هو من العضه وهو السحر لان قريشا قالوا ساحر وقال القتبي المقتسمون قوم تقاسموا على عضه النبي
صلى الله عليه وسلم وان يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النزاع اليهم وعضين اي فرقوه وعضوه وقيل فرقوا القول
فيه وهو ما ذكرنا والله اعلم فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قوله فوربك قيل قسم اقسم بنفسه تعالى انه
اجمعين قال بعضهم الخلائق كلها كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين ايش اجبتم لهم جميعا الرسل
عن تبليغ الرسالة والذين ارسل اليهم عن الاجابة لهم وقال بعضهم قوله فوربك لنسالنهم اجمعين هو للذين سبق ذكرهم
المقتسمين الذين جعلوا القران عضين والذين استهزوا برسول الله واصحابه يسالهم عن حجج ما فعلوا والمعنى
الذي حملهم على سوء معاملة رسوله وكتابه لاي شي نسبتم رسولي وكتابي الى السحر والكذب والكهانة والافترا الايات و
ما تعلم واي شي علمتم لان ذلك يكون مكتوبا في كتبهم يقرون كقوله اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
وهو وعيد شديد في نهاية الوعيد والشدة لانه وعيد مقرون بالقسم وكل وعيد قرن بالقسم فهو في غاية الشدة اذ
لو جاء ذلك الوعيد من ملك من ملوك البشر يجب ان يخاف فكيف من ربنا فاصدع بما تومر قال بعضهم
فاصدع بما تومر اي استقم كما تومر كقوله فاستقم كما امرت فهو في كل ما امر به وقال بعضهم اصدع اي امض بما تومر
من تبليغ الرسالة واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم ومعناه والله اعلم امض على ما تومر من تبليغ الرسالة
اليهم ولا تخفهم ولا تهبهم ولا يمنعك شي عن تبليغ الرسالة الخوف ولا القرابة ولا شي من ذلك ولكن امض على
ما تومر به كما قال ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال كونوا بالقسط شهدا لله ولو على
انفسكم اي لا يمنعكم عن القول بالحق والعدل بغضكم اياهم ولا قرابتكم التي فيما بينكم فعلى ذلك قوله فاصدع بما
تومر اي امض على ما امرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك عن ذلك الخوف والوعيد والقرابة التي فيما بينك
وبينهم وقال القتبي اصدع بما تومر اي اظهر ذلك واصله الفرق والفتح يريد اصدع الباطل بحقك حتى ياتيك
الموقن به وهو الموت وقال ابو عوسجة اصدع اي امض على ما تومر وصدعت اي مضيت وذلك من المضي
واصل هذا كله الشق ويقال تصدعوا اي تفرقوا والله اعلم واعرض عن المشركين اي اعرض عن
مكافاتهم فانا كفيناك عنك علما وكل وقال بعض اهل التاويل قوله واعرض عن المشركين هو منسوخ باية السيف
لكن على الوجه الذي ذكرنا ليس بمنسوخ ويحتمل واعرض عن المشركين ان كان اراد به القتال والدعا الى التوحيد
فهو في وقت دون وقت او في قوم خاص علم الله انهم لا يجيبونه ولا يومنون به ايس رسوله من ايمانهم
فقال اعرض عن هولا ولا تشتغل بهم ولا تدعهم فانهم لا يومنون ولكن ادع قوما اخرين والله اعلم
انا كفيناك المستهزئين قال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الكفرة جميعا فمنعناهم عن ان يصلوا اليك على ما قصدوك
من اهلاكك ونحوه كقوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الذين كانوا على
الطرق والمراصيد ليصدوا الناس عن سبيل الله على ما ذكر في القصة العدد الذي ذكر سبعة او ستة كفاه الله
بان اهلكهم بما ذكر اهل التاويل ان الذين استهزوا به هلكوا جميعا بعقوبات مختلفة الذين يجعلون
مع الله الها اخر قوله يجعلون ليس على الجعل لانهم لو جعلوا لكان لانه كل مجعول كاين موجود ولكن قوله
يجعلون اي يزعمون ان مع الله الها اخر اما في التسمية او في العبادة وكذلك قوله جعلوا القران عضين هم لا
يقدرون على ان يجعلوه عضين ولكن زعموا انه كذا لان الله وكل حفظه الى نفسه بقوله وانا له لحافظون
وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اخبر انه يحفظه حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
فلو قدروا على جعله عضين لكان قد اتى الباطل من بين يديه دل انه على القول الذي قالوا وهو على
المجاز وكذلك قوله فراغ الى الهتهم وقوله اجعل الالهة الها واحدا فهو كله على المجاز على ما عندهم انها حق

قرابتهم

التسمية لها انها الهة واما بصرف العبادة اليها ظاهر وهذا ان المستهزئين الذين ذكر بهم انه كفاه عنهم هم الكفرة جميعا لكن يحتمل في الذين ذكرهم اهل التاويل كانوا اهل رياسة مكة اضاف ذلك اليهم ونسب لانهم هم الذين امروا غيرهم ان يجعلوا وهم المعاندة فكانهم فعلوا ذلك وهم قالوا وقوله كفيناك المستهزئين الذين تعلوا به ما فعلوا ممن تقدم ذكرهم فيكون قوله الذين يجعلون على اضمار كان اي الذين كانوا يجعلون مع الله الها اخر وان كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهر ما ذكر يجعلون على المستقبل فسوف يعلمون وعيدا اي سوف يعلمون ما عملوا من الاثم والعضه والاستهزاء برسول الله واصحابه اذا نزل العذاب بهم والله اعلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وما قالوا من الانتقام والعضه والاستهزاء به وانواع الاذى الذي كان منهم برسول الله اي نعلم ذلك وهو محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك فلا يضيقن صدرك لذلك فهو على التصبير على الاذى والتسلي من ذلك وترك المكافاة لهم والله اعلم وكان يضيق صدره رقة لشركهم ان حاجة له ورقة للاذى بالله وان الثاني على علم منا بما يكون منهم ومن ضيق صدرك بذلك لكن انا نامر ومكناهم على علم منا بذلك امتحانا منا اياك بذلك واياهم فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اي صل بامر ربك وكن من الساجدين اي من المصلين وقوله فسبح هو امر فاذا فعل ذلك كان بامر ربه فلا معنى لذكر الامر من بعد قوله بحمد ربك ان كان الحمد هو الامر على ما قال بعض اهل التاويل ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله فسبح اي نزه الله عن جميع ما قال الملحدة فيه اذا التسبيح هو التنزيه في اللغة بحمد ربك اي بثناء ربك اي نزهه عن ذلك كما اثنيت عليه وكن من الساجدين اي من الخاضعين اذا السجود هو الخضوع او ان يكون نامر اياه بالتسبيح على التسلي وتوسيع صدره بالذي يكون منهم اي فسبح ربك عن ذلك واعبد ربك يحتمل التوحيد اي وحد ربك كذلك قال ابن عباس كل عبادة ذكرت في القران فهو توحيد يامر باعتقاد الاخلاص له في كل امر ويحتمل العبادة نفسها يامر بالعبادة له لشكر الله على ما روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت ساقاه فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال بلى افلا اكون عبدا شكورا حتى ياتيك اليقين اي ما تيقنت به وهو الموقن به وكذلك لا يرتفع عن يكون بالايمان فقد حبط عمله اليهم يكفر بالمؤمن به فقد حبط عمله لان الايمان لا يكفر به فيكون ذلك اليقين لاياتيه ولكن ياتيه الموقن به وكذلك ما ذكر الصلوة امر الله اي بامر الله وهو المامور بلان الصلوة لا تكون امر الله ولكن بامر الله وكذلك ما يجيء من هذا النحو ويحتمل قوله حتى ياتيك اليقين فيهم وهو ما وعدهم العذاب فيهم اي يتيقنون بذلك والله اعلم

قال بعض اهل التاويل سورة النحل كلها مكية الا ثلث ايات فانها نزلت بالمدينة والله سبحانه اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه

في قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وجهان احدهما ان يعرف قوله امر الله ما اراد به وما الذي استعجلوه وانما استعجلوا الساعة والقيمة بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها الاية ونحو من الايات وقال بعضهم امر الله هو عذابه وكذلك جميع ما ذكر في جميع القران من امر الله المعني منه عذابه كقوله جاء امر الله اي عذابه ونحوه ويحتمل قوله اتى امر الله رسوله الذي كان يستنصر اهل الكتاب على المشركين كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الاية وكان يتمنى مشركوا العرب ان يكون لهم رسول كما في الكفرة كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية فلا تستعجلوه وذهب ما كنتم تتمنون به لما هو شيء اخر والله اعلم ثم انه لم يرد بقوله اتى امر الله وقوعه ولكن قربه اي قرب اتيانه وانه كائن لا محالة كما يقال اتاك الخبر واتاك امر كذا على ارادة القرب لا على الوقوع ويجاز ان يكون قوله اتى امر الله اي ظهر اعلام امر الله وانه ليس على اتيان امر من مكان الى مكان لحقوقه جاء الحق وزهق الباطل وانه صلى الله عليه وسلم لانه كان به ختم النبوة فهو كان اعلام الساعة على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت انا والساعة كهاتين اشار الى اصبعين لقربها منه والله اعلم

وقوله فلا تستعجلوه لانه لا ينفعكم اذا ما جاءكم كقوله قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اذ لا ينفعهم ذلك بل يضرهم عليهم سبحانه وتعالى عما يشركون سبحان هو كلمة اجلال الله يجريها على السن اوليائه على تنزيه ما قال الملحدة فيه وتعالى عن جميع ما نسبوا اليه من الولد والصاحب والشريك وغيره من الاشباه والانداد وتعالى عن ذلك سبحان اسم حرف يذكر على اثر شيء مستبعد او مستنكر او مستعظم جوابا لذلك وهو ما ذكر على اثر وصفا وقوله لا يليق به من الولد والشريك ونحوه فقال سبحان الله على التنزيه عما وصفوه ينزل الملئكة بالروح من امره قال بعضهم قوله بالروح اي بالوحي الذي اتى له على نبيه والرحمة والروح الرحمة وهو الذي به نجاة كل من رحمه الله وهداه لدينه وهو ما ذكر حيث قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل الرسالة والنبوة سمي القران والرسالة ما ذكر روحا لانه به حيوة الدين كما سمي الذي به حيوة الابدان ارواحا وقال الحسن قوله بالروح من امره اي بالحيوة من امره وهو ما ذكر من حيوة الدين على من يشاء من عباده اي على من يشاء ان يختص من عباده ويختاره وهو منه الاختيار وان كان يعلم انه يصلح لذلك وفيه دلالة اختصاص الله بعضهم على بعض وان كان يعلم انه يصلح لذلك ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون على هذا جاءت الرسل والانبياء جميعا بالانذار والدعاء الى وحدانية الله وتوحيد العبادة له وقوله ان انذروا اصله ما تقدم من قوله ينزل الملئكة ان انذروا ولا يوصل بما تاخر يخرج على الاضمار اي انذروا وقولوا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق قد ذكرنا قوله بالحق في غير موضع انه لم يخلقهما وما فيهما عبثا انما خلقهم لامر كائن او للمحنة والجزاء ونحوه تعالى عما يشركون من لا ينفع ولا يخلق ولا يضر ولا يدفع في الذي يخلق وينفع ويضر ويدفع تعالى عن ذلك وتقدس خلق الانسان من نطفة يذكرهم عز وجل نعمه عليهم وقدرته وسلطانه وعلمه لانه لو اجتمع الخلائق كلهم على ان يدركوا المعنى الذي به تصير النطفة نسمة وانسانا ما قدروا عليها حيث خلق من النطفة انسانا على احسن تقويم واحسن صورة وفيه نقض قول الدهرية حيث انكروا خلق الشيء من لا شيء لانهم لم يدركوا المعنى الذي به خلق الانسان من النطفة فيلزمهم ان يقروا بخلق الشيء من لا شيء وان لم يشاهدوا ذلك ولم يدركوا وفيه دلالة البعث لان من قدر على انشاء الانسان من النطفة وليس فيها من اثر الانسان شيء يقدر على البعث وانشاء الاشياء لا من شيء فاذا هو خصيم مبين قال بعضهم الخصيم هو الذي يجادل بالباطل مبين اي ظاهر مجادلته بالباطل والخاصمة وقال بعضهم الخصيم هو الجدل الذي يجادل فيما كان قال ابو عوسجة الخصيم هو المخاصم والمخاصم كلاهما خصيم ويقال فلان خصيمي اي خصمي مبين ظاهر خصومته والخصيم هو الفعيل والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعا فكانه قال فاذا هو خصيم مبين اي منقطع عن الخصومة بين الانقطاع وهو ما ذكر من خصومته في اية اخرى والانقطاع حجته حيث قال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم لما احتج بها فانقطعت حجته وبهت الذي انكر قدرته على البعث حيث لم يتهيا له جواب ما احتج عليه والانعام خلقها لكم يحتمل قوله خلقها لكم على الظاهر ان خلق هذه الاشياء وخلق لنا فيها دفء ومنافع كقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ويحتمل قوله والانعام خلقها لكم اي سخرها لكم ثم اخبر انه خلق لنا فيها منافع يذكر انواع المنافع والنعم التي انعم علينا مفسرة مبينة واجمل بعضها واوضح في هذه السورة وفي غيرها من السور انما ذكرها مجملة مرة الى كل واحدة منها على اشارة في هذه السورة ليتعرفوا ويشكروها وليعلموا قدرته على خلق الاشياء لا من الاشياء ثم قوله فيها دفء قال بعضهم الدفء نسل كل دابة وقال بعضهم ما يتخذ منه وقال القتبي الدفء ما استدفات به ويشبه ان يكون تفسير الدفء والمنافع الذي ذكر في سورة اية اخرى وهو قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الاية جعل الله عز وجل الانعام وما ذكر وقاية لجميع انواع الاذى من السماء وغيره

مما يمنع من الاذى من الحر والبرد والجوع وغير ذلك مما يكثر عددها ويطول ذكرها وجعل فيها منافع كثيرة من الركوب
والشرب والاكل كما قال ولكم فيها منافع ومشارب وقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم
فيها منافع كثيرة الى اجل مسمى واخبر ايضا ان فيها جمالا بقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
فان قال قايل اي جمال يكون لنا فيها حين الاراحة وحين السرح وقال بعض اهل التاويل ذلك انه اعجب ما يكون
اذا راحت عظاما ضروعها طوالا اسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها او ان يكون الجمال عند الاراحة
والسرح شرب البانها وقري الضيف من البانها في الرواح والمسا وقال بعضهم قوله ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وذلك انهم كانوا يسرون عند الاراحة والتسريح وذلك السرور يظهر في وجوههم فاذا ظهر
ازداد لهم جمالا وحسنا وهكذا المعروف في الناس انهم اذا سروا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد لهم بذلك
جمالا واذا حزنوا اصابهم غم يوثر ذلك الغم نقصانا في خلقتهم فيزداد لهم قبحا وتشويها وقال بعضهم انها اذا
راحوها او سرحوها راى الناس ان اربابها اهل غنى واهل ثروة وانهم لا يحتاجون لغيرهم ويكون لغيرهم
اليهم حاجة فيكون لهم بذلك ذكر عند الناس وشرف وذلك جمال لهم يشرفهم فيها والجمال لهم فيها ظاهر لان
ما يبسط ويفرش انما يتخذ منها ومن اصوافها وكذلك ما يلبس انما يكون منها وانما يبسط ويفرش ويلبس للتجمل
والبها والله اعلم   وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ذكر ايضا ما جعل لنا فيها
من النعم ما تحمل من الاثقال من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد ما لو لم يكن ان من اعني الانعام التي
اخبر انها تحمل اثقالنا الى ذلك البلد ما لا نجد مثله ... وذلك والله اعلم ان الله جعل في بني ادم النفس حوايج
وقواما ما لا قوام لها الا بذلك فلعله لا يظفر بما به قوام النفس الا في بلد اخر او مكان اخر فلو تحمل ذلك
بنفسه لكان في ذلك تلف نفسه وذهاب ما به قوامه فذكر انه خلق لنا ما يحمل به من بلد الى بلد ما به قوام
الانفس وحاجتها والله اعلم   ان ربكم لرءوف رحيم اي من رحمته ورافته ما جعل لكم من المنافع في
الانعام ما ذكر او ذكر هذا ليرحموا على بني الانعام التي خلقها لكم في الانفاق عليها والاحسان اليها
وذكر فيه ومنها تاكلون وذلك لا يوصل الى اكلها الا بالذبح ليعلم ان الذبح فيما يوكل ليس بخارج من
الرحمة والرافة وذلك ينقض على الثنوية قولهم في انكار ذبح هذه الاشيا ويقولون انهم في المعنى بالذبح
والضرب والقتل كما تقولون انتم فمن قصد قصد احدكم بالقتل انه سفيه عندكم غير حكيم ولا رحيم بل موصوف
بالقسوة والسفه والله سبحانه موصوف بالحكمة والرافة والرحمة لا يجوز ان يامر بالذبح والقتل لهذه الاشيا
اذ ذلك مما يزيل الرحمة والحكمة فيجاب لهم بوجوه احدها ان الله خلق هذا البشر في هذه الدنيا للمحنة وللعاقبة
قصدها اما ثوابا واما عقابا واخبر انه خلق هذه الاشيا لنا وجعل لنا فيها منافع تتامل وتقصد وقد نجد
في الشاهد من هو موصوف بالرافة والرحمة على نفسه يجرح نفسه الجراحات ويحمل عليها الشدايد والمكروهات
لمنافع يقصد ويتامل في العاقبة ثم لم يوصف بالسفه ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة من نحو الحجامة
والافتصاد وشرب الادوية الكريهة الشديدة ما لو لم يتامل ما قصد من النفع والعافية في العاقبة
ما تحمل تلك المكروهات والشدايد فدل ما وصفنا ان تحمل الاذى والالم والمكروه غير خارج عن الحكمة
والرحمة ولا الفعل فعل سفه اذا كان لمنافع تقصد في العاقبة وعاقبة تتامل فيبطل قول الثنوية ان
ذلك مما يزيل الرحمة على ان هذه الانعام والبهايم لم تخلق للمحنة والجزا في العاقبة ولكن خلقت لمنافع
البشر فلهم الانتفاع بها من ركوبها وحمل اثقالهم والانتفاع بظهورها مع ما ذكر ان تحمل الشدايد
وانواع المكروهات والالام لا يخرج الفعل عن الحكمة ولا يزيل الرافة والرحمة اذا قصد به النفع في العاقبة
وطلع فيه الخير ... انه ابيح لنا الانتفاع بها والذبح على غير جهل حقيقتها لان ... لم يبح
لنا اتلافها اذ لو كان اصول الاشيا لنا لكان لا يمنع عن الاتلاف فدل انه ابيح لنا الانتفاع بها على غير

جهل الحقيقة والاصول لنا ينطل ... من يقول ان الاشيا في الاصل على الجهل الا باباحة حتى يقوم ما يحظر قال ابو عبيدة حين
تريحون يقال منه اراحتها بالعشي الى مراحها الاراحة والاراحة عند العرب ان يعيد الرعاة مواشيها بالليل الى ماواها وكذا
يسمى ذلك الموضع المراح وقوله وحين تسرحون بها غدوا الى المرعى يقال سرحتها اسرحها سرحا وسروحا وكذلك
قال القتبي وابو عوسجة والدفء ما ذكرنا انه من الاستدفا   والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وقوله وزينة يحتمل وجهين احدهما ان الماشي يعد من الراكب والمشي يوثر نقصانا في الوجه والركوب لا وذلك فيما
قلنا ذكرنا في قوله ولكم فيها جمال والثاني ان الراكب اذا نظر الى الماشي يسر بركوبه فالسرور يظهر في وجهه وذلك
يزيد في حسنه وجماله والاصل ما ذكر عز وجل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الاية والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة بين انه لماذا خلق الانعام وما جعل فيها وهو ما ذكر انه جعل فيها الدفء والمنافع ومنها تاكلون
وبين انه لماذا خلق الخيل وهو ما ذكر لتركبوها وزينة وسيل ابن عباس عن لحوم الخيل فقرا والخيل والبغال والحمير
لتركبوها ولم يقل لتاكلوها فكرهه اهل العلم لذلك وتمام هذا ان الله ذكر الانعام وما ذكر من النعم والانتفاع بها وبالغ
في ذكرها لانه قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
تسرحون الاية وقال هو الذي انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا الى اخر ما ذكر وذكر جميع
ما ينتفع به من انواع المنافع ذكرا ان فيها بالغ في ذكرها فذلك ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير
على انه ليس فيها منفعة اخرى سوى ما ذكر من الركوب اذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصا ليستدل انه ليس فيها
ولو كان فيها منفعة اخرى لذكر كما ذكر في غيرها والله اعلم والثاني من الاشيا ما يحتشمه ويتقذره بعض
الطباع والصبيان ولهذا ما يتقذر الحمار ويعافون في ذكرها لا احد يرغب في اكلها الا من عز طبعه عما كان يحتمله ...
في الاكل واما من زكى طبعه يستخبث ويتقذر طبعه عن اكلها والله اعلم وروي عن جابر قال لما كان يوم خيبر اصاب الناس
مجاعة فاخذوا الحمر الاهلية فذبحوها فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الانسية ولحوم الخيل والبغال
وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وحرم الخلسة والنهبة وروي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف
ذلك قال اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر وعن اسما بنت ابي بكر قالت نحرنا
فرسا في عهد رسول الله فاكلناه وفي بعض الاخبار ان رسول الله نهى عن لحوم الحمر واذن لنا في لحوم الخيل قلنا
فقد يجوز ان يكونوا اكلوه في الحال التي كان يوكل فيها الحمر لان النبي انما نهى عن اكل لحوم الخيل حين ... فقد
يحتمل ان يكونوا اكلوا لحم الفرس في حال الاباحة اذ لم يذكروا الوقت وعن الحكم قال كان اصحاب رسول الله
ياكلون لحم الخيل في مغازيهم وكان الحكم لا يرى بها باسا على كل حال ونقول الحكم انهم كانوا ياكلونها في مغازيهم
يدل انهم كانوا ياكلونه في حال الضرورة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل لثلثة فهي لرجل كذا ولرجل
اجر كذا وعلى رجل وزر بين انها لا تصلح الا لما ذكر ولو صلحت للاكل لقال الخيل لاربعة ولبين لرجل طعام ومما
يبين ما ذكرنا ان البغل حرام وهو من الفرس فلو كانت امه حلالا لكان هو ايضا حلالا لان حكم الولد حكم امه
لانه منها او هو كبعضها لما حرم لحم البغل لزم ان يحرم لحم الفرس في حكم النظر والمقاييس الا ترى ان حمار وحش
لو نزا على حمارة اهلية لم يوكل ولدها ولو ان حمارا اهليا نزا على حمارة وحشية فولدت اكل ولدها افلا ترى
انه جعل حكم الولد حكم امه ولم يعتبر بالفحل فلما كان لحم البغل حراما وجب ان يكون لحم الفرس كذلك الا ان ابا
حنيفة رحمه الله كان لا يطلق تحريم اكلها لما فيها من الشبه والاختلاف والاحاديث المروية عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكنه ذكر الكراهة للشبه التي فيه وكان ابو يوسف رحمه الله يبيح اكلها وقد يجوز ان يحتج لابي يوسف
في الفرق بين المولود من الفرس وبين ولد الحمارة الوحشية اذا نزا عليها حمار اهلي بان ولد الحمار لم يتغير عن
جنس امه فحكمه حكمها والبغل ليس من جنس امه وهو من جنس ثالث فلذلك لم يكن سبيله سبيلها والله اعلم

وخلق ما لا تعلمون اخبر انه يخلق ما لا نعلم فليس لنا ان نتكلف في علم ذلك او يخلق من النعم فيما خلق ما لا تعلمون انتم انها
نعم او قال لعرف قوم انه ليس يقدر ان يخلق شيئا لا يطلعه الممتحن   وعلى الله قصد السبيل اختلف فيه قال بعضهم
اي على الله بيان قصد السبيل وهو الهدى بين الهدى من الضلالة وبين من السبل التي تفرقت عن سبيله كقوله
ثم ان علينا بيانه   ومنها جائر اي عليه بيان ما يجور عن قصد السبيل يميل ويجار او يتياه وبالله يوصل
الى قصد السبيل وقال بعضهم وعلى الله الهدى بالله يوصل قصد السبيل وهي السبل التي ذكرنا ومنها جائر كقوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقال بعضهم طريق الحق والعدل به وقد يستعمل حرف على مكان
لكقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين   ولو شا لهديكم اجمعين قد ذكرنا تاويله وقوله ولو شا لهديكم اجمعين يخرج على وجهين احدهما لو شا
اكرم الخلق كله اللطف الذي اكرم اولياه فاهتدوا به فيهتدون والثاني لو شا اعطاهم جميعا الحال التي يكون بها
الاهتداء وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة لبيان ما ذكرنا لا يحتمل انه اذا كان ذلك مع الكفر لكفروا
جميعا واذا كان تلك الحال يهتدون   هو الذي انزل من السما ما هو موصول بقوله خلق السموات
والارض بالحق وقوله خلق الانسن من نطفة وقوله والانعام خلقها لكم والخيل والبغال والحمير يقول الذي خلق لكم
ما ذكر من الاشيا هو الذي انزل من السما لكم منه شراب ومنه شجر هذا يحتمل ما ذكرنا انه انزل من السما ما ثم اخرج
انه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي انزل من السما ما ثم اخرج لكم منه شراب ومنه شجر ثم يحتمل قوله منه شراب
جميع ما يشرب من الاشربة اذ منه تكون الاشربة جميعا وجميع الاشيا ويحتمل منه شراب الما خاصة ومنه شجر الشجر
معروف هو الذي يعلو ويرتفع في الارض لا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه الارض شجرا فظاهر هذا ان يرجع
الى ذلك المعروف الا انه ذكر فيه تسيمون اي ترعون دل هذا انه انما اراد بالشجر المنبسط على وجه الارض
والمرتفع عليها وقال القتبي السايمة الراعية وكذلك قال ابو عوسجة وقال ابو عبيدة اسمت سايمتي اي رعيتها
وكذلك قوله والخيل المسومة اي الراعية   ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات اي ينبت لكم بالما الذي ذكر انه انزل من السما الزرع والزيتون وجميع ما ذكر جعل الله بلطفه الما
لقاحا لكل الاشيا المختلفة والمنفعة ليس كغيره من الدواب حيث لم يجعل اللقاح شي من جنس اخر انما جعل لقاح كل
نوع من نوعه وجعل في الما بلطف سرية توافق جميع الاشيا المختلفة لو اجتمع الخلايق على ادراك ذلك وان اجتهدوا
لم يقدروا عليه ليعرفوا انما ظاهرا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف والسرية التي تكون بها صلاح كل احد وموافقته
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ذكر ان فيه اية لقوم يتفكرون ولم يذكر انه لماذا لكنه ذكر انه اية
لقوم يتفكرون بالتفكر يعرف انه اية لماذا وهذا يدل على ان الاشيا التي غابت عنا ظواهرها بالتفكر
والنظر تدرك   وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وما ذكر هذه تسخير هذه الاشيا لنا
هو لنا ليصلون منه الاشيا وجعل فيها منافع للخلق تتصل تلك المنافع الى الخلق شين او ابين اجبن او كرهن
جعل في النهار معاشا للخلق وتقلبا فيه يتعيشون ويتقلبون وجعل الليل راحة لهم وسكنا ينتفعون بها
شاوا او ابوا وكذلك ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من انضاج الفواكه والثمرات وادراك الزروع
وبلوغها ومعرفة الحساب والسنين والشهور ومعرفة الطرق والسلوك لها وغير ذلك من المنافع ما ليس في وسع الخلق
ادراكه ينتفع الخلايق بما جعل فيها من المنافع شاءت هذه الاشيا او ابت فذلك وجه تسخيرها لنا ويحتمل
ما ذكر من تسخير هذه الاشيا لنا ما جعل في وسعنا استعمال هذه الاشيا والانتفاع بها والحيل التي بها يقدر
على استعمالها ويحتمل تسخيرها لنا ما ينتفع به شينا او ابينا بالطباع والله اعلم   مسخرات
بامره يحتمل وجهين يحتمل اي بامره تنتفع الخلايق ويحتمل بامره اي كونها في الاصل كونها كذا بان تنتفع الخلق والله
اعلم   ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وفي الاية الاولى لقوم يتفكرون جعل الله عز وجل

التفكر سبيلا للعقول الى ادراك الاشيا الغيبية بالحواس الظاهرة اذ لا سبيل للعقل الى ادراك ما غاب عنه الا بالحواس
الظاهرة والتفكر في الاشيا ما غاب عن الحواس الظاهرة لا يدركه العقل فجعل الحواس الظاهرة سببا للعقل الى ادراك
الغيب فيها ذكر عز وجل في الاية الاولى لقوم يتفكرون وذكر في الاية الثانية لقوم يعقلون وفي الاية الثالثة لقوم
يذكرون وفي الرابعة لقوم يشكرون لنعم والله اعلم كانه على مراتب لانه بالتفكر في الشي يعقل ويعلم ثم بعد العلم والعقل
ما الهم يتذكروا فالتذكر عند ذلك شكر النعم ثم قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ويتفكرون وما ذكر فيه دلالة
وحدانية الله ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته ودلالة بعث الخلايق ودلالة قدرته وسلطانه لان الليل والنهار يتيان
بالعجايب والشواهد وفيه سلطان بعومهم ويفنيانهم شاوا او ابوا فذلك يدل سلطانه وقدرته ليعلم ان له القدرة والسلطان
لا لهم فيهما ودلالة البعث لانه اذا اتى هذا وذهب الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يجي مثله بعد ان لم يبق من الاول شي
ولا اثر فالذي يقدر على ان يجعل الليل والنهار بعدما ذهب اثره وتلاشي لقادر على ان يحيي الخلق بعدما ذهب اثرهم
وكذلك الشمس والقمر والنجوم وما ذكر ما اتسق هذا كله على سنن واحد وتقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تغير وحصل
وعلى غير تقديم ولا تاخير بل جرى كلها على سنن واحد وتقدير واحد وميزان واحد من غير تفاوت ولا تفاضل على اختلاف
دل انه على تدبير واحد خرج ذلك كله على الجزاف ان مدبر ذلك كله واحد اذ لو كان تدبير عدد لخرج مختلفا متفاوتا
متعلقا تدبير واحد له عدد وانه على تدبير عدد خرج وجرى كذلك له بتفسره انه على حكمة وعلم جرى كذلك فيه دليل على
لزوم الرسالة والعبث لئلا يجعله هذا والله اعلم تاويل قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون   وما ذرا لكم
في الارض مختلفا الوانه اي مختلفا اصنافه وجواهره يخبر عن لطف تدبيره وسلطانه ونعمه التي انعم عليهم اما سلطانه
وقدرته ما خلق في الارض وانبت فيها بالما لم يرجع الى جوهر الارض وصفتها ولا الى جوهر الما وجنسه وهما كالوالدين
الما كالاب والارض كالام فلم يرجع ما خرج منهما من جنسهما ولا جوهرهما لكان في سائر الاشيا يرجع التوالد منها
الى جنس الوالدين وجوهرهما بل يرجع التوالد والنشو من الارض والما الى جنس البذر وجوهره ليعلم قدرته وسلطانه
على ان الاشيا بالاسباب وبغير الاسباب ومن شي ومن لا شي ويذكر نعمه حيث اخرج ما خلق في الارض من الاصناف له
المختلفة والجواهر المتفرقة لينتفعوا بها ويحتمل قوله مختلفا الوانه من جنس واحد من شي واحد له يكون من
جنس واحد الوان مختلفة ومن قدر على ان الوان مختلفة من شي واحد له يحيي شي   ان في ذلك
لاية لقوم يذكرون وفي اية لقوم يعقلون وفي اية لقوم يتفكرون وفي اية لكل صبار شكور وللمتوسمين وفي اية
للمومنين فيحتمل ان يكون كلها كلها من المومن كانه قال ان في ذلك لاية للمومنين اذ يجمع الايمان جميع ما ذكر من
التفكر والتذكر والعقل والاعتبار والصبر والشكر وغيرها ويحتمل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ويذكرون ويعقلون
اي لقوم همتهم التفكر والنظر في الايات ولقوم همتهم التفهم والاعتبار فيها لا لقوم همتهم العناد والمكابرة
والاعراض عن النظر في الايات والتفكر فيها وفي ذكر الاية للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين لما ينتفع الا به
يكون كقوله وان كانت الايات لهم ولغيرهم فمنفعتها لمن ذكر والله اعلم   وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا وتسخيره اياه لنا هو ما بذل لنا لنصل الى ما فيه من انواع الاموال التي خلق الله فيه من الحلي والجوهر واللولو وبذل
ما فيه من الدواب السمك وغيره فلولا تسخير الله اياه للخلايق وتعليمه اياهم الحيل التي بها يصلون الى ما فيه من الاموال
النفيسة والا ما قدروا على استخراج ما فيه والوصول اليه لشدة اهواله وافزاعه وقوله لتاكلوا منه لحما طريا يحتمل
السمك خاصة ويحتمل السمك وما فيه من الدواب من نوع ما لو كان بريا اكل من نحو الجواميس وغيرها   وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها يحتمل الحلية اللولو والمرجان الذي ذكر في اية اخرى حيث قال يخرج منهما اللولو والمرجان نفسه
يحتمل قوله حلية اي ما يتخذ منه حلية وهذا جائز ان يسمي الشي باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير في العاقبة ويحتمل حلية
لا نفس زينة ولا شك ان اللولو والمرجان مما زينة الا ترى انه ذكر في الانعام زينة وجمالا وفي الخيل والبغال كذلك
فالزينة في اللولو والمرجان اكثر والجمال فيه اظهر اذ انه جعل لنا الوصول الى ما في قعر البحر وهو ما ذكرنا من اللولو

وانواع الحلي وما في بطن البحر ومما ذكر من اللحم الطري وما هو على وجه الماء وهو السفن التي ذكر وجه تسخيره ايانا الجبال
والاسباب التي بها نصل الى ما فيه فكانه قال سخرت لكم البحر من اسفله الى اعلاه وفي ذلك دلالات احدها اباحة
التجارة بركوب الاخطار لان الغائص يخاطر بنفسه لدرهم وكذلك راكب السفن فلولا انه مباح له طلب ذلك والا ما
ذكر هذا في منته اذ هو يخرج مخرج ذكر الامتنان والله اعلم وترى الفلك مواخر فيه قال الحسن والاصم
المواخر السفن المحمولات الموقرة احمالها واثقالها يذكر منته التي من بها عليهم حيث جعل لهم السفن والفلك التي يحمل بها
الاحمال الثقال العظام في البحار ما سبيلها الثقل والانحدار في البحر فامسكها فيه وهي السفن العظام الثقيلة وقال
بعضهم مواخر اي جارية تشق الماء بالريح واصلح في البحر لانه البحر راكد فاجري السفن فيه بالرياح حيث ما اراد ولو
اذا الاشيا قد تجري في جريه الماء اذا كان له جريه واما اذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل الى ذلك فيذكر عظيم منته وقدرته
في اجراء السفن في الماء الراكد بالريح وقال بعضهم مواخر اي جواري تشق الماء شقا وتمخر فيه يقال مخرت السفينة ومنه
مخر الارض انما هو شق الماء وهو قول القتبي وكذلك قال ابو عوسجة انه من شق السفن الماء وقال ابو عوسجة المواخر
المستقبلة يقال استمخر الان الريح اذا استقبلها وقال ابو عبيد مواخر من الاستدبار وقيل اذا اراد احدكم البول
فليتمخر الريح اي يستدبرها والله اعلم ولتبتغوا من فضله يحتمل بالتجارات التي جعل فيه حيث جعل السبيل
قطع البحار الى البلاد النائية البعيدة بالسفن ليبتغوا ما به قوام ابدانهم وانفسهم اذ جعل بينهم بنية لا تقوم الا بالغذاء
والطعام لا يظفرون ما به قوام ابدانهم ومعيشتهم في بلادهم فيحتاجون الى البلاد النائية البعيدة فمنهم من يصل اليها بذلك كما
من يقطع المفاوز والبراري بالدواب بقوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس او قال ولتبتغوا
من فضله ما يستخرج منه ولعلكم تشكرون جميع ما ذكر من الوان النعم والمنافع من اول السورة الى اخرها فيتادى به
شكره وفي قوله ولتبتغوا من فضله دلالة اباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدائد حيث
اجرى تسخير البحر حتى امكنهم ركوبه بالحيل والاسباب التي علمها لهم لان الغواص يخاطر بروحه ونفسه وكذلك راكب
السفينة والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي القى في الارض الجبال لئلا تميد بكم قال بعض اهل
التاويل قوله القى في الارض رواسي لئلا تميد بكم لانها بسطت على الماء فكانت تكفؤ باهلها كما تكفؤ السفينة
في الماء فاثبتها بالجبال لتقر باهلها لكن لو كان على ما ذكروا انها بسطت على الماء لكانت لا تتكفؤ ولا تضطرب
ولكن تتسرب في الماء وترسب لان من طبعها الثقل والتسرب في الماء الا ان يقال ان الله عز وجل جعل بلطفه
طبعها طبع ما يضطرب ويتكفؤ فعند ذلك يحتمل ما ذكروا والله اعلم ولو قالوا انها بسطت على الريح لكان يحتمل ما قالوا
ويكون اشبه لقولهم الا ترى ان السراج في الابار والسروب لا يطفى بل يطفى كالسراج فيشبه ان يكون الطف
لريح تكون في الارض وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم بذلك وقال بعضهم بسطت على ظهر النون فكانت تضطرب
تتحرك فارساها بما ذكر والله اعلم ثم قوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا يخرج ذكر ذلك منه
ذكر الامتنان والنعم لانه لو ترك الارض على حالتها ولا يثبتها بالجبال لتميد باهلها وتميل بهم فلا يقدروا
على القرار عليها والانتفاع بها لكنه بفضله ومنه اثبتها بالجبال ليقروا عليها ويقدروا على الانتفاع بها وكذلك
لو لا انه جعل لهم فيها انهارا جارية ليكون معاشهم من انهارها وكذلك لو ان يحوجهم بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم
الطرق والسبل التي بها يصلون الى قضاء حوائجهم لكنه بفضله ومنه بين لهم الطرق والسبل التي تفضي الى البلدان
والامكنة التي فيها تقضى حوائجهم وكذلك بفضله جعل لهم في الارض انهارا جارية واثبت الارض بالرواسي ليقروا
عليها وذلك كله منه وفضل لعلكم تهتدون يحتمل تهتدون الطرق والسبل التي تفضيهم الى الحوائج
ويحتمل يهتدون الى الهدى المعروف بما ذكر من نعمه ومنته والله اعلم وعلامات وبالنجم هم يهتدون
هذا ايضا يخرج مخرج المنة والنعم عليهم لانهم لولا ما جعل الله اعلاما في البحار والبراري يعرفون بها السلوك
فيها والا لم يقدروا على معرفة الطرق في البحار والبراري ثم الجبال اعلام من فوق بطن الماء والجبال التي جعل فيها

وبالرياح

وبالرياح ومنهم من يكون بالنجم يعرفون السبل الى حوائجهم ومقصودهم وكذلك بالنجم يعرفون الطرق فالاعلام مختلفة بها
يهتدون الطرق والسبل ويحتمل يهتدون بما ذكر من الاعلام والنجم سبيل اهتدايهم الى توحيد الله افمن يخلق
كمن لا يخلق افلا تذكرون يحتمل هذا وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم اي لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا يبصر كمن هو خالق
الاشيا كلها ومنعم النعم عليها افلا تذكرون ان صرف العبادة والشكر الى غير خالقكم وغير منعمكم جور وظلم والثاني يخرج
تسفيه احلامهم انهم يعبدون من يعلمون انه ليس بخالق ويتركون عبادة من يعلمون انه خالق الاشيا كلها افلا تذكرون والله
اعلم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا يحتمل وجوها احدها ان تعدوا انفس نعمة الله التي انعم عليكم واعينها لا
تقدروا على عدها لكثرتها والثاني وان تعدوا وان تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم ان تقوموا الشكر ما انعم الله عليكم ومن
ما قدرتم على القيام بشكر واحدة منها فضلا ان تقوموا الكل والثالث يخرج على العتاب والتوبيخ اي كيف صرفتم العبادة
من لا يخلق ولا ينعم عن عبادة من خلق وانعم وكنتم لا تقدرون على احصا ما انعم عليكم فضلا ان تقوموا الشكر وقال
الحسن في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تعرفوا كل النعم لانه كم من النعم ما لا يعرفه الخلق كقوله نعمه ظاهرة وباطنة
فاذا لم يعلموا لم يقدروا احصاها ان الله لغفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما انكم وان افتريتم على الله
وعاندتم حججه واياته وكذبتم رسله فاذا استغفرتم وتبتم عما كان منكم يغفر لكم ذلك كله كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف والثاني لغفور اي يستر عليكم ما كان منكم ما لو اظهر ذلك لافتضحتم لكنه برحمته ستر ذلك عليكم رحيم بالستر
عليكم او ذكر لغفور رحيم على اثر ذكر النعم وانواع المنافع ليكونوا رجائين ما ذكر عما سلف لنا والله اعلم
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون هذا يخرج على وجهين احدهما ذكر هذا ليكونوا ابدا متيقظين حذرين في ان الله يعلم
ان عليه رقيبا حافظا بالفعل كان هو اتقى واحفظ له عماله ويكون احذر ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب
والثاني يعلم ما تسرون من المكر برسول الله والكيد له من القتل والاخراج وغيره كما اي يعلم ذلك كله منكم ما اسررتم
واعلنتم فهو يخرج على نحو الوعيد والتعيير والله اعلم والذين يدعون من دون الله يحتمل يدعون
الدعاء نفسه او يدعون اي يسمونها الهة وربما كانوا يدعونهم عند الحاجة ويحتمل يدعون يعبدون اي الذين يعبدون من
دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا يرجع الى الاول افمن يخلق كمن لا يخلق اموات غير احياء يحتمل
المراد بقوله اموات غير احياء الذين عبدوا الاصنام والاوثان وجميع من كفر بالله هم اموات غير احياء لان الله سمى الكافر
في غير اي من القران ميتا بقوله ان يموت قوله اموات غير احياء ايضا وما يشعرون ايان يبعثون اي يشعرون حين
يبعثون اي لو شعروا هذا في الدنيا ما شعروا في الاخرة لم يعملوا ما عملوا ويحتمل قوله اموات غير احيا التي الاصنام عبدوا
من اموات غير احيا قال بعضهم اموات لانها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر كالميت غير الاحيا اي ليس
فيها ارواح ينتفع بها كالبهائم والانعام يكون قوله وما يشعرون ايان يبعثون راجعا الى الذين عبدوا الاصنام لانها
لا تشعر ايان يبعثون وهم يعلمون انها لا تشعر ذلك لكن هم يشعرون حين يبعثون وقال بعضهم وما يشعرون ايان يبعثون
يبعث الاصنام والذين يعبدونها جميعا كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا
بينهم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وقال بعضهم يحشر اولئك الذين
عبدوا الاصنام وما يشعرون هم ايان يبعثون اي حين يبعثون وما شعروا ذلك في الدنيا ما فعلوا ما فعلوا
وان كان قوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون راجعا الى الملائكة والملوك الذين عبدوا
دون الله يكون تاويله قوله وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون وقت بعثهم وان كان راجعا الى
الاصنام فقوله وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون انهم يبعثون لا يحتمل ان يكون قوله لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون ان يقال ذلك في الاصنام لان اولئك يعلمون انهم لا يخلقون وانما يقال ذلك في الاصنام
لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع فذلك ان ذلك راجع الى الملائكة والذين عبدوهم الهكم اله واحد قد
ذكرنا فيما تقدم ما يبين ابطال ما كانوا يعبدون وما لا يليق باشراكها العبادة لها ونصبهم الهة ثم ذكر ما يبين

جعل الالوهية والربوبية انه لواحد وانه هو المستحق لذلك دون العدد الذي عبدوهم فقال انما الهكم اله واحد لا العدد الذي عبدوا وليك فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة يحتمل قوله قلوبهم منكرة اي منكرة للايمان بالاخرة والبعث بعد الموت او قلوبهم منكرة لجعل الالوهية والربوبية لواحد وصرف العبادة اليه كقولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ويحتمل قوله قلوبهم منكرة للاجابة للرسول وهم مستكبرون على اجابة من لله وهم مستكبرون يحتمل مستكبرون على رسول الله لما لم يروا اهلا للخضوع له لانهم لم يروا لهم ... او مستكبرون ان يجيبوا الى ما دعتهم الرسل لان الرسل جميعا دعوا الخلق الى وحدانية الله وجعل العبادة له لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل قوله ما يسرون من المكر برسول الله والكيد له وما يعلنون من المظاهرة عليه او يعلم ما يسرون من اعمالهم الخبيثة التي اسروها وما اعلنوها يجزيهم لا يخفى عليه شيء من اعمالهم اسروها او اعلنوها وقوله لا جرم قال اهل اللغة لا جرم كلمة يستعملها العرب في ايجاب تحقيق او نفي تحقيق كقولهم حقا ولعمري وايم الله ونحو ذلك ... وقال بعضهم لا جرم حقا وبلى ولابد وكلها في الحاصل يرجع الى واحد وهو وعيد لان قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد والله اعلم انه لا يحب المستكبرين لانه لا يحب الاستكبار ولا يليق لاحد من الخلائق ان يتكبر على غيره من الخلق لان الخلق كلهم اشكال وامثال ولا يجوز لاحد في شكل ومثل ان يتكبر على شكله ومثله لان تكبر بعضهم على بعض كذب وزور اذ جعل كلهم امثالا واشكالا لذلك كان زورا وكذبا وقد حرم الزور والكذب وجعلا قبيحا في العقول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين اي قال الاتباع للرؤساء ماذا انزل ربكم قال الرؤساء انه اساطير الاولين يخرج على الاضمار كانهم قالوا لهم ماذا يقول انه انزل ربكم عليه فقالوا عند ذلك اساطير الاولين والا لا يحتمل ان يكون قولهم اساطير الاولين جواب سؤالهم ماذا انزل ربكم مقرا لانهم كانوا يقرون ان الله نزلهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلا يحتمل ان يكونوا اذا سئلوا ماذا انزل ربكم فيقولون اساطير الاولين الا ان يكون في السؤال زيادة قول او في الجواب اضمار فيكون والله اعلم كانه قال واذا قيل لهم ماذا يزعم هذا انه انزل عليه ربكم قالوا عند ذلك انه يقول اساطير الاولين كقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي قالوا يا ايها الذي يزعم انه نزل عليه الذكر او يكون نحو واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم فقالوا لم ينزل شيئا ان ما يقول اساطير الاولين ومثل هذا يحتمل ان يكون وقوله اساطير الاولين قال ابو عوسجة احاديث الاولين والواحد اسطورة وهي الاحاديث المختلفة كقوله ان هذا الا اختلاق اي لا اصل له واصله الكذب وهكذا عادة اولئك الكفرة يقولون للانباء اساطير الاولين وكانوا يسمون ما يقرا عليهم الى السحر ولو كانت في الحقيقة سحرا واحاديث الاولين كان دليلا له او في لو ذكر على الاستهزاء وذلك جائز ان يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء والله اعلم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم هذا يحتمل وجهين احدهما انه يحتمل انهم يحملون اوزارهم كاملة يعني الذين قالوا اساطير الاولين ومن اوزار الذين يقلدون رؤساءهم وهم الذين يشرعون السؤال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحملوا اوزار انفسهم واوزار الرسل واوزار الذين يقلدون الرسل ويقتدون بهم بغير علم لانهم لما ... يعلموا ان اولئك يقتدون بالرسل فيضلون وهم وان لم يعلموا فذلك عليهم لانهم هم الذين سنوا ذلك وهو كما روي من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ويحتمل ليحملوا اوزارهم ومن اوزار الذين ظنوا انه الاسلام اذا اسلموا اسقط تلك الاوزار عنهم وقوله ليحملوا اوزارهم معلوم انهم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا اوزارهم ولكن معناه والله اعلم اي ليصيروا حاملين اوزارهم والذين اضلوهم وقوله بغير علم يحتمل بغير علم اي بغير الا ساء ما يزرون اي ساء ما يحملون وقوله بغير علم اي لم يعلموا ان تصير اوزارهم عليهم او لم يعلموا ما يلحق بهم قد مكر الذين من قبلهم لم يزل كانت عادة الكفرة بالمكر برسل الله والكيد لهم وكذلك مكر كفار مكة برسول الله يذكر هذا والله اعلم لرسوله ليصبر على اذاهم اياه كما صبر اولئك على مكر قومهم وترك مكافاتهم اياهم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم مكرهم الذي ذكر كان يخرج على وجهين احدهما ما جاءت به الرسل كانوا يكلفون تلبيس

ما جاءت به الرسل على قومهم والثاني يرجع مكرهم الى انفس الرسل من الهم بقتلهم واخراجهم من بين اظهرهم ونحو ذلك اهل مكة بمحمد ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك فيبين ان ينزل بهم كما نزل باولئك الذين مكروا برسلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد قال الحسن هذا على التمثيل بالبناء الذي بني على غير اساس فهدم ولا يعلم من اي سبب انهدم فيبطل المكر بهم ويتلاشى كالبناء الذي بني على غير اساس ويشبه ان يكون على التمثيل من غير هذا الوجه وهو انهم قد مكروا واحكموا مكرهم بهم فيتحصنون بذلك كالبناء الذي يتحصن به فابطل الله مكرهم كقوله ومكروا ومكرنا مكرا الاية وقوله ومكروا ومكر الله الاية فخر عليهم السقف من فوقهم هو ما ذكرنا من ابطال مكرهم الذي به كانوا يتحصنون كوقوع السقف الذي به يتحصن من نواحي الذي والشرور ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من الخسف وتقليب البنيان وامطار الحجارة عليها واما ما ذكر بعض اهل التاويل من الصرح الذي بني نمرود وبيانه ووقوعه عليهم فانا لا نعلم ذلك واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون كذلك كان ياتي العذاب الظلمة الكذبة من حيث لا علم لهم بذلك كقوله فاخذناهم بغتة الاية وقوله فاتى الله بنيانهم معناه الاتيان ومعلوم انه لا يفهم من اتيانه الانتقال من مكان الى مكان ولكن اتيان عذابه اضيف اليه الاتيان لما بامره ياتيهم ومنه فيما ذكر لا يفهم من قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله في ظلل الاية اتيان الانتقال والمجيء من مكان الى مكان وقد ذكرنا هذا واشباهه في غير موضع ثم يوم القيمة يخزيهم اخزاءه يخزيهم يوم القيمة بعدما عذبهم في الدنيا بقوله واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وقوله يخزيهم قال اهل التاويل يعذبهم وكان الاخزاء هو الاذلال والاهانة والفضيحة يذلهم ويهينهم ويفضحهم في الاخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبر على النبي واصحابه ولذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا اي لا يذلهم ولا يهينهم لتواضعهم للمؤمنين وخفض جناحه لهم والله اعلم ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون اوليائي فيهم او تعادونني فيهم وقوله اين شركاءي ليس له شركاء ولكن اضاف الى نفسه شركاء على زعمهم في الدنيا انها شركاء وكذلك قوله فراغ الى الهتهم اي الى ما في زعمهم وتسميتهم اياها الهة وقوله كنتم تشاقون فيهم اي كنتم تخالفون فيهم وتعادون اي تخالفون المؤمنين في عبادتهم اياها لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وكانوا يخالفون المؤمنين وكانوا يشاقون في ذلك الا انه اضاف ذلك الى نفسه لانهم اولياؤه وانصار دين الله واضاف اليه المخالفة والمشاقة لانهم خالفوا امر الله قال الذين اوتوا العلم قال اهل التاويل الذين اوتوا العلم الملائكة الكرام الكاتبون لكن هم وغيرهم من المؤمنين يحتمل ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين اي الذل والهوان والافتضاح وكل سوء على الكافرين هكذا يقابل كل معاند ومكابر في حجج الله وبراهينه مكان استكبارهم وتجبرهم في الدنيا والله اعلم الذين تتوفاهم الملائكة قال الحسن تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب الى النار وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة وقت قبض ارواحهم ظالمي انفسهم بالشرك والكفر بالله وعلى تاويل الحسن يكون قوله ظالمي انفسهم في الدنيا ويحتمل ان يوصفوا بالظلم في الاخرة ايضا بكذبهم في الاخرة قولهم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانا لمن الكذب حيث ينكرون الاشراك في الوهية الله وعبادته كان هذا الانكار والكذب منهم في اول قالهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم فلما لم ينفعهم انكارهم طلبوا الرد الى الدنيا او المحال الاخر ليعملوا غير الذي عملوا كقولهم ربنا ارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فلما لم يردوا وايسوا عن ذلك فعند ذلك نطق لسانهم جوارحهم حتى تشهد عليهم بما كان منهم فعند ذلك يقرون ويعترفون بذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم فالقوا السلم قال بعضهم يسلمون ويستسلمون له مرة ولكن لو كان ما ذكر والمرتجى نواب كرون عمل السوء كقولهم ما كنا نعمل من سوء وقال بعضهم فالقوا السلم هو الاستسلام والخضوع والتضرع ويشبه ان يكون قوله فالقوا السلم عند الموت يؤمنون عند معاينة ذلك فسلموا عليهم في الاخرة على ما روي في الخبر المؤمنين يسلم بعضهم على بعض وقوله ما كنا نعمل من سوء في الاخرة والله اعلم بذلك فكذبهم الله في قولهم ما كنا نعمل من سوء فقال بلى

صح

ان الله عليم بما كنتم تعملون سيئا وعيد جزاء لا يجوز كذبهم في الآخرة ولا يحتمل كما جاء في الدنيا ولم يظهر
فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها وقوله فلبئس مثوى المتكبرين اي بئس مقام المتكبرين الذين تكبروا على دين الله
واستكبروا على اجابة الرسل من الله تعالى   وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
قال اهل التأويل هذا قول المؤمنين مقابل قول المشركين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ثم
اختلف في قوله قالوا خيرا قال بعضهم قوله قالوا خيرا اي قولهم الذي قالوا انه ارسل بحق وانه كان خيرا وقال
بعضهم قوله قالوا خيرا حكاية عما انزل على رسول الله وخيرا اي انزل عليه ربنا خيرا وان يكون ان سأل الذين يأتون
من الآفاق فيلقون من رسول الله فاذا سألوا المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا واذا سألوا الكفرة قالوا اساطير
الاولين وجائز ان يكون اتباع المؤمنين سألوا كبراءهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا مقابل ما كان من كبراء الكفرة لاتباعهم
اساطير الاولين   للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة من النصر لهم والظفر على عدوهم ولدار الآخرة خير لهم
مما كان لهم من الغنائم في الدنيا وقال بعضهم للذين احسنوا العمل في هذه الدنيا لهم حسنة في الآخرة ولدار الآخرة جزاء اي
الجنة خير وافضل مما يتمنوا او تمتعوا في الدنيا ولنعم دار المتقين قال هذا للمؤمنين مكان ما قال للكافرين فلبئس
مثوى المتكبرين ثم نعت الدار التي وعد المتقين فقال جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما
يشاؤون من اللذات والشهوات فان قيل اراد ليس لهم ان يكون لهم درجات الانبياء ومنازل الابرار والصديقين
ايكون لهم ما [illegible] قيل لا يشاؤون هذا لان مثل هذا انما يكون في الدنيا اما حسدا واما تمنيا فلا يكون في الجنة حسد
لان الحسد انما يكون لاحد نسبا ليس له نجد او يتمنى مثله فاهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون ويخطر ببالهم فلا
معنى لسؤالهم وبهم ما لغيرهم والله اعلم   كذلك يجزي الله المتقين   الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين قال بعضهم [illegible] الحسن تتوفاهم الملائكة وهم طيبون بين يدي الله يوم الحساب يقولون لهم سلام عليكم ادخلوا
الجنة وقد ذكرنا ان السلام هو تحية جعل الله بين الخلق في الدنيا والآخرة وقد ذكرنا في غير موضع وقال بعضهم
الذين تتوفاهم الملائكة يقبضهم للارواح في الدنيا يقبضون ارواحهم وهم طيبون قال بعضهم طيبين احياء واموات
وهم المؤمنون الذين طابت اعمالهم في الدنيا يحتمل السلام وجهين احدهما يحييهم الملائكة بالسلام في الجنة كما يحيي
اهل الايمان في الدنيا بعضهم بعضا والثاني السلام يكون لهم امن عن جميع الآفات والمكروهات والله [illegible] اعلم
هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك هذا الحرف يخرج على الاياس لهم من ايمانهم اي ما
ينظرون لايمانهم الا وقت قبض ارواحهم او وقت نزول العذاب عليهم اي لا يؤمنون الا في هذين الوقتين لا ينفعهم
ايمانهم في هذين الوقتين لان ايمانهم ايمان اضطرار كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا
به مشركين [illegible] الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته يؤمنون عند معاينتهم بأس الله لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يخبر
انهم ينتظرون ذلك الوقت يؤيس رسوله عن ايمانهم لعلمه انهم لا يؤمنون ليرفع عنه مؤنة الدعاء الى الايمان والقتال
معهم وقوله او يأتي امر ربك يحتمل العذاب في الدنيا ويحتمل عند معاينتهم العذاب في الآخرة   كذلك فعل الذين
من قبلهم هذا يحتمل وجهين احدهما كذلك فعل المعاندون والمكابرون الذين كانوا من قبل برسلهم من التكذيب
لهم والعناد وتركهم الايمان الى الوقت الذي ذكر كما فعل قومك من التكذيب لك في الجحود والعناد والجهل كذلك فعل
الذين من قبلهم اي هكذا انزل العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم والله اعلم
وما ظلمهم الله بما عذبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث وضعوا انفسهم في غير موضعها الذي وضعها الله وحيث
صرفوها عن عبادة من انعمها وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة بل
انهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن الحكمة الى غير الحكمة لان الله اذا اسا وضعها حيث توجب الحكمة ذلك والظلم
هو وضع الشيء في غير موضعه والحكمة هي وضع الشيء في موضعه فهم وضعوا انفسهم في غير موضعها فاما الله سبحانه
فقد وضعها في المواضع التي توجب الحكمة وضعها وقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كله

كان ما ينتظرون للايمان بعد الحجج السمعية وبعد الحجج العقليات والحجج الحسية الا نزول الملائكة بالعذاب من الله عليهم
لان رسول الله قد اقام عليهم الحجج السمعية والعقليات والحسيات فلم يؤمنوا به ولم يصدقوه يقول انهم ما ينتظرون الا
الحجج التي تقهرهم وتضطرهم فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول العذاب بهم او يقول ما ينتظرون بايمانهم الا
الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم وهو الوقت الذي يخرج انفسهم من ايديهم فاخبر ان ايمانهم لا ينفعهم في ذلك وهو كما قال
فلم يك ينفعهم ايمانهم الآية   وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا
حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم وقال في سورة الانعام كذلك كذب الذين من قبلهم [illegible] قل
هل عندكم من علم فتخرجوه لنا [illegible] فهل على الرسل الا البلاغ المبين هل هو حرف استفهام في الظاهر
لكن المراد منه ما على الرسول الا البلاغ المبين وكذلك قوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اي ما ينظرون الا ان
تأتيهم كذا وكذلك قوله ام للانسان ما تمنى ام هو حرف شك ومعناه ما للانسان ما تمنى وامثاله لما سبق من الله ما بين
لهم ان ليس للانسان ما تمنى وقد ذكرنا [illegible] وقال الذين اشركوا في سورة الانعام ويحتمل قولهم هذا وجوها
احدها قالوا ذلك على الاستهزاء كقوله ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا والثاني في قولهم لو شاء الله اي لو
امر الله ان نعبد ولا نعبد غيره لفعلنا كقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها
الآية والثالث قالوا لو لم يرض الله منا ذلك ما تركنا نفعل ذلك ولكن امسكنا   ولقد بعثنا في كل امة
رسولا يخبر رسوله انك لست باول مبعوث الى امتك ولكن قد بعث الى كل امة رسول وهو كقوله وان من امة الا خلا
فيها نذير يصبره على ما يصيبه منهم من المكروه والاذى اي لست انت باول من يصيبه ذلك بل كان ذلك فيمن كان من اخوانك
اصابهم من امتهم ما يصيبك من امتك وقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله هو على الاضمار كانه قال
ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا الله اي ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت على ذلك كان
بعث الرسل جميعا الى قومهم بالدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والنهي عن عبادة الاوثان وهو كقوله يا
قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ويكون قوله اجتنبوا الطاغوت كقوله ما لكم من اله غيره واحد الطاغوت قال
بعضهم كل من عبد من دون الله فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت هو الشيطان اضيف العبادة اليه بقوله لا
تعبدوا الشيطان لان من يعبده انما يعبد بامره فاضيف لذلك اليه وقد ذكرنا هذا ايضا فيما تقدم   فمنهم
من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا يدل انه لم يرد بالهدى البيان على ما قاله بعض الناس اذ قد سبق منه
البيان لكل احد وقد ذكرنا ايضا ومنهم من حقت عليه الضلالة وهذا يرد على المعتزلة قولهم حيث قالوا الهدى البيان
من الله لكن الهدى منه في هذا الموضع ليس هو البيان هو ما يكرم الله به عبده ويوفقه لدينه وقوله فمنهم من هدى الله
لاختيار الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اي لزمت لزومه الضلالة واختياره اياها   فسيروا في
الارض الآية قال الحسن قوله فسيروا ليس على الامر ولكن كانه قال لو سرتم في الارض لرأيتم كيف كان عاقبة المكذبين
بالتكذيب وقال بعضهم سيروا كانه على الحجاج عليهم انه سيروا في الارض فانكم ترون آثار من قبلكم الذين اهلكوا
بالتكذيب كان النبي يخبرهم من انباء الامم الخالية وما نزل بهم فينكرون ذلك فقال عند ذلك سيروا في الارض
فانظروا الى آثار من كان قبلكم ويشبه ان يكون ليس على السير نفسه ولكن على التأمل والنظر في آثارهم ليعلموا
انهم نزل بهم ما نزل والله اعلم   ان تحرص على هداهم قال ابو بكر الاصم قوله ان تحرص على هداهم كانه
يحرص على هدى قرابته كقوله انك لا تهدي من احببت فقال فان الله لا يهدي من يضل اي لا يهديهم لضلالهم
وقت ضلالهم او لا يهدي وقت اختيارهم الضلال او لا يهدي من علم انه يختار الضلال او يهلك على الضلال
او لا يهدي من يهلك على الضلال وفيه لغات ثلاث قال فان الله لا يهدي من يضل اي لا يهدي من اضل نفسه اي
اذا اضله الله فليس احد يهديه ولا يهدي من يضل ما ذكرنا ولا يهدي من يضل اي لا يهتدي من اضله الله والله اعلم
بذلك ولا يهدي في الآخرة طريق الجنة من اضله الله في الدنيا لاختياره الضلال وهو كقوله والله لا يهدي القوم الكافرين

والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختيارهم الكفر والظلم او لا يهدي من علم منه ان يختار الضلال والظلم او لا
يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه وما لهم من ناصرين ظاهر تأويله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت فان قيل لنا ما الحكمة والفائدة في ذكر قسمهم الذي اقسموا في القران وجهد ذلك اية شيء وذلك
القسم الذي اقسموا كان بحضرة النبي واصحابه وهم علموا ذلك ليس كالانبا والقصص التي كانت من قبل اذ كان
ذلك شيء غاب عنهم ليشهدوا فاشهدهم على كان في ذلك اثبات رسالته ونبوته فالحكمة والفائدة من ذكر ما في
القران وجهد ايمانهم ليبين انه انما عرف ذلك بالله تعالى واما القسم الذي اقسموا اليس فيه ما ذكرنا من اثبات
الرسالة وهم قد علموا ذلك فالفائدة في ذكره فيشبه ان يكون ذكره لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفههم ونكثهم
وقلة عقلهم وحلم الرسل واصحابه على ما احتمل منهم من الاذى والمكروه لنعلم نحن ان كيف نعامل السفهاء واهل الفساد
والعصاة من الناس على ما عامل رسل الله اقرانهم مع عظيم سفههم وقلة عقلهم فلذلك ذكر قسمهم في القران قد
تكلف اوليا الكفرة الكبرانهم في تلبيس الحجج والايات التي اتت بها الرسل مرة بالقسم الذي ذكر حيث اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لا يبعثون ومرة بالنسبة الى السحر ومرة بانه افترى ومرة بالنسبة الى الجنون وفي الاخر
انما يعلمه بشر ما يريدون بذلك التلبيس على الاتباع ثم البعث واجب بالعقل والحكمة واخبار الرسل اذ
ليس خبر اصدق من اخبار الرسل وانبائهم وهم ممن يقبلون الاخبار فاخبار الرسل اولى بالقبول والتصديق
من غيرهم لان معهم ايات صدقهم ودلالات تحقيقهم واما العقل فهو ان كون هذا العالم وانشاه للفنا خاصة
خارج عن الحكمة اذ كل عمل لا يكون له عاقبة فهو عبث وهو كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية اخبر
انه اذا لم يكن رجوع اليه يكون خلقه اياهم عبثا واما الحكمة فهي ان الانتقام لاوليائه من الظلمة واجب
لظلمهم والاحسان لاهل الاحسان فلو لم يكن بعث واحيى بعد الموت لينتقم من الظالم لظلمه ويجزي المحسن
لاحسانه تذهب فائدة الترغيب على الطاعة والاحسان ووعيد الظالم بالانتقام فالبعث واجب للوجوه
التي ذكرنا والتفريق بين الاولياء والاعداء وقد جمع في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما وقوله جهد ايمانهم
ذكر ان مشركي العرب كانوا لا يقسمون بالله الا ما يعظم من الامر ويشتد عليهم تعظيما له واجلالا انما كانوا يقسمون
بالاصنام والاوثان التي عبدوها فاذا حلفوا بالله فذلك جهد ايمانهم بلى وعدا عليه حقا قوله
بلى رد على قولهم لا يبعث الله من يموت بلى يبعث وقوله وعدا عليه حقا يحتمل وعدا اي وعدانه ببعثهم حق عليه ان
ينجز ما وعد او حقا عليه ان يبعث وان ينجز له والله اعلم ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا يحتمل
وجهين احدهما انه نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم فهو كما نفى عنهم السمع والبصر وغيرهما من الحواس لما لم ينتفعوا
بها انتفاع ما لذلك كان خلقها فنفى ذلك عنهم والثاني نفى عنهم ذلك على حقيقة النفي لانهم لم ينظروا ولم يتاملوا
في الايات والاسباب التي بها جعل لهم الوصول الى العلم فلم يعلموا ثم لم يعذرهم بجهلهم ذلك لما جعل لهم
سبيل الوصول الى علم ذلك بالنظر والتامل في الايات والحجج لكنهم شغلوا انفسهم في غيرها ولم ينظروا في الايات
التي جعلها لهم سبيل الوصول اليه فهذا يدل ان من جهل امر الله ونهيه يكن مواخذا به بعد ان جعل له سبيل الوصول
اليه بالدلايل والاشارات فلا يخرج مواخذته اياه وعقوبته بترك ما امر عن الحكمة واما في ان سعد من امر عبده
شيا ولم يعلم ما امر ثم عاقبه بتركه فهو خارج عن الحكمة اذ لا سبيل الى الوصول الى امره الا بالتصريح ولم يكن منه
تصريح اعلام لذلك كان ما ذكر والله اعلم اوعد لهم الوعيد الشديد في اخره بقوله ليبين لهم الذي يختلفون
فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل قوله وليعلم الذين كفروا اي ليعلم اتباعهم ان الروسا كانوا
كاذبين والا كان الروسا انهم كانوا كاذبين على انفسهم او ان يكون عالمين بذلك لما ادعوا ذلك الكفر ان الاخرة
لهم كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فقال جوابا له ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين لادعائهم
الاخرة لنفسهم ثم قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال بعضهم انما اختلفوا في البعث منهم من صدقه ومنهم

من

من كذبه بقوله ليبين لهم ذلك ويحتمل قوله الذي يختلفون فيه اي في الدين والمذهب لانهم اختلفوا في الدين والمذهب
وكل من ادعى دينا ومذهبا صحيحا ودعا غيره الى دينه ومذهبه يتبين لهم المحق منهم من غيره والصادق منهم من الكاذب
وقوله وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل كفرهم بالبعث وانكارهم اياه او كفروا برسول الله او وحدانية الله
انهم كانوا كاذبين في انكارهم وكفرهم ويتبين لهم ذلك في الاخرة انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون يخبر عن سرعة نفاذ امره وسهولة الامر عليه انه يكون اسرع من لحظ بصر ولمحة عين وفيه دلالة ان خلق الشيء ليس
هو ذلك الشيء لانه عبر بكن عن تكوينه ويكون عن المكون وكذا كنى عنه بالشيء لتعلقه انما قولنا لشيء وكنى عنه بوقوع
القول عليه والتكوين ثبت ان التكوين غير المكون ثم لا يخلو اما ان يكون التكوين بتكوين اخر الى ما لا نهاية له
او لا بتكوين وقد بينا فسادهما جميعا ومحاوجها الكرب ثبت ان الله موصوف في الازل وبالله التوفيق والثاني
من فعل كسبا يسمى كاسبا ومن فعل باسم يسمى به فلو كان فعل الله كله الخلق يسمى به فيسمى ميتا متحركا ساكنا خبيثا
طيبا صغيرا كبيرا وذلك لا اذ كان يتعالى عن ذلك وقد سمي فاعلا مميتا محييا محركا مسكنا جامعا مفرقا ثبت ان
فعله غير مفعوله وانه بذاته يفعل الاشيا لا بغيره وفي ذلك لزوم الوصف له في الازل والله الموفق والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا كان ظلمهم اياهم على وجوه منهم من ظلم بالاخراج من الديار والطرد من البلد كقوله انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم الاية ومنهم من ظلم بالمنع عن الهجرة ومنهم من ظلم بالمنع
عن اظهار الاسلام والعمل له وانواع ما اوذوا وظلموا باظهارهم الاسلام واجابتهم رسول الله واتباعهم اياه
ثم وعدهم في الدنيا حسنة لنبوئنهم قيل لنعطينهم وقيل لنرزقنهم ووعدوا حسنة في الدنيا حسنة يحتمل الحسنة
في الدنيا العز بعد الذل والسعة بعد الضيق والنصر والغلبة لهم بعدما كانوا مقهورين مغلوبين في ايدي
الاعداء والذكر والشرف بعد الهوان من الحسنة التي بواهم في الدنيا والمهاجرة المقاطعة كانه قال والذين قاطعوا
ارحامهم واقاربهم واموالهم ومكاسبهم ودورهم فابدل الله لهم مكان الارحام والاقارب اخلاء واخوانا ومكان
اموالهم اموال الاخرى وكذلك الدور وكل شيء تركوا اسناه فابدلهم مكان ذلك كله واما قوله ولاجر الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون فيشبه ان يكون ذكر هذا عن حسد كان من الكفرة للمهاجرين لما اثر لهم في المدينة وبواهم فيها واعزهم
ومنع ذكرهم وامرهم ونصرهم حسدهم اهل الكفر بذلك فقصد ذلك فقال ولاجر الاخرة لهم اكبر واعظم في الاخرة
لو كانوا يعلمون ما وعدهم في الاخرة ويحتمل ايضا قوله ولاجر الاخرة اكبر لو كان يعلم هولا المهاجرون فيحتمل
لهم احتمال ما اوذوا وظلموا ايبون والله اعلم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون اي لا يتكلون الا على
ربهم يثقون في انجاز ما وعد لهم في الاخرة انه ينجز ذلك ويحتمل قوله صبروا على امر الله وصبروا على الهجرة انقطاع
ما ذهب منهم وفراق ما كان لهم وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا والله اعلم يكون على اثر
امر كان من الكفرة نحو ما قال اهل مكة ابعث الله بشرا رسولا وقولوا لولا انزل علينا الملائكة ونحوه
من كلام منهم فقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم اي الا بشرا اي لم نرسل من غير البشر فيكون قوله
الا رجالا كناية عن البشر او ان يكون قوله الا رجالا يوحى اليهم اي لم يبعث من النسا رسولا انما بعث الرسل من
الرجال الى الرجال والنسا والله اعلم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال بعضهم ليس على الامر
بالسؤال ولكن لو سالتم اهل الذكر لاخبروكم انه لم يبعث الرسول من قبل الا من البشر وقال بعضهم هو على الامر
بالسؤال اي سلوا اهل الذكر فتقلدوهم اي ان كان لا بد لكم من التقليد فاسألوا اهل الذكر فقلدوهم ولا تقلدوا
اباكم ومن لا يعرف الكتاب ولكن قلدوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر قال بعضهم
فاسألوا اهل الذكر فقلدوهم ان كنتم لا تعلمون بالبينات والحجج لانهم كانوا اهل تقليد لم يكونوا اهل نظر
وتفكر في الحجج والبينات ويحتمل ان يكون قوله ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر والزبر التي اتت بها الرسل
فيكون تأويله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر التي اتت بها الرسل ليخبروكم ان الرسل انما

بعثوا من البشر بالبينات والكتب فيكون على التقديم الذي ذكرنا لبعض اهل التأويل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم بالبينات والزبر ويحتمل قوله فسئلوا اهل الذكر اي اهل الشرف من اهل الكتاب ليبينوا لكم البينات
والزبر لانهم يأنفون الكتمان والكذب وان كان اهل الذكر جميع اهل الكتاب فاسئلوا عن الرسل انهم كانوا من
البشر والرجال لانهم يعلمون ذلك   وانزلنا اليك الذكر قيل انزلنا اليك القران لتبين للناس ما نزل اليهم
يحتمل قوله لتبين للناس من انباء الغيب وما غاب عنهم وما لهم وعليهم وما لبعضهم على بعض او لتبين لهم جميع ما يأتون وما
يتقون وما يحل وما يحرم ولعلهم يتفكرون في ذلك ويحتمل قوله وانزلنا اليك الذكر لتبين لهم ما حرفوا من كتبهم
وبدلوه وغيروه فيكون فيه اية لرسالتك او يكون الذكر الذي انزل اليه كالمنزل اليهم حيث ذكر انه يبين لهم ما انزل
اليه والله اعلم   افامن الذين مكروا السيئات قوله افامن قد ذكرنا انه حرف استفهام الا انه من الله عز يحتمل
ذلك وهو على الايجاب ذلك ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الخبر انهم قد امنوا مكره والثاني على النهي اي لا تأمنوا
كقوله افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون هذا اشبه ان يكون على هذا الذي ذكرنا انه اخبار
عن امنهم مكر الله وعلى النهي ان لا تأمنوا ثم اخبر انه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الكافرون لانهم كذبوا
الرسل فيما اوعدوا لهم من العذاب فامنوا لذلك او لما لم يعرفوا الله ولم يعرفوا حقوقه ونعمته ونقمته فامنوا لذلك
واما من عرف الله وعرف حقه ونعمته وعرف نقمته فانه لا يامن مكره والله اعلم ثم قوله مكروا السيئات قال بعضهم
مكرهم السيئات هو ما مكروا برسول الله واصحابه ما لو اصابهم ذلك لساءهم وما ظاهروا عليهم عدوهم وقال بعضهم مكرهم
السيئات هو اعمالهم التي عملوها وكل ذلك قد كان منهم كانوا مكروا برسول الله واصحابه وكانوا ظاهروا عليهم عدوهم
وقد عملوا اعمالهم الخبيثة السيئة   ان يخسف الله بهم الارض اي امنوا حين مكروا السيئات ان يخسف الله
بهم الارض او يأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون في الحال التي لا يكون لهم امن ولا خوف   او يأخذهم
في تقلبهم قيل في اسفارهم وفي تجاراتهم لان الناس انما يسافرون ويتجرون في البلدان في حال امنهم او يأخذهم
على تخوف قال بعضهم على تقريع وقال بعضهم على تنقص من الاموال وغيره كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
الاية وقال بعضهم او يأخذهم على تخوف ان يأخذ قرية فقرية وبلدا فبلدا حتى يأتي قريبا منهم ثم يأخذهم
كلما اخذ قرية كان لهم من ذلك خوف فذلك اخذ بتخوف وهو كما قال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل
قريبا من دارهم الاية وعد الله بحلوله قريبا من دارهم كان يخوفهم حتى نزل بساحتهم فذلك اخذ بالتخويف يخبر
ان عذابه لا يؤمن طوله واخذه في كل حال في الحال التي ليس لهم امن ولا خوف اي لم يغلب هذا على هذا وفي
الحال التي يكونون اشتغلوا في تقلبهم وحوائجهم وفي الحال التي يكونون متخوفين   فان ربكم لرءوف رحيم اي
حيث لم يستأصلكم ولم يأخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله والتكذيب لرسله والمكابرة والمعاندة لا يأخذكم
[illegible] ولكن امهلكم واخر ذلك عنكم او رءوف رحيم اذا تبتم ورجعتم عما كان منكم يرحمكم ويغفر لكم ذلك   اولم يروا
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قوله اولم يحتمل وجهين احدهما ان تلك
ذلك لقوم قد تقرر عندهم وثبت ان كل شيء يسجد له ويخضع له تعالى وذلك ظاهر في العتاب الحكم قد علمتم ان كل شيء لم
اركب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والسمع يخضع له ويسبح له فانتم لا تخضعون له مع ما ركب فيكم العقل وجعل
فيكم الافهام ونحوهما والثاني على الامر اي اعلموا ان كل شيء من خلق الله يسجد له ويخضع وقد قام عليهم من الحجج
على ذلك ما لو تأملوا وتفكروا لعلموا ان كل ذلك يخضع ويسبح والاظهر قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ
ظلاله ان يقولوا انه ان كان الخطاب لاهل مكة على ما ذكر اهل التأويل لكن يخرج على هذين الوجهين اللذين
ذكرتهما ويشبه ان يكون ذكر قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء لما استوحش اهل الاسلام مما عبد اولئك
الكفرة الاصنام وعظيم ما قالوا في الله ما قالوا فقال لذلك اولم يروا الى كذا وقوله يتفيؤ ظلاله قال
بعضهم يريد بالظلال الشخص لكل شيء والظلال كناية عن الشخص كما يقال رايت ظل فلان اي شخصه وقال

بعضهم اراد الظل الظل نفسه اي خضوعه وسجوده يكون للشمس والقمر وعلى تأويل من يجعل الظل كناية عن الشخص
يجعل كل نفس تتفيؤ خضوعها وسجودها ثم يعني سجود من الاشياء الموات وخضوعهن من نحو قوله يتفيؤ ظلاله عن
اليمين والشمائل سجدا لله ومن نحو قوله يسبحن بالعشي والاشراق وقوله يا جبال اوبي معه والطير وقوله وان
من شيء الا يسبح بحمده وقوله تكاد السموات يتفطرن منه واشباه ذلك يحتمل وجوها احدها ان يجعل الله عز وجل بلطفه في
سرية هذه الاشياء معنى تعلم السجود له والخضوع له وهو كما ذكر في الريح التي تجري بامره رخاء حيث اصاب اخبر انها
تجري بامره ولانها تعلم امر الله وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم
شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اخبر انها تشهد وتنطق ولولا انها تفهم وتعقل الخطاب والا ما خوطبت
وان كانت مواتا فعلى ذلك تسبيحها وخضوعها جائز ان يكون الله جعل في سرية هذه الاشياء ما تعرف السجود والتسبيح
وتفهم والثاني يكون سجود هذه الاشياء وتسبيحها بالتسخير جعلها مسخرات لذلك وان لم تعلم هي ذلك ولم تعرف
لكن جعلها بخلقته كذلك والثالث انه جعل خلقة هذه الاشياء دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته فهي مسبحات
وساجدات وخاضعات له بالخلقة التي جعلها دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته هذا والله اعلم يعني بسجوده
وخضوعه والله اعلم   وهم داخرون قيل صاغرون ذليلون   ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يذكر هذا والله اعلم انه يسجد له اعلى الخلائق واعلمهم وهم الملائكة
ويسجد له اشد الخلق واصلبه وهو الجبال والسموات والارض ويسجد له ايضا ويخضع اسفه الخلق واجهله وهو
الدواب وغيرها وانتم ابيتم له السجود والخضوع واستكبرتم عن عبادته فقوله الذين ذكرهم يسجدون يخرج مخرج [illegible]
في ابائهم السجود له والخضوع واستكبارهم عليه   يخافون ربهم من فوقهم قال بعضهم خوف الملائكة
والرسل خوف هيبة الله وجلاله لا خوف نزول شيء من نقمته عليهم وخوف غيرهم من البشر خوف نزول شيء يخزيهم ويذكر
رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يصل اليهم ورجاء الملائكة والرسل وطمعهم رجاء رضا الله عنهم لا رجاء نفع يصل اليهم وقال بعضهم
يخافون خوف العقوبة والانتقام لانهم ممتحنون وكل ممتحن يخاف عذاب الله ونقمته الا ترى انه كيف اوعدهم
الوعيد الشديد وقال ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال ابرهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام خاف
عبادة غير الله ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه والله اعلم وقوله يخافون ربهم من فوقهم الفوق والتحت والاسفل
وغيره في الامكنة والمجلس ليس فيه فضل عز وشرف ومرتبة لما يجوز ان يكون الذي كان فوق هذا في المكان
والمجلس تحته واسفل منه فلا يزداد لهذا بما صار فوقه عزا وشرفا ومرتبة ولا لهذا بما كان تحته ذلا وهوانا دل
هذا انه لا يفهم من فوقه فوق المكان والتحت لانه من صعد الجبال والحيطان لم [illegible] لا يوصف بالعلو والعظمة
واذا قيل فلان امير على العراق وعلى خراسان كان في ذلك تعظيم له وذكر بالقدرة والسلطان ونفاذ امره
ومشيئته وقدرته وسلطانه فيهم او اطلاعه على جميع ما يسرون ويعلنون ويضمرون ويظهرون وعلمه على جميع
افعالهم على هذا يجوز ان يتأول الفوق والله اعلم   ويفعلون ما يؤمرون وصفهم عز وجل بتفضيل
طاعتهم له وخضوعهم اياه وهو ما قال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو ما قال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومثل قوله   وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما
هو اله واحد لا يفهم الخطاب بهذا انه لمن كان الخطاب بهذا لاهل مكة فانهم اتخذوا الهة بقولهم اجعل الالهة
الها واحدا الا ان يخاطب به الثنوية والزنادقة فانهم يقولون باثنين ويشبه ان يكون اهل مكة وان اتخذوا
الهة فانهم في الحقيقة عبدوا اثنين لانهم انما كانوا يعبدون تلك الاصنام بامر الشيطان وطاعتهم اياه فنسب
العبادة اليه لما بامره يعبدون هذه الاصنام والله اعلم الا ترى ان ابرهيم قال لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان
وان كان في الظاهر لا يعبد الشيطان لكن لما بامره يعبد الاصنام اضاف العبادة اليه او ان يكون المراد من ذكر
اثنين انما هو على الزيادة على الواحد كانه قال لا تتخذوا او لا تعبدوا اكثر من اله واحد   فاياي فارهبون

لا تخافوا الاصنام التي تعبدونها فانكم ان تركتم عبادتها لا تضركم وله ما في السموات والارض اي وله يخضع
ما في السموات والارض وانتم لا تخضعونه او ما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه فكيف اشركتم عبيده في الوهيته
وربوبيته وله الدين واصبا قال بعضهم دايما لانه يخرج من الاديان كلها يبطل ويضمحل ويبقى دينه
في الدارين جميعا وقال بعضهم وله الدين واصبا اي خالصا من الوصب والنصب والتعب وتاويله والله اعلم اي
وله دين لا يوصل اليه الا بتعب وجهد فاجتهدوا واتعبوا واخلصوا له الدين هذا يشبه قوله مخلصا
افغير الله تتقون اي الخالق غير الله تتقون اي لا تخافوا ولكن اتقوا الخالق انه لا تتقوا الخالق غيره او يقول
لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه ولكن اتقوا الله واتقوا نقمته وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون اي تتضرعون يخبر عن سفههم وقلة عقلهم انهم يعلمون ان له ما في السموات والارض وان كل ذلك ملكه
وان ما لهم من النعم منه وان ما يحل بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم ثم يكفرونه ويصرفون شكر
ما منه اليهم غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء فيقول انا المنعم عليكم بهذه النعم وانا المالك
الكشف عنكم لا الاصنام التي عبدتموها فكيف كفرتم بي في وقت الرخاء والسعة وامنتم بي في وقت الضيق والبلاء كانوا
يخلصون له الدين في وقت ما يشركون غيره في وقت فيقول له اديموا الدين بقوله وله الدين واصبا ولا تتركوا
الايمان في وقت دون وقت وكذلك كان عادتهم كانوا يكفرون بربهم في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في
حال البلاء والشدة كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله الاية ويحتمل ان يكون فرض الجهاد على المسلمين والقتال معهم
لهذا المعنى لان من عادتهم الايمان في وقت البلاء والشدة والخوف ففرض عليهم القتال معهم ليضطروا الى
الايمان فيؤمنوا ويديموا الايمان ومنذ فرض القتال معهم كثر اهل الاسلام فدخلوا فيه افواجا فوجا وكان تبدل
ذلك بدخولهم فيه واحدا واحدا وفيه دلالة اثبات رسالته حيث قال وما بكم من نعمة فمن الله فانما اخبر عما في قلوبهم وتقرير عندهم
ان كل ذلك من عند الله ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى ليكفروا بما اتيناهم هذا يحتمل وجهين احدهما
ان يجعلوا ما اتاهم الله وانعم عليهم سبب كفرهم بالله والثاني يكفرون بنعم الله بعبادتهم الاصنام وصرفهم الشكر
عنه ويشبه ان يكون اضمار من سفههم من وجه اخر وهو انهم لم يروا في الشدة احدا يفرج ويكشف الا الله رجعوا
دانوا بلا تضرع اوجا يرجع اليه فالاصنام التي عبدوها ليس لها دفع بلاء ولا جر نفع فلماذا تعبدونها وقال ابو بكر
ليكفروا بما اتيناهم بالقران فتمتعوا فسوف تعلمون هذا وعيد من الله لم يقل فسوف يعلمون ما ينزل بكم
من كفران نعمه وصرف الشكر عنه الى من يهلككم وينزل به عذابه وفي قوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجارون اي تتضرعون موعظ للمؤمنين ايضا لانهم يجعلون يتضرعون الى الله اذا اصابهم الضر والبلا
واذا انكشف ذلك عنهم تركوا ذلك التضرع ونسوا ربهم فيعظهم لئلا يصنعوا مثل صنيع اولئك فيتقوا والله
اعلم اي تعلمون ان ما بكم من نعمة فمن الله فكيف تصرفون شكرها الى غيره في حال ويجعلون اي يقولون
لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال بعضهم يجعلون للاصنام والاوثان التي يعبدونها نصيبا مما
رزقناهم من الانعام والحرث وغير الذي جعل الله لهم ولا يعلمون لهم نصيبا في ذلك وهو كقوله وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا حرموا على انفسهم ما احل الله لهم
وجعلوه لالهتهم ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا هو الشيطان اي ما يجعلون للاوثان فذلك للشيطان
في الحقيقة لانه هو الذي امرهم بذلك وهو الذي دعاهم الى ذلك وهو كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا
احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم اذا عبدوا الاوثان عبدوا الشيطان لانه هو امرهم بذلك وهو دعاهم الى ذلك فعلى
ذلك ما يجعلون للاوثان ذلك للشيطان لما ذكرنا لكن لا يعلمون ان ذلك له نصيب ويحتمل قوله ويجعلون
لما لا يعلمون نصيبا اي يعلمون انه ليس لها نصيب في ذلك ولكن يجعلون ذلك لها على علم منهم ان لا نصيب لها
في ذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي تنبئون الله بما يعلم انه ليس كذا

بعبدوا الاوثان فكان قدهم

اي يعلم غير الذي تنبئون وقد ذكرنا قوله يجعلون على القول اي يقولون والا لا يملكون جعل ذلك تالله
لتسالن عما كنتم تفترون يحتمل قوله تفترون تسميتهم الاصنام الهة ويحتمل افتراؤهم على الله ما قالوا واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها زعموا ان ما فعلوا بامره وفعلهم كان بامر الله ورضاه حيث تركهم على
ذلك فذلك افتراؤهم وقوله تالله لتسالن عما كنتم تفترون يحتمل السؤال الجزاء اي تالله لتجزون عما كنتم تفترون
ويحتمل السؤال سؤال حجة يسألون على ما ادعوا على الله من الامر الحجة في ذلك والله اعلم ويجعلون لله البنات
اي يقولون لله البنات يخبر عن سفههم حيث يانفون ويستنكفون عن البنات ثم ينسبون ذلك الى الله ويضيفونها
اليه ويخبر رسوله على ذلك التكذيب حيث قالوا فيه ما قالوا انه ساحر وانه مفتر ونحو ذلك مما نسبوه اليه ليعلم انهم
من انكر رسالته اولى بالصبر على قوله والعلم سبحانه كلمة تنزيه عما قالوا فيه وحرف تعجب حيث نسبوا الى الله ما كرهوا
لانفسهم ولهم ما يشتهون يجعلون لانفسهم البنين ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال بعضهم قول العرب قبح الله وجهك وسود الله وجهك ليس على ارادة القبح والسواد ولكن
على ارادة ما يكره وقال الحسن ظل وجهه مسودا اي متغيرا من الغم وهو كظيم اي حزين وكذا العرف في الناس انه اذا
اشتدهم الحزن والغم يظهر ذلك في وجوههم فيجاه سوادا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون يذكر
فيه كيف يصنع به ايمسكه على هون اي على هوان يقره ويبقي صحبته ام يدسه في التراب وهو حي فيقتله اذ ذهب
اهل البنات فابغضوها الى ذلك فانه احق بادخل المؤودة التي قال الله واذا الموءودة سئلت وانما كانوا يقتلونهن
لخشية املاق كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الا ساء ما يحكمون في جعلهم لله ما كرهوا
لانفسهم او في قولهم والله امرنا بها او في قولهم هذا لله وهذا لشركائنا ونحوه والله اعلم للذين لا يؤمنون بالاخرة
مثل السوء قال بعضهم قوله مثل السوء اي لهم جزاء السوء وهو النار وقال الحسن مثل السوء اي صفة السوء التي وصفوا
بانهم ان افتاة للبنات ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا التي ليس لها شبه فان تلك الصفة من صفته ويشبه
ان يكون قوله لهم مثل السوء بما سماهم من صفتهم ومن فسقهم ومن ظلمهم ومن سمهم في الظلمات واشباه ذلك
الوصف بما انكروا الاخرة وذلك ما يوجبه الحكمة والعقل ما الشريعة فلهم ذلك الوصف مثل السوء بما انكروا ما
توجبه الحكمة والعقل والشريعة ويحتمل مثل السوء شبه السوء ويحتمل مثل السوء النعت والصفة فان كان هو على
الشبه فهو في الدنيا لما شبههم في غير اي بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة والرماد وبالزبد والسراب ونحوه وان
كان على النعت والصفة فهو في الاخرة وهو ما ذكر الذين يحشرون على وجوههم ولله المثل الاعلى
اي لاوليا الله المثل الاعلى وهم المؤمنون لما ان الله وصف المؤمنين بالحسنى والنور والعدل وغير ذلك من الاسماء
الحسنى وذلك له في الحقيقة لكن بفضله ومنه وصفهم وسماهم بذلك فاضيف الى الله لما بفضله استوجبوا الله
باستحقاق انفسهم وكذلك قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اضيف ذلك اليه لما بفضله يستوجبون تلك الاسماء
التي سماهم ويحتمل قوله ولله المثل الاعلى اي لاولياء الله المثل الاعلى كانه قال والذين يؤمنون بالاخرة
مثل الاعلى بل ما ذكر حيث قال للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء وهو العزيز الحكيم قال الحسن العزيز
بالغلبة منه في الاشياء كلها على ما اراد وكل شيء دونه ذليل والحكيم بالعدل منه في كل قضاء قضى وقد ذكرنا في غير موضع
وقوله العزيز الحكيم في هذا الموضع كانه قال وهو العزيز بنفسه لا يعلمه لاولياء كما يكون لملوك الارض يكون
عزهم بجنودهم وخدمهم فاذا ذهبوا او عصوا ذهب عزهم فاما الله سبحانه فهو عزيز بذاته والحكيم اي ان
العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك عن حد الحكمة والله اعلم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة وله قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ان لو كان يستاصلهم ويهلكهم لما كان منهم لكنه بفضله تركهم الى
الوقت الذي ضرب لهم لانه لو لم يكن كذلك لم يكن للوعيد الذكر وعد معنى وقد لا يؤخذ البدل ان الله عما او عد من
الوعيد ليس يوعد لمعرفة منه ولا التشفي اليه ولكن يوعد بالتوجب الحكمة فدل ان الوعيد لازم واجب

ونحن نقول يوعد بما توجبه الحكمة وقد ابهم بعد الوعيد فيجوز ذلك بجواز ان يخرجهم من النار بعد ما ادخلهم النار بما ارتكبوا
من الكبائر في قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الاية دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس لله ان يهلك
قوما قد علم منهم الايمان في وقت او يكون في اصلابهم من يؤمن اذ قد كان ممن اوعد ذلك الوعيد من حضرهم الايمان
او في اصلابهم من قد كان امن فدل الوعيد لهم انه قد يهلك من يعلم انه يؤمن في اخر عمره اذ لا يوعد الا بما له ان يفعل
لكنه بفضله اخر الى وقت وفيه دلالة ان له ان يفعل ما ليس ذلك باصلح لهم في الدين ثم اختلف في قوله بظلمهم
قال بعضهم هذا للكفرة خاصة وقال بعضهم لهم وللمؤمنين كل مرتكب زلة اذ ما من احد الا يرتكب زلة الا وقد استوجب
العقوبة بذلك والمؤاخذة به لكنه بفضله عفا ما ترك عليها من دابة قال بعضهم اراد بالدابة الدابة
التي ظهرت لهم اذا اهلك الناس فقد اهلك الدواب اذ خلقها اياها لهم وقال بعضهم ما ترك على ظهرها اي على ظهر
الارض من دابة لان الدواب انما تعيش بالذي يعيش الناس فاذا اهلكوا لهم هلكت الدواب ايضا لما ذهب
سبب عيشها وجائز ان يكون اراد بالدابة البشر اي ما تركهم بظلمهم ولكن يهلكهم ويسميهم دابة لانه اذا ذكرهم في موضع
الظلم وان كان سماهم في غير موضع بالاسماء الحسنة وهو كما سماهم في موضع اخر دابة حيث قال وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ولا شك ان البشر دخلوا في هذه التسمية فعلى ذلك جائز دخولهم في الاخرى وان كان المراد ما ذكر
من الدابة البشر فالانبياء والرسل انما يكون هلاكهم بانقطاع نسلهم لان الانبياء اكثرهم ولدوا من الاباء الظلمة اذا
اهلكوا اباءهم لم يولد الرسل والانبياء فيكون هلاكهم لا بظلم سواه ولكن بانقطاع النسل وان كان المراد بتلك الدابة
الدواب انفسها فلان الدواب انما انشئت للبشر ولمنافعهم فاذا اهلكت الدواب اهلكت المنافع لهم ولهم
ثم وفي قوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون من قتل لم يمت باجله
لم يجي كان فيقتله دون بلوغ الاجل الذي جعل الله حيث اخبر انهم لا يستاخرون بعد الاجل المضروب لهم ولا
يستقدمون قبل ذلك وهم يقولون بل يستقدم كان فيقتله فذلك سرف في القول [illegible] يخرج على وجهين
احدهما الاتيان الاجل الذي جعل لهم ساعة ولا يتقدم عن ذلك والثاني لا يجاب في التاخير ولا في التقديم
ويجعلون لله ما يكرهون كانوا يجعلون لله اشيا يكرهون ذلك لانفسهم من نحو البنات يقولون لله
البنات ويكرهون لانفسهم البنات ويجعلون لله الشركاء من عبيده وهم كانوا يكرهون لانفسهم الشركاء من
عبيدهم وامثاله كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية يخبر عز وجل عن سفههم وسرفهم في القول ويخبر عن حلمه
حيث لم يستاصلهم ولم يهلكهم بما قالوا في الله من عظيم القول من الولد والشريك ليعلم انه لم يمهلهم لغفلة ولا
سهو ولكن لحلم لان من حلم الخالق في ذات الله ولا يعجلوا بالعقوبة اذ لو اراد هلاكهم لاهلكهم [illegible] ذلك
ولا يعاقبون [illegible] لكل احد ذلك ليعلم [illegible] قال ولا تحسبن الله غافلا الاية وجائز ان يكون [illegible] ويجعلون لله
اي يجعلون لله [illegible] لانفسهم لانهم يتوهمون ان لهم الحسنى في الارض وفي الجنة وان للمؤمنين النار
بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وتصف السنتهم الكذب قال ابو بكر الاصم يقولون
انا على دين الله وعلى الحق لعبادتنا ويقولون ان لهم الحسنى يعنون انهم محسنون في اعمالهم وبما هم عليه من دين
وقال بعضهم قوله ان لهم الحسنى يعني البنين لانهم كانوا يضيفون البنات الى الله وينسبون البنين الى
انفسهم فتلك الحسنى الذي ذكر وقال بعضهم بان لهم الحسنى اي الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربي الاية
ثم كذبهم في قولهم فقال لا جرم ان لهم النار ليس لهم الحسنى على ما زعموا ولكن النار وقد ذكرنا قوله لا جرم فيما
تقدم كان اهل الكفر فرقا منهم من ادعى الاشتراك في نعيم الاخرة كما كان لهم الاشتراك في نعيم الدنيا كقوله
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ومنهم من ادعى الاخرة لانفسهم كما كانت لهم الدنيا في زمان يكون قوله ويجعلون لله
ما يكرهون هم الذين ادعوا الحسنى هي الجنة لانفسهم وانهم مفرطون هو من الفرط وهو السبق والتقدم
كان الاصم في الزمان انهم سابقون اتباعهم الى النار وهو كقوله وقالت اولاهم لاخراهم الاولى [illegible]

هذا التعليل لا يدفع كونه [illegible] الاية [illegible]

المتبوعون وافراطهم الاتباع وقال بعضهم معجلون الى بين يدي اتباعهم وقال بعضهم مفرطون اي منسيون
في النار وقال بعضهم مفرطون مبعدون عن رحمة الله لكن هذا ليس بتاويل الاية اذ كل من في النار منسي متروك
فيها مبعد من رحمة الله وقال بعضهم وانهم مفرطون في الوصية ما ذكرنا تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
هذا يحتمل ان يكون هذا القسم منه ابتداء لكنه على انكارهم نبيهم الرسالة فيعقد ذلك القسم بقوله تالله لقد ارسلنا الى
امم من قبلك واكد بما انكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي بحق قوله تالله لقد ارسلنا الى
امم من قبلك كما ارسلناك اليهم فزين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لامتك فهو وليهم يومئذ كما هو ولي امتك اليوم
فزين لهم الشيطان اعمالهم يقول ليس يهولنك بالرسل من زين لهم الشيطان اعمالهم ولكن كان في الامم الماضية
من زين لهم الشيطان اعمالهم فيكذبون رسلهم فلست انت باول مكذب بل كان اكثرهم في التكذيب فهو وليهم اليوم
قال بعضهم هو وليهم اليوم في الدنيا لان الدنيا هي دار الولاية بينهم كقوله بعضهم اولياء بعض وقوله اولياؤهم الطاغوت
واما في الاخرة فيصيرون اعداء كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض الاية ويتبرا بعضهم من بعض فذلك علامة العداوة وقال بعضهم قوله فهو وليهم اليوم في الاخرة اي وليهم
يقرنون بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهو وليهم اي صاحبهم كقوله احشروا الاية
وكقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه قال
بعضهم قوله الذي اختلفوا فيه الكتب التي كانت من قبلهم لانهم اختلفوا في كتبهم فمنهم من بدل ومنهم من غير وحرف
فيقول والله اعلم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي في كتبهم لان هذا الكتاب انزله
مصدقا لما بين يديه من الكتاب يبين هذا الكتاب ما اختلفوا في كتبهم الحق من الباطل وقال بعضهم الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه اي في الرسل والاديان وفي الكتاب المنزل على ما اختلفوا فيه في ذلك كله ليبين لهم الحق من الباطل
في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي انزله عليك اذ فيه انباء الامم الماضية وهو لم يشهدها ولم يختلف الى من يخبر عنها
ثم انباهم على ما كانت فدل انه انما عرف ذلك بالله ومنه نزل ذلك وفيه دلالة ان الحوادث التي علم الله انهم يبتلون
الى يوم القيمة انه جعل لهم سبيل الوصول اليها في الكتاب اما بيان كفاية واما بيان تصريح حيث قال وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم في الاختلاف على بيان فيما ذكر علم انهم يبتلون بالحوادث التي ليس لها
منصوص في الكتاب يحتمل ان لا يبين لهم ذلك ويدعهم حيارى لكن البيان على وجهين بيان تصريح يعقل ببديهة
العقل وبيان كفاية يدرك بالنظر والتامل والاستدلال واصله في قوله الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي الا
لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه لانهم اختلفوا في الحق في ذلك لان كل فريق منهم ادعى انه هو المحق وان الذي
هو عليه الحق وان غيره على الباطل فاخبر انه انزل الكتاب ليبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون جعل الله تعالى رسوله وكتابه سبب هدى ورحمة للمؤمنين لانهم امنوا بهما وصدقوهما وقبلوهما فصار
ذلك لهم سبب هدى ورحمة ونور واما من كذبهما ولم يقبلهما فهو عذاب عليهم وعمى وهو كقوله فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض الاية وهو ما ذكر وهو عليهم عمى والله انزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث اخبر انه ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض وهي ميتة
ويخرج منها نباتا وزروعا واشجارا فمن قدر على ذلك لقادر على احياء النفس بعد موتها اذ لا فرق بين الاحياءين
ومن قدر على احدهما قدر على الاخر ان في ذلك فيما ذكرنا لاية لقوم يسمعون قال بعضهم لاية لقوم يسمعون
المواعظ وقال بعضهم لاية لقوم يسمعون الايات والحجج واما من لم يسمع فلا يكون له اية واصله ان في ذلك
لاية لقوم ينتفعون باسماعهم ولاية لقوم يعقلون اي ينتفعون بعقولهم واصح ان هذا كله يصير اية للمؤمنين
على ما ذكر لانهم هم الذين ينتفعون [illegible] وهم يسمعون اياته ومواعظه وكذا [illegible] الكفر
والله اعلم وان لكم في الانعام لعبرة والعبرة الاية اي ان لكم لعاما فيه الاية وهو [illegible] قوله والله انزل

من السما ما فاحيى به الارض بعد موتها اي انزل من السما ما وان الانعام ثم فيه الايات جل وعلا في الانعام لبنا
غذا الاولاد في الوقت الذي لا يحتمل الغذا بالعلف وجعل لاربابها الانتفاع بذلك اللبن وفي الاشيا التي لا يوكل لحمها
لم يجعل لاربابها الانتفاع بما يفضل من اللبن ولم يجعل لها فضل لبن نسقيكم مما في بطونه ذكر بالتذكير فظاهره
ان يذكر بالتانيث لانه اما ان يريد به الامهات التي يدر منها اللبن او جماعة من الذكران منها فكيفما كان فهو يذكر بالتانيث
لكن بعضهم يقول ذكر باسم التذكير على ان الاصل الذي به كان اللبن وهو الفحل وهذا يدل لابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل انه يحرم وقال بعضهم ذكر باسم التذكير على ان الجنس والجوهر من بين اللجناس والجواهر
دون العدد والجماعة والله اعلم من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين قال ابن عباس معنى استخراج
اللبن من بين فرث ودم وذلك ان العلف اذا وقع في الكرش طبخه الكرش فيجعل الفرث اسفله والدم اعلاه واللبن بين
ذلك ثم يسلط الكبد عليهم فيخلي الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش كما هو وقال بعض اهل الفلسفة
ان العلف اذا وقع فيه يصير سنة فرثا ثم يصير منه دما ثم يصير لبنا خالصا فهو كالنطفة التي وقعت في الرحم تصير علقة ثم
تصير مضغة ما كان لبنا ذلك اللبن الذي ذكر والله اعلم ويحتمل ما قاله بعض اهل الفلسفة ان العلف يصير فرثا ثم دما ثم
لبنا ويحتمل ان يكون مجرى اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم فاي الوجهين كان كان فيه اللطف الذي ذكرنا ووجه
ذكر هذا والله اعلم على الامتنان وكذلك ما ذكر من الثمرات والاعناب انه بلطفه اخرج اللبن الصافي اصفى الاشيا
والطف من بين اخبث الاشيا واكدرها في راي العين ثم قدر على حفظ هذا مما ذكر بلا حجاب يدرك او حاجز يعرف
لقادر على ان الاشيا من لا شي لان الخلايق لو اجتمعوا على ان يدركوا السبب الذي به كان حفظ هذا من هذا
وامتناعه من الاختلاط بالخبيث ما ادركوا ذلك وكذلك ما يخرج من النخيل والكروم الثمرات الطيبة والاعناب الكل
من عجزوا عن ادراك ذلك فهو من عجز ان يدركوا السبب الذي كان به الاعناب والثمرات دل انه قادر على ان الاشيا
من لا شي اذ هي خلقه يا بنه والله اعلم تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال بعضهم السكر ما يحرم منه
والرزق الحسن ما يحل منه ثمرا وقال بعضهم السكر ما يتخذ من الشراب والرزق الحسن ما يوكل تمرا او زبيبا ونحوه
وقال بعضهم السكر خمر الاعاجم والرزق الحسن ما ينبذون ويخللون وياكلون وروي في بعض الاخبار انه حرم
الكروم بغير الله وفي بعض الاخبار انه بعث معاذا الى اليمن وامره ان ينهاهم عن نبيذ السكر وعن عبد الله
قال ان اولادكم ولدوا على الفطرة فلا تسقوهم السكر فان الله تعالى لم يجعل في حرام شفا وليس من فقهنا الا
في تحريم السكر ونقيع البسر ونقيع الزبيب اذا اسكر كثيرها ولم يطبخ اختلاف انه حرام وقد ذكرنا هذا في سورة
البقرة الذي ذكرنا ذكرا في ان في ذلك لاية لقوم يعقلون وقال القتبي الفرث ما في الكرش لان اللبن كان طعاما تخلص من ذلك
الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش فخلص من الدم لبنا سايغا اي سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه ولا يغص
وكذلك قال ابو عوسجة سايغا اي ادخلته في حلقي سهلا وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا اي تتخذون منه ما
يحرم اكله ورزقا حسنا ما يحل منه وهو كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية ويخرج على تذكير النعم
في الوقت الذي كان الكروم حلالا اي تتخذون منه سكرا ما تشربون ورزقا حسنا سوى الشراب
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الى اخرها ذكر قال بعضهم اوحى اي قذف في قلوبها ان افعلي ما ذكر
والوحي هو القذف سمي بذلك لسرعته وقيل هو نفاث في القلوب من غير ان يشعر الملقى فيه والمقذوف في قلبه
ان احدا فعل ذلك او القاه فيه وهو كما ان الشيطان من الوسوسة في القلوب من غير ان يعلم الموسوس
اليه والمقذوف في قلبه ان احدا دعاه الى ذلك او زين ذلك له وكذلك ما يلهم الحكيم بني ادم من الاشيا من
غير ان يعلموا ان احدا دعاهم الى ذلك او زين ذلك لهم القاه في قلوبهم فهذا الكلام يرد على من ينكر الشيطان والملك
وهم طايفة من الملحدة يقولون ان الشهوات والاماني التي جعلت في الانفس هي التي تحملهم وتهيجهم على ذلك
لا الشيطان فيقال لهم ان الاشيا ان تدبيرها لا ان عليها من غير ان كان منه تنكر في ذلك والاماني او ما تقدير فذلك

يدل انه لا يجزي الي ذلك في قلبه وقذف لاعمال الاماني والشهوات وهذا ايضا يدل على لطف الله في البشر انه يوفقهم على الطاعات
ويعينهم عليها من غير ان علموا انه يعينهم في ذلك حسنا وكذلك الخذلان في المعاصي وانواع الاجرام التي يكتسبونها ثم يحتمل قوله واوحى
ربك الى النحل اي النحل وغيرها من البهايم وخيرا احدهما يحتمل ان اراد ان سخر البهايم على طبايع تعرف بالطبع مصالحها ومهالكها ومعاشها
وقوام ابدانها واتقيها وما به فوتها وصلاحها من غير ان يعلم ان احدا يدعوهم الى ذلك او يشير اليها او يامر ونهيا لكنه بالطبع
يعرف ذلك ويعلم من خواص يعلم اسبابا بالطبع من غير ان يعلم ان احدا علمهم ذلك من نحو الوز يسبح في الما بالطبع من غير ان
يعلم انها تسبح وكذلك الطير الذي يطير في الهوا من غير ان يعلم بالطيران فيحتمل ذلك يجعل لهم من البهايم وعرفها ما ذكرنا من
المصالح والمهالك من غير ان يعلم انها تعرف ذلك والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون الله جل وعلا جبل خلقه من الاشيا
الذي يفهمون على المخاطبات والامر والنهي يعرفون ذلك حالا يعرفه البشر الا ترى ان البشر لا يعرف المهالك
والمصالح الا بالتعليم والبهايم وان صغر ذلك تعرف حتى تتوقى المهالك وترغب في المصالح وجعل لسان من الاشيا مما
يفهم الامر والنهي والمخاطبات قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي الا ترى انهم فهموا الخطاب حيث رجعوا عليهم الجواب بقوله انطقنا الله
فذلك ما ذكرنا والله اعلم فذلك الوحي والقذف لكل البهايم لا للنحل خاصة لما ذكرنا من معرفتها المهالك والمصالح ومواضع
معاشها وغذايها ومواضع تناسلها وسلاكها حتى يعرف ذلك من غير ان تعلم والبشر لا يعرف الا بالتعلم والله اعلم
لوجهين احدهما للمحنة ان البشر امتحنوا بالتعليم فذكر من الله امتحان لهم والبهايم لا محنة عليهم فلذلك عرفوا على غير تعلم وكان
ذلك للبشر بالتعلم ليفضل بعض على بعض في العلم بالتعليم والبهايم يستوي صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك وفي بني ادم تتفاضل
وتتفاوت بالتعلم والله اعلم فان قيل فاذا كانت البهايم كلها مشتركة في ذلك الالهام والوحي فما معنى تخصيص النحل
بالذكر من غيرها من البهايم قيل يحتمل تخصيص النحل بالذكر والله اعلم لما ان من الاشيا في النحل انه تعطي تلك المنافع التي
جعلت فيها ولا تبذل للبشر الا بالرياضة والتعلم والنحل تعطي ذلك لهم وتبذل من غير تعلم ولا رياضة والله اعلم من قصة
ان اتخذي من الجبال بيوتا وقوله ثم كلي من كل الثمرات وقوله فاسلكي سبل ربك ذللا امر تكوين لا امر تكليف ولكن حقيقته
تمكين وتسهيل نحو قوله سيروا فيها كذا هو في الظاهر امر وفي الحقيقة تمكين وتيسير ثم في هذه الاية وفي قوله يخرج
من بطونها شراب وفيما سبق من الايات وهو قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي قوله ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا دلالة قدرته على ان الاشيا من لا شي ودلالة علمه
وتدبيره لانه اخرج من بين الجواهر المختلفة اشيا من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شي مما اكل منه من البهايم من
الجواهر التي اخرج منها من نحو العسل الذي اخرج من الفواكه التي اكلت واللبن من العلف الذي اكل والعصير
والسكر والاعناب من الكروم او ليس شي خرج منها من جنس ما اكل ولا من جوهر ما سقي دل انه كان بعلم قادر
قادر على ان الاشيا من لا شي ولا سبب وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته لان انشا ذلك اللبن في البطن على غير
جوهر ما تناولت ومن خلاف لعينه في تلك الظلمات دل ان علمه غير مقدر بعلم الخلق وان حكمته غير مقدرة بحكمة
الخلق وكذلك قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق ثم قوله فاسلكي سبل ربك قيل طرق ربك ذللا وقيل مطيعة
وقيل من الذل اي الرفق واللين كقوله اذلة على المومنين وقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي من الذل من الرفق
واللين وهذا يخرج على وجهين احدهما ذللت سبلها بها وسهل السلوك فيها حتى تسلك كيف شات
وحيث شات وقيل ما يسوون ويحتمل ما يتخذ من العريش وهو الذي يتخذ من الخشب ومن مختلف الوانه
ثم السلحن الشهد والعسل وقال بعضهم مختلف في الطعم وقيل في الالوان الابيض والاحمر والاصفر
فيه شفا للناس قال بعضهم فيه شفا للناس من كل دا حتى القروح وكل شي وقال بعضهم فيه شفا من دا
دون دا وقال بعضهم فيه شفا يعني في القران فيه شفا القلوب للذنب ويحتمل قوله فيه شفا للاجسام
فان اراد هذا فهو ظاهر لان كان في ذلك الشفا ويحتمل فيه شفا للدين فان كان هذا فيكون ذلك من جهة

المنظر فيه بركة يوصل الى ذلك الشفا وقوله ثم كلي من كل الثمرات قال بعضهم من نوع ما ياكل النحل وقال بعضهم من
جميع الثمرات التي تكون في الجبال عن عبد الله قال القران والعسل هما الشفا آن القران شفا الدين والعسل شفا الابدان
وقال بعضهم من اهل اللغة ان الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة وهو ارسال الله الملائكة الى انبيائه ورسله كقوله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ومنها وحي الاشارة كقوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ومنها وحي الالهام وهو قوله
واوحى ربك الى النحل وقوله واوحينا الى ام موسى وقوله بان ربك اوحى لها ومنها وحي الاسرار كقوله يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول الآية وقال بعضهم ان اصل الوحي هو ان يلقي الانسان الى صاحبه شيا بالاستتار والاخفا
وقد يكون ذلك بالايما والخط واصل الوحي ما ذكرنا انه سمي به لسرعته وقوعه وقذفه في القلب وقال ابو بكر تاويل الوحي
ان يعلم الذي يوحى اليه ويرشد وذلك من وجهين احدهما ان الله ارشد كل دابة سوى الانسان الى مصالحها والهرب
من مهالكها وسبلها بالفطرة والطبع كما ارشد الانسان الى ما يصلح في دينه ودنياه بالتعليم فمثل الله تعليم كل دابة ما
فيه مصالحها ومعرفتها بما دبرها عليه لا تعلم الانسان بالتعليم والبيان فقال واوحى ربك الى النحل اي ارشدها
ودلها بفطرتها ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر بيوتا ومما يعرشون يعني واتخذي مما يبني الانسان لمساكنهم
وقال الحسن الحيطان التي لا سماء لها بفطرتها تتخذ ظلا يا لقائه كل وليكن لها سنع الخلق ثم قال ثم كلي من كل الثمرات
والثمرات مختلفة الطعم والمنظر والمشم فاسلكي سبل ربك ومعا سبل الله لها من الرزق والماوي ذللا قال بقوله
ذللا ذلولا كل شي قدر له مذللة وسلكت معه فكذلك في طلب ما سبل لك لبني آدم وجعلها سببا لمنافعهم وصغر قدرك
لم يهم بذلك قدرته وسلطانه على ما ان ليعلموا ان خالقهم لا يعجزه شي وانه القدير على ما يعيدهم من البعث والثواب
والعقاب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه يقول الحسن واحدهم ابيض واصفر كالوان الثمر والعنب وساير
الثمار فيه مذاقة ومنافع ومنظر وكل عمل فيه شفا للناس لمنافعهم ومنافعهم وفيما اراهم الله من قدرته على ما بين
من ذلك ما يستعملهم في الدين والعلم يعلمون بما يشهدون من تدبير الله وقدرته على ما بينا
ان في ذلك
لآية يقول لعبرة ودليلا وبرهانا لقوم يتفكرون فيما يشاهدون من تدبير الله وتقديره وقدرته على ما بينا والله
اعلم وقال في قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب يقول ولكم عبرة ودليل ان النخل اجذاعه خشب لا طعم له والكرم
خشب ايضا وانهما سعف وورق لا عسل فيه ولا عنب فاخرج الله فيهما ثمرات مختلفات فيه عسل وفيه ثمر
وزبيب وتتخذون منه ما تتلذذون من الشراب وقال هذا قبل تحريم الخمر والسكر كل ما اسكرهم وتتخذون منه
ايضا رزقا حسنا الطيبا وهو ما تاكلون منه سوى ما تشربون وتتكلمون فيه اقوال كثيرة من الله به عليهم وقال
بعضهم السكر كل شي حرم الله من ثمرها من الشراب الخمر من العنب والسكر من التمر والرزق الحسن ما احل من ثمرها الزبيب
والتمر والعنب وقال السكر ما اسكر والرزق الحسن ما اكل واشباهه ان في ذلك لآية ودليلا وبيانا لقوم
يعقلون ما يشهدون فيعلمون ان الذي لم يعجز عما خلق لهم من الثمار من خشب يابس يقدر ان يحيي الموتى ويخلق
ما شاء وما عرفه الخلق انه يكون من النطفة الولد ومن الماء الاشجار والفواكه ومن العلف اللبن وفي ذلك
من الحوادث التي تحدث من الاشيا وتلك سبب ما لم يدرك كون تلك الاشيا فيه ولا يدرك له يعرف تلك الا
بتعليم من هو عالم بذاته لان مع ذلك لو كان لا بتعليم لو اجتهدوا كل جهد ثم لم يدركوا ما حدثت تلك الاشيا
مما ذكرنا ولا كونها منها دلالة ان الذي علمهم هو عالم بذاته فاذا ثبت كونه عالما بذاته وان كانوا لم يروه عدوا
الا عالما بعينه فعلى ذلك هو قادر على انشا الاشيا من لا شي وان كانوا لم يعاينوا في انشا شيا الا من شي فيه
ان ما يحدث ويكون من اللبن بالعلف الذي ياكل والطعام يتناول والفواكه والثمار التي تخرج ليس يكون
بنفس الماء او بنفس الطعام والعلف ولكن باللطف من الله تعالى لانه قد يسقي تلك الماء الشجر في حال ثم لا يكون فيه
الثمر وكذلك الدواب تعلف في حال لا يكون ذلك منه والله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى
ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيا فانه قيل لنا اي سنة له على ما تقدم ذكر خلقنا ثم توفينا ايانا وردنا الى الحالة

التي

التي ذكر وهو حال الجهل حتى لا نعلم شيا قبل ذكر هذا وان الله علم بكل وجوها احدها فيه ذكر انه هو الذي خلقكم ثم هو
يتوفيكم ثم هو يعيدكم الى الحال التي لا تعلمون شيا وفيه ملكه وسلطانه تعقلون فكيف عبدتم الاصنام والاوثان
التي لا يملكون شيا من ذلك واشركتموها في الوهيته وعبادته او يذكر هذا انه خلقكم ولم تكونوا شيا ثم يتوفيكم بعد ما
احياكم ثم يردكم الى الحال التي لا تعقلون شيا بعد ما جعلكم عقلا علماء من يملك هذا ويقدر على هذا يقدر على الاحيا
بعد الموت والبعث بعد الفنا او يذكر هذا ليعلموا انه لم يكن المقصود بخلقهم الفنا خاصة لكن لامر اخر قصد بخلقهم
وهو ما ذكر فيما تقدم من انواع النعم وتسخير ما ذكر من الاشيا لهم ليعلموا ان المقصود في خلقهم لم يكن الفنا خاصة اذ لو
كان الفنا خاصة لم يحتج الى ما خلق لهم من الاغذية والنعم التي ان لهم والاسباب التي سخرها لهم وقال ابو بكر الاصم قوله
والله خلقكم وكنتم نطفا امواتا فاحياكم ثم يتوفيكم اطفالا وشبانا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يقول يرده بعد قوى وعلم
وتدبير الى ضعف الخرف والجهل بعد العلم ليتبين لخلقه ان الموت والرزق ليس بهم اي وقوف لانهما ياتيان من
يلي ويغني بها ويرجع الى الجهل ولكن بلطف من الله وتدبيره له بالاغذية والله اعلم ان الله عليم بما دبر في خلقه
مما يدركون به قدرة خالقهم وتصريفه الاحوال وبما يكونون به حكما علما ان الذي دبر هو حكيم قدير على انشا الحكمة فيما
ذكر من تعلق الاجال ليكونوا ابدا خائفين راجين لانه لو كانت اجالهم واحدة يامنون ويتغافلون المعاصي على
امن لما يعلمون وقت نزول الموت بهم والثاني ليعلموا ان التدبير في انفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم لان التدبير
والامر لو كان اليهم لكان كل منهم يختار من الحال ما هو اقوى واكد والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
قال بعض اهل التاويل يذكر هذا مثلا لما اشركوا خلقه وعبادته في الوهيته يقول فضل الله بعضكم على بعض
في الرزق والاموال حتى يملكوا الاموال والموالي فلا ترضون ان يكون عبيدكم وما ملكتم شركا في ملككم واموالكم
فكيف ترضون لله ان يكون عبيده وما ملكه شركا اليه هذا ذهب بعض اهل التاويل وقال ابو بكر الاصم قوله
فضل بعضكم على بعض في الرزق اغنى بعضكم وافقر بعضا وجعلكم احرارا وعبيدا فما الذين فضلوا بالغنى
والتمليك برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم من عبيدهم فهم فيه سوا انما يتركوا الموالي وجعل فيما ملكت فيه يتقاسمه
فليس احد منكم يرضى ان يكون عبده بمنزلته فيما يملك سوا فاذا رايتم انتم ذلك نقصا لكم لو فعلتم فكيف جعلتم ان الله
اشرك بينه وبين الحجارة حتى اشركتم ما ملككم الله بينه وبين الاوثان في العبادة وفيما اتاكم من رزقه فقلتم
هذا لله وهذا لشركائنا افبنعمة الله يجحدون يقول انعم الله عليهم بانفسهم وارزاقهم واموالهم واولادهم فاشركوا غير الله
في وحده وانعم الله عليهم وبه كفروا ثم الزمهم النظر في الفضل الذي ذكر انه فضل بعضهم على بعض ليبين الفضل
الذي كان من الله لا الى الاسباب التي اكتسبوا ليعلموا انهم لم ينالوا تلك الفضائل باستحقاق منهم ولكن انما نالوا
بفضل منه ورحمة فيكون ذلك دليلا لهم فيما انكروا من افضال الله واختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وان كانوا
جميعا من بشر ومن جنس واحد على ما فضل بعضهم على بعض في الرزق والسعة والملك والحرية والسلطان وان كانوا
جميعا في الجنس والصور فاذا لم تنكروا هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل
والاختصاص بالرسالة من فضله ورحمته فلذلك قال والله اعلم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اخبار بفضله ورحمته فيما نال من الرسالة وغيرها لا باستحقاق
والاستيجاب كان منهم او ان يذكر سفههم بانهم يانفون ان يشركوا عبيدهم وما ملكهم في ملكهم واموالهم ولهم منهم
منافع من الخدمة والاعانة في الاعمال ثم لم يشركوا الحجارة والخشب لا ينتفع لا صيانها في الوهية الله
وربوبيته وفي عبادته افبنعمة الله يجحدون على تاويل النبوة بفضل الله وبرحمته يجحدون انه لا يفضل بعضا
على بعض بالرسالة او يجحدون ما اتاهم الله من النعم فيصرفون شكرها الى غيره من الاصنام التي عبدوها فما لوا
هذا الشركا في اي يصرفون شكر نعمه الى غيره وهي الاوثان التي عبدوها والله اعلم والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة قال الحسن وغيره الحفدة الخدم والمماليك بنو على التفسير

على ما في هو لا يقول جعل لكم من انفسكم ازواجا وخدما من جنسكم لانه ذكر فيما تقدم والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق الاية يذكرهم نعمه وفضله الذي ذكر انه جعل لكم من جنسكم ازواجا وخدما تحت ايديهم يستمتعون بالازواج
ويستخدمون الخدم والمماليك وهم من جنسهم وجوهرهم يذكرهم فضله ومننه عليهم او يشبه ان يكون هذا صلة قوله واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا الاية كانوا يابون من البنات ويدفنونهن احياء اذا ولدن انفا منهن فيذكرهم
كيف تابون منهن وقد جعل لكم من البنات ازواجا تستمتعون بهن حتى لا تصبروا عنهن وكذلك جعل لكم من البنات
البنين الذين ترغب انفسكم فيهم ما لولا البنات لم تكن لكم الازواج التي تستمتعون بهن ولم يكن لكم البنون الذين ترغبون
فيهم والانصار والاعوان والخدم الذين ترغبون فيهم سبب وجه كرنشا فيعيبهم في الانفة منهن يابون منهن ومن البنات
يكون ما ترغبون فيهم فتصابدلا ان البنات يصرن كالملك للازواج ويصرن تحت ايديهم في حق ملك كالتمتع كالمماليك
في حق ملك الرقاب ثم جعل عز وجل التناسل في الخلق على التفاريق وتقلبهم من حال الى حال وتنقلهم ابدا لكيلا يكون
اذكر للتدبير والنظر في اياته ودلالاته ولو لا ان الخلق كلهم بمرة واحدة واقامهم بدفعة واحدة وكذلك ما
جعل لهم من الارزاق وانواع النبات لولا لاحوج لهم ذلك كلها بمرة واحدة في وقت واحد لكن انشاهم بالتفاريق
ليذكرهم النظر في اياته وتدبيره ليكون لهم ذلك ادعى الى المرغوب واصدر عن المرهوب وكذلك ما ردد من الانبا
والقصص والمواعيد وذكر الجنة والنار في القران في غير موضع ليبعثهم ويحثهم على النظر في اياته وتدبيرها ويرغبهم
في كل وقت في المرغوب ويحذرهم عن المحذور والمرهوب ثم قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وقال في اية اخرى فاقتلوا
انفسكم وقال ولا تقتلوا انفسكم ويحي ذكر الانفس في كلام ثم لم يفهم اهل الخطاب من هذا الكلام معنى واحدا وشيا
واحدا وان كان في حق اللسان واللغة واحدا لكنهم فهموا في كل غير ما فهموا في الاخر فهذا يدل انه لا يفهم الحكمة
والمعنى في الخطاب بحق ظاهر اللسان واللغة ولكن بدليل الحكمة المجعولة في الخطاب ومن اعتقد في الخطاب الظاهر
حسم باب طلب الحكمة والمعنى لانه يجعل المراد منه الظاهر وقوله وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة هو ما ذكرنا
وحفدة اختلف فيه قال بعضهم الحفدة الخدم والمماليك وقال بعضهم الحفدة ولد الولد وقال ابن مسعود
الحفدة الاختان وروي عنه انه قال الحفدة الاصهار والاختان منهم واحد وقيل الحفدة الاعوان
والانصار والاختان في امر الدنيا وقال ابو عوسجة الحفدة بنو البنين وقال ايضا الحفدة الاعوان والحفد
المجتهد في العبادة وفي العمل يقول حفد يحفد اي خدم واجتهد وقوله واليك نسعى ونحفد اي نجتهد وقال القتبي
الحفدة الخدم والاعوان فيقال هم بنون وخدم وقال اصل الحفدة مداركة الخطو والاسراع في المشي وانما يفعل
ذلك الخدم فقيل لهم حفدة واحدهم حافد وقال ومنه يقال في دعاء الوتر واليك نسعى ونحفد وقال ابو عبيدة اصل
الحفد العمل وقال ومنه الحرف في القنوت نحفد اي نعمل والله اعلم ورزقكم من الطيبات قال بعضهم
الطيبات الحلالات وقال بعضهم الطيبات اي كل ما طاب ولذ ولطف ورزق غيركم من الدواب والبهائم كل ما خشن
وخبث يذكرهم منته عليهم ونعمه ليتادوا به شكره افبالباطل يؤمنون قال بعضهم ابالشيطان
يصدقون ويجيبون الى ما دعاهم من الانفة من البنات وبنعمة الله هم يكفرون اي بنعمة البنات لكم نعمة كيف
تكفرونها وقال افبالباطل يؤمنون اي بالشيطان الى ما دعاكم وبنعمة الله اي بمحمد يكفرون او بالاسلام او بالقران
وقال ابو بكر الاصم افبالباطل يؤمنون يقول تقرون بانكم تعبدون الحجارة وتذلون لها وتعبدونها وبنعمة الله هم يكفرون
يقول وبالنعم التي انعم عليكم في انفسكم وما خولكم ورزقكم تكفرون به وكان الشكر اولى بكم والله اعلم
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا فايدة ذكر هذا لنا والله اعلم لئلا نتبع
بعض المخلوقين اهواءنا ولا نتكل في امورنا الى من نعلم انه لا يملك ضرا ولا نفعا ولا يستطيع شيئا من الرزق كما تتبع
اولئك في عبادة من يعلمون انه لا يملك شيئا ولا نفعا ولا ضرا فيعبدون فيذكر سفههم في عبادتهم من يعلمون انه لا يملك
شيئا من النفع والضر والرزق ليبين لهم نحو ما صنعهم من ومن لم من المخلوقين ثم اختلف في قوله ما لا

فهو على التاخير والاول كانا على التقديم [illegible]

يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا قال الحسن هو على التقديم اي يعبدون من دون الله شيئا لا يملك لهم ما ذكر وقال
بعضهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض ولا يستطيعون شيئا وقال بعضهم يعبدون من
دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض ولا شيئا فلا تضربوا لله الامثال اي لا تتخذوا لله امثالا من الخلق واشباها
في الوهيته وعبادته او لا تقولوا لله ان له اشباها وامثالا او يقول فلا تجعلوا لله امثالا في العبادة له واشباها في تسميته
الهة على زعم منكم ان ما يكون لكم انما يكون بالله لا بالاصنام التي تجعلونها امثالا لله في العبادة والالوهية وجائز ان يكون قوله
فلا تضربوا لله الامثال اي فلا تضربوا لاولياء الله الامثال فانه قد بين حال اوليائه ومكانهم ان الله يعلم ان
لا مثل له من الخلق ولا شبه وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم بما يحكم وانتم لا تعلمون ما به صلاحكم وهلاككم
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ضرب المثل بهذين وجهين
احدهما ان من لا يقدر ولا يملك ان ينفق في الله هو عندكم ليس كمن يملك ويقدر ان ينفق فكيف سويتم
الاعمى والبصير فهلا مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير اي ليس يستوي البصير والاعمى ولا الاصم
والسميع فكيف ذلك لا يستوي من يملك الانفاق ولا ينعم على الخلق وهو المعبود الحق لمن لا يملك ذلك وهو المعبود
الباطل والثاني ضرب مثل المومن والكافر ان الكافر لا ينفق ما انعم عليه من المال في طاعة الله وفي جهاته والمومن ينفق
جميع ما انعم عليه في طاعة الله وجهاته فليس سواء من انفق في طاعة الله كمن لا ينفق شيئا احدهما يكون ضرب مثل
الاله الحق والمعبود الحق بالمعبود الباطل والثاني مثل المومن بالكافر ثم في الاية وجوه من الدلائل احدها ان
القدرة لا تفارق الفعل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه
جعل مقابل الفعل القدرة فلو كانت تفارق الفعل لكان ذكر مقابل القدرة قدرة مثلها او مقابل الفعل فعلا مثله
فلما ذكر مقابل القدرة الفعل دل انها لا تفارق الفعل وفيه ان العبد لا يملك حقيقة الملك حيث ذكر عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء وان قدر ما يملك انما يملك باذن من له الملك وكذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الاملاك انما حقيقة
الملك في الاشياء لله وان قدر ما يملكون انما يملكون بالاذن على قدر ما اذن لهم وفيه ان العبد لا يملك الانفاق
والتصدق حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق دل
انه لا يملك العبد الانفاق والهبة هل يستوون الحمد لله قال بعضهم ذكر الحمد على اثر ما ذكر لانه عرف
بسوله النعم وانواع المنافع ثم عرفه على اثر ذلك الحمد وقال بعضهم الحمد لله ثناء اخبار انه اكثرهم لا يعلمون حمد الله
وثناءه وقوله ومن رزقناه منا رزقا اي من اوليائنا او من اولياء ديننا وذلك جائز شائع في اللغة ثم قوله لا يعلمون
يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا او على حقيقة النفي لما لم ينظروا في الايات والحجج ولم يتاملوا فلم يعلموا
والله اعلم وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه الاية هو ايضا هذا المثل

الى اخره

كالاول يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في الاول احدهما المومن والكافر شبه الكافر بالمملوك الابكم الذي لا يقدر
على شيء وهو كل على مولاه لا ياتي المولى بخير ولا ينتفع به وشبه المومن بالذي يامر بالعدل في كل خير ونفع فيقول
هل استوى هذان عندكم لا يستوي فكيف ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئا من طاعة الله ولا ياتي
بخير والمومن الذي يعمل كل طاعة لله وياتي بكل خير ويامر بكل عدل والثاني ضرب مثل الاله المعبود الحق بالمعبود
الباطل يقول هل يستوي من الاكم بكل نعمة وكل خير ويامر بكل عدل بمن هو ابكم لا يقدر على شيء ولا يضر ولا ينفع
ولا يجيب وهو عيال على من يعبده ويخدمه هل يستوي هذان فكيف لا يستويان مثل الصنم ثم ان المثل بمن
ضرب بالذي لا ينطق بالحق ولا يامر بالعدل ذكر مقابل الابكم الذي يامر بالعدل وفي ذلك ان ضرب المثل الذي
لا يملك الانفاق بالذي يملك الانفاق وهو على صراط مستقيم اي هو على الحق المستقيم وهو
المعبود الحق قال ابو عوسجة الكل العيال وكذلك قال غيره من اهل الادب وقال بعضهم الكل الفقير وهو
واحد والابكم الاخرس الذي لا ينطق البتة وقال ومن يامر بالعدل التوحيد ولله غيب السموات

والارض هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكر اهل التاويل من السوال عن الساعة عن وقتها كقوله يسألونك عن الساعة
ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض كناية عليه اسمه لان كل
في تنزيل اجزاء لا يجليها لوقتها لو وقت فيها لما يعلمه عز وجل والثاني ولله علم ما غيب اهل السموات واهل الارض
اي ما غيب بعضهم عن بعض فذلك ليس بغيب عن الله بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك كله كالظاهر لمجرد واحد
وهو كقوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون والثالث قوله ولله غيب السموات والارض اي له علم ما في سرية من الاشيا
الظاهرة ما لا سبيل للخلق الى علم ذلك وان كانوا يعلمون من الاجسام والاشيا الظاهرة وتقع حواسهم عليها لا
يعلمون ما في سريتها من نحو المعنى الذي اجزاء جوهر كل شي له يدركون المعنى الذي به حيوة كل شي ونحو النطفة التي
يخلق منها الانسان لا يعلمون المعنى الذي به يصير انسانا ومن نحو السمع والبصر والعقل يعلمون ويرون ظواهر هذه
الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يسمع ويبصر وبه يعقل ونحوه بقوله ولله اعلم ولله علم ما غاب عن الخلق ما في
من الاشيا الظاهرة والاجسام المرئية او يقول ولله ملك ما غاب من اهل السموات واهل الارض وملك ما لم يغب عنهم
وظهر فيكون كقوله ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير كانه قال والله اعلم ولله العلم الذي غيب من اهل
السموات واهل الارض وهي الساعة لم يطلع عليها غيره — وما امر الساعة الا كلمح البصر قال بعضهم قوله وما امر الساعة
اي امر الساعة اهون على الله وايسر من لمح البصر او هو اقرب بل هو اقرب اي ايسر من لمح البصر قال الحسن اعادة
الخلق على الله ايسر واهون من لمح البصر لان لمح البصر نبصره بلحظ ما بين السما الى الارض وهي مسيرة خمسمائة عام
يقول من قدر ان يبعث في فلق من فلقة ما يكون بلمح البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على اعادة الخلق وجمعهم بعد الفنا
بل هو اقرب اي اعادتهم بامرهم اسرع واقرب من لمح البصر وهذا يذهب الحسن وقال بعضهم وما امر الساعة اي ما
وقت قيام الساعة الا كلمح البصر اي ليس بين وقت قيامها وبين كونها الا لمح البصر بل هو اقرب من لمح البصر لكنه مثل بلمح
البصر لما ليس شي عند الناس اسرع واهون من لمح البصر لما ذكرنا انه يلمح ولا يشعر به لسرعته ولخفته عليه فذكر هذا
على التمثيل ليس على ارادة حقيقة الوقت بقدر لمح البصر ولكن على المبالغة في السرعة وذكر اقصى ما يقع في الاوهام
ويتصور من نحو ما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما قال ما يملكون من قطمير ولا يظلمون
فتيلا ولا يظلمون نقيرا وامثاله كله يذكر على التمثيل ليس على التحقيق اي ما يعمل من قليل او كثير من شر كان
او خير وكذلك لا يظلمون فتيلا ونقيرا اي لا يظلمون شيئا وكذلك ما يملكون من قطمير اي لا يملكون شيئا لان القطمير
لا يملك فلما يذكر هذا وامثاله على التمثيل الذي ذكرنا او ان يكون تاويل قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اي
ليس ما بين الساعة وبينكم مما مضى من الوقت الا قدر لمح البصر اي لم يبق من وقت قيامها مما مضى الا ما ذكر من لمح البصر
او اقرب مما ذكر على الاستقصار وبين ان الله على كل شي قدير من البعث والاعادة وعلى كل شي لا يعجزه شي
وفي هذه الآية نقض على المعتزلة قولهم لانكارهم خلق افعال العباد لانه اخبر انه على كل شي قدير وعلى قولهم هو
غير قادر على افعال شي — والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا يذكر بهذا قدرته وسلطانه
على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم والحكمة التي جعل في البعث فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا خلق الولد في ظلمات ثلث وجعل غذاءه بغذاء الامهات ويتقلبون ثم تقلبه في تلك الظلمات
من حال الى حال والواجب على الخلق ان يعلموا اغتذاءه بغذاء الامهات وتقلبه من حال الى حال ومن جوهر الى
جوهر ما قدروا على ذلك فيه يعلم ان من قدر على هذا وعلم هذا في تلك الظلمات لقادر على البعث والاحيا
الخلق بعد الفنا وعلم ما غاب عن الخلق او يذكرنا ابتدا احوالنا انه اخرجنا من بطون امهاتنا حتى لا نعلم شيئا
ثم صيرنا بحال صرنا عالمين اشيا يذكرنا نعمه ومننه علينا في بلوغنا الى الاحوال التي صرنا اليها بعدما كنا ما ذكر
والثاني يذكرنا انكم كنتم بالحال التي ذكر ليعلم انه صيرنا في البطون بلا استعانة باحدنا ولا عون منا الى
احد والله اعلم — وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ان قدر على جعل السمع حتى يسمع الاصوات ويميزها

المراد الكبير الله

ويبصر ويميز بين الوان الاجسام والفؤاد ليفهم ويعقل ما له وما عليه ما لا يدركون بما به يسمعون ويبصرون ويعقلون وما
به يميزون بين ما ذكرنا فهو قدير على ان هذا اقتدر على ان الخلق بعد الفنا والاعادة بعد الموت ثم ذكر على اثر قوله
لا تعلمون شيئا السمع والبصر والافئدة فذلك يدل على ان هذه الاشيا من اسباب العلم بالاشيا بها يوصل الى العلم بالاشيا
ثم اعطى اسباب العلم بالشي فكان قد اعطي له العلم به والله اعلم — لعلكم تشكرون هو حرف شك في الظاهر ذكر
والله اعلم لانه لا يكاد الناس يشكرون نعمه اوجب ويلزمهم الشكر — الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن
الا الله اي من قدر على امساك الطير وهي اجسام كثيفة من الاجسام في الهوا بلا عماد من اسفل ولا تعلق بشي من الاعلى
لقادر على انشا الخلق واعادته بعد الفنا او يقول الم يروا الى اللطف الذي لاجله جعل في الطير والحكمة التي بها
حتى قدرت على الاستمساك في الهوا والطيران في الجو ما لو اجتمع الخلائق جميعا ان يدركوا ذلك اللطف او تلك الحكمة ما
قدروا على ادراكه وفي ذلك نقض قول المعتزلة لان الطيران فعل الطير ثم اضاف ذلك الى الله حيث قال ما يمسكهن الا الله
دل انه كان في ذلك له فعل وصنعا — ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون جميع ما ذكر يكون اية لمن امن لانه هو
المنتفع قال ابو عوسجة لمح البصر سرعة النظر وجو السما هواها وقال بطن السما ويقال جوف السما ويقال الجو ما
الطاهر من الارض والاول اشبه — والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ظاهر هذا انه قد جعل لنا من البيوت ايضا ما
ليس يكن لانه قال جعل لكم من بيوتكم سكنا وهو ما ذكر في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وهو المساجد والرباطات
ونحوها ويشبه ان يكون ذكر هذا البعض تعظيم منته وهو حيث جعل الارض محل يقرون عليها وتمكن لهم المقام بها بالرواسي التي ذكر
انه اثبت فيها بعد ما كانت تميد بهم ولا يقرون اجزاءه جعل فيها رواسي او ان يكون حرف من صلة اي جعل لكم بيوتا تسكنون
فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها تسكنون فيها او جعل
لكم بيوتا اي علمكم ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه اياكم ما تقدرون على بنا البيوت فيه يذكر منته عليكم والله اعلم
وفي هذه الايات في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام ونحوه دلالة نقض قول المعتزلة لانه ذكر
انه جعل بيوتا سكنا والكن فعل العباد ولان ذي فعلهم صنعا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا قال اهل التاويل جعل
لكم من جلود الانعام اي صوفها لكنه اضاف الى الجلود لان الجلود يخرج منها يعني يوخذ وبعض ذكر من اصوافها اي هو
صوف الغنم واوبارها هو صوف الابل واشعارها ما يخرج من المعز يوم ظعنكم في اليوم سفركم ومسيركم ويوم اقامتكم
قال بعضهم في الحضر وقال بعضهم في السفر في النزول والحل في هذا يحتمل الوجهين اللذين ذكرهما في قوله جعل لكم
من بيوتكم سكنا احدهما على التسخير لهم والثاني على التعليم ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من الوبر الكبير حيث قال
من بيوتكم سكنا ولم يذكر في البيوت المتخذة من الجلود والاوبار والاشعار فلانه ترك ذكر في هذا لذكره في الاول
او ذكر في الاول ذكر نفرجه وذكر في الثاني ذكر دلالته — اثاثا قيل الاثاث والمتاع واحد وهو المال وقيل
ما يتخذ من الثياب والانعم — ومتاعا الى حين يحتمل الى حين اجل وقت بلى ذلك الاثاث او الى حين وقت فنائهم
والله جعل لكم مما خلق ظلالا لا يحتمل قوله ظلالا البيوت التي ذكر وهي تظلهم وتحتمل الاشجار وجعل لكم من الجبال
اكنانا وهي الغيران والبيوت التي تتخذ في الجبال تقيهم من الحر والبرد وجعل لكم سرابيل قيل القمص والدروع ثم
ذكر ان ما ذكر من البيوت والاكنان والسرابيل تقيكم الحر وتقيكم باسكم ايضا باس العدو كذلك يتم نعمته عليكم
على ما ذكر من انواع النعم — وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ذكر انها تقي من الحر وهي تقي الحر والبرد جميعا لكن في
ذكر احدهما ذكر الاخر ذكر كفاية — كذلك يتم نعمته عليكم اي كذلك يتم ذكر نعمته عليكم ليلزمهم الاسلام او
يحتمل ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره ويحتمل الرسول — لعلكم تسلمون جميع ما ذكر من النعم والايات في هذه
السورة من اولها الى اخرها انما ذكر لهذا الحرف وهو قوله لعلكم تسلمون وما ذكر لعلكم تشكرون ولعلكم تهتدون
يحتمل ان تكون الحروف كلها واحدا ويحتمل ان يكون لكل حرف من ذلك معنى غير الاخر والله اعلم
فان تولوا عن الاجابة لك ودعائك اياهم اليه فانما عليك البلاغ المبين اي ليس عليك اجابتهم انما عليك التبليغ اليهم

واليان لهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها تحتمل النعمة ههنا ما كانوا يعرفونه لكتبهم انكروه كقوله يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وما ذكر محمد وصفته مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحتمل نعمة الله يعرفون نعمة الله وهو ما ذكر
عرفوها انها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم الاصنام وصرفهم شكرها الى غيره كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ونحو ما
يعرفون ان الله خالقهم وان ما لهم كله من عند الله ثم عبدوا من دونه الاصنام فيكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله
وقال ابو عوسجة يوم ظعنكم يقول يوم سيركم ظعن يظعن سار والسرابيل القمص تقيكم الحر تقول تقيكم اي تستركم وقال
القتبي ظلالا اي ظلال الشجر والجبال وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون هذا والله اعلم في قوم علم الله انهم
يسلمون بما ذكر لهم من انواع النعم والافضال ليعلم ان الاسلام من اعظم نعم الله لهم في لا اصلا نعمة وقال بعض
اهل التاويل سورة النحل سورة النعم لما ان من ذكر النعم وانواع منافع الخلق من اولها الى اخرها ويوم
نبعث من كل امة شهيدا قال بعضهم شهيدا ان يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة جوارحهم عليهم وهو قوله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وقوله يومئذ تحدث اخبارها ونحو ذلك من الايات التي فيها
ذكر انها تشهد عليهم اعمالهم التي عملوها وقال بعضهم شهيدا رسولا الذي بعث اليهم يشهد عليهم انه قد بلغ
اليهم رسالات ربهم وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير والنذير هو الرسول المبعوث اليهم وهو ما ذكر
الله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وكقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وقال وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اخبر انه جاء بمحمد شهيدا على اولئك ان الرسل قد بلغوا الرسالة
اليهم وهو ما ذكر فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل الاية وقوله ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين بتبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عما اجابوا الرسل الى هذا يذهب بعض اهل التاويل والله
اعلم جميع ما ذكر في القرآن من مجيء واتيانه ونحوه جائز ان يكون ذلك في البعث تغيير تلك كلها قوله يوم نبعث من
كل امة كذا ان تلك قوله وجاء ربك والملك وهل ينظرون الا ان ياتيهم الله وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
في البعث والله اعلم ثم لا يؤذن للذين كفروا وقال الحسن لا يؤذن لهم بالاعتذار لانه لا عذر لهم وهو
ما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون لانه لا عذر لهم واعتذارهم لا ينفع لهم شيئا اذا اعتذارهم
من كفر قولهم ربنا هؤلاء اضلونا وقولهم لولا انتم لكنا مؤمنين ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم لذلك
ولا هم يستعتبون قال الحسن ولا هم يقالون وكذلك قال في قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي من المقالين
اي لا يقالون عما كان منهم وقال بعضهم لا يؤذن لهم ولا يكون لهم من التوبة والرجوع عما كانوا فيه لان ذلك الوقت ليس هو
وقت التوبة والرجوع كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقال فلم يك ينفعهم ايمانهم ونحوه ولا هم
يستعتبون العتاب في الخلق هو تذكير ما كان من التفريط ليرجع عما كان منه وذلك في الاخرة لا يحتمل ويحتمل
قوله ثم لا يؤذن للذين كفروا اي لا يؤذن لهم بالكلام كقوله اخسؤوا فيها ولا تكلمون او لا يؤذن للشفعاء ان يشفعوا
للذين كفروا ولا يؤذن للشفعاء ان يشفعوا للكافرين واذا راى الذين ظلموا العذاب اي وقعوا فيه ولكن ليس
ما ذكر فلا يخفف عنهم دل هذا انه لم يرد به رؤية العذاب ولكن الوقوع فيه فلا يخفف عنهم لانه يزيدهم ولا تخفيف
مما هم من العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون من العذاب والثاني لا يخفف عنهم بما استحقوا واستوجبوا او ما
ذكرنا انه لا يكون لعذابهم انقطاع واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعو من دونك قال الحسن قوله شركاءهم اي قرناءهم واولياءهم من الشياطين كقوله احشروا الذين
ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وقيضنا لهم قرناء الاية وقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية وقوله وقال شركاؤهم قرناؤهم واولياؤهم الذين كانوا لهم في الدنيا
ثم شركاءهم الذي ذكر وقولهم هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك على هذا التاويل كنا ندعوك واياهم
من دونك فالقوا اليهم القول اي يقولون انكم لكاذبون وقال بعضهم قولهم هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من

دونك الاصنام التي عبدوها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي يكذبونهم وهو ما ذكر ان كنا عن عبادتكم لغافلين
يكذبونهم بما قالوا ويخبرون انهم كانوا غافلين عن عبادتهم وقال بعضهم شركاؤهم الملائكة الذين عبدوهم كقوله ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اخبروا انهم انما عبدوا الجن بامرهم ولم يعبدوهم او يكون شركاؤهم رؤساءهم الذين انقادوا اتباعهم لهم ويحتمل الاصنام
ما ذكر والله اعلم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون هو ما ذكرنا يقولون لهم انكم لكاذبون او يكذبونهم فيما يزعمون
ويطمعون والقوا الى الله يومئذ السلم اي يخضعون كلهم لله يومئذ ويخلصون له الدين ويسلمون له الامر
والربوبية وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم الاصنام والاوثان التي عبدوها من الشفاعة
وغيرها كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله بطل عنهم ما طمعوا بذلك من عبادة
اولئك من الشفاعة لهم والقربة الى الله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قال بعضهم هو لما كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب
الدائم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم وكقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واوزار الذين اضلوهم وصدهم عن الاسلام في ذلك
قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما اضلوا اتباعهم وهو ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه وهو قوله لهم بكفرهم وقال
بعضهم ان عذابهم كلما اراد ان يفتر بنضج الجلود زيدت لهم بتبديل الجلود وناره كلما ارادت ان تخمد زيد لهم سعيرا
كقوله بدلناهم جلودا غيرها وقوله كلما خبت زدناهم سعيرا فذلك هو الزيادة في العذاب ويحتمل غير هذا وهو ان عذاب
الكفر دائم ابدا فيزداد لهم عذابا بما كان لهم في الكفر سوى الكفر اعمال وفساد كما يعفى ويتجاوز عن المؤمنين بما كان منهم
من المساوي كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم ... بما كان يعفى عن المؤمنين من المساوي زيد لاهل الكفر على عذاب
الكفر لمساويهم وفي حرف ابن مسعود زدناهم عذابا ضعفا بما كانوا يفسدون واصله ان جزاء الاخرة من الثواب
والعذاب على المضاعفة لانه دائم لا انقطاع له وما ذكر من الزيادة والفوق وغيره على المضاعفة
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يحتمل قوله من انفسهم اي من البشر ويحتمل ما ذكرنا من شهادة الجوارح
عليهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء هو ما ذكرنا شهيدا لهم وعليهم بالتبليغ ويشهد لمن اجابه بالاجابة
والطاعة وعلى من رد وكذبه بالرد والتكذيب ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء يحتمل قوله تبيانا لكل شيء
ما ذكر في هذه السورة لانه ذكر فيها جميع اصناف النعم وجوامعها ووجوه الاسباب التي بها يوصل اليها وذكر فيها ما
سخر لهم من انواع الجواهر وفيه ذكر ما وعد واوعد وامر ونهى وذكر ما حل بالاعداء وما ظهر لاوليائه وفيه ذكر
سلطانه وقدرته وذكر سفه الكفرة وعنادهم وذكر ما يوجب ويتقى فذلك تبيان كل شيء او ان يكون في الكتاب
تبيان كل شيء وفي القران ما ذكرنا من الامر والنهي والوعد والوعيد واخبار الامم الماضية وامثالهم وجميع
ما يؤتى ويتقى ففيه تبيان كل شيء من الوجه الذي ذكرنا او ان يكون انزل عليه الكتاب تبيانا لكل ما دعا به الرسل
وجاءت به الرسل والكتب جميعا في هذا الكتاب جميع ما اتى به الرسل والكتب من الامر والنهي والوعد والوعيد كله
وهو ما تم اختلف في ذلك البيان قال بعضهم يحتمل الاية وجهين احدهما الخصوص على الاصول دون الفروع كذلك
الكمال للدين لان ذلك وصف الدين وقد يقع له الكمال بالكتاب والسنة وهذا الكتاب فلم يجز التقصير عن الاشتمال
على النزت الحاجة في امر الديانة ودلت ان الكتاب تبيان لكل ما وقعت اليه حاجة في اصول الدين من الايمان وانواع
العبادات والاحكام مع الخدمة والحقوق ومكارم الاخلاق التي تنتظم صلة الرحم وحقوق الاخوان وصحبة
الجيران ونحو ذلك فيشتمل من الجمل على اصول الدين وما فرائمها يجمع كل الى بيان الرسول ليبين الكتاب بما شرط
له ثلاث ومع وله والوجه الثاني ان يكون تبيانا لكل شيء نستنبط لما فيه حاله ومبهم ومشكل وليان الرسول حامه وتفسير
مبهمه وايضاحه ودلالته على مشكله وقال السنن كلها بيان للكتاب لارتباط بعضها ببعض ثم قد تحتمل الايات التي فيها

ذكر البيان والتفصيل وجوه في الوجه الذي ذكرتها احدها انه تبيان كل شي يحتاج فيه الشارع من اهل الاديان والمرتهم
الضرورة فيه الي البيان فجعل الله الكتاب تبيانا الزمهم التدبر والعلم بانه من عند الله بخروجه عما علم وسع القوم
من نوع ما ذكرته من الحجج والادلة وبما عجزوا عن الطمع في تاليف مثله ونظمه ليعرفوا ان الله قد اعانهم فيما يستتم الحاجة لما تهم
الضرورة اليه من يطلعهم على الحق فيما لو اهملوا عن ذلك لتولد منه العداوة والعتاب فانعم الله عليهم به وبين فيه جميع ما
بهم اليه من الحاجة لدوام الاخر والثاني ان يكون فيه تبيان كل شي بالطلب من عنده والبحث فيه والنظر به بكل
ما يرتبط بهم من الحاجات الي الابد فيكون هو اصل ذلك لكن باختلاف الاسباب يوصل الي حقيقة العلم به وذلك نحو
ما جعل الحاجة لكل شي بعد صعفات في السماء من جميع الخلق فاجراه اثر لهم من السماء الماء سه والرياش لكل شي
واجراه خلقنا من تراب ثم اجراه خلقنا جميعا من نفس واحدة على رجوع كل ما ذكر باختلاف الاسباب والتوالد
اليه والله اعلم وذلك كما قال اهل الكلام في جعل المحسوسات ادلة لكل غايب جعلها الله ادلة يوصل اليه بالتامل
والنظر فيكون المحسوس بينا من ذلك الا على اختلاف الدرجات في حد البيان مما قد جعل الله كذلك حتى
ان في الفلاسفة من تكلف استخراج كلية امور العالم العلوي والسفلي وما على ذلك مدار ما علم من هذا المحسوس
فتم امر القران والله الموفق والثالث ان يكون فيه بيان على الرمز والاشارة مرة وعلى الكشف ثانيا فما
كان منه على الرمز فهو مطلوب في المعاني وطريق الوصول الي ما في تلك المعاني من الامور مختلفة منها ما يتم بمعونة
الوحي من عز الكتاب على اختلاف وجوه الوحي من ارسال على لسان ملك او رؤيا او الهام او التامل في ذلك
او الاستدلال بما قد امنحه لعبد توفيق له للهمة في ذلك وعصمة عن الزيغ او على ما شاء من ترتيب الحكا في
حق النعام لعوامض الامور ادعى ذلك مما يريد الله ان يطلع عليه نبيه فان لطف رب العالمين بما عامل به الاخيار
يجل من احصا الصيارة عنه او تقصويح في الاوهام نحو كتابة الحفظة وقبض ملك الموت ارواح الخلق في وقت
واحد في اطراف الارض نحو ذلك وذلك كما هذا للطف الذي يعجز البشر عن الاحاطة فجعل ذلك امر تبيان كل
شي مما يحتمل الرجوع بتاويل الاية الي اغلب الامور واعمها كقوله وجعلنا من الماء كل شي حي ونحو ذلك فوق ان الايام
والامر عندنا انه ليس لبيان عدد يجب حفظ العدد عليه ذكر قوم انه على خمسة اوجه انما هو امران احدهما
ما يبين هو والثاني ما يبين به لكن الوجه التي بها يتم ما غاب عن الحواس بالبيان اصلح الواقع تحت الحواس
اذ البين الذي من حد حرم اول درجات البيان ومنع من نهم الجحود عنه انه الجحود وكيف كلا مونة خصوصة
ثم يفرق ما يبصر بالتامل على الوجوه التي جعلت للوصول اليه وان بعد او قرب بدليل كالمحسوس اذ التامل
في الاسباب هو سبب الوصول الي ما غاب كاستعمال الحواس فيما يشهد فمن اراد القطع على حد الشي يحتاج
الي دليل فيه واصل البيان حقيقته هو الظهور واسباب اظهار له شيا متفاوته وعلى ذلك معنا دبرنا من
الظهور وجملته ارتفاع السواتر عن القلوب وتجلي حقايق الامور لها على قدر العقول في الادراك وما
يجلي للقلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور   وهدى ورحمة بحسان يكون قوله تبيانا لكل شي
وقوله وهدى ورحمة كلها واحد الرحمة والهدى والبيان برحمته وهداه يتبين لهم ويتضح لكنهم قالوا البيان
للناس كافة يتبين ويتضح الامر عاندوا وكابروا الهدى والرحمة للمومنين خاصة على ما ذكر وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين ذلك للمسلمين خاصة والله اعلم   ان الله يامر بالعدل والاحسان الي اخر ما ذكر قال الحسن
قوله ان الله يامر بالعدل فيما بين الناس اي يامر الحكم فيما بينهم بالعدل والاحسان هو ما كلفهم بالطاعة له
او ان يكون الامر للاحسان الي انفسهم او الي الناس وجايز ان يكون الامر بالعدل فيما بينه وبين الله والاحسان
فيما بينه وبين الخلق اي يعامل ربه بالعدل لان العدل هو وضع الشي موضعه وهو لا يقدر على المجاوزة
عن العدل حتى يكون في حد الاحسان فيما بينه وبين ربه ويقدر ان يضم الي خلقه اكثر مما يصنعون لهم
اليه فيكون محسنا اليهم واما الي الله فلا يكون محسنا وايتاء ذي القربى اي اعطاء ذي القربى الصدقة هنا

من الزكوة المفروضة وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي هي المعاصي اي ينهى عن المعاصي كلها وقال ابو بكر الاصم يامر بالعدل
اي بالحق الذي له عليهم والاحسان هو ما تعبدهم من العبادات والطاعات التي جعل سبب عطف بعضهم على بعض
وايتاء ذي القربى صلة القرابة والارحام وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال ابن عباس ومقاتل وقتادة وهو لا
قوله يامر بالعدل بالتوحيد والاحسان اي اداء الفرايض وهو قول ابن عباس وقتادة وقال مقاتل قوله والاحسان
هو فيما بينهم حتى بعضهم الي بعض وايتاء ذي القربى صلة الارحام وينهى عن الفحشاء اي الزنا والمنكر اي الشرك والبغي
مظالم الناس وقال بعضهم المنكر ما لا يعرف في الشرايع والسنن وقيل المنكر ما وعد الله عليه النار والبغي قيل
الاستطالة والظلم ثم يجب ان يعرف حقيقة العدل ما هو فهو والله اعلم وضع كل شي موضعه فيدخل فيه كل شي التوحيد
وغيره يجعل الربوبية والالوهية لله لا يشرك فيها غيره ولا يصرف الي غيره ولا يضيف شيا من الربوبية والالوهية
لله والعبودية الي العباد ولا يضاف العبودية الي الله ولا الربوبية والالوهية الي العبد وذلك العدل وضع كل
شي موضعه الربوبية في موضعها والعبودية في موضعها هذا والله اعلم معنى العدل واما الاحسان فهو ما قال
صلى الله عليه وسلم ان جبريل سأله عن الاحسان حين ساله عن الايمان والاسلام فقال ما الاحسان فقال ان تعمل لله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن يعمل لاحد بحيث يراه وينظر اليه يكون ابدا طالب رضاه في ذلك العمل
واخلاصه له وطلب مرضاته فهو يحتمل وجهين احدهما اعني الاحسان احدهما ما ذكر انه يعمل له كانه يراه وذلك فيما بينه
وبين ربه والثاني فيما بينه وبين الخلق وهو ان يحب لاخيه لنفسه فيما اذن له في ذلك او ينتزع على الاملاك ويحب لهم
ما يحب لنفسه فان عورض بالحروب والقتال التي يشاد من اهل الحرب وذلك الذي لا يحب لانفسنا ونحب لهم قيل في
ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب الدايم الابدي وذلك مما يحب لانفسنا ان يسعى احد في نجاة
انفسنا من المهالك الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وليس في القتال في الظاهر رحمة لكن في الحقيقة رحمة
حيث جعلهم القتال على الاسلام اذ كان قبل نصب القتال والحروب منهم لم يسلم الا قليل منهم فلما نصب الحروب
معهم والقتال دخلوا في الاسلام افواجا افواجا فصار ذلك في الحقيقة رحمة وان كان في راي في راي العين في
الظاهر ليس برحمة وكذلك تكون المصايب والبلايا التي تحل بالخلق في الحقيقة نعم ورحمة ولذلك عدها وسماها
بعض الناس نعما لما تعقب من الثواب والنعم اذا صبر عليها وراى ذلك منه عدلا وصفا وراى حال الضرا والسرا
منه فهو يطيب نفسه في جميع الاحوال التي تصرف به من الشدة والضيق فاذا راى فيه لما تعقب من الجزاء النفع
في العاقبة فمن هذا الوجه يجوز ان يقال ذلك نعم ورحمة واما في ظاهر الحال فلا وذلك ان كل بلا ينزل باحد
فصبر عليه كان في ذلك خصال اربعة احدها تكفير ما كان ارتكب من المعاصي والثاني معرفة العبودية وملك غيره عليه
والثالث ما يعقب من الثواب والنعيم الدايم والرابع معرفة النعم من الشدة له في الشدة لمعرفة النعم واما الاحسان
الي نفسه وهو ان يحفظها عما فيه هلاكها   وينهى عن الفحشاء هو ما يكبر ويفحش من الشي والمنكر هو الشي الغريب
الذي لا يعرف الا ترى الي قول ابرهيم انكم قوم منكرون سماهم منكرين لما لم يعرفهم فالمنكر ما يتعامل من هو معروف
بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبا اذ لم يعرفوا بذلك فذلك منهم منكر والفحشاء ما يكون من اهل
الفساد والشرور وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم والبغي هو الظلم ويحتمل ان يكون هذا كله الفحشاء والمنكر
والبغي وكل واحد الفحشاء هو المنكر والفحشاء هو البغي والمنكر هو الفحشاء والبغي والله اعلم   يعظكم قال بعضهم
اي ينهاكم عما ذكر كله لعلكم تذكرون وتنتهون عنه وقال بعضهم الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتقربها
الي طاعة الله وقد ذكرنا   واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يحتمل امره
بوفاء العهود العهود التي يعطي بعضهم لبعض امرهم بوفاء ذلك ونهاهم عن نقضها ويلزمهم وفاء عهد الله
وان لم يعاهدوا في ذلك لكنه ذكر وفاء العهد اذا عاهدوا ونهى عن النقض لان ترك وفاء ما عاهدوا ونقض
ما اعطوا على ذلك شرطا اقبح واوحش مما لم يعاهدوا وهو كقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي

واتخذتم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ترك الوفا ونقضه بعد قولهم سمعنا واطعنا اوحش واخشن من نقضه اذا لم يكن بعهد
عهد سابق وشرط متقدم هذا والله اعلم ويحتمل قوله امر بوفا العهد اذا عاهد وان كان وفا العهد لازما لهم وان لم
يعاهدوا اذ جعل الله البشر بحيث يتحملون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام به
بذلك كقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها الايه اي في خلقتهم وبنيتهم
اي لم يجعل خلقة هذه الاشيا وبنيتها بحيث تحتمل ذلك وحملها الانسان اي خلقته وبنيته تحتمل ذلك والقيام بها
ويحتمل ان يكون العهد الذي امر بوفايه اذا عاهدوا هي الايمان التي يقسمون بها حيث قال ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها ذكر الايمان ونهى عن نقضها ثم لا يحتمل ان يكون النهي عن النقض في الايمان التي ياثم بها المرء اذا حلف
لانه نهى عن نقضها ولو كان ياثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لان الايمان التي ياثم المرء اذا احلف يومر بنقضها
ولا يومر بوفايها وحفظها ثم ذكر فيه بعد توكيدها ولم يبح نقض اليمين وان لم يوكدها اذ لم يكن في الوفا بها الا لكنه
ذكر التوكيد لان النقض بعد ذلك اقبح والحنث من النقض على عزم التوكيد على ما ذكرنا من القبح والحنث في نقض
العهود بعدما عاهد واذا قال بعضهم قوله بعد توكيدها هو حلفهم بالله لان مشركي العرب كانوا لا يقسمون بالله الا
ما يعظم من الامر وكذلك اخبر عنهم ولذلك قال بعض اهل التاويل في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم يقول
جهد ايمانهم هو قسمهم بالله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قيل كانوا يحلفون فيلزمهم على ذلك كفيلا عليهم
وقيل الكفيل هو الشهيد الحافظ وكذلك يوخذ الكفيل فيما يوخذ لحفظ المال والنفس ان الله يعلم
ما تفعلون من الوفا بما عاهدتم او النقض والله اعلم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة اختلف في تاويل الايه قال بعضهم الايه نزلت في محالفة
اهل الكفر بعضهم بعضا على ان يرث بعضهم بعضا وينصر ويعين بعضهم بعضا ويحلفون على ذلك ويقسمون وان
سكنوا الى ذلك في نصر بعضهم بعضا واعانة بعضهم بعضا ثم اذا راوا الكثرة والغلبة من غير الذين حالفوهم
نقضوا ذلك وقصدوا الى الذين معهم الكثرة والغلبة فنهوا عن ذلك وقال بعضهم الايه في الذين يكونون مع
رسول الله واصحابه لما علم انه يكون خوارج واهل اختلاف في الدين فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على
اهل العدل فيتركون اهل العدل ويابهم ان يتركوا بكثرتهم وغلبتهم الكون مع اهل العدل واعانتهم
ونقض ما عاهدوا ولذلك قال انما يبلوكم الله به فقال هذا يدل انه في اهل الاسلام وقال بعضهم الايه في اهل
النفاق انهم كانوا يقسمون بالله انهم ينصرون رسول الله واصحابه ويقولون انا معكم كقوله يحلفون بالله
انهم لمنكم وما هم منكم الايه كانوا يظهرون من انفسهم الموافقة لهم والنصر والعون لهم على اعدايهم ويحلفون على
ذلك ثم اذا راوا الكثرة مع الكفرة والغلبة وقلة المومنين تحولوا الى اوليك ونقضوا ايمانهم وكانوا معهم
كقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم الايه ويحتمل قوله
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمراة التي تنقض غزلها
من بعد قوة وجايز ان يكون عن هذا يتصل ولا تظنوا في الله انه يكون في ان الخلق كالمراة التي نقضت
غزلها من بعد قوة فلو لم يكن بعث لكان يكون في ان الخلق كالمراة التي نقضت غزلها من بعد قوة وقد
عرفتم قبح ذلك فعلى ذلك ان الخلق اذا لم يكن بعث يكون في العبث ما ذكرتم ضرب لهذا مثل من اعطى العهد
والمواثيق واكد الايمان في ذلك ثم نقض ذلك بامراة تغزل ثم تنقض ذلك الغزل من بعد قوة انكاثا
يقول والله اعلم كما لم تنتفع هذه المراة بغزلها اذا نقضته من بعد ابرامها اياه كذلك لا تنتفع ولا يوثق
بمن اعطى العهد ثم نقضه فعله فلا هي تركت الغزل تنتفع به ولا هي تركت القطن والكتان كما هو فكذلك
الذي يعطي العهد ثم ينقضه فلا هو صار عطاه وفا به ولا هو ترك العهد فلم يعط ونحوه ثم اختلف في تلك
المراة قال بعضهم هي امراة من قريش حمقا حمقا كانت اذا غزلت نقضته وقال بعضهم هذا على التمثيل

يقول والله اعلم اي لو سمعتم بامراة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما احمق هذه فهي مثل تلك من اعطى العهد
والميثاق ثم نقض بعد ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال ابو بكر الاصم الدخل الذي لا يصح ولا يستقيم فيقال
هذا مدخول اي غير صحيح وقال بعضهم دخلا اي ضريبة ومكرا وخديعة بعضكم بعضا وهو قول ابي عوسجة ايضا وقال القتبي
دخلا بينكم اي خيانة ودغلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة اي اغنى من امة وقال ابو عوسجة انكاثا هي جمع نكث والنكث من
الحبل خيوط تنكث ثم تغزل وتنقض صوفا ثم بعد ذلك تغزل وقال والمطرق قضيب يطرق به الصوف حتى ينتفش
ويلين كما يندف القطن يقال طرقت الصوف اطرقه طرقا اي ضربته ويقال نفشته انفشه نفشا اي فرقته فتفرق ومنه
قوله كالعهن المنفوش ويقال لحبل شي اذا كان ذا طاق فهو مثلوث ومربوع ومخموس ومسدوس ومسبوع ومثمون
ومتسوع ومعشور وقال القتبي الانكاث ما نقض من غزل الشعر وغيره واصله نكث يقول لا تؤكدوا على انفسكم
الايمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فتكونوا كامراة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك فجعلته انكاثا والله اعلم
ولو شا الله لجعلكم امة واحدة قال الحسن لو شا لسلبهم ما هم فيه الخير والشر اي لو شا لجبرهم وقهرهم
على الايمان فامنوا جميعا لكنه اراد الا يكون بالقهر والجبر ايمان لانه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر فيبطل
تاويله اذ لا يجوز ان يثبت ايمان في تلك الحال وقال ابو بكر يبين ولو شا لانزل لهم ايه حتى يومنوا جميعا كقوله الايه
كقوله ان نشا ننزل عليهم من السما ايه فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر انه لو انزل ايه يكونون لها خاضعين لكن عندنا
انهم ليسوا يومنون ويخضعون للايه ولكن يبان لهم ذلك ولا يحتمل ان يجعلهم الله على الايمان حتى ءاوا او ابوا الله
تركيا انهم يكونون يوم الكفر عند معاينتهم الايات وهو قوله يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاوكم
الى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اخبر انهم يكذبون وقد عاينوا الايات وليست الايه التي تنزل عليهم في الدنيا
باعظم من الايات التي يعاينونها يوم القيمة ثم لم يمنعهم ذلك من الكذب ولو ان الايه ليست تحملهم على الايمان
ولا تضطرهم عليه ولكن لو شا لامنوا بالاختيار فيبطل تاويله ثم الايه تحتمل عندنا وجهين احدهما قوله ولو شا الله
لجعلكم امة واحدة بظاهر السبب الذي ان اعطاهم لامنوا كلهم كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة الايه اخبر انه
لولا ما يرغب الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم والاصل سقف اهل الكفر ومعارجهم من فضة فلولا انه جعل ذلك
بعينه لاهل الاسلام وفي ايديهم لامنوا ايضا كلهم لانه لا يحتمل ان يكون ذلك في ايدي الكفرة فيحمل اهل الاسلام
على الكفر واذا كان ذلك بعينه لاهل الاسلام لا يحمل اهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الاسلام والوجه الثاني
لو شا لجعلهم امة واحدة بلطف منه يشرح صدورهم للاسلام من غير ان يعلم ان احدا اتقى ذلك في قلبه من نحو ما يمكن
للشيطان عدو الله حتى يقذف في قلوب الخلق ويلقي وساوس من غير ان يعلموا ان احدا دعا الى ذلك والقى
في قلوبهم الا ترى ان ابليس لما وسوس الى ادم لعنه الله وامره التي نهي عنها ربه لو علم انه ابليس لما اجابه وكذلك
ما كان للملائكة من تثبيت قلوب الذين امنوا والقا في قلوبهم والهامهم وهو كقوله اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم فثبتوا الذين امنوا من غير ان يعلموا ان احدا دعاهم الى ذلك والقى او صدر ذلك في قلوبهم من ملك
بتمكين عدو وملكه على ما ذكرنا يملك شرح الصدر للاسلام والدعا الى ذلك من غير ان يعلموا ان احدا دعا
ذلك ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا على قول الحسن على الحكم لذلك وقال الاصم يضل بالنهي
من نهيه ويهدي بالامر لكن هذا فاسد لانه لو كان النهي مضلا والامر هاديا لكان مضلا للانبيا والرسل
لانه قد نهاهم بما نهى فيكون مضلا لهم فان قيل لم يصر ما ذكرت لانهم لم يرتكبوا المناهي قيل الارتكاب فعلهم
فلا يحتمل ان يكون فعلهم ذلك فدل ان ما ذكرنا فاسد وعلى قولهم يكون بالنهي عاصيا مضلا وعندنا قوله
يضل من يشا اي يخلق فعل الضلال منهم ويضل من علم انه يختار الضلال على الهدى ويخذلهم ولتسالن
عما كنتم تعملون بموطا منه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم قد ذكرنا ذلك فتزل قدم
بعد ثبوتها قال ابو بكر ولقوله فتزل قدم بعد ثبوتها ان الايات التي تقدم ذكرها في اهل الاسلام لانه اخبر

انه تزل قدم بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الاسلام وعندنا ما ذكرنا ان قوله فتزل قدم بعد ثبوتها اي بعد ما كانوا امنين
لانهم بايمانهم كانوا امنون وبنقضهم العهد والايمان يخافون فيكون قوله فتزل قدم كناية من الخوف والثبوت
كناية من الامن اي صاروا خائفين بنقضهم العهود والايمان بعد ما كانوا امنين بها والله اعلم وتذوقوا
السوء بما صددتم عن سبيل الله على هذا التاويل يذوقون ذلك في الدنيا بالقتل والقهر ويحتمل في الاخرة بما
صدوا الناس عن دين الله واستبدلوا به الكفر بعد الايمان ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله
ثمنا قليلا قال بعضهم عهد الله دين الله وقال بعضهم عهد الله الذي عهد اليهم ويحتمل عهد الله ما اعطوا من
العهد والايمان اي لا تنقضوا لشيء يسير انما عند الله هو خير لكم لانه دائم باق وهذا زائل فان او ما يجزي بوفا
ما عهدوا خير لكم من هذا اي ما يجزيكم بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من غيره والله اعلم ما عندكم ينفد
وما عند الله باق اي ما اخذتم من الاموال واكتسبتم بنقض العهد والايمان ينفد ويفنى وما عند الله من
الجزاء والثواب بوفاء العهد باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم يحتمل قوله صبروا على ما امروا ونهوا عنه
وصبروا على وفاء العهد باحسن ما كانوا يعملون يحتمل قوله باحسن اي الجزاء الذي يجزيهم على الصبر احسن من وفاء
العهد او يجزيهم باحسن ما عملوا اي يحمل سيئاتهم حسنات كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله
اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم من عمل صالحا من ذكر او انثى
او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة اختلف اهل التاويل في قوله فلنحيينه حيوة طيبة قال بعضهم قوله
حيوة طيبة في الارض وهي الجنة وقال بعضهم طيبة في الدنيا لمن قال الحيوة الطيبة هي الجنة في الاخرة
يكون تاويله من يعمل في الدنيا صالحا فلنحيينه الله في الارض حيوة طيبة والظاهر قوله من عمل صالحا
انه هو على عمل واحد وكذلك قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة ظاهره على حسنة واحدة لكن الوصف فيه ما ذكرنا
من يعمل في الدنيا صالحا تشتغل ما ذكر وقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة اي ما تؤتينا في الدنيا انما حسنة
او ان يكون على الختم به اي من ختم بالعمل الصالح يحييه الله حيوة طيبة في الجنة كنفطه من جا بالحسنة فله كذا
وقال الحسن الحيوة الطيبة هي الجنة لان في الدنيا ما ينغص حيوته وقال بعضهم الحيوة الطيبة في الدنيا
ثم وما من يكن الله وجعل في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة اي نوفقه وتيسير للخيرات والعمل
الصالح والطاعات وهو ما روي انه قال كل ميسر لما خلق له ويحقق ذلك فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وكقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية وكرع ذلك هو الحيوة الطيبة
في الدنيا حيث يسر عليه العمل الصالح ووفق للطاعات والخيرات وقال بعضهم قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى
اي قنع في الدنيا بما قسم الله له من رزقه من تعب فلنحيينه حيوة طيبة لما ازال عنه هم طلب الفضل وغمه وذلك
حرصه عليه لان اكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا به فلو يحيي حيوة طيبة
لما فعم من ذلك والله اعلم ولنجزينهم اجرهم اي في الاخرة باحسن ما كانوا يعملون على تاويل
من قال الحيوة الطيبة في الدنيا وقال بعضهم وهو قول ابي بكر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون في
الدنيا ما ذكر هو الا وقال بعضهم حيوة طيبة الرزق الحلال وقوله باحسن ما كانوا يعملون قد ذكرنا
فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في اية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية ففيه ان
نتعوذ من همزاته على امر رسوله او عند نزغ الشيطان على ما ذكر لكنا اذا تعوذ منه تعوذ من همزاته
ونزغاته فان قيل كيف خص قراة القران بالتعوذ منه دون غيره من الاذكار والعبادات والاعمال
الصالحة قيل قد يتعوذ منه في غيره الفاتحة الصلوات والاذكار بقولهم بسم الله اذ لا يفتتح شي الا به
لذلك تعوذهم منه لكن التعوذ في هذا التعوذ كناية والتعوذ في قراة القران بالتصريح وذلك انه حجة

وبرهان فطعن الاعداء فيما هو حجة في نفسه اكثر من الافعال التي فعلها الاتري انه كان يلقنهم اعني الشيطان اوليا
انه سحر وانه اساطير الاولين وانه انما يعلمه بشر ونحو ذلك وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم كانوا
يطلبون الطعن في القران لانه حجة وبرهان ولم يشتغلوا في طعن فعل من الافعال او ذكر من الاذكار فيحتمل ذلك
يجوز ان يكون التعوذ منه فيما هو حجة بالتصريح وفي غيره بكناية والله اعلم ثم في ظاهر الاية دليل جواز من قوله اذا قمتم
الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله واذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يفهم اهلها على
ظاهر المخرج ولكن فهموا على مخرج الحكمة لان ظاهر المخرج ان يفهم التعوذ بعد قراءة القران وكذلك يفهم من
الامر بالقيام الى الصلوة الوضوء بعد القيام اليه ثم لم يفهموا انه هذا ونحو هذا ولكن فهموا اذا اردت قراءة
القران فاستعذ بالله وكذلك فهموا من قوله اذا قمتم اي اذا اردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا كذا ولم يفهموا
كل قيام انما فهموا قياما دون قيام اي اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون وفهموا من قوله فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وفهموا من قوله فاذا طعمتم فانتشروا وكذلك فهموا من قوله فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله الفراغ فيها ولان الخطاب لا يوجب المراد والفهم على ظاهر المخرج ولكن على مخرج الحكمة والمعنى
واصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده انه ليس له سلطان على الذين امنوا
قال بعضهم ليس له سبيل على الذين امنوا وقال بعضهم السلطان الحجة اي ليس له حجة على الذين امنوا وقال بعضهم
اي ليس له ملك على الذين امنوا ملك القهر والغلبة انما ملكه على الذين يتولونه لكن ليس له ملك القهر على الذين يتولونه
ايضا انما يتبعونه ويطيعونه باشارات منه طوعا فدل ان تاويل الملك لا يصح في السلطان ويكون تاويله
السبيل او الحجة يحتمل قوله ليس له سلطان على الذين امنوا بالقران لانه ذكر على اثر ذكر القران ويحتمل الذين
امنوا بربهم فهما واحد في الحاصل انما سلطانه حجة او سبيله على الذين يتخذونه وليا فيطيعونه في كل امره وجميع
اشاراته وما يلقي اليهم واصله ليس له سلطان على الذين امنوا بربهم وعلى ربهم يتوكلون في جميع احوالهم واسبابهم
اي له سلطان لدولة وسبيل على من امن به وتوكل عليه والذين هم به مشركون يحتمل قوله به مشركون
ابليس يتبعونه ويعبدونه بربهم ويحتمل به مشركون بربهم والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الامر اليه في كل حال
في حال السراء والضراء في وقت الضيق والسعة فذلك التوكل به واذا بدلنا اية مكان اية الاية
يحتمل وجهين احدهما قال اهل التاويل على النسخ ان يبدل اية مكان اية وهو على تبديل حكم اية بحكم اية اخرى
لا على رفع عينها والثاني قوله واذا بدلنا اية مكان اية اي بدلنا وجددنا حجة بعد حجة واية بعد اية لرسالته
قالوا انما انت مفتر كلما اتاهم حجة على اثر حجة واية بعد اية ويقولون انما انت مفتر ينسبون اليه الافتراء انه
هو افتراه وكذلك كان عادتهم المعاندين والمكابرين كقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
معرضين وكقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ونحو من الايات فكلما اتيتهم
حجة واية بعد اية كانوا يستقبلونه بالتكذيب لها ونسبه نبيهم صلى الله عليه وسلم الى الافتراء من نفسه ويزداد لهم بذلك كفرا
وطغيانا واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر انه كان يزداد لاهل الايمان بما ينزل
عليهم من سورة ايمانا ويزداد لاهل الشرك رجسا وكفرا الى كفرهم مثل هذا والله اعلم ولو كان يحتمل ان يكون
حرفا ذا امكان لو لهما اقرب ويكون تاويله ولو انزلنا حجة بعد حجة واية على اثر اية حتى ما امنوا كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله ولو ان قرانا سيرت به
الجبال الاية اي لو ان هذا القران قران سيرت به الجبال او كلم به الموتى ما امنوا به لعنادهم فيما ذلك
الاول وهو ويحتمل قوله واذا بدلنا اية مكان اية اي اذا بدلنا اية بالسؤال مكان اية قالوا انما انت مفتر
والله اعلم بما ينزل من تثبيت قلوب الذين امنوا كقوله ليثبت الذين امنوا او ان يكون والله اعلم بما ينزل جبريل

على رسوله جوابا لقولهم انما انت مفتر وكشفا له قل نزله روح القدس من ربك بالحق اي ليس بمفترى ولكن نزله
جبريل من ربه قل نزله روح القدس من ربك بالحق يحتمل قوله اي بالحق الذي لله عليهم او بالحق الذي
لبعضهم على بعض والحق في الاقوال هو الصدق وفي الافعال صواب ورشد وفي الاحكام عدل واصابة
والحق هو الشيء الذي يحمد عليه فاعله ليثبت الذين آمنوا فسره غيره قوله فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا لانه اخبر انه انزله ليثبت الذين آمنوا فما ذكر من زيادة الايمان لتثبيت الذين ذكر ههنا قوله فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا وذكر قوله انما انت مفتر يقابل قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم
ليعلم ان الزيادة التي ذكر في سورة التوبة هي ما ذكر ههنا من التثبيت والطمأنينة ونحوه وهدى
وبشرى للمسلمين اي هدى من الجهالات والشبهات التي كانت تعترض لهم او من الضلالة وبشرى للمسلمين وقال في
آية اخرى وهدى ورحمة للمؤمنين ليعلم ان الايمان والاسلام واحد ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
بشر هم لم يقولوا انما يعلمه بشر ولكن كانوا ينقصون واحدا لكنه اخبر الله على ذكر البشر الا ترى
انه اخبر ان لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ولا ان البشر الذي اخبر عنهم انهم يقولون انما يعلمه
كان معلوما مشارا اليه حيث قال لسان هذا اعجمي ولسان النبي عربي فكيف فهم هذا عن هذا او هذا من هذا
وقال اهل التأويل ان هذا قال اهل التأويل انه كان يجلس الى غلام نصراني لكذا وهو يقرأ التوراة
فيستمع الى قراءته وكان يعلمه الاسلام حتى اسلم فعند ذلك قالت له قريش انما يعلمه بشر ولو كان ما ذكروا
انه كان يعلمه الاسلام فاسلم فلقائل ان يقول كيف اتهم ذلك الرجل منه لا ان رسول الله ولا انه يعلمه
لما اخبر ان يحتمل ان يكون ذلك في القرآن حيث قالوا انما انت مفتر يقولون انما يعلمه بشر فيقول رسول الله
انه كيف علم هذا القرآن وهو لا يفهم من لسانه الا اليسير فانتم لسانكم عربي لا تقدرون ان تأتوا بمثله ولا
بسورة من مثله ولا باية منه فكيف قدر عليه من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك اخرج ذلك على الاحتجاج
عليهم ويهدف في قولهم ظاهر التناقض لانهم قالوا انما انت مفتر ثم قالوا انما يعلمه بشر فالذي علمه غيره
ليس بمفتري انما يكون الافتراء من ذات نفسه فهو ظاهر التناقض عربي مبين يحتمل مبين حلالهم وما عليهم
او مبين الحقوق التي لله عليهم ولبعضهم على بعض او مبين اي بين انه من عند الله نزل ليس بمفترى وبين الله به
ترد على ابن طبه قولهم لانهم يقولون ان رسول الله هو الذي الف هذا القرآن ولم ينزل الله عليه بهذا
الله فلو كان على ما ذكر والا كان له ولسائر ان يأتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الافترا ونحوه
يلحدون اليه قال بعضهم يميلون اليه هو قول ابي عوسجة والقتبي لا الالحاد ميل ولذلك سمي الملحد ملحدا
لميله الى ناحية الفساد وقال الكسائي من الركون اليه اي يركنون ان الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا يهديهم الله قال الحسن انه والله من كذب بآيات الله فهو ليس بمهتد عند الله وقال ابو بكر لا يهديهم الله ثم
يكذبهم الآيات لانه كل ضلال على [illegible] يشكل ويخفى ان من كذب بآيات الله فهو غير مهتد ومن يخفى هذا وقول
ابي بكر ايضا من نحو ان من كذب باياته انه يهديه هذا فاسد ضلال كلا والاصل عندنا قوله ان الذين لا
يؤمنون بآيات الله لعنادهم ومكابرتهم لانهم كانوا يعاندون آيات الله ويكابرونها ويكذبونها مع علمهم
انها آيات وانها حق او قال ذلك لقوم علم انهم لا يؤمنون ويموتون عليه فمن علم انه لا يؤمن لا يهديه
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها واولئك هم الكاذبون
هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان قوله من كفر بالله من بعد
ايمانه يحتمل وجهين حيث ذكر من كفر بالله احدهما كفر بالله في زعم الحكم لانه لكن [illegible] في زعمه كافرا بالله لمن
لطلبه ذلك منه وهو كقوله فراغ الى آلهتهم في زعمهم لانهم لم يكونوا آلهة وكقوله وانظر الى الهك
سماه الها لانه في زعمه الا ان من كفر بالله من شرح صدره بالكفر هو الكافر به واما من اظهر الكفر

بلسانه بالاكراه وقلبه معتقد بالايمان على ما كان مطمئنا به فهو ليس بكافر والاصل ان من اعتقد مذهبا ودينا انه يعتقد
لخصال ثلاثة احدها يتعلم او لما راه الحق واحد واعلم انه هو الحق فلم ذلك فيقبل لعقل بمن وعلم فيه دراية والثاني
يعتقد للشبه لما يتراأى عنده انه الحق فيعتقد لذلك للشبهة التي ذكرنا والثالث يعتقد لما يتضح له الحق فيعتقد
لهذه الوجوه الثلاثة يعتقد ويعتقد دينا او مذهبا فاما ان يعتقد الانسان مذهبا حقا على الجبران فلا فاذا كان
الامر كذلك بالاكراه من اكره لم يصر كافرا واصلان الايمان والكفر انما يكونان بالاختيار فالاكراه يزيل الاختيار
اختيار الكفر لذلك كان يبقى على الايمان على ما كان لانه لم يوجد منه اختيار الكفر ثم يقبل اليه امرنا ان تقاتل اهل
الكفر ليسلموا او نحمل الاسلام بالاكراه وعليه نطق الكتاب وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وقال صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم اذا اسلم لخوف السيف كان اسلامه اسلاما في الظاهر ما منع كذلك انه
اذا اكره على الكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه كفره كفرا في الظاهر فيحكم بحكمه كما حكم في الاسلام على الاكراه وفي الفرق
بين ذلك كذلك كان يجري الا ان الله تعالى عفا عباده عن ذلك فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهروا ابدلهم كلام
الكفر بعد ان تكون قلوبهم مطمئنة بذلك فضلا منه ونحوه الا القياس ان يحكم بحكم الكفر اذا تكلم بكلام الكفر واما الطلاق
والعتاق والنكاح ونحوه فهو ظاهر على المتكلم به عامل واقع ولان الطلاق والعتاق ونحوهما مما يتعلق بالكلام نفسه
لا يجوز ان اكره على ذلك فهو مختار للتكلم به قاصد لانه يمكنه ان يتكلم لا [illegible] ذكرنا فصد على ذلك
انه على الاختيار يتكلم واما البيع والشراء ونحوه لم يتعلق بالكلام نفسه اذ قد يكون بالعقد والتسليم دون التكلم به لذلك
عمل الاكراه في ابطاله فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهروا كلام الكفر بعد ان يكون قلبه مطمئنا بذلك دل على
ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال عفوت عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وفيه في الكفر
ليس في عين له لا الاكراه على الكفر كان ظاهرا ولم يكن في شيء من طلاق ونحوه واما قتالنا اياهم ليسلموا فهو
يحتمل وجوها احدها على المجازاة كقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يقاتلهم ليظهروا الاسلام وان لم
يكن حقيقة على المجازاة والثاني قبلنا منهم الاسلام على الاكراه ليرغبهم فيما بين المسلمين يرون الاسلام ويعلمون
منهم حقيقة الا ترى انه قال اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات سماهن مؤمنات ثم امرنا بامتحانهن بقوله فامتحنوهن
فانما يمتحن ليظهر حقيقة ايمانهن والا لم يكن للامتحان معنى لولا ذلك والاصل ان الله جعل حقيقة الايمان والكفر بالقلب دون
اللسان وغيره من الجوارح لانه يجري من الجوارح يجوز استعمالها بالاكراه واما القلب فلا يملك احد سواه استعماله
ولذلك قال ولكن من شرح بالكفر صدرا ومن شرح صدره بالكفر فهو كافر به وان كان ذلك على الاكراه ولا ذكرنا
انه باختيار الكفر ينشرح له الصدر لانه لا يعمل الاكراه على القلب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم لانهم
ذلك بانهم اي تلك الغضب والعذاب بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة يحتمل وجهين احدهما استحبوا
الحياة الدنيا على الآخرة جحودا وانكارا لا لانه يستحب قد يكون من المؤمن فلا يزيل منه اسم الايمان
كقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الى قوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فلم يزل عنهم اسم
الايمان باختيارهم واستحبابهم الحياة الدنيا دل ان الفعل على الجحود والانكار وهذا على الميل اليه
دون الجحود وان يكون لذلك لما لم يروا الآخرة كائنة لا محالة ولكن ظنوا ظنون العلماء كانه كقولهم ان نظن الا ظنا
وما نحن بمستيقنين واما اهل الاسلام فانهم لم يكونوا ظانين ولكن متحققين مستيقنين فاستحبوا ذلك
وان الله لا يهدي القوم الكافرين وقت اختيارهم الكفر او ان الله لا يهدي القوم المختارين
للكفر على الايمان او قال ذلك لقوم علم الله انهم يختارون الكفر او انهم يموتون على الكفر فلا يهديهم
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم الطبع هو التغطية تغطي ظلمة الكفر نور القلب والسمع ونور
البصر كان لكل واحد نورين وللبصر نور ظاهر وباطن يبصر بهما جميعا فاذا ذهب احدهما او عمي صار لا يبصر كمن
يبصر بنور الظاهر انما يبصر بنور بصره ونور الهوا فاذا دخل في احدهما افة ذهب لا ينتفع وصار لا يبصر شيئا

فبع ذلك القلب لا يبصر شيئا وبصر ظاهر الذي هو صرف فاما يبصر بهما فاذا غطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا
الا ترى انه قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اخبر ان الابصار الظاهرة لم تعم ولكن عميت
القلوب التي في الصدور وهذا يدل على ما ذكرنا وهذا اولى والله اعلم بمعنى طبع السمع والبصر   واولئك هم
الغافلون يحتمل غافلون عن النظر في اياته وحججه ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم ايات الله وحججه والله
اعلم   لا جرم قد ذكرنا ما قيل فيه لا بد وحقا وقيل هو حرف وعيد لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
قال الحسن انهم والله خسروا الجنة ودرجاتها وخسروا الاسلام ومنازلهم الذي كان لهم في الجنة بصيرانهم ايضا انفسهم حيث
قذفوها في النار وقال ابو بكر الاصم خسروا النعم الدائمة الباقية بلذائذ الفانية وخسروا انفسهم حيث قتلوا
واسروا في الدنيا والله اعلم   ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قيل هذا في اهل الايمان بمكة
ثم جاهدوا مع النبي واصحابه عدوهم وصبروا على ذلك ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة لغفور لما
كان منهم رحيم ذكر مرتين احدهما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا ثم قال ان ربك من بعدها فيحتمل ان يكتفي بواحد بقوله
لغفور رحيم موصولا بقوله للذين فعلوا ما ذكر لكنه ذكر مرتين والله اعلم انه فعل بهم يعني لهولاء الذين فتنوا وعذبوا
وليعزيهم ذكر اهل التاويل ان اناسا من المؤمنين خرجوا الى المدينة فادركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم فمنهم
من قتل ومنهم من نجا فانزل الله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية ومنهم من يقول ايضا فيهم نزل قوله الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية واكثرهم قالوا ان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان انما نزلت في عمار بن ياسر وليس لنا الى ذلك حاجة انما الحاجة في ذكر نامر الحكم فيه والحكمة والله اعلم
يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها قال الحسن تجادل اي تحتج عن نفسها بما عملت من خير او شر وقال
ابو بكر الاصم ان كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائره في عنقه ولكن ليس فيما ذكر هو لا يجادل المجادلة
المخاصمة كانها تخاصم عن نفسها من ارتكاب اشياء وعوى اشياء على ما ذكر في غير اية في قوله ثم لم تكن فتنتهم
وقال بعضهم ان جهنم تزفر زفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقد جثا بركبتيه خوفا منها فعند ذلك
تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها ويشبه ان يكون مجادلتهم على غير هذا وهو ما ذكر شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فتلك مجادلتهم انفسهم وكقوله ثم لم تكن فتنتهم وكقوله
ما ذكر في النار فيقول يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية ونحو ذلك مجادلتهم انفسهم وان يقال تجادل لكن لا
يفسر ما تلك المجادلة لان الله تعالى في ذكر المجادلة ولم يذكر ما تلك المجادلة   وتوفى كل نفس ما عملت اي توفى
كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزداد على سياتهم وهذه الاية على المعتزلة
لانهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه توفى كل نفس ما عملت فاذا لها توفى ما عملت من سوء ولا
توفى ما عملت من الخيرات والطاعات   وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة اختلف في ضرب
المثل بهذه الاية وفيمن ضرب قال بعضهم ضرب المثل لاهل مكة وفيهم ترك بقريات نزل بهم العذاب بتكذيبهم
رسلهم في بني اسرائيل يحذر اهل مكة بتكذيبهم رسول الله نزول العذاب بهم كما نزل باوائلهم وقال بعضهم ضرب
المثل باوائلهم لاهل المدينة وفيهم نزل بالمدينة يحذر اهل المدينة لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اهل مكة فيحل بهم كما
حل باهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب وقوله قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل
مكان قيل هي مكة وهكذا كانت مكة اهلها كانوا امنين من جوع وشر مطمئنين ياتيهم رزقهم من كل مكان
ويحتمل قرية اخرى غيرها كانوا على ما ذكر   فكفرت بانعم الله اي كفرت بان شكر انعم الله اي لم يشكروها
ليس انهم لم يروها من الله تعالى   فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اللباس هو ما يستر وجمع الجواهر
الا ترى انه سمى الليل لباسا لانه يستر وجمع الاشياء فيحتمل ذلك الجوع يرفع الستر واللباس الذي كان في الجوع
لان الجوع اذا اشتد غير وجه صاحبه ورفع ستره او الجوع ما ذكر انه اصاب جوع حتى اكلوا الكلاب والجيف

كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم الاية

والعظام المحرقة والخوف ما ذكر انه بعث رسول الله اليهم السرايا فكان يغير بالرعب مسيرة شهرين وقيل الخوف القتل
وقوله رغدا اي واسعا كل ما رغد الرجل اذا اصاب مالا او عيشا رغيدا هنيئا وكذا قال القتبي رغدا اي كثيرا واسعا
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قوله رسول منهم اي من انفسهم من نسبهم وحسبهم يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون بالتكذيب حيث وضعوا الشيء في غير موضعه او ظالمون على
انفسهم اجراه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم لانه اذا كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم الاية من غير الاية ولا الحجة من
الشبهة لانه اذا خرج على غير المعتاد والطرق عرفوا انه اية وانه حجة اذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطرق
ويعرفون ذلك من جوهرهم وكذلك يعرفون صدق من نشا بين اظهرهم ولا يعرفون اذا كان من غيرهم   فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا قال بعضهم الحلال والطيب واحد وهو الحلال كانه قال كلوا ما احل لكم كقوله فانكحوا ما طاب لكم اي ما
حل لكم وقال بعضهم الحلال الطيب اي حلالا يطيب لكم ما تتلذذون به لا انه الحلال ما تتلذذ به النفس ولا تستطيب
بل تكره وقوله تستطيب لها انفسكم وتتلذذ به لا ما تتجنب به لان الله جعل غذاء البشر ما هو طيب والذي جعل للبهائم والانعام
ما هو اخبث وادنى لان ما هو اطيب ادعى للشكر له ويحتمل ان يكون قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا لا تبعة عليكم
فيه الاية دلالة انه قد يرزق ما يخبث ولا يحل على ما يختار حيث شرط فيه الحلال   واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه
تعبدون الشكر له عليهم لازم وان لم يعبدوا وهو كقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين طاعته وطاعة رسوله
واجبة وان لم يكونوا مؤمنين او يكون وهو ان شكر نعمة الله ان كنتم عابدين له بجهة اي افعلوا العبادة له وان كرهتم الاحوال
كلها   انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير اي حرم اكل الميتة وما ذكر كانه قال هذا وذكر على اثر
تحريمهم اشياء احلها لهم مع حرموا على انفسهم اشياء احلها لهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة ونحو ذلك فقال
لم يحرم ذلك ولكن انما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ولكن يجوز ان يخرج تاويله واما على الابتداء فانه
يبعد والله اعلم   فمن اضطر الى ما ذكر من المحرمات غير باغ على ما نهي عنه وهو الشبع كقوله فمن اضطر في
مخمصة غير متجانف لاثم ولا عاد اليه وقال بعضهم غير باغ يستحل في دينه ولا عاد ولا متعد في اكله وقال بعضهم غير
باغ على المسلمين مفارق لجماعتهم مشاق لهم ولا عاد عليهم بسيفه وقد ذكرنا هذا فيما تقدم واما ويل هو لما ذكرنا ويل له
عندنا غير باغ سوى وهو الا ما لك عن نفسه ولا عاد متعد وهو من اضطرار ولا يحتمل ما قال بعض الناس غير
باغ على الناس ولا متعد عليهم لوجهين احدهما انه لا يحتمل السيف على الناس في حال الاضطرار لانه لا يقدر عليه والحال
ما ذكر والثاني انه وان كان باغيا على ما ذكر والم يبح له التناول من الميتة يكون باغيا على نفسه لانه ان لم
يتناول هلكت نفسه فيصير باغيا على نفسه فدل انه على ما ذكرنا   ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام كانه اي لا تقولوا لما وصفت السنتكم من الكذب هذا حلال وهذا حرام او ان لا
تقولوا الكذب التي تصف السنتكم هذا حلال وهذا حرام وعن ابن عباس قال لا تقولوا لما احللتموه هذا حلال
ولما حرمتموه هذا حرام وهو كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية وفي هذه الاية دلالة ان لا يسع لاحد
ان يقول هذا ما احله الله وهذا ما حرمه الله الا باذن من الله ومن يقول بان الاشياء في الاصل على الاباحة
او على الحظر فهو مفتر بذلك على الله الكذب لان الله لم ياذن له ان يقول ذلك بل نهاه عن ذلك بما ذكرنا والله اعلم
لتفتروا على الله الكذب اي تكونون مفترين على الله الكذب اذا قلتم ذا فان قيل كيف سماهم
مفترين على الله بتسميتهم الحرام حلالا والحلال حراما قيل لان التحليل والتحريم الامر والنهي ربوبية فاذا
حرموا شيئا احله الله او حللوا شيئا حرمه الله فكانهم على الله افتروا انه حرم واحل او حرموا هم او احلوا فاضافوا
ذلك الى الله انه هو الذي حرم او احل فقد افتروا على الله لان من احل شيئا حرمه الله او حرم شيئا احله الله فقد
كفر وليس من انتفع بالمحرم او ترك الانتفاع بالمحلل كفرا انما يصير آثما مجرما وكذلك تارك الامر ومرتكب النهي
ان الذين يفترون على الله الكذب في تحليل ما حرم عليهم وفي تحريم ما احل وقولهم والله امرنا بها

لا يفلحون اي لا يفلحون وهم مفترون على الله واما اذا انتزعوا عن الافترا وتابوا افلحوا او لا يفلحون في
الاخرة اذا كانوا مفترين على الله في الدنيا ثم قوله متاع قليل على الابتدا وانما سمي قليلا والله اعلم لوجوه
احدها ان متاع الدنيا على الزوال والانقطاع فكل ما كان على شرف الزوال والانقطاع فهو قليل كما قيل كل
آت قريب لما ياتي لا محالة فعلى ذلك كل زائل منقطع قليل والثاني سمي قليلا لما هو مشوب بالآفات والاحزان
وانواع البلايا والشدايد فهو قليل في الحقيقة او ان سماه قليلا لما ان متاع الدنيا قليل عما وعد في الاخرة
فلما هو متاع الا من قليل لما ليس في الوجه الذي ذكرنا والله اعلم   وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل وهو ما قص في سورة الانعام وهو قوله حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله
فبظلم من الذين هادوا الاية   وما ظلمناهم بتحريم ما حرمنا عليهم لانا انما حرمنا عليهم تلك الطيبات عقوبة لهم
وجزاء ببغيهم وهو ما قال في سورة النساء فبظلم من الذين هادوا وهو ما قال ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر انه انما
حرم عليهم لما ظلموا منهم عقوبة وجزاء ببغيهم لكن هم ظلموا انفسهم في ذلك او ان يكون قوله وما ظلمناهم لانهم عبيده
وامائه وله ان يمتحن عباده وامائه بتحريم مرة وبتحليل ثانيا ولكن ظلموا انفسهم حيث وجهوا الى غيره الشكر وصرفوا
شكر ما انعم عليهم الى غيره   ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي عملوا السوء بجهالة يحتمل وجهين احدهما ان الفعل
فعل جاهل وسفيه وان لم يجهل فيكون عمل السوء جاهل وسفيه والثاني جهل ما يحل به بعمل السوء ثم قوله
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الى آخره يحتمل ان يكون في الاية اضمار لم يذكره لانه قال ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك حرف على الابتدا بغير ان ذكر له جواب وهو قوله
ان ربك من بعدها لغفور رحيم فظاهر الجواب ان يقال ثم ان ربك للذين عملوا السوء ثم تابوا من بعد ذلك
لغفور رحيم على ما ذكرنا في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية يخرج على الاضمار وعلى التكرار على
ارادة التاكيد وعلى الابتدا والاكتفا بجواب ذكر في موضع آخر حيث قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فان الله غفور رحيم هذا والله اعلم جوابه اي ان ربك من بعد التوبة لغفور رحيم فكهو قبل ان يعمل على السوء
والجهل فذكر انشا على ارادة التاكيد والله اعلم   ان ابرهيم كان امة قانتا قال بعضهم [illegible]
الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله وقال بعضهم امة قانتا اي مومنا وحده وان الناس كلهم
كفار وقال بعضهم كان امة اي سنة يقتدى به ويحتمل ان يكون سماه امة لما كان كالامة والجماعة من القيام مع
الاعدا لانه وان كان منفردا وحده وكان يقوم مع الاعدا والاكابر منهم كالجماعة والامة والممتنع عنهم لا
كالمنفرد واصل الامة قيل الجماعة والعدد ويحتمل قوله كان امة اي يجمع كل خير وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة
واجتمع فيه كل خير فسماه امة لهذا الذي ذكرنا او ان يكون تفسير الامة ما ذكر على اثر قانتا لله حنيفا والقانت
قيل المطيع والقنوت هو القيام لما ذكر انه سيل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت اي طول القيام
ففي هذا المعنى هو القايم لله في كل ما تعبده وامره به وقيل امة اي دينا كقوله ان هذه امتكم امة واحدة
اي دينكم دينا واحدا   حنيفا قيل الحاج وقيل الحنيف المسلم وقيل المخلص وفيه كل ذلك كان حاجا
مسلما مخلصا لله واصل الحنيف الميل اي كان مايلا الى امر الله وما تعبده به والله اعلم   ولم يك من المشركين
لا شك انه لم يك من المشركين لكنه ذكر هذا لوجهين احدهما لما ادعى كل اهل الاديان انهم على دينه وانتسب
كل فرقة اليه فبراه الله عن ذلك واخبر انه ليس على ما هم عليه من الدين وهو ما قال ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا الاية والثاني ذكر هذا انه لم يك من المشركين بقوله هذا ربي لانه لو كان ذلك منه على
ظاهر ما نطق كان ذلك في الظاهر اشراكا ففيه شبهة في ظاهره فبراه الله عن ذلك واخبر ان ذلك منه
لم يكن اشراكا ولكن على المحاجة حاج بذلك قومه كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه
والله اعلم   شاكرا لانعمه اي لم يصرف شكر نعمه الى غير المنعم بل صرف شكرها الى منعمها وان كفر غيره

هو المكافاة ولا يبلغ احد من الخلايق في المرتبة التي يكافي الله في اصغر نعمه انعمها عليه ولا يتوقع احد من اداء ما عليه
من احسان الله اليه وفضله ان يقوم بمكافاته لكن الله عز وجل بفضله ومنه سمى ذلك شكرا وان لم يكن في الحقيقة شكرا
كما ذكر الصدقة التي يتصدق بها العبد قرضا وكما سمى تسليم نفسه وبذلها له شرا وان كانت انفسهم
واموالهم في الحقيقة له وانما يطلب المرء في المعروف القرض من غيره وكذلك الشرا لكنه بلطفه وفضله عامل عباده معاملة
من لا ملك له في انفسهم واموالهم فعلى ذلك في تسمية الشكر والله اعلم   اجتباه قال بعضهم للرسالة والنبوة
او اجتباه من بين ذلك القوم وجعله اماما يقتدى به   وهداه الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام وهو ما
ذكر قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم الاية   وآتيناه في الدنيا حسنة قال بعضهم
الثنا الحسن وقال بعضهم الحسنة في الدنيا لان جميع اهل الاديان يتولونه ويرضونه ويحتمل ان يكون قوله وآتيناه
في الدنيا حسنة اي ما آتاه الله من النبوة الا حسنة على ما ذكر في قصصه ربنا آتنا في الدنيا حسنة اي ما آتيتنا في الدنيا آت
كله حسنة لان قوله حسنة انما هو اسم حسنة واحدة او ان يكون قوله وآتيناه في الدنيا حسنة عند قبض روحه اي
على الحسنة قبض روحه   وانه في الآخرة لمن الصالحين اي لم ينقص ما آتاه في الدنيا مما يوتيه في الآخرة وقال
بعضهم في قوله وآتيناه في الدنيا حسنة النبوة والرسالة او ان يقال انه لم يبين الحسنة التي اعطاه اياها لكنه خص به
كما خص في قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابرهيم قد كان من ابرهيم معنى حتى خصه الله ابرهيم به من بين غيره فكذلك الاول
والله اعلم   ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا ملة ابرهيم اي دين ابرهيم وسبيله وذكر في بعض الاخبار
عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال جاء جبريل الى ابرهيم صلوات الله عليه يوم التروية فراح به الى منى فعلمه المناسك
كلها واراه اياها فاوحى الله الى محمد ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين فنحن امرنا ان نتبع ملته في الحج وفي
غيره واصل الملة الدين والله اعلم كقوله لا يتوارث اهل ملتين اي اهل دينين   انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه قال بعضهم اختلافهم وذلك ان موسى امر بني اسرائيل ان يتفرغوا في كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم
الجمعة ويتفرغوا فيه عن دنياهم فقالوا نتفرغ يوم السبت فان الله لم يخلق يوم السبت شيا فقال فريق منهم انظروا
الى ما يامركم نبيكم فخذوا به فذلك اختلافهم فجعل لهم يوم السبت على ما سالوا فاستحلوا فيه المعاصي فحرم الله عليهم العمل
فيه عقوبة لهم وقال الحسن وقتادة انما جعل السبت اي انما لعن في السبت فمسخوا قردة الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم
انه حرمه بعضهم واستحله بعض وقال ابو بكر اختلافهم كان في تكذيب الرسل والانبيا فمنهم من صدق ومنهم من كذب
فحرم عليهم يوم السبت عقوبة لهم او ان يكون اختلافهم ما سالوا موسى من الآيات المعجزة والاشيا الوحشية
كقولهم لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وكقوله اجعل لنا الها كما لهم آلهة ونحو ما اقام عليهم آيات كانت لهم
فيها كفاية فيشبه ان يكون اختلافهم الذي ذكر تلك وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يخرج على وجهين
احدهما انما جعل حرمة السبت على الذين اختلفوا فيه اي على الذين فسقوا فيه حيث قال بما كانوا يفسقون والثاني
انما جعل عقوبة السبت على الذين اعتدوا فيه دون الذين اختلفوا فيه لان فريقا منهم قد نهوهم عن ذلك
وفريقا قد اعتدوا وان يمسك الذين اعتدوا دون الذين نهوهم وقوله اختلفوا فيه يحتمل فيه اي في موسى
او يوم السبت الذي اختلفوا فيه وعن نبيه والله اعلم   وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون يحكم بينهم بالجزا او يحكم بما بين لهم المحق من المبطل لانه قد بين في الدنيا بين المحق من
المبطل حيث اهلك فريقا وانجى فريقا فكيف قال يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون لكن يشبه ان يكون ذلك
بالجزا على ما ذكرنا   ادع الى سبيل ربك اي الى دين ربك بالحكمة قال الحسن الحكمة القرآن اي ادعهم الى
دين الله بالقرآن وقال بعضهم بالحكمة بالحجج والبرهان اي ادعهم الى دين الله بالحجج والبراهين اي الزمهم
دين الله بالحجج والبراهين حتى يقروا به   والموعظة الحسنة قال الحسن اي بعظم المواعظ التي وعظهم
عز وجل في الكتاب وقال ابو بكر اي ذكرهم النعم التي انعم عليهم وجادلهم بالتي هي احسن اي جادلهم باحسن المجادلة

بلين القول وخفض الجناح لهم ليقبلون دينهم ويخضعون لربهم وكذلك اختلفوا في قوله وإذ علمتك
الكتاب والحكمة وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة واحد اسم مثنى وهو القرآن وقال
بعضهم الكتاب هو القرآن وهو ما نزل الوحي والحكمة وحي الإلهام وهو السنة وقال بعضهم الكتاب هو التنزيل
والحكمة هو المعنى المودع فيه فمن يقول إن الكتاب والحكمة واحد وهو القرآن يقول في قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
القرآن ومن يقول غير ذلك يقول إن الحكمة الحجج والبراهين إما من جهة الإلهام أو من جهة الاستنباط من الكتاب
ويحتمل أن يكون قوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة التي ذكر في سورة من ذلك قوله يخرج من بطونها شراب مختلف
ألوانه يعني من بطون النحل وقوله وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين وما ذكر أنه يخرج من الخشب اليابس الأعناب وأنواع الثمرات وغير ذلك كل الحكمة أي ادعهم إلى ...
وذكرهم بهذا وهم يعرفون به ليقبلوا دينه ويخضعوا الأمر والموعظة الحسنة ما ذكر في قوله إن الله يأمر بالعدل
والإحسان الآية وذلك كله مستحسن في العقل وتوجبه الحكمة لأن العدل والإحسان وما ذكر من إيتاء ذي القربى
الصدقة مستحسن في عقل كل أحد والذي نهى الله عن الفحشاء والمنكر مستقبح مستقبح ارتكابه وإتيانه كان الحكمة التي
تشتمل على العلم والعمل جميعا كأنه قال ادعهم إلى دين الله بالعلم والعمل جميعا حتى يجمع ذلك فيهم أو ادعهم باللين
وخفض الجناح مرة وبالصنع الحسن ثانيا يكون وضع الشيء موضعه ثم قال يعظكم لعلكم تذكرون
وجادلهم بالتي هي أحسن يحتمل والله أعلم أي جادلهم بالذي يقرون على ما ينكرون وهو قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية وقوله
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا وقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآية وقوله وضرب الله مثلا رجلين
أحدهما أبكم لا يقدر على شيء الآية وقوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت أيمانهم الآية ونحو هذا يجادلهم بأحسن المجادلة بالذي يقرون أنه كذلك على الذي ينكرون ليلزمهم
القبول ويتضح لهم وفي الآية دلالة تعليم المناظرة في الدين وكيفية المعاملة بعضهم لبعض فيها حيث قال ادع إلى
سبيل ربك بالحكمة التي هي القرآن أو غيره من الحجج والبينات والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فهذا يجب
أن يناظر بعضهم بعضا بالوجه الذي وصف الله عز وجل فيما ذكر الله في كتابه مناظرة الأنبياء والرسل مع الفراعنة والأكابر
وهو ما قال ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه إلى آخر ما ذكر وقوله وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله الآية
ومناظرة فرعون موسى صلوات الله عليه حيث قال وما رب العالمين قال رب السموات والأرض الآية وقال
رب المشرق والمغرب وقوله فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه وما قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي
أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأمثاله مما يكثر من مناظرة الرسل والأنبياء مع الفراعنة والأعداء ...
بيان ولبيان فهذا كله رد على من يأبى المناظرة في الدين ويمتنع عن التكلم فيه والاحتجاج الترك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله الآية نسبتهم إلى الضلال إشارة وكناية لا تصريحا لأنه لم يقل لهم صريحا إنكم قد
ضللتم عن سبيل الحسن معاملته التي علم رسوله وأمر أن يعاملهم لأن ذلك أقرب إلى القبول وأميل إلى القلوب
وأخذ الأثر به قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى
وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اختلف في سبب نزول ذلك قال بعضهم نزل في أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك أن المشركين قد مثلوا يوم أحد بقتلى المسلمين من قطع الآذان وتجديع الأنوف وتبقير
البطون ونحوه فقال أصحابه لئن أدالنا الله منهم لنفعلن ولنفعلن كذا وكذا فأرادوا أن يجازوا ذلك
فأنزل الله وإن عاقبتم بمثل ما عوقبتم به الآية وفيه البشارة لهم بالنصر والظفر على أعدائهم لأنه لو لم يكن لهم
الظفر بهم كيف يقدرون على معاقبة مثل ما عوقبوا ولأنه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم وفيه دلالة جواز
من لم يتول القتل والأخذ والضرب لما لعلهم لا يظفرون وقيل الذين تولوا ذلك كانوا قد ماتوا ...
للعقوبة بعضهم بعوضا فعلوا أو يكون فيه دليل أخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع وإن كان الذي تولى

ذلك بعضهم لما أن من تولى ذلك إنما تولى بقوتهم ومنعتهم وقال بعضهم إنما نزلت الآية في ابتداء الأمر الذي كان
في الإسلام الكف عن المجازاة مثل قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وقوله فإن قاتلوكم فاقتلوهم وشبه فإذا كان
في المجازاة أمر أن لا يجاوز ويعتدوا بهم وهي مثله وأما إذا كان القتال منهم لا يقتل مجازاة فإنهم يقتلون جميعا إذا
أبوا الإسلام بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية وقوله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وقوله
تقاتلونهم أو يسلمون وقال بعضهم لا ولكن الآية نزلت في أهل الإسلام وحكمه في القصاص والقطع فيما دون النفس
والجراحات أمر أن لا يجاوزوا ويعتدوا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم الآية وقوله كتب عليكم
القصاص في القتلى الآية ولئن صبرتم على ما ذكر لهو خير للصابرين ودل قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

أي الصبر خير

على أن الآية في القصاص لأنه في الحرب لا يقال أحد لا يكون الصبر خيرا له لأنه في ترك المحاربة والله أعلم
واصبر وما صبرك إلا بالله أي ما توفيقك على الصبر إلا بالله كقول شعيب وما توفيقي إلا بالله الآية والعافية
واصبر وما صبرك إلا بالله أي تركك القصاص لا مراء حيث لم تركه لا لضعف أو عجز فيك ولا تحزن عليهم قال
بعضهم إنه كان يحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم بالله وتركهم الإيمان بالله كقوله لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين
وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقال له لا تحزن عليهم لذلك على التسلي والتخفيف لا على النهي عن ذلك ويحتمل أن يكون
قوله لا تحزن على المؤمنين الذين قتلوا واستشهدوا لأنهم مستبشرون فرحين عند ربهم بما آتاهم الله كقوله
بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله أي لا تحزن عليهم وهم فيما ذكر أو لا تحزن على المؤمنين ولا
يضيق صدرك مما يمكرون لك ولكنهم إذ كانوا يمكرون برسول الله وأصحابه ويؤذونهم أخبر أن لا يضيق
صدرك لذلك وقال بعضهم نزلت في أمر حمزة سيد الشهداء أنه مثل وجرح جراحات عظيمة فاشتد على النبي فقال
لئن ظفرنا بأولئك لنفعلن كذا أو لنفعلن كذا فنزلت الآية وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لكن إذ ثبت
بيان أن يكون في الوقت الذي كان يضعف القاتل والجارح بالقتل والتمكين في الابتداء الأثري أنه قال
الحر بالحر والعبد بالعبد كانوا أمروا أن يأخذوا الحر بالعبد والذكر بالأنثى حتى نزل هذا إنما نسخ هذا به
وبقوله ولكم في القصاص حياة ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن فيه حياة وإن قالوا في الحرب لم يكن
ذلك لا يحتمل لأنه في الحرب لهم أن يقتلوا الكل وأن لا يتركوا أحدا منهم دل أنه يخرج على أحد وجهين على
النسخ الذي ذكرنا أو على النهي عن الاعتداء أكثر من حقه كقوله فاعتدوا عليه الآية إن الله مع الذين
اتقوا يحتمل اتقوا مخالفة الله ورسوله بالظلم والعدوان فإن الله ناصركم ومعينكم عليه والذين هم
محسنون في العمل والتوحيد ويقول إن الله مع الذين اتقوا محارم الله وارتكاب مناهيه بالنصر لهم والمعونة
والذين هم محسنون الجنة أو بالقيام بأن كرها والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا

سبحان كلمة إجلال الله عن الأكفاء وتنزيهه عن الشركاء وتبرئته عما قال الملحدون فيه وظنت الملحدون به من الولد
والحاجات والآفات وجميع منافع الخلق وروي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن
تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء ويعني قوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى هو والله أعلم كأنه ذكر أن من قدر على أن يسري بعبده ليلة مسيرة شهر يقدر على إحياء الموتى
بعد الموت ويملك حفظ رسوله والنصر له وإظهار آيات نبوته ورسالته وقطع حجاج جميع المكذبين له والمخالفين
وقوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى سماه أقصى وهو الأبعد من قصي يقصي قصيا فهو قاص كأنه لم يكن
يومئذ إلا المسجد الحرام ومسجده بالمدينة ومسجد بيت المقدس فسماه لذلك والله أعلم المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله قيل سمي مباركا لكثرة أنزاله ودره وسعته وقيل سمي مباركا لأنه مكان
الأنبياء ومقامهم فبورك فيه ببركتهم وبينهم والله أعلم لنريه من آياتنا أي لنريه من آيات الحجة بعده

٩٨٦

ما اراد الايات العقلية لان الايات الحسية اكبر في قطع الشبه ودفع الوساوس من العقلية اذ لا يمكن احدا فيها كان
سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعرض في ربما الشبه والوساوس في العقليات لهذا لا يمكن احد في نفسه انه تسوق حب
عز وجل ان يريه رسوله ايات حسية تضطر المنصفين على قبولها والايمان بها والاقرار له انه رسول لما يعلمون
انه ما كان يخبرهم من اخبار حيث قال انه ازار في كذا وامر يعلمون انه لا يتقول الا عن حق وعيان لانه كان
ما في من الايات العقليات قالوا انه سحر وما ذكر من الانبا التي كانت في كتبهم المتقدمة قالوا اساطير الاولين
وانما يعلمه بشر ليس ذلك على السحر ولا افك ولا افترا ولا اساطير الاولين على ما نسبوا اليه السحر والى الافك
والافترا بيانا ونحو … انه هو السميع البصير قد ذكر على ذلك لا يحتمل ان يخفى عليه شي من قول او عمل او ما
روي من الاخبار انه عرج به الى السماء حتى راى اخوانه الانبيا الماضين وما ذكر فيه فنحن نقول ما قال الصديق
رضوان الله عليه لقد صدق ان كان قال ذلك فانا اشهد على ذلك والا نقول بمقدار ما في الاية انه اسري به الى
بيت المقدس المسجد الاقصى ولا نزيد عليه لانه من اخبار الاحاد فلا تسع الشهادة له … واتينا موسى الكتاب
يعني التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل كل كتاب لله هدى لمن استهدى ورشد لمن استرشد وبيان لمن استوضح
لانها دعت الى الصلاح ونهت الى معالي الامور ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ونهت عن ذلك من مساوي
الاعمال عن سفاسف الامور ودنات الاخلاق وعدوانها ذكر انه جعل الكتاب هدى لبني اسرائيل لانه منفعة
الكتاب حصلت لهم لانهم هم الذين استهدوا به فصار ذلك هدى لمن استهدى والله اعلم … الا تتخذوا
من دوني وكيلا اي معتمدا اي فعلنا لهم ذلك وذكرنا لهم فيه اوامرنا فيه الا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا
موكولا الوكيل هو موكول الامر اليه معتمد في الاحوال عليه كانه في جميع ما وكل اليه التبرع والتفضل
ذرية من حملنا مع نوح قال بعضهم يعني الذرية الانبيا الذين كانوا من قبل اي كانوا من ذرية نوح ومن حمل معه
وهم البشر قال ذكر هذا لانكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا ابعث الله بشرا رسولا والثاني يحتمل غير ذلك اي من
ذرية من حملنا مع نوح اي هولا من ذرية من حمل مع نوح فكيف خالفتموا اباءهم الذين كانوا على الهدى فتابعوا
غيرهم او يذكر ان هولا الرسل من ذرية من حملنا مع نوح في اصلاب الرجال وارحام النسا زمان
الطوفان لا تتخذوا من دوني وكيلا قيل ربا والها وقيل شريكا واصله ما ذكرنا ان الوكيل هو المعتمد انه كان
عبدا شكورا يعني نوحا قال بعضهم سماه شكورا لانه كان يذكر ربه في كل احواله وقال بعضهم الشكور هو الذي
يشتغل برضاء ربه ويجتنب مساخطه وقال بعضهم الشكور المطيع وقد ذكرنا ان الشكر اسم المكافاة …
فقال كانت عبادته لله على شكره لا عبادة استغفار اي كان شكورا في عبادته لا مستغفرا … وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين اختلف في قوله وقضينا قال الحسن وغيره اوحينا اليهم
واخبرناهم واعلمناهم في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين وقال بعضهم قضينا عليهم وقال بعضهم كتبنا
عليهم فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه اخبرهم واعلمهم على ما زعم ان القضا هاهنا هو
الاخبار والاعلام اخبر انه كان اخبرهم واعلمهم ليفسدن في الارض اولا فان كان اخبرهم ليصدق في خبره
فذلك منه حكم انهم ليفسدن في الارض مرتين فان كان تاويل القضا الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ينقض
ان كل فاعل فعلا طاعة كانت او معصية كانت بحكمه من الاخر عن المعصية انها كانت بقضا الله فلا يجب
ان يجاب له على الاطلاق بنعم او بلا الا ان يبين انه ما يريد بالقضا وما نهم منه لان القضا يتوجه الى وجوه
يرجع الى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن والقضا الامر بقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
اي امر ربك والقضا الحكم كقوله فاقض ما انت قاض اي احكم ما انت حاكم ولم يعرف القضا الجملة والدفع
على ما يقوله المعتزلة لو يكون فلا يجاب على الاطلاق الا ان يبين انه ما اراد بالقضا فان اراد بالقضا
الحكم فعند ذلك يقال نعم كان بقضايه وحكمه وليس بنفي قضى وحكم وفيه في المعصية اختلف في قوله مرتين

٩٨٧

قال بعضهم من اهل التاويل ان بني اسرائيل عتوا فيهم فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم وسبى ذراريهم واموالهم فكانوا كذلك
زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك ثم بعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من يديه وردهم الى مكانهم ثم عادوا
الى ما كانوا من قبل ثم سلط عليهم بخت نصر فقتل بهم ما فعل جالوت ثم تابوا فبعث الله … وقال بعضهم
بعثنا عليكم بخت نصر فلانا وفلانا وسموا قال فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا الى قوله وان عدتم عدنا اي ان
عدتم الى العصيان عدنا الى العقوبة ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من وجه الحكمة والدلالة احدها
فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهما كان في كتبهم من غير ان علم ما في كتبهم ولا اختلف الى احد منهم
فكان علمه بما اخبر له انه انما عرف ذلك بالله بما اخبر في كتابه وفيه انه لم يهلك قوم بنفس الكفر اهلاك استيصال حتى
كان منهم مع الكفر السعي في الارض بالفساد والعنا وللايات وفيه ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم واعطاء ما في
الدين حيث لم يمنعهم على الايمان ولكن تركهم حتى عصوا ربهم ثم سلط عليهم من قتلهم على تمكنه … ودعاهم الى دينه
هو كفر فلو كان عليه اعطا الاصلح لاتم عليهم الاسلام فذلك اصلح لهم في الدين … ولتعلن علوا كبيرا قيل
لتجترون جراة عظيمة وقيل لتقهرن ولتغلبن غلبة كقوله ان فرعون علا في الارض اي قهر وغلب الا ترى انه ذكر
وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم بشانه على الغلبة والقهر وقيل العلو هو العتو والجراة والتكبر هو ما
ذكرنا … فاذا جاء وعد اولاهما اي جاء وعد هلاك من عصى منهم اولا وخالف امر الله وكفر به بعثنا عليكم عبادا
لنا اولي باس شديد قال الحسن قوله بعثنا عليكم ليس على بعث الوحي اليهم ولكن على التخلية اي خلينا بينهم وبين
عباد اولي باس شديد اي اولي بطش شديد وقوة كقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي خلينا بينهم
وبين الشياطين وقال بعضهم بعثنا عليكم اي سلطنا عليكم وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد على المعتزلة
لانه ذكر انه بعث عليهم عبادا اولي باس شديد وانما بعثهم بجزا اساءتهم ولتوصيتهم في ذلك شر يعمل بهم ولا انه
صنعا في جميع فعل العباد … فجاسوا خلال الديار قال بعضهم جاسوا من التجسس اي يجسسون اخبارهم
ويسمعون اخبارهم وهم جنود جاءوا من فارس وقال بعضهم فجاسوا اي قتلوا الناس في الازقة وقيل في
الطرق … وكان وعدا مفعولا اي الذي قال لتفسدن في الارض مرتين وعدا كاينا مفعولا اي كان
وعدا منجزا مفعولا كاينا والا الوعد لا يقال ذلك قوله وكان وعدا ماتيا اي موعودا ماتيا وذلك شبه
هذا … ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الغلبة والهلاك عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا اي اكثر رجالا منهم قبل ذلك وعددا ثم اذ اعصوا ثانيا وكفروا ابتهم سلط الله عليهم قوما اخرين فدمروا
عليهم فذلك قوله فاذا جاء وعد الاخرة للهلاك والتدمير اي موعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم ثم وعدهم الرحمة
ان تابوا ورجعوا عن ذلك بقوله عسى ربكم ان يرحمكم ثم اوعدهم العود اليهم بالعقوبة بقوله وان عدتم عدنا
اي وان عدتم الى المعاصي عدنا اليكم بالعقوبة ثم قال اهل التاويل انه سلط عليهم بخت نصر وجالوت
ثم فلانا وفلانا فذلك لا يعلم الا بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في الاية سوى انه بعث عليهم
عبادا اولي باس شديد فلا نزيد على ذلك الا بالخبر سوى انه ذكر بعضنا لنا وفيه وجه من الحكمة اضعنا ما
ذكرنا من اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن صدق رسولهم حيث حذرهم العقوبة بعصيانهم فكان كما قال
وفيه تحذيرنا عن مثل صنيعهم لانهم ليسوا بذلك اولى منا … وقال القتبي فجاسوا خلال الديار اي عاثوا
في الديار وافسدوا ويقال جاسوا وحاسوا … ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة … اكثر نفيرا اي عددا
وقال ابو عوسجة اكثر نفيرا هو من النفير والنفر ومعناه اكثر عددا وقال ابو عبيدة فجاسوا خلال الديار
معناه اي قتلوا فيها … وقال النفير المقاتلة الذين يستنفرون للقتال اي لو استنفرتم انتم
واستنفروا اولئك كنتم اكثر منهم ثم قوله فاذا جاء وعد اولاهما الى قوله فجاسوا خلال الديار ومعلوم انه لم يكن في
كتابهم بهذا اللفظ بعثنا عليكم فجاسوا خلال الديار ولكن كان والله اعلم اذا جاء وعد اولاهما لنبعثن عبادا

لنا اولي باس شديد يحسون او يجاسون لكنه خاطب بهذا والله اعلم الذين كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كانوا هم لم يفعلوا ما ذكر لكن لما فعل اوايلهم لكنه خاطب هولا لما كانوا يفتخرون باوايلهم ويتولونهم اتباعا لهم
واحبابا فيذكر هولا من النعم على اوليك ويحذرهم صنيعهم سوء خاطبهم بتوقه واذ قلتم يا موسى لن نومن
الايه وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ونحوه خاطب هولا الذين كانوا بحضرة رسول الله وعاتبهم
على صنيع اوليك وفعلهم وان كان هولا لم يتولوا ذلك لما رضوا بصنيع اوليك وفعلهم استيدانهم الشكر لما انعم
على اوليك وتحذيرا لهم عن مثل صنيعهم والله اعلم   ان احسنتم احسنتم لانفسكم والله اذا اليكم يرجع منفعة
ذلك وانتم تجزون على ذلك وان اسأتم فلها اي فعليها كقوله من عمل صالحا فلنفسه الايه اي يرجع ضرر ذلك وعلى
ذلك جميع ما امر الله عباده من الاعمال ونهاهم عنها انما امر ونهى لمنفعة انفسهم ولحاجتهم له لمنفعة له او لحاجة لله
وقال بعضهم وان اسأتم فلها اي اليها اي الى انفسكم تسيئون   فاذا جاء وعد الاخرة اي اذا جاء وعد موعود
الاخرة وهو العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله وقوله فاذا جاء وعد الاخرة بالتغيير وتبديل الدين ليسوءوا
وجوهكم يقرا بالنون على الجماع وبالواو وبالياء على الواحد ليسوء وجوهكم ولم يبين من يسوء وجوههم فيشبه ان يكون
حيث قوم يسوءون وجوههم كما ذكر في الوعد الاول فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
ثم يسوءون وجوهكم ومن قرا بالنون لنسوء وجوهكم اضاف الى نفسه لما امر ما كان يفعل وتسليط اياهم عليهم
وقال بعضهم ذكر الوجه هاهنا كناية عن الحزن والهم والالم لانه لم كما يقال في السرور اكرم وجهه اي ادخل فيه
سرورا او ذكر الوجه لما بالوجه ذلك لتغيير القبح والله اعلم   وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة
في ظاهر الايه ان يدخل الاولون المسجد في المرة الثانية كما دخلوا في المرة الاولى لانه قال كما دخلوه اول مرة
ولكن يحتمل ليدخل عبادا اخرون المسجد في المرة الثانية كما دخل الاولون في المرة الاولى وقال بعضهم المسجد
هاهنا الكنيسة او البيعة   وليتبروا ما علوا تتبيرا اي ليهلكوا ما علوا به اي ما غلبوا به وقهروا اي
الاسباب التي بها عصوا وقال ابو عوسجة ما علوا اي ليفسدوا ما ملكوا والتبار الفساد يقال علوت الشيء
اي ملكت   عسى ربكم ان يرحمكم يحتمل ان يكون ذلك لاوليك الذين تقدم ذكرهم وفيهم نزل ما نزل يرحمهم
ان تابوا ويحتمل ان يكون على الابتدا عسى ربكم ان يرحمكم محمد وان عدتم عدنا اي ان عدتم الى التكذيب والعصيان
عدنا الى العقوبة والقتل الى يوم القيمة   وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قيل سجنا لا يخرجون منها
وقيل محبسا وحصيرا يحصرون فيه والله اعلم   ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم معنى التي في
قوله للتي هي اقوم قيل بوجوه قيل ان هذا القران يهدي للملة التي هي اقوم الملل واعدلها والملة هي
الدين دين الله وقال بعضهم يهدي الى الامور التي هي اعدل الامور واصوبها وقيل يهدي الى السبيل
التي هي اقوم السبل واعدلها يحتمل هذه الوجوه الثلثة التي ذكرنا وجايز ان يكون قوله يهدي للتي هي
اقوم اي يدل الاعمال الصالحات والخيرات لان الاعمال الصالحات قوامها به ثم قوله يهدي يحتمل وجهين يحتمل
يبين وان نبي يدعو او هو يهدي الكل لو استهدوا والنفع هولا لما استنفعوه يكون لمن ذكره وقد ذكرنا
ان ذكرنا هذا القران وعظا … ان كتب الله شركه ورحمه يدعوا الى كل خصال الخير معالي الامور ومكارم
الاخلاق ومحاسن الاعمال ومصالحها وينهى عن مساوي الاعمال ودناء الامور وسوء الاخلاق ودناءتها
لمن … ورحمه على ما اخبر لمن استهدى به فرشد لمن استرشد   ويبشر المومنين الذين يعملون
الصالحات البشارة المطلقة انما جعل للمومنين الذين عملوا الصالحات لم يذكر لمومن خاصة على غير العمل
الصالح فلعله فيهم غير الصالح في هولا وفيه دلاله انه يقع اسم المومن بدون العمل الصالح لانه قال المومنين
الذين يعملون الصالحات دل ان ذلك الاسم يقع بدون ذلك الاسم وفيه دلاله ان اسم الايمان قد يستحق
بدون العمل الصالح حيث شرط فيه العمل الصالح   ان لهم اجرا كبيرا سماه كبيرا الكبير خطير عند الله كما سمي

النار عظيما العظيم خطيرا عند الله او سماه كبيرا لانه اكبر ما يقصد اليه ويرغب فيه وهو ثواب الجنة والنار اعظم ما
يحذر بها ويرهب عنها   وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما انكارهم البعث وكفرهم به
هو الذي حملهم على تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله لتسليم لهم شهواتهم في الدنيا لان الرسل جميعا دعوهم الى ترك شهواتهم في
الدنيا ورغبوهم بما يوجب لهم الثواب في الاخرة وحذروهم عما يوجب العقاب فانكروا الاخرة والبعث جميعا رايا
لتسليم لهم الدنيا فذلك الذي حملهم على انكار الرسل وتكذيبهم اياهم الا ترى انه قال والذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة
اي بالقران او بمحمد لانهم بالبعث حملهم على الايمان بالقران والرسول وتكذيبهم الاخرة حملهم على تكذيب كل ذلك
والله اعلم   ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قال بعضهم اذا غضب الانسان يدعو على نفسه وولده واهله
ويلعن كدعائه عليهم بالخير لذلك انتصب قوله دعاه وقال الحسن ان الانسان يضايق صدره وقلبه بادنى شي فيلعن
على نفسه واهله فلو يجيب الله ما يدعو بالخير فيعطيه ادخل من الهلاك وقوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير هذا يحتمل
وجهين احدهما ويدع الانسان بالشر على العلم منه بذلك كدعائه بالخير على العلم منه بذلك والثاني ويدع الانسان
بالشر الواجب فيه على الجهل منه والغفلة كدعائه بالخير الواجب في ذلك ثم ان كان ذلك الانسان هو الكافر فهو يدعوه
على الاستهزاء كقوله فامطر علينا حجارة من السما الايه وكذلك قوله سال سايل بعذاب واقع وان كان مسلما
فهو يدعو بالشر على نفسه واهله عند الغضب على علم منه انه شر يدعو لما فيه بالشر على السهو والغفلة منه نحو ما يكون
الاموال والنكاح ولعل ذلك شر له   وكان الانسان عجولا قال بعضهم هذا الادم لانه لما خلقه الله
نفخ الروح في بعض جسده هم ان يقوم فسماه عجولا لكن كل الانسان خلق في الطبع من الاصل عجولا الا ترى انه
لا يصبر على امر واحد ولا على شي واحد وان كان نعيما لم يصبر عليها ولكن يملها وكذلك في ادنى شدة وبلا اذا ابتلي به
لم يصبر عليه فيداير به الانتقال من حال الى حال الا ترى ان قوم موسى قد اكرمهم الله بكرامات من انزال المن
والسلوى عليهم من غير كد ولا جهد ولا مونة وكذلك اللباس ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا لن نصبر على طعام
واحد فالوا … والبصل وذلك على هذا الطبع الا ان سلوله عجولا الا ترى ان الله مكن في باطنه
وحمل في وسعه رياضة نفسه وصرفها الى الحد الوسط الذي يحمد عليه ولا يذم وهو ان يروضها ويعودها على الصبر والكف
والوقار ويصرف تلك العجلة الى الخيرات والطاعات التي يحمد عليها المرء بالعجلة والا في ظاهر الخلقة والطبع
هنا على العجلة الا ترى انه قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
الا المصلين وصح ما ذكرنا والله اعلم لكن بما استحنه من الامر والنهي والترغيب في الموعود والترهيب صير بحيث يملك
احتراصه عما الطبع واتى الى حال اخرى بالرياضة التي ذكرنا الا ترى انه ذكر الهلع والجزع ثم استثنى المصلين
ولعل ذلك تخلق الله الخلق على همم مختلفة واطوار شتى لم يجعلهم جميعا على همة واحدة بحيث يرغبون جميعا
في معالي الامور ومعاظم الحرف والارفع الاسما بل طبعهم على الطباع مختلفة فمنهم من يرغب في معالي الامور ومعاظم
الحرف ومنهم من كانت همته الرغبة في الدون من الامور والحرف كالحجام والدباغ والحايك ونحوهم وكذلك
في الاسما ومنهم من كانت همته معالي الامور ومعاظم الاعمال ولو كانت همتهم همة واحدة لذهبت المنافع والمعاش
جميعا والله اعلم   وجعلنا الليل والنهار ايتين اختلف فيه قال بعضهم المراد بالليل والنهار
الشمس والقمر اي جعلنا في الشمس والقمر ايه الا ترى انه قال اضاف الايه الى الليل والنهار حيث قال فمحونا
ايه الليل وجعلنا ايه النهار مبصرة وحيث قال لتبتغوا … ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما يعلم ذلك بالقمر
الا ترى انه قال ايضا هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا الايه انما اضاف معرفة عدد السنين والحساب
الى القمر لانه بالقمر يعلم ذلك وهو قول علي وابن عباس وغيرهم من اهل التاويل ويكون تاويل المحو الذي
ذكر في قوله فمحونا ايه الليل ما في لونه من محو وهو السواد الذي يرى فيه والنقصان الذي يكون فيه حينا بعد
حين وقال بعضهم محي منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا الى هذا ذهب هولا واما الحسن وابو بكر وهولا

منهم من يقولون ليس في الاية ذكر الشمس والقمر انما ذكر الليل والنهار وانه جعلهما ايتين فيهما كفاية وبهما يعلم عدد
السنين والحساب لانه بالايام يعلم ذلك فاما الشهور فانه انما تعرف بالقمر لا تعرف بالايام ويكون تاويل قوله
فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلنا اية الليل في الابتدا ممحوة مظلمة وجعلنا اية النهار مبصرة مضية
في الابتدا ليس ان كانا جميعا مبصرتين مضيتين ثم محي اية الليل وابقيت اية النهار مضية ولكن ان اية الليل في
الابتدا مظلمة وان اية النهار في الابتدا مبصرة وهو كقوله والى السما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت اي
انهما في الابتدا كذلك لا ان السما كانت موضوعة فرفعها ولكن كما الجبال مبسوطة ثم نصبها ولكن انهما في الابتدا
كذلك فعلى ذلك قوله فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلهما في الابتدا هذا مظلما ممحوا وهذا مبصرا مضيا
وجعلنا الليل والنهار ايتين سماهما ايتين لانهما مختلفتان بل متضادتان ثم يفسد كل واحد منهما صاحبه اذ كل واحد
ينسخ الاخر حتى لا يبقى لها اثر وهما ايتان على وحدانية الله لانه لو كانا فعل عدد لكان اذا اتى هذا على هذا وغلب
عليه منع من ان يكون للاخر سلطان او امر فاذا لم يكن دل انه صنع واحد وفيهما دلالة تدبير حيث جريا على سنن واحد
ومقدار واحد على غير تفاوت يكون فيها وتفاضل او تغير على ما كان ومضى دل انه عن تدبير خرجا وكانا كذلك
وفيه دلالة علمه وحكمته لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل بقيه ولو كان النهار سرمدا
لذهب منفعة النهار ايضا وفيه دلالة البعث لانه يتلف احدهما اذا جا الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يعيد
على ما كان من غير ان يعلم انه غير الاول ثم قوله ايتين والاية علامة وعلامتهما لا تعرف الا بالتامل والنظر فيما فيها
لتكون مراد ما في القران والمعنى المودع فيه انما يدرك بالتامل والنظر فيه وفيها دلالة نقض قول اصحاب الطبايع
واصحاب النجوم والدهرية وجميع الملحدة اما نقض قول اصحاب الطبايع لما ذكرنا من انهما تجريان على
سنن واحد وامر واحد دل انه بالتدبير صار كذلك لا بالطبع واما نقض قول اصحاب النجوم لما جعل
النجوم مسخرة لمنافع الخلق ويغلب ضوء الشمس ونور القمر حتى لا ترى دل انه لا تدبير لها وان التدبير
لغيرها وعلى زعم من الملحدة ما ذكرنا من اتصال منافع هذا بهذا ومنافع هذا بهذا دل انه ما ذكرنا والله اعلم
لتبتغوا فضلا من ربكم يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق والمعاش الذي ذكر في اية اخرى وجعلنا
النهار معاشا ويحتمل انواع فضل يكون في الدين ولتعلموا عدد السنين والحساب هو ما ذكرنا انه بهما يعرف
عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل تفصيل اية من اخرى اي لم نجعلها
اية واحدة على ما ذكر قال الحسن اي فصل وبين ما امرهم به ونهاهم عنه وفصل ما يوتى مما يتقى وفصلنا
اي فصلنا تفصيلا لم نتركه مبهما بل بين غاية البيان وكل انسان الزمناه طايره في عنقه اختلف
في قوله طايره قال بعضهم طايره شقاوته وسعادته ورزقه وعيشه وقال بعضهم عمله الذي عمل من خير او
شر وقال بعضهم حظه ونصيبه من عمله وهو جزاوه ونحو ذلك فذلك كله يرجع الى معنى واحد لانه انما يسعد
ويشقى بعمله الذي يعمله وكذلك جزا عمله ولذلك قال الحسن في تاويل قوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
اي باعمالنا التي عملناها لانه يخرج نسبة العمل وما ذكروا طايرا لوجهين احدهما على وجه التفعل والطيرة
كانوا يتفالون ويتطيرون بالاشيا بالطاير ونحوه ويقولون جرى له الطاير بكذا من الخير وجرى له
بكذا من الشر على طريق الفال والطيرة فخاطبهم على ما يستعملون واجرى ذلك يلزم اعناقهم وهو ما
قال الله تعالى يطيروا بموسى ومن معه وكقوله فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وقولهم ايضا قالوا اطيرنا
بك وبمن معك الاية ونحو والثاني سمى الاعمال التي عملوها طايرا لما ان الذي يتولد منه تلك الاعمال الطاير
وهو الهم او لا يخطر ببال لشي في الاخطار او منع فيه ثم يهم ثم تبعث الهمة على الارادة ثم الارادة
تبعث على الطلب والعمل فلما انه في النفس الذي يتولد منها الاعمال كالطاير فسماه لذلك باسمه والله اعلم
وقوله في عنقه يحتمل ان يكون العنق كناية عن النفس اي الزمناه نفسه وذلك جاير تعالى هذا لك على وفي عنقي

وانما ذكر العنق لما يقول الرجل لاخر اذا اراد التخلص من عمل تقلدتك هذا العمل وجعلته في عنقك اي يكون انت
المأخوذ به ان كان فيه تبعات او شرور المأخوذ به المثاب ان كان فيه خير والمعنى من قوله وكل انسان الزمناه طايره
في عنقه اي لا يوخذ غيره بعمله ولكن هو المأخوذ به وهو كقوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقوله ولا
تزر وازرة وزر اخرى من الايات الثلثة معناها واحد وهو ما ذكرنا انه لا يوخذ غيره بعمله ولا تحمل نفس
خطيئة اخرى ولا وزرها ولكن كل نفس انما تحمل خطيئة نفسها ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
هذا يحتمل وجهين احدهما اي نجعل ما الزم عنقه كتابا يلقاه منشورا والثاني اي نجعل ما الزم عنقه كتابا
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قيل شهيدا وقيل كافيا وحاسبا وهو واحد ان المومن بما سبق منه
صالحاته يتمنى ان لا ينقطع القول في لرجايه في رحمته ويخوض عن مساويه فلا يشهد على نفسه بالعقوبة واما الكافر
فانه يشهد على نفسه لانه لم يكن له ما يطمع رحمته وقوله اقرا كتابك اي نخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فيقال
له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه اذ لو كان لانه لم يعرف ما في
الكتاب انه يتذكر جميع ما عمل في عمره وترى ان الرجل عملا يعمل في ادنى مدة لكن يحفظه يتذكر في ساعة وبعد
ما كان عاملا منه من اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي من اهتدى الى ما جعل الله عليه من انواع النعم وكان
اداه شكرها فانما فعل ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به او نقول من اختار الهدى واجاب الى ما دعاه مولاه فانما
يهتدي لنفسه اي فانما اختار ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به والثواب هو في ذلك له ومن ضل اي
من اختار الضلال فانما يضل عليها اي فانما يرجع عليها ضرره ووجه ذلك من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وقوله
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله ومن ضل عن ذلك فانما يضل عليها اي اليه يرجع ضرر ضلاله
كقوله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ولا تزر وازرة وزر اخرى هو ما ذكرنا اي لا تحمل نفس خطيئة
اخرى ولا تاثم بوزر اخرى والله اعلم ذكر هذا ليعلم ان امر الاخرة خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد توخذ
نفس مكان اخرى وتحمل نفس عن اخرى وفي الاخرة لا توخذ نفس بدل اخرى والثاني قد يتبرع بعضهم عن
بعض بتحمل المونات والقيام في كفاياتهم واما في الاخرة فلا يتبرع بذلك وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا يحتمل ما كنا معذبين تعذيب استيصال في الدنيا الا بعد دفع الشبه ورفعها عن الحجج من كل وجه
وبعد تمامها وان كانت الحجج قد لزمتهم دون بعث الرسل ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه او ان يكون قوله
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا افضالا منه ورحمة وان كان العذاب قد لزمهم والحجج قد قامت عليهم والعذاب
الذي كانوا يعذبون به في الدنيا ليس هو عذاب الكفر لان عذاب الكفر ابدا لا انقطاع له وهذا مما ينقطع
وينفصل لكن يعذبون باشيا كانت منهم من العناد ودفع الايات واما عذاب الاخرة لا ينقطع ابدا وفي
الاية دلالة ان حجج التوحيد قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل حيث قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولو
لم تلزمهم لكان الرسل اذا دعوهم الى ذلك يقولون من انتم ومن بعثكم الينا فاذا لم يكن لهم هذا الاحتجاج
دل ان الحجج قد قامت عليهم لكن الله بفضله اراد ان يدفع الشبه عنهم ويقطع عنهم عذرهم برسول يبعث اليهم لما
ان اسباب العلم [illegible] منها ما يعلم بظواهر الحواس بالبديهة ومنها ما يفهم ويعلم بالتامل والنظر ومنها ما
لا يعلم الا بالتعليم والتنبيه وقال القتبي ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وهو ما ذكرنا اي نخرج له ذلك
العمل كتابا وقال ابو عوسجة اي نكتب ما عمله يتقلد في عنقه يلقى به يوم القيمة وقال ابو عبيدة طايره
حظه وقال غيره من المفسرين ما عمل من خير او شر الزمناه عنقه وقال القتبي وهذان المعنيان يرجعان
الى معنى واحد والله اعلم ان لكل امري حظا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقه والعرب
تقول لكل ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهو لازم طاير في عنقه وهذا لك على وفي عنقي حتى اخرج منه
وانما قيل للحظ من الشر والخير طاير لقول العرب ما ذكرنا جرى له الطاير بكذا من الخير وجرى له الطاير بكذا من الشر

على وجه الغلبة والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا وهو ما ذكرنا وقوله وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا التعذيب يكون على وجوه ثلاثة احدها يعذبهم في الدنيا ابتداء تعذيب امتحان وابتلاء بلا جرم
كان منهم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فيكون تنبيها وتذكيرا لهم
لا تكفيرا والثاني يعذب تعذيب العناد والمكابرة وهو تعذيب اهلاك واستيصال فهو عقوبة لهم وموعظة
للمتقين وعبرة لغيرهم وهو الذي ياتي على اثر وعيد والثالث عذاب الموعود في الاخرة فيقول وما كنا معذبين
في الاخرة حتى نبعث رسولا في الدنيا والاشبه ان يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استيصال والله اعلم
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها بالتخفيف والتثقيل امرنا مترفيها ثم من قال امرنا بالتثقيل
يحتمل وجهين احدهما امرنا مترفيها من الامارة والتسليط عليهم اي امرنا عليهم وسلطنا مترفيها اي اكثرت
عددهم وسلطنا مترفيها ففسقوا وسكنوها والثاني امرنا مترفيها اي اكثرنا عددهم ونفعهم في كلام هذا القوام
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة الاية وقولهم نحن اكثر
اموالا واولادا الاية كانوا يزعمون انهم لا يعذبون لانهم قد انعموا في الدنيا واكثروا اموالهم واولادهم
فاخبر عز وجل انه ما اهلك من الامم الخالية الا بعد ما كثر عددهم ووسع عليهم الدنيا لم يهلكوا في حال القلة
والضيق ثم قال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا اي كثروا وقوله حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون لم ياخذ بالعذاب الامم الخالية الا في حال كثرتهم وامنهم وعزتهم بالسعة يحذر رسوله لئلا يغتروا
بكثرة اموالهم واولادهم وعددهم ومن قال امرنا مترفيها بالتخفيف هو من الامر اي امرنا عظماءهم وكبراءهم
طاعة الرسول والاجابة الى ما دعاهم اليه حتى اذا عصوا رسله وتركوا اجابتهم على العناد والمكابرة فعند
ذلك يهلكون لما ذكرنا انه لم يستاصل الامم الخالية الا بعد عنادهم في ايات الله ومكابرتهم في دفعها
وتكذيبها لا يهلكهم في اول ما كذبوا ايات الله وخالفوا رسله وقوله مترفيها قال بعضهم المترف المنعم
وقال بعضهم المترف الكريم والمتكبر كل واحد في قومه واذا اردنا ان نهلك قرية دلالة ان الارادة
عن المراد له تاخر بتقدم الارادة عن وقت الاهلاك ولنا انه عز وجل فيه انه اراد السبب الذي به
يهلكون وهو التكذيب والعناد لما علم منهم انهم يختارون ذلك اذ لا يحتمل ان يريد اهلاكهم وهو يعلم منهم
غير سبب الهلاك فهذا يرد قول المعتزلة ان الارادة هي المراد وانه اريد ما كان منهم من سبب الهلاك والله
اعلم فحق عليها القول اي اراد اهلاكهم وجب عليهم او يكون قوله فحق عليها القول بما اخبر
عن الامم الخالية وهو قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الاية فدمرناها تدميرا اي اهلكناها
اهلاكا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحتمل
ان يكون الخبير والبصير واحدا ويشبه ان يكون بينهما فرق الخبير العالم باعمالهم البصير بمصالحهم ومعائشهم
ومجازاتهم يقال فلان بصير في امر كذا وفلان ابصر من فلان ويحتمل ان يكون بذنوب عباده هو مكرهم الذي
كانوا يمكرون برسول الله فقال وكفى بربك بمكرهم الذي يمكرون بك من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد يحتمل هذا وجهين احدهما انهم كانوا يعملون باعمالهم الحسنة في كفرهم من نحو الانفاق
والصدقات وبذل الاموال ونحو ذلك يريدون بذلك العز والشرف والذكر في الدنيا فاخبر انه من
اراد بالفعل ذلك عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والثاني يكون قوله من كان يريد العاجلة اي يريد به
جمع الاموال وسعتها عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم اخبر انه لا كل من اراد ما يعجل له ذلك ولا ما اراد
يعجل له ذلك ولكن انما يعجل ما اراد الله ولمن اراد اذ لا كل من اراد شيئا يعطى له ذلك ثم اخبر انما يعطى
في الاخرة من اراد العاجلة فقال ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا اي مذموما بما يسمى
باسم قبيح دنيء مذموم عند الخلق او يذم ويلام في النار مدحورا مطرودا من الاشياء الحسنة

من الخيرات او مبعدا من رحمته وقوله مذموما عند نفسه اي يذم نفسه يومئذ او مذموما عند الملائكة والخلق
جميعا وفي قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وجهان احدهما يحتمل ان يكون اراد باهلاكهم اياهم
موتهم باجالهم يقول انهم كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم كثروا واصبحوا صاروا اقواما توالدوا لم يبق منهم احد
ويحتمل ان يكون الاهلاك هنا اهلاك استيصال ونحوه خرج على وجهين احدهما انه قد استووا في هذه الدنيا
اعني الولي والعدو وفي الحكمة التمييز بينهما والتفريق فلا بد من دار يفرق بينهما فيه ويميز والثاني قد هلكوا
جميعا وفي العقل والحكمة ان الخلق للفناء خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل فدل ان هناك دارا اخرى هي
المقصودة حتى صار خلق هولاء حكمة وفيه الزام البعث ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
تفسير قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد كانه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر بربه
مكذب بالاخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن كان يريد الاخرة وهو مؤمن بربه مصدق بالاخرة وسعى
لها سعيها الا يرى اي يجزى بمشكور السعي المشكور هو الذي يجزى ويثاب عليه وقوله ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن هذا يدل انهم انما ارادوا العاجلة بكفرهم بالاخرة ثم اخبر ان من اراد وعمل في الدنيا الاخرة
ولها سعى سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مجزيا مثابا كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء
ربك اي المؤمن والكافر نعطي هذا وهذا اي لا نحرم من العاجل من اراد الاخرة بجهاده ولئلا يكفروا بكفرهم
بالاخرة انه ليس يعطي الدنيا وسعتها لمن يكفر بالاخرة ولكن يعطي من كفر بها ومن امن بها لئلا يحملهم ذلك على
حب الدنيا وطلب العز والشرف في تركهم بالاخرة حيث قال كلا نمد هولاء وهولاء اي نعطي المؤمن والكافر
والبر والفاجر وما كان عطاء ربك محظورا اي رزق ربك وفضله محظورا قال بعضهم محبوسا
ممنوعا وقال بعضهم محظورا اي منقوصا ممنوعا في الاخرة اي لا ينقصون في الاخرة من جزائهم وروي في
الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا وعن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العبد همه الاخرة كفى الله ضيعته وجعل غناه في
قلبه واذا كان همه الدنيا افشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه فلا يمسي الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا
وقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي من كان يريد العاجلة للعاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد واما من كان يريد العاجلة للاخرة فهو ليس بمذموم فهو ما ذكر في قوله فاولئك كان
سعيهم مشكورا وهو ما قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وقوله اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وهي الدنيا للدنيا لعب ولهو واما من اراد الحيوة الدنيا لحيوة الاخرة فهو ليس
بلعب ولهو لان الدنيا لم تنشا لنفسها انما انشئت للاخرة فمن راها لها واراد ها لنفسها فهو لعب ولهو
ومن راها للاخرة واراد ها للاخرة فهو ليس بلعب ولا لهو انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
في الدنيا في الرزق وفي الخلق يكون بعضهم اعمى وبعضهم بصيرا ويكون اصم ويكون سميعا ونحوه فعلى
ما يكونون في الدنيا على التفاوت والتفاضل يكونون في الاخرة كذلك في المنزلة والقدر عند الله ثم
لا في الضيق والسعة والاحوال التي يكونون في الدنيا حيث قال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
ولم يقل اكثر ولا اوسع لانه على القدر والمنزلة عند الله لا على اختلاف الاحوال التي يكونون في الدنيا
والله اعلم لا تجعل مع الله الها اخر فقد ذكرنا فيما تقدم ان النهي في مثل هذا الخطاب لرسوله
وان كان عز وجل معصوما فذلك منه للعصمة التي عصمه فانه غير مستحيل لما ذكرنا ان العصمة انما ينتفع بها مع الامر
والنهي لانه لولا الامر والنهي لما احتيج اليها او خاطبه به على ارادة غيره على ما يخاطب به ملوك الارض الاكبر
اليهم والاعظم والخطر منهم دون خواص الناس وارذالهم والثاني انه خاطب كلا في نفسه ليس انه
يخص رسوله به لكن كل من هو سواه ذلك منه ويحتمل ان يخاطب به كقوله يا ايها الانسان ما غرك ويا ايها الناس

ليس انا احق بهذا الخطاب من ان يخلى ذلك الا وقد ادنيتك يخاطب رسوله الجليل من دونه ان ليس له احد دونه عظم
قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته لما به في الدين لان الرسل هم المكرمون عند الله المعظمون عنده فاذا لم يعفوا
من هذا لم يعف من دونهم الا ترى انه قال للملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم اكرم خلق الله
حيث وصفهم انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فعلى ذلك الرسل الا ترى انه قال وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ومعلوم ان ابويه كانا ماتا من قبل فلا يحتمل
ان يخاطب رسوله في قوله وقل رب ارحمهما ولانه خاطب به كل من يحتمل ذلك منه ومن تعظم فتقعد مذموما
عند الناس مخذولا اي ذليلا مقهورا لان الخذلان من ضد النصر والعون الا ترى انه قال ان ينصركم الله
الآية ذكر الخذلان مقابل النصر فعلى ذلك قوله مخذولا اي مقهورا ذليلا غير منصور والله اعلم
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه قال بعضهم قضى حكم وقال بعضهم قضى ههنا امر اي امر ربك الا تعبدوا الا اياه
وقال بعضهم قضى ربك اي وصى ربك وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي انهما كانا يقرآن ووصى ربك وقال
بعضهم وعهد ربك وقال القتبي وقضى ربك اي حتم ربك وهو من الفرض والالزام اي فرض ربك والزم
ان لا تعبدوا الا اياه وكذلك حكم ربك وهو اشبه الا ترى انه قال في آية اخرى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ثم قال ومن يعص الله ورسوله دل قوله ومن يعص الله ورسوله
ان قوله اذا قضى الله ورسوله معناه اي فرض الله ورسوله وحكما امرا ثم قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه فرض وحتم وحكم وامر ان لا تعبدوا الها سواه الا المعبود الحق المستحق للعبادة والربوبية لا تعبدوا
دونه احدا وقد ابان لنا انه هو الاله والرب المستحق للعبادة والالوهية والربوبية لا الذين تعبدون
من دونه من الاوثان والاصنام بوجوه ثلاثة احدها عجز العقول وجهلها عن درك كيفية العقل وماهيته
لان العقول لا تعرف كيفية انفسها وماهيتها وتعرف محاسن الاشياء ومساويها فقد عرفت الالوهية لله
وحسن العبادة له وقبح الجحود والثاني ما يوجد في جميع الخلائق من آثار الوهيته وربوبيته وجعل العباد له
شكر الله وعلى ذلك جعل في كل جارحة من جوارح الانسان من شكر الله ما فيها من آثار الوهيته والثالث
السمع اخبرنا ان لا معبود الا الله ولا الوهية لسواه دونه فذلك معنى ما فرض على خلقه وامرهم ان لا
يعبدوا الا اياه وتاويل حكم ربك ان لا تعبدوا الا اياه لما ان في خلقه كل احد آثار وحدانيته وشهادة
ربوبيته واستحقاق العبادة له فذلك تاويل من قال قضى اي حكم واما تاويل من قال قضى اي امر ربك وكلف
ان لا تعبدوا الا اياه يكون فيه امر بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره كانه قال امر ربك ان اعبدوه ونهاكم
ان تعبدوا غيره ثم الفرق بين الطاعة والعبادة يجوز ان يطاع غيره ولا يجوز ان يعبد غيره لان الطاعة هي
الايتمار كقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي ايتمروا واما العبادة هي الاستسلام
والخضوع له والشكر له ولا يجوز ذلك لغيره سوى الله او ان يكون في العبادة معنى لا يدرك كمعنى الرحمن لا
يدرك حيث لم يجز تسمية غيره به فعلى ذلك هذا والله اعلم وبالوالدين احسانا كانه قال وفرض
عليكم ايضا وحكم احسان الوالدين او امركم باحسان الوالدين ثم الاحسان في عرف الناس هو الفعل
الذي ليس عليه انما هو فضل ومعروف يصنعه الى غيره هذا هو الاحسان في العرف واللغة لكن المراد من الامر
بالاحسان الى الوالدين هو الشكر لما ذكرنا من الاحسان المعروف عند الناس وهو ما ذكر في آية اخرى
ان اشكر لي ولوالديك لان الشكر هو المكافاة والجزاء لما انعم وصنع من المعروف نحوه والله اعلم وان ذكر الاحسان
في هذا وفي غيره من الآيات وهو قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقال في آية اخرى
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وغيرها من الآيات فالمراد منه والله اعلم الشكر لهما
لما ذكر في آية اخرى ان اشكر لي ولوالديك والشكر هو المكافاة اذ يكافئ لهما ويجازي بعض ما

كان منهما اليه من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل سوء ومكروه في البطن وبعدما خرج من البطن
حتى كانا يؤثرانه على انفسهما في السرور ويجعلان انفسهما وقاية له من كل سوء ومحذور فامر الولد ان يشكر
لوالديه جزاء ومكافاة لما كان منهما اليه ما ذكرنا فهذا ذكر في الحال التي عجزا فيها عن القيام لامر انفسهما والحوائج
لهما ذلك والله اعلم لانهما اذا كانا قويين قادرين لحوائج انفسهما ومنافعهما يتركان ولدهما ويحسنان اليه
فيحل بهما واصابهما الحاجة الى الطاعة لهما لذا البر والاحسان اليهما على المجازاة وهكذا المعروف عند الناس انه اذا
بر بعضهم بعضا بعث ذلك على المكافاة ليدوم ذلك بينهم ولا ينقطع لذلك ذكر والله اعلم الاحسان الى الوالد
في الحال التي هي حال ضعف وعجز حيث قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما امر ان يذكر الحال التي
هو عليها وهي حال طفوليته وصغره انه كيف ربياه وبراه وعطفا عليه ولا نالاه قولا وفعلا حتى لم يستقذرا
منه شيئا ما يستقذر الناس بعضهم من بعض ولم يتباعدا عنه ما يتباعد الخلق بعضهم من بعض من انواع الاذى
والخبث فامر ان يجازيهما اذا بلغا الحال التي كان هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على
ما كان هو وبلغا المبلغ الذي يستقذر منهما ويبعد عنهما اي لا يستقذرهما ولا يبعدهما كما لم يستقذراه
منه ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة اليه كما لم ينهراه بل يلين لهما ويذل كما لانا له وخضعا وهو كما قال الله
خلقكم ثم يتوفيكم الآية وقال في آية اخرى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة اخبر انه يرده من بعد القوة والعلم الى الحال التي كان عليها وهو حال الضعف والجهل حيث
قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم الآية وقال خلقكم من ضعف الآية فقال لهذا فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما
وقال بعضهم قوله فلا تقل لهما اف هو كناية عن اظهار الكراهة لهما في الوجه ولا تنهرهما اي لا تعنفهما في القول
والكلام على ما يفعل بهما لك وقال بعضهم ان المراد منه هو اف لا غير ولا تنهرهما اي لا تعنفهما ولا تخشن
لكنه ذكر اول حال الاستثقال والكراهة منه وآخرها اي لا تقل لهما اف على ما يستثقل الناس شيئا ويكرهون
في اول ما يرون شيئا يستثقلونه ويكرهونه يقولون اف اي لا تفعل ذلك بل يحمل ذلك على العقوق والخشونة
والنهر وعلى هذا المعنى قالوا في قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الآية قال بعضهم
يغضوا من ابصارهم ليحفظوا فروجهم لان النظر بالبصر يحمل على الزنا في الفرج ومنه يكون بدؤ الفحش
وقال بعضهم قوله يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذكرا اول حال واخرها ليمتنعوا عن كل
ذلك فعلى ذلك قالوا في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ذكر اول الحال واخرها بالثاني اي لا تظهر
في وجهك من الكراهة والاستثقال ليحمل ذلك على العنف والانتهار فان كان تاويل قوله اف اف لا غير
ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله اذا نفخ المصلي في موضع سجوده هو كلام يقطع صلاته حيث قال فلا
تقل لهما اف اي لا تتكلم به والله اعلم وقل لهما قولا كريما حيث نهاه ان يقول لهما اف ونهاه
ان ينهرهما فاذا امتنع من الاف والنهر كان بعد ذلك قولا لينا لطيفا قال ابو عوسجة يقال نهرته وانتهرته
وهو الخشن من الكلام شبه الوعيد وقال ابو بكر الكيساني الكريم هو الذي يتولى على اخذ حقه ويعينه بترك
الاذى والمن يقول الله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال غيره في وصف السخي فقال الذي يبذل ما
احتوى عليه لمن احتاج اليه وقطع طمعه عما احتوى عليه غيره عند حاجته اليه ويشبه ان يكون الكريم
قريبا منه فان قيل ان الوالدين كالمجبولين المطبوعين على البر له وله وهما والشفقة عليهم ولا كذلك الولد
الاولاد فكيف يشبه بر من كان مجبولا به مطبوعا عليه بر من لم يكن ذلك بطبعه قيل لذلك ذكر هذا في
الولد دون الوالدين للامر بذلك لانه ما يفعل الوالدان من البر والاحسان الى الولد يفعلان بطبع
والولد لا لذلك كان ما ذكر والله اعلم ولهذا ما لم يجعل ولم يشرع قتل الوالد بولده اذا اقتص وحل
بينهم وشرع قتل الولد بوالديه اذ في الوالدين من الشفقة والرحمة ما يمنع قتل الولد وليس في الولد ذلك

فجعلوا في قتل الولد والدين القصاص ولم يجعل في قتل الوالدين ولدهما فعلي ذلك هاهنا في البر والاحسان فان قيل
ما الحكمة في قرن الله من شكر والديه شكره في غير اي من القران اشكر لي ولوالديك قيل لانهما كان في اول
حاله الجاهر ما انتهى اليه من التغذيه والتربيه والوقايه عن كل سوء والحفظ عن كل افة وشروفي الايه دليل لقول
ابي حنيفة حيث قال في المكاتب اذا اشترى والديه او ام صار مكاتبا مثله واذا اشترى اخاه او ذا رحم محرم منه لم يصر
مكاتبا لان الاب والام يصيران كذلك بحق الجزاء والشكر فعلي ذلك واما الاخ وغيره من المحارم بحق المعروف فلكم
لا يحتمل نكتة الخطاب من الله وان كان نحو رسوله فالمراد منه غيره لان رسول الله معلوم انه لم يدرك والديه في
الوقت الذي ارسل اليه وخاطبه بما خاطب علمنا انه اراد بالخطاب غيره كل محتمل منه ذلك وهو معصوم منه وامر ان
يعاملهما بالمعاملة التي ذكر والله اعلم واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يحتمل ان يكون الجناح كناية عن
اليدين لان اليدين في الانسان بموضع الجناح للطاير وجناح الطاير يداه فكانه قال اخفض واخضع لهما يديك
كالامر ان يخفض بل ان لهما بقوله وقل لهما قولا كريما اي اخضع لهما قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الجناح كناية
عن النفس اي اخضع لهما بجميع النفس والجوارح وقوله الذل يحتمل ان يكون المراد من الذل الذل نفسه اي كن
لهما كالمستعين المحتاج اليهما لا كالمعين لهما قاضي الحاجه ولكن ذليلا كالمستعين من الاخر رافع الحاجة اليه
ويحتمل ان يكون الذل كناية عن الرحمة التي تكون في القلب اي اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا العزيز
انه قال اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ارحما على المومنين اشدا على الكافرين العزيز انه قال في اية
اخرى اشدا على الكفار رحما بينهم ذكر مقابل الذل في تلك الاية الرحمة في هذا ومقابل العزة الشدة فعلي ذلك
يحتمل ان يكون قوله جناح الذل كناية عن الرحمة فيكون معناه ان اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على
ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما والله اعلم وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا قال
بعضهم رب ارحمهما كما ربياني اذ ربياني صغيرا ويحتمل ان يكون على الاضمار فيكون والله اعلم كانه قال رب
ارحمهما كما رحماني وربياني صغيرا وقول اهل التاويل ان هذا منسوخ نسخه قوله ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين الايه بعيد ويمكن ان تكون الاية في المومنين والكافرين فالرحمة التي ذكر تكون في
الكافرين سوال الهداية لم وجعلوا اهلا للرحمة والمغفرة وذلك جائز كقول نوح لقومه استغفروا ربكم
انه كان غفارا اي استهدوا ربكم فيهديكم فيغفر لكم ما كان منكم انه كان لم يزل غفارا اذ لا يحتمل ان يامرهم
بالاستغفار ويعدهم بالمغفرة على الحال التي هم عليها وكذلك استغفار ابرهيم لابيه او ان تكون من الرحمة
التي يتراحم بعضهم لبعض والشفقة التي تكون بين الناس كما يتراحم الصغار والضعفاء ثم مثل هذه المعاملة
التي امر الولدان يعامل ابويه يلزم المومنين من جهة الدين ومكارم الاخلاق ان يعامل الناس بعضهم
بعضا غير ان هذا في بين الناس ليس بفرض لازم وذاك فرض لازم لانهما بحق الشكر والجزا لما كان
منهما اليه من البر والاحسان وحق التربيه او لتعظيم حقهما وجليل قدرهما وخصوصيتهما وهو كما قال لرسوله
واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين والا فقد وصف المومنين بتراحم بعضهم على بعض على ما ذكر رحما
بينهم وامرهم بذلك ربكم اعلم بما في نفوسكم قال بعضهم قوله اعلم بما في نفوسكم من اسرار المحبة
لهما والبر والكرامة وقال بعضهم ربكم اعلم بما في نفوسكم اي اعلم ما تفعله نفوسكم وهو كما قال عيسى تعلم ما
في نفسي اي تعلم ما تفعل نفسي ولا اعلم ما في نفسك من التدبير والتقدير فعلى ذلك هاهنا وجائز ان يكون
قوله ربكم اعلم بما في نفوسكم صلة قوله فلا تقل لهما اف الاية اي ربكم اعلم بما في ضميركم من الاستقذار لهما
والاستثقال والكراهة اذا بلغا المبلغ الذي ذكر ولكن لا تظهر ذلك لهما ولا يوافق ظاهرك باطنك
او ان يقول ربكم اعلم بما في نفوسكم ولا يعلم غيره ما في نفوسكم فلا تراءون الناس ما في قلوبكم ولا تصرفوا
ما في ضميركم الى من لا يعلم ذلك يخاطب الكل على الابتدا انه لا يحمل ما في قلبه لغيره بل يخلص له او ان يكون

قوله ربكم اعلم بما في نفوسكم اي ما تفعله انفسكم وتدبرها ان تكونوا صالحين اي تصيروا صالحين لان
قوله تكونوا اي مومني حادث الوقت فانه كان للاوابين غفورا ايشبه ان يكون قوله ان تكونوا
صالحين صلة قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وتكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا اي فانه لم
يزل غفورا للاوابين ولمن شاء ثم اختلف في الاواب قال بعضهم الاواب الرجاع التواب وهو قول ابي عوسجة
وقال القتبي الاواب التايب مرة بعد مرة وهو من اب يووب اي رجع وهما واحد وقال بعضهم الاواب المطيع
وقيل المسبح وغيره وقال ابو عوسجة في قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي لن لهما وارفق بهما ذكر
بر الابن للوالدين ولطفه اياهما قولا وفعلا وليس في ظاهر الاية ذكر البر بالمال والانفاق عليهما فيشبه
ان يكون ذلك داخلا في قوله وبالوالدين احسانا او لم يذكر ذلك لان مال الولد مال لهما الا ترى الى ما روي
عن جابر بن عبد الله قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابوه فقال يا رسول الله ان لي مالا وان لي ابا
وله مال وان ابي يريد ان ياخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك او لا ترى ايضا انه اضاف
بيوت الولد اليهما حيث قال ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم قوله من بيوتكم معناه بيوت ابنايكم وقال بعضهم
في قوله انه كان للاوابين غفورا انه صلوة الضحى ويروى في ذلك خبرا وذكر زيد بن ارقم قال خرج النبي صلى الله
عليه وسلم على قوم وهم يصلون الضحى فقال صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال وفي خبر اخر عن ابي هريرة رضه
قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث امرني ان اصوم ثلثا في كل شهر وان لا انام الا على وتر وان اصلي
ركعتي الضحى فانها صلاة الاوابين وقد روي احاديث كثيرة في الحث على صلوة الضحى وفعلها وانه صلى بها
ركعتين واربعا وثمانيا ما يكثر ذكرها ويطول ومن صلاها فانما صلاها على سبيل التطوع ليس على
سبيل اللزوم الواجب والسنة المؤكدة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها مرة وتركها مرة فكان كصلوة الليل
يدرك فاعلها الفضل وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل كان الاية هي صلة قوله وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اي وقضى ايضا ان توتي ذا القربى حقه ومن ذكر اي فرض وحتم
وحكم على اختلاف ما قالوا وهو كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا وبذي القربى
الاية امر عز وجل ببر الوالدين والكرامة لهما وصلة ذي القربى فريضة ومن ذكر ثم اختلفوا في قوله حقه قال
بعضهم نفقة الحق فريضة وهو الزكوة حيث جعل ذلك صلة ما هو فرض وهو الكرامة وجعل العبادة لله والبر
للوالدين حقا لما كان منهما اليه وقد ذكرنا ان ذلك فرض لازم فعلى ذلك صلة هولا ان صلتهم فريضة
لما جاء من المواعيد الشديدة في قطع الرحم والترغيب في صلتهم ومنهم من قال ذلك الحق نفل الا ترى انه قال
ولا تبذر تبذيرا ولا تبسطها كل البسط وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فلا يحتمل ما ذكر
من الاعراض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها في الفرض دل انه في النفل والله اعلم ولا تبذر تبذيرا
قال بعضهم التبذير والاسراف واحد وهو مجاوزة عن الحد الذي جعل في الانفاق والحقوق او المجاوزة
عن الحق الى غير الحق روي عن ابن مسعود انه سيل عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وكذلك قول
ابن عباس وقال بعضهم التبذير هو الانفاق فيما لا ينتفع به ويحتمل ما ذكرنا انه يترك الانفاق على الحق
وهم ذووا القربى وينفق على الاجنبيين ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي كانوا
اوليا الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا اي كفورا النعم ربه واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسال فيقول ما لال محمد وانهم لتسعة اهل ابيات
الا صاع من طعام فانزل الله فقل لهم قولا ميسورا اي عدهم ان سوف ياتي بالرزق وعن ابن عباس قال
في قوله واما تعرضن عنهم اذا سالوك وليس عندك شي انتظرت رزقا من الله ياتيك فقل لهم قولا ميسورا
يكون ان شا الله شبه العدة وامثال هذا قال لو ويحتمل قوله واما تعرضن عنهم اعراض الوجه ويحتمل اعراض الحاجة

لعله اللين

منع

فذلك يكون للاستثقال والاستخفاف مرة ولما ليس عنده شيء يعطيهم ثانيا لكن لا نعرف ان الاعراض كان لكل الاستثقال
والاستخفاف او لما ليس عنده شيء يعطيهم فامر ان يبين لهم ان الاعراض عنهم ليس للاستثقال والاستخفاف وكذلك ذكر
الاجابتهم ولكن لما ليس له عنده شيء ليعلموا ان الاعراض عنهم ليس للاستخفاف ولا للاستثقال ولكن لما ليس
عنده ما يعطيهم او يطلب ما يعطيهم ويحاول [illegible] فقل لهم قولا ميسورا اجمع اهل التاويل ان هذا الاعراض
هو ليس لسؤال لانه كان يعرض عنهم لابتغاء ما يعطيهم فذلك الاعراض رجاء منفعته الى السؤال ثم اختلفوا في
قوله ميسورا قال بعضهم عدهم عدة حسنة اذا كان ذلك اعطيناكم وقال بعضهم اي ادعهم خيرا وقال بعضهم قل
لهم قولا لينا سهلا وقال ابو عوسجة ميسورا اي حسنا وهو من التيسير ونحو ذلك قالوا اردد عليهم ردا
حسنا ليقع عندهم ان الاعراض لما ليس عنده شيء لا لوجه اخر والله اعلم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك في الانفاق اذا كان عندك ولا تبسطها كل البسط فيلومك من رجاك ولكن ما قال والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاية امر الله ان ينفقوا نفقة ليس فيها سرف ولا اقتار وهو قول ابن عباس
وغيره وقال بعضهم لا تمسك عن النفقة في امر ربك بمنع الحق ولا تبسطها كل البسط فيما ليس عنه فتقعد كذا
وقال بعضهم هذا نهي عن البخل والسرف فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط نهيا عن
الجود ولا يحتمل ان ينهى احدا عن البخل والجود لانهما غريزتان طبيعيتان ولا ينهى احدهما كان سبيله
الطبع والغريزة ولكن ما ذكرنا والله اعلم من كف اليد وقبضها عن الانفاق في الحق والمحق وبسطها في غير الحق
وذكر المحق وقال ابو بكر الاصم دل قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ان قول اليهود يد الله مغلولة انهم
لم يريدوا حقيقة اليد ولكن التضييق والتقتير وكذلك لم يرد بقوله بل يداه مبسوطتان حقيقة بسط اليد
ولكن اراد التوسيع في الرزق والتكثير الا ترى انه قال ينفق كيف يشاء ثم يحتمل الخطاب في هذه الايات الوجوه
الثلاثة التي ذكرنا فيما تقدم في غير موضع احدها انه خاطب رسوله بذلك كله وشاركه فيه قومه وفي القران
كثير انه خاطب رسوله باشياء فيشركه قومه في ذلك والثاني خاطب كلا في نفسه نحو ما ذكرنا في قوله يا ايها الانسان
ويا ايها الناس وقوله قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ونحو من الخطابات
خاطب كل احد في نفسه اذ لا يحتمل ان يخاطب في قوله قل هو الله احد رسول الله خاصة ولا يخاطب غيره
بل الخطاب لكل الناس وكل انسان والثالث خاطب رسوله على ارادة غيره على سبيل الخصوصية له نحو ما
يخاطب ملوك الارض خواصهم والعقلاء من رعيتهم على ارادة ذلك الخطاب غير المخاطبين فعلى ذلك يحتمل
هذا او ان يكون خاطب بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك غيره ممن يمسك ويخاطب بقوله ولا تبسطها كل
البسط رسول الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ان يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط لذلك كان ما ذكر
والله اعلم فتقعد ملوما محسورا يحتمل قوله ملوما عند نفسك وعند الناس تلوم نفسك بانك لم
انفقت وعند الناس لما لم تجد ما تنفق عليهم وعند الله ايضا اذا انفقت في غير حق محسورا
قال القتبي اي يحسرك العطية ويقطعك كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا وقال ابو عوسجة هو من
الحسرة وهي الندامة يقال حسر الرجل فهو محسور وقال التبذير [illegible] وملوما اي ملوما محزونا
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي هو يوسع الرزق على من يوسع وهو يقتر ويضيق
على من يضيق ويقتر اي فلكما الى الله الى الخلق ليقطعوا الرجاء من الخلق ويروا ذلك من الله لا يرون
من غيره والثاني ذكر هذا ليدفع التفضيل لمن ذكر الفضل ويبين لهم حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ومن الناس من قال بان قوله ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر صلة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فيقول والله اعلم انك وان منعته
وحرمته وكان في تقدير الله التوسيع عليه والبسط لم يضره منعك ولا حرمانك ولو وسعت عليه وبسطت وكان

في تقديره التضييق والتقتير لم ينفعه بسطك ولا توسيعك ليعلموا ان التوسيع والبسط والتضييق والمنع منه
او ذكر ليقطعوا الرجاء من الخلق ويطمعوا في رحمته وفضله والله اعلم انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي
عالما بما يصلحهم وعالم بما عليهم او ان يكون الخبير والبصير واحدا او ذكر هذا ليعلم انه على علم بما يكون منهم
ان منهم من الخلاف له والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وان ما ابتلاهم على علم بما يكون منهم عن الحكمة لانه
لا ينفعه طاعتهم اياه وايتمارهم ولا مضرة عليه ولا تبعة في خلافهم اياه بل المنفعة والمضرة في ذلك راجع اليهم
لذلك كان ان ابتلاهم على علم بما يكون منهم حكمة ومن ملوك الارض سفها وجهلا لانما يرسلون من الرسل ويبعثون
من العمال ويسعون لمنافع انفسهم ولدفع مضارهم فاذا فعلوا شيئا يضرهم على علم منهم بالضرر كان ذلك سفها
والله اعلم ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق قال ابو بكر الاصم ان من عادة العرب انهم يقتلون البنات
ويقتلون البنين اذا صاروا واحتيج لا يستنفعون بهم ويقتلون الاباء والامهات اذا بلغوا ارذل العمر فنهى الله
اهل الاسلام عن الاستنان بسنتهم وامر ان يبروا الاباء والامهات اذا بلغوا ذلك المبلغ وهو ما ذكر في قوله وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الى اخر ما ذكر وفي قتل ما كانوا يقتلون من البنات قطع التناسل
والتوالد الذي كان المقصود من انشاء هذا العالم ذلك اذ المقصود من انشاء هذا العالم هذا الذي ذكرنا
وفي قتل البنات قطع ذلك وذهاب المقصود من انشائه ثم قال نحن نرزقهم واياكم اي انهم لا ياكلون من
ارزاقكم بل لكل نسمة رزق على حدة ليس في بقائهم نقصان في رزقكم ولا في فنائهم زيادة بل كل ياكل رزقه
او لا ترون انه لما لم يرزقه الله شركه لكم فيه وهو ما انه لم يرزق اللبن في الضرع ولا تستنفعون انتم به فظهر
ان كلا ياكل رزقه لا يدخل بعض في رزق بعض نقصانا ثم قال ان قتلهم كان خطئا كبيرا اي ان قتلهم في
المعقول كان خطئا كبيرا لما ذكرنا ان في قتلهم قطع ما به قصد في انشاء هذا العالم وفنائه او يكون
ان قتلهم كان خطئا كبيرا في الامم الخالية فيشبه ان يكون خطابا لما خاطب في هؤلاء الايات من قتل الاولاد
والزنا وقتل النفس بغير حق وغير ذلك مما تقدم وما تاخر لوجهين احدهما ما كان للعرب افعال وعادات
السوء ما يخرج على السفه والقبح في العقل خارجا عن الحكمة نهاهم عن ذلك والثاني ذكر هذا ونهيه لما علم انه
قد يكون في خلقه ان يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحرم ذلك عليهم لما ذكر والله اعلم ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا اي في العقل كان وقت ما كان فاحشة لان في اباحة الزنا ذهاب المعارف
التي بها يوصل الى الحكمة والعلم او كان فاحشة في الحكمة الا ترى انه قال ان الله لا يامر بالفحشاء دل قوله ان الله
لا يامر بالفحشاء على انه قد عرف قبح الامر في الحكمة او في العقل حتى قال لا يامر بالفحشاء اذ لو لم يكن كذلك لكان
قال لا يامر به وفي اباحة قتل الانفس ذهاب ما به قصد من انشاء العالم اجمع وجعل في قتل الاولاد انه
كان خطئا كبيرا وهو عظيم في العقل وذكر في الزنا فاحشة وهو ما يخبث في العقل والحكمة وذكر في قتل
الانفس الاسراف وقال فلا يسرف في القتل والاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له ويحتمل قوله
ولا تقربوا الزنا اي لا تزنوا انه كان فاحشة ويحتمل لا تقربوا الاسباب التي بها يوصل الى الزنا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل دم
امرئ مسلم الا في ثلث كفر بعد اسلام او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير حق حرم الله قتل النفس بغير
حق اذ في اباحته ذهاب ما قصد من انشاء هذا العالم وفي التحريم ابقاء الانفس وفي اباحة الزنا ذهاب المعارف
وجهلها وفي تحريمه ابقاء المعارف وابقاؤها والوصول الى الحكمة والعلوم التي يطلب بعضهم من بعض
اذ لا يعرف اهل الحكمة من يزعم فيخفى ذلك ذهاب العلوم والحكمة وفي القتل على الدين اذا استبدل به غير
الدين لان من تفكر قتل نفسه اذا ترك الدين اعني دين الاسلام وهو صحيح لم يترك دينه الاسلام ومن
تفكر رجمه بالزنا امتنع عن الزنا وتركه ومن تفكر انه يقتل اذا قتل غيره امتنع عن قتله ولذلك قال ولكم في

القصاص صحيح فان قيل في المراة اذا ارتدت عن الاسلام انها لا تقتل قيل لانه ليس في قتلها صيرورة الدين
لان النسا اتباع الرجال في الدين لانهن يسلمن باسلام ازواجهن ويصرن ذمة بذمة الازواج فاذا كان كذلك
فليس في قتلهن صيرورة الامر كذلك انه روي ان فلانا اسلم واسلم معه كذا كذا انسان والله اعلم ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما ذكرنا وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يحتمل بالاسلام او بالذمة او باعطا
الجزية والا بالحق ما ذكرنا ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قيل سلطانا اي تسلطا وقهرا
وقال بعضهم سلطانا اي حجة على القاتل فيما يستوجب به القصاص ثم جعل الولي للقتيل سلطانا ولم يذكر اي ولي
فيشبه ان يكون المراد من الولي الذي يخلف الميت في التركة وهم الورثة اذ هو حق كغيره من الحقوق فذلك الى
الورثة فيكون ذلك حق الدم فكانه قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لورثته سلطانا اي حجة فيما يستوجب وفي
ظاهر هذه الاية دلالة ان لواحد من الورثة القيام باستيفا الدم اذ لو كان لا يحل له استيفاؤه لدخل في ذلك الاسراف
الذي ذكر فلا يسرف في القتل اذ لو ضربه كل الورثة لصار في ذلك مثلة وقد نهوا عن ذلك فاذا كان ما
ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال ان الورثة اذا كان بعضهم صغارا وبعضهم كبارا للكبار
ان يقوموا بالاستيفاء دون ان ينتظروا بلوغ الصغار والله اعلم فلا يسرف في القتل قال بعضهم لا تقتل
غير قاتل وليك اذ كان من عادة العرب قتل غير القاتل وقال بعضهم قوله فلا يسرف في القتل اي لا يجاوز الحد
الذي جعل الله في القصاص من المثل والقطع والجراحات وقال بعضهم فلا يسرف في القتل اي في القتل الاول
حيث قتل نفسا بغير حق فذلك اسراف كما قال من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا
وقوله فلا يسرف في القتل هذا يحتمل ان يكون خاطب به ولي القتيل فقال فلا يسرف في القتل اي لا يجاوز
الحد الذي جعل له عليه وهو اذا قتل فاحسن القتل والثاني خاطب به القاتل يقول لا تقتل فانه اسراف
والله اعلم انه كان منصورا قال بعضهم ان المقتول كان منصورا بالولي يقول الولي بقوله فقد جعلنا
لوليه سلطانا ويحتمل منصورا بالمسلمين اي على المسلمين والحكام ودعوتهم دفع ذلك القتل عنه هذا على تاويل من يتاول
في قوله فلا يسرف في القتل قتل غير قاتل وليه او بزيد في جراحاته ويمثل به يقول احذروا ذلك فان على
المسلمين دفع ذلك عنه او كان منصورا في الاخرة وفي ظاهر هذه الاية دلالة ان القصاص واجب بين الاحرار
والعبيد وبين اهل الاسلام واهل الذمة لان الله عز وجل قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
فكانت انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الاية لانها محرمة وفيه ما ذكرنا ان للكبير من الورثة قتله
وان كان فيهم صغار وروي ان الحسن بن علي قتل قاتل ابيه فلانا وفي الورثة صغار لم يدركوا بعد
ويحتمل ان يكون قوله انه كان منصورا في ظاهر هذا ان القاتل هو كان منصورا له انه قال كان منصورا
ولم يقل هو منصور فظاهر ان يقول كان منصورا قبل قتل هذا اذ كان على المسلمين نصره فلما قتل كان غير
منصور الا ان يقال ان الولي صار منصورا وذلك جائز وفي قوله ولا تقربوا الزنا يحتمل النهي عن نفس الزنا
ويحتمل اسباب الزنا من نحو القبلة والمس ونحو على ما ذكر العينان تزنيان واليدان تزنيان والفرج
يصدق ذلك كله او يكذب ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قوله احسن هو افعل فالا
في الاشكال فهو في غاية الحسن وان كان في الوجه من هو على طلب الحسن كقوله واتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم اي اتبعوا ما هو طاع كانه قال ولا تقربوا مال اليتيم الا ما هو خير له وحسن وهو ما قال ولا
تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ويقول لا تقربوا اسرافا وبدارا ولكن اقربوا ما هو خير له وان كان على
طلب الغاية من الحسن فهي ما قال ابو حنيفة رحمه الله اذا قرب مال اليتيم لمنفعة نفسه فلا يقربه الا لمنفعة حاضرة
لليتيم لا يقرب ماله لمنفعة مرجوة واذا قرب مال اليتيم لمنفعته لليتيم فانه يجوز ان يقربه لمنفعة مرجوة له
وان لم يكن فيه منفعة حاضرة وقد ذكرنا تاويله وما فيه من الدلالة لقول ابي حنيفة فيما تقدم في سورة الانعام

ثم من الناس من احتج بهذه الاية لقول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال ان للوصي ان يبيع مال اليتيم من نفسه اذا كان
خيرا له وله ان يبيع من غيره بمثل قيمته فذلك ان ذكر الخير لما اذا كان يبيع من نفسه وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن كانه على الاضمار اي لا تقربوا مال اليتيم الا بالوجه التي هي احسن له وانفع وهو الحفظ له وطلب الربح
والنما والله اعلم حتى يبلغ اشده اي حتى يستحكم عقله ويستتم تدبيره في ماله وامره فعند ذلك يكون الامر
اليه وليس فيه انه لا يكون بعد ذلك الامر الى الوصي لو كان وهي بان له يبيع ويشتري واوفوا بالعهد
ان العهد كان مسؤولا يحتمل ان يكون قوله بالعهد العهد والمواثيق التي بين الناس امروا بوفاء ذلك ويحتمل الامر بوفاء
العهد ما ذكر في هذه الايات من الامر والنهي نحو ما قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
الى هذا الموضع اي واوفوا بذلك كله فان ذلك كله كان مسؤولا يسال عنه فيما كان نقضا ونقضا وقال بعضهم ان العهد
كان مسؤولا اي ناقض العهد كان مسؤولا ثم ان العهد على وجهين احدهما عهد خلقة والعهد الذي اخذ عليهم على
السن الرسل او العهد الذي يجري بين الناس والله اعلم واوفوا الكيل اذا كلتم امر بوفاء الكيل
اذا كالوا والوزن اذا وزنوا لهم وايفا حقوقهم وهو ما قال ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ان من عادتهم انهم اذا كالوا او وزنوا بخسوا الناس اشياءهم ولم يوفوا حقوقهم فنهاهم عن ذلك
واوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او
وزنوهم يخسرون ذكر تخصيص الكيل والوزن من بين سائر الاشيا يحتمل وجهين احدهما لما به يجري عامة معاملات الناس
فامرهم بايفاء ذلك والثاني لخوف الربا لان الكيل والوزن هما اللذان يكون دين في الذمة اذا اختلفا بينهما
اخذ عما كان دينا في الذمة فان نقص منه او فيكون ربا لذلك خص وان كان غيره من الاشيا يؤمر بالايفا والله
اعلم وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم القسطاس حرف اخذ من الكتب الا انه ليس بعربي
وقال بعضهم هو العدل اي زنوا بالعدل وقال بعضهم هو الميزان كقوله اوفوا الكيل والميزان بالقسط وقال
بعضهم القسطاس القبان فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا من الامر بتوفير الكيل والوزن والايفاء حقوقهم والنهي
عن البخس والنقصان ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله ذلك خير ما ذكر من توفير الكيل والوزن
وايفاء الحقوق خير في الدنيا لما فيه امن لهم من الناس واحسن تاويلا اي احسن عاقبة في الاخرة ويحتمل قوله ذلك
ما ذكر في هذه الايات من اولها الى اخرها اذا عملوا بها خير لهم في الدنيا واحسن تاويلا اي عاقبة ولا تقف
ما ليس لك به علم قيل لا تقف اي لا تقل وقيل لا تقدم ما ليس لك به علم ولا تقل ما ليس لك به علم ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا قال بعضهم كل اولئك يعني السمع والبصر والفؤاد يسال عما عمل صاحبه
كقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم يسال هو لا
عما عمل صاحبها فتشهد عليه وقال بعضهم هو عن كل اولئك كان مسؤولا اي يسال المرء عما استعمل هذه الجوارح
وانه فيما استعملها وقال بعضهم قوله كل اولئك يعني الخلايق جميعا عنه يعني عما ذكر من السمع والبصر والفؤاد
مسؤولا وقال بعضهم في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت
ولم تعلم وهم من قال في شهادة الزور فان احتج محتج بهذا في ابطال القياس والاجتهاد وفيما قال اذا
قاس الرجل فقد قال ما ليس له به علم لكن ليس كذلك لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في الحوادث
بارائهم ثبت هو رواية اجتهادهم وفي ابي بكر وعمر الخلافة بغير نص من الرسول عليه السلام وجعل عمر شورى بينهم
ولم يرو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتوهم انهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لم يعلموا فدل ما ذكرنا ان معنى
قول الله ولا تقف ما ليس لك به علم ليس يدخل فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفرع الحادث بالاصل
المنصوص عليه والله اعلم وقال القتبي حتى يبلغ اشده اي تناهي في الثبات الى حال الرجال وقيل ثماني
عشرة سنة وقال اشد اليتيم غير اشد الرجل في قوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والاشد ما ذكرنا

وقيل لا تتبع فكيفما كان ففيه النهي عن
التقول والرمي بما لا علم له به ولا ترم

من استحكام عقله وتدبيره الى ان لا يأخذ بالنقصان وسواء اجاد زاد عن او ضيق النقصان والى ارجعين يكن
في الزيادة والنما ويحتمل قوله ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد اي لا تقف ما ليس لك به علم
باسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر وجاز ان يكون قوله ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا
يسال عن شكره من الاشيا او يسال عما امتحن بنوع الاشيا وفي قوله واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم
دلالة جواز الاجتهاد لانه امر بايفا الكيل والوزن ولا يقدر على ذلك الا باجتهاد والكايل والوازن لان كيل
الرجل يزيد على كيل غيره وينقص وربما كال الرجل الشي ثم يعيد كيله هو بنفسه فيزيد او ينقص ولا يكاد يستوي
الكيلان وان كانا من رجل واحد وانما تكليف الاجتهاد في كيله وترك التعمد للزيادة او النقصان فيه فاذا فعل
ذلك فقد وفا الكيل وادى الواجب فهذا عندنا اصل الاجتهاد والاستحسان لان الكايل انما يجتهد في توفية الحق
ولا يعلم يقينا انه وفا ما كان عليه من الكيل الذي سماه في العقد فعلى ذلك الاستحسان انما هو اجتهاد العالم في
اختيار احسن ما يقدر عليه اذا لم يكن فيه نص اصل يرده عليه او يشبهه والله اعلم ولا تمش في
الارض مرحا ليس النهي عن المشي نفسه انما النهي يعني المرح ثم النهي عن المشي يوجب ضده وكذلك الامر ثم ان النهي
عن الشي يوجب الامر بضده والامر بالشي يوجب النهي عن ضده فههنا نهي عن المرح فيكون امرا بما ذكر كقوله
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال بعضهم مرحا بطرا واشرا وقيل تبخترا متكبرا بالخيلا
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا قال بعضهم ذكر خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لان من الخلق من يقدر ان
يخرق الارض ويبلغ طول الجبال وهم الملائكة ثم لم يتكبروا على الله ولا تعظموا عليه ولا على رسله بل
خضعوا له فلم يبلغ في القوة والشدة ذلك احرى ان يخضع له ويتواضع ولا يتكبر ويحتمل ان يكون ذكر هذا
لما انهم كانوا يسعون في اطفاء هذا الدين وقهر رسول الله ثم قيل لهم انكم لم تبلغوا خرق الارض وبلوغ الجبال
طولا ثم تبلغوا انكم اطفاء دين الله وقهر رسوله وما لوط ذكر انه في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه او يذكر هذا يقول
انكم لم تبلغ بكبرك وعظمتك مرتبة الرؤسا والملوك ومنزلتهم على هذا التمثيل والتوبيخ والله اعلم او يقول انك
لن تخرق الارض اي لا تقدر ان تخرق الارض فتستخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها ولا تقدر ان
تبلغ الجبال طولا فتنتفع بها وبما في الجبال من المنافع فكيف تتكبر وتمرح على غيرك وهو مثلك في القوة والادب
واصل الكبر ان من عرف نفسه على ما هي عليه من الحاجات والافات وانواع الحوايج لم يتكبر على مثله والله اعلم
كل ذلك اي كل ما امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الايات كان سيئه بالعقل عند ربك مكروها مسخوطا
وفيه دلالة ان الامر الذي امر في هذه الايات والذي نهى عنه لم يكن امر ادب ولا نهي ادب ولكن امر حتم وحكم حيث
ذكر ان ذلك عند ربك مكروها اذ لو كان ادبا لم يكن اي سيئ ما ذكر في هذا مكروه عند ربك وهو كقوله فيتبعون
احسنه اي يسمعون الكل فيتبعون احسنه ويتركون غيره فعلى ذلك الاول والله اعلم ذلك مما
اوحى اليك ربك من الحكمة اي تلك الذي امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الايات من الحكمة ليس من السفه اي ما
امر فيها هو حكمة وما نهى عنه انما نهى عنه لانه سفه وقال بعضهم الحكمة ههنا القران قوله ذلك اي ذلك الذي
اوحى اليك هو حكمة وقال بعضهم الحكمة الاصابة اي تلك الذي اوحي اليك صواب وقوله ذلك
مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ما ذكر من الايات وامر به ونهى عنه هو من الحكمة والحكمة هي وضع الشي
موضعه لا وضع الشي في غير موضعه ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا معلوم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعل مع الله الها اخر اذ عصمه واختاره لرسالته لكنه ذكر هذا ليعلم انه لو كان
منه ذلك فيفعل به ما ذكر لمن يعود وانه احق ان يفعل به ما ذكر وهو كما قال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم الاية انه عصمهم حتى اخبر انهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لئن لم يكن معصوما لم يوصف
انه لا يسبق بالقول وفعل ذلك قوله ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما عند الله او عند نفسك اف

عند

عند الخلق مدحورا مبعدا مطرودا من رحمته في النار او خاطب به كلا في نفسه من احتمل ذلك وخاطب به رسوله واراد
به غيره على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا يخبر عن سفه
مشركي العرب انهم نسبوا الى الله البنات والبنين الى انفسهم بقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون والذي
حملهم على ذلك قول اهل الكتاب حيث وصفوا الله بالولد فرأوا ان من يكون له الولد يكون له البنات فقال انكم لتقولون
قولا عظيما لم يرد على هذا العظيم ما قالوا في الله فلم يضرب لقولهم ذلك مثلا لما ليس قدر لذلك مثل يضرب لانه ضرب مثل
ما قالوا بالولد له بانفطار السما وانشقاق الارض وخرور الجبال حيث قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا الاية اجزاء السموات وما ذكر كادت ان تفعل من وجهين لعظيم ما قالوا في الله من الولد
وقال في الشريك ومن يشرك بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير الاية فهذا غاية ما ذكر من الامثال لمن قال له بالولد
والشريك وليس قدر هذا بذكر لمن قال له البنات الا قال انكم لتقولون قولا عظيما لم يرد على ذلك لان الذي
قالوا له ونسبوا اليه هو في السفه والرفض في القول تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا او يقول انكم لتقولون
قولا عظيما في عقولكم لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم ان ما قلتم في الله سبحانه عظيم قال ابو عوسجة افاصفيكم ربكم اي اعطاكم
ربكم يقال اصفيته اي اعطيته واصفاكم اي اختاركم ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا قال الحسن
قوله صرفنا يقول بينا في هذا القران ما نزل بمكذبي الرسل من الامم الخالية بتكذيبهم الرسل امرهم به ليذكروا ما
نزل بهم فينتهوا عن تكذيبهم الرسل وما يزيدهم ما بين لهم الا نفورا اي تكذيبا للرسل وقال بعضهم ولقد صرفنا
في هذا القران اي بينا في هذا القران والايات التي تقدم ذكرها جميع ما يوحي ويتقي وما لهم وما عليهم ليعتبروا به
فيؤمنوا وما يزيدهم القران الا تباعدا من الايمان به وهو ما ذكر ثم مما اوحى اليك ربك الاية وقال بعضهم
صرفنا في هذا القران من المواعيد الشديدة ما ينزل بهم في الاخرة من العذاب والعقوبة بصنيعهم وتكذيبهم
الرسل لكي اذ لم يومنوا بالحجج لم يزدهم ذلك الوعيد الا نفورا وجائز ان الله قد ذكر في القران المواعظ
الكثيرة ما لو نظروا فيه وتاملوا لكانت تنبههم وتزجرهم عن مثل صنيعهم لكن لم ينظروا اليه بالتعظيم ولكن نظروا
اليه بالاستهزا والاستخفاف به لذلك اضيف زيادة النفور اليه او اضاف ذلك اليه لما احدثوا بين ولو الكفر
والتكذيب له فاضاف ذلك اليه لما ازدادوا لهم التكذيب وحدث لهم الكفر به اذ لم يزل كان لاهل الاسلام
يزداد لهم الايمان واليقين اذا نزل وجائز ان يكون قوله ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا اي ليشرفوا
كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وليذكروا وامانوا وتركوا واعقلوا عنه ثم قوله صرفنا في
هذا القران ليذكروا معناه والله اعلم انزله ليلزمهم الذكر او ليكون عليهم او ليامرهم بالذكر وهو ما ذكر
في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اي ليلزمهم العبادة
والطاعة او ليامرهم بالعبادة والطاعة او ارسل وخلق لمن علم منه العبادة والطاعة وقوله ليذكروا اي ليكون
لهم الذكرى بذلك لانه لا يحتمل ان يبين لهم ويجعل لهم اية ليذكروا وانهم لا يذكرون ولكن ما ذكرنا ليكون لهم
الذكرى وقد كانت لكن لم تنفعهم وما يزيدهم الا نفورا ليس القران بالذي يزيدهم نفورا ولكن
لما نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزا زادهم بذلك نفورا عندنا وتكذيبا والا القران لا يزيد الا
هدى ورشدا على ما وصفه قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
قال عامة اهل التاويل الالهة في الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها اي لو كانت هي الهة كما تقولون
اذا لابتغوا التقرب والزلفى الى ذي العرش سبيلا وقال بعضهم لو كانت لهم منزلة لابتغت ولكن
لها من الطاعة والعبادة اذا لابتغت الى ذي العرش سبيلا بالطاعة له والعبادة وهو ما قال في الملائكة
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية لكن الاشبه ان يكون الله تعالى لا يقول ان لا يقول
في الاصنام مثل هذا لو كان معه الهة فهي خشب لكن قال فيها ما قال لا تسمع ولا تبصر وما ذكر في اية اخرى لهم

تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وما قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له مثل هذا لا يجوز ان يقال في الاصنام واما ما ذكر لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ليس من اهل الابتغا
الا ان يقال ما ذكر بعضهم اي لو كانت الاصنام التي تعبدونها الهة على ما تزعمون اذا لابتغوا الى الله سبيلا
بالطاعة لو كان لهم ذلك اي كانوا من اهلها لكن الاشبه ان كان فهو في الذين يعبدون الملايكة ويتخذونهم معبودا
او في الثنوية الذين يقولون بالعدد والذين لم تدبيرا الذين يقولون بقدم العالم واصوله فهو يخرج على وجه
ننتقل والله اعلم لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي اذا لاظهروا دلالة ربوبيتهم والوهيتهم بما اثبت
الخلايق كما اظهر الله سبحانه الوهيته وربوبيته بما ان الخلايق ولم يظهر ممن يدعون لهم الوهية ان شي من ذلك
فدل انه ليس هنالك الهة وقال بعضهم لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي صاروا الى [غير مقروء] في
الارض والامر والتدبير وسعوا في انفاذ الامر له في [غير مقروء] والمشية لهم وان [غير مقروء] التدبير فلم يكن ذلك
منهم ولا انه لا اله سواه ويكون كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الاية وقال بعضهم لو كان معه
الهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي الوسيلة سبيلا في المناصبة والمغالبة اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا في
القهر والغلبة على ما عرف من عادة ملوك الارض انه يجري كل منهم في غلبة بعض وقهره ويناصبه كقوله وما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اي غلب وقهر وناصب ويحتمل غير هذا وهو ان ينبغي
كل منهم ان يكون هو الواحد بالخلق دلالة الوهيته وربوبيته وجهة الاستدلال له بذلك فاذا لم يبتغوا ذلك
دل انه لا الوهية سواه وهو الله وقال بعضهم اسال الله [غير مقروء] افضل ومرتبة عليهم ولا يبتغوا
ما يقربهم اليه وقيل ولا يبتغون الحوايج اليه وهذا هو الذي ذكرنا ابتدا من طلب الطاعة له سبحانه
من نفسه ابراها عما يقول الملحدة فيه ووصفوه بالشركا والاشباه والولد وما لا يليق به فقال سبحانه وتعالى
عما يقولون علوا كبيرا ثم قال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجهين احدهما
جعل الله تعالى في خلقة السموات والارض وما ذكر دلالة على وحدانية الله والوهيته فما صح له انه واحد لا
شريك له ولا شبيه فان كان على هذا فيدخل فيه كل شي ذو الروح وغيره فيكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم
الكفرة خاصة واما اهل الاسلام يفقهون ذلك والثاني ان الله جعل لهذه سرية دون الاشيا ما ذكر من
التسبيح والتنزيه لكن لا نفقهه نحن ذلك ولا نتوهمه على ما اجرى لكن لا تفقهون تسبيحهم ويحتمل لا تعرفونه
ان ذلك تسبيح على ما جعل في الجوارح والاعضا تسبيحا وعبادة له وان كانت هي لا تعرف ذلك انه تسبيح والكلام
انه حصل صوت من الاشيا تسبيحا له حقيقة على [غير مقروء] من الاشيا انه تسبيح وان كان لا يعرف ذلك الا خواص
من الناس وهم الانبيا والله اعلم انه كان حليما غفورا الحليم هو ضد السفيه وهو الحكيم والكاذب
يقال حليم ليس بعجول اي لا يعجل بالعقوبة غفورا اذا تابوا او غفورا حيث ستر عليهم فضايحهم الحلم هو انكار
ضد السفه والجهل ذكر ههنا على اثر ما ذكر منهم من القول الوحش فيه والعظيم انه حليم ليعلموا انه من حلمه
لم يعاجلهم بالعقوبة عاجلا وغفور ليعلموا انهم وان اعظموا القول فيه يغفر لهم ويتجاوز عنهم ان رجعوا وتابوا
فان قال لنا ملحد انكم تصفون ربكم بالحلم والرحمة ثم تقولون انه يعذب ابد الابدين في النار بكفر كان
منه في يكون فيه رحمة او حلم قيل انكم لا تعرفون معنى الحلم والرحمة ولو عرفتم ما قلتم ذلك ولو لم يعذب على
الكفر ابد الابدين لم يكن حليما ولكن سفيها وكذلك الرحمة وليس خروج الشي عن غير موافقة الطبع بالذي
يخرج صاحبه عن حد الحكمة والرحمة فانتم انما تصورتم الحكمة والرحمة على موافقة طباعكم وليس كذا
وكذلك يقال للمعتزلة حيث قالوا انه لا يفعل الا ما هو الاصلح لهم في الدين لانه جواد فلو منع الاصلح
والاخير لم يكن جوادا موصوفا بالجود فيقال لهم انكم لستم تعرفون الجود وانما تدبرتم وقلتم على وافق
طباعكم وانفسكم ولو عرفتم حقيقة الجود ما قلتم ذا ولا خطر على بالكم شي من ذلك وانما على الله ان يختار

لكل

لكل ما علم منه انه يختار ويوثره انه يجوز ان يختار الولاية لمن علم منه انه يختار العداوة وكذلك لا يجوز ان
يختار العداوة لمن علم منه انه يختار الولاية ولا يتخلص عليه حفظ الاصلح لا صلح في الدين بل عليه حفظ ما توجبه
الحكمة والربوبية وفي ذكر تسبيح ما ذكر من جميع الموات على اثر ما ذكر من قول الكفرة من وصفهم الله تعالى
بالولد والشركا ونحوه يخرج على وجوه احدها يذكر سفههم انهم مع ما عندهم من العقل والعلم والتمييز والسودد وصفوا الله
بالذي لا يليق به وما يسقط الالوهية والربوبية عنه على زعمهم فالذين ليس لهم شي من ذلك التمييز والفهم والعقل
نزهوه من ذلك كله وبرؤوه عن جميع ذلك والثاني ذكر تسبيحهم على اثر ذلك ليعلم انه لا حاجة له الى تسبيحهم ولا
منفعة له في ذلك اذ يسبحه جميع الخلايق سواهم بل منفعة تسبيحهم ترجع اليهم والثالث ذكر لاثبات الرسالة الرسل
لانهم ذكروا تسبيح الموات ولا يفهم ذلك ولا يعقل الا بوحي من السما فذلك يدل على الرسالة فيخرج من الوجوه
الثلثة التي ذكرنا يجوز ذكر تسبيح ما ذكر على اثر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الظلال يخرج على هذه الوجوه التي
ذكرنا والله اعلم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا قال
بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس وقراة ما انزل اليه من القران ويتداعون
بتبليغ الرسالة فانزل الله عليه هذه الاية فاخبر انه جعل بينه وبين اوليك حجابا مستورا ومكن له التبليغ اليهم
بالحجاب الذي ذكر ثم اختلف في ذلك الحجاب قال بعضهم شغلهم في انفسهم باموره واشغالهم حتى بلغ اليهم وفيهم
من يقول انه القى في قلوبهم الرعب والخوف حتى لم يقدروا على منع ذلك ومنهم من يقول جعل بحيث كانوا لا يرونه
ويسمعون قراته فلم يرونه ولم يقدروا على اذاهم به والصرف على قلوبهم وجايز ان يكون ما ذكر من الحجاب هو
حجاب الفهم وذلك انهم كانوا ينظرون اليه بالاستخفاف والاستهزا به فحجبوا عن فهم ما فيه وهو كقوله ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق الاية يدل على ذلك قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
الاية ثم قال الحسن في قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا اي طبع على قلوبهم
حتى لا يومنون ومذهبه في هذا انه يقول ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يومن ابدا
واستوجب بذلك العقوبة والاهلاك بالذي كان منهم الا ان الله يفضح ابقاهم لما علم انه يلد منهم من
يومن او يسقيهم لمنافع غيره والا قد استوجبوا الهلاك فيتوهم الحسن اضاف ذلك الى نفسه لما استوجبوا
هم بفعلهم وقال ابو بكر الاصم اضاف ذلك اليه لانهم انفوا عن اتباع الرسل وتكبروا عليهم فاستكبروا لكي
نقول لهم الا سنكبر الذي ذكرت فعلهم لا فعل الله في معنى اضافة ذلك اليه فهو حيال وقد ادعا عليهم
في مذهبهم وقال جعفر بن حرب في الاية انهم لما اضافوا ذلك اليه انه هو جعل كذلك وهو قوله وقالوا قلوبنا
في اكنة وقلوبنا غلف ونحوه من الخيال فلو جاز صرف ظاهر هذه الايات الى ما ذكر من الخيال لجاز لغيرهم
صرف الكل الى مثله فهذا بعيد ولكن عندنا ان اضافة ذلك الى نفسه تدل ان له فيه صنعا وفعلا وهو ان
يخذلهم باختيارهم ما اختاروا او اضاف ذلك اليه لما خلق ظلمة الكفر في قلوبهم وهذا معروف في الناس ان
من اعتقد الكفر يضيق صدره ويحرج قلبه حتى لا يبصر غيره وهو ليس يعتقد الكفر ليلا يبصر غيره ولا
يهتدي الى غيره لكن لا يبصر غيره فيدل هذا انه يصير كذلك لصنع له فيه وكذلك من اعتقد الايمان يبصر وجوه
الاشيا وهو ليس يعتقد الايمان ليبصر وجوه الاشيا غايب عنه ولا انه يعجز ادرك ذلك وكذلك المعروف
في الخلق ان من اعتقد عداوة اخر يضيق صدره بذلك وكذلك من اعتقد ولاية اخر ينشرح صدره لم
يا شيا فهذا كله يدل ان الغير في ذلك فعلا وهو ما ذكرنا من الخذلان والتوفيق او خلق ذلك منهم والله اعلم
ثم يدخل فيما ذكرنا في قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية والجملة ان ما ذكر من الحجاب والغلاف والاكنة انما
هو على العقوبة لهم لعنادهم ومكابرتهم الحق لانهم كلما ازدادوا عنادا وتمردا ازدادت قلوبهم ظلمة وعمى
وهو كما ذكر في غير اية حيث قال فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الاية وقال ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخبر ان ما ران على قلوبهم بكسبهم الذي كسبوا وازاغ قلوبهم باختيارهم
الزيغ وصرف قلوبهم باختيارهم القران فيجا ذلك ما ذكر من جعل الحجاب والاكنة عليها بما كان منهم والله اعلم
واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال بعضهم الشيطان اذا ذكر الله ولى
عنه واعرض وفرسه وسوط ذكر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وقال ان الذين اتقوا اذا
مسهم طايف من الشيطان تذكروا الاية وقال بعضهم ولوا على ادبارهم نفورا الانس اي ولوا عما دعوتهم اليه
واقبلوا الى اصنامهم التي يعبدونها وقوله واذا ذكرت ربك في القران وحده يحتمل واذا ذكرت دلالة
وحدانية ربك والوهيته وربوبيته او ذكرت دلالة رسالتك او دلالة البعث يحتمل ذكر دلالة منه الاشيا
الثلثة لانهم كانوا منكرين لهذه الاشيا فعند ذكرها ولوا على ادبارهم نفورا يحتمل الهرب والاعراض ويحتمل
الكناية عن الانكار والتكذيب   نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى كانهم كانوا
يستمعون الى القران اما لما يستحلون نظمه ووصفه او يستمعون اليه لما فيه من الانبا العجيبة او يستمعون اليه
ليجدوا موضع الطعن فيه فان كان استماعهم للوجهين الاولين فاذا جا موضع الحجة فيه ذاك ذم وسوط يذكر
فيه من دلالة الوحدانية ودلالة الرسالة ودلالة البعث عند ذلك كانوا يولون الادبار وما فزين لانكارهم
ذلك وان كان الاستماع لطلب الطعن فهو محتمل ايضا واختلف في قوله نحن اعلم بما يستمعون به قيل كانوا
يستمعون اليه ليكذبوا عليه كقوله فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين كانوا يسرعون
الى استماع ما يتلوه ليكذبوا عليه وقال بعضهم كانوا يستمعون اليه ليجدوا موضع الطعن فيه وقال
بعضهم استمعوا اليه ليروا الضعف والله تعالى اعلم انهم انما يطعنون فيه بعد ما استمعوا اليه وعرفوا فيتبع عذرهم
ان الطعن كان في موضع الطعن والله اعلم وقوله واذ هم نجوى قيل اي يتناجون فيما بينهم انه مسحور وانه
مجنون وانه كاهن ثم اخبر الله نبيه ما اسروا اليه وتناجوا بينهم ليدلهم على رسالته وانه انما عرف بالله وسماهم
ظالمين لما علموا انه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا ذلك له ونسبوه الى ما نسبوه من السحر والجنون على
علم منهم انه ليس كذلك   انظر كيف ضربوا لك الامثال بالمجانين والسحرة والكهنة فضلوا او ضربوا
تلك الاسباب التي تزجر بها الناس وتمنعهم عن الاتباع لك مما وصفوا له ونسبوه اليه من السحر والجنون
والكهانة فذلك كان يمنعهم عن اجابة من اراد اجابته والاتباع له   فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا اختلف فيه قال بعضهم لا يستطيعون الى ما قصدوا من منع الناس عنك وصدهم سبيلا وقال
بعضهم لا يستطيعون الى المكر به والكيد له سبيلا لانهم قصدوا به ذلك وقال بعضهم لا يستطيعون الى ما
نسبوه اليه سبيلا وقال الحسن لا يجدون الى الهدى والايمان به سبيلا لما طبع على قلوبهم وجعلها في اكنة
وغلف ويحتمل ان يكون قوله فلا يستطيعون الى الاحتجاج على الحجج والدلالات التي اقامها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا والله اعلم   وقالوا ايذا كنا عظاما
ورفاتا اي اذا كنا عظاما بالية ناخرة ورفاتا قيل ترابا وقيل غبارا وقيل رفاتا اي بالية حتى
اذا فتت تكسرت وذهبت كقوله ايذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي غير كاينة قالوا ذلك
على انكار البعث واستهزا به انهم يبعثون ويجزون باعمالهم وهذا كانهم قالوا ذلك على التعجب الا الاستبعاد
عن كون ذلك والاستهزا بذلك والجهل هو الذي حملهم على التعجب والاستهزا بما ذكر انكر هولا
الكفرة قدرة الله على البعث كما انكر المعتزلة قدرته على خلق افعال الخلق وليس لهم الاحتجاج على اوليك
الكفرة بان الا ولا لان لهم ان يقولوا انكم تقرون بالقدرة على خلق الاول وتنكرون خلق افعالهم
وليس لكم الاحتجاج   قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم قال بعض اهل التاويل
اي لو كنتم حجارة او حديدا لبعثكم لكن هذا بعيد لانهم لم يكونوا ينكرون الموت اذ كانوا يشاهدون

الموت فلا يحتمل الانكار ولكن كانوا ينكرون البعث بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا ورفاتا الا ان يقال انكم
لو كنتم بحيث لا تبعثون ولا تجزون باعمالكم لكنتم حجارة او حديدا لم تكونوا بشرا لان الحجارة والحديد ونحو
ذلك غير ممتحن ولا مامور بشي ولا منهي عن شي واما البشر فانهم لم يخلقوا الا للامتحان بانواع المحن والامر
والنهي والحل والحرمة فلا بد من الامتحان فاذا امتحنوا بالاشيا لا بد من البعث للجزا والعقاب فاذ لم تكونوا ما ذكر
ولكن كنتم بشرا فاعلموا انكم تبعثون وتجزون باعمالكم على هذا يحتمل ان يصرف تاويلهم الى ما قالوا والله اعلم
ما قالوا وتاولوا لا يحتمل لما لا اخبر انكر الموت ويحتمل قوله كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي لو كنتم ما ذكر حجارة او حديدا او اشد ما يكون من الخلق لقدر ان يميتكم فانتم من ذلك فكيف اذ كنتم بشرا في
الابتدا ان يعيدكم بشرا على ما كنتم كما انشاكم في الابتدا من ما وتراب وليس في ذلك الما والتراب من اثار البشر
شي من العظام واللحوم والعصب والجلد وغيره فمن قدر على انشا هذا قدر على انشا البشر بعد الموت وبعد
ما صار رماد او ترابا ورفاتا على هذا يجوز ان يتاول ووجه اخر ان يقال ظنوا ان لو كنتم حجارة او حديدا او ما ذكر
لبعثكم فكيف تظنون انه لا يبعثكم اذا كنتم ترابا ورفاتا او كلاما نحوه وقوله او خلقا مما يكبر في صدوركم ذكروا
هذا وكل ما يكبر في صدورهم على ما ذكر فسيقولون من يعيدنا استهزا منهم به قل الذي فطركم اول مرة انهم وان
قالوا ما قالوا استهزا به وسخرية فقد امر الله تعالى اولياءه والمومنين ان يحاجوهم محاجة العقلا والحكما بالحجج
والبراهين وان كان قالوا ما قالوا استهزا واستهزوا على ذلك فما لم يعلموا وان كانوا استهزوا في قولهم مستهزين وكذلك
امرهم ان يعاملوا قومهم احسن المعاملة حيث قال وجادلهم بالتي هي احسن وقال وقل لعبادي يقولوا
التي هي احسن وانما ذكر احسن الايات ليحاجوا بها هولا ويعلمهم ان كيف المعاملة مع هولا اذ قد اقام الله تعالى
من الايات والحجج على بعثهم واحيايهم حججا كافية ما لم يحتج الى مثل هذا لكنه ذكر هذا لما ذكرنا والله اعلم كان
الذي حملهم على انكار ذلك وجهان من الاعتبار احدهما انهم لم يروا من الحكمة اماتتهم من الاحيا على مثل ذلك
اذ لو كان يحييهم ثانيا لكان لا يميتهم كنقض البنا على قصد بناه ثانيا والثاني لما راوا الاقوام قد ماتوا منذ
منذ طويل ثم لم يبعثوا فيقال لهم انه قد تاخر كونكم وان وقتكم لم يبدا تاخركم على انكم لا تكونون فكذلك
لا يدل تاخر البعث على انه لا يكون واما جواب الاول فانه يقال لهم لكنكم تعرفون انه انشاكم اول مرة وانه
يميتكم فليس من الحكمة انشا الاماتة لانه يكون كبنا بنا لنقض والانشا فاذ كان حكمة كان الثاني ايضا
حكمة والله اعلم   قل الذي فطركم اول مرة اي يعيدكم الذي خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيا على ما ذكرنا
واعادة الشي في عقولكم اهون وايسر من ابتدايه اذ لا احد في ان يتكلف تعلم اعادة الشي ومعرفته
وانما يتكلف تعلم ابتدا الصناعات ومعرفتها ثم يعرفون اعادة ذلك بمعرفة ابتدايه فدل ذلك انه
اهون وايسر وهو قوله وهو اهون عليه اي في عقولكم ذلك اهون وايسر   فسينغضون اليك
روسهم اي يحركون روسهم استهزا به وهزوا ويقولون متى هو على الاستهزا ايضا اي لا يكون
ويقولون متى هو قالوا ذلك جهلا به وانكارا ولو علموا انه كاين لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك الجاهلون
كما قال الذين امنوا به   قل عسى ان يكون قريبا وعسى من الله واجب اي يكون لا محالة وقوله قريبا
اي كاينا القرب يقال على الكون اي كاينا ويقال على القرب والبعيد كذلك يقال على الانكار
ويقال على الاستبعاد كقوله انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا اي هم لا يرونه كاينا ونراه نحن كاينا
كقوله يستعجل بها الذين لا يومنون بها والذين امنوا مشفقون منها كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه
كاينا والمومنون يرونه كاينا والله اعلم   يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يحتمل هذا الدعا والاجابة
دعا الخلقة واجابة الخلقة لما كانت خلقتهم تنطق بربهم وتحمده في كل وقت وتثني عليه وذكر ما في غير اي من
القران ويحتمل دعا النطق واجابة النطق والحال لما كانوا عاينوا قدرته وعظمته اجابوا له بحمده وثنايه

كقوله مهطعين الى الداع ونحوه اذان يكون قوله يوم يدعوكم يوم القيمة كقوله يوم يدع الداع الى شي نكر الاية
وقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم الاية اخبر انهم يجيبون داعيهم يومئذ ويثنون على الله على ما راوا من الاهوال
من ترك الاجابة له في الدنيا فتستجيبون بحمده اي تجيبون داعيه بثنائه وحمده اي تثنون على الله وتحمدونه
وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال الحسن قوله تظنون اي تعلمون وتستيقنون انكم ما لبثتم في الدنيا
الا قليلا وكذلك قال قتادة اي تستحقرون الدنيا وتصغرونها لما عاينوا القيمة واهوالها وجائز ان يكون قوله
وتظنون ان لبثتم الا قليلا في القبر وجائز ان يكون في الدنيا تستقصرون المقام فيها لطول مقام الاخرة
واهوالها ثم من انكر عذاب القبر احتج بظاهر هذه الاية فيقال وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقوله لبثنا يوما
او بعض يوم ونحوه قالوا لو كانوا في العذاب والنقمة لم يكونوا يستقصرون ولا يستصغرون المقام فيه لان كل
من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم ذلك ويستكثره ولا يراه ابدا هذا المعروف عند الناس فاذ هم استقلوا ذلك
واستقصروا حتى قالوا يوما او بعض يوم دل انهم قالوا قليلا ويستدل ذلك انهم لم يكونوا في عذاب وبلاء وتاولوا
قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا على التقديم والتاخير يقولون ويوم القيمة ادخلوا ال فرعون اشد
العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ليس فيه ان لا يكون عليهم عذاب بما بين ذلك ولكن على ما ذكر في الجنة
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ومن يقول بالعذاب في القبر يقول قوله وتظنون ان لبثتم الا قليلا في
الدنيا او يقولون ذلك في وقت ما بين النفختين كذلك يقولون انه يرفع عنهم العذاب ما بين النفخة
الاولى والثانية وهذا احتيال ونقول انه ليس في استقلالهم المقام والاستقصار ما يدل على ان لم
يكن لهم عذاب في القبر لان المعروف في الناس انهم اذا كانوا في بلاء وشدة ووقع من المرض ثم نزل بهم ما هو اشد
من ذلك واعظم استصغروا ما كانوا هم فيه ونسوا فعلى ذلك هولا اذا عاينوا عذاب القيمة واهوالها
وافزاعها استصغروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوا ذلك الا ترى انهم لو عاينوا اصحاب الجنة
ونعيمها نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا ولا شك انه قد كان لهم نعيم في الدنيا فعلى ذلك العذاب وقال
ابو عوسجة ورفاتا قال رفاتا متكسرا رفتته اي كسرته وقال القتبي في اكنة جمع كنان مثل غطا واغطية
واذ هم نجوى اي يتناجون في امرك بعضهم يقول انه مجنون ولانه ساحر كاهن واساطير الاولين وقال
بعضهم كان نجواهم ما ذكر في سورة الانبيا حيث قال لو اسروا هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر الاية
فذلك قوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قال ابو عبيد مسحورا
اي له سحر به وقد بينا فيه قولهم وقد ذكرنا وجه تناقض قولهم فيما تقدم والله اعلم وقل
لعبادي يقولوا التي هي احسن يحتمل قوله التي هي احسن الوجوه الثلاثة احدها الدعوة كقوله ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة امره ان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فالثاني للدعوة
كانه قال ادعوا لهم الدعوة التي هي احسن الدعوة على اضمار الدعوة وجائز على اضمار الكلمة اي قل لهم ان
يقولوا لهم الكلمة التي هي احسن او على اضمار الاقوال كانه قال يقولوا لهم الاقوال التي هي احسن الاقوال
والالفاظ ان يقولوا التي هي احسن والثاني على اضمار المجادلة والمناظرة معهم كقوله وجادلهم
بالتي هي احسن امر رسوله ان يجادلهم احسن المجادلة والمحاجة معهم والثالث في حسن المعاملة معهم والصفح
والعفو عما كان منهم الى المسلمين من انواع الاذى فامرهم ان يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم كقوله
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وكقوله ادفع بالتي هي احسن الاية وقوله والكاظمين الغيظ الاية
ونحوه من الايات امرهم ان يعاملوا اولئك احسن المعاملة ولا يكافئوهم بسوء صنيعهم ولكن يعفون عنهم
ويصفحون لما لعلهم يكونون اولياء وجها على الاجر ويرون اخوانا لهم من بعد هذا ايجاز هذه الاية
وامان جهة الحكمة وهو ان الله انما هذا الا ان وجعله درجات بين الخلق به بينهم بعضهم من بعض وبه

تقضي الحوايج بعضهم من بعض وبه قوام معاشهم ومعادهم وبه بعث الرسل والكتب جميعا فاذا كان كذلك فالواجب
ان لا يستعمل الا في الخير والحكمة ولا ينطق به الا ما هو احسن واصوب والله اعلم ان الشيطان ينزغ بينهم اي
يفسد بينهم ويوسوس اليهم ويغري بعضهم على بعض ليفسد بينهم وذلك دابه ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي
كان الشيطان منذ كان للانسان عدوا ظاهرا عداوته فيما جعل الله تعالى الشيطان بحيث يوسوس اليهم ويدعوهم
الى اشيا يظنون ان ذلك حق لهم وابدا يلقي اليهم ما يتهم منهم ان ذلك انفع لهم ويجيب الى كل مذهب يتبع عنده انه
الحق فيتبع بذلك الاختلاف والعداوة بينهم ابدا عداوته لانه يعتزل الى جهة ويدعو كل احد من جهة الى الجهة
التي ارى الحق والله اعلم ربكم اعلم بكم هذا يحتمل وجهين احدهما اعلم بمصالحكم وما له يصلح لكم في الدنيا والاخرة
والثاني ربكم اعلم بكم بما تسرون وما تعلنون وما تعملون وتفعلون والاول اشبه لانه اعلم بنا منا ان يشا
يرحمكم او ان يشا يعذبكم قال بعضهم ان يشا يرحمكم فينجيكم من اذى كلاليب او ان يشا يعذبكم فيسلطهم عليكم وقال ابي ان
يشا يرحمكم فيهديكم الى دينه ويوفقكم لسبيله او ان يشا يعذبكم ويخذلكم ولا يهديكم الى سبيله ولا يوفقكم لدينه وقوله
ان يشا يرحمكم يحتمل الرحمة في الدنيا والاخرة اما في الدنيا هو ان يوفقهم على الطاعة ويثيبهم على ذلك وفي الاخرة يجزيهم
ويدخلهم الجنة واما التعذيب في الدنيا ان يخذلهم ويتركهم على ما اختاروا وفي الاخرة يعذبهم في النار بالذي
اختاروا في الدنيا وما ارسلناك عليهم وكيلا قال بعضهم اي لم نجعلك حفيظا على ردهم واجابتهم
ولا على صنيعهم وقال بعضهم وكيلا اي كفيلا باعمالهم اي لا تواخذ بصنيعهم كقوله ما عليك من حسابهم من شي
وما من حسابك عليهم من شي وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقال بعضهم وما ارسلناك عليهم
وكيلا اي مسلطا عليهم وقاهرا لهم وربك اعلم بمن في السموات والارض يحتمل ما ذكرنا انه اعلم بمصالحهم
ومفاسدهم وما يسرون وما يعلنون ويحتمل غير هذا جوابا لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
يقول الله اعلم حيث يجعل رسالته يقول والله اعلم ربك اعلم بمن في السموات اي اعلم بمن يصلح للنبوة والرسالة
وبمن لا يصلح ومن هو اهل لها ومن ليس باهل لها او يقول اعلم بمن في السموات والارض اي عن علم بما يكون منهم
انشاهم لا عن جهل او اعلم بهم من انفسهم والله اعلم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مثل هذا
لا يكون الا في نازلة لكنه لم يذكر النازلة التي عندها نزلت ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض قال
بعضهم انه اعطى كلا اشيا لم يعط غيره من نحو ما ذكر انه كلم موسى واتخذ ابرهيم خليلا واعطى عيسى احيا الموتى
وابرا الاكمه والابرص وسماه روح الله وكلمته واعطى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واعطى داود زبورا
واعطى محمدا ان بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ونحوه وقال بعضهم يفضل بعضهم على
بعض في الدرجة والمنزلة والقدر عند الله وقد يكون التفضيل في الايات والحجج والثاني في اتباعهم في المنزلة
والقدر ويحتمل ما ذكر من تفضيل بعضهم على بعض في الايات والحجج ويحتمل في كثرة الاتباع يفضل بعضهم
على بعض بكثرة الاتباع والثالث يفضل بعضهم على بعض في القيام بشكر ما انعم عليه وبصبره في البلاء به
والرابع وعلى قول المعتزلة لا يكون لاحد فضيلة عند الله الا باستحقاق منه
واتينا داود زبورا جمع كتب بعض من يقول ان الزبور هو الكتاب وقد ذكرنا انا لا ندري لاية نازلة ذكر
هذا ولا يحتمل ذكر مثله على الابتدا والائتناف لكن فيه ان التفضيل والمنزلة انما تكون من عند الله ومن عنده
تستفاد لا بتدبير من انفسهم واستحقاقهم حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا ليس لاحد فضل والمنزلة لنفسه باسباب منه ولكن من عند الله وقال الاصم في قصة
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض يقول يخاطب به اهل الكتاب ان اوائلكم كانوا يرون لبعض على بعض
فضلا في الدنيوية ثم ان اوليك المفضلين كانوا يتبعون الرسل لما راوا لهم من الفضل والخصوصية
فما بالكم يا اهل الكتاب لا تتبعون محمدا وقد ترون له فضايل وخصوصية ما لا ترون ذلك لانفسكم ولا لاحد

سواه او كلام نحو هذا والله اعلم — قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي
سورة سبا قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة الاية فيشبه ان تكون الاية عند
ما نزل بهم البلايا والشدة على ما قاله اهل التاويل فامروا عند ذلك ان يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون
من دون الله فيقول ادعوا الذين زعمتم انها الهة دونه يكشفوا عنكم ما نزل بكم ويشبه ان يكون لا على
ما ذكر ولكن على تبيين سفه اولئك حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
اخبر انه ليس لهؤلاء شفاعة عند الله وان عبادتهم اياها لا تقربهم الى الله زلفى كقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اخبر انهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم اياها وان يذكر هذا لقطع
ما يرجون من دون الله من كشف ضر عنهم ودفعه او جر نفع اليهم وهو قادر على ما اخبر انه لا يملك ذلك احد سواه
كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة الاية وقوله وان يمسسك الله الاية اخبر انه لو فتح هو رحمة لا يملك احد دونه امساكها
ولو امسك هو لا يملك احد ارسالها دونه ولو مس ضر لا يملك احد كشفه وان اراد خيرا لا يملك احد دفعه ورده
هذا يذكر والله اعلم لئلا يرجو احد من الخلائق دون الله ولا يخاف احدا سواه ثم صرف اهل التاويل
تاويل الاية الى الملائكة لكن الاية تحتمل كل معبود دون الله الملائكة والجن والاصنام التي عبدوها واما
الاية الثانية التي تتلوها فظاهرها في الملائكة او الجن وهو قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة اي اولئك الذين يعبدون من دون الله يبتغون هم الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه الاية اختلف فيه منهم من صرفها الى الملائكة ومنهم من صرفها الى الجن وهو قول عبد الله بن مسعود
يقول ان قوما من العرب كانوا يعبدون الجن ثم اسلم الجن فبقي اولئك كانوا يعبدونهم فعيرهم الله بهم فيقول
اولئك الذين يعبدون من دون الله يبتغون الى ربهم الوسيلة فكيف تعبدونهم ومن قال انها في الملائكة
اختلفوا في قوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه قال الحسن يرجون محبته ورضاه ويخافون عذابه اي
خوف الهيبة والاجلال والعظمة لا خوف عذاب النار ونقمته لان الله عصمهم من ان يرتكبوا ما يوجب لهم
النقمة والعذاب حيث قال لا يعصون الله ما امرهم وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال
في قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هذا اخبار انهم لو قالوا ذلك لفعل بهم ما ذكر ليس على
ان يقول احد منهم ذلك وقال ابو بكر يرجون رحمته ثوابه ويخافون عذابه نقمته حيث قال فيهم من الوعيد
ما قال ومن يقل الاية فقد اثبت لهم الوعيد فيكون ثوابه ما يلتذ به وعذابه ما يتألم به ويتوجع
ومنهم من يقول من اهل التاويل يرجون رحمته اي جنته لكن يشبه ان يكونوا يرجون صحبة اهل الجنة
كقوله يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم الاية وجائز عندنا صرف قوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الى الاصنام التي عبدوها من دونه ايضا ويكون تاويله يدعون
يبتغون اي لو كان لهم من العقل والطاعة وركب فيهم من اسبابه لكانوا كما ذكر وهو كقوله لو انزلنا
هذا القران على جبل اي لو كان له وركب فيه ما ركب في البشر من اسبابه لكانوا كما ذكر في البشر ولكن لهم لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من سفه اولئك الذين عبدوا من دون الله يقول كيف تعبدون
من لو كان من العبادة والطاعة لكانوا يبتغون بذلك الوسيلة الى ربهم او كيف تعبدون من هو بطاعة ربه
يبتغي الوسيلة اليه ان كانت الاية في الملائكة كانه يذكر سفه اهل مكة حيث سالوا العذاب بقوله فامطر
علينا حجارة من السماء الاية وكفرهم واهل السماء والارض جميعا يحذرون عذابه وقوله قل ادعوا الذين زعمتم
فلا يملكون ما ذكر فليس هو امرا في الحقيقة وان كان ظاهره امرا ولكن اخبار عن عجز ما يدعون من
دونه وتعجيز ما ذكر من كشف الضر ودفعه والتحويل وكذلك قوله قل كونوا حجارة الاية ليس هو بامر
انما هو اخبار عن قدرته انه لا يعجزه شيء وابطال لتماسك الاشياء ولقطعها — فلا يملكون كشف الضر

عنكم ولا تحويلا يحتمل وجهين احدهما لا يملكون تحويل ذلك الضر اليكم ولا صرفه والثاني ولا تحويلا من الشدة
والاثقل الى الاخف والايسر والاهون — ان عذاب ربك كان محذورا اي يحذره اهل السماء واهل
الارض — وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا قال ابو بكر الاصم
وان من قرية الا نحن مميتوها وقد يستعمل الهلاك في موضع الموت كقوله ان امرؤ هلك اي مات ومعناه ايضا
هلك فلان اي مات فعلى ذلك يقول قوله الا نحن مهلكوها اي مميتوها قبل يوم القيمة كقوله كل نفس ذائقة
الموت وكقوله كل من عليها فان او معذبوها اي مستوعبها عذابا شديدا في تاويل يعم على جميع القرى والمدن
ليس قرية دون قرية ولا مدينة دون مدينة ولكن على الكل على الاجل ان هلاك الكل بقوله كل نفس ذائقة
الموت وكل من عليها فان ويحتمل ما ذكر من اهلاك القرية اهلاك الاهل من اهلاك القرية بعد اهلاك اهلها
قبل كثير من القرى وجائز ان يكون يهلك الاهل ويبقى القرية على حالها فيتلف نفسها قبل يوم القيمة والله
اعلم على تاويل الاصم يقول اذا اوفوا اجالهم اماتهم موتا باجالهم او يعذبهم عذاب اهلاك وقال الحسن الا نحن مهلكوها
اي مميتوها على ما قال ابو بكر او معذبوها عذابا شديدا يقول اذا قامت الساعة قبل يوم القيمة كقوله ونفخ في
الصور فصعق من في السموات الاية وقوله ان زلزلة الساعة الاية فذلك كله قبل يوم القيمة وهو يقول ان
الساعة تقوم على شرار الخلق فيكون ما ذكر من التعذيب لاولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله وقال
قتادة هذا قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بد اما ان يهلكها بموت كقوله كل نفس ذائقة الموت واما ان يهلكها
بعذاب مستاصل اذا تركوا امره وكذبوا رسله وهو ما ذكرنا من الانتقام وقال بعضهم يميت القرية
الصالحة باجالها واما القرية الظالمة فياخذها بالعذاب الذي ذكر حيث في القرون الماضية ان احتمل ذلك
ويشبه ان يكون قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة وهو ان يهلك رؤساء اهل الكفر
وقادتهم فيصير الدين كله دينا واحدا وهو دين الاسلام على ما قال بعض اهل التاويل في قوله اولم يروا انا
ناتي الارض ننقصها من اطرافها قالوا هو ان يهلك اهل الكفر فيجعل ملك اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك
نقصانها من اطرافها لا يزال ينتقص اهل الكفر قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام
وهو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها فذلك والله اعلم تاويل قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها
عذابا شديدا على اجزائه كان يعني جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لا بناء فيها ولا
ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال ويسالونك عن الجبال الاية وقال وبست الجبال بسا الاية اخبر
انه لا يبقى عليها احد ولا بناء فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فذلك اهلاكها وتعذيبها والله
اعلم — كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم كان ذلك في الكتاب الذي عند الله وهو اللوح
المحفوظ مكتوبا وقال بعضهم كان ذلك في جميع كتب الله التي انزلها على رسله مكتوبا اي ما من كتاب انزله
على رسله الا كان فيه كل من عليها فان وكل نفس ذائقة الموت مسطورا والله اعلم — وما منعنا ان
نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اخبر انه ليس يمنعه عن انزال الايات التكذيب لها وليس ذلك
فيه كي شيء فيما يكذب الاولون على الايات ما يمنع انزالها على يعوله قيل كانه على الاضمار اي ما منعنا
ان نرسل بالايات الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها الاولون فان قيل عن هذا لئن علمه
بتكذيب الاخرين كعلمه بتكذيب الاولين ثم لم يمنع علمه بتكذيب الاولين اياها انزالها كيف منع علمه
بتكذيب الاخرين ذلك اولين فقد ارسل الرسول وانزل الكتاب على علم منهم انهم يكذبون الرسول والكتاب
ثم لم يمنع علمه بذلك انزال الكتاب وارسال الرسول فكيف منع علمه بتكذيب الايات منهم عن ارسال الايات
ولم يمنع علمه بتكذيب الرسول والكتاب عن بعث الرسول وانزال الكتاب قيل انه قد مضى من سنته انه اذا

انزلنا الآيات على أثر السؤال أعني سؤال الآيات لكذبوا بها فأهلكهم كما مضت سنتي في القرون الأولى ثم قد سبق
من وعدي أن لا يهلك هذه الأمة إهلاك تعذيب واستئصال في الدنيا رحمة منه وفضلا على ما أخبر رسوله حيث قال
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أي رحمة أن من عليهم بإبقائهم وإزالة العذاب عنهم في الدنيا واستئصالهم فكأنه
قال والله أعلم وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ما سبق من وعدنا ورحمتنا أن لا نهلك هذه الأمة إهلاك استئصال
وتعذيب فذلك الوعد والرحمة الذي ذكرنا منعنا عن إرسال الآيات على علم منا أنهم يكذبونها إذا أرسلناها
إليهم وقد مضت سنتنا على الإهلاك إذا أنزلت الآيات على أثر سؤالهم إياها ثم التكذيب من بعد ثم قد
سبق الوعد لرسوله أن لا يهلكوا في الدنيا إهلاك تعذيب رحمة منه لهم على ما أخبر أنه لم يرسل إلا رحمة للعالمين والأصل
أن الله عز وجل قد أنزل الآيات والحجج فسألوا من الآيات والحجج من بعد ما سألوا سؤال التعنت والتمرد لا سؤال
استرشاد واستهداء فإذا كان سؤالهم الآيات سؤال عناد وتعنت أهلكوا إذا كذبوها ولم ينظروا كقوله
ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون وقوله ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ونحو ألا
ترى أن عيسى سألوه أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية منه فسأل فأجابه بنزولها عليهم
ثم أخبر أنه يعذبهم إذا كفروا بعد ذلك وهم كانوا أهل سؤال التعنت والتمرد فقال إني منزلها عليكم فمن يكفر
بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين هكذا كانت سنته فيمن سأل الآيات سؤال التعنت
والعناد وجائز أن يكون الذي منع من إرسال الآيات على إثر السؤال وإهلاكهم كإهلاك الأمم ما يكون من
الإسلام من نسل هذه الأمة بعد سبيهم وإبقاء التناسل إلى يوم القيامة   وآتينا ثمود الناقة مبصرة
قيل آية لرسالة صالح وقال بعضهم مبصرة أي معاينة يعاينونها أنها آية من الله لهم حيث رأوها مخالفة لنوقهم
وهو قوله هذه ناقة الله لكم آية فظلموا بها أي كذبوا بها وجحدوها ثم عقروها بعد علمهم أنها آية من الله
لهم حيث رأوها وعاينوها خلافا لنوقهم خارجة عن نوق البشر والله أعلم   وما نرسل بالآيات
إلا تخويفا قال ابن عباس والحسن وغيرهما الموت الذريع أي السريع وقال بعضهم ما نرسل بالآيات إلا
تخويفا للناس فإن لم يؤمنوا بها عذبوا في الدنيا أو يقول ما نرسل بالآيات مقرونة بالسؤال سؤال
تعنت فكذبوها إلا تخويفا للهلاك عليها ذكرنا للآيات التي سألوها وإن يكون قوله وما نرسل
بالآيات على إثر السؤال بها ثم التكذيب لها إلا تخويفا لمن تأخر من سائلها فكذب بها أو كلام يخرج على
الآيات التي ذكر كسوف الشمس والقمر ونحوه وما نرسل ذلك إلا تخويفا للناس والله أعلم
وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي وقد قلنا لك إن ربك أحاط بالناس الإحاطة بالشيء يكون بالوجوه
الثلاثة أحدها بالغلبة والقدرة والسلطان كقوله وظنوا أنهم أحيط بهم أي أخذهم الهلاك والغلبة
والقدرة عليهم والثاني الإحاطة العلم به كقوله وكان الله بكل شيء محيطا أي عالما وقوله ولا يحيطون بشيء من
علمه أي لا يعلمون والثالث الإحاطة المعروفة في الخلق من إحاطة بعضهم بعضا فذلك لا يحتمل في الله
سبحانه وتعالى فهو على الوجهين الأولين على إحاطة العلم بهم أو القدرة عليهم والغلبة ثم اختلف فيه
قال بعضهم أحاط بأعمالهم بما لهم وما عليهم وبما لا يصلح لهم وما يصلح وهو ما ذكرنا في قوله وربك أعلم
بمن في السموات والأرض وقال بعضهم إنهم يمكرون برسول الله ويريدون إطفاء نوره ويمنعونه
عن تبليغ الرسالة كقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية فيقول إن ربك أحاط بالناس أي قد
علم بمكرهم بك على علم منه بمكرهم بك بعثك رسولا إليهم وكلفك على تبليغ الرسالة إليهم لكنه وعدك أن
يعصمك منهم ويمنعك عنهم حتى تبلغ الرسالة بقوله والله يعصمك من الناس وقوله فإنه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا الآية كان عز وجل يبعث الرسل ويكلفهم تبليغ الرسالة إليهم على علم منه بما يكون
من قومهم من المنع والمكر برسله لكنه عصمهم ومكن لهم حتى بلغوا الرسالة إليهم فعلى ذلك قوله إن ربك أحاط

بالناس بالعلم أو بالقدرة والغلبة عليهم والله أعلم   وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس
قال عامة أهل التأويل إن الرؤيا التي أراها إياه لم تكن رؤيا المنام ولكن كانت يقظة ورؤيا عين
معاينة بالتي تنام لا بالذي لا ينام منه لأنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال تنام عيناي ولا ينام قلبي
فإنما أراه من الرؤيا بالعين التي كانت تنام لا رؤيا القلب علم وقال سعيد بن المسيب هي رؤيا منام رؤي
أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوما على منابر ... ذلك فذكر أنهم كانوا يعطون ... فذلك فتنة لهم وقال
بعضهم إنه رأى رسول الله في المنام كأنه يدخل المسجد الحرام آمنا فأخبر بذلك أصحابه أنه رأى ذلك فلما كان عام
الحديبية وصرفوا عن البيت ارتاب بعض الناس في رؤياه فذلك فتنة للناس على ما أخبر لكنه لم يبين للناس أنه
يدخل فيه وقد وعد أنه يدخل فيه آمنا وهو ما قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية ونحوه إلا فتنة
للناس والفتنة المحنة الظاهرة فإن كان ذلك في الرؤيا التي رآها في بيت المقدس وما أخبر من الآيات
لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر له بسحر فذلك الذي أخبرهم أنه رأى فتنة لهم ومحنة في التصديق والتكذيب
في الخبر الذي أخبر فإن كان على رؤيا منام فهو فتنة لهم لما ذكرنا والله أعلم   والشجرة الملعونة في
القرآن أي كانت الشجرة الملعونة في القرآن ذكرت أيضا فتنة لهم كقوله إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة
تخرج في أصل الجحيم الآية ووجه فتنتها لهم ما ذكر في القصة أنهم قالوا إن محمدا يقول إن في النار شجرة
والنار من طبعها أن تأكل الشجر فكيف تكون في النار الشجر وهي تأكلها ولكن لم يعرفوا أن شجر النار يكون
من النار وشرابهم من النار وكذلك طعامهم من النار فإذا كان هذا من النار لم يأكلها النار ومنهم من قال
الزقوم هو الزبد والتمر فكيف يكون في النار فيدعون بذلك الكذب عليه في خبرهم أن في النار شجرة فتلك
الشجرة أيضا كانت فتنة لهم ومحنة في تصديق رسول الله وتكذيبه وسمي ملعونة قال بعضهم إن العرب
سمت كل ضار مؤذ ملعونا فلذلك سميت شجرة الزقوم ملعونة إذ كانت ضارة لأهلها مؤذية وقال
الحسن سميت ملعونة لما لعن آكلها ثم سميت باسم أهلها وهو ما سمي النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن
يبصر به فسمي باسمه فعلى ذلك هذا وأصل اللعن الطرد فطردهم كل خير ونفع فهي ملعونة وكقوله رب
إنهن أضللن كثيرا من الناس أضاف الإضلال إلى الأصنام والأصنام لا صنع لها في ذلك لكن كثيرا
من الناس ضلوا بهن فكأنهن أضللتهم وكقوله وغرتهم الحياة الدنيا أي اغتروا بها وقوله في القرآن أي ذكرت
في القرآن والشجرة لا تكون في القرآن وهو ما ذكر من المصائب وغيرها كقوله ما أصاب من مصيبة في
الأرض إلا في كتاب والمصائب لا تكون في الكتاب لكن ذكرت فيه ونخوفهم بما ذكرنا   فما يزيدهم
إلا طغيانا كبيرا هو ما ذكرنا في قوله ما زادهم إلا نفورا وقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا إلى رجسهم زادهم ما ذكر لأنهم نظروا إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء فزادهم ما ذكر والمؤمنون
فزادهم إيمانا وبشرى لأنهم نظروا إليه بعين التعظيم والتبجيل   وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قوله أأسجد أي لا أسجد كقوله لم أكن لأسجد لبشر
خلقته من صلصال ثم قال هذا أن قوله أأسجد معناه أي لا أسجد ذكر في قصة إبليس ألفاظا مختلفة مرة
قال يا إبليس ما لك أن لا تكون مع الساجدين وقال في موضع آخر ما منعك أن تسجد وفي موضع آخر ما منعك
أن لا تسجد ونحوه فيجوز أن يكون ذكر هذا على اختلاف الأحوال لا في حال واحدة هذا على ما ذكر من قصة
آدم من اختلاف الأحوال حيث قال مرة من تراب وقال مرة من طين ومرة من صلصال ونحوه وذلك
إخبار عن أحوال تغيرت فيه وجائز أن يكون ذلك بغير هذا إلا أنه ذكر ههنا بألفاظ مختلفة والزيادة
والنقصان لأن اختلاف الألفاظ لا يغير المعنى   قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن
أقر إبليس لعنه الله بالتفضيل لآدم والإكرام له إما من جهة الطاعة له أو النبوة التي أعطاها الله وأن

أو على لفظه التفضيل بما رجحه الخلقة بأن ناري وهو طيني حيث قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي أي فضلت
لم عليه والإكرام إما لطاعتهم له أو لاحتياجهم رسولا إلى خلقه لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن
ذريته إلا قليلا لا يحتمل أن يخاطب ربه ويقول لئن أخرتني إلى كذا لأحتنكن لأنه لما يطلب التأخير
والبقاء إلى يوم القيامة طالب نعمة منه ومنة فيقول بمقابل ما يطلب من النعم لئن أعطيتني كذا لأعصينك
إنما يذكر بمقابل طلب النعم الطاعة له والشكر على ذلك وهو ما قال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن إنما يقابل
بطلب النعم الطاعة له وأما بمقابلة المعصية فلا نعرف ثم يخرج قوله لئن أخرتني إلى يوم القيامة على وجهين
أحدهما على التأكيد بقسم أي أعدو إن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته أو على التمني منه الأمرين جميعا
التأخير واحتناك ذريته وهو الإيمان ثم اختلف في قوله لأحتنكن ذريته قال بعضهم لأحتوينهم ولأحيطن
بهم وقال بعضهم لأضلنهم على ما ذكر في آية أخرى ولأضلنهم ولأمنينهم وقال بعضهم لأحتنكن لأستزلن وقيل
لأستولين وقال القتيبي لأحتنكن أي لأستأصلنهم ويقال هو من حنك الدابة يقال حنك دابته يحنكها حنكا
إذا شد من حنكها الأسفل حبلا يقودها به وقال القتيبي أي لأقودنهم كيف شئت ثم قوله لئن أخرتني
إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته كأنه سأل ربه التأخير على ما ذكر في آية أخرى حيث قال رب فأنظرني إلى
يوم يبعثون كأن اللعين لما سمع قوله وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين علم أنه لا تنال الرحمة في الإيمان
حيث ذكر اللعنة إلى يوم الدين واللعين هو المطرود عن رحمته فعند ذلك سأل ربه النظرة إلى يوم الدين
ليغوي عباده وقد علم اللعين أن طاعة خلقه لا تزيد في ملكه شيئا وعصيانهم لا ينقص في ملكه شيئا لذلك
قال لأحتنكن ذريته ولأغوينهم ولأضلنهم وما ذكر قال اذهب فمن تبعك منهم مع إحساني
إليهم وإنعامي عليهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك هذا يخرج
على وجهين أحدهما على التمكين له والإقدار على ما ذكر أي مكن له ذلك وأقدر عليه لخذلانه إياه لما عصى ربه
وترك أمره لما أمره بالسجود لآدم جزاء منه حيث قال له وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين مكن له ذلك
ليتم له اللعنة والخذلان والثاني قال ذلك له على التوعد والتهدد ألا ترى أنه ذكر هذا على أثر وعيد
وهو قوله لمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا فيخرج قوله واستفزز على أثر ذلك مخرج الوعيد له
ولمن تبعه وأجابه كقوله اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير هذا وإن كان ظاهره أمرا فهو وعيد فعلى هذا قوله
واستفزز من استطعت منهم فإنك ولمن تبعك كذا أو لما ذكرنا من التمكين له ذلك والإقدار على ذلك
ليتم له الخذلان واللعن الذي لعنه وإلا لا يجوز أن يكون لعنه يأمر بما ذكر إذ يخرج الأمر بما ذكر مخرج
سفه والأمر بالفحشاء وقد أخبر أنه لا يأمر بالفحشاء والمنكر وإنما يأمر بالعدل كقوله إن الله لا يأمر بالفحشاء وقوله
إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلو حمل هذا على الأمر
لكان أمرا بالفحشاء والمنكر فدل أنه يخرج على أحد الوجهين اللذين ذكرناهما أو على الاستبعاد والإياس
عن أن يملك أو يقدر عليهم بما ذكر إلا من اختار منهم اتباعه وهو ما ذكر إن عبادي ليس لك عليهم سلطان والله
أعلم وقوله واستفزز قال القتيبي أي استخف والرجل الرجالة وقال أبو عوسجة واستفزز أي استخف
أي دعاه فأجابه وأمره فأطاع وعلى هذا يخرج قوله فاستخف قومه فأطاعوه أي أمرهم فأطاعوه أو دعاهم
فأجابوه وقوله بصوتك يحتمل وجوها ثلاثة أحدها على حقيقة الصوت يكون له صوت يدعو أن يسمعه
فيسمع ذلك الصوت النفس الخفية التي تكون في هذه النفس الظاهرة الكثيفة ولا تسمع النفس الظاهرة
على ما يخطر شيئا بالقلب من غير أن يعلم به الإنسان أنه من أين جاء ومن أين هيجانه وعلى ما يقذف ويوسوس
أشياء في القلوب من غير أن يعلم ذلك ويطلع عليه فعلى ذلك يجوز أن يكون له صوت يدعو الناس
وإن كان لا يسمع لكنه تسمعه النفس الخفية ما تسمع النفس الظاهرة وقد سمى هذا أعني بالنفس الخفية الأثري

أن النائم يرى أشياء ويكون في أقصى الدنيا ونفسه الظاهرة ملقاة ههنا فذلك كله بالنفس الخفية والثاني
على التمثيل ليس على التحقيق فحقيق الصوت لكن ذكر الصوت لما بالصوت يوصل إلى إعلام بعضهم بعضا وبه
يدعو بعضهم بعضا عند البعد فذلك الصوت له مكان الوسوسة التي يوسوس الناس أشياء من بعد ويدعوهم
بها إلى معاصي ربه وكذلك قال الحسن في قوله فوسوس إليه الشيطان أن من بعد من غير أن كان من ملك لغرب
منه والثالث على إضافة عمل كل عاص من الغناء والمزامير وغيره أو ما يضاف عمل كل طالح وكل ضلال إليه
أضيف ذلك إليه على ما أضاف إليه موسى حيث قال هذا من عمل الشيطان وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن
ولم يكن ذلك عمل الشيطان حقيقة ولكن قال ذلك وأضافه إليه لما بأمره ودعائه يعمل ذلك وقال عامة أهل
التأويل بصوتك أي بدعائك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال بعضهم أجلب أي أجمع ويقال
وأجلبتهم أي أعنتهم أيضا وهو قول أبي عوسجة وقوله بخيلك ورجلك يخرج على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا
أحدها أن يكون له خيل ورجالة من جنسه وجوهره يجلبهم بهم وإن كنا لا نراهم كما قال إنه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم فجائز أن يكون له خيل ورجالة وجنود لا نراهم نحن وهم يروننا والثاني على ما ذكرنا أنه على
التمثيل لكنه ذكر الخيل والرجل لما بالخيل والمشي يصل بعض إلى بعض عند الحاجة إليه في البعد والقرب فذكر
ذلك له على ما ذكرنا في الصوت والثالث أنه أضاف كل خيل راكب في معصية ربه أو كل ماش مشى في معصيته
إليه على ما ذكرنا في الصوت أنه أضاف كل صوت في معصية إليه والله أعلم وقوله جزاء وكم جزاء موفورا قال القتيبي
موفورا أي موفرا وقال غيره وافرا وفي قوله لئن أخرتن إلى يوم القيامة دلالة نقض قول المعتزلة لأن إبليس سأل
التأخير والإبقاء إلى يوم القيامة وقد علم أنه إذا أعطاه ذلك لا يفي له ما وعد وأبقاه إلى ذلك الوقت وهم لم
يعرفوا ذلك بل قالوا أنه يجب عليه أن يفعل الأصلح فهم عن وفاء ما وعد والإبقاء إلى الوقت الذي وقت له فهو أعرف بربه
منهم وكذلك قال رب بما أغويتني وهم يقولون لم يغو فهو أعرف بربه منهم وشاركهم في الأموال والأولاد
قال بعض أهل التأويل شركته في الأموال ما يجعلون البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي على ما كانوا
يفعلون وأما الأولاد فإنهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم هذا قول قتادة وقال بعضهم شركته في
الأموال أن يكتسبوها من خبيث وحرام وينفقوها في مثل ذلك وأما الأولاد فهو ما ولدوا من الزنا
وقال بعضهم الأموال ما كانوا يذبحون لآلهتهم ويجعلون لها من الحرث والأنعام والأولاد ما ولدوا
من الزنا وجائز أن يكون هذا على ما تقدم من قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك
ورجلك إلى آخر ما ذكر حيث دعاهم في الأموال والأولاد ثم معنى المشاركة له فيما ذكر والله أعلم هو أن
من الأموال والأولاد لله تعالى حقيقة لما أنه هو خلقها لحقيقة الملك له بما ذكرنا وظاهر الانتفاع
لعبيده إذ هذا الكلام يكون المحنة فيهم وحق الانتفاع لهم إذ لا يجوز أن يخلق لنفسه شيئا لمنفعة نفسه ولكن
يخلق لمنافع أنفسهم ثم قد شرع لهم شرائع وشرع لهم إبليس شرائع وهو ما ذكر أم لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فإذا صرفوا ذلك إلى ما شرع لهم إبليس دون ما شرع الله فقد أشركوه
فيه وكل ما أطيع فيه ما سن لهم إبليس وشرع لهم فذلك شركته فيها وذلك أن الأموال والأولاد في أن هذا إنما
تطلب لأحد الوجوه الثلاثة إما للاستئناس بهم في حال الوحشة وإما للاستنصار بهم والعون على
أعدائهم وإما للذكر بعد الوفاة وكذلك الأموال يطلب لما ذكرنا الانتفاع بها في حال الحياة وإما
العون على الأعداء أو الذكر بعد الموت بخيرات يتركونها فإذا صرفوا إلى ما أمرهم إبليس أشركوه فيها وشاركه
إياه في الأموال والصبيان بأمرهم ويدعوهم إلى اكتساب ما يحرم والإنفاق فيما لا يحل وفي الأولاد كذلك
يأمرهم بالمعصية ويدعوهم إليه فيطيعونه ويجيبونه في ذلك فلذلك كان شركته والله أعلم وعدهم
قال عامة أهل التأويل أي عدهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله وهو وعدهم

يحتمل ما فهم انه ما كان من الله لهم وعد رجا يكون منه وعيد وما كان من الله وعيد وخوف يكون منه وعد رجا
وبعده قال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم اخبر انه ما وعد هو قد اخلف فذلك ما قيل قوله وما
يعدهم الشيطان الا غرورا اي كذبا وباطلا لانه يخرج كله على خلاف ما وعد   ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان يحتمل قوله سلطان وجوها ثلاثة احدها القدرة والقهر والثاني الحجة والبرهان والثالث الولاية فاما
القدرة والقهر فليس له عليهم ذلك لانه لم يجعل له قدرة القهر عليهم ابدا وابوا وكذلك ليس له عليهم الحجة فيما يدعوهم
اليه ويامرهم به كقوله يوم القيمة حين يقول وما كان لي عليكم من سلطان الاية واما سلطان الولاية فان له
ذلك على من اختار اتباعه وتوليه كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقوله ان عبادي المخلصين الذين اخلصوا
ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان اي حجة لانهم انما يتبعون امر الله بحجج فلا يتبعوا الشيطان بامانيه
التي يمنيهم وشبهاته التي يشبه عليهم اوان يكون قوله ليس لك عليهم سلطان اي سلطان القهر والغلبة انما له
عليهم الدعا والتزيين لا غير اوان يكون قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان من الحجج والملك على ما ذكرنا
انما سلطانه عليهم سلطان الولاية على الذين يتولونه   وكفى بربك وكيلا يحتمل وكيلا عاصما يعصمك عن
تمويهاته وتسويلاته وناصرا ينصرك على مكايده او مفزعا تفزع اليه او معتمدا تعتمد عليه في جميع امورك والله
اعلم   ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر يزجي يجري ويسير ويسوق الفلك في البحر قال الحسن اي
يسوق الفلك والسفن لنا في البحر والدواب في البر لنقطع بها البحار والمفاوز والبراري لنصل بذلك الى
حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية والامكنة البعيدة وكذلك قال في قوله يسيركم في البر والبحر
اي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكر الا ان اضافة ذلك اليه على قولنا هو ان خلق سيرنا وجريتنا
في البر والبحر على قولنا ان افعالنا مخلوقة لنا ثم يذكر فيه قدرته وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل
فيه معنى تقر على وجه الماء ثم ومن طبع الشي الثقيل الترسب في الماء والتسفل فيه ولا نفهم المعنى
الذي به تقر على وجه الماء وان كان معنى لذلك في الثقل تسفل فيه وترسب او جعل ذلك بطبع حيث يقر
على وجه الماء ولا يرسب فيه لطفا منه ثم قدر على ان ما يقر على وجه الماء لمعنى جعل فيه لا نعقل نحن او
بلطفه لقادر على ان هذا الخلق ولعادته يعجزنا به ودنا به وان كانت عقول الخلايق لا تدرك ذلك
واوهام البشر تعجز عن دركه فكما قدر على انه ما هو طبعه الترسب في الماء والتسفل فيه بحيث يقر ويركد
على الماء لقادر على ما ذكرنا وحيث قدر على تسكين الامواج في البحر ليعبر فيها وخلق رياحا فيها تجري بها السفن
كما تجري بالماء الجاري لمن قدر على هذا لقادر على ما ذكرنا من الاحيا بعد الفنا وفيه ما ذكرنا من تذكير
نعمه لنا لنشكر وتذكير قدرته وسلطانه لئلا نرهب منه ولا نغفل قدرته وسلطانه في شي من الاشيا
على ما انكر قدرته بعض ظلمة لقصور عقولهم عن دركه ذلك وفيه وجوه من الدلالة احدها تعليم الاسباب
التي بها يوصل الى قطع البحار والبراري من اتخاذ السفن والحمل عليها وغير ذلك والثاني تسخير البحار
والبراري لنا ما لولاه ذلك ما تهيا لنا استعمال ذلك والثالث دلالة الرسالة اذ لولا جاز السمع والا ما
يعرف ان ما يحتاج اليه هو في تلك البلدان النائية والامكنة وما يعلم ان تلك الطريق يفضي الى
تلك الامكنة الا بخبر السمع من الله تعالى   انه كان بكم رحيما قال بعضهم اي من رحمته ان جعل
لكم الفلك والدواب لتصلوا بها الى ارزاقكم التي جعل لكم في البلدان النائية البعيدة وقال
بعضهم انه لم يزل بكم رحيما اذا تبتم ورجعتم عن ذلك او كانت الاية في المومنين فهو لم يزل بهم رحيما
وان كانت في الاكثر فيهم جميعا فان قالت الثنوية انكم تصفون ربكم بالرحمة والرافة وهو يميتكم
ويقتلكم ويحمل عليكم الشدايد والمحن العظام فذلك ليس من صفة الرحيم قيل انا قد ذكرنا لكم في
غير موضع جواب السوال ان المرء رحيم على نفسه وله الرحمة والشفقة عليها ثم مع ذلك يحمل على نفسه الشدايد

والمحن العظام لما يامل من النفع في العاقبة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة ما لولا
ما يامل من النفع في العاقبة ما تحمل ذلك وكذلك الوالدان فيهما من الرحمة والرافة لولدهما ما لا يخفى ذلك
على احد ثم يحملان على ولدهما ما ذكرنا من الشدايد والمحن العظام لما يامل من النفع لهم في العاقبة ثم لا
يخرج ذلك عن الوصف بالرحمة والرافة فعلى ذلك الله سبحانه لا يمنع ما يحمل علينا من الشدايد من ان يوصف
بالرحمة ولا يخرجه ذلك عن الحكمة بل هو على ما قال وهو ارحم الراحمين   واذا مسكم الضر في البحر ضل من
تدعون الا اياه اي بطل ما كنتم تاملون من عبادتهم الاصنام الا العبادة التي كانت لله فانه لم يبطل
ما يومل من عبادتهم اياه لانهم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويقولون هولاء شفعاونا عند الله
وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فجزعوا وجلوا شفعائهم لعبادتهم الاصنام وعجزهم عما يأملون منهم
في الاخرة حيث لم يملكوا دفع شي مما مسهم وكشف ما اصابهم في الدنيا فكيف يملكون ذلك في الاخرة او ان
يكون ضل من تدعون الا اياه اي ضل الالهة التي عبدوها من دون الله الا الله الا انه الحق المستحق للعبادة
فانه اغاثكم ونجاكم من الهلاك   فلما نجاكم الى البر اعرضتم هكذا كانت عادتهم انهم اذا خافوا الهلاك
على انفسهم اخلصوا الدعاء كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وكقوله وجاءهم
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
فلما انجاهم اذا فريق منهم بربهم يشركون ونحوه ويحتمل قوله فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن وفا عهد تم
وايمان ما وعدتم لانهم قالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فاعرضوا عن هذا الوعد ولم يوفوا
بذلك   وكان الانسان كفورا النعم بما يذكرهم من وجهين احدهما عبادتهم من يعلمون انه لا ينعم عليهم
في حال الرضا ولا يدفع عنهم البلا في حال الشدة والثاني ان في الانسان انه من انعم عليه نعمة واحسن اليه
يشكر له ويثني عليه واذا حل به بلا وشدة من احد من الخلايق يدعو عليه ويلعنه فاما الله فانهم يكفرون نعم الله
على خلاف معاملة الخلق بعضهم بعضا يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلا ويكفرون نعمه في حال الرضا
والله اعلم   افامنتم ان يخسف بكم جانب البر على ما خسف قوما في البر او يرسل عليكم حاصبا على ما
ارسل على قوم من الحصباء والحصى في سلكهم ثم لا تجدوا لكم وكيلا ناصرا ينصركم او معتمدا تعتمدون عليه
ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى اي يحوجكم الى ركوب البحر مرة اخرى فيغرقكم بالكفر تم الف
يذكرهم ان من قدر على ان ما ذكر من الفلك واجراها في البحر وتسكين امواجه ودفع اهواله عنكم
لقادر على اهلاككم في البحر والبر واعادتكم في البحر ثانيا واغراقكم فيه وفي قوله ام امنتم ان يعيدكم فيه
تارة اخرى وقوله يزجي لكم الفلك في البحر وقوله يسيركم في البر والبحر دلالة ان له في فعل العباد صنعا
لانهم هم الذين يسيرون في البحر وهم الذين يجرون الفلك فيه ثم اضاف الاجرا الى نفسه وكذلك السير
ليعلم ان له فيه صنعا وفعلا   ثم لا تجدوا لكم به علينا تبيعا قال بعضهم تبيعا اي من يتبعنا
بما فعلنا ويطالبنا بها وقال ابو عوسجة التبيع الكفيل ويقال المتقاضي في موضع وقال غيره هو من التبعة
اي لا تجدوا لكم علينا به تبيعا تبعة بما ذكرنا وقال القتبي الحاصب الريح سميت بذلك لانها تحصب
اي ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجر اي تكسره وكذلك قال
ابو عوسجة القاصف الشديدة من الرياح   ولقد كرمنا بني ادم كرمهم بان خلقهم في احسن
صورة كقوله وصوركم فاحسن صوركم وقومهم في احسن تقويم واحسن قوام كقوله لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم وكرمهم بان ركب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان ويعرفون بها المحاسن
من المساوي والحكمة من السفه والخير من الشر وكرمهم بان جعل لهم لسانا يتكلمون بها بالحكمة وكل خير وبها
يتوصلون الى درك الحكمة ووجوهها وكرمهم بان جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل

منهم وكرمهم بان خلق جميع ما على وجه الارض لهم كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا وكرمهم بان سخر لهم جميع
الخلايق كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجعل بني ادم هم المقصود من خلق جميع
الخلايق ونحو وكرمهم حيث جعلهم بحيث تهيا لهم استمتاع السما والارض واستعمال الشمس والقمر
واستعمال الجامد البارد وجميع الصعاب والشدايد في حوايجهم دمنا فيهم ما لا تهيا لغيرهم من الخلايق
ذلك غير ذلك تفضيلهم وجايز ان يكون كرم بني ادم لانه كرم ادم وكرم ادم لانه اسجد ملايكته له وبعث
رسوله اليهم حيث قال انبيهم باسمايهم فلما كرم ادم صار بنوه مكرمين ايضا ولهذا نقول بان الاب
يحرز شرف ابنه وقال اهل التاويل ان فضل بني ادم على غيرهم من الحيوان والدواب حيث ياكلوا
ويشربوا بايديهم وسائر الدواب ياكلون بافواههم لكن الذي ذكروا هو من التفضيل الا ان
ذلك لم تفاصيه ليس فيه كبير حكمة ونفضل لكن فضلهم وكرمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات والله اعلم
وحملناهم في البر والبحر هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم ثم يحتمل هذا وجهين احدهما
ان جعل لهم البر والبحر مسخرين حتى يصلوا الى ما بطن ما في البحر وظاهره من انواع المال والمنافع وكذلك
البر سخر لهم حتى يصلوا الى ما في باطنه من الاموال والمنافع وظاهره والثاني ان جعلهم بحيث يقضون
حوايجهم التي كانت لهم من وراء البحر ووراء البر ما لم يجعل ذلك لغيرهم من الخلايق وقضا الحوايج من وراءها
وذلك حتى تفضيلهم الذي ذكر ثم ما ذكر على اثر قوله كرمنا بني ادم هو تفسير التفضيل والكرامة
حيث قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وجايز ان يكون ما ذكر من تكريم بني ادم
وتفضيله اياهم هو ما جعل فيهم من الانبيا والرسل والاتقيا والاخيار منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم
الا ترى ان موسى قال يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية وقوله ورزقناهم من الطيبات هو ما
ذكرنا ان جعل ارزاقهم وغذاءهم ما بلغ في الطيب غايته ولا كذلك غذاء غيرهم من الدواب لان رزقهم
لانهم لا ياكلون الا بعد ان يستخرجوا ما فيه من اذى ووسخ وخشونة من النخالة وغيرها ذلك في الطبخ
والنضج حتى يبلغ في الطيبة اللين غايته واما غير من الدواب فانما ياكلون كما هو نيا غير مطبوخ
ولا نضيج وفيه من الخبث والاذى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اما بعض اهل التاويل
فانه قال فضلناهم على كثير ممن خلقنا على الجن والشياطين احسبهم غير الملايكة وقال بعضهم على
كثير ممن خلقنا من الحيوان والدواب تفضيلا بالاكل بالايدي وجعل رزقهم من غير رزق الدواب
ويحتمل على كثير ممن خلقنا ممن على وجه الارض من الجن وغيرهم لما لم يرسل الى الجن رسولا منهم ولا
انزل عليهم كتاب على حدة وجعل ارزاقهم مما يفضل من البشر من العظام والسرقين وغير على
ما ذكر فذلك وجه تفضيلهم عليهم واما الكلام في تفضيل البشر على الملايكة والملايكة على البشر فانا لا
نتكلم في شيء من ذلك لما لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة لا نرى انه الى الله في تفضيل
رسوله على رسول ورسول على رسول ليس الينا البيان لذلك شي ولا جايز ان يجمع بين اشرار البشر والسفهاء
وبين الملايكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين فيقال هم افضل من الملايكة ولكن ان كان لا بد فانما
يجمع بين الانبيا والرسل والتقي من الخلايق وبين الملايكة فيتكلم ثم بتفضيل بعض على بعض فهو ما ذكرنا
ان الامر في ذلك الى الله ليس الينا من ذلك شي والله اعلم   يوم ندعو كل اناس بامامهم قال
الحسن هذا صلة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فيقول اي يوم فيقول يوم ندعو كل اناس
بامامهم ثم اختلف في قوله بامامهم قال بعضهم ندعو بامامهم اي بدينهم الذي دانوا به وذبوا
عنه ويدعى كل بدينه الذي دان به وذب عنه وقال بعضهم بامامهم اي برسلهم وائمتهم الذين
اضلوهم اي يدعى الاتباع بائمتهم ورؤسايهم الذين اضلوهم حتى يلوم بعضهم على بعض ويلعن بعضهم

على بعض ويتبرا بعضهم من بعض كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية وقوله يلعن بعضكم بعضا وقوله
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين يدعى الاتباع بالمتبوعين وقال بعضهم يدعى كل
اناس بداعيهم الذي دعاهم ان كان رسولا فبالرسول وان كان شيطانا فبالشيطان وهو قريب مما ذكرنا وقال
بعضهم بامامهم كتابهم الذي كتبت الملايكة اعمالهم فيه وقال بعضهم يدعى بكتابهم الذي انزل عليهم يدعى كل بما ذكر ليعلموا
ان الحجة قد قامت عليهم ووجب لهم العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان وحاصل ما قيل هو لا يرجع الى
وجوه ثلثة احدها يوم ندعو امام كل اناس كان امامهم في خير او شر فيجزى له جزاه ثم يلحق من كان اتباعه
الى ما اعد له من الثواب والعقاب والثاني يدعى كل امام ورئيس في خير او شر باتباعه الذين يتبعونه فيما يدعوهم
اليه نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه وكل رئيس وشيطان استتبعهم والثالث امامهم كتابهم الذي كتب
له اعمالهم التي كتبوا الحق لهم لقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ونحوه   فمن اوتي كتابه بيمينه
فاولئك يقرءون كتابهم كلهم قد يقرءون كتابهم غير ان المومن اذا نظر في الكتاب فرح به واستبشر بما فيه
فيسهل عليه القراءة ويحسن لما كان فيه ما يبتهج به واما الكافر اذا نظر في الكتاب حزن واغتم فتعسر عليه قراءة
كتابه وهو كقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه الاية
ويقول الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه الاية لانه اتبع ما اتبع بلا حجة او ان يكون المومن اذا نظر في كتابه
راى سياته مغفورة كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سياتهم ففرح بذلك والكافر
راى سياته باقية عليه وحسناته قد بطلت حزن بذلك واغتم لذلك قال ما قال والله اعلم   ومن
كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا قال بعضهم من كان في هذه الدنيا اعمى عن الحق فهو في الاخرة
اعمى عن حجته لانه اذا عمي عن الحق نفسه فهو عن حجته اعمى وقال بعضهم ومن كان في هذه الدنيا اعمى عن توحيده
والايمان به مع كثرة اياته ودلالاته على وحدانيته فهو عن الايمان بالاخرة والبعث بعد الموت اعمى
فيكون في المعنى عن الايات والدلالات على وحدانية الله اكثر واظهر من الدلالة على البعث والاخرة
اذ ليس شي الا وفيه اثر وحدانيته ودلالة الربوبية ولا كذلك الاخرة فهو عن الايمان بها اشد عمى وقال
بعضهم من عمي في هذه الدنيا عن الايمان بالله فهو في الاخرة اعمى عن الايمان به لان الدنيا مما يقبل فيها الايمان
وفي الاخرة لا يقبل وهو كما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان به كما فعل باشياعهم من قبل اي
كما حيل بين اشياعهم وبين الايمان به عند معاينة باس الله وعذابه وهو قول الحسن وقال ابو بكر قريبا
من هذا وهو ان من عمي عن الرشد والحق في هذه الدنيا بجهله فهو في الاخرة عند علمه بالرشد والحق اشد
عمى او كلام نحو هذا وقال بعضهم من عمي قلبه في الدنيا عن الايمان به والتوحيد له فهو في الاخرة يكون
اعمى الوجه والحواس كقوله لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وكقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما الاية ما ذكر ذاهبة حواسهم لما تركوا الانتفاع بها في الدنيا لما جعلت لهم الحواس ويشبه
ان يكون قوله من كان في هذه اعمى بالله فهو على الله في الاخرة اعمى اي مفتر على الله ايضا كقوله ثم
لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله يفترون في الاخرة ويكذبون كما كذبوا في
الدنيا وكقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ثم اخبر فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون وقال قتادة من كان في هذه اعمى يقول من كان في الدنيا فيما اراه الله من اياته من خلق
السموات والارض والجبال والنجوم فهو في الاخرة الغايبة عنه التي لم يرها اعمى واضل سبيلا وهو قريب
مما ذكرنا وقال ابن عباس ومن كان في هذه النعم اعمى ان يعلم انها من الله فهو في الاخرة اعمى عن حجته
ويقال عن دين الله واضل طريقا ويقال اضل عن حجته وقال بعضهم من اهل اللغة ويقال من كان في هذه
النعم اعمى يعني الكافر عمي عنها وهو يعاينها فلا يعرف انها من الله فيشكره بها فهو في الاخرة اعمى يقول عما

وقال لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل

١٠٢٠

غاب عنه مرارا الاخر من البعث والجزا اعمى واضل سبيلا واخطا طريقا وبعضه قريب من بعض والله اعلم
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولا يحمل هذا انه قد كان من الكفرة شي من الدعا الى شي يصيبه مفتونا
لو اجابهم الى ذلك وكذلك كانت عادة الكفرة كادوا ان يفعلوا برسول الله ويفتنونه عن الذي اوحي اليه
ويصرفونه عنه كقولهم ائت بقران غير هذا او بدله هكذا كانت عادتهم كانوا يطلبون منه الافترا على الله والضلال
على وجه المكر به لا ضلال تصريح وكفر تصريح ولكن معنى يؤدي ذلك الى الضلال والكفر ويريدون منه الميل
لهم في بعض ما هم فيه بما كانوا يرونه من الموافقة له والميل عن لكن الله عصم رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون
منه بالايات التي ذكرنا في قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية اخبر
انهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضى ومن لم يكن معصوما يجوز ان يوجد منه حرج مما قضى به
وكقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ومن لم يكن معصوما يجوز ان يؤذي ولا يلحقه
اللعنة وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية ومن لم يكن معصوما يجوز ان تكون الخيرة من امره وقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
وامثاله من الايات مما يكثر عدها وكذلك لعلة شهد انه كان معصوما لمن اراد ان يصرفه ويزيله عن العصمة في دليلنا ولا
يجوز ان يأتي بالايات ويجيء بريبة فانا لا نقبل تاويله ولا حجة الذي روي وشهد انه كذب ويجوز ان يكون
في حجة الذي روي معنى احسنه فليس لا انه روي الا بالمعنى الذي كان فيه دنا ويل اهل النار ويل انه القى عليه
الشيطان ولقنه عند تلاوته افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى
فقال بعضهم انه لما تسلم الحجر الا ان يستلم الهتنا وبحى ان ذلك كان سخيا انه كان لا يجوز حول اصنامهم في حال
صغر ولا راى دناها حتى لم يطمعوا ذلك منه ما دام صغيرا فكيف طمعوا فيه الاسلام لا جعلها وحيا اليه وبعثه
رسولا وكذلك ما ذكروا انهم طلبوا منه ان يطرد بعض الذين اتبعوه عنه ليكونوا من اتباعه لهم ان يفعل ذلك فنزل
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ان ذلك كله فاسد خيال لا يحتمل ما توهموا فيه لانهم لم يعرفوا حق
معرفته الا الوعرفوا حق المعرفة ما توهموا فيه شيا من ذلك وبالله المعونة والتوفيق ثم قوله ليفتنونك عن
الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره قد ذكرنا ان عادتهم ذلك الا ان الله عصمه من ذلك ثم قوله ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا فظاهره انه يرد جميع ما قال اهل التاويل في الاية لانه يقول
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اخبر انه قد ثبته فلم يركن لانه اخبر انه قد ثبته فلم يكد ان يركن اليهم
وقال شيا قليلا سمى ذلك شيا يسيرا ولو كان ما قال اولئك لكان شيا كبيرا عظيما بل يبلغ الكفر لانه لم يكن مما
ذكروا وقال لقد كدت تركن اليهم وكاد هو حرف قارب اي قارب ان يركن كقوله تكاد السموات اي قارب ان
ينفطرن وليس فيه انه ركن اليهم فقولهم فاسد للوجوه التي ذكرنا انه ذكر شيا قليلا ولو قالوا كبيرا عظيما يخاف
ان يبلغ الكفر والثاني قال كدت وهو حرف تقارب والثالث ذكر على الشرط ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيا قليلا فلم يركن لانه ثبته وهو كما قال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون
وما ذكرنا في قصة يوسف ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ليس فيها انه هم ولا فيه انه ركن
لانه خرج على الشرط وقال الحسن في قوله لقد كدت تركن اليهم اي هممت لكنه هم به هم خطر اخطر ابليس
وكذلك قال في قصة يوسف همت به هم عزم وهم بها هم خطر وقال بعضهم ارادوا منه ان يجعل لهم مجلسا
على حدة ليسلموا فهم ان يفعل ذلك لحرصه على اسلامهم واشفاقا عليهم فقيل هذا يجوز الفعل الا ان الرسل
لا يجوز لهم ان يفعلوا شيا وان صغر الا باذن من الله الا ترى ان يونس لما خرج من عند قومه مغاضبا
عليهم بغير اذن من ربه عاتبه ربه بذلك معاتبة عظيمة حيث قال فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون ومثل هذا الوضع عظيم من دونهم كان محمودا حاكما في ذلك فهذا يدل ان الانبيا لم يكن لهم صنع
شي وان قل الا باذن من الله والله اعلم اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف

١٠٢١

عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات وقال ابو عوسجة ضعف الحيوة اي مثل الحيوة وقال ضعف الحيوة عذاب
الدنيا وضعف الممات عذاب الاخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي لا تجد من ينصرك ويمنعك منا
والله اعلم وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قال الحسن قوله ليستفزونك اي كادوا ليستزلونك
وليخرجوك منها بالقتل وقد كانوا هموا بذلك لكن الله عصمه من المكر بقوله والله يعصمك من الناس واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا هكذا كان سنة الله في الامم الخالية انهم اذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا بعد الانبيا الا حتى اهلكوا وقال بعضهم
هو على الاخراج نفسه الا ان امرهم جلا واخرجهم اخراجا يجي الى المدينة لما سبق من رحمته وفضله ان لا يهلك هذه الامة
اهلاك استيصال فلو كانوا هم اخرجوه لاستوجبوا به الهلاك لما كان من سنته في الاولين اهلاكهم اذا اخرجوا رسولهم
من بينهم وقال بعضهم هو على حقيقة الاخراج منهم اخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا ذلك ولم يلبثوا بعده الا قليلا حتى
اهلكهم الله بالقتل يوم بدر وغيره وهو قوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر
لهم فقيه دلالة انهم اخرجوه وانهم اهلكوا بذلك كذلك كانت سنة الله في الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك وقال اهل
التاويل في قوله وان كادوا ليستفزونك اي ليستزلونك من ارض المدينة حين نزل بالمدينة قالت له اليهود ان هذه
الارض ليست بارض الانبيا والرسل انما ارض الانبيا والرسل ارض الشام فان كنت نبيا ورسولا فاخرج الى الشام فخرج
الرسول متوجها الى الشام فعسكر على راس اميال كذا الكتاب اليه اصحابه فنزل به جبريل بهذه الاية لكن ذكرنا ان هذا
وامثاله لا يحتمل لانه لا يجوز ان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارض المدينة الى ارض الشام بقول اليهود من
غير ان كان من الله اذن له في ذلك هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك هذا الوجه فيما ذكرنا والله اعلم ويشبه ان يكون قوله
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك اي كادوا ان يفتنوك بالمكر والكيد والخديعة لكي يستفزونك من الارض
لانهم كانوا يطمعون فيه ان يفتنوه ويصرفوه عن الذي اوحي اليه على التصريح والافصاح ولكن على جهة المكر والخديعة
والله اعلم بذلك سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا على قول الحسن السنة في الامم الذين قبلك انهم اذا قتلوا الرسل
اهلكوا او عذبوا وعلى قول بعضهم السنة فيهم انهم اذا اخرجوا الرسول من بينهم على علم منهم انه لا يؤمنون بعده الاهلاك
وعلى قول بعضهم على الاخراج نفسه وهو لا فقد اخرجوا رسولهم من بينهم بقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه
الذين كفروا الاية وقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم لكنهم عذبوا تعذيب رحمة واهلاك
رحمة لا اهلاك استيصال ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لعذابنا تحويلا اقم الصلوة يحتمل الامر باقام
الصلوة الامر بالدوام عليها واللزوم لها اي الزمها وادمها او اسم التمام والكمال اي اتمها واكملها بالشرايط التي
امرت بها ويحتمل قوله اقم فعلها ولم يفهم من قوله اقم الصلوة الانتصاب على ما ينصب الشي ويقام به فدل انه لا يفهم من
الخطاب بظاهره لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها الى غسق الليل الى ظلمة الليل وقران
الفجر اي صلوة الفجر فيقول بعض الناس في هذه الاية بيان اوقات الصلوات الخمس جميعا لانه ذكر اول ما يجب من
الصلوات وهي الظهر الى ما ينتهي وهي الفجر فعلى هذا التاويل لا يكون غاية ولكن يكون كانه قال اقم الصلوة
لدلوك الشمس وغسق الليل والله اعلم ومنهم من يقول فيه ذكر صلوات النهار لانه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها الى
غسق الليل وغسق الليل هو بدو ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر فعلى تاويل هذا يكون ذا الى غاية لا تدخل
صلوة الليل فيه ثم تخصيص الخطاب لرسول الله والامر له باقام الصلوة يكون كانه قيل اقم لهم الصلوة فان
كان هذا فيه دلالة صحة صلوة القوم بصلوة الامام وتعلق صلوتهم بصلوة الامام حيث قال اقم لهم الصلوة ولو
كان كل احد يقيم صلوة لنفسه لكان لا يقول اقم لهم الصلوة ولكن يقول صل الصلوة فدل انه على ما ذكرنا ثم قوله لدلوك
الشمس يحتمل وجهين احدهما اقم الصلوة الذي تدلك له الشمس اي تنسب كقوله تفيؤ ظلاله الاية والثاني اقم الصلوة
لوقت الذي يتلو دلوك الشمس الصلوة واقم قراة الصلوة ثم تخصيص الفجر لما ذكر حيث قال ان قران الفجر كان مشهودا
التخصيص لقران الفجر لانه مشهود والغرضية بقوله اقم قراة الصلوة على ما ذكرنا ثم قوله ان قران الفجر كان مشهودا

اليه بان نافلة امر كان مشهودا او صار مشهودا ثم قال وقران الفجر وهي صلوة الفجر وانما ذكر صلوة النهار وندخل
صلوات الليل بقوله ومن الليل فتهجد به لانهم يقولون ان التهجد هو بعد النوم وقد يكون النوم قبل فعل المغرب والعشا
نحو نصيح هذا ومنهم من يقول لدلوك الشمس غروبها وهو قول عبد الله بن مسعود رضي وقال بعضهم فيه ذكر صلوات الليل لانه
ذكر بدا ظلمة الليل وذلك بالمغرب وقران الفجر هو اخر ما ينتهي ظلمة الليل لانه ينتهي ظلمة الليل الى وقت الفراغ من الفجر
وقران الفجر هذا يحتمل وجهين احدهما القران يكون كناية عن صلوة الفجر كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس واقم ايضا
صلوة الفجر لانه نسق على الاول ويحتمل قوله وقران الفجر اي قراءة الفجر اي اقم قراءة الفجر وسمى ذلك في القران مكان القرا
كقوله فاذا قراناه فاتبع قرانه اي قراته ثم من الناس من احتج بوجوب القراءة في الصلوة بهذا لانه نسق على الاول على ما
ذكرنا كانه قال اقم القراءة ومنهم من يخص الاماكن على قراءة الفجر دون غيرها من الصلوات لطول القراءة فيها لتقصيرها
من الاربع الى ما لم يجعل غيرها من الصلوات ركعتين فحث على قراءتها والله اعلم   ان قران الفجر كان مشهودا قال
عامة اهل التاويل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار اي حرس الليل وحرس النهار وعلى ذلك روت الاخبار عن رسول الله
وعن الصحابة وقوله ان قران الفجر كان مشهودا اي قراءة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار على هذا اهل التاويل
ودل ذلك روايات الاخبار والاثار ان غاليته بوجوه اخر وهو ان تشهده القلوب والسمع والعقول لان ذلك الوقت
هو وقت الفراغ من جميع الاشغال والموانع التي تشغل عن الاستماع والموانع والنوم بعد ما لا يكون ذلك الفراغ
لغيرها من الصلوات من صلوة المغرب والعشا لانها يقرب من الاشغال ما يكون الارتكان الجهر بالقراءة انما جعل في
الاوقات التي هي اوقات الفراغ عن الاشغال وهي المغرب والعشا ثم وقت الفجر هو خلا وقت عن غير لانه بعد
فراغ النوم وقبل هجوم وقت الشغل فالقراءة فيه السمع والقلوب اشهد لها لكن اهل لك ولكن صرفوا ذلك الى ما ذكرنا
والله اعلم   ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال بعضهم النافلة الغنيمة كقوله يسئلونك عن الانفال اي الغنايم
وقوله نافلة لك اي غنيمة لك تغنم بها غنايم والكلام كهو هذا وقال الحسن قوله نافلة لك اي خالصة لك وخلوصه له هو
انه لا يشغل هو عن شي فيها في حال مثل ما هو الوجه من الناس فيفعلون في ما شيا وقال بعضهم ذكر انه نافلة له
لانه كان مغفورا له فما يعمل يكون نافلة واما غيره فانما يعمل من الحسنات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة والله
اعلم   عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يبعثك ربك مقاما محمودا تحمد عاقبته بالتهجد اي يبعثك ربك
مقاما تحمد انت تلك العاقبة جزا بتهجدك في الدنيا وقال بعضهم مقاما محمودا اي يحمده كل الخلايق الاولون والاخرون
وقال بعضهم مقاما محمودا هو مقام الشفاعة والله اعلم اي تشفع امتك واهل العصيان منهم وجائز ان يكون هو صلته
ما تقدم من قوله فتقعد مذموما مخذولا وقوله فتقعد ملوما محسورا وقوله فتلقى في جهنم ملوما مدحورا وما ذكرت
المواعيد لما سمع هذا وقرع ذلك سمعه خاف ذلك وافزع فقال له عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ان عبدت الله
واطعته في جميع اوامره ونواهيه واقمت له الصلوة والقيام   وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق فظاهر هذا الخطاب يكون لرسول الله صلعم حيث امره ان يدعو بما ذكر وقد عرف هو اي من الدعا بقوله رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فلا حاجة تقع لنا الى ان نطلب المراد من ذلك الا ان يكون العزم في
ذلك اشتراك فعند ذلك نتكلف فيه ونطلب المراد منه وقد تكلم اهل التاويل في ذلك قال بعضهم قوله رب
ادخلني مدخل صدق كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالخروج منها الى المدينة وامر ان يدعو بهذا الدعا رب ادخلني
في المدينة مدخل صدق امنا على رغم اليهود واخرجني من المدينة الى مكة مخرج صدق امنا على رغم كفار مكة ظاهرا
عليها لا تركيا له في واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا على من يتصل بمسه ذلك له واجابه وقد ذكرنا في غير موضع ان
حرف السلطان يتوجه الى وجهين لذلك يكون مرة عبارة عن حجج وبرهان قاهرة غالبة ويكون عن ولاية فيها قهر وغلبة
ويكون عبارة عن اليد القاهرة الغالبة ايضا وقد كانت بحمد الله ومنه لرسول الله على الخلق ذلك كله وقال
بعضهم رب ادخلني مدخل صدق في مكة يعني اهل مكة اني قد بلغتهم الرسالة واخرجني منها مخرج صدق ليعلم اهل

المدينة

المدينة اي نفرت وبلغت ما امرت به وقال الحسن اخرجني من مكة مخرج صدق وادخلني في المدينة مدخل صدق وقال بعضهم
رب ادخلني مدخل صدق فيما حملتني من الرسالة والنبوة وما امرتني به لاوديها على ما امرتني وابلغ الرسالة الى الخلق على ما
كلفتني واخرجني مخرج صدق اي اخرجني مما كلفتني سالما لا تبعة علي او كلام نحو هذا واصله كانه امر ربه ان يسال له الصدق في
جميع افعاله واقواله وفي جميع ما تعبده به من الدخول في امر والخروج منه اولا يخرج العبد من ذي من الدخول في امر والخروج
منه له الصدق في كل حال وكل دخول وكل خروج وقال مجاهد رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق في الرسالة
والنبوة هو ما ذكرنا   واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال بعضهم حجة وقد ذكرنا ما على الكفر وقال بعضهم
سلطانا نصيرا اي اجعل في قلوب الناس هيبة لي ومهابة لقد كان من الهيبة بحيث رعب من مسيرة شهر وقال بعضهم هو
السلطان الذين يحفظون الدين ويقيمون الحدود والاحكام ونحو وقيل السلطان هو اقام الحدود والاحكام والشرايع
وهو تقرير الولاية لانه بالولاية ما يقيمها وهو ما ذكرنا من الولاية اقام الاحكام ومن قيل في الصدق والاخلاص قال بعضهم
الاخلاص هو ان لا يجعل لشي بقلبه في سواله هو سواه والصدق وان يجعل له كذبه لذلك انه والصدق عندنا ان يعمل الفضل
في جميع افعاله لا يجعل للنفس شيئا من الفضل وعلى ذلك يلزمه الشكر لربه في جميع حالاته وعن الحسن قال لما امر كفار مكة برسول الله
ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه فاراد الله بقا اهل مكة فامر نبيه ان يخرج منها مهاجرا الى المدينة وعلم ما يقول فانزل الله
وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ووعده الله لينزعن ملك فارس والروم
ويجعله له فيه   وقل جاء الحق وزهق الباطل قال بعضهم جاء الحق وهو الاسلام وقيل جاء الحق القران وقيل جاء الحق
اي محمد ويقول جا انا بالحق وذهب الباطل اثاره او جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شبه الباطل وتمويهاته والحق يحتمل
ما ذكرنا من الاسلام ورسول الله وقوله وزهق الباطل اي ذهب وبطل غيره من الاديان وغيره من المذاهب وعبادة
الاصنام ونحو ذلك قالوا واصله ان ان سكان من انا حجة وذلك قبل بعث الرسول لما كانوا فقدوا دين الله وسبيله منذ
كان رفع عيسى من الارض الى السما لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون الى شي حيارى حتى بعث الله محمدا يدعوهم الى
دين الله ويبين لهم سبيله الذي كان يتمسك به الانبيا من قبله ويخرجهم من تلك الحيرة التي كانوا فيها فتحل فيها اسرائيل وسلم
فذلك الذي قال الله تعالى جاء الحق وزهق الباطل اي جاء الحق الذي كانوا فقدوه فبذلك وزهق الباطل اي
ذهب واضمحل ان الباطل كان زهوقا اي ذاهبا مضمحلا لا يبقى جزءا ولا يتبين اضمحلالها والحق هو الذي يعقب ويبقى
نفعا لاسلام قوله جاء الحق وزهق الباطل لم يفهم من الخطاب مجي الحق الانتقال من مكان الى مكان ولا ذهاب الباطل
على ما يفهم من مجي فلان وذهاب فلان بل فهموا ان مجي الحق ظهوره وعلوه وفهموا من زهوق الباطل وذهابه فناه واضمحلاله
وتلاشيه وعلى ذلك لم يفهموا من مجي الاعراض ما فهموا من مجي الاجسام والاجساد فعلى ذلك يجب ان يفهموا من قوله وجاء ربك
الانتقال من مكان الى مكان وكذلك لا يفهم من قوله ثم استوى على العرش استوا الخلق ولا نزوله نزول الخلق
على ما يفهم مما اضيف الى الاعراض من الافعال ما فهموا من الاجسام والاجساد بل فهموا من هذا غير الذي فهموا
من الاخر فعلى ذلك لا يفهم مما اضيف الى الله تعالى ما يفهم مما اضيف الى الخلق بل ينفى ليمكن ان يشبه الخلق ويشبهه
الخلق في معنى من المعاني او في وجه من الوجوه بل هو كما وصف نفسه ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقوله سبحانه
وتعالى عما يصفون وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا   وننزل من القران ما هو شفا كان الاية
نزلت في ابتدا الامر حيث قال وننزل ولم يقل ونزل من القران ما هو شفا وجائز ان يكون قوله وننزل من القران
ما هو شفا القران وهو ما ذكرنا ويحتمل المواعيد التي في القران من وقايع يكون عليهم وكان في ذلك شفا
للمومنين كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وتقول بانه يجوز نفعل بمعنى فعلت وذلك كثير في القران
ثم قوله ما هو شفا ورحمة للمومنين اي شفا المستشفين في الدنيا ورحمة لمن تمسك به في الاخرة اي فيه شفا لمن استشفى
في الدنيا ورحمة في الاخرة لمن تمسك به وعمي وخسار وظلم لمن اعرض عنه ونظر اليه بعين الاستخفاف والاستثقال
واما من نظر اليه بعين التعظيم والاجلال فهو شفا له ورحمة وان كان القران نفسه شفا ونورا وسكنا الى

ان يعلم ان البصر انما يبصر بنور البصر ونور الهواء بارتفاع ما يستر النورين جميعا لانه اذا كان عمي البصر
لم يبصر شيئا وان كان نور الهواء متجليا وكذلك لا يبصر اذا كان نور البصر متجليا بعد ان سترت الظلمة نور الهواء فاذا
كان ما ذكرنا انه لا يبصر الا ان يجتمع النوران نور البصر ونور الهواء فالكافر لم يبصر نور القرآن وشفاءه لما سترت
الظلمة قلبه والمؤمن ابصر نوره وشفاءه بنور ايمانه وكذلك الدواء فانه لا يجدي نفعا وان كان نافعا شافيا في
الاصل الا بقبول الطبيعة لان الطبع اذا لم يقبله وان كان شافيا نافعا لم ينتفع صاحبه ولم يكن له فيه شفاء وصارت
كانها في الاصل كانت ضارة غير شافية فعلى ذلك القرآن وان كان في نفسه شفاء ونفعا صار للكافر عمى وخسارا كان لا
شفاء فيه ولا رحمة لما ستر ظلمة الكفر نوره فصار كالزايد له رجسا ونفورا وطغيانا وهو ما قال ولا يزيد الظالمين الا
خسارا والله اعلم   واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه يشبه ان تكون الآية التي ذكر هو محمد صلى الله عليه وسلم
لما ذكرنا انهم كانوا في حيرة وعمى لا يجدون السبيل الى دين الله وقد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فذلك الاعراض الذي ذكره والله اعلم بعث الله محمدا يدعوهم
الى دين الله ويبين سبيله فذلك منه نعمة عظيمة اعرضوا عنه وتباعدوا عنه ويشبه ان يكون ما ذكر لاهل الشرك وما انه
اذا وسع عليهم الرزق والعيش اعرض عن الدعاء وتباعد بجانبه   واذا مسه الشر كان يؤوسا اي آيسا من الخير
ان لا يعود اليه اصلا وهكذا كانت عادتهم انهم يخلصون الدعاء له اذا مسهم سوء او اصابتهم شدة ويكفرون به
اذا انجلى ذلك عنهم وانكشف كقوله فاذا ركبوا في الفلك الآية واذا انعمنا على الانسان الآية واشباهه وكان الناس
كلهم فرقا اربعة منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا انهم كانوا يخلصون له الدعاء في حال الشدة ويكفرون في حال الرخاء
ومنهم من كان يؤمن به في حال الرخاء والنعم ويكفر به في حال الشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية
وهم اهل النفاق ومنهم من يكفر به في الاحوال كلها كقوله   والفرقة الرابعة هم اهل الاسلام يؤمنون
به في حال الرخاء وحال الشدة في الاحوال كلها على هذا كانوا في الاصل فعلى هذا يجب ان يكون قوله واذا مسه
الشر كان يؤوسا من الاصنام كقوله ضل من تدعون الا اياه فيكون آيسا منهم من الاصنام التي يعبدونها لكن اهل
النار ويل صيروا الى ما ذكر يأس من الخير ان يعود اليهم   قل كل يعمل على شاكلته لسنا نعلم
ان اي سبب كان هنالك حتى قال قل كل يعمل على شاكلته اذ لا يجوز ان يقال هذا بلا سبب كان منهم ابتداء لكن
يشبه ان يكون قال هذا عند الاياس منهم بانهم لا يؤمنون وهم على ايامهم وكثرة ما تلا وقع آياته عليهم واقامة
حجج عليهم الا عنادا وانكارا فقال عند ذلك قل كل يعمل على شاكلته اي على نيته وطريقته كقوله لكم دينكم
ولي دين وكقوله وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون فهو كله على
الاياس منهم ان يؤمنوا به ويقبلوا دينه ثم قال فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي ربكم اعلم بمن هو على
الهدى ومن ليس او من هو اهدى سبيلا نحن او انتم وقال ابو عوسجة ان كلا على شاكلته اي على ناحيته
وقال القتبي على شاكلته اي على خليقته وطبيعته وقال يقطب على طريقته وكانه اشبه وقال بعضهم على
نيته وقيل على دينه ومذهبه وقيل على جبليته ومنهاجه وكلاهما يرجع الى واحد ويشبه ان يكون اي كل يعمل على
ما هو الشبيه به وما هو شبهه لان الشكل هو ما يشبه الشيء يقال هذا شكل هذا وقوله كل يعمل على شاكلته على طبع
من يتوقف على خليقته خلق عليها لانه خلق على علم منه انه يختار ويؤثر والله اعلم وقوله ان الباطل كان زهوقا
قيل ذاهبا باطلا لا يجدي له نفعا لانه يتلاشى ولا يبقى والحق يجدي له نفعا ويبقى وعلى ذلك
ضرب الله مثل الحق بالشيء الذي يبقى وضرب مثل الباطل بالذي لا يبقى ولا يثبت فقال كذلك يضرب الله
الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقد ذكر في موضعه
ضرب مثل الباطل بالزبد وهو شيء لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل وضرب مثل الحق بالماء وهو يبقى
في الارض وينفع الناس وضرب مثل الباطل ايضا بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها

من قرار بقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الآية وضرب مثل الحق بالشجرة الطيبة الثابتة في الارض ذات قرار
وثبات بقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء فهو على ما وصفهما الحق ثابت
باق وله قرار ينتفع اهله والباطل لا يجدي نفعا يتلاشى ولا بقاء له   ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اختلف
فيه قال ابو بكر الاصم الروح القرآن ههنا كقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وكذلك قوله اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الآية قل الروح من امر ربي اي من تدبير ربي ما لو اجتمع الخلائق ما قدروا
على مثله فان قيل كيف سألوا عن القرآن وهم لم يعرفوا القرآن فقال سمعوا قرآنا ورهطا على غير اعين منه سموه
كقوله وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام وهم لم يكونوا اقروا انه رسول ولكنه سموه رسولا لما عندهم وعندهم
رسول اي ما لهذا الذي يزعم انه رسول يأكل الطعام فعلى ذلك قوله ويسألونك عن الروح الذي على زعمه انه روح
الى هذا ذهب ابو بكر وقال الحسن قوله ويسألونك عن الروح وهو الذي به حياة الابدان من هلاك الضلالة اي من
تمسك به نجا من هلاك الضلالة وقوله قل الروح من امر ربي اي بامر ربي ينزل وعن ابن عباس قال الروح من
امر ربي اي من خلق ربي وهما واحد وقال بعضهم الروح هو الملك وانما سألوه عنه كقوله تنزل الملائكة والروح فيها
يعني الملك وقال بعضهم انما سألوه عن الروح المعروف الذي به حياة الابدان لكنه لم يجبهم فوكل امره الى الله
لما لا يدركون ذلك لو بين لهم وامثاله وروي عن ابي يوسف رحمه الله انه كان ينهى عن الخوض في الكلام ويحتج بظاهر
الآية حيث سألوا عن الروح فلم يجبهم ولكن فوض امره الى الله وما سئل عن الاحكام الا وقد بين لهم كقوله يسألونك
عن الخمر والميسر الآية ويسألونك عن الانفال الآية ويسألونك عن اليتامى ويسألونك عن المحيض ويستفتونك في
النساء قل الله يفتيكم فيهن مثل هذا ما سئل عن شيء من الاحكام الا وقد اجابهم وبين لهم بيانا شافيا وقال ههنا
قل الروح من امر ربي وقال جعفر بن حرب ان الله قد امر بالتكلم في الكلام بقوله وجادلهم بالتي الآية وقال فلا تمار فيهم
الآية فكيف نهى عن الخوض في الكلام لكن ابا يوسف انما نهى عن الخوض في الكلام الذي لا يدرك ولا يزيد
الخوض فيه الا حيرة وضلالا كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في
الخالق لانه لا يدرك فالتفكر فيما لا يدرك لا يزيد الا حيرة وتيها فاما الخوض في الذي يدرك ويعقل فانه
لم ينه عن مثله واصله ما ذكرنا من اباحة التكلم في الدين والخوض في الكلام في كثير من الآيات من ذلك قوله
وجادلهم بالتي هي احسن الآية ونحوه قال الشيخ رحمه الله ولا نفسر الروح ما هو لانا لا نعلم انهم ما ارادوا بالروح
وهم قد علموا ما ارادوا واعلم رسوله ما سألوا وانما سألوا ذلك عما في كتبهم ليعلموا صدقه فيما يدعي من الرسالة
لما علموا ان غير الرسول لا يعلم ذلك والله اعلم   وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعضهم اي ما اوتيتم من
العلم الذي به مصالحكم وحاجتكم الا قليلا وقال بعضهم اي ما اوتيتم من العلم الذي انتم به والعلم الذي عند الله
قليل وهو هكذا انا لم نؤت من العلم الا علم ظواهر الاشياء وبادئها لم نؤت علم بواطن الاشياء وحقائقها وذلك
انا نعلم ان البصر يبصر والسمع يسمع واللسان ينطق واليد تقبض وتأخذ والرجل تمشي والعقل يدرك لكن
لا نعلم المعنى الذي جعل فيه به يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يأخذ وبه يمشي وبه يدرك وكذلك نعرف ظاهر
الجواهر التي نشاهدها ونعاينها بان هذا حار وهذا بارد وهذا كذا وكذا ولكن لا نعرف المعنى الذي صار هذا حارا
وهذا باردا وكذلك كل جواهر واجناس فلا نعرف من العلوم التي اتاها الله الا القليل منها ظواهرها دون
الحقائق فلا   ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من يقول بان الروح الذي سألوا عنه
هو الوحي والقرآن الذي انزل عليه يحتج بهذه الآية وبقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله لما احتج ذكرها على اثر سؤال الروح فدل انه ما ذكرنا وقد تحتمل هذه الآية فريقان
الحشوية والمعتزلة اما الحشوية فانهم يقولون ان القرآن والكلام هو صفة الله الذي هو لم يزل به موصوفا وانه
لم يزل ثم انهم يقولون ان القرآن في المصاحف بعينه وهو في الارض وفي القلوب فقولهم متناقض لانا اذا

كان منقوشا او مكتوبا في المصاحف بعينه او في الارض او في القلوب قال الشيخ ابو منصور
رحمه الله اما الذي في المصاحف هذا ما يفهم به ذلك وما يوافق به ذاك اعني القران وفي الالسنة حكاية عن
ذاك واما المعتزلة فانهم ينكرون خلق افعال العباد ثم يقولون ان القران مخلوق ففي زعمهم يكون القران
والكلام ما يكتب ويثبت ويمحى وذلك فعل العباد ثم يقولون انها لم تعد مخلوقة فذلك تناقض في القول بين وعلى
قول ما ذكر من المذهب وانه يجري على المجاز اي الموافقة له على الحقيقة كما يقال سمعت كلام فلان وقرات فلان
وكتبت حديث فلان وحكي قد يتكلم على المجازة على التحقيق لا يراد به قول فلان بحقيقته ولا كلام ولا احد
ولكن يسمع صوتا يفهم به قوله وكلامه فعله في ذلك الا وقد يذهب بالذي يسمع ويكتب فاما حقيقة ذلك فلا
يوصف بشيء من ذلك وبعد فانه قد اضيف المجيء الى الذي لا يوصف منه ذلك ثم يحتمل قوله ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك ان يكون صلة قوله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك حتى لا تظفر به والا كان رسول الله يعلم انه لو شا لذهب بالذي اوحي اليه وقدر عليه ولم يرفعه
ولكن يعرف هذا كل مومن وان كانت الاية على الابتدا فهو يخرج على ذكر المنة والرحمة اي له ان يرفع هذا
الذي اوحي اليه ليعلم ان ابقا النبوة والوحي فضل منه ورحمة وكذلك الوحي اليه في الابتدا وبعثه رسولا اليهم
فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه واستيجابا كقوله والله يختص برحمته من يشا وقوله قل ان الفضل بيد الله
يوتيه من يشا اخبر ان النبوة له وما ارسل اليه اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه ففي ذلك ابقا النبوة
والوحي رحمة وفضلا منه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة من وجهين احدهما ما قالوا ان له لا يختار لرسالته اهل الرسالة
والنبوة الا من كان مستحقا لها ومستوجبا لذلك وقد اخبر انه بفضله واختصاصه ارسل رسولا وبفضله ورحمته
ابقاها وتركها بعد ما اوحي اليه وارسل رسوله والثاني فيه ان له ان يفعل ما ليس هو باصلح لهم في الدين
حيث اوعد لم يرفع ما اوحي اليه واذهب اياه ولا يوعد الله بما له ان يفعل ما اوعد اذ لا يوعد بما ليس له
الفعل في الحكمة ثم لا شك ان ابقا النبوة وترك ما اوحي اليه اصلح لهم من رفعها وتركها بايهم خلوا من ذلك دل
دل انه قد يفعل ما ليس هو باصلح لهم في الدين وفيه انه قد يكلف خلقه التوحيد والايمان به وان لم يرسل
رسولا ولا اوحي اليه وحيا لانه معلوم انه لو لم يرسل الرسول ولا كانوا مكلفين في انفسهم لكان خلقه اياهم
عبثا لتركهم سدى فدل انهم مكلفون بتوحيده ومعرفته وان لم يرسل ولا اوحي حيث اخبر انه بعث الرسالة
وابقاها فضل منه ورحمة بقوله الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا   الا رحمة من ربك اي
ابقا النبوة والوحي رحمة من ربك وفضله ايضا في ابقا ذلك كبير وفيه ان الحفظ والنسيان وان كانا من
العبد فهما صنع به حيث قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اخبر انه لو شا لذهب بالمحفوظ
في القلب وفيه دلالة انه له قدرة في فعل العبد في قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وجه
احسن الحكم وهو ان يعلم المومنون ان الفضل كله من الله لئلا يروا لانفسهم في ذلك فضلا ويعني اليه
ويضيفون جميع ما يجري على ايديهم من افعال الخير والطاعة والله اعلم   قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فيه انه يكون هذا صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك ثم لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله اي على ان ياتوا بمثل ما قدروا عليه وقوله بمثله اي به
كقوله ليس كمثله شيء اي ليس كهو شيء اذ لا مثل له فذلك ان قوله لا ياتون بمثله اي لا يقدرون ان ياتوا به
بعد ما عرفوه وعاينوه فلان لا يقدروا على اتيانه ابتداء قبل ان نظروا فيه وعرفوا امثاله اشد وابعد
ان نظم الشي وتصويره بعد ما عاينوا الاشيا والصور اهون وايسر من تصويرها ونظمها قبل ان يعاينوها
ويشاهدوها وجائز ان يستدل بهذه الاية على انه كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا حيث قال قل لئن
اجتمعت الانس والجن لانه لو لم يكن مبعوثا الى الفريقين جميعا لم يكن لذكرهما جميعا معنى وفيه دلالة ان في الجن

من له لسان العرب اذ لو لم يكن ذلك لم يكن يذكرا دليله ثم جائز ان يكون قوله لئن اجتمعت الانس مع الانس والجن مع
الجن او الانس مع الجن او هولا مع هولا على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقال بعض اهل التاويل
انما ذكر هذا لقولهم انه سحر وانما يعلمه بشر وقولهم ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هو الا رجل افترى على الله
كذبا وشبه يقول ان الا افك السحر وما ذكر ثم لا يكون الا من هذين الفريقين من الانس والجن فاخبر انهم لو اجتمعوا على
ان ياتوا بمثل ما قدروا عليه والله له على انهم عجزوا عن ذلك ولم يطمع احد منهم ذلك الا سفيها ظهر سفهه وكذبه في
القران حيث قال لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما الاية ظهر كذبه وسفهه في قوله حيث قال ان هذا الا اساطير الاولين ثم قال ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة طلب لا التوفيق ان كان موفقا ولكن سال العذاب دل انه اية [illegible] من الله تعالى
ثم اختلف في قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران قيل بمثل نظمه ورصفه وقيل بمثل حججه وصدقه ويحتمل مثل حججه
وبراهينه ويحتمل مثل علمه وحكمته ويحتمل مثل احكامه واتقانه يحتمل قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
هذه الوجوه الحسنة التي ذكرنا ثم قوله بمثله يحتمل ما ذكرنا اي بالذي رفع وذهب به على ما قيل في الذي جعله صلة
قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ولئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران بالذي
ذهب به ورفع لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على اتيانه وان كان على الابتدا فهو على المثل اي لا يقدرون
على ان ياتوا بمثله على علم لم يقدروا ايضا ابدا ما قرع سمعهم هذا فلو كان في وسعهم هذا لفعلوا ليخرج قولهم صدقا
وقول الرسول كذبا فاذ لم يفعلوا ذلك ولم يتكلفوا دل انهم عرفوا ان ذلك ليس في وسعهم وانه اية معجزة خارجة عن
وسعهم   ولقد صرفنا اي بينا ويحتمل ضربنا ويحتمل فرقنا للناس من كل مثل اي ذكرنا للناس مثلا في
الرسل ومثلا بعد مثل ما لو تفكروا فيه وتاملوا لعرفوا صدق رسول الله وكذب انفسهم وسفههم ولعرفوا
الحق من الباطل والمحق من المبطل ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتاملوا وعاندوا   من كل مثل لا يريد كل الامثال
ولكن ما ذكرنا من كل مثل لو تاملوا فيه وتفكروا لكان لهم معتبرا وفي قوله ولقد صرفنا للناس في هذا القران
من كل مثل يكون ما ذكرت من تصريف الامثال وضربها للناس من وجوه ثلثة احدها ضرب المثل لهذه الامة بمن
تقدم من رسل الله وعن من كذبهم وصدقهم بالامم الماضية ما ذا حل بالمكذبين منهم من رسل الله من نقمة وعذابه
وما اخبر ان تلك سنته في المكذبين منهم وذكر ان سنته تلك لا تحول ولا تبدل وهو قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا
وتحويلا فهو لا يبدل ولا يحول فكان لاولئك معجل ولهذه الامة موضع موعظة يحوله ولا يبدله لو اصروا من الامم
والثاني يحتمل تصريف الامثال ما بين لهم وذكر ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم ما لو
تاملوا فيه وتفكروا ادركوا ذلك والثالث يكون تصريف الامثال التي ذكر دعاه الى دين الله وسبيله بالحكمة
والموعظة الحسنة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى هذه الوجوه الثلاثة يصرف ما ذكر من
الامثال في القران والله اعلم   فابى اكثر الناس الا كفورا يحتمل اي اكثر الناس الا كفورا بالامثال
التي ضربها في القران وصرفها لهم ويقول فابى اكثر الناس الا كفورا بنعم الله في صرف الشكر الى غيره او كفورا
في وحدانية الله والوهيته   وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة
من نخيل وعنب الى اخر ما ذكر من الاشيا يشبه ان يكون هذه الاسولة جميعا من فريق واحد ويحتمل ان يكون
من كل فريق سوال لم يكن ذلك من جميع من الفرق كقوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا كان من
كل فريق غير ما كان من الاخر كان من اليهود كونوا هودا تهتدوا ومن النصارى كونوا نصارى تهتدوا فالعط
الكل يشبه ان يكون الاول كذلك ثم الذي حملهم على هذه الاسولة المحالة الفاسدة وجوه احدها سوالهم ما كان
يعدهم رسول الله الجنان والانهار الجارية واتيت المنزلة انهم تابوا او اجابوا وكان يوعدهم العقوبات
ان تركوا اجابتهم من اسقاط السما كسفا كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام الاية سالوا

او ان يكون اهل الكتاب علموا مشركي العرب
ذكرا استعجالا منهم علي الاستهزا كقوله يستعجل بها الذين لا يومنون بها فيها اي لو ان رسول الله عنها فانه لا يجيبهم
الذين لا كتاب لهم من الا سيلة الفاسدة المحالة التي عرفوا انهم لا يجابون فيها
ليري السفلة منهم والاتباع ان لو كان رسولا لاجابهم فيتمادون في طغيانهم وضلالاتهم ويبقون على الامر عليه
او ان يكون الدهاقنة منهم والقادة سالوا من ذلك على علم منهم انه لا يجيبهم ليري اتباعهم وسفلتهم انهم قد حاجوا
رسول الله وامتحنوا الحجج وبراهينه ليلا ينظروا الي حجج وبراهينه لتبقي لهم الرياسة والمنافع التي كانت لهم ولا يذهب
ذلك عنهم ثم بين ان اسيلتهم التي سالوها سوال تعنت وعناد لا سوال استرشاد ويحاجه ما ذكر في قولهم او تسقط السما
كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا   امرتقي في السما ولن نومن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا
نقروه دل هذا علي ان سوالهم اياه كان سوال معاندة لا سوال استرشاد واستهدا لانه لو كانوا ابا لو نبع بالوني سوال
استرشاد واستهدا لكانوا الاي لون اسقاط السما عليهم اذ لا منتفع لهم في ذلك وان كان في سوالهم الجنة منتفع
في نفسه القوم وتعنتهم وسوء معاملتهم رسول الله بعز الحكمة والفايدة في جعل سنتهم قرانا يتلي الي يوم القيمة
ليعرف المناظرون معاملة السفها اذا ابتلوا بهم ان كيف يعاملونهم بمثل معاملة رسول الله   قل سبحان ربي
امر ان ينزه ربه من ان يكون لا حد الاحكام علي الحكمة والذي سالوه احكام منهم علي الله وفي قوله قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا ينزه ربه عن ان يكيف سواه ما سالوه من اتيان الجنة وغير ذلك ما ذكر في الايه
والله اعلم   هل كنت الا بشرا رسولا اي هل كنت الا بشرا كغيري من الرسل الذين كانوا من قبل من البشر
فلم يا توا بمثل الذي تسالونني انتم من الاسيلة او الاي لو اذ لك فلم يجابوا كذلك ام تريدون ان تسالوا
رسولكم كما سيل موسي من قبل او ان يكون قوله هل كنت الا بشرا رسولا اي ليس للرسول ان يعترض علي المرسل
بشي انما علي الرسول تبليغ ما ارسل وامر بتبليغه او يقول اني لا املك مما تسالونني سوي تبليغ وفي تنزيه وقوله
قل سبحان ربي اي تعالي ربي وتعالي عن ان يكون لعباده عليه احكام او اختيار وقال ابو عوسجة القتبي الينبوع
العين والينابيع جمع والكسف القطع والكسف جمع وقال غيره الكسف بالجزم عذاب وكسفا مثقل قطع
وقال ابو عوسجة قبيلا اي معاينة وقال بعض من المقابلة وبيت من زخرف اي من ذهب وقال ابو عوسجة
المزخرف المزين يقال زخرفت البيت اي زينته او ترقي في السما اي تصعد لن نومن لرقيك اي لا رتقائك
وهو الارتقاع وقال بعضهم كسفا بالجزم اي جانبا وكسفا مثقل قطعا والله اعلم   وما منع الناس
ان يومنوا اذ جاءهم الهدي اي اذ جاءهم الرسول بالهدي الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقال في اية
اخري وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدي ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين الايه هذا علي
الاياس عن ايمانهم انهم لا يومنون الا بعد معاينتهم باس الله والايمان في ذلك الوقت لا يقبل ولا ينفعهم
فاما قوله وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدي الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا فيخرج هذا
القول منهم مخرج الاحتجاج لو شا الله ان نومن لانزل ملايكة كقوله قالوا لو شا ربنا لانزل ملايكة فقيه
موضع الشبهة لهم ان يقولوا هو بشر ونحن بشر فليس هذا اولي بالرسالة الينا من ان نكون نحن رسلا اليه فذلك
موضع الشبهة فاجابهم لذلك لما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول اليهم من جوهرهم وجنسهم فقال قل
لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين اي مقيمين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا ثم اختلف
فيه قال بعضهم لو كان في الارض ملايكة اي لو كان سكان الارض ملايكة فبعث اليهم رسولا منهم الا كان لهم
ان يقولوا ابعث الله ملكا رسولا اي ابعث الله الينا من جوهرنا اي ليس لهم ان يقولوا ذلك فعلي ذلك
اذا كان سكانها البشر ليس لهم ان يقولوا ابعث الله الينا من جوهرنا رسولا والثاني لو كانت الارض
مكان الملايكة وهم سكانها لكان لكم ان تقولوا ابعث الله بشرا رسولا من غير جوهرنا فاما اذا كانت الارض
مكان البشر وهم سكانها فليس لهم ان ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم لانهم لا يعرفون الملايكة ولا من

كان من غير جوهرهم ويعرفون من كان من جنس جوهرهم فبعث الرسول من جوهرهم اولي بهم من غير جوهرهم او يقال
لو كان في الارض ملايكة وبشر فعرفوا الملايكة لكان لهم ان يالوا رسولا من الملايكة لما عرفوهم فاما اذا كان سكان
الارض ليسوا الا البشر فليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم لم يعرفوا قوي الملايكة ولا قوي الجن وقد عرفوا قوي
البشر فيعرفون الايات والحجج من التمويهات اذ عرفوا قواهم ولم يعرفوا قوي الملايكة والجن فلا يعرفون ما ياتون
انها ايات وحجج او كان ذلك بقواهم ويعرفون ذلك من البشر اذا خرجت من احتمال وسعهم وقواهم وحيلهم
قد اقروا برسالة البشر لانهم لا يعرفون الملايكة الا بخبر من البشر انه ملك اذ لم يكن لهم خلطة معهم ليعرفونهم وانما يعرفونهم
بخبر من البشر انه ملك فليس لهم ان ينكروا رسالة البشر واصلا ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لما ذكرنا انهم لا
يعرفون الملايكة ومن كان من غير جوهرهم فلا بد من ان يكون رجلا فكان في ذلك تلبيس عليهم على ما اخبر والله اعلم
قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم قال بعضهم كفي بما اقام الله من الايات والحجج على رسالتي واني رسول
اليكم اذ كان ذلك من قوله كان من اوليك الكفرة من انكار الرسالة وقال بعضهم كفي الا ان يكون ذلك علي الايايس
من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا الايه   انه كان بعباده خبيرا بصيرا يذكر هذا والله اعلم بانه
عن علم باجابتهم وردهم بعث اليهم رسولا لا عن جهل باحوالهم وليس فيما يعلم انهم يردون ولا يجيبون رسالته خروج
عن الحكمة لانه ليس في اجابتهم منفعة للمرسل ولا في ردهم ضرر له انما المنفعة في الاجابة لهم وفي الرد الضرر عليهم لذلك
لم يكن في بعث الرسل علي علم منه بالرد خروجا عن الحكمة وفي ان هو كان خروجا عن الحكمة لانه في ان هذا انما يبعث
الرسول لمنفعة تامل وتصل اليه او دفع ضرر عنه فاذا علم انه يرد رسالته ولا يجيب كان في بعث الرسول اليه بعد
علمه بالرد خروجا عن الحكمة او يخرج قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا علي الوعيد وكذلك امثاله فان احتج علينا
بعض المعتزلة بقوله وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدي يقولون لو منعنا القضا والقدر او يقول
لو نكم ان ما يفعل الانسان من فعل معصية او طاعة فانما يفعل بقضايه وتقديره فيكون لهم الاحتجاج عليه
بان يقولوا منعنا قضاوك وتقديرك لكن هذا فاسد لانهم لا يفعلون ما يفعلون عند وقت فعلهم لان الله
قضي ذلك وقدر ولو جاز لهم الاحتجاج لانه كان ذلك قضي وقدر فاذا كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون ما يفعلون
لانه كذلك قضي عليهم وقدر لم يكن لهم الاحتجاج علي ذلك لان القضا والقدر لم يضطرهم الي ذلك لا قهرهم
عليه بل كان عن تمكن لهم لذلك لم يكن لهم الاحتجاج بهذا الحرف بالقضا والقدر لكان لهم الاحتجاج علي ايضا
بالعلم اذ لا شك انه علم ذلك منهم فاذا لم يكن الاحتجاج عليه بالعلم منهم ذلك اذ لا يقدرون ان يفعلوا غير الذي علم
منهم فعلي ذلك لم يكن لهم الاحتجاج عليه بالقضا والقدر لكن القضا والقدر   لا علم
انه يختار ذلك ويوثر علي ضده كما ان ذلك لهم بالعلم ويخرج دلالة ذلك ليس بشي لما قضي ذلك عليهم وقدر واذا
كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون لوقت فعلهم لما كذلك قضي عليهم فلم يكن لهم الاحتجاج علي ذلك اذ القضا
والقدر لم يمنعهم عن ذلك لما لا يضطرهم علي ذلك وانما قضي ذلك لما علم انهم يفعلون ويختارون ذلك
لذلك كان ما ذكرنا وكذلك كل من قضي في ان يهدي علي احد انما قضي لما سبق منه العلم به
ومن يهد الله فهو المهتد اي من وفق الله لقبول ما كان من الهدي وعصمه عما وسوس اليه الشيطان فهو المهتد عند الله
وعنده من عقل الهدي ومن يضلل اي ومن خذله ولم يعصمه حتي يقبل من الشيطان ما جاز وساوسه فهو ضال
فلن تجد لهم اوليا من دونه كقوله لن تجد لهم اوليا من دونه يهدونهم لا يهديهم ويوفقونهم او لن تجد لهم اوليا
ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم ما نزل بهم من العذاب والله اعلم   ونحشرهم يوم القيمة علي وجوههم
عميا وبكما وصما قال الحسن يحاسبون حتي يعلمون سو صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا ثم يحشرون الي جهنم عميا
ذكر عميا وبكما وصما او كلام نحو هذا ثم يحتمل قوله الذين يحشرون علي وجوههم ما ذكر في اية اخري يوم يسحبون
في النار علي وجوههم وقوله افمن يتقي بوجهه سو العذاب الايه انما يتقي بوجهه لما تكون ايديهم مغلولة اليه

اعنا فهم وقوله عميا وبكما وصما هذا يحتمل وجهين احدهما سماهم عميا وبكما وصما لذهاب منافع هذه الحواس ولذلك
في الآخرة ليس على حقيقة ذهابها لكن حال بينهم وبين الانتفاع بها كما ذكر لهم من فوقهم ظلل الآية فتلك
الظلل تحول بينها وبين رؤية الاشياء وسماهم في الدنيا عميا وبكما وصما ليس على حقيقة ذهاب اعينها ولكن لما لم
ينتفعوا بهذه الحواس في الدنيا ولم يستعملوها فيما امروا استعمالها نفى ذلك عنهم فيحتمل ذلك في الآخرة ويحتمل
على حقيقة ذهاب اعين هذه الحواس عقوبة لما لم يستعملوها في الدنيا لما خلقت له كقوله لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا مأواهم جهنم اي مقامهم جهنم واليها ياوون كلما خبت زدناهم سعيرا اختلف
فيه اهل التأويل قوله كلما خبت زدناهم اي كلما خمد لهيبها وسكن زدناهم سعيرا قال بعضهم لهبها من غير ان يذهب وجع ما اصابهم
ثم زادهم سعيرا قال بعضهم كلما خبت اي نضجت جلودهم وسكنت النار زدناهم سعيرا اي نعود بنار على ما كان وجعلت
تلتهب وتستعر كقوله كلما نضجت جلودهم وقال بعضهم وذلك ان النار اذا اكلتهم فلم يبق منهم غير العظام وصاروا
فحما سكنت النار فهو الخبت ثم بدلوا جلودا غيرها جددا لها فتكون وتعود والله اعلم وكله واحد وقال بعضهم كلما
خبت اي كلما احرقتهم النار فصاروا رمادا خلقوا خلقا جديدا ثم اعادهم النار فتحرقهم وذلك قوله زدناهم
سعيرا وهو قوله لا تبقي ولا تذر لا تبقي فيهم شيئا اذا افنت حتى تحرقهم ذلك جزاؤهم اي ذلك الذي ذكر
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا بعثهم لذلك اولم يروا اي
اولم يعتبروا ولم ينظروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم هذا الاعتبار يحتمل
وجهين احدهما انكم تقرون ان الله هو خالق السموات والارض فان لكم بخلق السموات والارض على الابتدا
وخلق سائر الخلائق على الابتدا بلا احتذا تقدم وسبق اعظم واكبر من خلق من دونه فمن قدر على ان ذلك
لقادر على ان اعادتكم والاعادة تكم اقدر واعادة الشيء في عقولكم اهون وايسر من ابتدائه والثاني تعلمون انه
من خلق السموات والارض وخلقكم ايضا فلم يخلقهم للفنا خاصة اذ خلق الشيء للفنا خاصة لا للعاقبة عبث
ولعب فدل انه خلقكم وخلق السموات والارض لعاقبة وهي البعث وعلى ذلك يخرج قوله وجعل لهم اجلا لا ريب
فيه انه كائن لا محالة وجائز ان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه لا يتقدم عنه ولا يتاخر او ان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه الموت الذي به تنقضي
اجالهم لكنه لم يخلقهم للموت خاصة ولكن للعاقبة وهو ما ذكرنا وقال القتبي خبت اي سكنت يقال خبت اذا سكن
لهبها تخبو فاذا سكن لهبها ولم يطفا الجمر قلت خمدت تخمد خمودا فاذا طفيت ولم يبق منها شيء قيل همدت تهمد
همودا وقوله زدناهم سعيرا اي نارا تستعر اي تلتهب وقال ابو عوسجة السعير النار يقال سعرت النار اذا
اوقدتها ويقال نار مسعورة اي موقدة فابى الظالمون الا كفورا اي كفرا بالبعث الظالمون هاهنا
هم الكافرون ولو قال فابى الكافرون الا ظلوما كان واحدا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
اذا لامسكتم خشية الانفاق يحتمل الآية وجوها قال بعضهم هو صلة ما تقدم من سؤالهم وهو قوله لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف ونحوه او تكون
لك جنة بالكمال كالتراب لو نسخ الاشيا على النعت والصفة والله سترا فخبر انه وان اعطاهم ما سالوا لا ينفقون
بل يكونون في الانفاق ومن سنته انه اذا اعطاهم ما سالوا على السؤال فتركوا الاتيان به والوفا انهم
يمسكون فاخبر انهم يسالون سؤال التعنت لا سؤال ما ينتفعون به وفي الآية اثبات الرسالة وهو ما بين عن
تحكمهم وامساكهم عن الانفاق وقال بعضهم قوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية
الانفاق في قوم خاص علم الله انهم لو اعطوا ما سالوا لم يفعلوا ما ذكر لانه كل منهم وهو كقوله انذرتهم
ام لم تنذرهم الآية وكقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية كان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون فعلى
ذلك الاول ويحتمل ان تكون الآية في قوم ضمنوا الله الانفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك ثم

على

عليهم فاخبر انهم لا يفعلون ما عاهدوا وهذا كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين الآية ويحتمل ان يكون هذا خبرا عن طبع الخلق وعاداتهم وذلك انهم لما [illegible] تكثر دوران الاموال
وحوائج [illegible] ازدادوا بذلك حرصا على جمعها وبخلا على التوسيع والانفاق لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار هذا المعروف
في الناس فاخبر انهم يمسكون عن الانفاق والتوسيع اذا ملكوا ما ذكر على ما طبع الانسان من البخل والتضييق عند
الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك وكان الانسان قتورا يحتمل ان يكون هذا صفة كل كافر دليله قوله ان
الانسان خلق هلوعا وهو ما يكون عادتهم البخل والحرص عند المصائب ويجوز ان يكون هذا صفة كل انسان في
الابتدا هكذا يكون ثم بالامتحان والتجربة يكونون اسخيا صابرين او ان يكون يخبر انهم لو ملكوا واعطوا
جميع ما يريدون في عمرهم على التفاريق بدفعة واحدة يحرصون عليه ممسكوا عن الانفاق خشية الفقر في اخر عمرهم
اذ لا يعلمون الى ما ينتهون من اجالهم فيحملهم ذلك على البخل والامساك او يذكر انه جبلهم وانشاهم على الامساك
والمنع في الابتدا وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك ترى الصبيان والصغار من الاولاد يمنعون ما في ايديهم
من غيرهم وان لم يكن بهم حاجة الى ذلك هذا امر في فيهم وانما جبلهم ثم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع
والبخل والتضييق والا كان في اصل خلقتهم وابتدائهم انشئوا على ما ذكرنا اشحة بخلا وهو ما ذكر
ان الانسان خلق هلوعا وجزوعا وكان الانسان عجولا انهم جزوعا من الالام والمصائب غير صابرين
عليها وكذلك انهم عجولا لا يصبرون على امر واحد ولا حال واحدة ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة فيما ذكر
قوله وكان الانسان قتورا اي طبعا بخيلا ممسكا ممتنعا والله اعلم ثم ترك ذلك بالامتحان والاعتياد وذلك فيه
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هذا والله اعلم فيما اتاه من الآيات وامره ان يحاج بها فرعون لعنه الله
والا كانت ايات موسى عليه السلام اكثر من تسع كانها تبلغ عشرين وتزداد عليها اذ كان في عصاه اربع من الآيات احداها
حيث ضرب بها البحر فانفلق وحيث كان يضرب بها الحجر فيتفجر منه عيون وحيث القاها فصارت ثعبانا وحيث
كانت تلقف حبالهم وعصيهم واشباه ذلك كانها تبلغ الى ما ذكرنا لكنه ذكر تسع ايات بينات التي امره ان يحاج بها
فرعون وقومه وقوله بينات انها من عند الله جاءت وانها ليست من البشر وانها سماوية وبينات اي مبينات ما
بين صدق موسى في جميع ما يخبر ويقول ويبين عدله في نعمه وحكمه لان في ايات الرسل يحتاج بها الى هذا
ان تبين للناس صدقهم في قولهم وعدلهم وحكمهم لانهم يدعون الى عبادة الله والطاعة له وذلك يوجب على كل عاقل
وطبع سليم فالحاجة الى الآيات لبيان الصدق في قولهم وعدلهم في حكمهم ثم اختلف في الآيات قال بعضهم
العصا واليد والحجر والطمس والخمس التي ذكر في سورة المص وهو قوله فارسلنا عليهم الطوفان وقال بعضهم
الخمس التي ذكر في سورة المص والعصا والموت الذي ارسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق البحر وقال بعضهم
انما الخمس التي ذكر في المص واليد وحل العقدة التي بلسانه وفي العصا ايتان وقال ابن عباس العصا واليد
والسنون ونقص من الثمرات ثم منهم من يجعل السنين ونقصا من الثمرات اية واحدة ومنهم من يجعلها ايتين وكذلك
العصا منهم من يجعلها اية واحدة ومنهم من يجعلها ايتين ومنهم من لا يعد الطمس ومنهم من لا يعد بل يجعل العصا اية
واحدة والسنين ونقصا من الثمرات اية واحدة والطمس اية والخمس التي ذكرت في سورة المص فتكون ثمانيا
فيكون التاسع قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لانه قال لقد علمت انها ايات
ولم يكذبه فرعون ولم يستقبل النبي بكذب في قوله وهو ما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اخبر
انهم جحدوا بها بعد ما استيقنوا انها ايات وجحدوا ظلما وعلوا وقد روي عن صفوان بن عسال المرادي انه قال ان
يهوديين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع ايات التي ذكر انه اتاها موسى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تشركوا به شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا
ببريء الى ذي سلطان فيقتله ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يا

يعودوا ان لا تعتدوا في السبت قال فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الله فقال لهم فما يمنعكما ان تتبعاني قالا
ان اسلمنا يقتلنا اليهود فان ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز ان يتعدى الى غيره من التاويل والله اعلم فسل
بني اسرائيل اذ جاءهم يعني موسى قال بعضهم امر رسوله ان يسال بني اسرائيل الايات التسع التي كانت في كتبهم على
التقرير عندهم انه انما عرف تلك بالله وانه رسول لما علموا انه كان تلك الايات في كتبهم بنزول انه وكان لا يخط بيده
ولا كان اختلف الى احد منهم ليعرف ذلك فدل انهم علموا انه انما عرف تلك بوحي السماء فقال بعضهم ليس هو السؤال بالعلم
تلك ولكن هو سؤال انهم لا يجدون فيها كقوله فسلوا اهل الذكر الاية اني لاظنك يا موسى مسحورا قال بعضهم
اي سحرت والمسحور هو المغلوب في العقل وقولهم متناقض لانهم قالوا مرة ساحر ومرة مسحور قال الحسن هو الذي
يعلم بالبصيرة غايته والمسحور المغلوب قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
علمت بالرفع والنصب جميعا قوله علمت بالنصب والرفع جميعا قد قرئا وامكن ان يكون قال في ابتداء الامر قد
علمت ما انزل هذه الايات الا رب السموات والارض وقال في اية اخرى لما اتاهم علم لقد علمت ما انزل هؤلاء الا
رب السموات والارض بصائر يعني حجة الحق من الباطل من لم يعاند ولم يكابر واني لاظنك يا فرعون مثبورا
قال موسى لفرعون لعنه الله اني لاظنك يا فرعون مثبورا بما قال له فرعون حيث قال اني لاظنك يا
موسى مسحورا فقال بعضهم مثبورا اي هالكا وقيل ملعونا وقال بعضهم مبدلا ويحتمل قوله لاظنك يا فرعون مثبورا
اي تدعو على نفسك بالثبور وهو الهلاك كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا
والظن يكون في موضع الظن ويكون في موضع العلم فاراد يعني فرعون ان يستفزهم من الارض
قال اهل التاويل اراد ان يخرجهم ويستخفهم من الارض اي ارض مصر كانهم قد كانوا خرجوا طائعين قبل ان يخرجهم
من غير امر موسى باخراجهم بقوله واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا انكم متبعون الاية فيكون تاويل
قوله فاراد ان يخرجهم من الارض بالقتل والهلاك من الدنيا الا ترى انه قال واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها اراد من مشارق الارض والا قد كانوا هم خرجوا من ارضه على ما ذكرنا
والله اعلم فاغرقناه ومن معه جميعا قال في اية اخرى فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا الاية
وقلنا من بعده لبني اسرائيل اي بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض اختلف فيه قال بعضهم
قوله اسكنوا الارض ارض مصر الذي كان يسكن فرعون وهو كقوله واورثكم ارضهم وديارهم وقال بعضهم
اسكنوا الارض ارض الشام والارض المقدسة كقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال
بعضهم اسكنوا الارض ليس في ارض دون ارض ولكن اسكنوا اي ارض شئتم مشارقها ومغاربها امنين لا خوف
عليكم على ما اراد ان يخرجكم من مشارق الارض ومغاربها بالقتل كقوله واورثنا القوم الذين الاية وهو
قول ابن عباس وعلى هذا قال في قوله فاذا جاء وعد الاخرة لبعث عيسى ابن مريم جئنا بكم لفيفا اي جميعا
تجتمعون من مشارق الارض ومغاربها عليها ما تفرقوا وقال بعضهم فاذا جاء وعد الاخرة يعني خروج عيسى ونزوله
من السماء جئنا بكم لفيفا يعني جميعا النزاع من الترك معنا ومنا لفوا جميعا وهو مثل الاول واما عامة
اهل التاويل فانهم قالوا فاذا جاء وعد الاخرة يوم القيامة جئنا بكم لفيفا اي جميعا انتم وفرعون وجنوده حتى
يروا كرامتكم التي اكرمتم بها ويروا هوانهم وبالحق انزلناه وبالحق نزل قال الحسن انه في القرآن
احكام وانباء وحكمه عدل وانباؤه صدق وحق وهو كقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا فيما فيه من الانباء
وعدلا فيما فيه من الحكم فهذا الحق الذي فيه من الحكم العدل والانباء الصدق انزله ويقال الصدق في الاخبار
والانباء والعدل في الاحكام والحق وقوله وبالحق نزل اي بذلك الحق الذي فيه دام وقر فيكم او كلام نحو هذا
ويحتمل قوله وبالحق انزلناه اي بالحق الذي له على عباده انزله وبالحق الذي لبعضهم على بعض وبالحق نزل
اي بذلك الحق الذي له على خلقه دام واستقر وبالحق الذي لبعضهم على بعض ثبت واستقر والله اعلم قوله

وبالحق انزلناه وبالحق نزل ان الحق اسم كل محبوب ومحمود والباطل اسم كل مكروه ومذموم فمن اتبعه صار محبوبا محمودا
ومن خالفه وترك اتباعه صار مذموما او ان يكون قوله وبالحق نزل اي لم يأته التغيير والتبديل وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا اخبر انه لم يرسله الا للبشارة والنذارة لكن هذا في حق الرسالة لم يرسل الا ليعذبوا الذين ذكرنا والا قد
كان اسمه في نفسه محمودا كريما فلم يكن في جميع الاوقات مشغولا بهذين خاصة لكنه في حق الرسالة لم يرسل الا للبشارة والنذارة
اي لم يرسلك حافظا ولا وكيلا ولا مسلطا عليهم انما ارسلك لتبليغ الرسالة اليهم بالبشارة والنذارة ويحتمل ان يكونا
في عواقب الامور البشارة تكون عاقبة كل محبوب ومحمود والنذارة عاقبة كل فعل مكروه ومذموم ثم الغايات تتعلق في قوله
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا البشارة لمن اجابه فيما امره به ودعاه اليه والنذارة لمن ارتكب ما نهى عنه فكيف لا يدل هذا
على ان النهي يوجب الحظر والتحريم حيث الحقه النذارة بارتكاب ما نهى عنه قيل ان النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم والبشارة
عاقبة كل محبوب ومحمود فيكون ذلك في الاداب وغيرها ولان الرسل لم يبعثوا الا لتغيير مناكير وفواحش ظهرت في الخلق
من الشرك وغيره من الفواحش والمناكير لم يبعثوا لصغائر ظهرت فيهم ثم دخل الصغائر والاداب فيما ارسل تبعا والا كانت
سبب ارسالهم الكبائر والفواحش فاذا كان ما ذكرنا كان في النهي في ادب وفي حقوق وحكم والعبد فان الله تعالى تجاوز
ان تعفو عن كثير من السيئات وما عفا عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد والله اعلم وقرانا فرقناه بالتخفيف
والتثقيل فرقناه قال بعضهم فرقناه بالتخفيف اي احكمناه وبيناه حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وقال بعضهم فرقناه وقطعناه يعني انه انزل سورة فسورة واية فاية على ما انزل لتقراه على الناس على مكث فهو وقت لهم
لوضع احكامها كقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك فدل عز وجل
انه انما انزله بالتفاريق ليثبت به فؤاده لان ذلك اثبت في القلب وايسر في الحفظ والثاني انزله بالتفاريق على قدر
النوازل لتتجدد لهم البصيرة ويزداد لهم الحجج بعد الحجج ولو كان جملة لم يكن لتتجدد لهم تلك ولا يزداد لهم البصيرة او ان يكون
انزله بالتفاريق للتنبيه لينبههم في كل وقت ويعظهم في كل حال اذ ذلك ابلغ لهم واوعظ من ان يكون منزلا جملة واحدة
الا ترى ان الاية اذا دامت يكون في التنبيه اقل واذا كانت تنقطع في الاوقات كانت اخوف وابلغ نحو كسوف
الشمس بالليل صار بالدوام غير مخوف ولا منبه لهم للدوام وكسوفها بالنهار صار تنبيها للانقطاع فيما ذلك الا والله
اعلم قل امنوا به او لا تؤمنوا ظاهر هذا خرج على التخيير لكن المراد منه خرج على حد المواعظ وتاكيد الوعيد
وتغليظه وكذلك قوله اعملوا ما شئتم ظاهره على التخيير لكن الحكماء فهموا منه على ما خرج ظاهره لكن فهموا منه تاكيد
الوعيد وحد الوعظ وهكذا المعروف في الناس هذا انا نقول لمن اخبره ووعظه مرارا فلم ينجع فيه يقول له ان
شئت فافعل وان شئت فلا تفعل على ما لو فعلت او لم تفعل فانما ضرر ذلك عليك ان تركته ونفعه يرجع اليك لو فعلته
فعلى ذلك قوله قل امنوا به او لا تؤمنوا فلا ضرر علينا في تركهم الايمان به ولا يرجع نفعه الينا لو امنتم به انما نفعه
لكم وضرره عليكم ان شئتم فعلتم وان شئتم لم تفعلوا وهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وكقوله
من عمل صالحا فلنفسه الاية ونحو ذلك مما يخبر ان كل من عمل خيرا فلنفسه عمل ومن عمل شرا فعلى نفسه ضرر ذلك فهذا ينقض
على اصحاب الظواهر حيث قالوا يفهم من الخطاب ظاهره لا يتعدى عن ظاهره حيث لم يجب ان يفهم من قوله قل امنوا
به او لا تؤمنوا التخيير لكن فهموا الوعيد والتوكيد والتغليظ وحد المواعظ فان قيل ما الحكمة في لزوم الامر والافتراض
اذا كان نفع ما امرنا ونهانا لمنافع انفسنا والضرر على انفسنا ومن لم يعاين ذلك بهذه الانفس وهو لا يسعى لمنفعة نفسه فلا يلزم
عليه ولا مواخذة قيل في الحكمة ان يفرض عليه السعي في فكاك نفسه ودفع الهلاك عن انفسنا وفي امره ايانا السعي
بالسعي في فكاك انفسنا ودفع الهلاك عنها وجاء صلاحه وهذه يكون المنفعة لنا لا له وكذلك الضرر وعلى ذلك يخرج
قوله وما ظلمناهم الاية وعلى ذلك يخرج دعاء ادم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا الاية ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وهذا ايضا ينقض على اصحاب الظواهر لانه لا كل من اوتي العلم منهم يخر للاذقان
على ما خرج ظاهره فدل ان الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع السمع ولكن على ما توجبه الحكمة ثم قوله ان الذين اوتوا العلم

اي ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ثم قيل قوله يخرون للاذقان سجدا في التمثيل ليس على حقيقة السجود ولكن
على التشبيه وما سموا والخضوع له والعرب على ما ذكرنا من التمثيل في قوله انقلبتم على اعقابكم ليس على حقيقة الانقلاب على
الاعقاب ولكن على التمثيل المرجوع وترك العمل فعلى ذلك الاول كقوله فنبذوه وراء ظهورهم على ترك العمل ويحتمل ان
يكون السجود كناية عن الصلوة اي يصلون له ويحتمل ان يكون على حقيقة السجود خروا لله سجدا اذا تتلى عليهم ايات الله
وحججه وهو كسجود سحرة فرعون حين عاينوا ايات الله وحججه وهو كقوله فالقي السحرة ساجدين فيحتمل ذلك سجود مثل ذلك والله
اعلم   ويقولون سبحان ربنا عما قالت الملحدة فيه ان كان وعد ربنا لمفعولا اي قد كان موعود ربنا لمفعولا وكرر
وجهه وكان امر الله مفعولا وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ما يامر الله لكاين وسيفعله اي قد كان ما يامر [illegible]
مفعولا وموعودا ... كان وعد الله مفعولا   ان كان وعد ربنا لمفعولا اي قد كان ما وعد ربنا في كتبهم انه
يبعث رسولا كان موعودا وما اخبر به كان مفعولا   ويخرون للاذقان يبكون فان كان ان ... السجود
الصلوة تفيد بل البكاء قال ابو حنيفة رح ان المصلي اذا بكى في صلاته خوفا على نفسه واشفاقا ... على ما انزل الله على
واله وسلم لم تفسد صلوته واما اذا كان البكاء للشيء مما حل به من الشدايد والبلايا تفسد صلوته والاصل ان البكاء اذا كان فيه
ينوا بعد الصلوة واذا كان للدنيا او كلام تفسد صلوته   ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم ما يتلى عليهم من القران خشوعا
وخضوعا لهم او الايات وقال الحسن الخشوع هو الخوف الدايم في القلب   قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ذكر بعضنا ولله اعلم وذلك ان العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة من السماء ولا يؤمنون
بها وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به وكذلك غيره من الاسماء لا سبيل لمعرفة ذلك الا بالرسل والانبياء
واما بالكتب المنزلة من السماء فاذا لم يؤمنوا بالرسل ولا عرفوا الكتب جهلهم فلذلك انكروا الحجج الالهية ولذلك
قالوا وما الرحمن وقوله وهم يكفرون بالرحمن اي يكفرون بذكر الرحمن واسمه لما ذكرنا وان يكونوا انكروا اسم الرحمن
لما لم يعرفوا انه ماخوذ من الرحمة ولو عرفوا انه من الرحمة ما انكروا على ما لم ينكروا الرحيم لانهم عرفوا ان الرحيم ماخوذ
من الرحمة واما الله فانهم يسمون كل معبود الها وعلى ذلك سموا الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة ويقولون ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فيسمونه الله لما هو المعبود عندهم لما رحمت عبادتهم الاصنام الى الله
حيث زعموا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطلبون بعبادتهم الاصنام القربة الى الله لذلك انكروا
غيره من الاسماء على ان العرب لم ينكر بالشيء واحد اسمين والاكثر وعرفوا ان اختلاف الاسماء وكثرتها لا يوجب اختلاف المسمى
ولا اوجب عددا منه وان ما قالوا انه كان يدعو حتى اله الى واحد فالله يدعو الهين اثنين والاكثر فانما قالوا
في التعنت والعناد لا انهم عرفوا للشيء واحد اسمين والاكثر لكنهم انكروا ذلك لما ذكرنا تعنتا منهم وعنادا على هذا
يجوز ان يتاول الاية والله اعلم ثم اختلف في تخصيص ذكر هذين الاسمين قال بعضهم وجه تخصيصهما لانهما
اسمان مخصوصان له لا يجوز ان يسمى غيره بهذين الاسمين واما غيرهما من الاسماء فانه يجوز ان يسمى غيره وقال
الحسن خص بذكرهما لانهما اسمان معظمان عند الخلق ما لم يجعل لغيرهما من الاسماء التعظيم ما جعل لهذين وقال ابو بكر
الاصم خص بذكر هذين لان غيرهما من الاسماء اسماء اخذت من صفاته واما هذان فهما ليسا اخذا من صفة وقال
الزجاج الرحمن هو ماخوذ من الرحمة الا انه الذي هو في الرحمة لانه فعلان وهو ما يقال غضبان اذا انتهى غضبه غايته
واما قوله الرحيم والرحمن كلاهما من الرحمة الا ان الرحمن فعلان والفعلان هو النهاية من وصف الرحمة لما ذكرنا
وغيره من الاسماء لا يبلغون في الرحمة ذلك المبلغ لذلك خص بذكر الرحمن دون الرحيم وهذا اهل واحد ليس فيه
خلاف واصله ما ذكرنا انه لا يشرك غيره في هذين ويجوز في غيره وقوله فله الاسماء الحسنى اي الاسماء التي يسمى بها الحسنى
ليس شيء منها قبيحا اوان يكون قوله فله الاسماء الحسنى اي كل اسم صالح واسم حسن له اي تنسب اليه وتضاف ولا يجوز ان
يضاف اليه وينسب ما يقبح منها وسمج واصله ما ذكرنا انه ينسب اليه كل حسن وكل صالح على الاشارة ولا يجوز ان
ينسب اليه كل قبيح سمج على الاشارة والتسمية به وهو ما يذكر التحيات لله والصلوات والطيبات الى اخره ينسب

اليه كل طيب وكل حسن وقوله فله الاسماء الحسنى هذا يحتمل وجهين احدهما انه ما سمي به والثاني ان كل شيء حسن يسمى به في
نفسه راجع اليه في الحقيقة وهو مسمى به وكل حسن منسوب اليه   ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا اختلف اهل التاويل في ذلك قال بعضهم قوله لا تجهر بصلوتك اي لا تجعل صلوتك في مكان يغيظ المشركين
ولا تخافت بها اي ولا تسر من اصحابك تخفي عليهم لكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم لا تجعل كل صلوتك في جماعة ولا
تخافت بها ولا كلها في غير جماعة وابتغ بين ذلك سبيلا ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا بالجماعة وقال بعضهم لا تجهر
بصلوتك ولا تخافت بها اي لا تبدي من الخير في الامور والاعمال التي امرتك بها ولا تقصر بما من الخير الذي حددت لك
فيها ولكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم ولا تجهر بصلوتك مراءاة للناس ولا تخافت بها اي ولا تتركها للاختفاء وحياء
ان يكون قوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اي لا تجهر بجميع الاذكار التي في الصلوة او بجميع القراءة التي فيها ولا تخافت
بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمخافتة وقال بعضهم انه كان يجهر في صلوته بحيث يسمع المشركون فيؤذونه فامره ان
لا يجهر بها لئلا يؤذوه ولا تخافت كل المخافتة فيسمع اصحابك فياخذوا قراءتك وقال بعضهم ذلك في الدعاء لكنه
دلائل ... يوحى اليه في حق التبليغ والرسالة واشباهه ولكن لا يجوز ان يقطع التاويل في هذا ولمثاله فيقال انه كان كذا الا بخبر
من الثابت لان الخطاب به خطاب لخطاب الناس وبلوغه والقول على شيء لا عن شهادة لا على الله وعلى رسوله ولا تحل الشهادة
على الله ولا على رسوله الا بالاحاطة انه اراد ذلك والله اعلم   وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في
الملك ذكر في هذه الاية جميع ما تتم به الحاجة الى التوحيد لان من نفي التوحيد وانكره انما نفاه لهذه الوجوه التي ذكر
منهم من قال له بالولد منهم اليهود والنصارى ومنهم من قال له بالشريك منهم مشركوا العرب ومنهم من قال له بالولي
والعون من الذل منهم الثنوية وعلى ذلك جميع ما قالوا ان هذا الحوت يستعين به على التخلص من واق الظلمة فنفى لنفسه
وبراها عن جميع ما قالوا فيه ونسبوا اليه لان الولد في الشاهد انما يطلب اما للتناصر واما للاستيناس والله يتعالى
عن ان تتم له الحاجة الى ذلك ويتعالى عن ان يكون له شريك لان الشركاء في الشاهد انما تتخذ للمعونة والتقوي
بهم على بعض ما لهم ولاهم فيه والولي من الذل انما يتخذ في الشاهد للاستنصار والاستعانة على اعدائه والله
يتعالى عن ان تتم له الحاجة الى شيء من ذلك فنفى عن جميع معاني الخلق وجميع ما ينسب اليهم ويضاف ويوصفون به
وكبره تكبيرا اي صفه بانه سبحانه والنفي عنه جميع معاني الخلق فيكون في ذلك تعظيمه وتكبيره او
يتعالى عن ما ذكرنا من عرفت هكذا فقد عظمه وكبره والولد في الشاهد انما يتخذ ويطلب لوجهين احدهما
التلهي به والاستيناس من وحشة او لحاجة فيستعين بهم في قضاء حاجته او لذل يخافه من عدو له فيستنصر به عليه والله
يتعالى من ان يصيبه شيء من ذلك فلم يتخذ ولدا ولم يكن له ولي من الذل اي لم يتخذ الاولياء ليتعزز بهم من الذل بل انما اتخذ
اولياء رحمة منه وفضلا ليتعززوا بهم بذلك فيكونون عظاما وذكر لم يتخذ ولدا وقد خلق الله ولا دخل الخلق ليعلم ان
ليس في خلق الشيء ما يصلح ان يتخذ لنفسه وقوله ولم يكن له شريك في الملك ولو كان عليه في قوله المعتزلة لكان له
شريك في الملك على قولهم لانهم يقولون ان الله لم يرد الايمان من الكفرة الملك لهم وانما اراد لا ولياء فعلى
قولهم صار الفراعنة شركاء له في الملك حيث لم يكن ما اراد وما ارادوا هم والحمد لله رب العالمين
والصلوة على محمد واله اجمعين   على يد اضعف العباد احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي
الكتاب في يوم الاحد صباحا من ... الجمعة المبارك العشرين من شهر ربيع الاول المنور المشرف بمولد سيد البشر
عليه الصلوة والسلام ... غفر الله تعالى العفو والمغفرة والصفح عما مضى ... ومن الاخوان
الواقفين على العفو عن زلات القلم ولا قوة الا بالله العلي العظيم

حرر تتميم هذه النسخة المباركة ...